

تتمة يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من دار الكتب العلمية - ص ب ٩٤٢٤/ ١١ - بيروت - لبنان

هاتف ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤

تتمة
يتيمة الدهر
في محاسن أهل العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبيّنا محمّد وعلى آل بيته الطاهرين وبعد ، فإنّ أبا منصورٍ الثعالبي واحدٌ من أئمة اللغة والأدب الذين تفخر بهم الأمة العربية والاسلامية ، نظراً لما خلّفه الرجل من آثار جليلة وكتب قيّمة تدلُّ على سعة اطلاعه وعمق معرفته ، ورفيع قدره وعظيم جهده .

ولد أبو منصور في نيسابور وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فراءً يخيط جلود الثعالب فنسب الى صناعته ، ومن ثمّ اشتغل بالأدب واللغة والتاريخ فنبغ واشتهر وصنّف عشرات الكتب الجليلة الممتعة ، ولعلّ كتابه « يتيمة الدهر » أكثر كتبه شهرة وتداولاً نظراً لأنّه يقدّم فيه ترجمة وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

ولم يقتصر الثعالبي في اليتيمة على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعريّة ، بل نراه يورد أراء نقدية قيمة وتعليلات أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوق أدبيّ رفيع كما يعمد في كثيرٍ منَ الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له ، وبين غيره من الشعراء في الفنّ الشعري الذي برع فيه ، ويكشف بلباقة وكياسة عن مدى تأثّر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقّب بحسٍّ

أدبـــيٍ وذوق مرهف صوره ومعانيه ، فيشهـد له بمـا قدّم من توليداتٍ مبتـكرة وجديدة ، ويرشد الى ما كان فيه تابعاً ومقلداً . .

إذاً فاليتيمة كما نرى كتابٌ هامٌ لا غنىً عنه لكلّ من يتعانى الأدب ويسلك دروبه ، والذي في حوزة أهل الأدب منه أجزاء أربعة تداولوها ، وتعارفوا على أنهّا تمثل مجمل ذلك السفر النفيس ، ولم يقع في خلدهم أن لليتيمة تتمةً تكمل سلسلة الحلقات الأربع منه وتمثّل النهاية الطبيعية لذلك الكتاب القيّم ، ولذا فإننا هنا نفخر بأن نقدم لهم الجزء الخامس من اليتيمة الذي سبق أن نشر في طهران واستحصلنا عليه بدورنا فقمنا بعمـل شروحٍ وضبـطٍ لما تضمّنـه من معلوماتٍ قيّمة ، ونحن الآن نضعه بين يدي القاريء العربي الكريم بحلّـة جديدة وبصورة إفرادية على أملٍ أن نلحق به إن شاء الله في القريب العاجل الأجزاء الأربعة السابقة عليه مع دراسة وافية تتضمّن الضبط والشروح وسائر ما يحتاج إليه الكتاب من تفـاصيل ومعلومـاتٍ تيسّر الولـوج إليه وتعـود على القارىء العزيز بالخير والفائدة ، فيتمّ بذلك الكتاب ويتمّ معه الانتفـاع به والاقتناء له .

والله من وراء القصد

الناشـر

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بعـد حمـدا لله الـذي وفَّقنـا لغـرس الـدّرّ والياقـوت في أرض الكتاب واستثمار الغرر والنكت[1] من أنوار الصحف والاستظهار على كرب الدّهر بتنسم الأدب والصلوٰة على سيدنا محمد غرّة العالم وسيد بني آدم فانّي لما رأيت كتابي المعنون بيتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر يسحر العقول ويملك القلوب ويعجب الملوك كما يعجب الرّعية ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ويسير في الآفاق مسير الأمثال ويسري في البلاد مسرى الخيال ولقيت أعيان الفضل وأفراد الدّهر أطلب له من طير الماء للماء وأحرص عليه من المرضى على الشفاء ووقع اليّ على الأيام ما ينخرط في سلكه ويصلح للالحـاق به ولا يسـوغ تأخيره عن أخوٰاته، لاسيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبرا لامترك لثمار خواطرهـم ووسائـط قلائدهم عنّ لي حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه وايداعه ما شذّ عنه من طرزه وجنسه اجراؤه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه فعملت من ذلك مالم اخمر الرأي[2] فيه ولم اوفيه حقه من التهذيب لاستعجالي وايثاري اتّحاف الشيخ ابي الحسن محمدبنّ عيسى الكرجي أيّده الله تعالى به وهو على جناح السفر ناهض النية سائر العزيمة فارتفع كعجالة الرّاكب فانضمّ الى ما صحبه من أخائر الدّفاتر وقد أنشأته الآن نشأةً اخرى وسبكته ثانيةً بعد اولى وكرّرت فيه أبناء قوم سبق ذكرهـم في اليتيمـة ولـم

(١) النكت : الكلام اللطيف الذي يؤثر في النفس انشراحاً .

(٢) أخمر الرأي : منحه المزيد من الدرس والبحث .

يحضرني في وقت تأليف اليتيمة الا القطر من سيح وابلهم[1] واللّمعة اليسيرة من أبكار أفكارهم[2] كأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدّولة ابي محمد الحمداني وأبي العباس خسرو فيروز بن ركن الدّولة وابي علي مسكويه ،وأبي بكر القاضي الأسكي[3] وأبي القاسم بن العلاء الاصبهاني وابي سعد بن خلف الهمذاني وابي البركات العلوي وأبي محمد منصور بن محمد الهروي وغيرهم ، فأردت الآن أن أسدّ الثلم واجبر الكسر واتمم النقص واورد ذكر كلّ منهم في مكانه على الرّسم في مثله ، وقد قرّرت عنوان الكتاب تتِمّة - اليتيمة ولم اخله من ملح النوادر[4] وفصوص الفصول وبنيته على الانتخاب والاختصار والاقتصار على اللبوب[5] وعيون العيون وسلوك طريق منصور الفقيه في قوله :

قالوا خذِ العينَ من كَلٍ[6] فقلت لهم ... في الفضل عينٌ ولكنْ ناظرُ العينِ
حرفين من ألف طومارٍ مسوّدةٍ ... وربّما لم تجدْ في الألفِ حرفينِ

والعذر في تأخير المقدّم وتقديم المؤخّر وكتبة مالا يتمّ المعنى دونه وما يشرف بالانتساب الى قائله لا بكثرة طائله ما سبق ذكره ملخصاً صدر كتاب اليتيمة ومن هاهنا سياق أبواب الكتاب :

---

(١) سيح وابلهم : مطرهم الغزير .
(٢) أبكار أفكارهم : طلائعها ، جديدها الرائع في كل فن
(٣) الأسكي : وفي الأصل : اللاسكي ، وفي اليتيمة ج ٣ ص ٢٢٨ : الأسى ، والصحيح كما أظنه هو الأسكي المنسوب الى أسك قرية من قرى دوماوند.
(٤) ملح النوادر : الطرائف اللطيفة .
(٥) الاقتصار على اللبوب : الاكتفاء بالجوهر منه والوقوف على الجيد الرائع .
(٦) كلّ : تعب .

تتمة القسم الأول

في

محاسن اهل الشام والجزيرة

١ ـ الأمير ابو المُطاع

قد قدّمت العذر في تكرير ذكره وكتبت ما لم يقع في اليتيمة من شعره فمن ذلك ما انشدني ابو محمد خلف بن محمد بن يعقوب الشرمقاني بها ، قال انشدني ابو المطاع لنفسه :

افدي الذي زرته بالسَّيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعْتُ نجادي في العناق له ... حتى لبست نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدنا في نيل بغيته ... مَنْ كان في الحبّ أشقانا بصاحبه

وانشدني الشرمقاني عن الجوهري عن أبي المطاع لنفسه :

لما التقينا معاً والليل يسترنا ... من جنحه ظُلَمٌ في طيِّها نعم
بتنا أعفّ مبيتٍ باته بشرٌ ... ولا مراقب الاّ الظُّرفُ والكرم
فلا مشى مَنْ وشى عند العدوّ بنا ... ولا سعى بالذي يسعى بنا قدم

وانشدني ايضاً بهذا الاسناد :

تقول لمَّا رأتني ... نضواً[1] كمثل الخلال[2]
هذا اللقاء منامٌ ... وأنت طيف الخيال
فقلت كلاً ولكن ... أساء بينك حالي

---

(١) نضواً : خالعاً ثوبه .

(٢) الخلال : عودٌ يزال به الطعام من بين الأسنان يريد أنه نحيل الجسم .

فليس يُعرف مني حقيقتي من محالي

وانشدني ايضاً بهذه الاسناد :

تـرى الثيابَ من الكتَّـان يلمحُها نورٌ من البـدرِ أَحيانـاً فَيبليْها
فـكيف تنـكرُ ان تَبْلـى معاَجِرُها والبـدرُ في كلٌ وقـتٍ طالـعٌ فيها

وأراه أخذ هذا المعنى من أبي الحسن بن طباطبا العلوي في قوله من نتفةٍ :

لا تَعْجَبـوا مِنْ بَلَـيْ غُلالَتِهِ إذ زرٌ كُتَّانَهـا علـى القمرِ

وأخذه أيضاً الرّضي بن الموسوي النقيب فقال من قصيدةٍ :

كيفَ لا تَبْلـى غُلالَتَهُ وَهْـوُ بدرٌ وَهْـي كُتَّانُ

وللقمر خاصية في قرض الكتان ولذلك قال من ذكر عيوب القمر : يهدم العمر ويحلٌ الدّين ويوجب اجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد اللّحم ويشحب الألـوان ويقرض الكتان(١) ويضلّ الساري(٢) لأنّه يخفي الكواكب ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق .

ولأبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي البصري في نظم نبذ من معايب البدر وتحذير بعض الرّؤساء سوء اثر هجائه من قصيدة :

لـو أرادَ الأديبُ أَنْ يهجُـوَ البدْ رَ رمـاهُ بالخُطَّـةِ الشّنْعَاءِ
قـالَ يا بَدْرُ أنـتَ تغـدُرُ بالسَّا ري وتُغْـري بزَوْرةِ(٣) الحسناءِ
كلفـٌ(٤) في شحوبِ وجهِكَ يَحكي نُكَتـاً فوق وَجْنَـةِ بَرْصاء
ويريك السـرار(٥) في آخـر الشهـ ـر شبيه القلامـة(٦) الحجناءِ(٧)

---

(١) يقرض الكتان : يقطعه .

(٢) يضلّ الساري : يفقد طريقه ليلاً .

(٣) بزورة : أي زيادة .

(٤) كلف : لون بين السواد والحمرة وكدرة تعلو الوجه .

(٥) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٦) القلامة : ما سقط من الظفر عند القطع .

(٧) الحجناء : المائلة .

وإذا البَـدرُ نيلَ بالهجـوِ فَليَخْـ ـشَ أُولُوا العقلِ ألسُـنَ الشعراءِ

وانشدني ابو يعلى محمد بن الحسن الصوفي قال انشدني ابو المطاع لنفسه :

لـو كنـتَ ساعـةَ بيننـا ما بيننا وشَهِـدْتَ حين نكرِّرُ التَّوْدِيعَا
ايقنْـتَ أنَّ من الدّمـوعِ مُحَدِّثاً وعلمْـتَ أنَّ من الحـديثِ دموعَا

وله في هذا المعنى بعينِه :

غيرُ مستنـكرٍ وغيرُ بديعٍ أَنْ يَبينَ الـذي تجـنُّ[1] ضلوعي
لـي دمـوعٌ كأَنها من حديثٍ وحـديثٌ كأنَّـهُ من دموعي

وكنت احسب انّ شعره مقطعات دون القصايد حتى طلع علينا الشيخ ابو بكر علي بن الحسن فأعارني من ديوان شعره ما نقله بالشام من خطه وفيه الطوال والقصار ولم يكن رفع[2] الى خراسان من ذلك غير ما كتبته ، فمن احاسنه ولطايفه قوله :

ومفـارق نفسـي الفـداءَ لنفسِهِ ودَّعـتُ صبـري عنـه في توديعِهِ
ورأيتُ منـه مثـلَ لؤلـؤِ عقدِهِ من ثغـرِهِ وحديثِـهِ ودموعِهِ

وقوله في معناه :

رأيتُ عنـد الفـراقِ لِمَا جمَّ[3] لحيني وشـؤمِ جَدِّي[4]
اربعـةً مالهـا شبيهٌ فيمَـنْ به صبوتـي ووَجْدي[5]
مِـنْ دُرِّ لفـظٍ ودُرِّ ثغرٍ ودُرِّ دمـعٍ ودُرِّ عَقْدِ

وقوله :

---

(١) تجنُّ : تستتر وتخفي .
(٢) وفي الأصل : وقع .
(٣) جمَّ : كثر .
(٤) جدّي : حظي .
(٥) وجدي : حبي وشوقي .

اليومَ يومَ السُّــرورِ والطَّرَبِ فاقْضِ به ما تحــبُّ من أَرَبِ[1]
أَمَــا ترى الجــوَّ في سحائبِهِ وبَرْقِــهِ المستــطيرِ في السُّحُبِ
يَخْتــالُ في حُلَّــةٍ مُمسكَةٍ قد طرَّزَتْهــا البــروقُ بالذَّهَبِ

ولابي المطاع من قصيدة :

ولمَّــا اجتمَعْنَــا للتفــرُّقِ سلَّمَتْ سلامَ فِراقٍ لا سلامَ تَلاقِ
فحلَّيْتُ من نظمِ الصَّبابةِ[2] جِيْدَهَا[3] فريدَ دموعٍ في عقودِ عِناقِ
فيا ليتَ روحَيْنــا جرَتْ في دموعِنا تسيلُ باجفــانٍ لنــا ومآقِ
فقَدْ يستلــذُّ الصَّــبُّ فِرْقَــةَ نفسِهِ اذا جدَّ بالاحبــابِ وشْــكَ فِراقِ

وله ايضاً :

أيُّهــا الشَّــادِنُ[4] الــذي صاغَــهُ اللَّــ ــهُ بديعــاً من كلِّ حُسْــنٍ وطيبِ
ظَــلَّ بين اللَّحــاظِ لحظَــكَ يَحكي سُقْــمَ[5] قلبــي عليكَ بينَ القلوبِ

وله في يوم مضى في دير دمشق :

ما انسَ لا انسَ يومَ الـدَّيْرِ مجلسَنَا ونحنُ في نِعَمٍ توفـي علـى النِّعَمِ
وافيتُــهُ غلَسَــاً[6] في فتيةٍ زهرٍ ما شئْتُ من ادبٍ فيهِـمْ ومـن كَرَمِ
والفجرُ يتلو الدُّجى[7] في اثرِ زهرتِه كطاعــنٍ بسِنــانٍ[8] إثْــرَ مُنهزِمِ

قال كانت الزهرة تطلع في ذلك الوقت قبيل طلوع الفجر :

---

(١) أرب : غاية هدف .
(٢) الصبابة : حرارة الشوق ورقته .
(٣) جيدها : عنقها .
(٤) الشادن : ولد الغزال جمعه شوادن .
(٥) السقم : المرض .
(٦) الغلس : الظلمة وآخر الليل جمعه أغلاس .
(٧) الدجى : الظلمة .
(٨) السنان : نصل الرمح .

فلم نزل بمَطيِّ الرَّاح[1] نعملُها مَحْدوَّةً بيننا بالزّمرِ والنَّغَمِ
حتى انثنيْنَا ونورُ الشمسِ يطرُدُهُ جنحٌ من اللّيلِ في جيشٍ من الظُّلَمِ
وليس فينا لفعلِ الخَنْدَرِيسِ[2] بنا مَنْ تستقلُّ به ساقٌ على قدَمِ

وله من قصيدة :

جناحي إنْ رمتُ النهوضَ مهيضُ وحبَّةُ قلبي للهمومِ مفيض[3]
وقد هاجَ لي حزناً تألّقَ بارقٌ له بأعالي الرَّقمتَيْنِ وَميضُ[4]
كما سارقَتْ باللّحظِ مقلةُ ارمَدٍ[5] يقلّبُها جفنٌ عليهِ غضيضُ[6]
فلوْ أنَّ ما بي بالحديدِ اذا بهِ اوالصخرِعادَالصخرُوهُورَضيضُ[7]
ولي هِمَّةٌ لو ساعَدْتها سعادةٌ لَكانَتْ سماءً والسماءُ حَضيضُ
وتحكمُ في مالي حقوق مروّةٍ نوافلُها[8] عند الكرامِ فروضُ

٢ ـ ابو الحسين احمد بن محمَّد المَعَرّي

معرة النعمان من بلاد الشام ، وكان يلقب بالقنوع لانه قال يو ماً في كلام له قد قنعت والله من الدّنيا بكسرة وكسوة[9] ووصف بعض العمال فقال : ما هو الا ماء كدر وعود دعر[10] وقفل عسر[11] ، وانشدني ابو يعلى محمد بن الحسن البصري

---

(١) الراح : الخمرة المصحوبة باللهو والمجون .
(٢) الخندريس : الخمرة .
(٣) مفيض : فيض من الهموم والأحزان .
(٤) وميض : برق ولمع .
(٥) مقلة أرمد : عين أصابها الوجع .
(٦) غضيض : الطرف المسترخي الأجفان .
(٧) رضيض : ما تكسّر منه .
(٨) نوافلها : مفردها النافلة وهي الغنيمة والنوافل أيضاً : الصلوات التي لم تفرض على المؤمنين شرعاً .
(٩) بكسرة وكسوة : بلقمة وكساء .
(١٠) عود دعر : عود يساعد على المعصية .
(١١) عسر : شاق وعسير .

قال انشدني القنوع لنفسه ملحاً وغرراً ونكتاً وطرفا وكان قد استكثر منه وروى جل شعره عنه ، فمن ذلك قوله :

رُبَّ همٍّ قطعتُــه في دُجــى اللَّيـ ـلِ بهَجرِ الكرى[1] ووَصْلِ الشرابِ
والثُّــرَيَّا قَد غربَـتْ تطلــبُ البد رَ بسيرِ المُــرَوَّعِ المُرْتابِ[2]
كزليخـا[3] وقــد بدَتْ كفُّهـا تطـ ـلــبُ اذيالَ يوسفَ بالبابِ

وقوله في الغزل :

ومُجَـرِّدٍ ابــداً على قلبــي حُسامــي مُقْلتيهِ
جسمــي علــى حالَيْنِ من حذرٍ مقيمٍ في يديهِ
فــاذا امنْــتُ الخــوف منـ ـهُ بقيتُ في خوفٍ عليهِ

وقوله في رئيس جالس على رأس بركة مع ندمائه :

قُـلْ للـرئيسِ ابـي الرضـاءِ محمدٍ قولَ امْــرِءٍ يوليهِ حُسْــنَ ولاءِ
مِـنْ حول بِركتِــكَ البهيَّةِ سادةُ الـ ـقــرَّاءِ والعلمَــاءِ والشُعراءِ
لــو انصفــوكَ وهُــمْ قيامٌ اشبَهَتْ اشخاصُهُــم امثالَهــا في الماءِ

أي لقاموا على رؤسهم كما يتراءون في الماء ، وقوله في قوم بنوا مسجداً في محلته :

يا مَنْ بنــى مسجــداً ضِراراً والبُخْــلُ منــه يليهِ لومُ
لــو كانَ اسلامُــكُم قديماً كان لكم مسجــدٌ قديمُ

وقوله في بعض العدول :

يا بْنَ علــي قالــوا ولــو صدقَوا لَكُنْــتَ تجــري مجــراهُ في الخلق

---

(١) الكرى : النعاس .
(٢) المروَّع المرتاب : الخائف المذعور .
(٣) كزليخا : كزوجة فرعون .

دينُـك ذا لو كُشِفَ باطنُهُ أرقّ من طيلسانِـك[1] الخلق

٣ ـ ابو الخير المُفَضَّل بن سعيد بن عمرو

هو من معرة النعمان ايضاً ويلقب بالعزيزي لاختصاصه بعزيز الدّولة ابي شجاع فاتك ومن شعره فيه قوله من قصيدة وقد خلع عليه واعطاه سيفاً ومنطقة ذهب :

يا ذا الصنـايعِ بعدهُـنَّ صنايعٌ واخـا الأيادي بعدهُـنَّ أيادِ
لم تَرْضَ لي حتى ارتـديْتَ بصارمٍ[2] وعقـدْتَ مربـطَ عاتقـيِ بنَجادِ[3]
وادرْتَ في خصْـري سبيكةَ عَسجدٍ[4] اوهَـتْ عِداىَ وأمسكَتْ من آدِي[5]
فلأرضينك من بلاغـةِ منطِقي ولأعجبنـك من مَضـاءِ فؤادي
ولاخدِمنَـكَ فاعـلاً أو قائلاً بالضَّـربِ بين يديكَ والأنشادِ
وإذا شككْتَ فلا تشـكّ بانني في الدّهـر ثالـث عنتـر وزيادِ

ومما يستحسن له قوله في جاريةٍ سوداء ويروى لغيره :

ومِسْـكيَّةُ النشـرِ[6] مِسْـكيَّةُ الـ ـغدائـرِ[7] مسـكيةُ المنظرِ
تَثَنـى وقامتُهـا للقضيـ ـبِ وتنظـرُ واللّحـظُ للجَوْذَرِ
وتحسبُهـا في خلالِ الحديـ ـثِ تنثـرُ عقَـداً من الجَوْهرِ

وقوله في الهجاء :

---

(١) طيلسان : كساء يلبسه خواص العلماء .
(٢) صارم : سيفٌ قاطع .
(٣) نجاد : حمالة السيف .
(٤) عسجد : ذهب .
(٥) آدي : قوتي
(٦) مسكية النشر : طيبة الرائحة كالمسك .
(٧) الغدائر : الشعر المضفور من شعر المرأة .

ابــو الرِّضــا القــاري له منظرٌ يعــربُ عن بُنيةِ تأنيثِ
مخنَّــثُ الطَّبْــعِ وليسَــتْ له خفــةً ارواحِ المخَانيثِ

وله ويروى لغيره :

ايرى علــى جسمــي اميرٌ وقد دانَ له بالسَّمــعِ والطاعَةْ
تكبســبُ اعضــاي جميعــاً له في الشهــرِ ما ينفــقُ فــي ساعَةْ .

٤ ـ ابو العَلاء الْمَعَرّي

قد جمعت بين اهل معرّة النعمان التي اخرجت هؤلاء الفضـلاء وهـي غير مشهورة بخراسان ، وكان حدّثني ابو الحسن الدلّفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدّة ثلاثين سنة قال لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجدّ والهزل يكنى أبا العلاء وسمعته يقول انا احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر ، فقد صنع لي واحسن بي اذ كفاني[1] رؤية الثقلاء البغضاء قال وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء :

وافــى الكتــابُ فاوجَــبَ الشُكْرا فَضَمَمْتُــهُ ولثَمْتُــهُ[2] عَشْرَا
وفَضَضْتُــهُ . وقرأتُــهُ فاذا أحلــى كتــابٍ في الورى[3] يُقْرَا
فمحــاهُ دمعــي من تحدّرِهِ[4] شوقــاً اليكَ فلــمْ يدَعْ سطْرا .

فحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الاخوان .

---

(١) كفاني : منعني من رؤية الثقلاء من الناس .
(٢) لثمته : قبلته .
(٣) الورى : الخلق ـ البشر .
(٤) تحدّره : هطوله .

٥ ـ ابو القاسم المحسن بن عمرو بن المعلّى

انشدني ابو يعلى له في منتحل :

لـو قيلَ للشعـرِ الـذي يدَّعي الحـقَ بمَـنْ قالَكَ يا شعرُ
لـم يبـقَ في ديوانِ اشعارهِ قصيدةٌ لا لا ولا سطرُ

واظرف والطف منه قول القاضي ابي الحسن بن عبد العـزيز في أبـي بكر الخوارزمي :

لـو نفضَـتْ اشعـارَهُ نفضةً لانتشـرَتْ تطلـبُ اصحابَها

قال وانشدني لنفسه واحسن واجاد جداً :

لسـت ادري ولا المنجـمُ يَدري ما يريدُ القضـاءُ بالانسانِ
غيرَ أنـي اقـولُ قولَ محقّ وارى الغيبَ فيه مثـلَ العيانِ[١]
إنّ مَنْ كان محسنـاً قابلتْهُ بجميلٍ[٢] عواقـبِ الاحسانِ .

وانشدني المصيصي مرّة له واخرى لغيره هذين البيتين وهما مما يدخل على الأذن بلا اذنٍ :

ليالـي اللّـذّاتِ سقياً لكِ[٣] ما كنـتِ إلاَّ فرحـاً كلُّكِ
عـودي كمـا كنـتِ لنـا مرةً فنحـن إنْ عدْتِ عبيدٌ لكِ

وله أيضاً :

ايا ـ بارداً جدّاً ويا مَنْ يشبـهُ القرْدَا
لقـد اشبهـت من بردِكَ مخضَـراً ومسودًا
لأنّ البـردَ من بردِكَ أضْحـى يجـدُ البَردا .

---

(١) العيان : المشاهدة .
(٢) بجميل : بخير وإحسان .
(٣) سقياً لك : دعاءٌ لها بالخير الكثير .

٦ ـ ابو الحسين المسْتَهام الحَلَبي

غلام ابي الطيب المتنبي والببغاء انشدني ابو يعلى له في بعض الامراء اخترت منها :

ذو منظرٍ دلَّ على مخبرٍ دلالةَ اللّفظِ على المعنَى
ما زالَ يبني كعبةً للعلا ويجعلُ الجودَ [1] لها رُكْنَا[2]
حتى أتى الناسُ فطافوا بهِ واستلموا راحتَهُ اليُمْنَى

ومنها :

تطربهُ الاشعارُ في مدحِهِ ولم يُصْغِ قائلُها لَحْنا
فليس يدري ان اتى شاعرٌ ينشدُهُ انشدَ ام غنَّا

وهذا معنى حسن قد تصرّف فيه العقلاء فمنهم ابو تمام حيث يقول ولعلّه اوّل من فتح هذا الباب :

ونغمةُ مُعتفٍ تأتيهِ احلى على اذنيهِ من نغمِ السَّماعِ

ثم البحتري حيث يقول :

نشوانَ يطربُ للمديحِ كأنما غناهُ مالكُ طيىء او معبدِ

ثمّ ابن الرّومي حيث يقول :

كأَنه وهو مسئولٌ وممتدَحٌ غناه اسحقُ والاوتارُ في الصخبِ[3]

ثم القاضي ابن عبد العزيز حيث يقول في الصاحب :

---

(١) الجود : الكرم .
(٢) ركنا : اساسا ومعتمدا .
(٣) الصخب : الضوضاء .

نشـوانَ يلقـي المعتفـى متهلّلاً يهتـزُّ من مدحٍ به عَطْفاهُ[1]
واذا اصاخ [2] الى المـديحِ رأيتَهُ وكأن مالكُ طيىءٍ غناهُ .

وقول المستهام احسن والطف من اقوال هؤلاء كلّهم وله في الخمر انشدنيه ابو يعلى :

وقهـوةٌ ذات حبَبْ[3] كالنـار ترمـي باللّهَبْ
تحسـبُ من طول الحقب [4] مخلوقـةٌ قبـلَ العِنَبْ

٧ ـ ابو محمّد الماهر الحلَبي

شاعر بحقه وصدقه محسن ملء ثوبه يقول من قصيدة :

ترى منهـم يومَ الوغى[5] كلَّ ناشرٍ من النقْـعِ فوقَ الـدّارِ عين مطاردا
ينالـون ما امسـى بعيداً منالَهُ كأنهـم اعطـوا الرمـاحَ سواعدا

ومن اخرى يشبب فيها بغلام اثرت فيه الحمى ويحسن في التخلص الى المدح ويظرف جداً :

واسيلُ الخـدِّ[6] شاحبُه كحُلَـتْ عينـاه بالفتنِ
تـركتْ حمّـاه وجنتَه في اصفـرارِ اللّـون تشبهني
وارى خدَيّهِ وردهما ما جنِـي ذنبـاً فكيف جنى
نهبـا حتـى كأنهما ما حوتْ كفـا ابـي الحسن

ومنها :

---

(١) عطفاه : جنباه .
(٢) أصاخ : سمع .
(٣) حبب : فقاقيع شديدة الحرارة،والقهوة : الخمرة .
(٤) الحقب : الأزمان .
(٥) الوغى : الحرب .
(٦) أسيل الخدّ : أملسه .

ذو جفونٍ تشتري ابداً غبراتِ النقعِ بالوسن[1]
ويدٌ تنْدَى ندىً ورديً تجمعُ الضدَّين في قَرَنِ[2]

ومن اخرى :

مجدي وقد يثبتُ في نفسِهِ فضيلة المجدي على المجدي
لو كان مَنْ احببتُه بعضَ ما في يدِهِ زار بلا وعدِ

وله من اخرى :

اذا امتطى قلمٌ يوماً انامِلَه سدَّ المفاقرَ واستولى على الفَقْرِ[3]

وله في الغزل :

جسَّ الطبيبُ يدي جهلاً فقلتُ له عنِّي اليكَ فهذا يومُ بُحراني
فقال ماذا الذي تشكوهُ قلتُ له اشكو اليكَ هوىً من بعضِ جيراني
فظلَّ يعجبُ من قولي وقالَ لهم إنسانُ ظرفٍ فداووه بانسانِ

ومن منثور كلامه : خلص من سبل النقد خلوص الذهب من اللّهب ، واللّجين[4] من يد القين ، والمدام[5] من نسج الفدام[6] ، وقوله : اين السمك من السماك والغرقد[7] من الفرقد[8] والسراب[9] من الشراب .

---

(١) الوسن : النعاس ، والنقع : الغبار .
(٢) تندى : تنضح بالندى اي الكرم ، وبالردى أي الموت كناية عن الشجاعة .
وقرن : من القرين وهو الصاحب اي تقرن الكرم والشجاعة معاً .
(٣) المفاقر : وجوه الفقر .
(٤) اللجين : الفضة .
(٥) المدام : الخمر .
(٦) الفدام : الفدم العيُّ عن الكلام وابريقٌ مفدّم : عليه مصفاة .
(٧) الغرقد : شجر .
(٨) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .
(٩) السراب : ما يتراءى للناس في الصحراء وغيرها كالماء ، وهو خداع .

٨ ـ ابو الفتح المَوَازيني الْحلَبي

لم اسمع في هجاء قوّال املح من قوله :

ومغــنٍّ عن غيرهِ غير مغنّ جاءَ في لحنــهِ القبيحِ بلحنِ
كادَ في كفــهِ القضيبُ من الغيـ ـظِ[1] ينادي يا اثقـلَ النـاسِ دَعْني

وانشدني المصيصي له وهو متنازع بينه وبين نفرمن اهل الشام والجزيرة لجودته وانشدني ابو يعلى البصري لبعضهم وقد نسيت اسمه :

لا يظـنُّ الحســودُ ذاكَ وإنْ د بٌّ دبيبَ التــوريدِ في وجنَتَيْهِ
إنمــا خدُّهُ غلالــةُ[2] وردٍ نفضَــتْ صبغَهــا علــى مقلَتَيْهِ

وقوله من قصيدة :

الجّ العجاجَ[3] الى المقنَّـعِ حاسراً وازورهــا خوفَ الوشــاةِ[4] مقنَّعاً

وقد كنت قلت في صباي بيتين في تشبيه كسوف البدر بالتحاء الغلام وضمنها ابو سعد بن ابي الفرج كتابه في التشبيهات وهما :

انظر الى البدرِ في اسرِ الكسـوفِ بدا مستسلمــاً لقضــاءِ اللهِ والقدرِ
كأنــه وجــهُ معشــوقٍ ادلَّ على عشّاقــهِ فابتــلاهُ الدّهــرُ بالشعرِ

٩ ـ ابو احمد محمَّد بن حَمّاد الْبَصْري

انشدني ابو القاسم يحيى بن علاء البخاري الفقيه قال انشدني ابن حماد البصري لنفسه بها :

---

(١) الغيظ : الغضب الشديد .
(٢) غلالة : لباس شفاف يلبس تحت الثوب .
(٣) الجّ العجاج : اكثروا الصياح واختلطت أصواتهم .
(٤) الوشاة : النمّامون .

ان كان لا بدٌّ من اهلٍ ومن وطنٍ فحيثُ آمن مَنْ اهوى ويأمنُني
يا ليتني منكرٌ من كنتُ اعرفهُ فلستُ اخشى اذى مَنْ ليس يعرفني
لاشتكي زمني هذا فأظلمهُ وانما اتشكىٌّ اهلَ ذا الزّمنِ
وقد سمعتُ افانين الحديثِ فهل سمعت قطُّ ببحر غيرِ ممتحنِ

وحدّثني هذا ابو الفضل قال قلت يوماً بالبصرة لابن حماد في كلام جرى بيني وبينه انت بحر وانا نهر فقال لا جرم انت عذب وانا ملح وقرظته[1] يوماً آخر واثنيت[2] عليه فقال ما احسن هذا المدح لولا ان العارية[3] مؤدّاه .

١٠ ـ أبو الحسن محمَّد بن عَبْد الواحد القَصَّار

هو بصري المولد والمنشأ الا انه استوطن بغداد ولما رأى سخف الزّمان واهله وميلهم من الكلام الى هزله اخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجدّ وتلقب بصريع الدلاء وتشبه بابن الحجاج وهيهات ، ولما انشد فخر الملك قصيدته التي منها :

يا ذا الجلالاتِ ويا ذا النِّعَمِ المتَّسقَهْ[4]
يا نعمةَ اللهِ على جميعِ مَنْ قد خلقَهْ
لو فاخرَ الدَّهرُ الورَى[5] علوت منه عنقَهْ
قد والذّي يبقيكَ لي انقطعَتْ بيَ النَّفقهْ
وبعتُ من دفاتري ما كان جدّي ورّقَهْ

---

(١) قرظته : مدحته شعراً .
(٢) أثنيت عليه : مدحته بجميل الشمائل .
(٣) العارية : العطاء .
(٤) النعم المتسقة : النعم المتلاحقة كناية عن كرمه .
(٥) الورى : البشر كافة .

وهي هزلية طويلة اعطاه ما اغناه فهبت ريحه ونفقت سوقه ودرّت الصلات له وتداول اهل بغداد قصيدته التي عارض بها ابي العنبس في تأخير المنفعة وذكر التميمي انه قالها واكثر شعره في داره ببغداد وانه كان يسميها باديته واوّل القصيدة :

قلقلَ احشاي تباريحُ الجوَى[١] وبانَ صبري حين حالفتُ الأسى

ومنها وهي مطمعة مويسة :

يا سادة بانوا[٢] وقلبي عندهم مذ غبتم قد غاب عن عيني الكرى[٣]

وسوف أُسلّي عنكم صبابتي[٤] بحمقةٍ يعجبُ منها مَنْ وعَى
في طرفِ نظمتِها مقصورةً اذ كنتُ قصاراً صريعاً للدلّا
مَنْ صفعَ الناس ولم يمكنهم ان يصفعوه بدلاً قدِ اعتدَى
مَنْ مضغَ الاحجارَ ادمَتْ فكَّهُ فالضرسُ لم تخلقْ لتليينِ الحصَى
مَنْ نامَ لم يبصرْ بعيني رأسهِ ومَنْ تطأطأَ راكعاً قدِ انحنَى
مَنْ رامحَ[٥] الخيلَ كسرنَ ساقَهُ ومَنْ حدَى[٦] في نومِه فقد هذَى[٧]
مَنْ صامَ اسبوعاً تماماً ليلَهُ مع النهارِ لم يوافقْهُ الخوَى[٨]
مَنْ قطعَ النخلَ وظلَّ راجياً ثمارَهَا فذَاكَ مقطوعُ الرَّجا
ومَنْ طلى بالحبرِ صحنَ وجههِ حكى بما سوّدَ ليلاً قد دَجا[٩]

---

(١) تباريح الجوى : آلام الحب والحزن .
(٢) بانوا : فارقوا .
(٣) الكرى : النعاس .
(٤) صبابتي : حبي وشوقي .
(٥) رامح : طعن كل منهما الآخر .
(٦) حدى : أقام بالمكان ولزمه . ويعني هنا مَنْ تكلم في نومه .
(٧) هذى : تكلم بغير معقول لمرض أو لسواه .
(٨) الخوى : الجوع . وفراغ الجوف من الطعام .
(٩) دجا : أظلم .

وهي طويلة تربي على المائة وقد اعجز الشعراء ان يزيدوا فيها بيتاً من حسنها .

١١ ـ ابو عبد الله الحسين بن احمد المُفْلس

قد ذكرته في كتاب اليتيمة[١] واوردت يسيراً من شعره وهو ما ذكر ابو الحسن محمد بن الحسين الفارسي النحوي من ان له شعراً كثيراً في اللّغز والاحاجي[٢] قد ظفرت الآن به وكتبت ما استحسنته واخترته وكان عمله لبهاء الدّولة فاستخرجه كلّه ، فمن ذلك قوله في نخلة على شاطىء نهر من دجلة :

وغيداء تهتزُّ طوعَ النسيمِ ... اذا جدَّ معتلّهُ او مزَحْ
اذا الماءُ مثلَ لي ظلَّهَا ... توهمتُها مخوضاً[٣] في قدَحْ

وقوله في السفرة :

ورافعة اليكَ بلا جفونِ ... عيوناً لا تطيقُ لها انطباقَا
تبسمُ في المنازِل عن وجوهٍ ... رماها الحسنُ تأتلقُ ائتلاقا[٤]
مزخرِفةٌ كأنَّ الرّوضَ فيها ... اذا استجليَتْ لحظاً وانتشاقا
جصصْنَاها[٥] بزنارٍ ظريفٍ ... ففاقَتْ كلَّ مُجتصٍّ وفاقا
اذا وضعَتْ يكونُ لها نطاقاً ... وإنْ رفعَتْ يكونُ لها خِناقا
فلم نرَ مثلهَا بدراً منيراً ... ولم نرَ مثلَ ايدينا مُحَاقا[٦]

---

(١) اليتيمة ص ٣٣٨ ج ١ .
(٢) الأحاجي : الألغاز .
(٣) توهمتها مخوضاً : ظننتها اللبن الذي قد مخض وأخذ زبده .
(٤) ائتلاقاً : لمعاناً وبريقاً .
(٥) جصصناها : أقمنا حولها زنّاراً من الجصّ أو طليت به .
(٦) محاقاً : ما يرى في القمر من نقص بعد اكتماله .

وقوله في البيضة :

وصفراء في بيضاءَ رقّتْ غلالةً[1] لها وجفا ما فوقَها من ثيابها
جمادُ ولكنْ بعد عشرين ليلة ترى نفسَها معمورةً من خرابِها

وقوله في باقي البقل :

وغضّةٌ رطبةٌ يضمنُها نخاسُها حين تجتلي مَلَحا
اذا اشتروها تنصّرت فاذا ادخلتِ البيتَ اسلمَتْ مرحَا

وقوله في الزّنبور :

واعجميّ لابسٍ لبسَ العرَبْ لا يستفيقُ من غناءٍ إنْ ركبْ
مبرقعٍ ببرقعٍ من الذّهَبْ يضحي ويُمسي بحقابٍ محتقبْ
وخنجرٍ يسلُّهُ[2] عند الغضبْ كأنّهُ شعلةُ نارٍ تلتهبْ

وقوله في المقراض :

وذي جسمينِ لا يفر قُ ما بينهما ناظرُ
اذا ما بخصُوا عينيـ ـه امسي فمهُ فاغرٌ[3]

وقوله في السيف :

ومستعرضٍ صاحباً لا يزا لُ يحمي من الذّلّ اطواقه
فطوراً يطوّل من وجههِ وطوراً يعرّضُ اشداقه .

وقوله في الميزاب :

ومخطف قد ابرزوهُ باديا تلقاهُ في الصيف فقيراً عاريا

---

(١) غلالة : لباس شفاف يلبس تحت الثياب .
(٢) يسلّه : يسحبه .
(٣) فاغر : فاتح فمه .

وفــي الشتــاءِ باللّجين[1] حاليا   اذا يداه التقطَــتْ لألْيا
صاغَتْ لنا منه حساماً ماضيا .

وقوله في الكتب :

ومستــودع سرّاً تضمــن صونَهْ   فاصبـحَ منـه في الضـميرِ مكتَّما[2]
اذا ماطوى كشحاً[3] على سرّ صاحبٍ   تمنطــقَ حزَمــاً فوقَــهُ وتختَّما

وقوله في صورته التي يراها في المرآة :

وزائرٍ لست في عشقي ولا شغفي   بوجهـهِ حيـن القــاهُ بمحجوجِ
يظــلُّ يلحظنــي عجَبــاً وألحظُهُ   وبيننـــا سدٌّ يأجــوجٍ ومأجوجِ

وقوله في الحمام :

ومنــزلُ اقــوامٍ اذا ما التقوا به   تشابَــه فيه وغــدُهُ ورئيسهُ
يخالــطُ فيه المــرءُ غيرَ خليطِهِ[4]   ويضحـي عدوُّ المرءِ وهو جَليسهُ
ينفسُ كربــي ان تزيدَ كروبهُ[5]   ويونسُ قلبــي ان يقــلَّ انيسهُ
اذا ما اعــرْتَ الجــوَّ طرفــاً تكاثرَتْ   عليكَ به اقمــارُهُ وشموسُهُ

١٢ ـ ابو المكَارم المُطَهَّر بن محمَّد البَصْري

احد من طوّف في الآفاق ولا راحلـة له الا الرِّجلـة[6] ولا حرفـة الاشحـذ

(١) اللجين : الفضة .
(٢) مكتماً : مضمراً مستوراً .
(٣) طوى كشحاً : أخفى أمراً ، وأعرض عنه .
(٤) خليطه : عشيرة .
(٥) كروبه : أحزانه .
(٦) الرجلة : القوة على المشي .

المدية[1] في الجدية ، وهو شاعر سريع الخاطر كثير النّوادر في الجدّ والهزل وهو القائل :

رأيتُ الشعــرَ للســاداتِ عزّاً ومنقبــةً وصيتــاً وارتفاعًا
وللشعــراء هونــاً وانخفاضاً ومجلبــةً لذلّ واتِّضاعًا

وذكر بعض الرّؤساء فقال : حضرته عوذة من الفقر وطلعته أمان من الزّمان ، وشكى بعضهم فقال : توقعت ايجاباً فلم ار الا حجاباً واعجابا ، وذكر آخر فقال : ما هو الا ثقل الدّين على وجع العين ، وحدّثني الدهقان ابو علي القومسي قال حضر عندي بالدّامغان وقدّم الينا المشمش فقال في الوقت مرتجلاً :

ومشــمشُ سوءٍ قد اكلنــا غديةً[2] بمجلسِ حرّ وهــو خيرُ صديقِ
اذا ما منحنــاهُ العيون حسبتُه رؤسَ ايورِ ضمخت بخلوقِ

فتنغصت باليوم والمشمش وفرضت على نفسي ترك تناوله ، وقال لي في كلام له : لم افدك بنفسي لأنها قيمة لك وزنة بك ولكنها طاقة المجتهد .

١٣ ـ ابو القاسم عليُّ بن محمَّد البَهْدَلي الايلي

ذكر صديقاً له فقال : ان اتيته حجب[3] وان قعدت عنه عتب وان عاتبته غضب ، ولمؤلف الكتاب في هذا المعنى :

ان غبْــتُ عنــكَ شكوتَني واذا وصلْــتُ[4] هجرتَني
وتظــلُّ لي مستبطِئاً واذا حضــرْتُ حجبتَني

---

(١) المدية : الشفرة والسكين .
(٢) غدية : أكل الغداء .
(٣) حجب : امتنع وأعرض عن مقابلتك .
(٤) اذا وصلت : أي أقمت صلاتٍ وعلائق .

وَوجدت في تعليقاتي بعد فراغي من كتاب اليتيمة للبهدلي وقد نسيت اسم من انشدنيه :

للنّاس بيتٌ يديمون(1) الطوافَ بهِ ولـي بمكةَ دون الناسِ بيتانِ
فواحدٌ لجلالِ اللهِ اعظمهُ وآخرٌ فيهِ لي شغلٌ بانسانِ .

وانشدني ابو يعلى البصري له :

مَنْ أنا عند اللهِ حتى اذا اذنبْتُ لا يغفرُ لي ذنبي
العفوُ يرجى من بني آدمٍ فكيفَ لا يُرجى من الربِّ

وله وقد سأله صديق له غير مرة عن نيسابور :

تغري بنيسابور تسئلُ دائماً عن حالِها وهوائِها ورجالِها
نعمَ المدينةُ لو وقيت(2) جفاءها من اهلِها وسلمْتَ من اوحالِها

١٤ ـ ابو القاسم السّعدي ابن عمّ ابنُ نُباتَة

هو القائل في الخمر :

جاءتكَ كالنارِ في زجاجتِها حمراءَ ما تستقرُّ من نزقِ(3)
حتى اذا ما المزاجُ خالطَها رأيتها مثلَ صفرةِ الشفقِ(4)
كالبكرِ تصفرُ من معانقةِ الـ ـزوجِ اذا ضمها من الفرقِ .

وهو القائل ويروى لغيره :

أعاذلتي على اتعابِ نفسي ورعيي في السرى روضَ السُّهادِ(5)

---

(1) يديمون : يطيلون الطواف والاقامة فيه .
(2) وقيت : من الوقاية.والجفاء : البعد .
(3) النزق : الطيش ، أي أنّ الخمر هنا لا تهدأ بعد طيش وامتلاء ونزق الاناء : أي امتلأ .
(4) الشفق : الحمرة في المشرق عن المغيب .
(5) السرُى : السير ليلاً ، والسهاد : الأرق .

اذا شام الفتى[1] برقَ المعالي   فاهونُ فائتٍ طيْبُ الرُّقادِ[2]

١٥ ـ ابو محمَّد طاهر بن الحُسَين بن يَحْيَى المَخْزُوميّ البَصْريّ:

هو بصري المولد والمنشأ رازي الوطن حسن التصرف في الشعر موف على اكثر شعراء العصر يعدل من اهل العراق بابن نباتة وابن بابك ومن اهل الجبل بالرستمي والخازن وله مصنفات منها كتاب فتق الكمائم في تفسير شعر المتنبي ، وبقي الى طلوع الراية العالية بالري ثم انتقل الى جوار ربه وقد كتبت غرراً[3] . من شعره الذي هو روح الشعر وذوب السحر فمنها قوله وما احسنه وابدعه واصدقه :

نفسُكَ لا تعطيكَ كلَّ الرضا   فكيف ترجو ذاك من صاحبْ
اجل مصحوبٍ حياة صفَتْ   فهل خلَتْ من هرمٍ عائبْ .

وقوله في معني لم يسبق اليه :

العيبُ في الخاملِ المغمورِ مغمورُ[4]   وعيبُ ذي الشرفِ المذكورِ مذكورُ
كفوفة الظفرِ تخفي من مهانتِها   ومثلها في سوادِ العينِ مشهورُ .

وقوله في الغزل وما املحه وافصحه :

عرَّضتُ قلبي للحتوفِ[5] بعارضٍ   كالوردِ نداَّهُ الصباحُ بطلِّهِ[6]
متوشّحاً زغبَ العذار كأنما   القى عليه الصدغُ[7] سمرةَ ظلِّهِ

وقوله وقد قدّم عليه بعض المتأخرين عن رتبته :

---

(١) شام : ترقّب : انتظر .
(٢) الرقاد : النوم .
(٣) كتبت غرراً : أي قصائد غرّاء هي بنات أفكاره وطلائع أشعاره .
(٤) المغمور : المجهول الذي لم يذع صيته .
(٥) للحتوف : للموت ، والعارض : صفحة الخد .
(٦) الطلّ : النّدى .
(٧) الصدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه . والعذار : الخدّ .

جل قدري وخس قدر زماني　　فانا العضبُ في يمينِ الأشل

وقوله في وصف الدّنيا :

اذا تبرّجت[1] الدنيا فعاهرةٌ　　خضابُها دمُ من تُصبي فتغْتالُ
كأنها حيّةٌ راقتْ منقّشةٌ　　ولانَ ملمسُها والسمُّ قتّالُ

اخذه من قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه :الدّنيا كالحية لين مسها قاتل سمها يحذرها العاقل ويهوي اليها الجاهل ، وانشدني ابو غانم القصري للمخزومي في وصف الفرصاد وهو احسن وابدع ما قيل فيه :

هلمّ فساعدْ في تحيةِ فرصادِ　　كاعجازِ نملٍ يجتمعْنَ على زادِ

وزادني غيره :

وموزٍ كانعاظِ[2] الايورِ اذا مشى　　يميلُ بعطفَيْهِ عليّ بنُ حمادِ

ومن احاسن بدايعه قوله :

لا تحرم الخفضَ ربٌّ فائدةٍ　　جاءتكَ عفواً ولم تسِمْ تعبَا
اما رأيتَ الغديرَ يملؤه　　سيلُ الحيا غيرَ جاشمٍ طلبَا[3]

وقوله لابي العلاء بن حسول ايده الله :

قالوا ودادُ ابي العلاءِ يحولُ[4]　　كالظلِّ يقصرُ مرةً ويطولُ
فسأستشفُّ لقاءهُ فاميلُ في　　وصلٍ وهجرٍ منه حيث يميّلُ
فاذا دعاني بِشْرهُ[5] قاربتهُ　　واذا تجعّدَ فالعزاءُ جميلُ

---

(١) تبرجت : تزيّنت .
(٢) أنعاظ : انعطاف وانثناء
(٣) غير جاشم طلبا : لا يتردّد في تلبية أمر ما .
(٤) يحول : يزول ، يتغيرّ .
(٥) بشره : فرحه وسروره .

وقوله :

وَدّعْ اخـاكَ اذا جفـاكَ فقبلهُ   ودّعـت مألـوفَ الصبّـا بسلامِ
ودَعِ العتابَ اذا استربْتَ بصاحبِ   ليسـت تنالُ مودّة بخصامِ

معنى البيت الأوّل ينظر الى قول ابن الرّومي :

سلوتُ[1] الرّضاعَ والشبـاب كليهما   فكيف ترانـي سالياً ما سواهما

والبيت الثاني منقول من قول اشجع السلمي :

اقللْ عتـابَ مَنْ استربتَ[2] بودّهِ   ما انْ تنـالَ مودةً بقتالِ

وللمخزومي في معنى بديع لطيف :

اتجـاول[3] الحـظَّ السنـي بقوّةٍ   هيهـاتِ انـت بباطـلِ مشغوف
رعـت العقـاب قويةً جيفُ الفلا   ورعى الذباب النـور وهـو ضعيف

وقال يدعو صديقاً له الى متنزّه :

غلسٌ[4] نبـاكرُ في الجـزيرةِ روضةً   عبقَـتْ باذيالِ الصبـا حوذانُها[5]
فكأنهـنّ مع الصبـاحِ مجامرُ[6]   سحـرتْ بنـدٍّ والضبـابُ دخانُها
ولنا هناك عتيقةٌ[7] قد طُلّسَتْ   بشفوفِ نسـجِ العنكبـوتِ دنانُها[8]
تعـدي يد الساقـي الشعـاعَ كأنّما   عقـدَتْ له ممـا يديرُ بنانِها[9]

---

(١) سلوت : نسيت .
(٢) استربت : شعرت بريبة وشك .
(٣) اتجاول : أطارد ، ومشغوف : عاشق .
(٤) غلس : ظلمة آخر الليل .
(٥) حوذانها : مواضع من الجزيرة .
(٦) مجامر : ما يوضع فيه الجمر مع البخور ، كناية عن بريق لونها واحمراره .
(٧) عتيقة : خمرةٌ قديمة العهد .
(٨) دنانها : أوعية الخمر ، مفردها دن .
(٩) بنانها : أصابعها ، او الرياض التي تكسوها الزهور .

مـا صفـو عيشِ المـرءِ الأَ فرصةً والغبـنُ إِنْ فاتَ الفتـى امكانها

وقال في التصوّف :

ليس التصـوّفُ ان يلاقيك الفتى وعليه من نسـجِ النحـوسِ مرقع
بطرائـقٍ سودٍ وبيضٍ لُفِّقَتْ وكأنّـه فيهـا غراب ابقعٌ[1]
ان التصـوّفَ ملبسٌ متعارفٌ يخشـى الفتـى فيه الإلَـهَ ويخشعُ

وكان يهذ شعر بلديه البحتري هذاً وكان في بصره سوء فرمدت مرّة عينه فقال له والي منبج[2] يا ابا الغوث قد اشرفت على العمى فما الذي تعمل اذا عميت قال اقرأ على قبرك ايها الأمير فاستظرف قوّة جوابه وتعجب من ظرفه ، قال ومن شعره قوله في غلام له التحي[3] :

فـي سبيل اللهِ خدٌّ كان في الملمسِ خزاً
خانـهُ الدّهرُ فأضحى يوسـعُ اللائـمَ وخزا

وقوله :

اوجـهُ المـردِ[4] وضيّةْ وثناياهـم شهيّةْ
ولهـم دلٌّ وغنجٌ وشفاعـاتٌ قويّةْ
واذا الشعـرُ بدا في صفحـةِ الخـدِّ النقيّةْ
فـرّقَ الالفَ عن الالفِ كتفـريقِ المنيّةْ[5]

---

(١) غراب أبقع : غراب أسود وأبيض .
(٢) منبج : إمارة من أعمال حلب .
(٣) التحى : نبتت له لحية .
(٤) المرد : الغلمان الذين بدا لهم شعر في لحاهم .
(٥) المنية : الموت .

وقوله :

ايهـا الظبيُ[١] الـذي اعـ ـرضَ عنـي وجفاني[٢]
وهـو من اعظـمِ همي حينَ اخلـو بالاماني
ابتـلاكَ اللهُ مني بالـذي منـكَ ابتلاني
ساعـةً حتـى ترى كيـ ـف الهـوى ثم كفاني .

١٦ ـ القَاضي ابو عَبد الله محمَّد بن عَلي

المعروف بابن حشيشة المقدسي ويقال له الهاشمي ، أنشدني أبو يعلى البصري قال أنشدني ابن حشيشة لنفسه في الغزل :

رشـأٌ[٣] غرير لا يؤلفُ بيـ ـن طـرفي والغـرارِ
لاصرحـنَّ بحبـهِ جهـ ـدي ولـو ذهـب اصطبـاري
تصـريحُ منخلـعِ العذا رِ بحـبِ فتـانِ العـذارِ

وله أيضاً :

يا مَنْ بصحَّـةِ هجرهِ[٤] وجفائِـهِ قلبـي عليلٌ[٥]
انـت الجميلُ وكلٌّ ما تأتـي به حسـنٌ جميلٌ

وانشدني ابو الحسن القزويني له :

طولُ اللّحى زينُ القضـاةِ وفخرُهم وتميز عن غانمةٍ[٦] سفهاءِ

---

(١) الظبي : الغزال .
(٢) جفاني : ابتعد عني ، وأعرض : أي صدَّ .
(٣) رشأ : ولد الغزال .
(٤) هجره . فراقه .
(٥) عليل : مريض .
(٦) غانمة : الكثير المختلط من الناس .

لـو كان في قصـرٍ بهـا فخـرٌلها لم يروِ فيهـا سنّـةَ الإعفاءِ[1]

١٧ ـ ابو سُوَيْدَ الصّوفي

دعا لرئيس فقال جعل الله ما ألبسك من ثوب الجمال وقلّدك من طوق الكمال موصولاً بالحجاب من النار .

وانشد لنفسه :

اذا رضيتُ بقوتٍ ولبس ثوبٍ مرقّعْ
ولـم يكن لي صديقٌ فراقُـهُ اتوقّعْ
وبـانَ عنـي شبابي[2] فما عسى الدّهـرُ يصنعْ

وله ايضاً ويروى لغيره :

ليس للراحـةِ قيمهْ ساعـةٌ منهـا غنيمهْ
والـذي اختـارَ عليها تعـبَ النفسِ بهيمهْ

١٨ ـ ابو القاسم الحُسَيْنُ بن عَلِي الوَزير المَغْربيّ

انشدني الشيخ ابو الحسن مسافر بن الحسن أيده الله تعالى قال انشدني ابـو الحسن محمد بن الحسين العثماني قال انشدني ابن المغربي الوزيرلنفسه في بلوغ الغاية من السلوة ، ولم اسمع في معناه ابلغ منه :

حبيبٌ ملـكتُ الصبـرَ بعـد فراقِهِ علـى اننـي علقتـهُ والفتهُ
محى حسنَ يأسي شخصهُ من تفكّري فلـو اننـي لاقيتُـهُ ما عرفتهُ

قال وأنشدني ايضاً لنفسه :

انـي ابثـك[3] من حديـ ـثي والحـديثُ له شجونْ

---

(١) الاعفاء : إطالة الشعر وتركه حتى يطول ويكثر .

(٢) بان شبابي : مضى وولّى .

(٣) أبثّك : أرسله اليك ـ أعطيك .

فارقــتَ موضــعَ مرقدي[1] ليلاً فنافرنــي السكونْ
قــلْ لي فاوّلُ ليلةٍ في القبــرِ كيف ترى أكونْ

وانشدني ابو طالب محمود بن الحسن الطبري قال انشدني ابن المغربي الوزير في ايام انتقاله الى بغداد :

عجبَــتْ هنــدٌ من تسرُّعِ شيبي قلــتُ هذا عقبــي فطــامَ السرورِ
عوّضتنــي يدُ الثلاثــين من مســـ ــكِ عذاري رشّــا من الكافور[2]
كان لي في انتظــار شيبــي حسابٌ غالطتْنــي فيه صروفُ الدّهورِ[3]

وله ايضا :

اذا ما الامورُ اضطربــنَ اعتلى سفيهُ تضــامَ[4] العلى باعتلائِهْ
كذاك اذا الماءُ حرّكتَهُ طغــا عكرٌ راســبٌ في انائِهْ

وله ايضاً :

كن حاقـداً ما دمــتَ لســتَ بقادرٍ فاذا قدرتَ فخــلّ حقــدَكَ واغفرْ
واعــذُرْ اخــاكَ اذا اســاءَ فربّما لجــت اساءتَــه اذا لم تعذرْ

وكان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً ويجاذبه طرفيهما ، فمن لطيف كلامه ما كتب الى بعض الرّؤساء : ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي باشغالك يبعث على اذكارك ، وهذه قصيرة من طويلة ، وكان يقول : لا تعتذر الى من لا يحب ان يجدلك عذرا ولا تستعن الا بمن يحب ان تظفر بحاجتك ، ومرّ بمكتب والمعلم يضرب صبياً ضرباً مبرّحاً[5] فالتفت الى من معه وقال : ان الله تعالى اعان على عُرامة الصبيان[6] برقاعة المعلمين[7] ، ومن كلامه : العمر علق نفيس لا ينفقه العاقل الا فيما هو انفس منه .

---

(١) مرقدي : موضع اقامتي ونومي .
(٢) الكافور : نبتٌ طيب زهره يستعمل في الطب .
(٣) صروف الدهور: مصائبها وأهوالها .
(٤) تضام : أذلّ وظلم ، من الضيم . وتضامّ : أي اجتمع بعضه الى بعض .
(٥) مبرحاً : مؤلماً .
(٦) عرامة الصبيان : شراستهم .
(٧) رقاعة المعلمين : حمقهم .

١٩ ـ ابو سعيد العَفيري

حدثني ابو عبد الله بن هرمزدان الفارسي رحمة الله تعالى قال حدّثني فلان يعني شيخاً من الفرس سماه لي ونسيت اسمه مع ملكة النسيان رقى ، قال كان ببيت المقدس شاعر ماهر ساحر يعرف بابي سعيد العفيري يقرع باب الالحاد(١) وله اخ يلقب رمادة من اعبد الناس وازهدهم ومن الابدال الذين يسدّ الله بهم مكان من خلا مكانه من أبدال اللّكام وكان ينتظر موت احد الاربعين الذين هم اوتاد الأرض ليقوم مقامه وينوب منابه في العبادة فبلغه عن اخيه ابي سعيد انه قال :

هـي الـدّنيا وليس لهـا تناهِ ... ونـومُ القبر ليس له انتباهُ
وليس يخـرّبُ الـدّنيا الحـكيمُ الـ ... ـقـديمُ القـادرُ الاحـدُ الإلهُ

الى شعر كثير في معناهما فما زال به حتى اسمعهما اياه وما يجري مجراهما فغضب لله سبحانه وامتعض وتنمر(٢) ولم يذق البارد حتى بات عنده ليلة وترصد نومه وغطيطه فخنقه بيده وخرج هائماً على وجهه حتى الـمّ بمتعبده .

٢٠ ـ ابو نَصْر الحمْصي

انشدني الشيخ ابو بكر لابي نصر كاتب ابن قحطان صاحب اليمن في محمد ابن حوسب ولم اسمع في معناه اظرف منه :

قيلَ لي ما افـدتَ ممَّـنْ اليه ... صرتَ تخـدو قلائصَ الآمَالِ(٣)
قلـتُ جئنـاهُ في شهـورِ شرافٍ ... وهو فيهـا بنسـكهِ(٤) ذو اشتغالِ
والفتـى لا يجـودُ الاعلـى الســ ... ـكرِ فامهلتُـه الـى شوّالِ

---

(١) الالحاد : الكفر والجحود .
(٢) تنمّر : اشتد غضبه .
(٣) قلائص الآمال : الآمال الشابة والاولى .
(٤) بنسكه : بزهده وتعبده .

وله فيه ايضاً :

قـد لعمـري عرفـتُ ذنبـي اليه　　اذْ جفانـي من غيرِ جرمٍ لديهِ[1]
ذاكَ أنّـي ناديتُـه يا كريماً　　اخـذ الجـودُ نسخـةً من يديهِ
فجفانـي ولـم الـمْـهُ لأنّي　　في الـذي قلتُـه كذبـتُ عليهِ

وسرقت له دريهمات فقيل لا تهتمّ فانها في ميزانك فقال من الميزان سرقت ، ومدح العزيز فقال : وجهه صباح البشرى ومفتاح النعمي وطليعة الخير وعنوان الرّحمة وعذر الزمان المذنب ، وذمّ رجلاً فقال له : لحية التيس ونكهة الليث وصوت العير[2] وخلق البغل ولؤم الذئب وبخل الكلب وقبح القرد وحرص الخنزير وزهو الغراب ونتن الظربان[3] ، ووصف فرساً فقال : كانه اذا علا دعاء واذا هبط قضاء ، ومن كلامه : ليس بيسير تقويم الكسير[4] .

٢١ ـ ابو الضّياء الحمْصيّ

حدّثني ابو عبد الله الحامدي قال انشدني ابو محمد الخازن قال : من الفوائد التي سرقتها من سفينة الصاحب التي كان لا يمكن منها احداً قول ابي الضياء في بعض الرؤساء :

ومـا خلقـتَ كفـاك الا لاربع　　ومـا في عبـادِ اللهِ مثلك ثاني
لتجـريدِ هنـديّ واسـداءِ نائلٍ[5]　　وتقبيلِ افـواهِ وأخـذِ عنانِ

قال وكتب على ظهر دفتر له يشتمل على فوائده :

---

(١) الجرم : الذنب والخطأ .
(٢) العير : الابل .
(٣) الظربان : حيوان أصغر من الهر نتن الرائحة .
(٤) الكسير : الطائر الكسير الجناح .
(٥) اسداء نائل : تقديم العطاء .

هــذا كتــابُ فوائــد مجموعةٍ جُمعَــتْ بكدّ جوارحِ الأبدان
وبدائِم الادلاجِ[1] في ظلم الدجى[2] والسيرِ بين منــاكب البلدانِ

وله ويروى لغيره :

قد يبعدُ الشيء عن شيء يشابهه ان السمــاءَ نظيرُ المــاءِ في اللّونِ

وانشدني له بعض الغرباء ثم وجدته للرّضي الموسوي من قصيدة :

وإنْ لم تكن عندي كسمعي وناظري فلا نظـرَتْ عينــي ولا سمعَــتْ اذني
وانك احلى في جفونـي من الكرى[3] واعـذبُ طعمــاً في فؤادي من الأمنِ

قيل ودخل الى صديق له في مجلس انسه وهو يشرب النبيذ صرفاً بغير مزاج ويسقي ندماءه كذلك المغني يغني ويقول :

يديروننــي عن سالــمٍ واديرهم وجلدةُ (ما) بين العينِ والأنفِ سالمُ

فقال ابو الضياء لو اسقط المطرب الما من الشعر وجعله في قدحي صلـح الشعر والنبيذ معاً .

٢٢ ـ ابو مَنْصور الصُّوري أَخُو أَبي عُمَارَة

الذي ذكرتُ له في كتاب اليتيمة ابلغ ما قيل في وصف الثقيل[4] ، حدثّني ابو طالب محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالبغداذي وهو من واسط قال كان هذا الصوري في عنفوان امره معلماً مرجوا يتكلم من جنس صناعته كما كتب الى صديق له في الشوق كهيعص[5] اني اليك جدّ صاد والصافات ان شوقي اليك

(١) الادلاج : السير في الليل .
(٢) الدّجى : الظلمة .
(٣) الكرى : النعاس .
(٤) التيمية ج ١ ص ٢٢٠ .
(٥) كهيعص : من مطالع السور القرآنية راجع سورة مريم .

فوق الصفات والحواميم[1] اني من الحنين في عذاب اليم ، ثم ارتفع عن التعليم الى التأديب والشعر فكان يقول مثل قوله :

نشـرَتْ لآلـي دمعَهـا وجـداً[2] على ديبـاجِ خدٍّ[3] في الدياجـي[4] اشرقا
ما هذه العبـراتُ يابنةَ فارسٍ لسنـا باوّلِ عاشـقين تفرّقا

وقوله من قصيدة لم يعلق بحفظي الا البيت الأوّل منها :

تأخَّـرَ بردُ المـاءِ عن كبـد حرّى وهـذا لهيبُ النـار في مقلـة عبرى

قال وانشدني لنفسه :

مَـنْ كفَّ عنـك شرَّه فافعـلْ به ما سرَّه

٢٣ ـ محمّد بن أيْمن الرُّهَاويّ

كان يعارض ابا العتاهية ويجري في طريقه ويقول مثل قوله :

قنعـتُ بالقـوتِ من زماني فصنـتُ نفسـي[5] عن الهوانِ[6]
مَـنْ كنـتُ عن مالِـهِ غنياً رأيتـهُ كالّـذي يراني

ومثل قوله واراني سمعته لغيره :

إنَّـا ننـافسُ في دنيا مفارقةٍ ونحـن قد نكتفـي منهـا بأدناها
حذّرْتُكَ الكبرَ لا يعلقـكَ ميسمُه[7] فانـه ملبسٌ نازعتَـهُ اللاّها

---

(١) الحواميم : الحومة : المرّة من حام ، ومن القتال أشدّ موضعٍ فيه، والحوم الخمر المعتقة .
(٢) وجداً : حبّاً وشوقاً .
(٣) ديباج خدّ : حسن بشرته ، والديباج أصلا من الحرير .
(٤) الدياجي : الظلمات .
(٥) صنت نفسي : حفظتها مما يعيبها .
(٦) الهوان : الذلّ .
(٧) ميسمه : الحسن والجمال والحب

وقوله :

إن المــكارمَ كلُّهــا لو حصلَتْ رجعَــت جملتهــا الــى شيئين ِ
تعــظيمُ امــرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ والسعيُ في اصـلاح ذات البين ِ[1]

٢٤ - ابْنُ وكيع التنْيسيّ

انشدني الشيخ ابو الحسن مسافر بن الحسن ايده الله تعالى قال انشدني ابو الحسن محمد بن الحسين العثماني قال إنشدنا القاضي ابن البساط البغدادي لابن وكيع التنيسي وهو احسن ما قيل في مدح السفر :

تغرّبْ على اسم اللّهِ والتمسِ الغنا[2] وسافرْ ففي الاسفارِ خمسٌ فوائدِ
تفــرُّجُ نفسٍ والتمــاسُ معيشةٍ وعلــمٌ وآدابٌ ورفعــةُ ماجدِ[3]
فــانْ قيلَ في الاسفــارِ ذلٌّ وغربةٌ وتشــتيتُ شمــلٍ وارتـكابُ شدائدِ
فللموتِ خيرٌ للفتى من مقامهِ بدارِ هوانٍ بين ضدٍّ وحاسدِ

وانشدني الشيخ ابو بكر ايده الله قال انشدني ابو يعلى سعيد بن احمد الشروطي بالرملة لابن وكيع :

يحسنُ النحــوُ في الخطابــةِ والشعــ ــرِ وفــي لفــظِ سورةٍ وكتابِ
فــاذا ما تجــاوزَ النحــوُ هذي فهــو شيىءٌ من المسامــعِ نابِ[4]

وله ايضاً :

إنْ شئــتَ ان تصبــحَ بين الورى[5] ما بين شتّــامٍ ومغتابِ

---

(١) ذات البين : النسب والقرابة .
(٢) ألتمس الغنا : أطلبه .
(٣) رفعة ماجد : اقامة عزيز منعّم .
(٤) نابٍ : أمرٌ سيّء غير مألوف .
(٥) الورى : البشر .

فــكن عبوســاً حين تلقاهم   وخاطــبِ النــاسَ باعرابِ

٢٥ ـ ابو جَعْفَر الجَعْفَريّ الْعَطّار الحرّاني

وصف غلاماً وشبهه بما هو من جنس صناعته فقال : صدغه مسك وخطه عنبر وثغره كافور وعرفه عود ، ومن شعره قوله :

انــا ممَّــنْ اذا النوائــب[١] نابَتْ   شاورتنــي الرِّجــالُ في النائباتِ
واذا ما نظــرْتُ في امــرِ نفسي   خاننــي الــرأيُ واستكنْــتُ قناتي

وهكذا كان ابراهيم بن المهدي وذكر العلّة في ذلك فقال : لأني ادبر امر نفسي بالهوى وامرغيري بالرأي وشتان ما بينهما ، وجمعه وقوماً من المتكلمين مجلس انس فأخذوا في الجـدل فقـال : مجلس النبيذ للجـذل[٢] لا للجدل ، وجـرى ذكر مسيلمة الكذّاب فقال : لا نبي صادق ولا متنبىء حاذق[٣] ، ووصف انساناً طروباً فقال : اطرب من زنجيّ عاشق سكران على عود بنان وناي زنام[٤] وطبل سلمـان ، ودعـا لصديق له فقال : صان الله كرمك عن لؤم الزمان وادام اتعاب الفلك لراحتك .

٢٦ ـ ابو العبّاس احمد بن جَعْفَر البَديعيّ

ذكره لي الشيخ ابو بكر وسمى بلدته مع اسمه فلم يعلق بحفظي وقال انه الآن حي يرزق وانشدني من شعره قوله من قصيدة :

بــدرت[٥] زلــةُ الحــكيمِ وقبلي   زلَّ داودُ سيدُ الزهّادِ

(١) النوائب : المصائب .
(٢) للجذل : للهو والفرح .
(٣) حاذق : ماهر .
(٤) زنام : داهية .
(٥) بدرت : أسرعت .

ثــم نادى الامــانَ يا ربِّ قد تبـ ـتُ فهـبْ لي خطيئتــي واعتمادي
واللّيالــي كمــا علمــت حبالى كلّ يومٍ تجين[1] بالاولادِ

وقوله :

الصــقَ صدري بصــدرهِ فشكى قلبــي الــى قلبِــهِ الــذي يجدُ
فاعجــب لقلــبٍ شكى هواه الى قلــبٍ سواه ومــا درى الجسدُ

وقوله :

ارق الليـل مونسي فدع النــومَ واجلسِ
مــا ترى الجــوَّ بالصفا ونسيمَ الصبــاء كسي
ونجومــاً تخالُها بندقــاً طاحَ[2] عن قسي
فاغتنــمْ رقّــةَ الهوا ءِ وطيبَ التنفّسِ
وأجِــبْ داعــي الصبو حِ بكاسٍ وغلّسِ
واشربــن واطربــنّ ما استـ ـطعَــت فيه وعرّسِ
مَــنْ يضِــعْ ساعــةً تسرّ من العمــر يبخسِ[3] .

وقوله ايضاً :

يا مَنْ تباشــرتِ الــدّنيا بطلعتهِ تباشُرَ الارضِ ذاتِ المحلِ[4] بالمطرِ
إنّــي غدوتُ بآمالــي علــى ثقةٍ اذا لقيتــكَ أنّــي اسعــدُ البشرِ

وقوله في ذم خدمة السلطان ويروى لغيره :

ومَــنْ خدمَ السلطــاَن اكرَمَ نفسَهُ ولكنــه عمــا قليلٍ اهانَهَا

---

(١) تجين : من الجنين الذي لم يولد بعد .
(٢) طاح : تاه في الأرض انطلق .
(٣) يبخس : ينتقص حقه ، لم يعطه كاملا .
(٤) المحل : انقطاع المطر ويبس الأرض .

ومَــنْ عبــدَ النيرانَ لم ينتفــعْ بها ولــم يلــقَ الاحرَّهــا ودخانَها

٢٧ ـ محمَّد بن حَمَّاد الكاتب

كتب الى صديق له : يا اخي العطلة سكون والموت سكون والحياة حركة والعمل حركة فان استطعت ان تخرج من سكون الموت الى حركة الحياة فافعل :
وكتب في ذمّ رئيس : هو والله عيث في دينه(١) ، قذر في دنياه ، رث في مروته ، سمج في هيئته(٢) ، منقطع الى نفسه ، راض عن عقله ، بخيل بما وسع الله عليه من رزقه ، كتوم لما اتاه الله من فضله ، لجوج لا ينصف الا صاغراً(٣) ، ولا يعذل الا راغماً(٤) ، ولا يرفع نفسه عن منزلة إلا ذل بعد تعززه فيها ، ومن ملح شعره قوله في نديم كان يخطىء القينة(٥) في غنائها ويأخذها بالنحو والاعراب فينغص بذلك على أهل المجلس :

يا قاطــعَ الصــوتِ على قومٍ كرامٍ نجبِ(٦)
يأخــذه اللحــنُ علــى الـ ـقينــةِ عنــد الطربِ
تــريدُ ان تفهمَها حدَّ كلامِ العربِ
احلفُ بالله وما انزلــه في الكتبِ
لَلْكلــبُ خيرٌ ادباً من بعضِ اهــل الأدبِ

ومما ينسب اليه ويروى لغيره قوله :

يا حبــذا ليلــةٌ نعمــتُ بها اشــرب فضــلَ الحبيبِ في القدحِ

---

(١) عيثٌ في دينه : مفسد فيه .
(٢) سمجٌ في هيئته : قبيح في مظهره وشكله .
(٣) صاغراً : راضياً بالذلّ والاهانة،ولجوج : أي ملحاح .
(٤) يعذل راغماً : يعفو إلا مذللاً .
(٥) القينة : المغنّية .
(٦) نجب : سادة .

سألتــه قبلــةً فجــاد[1] بها ... فلــم اصــدّقْ بهــا من الفرحِ

وقوله :

عجبــتُ لقَلبــك كيف انقلبْ ... ومــن فرط حبِّـك انّــى ذهب
فأعجــب من ذا وذا انني ... اراك بعين الرِّضــا في الغضب

٢٨ ـ ابو سُهيل الحرّاني

كان ينادم قردةً له فقيل له في ذلك فقال :

ملــت الــى قردةٍ انادمها ... فانــكرت ذاك زمــرة الحسدَهْ
فقلــت يا بُلْــه لا عقــولَ لكم ... من عدم النّــاس عاشــر القِردَهْ

وقوله :

الف الحــوادث مهجتــي فالفتها ... بعــد التنافــرِ والــكريمُ الوفُ
ليس البـلاء[2] علـيّ صنفـاً واحداً ... لكن علــيّ اليوم منــه صنوفُ

٢٩ ـ ابو علي الحُسَيْنُ بْن بشْر الرَّمْليّ

حدّثني القزويني وغيره قالا كان الحسين في حياة ابيه بشر يهوى فتى من اهل الرّملة في نهاية الملاحة والصباحة لا يرى الدنيا به وابوه يعذله[3] وينهاه عن الاشتغال بامثاله فبينا هو ذات يوم قاعد مع ابيه على باب داره اذ اجتاز به الفتى المَوموق[4] وكانه ينظر بمقلة يوسف ولم يكن بشر رآه فأخذته عيناه فقال للحسين يا بنيّ ان كان

---

(١) جاد : تكرّم وأعطى .
(٢) البلاء : المصيبة .
(٣) يعذله : يلومه .
(٤) الموموق : المحبوب والمعشوق .

لا بدّ من الحبّ فهلا احببت مثل هذا فاطرق الحسين ولبس قناع الخجل ثمّ قال في حكاية الحال :

ابصـرَهُ عاذلـي[1] عليه ولـم يكن قبلَهـا رآهُ
فقـال لي لو هويتَ هذا ما لامـك النـاسُ في هواهُ
فظـلٌ من حيث ليس يدري يأمـرُ بالحـبّ مَنْ نهاهُ

ثم رأيت هذه الابيات في ديوان ابي الفرج بن هندو ولست ادري ايهما المنتحل ولنا من الحديث طيبه وانشدت للحسين بن بشر في عزيز مصر :

يا واهـبَ الـدُّنيا ويا غافراً ذنـوبَ اهـلِ الارضِ لو اجرموا
قـد نال احسانـك باديهمُ وحضرهـم والتـرك والدّيلمُ[2]
وهـا انـا قد صرتُ فرداً فلا تحنـو علـى ضعفـي ولا ترحمُ

٣٠ ـ ابو ذُفَافَة المصْريّ

هو القائل لبعض الرّؤساء :

وما السَّحابُ اذا ما انجاب[3] عن بلدٍ ولـم يلـمٌ به يومـاً بمذمومِ
إنْ جدْتَ فالجودُ[4] شيءٌ قد عرفتَ به وإنْ تحافيتَ[5] لم تنسبْ الـى اللّومِ

وله ايضاً :

ازورك ايهـا الشيخُ المعلى للا طمـعٍ ولـكنْ للمحبَّهْ
اليك عُلاك قادتنـي والا فطيري ليس تلقـط كلٌ حبَّهْ

---

(١) عاذلي : لائمي .
(٢) الديلم : جماعة من العجم كانوا في الأصل صنفاً من الأكراد .
(٣) انجاب : انكشف .
(٤) الجود : السخاء .
(٥) تحافيت : إن لم تكرم : أي بخلت .

وله ايضاً :

يقــول النــاسُ قد شبتَ ولا واللهِ ما شبتُ
ولا اتــركُ تقبيلَ خدودِ المــردِ[1] ما عشتُ

٣١ ـ جَعْفَر بن هَاني الأَنْدُلُسيّ

هو القائل في رجل يلقب الطمشيش :

اما ترى لحيةَ الطمشيش حين بدت حمــراءَ قانية دلَّــتْ علــى حمقِهْ
كانمــا سرق الملعــونُ جيرتَهُ ديكاً فعلّقــه الشرطــيّ في عنقِهْ

ومما ينسب اليه في الحكم قوله ويروى لغيره :

اذا افنيتَ بعضَ اليومِ فاحزَنْ فقــد افنيتَ من محيَاك بعضا
ومــا من ساعــةٍ الا وتنعى اليك نصيبَ عمرٍ قد تقضّى

٣٢ ـ أبو محمَّد عَبْد المُحْسن بن محمَّد بن طالب الصُّوريّ

انتخبت من ديوان شعره الذي أعارنيه الشيخ أبو بكر قوله من قصيدة :

يا حارانّ الــركب قد حاروا فاذهــبْ تجسَّس لمَــنِ النارُ
تخبـو وتبـدو ان خبَــتْ وقفوا وإنْ اضــاءتْ لهــم ساروا ،

كأنه اقتبسه من قول الله عز وجل : كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ومنها :

مــا نظــرةٌ إلاّ لهــا سكرةٌ كأنمــا طرفُــك خُمارُ[2]

ومنها في وصف الرّياح :

---

(١) المرد : الملساء الناعمة .
(٢) خمار : ما يخالط الانسان من السكر بسبب الخمرة .

مـا شاجـروا إلا أظلّتهم من قضـبِ المرّانِ[1] أشجارُ

ومنها:

واظهـروا نوراً لهـا ازرقاً له من الأنفسِ أثمارُ
عجبْتُ كيف استعبدتـكَ العلى والنـاسُ من ذلكَ أحرارُ
فكيف ساجلْتَ الغمـامَ[2] الذي ليســت له في الصيفِ أمطارُ

وقوله في أبي الجيش حامد بن ملهم وقد ركب معه في بحيرة الطبريه:

وقالوا التقى الوردان وردٌ من الندى ووردٌ من الماء القراح[3] الذي تجري
فقلت لهم وفوا أبا الجيش حقَّهُ ولا تظلمـوهُ ما البحيرةُ كالبحرِ

وقوله فيه من أخرى وقد خلع عليه:

ما زال ينحلني أبـو الجيش النَّدى كيمـا يجـدّدَ كلَّ يومٍ جودا
حتى غدوتُ أنـا المسمَّى حامداً وغـدا يسمـى حامـدٌ محمودا

وقوله من أخرى:

ومتى ذممـتُ الدّهـرَ[4] بعـد لقائِه وعطائـهِ فعلـيَّ حدُّ المفتري

ومنها:

مـن معشـر يتخيرون كلامَهم حتـى كأنهـم تجـارُ الجوهرِ
وكأنمـا أقلامهُـم من حذقِها[5] بالقتـلِ فضـلاتُ القنـا[6] المتكسّرِ

وقوله من أخرى:

يا ثالـثَ القمـرين النيرين أرى أمـام حالـي سواداً ما له هادِ

---

(١) شاجروا: من الشجار أي النزاع والمرّان: شجر تتخذ منه الرماح.
(٢) الغمام: السحاب.
(٣) الماء القراح: العذب الخالص.
(٤) ذممت الدهر: هجوته ـ لعنته.
(٥) حذقها: مهارتها.
(٦) القنا: الرماح.

أنـت الأمير بأرضـي والزمــانُ بها ... عاد وقد جئت استعدي على العادي

ومن أخرى في منير الدولة ابن حمدان:

كنـتَ من قبــل أن تلقّبــت كالبد ... رِ واعلــى ذكراً وقــدراً ونورا

ثــم اشكلتمــا علــيّ بأن صر ... تَ تسمَّــى كمــا يسمــى منيرا

ومن أخرى فيه:

الحالُ مظلمةٌ وليس ينيرُها ... إلا منيــرُ الدّولــةِ الغرّاءِ[1]

والناسُ كالمتعجبيــن لهائمٍ ... ظمآنَ وهـو علــى شفيـر الماءِ

وقوله في ترك الغيرة:

تعلّقته سكـرانَ من خمرة الصبًا ... به غفلــةٌ عن لوعتي ولهيبتي

وشاركني في حبّهِ كلٌّ ماجدٍ ... يشاركني في مهجتي بنصيبِ

فلا تلــزموني غيــرةً ما عرفتُها ... فإنَّ حبيبي مَنْ أُحبُّ حبيبي

٣٣ ـ أبو الحَسَن عَليّ بن محمَّد التّهامي

يقول من قصيدة:

يخبرنا عن جودِهِ بشرُ وجههِ ... وقبل طلوع الشمسِ تأتي بشائرُهْ

ويصدق فيـه المدحُ حتى كأنما ... يسبحُ من صدقِ المَقالةِ شاعِرُهْ

ومنها:

يكاد لإدمان القراع[2] حسامهُ[3] ... يسابقُه نحو الطلــى[4] ويبادرُهْ

ومن أخرى:

جرَتْ عبراتُهــنَّ[5] علــى عبيرٍ ... كما انشقَّ الحَباب[6]ُعلى المدامِ[7]

---

(١) الدولة الغراء: الدولة العظيمة والمجيدة.

(٢) القراع: الحرب ومنازلة الأبطال.

(٣) حسامه: سيفه.

(٤) الطلى: جمع اطلاء ولد الظبي

(٥) عبراتهن: دموعهن.

(٦) الحباب: الفقاقيع التي تظهر على وجه الكأس من الخمر

(٧) المدام: الخمر.

بَرودٌ ريقُهــنَّ وكيف يحمي ... ومجراهُ علــى بردٍ تؤامِ
سقامُ جفونِهِــنَّ شفاءُ قلبي ... وهل يُجنى الشفاءُ من السقامِ[1]

ومنها :

فتىً جبلَــتْ يداه علــى العطايا ... كما جُبلَ اللّسانُ علــى الكلامِ
فيسراه لنيــلٍ أو عنانٍ ... ويمناهُ لرمحٍ او حسامِ
لقد احيـي المكـارمَ بعـد موتٍ ... وشادَ بناءهــا بعــد انهدامِ
سواءٌ عنده قولُ المنادى ... هلـمَّ الـى الطعان[2] أو الطعامِ

ومن أخرى :

هل الوَجْدُ إلا أن تلـوحَ خيامُها ... فيقضى باهــداء السلام ذمامُها
وقفتُ بها ابكـي وترزمُ[3] اينقى ... وتصهلُ افراسي وتدعـو حمامَها

ومنها :

ولو بكتِ الوَرْقُ[4] الحمائمُ شجوَها ... بعينـي محــا اطواقَهُــنَّ انسجامُها

ومنها :

ولــم انسهــا يوم التقى درُّ دمعِها ... ودرُّ الثنايــا فذُّهــا وتوامُها[5]
إذا كان حظي حيــث حطَّتْ خيامُها ... فسيَّــانَ عندي نأيُهــا[6] ومقامُها
وهــل نافعــي ان تجمعَ الــدّارُ بيننا ... بكـلِّ مكـانٍ وهــي صعــبٌ مُرامُها[7]

---

(١) السقام : المرض .
(٢) الطعان : المبارزة ـ القتال .
(٣) ترزم : تثبت في الأرض ، وأينقي جمع ناقة .
(٤) الورق : الحمائم ، وشجوها : حزنها .
(٥) توامها : المولود مع غيره في بطنٍ واحد .
(٦) نأيها : بعدها .
(٧) مرامها : اي الوصول اليها ـ بلوغها .

ومنها :

كـأني في البيـداءِ[1] بيــتُ قصيدةٍ تناشدُهُ غيطانُهــا[2] واكامُها[3]
إلــى ان لثمنا[4] كفَّ حسانَ إنّها امانٌ من الفقرِ المضر التثامُها

ومنها :

همُ الأسدُ إلا أنّهــا تبذلُ القرى[5] لطارِقهــا والأسدُ يحمي طعامها
همُ يمزجون الــدرَّ للــطِّفل بالعلى فينشوا عليهــا لحمهــا وعظامها
وإنْ فطموا أطفَالهــم بعــد برهةٍ فعــن درِّهــا لا عن علاهــا فطامُها
جلادٌ علــى حرّ الجلادِ إذا التقت كلامَ الأعــادي بالــدّما وكلامها
غلائلُهــا[6] أدراعُهــا وسماعُها صليــلُ[7] المرامي والــدّماء مدامُها

ومنها :

ألاَ انّ طيّــاً للمكــارم كعبةٌ وحسان منهــا ركنُهــا ومقامُها

ومنها :

وليس بمشغــولِ اليديــن عن النَّدى إذا شغــل الــكفَّ اليميــنَ حسامُها
لقد أمسكَــتْ قحطانُ منك أبا الندى بعــروة مجدٍ لا يخافُ انفصامُها[8]
فإنْ كابدت جدباً فأنت ربيعُها وإنْ باشرت حرباً فأنت حسامُها

---

(١) البيداء : الصحراء .
(٢) غيطانها : سهولها .
(٣) أكامها : تلالها وهضباتها .
(٤) لثمنا : قبّلنا .
(٥) القرى : الضيافة .
(٦) غلائلها : مسامير الدروع ، أو ما يلبس تحتها .
(٧) صليل : أصوات السيوف .
(٨) انفصامها : انفصالها .

قليــلٌ لك الأرضون ملكــاً وأهلها عبيــداً فهــل مستكثرٌ لك شامُها
ألا انّ أوصافَ الأميـرِ جواهرٌ وإنّ مديحي سلكُهــا ونظامُها

ومن اخرى في نهاية الحسن :

تهيــمُ ببدرٍ والتّنقُّلُ والنّوى[1] علــى البدر محتومٌ فهــل أنت صابرٌ
له من سنا البدرِ المورّدِ غرّةٌ ومن حُلَلِ اللّيــلِ البهيــمِ غدائرُ[2]

ومنها :

ينال من الأعــداء خوفُ أبي الندى وهيبتُه ما لا تنال العساكرُ
وما مات طاءيٌّ وحسان خالدٌ ولا غاب منهــم غائبٌ وهــو حاضرُ
احاط بك التوفيــقُ من كل وجهةٍ وجاءتك من كل البلاد البشائرُ[3]
فإنك مغناطيسُ كلِّ فضيلةٍ فلا فضلَ إلا وهــو نحوك صائرُ

ومن أخرى :

حبيــبٌ جلا من ثغــره[4] يوم ودّعا عقوداً وألفاظاً وثغــراً وأدمُعَا
وأبدى لنا من دلّــهِ وحديثِه ومنطقه ملقى ومرأىً ومسمَعَا

ومنها :

لقد خلقَتْ عيناك للسّحر معدناً كما خلق الطيمومُ[5] للجود منبعا
إذا ما مدَحْناه ببعضِ صِفاتِه وأفعالِــهِ لم تبق للمدح موضعا
ولــو أنّ انساناً بعــظم محلّهِ ترفَّعَ عن قدر الثّناءِ[6] ترفعا

---

(١) النوى : البعد .
(٢) غدائر : ضفائر الشعر .
(٣) البشائر : الأنباء السارة .
(٤) ثغره : فمه .
(٥) الطيموم : اسم علم .
(٦) الثناء : المديح .

ومنها :

ويــطربُ للعافيــن[1] حتى كأنّما بروْيتِهــم يسقى الرحيــقَ المشعشعا
ولــم أرَ كالــطّيمومِ إلا أبا الندى كريميــن من أصلٍ كريــمٍ تفرَّعا
إذا انبريا ابصرْتَ شمسيْن في الوغى[2] فإنْ شهَــرا سيفيْهما صرْنَ أربعا
لكــلٍّ بهــاءٌ منكما غيــرَ أنَّني رأيتكما أبهــى إذا كنتما معا
لو انكما بعــد التوازرِ[3] رمتما تضعضعَ رضوي أو شروري تضعضعا[4]
فلا زلتما كالنّيريــن محلةً ونوراً ومثلَ الفرقديــن[5] تجمّعا

ومن أخرى :

بكيــت فحنت ناقتي فأجابها صهيــلُ جوادي حيــن لاحتْ ديارها
خططنا بأطرافِ المخاصرِ أرضَها فاهــدت الينا مسكَ داريــن دارها
ولاحت ثنايــا الاقحوانِ ولــو رأتْ عوارضَ مَنْ أهــوَى لطال استتارها
أرى الحبَّ ناراً في القلــوب وإنّما تصعــدُ انفاس المحبِّ شرارها
توقَّ عيــونَ الغانيــاتِ[6] فإنّها شفارٌ[7] واشفارُ الجفونِ شفارها

ومن أخرى :

غدوا بهــلالٍ من هلال بنِ عامرٍ مرام هلالَ الأفقِ دون مرامِهْ
تردَّدَ فيــهِ الحسنُ من عن يمينِهِ ويسرتِهِ وخلفِهِ وأمامِهْ

---

(١) العافين : الضيوف .
(٢) الوغى : الحرب .
(٣) التوازر : التفرّق .
(٤) تضعضعا : اهتزا وشعرا بالاضطراب .
(٥) الفرقدين : النجمين .
(٦) الغانيات : الحسناوات .
(٧) الشفّار : حدّ السيف .

ومنها :

وموتُ الفتى في العــزِّ مثلُ حيوتِهِ[1] وعيشتهُ في الــذلِّ مثلُ حِمامِهْ[2]
ومَنْ فاته نيــلُ العلــى بعلومِهِ وأقلامِهِ فليبغِهــا بحسامِهِ[3]

ومن أخرى :

يقضي بحكــم الجورِ في أموالِهِ وقضى بحكــم اللهِ في الأيتامِ
تتيقّنُ الأموالُ حيــن تحلُّ في كفّيــهِ انْ ليست بدار مقامِ

٣٤ ـ أبو شُرَحْبِيل الكنْدي

قد أكثر الشعراء في الحث على اضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر[4] من السفر ومن أشف ما قالوا فيه واشفاه قول هذا الاعرابيّ ـ الشامي :

سرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغنا ودعِ الجلــوسَ مع العيــالِ مخيما
لا خيــرَ في حرٍّ يجالسُ حرّةً ويبيــعُ قرطَيْهــا إذا ما أعدما

٣٥ ـ الحسنُ الدَّقّاقُ من أهل دمشق

يقول في صديق له أجحف في مسئلته وهو ضيفه :

ودعــوتَني وأكلــتُ عندك لقمةً وشربْتُ شربَ مَن استتمَّ خروفا[5]
وسألتَني في أثر ذلك حاجةً ذهبت بمالــي تالــداً[6] وطريفا[7]
فجعلــتُ أفكــر فيــك باقي ليلتي ما كنتُ تفعــل لو أكلــتَ رغيفا

---

(١) حيوته : أي حياته .
(٢) الحمام : الموت .
(٣) فليبغهابحسامه : أي فليطلبها بسيفه .
(٤) قضاء الوطر : قضاء الحاجة .
(٥) استتم : استكمل .
(٦) التالد : القديم من المال والمواشي ونحوه .
(٧) الطريف : المكتسب المستحدث من المال وغيره .

ويقول في تغير صديق له اكل الحسن عنده طباهجةً :

ما جئتُ ذنباً إليــه أعلمهُ ولا تطرَّفتُ للفتى نسباً[1]
بلــى أكلنا له طباهجةً[2] كانت الــى قطْعِ وِدِّنا سببا

وكان هذا الحسن أحد ظرفاء الأدباء انشدني له المصيصي في استهداء الشراب :

عندي أناسٌ ظرافٌ بهــم تجلّــى الدّهــورُ
واليــوم يومٌ مطيرٌ تلــذُّ فيــه الخمورُ
فرمهُ بيسيرٍ حتى يتمّ السرورُ
ولا تشبه بماءٍ فالماءُ عندي كثيرُ

سرقه من قول البحتري :

فأنفذْ ما استطعــتَ بغيــرِ مزجٍ فإن الماءَ ليس يضيــقُ عندي

وأنا استظرفَ قول غيره فيمن اهدى اليه شراباً ممزوجاً :

ليس هذا من عادة الأحرارِ بيــعَ ماءِ الأنهــار بالأشعارِ
إنّما قلــت سقْني ماء كرم لم أقلْ سقني من الأنهارِ
قد ردَدْناه فاسقه مَنْ يريـ ـد الماءَ لا مَنْ يريــدُ صرفَ العقارِ
ولئنْ كنتُ قانعــاً منك بالما ءِ فعندي في الــدّار نهــرٌ جارِ

٣٦ ـ أبو محمَّد البوصر آبادي

وجدت ذكره في رسائل أبي إسحق الصابي وعرفت في لحن كلامه أنه شاعرٌ فاضلٌ ظريف الجملة والتفصيل ثم قرأت شعره في سفينةٍ لأبي عبد الله الحامدي ذكر فيها أنه استملاه من أبي محمد الخازن وانه سرق من سفينة الصاحب بخطه فمن ذلك قوله وهو وأخواته في نهاية الظرف والملاحة :

---

(١) نسباً : قرابة .

(٢) طباهجة : نوع من الطعام .

أيـا دهـرُ ويحكَ ماذا جميلُ فؤادي عليـلٌ[1] وإلفي[2] بخيلُ
كـأنّي أرى وجهَـهُ في المرآةِ يلـوحُ ومالـي إليـه سبيلُ

وقوله في معتمٍ بعمامةٍ سوداء :

وكـاتبٍ من قومِنا شاعرٌ ليس بذاك الكـاتِبِ الماهرِ
عمامةٌ سوداءُ في رأسهِ كلعنةِ اللهِ علـى الكافرِ

وقوله في الهجاء بالافة الكبرى :

قد قال لي زيـزكٌ[3] لي سيدٌ مستدخلٌ في بعضهِ بعضي
يأمرني بالنحوِ في نيكِهِ بالـرّفعِ والنصب وبالخفض

ولست أدري أبوصر آباذ من قرى الشام أم من قرى العراق وقد ادخلتها على ما خيلت إليّ في القرى الشامية وأيّاً ما كانت فقد حصلت النكتة وهذه حال خرّما باذ المنسوب العلويّ الخرّما باذي إليها وقد مرّت بي أبياتٌ له يقطر ماء الـظرف منهـا كقوله :

أشارَتْ إلـيَّ بعنابةٍ مخضبةٍ من دم الأفئدَهْ
أأنتَ علـى العهـدِ يا سيدي فقلـت إلـى الحشرِ[4] يا سيدَهْ

وقوله وما لحسنه غاية في معناه :

قالـوا هجاك محمدٌ فأجبتهم إنّ الهجاءَ من الصديـق ثناءُ[5]
ولـربّما جعـل الحبيـبُ سبَابهُ[6] سببَ اللقاءِ لكـي يتاحَ لقاءُ
ولئن هجوتُ كما هجيْـتَ فإننا رجلان في سوء الصنيـعِ سواءُ

---

(١) عليل : مريض .
(٢) إلفي : عشيري - رفيقي .
(٣) زيزك : حشرة ، وأتت هنا في سياق الهجاء .
(٤) الحشر : جمع القوم .
(٥) ثناء : مديح .
(٦) سبابه : شتمه .

لكنني أثنى عليــه جاهداً فإذا رآني صدّهُ استحياءُ[1]
لم يلقني إلا بشخصٍ ذائبٍ عرقاً ووجهٍ ليس فيــه ماءُ

٣٧ ـ أبُو الفَتح بن دُرْدَان اليَهوديّ الوَزير

أنشدني أبو الحسن البرمكي أيده الله له :

ماذا أظلّك قلْ لي لا اعــدمَ اللهُ ظلّكْ
عشْ لي وبعــدي فإنّي أرضى وإنْ لم أعشْ لَكْ
فالدّهــرُ يخلفُ مثلي وليس يخلفُ مثلَكْ

وأنشدني أبو الحسن القزويني له :

سهــرت والشوقُ يطويني وينشرني الــى غزالٍ بديــعِ الحسنِ مغنوجِ
حتى رأيــتُ نجومَ الصبحِ لائحةً كأنهــا زيبقٌ في كفٍّ مفلوجِ

وأنشدني له أيضاً :

دعــوني وقومي والسموُّ الــى العلى فإنَّ لهــم شأناً إذا ما سموا ولي
ولا تستحلُّــوا بالــوفاءِ فإنّهُ تراثٌ لنا دون الورى[2] عن سموءلي[3]

يعني ابن عادياء اليهودي الذي يضرب المثل به في الوفاء .

٣٨ ـ أبو الأَعْيُن الأنْطاكيّ

من ولد المعتصم شاعر انطاكية يقول في الغزل :

لا وحلُــو الهــوى ومنُّ التجنّي وبخطّ العــذار في ورد خدّهْ
لأذيبَنَّ وجنتيــه بلحظي مثلَ ماقد أذابَ قلبي بصدّهْ[4]

---

(١) استحياء : خجل .
(٢) الورى : الناس ، والخلق .
(٣) سموءلي : يقصد السموأل بن عاديا اليهودي
(٤) صدّه : امتناعه .

ويقول :

نفسي فداؤك أيهـا القمرُ الذي يجلـو الـدّجى بمحاسنِ الأنوارِ
لما اختطت عصيتُ فيكَ عواذلي[1] وخلعْـتُ في حبٍّ العـذار عذاري

ويقول من نتفه :

ورأيـت للحمويّ بيـ ـن يديـه ديـواناً مجلَّدْ
وسمعـت بعضَهـم يقو ل الشيـخُ أحمق قلـت اشهَدْ

٣٩ ـ ابن بَا مَنْصُور الدَّيْلَميّ

هو ديلمي الأصل[2] عراقي المنشأ شامي الوطن بارع الشعر بديعه يقول :

ناديـتُ وجنتَه وقد رُقمتْ[3] بالمسك رقمَ الثوب بالقزِّ[4]
يـا ارفعَ البزِّ اختصصت على رغـم العـذول بارفع الطرزِ

ويقول :

يا مَنْ فقدتُ سروري بعـد بُعدهِم قد صار بعدكُمُ طولُ الأسى[5] سكنَا
لو كان يعـرفُ انسانٌ بلا أجلٍ يموت من شدّة الأشواقِ متُّ أنا

ويقول :

في ابتداء الشبابِ عاجلني الشيـ ـبُ فهـذا من أوّلِ الـدّنٌ دردي[6]

---

(١) العواذل : اللائمون .
(٢) ديلمي الأصل : أي يعود أصله الى الديلم وهم صنفٌ من الاكراد .
(٣) رقمت : وشّحت ـ نضحت .
(٤) القزّ : الحرير .
(٥) الأسى : الحزن .
(٦) دردي : ما يبقى راسباً في أسفل الاناء من الكور .

ويقول :

سقاني شمولَ الـرّاحِ[1] ساقٍ كأنما سوالفُه مسروقةٌ من سلافِها[2]
بليلـة فطرٍ قام فيهـا طوايفُ فصلّـوا وقمنا جهـرةً بخلافِها
ولاح هلالُ الفطرِ نضواً[3] كأنّه مرآةٌ تجلّـى بعضُهـا عن غلافِها

ويقول :

بالهند تطبعُ أسيـافُ الحديـدِ وفي بغـدادَ تطبعُ أسيـافٌ من الحدقِ

٤٠ ـ جَريح المُقَل

قد نسيت اسمه ولم أنس شعره الذي انشدنيه أبو نصر بن المرزبان رحمه الله تعالى :

الـرّجلُ المهـذبُ ابنُ نفسهِ اغناه فضلُ نفسهِ عن قنسِهِ[4]
كـم بيـن مَنْ تكـرمه لغيرِه وبيـن مَنْ تكـرمُهُ لنفسِهِ

وقوله أيضاً :

ربّما يرجو الفتى نفعَ فتى خوفُه أولـى[5] به من أملِهْ
ربَّ مَنْ ترجو به دفعَ الأذى سوف يأتيـك الأذى من قبلِهْ

وله ويروى لغيره :

وربَّ كريـمٍ تعتريـه كزازةٌ[6] كما قد رأيـتَ الشوكَ في أكثر الثمرْ

---

(١) الراح : الخمر .
(٢) سلافها : الخمر .
(٣) نضواً : ضعيفاً ، يعني بدء ولادته .
(٤) قنسه : أصله .
(٥) اولى به : أجدر وأحق .
(٦) كزازة : شحٌ وفاقه .

وربَّ جوادٍ ممسكٍ عند جودهِ كما يمسك اللهُ السحابَ عن المطرْ

٤١ ـ أبو القاسم الْحَمويّ من حماة

وهي بلدة من العواصم يقول :

لا تقل بيت هجاء لا ولا بيت مديحْ
سبق الناس إلى كلٌ مليحٍ وقبيحْ

ويقول ويروى للخالدي الأصغر :

لما فزعت الى الخضاب[1] استهزأَتْ سعدى وقالتْ والمحبُّ لما بِهِ
ما كان ينفعُه لديّ شبابُه فعلامَ يتعب نفسَهُ بخضابِهِ

ويقول في معنى مَنْ أحب شيئاً أكثر ذكره :

يا مَنْ حديثي حيث كنـ ـتُ فكلّهُ عنه يكونُ
حتى يقالَ فكم إذاً ماذا هوى هذا جنونُ

٤٢ ـ الطَّاهر الْجَزَريّ

عالي السن ادرك سيف الدولة وفيه يقول :

وحاجة قيلَ لي نبِّهْ لها عمراً ونَمْ فقلتُ عليٌّ قد تنبَّهَ لي
حسبي عليان ان ناب الزمان وانْ جاء المعاد بما في القولِ والعملِ
فلي عليٌّ بنُ عبد اللهِ منتجعٌ ولي عليٌّ أميرُ المؤمنين علي

وله في فتى تأدّب بأدبه :

هذا عليٌّ بالمشاكلةِ التي ما بيننا لي مالكٌ مستأثرٌ[2]

---

(١) الخضاب : من خضب اي لوّن شعره وصبغه .

(٢) مستأثر : محتكر ، مختص به .

قالوا صديقَكَ قلتُ بل ولدي وقد اعداهُ طبعي فهو مثلي شاعرُ

وقوله في قوس قزح :

أَلسْتَ ترى الجوَّ مستعبراً يُضاحكه برقُه الخلَّبُ[1]
وقد لاح من قَزحٍ قوسُهُ بعيداً وتحسبُه يقربُ
كطاقي عقيقٍ وفيروزجٍ[2] وبينهما آخرٌ مذهَّبُ

٤٣ ـ أبو الغنايم بن حَمْدان الْمَوْصلي

يقول في أبي مضر ويروى لأحد الخالديّين في المهلّبي الوزير وهو غاية في وصف قصب القلم من قصيده :

له قلمٌ كقضاءِ الإِلَهِ فبالسعد طوراً وبالنحسِ ماضِ
وما فارق الأسدَ في حالتيه يبيساً وذا ورقاتٍ غَضاضٍ[3]
ففي كفِّ ليثِ العلى في النديِ[4] وفي وجه ليثِ الشَّرى[5] في الغياضِ[6]

وله في الرّبيع وهو أحسن ما قيل فيه وذكر ابو عبدالله محمد بن عليّ بن حفص العمروي النوقانيّ ان السرى الرفاء أورده في كتابه ، كتاب المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب ، لأبي القاسم الزاهي وهو ممن ذكرته في كتاب اليتيمة:

هذا الربيعُ وهذه أنوارهُ طابتْ لياليه وطاب نهارُهُ
فضيَّةٌ انهارُهُ ذهبيةٌ أزهارُهُ دريّةٌ أنوارُهُ

(١) الخلّب : الساحر .
(٢) عقيق وفيروزج : من الأحجار الكريمة .
(٣) غضاض : نضرة .
(٤) الندى : الكرم والعطاء .
(٥) ليث الشرى : أسد الغاب .
(٦) الغياض : الأشجار الكثيفة .

متبلّجٌ غدواتُهُ[1] متبرّجٌ[2] ضحواتُهُ متأرّجٌ[3] أسحارُهُ
والماءُ فضيّ القميصِ مفروزٌ ببنفسجٍ واللازورد شعارُهُ
والسرُو ممتدُّ القوامِ كأنّه قدُّ الغلامِ تشقُّهُ أنهارُهُ
وترنَّمَتْ عجمُ الطيورِ كأنّها شربُ القيانِ[4] ترنَّمَتْ أوتارُهُ
فاشربْ علـى ورد الخدود بجنبِهِ وردَ الرّبيعِ تحفُّهُ أنوارُهُ
من كفّ احور[5] كالقضيبِ منعَّمٍ قد سدّ خوط[6] قوامِهِ زنّارُهُ

٤٤ ـ أبو الحرث بن التَّمَّار الوَاسطي

ظريف بلاده يقول لسيدوك بلديه :

قد أتيناكَ مراراً ومراراً ومرارا فإذا أنتَ كمثلِ البدرِ لا يبدو نهارا

وكان متزيداً لأبيه فلما توفي وورثه ماله قال فديت من احياني موته وأراه نقله من قول علي بن الجهم :

لمَّا أتاني خبرُ الزيّاتِ وانه قد صار في الأمواتِ
ايقنت ان موتَه حياتي

ومن ملح شعرِ أبي الحرث قولِه :

يا اعـدل الناسِ الا في معاملتي وأصدقَ الناسِ الا في عداتِك لي

وقوله :

وهـل يذخرُ[7] الضرغـامُ[8] قوتاً ليومِهِ إذا ادَّخَرَ النّملُ الطعـامَ لعامِهِ

---

(١) متبلج غدواته : مشرقة نهاراته .
(٢) متبرّج : متزيّن .
(٣) متأرج : ينشر الأرج والعطر .
(٤) القيان : مفردها القينة أي المرأة التي تغني وتسقي الخمر .
(٥) احور : من كان بياض عينه شديداً . وسوادها كذلك .
(٦) خوط : الرجل الجسيم الحسن الخلق .
(٧) يذخر : يوفر ويدّخر .
(٨) الضرغام : الأسد .

وقوله :

جئتُهُ زائراً فقال لي البوّ ... ابُ صبراً فإنّه يتغدّى
قلــت سمعــاً فقد سمعــت قديماً ... خبزهُ لازمٌ ولا يتعدّى

٤٥ ـ ابن الزَمْكَدم الْمَوْصلّي

أنشدني الشيخ أبو بكر له فيمن دعاه وسقاه الحامض :

كنت في دعــوةٍ عليّ ... بهــا كان قد دعي
طال من خلٍّ خمرِها ... طولَ يومي تجرُّعي
وإذا ربُّهــا يكا ... بدُ طولَ التصنُّعِ
بيــن اضلاعِــهِ السـ ... ـهــامُ كما بيــن اضلعي
قلت لما رأيته ... كارعــاً[1] مثلَ مكرَعي
اقتلــوني ومالكاً ... واقتلــوا مالكــاً معي

وانشدني له :

يا غلامــي علــى المجاز ولــو خا ... لفَ قلبــي في ذا الدّعــاءِ لساني
عاطني[2] من يديــك ضرّة خدّيـ ... ـك وحلّ اللّجيــنَ[3] بالعقيانِ[4]
واقتصرْ في مزاجها لي على ما ... شربته من ماء تلك البنانِ[5]

٤٦ ـ أبو محمّد الحسن بن محمّد الرقّي

طرأ على خراسان وتصرّفت به أسفار وأحوال افضت الى أن تقبله الشيخ ابو

---

(١) كارعاً : شارباً .
(٢) عاطني : ناولني .
(٣) اللجين : الفضة .
(٤) العقيان : الذهب الخالص .
(٥) البنان : الأصابع .

بكر عليّ بن الحسن القهستاني ايّده الله واحسن به وافضل عليه كعادته عند امثاله وأوطنه الجوزجان فمن قوله فيه :

لو قيــل لي هل للنُّهــى[1] مالكٌ ... يعــرفُ أم هل للعلــى صاحبُ
لَقُلْــتُ والصادقُ في قولِه ... ممدَّحٌ اذ هجى الكاذبُ
عميدُهــا الشّيــخُ أبو بكرها ... علــيٌّ بن الحسنِ الكاتبُ

وله من قصيدة :

الجودُ يشهــدُ والأنامُ[2] معاً ... والعصرُ انك واحدُ العصرِ

وله في الغزل :

أتضحكُ يا فديتُكَ من كِتابي ... فتظهــرَ مثلَ ما اظهــرتُ درّاْ
وفي عيني كما في فيــكَ منه ... أرى هذا وذا نظماً ونثرا
فثغــرُكَ لو يذوبُ كان دمعاً ... ودمعــي لو يجمَّدُ كان ثغرا[3]

أوجز وأحلى منه قول أبي الفضل بن أبي جعفر الميكالي :

يا شادناً[4] جمعَ الله المنى فيه ... وانبت الــدّرَّ من عيني ومن فيهِ

وللرقيّ من قصيدة :

وكــم ليلــةٍ طال التَّعــانقُ بيننا ... كلانا به بتنا غريــمَ غرامِ
ومنطقتي كفاه واللّيــلُ ادهمي ... وقامتُه رمحي وفوه لثامي

---

(١) النهى : العقل .
(٢) الانام : الخليقة ـ الناس .
(٣) ثغرا : فما .
(٤) شادناً : غزالاً .

وله من أخرى :

لقد جلَّ خطبي[1] في التي دقَّ خصرُها ... واسهــر جفني جفنَهــا وهــو نائمُ
اذا كنَّ اصداغَ الخدودِ عقاربا ... فإنَّ ذواباتِ الــرّؤسِ الأراقمُ[2]

هذا البيت معيبٌ عندي إذ جمع فيه بين العقارب والحيات في الغزل والطبع ينفر منها ولو كان في الهجاء لكان جيداً كما قال ابن الرّومي في هجاء قينة :

فقرٌطْهــا بعقرب شهــر زورٍ ... اذا غنّتْ وطوقْهــا بأفعى

وذكر عقرب الصدغ مألوف ولا سيما اذا كانت فيه صنعة كما قال ابن المعتز :

وكــأنَّ عقربَ صدغِــه[3] احترقَتْ ... لما دَنَتْ من نار وجنتِهِ

وكما قال السري :

في خدّهِ وردٌ حما ... ه من القطافِ بعقربِ

وكما قال الصاحب :

لئنْ هو لم يكفف عقاربَ صدغِهِ ... فقولــوا له يسمحْ بتريــاقِ ريقِهِ

فإذا اقترن به ذكر الحية في بيتٍ واحدٍ لم يهش له السمع[4] ولم يقبله القلب وللرّقي من قصيدة :

كن رسولــي وبلّــغِ الأهــلَ عني ... ما علــى المرسليــنَ إلاّ البلاغُ
ما دهتْني عقاربٌ بنصيبيـ ... ـن دهتني بواسطٍ اصداغُ

---

(١) خطبي : بلائي ومصابي .
(٢) الأراقم : الأفاعي .
(٣) صدغه : الصدغ ما بين العين والأذن من جانب الوجه .
(٤) لم يهشّ له السمع : لم يأنس ولم يصغ .

وله في غلام هندي ذي ذؤابتين :

ظبيٌ تفلُّ الـظّبي اجفانه وله ... من سمرة اللّـون ما تُثنى به السُّمرُ
ذؤابتاه نجادا سيفـِ[1] ناظره ... وجفنَهُ جفنُهُ والشفّرةُ الشفّرُ[2]
ضفيـرتاه[3] علـى قلبي تظافرتا ... فمَنْ رأى شاعـراً أودى به[4] الشعر

٤٧ ـ أبو الدَّرْداءَ الْمَوْصلي

يجري في طريق السريّ ويتشبه به وهو القائل ويروي للسري :

تصرّم[5] شهـرُ الصوم شهـرُ الزلازل ... وشال به شوالُ شهـرُ الفضائلِ
ولاح هلالُ الفطر حنواً كأنه ... سنانٌ[6] لواه الطعنُ[7] في رأسِ عاملِ
ودارتْ علينا الكـأسُ بيـن أهلّةٍ ... تضيءُ واغصانٍ رطابٍ مواثلِ
فرحنا وفي أجسامنا سحرُ بابلٍ ... يدبُّ وفي ايماننا خمرُ بابلِ

وقال وقد حضر مع قوم مجلس الانس فتذاكروا في المذاهب والآراءوتناظروا في التنجيم :

دعـوا المراء[8] والجدلْ ... فهـو عثارٌ وزللْ
وصافحوا الكـاسَ على ... حسن احاديـث الغزلْ
ما النصبُ والـرفضُ وما ... يوم الهريـرِ[9] والجملْ

---

(١) النجاد : ما يحمل به السيف .
(٢) الشفّر : القطع .
(٣) ضفيرتاه : ذؤابتاه ، خصلتان من الشعر في مقدمة الرأس .
(٤) أودى به : ألحق به الهلاك .
(٥) تصرّم : تقطّع وانقضى .
(٦) سنان : رمح .
(٧) لواه الطعن : أحناه وقوّسه .
(٨) المراء : الكذاب ، والعثار : السقوط .
(٩) يوم الهرير : من أيام صفين بين الامام علي ومعاوية وكذلك الجمل أي معركة الجمل المعروفة .

لما لم يستقم له في البيت ذكر صفين جعل مكانه يوم الهرير وانما هي ليلة الهرير من ايام صفين .

وشتم قوم قسّمتْ بينهم الدّنيا دولْ
وما النجومُ لا جرى مريخُها ولا زُحَلْ
وسقطتْ جوزاؤها ووريعَ[1] بالذبح الحملْ
لا نجمُ الا ناجمُ الرّاح بدا ثم افلْ[2]
يطلعُ من كفِ خضيبِ الكفِ ثم ينتقلْ
والرفضُ ان ترفضَ ما جاء به اهل المِلَلْ
والنّصبُ ان تنصبَ للذاتِ اشراكَ الحِيَلْ
مالي وللشّربِ لهم بغير ما اهوى شغلْ
يُغمدُ ما بينهم سيفُ الجدالِ ويُسَلّ
اذا بدا يومٌ خفيفُ الروحِ ردّوه جَبَلْ

٤٨ ـ محمدّ بن عُبَيْدُ الله البَلَدِيّ

قد ذكرت أباه عبيد الله في اليتيمة وأوردت نبذاً[3] من ملح شعره وهذا ابنه اشعر منه وانشدني ابو طالب الشهرزوري قال انشدني ابن البلدي لنفسه وكان حلف ان لا يشرب حولا[4] فبرّت يمينه غرّة شوّال :

برّتْ[5] على هجر الكؤوس يميني شهرَ الصيامِ فما امتطيْنَ يميني
قمْ هاتِها حمراءَ في مبيضةٍ كالجلّنارة[6] في جني نسرينِ

(١) وريع : من الروع وهو الخوف الشديد .
(٢) الراح : الكف-وأفل غاب .
(٣) نبذاً : متفرقات ، لمحات .
(٤) حولاً : عاما .
(٥) برّت : وفت وأتمت ما أقسمت عليه .
(٦) الجلنارة: زهر الرمان .

أو ما رأيتَ هلالَ فطـرِكَ قد بدا في الأفْـقِ مثـلَ شعيرةِ السكينِ

احسن منه قول كشاجم :

كشـعيرة من فضةٍ قد ركبَـتْ في خنجرِ
قسمـاً بحبّـكِ لا مزجـت كؤوسُها الا بريقِـكَ او بمـاءِ جفوني

وله أيضاً وقد حضر مع اخوانه ببيت صديقٍ له فاشتدّ جوعهم فيه :

وبيـتٍ خلا من كلّ خيـرٍ فناؤه فضاقَ علينا وهـو رحبُ الأماكِنِ
كأنّا مع الجدرانِ في جنباتِهِ دمي في انقطاعِ الرزقِ لافي المحاسنِ

تتمة القسم الثاني

في

محاسن اشعار اهل العراق

بل احاسنها وما يتصل بها من ملح اخبارهم

٤٩ ـ الشَّريف الْمرتْضَى أبو القَاسم عَليٌّ بن الحُسَيْن الموسوي النَّقيب ايّده الله تعالى

هو اخو الرَّضي ابي الحسن الذي تضمن كتاب اليتيمة شعره وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد الى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم وله شعرٌ في نهاية الحسن فمنه ما انشدني أبو الحسن محمد بن الحسن البرمكي الفقيه ايده الله تعالى قال انشدني المرتضى لنفسه ببغداد وهو مما يغني به لرقته وحلاوته :

يا خليلىَّ من ذؤابة بكرٍ ... في التصابي[1] رياضةُ الاخلاقِ
غنياني بذكرهم تطرباني ... واسقياني دمعي بكأسٍ دهاقِ
وخذا النَّوم عن جفوني فاني ... قد خلعتُ الكرى على العشّاقِ

وله من قصيدة وهو مما يسكر بلا شراب ويطرب بلا سماع :

أحبُّ ثرى نجد ونجدٌ بعيدةٌ ... الا حبَّذا نجدٍ وإنْ لم تفد قربا
يقولون نجدٌ لست من شعب اهلها ... وقد صدقوا لكنني منهم حبا

(١) التصابي : الميل الى الفتوة والجهل .

كأنـي وقـد فارقـت نجـداً شقاوةً فتـىً ضلّ عنـه قلبه ينشد القلبا

وله من اخرى في الشيب وذمّه :

يقولـون لا تجـزعْ من الشيب ضلّة واسهمـه أياي دونهـم تصمي
وما سرّنـي حلـمٌ يفـيء على الرّدى كفانـي ما قبـل المشيب من الحلمِ
اذا كان ما يعطيني الحزم سالباً حياتي فقـلْ لي كيف ينفعني حزمي
وقـد جرَّبـت نفسـي الغـداة وقاره فما شدَّ من وهني[1] ولا سدَّ من ثلمي
وانـي مذ اضحـى عذاري قراره أعـاد بلا سقـمٍ واجفـى بلا جرمٍ

ومن اخرى في ذم الشباب :

ومعيري شيب العـذار وما درى انّ الشيات[2] مطيةٌ للفاسقِ[3]
واقـول اذ غيّرت منـه لونه هيهـات أبـدل مؤمنـاً بمنافقِ

ومن اخرى وهو مما يغني به :

الا يانسيمَ الـرّيحِ من ارض بابلٍ تحمـل الـى أهـل الخيام سلامي
وقـل لحبيبٍ فيك بعض نسيمهِ امـا آن ان تسـطيع رجـعَ كلامي
وانـي لأهوى ان أكونَ بارضكم على اننـي منهـا استفـدت سقامي

وله من قصيدة مرثية :

تجـري دمـوع عيونٍ ودّ صاحبها لو انّهـنَّ علـى خدّ المصـاب دمُ
كأننـا اليومِ من همٍ تقسمنا نهـب بايدي ولاة السـوء مقتسمُ
نثنـي الأكفُّ حياءً عن ملاطمنا وفـي الحشـا زفـراتُ الحـزن تلتطمُ

---

(١) الوهن : الضعف .
(٢) الشيات : الشباب .
(٣) الفاسق : الفاجر الماجن .

ونكتــم النــاسَ وجــداً في جوانحنا وكيف نكتــم شيأً ليس ينكتمُ

ومنها :

اين الــذين علــى خدّ الثــرى وطئوا وحكمــوا في لذيذ العيش فاحتكموا
لم تبقَ منهم على ضنّ النفوس بهم الا رســومُ قبورٍ حشوُهــا رممُ[1]
ولا يغرنّــك في الموتــى وجودُهم فانّ ذاك وجــودٌ كلّــه عدمُ
وقد مضى ما اقتضاه الرّزءُ[2] من جزعٍ فاين ما يقتضيه العلــمُ والكرمُ

وله من اخرى :

كأنــي لمــا صك سمعــي نعيهُ صككت بمسنــون الغــرارين قاضب
طواه الــرّدى طيّ الــرّداء وعطلت مغانــي الحجــى عنــه وغــرّ المناقب
ولمــا بلــوت الاصدقــاء وودّهم خلصــت اليه من خلال التجارب

ومن اخرى :

كم ذا تطيشُ سهــامُ المــوت مخطئةً عنّي وتصمــي[3] اخلائــي وأخداني[4]
ولــو فطنْــتُ وقــد أردى الزمــان أخي علمْــتُ انّ الــذّي اصمــاه أصماني
سودٌ وبيضٌ من الايام لونهما لا يســتحيل وقــد بدلْنَ الواني
هيهــاتِ حكَّم فينــا أزلــمٌ جذعٌ يفنــى الــورى بين جُذعــان وقرحانِ[5]

ومن اخرى :

شدّ غروض[6] المطــيٍّ مغترباً فلــم يفــز طالــبٌ ومــا طلبا

---

(١) الرّمم : البالي من كلّ شيء .
(٢) الرزء : المصيبة .
(٣) تصمي : تقتل وتصيب .
(٤) اخداني : أترابي ، مفردها خدن .
(٥) جذعان وقرحان : الجذعان ، الأحداث من الشباب والقرحان : الذين مستهم القروح .
(٦) شدّ غروض المطي : أي تهيأ طالباً أهدافه وغايته عليها. والمطي: ما يمتطيه الانسان للوصول.

لادرّ في الناس درٌّ مقتصدٍ يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقامُ الكريمِ في بلدٍ ينفق فيه الحياء والأدبا
لا تعطني بالزّمان معرفةً كم ضاق بي مرّةً وكم رحبا
أيٌّ خطوبٍ لم تولني عظةً وايّ دهرٍ لم افنهِ عجبا
ساعات دهرٍ تمرُّ مسرعةً عنّا وتُبقى الهموم والتّعبا

٥٠ ـ الأَشْرَف ابن فَخْر الملك

قدم من بغداد أصبهان علي ابن كاكوية ظاناً به الجميل فخاب ظنه وادركته حرفة الأدب فبينا هو ذات يوم يشرب على شاطىء زرّنروذ اذ هزّت الرّاح عطفه ودبّت اريحية النشوة فيه فدعا بالدواة والقرطاس وكتب الى اخيه الأعز ابن فخر الملكَ وهو ببغداد في نعمةٍ وحسن حال:

ان الذي قسم الوراثة بيننا جعل الحلاوة والمرارة فينا
لكن اراك وردت ماءً صافياً ووردْتُ من جَوْر الحوادثِ طينا
أولَيس يجمعني ونفسك دوحةٌ طابت لنا دنيا وطابت دينا
إنْ كنت انتَ أخي فقلْ لي يا أخي لم بتّ جذلاناً وبتّ حزينا
هلاّ قسمنا بيننا الفرح الذي كنّا اقتسمنا في حياة ابينا

فلما قرأ الأعزُّ كتابه اذرى دموع الرقة لأخيه وسفتج[1] بالفي دينار وكتب اليه ببيت لبيد:

فاقنعْ بما قسم المليك فانّما قسم المعايش بيننا علاّمها

ولم أجد للأشرف بعدما كتبته إلا قوله:

مرّ بي الموكب لكنّني لم أرَ فيه قمرَ الموكبِ

---

(١) سفتج: السفتجة هي أن تعطي رجلاً مالا فيعطيك وثيقة تسترد بها مالك من شريك له أو عميل في بلد آخر، انت مسافر اليه.

قـلْ لأمير الجيش يا سيدي ما لأمير الحســن لم يركبِ

٥١ ـ ابنُ المُطَرِزّ

وهو اليوم بقية الشعراء ببغداد ويكنى أبا القاسم وأسمه عبد الرحمن بن محمد انشدني أبو الفضل عبد الواحد بن محمد البغدادي التميمي قال أنشدني ابن المطرّز لنفسه من قصيدةٍ :

سرى مغرمــاً بالعيش يفتجــع الرَّكْبا يسايلُ عن بدر الدّجى الشـرق والغربا
اذا لم تبلّغنــي إليكم ركائبي فلا وردت ماءً ولا رعــت العشبا
علـى عذبـات الجــزع من ماءِ تغلبِ غزالٌ يرى ماءَ القلــوبِ له شُربا
إذا ملأ البــدرُ العيونَ فإنّه لعينــك بدرٌ يمــلأ العينَ والقلبا

وانشدني أبو يعلى البصري له من اخرى :

يا صاحبــي باعــلام المدينــة لي ظبــيٌ إذا أنســت عينــي به نفرا
لولا احتشامــي منــه حين يلحظني إذا تأمّلتــه أفنيتــه نظرا
إذا تبسّــم واستجلــى محاسنه طرفي خلعـت عليه السّمــع والبصرا
فإنْ رنـا قلـت عن عين الغـزال رنا[1] وإنْ مشى قلـت غصــنٌ يحمـل القمرا

وله في رئيس :

يوم عَدَتْــكَ[2] نحوسهْ وغــدَتْ عليك كؤوسُهْ
وتغـايَـرتْ اقماره اذ غازلتــك شموسهْ
يا سيِّداً ما ملّهُ مذ كان قطُّ جليسهْ
مــا من رئيسٍ سيدٍ الأَ وأنــت رئيسهْ

---

(١) رنا : نظر .
(٢) عدتك : تجنبتك .

وله أيضاً :

سلامٌ علـى بغـداد من كلّ بلدةٍ وحـقّ لهـا منـي سلام مضاعفُ
لعمـرك ما تركي لهـا عن قلـى لها وإنـيّ بحسنـى جانبيهـا لعارف
ولكنهـا ضاقـت علـيَّ برحبها ولـم تكن الارزاق فيهـا تساعف
فكانـت كخلٍّ كنت اهوى دنوّه وأخلاقـه تنـأى به وتخالف

وله في الخمرو يروى لابن نحرير :

يا ساقييّ اسقيانـي من دم العنب فقـد طربـت اليهـا غاية الطربِ
حمـراءَ صافيةً صرفـاً مشعشعة كالنّـار طوراً وطـوراً ذائـب الذهبِ
تجلى على الشرب في ضدّين ما اجتمعا إلا لهـا فهـي من ماءٍ ومـن لهبِ
بكرٌ إذا افتضّهـا الساقـي بكت خجلاً وكلّلـت رأسَهـا دراً من الحببِ

وله في استهداء رقعة الشطرنج :

أبـا طاهـر أنـت لي جُنّةٌ أجـلّ وأعظـم من شأنها
ونحـن العيونُ وانـت الجفون وحسـن العيونِ باجفانها
وعنـدي خيولٌ قدِ استنهضتْ معقلَـةً رهـن ارسانها
وقـد حضـرت قصبـات الرّهان فمـنّ علـيٌّ بميدانها

وله :

ظالـمٌ ما منـه منتصر ابـداً يجنـى واعتذرُ
حـلّ من قلبـي بمنزلةٍ لم ينَلْهـا قبلـه بشرُ
بـات يسقينـي المـدام ولَي ولـه من طرفـه سكرُ
ويحيينـي بسالفةٍ حار في ارجائهـا الشّعرُ

يا حبيبـاً كلّـه حسنٌ لمحـبٍ كلّـه نظرُ
وجهـه من كلّ ناحيةٍ حيث ما قابلتـه قمرُ

إنْ تفرّقنا على قدرٍ وسعت ما بيننا الغيرُ
فلعلّ الدّهر يجمعنا والهوى ماضٍ ومنتظرُ

وله في المجون :

فقحةٌ مثل عجنة الحواري حسنها يترك الصّحاة سكارى
لفتاةٍ لسانها اعجمي عبدةٍ عندها الملوك أسارى
ورمّتها من العيون ومالت فقلوبُ الزّناةِ فيها حيارى
ابرزتها من الثياب وقالت يا خواجه أتشتهي قلت آرى

وقال :

كأنّما انجمُ الجوزاء فاصلةً عن الثريّا وبدر التمّ[1] لم يغبِ
ممنطق ساقَ في ميدانه كرة من اللّجين بطبطابٍ[2] من الذّهبِ

وله :

تهن بيوم بالسعادة مبهج تحلّى بوجهٍ مسفرٍ متبلّجِ[3]
يميل باعطاف النسيم ممثّلاً بطلعته وشى الربيع المدبّجِ
أتاك بشيرٌ بالسّعود وكلّ ما تؤمله في كل حال وترتجي
فعشْ وابقَ واسلمْ في سرورٍ وغبطةٍ وعيد ونَوْرِزْ ألف عام ومهرج

وله من قصيدة :

عجبْتُ لمَنْ يصفى الوداد لغادرٍ يميل مع الأيام حيث تميلُ
ودودٍ إذا حيّاك امّا لسانُه فوافٍ وأمّا قلبهُ فملولُ
فلو صحتِ الايام صحٌ وفاؤنا ودام ولكن الزمان عليلُ

---

(١) بدر التم : البدر الكامل .

(٢) طبطابة : خشبة عريضة .

(٣) متبلّج : ظاهر مكشوف .

وله من اخرى :

بينـي وبين يد الزّمـانِ إذا نبا[1] صنْـع الإلهِ وناصـر السلطانِ
يلقـاك بالوجـه الـطَّليق لعلمهِ إن الكتـابَ بظاهـر العنوانِ
فلـو اننـي استنجـدت رائـقَ بشرهِ وتـركتُ نائـلَ[2] كفّـهِ لكفاني

ومنها في وصف النوق :

شرب الهجير[3] دماءهـا ولحومها فاتين كالأرسان في الارسانِ
يكرعْـنَ في لمـع الشّـراب وقلّما ضمـن الشـراب الـرّيَّ للعطشانِ

٥٢ ـ أبُو الحَسَن عليٍّ بن الرَيّان الجرهمي

ذكر أبو الفضل التميمي إنه يغني بشعر نفسه ويصوغ له الالحان فمن ذلك :

يا هاجـري في اوسـع العذر قد رقـدتْ عينـي علـى الهجرِ
علّمنـي غدرُك اسلـو الهوى ايُّ هوىً يبقـى علـى الغدرِ
وكنـت من صبري جزوعـاً فمذ خنـتَ تجاسـرتُ علـى الصبر

وقوله :

يا ويحَ قلبـي من تقلّبه ابـداً يحـنّ إلـى معذّبهِ
قالـوا كتمـت هواك من جلدٍ لو انّ لي رمقـاً لبحْـتُ بهِ

وقوله :

بات بليلـي فيك من يعذل جفـنٌ همـول وحشـا مشعلُ

---

(١) نبا : تجافى وقسا .
(٢) نائل : عطاء .
(٣) الهجير : الحرّ الشديد .

ومقلــةٌ ما اكتحلَــتْ بالكرا مذ غـاب ذاك الرّشـأ[1] الاكحلُ
يا قوم ما احلــى واشهــى الهوى للمــرءِ إلا انــه يقتلُ

وله شعر كثير من هذا النمط .

٥٣ ـ أبَو بكْر الْعنْبَري

ذكر التميمي انه من مشيخة الصوفية ببغداد ومن ظرفاء شعرائها ومـن شعـره الذي يغنى به قوله :

يا مَنْ الـى وجهــه حجّــي ومعتمري ان حجّ قوم الــى تربٍ واحجارِ
أنــت الصــلاة التــي أرجـو النّجـاة بها وأنــت صومـي الــذي يزكو وأفطاري
إنــي وإنْ بعــدَتْ عنــي دياركم فانتــم في سواد القلــب سُمّاري
فإنْ تكلّمــتُ لم الفــظ بغيركم وإنْ سكتّ فانتــمْ عقــد اضماري

ومن سائر شعره :

كم تغدّينــا بصومٍ وتعشّينــا بنومٍ
وتأذّينــا بقومٍ فانتقلنــا نحــو قومٍ

ومن منثور كلامه : نعم السلاح الدّعاءُ ونعم المطية الوفاءُ ونعم الشفيع البكاءُ

وكان يقول : التصوّفُ اجتناب المحارم واجتناءُ المكارم ، وينشد :

ليس التصــوّفُ بالفوط مَنْ قال ذاك فقــد غلطْ
ان التصــوّف يا فتى صفــوُ الفــؤادِ من السّقطْ

وله :

وليس الــذي يجــري من العين ماؤها ولكنــه روحٌ يذوبُ ويقطرُ

---

(١) الرشأ : ولد الغزال .

٥٤ ـ أبو الحَسَن النُّعَيمْي

انشدني أبو القاسم عبد الصمد بن عليّ الطبري قال انشدني مكي بن البغدادي قال أنشدني النعيمي وكان شيخاً قد نالت الأيام من جسمه وحاله :

اخلتِ النّائبات كأسي من الرّا ... ح كما قد خلا من المال كيسي
وغزانا الشتاءُ من بلد الرّو ... مِ على غفلةٍ بلا ناقوسِ
فتحامى الألى لباسهم من ... صوف مصرٍ ومن خزوز السّوسِ
ومضى حكمه من الاسر والقهـ ... ـر على كلّ مدبّرٍ منحوسِ
ماله جنةٌ سوى النار بالليـ ... ـل ولا بالنهار غيرُ الشّموسِ
فهو في السّرّ مسلمٌ وعلى الظا ... هر مستمسكٌ بدين مجوسِ

قال وكان يجلس في الجامع الشرقي ببغداد أيام البرد فسمعته يوماً وهو جالسٌ فيه والسماء متغيمةٌ يقول : قد سرقت احدى الجنتين يعني احتجاب الشمس ، قال وسمعته في اجتماع قوم لا خلاق لهم ولا خير فيهم : كسيرٌ وعويرٌ ومفتاح الدّير وآخر ليس فيه خير ، قال وسمعته يقول في قوم شرار نزلوا شرّ منزل وتجعله مثلاً : ركب زنبور[1] عقرباً الى جحر حيةٍ فقيل أبصر من الحامل والمحمول وفي أيّ خان نزلوا ، قال وانشدني لنفسه :

إذا اظمأتْكَ اكفُّ اللئامِ ... كفتْكَ القناعةُ شبعاً وريّا
فكن رجلاً رجله في الثّرى[2] ... وهامة همته في الثريّا
فإنّ أراقةَ ماء الحيا ... ة دون اراقةِ ماء المُحيّا

٥٥ ـ أبو الحَسَن الهاشميّ الْمَأْمُوني

أنشدني أبو الحسن البرمكي قال انشدني أبو الحسن هذا المذكور لنفسه :

---

(١) الزنبور : حشرة تشبه الذباب .

(٢) الثرى : التراب ، أديم الأرض .

إذا لم تنصفونـا يا كرامُ وفـي أيديكم اليوم الزِّمامُ
فكيف بكم إذا قلنـا صرفتم وزال البـوش وانقطـع الزّحامُ
وكنتـم معشـراً ملـكوا فخسوا فنـام الحـظّ عنهـم حين ناموا
وكانـوا يخدمـون وهـم قعودٌ فصـاروا يصفعـون وهـم قيامُ

٥٦ ـ أبو الفضل محمَّد بن عَبْد الوَاحد التَّميميّ البَغْدادي

أيده الله تعالى ، طلع على نيسابور منذ سنيات وهو في ريعان شبابه فملأ العيون جمالاً والقلوب كمالاً وأفادنا كثيراً ثم امتطى أمله الى الحضرة الكبرى بغزنة حرسها الله تعالى فعاشر السادة بها ووصل الى السلطان الماضي أبي القاسم رضي الله تعالى عنه وخدمه في مجلس الانس ثم انقلب عنها وقد اسفرت سفرته عن صفقة الرابح وغنيمة الفائز وله شعر الأديب الظريف الذي شرب ماء دجلة وتغذى بنسيم العراق فمما أنشدني لنفسه قوله :

هام قلبـي بحسـن ذاك العذار حين لاح اخضـرارُه في احمرارِ
عزّ ربّ اذا أراد تعالى انبـت المرزجـوش[1] في الجلنّارِ[2]

وقوله :

جـدْ وإنْ شئـتَ لا تجدْ إن تخلّصـت لم اعدُ
إنّمـا منـك غرّني كَلِـمٌ طعمهـا الشهدْ[3]
لسـت في النّـاس واحداً قتلتـه اللّحـى الجدُدْ

وقوله في خطّ اللّحية :

بدا خطّ مَنْ أهـواه كالبـدر طالعاً وعارضـه[4] قد لاح فيه وزغبا

---

(١) المرزجوش المردقوش .
(٢) الجلنار : زهر الرمان .
(٣) الشهد : العسل .
(٤) العارض : منبت الشعر في الوجه من الرجل .

فكان كنمـل دبّ في العـاج قاصداً ليجتـزّ في رفـق ٍ من الصّـدغ ِ عقربا

وقوله :

إنْ زارنـي لم أنـم من طيب زورته وإنْ جفـا لم أنـم من شدّة الحُرَق ِ
ففـي الوصـال جفونـي غيرُ راقدةٍ من السـرور وفـي الهجـران من قلق ِ
إنـي لأخشـى حريقـاً إنْ علا نفسي واتقـى ان جرى دمعـي من الغرَق ِ

وقوله :

نظـرت تشوّقـاً يومـاً إليه فأثّـر ناظـري في وجنَتَيْهِ
وجـرّد من لواحظـه حساماً حمايلـه بنفسـج عارضَيْهِ

وقوله في رمد المحبوب :

قلـت إذا قيل لي حبيبـك يشكو . رمـداً سلّـط السُّهـاد عليه

وقوله :

الشّعـرُ كالبحـر في تلاطمه ما بين ملفوظِـهِ وسائِغِهْ
فمنـه كالمسـك في لطائمه ومنـه كالمسـك في مدابِغِهْ

وللموازيني في فصد بعض رؤسائه :

علـى اليمـن باكرت الفصـاد مشمّراً يمين جوادٍ للعطـاءِ مشمرهْ
مددت أبـا سعـدٍ الـى صدر مبضع يداً تصـدر الآمـال عنـه منشرهْ
ومـا خلـت إنّ الجـود تجـري له دمٌ فمـا كان اجـرى ذا الطبيب وأجسرهْ
أظـنّ له من لطفـه بلباقةٍ بصيرة بقـراطٍ واقـدام عنترهْ

وله في مرثية القاضي الهاشمي بحلب :

ناعى أبي جعفر القاضي دعوت الى الـ ـرّدى فلـم يدر ناع ٍ انـت أم داع ِ
تنعى العظيمَيْن ِ من مجـدٍ ومـن شرفٍ بعـد الـرّحيبيْن من خلـق ٍ ومـن باع ِ

مهـلاً فلـم تبـق عينـاً غير باكيةٍ ولا تركت فؤاداً غير مرتاعِ
قد كان ملأ عيون بعـده امتلأتْ حزنـاً ونزهـة ابصـارٍ وأسماعِ

وله :

كـم حمـارٍ هـو أولـى بنهيـقٍ وشـهيقِ
يكتسي في الشتـوة الخزّ وفي الصيف الدبيـقي

وعلى هذين البيتين فقد تذكّرت بيتين على وزنهما وقافيتهما واشتمالهما ذكر الدّبيقي ولا أدري لمن هما وهما :

ضـاع في الشـوك دقيقي حين أمّلـت صديقي
بفعـالٍ كالبخاريّ وقـولٍ كالدّبيقي

٥٧ ـ أبو الغَنايم بن أبي المكَارم الرَّمْليّ

هو ابن الذي يقول فيه ابن لنكك :

إنّ الرُمَّيلـي بعيدٌ خاطرهْ يشعـر ما دامـت له دفاترُهْ
فالشّعراء كلُّهمْ خواطرُهْ

ويقول فيه أيضاً :

خلف الرّملـي فيمـا اقـ ـتصّ عنـي وحكاهُ
يدّعـي يوم اصطلحنا اننـي قبلـت فاهُ
لـم أقبِّـلْ فاه لكنْ قبّلـتْ كفـيّ قفاهُ

فأما أبو الغنايم فإنه يقول لصديقٍ له ولي عملاً :

جعلـت فداك لا تجف الأخلا فينـأوا عن ذراك وهـم اذلاّ
وكانـوا يطرحـون لنـا مصلّى فمنـذ وليت قد رفـع المصلّى

ويقول في شهر رمضان :

شهـر الصّيامِ مباركٌ لكنـه في شهـر آبِ

خفــتُ العــذابَ فصمتُهُ فوقعــت في نفس العذابِ

ويقول في الهجا بيتاً نادراً كالمعجز في فنه وهو :

خــوانٌ(١) لا يلــمّ به ضيوفٌ وعــرضٌ مثــل منــديل الخوانِ

٥٨ ـ أبو الحَسَن عَلي المَعْرُوفُ بابن كُوَيْرات الرَّمْليّ

حدّثني المصيصي قال كان ابن كويرات من أظرف النــاس وأملحهــم نوادر حضرت معه دعوةً برأس العين فقدّم الينا جمل مهزول ومددنا أيدينا إليه وهو قابضٌ يده فقلنا له في ذلك فقال يا سادتي هذا كان عاشقاً وأنا عاشـق والعاشـق لا يأكل العاشق ، وأنشدني له أبو يعلى في طبيب من أهل مصر يدعى أبا الربيع وهو من أحسن ما قيل في مدح طبيب :

أبــو الــربيع ربيعٌ لكلّ جســمٍ وروحِ
إذا رأى الــدّاء داوا هُ بالــدّواءِ الصّريحِ(٢)
كأنّــه في البرايا(٣) خليفــةٌ للمسيحِ

وله من قصيدة :

رشــأٌ سمعــت لخــدّه وعذاره في هذه الــدّنيا حديثــاً سائراً
فإذا رأيت عليه طرفــاً(٤) واقعاً فاعلــم بأنّ هنــاك قلبــاً طائراً

٥٩ ـ عَبْدُ الْمُنعم بْن عَبْد المُحْسن الصّوري

من ملحه وطرفه قوله في غلامٍ ينظر في المرآة :

جــلا المــرآة صيقلهــا لوجهٍ تولّــى الله خلقتــه لحيني(٥)

---

(١) خوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٢) الصريح : الخالص . الصافي .
(٣) البرايا : الخلق . الناس .
(٤) طرفاً : نظراً .
(٥) لحيني : لهلاكي وموتي .

فلــو أبصرتَــهُ يرنــو اليها		عرفْــتَ الفــرق بين الصيقلين[1]

وقوله لنبهان الجعفري وهو في غاية الملاحة :

زففـت الـى نبهـانَ من عفـو خاطري		عروساً غدا بطنُ الكتابِ لهـا خِدْرا[2]
فقبّلهـا عشـراً وأظهـر حبَّها		فلمـا طلبـت المهـر طلَّقها عَشْرا

وأنشدني المصيصي وأبو يعلى له :

أرى اللّيالـي اذا عاتبتهـا جعلَتْ		تمـنّ ان جعلتنـي من ذوي الأدبِ
وليس عنـد اللّيالـي انّ اقبـح ما		فعلن بي ان جعلْنَ الشعـرَ مكتسبي

ومما يستحسن ويستظرف له قوله :

لي مولـى احسانـه يتجدّد		كلّ يومٍ لديّ والمجـد يشهدْ
احسـنَ الفعـلَ بي وأحسنْـتُ قولاً		واشتبهنـا فقيل جاد وجوّدْ

وقوله وهو من امثاله السائرة :

أرى الله يعطينـي ودهـري يأخذ		وفـي كل يوم سيف قتلـي يشحذُ
وكيف سلـوى عن شبابـي وفقده		طريق الـى سمْـتِ المنيَّة[3] ينفذُ

٦٠ ـ أبو الفَرَج بن أبي حَصين القاضي الحلَبي

من أظرف الناس وأحلاهم أدباً وأبوه الذي كاتبه أبو فراس وساجله ومدحه السريّ وأخذ جائزته ونطق كتاب اليتيمة[4] بنبذٍ من شعره في عرض شعر أبي فراس ولم أسمع لأبي الفرج املح من قوله فيمن أبي ان يضيفه :

---

(١) الصيقلين : الصيقل من يضع السيوف ويصقلها .
(٢) خدرا : كل ما ستر من بيت ونحوه .
(٣) سمت المنية : طريق الموت .
(٤) اليتيمة ج ١ ، ص ٣٤ .

وأخٍ مسَّه نزولي بقرحٍ[1] | مثل ما مسَّني من الجوع قرحَ
بتُّ ضيفاً له كما حكم الدّهـ | ـر وفي حكمه على الحرّ قبحُ
فابتداني يقول وهو من السكر | ة بالهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبتَ قلت قال رسول الـ | ـلَّه والقول منه نصحٌ ونجحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا | ل عليه السلام صوموا تصحّوا

ولم أسمع في عموم الخيانة ووراثة الناس أباهم آدم إياها غير قوله :

كيف نرجو الوفاء من نسل مَنْ لم | يف لله في جنان بحبّهْ
وعزيزٌ في العالمين امينٌ | خان عهداً أبوه في الخلد ربّهْ

وله في عتاب الدّهر على قصده الكرام :

يا دهرُ مالك طولُ عهدِك ترتعي | روضَ المعالِي بارضاً وحميما[2]
يا دهر مالك والكرام ذوي العلى | ماذا يضرّك لو تركْتَ كريما

٦١ - أبو الفَرَج عَبْد الصَّمد بن عَلي الصُّوري

قال من قصيدة :

وإذا ما احتوَتْ أنامله الرُّقْـ | ـشَ[3] كما تحتوي القنا[4] الفرسانُ
فعلت في الخطوب ما تفعل السُّمْـ | ـر[5] إذا جدّ بالكماة الطِّعانُ

وقال من اخرى :

حتَّام أرجو أناساً ما مدحتهمُ | الاَّ جنيت ذنوباً ليس تُغتفرُ

---

(١) قرح : جرح وعلّة .
(٢) بارضاً وحمياً : البارض أول ما يظهر من نبات الأرض ، وحمياً : المطر الذي يأتي بعد اشتداد الحرّ .
(٣) الرقش : الأقلام ، والرقشاء من الحيّات : المنقطة بسوادٍ وبياض .
(٤) القنا : الرمح .
(٥) السّمر : الرماح .

لئن بحثتُ عن المعروف عندهم ... ان الثرى في طلاب الماء يقتفرُ[1]

وقال لصديق له يعمر داره :

دع عمل الطّين للسّلاطين ... لا تك من اخوة الشيّاطينِ
فما بقاء الدّريهمات إذا ... انفقن حيناً في الماءِ والطّينِ

وقال :

ومَنْ يغشُ قوماً والشبيبة برده ... فيبليه فيما بينهم عدّ منهم

وكانت له امرأة قبيحة سليطة فقالت له في يوم مطر وثلج أيّ شيء يطيب في مثل هذا اليوم فقال التطليقات الثلاث .

٦٢ ـ أبو الفَهْم عَبدُ السَّلاَم النَّصيبي

هو الذي يقول :

قبّلته اشتفي بقبلته ... فزادني ذلك اللّمى[2] ألما
وسائل لي عن مبتدي سقمي ... مُسْقم عينيه مسقمي بهما

ويقول ما يشدوا به القوّالون كما ذكر المصيصي وأنا أشكّ فيه وقد كتبته لحلاوته وظرفه :

لما تأمّلته يفترُّ[3] عن بردٍ ... ولاح لي في قميصٍ غيرِ مزرورِ
أرسلتُ دمعي على الخدّين منسكباً ... وصحتُ واحربا[4] من هتك مستورِ

(١) يقتفر : يتبعه ويقتفي آثاره .
(٢) اللمى : سُمرة في باطن الشفة .
(٣) يفتر : يكشف ويبتسم فتبين أسنانه .
(٤) واحربا : وا أسفاه واحزناه .

٦٣ ـ أبو السمطْ الرسْعَني وأخوه أبو مالك

حدّثني أبو الحسن عليّ بن فارس القزويني قال كان أبو السمط وأخوه من أهل رأس عين وهما من أظرف الناس وأمجنهم وأملحهم فأما أبو السمط فإنه ذكر رجلاً يأكل وحده فقال يأكل وهو في أربعة فاستفسر فقال هو وظلّه والملكان وهذا كما قال أبو الحرث جمين وقد سئل عن مائدة محمّد بن يحيى فقيل من يحضرها فقال أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذّباب ، وسأل عن غلامٍ استشرطه فقيل هو فاسد فقال : في فساده صلاحي ، ومن نوادر شعره قوله :

والّذي أرسلَ إبـراهيم بالحـقّ وعيسى ... ان اسحق بن عمروٍ يشتهي آيةَ موسى

وله في المجون :

ويحـك يا ايرى امـا تستحي ... تفضحنـي ما بين جُلاسي
تخـرج من جيبـي بلا حشمةٍ ... وتطـرح المنـديل عن راسي

وأما أبو مالك فإنه يقول :

جعلنـا النـرد ورداً كل يوم ... واعملنـا معتّقـة المدامِ
لنجعـل نقلنـا ممّـا أفاءت ... فننتقـل الحـرام علـى الحرامِ

وهو القائل :

ملـكت مجامـع الظبـيّ الرّبيبِ[1] ... أرى ما شئـت من حسـنٍ وطيبِ

وفيه ما أصون كتابي عنه .

٦٤ ـ أبو الثّريّا الشّمْشَاطيُّ

حكى المصيصي كان أبو الثريّا صديقي وكان يستكثر من الجواري ولا يصبر

---

(١) الربيب : الشاة التي تربّى في البيت للبنها .

على واحدة منهن حتى يبيعها ويستبدل بها فرأيت منهن جاريةً رومية تسمى ظريفة فقدّمت يوماً اليه المائدة وقد نسيت الملح فقال لها أين الملح فأشارت الى وجهها وقالت هنا قال فعزمت على امساكها وقلت لها أتحسنين الحشو قالت ذاك اليك ، قال ومما علق بحفظي من شعره ما أنشدني في أبي الأعين انطاكي :

لي صديقٌ منجّمٌ وطبيبُ شاعرٌ شعرُه غذاء الرّوحِ
فهو طوراً كمثل جامع سفيا ن وطوراً يحكى سفينةَ نوحِ

حدّثني الحامديّ ان من الأبيات التي علقها الصاحب في سفينته قول أبي الثريّا من مقطعة في مختطّ :

كأنه البدرُ في لألاءِ غرّته[1] قد زار جبريلَ في عيدٍ فغلّفهُ

٦٥ ـ أبو الفتح المُحسن بن علي البَديع

من أهل حمص يقول في الغزل :

بالذيّ الهم تعذيـ ـبي ثناياك العذابَا
ما الّذي قالته عينا كَ لقلبي فأجابَا

ويقول في عزل صارم الدّولة :

مَنْ كان يستعلى بتقليد ما يسوسه بالرّأي أو بالبديهْ[2]
فصارم الدّولة ما حطّه عزلٌ ولا يرفعه ما يليهْ
فلا تطب أنفسُ حسّاده فإنّما أغمدُهُ منتضيهْ

---

(١) غرّته : بياضه .

(٢) بالبديه : بديهاً أي ارتجالا .

٦٦ ـ أبو الفَرَج بن حَيْدَرة الحَمْصي

قال من قصيدة :

ما كنــتُ مفتخــراً بمــا قدّمــت من ... مدحــي لغيرك إذ مديحُــكَ ارتجى
فالبيتُ لم يفخــر مجــاوره إذا ... ما طوّف الآفــاق ما لم يحجُجِ

ومن أخرى :

له بين العوالــي[1] والمعالي ... وبين شبــا[2] المهنّــدة الذّكورِ
مقامــاتٌ شرُفْــن فمــا يبالي ... أمــات علــى جوادٍ أم سريرِ

وقد أخطأ في ذكر موت الممدوح ومن حقه صيانته عنه .

٦٧ ـ أبُو الوَفَا الدّمْيَاطي

يقول في المصريين من أصحاب عزيز :

إذا ما قطعتــم ليلــكم بمنام ... وافنيتــم أيّامــكم بمدامِ
فمَــنْ ذا الّــذي يرجــوكم لملمةٍ ... ومَــنْ ذا الّــذي يأتيكم لسلامِ
رضيتــم من الــدّنيا بأهــونَ بلغةٍ ... بشــرب مدامٍ[3] أو بنيك غلامِ

ويقول في عزيز مصر :

يا مالكَ الوقــتِ والزمان ... ومــن علا في عظيم شانِ
ضــدّان ما استجمعــا لخلقٍ ... وجهُــك والفقــر في مكانِ

ويقول نثراً في امردٍ[4] التحى : قد صدئــت مرآتــه وكسف بدره وتشــوك

(١) العوالى : الرماح .
(٢) شبا : حدّ السيف والذّكور من السيوف : الذي شفرته من الحديد الجيد ومتنه حديد غير صلب، .
(٣) مدام : خمر .
(٤) أمرد : الفتى الذي ظهرت لحيته متأخرة .

زعفرانه وتسبّج[1] زمرده .

٦٨ - أبو مَعْشر الكاتبُ من أهْل البَحْرَين

قال له العلوي الوسي : يا أبا معشر إنّك كالمسك ان امسك عبق وان بيع نفق ، فقال : وأنت يا أيّها السيد كالقطر ان وقع على البحر اخرج الدرّ أو على البرّ اخرج البرّ ، وقال بعض السوّال واسونا يرحمكم الله فقال : ان واسيناكم ساويناكم ، ومن بارع شعره قوله من قصيدة :

وليلةٍ خضتها على عجلٍ وصبحها بالظّلام معتصمُ
كإنما الدّجن[2] في تزاحمه خيلٌ لها من بروقها لجمُ

وقوله :

أتاني زايراً فحكى هلالاً واتبعه صدوداً مستطالا
فقلت الا تعود فقال لاَ لاَ دوام الوصل يورثك الملالاَ

٦٩ - أبو الرّماح الفُصَيصي

يقول في البرق :

إذا ما لاح احمر مستطيلا حسبتُ اللّيلَ زنجيّاً جريحاً

ويقول في الفستق ما هو من أحسن ما قيل فيه :

مثل الزبرجدِ في حريرٍ احمرٍ في حُقّ[3] عاجٍ في غشاء أديم

ونظيره قول أبي اسحق الصابي ولست أدري من السارق والمسروق منه :

---

(١) تسبّج : أي تحوّل الى خرزٍ أسود

(٢) الدجن : الظلمة الدامسة .

(٣) حق : وعاء يوضع فيه الطيب وسواه .

والنقـل من فستـق حديثٍ رطـب تبـدّى به الجفافُ
لـي فيه تشـبيهُ فيلسوفٍ ألفاظـه عذبـةٌ خفافُ
زمـرّدٌ صانـه حريرٌ في حقّ عاجٍ له غلافُ

والإمام السابق الى وصفه الصنوبريّ في قوله :

وحظـي من نقـل اذا ما نعتّه نعت لعمـري منـهُ احسـن منعوتِ
من الفستـق الشامـيّ كلّ مصونةٍ تصان عن الأحـداث في جوف تابوتِ
زمـرّدةٌ ملفوفـةٌ في حريرةٍ مضمّنـةٍ دراً مغشّـىً بياقوتِ

وأنشدني له بعض الغرباء وقد نسيت اسمه ويروى لابن سكرّة :

ورد البشير مع الصبـاح بأنّه لي زائـرٌ فاستعبـرت اجفاني
يا عين قد صار البـكا لك عادةً تبـكين في فرحـي وفـي أحزاني

ومن أمثاله الجيدة قوله :

قد يبعـد الشـيء عن شيءٍ يشابهُهُ إنّ السّمـاء نظيرُ المـاءِ في اللّونِ

٧٠ ـ أبو الغَوْث بن نحْرير الْمُنُيْحيّ

ذكر المصيصي أنّه أظرف الناس وأملحهم شعراً وأحضرهم جوابـاً وقـال في صديق جفاه :

هجـر المعلّـى واستمـرّ جفاؤُهُ نفسـي وان نقض العهـود فداؤُه
خلّ اذا الإغبـاب[1] جدّد غيره أضحـى تجـدّده لدى لقاؤُه

وقال :

كأن حنّاءهـا براحتها دمـاءُ مَنْ قتلـتْ بهجرتها

(١) الاغباب: القوم الذين يزورونه يوماً ويتركون آخر .

وسوّدتــه فحلّهــا لبست شبــاب مَنْ شابَ في محبتها
نقشــاً كاعطــافِ تدرُج[1] اخذت من زخـرف الـرِّيش حســنَ زينتها
كأنهــا قد توسّــدت يدها فاودعتهــا واوات طُرَّتها[2]

وقال في الشقايق والنرجس :

فتـح الشقـايق في منابــت نرجسٍ فلــكلّ خدٍّ مخجــلٍ طرفٌ أرقْ
كخــرايط الدّيبــاج حمــراً ختِّمتْ بالمســك بين شارعين مع ورقْ

وقال في الغزل المؤنث :

نظــرَتْ الــيّ بمقلتين فنمتّا[3] بضميرهــا الخافـي ونحـن سكوتُ
وكأنَّ في يمناهمــا هاروت يســـحرني وفـي يسراهمــا ماروتُ[4]

وقال :

اليك فمثلـي لا يوحــد في الهوى لمشــركةٍ في الودّ رثّ حبالها
فلــو نال عينَ الشــمس كلُّ محاولٍ لمــا كان مغبوطــاً[5] بهــا مَنْ ينالها

وقال :

إنْ كنــت تبــكي لحبيبٍ مضى فابْـكِ شبابــاً قد مضــى وانقضى
عوّضنــي الدّهــر مشيبــي به وليتــه سوَّغ ما عوّضا
سخطتــه والمــوت في أثْره يحيل بالاكراه سخطــي رضا

---

(١) أعطاف تدرج : جنبات تتمايل .
(٢) طرتها : جبهتها ، أو ما تصفقه المرأة من شعر عليها .
(٣) نمتّا : أشارتا بهمسٍ وخفاء .
(٤) هاروت وماروت : ملكان في بابل .
(٥) مغبوطاً : أي مسروراً .

وقال في الغزل المؤنث :

طلعــت بوجــهٍ عاذلٍ لعواذلي ينبــي بعــذري لاحياً للاّحى[1]
درّية البشــرات إلا أنّها مســكيّةُ النفحــاتِ والارواحِ

وقال :

مبذولــة للعيون قد حظرت عمــا سواهــا من سائــر الوطرِ
كأنّهــا صورةٌ مصوّرةٌ لا حظّ فيهــا لنــا سوى النظرِ

وقال يشكر :

يوفــرّ حالــي ابــو حازمٍ كمــا وفّــر الغيث روض البطاحِ
خفيت علــى الدّهــر في ظلّه كخــافية الــرّيش تحــت الجناحِ

سرقه من قول ابي نواس :

تستّرت من دهــري بظــلّ جناحه فعينــي ترى دهــري وليس يراني

وقال :

بحثــت لتعــرف فتنتــي فاستخبرت حبــي اذا ما قلــت حبــك فاتني
حجبــت حياءً وجههــا بأناملٍ حجبت بهــنّ محاسنــاً بمحاسنِ

وقال :

إِنْ كنــتَ تفجع مقلتــي برقادي ضنّــاً علــيّ بطيفــك المعتادِ
فامنعْ سهادي[2] انّ شخصك ماثل لتفــكّري نصــبٌ لعين سهادِ
اغياك بخلك باللّقــاء علــى امرىءٍ متصــوّر لك في ضمير فؤادِ

---

(١) اللاّحي : اللائم .
(٢) سهادي : ارقي .

وقال في الحمى :

وحمّى حمتني النوم حتى كأنما شقوقُ جفوني في الصفاة صدوعٌ[1]
تهبّ شتاءً ثم تعقب صايفاً اما لسنيك المنكرات ربيعُ
ادثّر عنها بالحشايا تعلُّلاً وليس لها عمّا تريد رجوعُ
اذا كان نبضُ السَّهم من باطن الحشا فكيف تجنّ المرء منه دروعُ

وقال :

أأرى عيوب العالمين ولا ارى عيبي خصوصاً وهو مني اقربُ
كالطّرفِ يستجلي الوجوهَ ووجهه ادنى اليه وهو عنه مغيبُ

وللامير ابي الفضل الميكالي ايده الله تعالى في مثل هذا التشبيه وغير هذا المعنى :

كم والدٍ يحرم اولاده وخيره يحظى به الابْعد
كالعين لا تبصر ما حولها ولحظها يدرك ما يبعد

وله من قصيدة في مجد الدّولة وقد خرج في حرب :

وقد بدأت اصوغ الفتح عن ثقةٍ بغايةٍ لك تجلو الدّهر في حُلَلِ
انال ما نلت من جدواك مبتدلاً حتى اذا قلت فيك القول لم يُقَلِ
لكلّ مصغٍ لشعري حين انشدهُ في محفلٍ طرب العذريُّ للغزلِ

وقال :

صلِ السعي فيما تبتغيه مثابراً لعلّ الذي استبعدت منه قريبُ
وعاوده ان اكدى[2] بك السعي مرةً فبين السّهامِ المخطيات مصيبُ

---

(١) صدوع : شقوق .
(٢) أكدى : تعثّر ولم يظفر بحاجته .

وقال :

يا واحـد الـكافين والملك الذي ... دانـت لعز علاه امـلاكُ الورى

درت رسـوم معاشـر لم يدركوا ... شأوى ولا شقـو العجـاج الاكدرا

ويبيت بائتِهـم يغـطّ موسّداً ... وابيت ليلـي كالسّـليم مسهّرا

انتقّـد القـولَ الـرصينَ واجتني ... غررَ المعالـي منجـداً أو مغورا[1]

إنْ كنتَ تعطيهم على الشعر اللّهى[2] ... فالشعـر يقضـي أن تخصَّ الاشعرا

إنْ كنـتَ تبغـي مدحهـم أو شكرهم ... فعليك مَنْ إن قال قولاً ستّرا

وقال يستهدي شراباً :

دعوت ابا الفضل الـورى ونسيتني ... ولـي الف عينٍ بالصـديق موكّلهْ

فـلا تطـوِ انبـاء الـذين دعوتهم ... فقـد نُقلَـتْ مشروحـةً ومفصّلهْ

ولـي قدحٌ في كلّ دورٍ ادرته ... فمرلي بهـا تيك التّفـاريقِ مجملهْ

وقال من قصيدة :

وربّ ليلٍ غدافٍ[3] خلـتُ انجُمَهُ ... فيه بواقِـيَ خمـرٍ لمَعـتْ فحما

معمّـراً طلـع الجـوزاء راكعةً ... كأنّهـا قوّسـت في طولـه هرما

ومنها :

ابـارقٌ صدّعَ الظلمـاء[4] مضطرماً ... ام الـوزير الخـطير ارتـاح مبتسما

وقال في النرجس :

قـد ضحـك النّـرجس في الأقطار ... تجمّـع بين الزّهـر والنوّارِ

---

(١) مغوّرا : المقاتل الكثير الغارات .

(٢) اللّهى : أفضل العطايا وأوسعها .

(٣) ليل غداف : ليل خصيب مليء بالسعة والنعيم .

(٤) صدّع الظلماء : أي كشفها وأنارها .

لـم يرشخصٌ قبـلُ في الاعصار ألِّف ضدّي بردٍ ونارِ
كأنّــه اذ شيمَ بالابصار يخـدم يوم مهرجـانِ طاري[1]
بدرهمٍ ضمّ الى دينار

وقال :

لا غرو للزّمــن البخيل اذا سخا قد يرسل الحجر العيون النضّخا[2]

كأنه من قول الله عزّ وجل : وانّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وقال :

قد فات امسِ ولـم اثـقْ بغـدٍ فما اعتـدّ وقتـي غير يومـي الحاضر
والعيشُ وقتـي وهــو منـي آخذٌ فالــرّأيُ اخــذي منــه حظّ مسافر

وقال من قصيدة :

لا يغررنـك تجمّلـي فلقد اسبلته ستـراً علـى سغب[3]
هو كالخضاب علـى المشيب متى ما تبلُـه[4] تكشِفْـهُ عن كذب

وقال وقد قبض على الوزير يوم الاربعاء :

يومٌ تهـاوت شمسُـهُ من عالِ مُسخـتْ به الأيامُ فهـي ليالِ
واذا اختبـرت الاربعـاء لامرهِم فدبـار[5] في الادبـار اصـدَق فالِ
يا واحـد الـكافين بل يا كعبـةَ الـ ـعـافين بل يا غايةَ الآمالِ
ما كنـت الاّ العضـب[6] فلّل[7] حدّه بشبـاة[8] مدرى الكاعـب المكْسالِ

---

(١) طاري : مفاجيء .
(٢) النضّخا : الغزيرة الفوارة .
(٣) سغب : جوع .
(٤) تبله : تختبره .
(٥) دبار : الهلاك والهزيمة .
(٦) العضب : السيف القاطع .
(٧) فلّل حدّه : ترك به ندوباً .
(٨) شباة : حدّ .

فعلى قوافي الشعر حتى تنجلي شمسُ الضّحى منّي سلام القالِ[1]

وقال :

وغضبي في الرّضى بالتيه وسني وفترة لحظها نشوى القوام
نفت عن مقلتي نومي بوصلٍ وعن قلبي همومي بالمدام
فبتّ وعطفها في ضيق ضمٍّ كعطف الاعوجيّة في الحزام

وله :

عطر الماء نشرَ نورٍ وزَهْرٍ غازلته به ذيول النسيم
وتحلّت بهارها[2] الارض حتى حسدتها السماء ذات النّجوم

ومن قصيدة :

اسفّ[3] غيمٌ وعلا سيلهُ الـ راعبُ حتى التقيا بالنجادْ
فقد اعار الرّوض وسمّيْن[4] من الحاظ سعدى وثنايا سعادْ
تملّه وابقٌ[5] مزْجي النّدى ومُتّقى السطوة حتى التنادْ
واستجلّ[6] سحراً وارداً لفظه في حالةٍ سمع الفتى والفؤادْ

ومن اخرى :

وعزمٍ حمى عني المقام كأنّني أجوب به الدّنيا على قدم الخضر

---

(١) القالِ : الهاجر .
(٢) بهارها : خيرها العميم ، أو لبست حسنها وأخذت زينتها .
(٣) أسفّ : أكثر .
(٤) وسمين : الوسمي ، المطر .
(٥) وابق : مهلك .
(٦) استجلّ : من تجلّ أي ظهر وطلع .

ومن اخرى :

كفـى الفطـر في الاعياد فخـراً بأنّنا ... نزفّ لمغنـاك التّهانـي بالفطر
فعـاودَهُ ما حلّ الزمـان معاوداً ... وعامِـره ما امتـدّت به فسحـة العمر
أأفـرق ردّي دون قوتٍ أرومه ... ورأيك مجبـولٌ علـى طولك الغمر[1]
ولـو انّ للافـلاك مالك في العلى ... غدا بدرهـا كالشـمس والنجـم كالبدر
تعلّمـتُ قول الشعـر طفـلاً وصغته ... لكم اشيباً حتـى انقضـى فيكم عمري
فلا غروَ ان اسعفتمونـي بطايلٍ ... يثبّـت في ابوابـكم قدم الشكر
اذا كان خير الذخـر ابقـاه في الورى ... فانّ قريضَ الحمـدِ من اكرمِ الذّخر

ومن اخرى :

وربّ ليلٍ خضتـه رامياً ... حمـى ذراريه[2] بفجـرٍ مغيرْ
والشـرقُ قد مزّق ظلماءه ... خطّ عمـودٍ من صبـاحٍ منيرْ
كسـدّة الملك جلا ليلُها[3] ... عن افقهـا رأى الـوزير الخطيرْ
سمـا به الملك الـى ان غدا ... فِرق السُّهـى[4] تُرْبُ مقـرٌّ السريرْ

ومنها :

موّحـد السعـى اتـى مشبهاً ... للشـمس يعلـو قدرهـا عن نظيرْ
دلّ علـى انعامـه صيته ... كالبحـر يدعـوكَ اليه الخريرْ
فـي هيبـةٍ لا البـرقُ وافي الخطى ... فيه ولا الرّعـدُ خطيبٌ جهيرْ

ومنها :

وغايتـي ما يقنـع الحـظّ من ... نشـارة المتـرب نزرٌ[5] يسير

---

(١) الغمر : الثوب الواسع .

(٢) ذراريه : الذّرا : كل ما استُتر به .

(٣) جلا ليلها : أزاح وأنار الظلماء .

(٤) فرق السهى : أي مفرق الشعر فيها وهو رأسها والسُّهى كوكب في السماء والمقصود انّ السهى اصبحت مقراً لسريره .

(٥) النزر : الشيء القليل .

ومَــنْ يكن همُّــك في صدره   فالخلــقُ والدّهــر لديه حقير

ومن اخرى :

غدا جيشــه فضــلاً عليه كمــا غدا   له السيف فضــلاً جفنــه والحمايلُ
فمــا يرزق الاحــرار الاّ لعادةٍ   تحـكُّمُ انعــامٍ عليهــا ونائلُ
عزيزُ السّجــايا تعتــريه لجاجةٌ[1]   اذا لامــه في الجــود والبــأس عاذلُ
لئـن جهـل الاعـداء ما قد مُنوا به[2]   فانّ فراشَ النّــارِ بالنــار جاهلُ

ومنها :

وشـى بالــرّبيع الطّلــق ورقٌ هواتفٌ   تدانــى الثّـرى اغصانهــنّ المواثلُ
تميد بهــا في جانبيْهــا كأنّها   طلــي رجّحتهــا بالنّعــاس الرّواحلُ
يقبّــل بعض النّــور[3] افــواه بعضه   اذا اعتنقــت فيه الغصــون الشوايلُ
وتصطفــق الاوراق من نفس الصّبا   كمــا رفــرف الاطيار والليل قافلُ
سأشـكرك النُّعمــى الّتــي تركت يدي   يمــنّ بهــا صوب الحيا[4] وهــو آملُ
فســوف يبين العتـق[5] عنـدي بشكرها   كما بان عتق الطّرف والطّرف صاهلُ

وقال :

بــك استعتبــتُ أيّامــي قديماً   كمــا فزع الغــريم الــى الكفيلِ
بسابقــة اختصــاصٍ صار فيها   سبيل عشيرك الأدنــى سبيلي
شــريت بســالف الانعــام رقّي   ولــم تكُ بالملول المستقيلِ
فامّــا ان تعين علــى مقامٍ   وامّــا ان تعينَ علــى رحيلِ

---

(١) لجاجة : إلحاح ، أو عناد في الخصومة وتمادٍ بها .
(٢) منوا به : أصيبوا .
(٣) النور : الزهر .
(٤) صوب الحيا : المطر .
(٥) العتق : الشرف والنجابة وخلوص الأصل .

وقال :

ارضى بكلّ الذلّ في طلب الغنا　　　وأعاف بعض مذلّة الاقلالِ
كمن استراح الى العمى حذر العشى　　　والى المنيّة خوف شيب قذالِ[1]

ومن قصيدة :

زارتك ايامُ الرّبيعِ فاصبحت　　　مستعدياتٍ منك بثّ مواهبِ
بغمائم نشَرتْ على الحصباء كالـ　　　ـحصباء من قطرات وبلٍ[2] صائبِ
لبس الغصون النوْر وشياً واغتدا　　　درر القطار لها حلىّ ترائب
لفت منوّرها بمورقها الصّبا　　　لفّ العناق مطارفاً بذوائبِ
فتملّها والملك ما رقمت صبا　　　في الماء رقم حوافرٍ في لاحبِ
واستجلها تحف النفوس كأنّها　　　نجوى المنى وعدت بوصل حبائبِ
كأزاهرٍ بحمائلٍ ووسائطٍ　　　لقلائدٍ ومباسمٍ لكواعبِ

وقال يهجو ابا الفضل زيد بن محمد بن عليّ بن القاسم :

أأبا النقيص ففي الفضيل مزيّةٌ　　　اربابها عن لمْعِ برق جهامِ[4]
من همّةٍ لك ليس فيها فضلةٌ　　　عن كأس مشمولٍ واير غلامِ
تبدي اللواط بهم فلم تختارهم　　　بفياشلٍ[5] زقّية الاورام
وزعمت تعفجهم[6] فلم خرجوا وقد　　　رفعوا ذيول القمص من قدّام

في فخر الملك وزيرالوزراءابي غالب محمد بن علي :

ما جاد بالوفر الاّ وهو معتذرٌ　　　ولا عفا قطُّ الا وهو مقتدرُ

---

(١) قذال : العيب .
(٢) وبل : المطر .
(٣) في لاحب : في طريق واضح .
(٤) جهام : اسوداد ـ تجهُّم .
(٥) فياشل : ذكر الرجل ، قضيبه .
(٦) تعفجهم : العفج الضرب بالعصا وهنا : يلوط بهم .

وكلّمـا طرقـوه زاد نائلهُ كالنّـارِ يؤخـذ منهـا وهـي تستعرُ

وله :

قـد قلـت لمـا ضعفَـتْ حيلتي واشتـدّ شوقـي وجفانـي الخليل
اصبحـتُ مكروبـاً[1] بدار الهوى فحسبـي الله ونعْـمَ الوكيل

٧١ ـ ابو مَنْصور عَبْد العزيز بن طلْحة بن لُؤْلُؤ

صاحب بريد الخليفة القادر بالله ، من مشهور قوله السائر :

سألتـه قبلـةً فبـادر بالتّـ ـقبيل مستبشـراً الـى قدمي
فقلـت مولاي إنْ اردت بها سرور قلبـي جعلتهـا لفمي
فقـال كلا للعبـد منزلةٌ لزومهـا من حراسـة النّعمِ

وله من قصيدة في القادر عند جلوسه للحجيج :

عش سليمـاً اخرى اللّيالـي البواقي لك من سطـوة الحـوادث واقِ
يا . بديعَ الفعـالِ بين ملوكٍ ذكرهُـم نافـدٌ وذكرك باقِ
نظـر الله للعبـاد فولاّ ك واعطـاك قسمـةَ الأرزاقِ
أيهـا القـادرُ الـذي فوق قرنِ الشّـ ـمس في بعدهـا وفـي الاشْراقِ
انـتَ للمجـدِ هضبةٌ رُتَـب النا س اليهـا في المكرمـات مَراقِ[2]
طال ما فتّ طالبيك وغبر ت قديمـاً في اوجـه السبّاقِ
وعمـرت البيت الحـرام واهديـ ـتَ اليه طرائف الآفاقِ
يسـلك الـرّاكب المـكلّ اليه وهـو فردٌ من امنـه في رفاقِ
انمـا وارثُ الخلافـة من سا س الرّعـايا باللّين والاشفاقِ

---

(١) مكروباً : حزيناً .

(٢) مراقِ : درجات ، أي ان الناس تحاول أن ترقى لتصل اليها .

هذه بردة النبيّ التي كا ... نت الى منكبَيْك بالاشواقِ
والقضيب الذي يحنّ الى كفّـ ... ـك لا بل يتوق كلّ متاقِ[1]
في يفاعِ السَّرير اروع ما تعـ ... ـلق فيه الألحاظ غير استراقِ[2]
اشبه الناس بالنبي ابي القا ... سم في خلقه وفي الاخلاقِ
يرعد القلب والفرائض خوفاً ... بين فسطاطه[3] وبين الرّواقِ
فلو انّا نستطيعُ بين السّماطيـ ... ـين[4] مشينا له على الاحداقِ

وله في فخر الملك ابي غالب :

اطال الله عمرك للمعالي ... وكفك للعطيّات الرّغابِ
ولا زالت سيوفك كلّ يومٍ ... تحكَّمُ في الجماجم والرّقابِ
فانك اكملُ الثقلَيْنِ طرّاً ... واكرمُ مَنْ مشى فوق التّرابِ

ومن كلامه :انّ النعمة لا تستدام بمثل الانعام، والقدرة لا تستبقي بمثل العفو . ودعا لصديقٍ له فقال : صان الله عن سماع المكاره سمعك وعن البكاء على الاحباب دمعك .

٧٢ ـ ابنُ أبي مُرَّة المكيّ

يقول في ابي الفتوح والي مكة :

يا سيداً فديتُه بروحي ... خولّك الله ابا الفتوح
ملك سليمان وعمر نوح

---

(١) كل متاقٍ : كل اشتياق وتطلع .

(٢) استراق : نظر مستخفياً ، واليفاع : الترعرع والغلام قارب البلوغ .

(٣) الفسطاط : بيت من الشعر .

(٤) السماطين : بين جانبي الطريق او ما يبسط ليوضع عليه الطعام .

ويقول عند مقامه ببغداد:

أاصـــوم شهــراً ثم اخــرجُ غادياً ... نحــو المصلّــى اقطــعُ الأميالا
فيجرُذا ثوبــي واجــذب ثوب ذا ... وازاحــم السّقّــاطَ والأنذالا
شربــي صبوحــاً واستماعــي قينةً ... اولــى بانْ القــى به شوّالا

ويقول في أبي خلف التكريتي :

رأيت ابــا خلفٍ راكباً ... وقدّامــه تحمــل الغاشيهْ[1]
فلــم ادرِ أيُّهمــا لحيةٌ ... ولــم ادرِ ايُّهمــا الغاشيهْ

٧٣ ـ ابو حَمْزَة الذُّهَلي

من اهل الطائف المقيمين بالعـراق شاعـر مليح الشعـر ظريفـه ، انشدنـي القزويني له من الغزل :

ومســتبيحٍ لقتلي ... ما ان يمـرّ ويحلي
ســنوه عشــرٌ وخمسٌ ... كالبــدرِ عنــد التجلّي
مصححــي حين يدنو ... وفــي التنائــي معلّي[2]
مــا شوّش الصّــدغ الا ... لكي يشــوّشَ عقلي

وله :

اظهــر الكبــرياء تيهــاً وزهواً ... فتلقيتُــه بذلّ الخضوعِ
وحبانــي ربيع خدّيه بالور ... د فامطرتُــه سحــابَ دموعي

وانشدني ابو طالب الطبري له في حمى رئيس ثم وجدته في شعر الرّستمي من

(١) الغاشية : الغطاء والمصيبة وسورة من القرآن الكريم .
(٢) معلّي : ممرضي .

قصيدة ولم اسمع في معناه احسن وابدع منه :

وزائـرةٍ اتـت من غير وعدٍ ... لتأخـذَ منـك حظّـاً من نوالِ
هي الحمّـى التـي تضْحـي وتُمسي ... علـى ليث الشّـرى في كلِّ حالِ
رأت سطـواتِ بأسـك في الأعادي ... فظنتـك الهزبْـرَ[1] من الرّجالِ
فلمـا فاح عرفـك من بعيدٍ ... تولّـت بانكسـارٍ وانخذالِ

٧٤ ـ أبو شبْل الشعيري

من باب الشعير يتطيب ويتماجن ويشعر وسأله بعض من يعاديه عن دواءٍ لعينه العليلة فقال خذ ورق الحجارة وغبار الماء وعصارة الشمس ودهن الجليد واجعلها شيافاً[2] واكتحل به ، وانشدت له شعراً لم يعلق بحفظي منه الا اوّل بيت :

اذا ما متّ فلتمطـر فؤوسٌ ... ولا برحـت عراقـكم النحوس

وذكر علّة رئيس كان يعالجه فقال : هي بيضة الدّيك وواحدة الدّهر وساقة الجيش وخاتمة السقم . العصفري يقول في السلامي :

رأيت في الجامـع حوّاقة[3] ... في وسطهـا شيخٌ له شأنُ
عليه طرطورٌ ودرّاعة ... لهـا ذيولٌ وجربانُ
فقلـت من هذا العـظيم الذي ... كأنّـه في التّيهِ سلطانُ
أجـاءَه جبـريل عـن ربّـه ... أمْ عنـده وحـيٌ وتبيـانُ
فقيلَ هـذا شـاعـرٌ مفلقٌ[4] ... لـه امـاديحٌ وديـوانُ

---

(١) الهزبر : الأسد الضخم .
(٢) شيافاً : زينة .
(٣) حوّاقة : جماعة من الناس في شكل حلقة .
(٤) امفلقٌ : بارع مشهور .

فقلت امرؤ القيس فقالوا صه[1] فقلت هذا الشيخ حسّانُ
قالوا ولا حسّان هذا اذاً قلت فذو الرّمةِ غيلانُ
قالوا السلاميّ فقلت اطبقي ذا محلبان الضّرع لبّانُ
الشّعر لا يسوى ولا أهله هذا فلِمْ ذا الشّيخ غضبانُ
وإنما الشاعر مستنزهٌ تلهو به النفسُ وبستانُ
اما مجيدٌ فهو مسترفدٌ أو باردُ الشّعر فصفعانُ

٧٥ ـ أبُو مُسلم الْجُهَنيّ

يقول :

امهد لنفسك يا أبا الفيّاض واعلم بأنك عن قليلٍ ماضِ
ويحوز مالَكَ وارثٌ للمال أو موصىً إليه أو وكيل القاضي
إنّ الكبير إذا تناهت سنّه أعيتْ رياضته على الرّوّاضِ[2]

ويقول :

وإذا بليتَ بجاهلٍ متحكّمٍ يجد المحال من الأمور صواباً
أوليتُهُ مني السّكوت وربّما كان السّكوتُ عن الجواب جواباً

وله :

أتيتُ أخاً لي في حاجةٍ وكنتُ عليه خفيفَ المؤنْ
فانكر معرفةً لم تَزَلْ وأبدى مناكرةً لم تكُنْ
وقال وجاهدني ودّه أبو مَنْ وممّن ومَنْ وابْنُ مَنْ

---

(١) صهِ : اي اسكت .
(٢) رياضته : أي ترويضه حتى يذعن وينقاد .

٧٦ - أبو الفَضْل الْفَضْلي الْكُسْكَريّ

قال يهجو :

عينـــاه عنـــوان شوم ٍ والشـــومُ في العنـوانِ
فـــي صلـــب آدم سمي مبشّـــر الأحـزانِ

وقال يحكي عن ماجنةٍ ظريفة دواء الخمار :

يا لعيّارةٍ تقصّـــر للعا شق بالظّـرف والنــوادر يومَهْ
سُئِلَـــتْ عن دوا الخمَـــار فقالت كومـــةٌ ثمّ نومـــةٌ ثم عومهْ

وأنشدني له من لا أثق به :

كلّ أمـــرٍ وإنْ تضـــايق جداً فلـــه بعـــد ما تضـــايق فسْحَهْ
فارجُ كشف البـــلاء عنـِــك وشيكاً إنّ كشفَ البـلاء في قدْرِ لمْحَهْ

٧٧ - أبو قَيْس التَّيْمي

من أهل النهروان ويقال من أهل الحيرة احد الظرفاء المجان ولشعره حلاوة وطلاوة كقوله :

نزلـــت علـــى أبـــي سعـــدٍ فحيّى وهيّاً عنـــده فرش المقيل
وقـــال علـــيّ بالطّبـــاخ حتى يزيد مِن البـــوازد والبقول
فغدّانـــي برايحـــة الأماني وعشّانـــي بميعـــادٍ جميل

وقوله :

ســـوءَةً سوءَةً لوجـــه كتاب كلّ ألفاظـــه لديَّ زيوفُ
وكأنّ الحـــروفَ منـــه سياطٌ وكأنّ السطـــورَ منـــه سيوفُ

وقوله :

عـــدّ عمـــن شئـــت واندمْ تربـــحِ الأمـــنَ وتسلمْ

مـا يسـاوي من اخلا ثك انسـانٌ بدرهمْ

٧٨ ـ أبو الْخَطَّاب مُحَمَّد بن عليّ الْجَبَليّ

هـو حيٌّ يرزق وشعـره عذبٌ متناسـبٌ ومـدح الشيخ أبـا بكر القهستاني أيّده الله فاطنب واللّهى تفتح اللّها وأعطاه ديوان شعره بخطه فشاركني في فوائـده كعادته في غيره فاخترت منها قوله في قصيدة :

رويدك قد أصبحـت جاراً لأحمدٍ وحسْب امـرىءٍ ان يسـتجير بجارهِ
لأفضـلُ مَنْ يُغشـى[1] على بعْـدِ داره وأكرمُ مَن يُعْشـى[2] إلـى ضوء نارهِ

ومنها :

ليهنـك عيد بالسَّعـادات طالعٌ طلـوع حبيبٍ مسـعفٍ بِمزارهِ

ومن أخرى :

توالـت سعـودي حين واليت مجده وفرّغـتُ قلبـي إذ ملأت به كفي
صفـا خلقـه للمكرمـات من القذى[3] فأضْحَـتْ له العليا موذنـة تصفي
يدلّ علـى علياه حسـن ثنائه كذلك فضـل الـطّيب يُعـرف بالعرف

ومن أخرى :

معلّلٌ لي بوعـدٍ غير منجزه ومطمـعٌ في وصـالٍ غير باذله
ومستحـلٌّ بسيف اللّحـظ سفـك دمي أحبـب بذلك من سيفٍ وحامله

ومن ربعيةٍ :

ورياضٍ مختالـةٍ من ثراها في برودٍ من زهرهـا وعقود

---

(١) يغشى : يطلب ويعصد .

(٢) يعشى : أي يستضي بنوره والأعشى : من ساء بصره بالليل والنهار .

(٣) القذى : ما يجري من وسخ في مدمع العين .

وكأنّ الغصـون فيهـا عوانٍ(١) تتبـارى زهـواً بحسـن القدود
وكأنّ الأطيار فيهـا قيانٌ تتغنّـى في كلّ عودٍ بعود
وكأنّ المياه في خلل الرّو ض سيوفٌ تُسَـلّ تحـت بنود
وكأنّ النـوار تغمـز بالأعـ ـين منـه علـى ابنـةِ العنقود

وله من قصيدة يهنيء بعض الرؤساء بالسلامة من نهب الغاغة داره :

تـدلّ علـى تفضـلك الرّعايا كادلال العبيد علـى الموالي
ولـولا شبهـة دخلـت عليهم لمـا عرضـوا لديك لنهـب مالِ
إذا سوّغـت مالك كلّ عافٍ توهّـم سايغـاً في كلّ حالِ
فـلا يطمـع ترفّقـكَ الأعادي فإنَّ اللّيث يلبـد للصيّالِ(٢)
ولا تستقصـرَنَّ فربَّ حلمٍ عن الأعـداءِ أبلـغ من نكالِ(٣)
ومـا ترضـى مسـاعيك انتصافاً من السُّفهـاءِ إلاّ باحتمالِ
إذا وقـع القصـاص على التّساوي فمـا فضـل العـلاءِ علـى السُّفالِ

ومن أخرى في التهنية بالمصاهرة :

موهبـةٌ لم تزل لسؤددها تسمـو الأمانـي وتطمـح الهممُ
وعقـد مهـرٍ جمـال مفخره أولـى به أن يهنـأ الكرمُ
فيا لهـا وصلـةً اليك بها ظلّـت وفـود السعـود تزدحمُ
الـى علاهـا الفخـار منتسبٌ وعـن سناهـا الزّمـان مبتسمُ
مجـدٌ حوى كفـوه وما اقتـرن السـ ـعـدان إلاّ تلاقـتِ النعمُ
لمّـا امـرت عقـود لحمتها ظلّت عرى الحادثـات تنفصمُ(٤)

---

(١) عوانٍ : طويلة مياسة والعوانة النخلة .
(٢) الصيَّال : الوثوب والحركة .
(٣) نكال : من التنكيل أي الاعارة والقتل .
(٤) عرى الحادثات تنفصم : أي ما يجمع بين أطراف الأحداث يتلاشى ويزول .

إنْ كان وقفاً عليك مفخرها فسعدها في الأنام مقتسمُ

٧٩ ـ أبو يعلى محمّد بن الحسن البَصْري

من شيوخ الصوفية وظرّاف الشعراء وفضلاء الغرباء وخلفاء الخضر والأقذاء في عين الأرض قد نقب في البلاد ولقي أفاضلها واستكثر من فوائدهم وحفظ الغرر من ظرائفهم ولطائفهم وطرأ على نيسابور في سنة احدى وعشرين وأربع مائة فأفادنا مما لم نجد عند غيره وعرف الأمير أبو الفضل أيّده الله تعالى حق فضله فأكرم مثواه وأحسن قراه كعادته عند أمثاله واستكثر عند كتابه وأصحابه من تعليق فوائده والاقتباس من نوره وحين اراده الأمير على الاقامة بحضرته وازمع[1] ارتباطه في جملته لم يصبر عما ألفه من الاضطراب في الاغتراب وتعوّده من عيش الحجرة وخبز السفرة وتزوّد من برّه وكتبه وانقلب مسروراً إلى أهله فمن ملح ما انشدنيه لنفسه قوله من قصيدة في المدح هي غرة شعره :

طربوا الى نغم القيان فبذّهم طربٌ الى نغم الوغى مرتاحُ
تمحو دجى الاعدام راحةُ كفّهِ كرماً كما يمحو الهمومَ الرّاحُ
يا ناصرَ الملكِ الذي آراؤه في كلّ خطبٍ مظلمٍ مصباحُ
قبّلت ثغراً من مديحك نشرهُ[2] كالمسك فاح وطعمه التّفاحُ

ومن أخرى :

يا أبا القاسم الّذي قسم الرّحـ ـمن من راحتَيْه رزقَ الأنام
أنا في الشعر مثلُ مولاي في الجو د حليفا مكارمٍ ونظام
واذا ما وصلتني فأمير الجـ ود اعطى المنى أمير الكلام

---

(١) أزمع : قرّر .
(٢) نشره : عبقه وفيحه .

وقوله من أخرى :

إذا المجدُ وافانـي[1] فليس بضائري نفـور العـذارى من بياض عذاري[2]
عفوتُ عن اللّيل الطـويل بذي الغضا لمـرّ ليالٍ بالشآم قصار

وقوله في دواة آبنوسٍ :

ومغموسـةٍ في مثـل لون لعابها يضـمّ حشاهـا ساكتـاً متكلّما
علـى مثـل قيد الشّبـر لكنّ بأسه إذا طال طال السمهـري[3] المقوّما
قرنـت به همّـاً بعيداً وهمّةً شروداً وفضـلاً كامـلاً متقدّما

وقوله في عجوزٍ أكول :

لي عجـوزٌ كأنّهـا الـ ـبـدر في ليلـة المطرْ
ناطـقٌ عن جميع أعـ ـضائهـا شاهـدُ الكِبَرْ
غير أضراسهـا ففيـ ـهـا لذي اللّـب معتبرْ
اعظـمٌ غير انّها أعظـمٌ تطحـن الحجرْ

٨٠ ـ أبو الحسن عليّ بن غسَّان البَصْري

حدّثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفسويّ النحوي قال ورد ابن غسّان البصري الشاعر الطبيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة الشعراء الّذين امتدحوه ومرض أبو مضر في أثناء ذلك فعالجه ابن غسان حتى برأ من مرضه فكتب للشعراء ولابن غسان خطوطاً بصلاتٍ تأخّر ترويجها فقال فيه وملح وظرّف :

هـبِ الشعـراء تعطيهـم رقاعاً مزوّرةً كلامـاً عن كلامِ

(١) وافاني : طلبني ونلت منه .
(٢) عـذاري: أي الشعر الذي يحاذي الأذن من جهة اللحية وفي البيت جناس تام .
(٣) السمهري : الرمح الصلب العود .

فلِمْ صلةُ الطبيب تكون زوراً وقد أهدى الشفاء من السّقامِ

قال وكتب الى طلحة بن عبد الأعلى يحاجيه :

زعموا طلحة اضحى فطناً فسلوه الآن إنْ كان فطنْ
أيَّ شيءٍ هو مهزولٌ إذا اشبعوه فإذا جاع سمنْ

فكتب إليه يا سيدي أبا الحسن هو ما خرجنا منه .

تتمة القسم الثالث

في

محاسن أهل الري وهمدان واصبهان

وسائر بلاد الجبل وما يجاورها
من جرجان وطبرستان

٨١ ـ الأمير أبو العبّاس خسره فيروز بن ركن الدّولة

قد سبق ذكره في كتاب اليتيمة(١) وتكرّرها هنا للعذر الذي أشرت إليه وكان أوحد ابناء الملوك فضلاً وأدباً فأدركته حرفة الأدب واصابته عين الكمال ولما خافه أخوه فخر الدّولة على الملك بعده أمر باغتياله نظراً لولده ولم يعلم انّ المكرالسيىء لا يحيق إلا بأهله وان الملك لا يلبث ان ينتقل بعده الى من قدّره الله له وقد كتبت لمعاً من شعر أبي العباس يلوح عليها رواء الملك كقوله من قصيدة :

إنّـي أنـا الأســد الهزبـر لدى الوغى ... خِيســي القنــا(٢) ومخالبــي أسيافي
والدّهــرُ عبــدي والسَّماحــة خادمي ... والأرض داري والــورى أضيافي

وله في الشيب وذكر جاريةٍ له تسمى الثريّا :

ولمّا أن تنفس صبح شيبي ... طوى عنّـي رداء الحســنِ طيّا
تولّــت مُنيتــي عنّــي فراراً ... ترى وصلــي لدى الفتياتِ غيّاً(٣)

---

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٨٧ .
(٢) خيسي القنا : رماحه من الشجر الكثيف الملتف . موضع الاسد ايضاً .
(٣) غيّا : ضلالا وباطلا .

فقلتُ هجرت يا سولي فقالت ... وهل تبقى مع الصُّبح الثريّا

وقوله أيضاً في الشيب :

ولمّا رأتْ لمعَ المشيبِ بعارضي ... وقد جرّدت من جانبيْهِ قواضبهْ[1]

بكت ثم قالت للعذارى تجلُّداً ... وما خير ليلٍ لا تلوح كواكبهْ

وقوله فيه ويروى لغيره :

وقالوا أفِقْ عن رقدة اللّهو والصِّبا ... فقد لاح صبحٌ في دُجاك[2] عجيبُ

فقلت أخلائي دعوني ولذّتي ... فإنّ الكرى عند الصَّباح يطيبُ

وقد سرقه من ابن طباطبا حيث يقول :

وقالوا لي استيقظْ فصبحُك لايحٌ ... فقلت لهم طيب الكرى[3] ساعة الفجر

ولأبي العباس :

أنا ابنُ ركن الدّولةِ المجتبى ... لا تهمس الأقدار من خوفِهْ

عدوُّهُ اهلك من ماله ... وعزمه انفذ من سيفِهْ

وله :

لئن ملك الدّنيا على الجَوْرِ قبلنا ... ملوكٌ فما للعالمين لنا مِثْلُ

وإنْ سقاةَ الشُّرب لا عن كرامةٍ ... إذا دارت الصَّهباء[4] تشرب من قَبْلُ

وله أيضاً :

سأصبرُ حتى يجمع الله بيننا ... ولم أرَ حوتاً فارق الماء يصبرُ

---

(١) قواضبه : مفردها : القاضب، وهو السيف الشديد القطع.

(٢) دُجاك : ظلمتك ـ ليلك .

(٣) الكرى : النعاس .

(٤) الصهباء : الخمر .

وله من قصيدة :

تراهـم تحـت جنـح النَّقـعِ[1] أسداً تهمهـم في معاركِهـا غِضابا
تقـول له العـداة إذا تراءت ألا يا ليتنـا كنّـا ترابا

وحدّثني أبو غانم معروف بن محمد القصري قال اشتطّ بعض المنجمين على أبي العباس في مشاهرته وقد أراد ارتباطه واستخلاصه لنفسه فلما أشرف ولجّ واحتجّ وأصرّ على أنّه لا يقنع في الشهر بأقلّ من مائة دينار نكت أبو العباس بأن قال إذا كان الظنّ يخطىء ويصيب والنجم يخطيء ويصيب فاستعمال الظنّ أولى فهو اخفّ مؤنة من المنجم قال ولما بلغه أنّ فخر الدّولة يتهمه باضمار السؤلة قال ليته يعلم انّ شجر الآس يرضى من الفاس رأساً براس .

٨٢ ـ القاضي أبو بكر عَبْد اللّهُ بن محمَّد بن جَعْفر الأسْكي[2]

قد تضمن كتاب اليتيمة[3] نبذاً يسيراً من شعره وهذا مكان ما وقع إليّ من بعد كقوله وهو غاية في الظرف وانشدنيه أبو الفتح محمد بن احمد الدَّباوندي أيّده الله تعالى قال انشدني القاضي أبو بكر الأسكي لنفسه :

دمـعٌ تكمـن في الجفـون فرعته حذر الوشـاة فلاذ بالأشفار
فكأنّ أسيافَ الغـواةِ تكدّه وكأنّـه عثمـان يوم الدّار

فتعجبت من مواردتي إيّاه بقولي منذ عشرين سنة :

انّـي بليت بسيدٍ كالدّهـر إذ ينحـى بسطوتـه علـى الأحرارِ
فـرط الفظاظـة[4] والصلابـة دأبُهُ وأنـا لديه بذلـةٍ وصغارِ

---

(١) النقع : الغبار الشديد .
(٢) وفي الاصل : اللاسكي وفي اليتيمة ج ٣ ص ٢٨٨ : الاسى ، انظر ما كتبنا عنه في هامش ص ٢ .
(٣) اليتيمة ج ٣ ص ٢٨٨
(٤) فرط الفظاظة : إكثارها

فكأنّــه عمــر بن خطــاب اذاً　　وكأنّنــي عثمــانُ يوم الدّار

ولم أشك في أنه لم يسمع بقولي كما لم اسمع بقوله وحسبت قولـي امثـل وأرجح لجمعي بين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما وما أشبه الحـال في هذه الموارِدة الا بمواردتي أبا الفرج بن هند و بقولي في صباي من نتفة :

إنســانةٌ　　فتّانــةٌ　　بدر الدّجــى منهــا خَجِلْ
إذا زنــت عينــي بها　　فبالدّمــوع تغتسِلْ

ثم وقعت اليّ قصيدة له وفيها :

يقولــون لي ما بال عينــك مذ رأتْ　　محاســنَ هذا الظّبــي أدمعهــا هطلُ
فقلــت زنــت عينــي بطلعــة وجهه　　فكان لهــا من صوب ادمعهــا غسلْ

وكنت قلت في صباي أبياتاً منها :

كم حيلــةٍ للوصــل اعملتُها　　وكم خداعٍ قد تمحّلتهُ
اســرُّ حســواً[1] في ارتغــاءٍ[2] إذا　　ناجيت من اهــوى فقبّلتهُ

فأنشدني الأستاذ أبو العلا ابن حسول أيّده الله بعد مدّة طويلة لنفسه في هذا المعنى بعينه :

جذبــت كفــي الغدائــر منه　　فشممنــا منهــا نسيم العرار[3]
الثــم الصّــدغ والسّــوالف منه　　احتجاجــاً بأننــا في سرارِ[4]

فتعجبت من اشتراك الخواطر والتـوارد في البـدايع . عاد شعـر القاضـي أبـو بكر الأسكي انشدني أبو الفتح الدّباوندي له في زوال الدولة وانقراض اهلها :

---

(١) حسواً : ترباً ، والحسوة هي الجرعة .
(٢) ارتغاء : اخذ ما عليه من الرغوة .
(٣) العرار : نبت طيب الرائحة .
(٤) سرار : خفاء .

تخيل شدّة الأيام لينا وكن بصروفِ دهرك مستهينا
أَلَمْ ترَ دورهم تبكي عليهم وكانت مألفاً للعزّ حينا
وقفنا معجبين بها الى أن وقفنا عندها متعجِّبينا

وله في فتى مليح صلّى الى جنبه :

صلّى بجنبي قمرٌ طالعٌ وقد توجَّهت الى القِبلهْ
فقال شيطان التّصابي انحرفْ فإنّ هذي قبلة القبلَهْ

وله في الغزل أيضاً :

لما لحاني[1] العُذّال قلت لهم والدّمع ينظمُ[2] والصَّبر مبثوثُ
مرّوا دعوني كذا على أسفي بيني وبين الهوى أحاديثُ

وله في الصاحب :

كلّ برٍّ ونوالٍ وصلهْ واصلٌ منك الى المعتزلَهْ
يا بن عبادٍ ستلقى ندماً لفراق الجيرة المرتحلَهْ

٨٣ ـ أبو علي مسكويه الخازن

في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد مختصاً به وفيه يقول هذين البيتين ووقعا في اليتيمة بلا ثالث[3] :

لا يعجبنْكَ حسن القصر تنزله فضيلة الشّمس ليسَتْ في منازِلها
لو زيدَتْ الشّمسُ في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً في فضائِلها

ثمّ تنقلت به أحوال جليلة في خدمة بني بويه والاختصاص ببهاء الدولة وعظم شأنه

---

(١) لحاني : لامني .
(٢) ينظم : ينهمر ، ينذرف .
(٣) اليتيمة ج ٣ ، ص ٧ .

وارتفع مقداره وترفع عن خدمة الصاحب ولم ير نفسه دونه ولم يخلُ من نوائب الدّهر حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء :

من عذيري من حادثات الزّمان ... وجفاء الاخوان والخلاّنِ
شاب رأسي وقلّ مالي وصدّتْ ... عني البيض والتحى غلماني

وله من قصيدة في عميد الملك تفنن فيها وهناه بإتقان الأضحى والمهرجان في يوم وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه أرذل العمر :

قُلْ للعميد عميد الملكِ والأدب ... اسعد بعيدَيْك عيد العُجْمِ والعربِ
هذا يشير بشرب ابن الغمام ضحىً ... وذا يشير عشياً بابنةِ العنبِ

ومنها :

خلايقٌ خيّرت في كلّ صالحةٍ ... فلو دعاها لغير الخير لم تجبِ
هي التي غمستني في مودّته ... بالجسم والرّوح أفديهن لا بأبي
اعدْنَ شرخَ شبابٍ لست أذكره ... بعداً وردّت عليّ العمر من كثبِ
فطاب لي هرمي والموت يلحظني ... لحظَ المريبِ ولولاهنّ لم يطبِ
فإنْ تمرّس بي خصمٌ تعصّب لي ... وإنْ أساءَ إليّ الدّهرُ أحسن بي

ومنها :

أدركْتُ بالقلم الخطّي من قصبٍ ... ما ليس يدرك بالخطى والقضب[1]
ونلت بالجدّ والجدّ اللّذين هما ... امنيتا كلّ نفسٍ كلّ مطّلب
فلو أدرتَ رحى[2] الدّنيا مفوّضةً ... إليك أقطارها دارت بلا قطب

ومنها :

وقد بلغت الى أقصى مدى عمري ... وكلّ غربيَ[3] واستأنست بالنوبِ

---

(١) بالخطيّ والقضب : بالرماح والسيوف .

(٢) رحى : الطاحون .

(٣) كلّ غربي : ضعف شبابي ونشاطي .

ومنها :

إذا تملأت من غيظي[1] على زمني ... وجدتني نافخاً في جذوة اللّهبِ

ومنها :

ما الدّهرُ إلاّ كيومٍ واحدٍ غدهُ ... كأمس يومك والماضي كمرتقبِ
فإنْ تمنّيتَ عيشَ الدّهر أجمعه ... وإنْ تعاين ما ولّى من الحقبِ
فانظرْ الى سير القوم الّذين مضَوْا ... والحَظ كتائبهم من باطنِ الكتبِ
تَجدْ تفاوتهم في الفضل مختلفاً ... وإنْ تقاربتِ الأحوالُ في النّسبِ
هذا كتاجٍ على رأسٍ تعظّمه ... وذاك كالشّعَرِ الجافي على الذّنبِ
والناس في العين أشباهٌ وبينهم ... ما بين عامر بيتِ الله والخربِ
في العود ما يقرن المسك الذّكيّ به ... طيباً وفيه لقىً ملقىً مع الحطبِ
لا تطلبوا المال من حولٍ ومن حيلٍ ... فربّما جاء مطلوبٌ بلا طلبِ
يأتي الفتى رزقه المقسوم عن سببٍ ... بادٍ يراه وقد يأتي بلا سببِ
واستخصموا الفلكَ الدوّار يلقكم ... بحجتي رغبٍ إنْ شاء أو رهبِ
أراه يسكن عني وهو يركض بي ... ركضَ الفوارس بالتقريب والخببِ[2]
كالنّار تأكل ما تحيى به لهماً ... وليس تفرق بين النّبع والغربِ
أصبحت أجرد والأحداث تجردني ... دأبَ الجراد اذا استولى على العشبِ
وصرت ديناً على الدّنيا لآخرتي ... رسل المنايا تقاضاها وتمطل[3] بي
قاسيت أحوال هذا الدّهر مرتكباً ... أهوالها وصريعاً غير مرتكبِ
ومَنْ تعوّد عضّ السيف هامتُهُ ... هانت على إليتيه عضّة القببِ[4]

---

(١) غيظي : غضبي .
(٢) الخبب: نوع من الجري ، وحباب الماء والرمل : معظمه أو طرائقه او فقاقيعه .
(٣) تمطل : تؤجّل وتسوّف .
(٤) القبب : ما بين الوركين أو الإليتين من اللُّجم .

وهي طويلة وكأنّه جمع إحسانه فيها ، وكتب الى أبي العلا بن حسول قصيدة منها :

ولقـد نفضـت بهـذه الدّ نيا يدي وحسمـتُ داءي
مـاذا يغرّنـي الزّما ن وقـد قضيت به قضاءي
أو بعـد ما استـوفيت عمـ ـري واطّلعـت علـى فناءي
أصطـاد بالـدّنيا وينـ ـصـب لي بهـا شرك الرَّجاءِ
هيهـات قد أفضيت من صبـح الحياة الـى المساءِ
وبلغـت من سفـري الى اقصـاه مذمـوم العناءِ

وله من قصيدة في أبي العباس الضبي كأنّها قول ابن الرّومي :

ما كان أغنـى أبـا العبـاس عن شرهٍ الـى لحـوم سبـاعٍ كُنَّ في الأجمِ
يسترجـع القـوت أمضـاه سواه لنا لومـاً ويبذلـه للشاء والنِّعمِ
صبـرت حَوْلاً علـى مكروه نقمته فليصبـرِ الآن لي حولاً علـى النّقمِ
سيعلـم الوغـد إنْ لم تؤت فطنتهُ من كثـرة الهـمّ أو من قلّـة الفَهَمِ
انـي لألقـاه ممـا استعـدّ لهُ بكلّ عجـراء[1] لكن ليس من سلمِ
إذا خبطت بها عرض امرءٍ لججَتْ[2] في سمعـه يده شوقـاً الـى الصَّممِ

ومنها :

إذا اضطجعْتُ أتاني الشِّعرُ يقدح لي من ناره وأتانـي الليل بالفحم
وصائـغ الشعـر لا يرضـى سبيكته حتـى يفرّغهـا في قالـب الحكم
يُصـبُّ في مسـمَعَيْه ما أذيبَ له كالقطـر أفرغـه البانـي علـى الرّدمِ
إذا تورم غيظـاً ضاق مضرطه حتّـى يوسعـه الاطـراق للنّدمِ
إني وإنْ كنت لا أرضى الخنى[3] لفمي ولا أحـطّ لقـول فاحشٍ هممي

---

(١) عجراء : العقدة في الخشبة او في الجسد .
(٢) لججت : علقت ، وبزمت .
(٣) الخنى : الكلام الفاحش البذيء .

ليستريح الي القول احوجه ... حرّ السكوت الى الترويح بالنّسمِ
إنّ القوافي كفتني نظم أنفسها ... فهنّ ينظمْنَ لي من كلّ منتظمِ
تدنو شواردها حتى يغصّ لها ... ذهني فانفضها منه على قلمي
خُذْها اليكَ أبا العباس جامعةً ... شنعاءَ[1] توقدُ نار الهجرِ في علمِ
لقيتني بوقار العلم محتشماً ... وهِجتني فَالْقَ جهلي غير محتشم

ومنها في هجاء الصاحب بعد موته بزمان :

لا كان اير ابن عبّاد وغلمته ... ما كان اسرعه في كلّ مغتلم
دمى جبين أبي العباس فهو يرى ... تقيير كلّ جبينٍ واضحٍ بدم
أحفاه بالقلم الحافي وعلّمه ... خلاف ما علّم الرّحمن بالقلم
قد كان أهوج رثّاً العقل مقتحماً ... على الدّنيّات وقّافاً لدى التُّهم
ومَنْ يدر مثل عيني طيشه لمماً ... لم يرض من فخذ الأحداث باللّمم[2]
لأهدينّ لأفواه الرّواة له ... لحماً تمضّغه الأفواه عن بشم[3]

وختم القصيدة بقوله للضبي :

ما زلت مذ كنت سلاّحاً على كمر النّـ ... ـازي[4] عليك وبوّالاً على القدم

٨٤ - الأستاذ أبو سَعْد مَنْصور بن الحسين الآبي

هو الذي يقول فيه الصاحب :

قل لأبي سعدٍ فتى الآبي ... أنت لأنواع الخنى آبِ
الناس من كانون أخلاقهم ... وخلقك المعسول من آبِ

---

(١) شنعاء : قبيحة فاضحة .
(٢) اللّمم : اليسير من الذنب ، وفخذ الأحداث اي انه يعبّره بارتكاب الآثام مع الفتيان .
(٣) عن بشم : عن تخمة وسأم .
(٤) النازي : الميّال الى الفساد ، ونزا : وثب .

وتقلّد الوزارة بالري وكان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة وهو الآن في ولاية فضله وسروره وهناك من شرف النفس وكرم الطبع وعلوّ الهمة وعظم الحشمة ما الأخبار به سائرة والدلائل عليه ظاهرة ثم هو من أجمع أهل زمانه لمحاسن الآداب وأغوصهم على خبايا العلوم وله من المصنفات كتاب التاريخ الذي لم يسبق الى تصنيف مثله وكتاب نثر الدّر وله بلاغة بالغة وشعر بارع كقوله على طريقة أهل الحجاز :

على التلعات البيض من أبرق اللّوا ... تلألؤ برقٍ مثل ما ابتسمت سعدا
واتلع[1] ان ناش[2] الأراكة لم يدع ... لها فنناً سبطاً[3] ولا ورقاً جعدا
إذا وردتْ ماء العذيب ركائبي ... فقد اعشبَتْ مرعىً وقد اعذبَتْ وردا
يرفّ عليها الاقحوان غديّةً ... وقد علّه طلٌّ كدمعي أو أندى
هنا لك قومٌ كلّما زرت حيَّهم ... لقيت ابا سعدٍ به الطائر السَّعدا
عقائله يفرشْنَ بالورد طرقهُ ... لتوطئه ان جئته الفرس الوردا[4]

وكتب الى أبي سعد الزّنجاني وقد اصطحبا في استقبال وكانت مع غلام أبي سعد سفرة فردّها بعكمها الى المنزل وتركهم جياعاً ويقال إنّ هذه الأبيات فيما تشتمل عليه سفرة الزّنجاني احسن وأظرف من أبيات كشاجم فيما تضمنته جونته :

بئس المصاحبُ في السفَرْ ... مَنْ ليس يسمح بالسُفَرْ
يا سفرةً رجعَتْ على ... أعقابها تمشي الخمرْ
الوى بها ريب الزّما ... نِ ومَنْ يطيق يدا القدرْ
كم كان فيك من النّوا ... هض والدّجاج وما حضرْ
من لحم جدي ان نظر ... ت اليه امتعْتَ البصَرْ
فإذا كشطْتَ الجلد عنه ... كشفت عن بيض الحبرْ

(١) أتلع : الطويل العنق .
(٢) ناش : تناول ـ أخذ ـ طلب .
(٣) فننا سبطاً : غصناً مسترسلاً عزيزاً .
(٤) الورِد : مكان ورود الماء .

مـــا بين ارغفــه السَّميــ ـذ كمثــل دارات القمرْ
وقــدير سكبــاج[1] من الـ ـملحــاء أو زور البقرْ
قــد زعفــروه وقطَّعوا فيه مع البصل الجزرْ
كسبائــك العقيان قد قرنــت الــى اكر النقرْ[2]
يا حبّــذا تلك القطا ع وحبــذا تلك القدرْ
ومطــاول اللّفــات فيـ ـهــا مسبطــراً[3] ذا عجرْ
مثــل الايور بلا فيا شٍ والزّبــاب بلا كمَرْ

قد داعبه بهذا البيت لأنه كان ينسب الى الابنة :

والبيض مسلوقــاً على شكل اليتيمــة في الدّررْ
فمشــدّخٌ فيه كنسـ ـرينٍ يغــاديه المطرْ
ومنصفٌ كالنّــرجس الـ ـرّيان في وقــت السَّحرْ
ومدحــرجٌ من قشــر جو ز الهنــد تحــكيه الأُكَرْ
فيه من الملــح المطيـ ـب والأبــازير الأُخَـرْ
والجبــن والزّيتو ن واللّيمون وشيراز أغَرْ
ضحــك العيال لعودها ومشيت أبــكي في الأثرْ

وله في غلام هندي :

يا عائبــي بالهنــد إنّ فناهــم اضحــى بليّهْ
احرقــت نفســي في هوا ه لأنّ ذاك لهــم سجيّهْ
كالصّعــدة[4] السّمــراء غا در صعدتــي مثــل الحنيّهْ

---

(١) سكباج : مرق يتخذ من اللحم والخل .
(٢) أكر النقر : القطع المذابة من الذهب والفضة .
(٣) مسبطراً : مضطجعاً وعجر : عقد وهموم .
(٤) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج الى تقويم .

صنوا الألوّة واللآ لى والقنا والمشرفيّهْ
زين المجالس والموا كب والنّدامى والسريّهْ
في الحرب ليثٌ خادرٌ[1] والسّلم مخدرة حييّهْ
ملءُ المفاضة بكرة[2] ملءُ الحشية بالعشيّهْ
ما ان أخاف عليه نمّا ماً سوى وضح الثنيّهْ[3]

وكتب الى الأستاذ أبي العلا هذه القصيدة الكتابية من فيروز كوه يصف البرد الشديد ويذكر اصدقاه بالرّي ويجدّ مرة ويهزل اخرى ويفصح عن كلّ ظرف مليح ومزح لطيف وتدلّ على اقتدار وتوسّع وتجري القصيدة مجرى الكتاب :

يا كاتبي ألقِ الدّوا ة وقطّ حافية الاباءِ
ارهف يراعتك الّتي تزري مضاءً بالقضاءِ
وأجمع خواطرك الّتي اكـ ـتسبت ذكاءً من ذكاءِ
وانقع عليك دواتك الـ ـحرّى بنقسٍ[4] أو بماءِ
وتناولِ الدّرج الملطّـ ـف وانتخبْهُ ذا صفاءِ
واكتب لسيّدنا صفيّ الحضرتَيْنِ أبي العلاءِ
من عبده الآبيّ معـ ـطيه القياد بلا اباءِ
انعمْ صباحاً أيّها الاسـ ـتاذ وانعم بالمساءِ
وتملّ عزّاً دائماً مرخىً له طول الرّخاءِ
وابلغْ نهاياتِ المنى وتعدّ ارجاءَ الرّجاءِ
إنّي كتبت وقد لوت عضد السرور يد الثناءِ

---

(١) ليث خادرٌ : اسد مقيم في عرينه او خدره .
(٢) المفاضة : الواسعة يقال درع مفاضة أي واسعة .
(٣) الثنية : الأسنان التي في مقدمة الفم .
(٤) بنقس : الشراب حمض وفسد .

وأسالت العبرات من عيني   دمائي بل ذمائي[1]
والبين يخطر بيننا   وتجرّ اهداب الرّداءِ
متبخراً أي أنّني   أقضي وأظلم في القضاءِ
فكتبتِ من فيروزكو   ه مقر عزّي وارتقائي
من مورد الملك الأشمّ   ومصدر النعم الرّواءِ
لثلاث عشرة جزنَ من   شعبانَ يوم الاربعاءِ
عن نعمةٍ وسعادةٍ   ومزيدِ عزٍّ واعتلاءِ
وسلامةٍ لو لم يكدّ   رْها تراخي الالتقاءِ
والحمد لله الّذي   أولى الجزيل من العطاءِ
وعلى النبي وآله الصـ   ـلوات نامية الزّكاءِ
مالي كتبت وما اجبـ   ـت تنكُّباً سنن السّواءِ
أأنفت من ردّ الجوا   ب وما أنفت من ابتدائي
إنّي انتميت الى ولائـ   ـك فارعَ لي حقّ الولاءِ
ظهر اعتزازي باعتزاي   وبدا نماي بانتمائي

ومنها في وصف البرد :

في موضعٍ خفتَتْ[2] به الـ   أصوات برداً في النّداءِ
فالرّيقُ يجمد في اللّها   والصّوتُ يجمد في الهواءِ
نطأ[3] الزّجاج من الزّجا   ج إذا مشينا في فضاءِ
والجوّ يلمع في نوا   حيه ضريبٌ كالهباءِ
وكأنّما صقلَتْ به   بيض السُّيوفِ أو المراءِ
جمدت له الصّهباء حتـ   ـى قد أتتكَ بلا إناءِ

---

(١) ذمائي : بقية روحي
(٢) خفتت : استرخت وخفتت .
(٣) نطأ : نمشي وندوس .

فـإذا أردت خرطـتَ فصـّـ ـلك من رحيقٍ او طلاءِ
لـو عاين العـذرى مثـ ـوى قد رضيت به بوائي[1]
أو حلـه الهـاه عن حر الهـوى برد الهواءِ

ومنها :

فـالآن قل لي كيف أنـ ـت وكيف اخـوان الصفّاءِ
مـن كلّ مشبـوح[2] الذّرا ع مشيعٍ غمـر[3] الرّداءِ
سـامٍ تنـوس ذؤابتا ه[4] علـى شطـاطٍ[5] كاللّواءِ
واعـددْ فتـى زنجـان فيـ ـهـم فهـو عين الأصدقاءِ
فهـو السّـليم علـى انتفا دي والصّـحيح علـى انتفائي
عين الصـديق بلا امترا ءِ والشّـفيقُ بلا مراءِ
وعصابـة اخـرى احا شيهـم من الـدّاءِ العياءِ
ومعـاذ ربّـي ان يز نّ فقيه قومٍ بالبغاءِ
او أن يقـال لخـازن السـ ـلطـان لصٌّ ذو ارتشاءِ
بلّـغ جميعهـم السّلا م وقـل لقـاؤكم شفائي
لا تبلّغنـي ان كتبـ ـت سلام أولاد الزّناءِ
واليك الف تحيةٍ من حاجتـي لا بل كيائي[6]
مـن جَنتـي يوم التّلاقي جُنّتـي يوم اللّقاءِ
شـمس النّـدى اذا بدا أسـد الوغـا رشـأ الخباءِ

---

(١) بوائي : مقامي مقرّي .
(٢) مشبوح الذراع : مقيدّ .
(٣) غمر الرداء : كثير الأقذار .
(٤) تنوس ذؤبتاه : تكاد تنطفىء لقلّة الزيت .
(٥) شطاط : حسن القوام ـ الطول .
(٦) كيائي : لوعتي واحتراقي .

جـدّي وهزلـي منـه ما بين الغنـاء الـى الغناءِ
وأراك تشمـت إنْ عرفـ ـت دنـوّه للإلتحاءِ
رفقـاً فقـد زاد العذا ر برغمـكم ضعفـي بلائي
والشّاطـر العيّار بلّـ ـغـه سلامـي في خفاءِ
لا يفطنـنّ لذاك من تدري فيغـري بالجفاءِ
قمـرٌ كأنّ جبينه فلـق العمـود من الضّياءِ
أفـديه بالعمـر العزيز إنِ ارتضانـي للفِداءِ
أبلغـه مالكتـي ونيـ ـلك بالرّسـول من الشّقاءِ
ابلغْـهُ انّـك نائبٌ عنـي علـى جهـة الإخاءِ
قبِّلْـهُ عنـي لو يروّ ي غلّتـي[1] ويسـكّ[2] دائي
رِدْ من مراشفـه العذا ب مشـارب العـذب الرّواءِ
واحلل قراطقـه برفـ ـقٍ واسـرُ اعطـاف القباءِ
واذا هممـت بغيره لُقِّيتَ لاذعـة الخصاءِ
وسـقيتَ كافـوراً وسا ئرِ ما يُطفّـي من دواءِ
وجـزيت عن ولهـي ووقـ ـدة لوعتـي شرّ الجزاءِ
أدعـو عليك ومـا أرا ك تخـاف عادية الدّعاءِ
ولدعـوة المظلـوم مضـ ـطـربٌ فسيحٌ في السّماءِ

وله قصيدة في هجاء اهل الريّ قالها على لسان أبي القاسم ابن حريش كهذه التي قد مرَّت في الطول والجودة والتناسب وأوّلها :

تُبّـاً لرجرجـةٍ من الكتّابِ ما عُلّمـوا الآداب في الكُتّابِ[3]

---

(١) غلّتي : شدة عطشي .
(٢) يسكُّ : يسدّ ويشفي .
(٣) الكتاب: المدرسة ، وهنا جناس تام بين الكتبة ومكان أخذ العلم .

ما بين مأبـــونٍ[1] يواري سوءَةً لأخيه مقتــدياً بفعــل غرابِ

ومنها :

أنــا ان شعــرت أنيك أمَّ كشاجمٍ وإذا كتبــت أشــقُّ سرم الصَّابي[2]

وهي أطول من أن يتسع هذا الكتاب للجمع بينها وبين الّتي تقدّمتها وانشد أبو الفتح الدّباوندي له :

اذا اللّيلُ أسبــل أذياله وضــمّ أبا حســن والحسَنْ
فإنّــي بريءٌ من المصطفى لئــن كنــت أعلــم مَنْ ناكَ مَنْ

٨٥ ـ الأستاذ أبو العلاء مُحمَّد بن عليّ بن الحسين صَفيُّ الحَضْرَتَيْن

أصله من همدان ومنشاؤه الرّي وأبوه أبو القاســم مَنْ يُضــرب به المثــل في الكتابة والبلاغة وكلامه في غاية البراعة يصعب على التعاطي ويسهل على الفطنة وقد علق بحفظي فصل من رسالة له في علوّ السن وتناهي العمر فكتبته وهو : ما الظنّ بمن خلق عمره وانطوى عيشه وبلغ ساحل الحياة ووقف على ثنية الوداع وأشرف على دار المقام ولم تبق منه إلاّ أنفاسٌ معدودة وحركات محصورة ومدة فانية وعدّة متناهية . وسمعت أبا العلاء يقول سمعت أبي يقول لما حبسني الصاحب وطال لبثي في حبسه وكاد اليأس يستولي عليّ أتاني آتٍ في منامي وقال لي الخير باقٍ والاحسان واق والمرء ما قدّم لاق ، فلم يدر الاسبوع حتى فرج الله عني ويسَّر خلاصي . قال مؤلف الكتاب وأبو العلاء اليوم من أفراد الدّهر في النظم والنثر وطال ما تقلّد ديوان الرسائل وتصرّف في الأعمال الجلائل وحين طلعت الرّاية المحمودية بالرّي اجلّ

(١) مأبون : سيء معاب .

(٢) كشاجم والصابي : الأول شاعر والثاني أحد الكتاب . والسرم : المؤخرة .

وبجّل وشرّف وصرّف وانهض في صحبتها الى الحضرة بغزنة حرسها الله رغبة في اصطناعه وتكثراً بمكانه ولما القت الدّولة المسعودية شعاع سعادتها على مقرّ الملك ومركز العزّ زيد في اكرام أبي العلاء والانعام عليه وأوجب الرّأي ان يردّ الى الرّي على ديوان الرّسائل بها فخلع عليه وسرّح احسن سراح ولقيته بنيسابور فاقتبست من نوره واغترفت من بحره وهو الآن بالرَّي في أجلّ حال وأنعم بال وقد كتبت ها هنا غرراً من شعره الكتابيّ البعيد المرام المستمرّ النظام ، فمنها قوله لأبي منصور الآبي من قصيدة :

وبي الى الدّهر ذا شوقٌ يورّقني ... وانْ تغيّر عمّا كنت أعهدهُ
فيه سجايا من المعشوقِ أعرفُها ... تجنى على عاشقيه ثم يجردُ هو

وفي آخرها :

خذْها إليك بلا لفظٍ تكدّرهُ ... على الرُّواة ولا معنىً تجعدهُ
كالماء تسكبه والمسك تفتقهُ ... والوشيُ تنشرُه والتِّبرُ[1] تنقدُه

وأنشدني له أبو الفتح الدّباوندي في الغزل :

أتاني ممسياً من غير وعدٍ ... كذاك البدر موعده الأصيلُ
كحيل الطَّرف ذو خطٍّ خفيّ ... كأنْ عذاره[2] أيضاً كحيلُ

وله في الاعتذار من الاخلال بالخدمة لعارض رمد من قصيدة :

قد صدّني رمدٌ ألمّ بناظري ... عن قصد خدمة بابه ولقائه
او يستطيع الرّمدُ ان يستقبلوا ... لمعان نور الشّمس في لألائه

وله في الهجاء :

يا بن بدرٍ ان أغفلتْكَ اللّيالي ... فلِلَوْم ودقّةٍ وهوانِ

---

(١) التبر : الذهب الخالص .

(٢) عذاره : جانبه ـ خده .

إنّمـا استقدرْتـك مسّـاً[1] فحتى	جزتَ لؤمـاً علـى صروف اللّيالي

وله في أمردعلوي ولم يسبق إليه :

وأزهـر من بنـي الزهـراء يرنو	إلـيّ كمـا رنـا الظَّبـي الكحيلُ
نهانـي الـدّيـن والاسـلامُ عنه	فليـس الـى مُقَبَّلِـهِ سبيلُ
إذا أرسلـتُ ألحاظـي اليه	نهانـي الله عنـه والرسولُ

وله في الحكمة :

قد فليت البـلاد غوراً ونجداً	وقلبـتُ الأمـور ظهـراً لبطنِ
فرأيت المعـروفَ خيرَ سلاحٍ	ورأيت الاحسـانَ خيرَ مجنّ[2]

وله في رئيس معزول قعد فوقه في مجلس الوزير :

تقعـد فوقـي لأيّ معنى	للفضـل للهمّـة النّفيسَهْ
إنْ غلـط الدهـر فيك يوماً	فليس في الشّـرط ان تقيسَهْ
كنـت لنـا مسجـداً ولكن	قد صرتَ من بعـده كنيسَهْ
كم فارس أفضَـتْ اللّيالي	به الـى أن غدا فريسَهْ
فـلا تُفاخـر بمـا تقضي	كان الخـرا مرّة هريسَهْ

وله وقد دخل الى رئيس فلم يقم له :

دخلـت علـى الشيخ مستأنساً	به وهـو في دستـه الأرفعِ
وقـد دخـل النـاس مثـلَ الجرادِ	فمِـنْ ساجـدين ومـن رُكَّعِ
فهشّ ولـكن لمردانه[3]	وقـام ولـكنْ علـى أربعِ
وأرسـل في كمِّـهِ مخطةً	بدت لي علـى صورة الضفدعِ

(١) مسّاً : جنونـاً .
(٢) المجنّ : الترس والوقاية .
(٣) مردانه : غلمانه الأحداث .

فهوّ عنـي ما تأمّلته		وزعـزع روحـي من أضلعي
وأعـرضَ إعـراضَ مستنكرٍ		تصـدّر مثلـي ومستبدعِ
فأقبلـتُ أضـرطُ من خيفةٍ		وافسـو علـى السيد الأروعِ
وقمـتُ فجـدّدت فرضَ الوضوءِ		وكنـت قعـدتُ وطهـري معي
ورام الخضـوع الّـذي رامه		أبـي من أبيه[1] فلـم أخضعِ
وكيف أقبـل كفّ امرىء		إذا صنـع الخير لم يصنعِ
فيقبضهـا عنـد بذل اللّهى		ويبسطهـا في الجـدا الرّضع
وأنـي وإنْ كنـت ممّـنْ يهون		عليه تكبّر مستوضع
ليعجبنـي نتف شيب السبّال		وصفـع قمحـدوةَ[2] الأصلع
خراهـا ولـو انـه ابـن الفرات		وحرّهـا ولـو أنّـه الأصمعي

وله من قصيدة مداعبة الى ابي سعد الزنجاني في نهاية الفصاحة والملاحة :

يا ابـا سعـد الموالـي المعادي		والمصافـي لخلّـه والمصادِ[3]
والّـذي لا يكاد يفسـق الاّ		بالرّتـوت[4] الأجلّـة القوّادِ
والّـذي قد أقـام ما بين فخذيـ		ـه عمـوداً يُزري بذات العمادِ
فهـو شرٌّ علـى الأعـادي شمرٌ		وبـلاءٌ بالٍ علـى الأجنادِ
والـذي تعمش النّدامـى من الصفـ		ـع ويسقـي الأضيافَ من غيرِ زادِ
والـذي يرسـل الـرّياح علـى الكتّـ		ـاب حتـى كأنّهـم قومُ عادِ
فيصيب العنافـق[5] الشّيب من قو		مٍ كبـارٍ وسـادةٍ أمجادِ
لا يحاشي من عارض العـارض الشّـ		ـيخ ولا يستحـي من الأنداد

---

(١) يعني آدم وابليس .
(٢) قمحدوة : عظم بارز فوق القفا في مؤخر الرأس .
(٣) المصاد : أي المصادق .
(٤) الرتوت : أصحاب الشرف العالي .
(٥) العنافق : شعر بين الشفة والذقن .

بل يعم اللّحى فليس يبالي ببياضٍ وشمطةٍ وسواد
والذي قد يرى التطفُّل ديناً فهو دين الآباءِ والأجداد
لا تراه في داره قطُّ يوماً في النواريز[1] لا ولا الأعياد
فهو وقفٌ على الطّريق متى يسـ ـمع وطيء الدّاعي وصوت المنادي

ومنها :

أنت فرعوننا وذو وتدِ فر دِ وفرعونُ كان ذا اوتادِ
أنت نارٌ في مرتقى نفس الحا سد ماءٌ جارٍ لأهلِ الودادِ
قد كذبنا فالضدّ أنت ابا سعـ ـدٍ فخُذْ ما يقالُ في الأضدادِ
انت ماءٌ لكنّه في سوادِ الـ ـعينِ نارٌ لكنّها في الفؤادِ
واذا ما أردْتَ ان يسكنَ الخَطْـ ـبُ وتنجو من حيّةٍ بالوادِ
ويعود العتاب عنديَ عُتبى وتعاد السيوف في الأغمادِ
فاستزرْني او زُرْني اليوم او كُنْ للتلاقي غداً على ميعادِ

وله من قصيدة عيدية :

تبلّج الأفقُ الغربيُّ وابتسما وأظهر الفلك السرَّ الذي كتما
ولاح ذو هيفٍ حلوٌ شمائله منحفٌّ نجم اللّذات اذ نجما[2]
مرّت ثلاثون يوماً كلّها حقبٌ ألقى بهنّ الصّدى[3] والبارد الشبما[4]
ألقى المعازف والقيان سداً والكاس مهجورةٌ والرّطل مهتضما

وله من قصيدة تهنية بمولود :

افترَّ ربعك عن هلالٍ باد فأضاء مطلعه وفاح النادِ

(١) النواريز : أعياد فارسية والنيروز هو اول يوم من ايام السنة الشمسية عند الفرس .
(٢) نجم : ظهر وطلع .
(٣) الصدى : العطش الشديد .
(٤) الشبم : البارد .

وافـاك تربَ عُلـىً وخَـدنُ مكارمٍ ... وسـرور احبـابٍ وغيظ أعادي
متقيّلا[1] لك مذهبـاً في الفضـل والـ ... ـافضـالِ والاسعـافِ والاسعادِ
قد أفصحَـتْ اخلاقـه عن همّةٍ ... بعـدت علـى قربٍ من الميلادِ
فبقيت منصـوراً به مستعداً ... بمكانـه ناراً علـى الحسّادِ
حتـى تبـدّل مهـده بمسوّمٍ ... طرفٍ وطـوّق سخبُـه[2] بنجادِ
فيشيد لاحـقُ فضلـه بسوابقٍ ... قَدُمَـتْ وطـارفُ مجـده بتلادِ

وله في المداعبة باقتضاء رسم :

يا مَنْ له في الجـود تبريزُ ... وُقيت بي اين الشواريزُ
صنفـان ذا يعجمـه بقلهُ ... وينقـط الآخـر شونيزُ
والسمّـن لم يشـرط ولـكن لكي ... يكون بالثالـث تعزيزُ

من قوله تعالى فعززنا بثالث :

فأنـت عنـد المحـل مزنٌ[3] لنا ... يهمـي وعند النقـد ابريزُ[4]
ومطلـب المـأكول مستظرفٌ ... وهـو الـى الكدنـةِ[5] دهليزُ

وله من نتفة الى وزيرين اخوين داعب فيها بذكر رجل يعرف بالسُوَيسي ووصفه بالبخر :

تفديكمـا نفسـي الّتي ... بكمـا وعندكمـا تسرُّ
هـذا السويسـيُّ الّذي ... في وجهـه من فيه دبرُ
يقـرا السّـلامَ عليكما ... بفـمٍ به التسـبيح كفرُ

---

(١) متقيلاً : ملتزماً .
(٢) سخبهُ : عنقه أي موضع القلادة .
(٣) المزن : السحاب ذو الماء .
(٤) أبريز : الذهب الخالص .
(٥) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

وله من قصيدة ذكر فيها همذان :

يا ايّهـا الملك الـذي وصـل العلى بالجـودِ والانعـام والاحسانِ
قد خفـتُ في سفـر اطـلّ علـيّ في كانـون في رمضـان من همذان
بلـدٌ اليه أنتمـي بمناسبي لكنـه قذرٌ من البلدان
صبيانـه في القبـح مثـلُ شيوخهِ وشيوخُـه في العقـل كالصِّبيان

٨٦ ـ الاستاذ ابو القاسم عبد الواحد بن محمّد بن عليّ بن الحَريش الاصبهاني رحمه الله تعالى

بقية الشعراء المفلقين وافراد الدّهر المبّرزين وأقمار الأرض الجامعين بين بلاغة النثر وبراعة النظم وهو اصبهاني المولد رازيّ الموطن غزنويّ النعمة نيسابوريّ التربة ولم يزل بالرّيّ في ظل الكفاية يطير ويقع ويفيد ويخفق الى ان طلعت الدّولة المحموديّة فانضاف اليها وصرّف الى خدمتها وارتبط في جملتها وتوّفر حظه من نعمتها ورسم له الأنتقال في صحبة الرّاية العالية الى خراسان ومنها الى الحضرة بغزنة حرسها الله ففعل ولم يزل مقيماً بها عزيزاً مكرّماً ولجلائل الأعمال مرشّحاً الى ان طلعت الراية المسعوديّة به ادام الله رفعتها فزيد في اجلاله الى ان كرّ الرّكاب العالي الى نيسابور وهو مشرّفٌ بخدمته مرتبط في جملته موفّر الحظّ من نعمه ومواهبه فجمعتني بها وإيّاه مناسبة الأدب وفتقنا نوافـج المذاكرة وتجاذبنا اهـداب المحاضرة والمناشدة ولذّ لنا العيش وطاب الوقت بالمعاشرة فأنشدني يومـاً لنفسه قصيدة منها هذا البيت :

وليلٍ خداريّ الجنـاح مخـدّر الصّـ ـباح حرون النجـم طاولتـه فكرا

فاستعدته ايّاه فأعاد فقلت له او علمت انّه مرصّعٌ وفيه تجنيسٌ وتسـجيعٌ واستعـارةٌ وطباقٌ فاستفسرني فقلت : اما التجنيس فقـولك خداريّ الجنـاح ومخـدّر ، وامّـا التسجيع فقولك خداريّ الجناح مخدّر الصباح ، وامّـا الاستعـارة فقـولك حرون

النجم ، واما الطباق فجمعك بين اللّيل والصباح ، فقال والله قد نبهتني على ما غفلت عنه ، وقام اليّ فقبّل رأسي وقال لي كلّ حسنٍ ، ووصفني بكلّ جميل وقبل رأسي مرّةً أخرى وذلك انّي انشدته مرثيتي للملك الماضي رضي الله عنه وأرضاه :

عجباً مِنْ تماسُكِ الأفلاكِ ومساغ الزّلال في الأحناكِ
وثبات الجبال بعد زوال الطّو[1] د ذي الطَّول[2] مالك الأملاكِ
فلسانُ الزّمان شاكٍ وطرف الدّ هر باكٍ والرّزء في الملك ناكِ[3]

وأنشدته قولي مرّة في السلطان الأعظم ادام الله ملكه :

نشرَتْ عليك سعودها الأفلاكُ وعنت لغرّة وجهك الأملاكُ
زوّجتَ بالدّنيا لانّك كفؤها فاسعَدْ بها وليهنك الأملاكُ
فالأرضُ داركُ والورى لك اعبدٌ والبدرُ نعلُكَ والسِّماك[4] شِراكُ

فأراد ان يفعل فعلته الأولى والثانية حتى ناشدته الله وحياة السلطان فاعفاني وجرت بيننا فوائد وقلائد يطول الكتاب بذكرها ولم تطل ايّامنا حتى أصابته عين الكمال فلحق باللطيف الخبير في جمادي الأولى سنة اربع وعشرين واربع مائة .

فمن عزر شعره وعقد سحره قوله وكنت سمعته قديماً :

سألت زماني وهو بالجهل عالمٌ وللسُّخف مهتزٌ وبالنَّقص مختصٌ
فقلت له هل من طريقٍ الى الغنا فقال طريقان : الوقاحةُ والنَّقصُ

وقوله :

يا ايّها الرَّجل الذي جرَّبتهُ فرأيت شخصَ النَّقص كيف يكونُ

(١) الطود : الجبل .
(٢) ذي الطول : ذي الحول والقوة .
(٣) ناكِ : من نكل : أي هو منكّل ، ومصيب .
(٤) السِّماك : اي كل ما ارتفع والسماكان هما نجمان نيّران .

والله ما يختـار مثلك عاقلٌ | لكن علامـاتِ الـزّوال فنونُ

ومن الغرر التي انشدنيها لنفسه قوله :

يكلّفنـي اغضـاء عينـي علـى القذى | زمـانٌ غبـيّ جائـر الحـكم جائرُه
وأعظـم ما بي انّنـي غير واجدٍ | نظيراً ابـاريه وقرنـاً ابارزُه

وقوله :

يا طالبَ الصّدقِ من ذات الوشاح لعاً[1] | من عثرة الظـنّ أو من خيبـة الطلب
هيهـات ان تجـدَ الحسنـاء ناطقةً | بالصّدق ما وجـدت بابـاً الـى الكذب

وقوله :

المسـكُ من عرفـه والـرّاحُ من فمه | والـورد من خدّه والرمـل في ازرهْ
تعجّبـت بابـل من سحـر مقلته | والـرّوم من وجهـه والزّنـج من شعرهِ

وقوله من قصيدة :

نظرنـا فمـن قلـبٍ تضـرّم وقدهُ | انينـاً ومـن جفـنٍ تسلسـل ودْقهُ[2]
انـادي غزالاً مصـرع الاسـد دابه | به وهـلالاً مصنـع الوشـي افقهُ
فللشّـمسِ مرآه وللجـوّ لطفهُ | وللمسـك ريّاه وللـرّاح خلقهُ

وقوله وقد استشعر خوفاً :

يضيق صدري فيسليني اعتـلاق يدي | حبـلاً من الله مشتـدّاً مرائرهُ
اذا تبينـتُ من ألطافـه أثراً | علـى طليعـة أمـري هان سائرهُ

---

(١) لعاً : دعاءٌ ولعنة على العاثر القليل الحظّ .
(٢) ودقه : مطرُه كناية عن دموعه .

وقوله في ابي العباس الضبي من قصيدة طويلة كلّها غرر :

بنفسي واهلي شعب وادٍ تحلّه ... ودهرٌ مضى لم يجد الا اقلّهُ
وعطفة صدغٍ يهتدي فوق خدّه ... ويضربه روح الصّبا فيضلّهُ
وطيب عناقي منه بدراً اضمّه ... اليّ وأهوى لثمُهُ فاجلّهُ
وقفنا معاً واللّوم يصفق رعده ... ومنّا سحاب الدّمع يسجم وبلهُ[1]
ترقُّ على ديباجتيه دموعه ... كما غازل الورد المضرّج طلّهُ[2]
وينأى رقيبٌ عن مقام وداعنا ... وتبلغه أنفاسنا فتذلُّهُ
يقلقلني عتْبُ الحبيب وعذره ... ويقلقني جدّ الرقيب وهزلهُ
وكيف أقي قلبي مواقع رميهِ ... ولست أرى من اين ينثال[3] نبلهُ
يولّي وبالاحداق تفرَشُ ارضُهُ ... ويُفدي وبالأفواه تُرشفُ رجلهُ
فلو طاف في دارِينَ[4] ما طاب مسكهُ ... ولو ماج في بثرين ما ماج رملهُ

ومنها :

فيا مَنْ يكدُّ النَّفسَ في طلب العلى ... اذا كبرت نفس الفتى طال شغلهُ

أخذه من قول ابي الطيب المتنبي :

واذا كانتِ النُّفوسُ كباراً ... تعبَتْ في مرادها الأجسامُ

ومنها :

فان ما ثلوه[5] صورةً وتخيّلا ... فاغمارنا بالماءِ والآلُ شكلُهُ

---

(١) وبله : أمطاره .
(٢) طله : نداه .
(٣) ينثال : ينهمر ويشتدّ .
(٤) دارين : مكان ينسب اليه أطيب المسك .
(٥) ماثلوه : أشبهوه .

ومنها :

وليس الفتى يُرْجى اذا ابيضَّ رأسُه ... ولكنــهُ يُرْجــى اذا ابيضَّ فعلُهُ

ومنها :

اليك زففتُ الشعرَ يقــرب فهمه ... وينأى على طبع المساجـل سهلهُ
يرقّ فلا أذنُ الفصيحِ تمجُّهُ ... كريهــاً ولا نفس البليد تملُّهُ
اذا شئتم جزلـي[1] تلاطــم موجه ... وإنْ شئتم عذبــي[2] ترقــرق طلّهُ
وللهــمِّ سيفٌ في فؤادي مغمَّدٌ ... يكاد علــى رأســي وعنقــي يسلّهُ
ويا ليتنــي اذ لم انَــلْ بفضيلتي ... عُلىً كنت منقوصاً يسلّيه جهلهُ

ومنها :

وغير قليلٍ ما بلغــت بعزّكم ... ولكننــي في جودِكم استقلُّهُ

وقوله :

فيا ليتني اذ ضعت لم أكُ مخلصاً ... وليتــك اذ ضيّعــت لم تكُ ناقدا

وقوله من قصيدة :

لــكلّ الى شأو العلـى[3] حركاتُ ... ولــكن عزيزٌ في الرّجــال ثباتُ
ومــا بي عن شأوٍ من المجــد نبوةٌ ... ولا عنــد خطــبٍ يدلهــمّ اناتُ
ولــكن اذا ما الطّــرفُ ضاق مجاله ... به فخطــاهُ كلُّهــا عثراتُ

ومنها :

تصــرّم شهــر الصّــومِ عنــك مزوّداً ... من الخير ما تزكو به البركاتُ

(١) جزلي : أي كلامي القوي الجزل .
(٢) عذبي : اي كلامي الرقيق اللّين .
(٣) الى شأو العلى : الى طلب ذراه .

ومنها :

ولاح هلال الفطر نضواً كأنّه ... على جرمه من صومنا وطآتُ
فقُلْ لرواة المعبديّةِ مرحباً ... وقُلْ لسُقاةِ البابليّةِ هاتوا

وقوله من مهرجانية :

لك اليوم من عند كسرى مقامُ ... على مضحك الدّهر منه ابتسامُ
بسطت يديك فقلنا الفراتُ ... جرى وثبت فقلنا شمامُ
يقرّ برأيك ركن العلى ... ويحيا بفضل نداك الأنامُ
فجودك أدنى مرادٍ يُرادُ ... وعزك أبعدُ شأوٍ يرامُ
إذا دهت الناس سود الخطوب ... تبلّجَتْ فانجاب عنها الظلامُ
ففي حبِّ مثلك يزكو الولاءُ ... وفي وصف فضلك يحلو الكلامُ
فإنْ صلْتَ[1] ذلّتْ لديك الكُماةُ[2] ... وإنْ جدْتَ قصّر عنك الكرامُ
تهنا بمورد ذا المهرجان ... سعوداً حواليك منها زحامُ
وعِشْ والسّعادات تترى[3] اليك ... اذا مرّ عامٌ بها كرّ عامُ
فلولا بقاؤك ملّتنهُ ... لقُلْنا على الأكرمين السّلامُ
اذا كنتَ تمنع من ان أسير ... ولم تكفِ امري فكيف المقامُ
أرى نعماً لك عندي قدِ من ... ولمتك إنْ كنتَ ممّنْ يُلامُ
يقلْنَ اصطنعْتَ فلمْ لمْ تربّ[4] النّـ ... ـدى وابتدأتَ فأين التّمامُ

---

(١) صلت : غلبت ـ سطوت .
(٢) الكماة : الفوارس ، المقاتلون .
(٣) تترى : تتعاقب .
(٤) تربّ الندى : تسوسه وتملكه و تتعهده.

وقوله من اخرى :

غدَتْ للعلى منه سيوبٌ[1] وللظُّلى سيوفٌ وللحرب العوانِ[2] سيولُ
كفاني من الأيّام انّك سالمٌ وان لم تجبني من جنابك سولُ

وقوله من سلطانيةٍ وهي آخر شعره :

لقد أقبل النيروز جذلانَ فاسعَد وإنْ كنت مسعوداً كما أنت فازدَدِ
وزفّ كؤوس الرَّاح خمراً تسلّياً عن الدّم في حدّ الحُسام المهنَّدِ
فهذي الصبّا غناجةٌ دون نومةٍ مرنّقةٌ في مقلة النَّرجس النّدي
تقبّل ثغرَ الاقحوانِ وتنتهي الى لطْم خدّ الوردة المتورِّدِ

ومنها :

غدا الملك يرجو آل محمودِ الرّضى كما يترجّى الدّين آلَ محمَّدِ
أناصِر دين الله حافظ خلقه ظهير امير المؤمنين إسْعَ واسعَدِ
خذِ السيّفَ واملكْ لا تدَعْ متغلّباً على الأرض الاّ في وثاقٍ مقيدِ
فليس صلاحِ الأمر إلاّ بواحدٍ فإنْ ينتصبْ للأمر اثنان يفسدِ
وأعظم غبنٍ[3] أن يُرى الملك مغضياً[4] على شر أرضٍ من بلادك مفردِ

٨٧ ـ ابو القاسم غانم بن محمد بن ابي العلاء الاصبهاني

تضمن كتاب اليتيمة قليلاً من شعره وقد كرّرت ذكره في التتمة لما سبق من العذر فيه وكتبت غرَراً من شعره مقفية على اثر شعر بلديّة ابن حريش ، واخبرني

---

(١) سيوب : العطاء .
(٢) العوان : الشديدة المتكرّرة .
(٣) الغبن : الانتقاص والاجحاف .
(٤) مغضياً : مغمضاً طرفه ، اي غير معيرٍ له الانتباه الكامل .

الشيخ ابو الفتح مسعود بن محمد بن اللّيث ايّده الله انّه حيٌّ يرزق وانشدني ابو بكر المرجىّ له :

إشرب ابا قاسمٍ على الوادي وانبذ الى الانس حبلَ مقتاد
لا تخل من قهوةٍ ومن رشاءٍ[1] وزامرٍ مطربٍ وعوّاد
وثقْ بكافي الكفاة وارجُ ندى يديه من رائحٍ ومن غادِ
واللهِ ما في الأنام محتشمٌ سوى ابي القاسم بن عبّادِ

وانشدني له في غلام بيده باشق :

واهيف كالقمر المجتلى يهيم به العاشق المبتلى
بدا وعلى يده باشقٌ إذا طلبا قنصاً حصلا
فذاك يصيد قلوب الرّجالِ وهذا يصيد طيورَ الفلا

وقد سرقه من ابي الفتح كشاجم حيث قال :

مرّ بنا في كفه باشقٌ فيه وفي الباشق شيءٌ عجيبْ
هذا يصيد الطير من حالقٍ[2] وذا بعينيه يصيد القلوبْ

قال وكان يساير الصاحب يوماً فرسم له وصف فرس كان تحته فقال مرتجلاً :

طرف تحاول شأوه[3] ريح الصّبا سفهاً فتعجز أن تشقّ غبارهْ
باري بشمس قميصه شمس الضُّحى صبغاً ورضّ حجارةً بحجارهْ

ومن مراثيه في الصاحب قوله :

مضى نجل عبادٍ المرتجى فمات جميع بني آدم

---

(١) رشاء : أي امرأة جميلة .
(٢) حالقٍ : أي محلّقٍ في الفضاء .
(٣) شأوه : سبقه .

أوازي بقبرك اهل الزّمان فيرجح قبرك بالعالم

وله من قصيدة :

هي نفسٌ فرَّقتها زفراتي ودماءٌ أرقَّتها عبراتي
لشبابٍ عذب المشارع[1] ماضٍ ومشيبٍ جدب المراتع آت
زمنٌ أذرتِ الجفون عليه من شؤوني ما كان ذوبَ حياتي
تتلاقى من ذكره في ضلوعي ودموعي مصايفٌ ومشاتي
جاد تلك العهود كلُّ اجشٌ الـ ودق[2]ثرٌّ الاخلاف[3] جونِ السّرات[4]
بل ندى الصّاحب الجليل ابي القا سم نجل الأمير كافي الكفاة
تتبارى كلتا يديه عطايا ومنايا حتّماً لعافٍ وعاتِ
ضامناً سيبه لغنم مفادٍ موذناً سيفه بروحٍ مفاتِ
وارتياحٌ يريك في كل عطفٍ ألف ألفٍ كطلحة الطّلحاتِ[5]
ويدٌ لا تزال تحت شكورٍ لاثمٍ ظهرها وفوق دواةِ

أراد ان يقول مثل قول ابي الفياض الطبري فلم يشق غباره :

يدٌ تراها ابداً تحت يدٍ وتحتَ فَمْ
ما خلقَتْ بنانُها إلاّ لسيفٍ وقلم

٨٨ ـ ابو الفضل يوسف بن محمّد بن احمد الجلودي الرّازي

بحر العلم وروضة الأدَب ولطيمة الشعر وظرف الظرف ، وقد حدّثني ابو

---

(١) المشارع : الموارد والمناهل .
(٢) اجشّ الودق : غزير المطر .
(٣) ثرّ الأخلاف : كثير الخلف والعطاء .
(٤) جون السرات : أبيض السخاء والكرم والمرؤة .
(٥) كطلحة الطلحات : رجلٌ مشهور بالكرم والمرؤة .

الحسن عبد الرّحمن بن أبي عبيد الشيرازي ايّده الله تعالى بفضله وبراعته وامامته اذ اقتبس في اليسير من مدّة اقامته عليه بالرّي كثيراً من نور فوائده وانشدني غرراً ودرراً نظمها من عقود قلائده كعادته في اقتناءِ جواهر المحاسن واصطياد شوارد اللّطائف على حداثة سنه وغضاضة عوده[1] وللدّهر مواعد فيه ستنجزها مساعيه ، فمما انشدني لهذا الشيخ ابي الفضل ايّده الله قوله في سقوط السن عند الشيخوخة :

ثنايايَ أخنى عليه الزّما ... ن والدّهر ما زال مُذْ كان يُخني
وينقص سنّاً وسنّاً يزيـ ... ـد والدّهر يغرب في كلّ فنّ
أراني الزّمان نقيضيْن لي ... زيادةَ سنٍّ ونقصان سنّ

وقوله من قصيدة صاحبية :

رياضٌ كأنّ الصاحب القرم جادها ... بأنوائه او صاغها من طباعِهِ
يجلّي غيابات الخطوب برأيه ... كما صدع الصبح الدّجى بشعاعِهِ

ومنها :

سحابٌ كيمناه وليلٌ كباسه ... وبرقٌ كماضيه وخرقٌ كباعِهِ

وقوله في معارضة قول الشاعر :

لكلّ شيءٍ عدمته خلفٌ ... وما لفقد الحبيب من خلف
منعمٍ معجبٍ بليت به ... صبّ بتعذيب مهجتي كلف
لا يرعوي عن صدوده صلفاً[2] ... فديته من مدلّلٍ صلف
اذا أردت السلوّ منصرفاً ... فأنّ ألحاظه تقول قف
لا تعجبوا من تذلُّلي أبداً ... فذلّتي من هواه من شرفي

(١) وغضاضة عوده : رقة عوده ولينها .
(٢) صلفاً : تكبّراً .

وقوله في نقل مثل بالفارسية الى العربية :

يا عجباً من جدّي الهابط ... وما مضى في زمنٍ فارط
ظننتُ انّي راكبٌ مرّةً ... عيراً[1] فأصبحت على حائط

ومما انشدني غيره قوله من قصيدة الى الأستاذ ابي العلاءِ بن حسول ايّده الله تعالى :

ما ماء مزنكم الغمام[2] مجلجلٌ ... تزجيه أنفاس الرّياح لبسطه
أشفى لحامي غُلّةٍ من رقعةٍ ... من عند سيدنا تكون بخطّه

وقوله من اخرى فيه وقد كان لزم منزله لحالٍ اوجبت ذلك :

صفيّ الحضرتَيْن ابا العلاء ... يدال المرءُ في ضمن البلاء
وليث الغاب يلبد لامتياحٍ ... وغربُ السّيفِ يغمد لانتضاءِ[3]
لساموكَ الخفاء وكيف تخفى ... وأنت الشّمسُ في رأد الضّحاءِ
أبى الاصباح أن يخفى سناه ... ضبابٌ أو يغشى في غطاءِ
ومن يثني الجدالة عن ركونٍ ... ويختزل الغزالة عن ضياءِ
وحدّ الزاعبيّة[4] عن نفاذٍ ... وغرب المشرفيّة[5] عن مضاءِ
ومن سلب السّماك علوّ سمكٍ ... ومن حجر الذّكاء على ذُكاءِ
وانّ السيل مستنٌّ طريقاً ... اذا امتلأت به شعب الاضاءِ
وكيف تسومُ دنياك استواءً ... وهذا الدّهر اعصل[6] ذو التواءِ
فلا ترعَ العذول السّمع واعتض ... ثناءُ المعتفين عن الشراءِ
وعش ما مال بالورقاء[7] غصنٌ ... وما كرُّ الصباح على المساءِ

---

(١) عيراً : ناقة .
(٢) مزنكم الغمام : السحاب الممطر .
(٣) لانتضاء :لاخراجه من غمده . وغرب السيف : حده .
(٤) الزاعبية : يقصد بها الرماح .
(٥) المشرفية : يعني بها السيوف المشرفية .
(٦) اعصل : المعوج في صلابة .
(٧) الورقاء : الحمامة الهادلة .

وقوله في فتىً حلق صدغه :

أبـا نعيم أيا فرد الجمـال ومَنْ	له من الحسـن معنـاه وجملتهُ
لاتجزعـنّ لصـدغٍ قد فُجعـتَ به	فانّ عارضـك الأحـوى خليفتهُ
إنْ كان صدغك معزولاً فلا أسفٌ	هذا عذارك قد جاءَت ولايتهُ

وقوله في أبي الفتح الضرّاب لما استوزر :

ايا للنـاس من رجـلٍ سمينٍ	نسينـاه فثـار من الكمين
تلقّـب بالأمين بلا احتشامٍ	ولـم نسمـع بخـوّانٍ أمين

وقوله زُعم :

ما انْ نظـرت الـى محاسـن وجهه	وفتـور مقلتـه وحسـن قوامه
الاّ وددْتُ بأن تقـدّ نواظري	بيد الهـوى شُسُعـاً لنعـل غلامه

وقوله وأنا أشك فيه :

لا يصحَبَـنّ ملوكنـا الاّ امرؤٌ	لصّ مغـنّ مفلس قوّادُ
فلـه لديهـم زلفـةٌ ومنالةٌ	ولمـن تحـرّج واسـتعفّ كسادُ
مـا ذاك الاّ انّهـم اشكالهُم	والقـرد يعـرف قدْره القرّادُ

وله من قصيدة :

جمعت نفـاذاً في العلـوم وفـي الوغى	ومثلك في الهيجـاء والعلـم فارسُ

٨٩ ـ ابو علي محمّد بن حمد بن فُوَرَّجة البَدوجرديّ

لم أسمع ذكره وشعره الاّ من الفقيه ابي الحسن بن ابي عبيد ايضاً اذ ذكر انّه من اهل اصبهان المقيمين بالريّ المتقدّمين بالفضل المبـرّزين في النظـم والنثـر وعرض عليّ جزءاً بخطه من شعره كالرّوض الممطور والوشي المنشور ، وأنشدني

قال أنشدني لنفسه من قصيدة :

ألــم تطــرب لهــذا اليوم صاح — الــى نغــمٍ وأوتــارٍ فصاحِ
كأنَّ الأيك يوسعنــا نثاراً — من الــورق المكسَّــر والصحاحِ
تميد كأنّهــا علّــت براحٍ[1] — ومـا شربــت سوى المــاء القراحِ
كأنّ غصونهــا شربٌ نشاوي — يصفّــق كلّهــا راحــاً براحِ

وأنشدني له في فستق مملّح :

فلــو ترى نُقلــي ومــا أبدعت — فيه بمــاء الملــح كفّ الصّنعْ
قلـت حمامـاتٌ علـى منهلٍ — شحّــت منــاقير تسيغ الجرعْ

وله فيه مملّح :

اعجــب الــيّ بفستــق أعددته — عونــاً علــى العــاديّة الخرطوم
مثــل الزبرجــد في حريرٍ اخضر — في حُقّ عاجٍ في غشــاء أديم

وله في الغزل :

أيهــا القاتلــي بعينيه رفقاً — انمــا يستحــقّ ذا من قلاكا[2]
اكثــر اللائمــون فيك عتابي — أنــا واللائمــون فيك فداكا
ان بي غيرةً عليك من اسمي — انّــه دائبــاً يقبّــلُ فاكا

وله :

أكرم أسيرك أن يكون مُبادا — وهــب الفتــى عبــداً لديك مفادا
واخبــر مودّتــه بقلبــك أنّه — حجــر الصّيارف شدّةً وسوادا

---

(١) علّت براح : أي شربت واسقيت والراح : الخمرة

(٢) القلى : الهجر .

وله في ترجمة بيت بالفارسية للمعروفي :

يظنـون ما تذري جفونـي أدمعاً   بل الـدّم منهـا يسـتحيل فيقطرُ
تعيد بياضـاً حمـرة الـدّم لوعتي   كمـا ابيضّ ماءُ الـورد والـورد أحمرُ

وله :

أمـا ترون الـى الأصـداغ كيف جرى   لهـا نسيمٌ فوافـت خدّه قدرا
كأنّمـا مدّ زنجـيٌ أنامله   يريد قبضـاً علـى جمـرٍ فمـا قدرا

وله :

نومـي وعيشـي والقـرار وصحتي   ممـا فقـدت فليت شعـري ما الرّدا
بالله ربّـك هل سمعـت بشادنٍ(١)   ضحّـى بأنفس عاشـقيه معيدا

وله من نتفة :

ماذا عليك غزال آل العارضِ   من أن أكون فداء ذاك العارضِ(٢)

٩٠ ـ ابو الحسن محمّد بن احمد بن رامين

حدّثني ابو الفتح الدّباوندي ايّده الله تعالى قال جمعني وايّاه بعض مجالس الأنس وفيه نفرٌ من الفضلاء فسألوه أن يجيز قول مجنون بني عامر :

أقـول لظبـي مرّ بي وهـو راتع   أأنـت أخـو ليلـى فقـال يُقال

فارتجل على النفس :

فقلت يقـال المسـتقيل من الهوى   اذا مسّـه ضرٌّ فقـال يقال

---

(١) شادن : ولد الغزال .
(٢) العارض : صفحة الخدّ .

فتعجب القوم من حدّة ذهنه واسراعه في تجنيس القافية . وله ارجوزة أجاب بها أبا سعد الآبيّ من ارجوزتهِ الصادرة اليه من ويْمة :

وافتنـــي القصيدة الكريمهْ من كلّ ما يشينهــا[1] سليمهْ
وهـــي لعمـــري درّةٌ يتيمهْ قد أسفــرت عنهــا ظلال ويمهْ

وله :

ســرّت فؤاداً وأقــرّت عينا وفجّــرت من الســرور عينا[2]
وأصبحـــت للأخــوات عينا[3] حتــى لقــد خفنــا عليهــا عينا[4]

٩١ ـ ابو محمّد النّظام الْخَزْرَجي

حدّثني ابو الفتح الدّباوندي قال أمر له الأستاذ ابو العلاء بجايزة فأطلق نصفها فكتب اليه :

سألتــك أيّهــا الاستــاذ حاجهْ ولا شططــاً طلبْــتُ ولا لجاجهْ[5]
فقمـــت ببعضهــا وتــركت بعضاً ومـــن حقّ المقصــر أن يواجهْ
جــزاك الله عنّـــي نصف خيرٍ فانّــك قد نهضـــت بنصف حاجهْ

٩٢ ـ ابو سعد عليّ بن محمّد بن خلَف الهمَدانيّ

قد تقدّم ذكره في اليتيمة[6] وتكرّر في التتمة ملح وغرر من بدائعه وقعت الى باخرةٍ وليس لها منزل فمنها ما أنشدني ابو اليقظان عمار بن الحسين أيّده الله تعالى

---

(١) يشينها : يعيبها .
(٢) عينا : منهلاً .
(٣) عينا : مساعدة .
(٤) عينا : جاسوسة .
(٥) لجاجة : الحاحاً .
(٦) اليتيمة ج ٣ ص ٢٢٤ .

قال أنشدني ابو سعد لنفسه في غلام يشتكي ضرسه ولم أسمع في معناه أحسن وأبدع منه :

عجباً لضرسك كيف تشكو علّةً ... وبجنبها من ريقك التِّرياقُ
هلاً كمثل سقام ناظرك الّذي ... عافاك وابتليت به العشّاق
او عقربي صدغَيْك اذ لدغا الورى ... وحماك من حمتيهما الخلاّقُ

ومنها قوله :

ولما شربناها[1] ودبَّ دبيبها ... الى موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن تلقي عليك شعاعها ... فينظر جلاسي الى ودّك الخفي

وله من قصيدة في فخر الدّولة يذكر فيها بدر بن حسنوية :

هو سيف دولتك الّذي أغنيته ... بطويل باعك من وسيع خطاهُ
فغدا بطول يديك لو كلّفته ... شقّ السّحاب ببرقه لفراهُ
واذا هتفْتَ به لرأس متوّجٍ ... بالرّوم من شابور خواست مراهُ
فالرّخّ بدرٌ والعداة بيادقٌ[2] ... والأرض رقعتها وأنت الشاهُ

ومنها :

وتملّكت رقّ السعود بروجه ... بسعود طالعه الّذي جلاّهُ
فالزّهرة الزّهراء بعض امائه ... والمشتري مملوكه وشراهُ
سعدان ذاك لجدّه ولجدّه ... أبداً وتلك للهوه ولهاهُ
فاذا تجلّى للعيون جلالُه ... يوم السّلام انجاب حجب دجاهُ
وقفا بمنطقتي رضاه وقلّدا ... كيوان والمرّيخ سيف سطاهُ
واستكتبا عنه عطارد كلّ ما ... ينهى ويأمر رأيه ونهاهُ

---

(١) وفي الأصل : شربنا .

(٢) بيادق : أحد حجارة الشطرنج ومفردها بيدق .

وله من قصيدة فريدة عجيبة في بهاء الدولة وذكر ما شجر بينه وبين الأخوة :

كتبتْ اليَّ من العراق كتابي ... عن صبوةٍ وصبابةٍ وتصابي
وسلامةٍ الاّ من الشوق الّذي ... منه تكون منيَّة الأحبابِ
وخفوق قلبٍ ليس ينكر خيفةً ... أن يفطن العذّال فيك لما بي
ودموع عين يرتعدْنَ مخافةً ... أن يشعر الغيران بالتّسكابِ
هذا حديثي بالعراق وانت بالـ ... ـأهواز معتكفٌ على الاطرابِ
وعلى استماعات المغاني دائباً ... من عود عودةَ او رباب ربابِ[1]
والحمد لله الّذي قسم الهوى ... قسمَيْن بين عذوبةٍ وعذاب
فأجبتها والدّمع يمحو كلّ ما ... نشرته كفّي من سطور كتابي
وصل الكتابُ فما فضضْتُ ختامَهُ ... حتى شققتُ من السُّرور ثيابي
ثم اطّلعتُ على الكتاب فكدت من ... قلقٍ له اطفا ولا يدرى بي
وحلفت من ثمرات غصن قوامها ... بالورد والرّمان والعنّابِ
النابتات بخدّها وبصدرها ... وبنانها لشفاء ذي الأوصابِ[2]
ما اعتضت[3] منها خلّةً ابداً ولو ... خُطِبتْ اليّ الشمس في الخطابِ
الله فيّ فانني ثقة الهوى ... لا تأثمي يا هذه في بابي
أأروم غيرك خلّةً من بعد ما ... أفنيت فيك نضارتي وشبابي
كلا ولكني سلوتُ عن الهوى ... بالمجد وهو من الهوى أولى بي
فركبت هادية الدُّجى متلثِّماً ... بعزيم أروع للدُّجى ركّابِ
وجعلت ريحاني القتادة[4] والصّدى ... نغمي ورقراق السَّراب شرابي
حتى أنخْتُ على السِّماك رواحلي ... وضربت فوق الفرقدَيْن قبابي

---

(١) هناك جناس تام بين الآلة الموسيقية والضاربة عليها .
(٢) الأوصاب : الأسقام والآلام .
(٣) ما اعتضت : أي ما استبدلت عنها .
(٤) القتاد : الشوك .

في ظلّ مولانـا بهـاء الدولـة الـ ـملك الأجـلّ السيّد الوهّابِ
ملك الملـوك برغـم كلٍّ منافسٍ أغـراه فضـل سنيه بالاعجاب
الفضـل يكسبـه الفتـى بنفاسةٍ ونجابـةٍ لا شيبـةٍ وشبابِ
وكذا بنـو يعقـوبَ يوسفَ خيرُهم وان استـووا في ذروة الانساب
وبغـوا له كيداً فكان له الى درك الـذّرى من أوكد الأسباب
وتشابـه الأمـرين يوذن ايهـا الـ ـملك الأجـلّ بجـدّك الغلاب
وبـأنّ قومـك سوف يسجـد كلّهم لك سجـدة الأتبـاع للأرباب
مستغفـرين ذنوبهـم بضراعةٍ ومعفّـرين وجوههـم لترابِ
وتقـول لا تثـريب[1] عنـد سجودِهمْ كرمـاً تمـنّ به مكان عقابِ
فاغفـرْ لهـم جهلاتِهـم وألنْ لهم كنف الرّعـاية منـك والايجابِ
وابـذلْ لهـم كتـبَ الأمـانِ ليسرعوا متـزاحمين علـى ورود البابِ
فانِ استمـرّ علـى الضـّلال مريدهم لشقائـه وسفاهـة الألبابِ
فأذنْ لألسنـة الظُّبـى[2] فيهـم بأن يخطبْـنَ فوق منابـر الأرقابِ
انّ السـفيه اذا أبـى اصلاحه بالحلـم لم يكنِ الحسـام بآبي[3]
وادخـل الـى شيرازَ أيمـن مدخلٍ دخلـت به اسـد الثرى[4] في الغاب
ثمّ ارم بي بعض البـلاد وخلّني انقض فوق عقابهـا كعقابِ
واهـزّ منبرهـا بدعوتـك الّتي يصـل الخـطيب بهـا الـى المحرابِ
لي نجـدةُ الفتّـاك في الهيجـا وان خالفتهـم في نسبـة الكتّابِ
ولـو اختبـرت مواقفـي لوجدتني في الخـدمتين معـاً من الانجابِ
ووجـدْتَ في درعـي وفـي درّاعتي او في فتـىً بكتيبـةٍ وكتابِ

(١) لا تثريب: لا ملامة.
(٢) الظبى: حد السيف والرمح والسكين وغيره.
(٣) بابي: يمتنع.
(٤) اسد الثرى: اسد الغاب.

لا ابــن العميد ولا ابــن عبّــادٍ ولا   عبــد الحميد يُعــدّ من اضرابي
انــا فوقهــم بعلــوّ جدك كلّهم   بشهــادة الأدبــاء والآداب
واذا كتبــت كتــاب فتحــك فارساً   أرضــاك حســنُ بلاغتــي وخطابي
وقــد ابتــدأت اعــدّ آلات الوغى   من مرهفــات اسنَّــةٍ وحرابِ[1]
وسوابــقٍ من نســل عوج ضمَّرٍ[2]   صمٍّ الفصــوص لواحــق الأقرابِ

وأنشدني ابو جعفر محمد بن ابي علي الطبري قال انشدني ابو الفرج حمد بن ابي سعد بن خلف الهمداني لنفسه :

لئــنْ كنــتَ في نظــم القــريض مبرِّزاً   وليســت جدودي يعــربٌ واياد
فقــد تسجــع الورقــاءُ وهــي حمامةٌ   وقــد تنطــق الأوتــارُ وهــي جمادُ

٩٣ ـ ابو غانم معروف بن محمَّد القَصْري

كان من رؤوس الرّؤساء وكرام البلغاء والغالين في محبة الأدب واقتناء الكتب وجمعتني وايّاه في اجتيازه بنيسابور صحبة يسيرة المدّة كثيرة الفائدة وقد كان سمع بي ولم يرني فاستنسخ كتباً لي وانشدني أبياتاً لنفسه علق بحفظي منها قوله :

اذا لبس التفــاح خلعــة طلّه   وقابــل فيهــا البــدر اصبــح محمرّا
فمــا بال خدّي في سقيط دموعه   اذا هو لاقى وجهــك البــدر مصفرّا

وقوله في الشيب :

انّ للشيب حساماً   حاسمــاً طيب الرّقادِ
سلّ في فوديّ[3] ما اغـ   ـمــد منــه في فؤادي

---

(١) أسنة وحراب : يعني بها الرماح والسيوف .
(٢) ضمّر : هزال يقصد بها الخيل الضامرة التي تكون سريعة في الحرب .
(٣) فوديّ : الشعر الذي على جانبي الرأس .

وقوله في الفرس :

حكى فرسي اللّيل في لونِه ولازمه البدر عند اضطرارِ
فكان له غرّةً في التّمام ونعلاً لحافره في السّرارِ[1]

وقوله في الهلال :

أقبل اللّيل والظلا م عن الافق منجلي
فرأيت الهلال فيـ ـه كتعفيف منجلِ

وقوله :

اذا ما تبيَّنت ضعف العدوّ فشاوره تجرُّبه عند الثَّبات
وسالمه إنْ عصفت ريحه كما سالم الرّيح نجم النبات

وقوله في الغزل :

أرى شفتيك من مسكٍ وخمرٍ وطعمهما اذا ما ذيق مُرُّ
فانْ يمرر كلامك ليس بدعاً فانّ ممرّهُ مسكٌ وخمرُ

وقوله في الأمير أبي احمد محمد وبكائه على أبيه :

لا غرو ان تأسى على مَلِكٍ مضى أذرت مدامعها عليه عيونُ
ولئن بكيتَ وأنت طودٌ للنُّهى[2] فلقد تسيل من الجبال عيونُ

٩٤ ـ ابو القاسم ابراهيم بن عبد الله الكاتب الطّائيّ

من افراد الكتاب وفضلاء الزّمان نقل من الرّيّ الى الحضرة بغزنة حرسها الله تعالى واستخدم في ديوان الرّسائل بها ثمّ ضمّ الى الشيخ العميد ابي الطيب طاهر بن

(١) السرّار : المحاق حيث يختفي البدر .
(٢) النهي : العقل .

عبد الله ليكتب في ديوانه بالرّيّ فهو أعلم بشمس أرضه وهو القائل له بهراة من قصيدة :

البرد يا فرد العلى آتِ ... يجرُّ ذيل الظالم العاتي
والعبد لم يأخذ له اهبةً ... يأخذها المشتوُّ والشاتي
والحال قد رقَّت فلا مرفقٌ ... يجبرها أو راتبٌ آتي
وأنت لي عونٌ على كلّ ما ... تجمع في السُّرعة أشتاتي

وله من قصيدة :

واشرب معتَّقةً كأنَّ وميضَها ... نارٌ على قُلَلِ الجبال[1] تسعر
يسقيكها رشأٌ[2] أغنّ جفونه ... قبل الكؤوس المسكر انّك تسكر

٩٥ - ابو الحسن عليّ بن محمّد بن احمد الكاتب

يقول من قصيدة اولّها :

صبا قلبي وحنّ الى سعاد ... ودون لقائها خرط القتاد[3]
أمردودٌ لنا ماضي زمانٍ ... ومَنْ لي بالزّمان المستعاد
ليالِيَ رصّعتْ تيجان عيشي ... بدرّ اللّهو في سلك المراد
تهبُّ صبا صباي عليّ رهواً[4] ... وتلفح شرّتي[5] وجه الرّشاد

ومنها :

سأمتلكُ المعالي بالعوالي[6] ... وأشحذ غربَ عزمي واجتهادي

(١) قُلَلِ الجبال : قطع منها ، او قمم .
(٢) رشأ : ولد الغزال ويقصد بها المغنيّة ، والأغن : ذو الصوت الرخيم .
(٣) القتاد : أي ان طالبه لا يناله الا بمشقة .كخرط القتاد . وخرط القتاد هو انزاع شوكه باليد .
(٤) رهواً : ساكناً .
(٥) الشرَّة : الحدّة ، وشرّة الشباب : نشاطه .
(٦) العوالي : الرماح .

فقد ملّ اعتزامي من مقامي وعاف جمامه[1] المودي جوادي
وكم من ليلةٍ طحْياء[2] عادت على السّارين واضحة الهوادي
وهل خاب امرؤٌ أسرى ورجى أبا منصورٍ الواري الزنّادِ
ثمال عشيرةٍ وغنى عفاةٍ وحامل مغرمٍ وهلال نادِ
له شيمٌ لو اكتستِ اللّيالي محاسنها لما دجت الدّء آدي[3]

٩٦ ـ ابو النَّجْم مُسافر بن محمَّد القَزْويني

يقول :

لا يغرّنّكم علوّ لئيمٍ . فعلوّ لا يستحقّ سفالُ
وارتفاع القرين فيه فضوحٌ وعلوّ المصلوب فيه كمالُ

ويقول :

أيدك الله لا تهني حقق رجائي وحسن ظني
لو حجراً كنت او حديداً أذابني الهجر والتجنّي

ويقول :

تصافحتِ الأكفّ وكان أشهى الينا لو تصافحتِ الخدودُ
تسرّ اذا التقت كفٌّ وكفٌّ فكيف اذا التقى جيدٌ وجيدُ

٩٧ ـ ابو الفتح محمّد بن احْمد الدُّباوَنْديّ

ريحانة الرّؤساء وشمامة الوزراء يستوطن الرّيّ ويرجع الى فضل كثير وأدب

---

(١) جمامه : راحته .

(٢) طحياء : شديدة الظلام .

(٣) الدّءآدي : الليالي المظلمة .

غزير وحفظ عجيب وبلاغة بالغة ولسان كأنّما عناه ابراهيم بن سياه الأصبهاني بقوله في ابي مسلم بن بحر :

لسان محمدٍ أمضى غراراً[1] وأذرب من شبا[2] السَّيف الحسام
اذا ارتجل الخطاب بدا خليجٌ بفيه يمدّه بحر الكلام
كلامٌ بل مدامٌ بل نظامٌ من الياقوت بل قطْر الغمام

وورد نيسابور في صحبة الرّاية العالية أدام الله علوّها فنشربها طرز فضله وملاها من فوائده وأعرب عن محاسنه ودرّت عليه المشاهرة السلطانية والمبارّ السنية ، ثمّ جذبه الشيخ العميد ابو الطيب طاهر بن عبد الله الى الرّيّ وردّه في صحبته الى مستوطنه ، فمما أنشدني لنفسه قوله في الغزل :

كلّفْتُ مَنْ أهوى تجشّم قبلةٍ ظرفاً فأَوْلى غاية الايجابِ
ولثمتُ عارضه فكان كخلقه عطراً يذيع سرائر الأحبابِ

وله في رئيسٍ ممتحن :

بأيّ يدٍ أصول على اللّيالي وقد خانت أناملها الذرّاعُ
بودّي لو تبيت على جفوني ولكن عزّ ما لا يستطاعُ

وله في الاستزارة :

أيا ملك الدّنيا كسوت عراصها[3] مكارمَ في وجه الزّمان تنقَّش
وظلت كأنّي في الأنام خطيطة سقت جارتيها ديمةٌ وهي تعطش

وله في قوّال يكنى ابا الخطاب يهجوه :

---

(١) غِرارا : الغرار ، حدُّ السيف والسهم والرمح .
(٢) أذرب من شبا السيف : أي اشد مضاء مّن حدّ السيف القاطع .
(٣) عراصها : ساحاتها ، وفسحاتها .

أبـا الخطّـاب يا قمـر الزّمان به برصٌ يشاهَـدُ بالعيانِ
وآبـاطٌ يفـوح لهـا صِنانٌ[1] وايزار العمـى شمّ الضنّانِ
وداخـل ثوبـه جربٌ عتيقٌ توارثـه علـى قدم الزّمانِ
فذا يُعمـي وذا يعـدي فأنّى تنـادم مَنْ يكون بذا المكانِ
وفيه ابنـةٌ قدُمَـتْ وشاعَتْ مع الشّـوم المزنّـر في قِرانِ
ومـا دارٌ ألـمَّ بهـا فأبقى سوى الأطـلالِ فيهـا والمغاني
فأشـأمُ حين يضحـى من قدارٍ وأطفـل حين يمسـي من بنانِ
وأثقـل من قضـاء السـوء وجهاً وأوسـخ من قدور الباقلاني
وإنْ أبصرتـه يومـاً يغنّي فانّ الفقـرَ في تلك الأغاني
وان أخذ القضيب يروم صوتاً بكى منـه قضيب الخيزران
اذا غنّـى ووقّـع مستطيلاً علاه قبـل أصـوات الأغاني
دُوار الـرّأس حشرجـة التّراقي[2] سعـالُ الحلـقِ تفقيعُ البنانِ
فأبعِـدْهُ فانـك سوف تلقى نديمـاً ليس فيه ذي المعاني

٩٨ ـ الأستاذ ابو الفرج عليّ بن الحسين بن هندو

هـو من ضربـه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة وملكه رقّ البراعـة في البلاغة ، فرد الدّهر في الشعر وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ونظم القلائد والفرائد مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة وتذكير الذين يسمعون ويروون أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون . وكنت ضمنت كتاب اليتيمة نبذاً يسيراً من شعره[3] لم أظفر بغيره وهذا مكان ما وقع اليّ بعد ذلك من وسائط عقوده

(١) آباط : جمع إبط ، والصنان : الرائحة المنتنة .
(٢) حشرجة التراقي : الحشرجة : الصوت الذي يظهر فيه الاختناق ، والتراقي من الترقوة وهي : العظمة التي بين النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) اليتيمة : ج ٣ ص ٢١٢ .

وفوارد أبياته بل معجزاته فمنها قوله في الغزل وما يجري مجراه :

تعانقنا لتوديعٍ عشاءً وقد شرقَتْ[1] بأدمعها الحداقُ
فما زال العناق يضيق حتى توهّمنا عناقٌ أَمْ خناقُ

وقوله :

وحسبُكَ ما أخّرت كتبِي عنكُم لقالة واشٍ ام ملام محرّشِ
ولكنّ دمعي انْ كتبت مشوّشٌ كتابي وما نفع الكتاب المشوّشِ

وقوله :

أصبح من ودّي على حرفِ مَنْ لم أخُنه قطُّ في حرفِ
أسقمني طرفك من سقمهِ وصحتي في سقم الطّرفِ[2]
منك صلاحي وفسادي معاً والنَّفح مذكي النّار والمطفي
صُوّرتَ من لطفٍ فَلِمْ لا أرى منك سوى الجفوةِ والعنفِ

وقوله :

عارضَ وردُ الغصون وجنَتَهُ فاتفقا في الجمال واختلفا
يزداد بالقطف وردُ وجنته وينقص الورد كلّما قطفا

وقوله :

أيا بدراً بلا كلفٍ[3] به دون الورى كلفي
بما في الطَّرف من كحلٍ وما في الخصرْ من هيفٍ[4]
أبِنْ لي درَّ ثغرِكَ ما بهاء الدّرّ في الصدفِ

---

(١) شرقت : غصّت .
(٢) الطرف : العين .
(٣) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع سمراء صغيرة .
(٤) الهيف : الرقة والنعومة والضعف .

وقوله :

ألا ليت شعري كيف أشكر بعض ما ... تطوّقت من منّ الحمام المطوّقِ

فدتْ مهجتي أيكاً عليه سقوطه ... وفرخاً بدا من بيضه المتفلّقِ

لساعد نوحي نوحه حين ملّني ... خليلي وخلّى صحبتي كلّ مشفقِ

كلانا سواءٌ في البكا غير أنّني ... بكيت لأشواقي ولم يتشوّقِ

وقوله :

ليت انّ اللّيل دامت ظلمه ... فلقد جلّت لدينا نعمهْ

مثّلتْ صدغَيك لي ظلمته ... وأرت خدّيك عيني أنجمهْ

وقوله :

لم يستجب لحياتي بعدكم فرحُ ... ولم يلق ببناني بعدكم قدحُ

شوقي اليكم أعاد الله عهدكمُ ... شوقٌ له في ميادين الهوى مرحُ

يخفى مراراً ويبديه تلفّته ... والنار تكمن[1] حيناً ثمَّ تنقدحُ

وقوله :

ظبيٌ اذا قتل النفوس بصارمٍ[2] ... من طرفه رضيتْ بقبلتِهِ دَيهْ[3]

واذا دعوت عليه عند تعتّبي ... فأشدّ ما أدعو به أن افديَهْ

وقوله :

ليس بي من أذى الفراق اكتياب[4] ... قد كفتني عيني جميع اكتيابي

كلما شئت أسبلتُ دمّ قلبي ... فأرى فيه صورة الأحباب

وقوله :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم ... وخادعِ النّفسَ إنَّ النفسَ تنخدعُ

---

(١) تكمن : تهدأ

(٢) الصارم : السيف القاطع .

(٣) الديه : الغرم الذي يدفع لذوي القتيل .

(٤) اكتياب : اي اكتئابي وحزني .

قد صيغ قلبي على مقدار حبّهم　　فما لحبٍّ سواهم فيه متّسعُ

وقوله :

خلعت عذاريَ في شادنٍ　　عيون الأنام به تعقد
غدا وجهُه كعبةً للجمالِ　　ولي قلبُه الحجر الأسود

وقوله :

قولا لهذا القمر البادي　　مالك اصلاحي وافسادي
زوّد فؤاداً راحلاً قبلةً　　لا بدّ للرّاحل من زادِ

وقوله :

احلّك حتى صرتُ اغسل ناظري　　من النوم خوفاً أن يراك خياليا
ولو قدرت نفسي لضني بسركم　　اذا حجبت سرّ الهوى عن فؤاديا

وقوله :

يطلب الغائص في بحره اللّـ　　ـؤلؤ والعاشق في حجره
فإنْ يكن عبدك ذا فاقةٍ　　أغناه دمع العين عن درّه

وقوله :

وجريحٍ وجهه قلـ　　ـبي بحبيه جريحُ
أنا أفدي من محيّا　　ه على الجرح مليحُ

ومنها قوله في الخطّ والعذار :

أيها الكاتب الذي خيرّ الخا　　ـق بخطين بين مسكٍ ونقسٍ(١)
فجلا المسك في صحيفة عاجٍ　　وجلا النقس في صحيفة طرْسٍ(٢)
ليت جسمي النحيف من بعض　　أقلامك أضحى وليت نفسك نفسي
فلعليّ يوماً أمسّ بناناً　　منك يا سيدي فيذهب مسّي(٣)

---

(١) النقس : ما يعيب ويقال رجل نقس اي يعيب الناس ويلقبهم .
(٢) الطرس : الكتاب .
(٣) مسّي : ما بي من جنون .

وقوله :

أرخـي لعارضـه العـذار فما ... أبقـي على ورعـي ولا نسكي
فكأنّ نمـلاً قد دببْـنَ به ... غمسـت أكارعهـنّ في مسك

وقوله :

قالوا صحا قلب المحبّ وما صحا ... ومحـا العـذار سنا الحبيب ومـا محا
ما ضرّه شعـر العـذار وإنّما ... وافى بسلسـل حسنـه أن يبرحا

وقوله في ذمّ العذار :

كفـى فؤادي عذاره حرقَهْ ... وكفّ عينـاً بدمعهـا غَرَقَهْ
مـا خطّ حرفٌ من العـذار به ... الاّ محـا من جمالـه ورقهْ

وقوله :

يا مَنْ محيّاه كاسمـهِ حسنٌ ... إنْ نمـتَ عني فليس لي وسنُ[1]
قد كنـت قبـل العـذار في محنٍ ... حتـى تبـدّى فزادتِ المحنُ
يا شعـراتٍ جميعهـا فتنٌ ... تتيه في وصف كُنهها الفتنُ
ما عـيرّوا من عذاره سفهاً ... قد كان غصنـاً فأورق الغصنُ

وقوله لبعض الرّؤساء وقد انصبت الخمر على كمه في مجلسِ الشراب :

انصبّـتِ الخمـرُ على كمّهِ ... تلثـم منـه كمّـه خدمهْ
لـو لم ترد خدمتـه بالّتي ... قد فعلـت ما خصّصـت كُمَّهْ

وكتب على عودٍ :

رأيت العـود مشتقاً ... من العـود باتقان
فهـذا طيب آنافٍ ... وهـذا طيب آذان

وكتب على طنبورٍ :

ودوحـة انسٍ أصحبـت ثمراتها ... أغـاريد تجنيهـا ندامـى وجلاسُ

---

(١) الوسن : النعاس .

تغنّى عليهــا الطــيرُ وهــي رطيبةٌ   فلما عست[1] غنى على عودها الناسُ

وقال في ذمّ الخمر .

قد كفانــي من المدام شميمٌ   صالحتني النّهى وثاب العزيم

هي جهـد العقـول سمٌــيَ راحاً   مثـل ما قيل للّـديغ[2] السّليم

إنْ تكن جنـة النعيم ففيها   من اذى الجهـل والخمار جحيم

ومنها قوله في الهجا :

لنــا ملكٌ ما فيه للملك آلةٌ   سوى أنّــه يوم الســلام متوّج

أُقيمَ لاصــلاح الــورى وهــو فاسدٌ   وكيف استـواء الظـل والعـود أعوج

وقوله :

قل لابــن عبـدانَ الدّنــي الدّون[3]   وزّرت من دونــي وقـدرك دوني[4]

ألخطـك الملعــون أمْ لكلامـك الـ   ـملحــون[5] أم لعجانـك المطعون

وقوله لمجد الدولة وكان اتخذ له ابن فضلان دعوة عظيمة :

ومَــنْ مبلــغٌ عنــى الأمــير بن بويه   ومــن عجــب الـدنيا أمــير ولا أمرُ

أسرّك من فضــلان اصــلاح دعوة   بأمــوالك اللاتــي تخوّنهــا الغدْرُ

كممهورة من حمقهــا بعض حليها   تسرّ بأن نيكَتْ ومــن كيسهــا المهرُ

وقوله :

لم ييأسِ الكلــب من ملكٍ وسلطانِ   وقــد علــوت الــى دســتٍ وديوان

لا عار باستـك ان ازري بهــا قلح[6]   من يابس السّلح[7] فاستـاكت بجردان

---

(١) عست : قست .

(٢) للديغ : الذي لدغته الأفعى .

(٣) الدّنى الدون : السفيل المنحط .

(٤) دوني : أقل .

(٥) الملحون : أصابه اللحن أي فساد اللغة .

(٦) قلح : ما هو وسخ من الثياب .

(٧) السّلح : الفضلات الخارجة من البطن .

وقوله :

عجبت لقولنج هذا الوزيـ ـر أنّي ومن أين قد جاءهُ
وفي كلّ يوم له حقنةٌ تنظّف بالزّب أمعاءهُ

وقوله في أقرعٍ :

أكفنا زحمة الذّباب بابعا د قذالٍ[1] تنتابه الذّبان
هبك أوتيتَ تاج ملكٍ فإنّي لك رأسٌ للتاج فيه مكانُ
ليس ما حُزته من المال بدعاً هاك قد حازت السّلاف دنانُ[2]

وقوله في الصلاح :

كيف أرجو السماح أو أبتغيه في زمانٍ عمّ البغاء بنيهِ
يولد التوأمان فيه وكلٌّ منهما ممسكٌ بأير أخيه

فنون مختلفة الترتيب من بدايع شعره

قال في معنى نظم سبق اليه نثرا :

ليت العناقَ وشربَ الرّاح قد عقِدا بالنجم أو خُزنا في ذروة الفلك
فلم يعانق مليحاً غيرَ ذي كرمٍ ولم يُحب[3] الى كاسٍ سوى ملك
شيئان نغصّ أهلَ الفضل طيبُهما تشارك الناس لا طيبٌ لمشترك

وقال في مدح الجرب وملّح وظرف :

يهيج مسرّتي جربٌ بكفّي إذا ما عدّ في الكرب العظام
تجنبني اللّئام لذاك حتى كُفيت به مصافحة اللّئام

(١) القذال : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .
(٢) السّلاف دنانٌ : الخمر الموضوعة في اوعيتها .
(٣) يحب : يسير .

وقال يهجو :

لو مات لم يأكلِ الطعام اذا ... ما كان ذاك الطعام من كيسه
إنْ لم نشاهد دخان مطبخه ... فقد شهدنا دخان تعبيسه

وقال في احمد القطان القوّال الرّازي :

إذا أحمد القطان غنى توقفَتْ ... له الطير في جوّ السماء تصيخُ
وكاد حياءً كل لحنٍ ونغمةٍ ... وعودٍ وناي في التراب يسيخُ
لقرّطَ سمعي من جلاجل صوته ... فشبّ سروري والهموم تشيخُ

وقال في مراجعته الشعر بعد تركه إيّاه :

وكنت تركت الشعر آنف من خنىً ... وأكبر عن مدح وأزهد في غزل
فما زال بي حبيك حتى تطلّعت ... خواطر شعر كان طالعه أفل
تزلّ القوافي عن لساني كأنّه ... يفاعٌ يزلّ السيل عنه على عجل
فأصبح شعر الأعشيين من العشى ... لديه وشعر الأخطلين من الخطل(١)

وقال في الخطّ :

الآن قد صحّتْ لديّ شهادةٌ ... أنْ ليس مثل جماله بمصوّر
خطٌّ يكتبه حوالي خدّه ... قلم الاله بنقس(٢) مسكٍ أذفرِ(٣)

وقال في الآذريون :

ربّ روضٍ خلت آذريونه لما توقّد ... ذهباً اشعل مسكاً في كوانين زبرجد

وقال في وصف الباذنجان مذموماً :

(١) الخطل : الحمق والكلام الفاسد .
(٢) نقس مسك : دواة .
(٣) أذفر : عابقة رائحته .

يا ذا الّـذي يعتـدّ با   ذنجانـةً في المطعـم
أنهـاك عن صور المحا   جم[1] قد مُلين من الدّم

وقال فيه أيضاً :

يا ذا الـذي يلقـى بباذنجانـة خـير المآكل   أنهاك عن صوز المحاجم ألبست لون الدمامل

وقال في طين الأكل :

دعِ الـطين معتقـداً مذهبي   فقـد صحّ فيه حديث النبي
مـن الـطين ربّـي برا آدماً   فآكلـه آكلٌ للأب

وقال في الرّزق :

جرى قلـم القضـاء بمـا يكون   فسيّان التحـرُّك والسكونُ
جنـونٌ منـك أن تسعـى لرزقٍ   ويرزق في غشاوتـه الجنينُ

وقال في عزّ الكمال :

وإذا رأيتَ الفضـل فاز به الفتى   فاعلَـمْ بأنّ هنـاك نقصـاً خافيا
فالله أكمـلُ قدرةً من أن ترى   لكمالـه ممّـنْ براه ثانيا

وقال في الشكوى :

ضعـتُ بأرض الـرّي في أهلها   ضياع حرف الـرّاء في اللّثغهْ
صرت بهـا بعـد بلـوغِ الغنا   يعجبنـي أن أبلـغَ البلغهْ

وقال في الحثّ على الحركة والسعي :

خليلـيّ ليس الـرأيُ ما تريان   فشانكمـا أنّـي ذهبـت لشاني
خليلـيّ لولا أنّ في السَّعـي نفعةً   لمـا كان يومـاً يدأب القمران

وقال في مثله :

صحّ بخيل العلى الى الغايات ... ما غناءُ الأسود في الغابات
لا يردّ الرّدى لزوم بيوت ... لا ولا يقتضيه جوب فلاةِ
مولد الدرّ حمأةٌ[1] فإذا سا ... فر حلّى التيجان واللّبات[2]
أفٌّ للدّهر ما يني[3] يتعس الفا ... ضل في بدئه وفي العقبات
يسكن المسك سرّة الظبي بدأً ... ثمّ يصليه[4] وقدة الجمرات

وقال في ذمّ البخيل :

يُسرّ بخزن المال قوم ولم أكن ... لدى الخزن إلاّ مثل تصحيفه حزنا

وقال في النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة :

ما للمُعيل[5] وللمعالي إنّما ... يسعى اليهنّ الوحيد الفاردُ
فالشمس تجتاب السماءَ وحيدةً ... وأبو بنات النعش فيها راكدُ

وقال في الصبر :

تصبر إذا الهمّ أسرى اليك ... فلا الهم يبقى ولا صاحبه

وله رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين الزّناة واللاطة لا يتسع الكتاب الا لهذا الفصل منها : قالوا قد علمت أنّ أصحابنا بلغ من جلالة قدرهم وفخامة أمرهم ان لم يقتصروا على الجسمانيين حتى سمت بهم هممهم الى الرّوحانيين فأرادوا الملائكة بالوصمة لولا أنّ الله خصهم بالعصمة ثمّ بلغ من تناهي هذا الفعل في الطيب وأخذه

---

(١) الحمأة : الطين الأسود والفاسد الرائحة .
(٢) اللبات : يعني بها الرؤوس .
(٣) مايني : ما يفتأ وما يتوانى ومايتوقف .
(٤) يصليه : يوقده ويشعله .
(٥) المعيل : كثير العائلة .

بمجامع القلوب انّ لوطاً استتر لهم بكرائمه عنه فلم يقلعوا وأبدلهم عقائله منهم فلم يقنعوا فما ظنك بهمةٍ تسمو الى ملائكة السماء ولذّةٍ تؤثر على مصاهرة الانبياء ولا سبيل الى أن ينكر فضل الذكور على الاناث وقد فضلهم الله في ا لميراث وشتان ما بين الغلام الذي يصحبك في سفرك كما يصحبك في حضرك فإذا ركبت زان موكبك واذا مشيت صكّ منكبك وإذا احتفلت خدمك واذا خلوت نادمك ثمّ هو فوق الجواد أسدٌ لا بد وتحت اللّحاف رشأٌ فارد وبين المرأة الّتي تشيب أنفاسها العنافق[1] وتكاليفها المفارق وتعدم المرافق وتنقض الجسم وتنقص العمر وتكثر النسل وتقلّ الوفر بلى ما شئت من فادحٍ ثقل الصداق وهمّ الامساك والطلاق ونفقة الاعراس والاخراس وشفقة الوحم والنفاس .

٩٩ ـ الشّيخ أبو المحاسن سعد بن محمّد بن منصور رئيس جرجان أيّده الله تعالى

أجمع أهل زماننا أجمع على أنّه أجمع الرؤسا لما يكنى به وأجمعهم بين العلوم والآداب وشرفي الانتساب والاكتساب وأنّه عالم في ثوب عالم وبحر في شخص حبر وماله نظير وغصن شبابه نضير وكانت النائبة رحّب بي الى جرجان في سنة ثلاث وأربعمائة فأنزلني أبوه الرئيس أبو سعد محمد بن مَنصور رضي الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه منزله وأخدمني خدمة وأوسعني فضله وكرمه وكانت حالي عنده ومعه حال من قال :

نزلت على آل المهلّب شاتياً ... غريباً من الأوطان في زمنٍ محلِ
فما زال بي اكرامهم واقتفاؤهم ... وألطافهم حتى حسبتهُمُ أهلي

وأبو المحاسن إذ ذاك صبيٌّ لم يبلغ الحلم وقد آتاه الله في اقبال العمر جوامع الفضل وسوّغه في ريعان الصبا محامد العلى فكنا نجتمع في جماعةٍ من الفضلاء

(١) العنافق : شعرات صغار بين الشفه السفلى والذقن ومفردها العنفقه.

والادباء والشعراء كلّ يومٍ وليلةٍ على المدارسة والمذاكرة والمناشدة فيبذّنا أبو المحاسن بحسن محاضرته ومبادهته ويعجبنا من بلاغته وبراعته على حدوث ميلاده وقرب اسناده وكتب لي جزءاًمن شعره بخطه هو حتى الآن عندي وأتممت كتاب اليتيمة بحضرته فافتض عذرته وتحفظ أكثره ولم يفرق بيننا إلاّ أن جاءني داعي الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه تغمده الله بغفرانه ومهد له أعلى جنانه فنهضت من جرجان الى الجرجانية وضرب الدهر ضربانه ودارت الأدوار ومرّت الأعوام وتنقلت الأحوال وكتبت للرّئيس أبي سعدٍ سعادة المحتضر وأفضى به الأمر الى الأجل المنتظر وقام الشيخ أبو المحاسن أيّده الله تعالى مقامه في الرّياسة وأربى عليه في السياسة والسفارة والقبول التامّ عند الخاصّ والعامّ وبلغ من البلاغة والتقدّم نحو سيبويه وفي الفقه والشعر مبلغاً تثنى به الخناصر وتثنى عليه الشّبابات وطلع في سنة أربع وعشرين على نيسابور رسولاً الى حضرة السلطان الأعظم أدام الله تعالى ملكه ومؤدّياً وديعة الكيا الأجلّ أبي كاليجار أدام الله عزّه فملأ العيون جمالاً والقلوب كمالاً وأوسع أهلها فضلاً وافضالاً وأقرّ عيني منه بلقاء شخص المجد وتجديد العهد القديم بأوحد الدّهر ولم يتفق لي تعليق شعره الجديد لعارض من المرض ألمّ بي حتى فاتني ما مددت عيني اليه من عقود درّه وعقد سحره مع انقلابه الى مركز عزّه وعلى كلّ نجحٍ رقيبٌ من الآفات وأنا أقتصر ها هنا على كتبة نبذٍ من بنات خاطره القديمة الى أن الحق بها وسائط من قلائده الحديثة ، وهذه نسخة فصلٍ من نثره بدأت به ولم أقرأ أبرع وأبدع منه في فنه : كنت خاطبت الشيخ بخطاب دللت فيه على غلوّي في دين ودّه وضربي سكة الاخلاص باسمه وتلاوتي سور معاليه التي تكدّ لطولها لسان راويها وايماني بشريعة مكارمه التي بعث والحمد لله نبياً فيها فدعا اليها دعوة استجابت لها الكرماء وحجت كعبة فضله الآمال الانضاء وخلّد ذكره في صحف المكرمات تخليداً واعتقد الخلود من سودده علماً لا تقليداً وقضى حكام المجد بأنّه الّذي تلقى رايات المجد باليمين وتوخّى نظم شاردها بعرق الجبين . وهذه نسخة رسالة له الى بعض خواص الشيخ شمس الكفاة رحمه الله :

اقرأ على الوشل[1] السّلام وقل له كلُّ المشارب مذ هجرْتَ ذميمُ
سقياً لظلّكَ بالعشيّ وبالضّحى ولبرد مائك والمياه حميمُ[2]

ما أحسبني منذ فارقت الشيخ أدام الله عزّه خلوت ساعةً من تمثل شخصه والتلفت بأخادع الذّكر نحو كريم عهده واستسقاء صوب الرّبيع المربع لأنيس ربعه والثناء على الدهر الذي وصل حبلي بحبله وألّف شملي بمجموع شمله :

وان لم يكن إلاّ معرّج ساعةٍ قليلاً فإنّي نافعٌ لي قليلُها

وليت شعري هل يجول ذكري في ميدان فكره أم طواه طي الرّداء فليس تهتزّ لنشره وأقبل على بثّ الأوطار الفساح بين مناجاة الأوتار الفصاح ومناغاة الوجوه الصباح وارتشاف ثنايا الكؤوس اذا تجلّتها أيدي السقاة جلوة العروس وصلة عرى الصبوح بعرى الغبوق والجري في ميدان اللّهو جري السابق لا المسبوق واستغفر الله مما طاش به سنّ القلم وأعوذ به أن يسخط لهذه الكلم واليه أرغب في امتاعي بخلّته الّتي هي من جلائل النعم ولا يسرني بها وحقّ المجد حمر النعم وهذه المخاطبة واصلة في صحبة فلان وهو من أقارب فلان تجاوز الله عن الماضي وأدام الله عزّ الباقي ولا خفا بهذا النسب الّذي نظم من الكرم عقودا وكان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً وما أشك في استغنائه عن هذا الذكر فقد عرف أحوالهم أيّام اجتيازه بالرّي وكان هذا الشيخ نائباً عن أميرها ومنوطاً به جميع امورها حتى انحى عليه صرف الدّهر واضطرّه الى مفارقة المستقر وقصد حضرة تمنع به جانبه فلا يرام ويدّرع ثوب العزّ فلا يضام وهذه صفة حضرة الصاحب الأجلّ فإنّها الحضرة تخدمها الأيام كما تخدمها السيوف والأقلام وأرجو ان يحظى بهذا القصد ويسعد بساحة المجد فالبحر يعمّ بفيضه الخلق والرّبيع يمنح من شام برقه الودق . وهذه غررٌ من شعره في صباه نقلتها من خطه فمنها قوله من قصيدة في مدح أبيه رحمه الله :

---

(١) الوشل : الدامع العين .

(٢) حميم : حار .

قَـدَحَ النّـوى زنـدَ الغرام ومَـرَى[1] دمـوع المسْتهامِ
وبنفسـي الظبـيُ الّذي عاطيتـه كأس المدامِ
ففروعـه[2] ليلُ التّمام ووجهـه بدرُ التّمامِ
طـاوى الحشـا عذبُ اللّمى[3] عبـل[4] الشـوى غنـج القوامِ
لـم أدرِ قبـل لحاظه انّ اللّحـاظ من السّهامِ
لاحظتـه فحملْـتُ من أجفانـه بعض السقامِ
وفـديت محجـره وان خلـع الفتـور علـى عظامي
أعـدى تضـرّج خدّه قلبـي فأضحـى وهـو دامِ
فـكأنّ في قلبـي الّذي في وجنتيه من الضّرامِ
سـقياً لعيشٍ باللّوى[5] عذب الجنى صافي الجمامِ[6]
أيّام أسحـب في التّصابي فضـل أذيال العرامِ[7]
والعيش عذب الـورد رطـ ـب العـود غضّ الغصـن نامِ
والانس تهمـي مزنه كنـدى محمّـدٍ الهمامِ
ذاك الّـذي أضحـى وغيـ ـم نداه سحّ القطـر هامِ[8]
لله همتـه التي غضـت من الهمـمِ العظامِ
كم موقفٍ نثـر العوالي فيه عقـد طلـى[9] وهامِ
وتبسمت فيه الظبى عن ناجـذ[10] المـوت الزؤام

(١) مرى : اسال .
(٢) فروعه : اي شعره .
(٣) اللمّى : السمرة في الشفة .
(٤) عبل : ضخم .
(٥) اللّوى : اسم مكان .
(٦) الجمام : الراحة .
(٧) العرام : الإفتخار والإعجاب بالنفس
(٨) سحّ القطر هام : أي نزول المطر وانهماره .
(٩) طلى : الدم المطلول .
(١٠) ناجذ : من النواجذ وهي عروقٌ في العنق .

وأهلّـة الأسياف تهتك ستـر ظلمـاء القتامِ
مزّقتـه بحسـام رأيٍ شيم من غمـد اعتزامِ
فالمـال عنـدك في انتثا رِ والمعالـي في انتظامِ
مـا كان غيمـك بالجهام[1] ولا حسامـك بالكهامِ[2]
فاسعـد بنيروزٍ ينبّـ ـه جفـن أنـوارٍ نيام
نثـر الـرّذاذ علـى الثرى درّاً يشـذّ عن النظامِ
وتفتـح الأنـوار اذ رشـ ـف الثـرى ريق الغمامِ
وتعصّبـت بعصائـب الـ أنـوار هامـات الأكامِ
وجلـى الـرّبيع ضحـىً عرو س الـورد من كلل الكمامِ
وكأنّمـا سرق الصبـا ريّا شمـائلك الكرامِ
يا مَنْ تدفّـق جوده كتدفُّـق الغيم الرُّكامِ
لا زلـتَ في ظلّ المعالي بالغـاً أقصـى المرامِ[3]
واسحـبْ ذيول العـزّ سجّي[4] ذيل أنعمـك الجسام

وقوله من أخرى :

قفـوا لنمـري درّ الدّمـع في الدّور فالدّمع يشفـي انسكاباً قلـب مهجور
فإنْ عفـا الرّبـع أو أقـوى ببينهم فربعهـم في فؤادي جدّ معمور

ومنها :

فلـو ترى القلـم المـذروب في يده يمضـي مضـاء صقيل المتـن مأثور
عجبتُ من صارمٍ ماضـي الفرند[5] غدا في كفّ ماضٍ جديد الحدّ مشهور

---

(١) بالجهام : بالمظلم المسودّ .
(٢) الكهام : الذي فلّ ولم يستطع القطع .
(٣) المرام : الهدف والغاية .
(٤) سجيّ : ابسط وامدد .
(٥) الفرند : السيف .

ومنها :

أسعـد فقـد جاءك النيروز وانتبهَتْ ... من بعـد ما رقـدَتْ عينُ الأزاهيرِ
تبـكي السّمـاء مساء فعـل ذي شجن ... ويضحك الدهـر صبحـاً فعلَ مسرورِ
واللّيل يبـدي نجومـاً مثـل ما انتثرَتْ ... لآلىء فوق صرحٍ من قواريرِ
والبـرق يصبـغ خدّ الغيم حين سرى ... صبغَ الحياءِ خدودَ النفَّـر النورِ
والرّوض يجلوه قرن الشـمس ضاحيةً ... في مطـرف بيـد الأنـواء منشورِ
تشققـت فيه أجفـان الشـقيق ضحىً ... كأنّهـا إذ بـدت أجفـان مخمـورِ
ولاح فيه الأقاحـي كالدّراهـم إذ ... ألاح حوذانه مثل الدنانير
والنرجس الرطب أضحـى في حدائقه ... يرنـو الينـا بعين الخُـرّد[1] الحورِ
كأنّـه إذ جلاه طلّـه سحراً ... صهبـاء ممزوجـةٌ في كاس بلّورِ
والجـوّ يسـرق أنفـاسَ النّسيمِ إذا ... جرى على صفحاتِ الورد والخيري[2]
كأنّ ريّا الـرّياض الزاهـرات حكَتْ ... ريا خلائقـك الغـرّ المشاهيرِ
فاسلَمْ فإنّـك ليثٌ في الوغـى وحياً[3] ... عنـد المحـول وبـدرٌ في الدّياجيرِ

وإذا كان شعره هكذا في عنفوان الصبا فما الظنّ به عند قضاء باكورة الشباب وبلوغ حدّ الاكتهال سقى الله ربعه وعهده وأبعد عنا بعده .

١٠٠ ـ ابو المظفّر بن القاضي ابي بشر الفضل بن محمّد الجرجاني ايّده الله ورحم أباه

جامع بين شرف النفس والوالد وطريف المجد والتالد وبين الأدب والفقه والنحو والشعر ترامت به الحوادث الى نيسابور ، فأنشدني لنفسه :

---

(١) الخردّ : الخريدة اي الفتاة العذراء .
(٢) الخيري : زهر المنثور الأصفر .
(٣) حياً : مطر .

كأنّ العين مني يوم بانوا[1] سماء فيض أدمعها نجوم
اذا ما همّ جفنٌ باستراق لغمضٍ صدّه عنه وجوم

وأنشدني ايضاً لنفسه :

كرام الناس بين ظلام عسرٍ وعند لئامهم ضوء يسار
كأيمان اليها عقد عشرٍ ومجموع المائين الى اليسار

وأنشدني أيضاً لنفسه :

أني اليك لمشتاقٌ وبي ظمأٌ الى لقائك والرحمن يشهد لي
ولو قدرت لكتب الخطّ تقرؤه لكنّ عجزي عنه ليس من قبلي

وأنشدني ايضاً لنفسه :

قومٌ اذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوت الى ثياب الغاسلِ

١٠١ ـ صاعد بن محمّد الجُرجاني

أنشدني ابو الفتح الدّباونلِي له في المخزومي الذي مرّ ذكره :

وجدت مخزوميكم هذا يا شعراء الناسِ أستاذا
قد صار بالريّ لكم شاعراً وكان بالبصرة نبّاذا[2]
وجدتُ بنداراً[3] على ظهره يلقمهُ أقرعُ نفاذا
لما رأيت الشيخَ مستدخلاً قلت له من عجبٍ ماذا
فقال لي لا تعجَبنّ يا فتى فانّما الناسُ على هذا

---

(١) بانوا : رحلوا وفارقوا .
(٢) نبّاذا : يبيع النبيذ أو يصنعه أو ناقضاً للعهد .
(٣) بنداراً : حملاً من كتب وغيره ، وربما هنا يشبهه بأنّه كحامل الأسفار .

وكتب الى العباس الضبّي :

ولو أنني حسب اشتياقي ومنيتي … منحتك شيئاً لم يكن غير مقلتي
ولكنني أهدي على قدر طاقتي … وأحمل ديواناً بخطّ ابن مقلة

وله :

مغضبة المرء بلا مملكهْ … منخلةٌ للجسم او مهلكهْ

١٠٢ ـ ابو بكر عبد القاهر بن محمّد بن الحسن

كتب الى أبي الفرج بن حسنيل جواباً عن شعرٍ له :

أجاب ودّي وطبع الشعر لم تجب … اذ كان ما قلته في غاية العجب
يُشتمُّ منه نسيمُ المسكِ قارئه … ويجتلي كوكب العلياء والحسب
أبدى الأنام من الأشعار رغوتها … وأنت أخرجْتَ منها زبدةَ الحقب

١٠٣ ـ ابو الحسن عالي بن جَبلَة الغسّاني

يقول في أبي الفتح أخي الوزير ابي غالب محمد بن علي بن خلف من قصيدةٍ :

وسرنا نتبع الركب ونقفو[١] أثر السرّح[٢]
الى أن أسفر الصُّبحُ لنا عن أحسن اللّمح
وأبدت طلعةُ الشّمسِ لنا وجه أبي الفتح

١٠٤ ـ ابو علي الحسن بن محمّد الدّامغاني

من دهاقين[٣] قومس وافراد ادبائها وشعرائها ومن افضل فضلائها يرجع الى

(١) نقفو : نتبع . تسير على خطاه .
(٢) السرّح : الماشية وغيرها . ..
(٣) دهاقين : من رؤساء الاقليم مفردها دهقان .

كفاية ومروّة صالحة ، ويقول :

اذا عشــق الفتــى يومــاً عروباً ... ولــم يتعدّهــا منــه الودادُ
فلــي في كلّ غانيةٍ مرادٌ ... ولــي في كلّ زاوية فؤادُ
ومــا فكت فؤاداً بعــدُ سعدي ... رأتــه رهــن مقلتهــا سعادُ
وليس الغــدرُ من شيمــي ولكنْ ... بهيج كراهتــي الشيىء المعادُ
ومَــنْ لم يسبــه حدق الغواني ... فمــا هو في الــورى إلاّ جمادُ

ويقول :

العقــل والحــرف مقرونــان في قرنٍ ... والجهــلُ والحــظّ منظومــان في رسنِ
الفضــل علــمٌ ولا قعبــان من لبن ... حلــو المــذاق ولا بردان من عدنِ

ويقول :

قالــوا مدحــت اناســاً لاخــلاق لهم ... مدحــاً يناســب أنــواع الأزاهيرِ
فقلــت لا تعذرونــي إننــي رجلٌ ... اقلّــد الــدرّ أعنــاق الخنازيرِ

ويقول :

أيا حليةَ الــدّنيا ويا زينــةَ الورى ... ومــن أنــا بالفضــل الــذي فيه أفخر
تسيىء وانــي شاكرٌ لك حامدٌ ... ومــن قائــل لليّت انــك أبخر

ويقول من قصيدة اولّها :

صحــا عن هواه واستــراح عواذله ... محــبّ شفــاه الغــانيات مناهلهْ

ومنها في مدح شمس الكفاة :

ومــا الفقــر من أكنــاف قومس قاده ... اليك ولــكن فضــلُ عزٍ يحاولهْ
ولــولاك ما صرّت لديك نعاله ... ولــولاك ما أطّــت(١) اليك محاملهْ

(١) أطّت : أنت تعباً وحنيناً ، والمحامل : النوق وغيرُها .

ولا غادر الخشف[1] الـكحيل جفونه بلا اثمـدٍ[2] جادت بذاك مكاحلهْ

ومنها :

ولـم يبـق في هذا الزمـان الـذي أرى من الشعـر الاّ منطـقٌ قلّ طائلهْ
فعـارضْ وزير الشـرق شعـري بغيره يبـن لك نهـاق الحمير وصاهلُهْ

ويقول في مرثية السلطان الماضي ابي القسم محمود انار الله برهانه :

مضى الافعوان الصلّ[3] والأسد الورد وتـاج ملـوك الأرض والفـارس النَّجد
فقل لحوا في الخيل لا تشتكي الوجى فمـا خلتهـا من بعـده طلقـاً تعدو
وقـل لملـوك الأرض قد نامـتِ القطا ووحش الفـلا واللّيل أليل مسوّدُ
ولا ترهبـوا منـه بياتـاً علـى العدى بمـردٍ علـى جردٍ يضمّهـم جندُ
ولـم أدرِ أنّ الشـمس يسترهـا ثرىً ولا الفلك الأعلـى يغيبـه لحدُ[4]

ويقول في الشيب :

أنـور الاقحـوان أسأت جِدّاً بلا عمـدٍ الـى زهـر الخُزام[5]
فصـار الـرّأس حزّا فرط ليسٍ وعـاد ْالمـخّ داراً في السّلامَ

ويقول أيضاً :

يا بياضـاً في مقلتـيّ سوادُ هل لعهـد الصّبـا الـيّ معادُ
يا خزامـي العـذارُ بدكّـت بعدي اقحوانـاً ينـدّ منـك الفؤآدُ
لم اعظّم قدر الشباب الى ان أنكرتنـي من المشيب معادُ
ودعتنـي عمـاً وهـذا لعمري لقـب للمحـبّ لا يستجادُ

---

(١) الخشف : ولد الغزالة .
(٢) الأثمد : الكحل .
(٣) الإفعوان الصلّ : الافعى القاتلة .
(٤) لحد : قبر .
(٥) الخزام: شجر طيب الرائحة .

يا زمانَ الشبَّابِ زُرْني فإني مذ تقضيّت لم يزُرْني الرّقادُ[1]

ويقول :

سقى الله أجداث ماضي الملوك رعاة الرّعايا غياث الامم
وبعداً لأملاكنا انهم ذئاب عواسل حتفُ الغنم

ويقول :

اين خطّ ابن مقلة عن جمال الخـ ـطّ في صحن خدّه المعشوق
ذاك صنع الأله فرداً من الخلـ ـق وهاذاك صنعة المخلوق

ويقول :

ألا يا لقوم للخلال الخسائس ورفعة أرجاسٍ برغم المعاطسِ
قفوا فانظروا اذ ضمّت الشّمل ندوةً لحادثةٍ مَنْ في صدور المجالسِ
تَرَوْا من شيوخ السُّوء فيها عصابةً أبالسَ أضحَوْا في خلال الطّيالسِ
صعاليك أموال اليتامى ذئابها قراضبة البيداء حتف الفوارسِ
وهم شهداء الزّور من قلّة التقى لحوز منالات اليهم خسايسِ
يعدّون ما دون البتيكات[2] وضّحا رشىً لهم من تُرّهات البسابسِ[3]
بها حلّلوا عين الحرام وحرّموا الـ ـحلال اتّساعاً في فنون المقايسِ
كما غصبوا الأملاكَ معشوقة الورى وما سجلوا ايضاً بها في الحبايسِ
فيا وحشتي منهم اذا اكتحلت بهم جفوني وانسى بالوحوش الكوانس
مضى الرؤساء الأوّلون وأصبحت عراص المعالي كالطُّلول الدّوارس[4]

---

(١) الرقاد : النوم ، وتقضيّت : اي مضيت وانقطعت .
(٢) البتيكات : أجزاء من آخر الليل .
(٣) البسابس : الاباطيل .
(٤) الطلول الدّوارس : الآثار الزائلة .

ويقول :

خــوانٌ ربعــه أبــداً خلاءُ   من الخيرات بادية قواءُ
اذا ما جاءه الأضياف غنّى   ومــا يغنــي من الغــرث[1] الغناءُ
عفــا من آلِ فاطمــة الجواءُ   فيمــنٌ فالقــوادم فالحساءُ
وانّ مفــازةً[2] لا ماءَ فيها   ومائــدةً بلا خبــزٍ سواءُ
أيا معــن السّخــاء بلا عطاءٍ   وحاتــم طائــي والتّــاء راءُ

وله وقد عيِّر بترك التعرض لعمل السلطان :

ذرونــي أكن حلس[3] البُيَيْتِ مكرّماً   قنوعــاً بقــوت لا يدرّ له ضرعُ
ففقــر الفتــى خلف السّلامــة كالغنا   ولا خيرَ في نفــعٍ علــى عقبــه صفعُ

وله يرثي الوزير أبا القاسم احمد بن الحسن الميمندي وقد كان يكرمه عند اتصاله به :

يا غرّةً لائحة   فوق جبين الزّمن
يا درّةً قد أدرجَتْ   في حبــرات الكفن
يا أســداً اعــداؤه الـ   ـمهجــة دون البدن
يا عالمــاً مجتمعاً   في أحمــدَ بن الحسن
جــزيت عنــي حسناً   بكلّ صنــعٍ حسن
وانعــم بوسمــيّ الندا   يحيث[4] ترب الجنن
مــا ناحــتِ الورقــاء في   دوحٍ فُويْق القنن[5]

---

(١) الغرث : الجــوع.
(٢) المفازة : الأرض تكثر فيها الهلكة .
(٣) حلس البييت : اي ملازمه .
(٤) يحيث : من حاث ـ يحث او يحرك .
(٥) القنن : الجبل الصغير او اعلاه .

وله في الشيب :

هجرت الهوى وشنفت المدامه ... وعبت الغلام وعفت الغلامَهْ
فلا في اميمةَ لي مطمعٌ ... يحنّ ولا مرغبٌ في أمامَهْ
ولا قلت اذ بكر العاذلات ... بمرّ الملامة كفى الملامَهْ
وعهدي بها حين رأسي الغداف[1] ... وها هو كالنِّسر تحت العمامَهْ
وما عذر ذي نهيةٍ في الصبّا ... اذا ما خزاماهُ صارت ثغامَهْ

وله :

خضبتْ أناملها بحمرة خدّها ... اذ دمعتي يوم الفراق عليها
انْ كان من ماء الحياة حقيقة ... فهو الذي سقيتُ من شفتيها

وله في الشريحي القاضي بقومس :

خليلي ما بال الثلوجِ كأنها ... قناعٌ على وجه البسيطة مغدف
أينتف عثنون[2] الشريحيّ في الهوا ... لعمركُما أمْ صوف لحييه ينذف

١٠٥ ـ ابو الفرج احمد بن محمّد بن يحيى بن حسنيل الهَمَداني

يرفعه نفسه وأصله وفضله ويخفضه دهره وقد لفظته الغربة الى بلاد خراسان فأدركته حرفة الأدب وهو شاعرٌ حسن البديهة كثير الغُرر فمنها قوله :

ما ان رأيت وان سمعت بحمرةٍ ... من وردةٍ ودخانها من عنبر
حتى اكتحلْتُ بخدّه وبخطّه ... وغدوتُ بينهما حريق المجمر

---

(١) الغداف : شعر اسود كالغراب .
(٢) عثنون : جمعها عثانين شعرات صغار عند موضع الذبح او اللحية .

وقوله من قصيدة :

ها انني من اسودٍ طعمها كرماً ... وحش المعالي فلا ترتاح للجيَفِ
وانني واقتياتي خبْثُ طعمتكم ... كالطَّرف ساف الثرى من غُزَّةِ العلفِ
لو كان يعلم درّي انّ مثلكم ... يكون أعناق نظمي غاص في الصَّدفِ
مقاطر القلم الصَّمصام[1] تشهد لي ... انّ الوزارةَ سهمي والعلى هدفي
وسوف يطلع دستي شمس مكرمتي ... وترتدي بي الثريّا عمَّة الشَّرف[2]
فأملأُ الأرضَ عدلاً والزمان حجىً ... والسُّحب نوأ[3] ودرعي جوهر الظَّلف[4]
لله شكري وللسُّلطان خالصتي ... وللعُفاة الجنى المعسول في كنف

وقوله من اخرى :

اذا قلت شعراً فالنّجوم رواته ... ومن ذا رأى الشّعرى روت لامرىء شعرا
وما أنا ممَّنْ يركب الشِّعر قدره ... ولكنّ قدري يركب الشعر والشّعرى

وقوله في غلامٍ جلس في اخريات الناس وتنقّب بكمّه :

جلسْتُ في اخريات الناس يا قمري ... بخلاً عليّ بأن أروى من النظر
فصرْتَ من فرج الأشخاص تلمع لي ... كحاجبِ الشمس ناغى طرّةَ الشجر
لم تقتنعْ بقناعي زحمةً ونوىً ... حتى تنقّبت بالأكمام عن بصري

---

(١) الصمصام : السيف القاطع الذي لا يرتد .
(٢) عمة الشرف : اي عمامته .
(٣) نوأ : مطر .
(٤) الظّلف : الترفع عن الدنايا .

الجزء الثاني

من كتاب

تتمة اليتيمة

[متمّم القسم الرّابع من اليتيمة]

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثّعالبي النَّيسابوري

تحقيق الدكتور

مفيد محمد قميحة

تتمة القسم الرّابع

في محاسن أهل خراسان

وما يتصل بها من سائر البلدان

قد اعتمدت بهذا القسم الأخير من كتاب تتمّة اليتيمة أن أبدأ بأهل نيسابور ونواحيها ثمّ أمتدّ الى سائر بلدان خراسان ثمّ أذكر أركان الدّولة وأعيان الحضرة العالية حرسها الله تعالى وآنسها والمتصرّفين على أعمالها والمتّصلين بخدمتها من المقيمين بها وغيرها وما توفيقي الاّ بالله عليه توكلت واليه انيب .

١٠٦ ـ السّيد ابو البَرَكات عليّ بن الحسين العَلَوي

قد تتوّج كتاب اليتيمة بذكره ، وصُبابة من شعره ولا غنيّة بهذا الكتاب عن غررٍ له من نكت دهره وما أقول في بقيّة الشرف وبحر الأدب وربيع الكرم وغرّة نيسابور وشيخ العلويّة وحسنة الحسينيّة وأمام الشّيعة بها ومن له صدرٌ تضيق عنه الدّهناء[١] وتفزع اليه الدهماء[٢] .

وكلامٍ كدمع صبٍّ غريبٍ ... رقّ حتّى الهواء يكثف عندَهْ[٣]
رقّ لفظاً ودقّ معنىً فأضحى ... كلّ سحرٍ من البلاغة عبدَهْ

فصل في عيادةٍ : ما عرفت لعلّتي هذه سبباً الاّ انّي رأيت نفس الكرم مشتكية

(١) الدهناء : الصحراء الواسعة .
(٢) الدهماء : جماعة الناس .
(٣) الصبّ : العاشق .

فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكمال قذية فاحتملت عنها قذاها وقلت يا عجباً كيف يشتكي من لم يزل يشكي ولا يُشكي ولم يمرض من صحّت به آمالنا المرضى .

فصلٌ : كرم الشّيخ يطمعني وتقصيري يؤنسني وفضله يقدّمني وتقريظي يؤخّرني ولئن كان استصغار الصغيرة كبيرة فالاصرار على الكبيرة أكبر وان كان سكوت المعذّر وجهاً فالاعتذار منه أحرى وأجدر .

فصلٌ : بعض الوقت مقت وبعض الحين حين والطّالب عجول والمطلوب منه ملول وكلّ اناء يرشح بما فيه وكلّ جانٍ يده الى فيه .

لفظه : يا أسفي على وفاة الوفاء . ولوكتبت أحاسن شعره لاستغرقت الكتاب كلّه ولكنّي أكتب لمعاً منها تفي بشرط الاختصار والاقتصار كقوله من قصيدة :

كم شادنٍ قد كان بدراً فاكتسى خطّين فوق مدارهِ لم يُكتبا
دارت مكان القرط عقرب صدغه يا مَنْ رأى بدراً تقرّط عقربا

وقوله :

هنيئاً لكم يا أهل غزنة قسمةٌ خُصصتم بها في النّاس من هذه الدّنيا
دراهمنا تُجبى اليكم وثلجكم يُردّ الينا هذه قسمة ضَيزى

وقوله من قصيدة سخريّةٍ :

أفنانيَ الدّهر ولم أفنهِ وجُدّ في كيدي الجديدان
حتّى رماني الدّهر عن قوسه وشقّ قلبي فهو نصفان
فنصفه نهبُ سجستان ونصفه نهبُ خراسان

وقوله :

تقضّى الشباب فما أمرحُ وبان الحبيب فما أفرحُ

وهـذا زمـانٌ كمـا قد ترى ... فقـلْ لي فديتـكَ ما أمدحُ
كتبت على اسمـك يا سيّدي ... على الياس منك ولن تفلحوا

وقوله :

أَسربُ القطا هل من معيرٍ جناحهُ ... فيوسعنـي برّاً وأوسعـه شكْرا
لعلّـيَ ألقـى من أُحـبّ لقاءه ... فقـد فرّق الأيّام ما بيننـا دهرا

وقوله في يوم باردٍ ثالجٍ :

يومٌ عبـوسٌ كالـحٌ وجهه ... بزمهـريرِ البـرد موصوف
كأنّ فيه ثلجُـه ساقطاً ... قطـنٌ علـى الصّحـراء مندوف

وقوله في الأشجار والقمراء :

ألا صرّف[1] لنـا خمراً ... فنفس الصّـبِّ مدهوشَهْ
فصرّفْهـا وقرّبْها ... وغـرّبْ وهـي مغشوشَهْ
علـى أنـواع ريحانٍ ... بمـاءِ الطّـلِّ مرشوشَهْ
تـرى الشّجْـراء في القمرا ... ءِ[2] بالأفياءِ منقوشَهْ
كأنّ الأرضَ من حسنٍ ... بجلـد النّمـر مفروشَهْ

وقوله من أُرجوزة :

والنّجـمُ في مطلعِه ... كزيبـقٍ قد اضطرَبْ
والبـدرُ في نقصانه ... كنصفِ طسـتٍ من ذهَبْ

وقوله في البدر :

أمـا ترى البـدرَ في السّماء ... من قزعِ الغيم في غشاء

---

(١) صرّف : صبّ لنا الخمر وقدّمها .
(٢) القمراء : : الليلة القمراء المنيرة .

دُوِّر قداً كتـرس تبرٍ مغـرَّق في غدير ماء
أو وجـه حسنـاء في نقاب تمشـي الهوينـا من الحياء

وقوله في الدمّل :

أشـكو الـى الشّيخ أذى دمّل ارقّنـي ليلـيَ من وخزته
أشـدّ من لذعتـه أنّه أقعدنـي يومـيَ عن حضرته

وقوله في اللاّخشة :

لاخشـة في الطّبق كالصّبـح بين الغسق[1]
منضـودةٌ اوراقُها واضحـةٌ كالورق
حسبتُهـا من لطفها وجرمهـا المرقّق
غرقـى تبيض رقّة أو قطعـاً من شرق
أكلـت لمّـا قدّمَتْ أكلَ امـرءٍ ذي حنق
وخلتنـي الفضـل وقد نال المنـا من عبق

وقوله في البرد المجحف بالثّمار :

يقولـون انّ البـرد يجحف بالثّمرْ وانّ معـاش النّـاس منه علـى خطر
فقلـت لهـم ما دام ربّـي رازقاً فلسـت أُبالـي بالجوائـح[2] والضّرَرْ

١٠٧ ـ الأمير ابو ابراهيم نصر بن احمد الميكالي أدام الله عزّه

فرد خراسان وبدرها وصدرها وفخرها ومن لم ير مثله في الجمع بين شرف الأصل وكمال المجد وكرم الطّبع وبين الآداب العربيّة والفارسيّة والآداب الملوكيّة

(١) اللاخشة : نبتة كثيرة الورق تستعمل في الطعام .
(٢) الجوايح : مايجتاح الانسان من المصاعب والمصائب .

وله شعر بارع قلّ ما يظهره ولكن درره تلتقط من مجلسه وغُرره تختلس من فمه كقوله :

اتق الله لا الاعداء واعلم يقينا بأنّ الّذي لم يقضه لن يصيبكا
وحظّك لا يعدوك إنْ كنتَ قاعداً ولا أنت تعدو حين تعدو نصيبكا

وقوله :

ما قبيح كالبخل قبحاً ولا كالـ ـجود كلّ الخصال حسناً يفوتُ
ثمّ بخلٌ مع التواضع خيرٌ من سخاءٍ يشوبه جبروتُ
ولَعمري انّ المرنّد ذا البخـ ـل لئيمٌ مذمّمٌ ممقوتُ

وقوله :

لَعمرك مَنْ ولاّكَ وجهَ اعتذاره من الفعل يأتي وهو في الحال فاعلُهْ
كمغتذرٍ من أكله ذات بطنه الى آكليه وهو في الحال آكلُهْ

وقوله في مرثية ابي العبّاس بن طاهر بن زينب :

نَعَوْالي ابا العبّاس شمس المفاخر وبدر المعالي كلّها والمآثرِ
فقلت لهم والقلبُ منّيَ خافقٌ أناشدكم لا تجعلوه ابن طاهرِ

وقوله وله قصّة :

عجباً للزّمان حين بلاني بأناسٍ لهم عقولٌ سخيفهْ
حسدوني على نزولي خُصّاً[1] بعد سكنايَ في قصورٍ منيفهْ[2]
حسدَ الكلبِ والغراب اذا ما رأيا البازَ واقعاً فوق جيفهْ

(١) خُصّاً : بيت من شجر او قصب او حانوت الخمّار

(٢) قصور منيفة : قصور مرتفعة عالية .

وقوله في تراجع الشّرب :

شربْــتُ الــرّاح شُرْبَ الهيمِ دهراً فصــرت الآن أشــرب بالتكلُّفْ
ويكفينــي غميرٌ[1] دون صحنٍ ومـــا ضرّ التخلُّف في التخلُّفْ

وقوله لبعض أصحابه :

حسبتــكَ لبّ الجــود بذلاً وهمّةً فأدخلـت فيمـا كنــت أحسبه وَهْنا
وكنــتَ كمــا قدّرتُ لبّ سماحةٍ ولـكن كلـبّ الجـوز اذ فارق الدُّهنا

وقوله في قينةٍ تسمّى دهزّاره :

تبــدّى النّــورُ والقمــريّ أضحى يجــاوب في ترنّمــهِ هزاره
فطــاب الوقــتُ والــدّنيا ولكن أمــرّ العيش فرقــة دهزّاره

وقوله :

اذا محنـةٌ ضاقَــتْ بدرعــك فاصطبرْ وثــقْ بتقضّيهــا اذا ساعــد العمرْ
فرأسـك غصـن الصبّـرِ والصّبـرُ دوحةٌ ومـا دام غصـن الــدّوح ينتظـر الثّمرْ

١٠٨ ـ الشّيخ الامام الموفّق ابو محمّد هبة الله بن محمّد بن الحسين أدام الله تعالى عزّه

لسان الشّريعة وحصن الامّة وشمس الملّة ، ومحلّـه في السؤدد والزّعامـة وامامة الخاصّة والعامّة أجلّ وأرفع من أن يذكر بالشّعر الّذي هو أدنى فضائله وأصغر خصائصه ولكنّي ازيّن كتابي باسمه وأتوّجه بذكره وأُنشد له ابياتاً نطق بهـا لسـان مجده ، فمنها قوله في صباه كالعادة للادباء السّادة :

(١) الغمير : الماء الكثير .

سمحْتُ بروحي في هواها لأنّني أرى الموت في حبِّ الحسان يسيرا
أسير وقلبي في هواها مقيّدٌ فأعجب بانسانٍ يسير أسيرا

وقوله :

ولمّا بدا ليَ منها النّفورُ غدوت أصيح النّفير النّفيرا(١)

وقوله في ذمّ حمّام :

وحمّامٍ له طبعٌ عجيبٌ يميل الى البرودة واليبوسَهْ
فنجم البرد منه في سعودٍ ونجم الحرّ منه في نحوسَهْ

وكتب الى بعض أصحابه الحكّام :

يا ايّها الحاكمُ الحاكي شمائلهُ حيا الرّبيع وبدراً لي محيّاهُ
أظنّ نارَ اشتياقي نحوه اشتعلَتْ حتّى أعارتْهُ حمّاه حميّاهُ(٢)

١٠٩ ـ ابو سعد الكنجروذي

يذكر نيسابور في خمس طبقات من أهلها وهم الفقهاء والادباء والشعراء والدّهاقين والعراة ، ويُعدّ في كلّ منها متقدّم القدم ممتدّ الغرّة والتحجيل ولا يتّسع كتابي هذا من تفصيل هذه الجملة الاّ لنبذٍ من شعره يعرب عن سعة فضله كقوله في الغزل :

اذا انثنى ورنا سلّت محاجره قواضباً وبدا ميّاس قضبانِ
ردفٌ كحقفٍ وقدٌّ من تمايله(٣) خوطٌ(٤) وخصرٌ حكَاهُ خيط كتّانِ

---

(١) النفير : الرحيل والتأهب .
(٢) الحميّا : من الشيء حدّته ، والحميا : الخمرة أو تأثيرها في شاربها .
(٣) الحقف : الكثيب من الرمل ، والردف المؤخّرة والعجز .
(٤) الخوط : الغصن الناعم .

وقوله :

يكسر ظهر الصّبّ تكسيره ... للصّدغ والجفن لدى الغمزه
كأنّما التّجعيدُ من شعره ... في ألفاتٍ صورة الهمزَهْ

وقوله :

بين مخطِّ العارضِ امتدّ من ... خالٍ وشعرٍ فاحمٍ خطّ
كأنّه خطّ الكتاب الّذي ... لاح عليه العجْمُ والنّقطُ

وقوله :

في وجهك الزّاهرِ لي نزهةٌ ... فهو بما يجمع بستانُ
لي نرجسٌ منه وورد ومن ... شاربه الأخضر ريحانُ

وقوله في الخلاف الأحمر :

انظر الى أحمرِ الصّفصاف تحسبه ... بين الرّياض اذا تلقاه ممطورا
حُمْر اليواقيت والأوراق بارزة ... زمرّداً ونداه الدرّ منثورا

وقوله في الثّلج :

ألا ترىَ اليوم قد أصحت سحائبه ... دكناً[1] وأصبح يأتي ثلجهُ دفعًا
كأنّ وُرق جمالٍ عُدْنَ هائجةً ... يرمين بيض لغامٍ[2] تنهمي قِطعًا

وفيه ايضاً :

جمد الثّلج فلي منه ... على العاج معاجٌ[3]
وعلى الأرض لنا منه ... زجاجٌ وزجاجُ

---

(١) الدكنة : لونٌ يميل إلى السواد .
(٢) لغام : زبد او لعاب .
(٣) المعاج : المكان الذي يقام به .

١١٠ ـ ابو القاسم عبد الصّمد بن علي الطَّبري رحمه الله

ولد بنيسابور ونشأ بها وتأدّب فيها مستظلاً بظلّ الكفاية وتخرّج فخرج منقطع القرين في اصول الأدب وفروعه والجمع بين ثماره ورياحينه واضافة نثره الّذي هو سحر البيان الى نظمه الّذي هو قطع الجنان وخُدَع الزّمان على الحداثة من سنّه والغضاضة من عوده وهو الآن بالحضرة حرسها الله تعالى في أعيان كتّاب الرّسائل وهذه فصول من نسخة كتابٍ له يعرب عن تقدّم قدمه في الكتابة واتّساع باعه في البلاغة كتبه الى الأديب ابي عليّ الحسين المروروذي وكان خرج الى جرجان بعد معاشرته ايّاه بنيسابور : خرج الأستاذ أدام الله عزّه والقلب بجناح الشّوق نحوه طائر الاّ وهو معه سائر مثل صاع العزيز في أرحل القوم ولا يعلمون ما في الرّحال استنشق نسيم سلامته من كلّ وادٍ واهدي اليه سلامي مع كلّ رائحٍ أو غاد وها أنا مقصد بسهم فراقه موثق في قيد اشتياقه فالسّلام على العيش حتّى أراه ولا مرحباً بالحياة أو أُحيّا بمحيّاه وسقى الله أيّامنا في ظلّه واستسعادنا بقربه وانتهازنا فرص اللّذة به اذ العيش غضٌّ والزّمان غلامٌ ولقاؤه بردٌ على أكبادنا وسلام اذكره الله متنزّهنا بآخرةٍ والسمآء زرقاء اللّباس والشّمال نديّة الأنفاس والرّوض مخضلّ[1] الازار والغيم منحلّ الأزرار وكأنّ السّماء تجلو عروسا وكأنّا من قطرها في نثار والرّبى ارجة الارجاء شاكرة صنيع الأنداء ذهبٌ حيثما ذهبنا ودرٌّ حيثُ درنا وفضّة بالفضاء والجبال قد تركت نواصيها الثّلوج شيباً والصّحارى قد لبست من نسج الرّبيع برداً قشيبا ولا ربع الاّ وللأنس فيه مربع ولا جزع الاّ وفيه للعاشق مجزع والكؤوس تدور بيننا بالرّحيق والأباريق تنهل مثل ذوب العقيق وتفترّ عن فار المسك وخدّ الشّقيق والجيوب تستغيث من أكفّ العشّاق وسقيط الطّلّ يعبث بالأغصان عبث الدلّ بالغصون الرّشاق والدّنّ يجرح بالمبزال[2] فتل الصايغ طوق الخلخال :

---

(١) مخضل : مغطى بالندى .

(٢) المبزال : ما يثقب به الشيء .

اذا فُضَّ عنــه الختــم فاح بنفسجاً .. وأشــرقَ مصباحــاً ونــوَّر عصفراً[1]

ولا نقل الاّ من رياض أدبه ومحاسن فضله وخصايص خلقه ومكارم طبعه الى كلام طويل ، فهذا نموذج من نثره وهذه غرر من نظمه كقوله :

ومعــذَّرٍ نقش الجمــالُ بمسكه خداً له بدم القلــوب مضرّجا
لمّــا تيقّــن أنّ سيف جفونه من نرجسٍ جعل النّجاد[2] بنفسجا

وله من قصيدة :

وربّ بيضــاء ريّـا الجلــد فاء لها ريعــان من ترفٍ غضٍ وريعان
طرقتهـا والسّرى[3] والعــزم قد شهرا وهنــاً غراريْن من جفنــي وأجفاني

وقوله من قصيدة :

بانــوا بهيفــاءَ يعــزو سيف مقلتها قلــب المتيَّم في جيشٍ من الفتن
شمسٌ علــى غُصــنٍ هام الفــؤاد بها يا ويح قلبي من شمسٍ على غصن
وطــال ما غاب عن جفنــي لزورتها وجفـن سيفــي غرار النّصــل والوسَن

وقوله من قصيدة في التّوحيد والانس بالوحدة والكتب والاستغنـاء به عن معاشـرة النّاس :

ولقــد الفــتُ قنــاء بيتــي لابساً حللَ الغنــا الف القطــا الافحوصا
لم ادّرع طمعــاً ولــم امــدُدْ يداً نحــو النّــوال ولا زجـرت قلوصا[4]
أجتــاب أن خصــرت أنامــل راحتي من نســج دنّــى جبّــةً وقميصا
واذا أردت منادمــاً لم تلقني الاّ علــى عزّ العلــوم حريصا

---

(١) العصفر : نبات يصبغ به .
(٢) النجاد : حمّالة السيف .
(٣) السرّى : المسير ليلا .
(٤) القلوص : الناقة .

فتـرى الكتـاب مجالسـاً لي مودعاً   سمعـي فصـولاً تنتقـي وفصوصا
لا مفشياً سرّي ولا متنمّراً   جهـم اللّقـاء ولا علـيّ خروصا

وقوله من نتفة :

كم جاهـلٍ أحصـى علـيّ بزعمه   شيمـاً يظـنّ بهـا علـيّ مناقصا
فأجبتـه ويد النّوائـب سدّدت   عن قوسهـا نحـو الفـؤاد مشاقصا[1]
لو كان ايقـاعُ الزّمـان مساعدي   لوجدتَنـي في سكْر عيشـي راقصا
الذّنـب للأيّام حين تركنْني   ظلمـاً علـى جيدي لهـا متواقصا[2]

وقوله من نتفة :

شبـابٌ هزّ عطفـك لم تُرقه   خليع الـرّأس في طربٍ ولهو
فأنـت اذاً وقـد ولّـى حثيثاً   لأخسـر صفقـةً من شيخ مهو

١١١ ـ ابو حفص عمرو بن المطوّعي الحاكم

قد نطق كتاب اليتيمة بذكره والافصاح عن حاله ومحلّه وتضمّن باكورة شعره وهذا مكان ملح بديعة وافراد معاني انيقة من غرر سحره الّتي سنحَتْ له بعد فراغي من تأليف ذلك الكتاب ولا غنية بهذا الكتاب عن التّزيّن بها وهذه ألفـاظ له علـى مقدّمتها كقوله : من كثر تبره كبر كبره ، وقوله : حفظ الأيمان من وثايق الايمان ، وقوله : الهوى كثير الهوى والخمر ملاذ الملاذ ، وقوله : بينهُما من الصّرف ما بين الولاية والصّرف ، وقوله : ليس للشّاتي كجلد الشّاة ، ومن بدايع شعره قولـه في الغزل :

يا خادمـاً يملك منّـي خادماً   قد صيّر الـدّنيا علـيّ خاتما

(١) مشاقصاً : سهم فيه نصل عريض .
(٢) متواقص : الأوقص وهو القصير العنق والجيد : العنق .

كم دم صبٍّ قد صببتَ ظالماً   أخادماً أصبحْتَ أم أخادما

وقوله :

خليليَ انّي واحد العصر في الهوى   لمَنْ قد غدا في الحسن واحد عصره
قضيبٌ ولكن مبسم النّور ثغره   وبدرٌ ولكنّ المحاق لخصره

وقوله :

قالت عهدتُك تبكي   دماً حذارِ التّناءِ
فما لعينيك جادت   بعد الدّماء بماءِ
فقلت ما ذاك عندي   لسلوةٍ او عزاءِ
لكن دموعيَ شابت   لطول عمر بكائي

وقوله :

بانوا فأمطرَتِ الأجفان بعدهم   من نور عيني على خدّيَ نوعينِ
حتّى اذا نفضَتْ عيني مدامعَها   بقيتُ ابكيهم دمعاً بلا عينِ

وقوله :

أضحك كؤوسك بالصّهباءِ مبتكراً   فقد أتاك سحابٌ باكرٌ شاكي
يبكي ويضحك فيه البرق مبتسماً   كأنّه حين يبدو شاكرٌ شاكي

وقوله في نور الخلاف المسكيّ :

قم هاتِ دهقانيّةً   وعليك بالكاسِ الدّهاقِ
أوَ ما ترى نور الخلاف   كأنّه نورُ الوفاق

وقوله فيه ايضاً :

أوَ ما ترى نور الخلاف كأنّه   لمّا بدا للعين نور وفاق

كأكفّ سنّورٍ ولكن نشره		يسعى بفار المسك في الآفاق

وقوله في الرّيباس والباقلاءِ :

يا حسن ريباسٍ أتاك مزاوجاً		للباقلاءِ الغضّ أيّ زواجِ
كأناملٍ قد غُشّيتْ بزبرجدٍ		وصلَتْ بهنّ سواعد من عاجِ

وقوله في الاسفاناخيّة :

قد قلت للطّبّاخ لمّا جاء في		مرضي بلونٍ ليس فيه طباخُ
هلاّ طبخْتَ لنا سواه فانّه		أسف أناخ فقيل اسفاناخُ

وقوله في السّلطانّ الأعظم أدام الله تعالى ملكه :

أرى حضرة السّلطانِ يُفضي عفُاتها		الى روض مجدٍ بالسّماح مجود
وكم لجباه الرّاغبين لديه من		مجال سجودٍ في مجالس جود

وقوله في التّلفيق بين ستّة من الطّير :

يا ربّ ليلٍ لو تجسّـ		ـم لم يكن غير الغداف[1]
بتنا به وشرابنا		صرفٌ[2] كعين الدّيك صاف
يسعى بذاك مهفهفٌ		بمحاسن الطّاووس واف
ولنا مغنٍّ لحنهُ		للعندليب بلا خلاف
حتّى سمعت تجاوب الـ		ـعصفور في قُضُب الخلاف
ورأيت باز الصّبح منـ		ـشور القوادم والخوافي[3]

(١) الغداف : شعر اسود كالغراب .
(٢) الصرف : الغير ممزوج ، الخمرة الصافية .
(٣) القوادم والخوافي : القوادم : أول ريش الجناح في الطائر والخوافي ما بعدهن .

وقوله في مؤلّف هذا الكتاب :

كلام أبـي منصـور فيه عذوبةٌ ... ينوب عن الماء الزلال لمَنْ يظما
فنـروي متـى نروي بدايع نظمه ... ونظمـا اذا لم نرو يومـاً له نظما

وقوله :

مـن كان في الحشـر له شافع ... فليس لي في الحشر من شافعِ
غـير النبي المرسَـل المصطفى ... ثمّ اعتقـادي مذهـب الشّافعي

١١٢ ـ ابو منصور يحيى بن يحيى الكاتب

فاضل ملء ثوبه كاتب بحقّه وصدقه شديد الاختصاص بالأمير ابي الفضل الميكالي أدام الله تعالى عزّه مقتبسٌ من نوره يقول :

حـدّثْ أخـاك اذا عدمـت مطيّةً ... انّ الحـديث مطيّة للرّاجل
واصحَبْ ذوي الآداب انّك لن ترى ... زلقاً[١] لرجلك مثـل صحبة جاهل

١١٣ ـ ابنه ابو الوفاء محمّد بن يحيى

قد حاز في عنفوان شبابه واقتبال زمانه محاسن الأدب وبرع في النّثر والنّظم وأخذ بأطراف الفضل ، فمن بارع شعره قوله في الأمير ابي الفضل أدام الله عزّه من قصيدة :

سعـادة خدمـة الأربـاب أولى ... بمثلـي من سعـادٍ او رباب
عنيت به بنـي ميكال مَنْ لا ... يُدانـي جودهـم جود السّحاب
همُ رحضوا[٢] خمـول الدّهـر عنّي ... وأعطوني وقـد صفُـرتْ وطابي[٣]

---

(١) زلقاً : زللاً وتعثّراً .

(٢) رحضوا : غسلوا وأزالوا .

(٣) صفرت وطابي : أي أشرف على الهلاك . والوطاب : وعاء اللبن .

ودلّونـــي علــى العلياءِ حتّى دخلْـتُ علـى العلـى من كلّ باب
ومَــنْ يمــدَحْ عبيد الله يقدحْ بزنــدٍ في المعالــي غير كاب
ويستمســكْ بحبــلٍ ليس يخشى عليه قطُّ داعيةِ انقضاب
سأستغنـــي به عمّــن سواه كما استغنى الشبّاب عن الخضابِ
أدام الله دولتــه وأجنى يديه ثمــار عيشٍ مستطابِ
وعــوّده سعــادة كلّ عيدٍ يعــاوده الــى يوم الحسابِ

وكتب اليه ابو عبد الله الحسين بن عليّ البغوي الكاتب :

رأيت الفضــل يحيى يابــن يحيى فجانبــه ابــو يحيى طويلا
مودّتــه ممازجــةٌ لقلبي كمــا قد مازج المــاء الشّمولا[1]

فأجابه ابو الوفاءِ :

إيــا عبــد الآلــه بقيت جزل الـ ـكلام تنيلنــا براً جزيلا
فمــا ابــن المـزن زوّج بنــت كرمٍ ليمهرهــا أخــو الــكرم الغفولا
بأشهــى من كلامــك في فؤادي وقد سلّى الجوى[2] وشفى الغليلا

وقال أيضاً :

سقى عهـد الصبّــا مطــرُ الدّموع وأيّام الحمــى غيثُ الرّبيع
ســنين طويتهــا شهــراً فشهراً ولــم أعــرف جُمــادى من ربيع

وقال :

قــل للأمير ومــن لي بأن يردّ جوابي
سللــتَ جسمــيَ لمّا سللــتَ سيف العتاب

---

(١) الشمول : الراح والخمر .
(٢) الجوى : حرقة العشق .

وقال :

بقيت بمـرو الـرّوذ في عدّةِ المطر وطـول مقـام المـرءِ في مثلهـا خطَرْ
اذا ما اذان الرّعـدُ آذاننـا وعت لقينـا بهـا الحيطـان تسجـد للمطَرْ

وقال من اخرى اميريّة :

لله درُّ الصّبـا ما كان أطيبه لو أنّ صرفَ اللّيالـي لم يصـبْ دُرَرَهْ
أيّام غصـن شبابـي ناضـرٌ خضلٌ مرفرف الظّـلّ تجنـي راحتـي ثمرَهْ
لا ازجـر الـطّيرَ مهمـا زرت غانيةً ولا يطيّرنـي العـذّال والزّجره
اذا مررت بخـدرٍ دون هودجهِ خوادر الاسْـدِ[1] آبـى أو أرى قمره
أرى السّعـادة في سعـدي وطلعتها واليمن في حرّ وشـى اليمنـة الحبره[2]
يا ربّ يومٍ بحـرّ الشّـمس منتقدٍ أزارنيهـا اشتياقـي وهـي منتظرَهْ
فاستقبلتنـي في كحلـيّ معجرها[3] كسنّـة البـدر بالظّلمـاء معتجرَهْ
اذا خطـت خطـوةً نحـوي لتكرمني رأيت خلخالهـا يستخـدم الشّعَرَهْ
وربّ ليلٍ يكاد الصّبـح يسبقه أعـاره شطـر ابهـام القطـا قصرَهْ
قد ضمّنـا تحـت أذيال السّـرور معاً كالـورد قد ضمّ في أكمامـه زهرَهْ
سقياً له من زمـانٍ لسـت أذكره إلاّ رأيت دمـوع العين مبتدرَهْ[4]
هيهـات ما للفتـى في دهـره عوضٌ عن الشّبـاب فخُـذْ عن عالـمٍ خبرَهْ
الاّ لقـاء عبيد الله سيّدنا هذا الأمير فذاك العيشـة النّضرَهْ

وهي طويلة .

---

(١) الخوادر : جمع خدر وهي العرين للأسد والخباء للمرأة .
(٢) الحبرة : الناعمة الجديدة من الملبس .
(٣) معجرها : ثوب تشده المرأة على رأسها .
(٤) مبتدرة : منهمرة بالدموع .

١١٤ ـ اخوه ابو سلمة ايّده الله تعالى

خلف أبيه وشبيه أخيه وكاتب الأمير أبي الفضل ادام الله تعالى عزّه والمتخلّق بخلقه والجاري في طرقه والمستملي صحف فضله ومن لا يتميّز خطّه من خطّه وهو أشبه به من الغراب بالغراب والتّمرة بالتّمرة وله شعرٌ كخطّه مثل قوله في الغزل :

ظلـمُ الحبيبـة من يشبّـه قدّها ... بالغصـن عنـد تبختُـرٍ وعناق
فالغصـنُ يسمـجُ حين يسقـطُ نوره ... وجمالهـا في كلّ وقـتٍ باق

وكتب اليه ابو يعلى البصري يستهديه حبراً فأجابه الى ما طلب وعمّا كتب بأبيات منها :

وبعـد فقـط أنفـدت حبـراً كأنّه ... يحـاكي ظلام اللّيل او منّـة الوغد
اذا ما جرى في الطّرس[1] خِلْتَ سواده ... على الرّقّ نور الحقّ مع ظلمة الجحِد
وحـقّ الهـوى لو كان أسـود ناظري ... وحبّـة قلبي كنـت أهـلاً لهـا عندي

١١٥ ـ ابو الفضل اسمعيل بن محمَّد بن الحسن الكرابيسي الحاكم أيّده الله تعالى

من أشعر الفقهاء وأفقه الشّعراء ومن العلم حشو ثيابه والعقل والفضـل من أوصافه يقول ويُحسن :

تمنّيت أن تحيى حياة هنيئةً ... وأنْ لا ترى كرَّ الزّمـانِ بلا بِلا[2]
رويدك هذي الـدّار سجـنٌ وقـلّ ما ... يمـرّ علـى المسجـون يوم بِلا بلا[3]

---

(١) الطّرس : الكتاب ـ الصحيفة .
(٢) بلا بِلا : انشغالاً وقلقاً .
(٣) بلا : من البلاء .

١١٦ ـ ابو مسعود أحمد بن عثمان الخُشْنامي ايّده الله

من حسنات نيسابور وفضلائها وشعرائها وكلامه كثير الرّونق ظريف الجملة والتّفصيل كقوله :

وجاهـلٍ لجّ في مشاتمتي ... ولـم يكن مبقياً علـى جاهي
سـكتّ عنـه ولـم أبـالِ به ... والحلـمُ ممّـا يَزين أشباهي
وبين فكيّ صارمٌ ذكرٌ ... أغمـدهُ عنـه خشية الله

وقوله :

يا والياً عزّ الـولاية عزّه ... فسطـا لذاك علـى الأنـام وتاها
اقصِـرْ فذلّ العـزل يتبـع عزّه ... عطـر الـولاية لا يفـي بفساها

وقوله :

يا سيّداً آثـر المعالي ... فليس عنهـا له انحيازُ
حقيقـةُ المجْـد في يديه ... وفـي يدَيْ غيره مجازُ
فهـو لذنـبِ الزّمـان عذرٌ ... وهـو لثـوبِ العلـى طرازُ

وقوله :

أقـول لمَـنْ يعـدّ الشّيبَ نوراً ... ويزعـم أنّـه يكسـو وقارا
أحَـبُّ من الوقـار الـيٌّ شَعَرٌ ... يحـاكي لونـه سبجـاً[1] وقارا[2]

وقوله :

أقـول وقـد عوتبـتُ حين شربتها ... وحيداً ومـن انس النّـديم عديما
عدمت نديماً سالمـاً لي غيبُهُ ... فصيّرت كاسـي مونسـاً ونديما

---

(١) سبجاً : مريراً اسود والسُّبجة ثوب له كم قصير تلبسه المرأة .
(٢) وقاراً : القار هو القطران أو الزفت .

وقوله في الغزل :

وجـه أبـي الفتـح اذا ما بدا   يغنـي عن البـدر اذا ما طلع
لـولا دفـاع الله عن خَصره   اذا ثنـاه راكعـاً لانْقطع

وقوله في الحكمة :

أترجـو في زمانـك صفـو عيشٍ   وقـد عريَ الزّمـان من الصفّاء
وتأمـلُ من بنـي الـدّنيا وفاء   ومـا شيىءٌ أعـزّ من الوفاء

وقوله في فتىً يشتكي ضرسه وهو يعارض أبا سعد بن خلف :

شـكت أقـاحيك فاشتـكيت لها   يا قبلـةَ الحُسْـن فتنـة البلد
وجهك شمس الضّحى اذا طلعت   تضـرّ بالاقحـوان والـبرد

١١٧ ـ ابو الحسن محمّد بن الشّيخ ابي عليّ الحسين بن محمّد بن طلحة ايّدهما الله تعالى

كريم الطّرفَينْ شريف الجانبَيْن عريق في الأدب والفضل والكرم وسنّه الآن دون العشرين وشعره فوق شعر المفلّقين المبدعين وقد مرّت بي قصيدة له في أبيه لو قالها البحتري أو أبو فراس الحمداني لما زادا ، واولّها :

أُعاتـب صرفَ الدّهـرِ والدهـر عاتبٌ   وأطلـب منـه ردّ ما هو ذاهبُ
وأرجـو من الأيّام بالوصـل عودةً   وتلك أمانـيُّ النّفـوس الكواذبُ
شكاتـيَ من دهـري فمَـنْ ذا ألومه   وعتْبي على عينـي فمَـنْ ذا أُعاتبُ
كفى حُزُنـاً انّـي أرى البحـرَ جانباً   وبي ظمأٌ عن منهـل الـرّيّ جانبُ
وهوّن وجـدي انّني لسـت واحداً   من النّـاس حرّاً لم تصبْـهُ النّوائبُ
وانّـي علـى ما بي ليجـذب همتي   الى ساكنـي نجدٍ من الشّوق جاذبُ
رعـى الله داراً بالحمـى هي دارُنا   وقومـاً همُ أحبابنـا والحبائب

فكم بالحمى من مرهفِ القدّ ناعمٍ قد اختلفتْ للشّعر فيه المناسب

ومنها :

محيّاه للورد الجنيّ ملابسٌ ورياه للمسك الذكيّ مسالبُ

ومنها :

فيا دارُ بل يا دارةَ البدرِ في الدُّجى سقتك دموعي لا سقتك السّحائبُ
أما والّذي تنضى الى حجّ بيته مخيّسة قبّ البطون شوازبُ
لقد خانني الاّ اشتياقٌ مبرّح وأسلمني الاّ دموعٌ سواكبُ
قضى ربّنا أن يصدع الشّعب صادع فما طمعي أن يشعب الصّدع شاعبُ

ومنها :

سأضرب في أقصى البلاد وانّني الى الأمد الأقصى من المجد ضاربُ
وللدّهر أنيابٌ ضواحٍ ضواحكٌ اليّ وأسياف قواضٍ قواضبُ[1]

ومنها :

ودوّية لا مآء الاّ سرابها ولا ركب الاّ آلها المتراكبُ
كأنّ مطايانا مخاريق لاعبٍ تألّق فوق الاكم والاكم لاعبُ

ومنها :

قطعنا الى الشّيخ الرّئيس مَجاهلاً وجُبنا الفيافي[2] وهي قفرٌ سباسبُ[3]
وسار بنا رحل وكور ونمرق وساع وساعٌ خَطْوهُ متعاقب

---

(١) قواضب : اسياف حادة قاطعة .
(٢) الفيافي : الصحارى .
(٣) سباسب : صحارى مقفرة .

ليفــرح محــزونٌ ويقبــل مدبرٌ[1] ويأمــن مرتــاعٌ ويظفــر طالبُ
وتُـدركُ حاجــاتٌ وتحــوى رغائب وتبلــغُ آمــالٌ وتُقضــي مآربُ[2]

ومنها :

بعيد منــاط الهــمّ أقــرب همّه فدع ذكر أقصــاه النّجــوم الثّواقبُ
وكم أقــرأ الأعــداء كتبــاً حروفها ظُبــىً ورمــاح والسّطــور مقانبُ[3]
وأمطــر فاخضــرّت بقــاع نجوده ولا حسنها ناضٍ[4] ولا المـآء ناضبُ
وللمجــد أعــلامٌ سوامٍ[5] سوابقٌ اليه وأقــدام رواسٍ رواسبُ

وختم القصيدة بقوله :

فلا زلْـتَ يا شمسَ المكارم طالعاً بافـق المعالـي والشّمـوس غواربُ
ولا زلْـتَ مخضــرَّ الجنــاب فانّما بجودك يخضرّ السّنون الأشاهبُ[6]

١١٨ ـ ابو يوسف يعقوب بن احمد بن محمّد ايّده الله

قد امتزج الأدب بطبعه ونطق الزّمان بلسان فضله ولئن أحوجه الزّمان الـى التّأديب على كراهيته ايّاه وتبرّمه به لارتفاع محلّه عنه انّ له اسوة في المؤدّبين الّذين بلغوا معالي الامور وبعد صيتهم بعد الخمول كالحجّاج بن يوسف وعبد الحميد بن يحيى وابي عبيد الله الأشعري كاتب المهدي وابي زيد البلخي وابي سعيد الشّيبي وابي الفتح البستي وغيرهم ، وما أليق قول البحتريّ بحاله :

---

(١) مدبرٌ : ذاهب ـ راحل .
(٢) مآرب : رغائب . اهـداف .
(٣) مقانب : ظفر الأسد او وعاء يجعل فيه الصائد ما يصيده .
(٤) ناضٍ : أي زائل ، ونضا الثوب : خلعه .
(٥) سوامٍ : شامخه .
(٦) الأشاهب : المجدبة .

مواعـــد للأيّام فيه ورغبتي ... الى الله في انجاز تلك المواعد

وكذلك قول ابن الرّوميّ :

أما ترى المسك بينا هو على حجر ... يذلّــه كلّ ذلٍّ فهــو عطّار
اذ بلّغتــه صروفَ الدّهــر غايته ... فحــلّ منزلــه من رأس جبّار

وله نثر حسن وشعر بارع كقوله في مؤلّف هذا الكتاب :

لئــن كنــتَ يا مولاي أغليْتَ قيمتي ... وأغليَتَ مقــداري وأورثتنــي مجدا
وقصّـرت في شكرَيْك فالعـذر واضحٌ ... وهـل يُشــكر المولــى اذا أكرم العبدا

وكتب على ظهر كتاب سحر البلاغة له :

سحـرتَ النّـاس في تأليف سحرك ... فجــاء قلادةً في جيد دهرك
وكم لك من معالــي في معانٍ ... شواهــد عندنــا بعلــوّ قدرك
وقيت نوائــب الــدنيا(١) جميعاً ... فأنــت اليوم جاحـظُ أهــلِ عصرك

وقال في الحجاب :

يا مَنْ غدا سابقــاً في كلّ مكرمةٍ ... ودون رتبتــه الغــايات والرّتبُ
إنْ كنــتَ محتجبــاً عنّــا فلا عجبٌ ... فالشّمس في حجرات السّحبِ تحتجبُ

وقال يهجو :

وقالــوا لي ابــو حســنٍ كريمٌ ... فقلــت الميم هاءٌ في العبارَهْ
ومــا لجلالــه أهجــوه لكن ... رأيت الكلــب يُرمــى بالحجارَهْ

وقال :

لا بارك الرّحمــن في عمري ... انْ سرّنــي قرب ابــي عمرو

---

(١) نوائب الدنيا : ويلاتها .

وهــو صعيدٌ قد تيمّمته اذ ليس يجــري المــاء في النّهر

وقال :

عرضتُ على الخبّاز نحوَ المبّرد وكتبـاً حِسَانـاً للخليل بن أحمد[1]
ورؤيا ابــن سيرين وخــطّ مهلهل وتـوحيدَ جهــم ٍ بعــد فقــه محمّدِ
وأنشدته شعــر الـكميت وجرول[2] وغنّيتــه لحــن الغــريض ومعبدِ
فمـا نفعتنـي دون أن قلــت هاكها مدوّرةً بيضــاً تطــنّ علــى اليدِ

وقال في مراءٍ :

يُرى النّاس أني كالمسيح بن مريمٍ وفــي ثوبــه المسّيح أو هو أغدر
أغــرٌّ كم منــه تقلّص ثوبه وذلك حبٌّ تحتـه الفــخّ فاحذروا

وقال :

لــم تقعــدوا فوقــي لفــرط نباهةٍ وجــلال قدرٍ أو علــوّ مكانِ
والنّــار يعلوهــا الدّخــانُ وطالما ركب الغبــارُ عمائم الفرسانِ

وقال :

إنّـي بُليت بحرفةٍ بوســاً لهــا من حرفه
هــي حرِفــةٌ لكنّها مقرونــةٌ بالحرفه

وقال :

نغــوضٌ[3] للسّيادة يشتهيها وليس هنــاك آلات السّيادَهْ
كعنّينٍ أراد نكاح بكرٍ ولــم يقــدرْ فمــالَ الــى القيادَهْ

---

(١) الخليل بن أحمد : صاحب علم العروض المعروف بالفراهيدي،والمبرّد :نحويٌّ معروف صاحب كتاب « الكامل » .
(٢) جرول : الشاعر الحطيئة .
(٣) نغوض : نهوض لها .

وقال :

مَنْ كان يعشق منكم شادناً غنجاً البدر يشبهه والشّمس تحكيه
فلست أعشقُ إلاّ كلَّ ذي أدبٍ الوشيُ من يده والدرُّ من فيهِ

۱۱۹ ـ أبو محمّد الحسن بن المؤمَّل الحَرْبيّ

من أولاد أحمد بن حرب الّذي يضرب به المثل في الزّهد والنّسك ويزار قبره بنيسابور منذ مائتي سنة وتُرْفع الحاجات الى الله عزّ ذكره وهو أعمر المشاهد بها وقد لبس أبو محمّد برد شبابه على فضل مكتهل وظرف مقتبل وشعر مقبول وأدب معسول فهو كما وصف الصّاحب بعض فضلاء النّدماء فقال : ان أردت فهو سُبحة ناسك أو أحببت فهو تفاحة فاتك أو اقترحت فهو مدرعة راهب أو آثرت فهو تحيّة شارب ، ومن ملح شعره قوله :

أيا مَنْ فضله عمّ البرايا ونال المجتدون به المباغي[1]
ترفّق بالرّسول فدتْكَ نفسي فليس على الرّسولَ سوى البلاغ

وقوله في النّيروز :

يا شمسَ أهلِ المشرقِ اسعدْ فقد حلّت برأس الحمل الشّمسُ
واشرب على طلعة نيروْزها كاس مدامٍ يدم الانسُ

وقوله من قصيدة :

ثار الغبار غداة ثارت عيسهم[2] فشممت من ذاك الغبار عبيرا
تالله لو شاهدت وقت وداعهم لرأيت دمعاً في الخدود غزيرا

---

(۱) المباغي : المقاصد .
(۲) العيس : الإبل .

ولقيتَ منهم مَنْ يشقّ صداره[1] ولقيت منّا مَنْ يشقّ صدورا

وقوله :

قالوا التحي فبدا الظّلام بوجهه فتسلّ عنه فإنّه لا يُرتجى
فأجبتُهم كيف التّسلّي بعدما زادت محاسن وجه لمّا دجى
فالنّجم يحسن في الظّلام وقلّ ما يبدو بهاء البدر إلاّ في الدّجى

وقوله لمؤلّف الكتاب :

قد أشرقَتْ أرجاء نيسابور وطلعت طلائع السّرور
بعودْ مولانا أبي منصور لا زال في عزٍّ وفي حبور
ودولةٍ تبقى على الدّهور

١٢٠ ـ أبو الفضل احمد بن محمّد العُروضي المعروف بالصَّفَّار

امام في الأدب خنّق التّسعين في خدمة الكتب وأنفق عمره على مطالعة العلوم وتدريس متأدّبي نيسابور وإحراز الفضايل والمحاسن وهو القائل في صباه :

أو في على الدّيوان بدر الدّجى فسَلْ نجومَ السّعدِ ما حظّهُ
أخطُّه أملح أم خدّه ولحظه أفتن أم لفظهُ

وأنشدني لنفسه في جمع أسماء الكواكب السّبعة في بيتٍ واحدٍ :

يا من يقدّر أنّ الدّهر ينصره بكوكب عاجزٍ بالله فانتصرِ
لا تشركنّ بربٍّ العرش تجهله كواكباً كلّها تجري على قدر
عُطاردٌ زهرةٌ والشّمس مع زُحَلٍ كالمشتري الفرد والمرّيخ كالقمر

---

(١) الصِّدار : ثوبٌ بلا كمّين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي .

وأنشدني رحمه الله لنفسه :

لعــزّة الفضّــة المبرّة[1] أودعهــا الله قلــب صخرَهْ
حتّــى إذا النّــار أخرجَتْها بألف كدٍّ وألف كرَّهْ
أودعهــا الله كفّ وغدٍ[2] أقســى منَ الصّخــر ألف مرّة

١٢١ ـ أبو بكر أحمد بن علي الصّبّغي

من أهل البيوتات بنيسابور وكان يجمع أدباً وظرفاً ويناسب شعره روحه خفّةً ويخرج في العشرة من القشرة فاحتضر في عنفوان شبابه وتقطَّعَتْ به أسباب آدابه ورثاه الفاضل الظّريف صديقه أبو منصور عليّ بن أحمد الحلاّب الكاتب أيّده الله تعالى بقوله :

ولمّــا نعــى النّاعــي أبــا بكرٍ الّذي رمــى الدّهــر عين الفضــل حين أصابه
تقطّــعَ قلبــي حســرةً وتلهُّفاً ولــم أبــكهِ لكنْ بكيتُ شبابه
غزَتْــه المنــايا من قريبٍ وحدّدَتْ لأترابــه[3] طفــر الحمــام ونابه
ويوشـك أن ينحـو بنــا نحــوه الرّدى ويُسكننــا ربــع البلــى وجنابه
سقى الله صوب الغــاديات[4] ضريحه وأكرم في دار البقــاء مآبه
خليلــيّ صبــراً للــرّزايا[5] فكلٌّ مَنْ من التّــرب مخلــوقٌ سيلقــى ترابه

ومن ملح أبي بكر قوله :

بــاكر أبــا بكرٍ بكاسٍ واشــرَبْ علــى وردٍ وآسِ

---

(١) المبرّة : من البرّ أي العطاء .
(٢) وغد : حقير ـ دنيء ـ صغير العقل .
(٣) اترابه : رفقاؤه من سن واحدة .
(٤) الغاديات : السحب ،والصوب: المطر .
(٥) الرزايا : المصائب .

واخلـع عذارك جامحاً ما بين ابـريقٍ وطاسِ
فـالعيش عيشُ ذوي الصبّا والـدين دين أبـي نواسِ

وقوله :

رحـم الله مَنْ رأى نظـم شعري فدعـا ـ لي بمـا أشـرْتُ اليه
قال يا ربّ نجنّـي من هواه أو فرْدّ الـذي يحـبّ عليه

وقوله في انسان رازيّ كان يدّعي أنّه من اللاسكيّة وينتحل شعر ابن بابك :

أمّ الـذي يزعـم أنّـي لاسكي حجّامـة تزوّجـت بحائكا
وكلّ ما ينشـد من أشعاره في شعـر عبـد الصّمـد بن بابكا

١٢٢ ـ أبو منصور بن أبي علي الكاتب أيّده الله تعالى

من آدب الكتّاب بنيسابور وأعرفهم بالرّسوم وله خطّ حسن وشعرٍ كتابيّ كقوله في ترجمة شعر فارسيّ حيث قال :

ليس كلّ الّـذي انتضـى من دواة قلمـاً بالـغ العلـى بالأداة
انّ حمـل العصـا لغير بديعٍ قلبهـا حيّةً من المعجزات

فارسيّته :

نه هركو قلـم بركرفـت ازدوا [ة] شفـا كرد دانـذ جهانـرا زادا
عصـا بركرفتـن نه معجـز بوذ همـي ازدهـا كرد بايذ عصـا

وكتب الى صديق له استعار منه كتاباً في شعر :

وقفْـتُ علـى أبياتـك الغـرّ إنّها بدايعُ ما قدّمْـتَ لي من نثاركا
وإنّـي وأجـزايَ ومـا ملـكَتْ يدي فداءَ رسـولٍ جاء من باب داركا
امامـك ما تختـار منهـا وغيرها فبادِرْ إلى ما تشتهي باختيْاركا

ودمت لأهل الودّ دوح مكارمٍ تفيدهم طيب الجنى من ثماركا

وقال في تهنئة بعض العمّال بولاية الدّيوان :

ليهنك يا بدرَ المجالس والصّدر طلوعك في الدّيوان للنّهي والأمرِ
تهنّا بك الأعمال إذ أنت فخرُها وقدرك عمّا نلتَهُ أرفع القدر
وزُيّنتْ بك الأيّام إذ أنت حليها والعصر أنت الفخر للعصر والمصر
فلا زلت في ربع العلى متربّعاً تساعدك الأيّام في أهنأ العمر

١٢٣ ـ عبد الرحمن الدوغي الفقيه أيّده الله تعالى

يقول في المدح :

جنابك مثل روضات الجنان ومنك تنالُ غايات الأماني
حلَلْتَ من المكارم في ذُراها ففيها انت كالسّبع المثاني
وأنت لفرط فضلك صرْتَ فينا أحبّ من الشّباب الى الغواني
إذا عدَّتْ محاسنَكَ القوافي غفرنا ما جنته يد الزّمان
فلا زالت من الرّحمن يُعمى لديك قطوفها أبداً دوان

وله في مختطٍّ ينتف :

لمّا رأى شعر العذا ر بخدّه قد جاز حدّهْ
وابتزّ بهجةَ وجههِ امضى بسَوْط النّتف حدّهْ

وله من قصيدةٍ :

برزت اليك عرايس الأشجار في حلية الأنوار والأزهار
تحلى سجاياك الحميدة كلّما عانَقْنَ وفد الرّيح بالأسحار
وكأنّما الأطيارُ في ترجيعها تنشى اليك بلحن موسيقار

وكأنّ صوب القطر كلّ عشيةٍ آثار سيبك[1] في ذوي الأقتار[2]

(ذكر الزوازنة وملح أشعارهم)

فمنهم :

١٢٤ ـ أبو بكر محمَّد بن أحمد اليوسُفي

كان من أفرادهم أدباً وفضلاً ومفلقيهم نظماً ونثراً ، ولفظته زوزن الى أقطار الأرض وآفاق البلاد وحرفة الأدب زميله ونزيله وحليفه وأليفه وتصرّفت به أحوال في تأديب ولد ابن ينفع وانتجاع الصّاحب وغيره وطالت مدّته في الغربة ثمّ عاد الى الوطن على غير قضاء الوطر[3] ولم يلبث ان انتقل من ضيق العيش الى ضيق القبر لم يلق بين الضّيقين فسحة ورحمة الله تعالى حسبه ، وهذه فصوص من كلامه ورسائله :

فصل : تحيرّتُ فما أدري أفارة مسك فُتّقت أم شمامة كافور نُفحت أم لطيمة فضّ ختامها أم قسيمة فُرّقت أقسامها أم محاسن وصالٍ كأنهّنّ محامد نظمن عقداً وفضايل نسقن عقدا وكأنّ زمانها عطّار ولياليها أسحار .

فصل : نحن اليوم في باغ وفي زمن غير باغ وظلال أشجار موقرةٍ بالثّمار نرود بينها كما نريد بين قيان تجود عليها فتجيد .

فصل : في وصف أطعمة وحلاوى صِحافٌ أنقى من الفضّة بشرةً تتناوب على المائدة عشرةً عشرةً بعد بوادر ومخلّلات تحسبها الجواهر محلّلات وقل يا سيدي في الفالوذج المعكك والقرص السكري المُفكّك والقاطولي الّذي يقال عنده لليد طولى والقرص العسليّ الّذي يهوّن لبس العسلى أوصاف أرقّ من أوصافي مُفصّص بفيروزج الفستق مُفضّض بلباب اللّوز في مثله يتنافس المتنافسون وله يعمل العاملون .

فصل : بخور لها في مجلس بخار وعُقارٌ يهون فيها العقار .

---

(١) سيبك : عطائك .

(٢) الاقتار : الذين ضاق عيشهم .

(٣) الوطر : الحاجة .

فصل : صحو يكاد من الغضارة[1] يمطر وأزهار تكاد من الاهتزاز تنظر .

فصل : أما والحدق المراض وسهام الألحاظ والرّوض غبّ القطر فإنّ لها حقّا وأنفاس السّحر فإني عبدها رقا انّي منذُ حرمت منك حلاوة الرّضى ودّعتُ العيش المرتضى وبتّ على مثال جمر الغضا وحدّ السيّف المنتضى ويا ليتني كنت نسياً منسياً قبل أن أعدّ لديك مجرماً ومسيئاً وليت الطّير يخطفنني والدّنّ تحطمنني فإنّ ذلك أهون من تفريع ذلك القريع وعتبه الذي صنع بي صنيع السّيف الصّنيع .

فصل : أراني الله بها أهلاً كانوا للفضل أهلا .

فصل : الشّوق الّذي أقاسي يُصْدع الحجر القاسي والّذي مرّ براسي يهدّ الجبل الرّاسي من نواكب أوهت المناكب وعوارض شيّبت العوارض ومحنٍ عظام أثّرت في العظام وللأنام دول متعاقبة وللصّبر الجميل عاقبة .

فصل : بلدة هي من اخلاقه جونة العطر[2] ومن محاسنه عيد الفطر .

فصل : ماأولاه بمثلِ ما أولاه وأحراه بمثل الذي تحراه وأحقّه بالشكر الّذي استحقّه .

فصل : هذا وسميّه فلا يحرمني وليّه وقد سرّ بالابتداء فليسرّ بالعود وليّه .

وهذه غررٌ ودررٌ من شعره فمنها قوله من قصيدةٍ أوّلها :

تبدّلتُ من بعد الحبيب المفارق ... سواد اللّيالي وابيضاض مفارقي

ومنها :

سقى البارق الغوريّ عذباً من الحيا ... محلّتنا بين العذيب وبارق
وأغنى مغانيها وأرضى رياضها ... وشقّ بلطم القطر خدّ الشقائق
محلّة ايناسي ومغنى أوانسٍ ... ومركز راياتٍ ومرعى أيانق
فيا يومها كم من منافٍ منافقٍ ... ويا ليلها كم من موافٍ موافق

ومنها :

كأنّي شهدٌ مجتنىً لفم الرّدى ... وكلّ مصيبات الزّمان ذوائقي

---

(١) الغضارة : الخصب والسعة .

(٢) جونه العطر : بياضه ونوره أي رحيقه .

ومنها:

ولـم أنتبـه إلاّ وذكرك صاحبي ... ولـم أغتمض إلاّ وطيفـك[1] طارقي

وقولـه من قصيدة صاحبيّة في العيادة والتّهنئة بالاقبال:

أطلـع الله للمعـالي سعودا ... وأعـاد الزّمـان غضّـاً جديدا

ومنها:

بعـث الدّهـرُ جنْـدَهُ وبعثنا ... نحـو دعـوة الألـه جنودا

يا عميدَ الزّمـان انّ اللّيالي ... كدْنَ يتـركْنَ كلّ قلـبٍ عميدا[2]

حادثـاتٍ أردْنَ إحـداث هدمٍ ... لعـلاه فأحدثـت تشييدا

وقولـه من أخرى:

سلامٌ عليهـا انّ عينـي عندما ... أشارت بلحـظ الطّرف تخضب عندما

ومنها:

وزرت به كافي الكفـاة وعنده ... أرى الفضـل فذّاً والتّفضُّـل توْأما

ومنها:

ينـال لديه معتفـى الفضـل أجـر ما ... سقـى وينـال العفـو مَنْ كان أجرما

ومنها:

وما السّيف صمصامٌ[3] ولا الرّمح في الوغا[4] ... أجمّ[5] إذا لم يُلف عزْماً مصمّمـا

وقال يهجو:

أمسى أجـلّ الشّعـر لا ينتقي ... وأجهـل النّـاس به مَنْ نقَدْ

إنّ الّـذي ميّز أشعارنا ... أوْلى من النّقـد برعـى النّقدْ

---

(١) الطيف: الخيال.

(٢) عميدا: شديد الحزن.

(٣) الصمصام: السيف الحاد.

(٤) الوغا: الحرب.

(٥) أجمّ: محمول ومستعمل.

وقال :

مطارحة الوسائد في النّوادي ... مميّزة اللّئام من الكرام
يطاهنّ الكريم بأخمصيْه[1] ... وهنّ يطأْنَ اقفاءَ اللّئام

وقال من أخرى :

وكلّفني من بلايا الفرا ... ق حكماً يطاع وما ان يُطاق
رقيبٌ يعوق وخلٌّ يُعَقّ ... وحسنٌ يروق ودمعٌ يُراق
وقلبٌ يصِبُّ ودمعٌ يُصَبّ ... ونفسٌ تُشاق وروح تُساق
سقى الله حالين من دهرنا ... طراد العُتاق[2] وطيب العناق

وقال :

اثنان أجمعَ أهبلُ الـ ... آدابِ ان لا يُعابا
المستميح شراباً ... والمستعير كتابا

١٢٥ ـ أبو جعفر محمد بن اسحق بن عليّ البَحَّاثي

زينة زوزن وظرف الظّرف وريحان الرّوح يقول في هجاء لحيته الطّويلة :

يا لحيةً قد عُلّقت من عارضي ... لا أستطيع لقبحها تشبيها
طالت فلم تفلحْ ولم تكُ لحيةٌ ... لتطولَ إلاّ والحماقة فيها
إنّي لأظهر للبريّة حبّها ... والله يعلم انّني أقليها

ويقول في ذمّ خالٍ على وجه بعض من يهجوه :

أبو طاهرٍ في الشّوم واللّوم غايةٌ ... بعيدٌ عن الإسلام والعقل والدّين
على وجهه خالٍ قريب من أنفه ... كمثل ذبابٍ واقعٍ فوق سرقين

وله في مرثية أبي بكر الصّبغي الّذي تقدّم ذكره من نتفة :

وارحمتا لشبابِهِ ... اذ لم يمُتّع بالشّبابِ

---

(١) أخمصيه : قدميه .

(٢) طراد العُتاق : أي اقتناص الخمرة الجيّدة .

وكأنّـــه في قبرِهِ شمسٌ توارتْ بالحجابِ

وله في الغزل :

لما ترحـــلَ مَنْ اهـــوى وودّعني … وصرْتُ من بعـــده حـــيرانَ مبهوتا
نظمْــتُ دراً على القرطـــاس من غزلي … ومـــن دموعـــي على الخـــدّين ياقوتا

وله :

ينيكون غزلان الحســـان ولا أرى … غزالاً من الغـــزلان فرداً بساحتي
فمن يك قد لاقى من النّيك راحةً … ففـــي راحتـــي والـــرّيق انسى وراحتي

وله :

ولمّا رأيت الفقـــر ضربـــةَ لازبٍ[1] … ولـــم يك لي في الـــكفُ عقـــدٌ على عقد
ولا لي غلامٌ قد يُنـــاك ولـــم يكن … سبيلٌ الى التّـــرك المكحّلـــة الجرد
شريت قبيحـــاً من بني الهنـــد أسوداً … ونيك هنـــود السّـــود خـــيرٌ من الجلد

ومن أحسن ما قيل في وصف البطّيخ قوله :

وزائـــرةٍ تاهـــت عليّ ببردها … ويعجبنـــي منهـــا خشونـــة جلدها
ثقيلـــة ما بـــين الاهـــاب[2] قصيرةٍ … وصفرتُهـــا تبـــدو بظاهـــر خدّها
وفـــاح لهـــا طيبٌ يســـير أمامها … فيحيي لنفسِ الصّـــبّ ميّت وجدها
فقمـــتُ اليهـــا مسرعـــاً فافترعتها[3] … وذقـــت لذيذاً من عسيلـــة شهدها

وقال في قصرٍ بناه ضدٌ له :

بنـــى أبـــو العبّـــاس في داره … قصراً فلا متّعـــه الله بهْ
نـــام عن الجـــود ولكنّه … في بخلـــه مستيقـــظٌ منتبِهْ

---

(١) لازب : لازم ـ ثابت .
(٢) الإهاب : الجلد .
(٣) افترعتها : فضضتها ونلت ما أشتهيه منها .

وقال في التبرّم بالأدب :

إنّـي أقـول وخـير القـول أصدقهُ ... والصّدق يحمـل احيانـاً على الكذب
لا تجمعَـنْ أبـداً علماً ولا أدباً ... وجـدّ في طلـب الأمـوال واغترب
في المال زينٌ وفخـرٌ ان ظفـرْتَ به ... والبـؤس والنّحس والادبـار في الأدب

وله عند خروجه في سفر :

خرجـتُ مع الـركبِ الغُـداةِ مسافراً ... فيا ليت شعري هل أأوبُ[1] مع الركبِ
إذا ذكرَتْ نفسي ديار عشيرتي ... تحـدّر دمـع العـين سكْبـاً على سكبِ

وقـال :

أقـول إذا رمَـتِ الحادثا ... ت بي من بحـار الأسى في لُجَجْ[2]
أيا نفسُ صبـراً عسى الله أنْ ... يُقـدّرَ لي عن قريبٍ فرجْ

وقـال في احمد الخشنامي :

وذي أدبٍ برٍّ رُميتُ ببعده ... معـينٌ على الأيّام افـديه من أخِ
به أرّخ المعـروف والمجـد والعلى ... ولـولا تناهـى مجـده لم يؤرّخِ
وقد كنت أشكو البَينْ في ربـع فرسخٍ ... فكيف وفيما بيننـا ألف فرسخِ

وقال في غلامٍ تركيٍّ :

بليت بقنّـاص الضرّاغـم[3] شادنٍ[4] ... من التّـرك لم تحلل تمـائمـه بعد
تضيق عليّ الأرض من ضيق عينه ... وينـزف شعـري شعـره الفاحـم الجعد

وقال من قصيدةٍ :

لا وأفخـاذُ الصّغار ... وأحـيراح الجـواري

---

(١) أأوب : أرجع .
(٢) لجج : أعماق ومتاهات .
(٣) الضراغم : الأسود .
(٤) شادن : ولد الغزال .

وسُتيهِ[1] من صبيّ بالغٍ حدّ العشاري
وصغيرٍ من بني التّر ك يسقّي بالكبار
لا أطيع العاذلَ الجا هل في تركِ العقار
همّتي شربُ خمورٍ من يديْ ذات خمارِ
أو يدي ظبيٍ غريرٍ رخو معقود الإزار
لستُ والله على اليـ ـمّ مع الزّير بزاري[2]

١٢٦ - أبو بكر احمد بن محمَّد القوهي

أحد فضلاء الزّوازنة وشعرائها يقول في شكاية فقهائها لمّا اختاروا لزعامتهم اسرافيل الغزنوي :

لنا فقهاء شرّهم جدّ محكمٍ وان زلّ خيرٌ منهم فهو ينسخ
أقاموا على النّاس القيامة جهرةً وجاؤوا باسرافيل في الصّور ينفخ

وله من قصيدةٍ :

كَم من مُودٍّ له عقار عقاره شدّ وهو خفّا

أي صار عقّار بالتّشديد وصار هو مودياً بالتّخفيف .

١٢٧ - أبو يعلى الزّوزَني

من أشهر فضلائها وظرفائها وهو القائل من نتفةٍ :

لم أزل قائلاً بفضلك في السـ ـرّاء فانظر اليّ في الضرّاء

وهو القائل :

أنلني يا حليفَ المجد سؤلي ولا تنظرْ الى ثقَلِ الرّسول
فإنّ ضرورة الأيّام تُلجى أحايينا الى الرّجل الثّقيل

---

(١) ستيه : تصغير إست أي إلية .

(٢) الزّير : ابريق الخمر، وزاري : أي تارك ومنتقص .

١٢٨ ـ أبو الحسن العَبْد لكاني

والد أبي محمد العبد لكاني الّذي طبّق الدّنيا بشعره المليح الظّـريف وكتـاب اليتيمة مختوم به[١] وعهدي بملكين يجري شعره على لسان كلّ منهما وهما الأمـير أبو العبّاس مأمون بن مأمون خوارزم شاه والأمير صاحب الجيش أبو المُظفَّر نصر بن ناصر الدّين رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما ، فأمّا والده أبو الحسن فإنّه يقـول في قرية بهداذين من قرى زوزن ما استظـرف البيت الأخير منه وهو :

أشرف ببهـداذين من قريـةٍ عن شاينـات العيب في حرز
لكنّهـا من لؤم سكّانها حطّـتْ الى الـذّلّ من العزّ
ما إنْ ترى فيهـا سوى خاملٍ جلفٍ دنـيّ أصلـه كزّ
لا تُعجبـوا منهـا ومـن أهلها فالسّـوس لا يُنـكر في الخزّ

ويقول في التمّاجن :

رجـلٌ أسـدى إلينـا صالحاً فمعاذ الله ان نجهله
بـل نكافيه به أضعافه انّ مَنْ يفسُ لنـا نخـر له

١٢٩ ـ أبو عليّ بن أبي بكر بن حَشْبُوية الزّوزَني

أنشدني أبو القاسم بن أبي منصور له :

تعجّـبَ من مشيبـي في شبابي كأن لم تلـق من قبلي مشيبا
فقلـتُ ذَرى التّعجّـب انّ هذا زمـانٌ يجعـل الولـدان شيبا

وأنشدني غيره له أيضاً :

ليس من قلّـة العقـول أتينا بل لما ساقـه الجـدود العواثـر[٢]
كيف نرجـو نجاحنـا من رئيسٍ ليس يحظـى لديه الاّ مواجر[٣]

---

(١) اليتيمة ج ٤ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥
(٢) الجدود العواثر : الحظوظ المتعثرة .
(٣) مواجر : مساعد .

١٣٠ - ابو الحسن عليّ بن أبي عليّ بن جعفر المعروف بابـن سيسَنْبَـر الزّوزَني

يقول في معنىً تفرّد به وهو يقع في باب تكلّم كلّ انسان من صناعته وقد مرّ مثله في ذكر ابي بكر القوهي وغيره :

كفـى الشّيب عيبـاً انّ صاحبـه اذا ... أردْتَ له وصفـاً به قلْـتَ أشيب
وكان قياس الأصـل ان قسـت شائباً ... ولكنّـه في جملـة العيب يُحسب

يعني انّ معائب خَلق الانسان في كلام العرب يجيىء أكثرها على أفعل مثل أعمى وأعرج وأعور وأزرق وأحول وأقرع وأصمّ وأبخز وأوقص .

١٣١ - ابو علي الحسين بن احمد رزغيل

له :

الـى الله أشـكو ما لقيت من النّوى[1] ... فلـم يلـق منهـا ما لقيت متيّم
فراقٌ وهجـرٌ واشـتياقٌ وغربةٌ ... فللّـه قلـبٌ بينهـنّ مقسّم

وله :

ولـي همّـةٌ فوقَ نجـم السّماء ... ولـكنّ حالـيَ تحـت الثّرى
فلـو ساعـدتْ حالتـي همّتي ... لكنـتَ ترى غير ما قد ترى

وله :

أبـا الفضـل يا عين الفضائـل انّني ... عليك لمثـنٍ غير انّـيَ قاصرُ
وانّ الّذي يرنو الـى الشّـمس ناضراً ... ليرجـع عنهـا طرفـه وهـو حاسرُ[2]

---

(١) النوى : الفراق والهجر .
(٢) حاسر : كليلٌ وتعب .

ذكر سائر أهل نواحي نيسابور ،
منهـــم :
١٣٢ ـ طاهر بن عبد الله البَيْهَقي

كتب الى أحمد بن عثمان الخشنامي الّذي تقدّم ذكره :

يابــن عثمــان يا كريم السّجايا[١] صانــك اللهُ عن جميع البلايـا
أنــت في الفضــل والبراعــة والظّر ف وكلّ الخصــال فقــتَ البرايا
صحّ لمّــا رأيتــك اليوم عندي قولهــم : « انّ في الــزّوايا خبايا »

١٣٣ ـ ابو الهيجاء عليّ بن حَمْدان الخَوافي

يقول في الشّيخ الامام الموفّق أدام الله عزّه :

انّ الموفّــقَ لو كانــت أناملهُ بحــراً لآذنَ أهــل الأرض بالغرقِ
ولــو نثــرَتْ علــى الــدّنيا محاسنه ما أنبتَتْ غير حســن الخَلْقِ والخُلُقِ

ويقول في مطايبة أهل زوزن :

إنّ التكهــرشَ[٢] عادةٌ يحظــى بها أهــلُ المــروّة والّــذي يتظرّفُ
لكنّــه في أهــل زوزن عادةٌ مطبوعــةٌ ولأهــلِ خوّاف تكلُّفُ

١٣٤ ـ ابو العبّاس محمّد بن ابراهيم الباخَرْزي

غرّةٌ شادخة[٣] في وجه ناحيته مرغوبٌ في شعره ، أنشدني ابو القاسم عليّ بن الفضل القائني رحمه الله قال أنشدني ابو العبّاس الباخرزي الكاتب لنفسه وكان اذ

---

(١) السّجايا : الطباع والصفات .
(٢) التّكهرش : الهمّة والتلطف .
(٣) غرّة شادخة : شابٌ يملأ نوره أفق ناحيته أي أنه مشهور .

ذاك يكتب للشّيخ العميد أبي القاسم منصور بن محمّد بن كثير أدام الله عزّه بغزنة :

قـل للأمير السيّد النّحرير[1] فقتَ الـورى وفضُلْـتَ كلّ أميرِ
إنّ شئْـتَ أن يزداد ملـكك بسطةً بوزيرٍ ابـن وزيرٍ ابـن وزيرِ
فعليك بالشّيخ العميد المرْتجى منصـورٍ بن محمّـد بن كثيرِ
فيكون في الـدّيوان صدر وسادةٍ ويكون في الأيوان صدر سرير

وذكر اسم الممدوح واسم أبيه وجدّه معاً صنعةٌ حسنةٌ في محاسن الشعرّ فاذا اتفق مع ذلك ذكر الكنية فناهيك به كما قال الأصمعيّ الشاعر للشيّخ أبي الحسين محمّد ابن كثير رحمه الله تعالى يوم استوزر ببخارا :

صـدر الـوزارة أنـت غير كثير لأبـي الحسين محمّـد بن كثير

فأحسن في الجمع بين الكنيَة والاسم واسم الأب وجنّس بذكر كثير وكثير فان كان الباخرزي قصّر في ذكر الكنية فقد برع في ذكر اسم الجدّ وقـول الأصمعـيّ أبـرع وأحلى ولم أسمع في مثل هذا أشفّ من قول أبي القاسم الاليماني من قصيدةٍ الى الشّيخ الجليل أبي علي محمّد بن عيسى الدّامغاني فانّه ذكر بلدة الممدوح وبها كان يُعرف فأتى بالاسم والكنية واسم الأب والبلدة ولي في مثل هذا النّقد وأشباهه من صنعة الشّعر وصيغته ومحاسنه ومعانيه كتاب يقع في مائة بابٍ وقد ابتدأته ولم أتمّمه بعد وأرجو أن يوفّق الله لاتمامه ومن عزمي أن لا أقتصر فيه على النّظم دون النّثر وأن اعنونه بسرّ الصّناعة ان شاء الله تعالى .

عاد ذكر أبي العبّاس ، حدّثني أبو علي الحسن بن ابي الطيّب قال كتبت الى أبي العبّاس وهو بغزْنة هذين البيتين :

الله أسأل أن أراك قريبا ويعـودُ عود الوصْـلِ منـكَ رطيبا
حتّـى تكونَ لداء فُرقتـك الّذي شقّ القلـوب مداوياً وطبيبا

(١) النحرير : الحاذق العاقل .

فأجابني بهذه الابيات :

استودع الله الحفيظ حبيبا — يحكى اذا نظم القريض [1] حبيبا
مُتطبّعاً طبعَ الشآم مبرّزاً — مُتدرّعاً [2] طرف العراق أديبا
صافي المروّة ناشياً أو يانعاً — صافي الاخوّة مشهداً ومغيبا
حقَّتْ به لأبيه كنيته التي — يزداد فيها كلّ يومٍ طيبا
فخراً به يا أهل مالين التي — لولاه كان به الأديبُ غريبا

وأنشدني له ايضاً من نتفةٍ في الهجاءِ :

ما فيه فضلٌ ولا عقلٌ ولا أدبٌ — ولا حياءٌ ولا دينٌ وايمان
لو خُطَّ في الخبز حرفٌ من معائبه — لم يأكلِ الكلب منه وهو غرثان [3]
أو شيب بالماءِ شيءٌ من خلائقه — لم يشربِ القرد منه وهو عطشان

وله في الشكر والاستعفاءِ من كثرة البرّ :

مهلاً فما بعد هذا البرّ [4] امكان — وليس فوق الّذي أحسنْتَ أحسان
فالمآء ان جاوز المقدار مهلكةٌ — والعدل ان جاوز المرسومُ عدوان
انّ الأصابع خمسٌ وهي كاملةٌ — فان يزدْنَ فذاك الفضل نقصان

١٣٥ ـ أبو علي الحسن بن أبي الطيّب الباخَرْزي أيّده الله تعالى

فتىً كثّر الله فضائله وحسّن شمائله فالوجه جميل تصونه نعمة صالحة والخلق عظيم تزينه آداب راجحة والنّثر بليغ تضمّنه أمثال بارعة والنّظم بديعٌ

(١) القريض : الشعر ، وحبيب : أي أبو تمام .
(٢) متدرعاً : لابساً الدرع .
(٣) غرثان : جوعان .
(٤) البرّ : الاحسان والعطاء .

كلّه أحاسن لامعة وأنا كاتب من نثره ما يُربي على الدرّ المنثور ومن نظمه ما يأخذ بمجامع القلوب ، جملة من ألفاظه في كلّ فنٍّ :

نعم العادة للانسان اعادة الاحسان . لا تجعل الجزع كسوة فتكون للنّسوة أُسوة . طوبى لمن عقله يغنيه عمّا لا يعنيه . من قنع بما يكفيه فرايك فيه . العذل على البذل فعل النّذل . السّعيد من يبدىء البرّ ثمّ يعيد . الشّقي من شكاه التّقي . لا تضطرب في مخالب المحنة فتمزّقنّك بأنياب الاحنة . من تزوّد التّقى استمسك بالعروة الوثقى . من دفىء بجمر الخمر عَريَ من بُرد البرد . أنزه المناظر والمجالس ما سافر فيه ناظر الجالس . الوَصَب[1] نتيجة النَّصب[2] والرّاحة ثمرة الاستراحة . الصّبر على الأوصاب أمرّ من الصّاب . رداءَة الملبوس شعار البوس وجَودة البزّة[3] علامة العزّة . من نكد الدّنيا طول حياة الحيات وقصر آجال الرّجال . الرّحيق على الرّيق حريقٌ وبعد الطّعام بردٌ وسلام . لا يستبدع العبوس من المحبوس . لو كان الهدهد طبيبا لصيّر بيته طيبا . من يعدم خيرك يخدم غيرك . الطّبع على الرّخيص حريص وللغالي قال . فلان لا يمسكني فأقرّ ولا يتركني فأفرّ . فلان يخلف عِداتي ويشمتُ عداتي . ما شئت من لفظٍ بارّ ورزق غير دارّ . لا أشتغل بوصف الشّوق فقد كبر عمرو عن الطّوق ولا بشرح المودّة من الجانبين فقد بُيِّنَ الصّبح لذي عينين .

فصل : لحى الله زماننا من زمان سقط فيه سِعر الشِّعر وظهرت كآبة الكتابة وانخفض عَلم العلم ونصب[4] نهى النّهي وعزّ وجود الجود وانسدّ باب الألباب وانطوى بساط الانبساط وارتفع قَدر القدْر وانقطعت فائدة المائدة وخابت وسائل

(١) الوصب : الألم الدائم .
(٢) النَّصب : التعب الارهاق .
(٣) البزّة : الثوب .
(٤) نصب : من النّصب أي التعب .

السّائل وقامت سوق الفسوق .

ومن بدايع شعره ولطائفه قوله في غلامٍ صوفيٍ لم يُسبق إليه :

وشادنٍ يدّعي التصوّف قد أورثتِ الحور حيرة صفته
أصفى له مهجتي تصوّفه ورقّعت توبتي مرقّعته

قوله في غلامٍ خيّاطٍ :

قولا لخيّاطنا خفيّاً يا أوحدَ العصر في الجمال
قد مزّق الهجر ثوب صبري فجدّ بخيطٍ من الوصال[1]

وقوله في غلامٍ مزيّنٍ :

مزيّن زانه حسن واحسان فما يشاكله في الشّكل انسان
حمّامه كجحيمٍ من حرارته لكن متى تأته يخدمْكَ رضوان

ومن افراد معانيه قوله في التّلفيق بين النّبل والقوس :

وبدرٍ أُعير قوامَ النبال تقوّستُ من هجره كالهلالِ
ولما تراءى غداة الودا ع كالنّعمة اقتربَتْ من زوالِ
أطلتُ الحنين وزدْتُ الأنين وأصبحْتُ من سوءِ حالي بحالِ
كذاك القسيّ تُطيل الأنين اذا كلّفوها فراقَ النّبالِ

وقال في مختطٍّ قارب الالتحاء :

يا بدرُ انّك قد بلغْـ ـتَ من الجمال مدى كمالك
اخشى عليك دُجى الكسو فِ وقد بدت آثار ذلك
عهدي بخالك وهو عيـ ـن الدّهر يشغل عن جمالك

---

(١) الوصال : التلاقي .

فبأيّ عذرٍ قد ستر ... ت بكمّ خطّك وجه خالك

وقوله في مختطّ خطّاطٍ :

قد قلت لمّا فاق خطّ عذاره[1] ... في الحسن خطّ يمينه المستملحا
مَنْ يكتبِ الخطّ المليحَ لغيره ... فلنفسِه لا شكّ يكتبُ أملحا

وقوله في صبيّة مليحة توفّى أبوها فأفرطت في الجزع :

ودرّة حُسْنٍ أنفدت حسن صبرها ... وفاة أبيها فهي تبكي وتجزعُ
فقلْت اصبري فاليتمُ زادكِ قيمةً ... أليس يتيم الدرّ أبهى وأبدعُ

وقوله في قينة بيدها كاس :

ظللتُ أفكّر طول النّهار ... وقد حملت ذهبيّ العقار[2]
أفي يدها ذهبيّ العقار ... بأحسن أم ذهبيّ السّوار

وقوله :

سأعمر بالشّراب شباب عمري ... وترك الشّرب قبل الشّيب لومُ
وأبذل فضل مالي قبل موتي ... فمورث ماله عندي ملوم
وأهزم بالعقار جنود عقلي ... لكيلا يشغل القلب الهمومُ
ولا أختار قبل الشّيب زُهداً ... لأنّ البقل قبل الخبز شومُ
ولا أرجو دوام العمرِ علماً ... بأنّ العمرَ شيءٌ لا يدومُ

وقوله في ذمّ الشّراب :

لا تسقنيهِ فانّي أيّها السّاقي ... أخاف يوم التفافِ السّاق بالسّاق
هذا الشّراب يهيج الشرّ نشوتَه ... فميّز الشّرّ عنه واسقني الباقي

---

(١) عذاره : العذار منبت الشعر في وجه الانسان .
(٢) العقار : الخمر .

يعني اسقني الماء القراح بالفارسيّة ، وقوله في غلام أصهب الشّارب :

بدَتْ صهبةٌ في مسك شارب مالكي فأطرق عشّاق وعابته أعداءُ
وشاربه لا غروَ ان كان أصهباً[1] فمرتعه وردٌ وسقياه صهباءُ[2]

وقوله :

حشوت قلوبنا بقلىً[3] ومقتِ لفرط رعونةٍ في كلّ وقتِ
فإنْ تك قد جلست اليوم فوقي فربّت ليلةٍ قد نمْت تحتي

وقوله :

لنا صاحبٌ للزّاد آكل من رحىً ولكنّه للرّاح أشرب من قمع
اذا نحن ضفْناه تغيّر وجههُ ومهما أضفناه تلألأ كالشّمع

وقوله :

دعاني أحمدُ قبل الشّروقِ وأمسكني الى وقت الطّروقِ[4]
ولمّا جعْتُ عشّاني لديه بقرص الشّمس مع بيض الأنوق[5]

١٣٦ ـ ابو جعفر أحمد بن الحسن بن الأمير الباخرزي الخطيب

قاضي الظرّاف ، يقول في زعيم ناحيته أبي سعيد خداش بن أحمد :

ولي ابداً أمران يكتنفانني هما عدّتا ديني ودنياي سرمدا[6]

(١) الأصهب : من كان في شعره حمرة أو شقرة .
(٢) الصهباء : الخمر .
(٣) القلى والمقت : البغض والكره .
(٤) الطروق : الليل .
(٥) بيض الانوق : بيض العُقاب .
(٦) سرمدا : ابدياً .

شهادتـي التّوحيد للهِ خالصاً ... وحُبّي في الدّنيا خداش بن أحمدا

ويقول :

اهيمُ بذكر التّيرشـاذ صبابةً ... ومـا بيَ الاّ حبّ مَنْ حلّ واديها
وانّ نسيمـاً من رياح جبالها ... أحـبّ من الـدّنيا الـيّ ومـا فيها

ويقول :

بحـقّ النّبـي وحـقّ الوصيّ ... وحـقّ المشاعـر والقبلة
أنلنـي مراديَ يا منيتي ... ومـا ان أروم سوى قُبلة

سائر أهل بلاد خراسان

١٣٧ ـ ابو نصر احمد بن عليّ بن حفص العَمْرَوي أيّده الله

فرد طوس وغرّتها وحسنة النّوقان ونكتتها وله أدبٌ غزيرٌ يجمع الفضل أطرافه ومجدٌ قويم تحرس المروّة أكنافه وأنا كاتب من شهره ما هو أدنى فضائله كقوله في الغزل :

مشـوّش الصّـدْغ ساحـر الحدَق ... معشّـقُ الخَلْـقِ فاتـن الخُلُقِ
كأنّ صدغَيْهِ فوق عارضهِ ... من غسـقٍ رفـرفٍ علـى فلَقِ

وقوله في فتىً جاءه بآلات البخور ليبخّره :

ومـوردِ الخـدّين با ... درَ نحـو عاشقِـهِ بمجمرْ
بالنّفـخ صيّر عوده ... ما بين مجمـرةٍ معنبرْ
وبمـاء وردٍ خلته ... من ورد عارضـهِ المنوّرْ
حيّيتـه ولَعـاً وقلـ ... ـت له مقـالاً ليس يُنكرْ
نفحـات ندِكَ دون مسـ ... ـكٍ فوق عارضـك المكَفَّرْ
والـوردُ في خدّيك نا ... ب عن ابنـة الصّافـي المُمَطَّرْ

فاحمرَّ وجنته وأظـ ـهـر حسنه ما كان مضمَرْ
وبدت لآلٍ منه في صدفٍ من الياقوتِ أحمرْ

وقوله :

تحت القلنسوة السّوداَء لي قمرٌ تحار في حسنه الألحاظُ والفِكَرْ
في سرجه غصنٌ بانٍ منه بانَ لنا من العقيق كِمامٌ[1] نَوْره[2] دُرَرْ
في وسطه أنجم الجوزآء لائحةٌ فوق الكثيب[3] ومن أعلاه لي قمرْ

وقوله :

وبنفسجيّ الثوبِ حيّا مدنفاً[4] ببنفسجيْ بستانه وعذاره
غصنٌ بدا لي في قباء بنفسجٍ منه وبدرٌ لاح من أزراره

ولو حضرني شعر أخوَيْه أبي عمر حفص وأبي عبد الله محمّد ابنيْ عليّ بن حفص أيّدهما الله لكتبته فهماهما في الفضل والأدب الغضّ والكرم المَحْض واذا حصّلت ألحقته ولم أشن كتابي بالخلوّ منه ان شاء الله تعالى .

١٣٨ ـ أبو علي الفضل بن محمّد بن الحسين الطّبرستي

من أنجب شبّان طوس وأجمعهم للمحاسن والفضائل وأبرعهم في النّظم والنّثر على غضاضة عوده واقتبال شبابه وهو خلفٌ من أبيه أبي الحسين رحمه الله اذ كان غرّة شادخة في وجه بلدته جامعاً بين الأدب والشّعر والفقه فاحتضر وما مات من خلّف مثله ومثل أخيه أبي القاسم وقد كتبت بعض ما وقع اليّ من شعر أبي علي كقوله :

(١) كمام : غطاء الزهر .
(٢) نوره : زهر أبيض .
(٣) الكثيب : التل من الرمل .
(٤) مدنفاً : عاشقاً أشرف على الهلاك .

فديتُ مَنْ قد جفاني في مودّته ... لكنّني لِهَواهُ لا أكافيهِ
إنّي نظرت الى فيه فلم أره ... حتّى رنوي[1] إلى فيه نكى فيه[2]
لو صيغ خاتمه للخصر منطقةً ... منه لكان للطفِ الخصر كافيه

وقال أيضاً :

سبى القلب بدرٌ سرّ عيني طلوعُه ... صباحاً فوا قلباهُ عند غروبِه
إذا استلّ سيف الهجر فاضت توجُّعاً ... غروب شؤوني[3] من شؤون غروبه

وله أيضاً في الهجو :

غير المقول عيوبه كالواو من ... عمرو يُرى واللّفظ عنه قصير
كالنّون من زيدٍ يقال مديحه ... باللّفظ لكِنْ لا يراه بصير

وله في شكوى الزّمان :

لقد ضقْتُ ذرعاً من عجائب ذا الدّهر ... يوافق نذلاً ثمّ يسطو على حُرّ
ترى الحرَّ فيه مُعسراً ليس عنده ... ولو بلغَ المجهود غير أذى الفقر
وكلّ لئيمٍ في رخاءٍ ونعمةٍ ... كذاك امور الدّهر تجري على القدر
على ذاك أنّ الحرَّ يُلقى افتخارُه ... ورفعته في الفضل لا اليسر والعسر
وكم مُعْسرٍ فيه الفضائل جمّةٌ[4] ... وكم موسرٍ لا فضلَ فيه مع اليسر

وله في نسيب قصيدة :

أبيتُ مُسهَّداً[5] أبكي انفرادي ... بمَنْ هو في رُقادٍ من سهادي

---

(١) رنوّي : تطلعي .
(٢) نكى : ينكي نكاية : جرح وأثّر .
(٣) غروب شؤوني: أي فاضت دموعه بغزارة ،والشؤون : هي عروق الدمع : والغروب : الدلو التي يملأ بها الماء .
(٤) جمّة : كثيرة .
(٥) مسهّداً : قلقاً .

تعاطى الجسم من عينيه سُقْماً فعاضَتْ[1] عينه منّي رقادي
وصوّبني انحناءُ الصّدغِ منه فعلّمَ صدغه قلقاً فؤادي

وفي هذه القصيدة قال للمدوح :

خلائقه الحميدة حين تُحصى على الأيّام تأبى عن نَفادِ
أبرّ من الأنام وان يفدّى له طوعاً اذا ما عنّ فادِ
لئن قبلت يد الاعسار حرّاً تجده لما جنت يمناه وادي
فصار المجتدون إليه طُرّاً من الآفاق طامحة الهوادي
وألقوْا من يديه ما تمنوْا وبشّرهم نداه بالمعادِ
يبالغ جاهداً في الجود حتّى يُنيل نوال كفّيه[2] الأعادي

١٣٩ ـ أبو القاسم عمر بن عبد العزيز السَّرَخسي الملقّب بالجكرزي

من أظرف خلق الله وأحلاهم مذاق معاشرة وأعذبهم مساغ منادمة وأجمعهم بين جدٍّ كعلوّ الجدّ وهزلٍ كحديقة الورد ومجونٍ ألطف من نسيم الصبّا وشعرٍ كعهد الصبّا كقوله :

ما قولكم في ماجنٍ النّيك أكبرُ همّهِ
لم يلق في الدّنيا حراً مذ كان غير حرامه

وقوله :

هبّت رياح معاشرٍ عاشرتهم ووجدتُ ريحي أولعَتْ بسكون
فعجبت منه وقلت بعد تلهُّفٍ يا ليت قوماً نكتهم ناكوني

(١) عاضت : أي عوضاً عنه وبدلاً منه .
(٢) نوال كفيه : سيبه وعطاؤه .

وقوله :

قالـوا التحـى قلـتُ مهلاً حديثنـا ذو شجون
قـد كان بدرٌ تمامٌ فعـاد كالعرجـون[1]
ولسـت أعمـى ولكن أنيكه لمجونـي

وكتب الى صديق له مع عُراضة هرويّة أهداها له :

أيّهـا الفاضـل الّـذي قد كستني غرّ آدابـه من العـزّ ريطا[2]
في اسـت قاليك ألف زُبٍّ من القبـ ـط وهنّيت فستقـاً وقُبيطا

وقال للشّيخ حجّاج بن الشّيخ أبي العبّاس الاسفرايني وقد خرّ سقف دهليزه بنسا فتطيّر من ذلك :

أتـاك السّعـد مشـدودَ النّطاق يبشّرنـا بعـزّك فهـو باق
وشيّدَ عنـد بابـك للمعالي رواقـاً رائقـاً عالـي المراق
وأحـكمَ صنـع هيكلـه فأضحى رواق الـطّين قالـب ذا الرّواق
فلمّـا تمّ واستعلـى مشيداً علـى حسـن التئـام واتّساق
تولّـى السّعـد نفض رواق طينٍ كذاك يُهـدّ قالـب كلّ طاق

وكتب الى صديق مع هديّة :

النّمـل تعـذر في مقـدار ما حملَتْ والعبـدُ يعـذر في مقـدار ما ملكا
ولـو أطـاق لأهـدى "فرقـدين معاً والشّـمس والبـدر والعيّوق[3] والفلكا

(١) العرجون : عنقود النخل اليابس .
(٢) ريطا : كل ثوب يشبه الملحفة ، أي غمره بالعز .
(٣) العيوق : نجمٌ أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن .

وكتب الى صديق له دعاه في يوم فطر :

إنّ شهر الصّوم ضيفٌ نازلٌ فإذا ما حلّ فانشط لقراه
وقُمدّ الفيل[1] يوم الفطر في سُرم[2] من يفطر في بيت سواه

١٤٠ ـ العَمْركي الميهَني

أشهر شعره وأجوده قوله :

إذا أردْتَ أن تعيش سالماً فكلّ ما لم يك يعنيك فدَعْ
وإنْ طلبْتَ الرّزق فاقْنَعْ بالّذي اوتيته واقطَعْ من النّاس الطّمعْ
سل ربّ مسؤوليك تعْط انّه من سأل السّائل خاب واتّضَعْ
فأنت والنّاس عبيد واحدٍ مَنْ شاء أعطاه ومَنْ شاء مَنَعْ

١٤١ ـ أبو بكر النَّسَوي الفقيه

هو محمّد بن القاسم وقد ظُرّف وملّح في قوله لغلام صائغ ولم أسمع فيه غيره

وشادنٍ صائغٍ هام الفؤاد به وحبّه في سواد القلب قد رسخا
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه كيما أقبّل فاه كلّ ما نفخا

وله أيضاً فيه :

قد كنت ذا قلبٍ رخيٍّ فارغٍ حتّى ابتليْتُ بحبّ بدرٍ بازغٍ[3]
ولقد رضيت بأن أكون سبيكةً فأُصاغُ في حانوتِ ذاك الصّائغ

(١) قمد الفيل : ما كان ضخم العنق طويلها .
(٢) سرم : طرق المعي المستقيم .
(٣) بازغ : طالع .

١٤٢ ـ أبو منصور قسيم بن ابراهيم القائني الملقَّب ببُزْرجمهْر

شاعر مفلق مبدع باللّسانين من شعراء السّلطان الأجلّ أدام الله تعالى ملكه، يقول في استطالة الشّتاء واستبطاء الرّبيع ما تفرّد بمعناه وأحسن كلّ الاحسان في التّشبيه البديع حيث قال :

لقد حال دون الورد بردٌ مطاولٌ ... كأنّ سعوداً غُيّبت في مناحس
وحُجِّب في الثّلج الرّبيع وحسنه ... كما اكتنّ[1] في بيضٍ فراخ الطّواوس

وله في الهجاء البديع :

بخلتم فودّ المشركون لو انّهم ... قدورهم كيلا تمسّهم النّار

وله أيضاً :

رأيتُكَ تبغي بسوء الصّنيع ... ثناءً جميلاً مسوقاً اليكا
وتغسل قبل الضّيوف اليدين ... كأنّك تغسلُ منهم يديكا

١٤٣ ـ أبو جعفر محمّد بن عبد الله الاسكافي

أديبٌ كاتبٌ شاعرٌ كثير المحاسنِ سمع قولي في كتاب المبهج كأنّ ورق النّرجس ورقٌ وعينه عينٌ فنظمه بقوله :

ونرجس قُدّ له القدّ من ... زبرجدٍ في قدر شبرَيْن
فالورق الغضّ مصوغٌ له ... من ورقٍ والعينُ من عَين

(١) اكتنّ : اي اختفى وتستّر .

وأنشدني لنفسه في الورد :

قلــت للــورد هل ترى لك بدّا　　من رحيل يسوءنــا منــك جِدّا
قال احــكي الحبيب لونــاً وليناً　　ونسيمــاً كمــا أحــاكيه صَدّا[1]

وأنشدني لنفسه في معنىً تفرّد به :

الله أشهــد والملائــك انّني　　لعــظيم ما أوليت غير كفور
نفســي وقــاؤك لا لقــدري بل أرى　　انّ الشّــعير وقــاية الكافور

وفي هذا المعنى بعينه :

نفســي فداؤك وهــي غير عزيزةٍ　　في جنــب نفســك وهــي جدّ عزيز
ولقــد يقــي الخــزّ[2] الثّمين أذاته　　في وقتــه كفــّ من الشّونيز

وله في الشّيب :

فرشــتُ لشيبــي أجــلّ البساطِ　　فلــم يستطــب مجلســاً غير راسي
فقلــتُ لنفســي لا تنكريه　　فكم للمشيب كراســي كراسِ

وأنشدني لنفسه :

عســى المهــمّ المخــوف يكفي　　لطيفــةٌ من لطــائف الله
فلــطف صنــع الآلــه عندي　　وظيفــةٌ من وظــائف الله

١٤٤ ـ القاضي أبو أحمد منصور بن محمّد الأزْدي الهَرَوي

قد ضمّنت كتاب اليتيمة ذكره[3] إلاّ انّي لم اعطِه حقّه ولم اقدِّرْ قدره لعلّتين

---

(١) الصدّ : نفوراً وامتناعاً .
(٢) الخزّ : الحرير النفيس .
(٣) اليتيمة ج ٤ ص ٢٤٣ .

إحداهما انّي في ذلك الوقت لم يكن وقعت بيني وبينه معرفةً ولا اتّفقت لي بعظم محلّه وعلوّ فضله احاطةً والأخرى انّ محاسن نظمه وبدائع نثره قلّت لديّ إذ ذاك بل عزّت واعوزت ثمّ طلع عليّ من بعد وتقدّر لي التقاء به بعد فراغي من كتاب اليتيمة فأحدثت مناسبة الأدب وذمّة المعرفة وحرمة الغربة بيننا حالاً هي القرابة أو أخصّ وامتزاج النّفوس أو أمسّ وشملني من جلائل مننه ودقائق كرمه ما أثقل ظهري واستنفد شكري وجمعت يدي من غرر كلامه ودرر نظامه على ما يميّز له اللّيل المظلم ويتّصف به الدّهر الظّالم وقد أودعت الآن كتابي هذا لمعاً من نثره ونظمه تتلافى الفائت وتجبر الكسر ان شاء الله تعالى وبه الحول والقوّة .

فقرٌ ولطائف ونكت من منثور كلامه :

فصلٌ : كتبت ويدي واحية وعيني ماحية فسل بي الأرق وأنا لا أحمل الورق ولا افلّ القلم فأصف الألم .

فصل : بي أيّد الله الشّيخ رَمد وفي الهواء ومَد ولقاء الشّيخ فرَج ولكن ليس على الأعمى حَرَج لا سيّما والمجلسُ وطيٌّ والمركبُ بطيٌّ ووهج الصّيف يثير الرّهج[1] ويذيب المهج .

فصل : عبده الّذي يحبّ الحياة لخدمته وينشر محاسن دولته بلسانٍ فيضه المدح والثّناء وقلبٌ حشوه الودّ والدّعاء .

وكتب الى صديق له حيّا بباكورة وردةٍ فردة :

وصلت أيّد الله الشّيخ الوردة الفردة لا زال ذكره كريّاها عرْفا[2] ودهره كفضلها ظرْفا وحال أوليائه كأصلها خُضرة ووجوه أعدائه كلونها صُفرة فسرت الكرب وسرّت القلب وأدّت الأدب واهدت الطّرب ودعت الى الرّسم المألوف وأمرت بالمنكر

---

(١) الرّهج : السحاب الرقيق .

(٢) كريّاها عرفا : كرائحتها الفواحة الذكية .

المعروف وافتنا والليل قد حُطَّ رواقه وحُلَّ نطاقه والصّبح قد بسط رداءه ورفع لواءه والجوّ قد أخذ زيّه الأحسن ونشر مُطرفه الأدكن[1] والنّدى طلٌّ والنّسيم مبتلٌّ والمزن[2] منسجمٌ وثغر الصّبح مبتسم ونحن نبوح بما في الصّدور ونطير بأجنحة السّرور فوضعت الوردة على الرّؤوس وأديرت مع الكؤوس ونطقت الأوتار فمع كلّ نفرةٍ نبرة ومع كلّ نبرةٍ نعرة ومع كلّ ضربةٍ طربة ومع كلّ طربةٍ شربة ولكلّ ذي فطنةٍ فتنة ولكلّ ذي توبةٍ أوبة[3] ومع كلّ ذكرةٍ فترة وعند كلّ لفتةٍ حسرة ومع كلّ دورة سكرة .

وله من كتاب صدر من بغداد : كتابي أطال الله تعالى بقاء الشّيخ وقد محى الشّوق اصطباري وحلّ الشّيب يلعب في عذاري .

وما ان شبتُ من كبرٍ ولكنْ لقيت من الحوادث ما أشابا

والهموم إذا لقيت الصّخر أذابته ففيم أتعجّب ومنها ان لقيت الشعّر فأشابته ووصل كتابه فأعاد الرّوض الممطور والوشي المنشور ووجدْتُ كلامه يستفيد تحت مرّ الأيام ما يستفيد الرّوض تحت صوْب الغمام فيزداد قوّة أصول وبهجة فصول .

مثل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ اللّيالي فيه حتّى أقمرا

فهو بحمد الله كما يلتقي الوشيان وشي الرُّبى ووشي البرود ويجتمع الوردان ورد الجنى وورد الخدود غير أنّ رقة الشكوى تركته دمعاً ينسكب وجَمراً يلتهب وعلمت أنه صدر عن صدرٍ وافٍ وودٌّ صافٍ فإنّ اللّسان يؤدّي عن القلب ما يُخفيه وانّما يرشح كلّ اناءٍ بما فيه وبحسن الكلام تعرف صدق الوداد وفي خُضرة الرّوض تحسن آثار العهاد .

وممّا قالتِ الحكماء قِدماً لسان المرء من خدَمَ الفؤاد

---

(١) الادكن : الأسود الدامس .

(٢) المزن : الغيم المطر .

(٣) أوبة : عودة .

وما أنا معه الا الطّرف والرُّقاد والصّدر والفؤاد، ذكر مدينة السّلم وحضرة الاسلام ولو نطق عن اختيار لأجرى القول الى الاختصار وما أبعد الطّعوم من الألوان وما أبين البون[1] بين السّماع والعيان فإنّ طرّة رأفتك فاخبر فربّما أمرّ مذاق العود والعود أخضر بلى ما شئت من أشواق وأندية وأطواق وأردية ثمّ قف العطايا ولا تُبدِ الخفايا فإنْ جاوزت كسوتهم اليهم فليس وراء عبّادان قرية وأنا في اجتواء بغداد للاجماع خارق وللجماعة مفارق ولكنّه اجماع ما انعقد على تحصيل ولا استند الى أصل أصيل وها أنا اقيس هراة اليها بل افضلها عليها.

فوالله ما أدري أزيدت ملاحة على الأرض أم رأي المحبّ فلا أدري

نسخة كتاب له الى شمس الكفاة رحمه الله تعالى عند عود الوزارة اليه ولم يقصد الشعّر:

الشّمس في راد الضّحى والبدرُ في جنحِ الدّجى
والماء في حرِّ الصّدى والغيثُ جاد على الثّرى
والمزن يضحك في الرّبى والورد جمّشه النّدى
والصّبح يقدمه الصبّا والعيش في زمن الصبّا
والقرب صبُّ على النّوى[2] والقلب رقّ مع الهوى
والطّرف غازله الكرى[3] والصّفو باعده القذى[4]
والحُلى في ثغر الدّمى ومنازل لك بالحمى
وعهودُ سعدى باللّوى والدّهر يسعد بالمنى
والبرءُ[5] في عقب الضّنا والفقرُ يطويه الغنا

---

(١) البون: البعد، المسافة الفاصلة.
(٢) النوى: الفراق.
(٣) الكرى: النعاس.
(٤) القذى: ما يسقطمن وسخ من مدمع العين.
(٥) البرء: الشفاء.

والبِشْرُ يتبعه النّدى والنّشْرُ[1] من بعد البلى
والودّ في أثر القلى والمحلْ يطرده الحيا
والعتب يمحوه الرّضى والكفُّ تسمح باللّهى
ومذاكرات ذوي النّهى والرّأي يعضدُهُ الحجى[2]

والجدّ ساعد فاعتلى

بها وبما لها من الأمثال سارت سوائر الأمثال فيما يونق النّفوس والطّباع ويونس الأبصار والأسماع وأحسن من هذا كلّه أيّام الشيّخ الجليل وقد أتاه اسم ما لم يزل معناه:

فيا حسنَ الزّمانِ وقد تجلّى بهذا الفخر والاقبال صدرهْ
وكان الدّهر يعذر قبل هذا فحلّ وفاؤه وانحلَّ غدرهْ
تصدّر للوزارة مستحقٌ تساوى قدرها شرفاً وقدرهْ
فقلْ في النّصل وافقه نصابٌ وقل في الأفق أشرق بدرهْ

فالحمد لله الذي زان الشّجر بالثّمر وحلّى البرج بالقمر وأنس العرين بالأسد وأهدى الرّوح الى الجسد لم أنس أدام الله علوّ مولانا رسم التّصدير وما يجب من مراعاته على الصغير والكبير ولكنّ التّهنئة المرسومة تتهاداها الأكفاء وتتعاطاها النّظراء فامّا الخدم مع الصّدور والنّجم التّاليات مع الأهلّة والبدور فالعادة فيها الوفادة ثم ان تعذّرت الارادة ولم تساعد السّعادة فالدّعاء موصولاً منشوراً والثّناء منظوماً منثوراً وعلى هذه الجملة عملتُ والى هذا الجانب عدلتُ فأصدرت كلمةً نتجها الودّ الصرّيح ونسجها الولاء الصّحيح.

فجاءت تُودّي وجوه الرّيا ض أضحكها العارض الهامع[3]

---

(١) النشر: البعث من جديد.

(٢) الحجى: العقل.

(٣) العارض الهامع: السحاب الممطر.

وليس لهـا غير عين الرّضى لديك ذمـامٌ ولا شافع

وهذه ملحٌ وظرفٌ من شعره : كتب الى بعض ندمائه قصيدةً منها :

كتبـت ولـي بذكراك انتعاشٌ ولـكن بي من السّـكر ارتعاشُ
وللشّـادي نشـاطٌ وانبساطٌ وللسّاقـي احتثـاث وانكماشُ
ومـا يُروى العطـاش بغير ماءٍ وأنـت المـاء اذ نحـن العطاشُ
فإنْ تسـرع فوجهـي والنّدامى وإنْ تبطـىء فحينـي والفراشُ

وقال في فتى قامره :

رشـأ فتـور جفونـه يهـدي الفتـور الـى البشر
ورد الجمـال بخدّه ينبـثٌ في ورد الخفر[1]
قامرتـه بالكعبتيـ ـن مساهـلاً حتّـى قمر
فـازداد حسنـاً وجهه لمّـا رأى وجـه الظّفر
فنُعـرت[2] نعـرة عاشقٍ قمـر القمـر قمـر القمر

ولـه :

افـدى الّـذي كلّمـا تأمّله طرفـي كادَ الضّـمير يلتهب
ينتهـب اللّحـظ ورد وجنته ولحظـه للقلـوب منتهب

وله في النّرجس :

ومهفهفٍ لمّـا تثنّـى خلته غصنـاً يجـدّ به النّسيم ويلعب
أومـى إلـيّ بكاسـه فشربتها وحسبتنـي من وجنتيه أشرب
ودنـا الـيّ بطاقـةٍ من نرجسٍ فحسبـت بدراً في يديه كوكب

---

(١) الخفر : الحياء .

(٢) النُّعرة : الكبر والخيلاء .

وله أيضاً في الورد الأصفر :

أنسيت إذ نبّهت من نبّهته ... والفجر من خلل الدّجى يتنفّس
يسعى اليك مع المدام بوردةٍ ... صفراء يحكيها لمن يتفرّس
كعب من الميناء ركّب فوقه ... جامٌ[1] من الذهب السّبيك مسدّس

وله فيه أيضاً :

أدرِ المدامَة[2] يا غلام فإنّنا ... في مجلسٍ بيد الرّبيع منجّدِ
والورد أصغره يلوح كأنّه ... أقدام تبرٍ كعبّت بزبرجدِ[3]

وله في الشّرب على الثّلج :

قم لا عدمتك فاسقني من قهوةٍ ... لو أبرزت للشّمس أخفت نورها
وانثر على الذّهباللّجين[4] أما ترى ... نثر السّماء على الثّرى كافورها

وله في البنفسج :

طلع البنفسج زائراً أهلاً به ... من وافد سرّ القلوب وزائرِ
فكأنّما النّقاش قطّع لي به ... من أزرق الدّيباج صورة طائرِ

وله في ترجمة فارسيّةٍ :

رأيت غذاء الطّفل درّة أمّه ... وانّ غذاء الشّيخ صرفٌ من الخمرِ
فراجع من الجام الفراش عشيّةً ... وفارق من الجام الفراش مع الفجرِ

وله في مطربٍ مختطٍّ :

وشادنٍ تفعل ألحاظهُ ... بالقلب ما لا يفعل السّحر قطّ
لم أنسه يكسر أعطافهُ ... والورد من وجنته يُلتقطْ

---

(١) جام : إناء يتخذ للطعام والشراب .
(٢) المدامة : الخمرة .
(٣) التبر والزبرجد : التبر الذهب الخالص .
(٤) اللجين : الفضة .

مرتبــط البربــط[1] في حجرهِ   يا ليتنــي بربطـه المرتبط
معتــدلاً ضربــاً وصوتــاً معاً   كمــا التقــى للعينِ خدّ وخطّ

وله :

حتّــى متــى والــى متى   اقصِــرْ بذرعــك يا فتى
فكأنّنــي بك ناظراً   في اثــر صيدٍ أفلتا
لا تحسبَــنّ جمــال وجـ   ـهـك دائمــاً لك مثبتا
فالخــطّ يفعــل ما عملـ   ـت ومــا علمــت وقــد أتى

وكتب ببغداد الى صديقٍ له يدعوه في أيّام الورد وبلغه أنّه متشاغل بالنّرد :

نحــن بالنّجمــيّ في يو   مٍ كمــا ترضــاه أبلجْ
ناضــر النّبــت رقيق الجوّ   رطــب الطّــلّ سجسج[2]
بين منثــور وخيّري   وورد وبنفسج
ولنــا وجــهٌ من الجو   نـــة كالــرّوض مدبجّ
ومــع اللّفــات وسطٌ   وشواءٌ وملهوج
ولنــا راحٌ كمثــل النّا   ر في الــكاس تأجّجَ
ومغــنٍّ ساحرِ الألحا   ظ ساجــى الطّــرف أدْعج[3]
فــإذا شاء تغنّى   وإذا شاء تغنّج
فاختــر الــورد علــى النّر   د وجئنــا نتفرّج

وله في أمرد التحى :

يا من أنــاف[4] بلحيةٍ تيسيّة   بدّلتنــا بالــورد شوك العوسجِ

(١) البربط : آلة موسيقية تعرف بالعود والحجر : الأحضان .
(٢) سجسج : معتدل ، لا حرّ فيه ولا برد .
(٣) أدعج : من كانت عينه شديدة السواد .
(٤) أناف : أشرف وطلع وارتفع .

قد كنت تونسنا بطلعة كوكبٍ فرجعْتَ توحشنا بطلعة كوسجِ

وله :

الله جار عصابة رحلوا ساروا وقلب الصّبّ عندهُمُ
ما الشّان ويحك انّهم رحلوا الشّان انّي عشتُ بعدهُم

وله :

سكوتي كلامٌ والكلامُ سكوتُ ولي طمعٌ أحيا به وأموتُ
وليس لروحي غير قربك راحةٌ ولا لفؤادي غير حبّك قوتُ
وصبري قليلٌ والهمومُ كثيرةٌ وأنت بخيلٌ والزّمان يفوتُ
ومَنْ لي بحسن الصّبر عنك وانّما وصالك لي ماءٌ وقلبي حوتُ

وله ايضاً :

من وجهه كالقمر الفرد أقبل في قرطقة الوردي
يسعى على الورد بورديّةٍ يُكسد سوق العنبر الوردِ
فاغدُ علينا تَر ما شئتَ من وردٍ على وردٍ على وردِ

وله من قصيدةٍ :

شمائل مشرقةٌ عذبةٌ تعادل رقّتها والصّفاءْ
فهنّ العتاب وهنّ الدّموع وهنّ المدام وهنّ الهواءْ

وكتب الى مؤلّف الكتاب :

جعلت لك الفداء لو انّ كتبي بحسب تكثّري بك واعتدادي
اذاً لجعلت أقلامي عظامي وطُرْسي[1] مقلتي ودمي مدادي[2]

١٤٥ ـ أبو القاسم طاهر بن أحمد الهَرَوي

صاحب البريد كان بنيسابور رحمه الله تعالى غزير الأدب حسن التّرسُّل مليح

---

(١) طرسي : كتابي .
(٢) المداد: الحبر .

الشّعر منفردٌ عن أقرانـه بالفضل أنشدني لنفسه :

أعيذ علاه ان يكون ابتداؤهُ زيادة علياه بنقص صديقه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

اذا انتهـز الأحـرار للجـود فرصةً فللمنْـعِ والتّعـويق ينتهـز الفرَصْ
وان ذُكرت بيضُ الأيادي فانّما يدٌ لك لا تبيضِ إلاّ من البرَصْ[1]

وأنشدني له بعض بلديّه وأنا أشكّ فيه :

ضمانٌ على الاقبال ما أنـت طالب وحتمٌ علـى الأيّام أنّـك غالب
ومـا هذه الدنيا لغيرك فانتظِرْ مواعـد ما تومـي اليه العواقب
رواقـك ممـدودٌ وَجـدّك صاعدٌ وجنـدك منصـورٌ ونجمـك ثاقب

وهذه فصوص من فصول رسائله :

من شكر البحر على التّدفّق والشّمس على التّألّق والمسك على التّأرُّج[2] والصُّبح على التّبلُّج[3] فقد عاد بتكلّف غير مربح وسعيٍ غير منجح .

فصل : قصر كتاب الشّيخ قصوراً ترك الهمّ طويلاً والصّبر قصيراً وأورث القلب تفكُّراً والعيش تكدّراً .

فصل : وصل كتابه فحكى الرّياض مجودة والأماني موجودة والمسرّات آتية والنّعم مواتية .

فصل : توقّعت اتّجابا فلم أرَ إلاّ حجابا وتوسّلت بالحقوق السّالفة فلم أحصل الاّ على المعاذير العاثرة وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصَحبه وسلّم .

---

(١) البرص : مرض يصيب الجلد .
(٢) التأرج : التزيّن بالعطور .
(٣) التبلّج : الاشراق .

١٤٦ ـ ابو مسعود عُصم بن يحيى الهَرَوي

من حسنات هراة وأفراد ادبائها وفضلائها ، أنشدني لنفسه :

يهنّئني الأنـامُ بخصْـبِ روضٍ حللْـت بجنبه خَضـلٍ[١] مطير
ومـا خصب الـرّياض بنافـعٍ لي اذا ما كنـت في طوْلٍ[٢] قصير

وله على لسان صديق قدح النّار بحضرته فلم يُورِ:

إنْ كان زنـدي كبـا في مهنـةٍ عرضت وصادفَـتْ غيبـة الخـدّام عن داري
فانّ سيفـيَ لا تكبـو مضاربه يوم الجـلاد وزنـدي في العلـى وارِ[٣]

وله في العيادة :

مولايَ انّ فؤادي جمـرةٌ تقدُ والدّمـع منّـي علـى الخـدّين مطّردُ
انّـي لأكره أن ألقـاك مشتكياً فلا اقاسمـك الشّـكوى الّتـي تجدُ

١٤٧ ـ المعروف [بن] أبي الفضل الدبّاغ الهَرَوي

أنشدني له ابو علي الحسين بن محمّد الكاتب النّسفي المقيم كان بهراة في هجاءِ بوشنج وأهلها :

اذا سقـى الله أهـل منزلةٍ فلا سقـى الله أرض بوشنج
كأنّهـا في اشتبـاكِ بقعتها خرّبهـا الله نطـع شطرنج
قـد مُلئـتْ فاجـراً وفاجرةً أكرم منهـم خؤولـة الزّنج
كأنّمـا صوتُهـم اذا نطقوا صوتُ قُمدٍ[٤] يُدسّ في فرج[٥]

---

(١) الخضل : النديّ المبتل .
(٢) طول : الحبل الذي تربطبه الدابة حتى لا تقرب الزرع وتفتك به
(٣) وارٍ : من أورى النار ، أي أشعلها .
(٤) قمد : ما كان طويل العنق ، أي ذكر الانسان ،
(٥) الفرج : حرّ المرأة .

١٤٨ ـ الأستاذ ابو زكريّا يحيى بن عماد السَّجْزي

المقيم كان بهراة رحمه الله تعالى هو أشهر وذكره أسير من أن ينبّه على محلّه وكان أَمّةً في علم التّذكير والقصص ومتفرّداً عن أهل طبقته بفضل الأدب وبلغني أنّه كان في ابتداءِ أمره يتكسّب بالشّعر حتّى رفع الله عنه قدره وأعلى أمره .

ورفعت اليه قصّةٌ فيها :

أيّها العالم انت الـ ـيوم للعالم قِبلَهْ
عاشقٌ خاطرَ حتّى سلب المعشوق قُبلَهْ
أفتِنا لا زلت تفتي أيُبيح السّلب قتلَهْ

فوقّع تحتها :

أيّها السّائل عمّا قد يبيحُ الظّرف فعلَهْ
قُبلة العاشق للمعـ ـشوق لا توجبُ قتلَهْ

وقال للشّيخ الامام أبي الطّيّب سهل بن محمّد بن سليمان رضي الله عنه :

سقى الله نيسابور صوب غمامه وخصّ امام الدّين سهلاً بوابله
تتيه على البلدان أرضٌ ثوى بها كما تاهتِ الدّنيا بطيب شمائله

ومن أشهر شعره وأسيرَه قوله :

أرى الدّنيا على الادبار همّاً وبالاقبال مهلكةً لديني
فما احدٌ بأغبطَ[1] من تقيٍّ تمدّد في الضّريح[2] على يقين
نجا من باطل الدّنيا سليماً وفاز برحمة الحقّ المبين

---

(١) اغبط : أسرّ وأفرح .

(٢) الضريح : القبر .

١٤٩ ـ ابو علي البوشَنْجي الفَلْجَرْدي

يقول لمّا حجّ :

كتبت الى سادتي من مِنَى[1] وانّي لفي غايةٍ من مُنى
أبطحاء مكّة هذي الّتي أراها عياناً وهذا أنا

وهو القائل :

وكان ببوشنجَ والٍ مهيب اذا ما رءآه البري اقشعر
فمرَّ وأمّر من بعده فتىً لو رءآه الخصيُّ انتشر

١٥٠ ـ احمد بن محمّد بن الأشعَث البوشنجي

عربيّ المحتد بوشنجيّ المولد طوسيّ الموطن دخل اليّ فأنشدته بيتاً جمع كنية الممدوح واسمه واسم أبيه فكتب الى صديقه ابي يوسف يعقوب بن احمد وهو احد من يتضمّن الكتاب ذكره وشعره :

فلئنْ غُيّبْتُ عن منزل أهلي وغدا جسمي عن الأوطانُ مبعدْ
فلقد بلّت[2] يميني بكريمٍ من أبي يوسف يعقوب بن احمد

١٥١ ـ ابو عبد الله الحسين بن عليّ البَغَويّ[3]

كان مفخرة كنج رِسْتاق ولم تخرّج مثله في الجمع بين الاحسان في التّرسّل والاتيان في الشّعر بالدّرّ المفصّل وكان كما قال الصّاحب انّي ليعجبني أن يكون الكاتب شاعراً كما يعجبني أن يكون الشّعر سائراً . وأنا كاتبٌ غرراً من نثره تقدّم

(١) منى : مكان في مكة تقام فيه شعائر الحج .
(٢) بلّت : ظفرت .
(٣) بالأصل أبو عبد الله الحسين علي بن بغوي .

ملحاً من شعره باذن الله ومشيئته :

فصل : وصل كتاب الشّيخ ووضعته على عيني فكان لها بَروداً ونشرته فكأنّي أنشر بُرودا وتذكّرت زماننا اذ الأيّامُ غُرٌّ والدّهر غِرٌّ والعيش غَضٌّ وطرف الحدثان مغضوضٌ .

فصل : أنا اهدي اليه من السّلام ما يحكي النّسيم السّحري والعنبر الشّحري والنّرجس الطّريّ والأُترج الطّبريّ والورد الجنيّ والعيش الهنيّ .

فصل : ليته جاد عليّ بكلامه كما جاد بانعامه ومنّ عليّ بثمار أقلامه كما مَنَّ بآثار غمامه وأوسعني من غرائب بنانه كما أوسعني من رغائب احسانه فيكون أوصافه في الجوى متناسبة متناسقة وبوارقه في جميع حالاته صادقة وادقة .

فصل : وصل كتابه بألفاظ يكثف عندها الهواء ويقف عليها الأهواء وتقبّح معها الحسناء .

فصل : نظرت الى دجلة فرأيت كفّه والى الفرات فذكرتُ خُلقه وتوسّطت الدّهناء[1] فتصورت صدره .

فصل : قد صار الوقت أضيق من بياض الميم ومن صدر اللّئيم .

وهذه ملح من شعره كقوله :

إنْ كان يظلمني دهري فانّ لهُ سجيّةً ظلم أهل الفضل والشّرفِ

أو كنت في سملٍ[2] فالبدر في سدفٍ[3] والخمر في خزفٍ والدّرّ في صدفِ

---

(١) الدهناء : الصحراء .

(٢) السمل : أي الأسمال وهي الثياب البالية .

(٣) السدف : الظلام .

وقوله في عِقاب طريق غزنة من قصيدة :

عِقابٌ كأنّي بها في خوافي[1] الـ ـعُقاب تطيّرني في الفلك
فطوراً أرانيَ فَوق السّماك[2] وطوراً أرانيَ تحت السّمك

وقوله من اخرى :

غمائمٌ من جفوني وهي مُنشأَةٌ ممّا بقلبيَ من غمٍّ ومن غُمم
وبرقُها نار شوقٍ ريحها نَفَسي ورعدها أنّتي والقطر فيض دمي
وأرضها صحن خدّي وهي ممحلةٌ أعجب بمحلٍ يُرى من صيّب الدّيَم[3]

وقوله في ذمّ الزّمان وأهله :

زمانٌ كلّه ضَيمٌ وضَيرٌ وناسٌ كلّهم ذَيمٌ وذام[4]
وما فيهم سوى لَحزٍ[5] لئيمٍ شَحاح الزّند ما فيه ضِرام
وأعراضٌ لهاجيها حلالٌ وأموالٌ لراجيها حرام

وقوله في الشّيب والخضاب :

تقول لقد خضبتَ الشّيب زوراً فقلت بلى سترتُ عن العيون
فقالت هبَك قد أخفيتَ عنّا فهل تخفيه عن عين المنون

وقوله من قصيدةٍ :

أيا عامرَ الدنيا وعامر أهلها بجودٍ له فيضٌ كفيض سحابْ
عمرت جميع العالمين وها أنا غدوتُ بحالٍ في ذَراك خراب

---

(١) الخوافي : من الريش ما تأتي بعد القوادم التي مقدمة الجناح .
(٢) السماك : كل ما هو عال .
(٣) الدّيم : مطر يتساقط في سكون .
(٤) ذيمٌ وذام : يذمّون بعضهم بعضا .
(٥) اللّحز : البخيل .

ومن اخرى :

طلبتُ بجهدي العزّ والمجد منضياً[1] ظهور المطايا في بطون الفدافد[2]
وما كنت في كسب المعالي مقصّراً ولا مقْصِراً لو كان دهري مساعدي
فليس بياض المجدِ الاّ لمكتسٍ سواد اللّيالي ساهداً[3] غير راقد
وكم ليلةٍ راعيت فيها فراقدا لكسب علىً فوق السُّهى وَالفراقد[4]

١٥٢ ـ ابو سعد احمد بن محمّد بن جَمل العَميدي

يقول في استهداء الحنطة :

يا سيّداً لم تزلْ مبرّته تعمّ أهلَ العلومِ والكتبهْ
أنعِمْ ببرٍّ بضمّ أولّه وابعثْ الى الخادم الّذي كتبهْ

وفي التماس الحطب :

ألا يا أيّها الشّيخ المُفدّى وُقيتَ أذى المكاره والرّزيّهْ
قد احتجنا لفرط البرد جداً الى مقلوب ما يُدعى مزيّهْ[5]

وله في الهزل والمداعبة :

ألا انّ هذي المباغي قِسم وللنّاس في الشهوات الهمم
فبعضٌ يُحبّ أداة الدّواة وبعضٌ يحبّ أداة القلم

---

(١) منضياً : ممتطياً .
(٢) الفدافد : الصحاري .
(٣) ساهدا : ساهراً مفكراً .
(٤) السُّهى والفراقد : من النجوم والكواكب .
(٥) مزيه : مقلوبها هو « هيزم » أي الحطب بالفارسية .

وله في الجدّ :

يا هارباً من جنود الموت منهزماً | عنها توقّفْ الى أين المفرُّ لكا
هَبْ عشْتَ أكثر من نوحٍ فحين نجا | بقدرة الله من طوفانه هلكا

١٥٣ - ابو بكر العنبري السّجْزيّ(١)

هو القائل :

أفدي أبا نصرٍ وأُفدي له | خُلقاً جميع النّاس عشّاقه
كم مدحةٍ لي فيه كالدُّرّ لا | يَخفىَ على العالم اشراقه
من كلّ لفظٍ سيىء حسّاده | به ومعنىً سُرٌّ سُرّاقه

ولم أسمع في تهنئة من زوّج ابنته غير قوله وهو من الأفراد :

أنكحْتَ حرّتك الكريـ | ـمة عامداً إجلالها
من لم يكن كفواً سوا | ه اليوم في الدّنيا لها
ما كنت الاّ منكحاً | شمسَ السّماء هلالها
فضممْت محمود الفعا | ل الى اليمين شمالها
ستقرّ عينك عن قريـ | ـبٍ اذ ترى أشبالها

وله في الشّيب :

أشكو الى الله ظلم شيبي | أشقّ منه عليّ جيبي
غيَّر منّي جميلَ وجهي | أظهرَ منّي جميعَ عيبي

---

(١) كذا بالأصل .

ذكر أركان الدّولة وأعيان الحضرة والمتصرّفين بها ومنها والمنتسبين الى خدمتها واختيار غرر من أنوار نظمهم وثمار نثرهم :

١٥٤ ـ الشّيخ العَميد ابو سهل احمد بن الحسن الحمدوئي أدام الله تأييده

سليلُ الرّياسة وغَذيّ السّيادة وبدرُ الأرض وشمسُ الفضل وعمدةُ الملك وبحر الأدب وَطَوْدُ الكرم ومن ارتفع محلّه عن الوزارة الكبرى وهي الرّتبة العظمى فرغب عنها وقد رغبَتْ فيه وصدّ عنها وقد تصدَّتْ له ونظرَ فيها أيّام الفترة بمؤخرّ عينه فهذّبها وسدّدها ورمّها وزمّها ثمّ جاد عنها وعافها حتّى قال فيه الاستاذ ابو القاسم بن الحريش رحمه الله :

وزارةٌ ضاعتْ فشرّفتها بالفضل وانْآدَت[١] فثقّفتها[٢]
ولم تزلْ تصبر مظلومةً حتّى تصدّيت وأنصفتها
فارتح لها تُدرك طمأنينةً فانّها تفلق[٣] مذ عفتها

ومن خائص فضله وبدائع مجده انّه والي الرّيّ وسائر بلاد الجبال وهي في سعة المملكة كالعراق والملوك يخدمونه والصّدور يقبّلون أرضه وهو يقول في الكفّ عن زخرف الدّنيا ونضرتها واعداد الزّاد للمعاد ما لو قالها أزهد الزّهّاد لَما زاد :

الخمر عنوان الفساد ورتاج[٤] أبواب السّدادِ
ادمانها أصل الضّلا ل وحبّها رأس العنادِ
والعمر زَورة طآئفٍ يأتيك ما بين الرُّقاد

---

(١) انآدت : انحنت وتثنّت .
(٢) ثقفّها : أي هذبها وصقلها .
(٣) تفلق : تشقّ .
(٤) رتاج : حماية ، وأرتج الباب أي أقفله .
(٥) التنادي : القيامة .

قـد زلّ من ركب الفسا دِ عن الطّريقـة والرّشاد
فاحـذرْ أبـا سهـلٍ وتُبْ من قبـلُ ميعـاد المعاد
والبسْ لبـاسَ تضرُّعٍ وتنـدّمٍ قبـل التّنادي(*)
واقلـب الـى نور الهدى قلبـاً بـه أثـر السّداد
مـن قبـل عجـزك باللّسا نِ وقبـل ضعفـك بالفؤاد
وكأنّنـي بك راكباً أجيادهـم بدل الجياد
تـرد القيامـة فارغاً متخلّياً من خير زاد
كيف الجـواب عن السّؤا لِ متـى ينـاديك المنادي
لا ذخـرَ لي بين الجميـ ـع من الحواضـر والبوادي
الاّ شهـادةُ واثقٍ بالله عن صفـو اعتقادي
ومشفّـعٍ عنـد السّؤا لِ بعفـو أمّتـه ينادي

ثم هناك من النّفس الأمّارة بالخير واليد الفيّاضة بالنيّل والخلق الّذي لو مُزِجَ بالبحر لنفي ملوحته وصفا كدورته ومن الطّلاقة الّتي يترقرق فيها ماء الكرم وتقرأ منها صحيفة حسن الشّيم ما يجمع الأهواء على محبّته ويؤلف الآراء في موالاته ومشايعته . ومن شعره الدّالّ على مجده وحسن عهده قوله :

لا تنتـزعْ عن عادةٍ عوّدتها أحـداً فذاك من الفطـام أشدّ
واصبر عليهـا ما حييت ولا تزل عنهـا فذاك من الجفـآء يُعَدّ

ومن شعره البديع الصّنعة المليح الصّيغة الّذي يُغبّر في وجه ابي الفتح البستي قوله في سراجٍ غير مضيىء:

ظلمتـك اللّيل يا سراجي ظلمـة كفـرٍ ويأس راجي

١٥٥ ـ الشّيخ العميد ابو منصور بن مُشْكان أدام الله عزّه

الكتّاب ألسنة الزّمان وصدور النّاس وهو صدرهم وبدرهم وينبوع الفضائل

وشمس ديوان الرّسائل وما ظنّك بأبلغ الصّدور يكتب لملك الملوك أدام الله سلطانه وحرس عزّه ومكانه وقد رفع الله محلّه عن الشّعر الّذي ينخفض عن قدره وآتاه البلاغة العالية الّتي هي أليق به وما هي الاّ عفو خطراته وفي التّمثّل بسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه . يقول بعض أهل العصر وهو يصف ماءً :

يا حسـن ماءٍ قد كستْـهُ الصّبا[1] تشـنيج[2] ذيل القرطـق الأزرقِ
كأنّـه لفـظُ ابـن مُشـكان في توقيعـه عن ملك المشرق

ويقول في وصف آثار الرّبيع من أبياتٍ :

بـاح الصّبـاح بأسـرار البساتين وأحيَتِ النّفسُ أنفـاسَ الرّياحينِ
وقد حسبْتُ نسيم الـرّوض يقرئني كتبابن مُشكان عن صدر السّلاطينِ

ويقول ايضاً في فتىً صبيحٍ مليح طرّز الشّعر ديباجة وجهه وأحرق فضّة خدّه ونقش فصّ عارضه :

وشـادنٍ فاتـن الألحـاظ طلعته ترياق[3] سُمٍّ لأحزانـي وأشجاني
كأنّ خطّ عذارٍ شقّ عارضه في الحسن خطّ ابي نصر بنُ مشكان

ويقول أيضاً :

مَـنْ رأى غرّة العميد ابـن مشكا ن ازدرى المشتـري ببـرج القوسِ
مَـنْ يطالـعْ آدابـه وعلاه يطّلـعْ في نمـوذج الفردوسِ
عين ربّـي عليه من بدر صدرٍ ودّه خزرجـي ولُقياه أوسي
ليس لي طاقـةٌ بوصفِ معاليـ ـه وانْ كنت مفلقاً[4] كابـن أوسِ

وهذه غرر ولمع من فصول رسائله السّلطانيّة :

فصل : العاقل من لا يرفع رأيه إلاّ بعد الثّقة باستقلالها ولا يقدح ناراً الاّ بعد

(١) الصّبا : ريحٌ من الشرق منعشة .
(٢) التشنيج : الانقباض والتقلّص .
(٣) الترياق : دواءٌ يعالج به السمّ .
(٤) مفلقا : موضحاً الحق .

التأهّب لاذكائها .

فصل : لكلّ حالٍ من تصاريف الزّمان رسمٌ لا يؤخّر امضاؤه وحقّ لا يضيّع قضاؤه .

فصل : الألقاب نعوتٌ ان حقّقت والت وآلت قلائداً وعقوداً ، وان كذّبت عادت وعادت على المساوي شهوداً .

فصل : اذا قدّر الله أمراً يسّر أسبابه ومهّد أحواله وأتاح له الدّواعي وأماط دونه العوائق والعوادي .

فصل : صلة الرّحم واجبة في الدّين والتّجاوُز عن زلّة الشّمال قوّة اليمين .

فصل : لا منشورٌ كالسّيف المشهور والجدّ المنصور .

فصل : ربّ منعٍ أفضل من اسعافٍ يشينه تقصيرٌ ويكدّره تسويفٌ .

فصل : نقل الطّبائع شديد المرام بعيد الحصول في الأوهام .

فصل : من نصب للغواية شَرَكاً اختنق بحبله ولا يَحيق المكر السّيء الاّ بأهله .

فصل : الآجال تجري على أحكام المقادير وتمتنع على التّقديم والتّأخير .

فصل : الاصغاءُ الى رأي مَنْ لم يبلغ رتبة التّدبير ربّما أدّى الى خللٍ لا يُدرك سابقه واقترن بضررٍ لا يُضبط جامحه .

فصل : تقويم الاخوة بالاحسان أبلغُ من تأديبهم بالحرمان ما لم يجاوزوا قدر الدّالّة الى حدّ الشّقاق والعصيان .

فصل : العسكر الكثير اذا وجد الخلاف بينهم مجالاً عادت كثرتهم مع عدم الوفاق وبالاً والعسكر القليل اذا اختلفوا لم يتولّد منهم غير الفساد والاعوجاج ولم يصلحوا للسكون والاهتياج .

فصل : الوليّ مَن امترى الزّيادة بالخدمة ورعى حقّ العارفة والنّعمة في ايّام

الفترة ولم يهتك عند امكان الفرصة ستر المراقبة والحشمة ليسلم من غوائل الضّغينة عند زوال الفتنة ونزول السّكينة .

فصل : مَنْ جعله الله بأمرٍ من امور دينه كفيلاً فقد أعطاه من كرامته حظّاً جزيلا وفضّله على كثير من عباده تفضيلا .

فصل : قوام الملك بالمال والرّجال واستمالة القلوب في وقت الاستعطاف أَوْلى من تحصين الأموال وانّما المال عُدّة لدفع النّوائب وعمدة لكشف الكرائب وليس بحازمٍ من يمسكه عند وجوب انفاقه كما انّه ليس بعاقلٍ مَنْ يتلفه عند جواز إمساكه وانّما جمع الملوك ما جمعوه من أموالهم واتخذوا ما اتّخذوه من عَتادهم ليفرّقوه في اوليائهم على حكم الوجوب عند الاشتغال بمنازلة الخطوب .

فصل : انّ الله جعل القرآن نور القلوب وشفاءِ الصّدور والعروة الوثقى لأهل دينه الى يوم الحشر والنّشور قد بيّن فيه آثار الامم الخالية فيما اخطأوا فيه واصابوا واخبار القرون الماضية فيما احسنوا فيه واسآؤا ليختار السّعيد من عباده ما حمده الله من سائر الامم ويجتنب ما ذمّه من غيرهم من الخصال والشّيم .

فهذا نموذج من نثره الجزل السّهل وقوله الفصل . وهو القائل من نتفةٍ في الاعراض عن قرض الشّعر :

لمّـا تركت الشّعـر نكّب معرضاً(١) عنّي فقل في مُعـرضٍ عن مُعرضِ

وانشدني ابو القاسم عبد الصّمد بن عليّ الطبري أيّده الله تعالى له من قصيدةٍ كتبها الى الاستاذ ابي العلاء بن حسّول أيّده الله وعليه زعمه أعني ابا القاسم :

جمال الـورى ما المجد الاّ مطيّةٌ يمينـك أضحَـتْ مالـكاً لقيادها
جلـت بك قسـراً عن بلادك عصبةٌ رأت لك فضلاً لم يكن في سوادها

---

(١) نكّب معرضاً : أي مال عني وعدل إلى غيري .

كذا عادة الغربـان تكره أن ترى بياضَ البزاة الشّهبِ[1] بين سوادها

وانشدني الحاكم ابو جعفر محمّد بن اسحاق البحَاثي له :

مـا دام يسبـح في الأفـلاك أنجمها فليسعــدَنّ بملك الشّــرق مسعود
وليفتحَــنّ بلاد الغــرب قاطبةً سيوفـه البيض بل راياتـه السّود
لا زال في نعمـة يخضـرّ جانبها ما أورق العود بل ما أطـرب العود

وانشدني غيره له في غلامٍ بازاء حربٍ كتب يسأل مدداً :

كبـت البـدر[2] واستمـدّ معونه وتوخّـى صلاحـه وسكونه
فأَجبْنـاه انّ لحظـك جيشٌ تتمنّـى جيوشنـا أن تكونَه
كيف أغفلتـه وأقبلـتْ تبغي مُدَداً قدره يعـارض دونَه

وله ايضاً :

ظلمنـاك لمّـا طلبنـا قراك ومـا للقـرى[3] والفتـى الباخل
وسمنـاك[4] ما لم تكن تستطيع وتأبـى الطّبـاع علـى النّافل[5]

١٥٦ ـ الشّيخ العَميد ابو سهل محمّد بن الحسن ادام الله عزّه

صدرٌ يملأ الصّدرَ جمالاً وكمالا وتتناسب صورته حسناً كما يتشابه محلّه وهمّته علوّا وتتكاثر فضائله وأياديه وفوراً كما يتبارى نثره ونظمه براعة وممّا علق بحفظي من ألفاظه قوله في ابي القاسم الميكالي من كتابٍ الـيّ : هو ثقيل روح

---

(١) الشّهب : التي خالط سوادها البياض .
(٢) كبت البدر : لم تخرج ضوءها .
(٣) القرى : الضيافة .
(٤) سمناك : أي حمّلناك .
(٥) النافل : المعطي معروفاً .

الحركة جامد هواء الرّاحة حار ظلّ الشّجرة . وقوله في رقعةٍ : أعادنا الله للالتقاء فما أرقّ نسيمه وألذّ نعيمه . وقوله في ذكر الحضرة : مُلقى الرّحال وملتقى الرّجال وقبلة الآمال .

ومن سحر شعره قوله من نشيب قصيدةٍ وهو أحسن وأجود ما قيل في معناه على كثرته لأنّه جمع في بيتٍ واحد ما فرّقَ في أبيات كثيرة وفازَ بحسْنِ التّرتيب حيث قال :

لقد نثرت درّيْن لفظاً وعَبرةً[1] وقد نظمْتُ درّيْن عِقداً ومبسما

وله في غلامٍ هنديٍّ :

ولي أسودٌ في أسود القلب حاضرٌ ولكنّه عن أسود العين غائب

وأنشدني لنفسه من نتفةٍ خمريّةٍ :

كشعاعٍ[2] في هواءٍ تتحاماه العيون
هي في الدّنّ جنين وهْي في الرّأس جنونُ

وله من قصيدةٍ :

تقولين انّي قد سلوتُ عن الهوى لعلّكِ قد قايستِ حالي بحالكِ

وله من قصيدةٍ شمسيّةٍ :

عجبت من الأقلام لم تُبد خضرةً وباشرن منه كفّه والأناملا
لو أنّ الورى كانوا كلاماً وأحرفاً لكان نعمْ منها وباقي الأنام لا

وله في انسانٍ ساعٍ يقال له حميد مات بزَوْزَن :

يا ويح أهل القبور لمّا حلّ حُميدُ بهم جوارا

---

(1) عبرة : دمعة ، جمعها عبرات .

(2) كشعاع : يصف هنا الخمرة .

لـو راج عنـد الآلـه ساعٍ أشعـل فيهـم هنـاك نارا

١٥٧ ـ الشيخ العَميد أبو الطَّيِّب طاهر بن عبد الله أدام الله عزّه

صدرٌ واسع الصّدر ممتدّ باع الفضل قد بايعته يد المجد ومالت فيه الشّورى الى النصّ وأشرقت بنوره أرض الرّيّ وطال ما تولّى ديوان الرسائل الى سائر الأعمال الجلائل ، وله شعرٌ في غاية الحلاوة كقوله :

إذا بلـغ الحـوادث منتهاها فرجٌ[1] بعيدهـا الفـرَج المطلاّ
وكم كربٍ تولّـى إذ توالى وكم خطـبٍ تجلّـى حين جلاّ[2]

وقوله :

قالـوا تبـدّى شعـره فأجبتهم لا بدّ من علـمٍ علـى ديباجٍ
والبـدر أبهـى ما يكون اذا بدا متلحّفـاً بظـلام ليلٍ داج

وقوله في الهجاء :

أبـو سعـد بن حمدان كريه الخلـق والخلق
فهـذا الشّيب في الفرق وهـذا العظـم في الخلـق

١٥٨ ـ الشّيخ أبو الحسن محمّد بن عيسى الكرجي أدام الله عزّه

جامع تفاريق المحاسن وناظم عقود الفضائل ومالك رقاب المكارم ومعلوم أنّ السّلطان الماضي أبا القاسم رضي الله عنه وأرضاه كان أعلى الملوك رأياً كما كان أعلاهم ملكاً وأنّه كان ينظر بعين التّوفيق الى أسرار الضّمائر ويَرمي بسهام خطراته أغراض المقاصد ولا يَصرف تدبيره إلاّ على موقع الاصالة ولا يضع رأيه إلاّ موضع

---

(١) فرجٌ : فعل امر من الرّجاء .
(٢) جلاّ : اي ارتحل .

الاصابة فلم يتّخذ الشّيخ أبا الحسن أيّده الله مصباح مجلسه ومفتاح انسه وثمرة قلبه وريحانة روحه ومستودع سرّه وأخصّ بطانته إلاّ لأنّه في الفضلاء والكبراء كهو في الملوك والامراء ، وقد كتبت من شعره ما نطق به لسان فضله كقوله البديع الّذي تفرّد به :

بدا معدنُ الياقوتِ في حبّة الحشا وفي الخدّ والعينين والشّوق يغلبُ
فعيناي حمراوان من كثرة البكا وخدّي مصفر وقلبي أكهب[1]

وقوله في الهلال والثّريّا :

كأنّ الهلالَ المستنيرَ وقد بدا ونجم الثّريّا واقفٌ فوق هالته
مليكٌ على أعلاه تاجٌ مرّصعٌ ويُزهى على مَنْ دونه بجلالته

وقوله في السّلطان الأعظم أدام الله ملكه :

يا سيّد الناسِ كيف يمدحك الـ ـخادم في شعره كما يجبُ
ما يتأتّى له من المدح لا يرضى وما يرتضيه يحتجب

وقوله في الاقلاع عن التّصابي عند الشّيب :

هجرْتُ اللّهو إذ عقلي على نفسي أشار به
وحلاّني حلول الشيـ ـب كرهاً عن مشاربه[2]
فما أسعى الى راحٍ وساقيه وشاربه
وإمّا عنّ لي لهوٌ لهت كفّي بشاربهِ
فهل يا نفسُ أنتِ على ملازمة المشار بهِ

(١) أكهب : متغيّر أسود .
(٢) مشاربه : دروبه وموارده .

وقوله في مدح نيسابور من قصيدةٍ :

وماذا يصنع المرء ببغداد وكوفان
ونيسابور في الأرض كإنسان[1] في انسان
ولا غرو فقد أضحت لنا عين خراسان
اذا ما دوّخ المرء بلاداً بعد بُلدان
يراها عندها شاهاً وباقيها كفرْزان

وقوله في حمّام مصوّرٍ :

أعجبْ ببيتٍ يُريك باطنه جوارحاً أرسلت على الوحش
تعدو لصيد الظّباء مسرعةً كأنّها في غياضها[2] تمشي
طيوره قد تقابلت نسقاً كأنّها وُقّعٌ على العشّ
فضاؤه طاب فسحةً وهوىً مُصقّل الأرض مؤنق الفرش
وأنت في خلوةٍ مساعدةٍ تولع بالدّلْك ثمّ بالرّشّ

١٥٩ ـ الشّيخ العارض أبو الحسن مُسافر بن الحسن أدام الله عزّه

طال ما لقيت في شبيبتي وكهولتي وعند شيخوختي وعلوّ سنّي أعيان الفضل وأفراد الدّهر ونجوم الأرض وبدور الصّدور من أصحاب الأقلام والسّيوف فلو حلفتُ بالله الّذي لا يحلف بأعظم منه أنّيَ لم أشاهد مثله في امتزاج الكرم والأدب بطبعه واجتماع الحسن في قوله وفعله وانتظام الات الرّياسة وأدوات السّياسة في عقد فضله واقتران الطّيّب بالحلاوة في ثمار نظمه ونثره لما خشيت أحنث[3] ولما تعدّى

(١) انسان الأولى : أي بؤبؤ العين .
(٢) غياضها : الموضع الكثير الشجر .
(٣) أحنث : أخلُّ بالقسم واليمين .

الصّدق ، وبحسبك أنّي كتبت اليه في هذه الأيّام :

يا مَنْ تشابهتِ المحاسن والعلى ... فيه وأصبحتِ القلوب برسمهِ
فالخلقُ منه كخلقه والخلق منـ ... ـه كلفظه والشّعر منه كاسمهِ
وغذاءُ جسمي من سماح يمينه ... وغذاءُ روحي من بدائع نظمهِ
لا زلتَ بين سعادةٍ وزيادةٍ ... وسلمت من سيف الزّمان وسهمه

فأجاب في الوقت والسّاعة بهذه الأبيات :

أفدى الامامَ الأوحد الفرد الّذي ... من شاء فرد زمانه فليسْمِهِ
لا زال منصوراً كما يُكنى به ... ولتفتخر روحٌ غدت في جسمِهِ
فغذاء أرواح الورى من كتبه ... والظّرفُ فيهم من لطائف رسمه
وبنظمه عطل الفضايل[1] ألبست ... حلى العرائس مذ غدَتْ في قسمه

وكان قضى لي حوائج مثمرة وأسقطعنّي مُؤناً مُجْحِفة وكتب اليّ رقاعاً مونقة فكتبت اليه :

مَنْ مبلغُ الصّدر مولانا أبي الحسن ... مسافرٌ نُكتة[2] الأيّام والزّمن
خفيت ظهري من ثقل الخطوب كما ... أثقلته بالأيادي الغرّ والمنن[3]
صنائع منك جلّت في الأنام وقد ... دقّتْ معانيك في الأشعار والفطن
وقد أتاني قريضٌ قد نفثت به ... كالسّحر والرّاح والرّيحان في قرن[4]
والله يجزيك عن عبدٍ ومصطنعٍ ... قد كان ميتاً بأيدي البثّ[5] والحزن
فعاش عن كلماتٍ منك كنٌّ له ... كالرّوح عائدةً منه الى البدن

---

(١) عطل الفضايل : يقال جيدٌ عطل : أي لا تزيّنه الحلي .
(٢) النكتة : الكلام اللطيف الذي يؤثّر في النفس .
(٣) المنن : الفضائل والعطايا .
(٤) قرن : في سلكٍ واحد .
(٥) البث : الشكوى والوجد .

فأجابه في رقعةٍ غير قصيرةٍ :

يا صدر أهلِ النّهى يا أوحدَ الزّمن ... أوهت عُلاك قوى الأقوال واللّسنِ
أهديتْ نظماً فقد اهدت لطافته ... رُوحاً الى بدني روحاً الى أذني
أحيي الخواطر منّي بعد ميتتها ... وقام عندي مقام البرءِ للزّمن
أزاح عنّي مقيم الهمّ والحزن ... نعم وصيّرني والانس في قَرن
فصفو وُدّك للحسنى يؤهّلني ... وبُعد شأوك في الافضال يكرمني
وليس في الشّرط أن تولى الجميل وان ... تفيد علماً غزيراً ثمّ تمدحني

ولي في الاستطراد بذكره :

سقى الله أيّاما أشبّهُ حُسنها ... وقد كنت في روضٍ من العيش ناضرِ
بشعر ابن معتزٍّ وخطّ ابن مقلةٍ ... ودولة مسعودٍ وخلق مسافرِ

ولي أيضاً فيما يناسبه :

ومهفهفٍ فتن الآله عباده ... إذ ساق حسْن العالمين اليهِ
فكأنّ بابل أصبحت في طَرْفه ... وكأنّما الأهواز في شفتَيْهِ
وكأنّ توقيع الرّئيس مسافرٌ ... في عُرض عارضه يلوح عليهِ

ولي أيضاً :

قد سقَتْنا السّماء ماء الغيومِ ... فاسْقِنا يا غلامَ ماء الكرومِ
نشرب الرّاح باذكار الرّئيس الـ ... ـفرد في الجود والعلى والعلومِ
واذا ما مسافرٌ سافرَتْ أخـ ... ـبار علياه أسفرت[1] عن نجومِ

وأيضاً :

يا سائلي وصفَ مولانا أبي حسنٍ ... مسافرٍ في بديع القول محكمِهِ

(١) أسفرت : انجلت وكشفت .

المسكُ من ذكره والمـزْن[1] من يده   والـرّوض من خلقـه والـدرٌّ من فمِهِ

إلى أشباهٍ كثيرة لها . ومن ثمار خاطره قوله :

لقد لامني قومي على انّ صبوتي[2]   تدوم وليل الشّعـر صرّح بالفجرِ
فقلـت اعذرونـي في تلـذُّذ لحظةٍ   لدى الفجـر انّ الفجـر يوذن بالهجر

وقوله :

أجُـودُ بجـلّ مالـي لا أُبالي   وأبخـل عنـد مسئلـةِ الكتابِ
وذاك لأنّنـي أنفقْـتُ حِرْصاً   علـى تحصيلـه شرخ الشّباب[3]

وقوله :

مدادك في الكتـاب يقـوم عندي   مقـامَ سوادِ عينـي لا المدادِ
لأنّ كتابـك المحبـوب عندي   أسـرُّ موانسٍ وأجـلُّ زادِ

وقوله :

أرغـب في العلـم ولا أدّعي   أنّـي الـى غايتـه أهتدي
لأنّنـي آنف من جهـل ما   يقبـح ان يجهلـه المبتدي

وقال يوبخ نفسه وصديقاً له :

تـريد وصـلَ رفيق   وطيبَ عيشٍ رقيقِ
بقينـةٍ وبكاسٍ   من كفّ ساقٍ رشيقِ
والهـمٌ منـك صبوحٌ   مواصـلٌ لغبوق[4]

---

(١) المزن : المطر .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .

(٣) شرخ الشباب : أول الشباب وأمتعه .

(٤) الغبوق : ما يشرب بالعشي .

والمالُ من ظلم حرٌّ ... وضعته في الحريق
ومن مطاعم قومٍ ... ضَعفي وقوتِ فريق
وأنتَ واثق نفسٍ ... بخدمة المخلوق
ولسْتَ عن سكْر لهوٍ ... وقهوةٍ بمفيق
فما تُصيخ[1] لِنصحٍ ... ولا لقولِ شفيق
فما تظن خليلي ... بكلّ هذا الفسوق[2]
لقد ضللت فنكّب[3] ... الى سواءِ الطّريق

١٦٠ - الشّيخ أبو الفتح مسعود بن اللّيث أدام الله عزّه

قد لبس بُرْدَ شبابه على عقل الشّيخ الأفضل وحاز في حداثة سنّه آداب المبرّز الأكمل وفاز بالحظوة التّامة عند السّلطان الأعظم أدام الله ملكه فهو من خلّص ثقاته وخدمه ومتحملي نعمه وأعيان ديوان رسائله وأكابر رُسله وهذه قصيرة من طويلة ونكتة من جملة وله نثرٌ يضحك عن زهرٍ وغُرَر ونظمٌ ينطوي على حبرٍ ودُرَر ، وهذه فصوصٌ من فصوله القصار تجمع بين الأنوار والثّمار :

فصل : راحة الرّوح في الرّاح[4] وقرّة العين في الوجوهِ الصّباح وقوّة النّار في الدّراهم الصّحاح .

فصل : دواء الخمار قُبَل الحبيب وطُرَف الحديث .

فصل : الدّنيا كريق المعشوق كلّما ازددْتَ منه ريّاً ازددْتَ إليه عطشاً .

فصل : مَنْ خدمَ الملوك ولم يستخدموه ذبل عوده وغربت سعوده[5] .

---

(١) تصيخ : تصغي وتستمع .
(٢) الفسوق : الفجر والافحاش .
(٣) فنكّب : أي عد إلى الطريق المستقيم .
(٤) الراح : الكأس أي الخمر .
(٥) سعوده : حظوظه .

فصل : مثل نائل الملك كالسّحاب كلّما أبطأ سيراً كان أكثر خيراً .

فصل : مَنْ سلب الرّفعة لغير رفع الأولياء وقمع الأعداء فهو طالب مالٍ لا طالب جلالٍ .

فصل : مَنْ تَردَّى بالقناعة رثَّتْ حاله وكسَّف هلاله[1] .

وهذه لمعٌ من ملح شعره كقوله :

حبيبٌ زارني والليّل داجٍ ... وفي عينيه تفتير[2] المدام
وقد نال الكرى من مقلتيْه ... منالَ الحادثات من الكوام[3]

وقوله

يا رامياً عن لحظ طرفك أسهماً ... تقبيل وردة وجنتيك شفائي
عجباً لطرفك كيف دائي كامنٌ ... فيه وثغرُكَ كيف فيه دوائي

وقوله من نتفةٍ :

ولبستُ من صدر السّرور ... وبتُّ في صدر السّرير
في مجلس قد رشّ ما ... ءَ الورد من سحبِ البخور
طلعَتْ علينا أنجمُ الـ ... ـكاسات من أيدي البدور .

وقوله :

نمَّ[4] في ورد وجنتَيْك من العنـ ... ـبر خطٌّ فازددْتَ تيهاً ودلاّ
ولقد حُقّ أن تزيد دلالاً ... ولقد حُقّ أن أزيدك ذُلاّ

---

(١) كسف هلاله : غاب بدره ، أي حظهُ وأمله .
(٢) التفتير : الانكسار والضعف .
(٣) الكوام : من الكومة وهي القطعة المرتفعة الرأس من التراب وغيره .
(٤) نمَّ : بدا وظهر .

وقوله في غلام طبيبٍ :

متطبّبٌ كالغصن في حركاته ... صيّرتُ روحي في هواه سبيلا
ما جاءني متطبّباً إلاّ لأن ... أهوى السّقام لكي أراه قليلا
عجباً له يُبري السّقيم بطبّهِ ... وبلحظه يدعُ الصّحيحَ عليلا

١٦١ ـ الشّيخ أبو بكر عليّ بن الحسن القُهَسْتاني

شخص الفضل وصورته وينبوع الكرم ومعدنه ورفضة الأدب وغديره وعُذر الزّمان المذنب وزينته وقد لفظته بلاد المشرق وترامت به الحوادث والنّوائب حتّى كأنّه خليفة الخضر وقذاة في عين الأرض وما هو إلاّ السّيف يزداد على الصّروف[1] أثراً والمسك يزداد على السّحق طيباً وماء البحر إذا ساغر عذب وكأنّي به الآن وكأنّما يوحي إليه في النّثر والنّظم ويغرف آدابه من البحر وأنا كاتب من غرر ألفاظه نبذاً علق بحفظي ، فمنها قوله : مَنْ طلب شيئاً وجدَّ وَجَدَ ومَنْ قرع باباً ولجَّ ولَج[2]. وقوله في تواتر الفتوح : هذه فتوح ألفتها النّفوس والطّباع ومُرنت عليها الأبصار والأسماع فهي لا تُستغرب غرائبها ولا تُستعجبَ عجائبها ، وقوله في وصف بنيّة : كأنّ الشياطين نصبت تلك الأساطين ، وقوله في حكايةٍ : ما قيل لبيداء الملك انّك لا تسلم حتّى تسلم ولا تأمن حتّى تؤمن .

وهذه بدائع من شعره كقوله :

أقمتَ لي قيمةً مذ صرت تلحظُني ... شمس الكفاة بعيني محسن النّظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به ... من لطف تأثير عين الشّمس في الحجر

---

(١) الصروف : الأحداث .
(٢) ولج : دخل ولجّ وألحّ .

وكقوله في الشّيخ العميد أبي سهل الحمدوي أدام الله تعالى عزّه :

يا ما لهـذا القلـب لا يَرعوي[1] وقـد درى ان قد هوى من هوى
هوىً ببسـتٍ وببلـخٍ هوىً ثانٍ فمـا هذا الهـوىء الغزنوي
ثلاثـةٌ والحـقّ في واحدٍ والقـول في الاثنين للمانوي
وانّ تثليث[2] النّصـارى لمن يدين بِالاسلام لا يستوي

ومنها :

هيهـات إنّ الدّهـر ما قد ترى أعصـل[3] قرنٍ عسـرٌ ملتوي
فأحمـد الله ومَـن بعده فأحمـد بن الحسـن الحمدوي
من برّه استعبـد شكري له والحـرّ عبـد البـرّ فيمـا رُوي
قد نشـر الله تعالـى به ما كان من صحفِ المعالـي طُوي

ومنها :

أشهـد بالله وآياته يمين حقٍّ غير ذي مثنوي
لو بصـرَتْ بنـتُ شعيبٍ به قالـت له هذا الأمين القوي

وقوله من اخرى :

تمتّـع من الـدّنيا فأوقاتهـا خُلسْ[4] وعمـر الفتـى ملّيتَ أطولـه نفسْ
وسـارع الـى سهـمٍ من العيش فايزٍ فمـا ارتـدّ سهـمٌ قطّ يومـاً ولا احتبسْ
وقض زمـان الانس بالانس وانتبهْ لحظّـك إذ لا حظّ قيل لمـن نعسْ
ولا تتقـاض اليوم همّ غدٍ ودعْ حديث غدٍ فالاشتغـال به هوسْ

---

(١) يرعوي : يكفّ .
(٢) تثليث : جعلهم ثلاثة
(٣) أعصل : قاسٍ ، ملتوي
(٤) خلس : سنح وفرص

هي الرّوح كالمصباح والـرّاح زيتها ... فدونـك عنّـي انمـا الـرّأي يُقتبسْ
انبئْك عن نفسـي وعمّـا اختبـرت لا ... أحـاديث تروى عن قتـادة عن أنسْ

وقوله من اخرى :

وأنـت علـى ما فيك من منعـة الصّبا ... وقلّـة أعـداد السّـنين أريبُ[1]
كيحيى الذي قد أوتي الحكم كله ... صبياً كذاك ابن النجيب نجيبُ

وقوله من اخرى :

سمـا بك من فوق السّمـوات رتبةً ... أبٌ لك يدعـو الله في السّـرّ والجهرِ
كمـا قد دعـى موسـى لهـرون ربّه ... ان اشددْ به أزري[2] وأشركهْ في أمري

وممّا يستظرف من شعره قوله :

وشيّبنـي وأعمدنـي هواهُ ... لذاكَ يقـالُ لي الشّيخُ العميدُ

وكتب الى عمر بن عبد العزيز الجكرزي يتشوّقه ويستزيره :

يا قمـرَ الوجـهِ ويا وجـهَ القمرْ ... حوشيت طال ذا السّـرار[3] واستمرّ
فاطلـع وجـلّ ما بجـوّى من قَتر[4] ... فطـال ما اشتـاق أبـو بكر عُمر

وقال في عُجّةٍ اتّخذت بين يديه :

ما أنْسَ لا أنْسَ يومـاً بارداً كلباً ... وشـرّ دهـر الشّتـاء البـاردُ الكلبُ
اذ لا تقرّبنـا أطرافنـا خصراً ... وقـد تمـكّن من احشائنـا السّغبُ
جاء الغـلام بمقـلاةٍ فافرشها ... جمراًوجمرالطّوى[5] في الجوف تلتهب

---

(١) أريب : ماهر ، ذكي
(٢) أزري : قوتي وظهري .
(٣) السرار : المحاق .
(٤) قتر : غبار .
(٥) الطوى : الجوع .

وجـاء بالبيضِ مثـل الـدّر يفلقه فيهـا وللدّهـن صوت بينهـا لجب[1]
فأخرجَتْ مثـل قرص الشّـمس مشرقةً كأنّهـا فضّـةٌ قد مسّهـا ذهبُ

١٦٢ ـ القاضي ابو الحسن المؤمَّل بن الخليل بن احمد البُسْتي

هو في الأدباء والعلماءِ علمٌ وفي الجود والمروّة عالمٌ وكان خطيب غُزْنة حيناً من الدّهر ثمّ تقلّد قضاء بُست والرّخج وهو عليهما الآن كما كان أبوه وجدّه فهو قاضي ابن قاضي بن قاض وهناك من الكرم والفضل وسعة الرّحل وحسن السّيرة وقوّة البصيرة ما تشهد به أخباره الأرجة وآثاره البهجة وتجمعه وأيّاي حالٌ في المودّة طويلة المدّة وعشرةٌ في الغربة مزجت المهجة بالمهجة وطال ما تلاقيناوتصافينا بغزنة وجرينا على حكم مناسبة الأدب وتكاتبنا بالنّثر والنّظم وسمعته يقول وقد سُئِل عن بُست : صفتها تثنيتها يعني أنّها بُستانٍ ، وأجاز قول الشاعر :

قبّـل أناملُـه فليس أناملاً لكنّهـنّ مفاتـحُ الأرزاقِ

بما وازنه فقال :

واذكر صنائعـه فلسْـنَ صنائعاً لكنهـنّ قلائـدُ الأعناق

ولي في الاستطراد بذكره من نتفةٍ :

يا زمانـاً نعيمه لم يُعـرّج علـى يدي
كنسيمٍ معقّد وشعـاعٍ مجَسّدِ
طيبـه كالـكرى يلمُّ بجفـن المسهّـدِ[2]
أو كخلـق المؤمّـل بـ ـن الخليل بن أحمد

وممّا انشدني لنفسه :

ساعـدْ زمانـك تسعدْ واقنَـعْ بحظّـك تُرْشَدْ

---

(١) لجب : ضجيج .
(٢) جفن مسهّد : جفن مؤرّق .

وهــوّنِ الأمــر فيما أيقنْـتَ أنْ سوف ينفدْ
فمــا مضــى فكأنْ لم ومــا يكون كأنْ قدْ

١٦٣ ـ القاضي أبو القاسم عالي بن عليّ بن عبد الله الشّيرازي أيّده الله تعالى

قد آتاه الله تعالى في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوّغه في ريعان الشّبـاب محاسن الاستكمال فهو مع اصله الشّريف وعرقه الكريم أديبٌ فقيهٌ شاعـرٌ خطيبٌ فصيحُ القلم واللّسان عارف بأمور السّلطان وكأنّ أبا الفتح كشاجم عناه بقوله :

ما كان أحــوج ذا الكمــال الى عيبٍ يوقّيه من العين

وكنت اقتبسْتُ من نوره واستمليْتُ منه أبياتاً له في نهاية الحسن وأعددتُها لهذا الكتاب فضاعت نسختها ، وسهم الرّزايا بالذّخائر مولع ، وهذا ما علق بحفظي من قصيدةٍ له سلطانيّةٍ فريدةٍ ، أوّلها :

أيّامُ ملــكِكَ للــورى أعيادُ وثبــاتُ سعــدِك للــورى استسعادُ
وإذا بقيْتَ علــى الأنــام مُملَّكاً فالأرضُ روضٌ والسّمــاء عِهادُ[1]
يا مَنْ تضعضعــتِ الجــدود لجدّه وعنــا لراســخ مجــده الأمجادُ
هذي السّعــادة قد أتتــكَ وفودُها بمقالــدِ الــدّنيا اليك تُقادُ
ولهــا لواحــق قد قرُبــن وانّما هذا أتتــك سوابقــاً رُوّادُ
أبْشــر بملكٍ لا يزال مؤيّداً بعلــىً تُشــادُ وبسطــةً[2] تزدادُ
ومُــر الزمــانَ بمــا تُريد فإنّه عبــدٌ لأمــرك سامــعٌ منقادُ

(١) عهاد : أول المطر السنوي .
(٢) البسطة : القوّة .

١٦٤ ـ القاضي أبو الفضل أحمد بن محمّد الرَّشيدي اللّوكَري

له شرفٌ عميم وطبعٌ كريم وخُلقٌ عظيم ولسانٌ فصيح ومجدٌ صريح وأدب جزْل ومنطقٌ فصل وهو من أولاد هرون الرّشيد ولي القضاء بسجستان والوزارة بغرشستان والسّفارة بين السّلطان الماضي وأمير المؤمنين القادر بالله رضي الله تعالى عنهما فلم يزل فيما نيط به واعتمد عليه بين نصحٍ يؤثره وجميلٍ يؤثره حتّى مهّد قواعد الصّلاح وذلّل مقاود النّجاح فأحمد وأجلّ وبُجّل ولُقّب بتاج القضاة وزين الكفاة رضي امير المؤمنين وهو القائل :

قالوا اقتصِدْ في الجود انّك منصفٌ ... عدلٌ وذو الانصافِ ليس يجورُ
فأجبْتهم أنّي سلالةُ معشرٍ ... لهمُ لواءٌ في العلى منشورُ
بالله انّي شائدٌ ما قد بنى ... جدّي الرّشيد وقبله المنصورُ

وأنشدني لنفسه :

الدّهرُ يلعب بالفتى ... لُعْبَ الصّوالج بالكرهْ
أو لعب ريحٍ عاصفٍ ... عصفَتْ بكفٍّ من ذُرهْ
ويقوده نحو السّعا ... دة والشقاء بلا بُرَهْ[1]
الدّهر قنّاصٌ وما الـ ... انسان إلاّ قنبُرَهْ[2]

وله في أيّام الخانيّة ببلخ :

أرى الأحرارَ كلُّهم حيارى ... كأنّهم ولحياتهم سكارى
وأضحى الأفضلون من البرايا ... بأيدي التّرك في بلخٍ اسارى
كأنّ المسلمين وقد جبوهم ... مجوسٌ أو يهودٌ أو نصارى
كأنّ التّركَ فوقهم صقورٌ ... وهم من فرْط خوفهم حُبارى[3]

(١) البره : التعب والمشقة . (٢) قنبرة : القبّرة ، وهي من الطيور .
(٣) الحبارى : طائر رماديّ اللون يشبه الاوزة ، طويل العنق والمنقار .

وله في الشّيخ شمس الكفاة :

اذا قيل مَنْ للعلـى والنّدى ... ومَـنْ للمـكارم في ذا الزّمنْ
ومَـنْ للعلـوم ومَـنْ للرّسوم ... ومَـنْ للفـروض ومـن للسّنن؟[1]
أجبنـا وقلنـا باجماعنا ... أبـو قاسـمٍ احمـد بن الحسن

١٦٥ - الشّيخ ابو الحسن عليّ بن محمّد الأرباعي

من أفراد دهرِه وحسنات وقتِه لابسُ بُرْدِ[2] شبابه على كهولة فضله جامع بين شرف أصله وكرم طبعه حائز حسن نثره الى جودة نظمه وأبوه الشّيخ ابو عبد الله أيّده الله أوجه أُمناءِ السّلطان الأَجَلّ السّيّد الملك الأعظم وليّ النّعم أدام الله ملكه بخراسان يتقلّد له بريد نيسابور وطوس وعدّة من بلاد خراسان مع الاشراف عليها وقد كتبت من شعر ابي الحسن ما انشدنيه كقوله من قصيدة في الشّيخ الجليل ابي القاسم احمد بن الحسن رحمه الله لمّا اعيدت الوزارة اليه :

علـتِ الـوزارة اذ علـوتَ محلَّها ... يا خير من عقَـد الامـور وحلَّها
هـذي الأمـورُ تلاحقـتْ فتهنّها ... وهـي السّعـودُ تلاحقـتْ فتملّها
انّ الـوزارة رتبـةٌ مرموقةٌ ... خَلَقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هوىً لها
صعبتْ على أيدي سواك امورها ... فأظلّهـا استقلالـكم فأذلّها
فـالآن عاد وعـاذ منـك بعقوةٍ[3] ... حلف المـكارم لا يريمُ محلّها
هذي الـوزارة في الحقيقـة لا الّتي ... كانـت تقاسمهـا الأراذل قبلها

وانشدني لنفسه في الشكوى أبياتاً منها :

يشارطنـي دهـري لئـن صرتَ جاهلاً ... رفعتـك يا دهـري فقـدتَ مُشارطا

---

(١) السّنن : الشرائع .
(٢) البرد : الثوب .
(٣) عقوة : إسم مكان .

محابرنـــا يا ليت كنــتِ محاجماً[1]　　وأقلامنـــا يا ليت كنــتِ مَشارطا

وانشدني ايضاً لنفسه :

يا ربِّ حقّــق دعــوةَ العبدِ　　وارحــمْ دُعــايَ واشفنــي وحْدي
وارحــمْ لبيدَ الشّعــر حين شكا　　زمنــاً يروح عليه بالنّكدِ
قــد كان يشــكو جلــد أجربهِ　　وبقيتُ في زمــنٍ بلا جلدِ

وله أيضاً :

كلٌّ معــاشٍ الــى فناءِ　　كلّ نعيمٍ الــى زوالِ
كم أخــذ الدّهــر باغتصاب　　قوت فقيرٍ وكنــز والِ
كم هشّ لي وجهــه زماناً　　حتّــى اذا ما انقضــى زوى لي

وله ايضاً في الشّيخ الأجلّ أكفى الكفاة أدام الله تأييده من قصيدةٍ :

بلغــتَ السّمــاء اذاً فاقتصِرْ　　وحُــزْت الثّنــاء اذاً فاقتصد
وأعليتَ من طالعــي ما هوى　　واصلحــت من حالتــي ما فسد

ومن منثور كلامه ما كتب اليه يهنّيه بالوزارة : شنّ وافق طبقاوفضل عانق عبقا وخاتم فاجأ ماءً وزرع صادف سماءً وصدر شرفٍ تحلّى بصدرٍ وليل تمّ تجلّى ببدرٍ وسيّد مملكةٍ سادها وصدّر وِسادها أحلماً أرى أم حقّا وكذباً أسمع أم صدقا ان كان حقّاً فهو طالع الميمون وان كان حلماً فخيراً رأيت وخيراً يكون وما شئت وما شاء فالق الدّلو وارسل الرّشاء وجدتَ وأجدتَ فهل شكرت وسجدت هناك هناك ثمّ عنــاك ومنــاك وايهاً يا زمان ايها فقد أخرجت نبيهاً دنيا أراها عَطرة وكانت دقْراءَ[2] وسماءً أراها مطرةً وكانت جرباءَ وفضل يفترّعن بَرد وقد كان في حَرد وعلم يُسفرعن شمس وقد

(١) المحاجم : ما يستعمل في حرفة الحجامة .

(٢) دقراء : من الأراضي الكثيرة الماء والندى .

كان في رمس [1] وزمان صالح عنواً وقد كان حرباً ودهر سالم كرهاً وقد كان ألباً دولة أضحكت بما جد وكان في حسرة ومملكة تربح بسيّد وكانت في خسرة ومولانا يقول ما هذا التّعريض والتّصريح والتّمريض والتّصحيح نعم هو حياة البصر يبهره القمر واضطراب الأسماع لمضراب السّماع ودهشة العاشق لنجاة الخيال الطّارق ولجلجة كلام عبدٍ ظفر بعد القنوط وارتفع بعد الهبوط ورأى كالسّعد الّذي له تجدّد والمجد الّذي به تفرّد فأقول مرحباً بفلكٍ أطلع علينا سعده وأهلاً بهذا اليوم وما بعده والحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورث مولانا ملك الدّست والصّدر ومُلك الحياة والقدْر وزمام النّهى والأمر يتبوّأ منها حيث يشاء فنعم أجر العاملين .

١٦٦ ـ ابو بكر عبد المجيد بن أفلح الغزنوي

كثير المحاسن والفضائل جمّ المحامد والمناقب وكان السّلطان الماضي رحمه الله يكرمه ويفضّله على الصّاحب وقلّده بريد طوس وهو الآن مرتّب في أعيان كتّاب الرّسائل ومرشّح للأعمال الجلائل وله شعر يروق ويشوق كقوله :

انظر الى حسن الرّبيع فقطرُه ... يحلى على الأغصان درّاً نابتا
وكأنّ غيمَ الجوّ يسكبُ دمعه ... من حُزنه والرّوضُ يضحك شامتا

وقوله في معنىً آخر :

وراويٍّ في انشاد شعري مقصّراً ... ولو كنت قد هذّبته في الدّفاترِ
مخافةَ ان يلقى امرؤٌ من عيوبه ... بخاطره ما لا أراه بخاطري

وقوله في الحكمة والموعظة الحسنة من نتفةٍ :

قل لمَنْ تاه في الورى بغناه ... لا يساوي الغنى حذار زواله
مرّنِ النّفس للقناعة كرهاً ... ايُّ مالٍ يفي ببذل سؤاله

---

(١) رمس : جدث ، قبر .

وقوله :

تبيّن أهـل الحجـى أنّ لي لسانـاً فصيحـاً وقـولاً صحيحا
ولكنّنـي أبـداً ساكتٌ اعالـج بالصّبـر قلبـاً جريحا
فمـا لي عدوٌّ يسـاوي الهجآء ومالـي صديقٌ يسـاوي المديحا

وقوله :

لقد كنتُ حيناً اقصد النّاس مادحاً لجهـلٍ بهـم فالآن أصبحـتُ تائبا
ادافـع آمالـي ببـأسٍ لأنّني نظرت فمـا أبصرْتُ في الحمـد راغبا

وقوله :

رأيت الدّهـر يُسعـدِ كلّ نَذْلٍ ويقصـد كلّ حرٍّ بامتهان
فقلت لقلبيَ استمسـكْ بصبرٍ فانّ الدّهـر دهـرُ بنـي الزّواني

وقوله :

أرى مثـلَ النّجـوم دمـوع عيني إذا ما غاب وجهـك عن فنائي
كذاك الشّـمس حين تغيب تبدو نجـومُ اللّيل في افـقِ السّماءِ

وقوله :

سلامٌ على بدر الدّجى كوكبالحجى سماء العلى شمس الفخار أبي الخير
على من اذا استطلعت قلبيَ لا أرى لعقلي برهاناً علـى أنّـه غيري

وقوله :

أقـول لسارٍ في الحزونـة[1] والسّهل ليبصـر أعيان البـلاد ذوي الفضل
تيمّـم أبـا الفضـل بن ميكال واترك سواه فكلّ الفضـلِ حيث ابـو الفضل

---

(1) الحزونة : الأرض الكثيرة الحصى والاشواك .

١٦٧ - ابو محمّد عبد الله بن محمّد الدوغابادي

اعجوبةُ العصر وبكر عطارِد وذلك أنّه حديث السّنّ رطيب الغصن ولو قلت أنّه معجز بلدته في الشّعر لما قلت شططا ومن خبره أنّه استظهرَ كتاب اليتيمة كلّه وله طبعٌ نافذ وخاطرٌ عامر وقريحةٌ ثاقبة وكياسةٌ نادرة فانتجعَ بدائع الخواطر واجتنى ثمار الأفكار وحمل على الرّوح حتّى تطبّع بطباع أفراد الشّعراءِ العصريّين وجرى في طرق المفلقين المبدعين وكسا المعاني البديعة الخفيّة معارض الألفاظ الرّشيقة الجليّة فان شاءَ فالسّريّ والخالديّ وان أراد فالببّغاء والسّلاميّ وان نشط تغزّل وأطرب وان آثر مدح فأعجب وعجّب وهو الآن بالحضرة في ديوان الرّسائل مرشحٌ للأعمال الجلائل ، ومن شعره في الغزل قوله من قصيدةٍ :

ونملُ عِذاره نقلَتْ اليه ... وهنَّ ضعائفٌ حبّ القلوبِ
نقلْنَ له القلوب وهنّ ضعفىَ ... فكيف اذا قدرن على الدّبيب[1]

وقوله في معناه من أخرى :

فحذارِ من ذاك العذار فانّما ... نقلت له حبّ القلوب نمال

ومن أخرى :

مُري جفنك الممراض من غير علّةٍ ... يشم[2] سيفه إنّا أتيناه عُوداً

وقوله من أخرى :

وظبية انسٍ بين أُسدٍ طرقتها ... على حذرٍ واللّيل في لون خالها
وما غرضي منها سوى ورد خدّها ... وبرق ثناياها وبرْد زلالها

(١) الدبيب : دبيب النمل أي وقعهن .
(٢) يشم : يبصر يتطلع .

وقوله :

سلا صدغه المسكيّ كيف قرارهُ على نار خدّيْه وكيف يكونُ
ويشرب من فيه المدام معلّقاً على لهبٍ أنّ الجنونَ فنونُ

ومن سلطانيّات شعره قوله من قصيدةٍ :

الملك بعد نظام الدّين محمودُ للقائم الملك المنصور مسعود
ان كان داود زار الغيث تربته ولّى فهذا سليمان بن داودِ
مَنْ كان شمس ملوك الأرض وارثه ونجله فهو حيٌّ غير مفقودِ

ومنها :

لا يطمعَنّ أحدٌ في الملك يملكه والسّيفُ في يد مسعود بن محمود
سقى الكماة كؤوسَ الموت مترعةً على غناء صهيل الضمّر القود

ومنها :

طويلُ عمرِ المساعي والنّدى أبداً قصيرُ عمرِ الأعادي والمواعيد
يداه فوق أكفّ النّاس كلّهم عزّاً وتحت شفاه السّادة الصّيد(١)

[اخذه من قول أبي الفيّاض الطّبري :

يدٌ تراها أبداً فوق يدٍ وتحت فم]
تبارك الله ما أبهاك من ملك في تاج عزٍّ بكفّ الله معقود

زلقت قدمه في ذكر الكفّ فانّها لا تضاف الى الله عزّ اسمه وتعالى عمّا لم يَصف به نفسه ولولا أنّه أضاف اليد إلى نفسه وان كان تأويلها غير ظاهرها لما استجيز قول من قال يد الله ، وقد نُعى على ابن نُباته قوله وعُيّب بذلك :

(١) الصّيد : الملوك ، السادة .

اذا تمنّت تمنّت أن تعيش لها يا راكب العرش بارِكْ في أمانيها

لأنّه قال ما لم يقل أحد من ركوب العرش وانّما جاز الاستواء لأنّه جلّ ذكره وصف به نفسه وان كان بعضهم تأوّل فيه الاستيلاء واحتجّ بقول الشّاعر :

قد استوى بِشرٌ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مهراق

عاد الشّعر :

قرم[1] يُعيد حدود البيضُ مصلتةً من الدّماءِ عليها ذات توريدِ
تخالها وهي كابْن الغيم صافيةً كأنّما مازَجَتْها بنت عنقودِ
لا تستقرّ ظباها فهي راحلةٌ من الجفون الى هامِ الصّناديد[2]

ومنها :

مغناك روضٌ أريضٌ مونق خضلٌ وانّني عندليبٌ جدّ غرّيدِ

[أخذه من ابي القاسم الزّعفراني وزاد عليه :

وتغنّيك في النّديّ طيورٌ أنا وحدي ما بينهنّ الهزارُ]
لا زال ملكك مخصوصاً بأربعةٍ أمنٍ ويمنٍ وتأييدٍ وتأبيدِ
فأنت للملك لا فارقته أبداً كالنّار للعود بل كالماءِ في العود
وعشت للدّين والدّنيا وأهلهما للعلى والنّدى والبأس والجود

وله من قصيدةٍ في الشّيخ أبي الطّيب طاهر بن عبد الله أيّده الله ، أوّلها :

سَقام عينيك للعوّاد قتّالُ ففي العيادة قُلْ لي كيف أحتالُ

ومنها :

ويح المحبّين لمّا سار عيسكم[3] في صحبة الدّمع من أجفانهم سالوا

---

(١) القرم : السيد الشجاع .
(٢) الصناديد : الشجعّان .
(٣) عيسكم : نوقكم ، إبلكم .

لم يرزقوا الخير منكم غير أنّهم — فضل الشّهادة في سبل الهوى نالوا
ناديت دمعي وصوب المزن يُسعده — كلاكما خضْلُ الشؤبوب هطّالُ
ولستما كيدِ الشّيخ العميد ندىً — هي الغمامُ ولكن وبلُها[1] المالُ
كم أنبتت يدَ مولانا وسيّدنا — من روضةٍ نبتها مجدٌ وافضالُ

ومنها :

قلْ للّذي يتمنّى نيلَ رتبته — ما كلّ ماشيةٍ بالرّجل شملالُ[2]
في دسته عارض هامٍ وبحر ندىً — طامٍ[3] يفيض وصمصامٌ ورئبال[4]
كافٍ اذا ما امتطى الأقلام أنمله — فالمرهفات له والسّمر عمّال
يا فارسَ الدّستِ انّ النّاس كلّهمُ — سواك في دسْت هذا الملك أكفال[5]
مُرْ عبدك الدّهر يجنبني نوائبه — فالدّهرُ طوعٌ لما تقضيه فعّال
وأول ثغري بتقبيلي ثراك ندىً — فانّ تقبيل ذاك التّرب إقْبال
واسلَمْ فانّك في افقِ العلى قمرٌ — وافخَرْ فأنت على خدّ النّدى خال
وأنتَ نبعُ العلى اذ غيرك الضّال — وأنت بحر النّدى أذ غيرك الآل

وكتب الى أبي القاسم الطّائي الكاتب يسأله تذكيره وعداً له عليه :

أأبراهيم دام صفاء ودّك — على غير الزّمان وصفو عهدكْ
دعوتك دعوة التّعب المعنّى — لتذكرني بفضلك عند ربّك

١٦٨ ـ ابو الحسن محمّد بن الحسن البرمكي

كثير الفضائل جمٌّ المحاسن جامعٌ من العلم والادب بين العنب والرّطب

---

(١) وبلها : أمطارها .
(٢) شملال : سريع .
(٣) طامٍ : غزير فياض .
(٤) ريبال : أسد .
(٥) أكفال : مفردها كفل ، أي ما يحفظ الراكب من خلفه .

فصيح اللّسان والقلم وهو من رياحين الحضرة وطال ما نفد منها رسولاً الى الخليفة القادر بالله رضي الله عنه فأحسن السّفارة واستوفى العبارة وهو الآن يتولّى أوقاف الهند ، وله شعرٌ يدخل على الأذن بلا اذن كقوله :

إنْ شاب رأسيَ فالمشيبُ موقَّرُ   وذوو العلوم بشيبهِم يُتبرّك
والشّيب تغتفر الغواني(١) ذنبه   ما دام ذاك الشيء فيه يُحرَّك

وله :

وذي عينين كحلاوينْ يَرمي   بسهمهما سويدآء الفؤادِ
الـمٌ بعارضيه نصف لامٍ   وهمّ بشاربَيه نصف صادِ

وله في الهجاءِ :

ابو بكر بن حمدانٍ   بلا أصلٍ ولا فضلِ
كأنّ الله صوّره   من الأعجاب والبخلِ
إذا شاهدْتَ طلعته   دعوْتَ عليه بالثُّكْلِ
ترى ما شئْتَ من حمقٍ   ترى ما شئت من جهْلِ
ترى نغلاً(٢) على بغلٍ   ترى نذلاً بلا بذْلِ

١٦٩ ـ ابو الفتح المظفّر بن الحسن الدّليغاني

كان من وجوه خدم الحضرة وأعيانها يرجع الى أدبٍ وفضل وحسن نظمٍ ونثر وتقلّد الاشراف بنيسابور فلم يلبث ان اشرف على الآخرة واختصر بالحتّل منذ أشهر وكان قرأ كتابي في التّغزّل بمأتى غلامٍ مختلف الأوصاف والأحوال والصناعات والمذاهب فانشدني لنفسه في غلامٍ كرّاميٍّ :

---

(١) الغواني : الحسناوات .

(٢) نغلاً : فاسداً ، والنغل هو الحيوان المتولد من الحصان والأتان .

وريمٍ أصـار الخانقـاه كناسه[1] وعـارض عَمْـداً رغبتي فيه بالزّهد
أطـال مواعيدي فقلـت له أما تعبّدْتَ في دين الهوى بسوى الوعد
فقال اقتصر منّي على الوعد في الهوى فقـد صحّ ايمانـي على قولـي الفرد

وانشدني لنفسه من قصيدة في شمس الكفاة رضي الله عنه والاشـارة عليه باصطـلام أعدائه الّذين سعوا به وأعانوا عليه :

فسـد الزّمـان فمـا ترى إلاّ ذئابـاً أو ذبابا
هـذا يصـول فان يُصب لم يألُ عقـراً[2] وانتهابا
ويحـومُ ذاك علـى أذا ك فلا تزال به مصابا
فابسـطْ حسامَـك في الذّئا ب فلا تَدَعْ ظِفْـراً ونابا
واصبِـبْ علـى الذّبّـان من عذبـات مقرعـك العذابا

وله من قصيدةٍ في الشّيخ العميد أبي سهل الحمدوني أدام الله عزّه :

بابـي طلوعـك ايّهـا القمر حتّـى متـى يا بدرُ تُنتظرُ
يـا مجمـلاً فيه الجمـال له خضـرٌ كحظّـي منـه مختصرُ
العشـق اوّل مرّةٍ نظرٌ كم خاض في دم عاشـقٍ نظر

ومنها :

والمجـدُ يحمـدُ فعـل أحمده في كلّ ما يأتـي ومـا يذر
الحمـدويّ المكتفـي بندى كفّيه إمّـا أمسـك المطر

ومنها :

وكفـى الـوزير مهمّـةٌ فغدا منـه بحيث السّمـع والبصـرُ

---

(١) الخانقاه كناسه : الخانقاه هي المكان الذي يتعبّد فيه المتصوفة ، والكناس : بيت الغزال .

(٢) لم يأل عقراً : لم يتوانَ ولم يمتنع عن العضّ .

فــاذا دجــا خطْــبٌ[1] يفرِّجه عن وجهــه آراؤه الزّهــرَ
بعزيمــةٍ كالسَّهــم ماضيةٍ يرتــدُّ عنهــا الصَّــارم[2] الذَّكَرُ
غـرس الصنائع في الــورى فغدا يُجنــى له من شكرهِــمْ ثمرُ
لا يخشَ صرفَ الدّهــر زائره فذراه من أحداثــه وزَرُ[3]
يا مُثْــرياً من كلّ مكرمةٍ إنّــي الــى جدواك[4] مفتقرُ
لــي حاجــةٌ وقضاؤهــا أمِمٌ[5] سهــلٌ عليك ومــا لهــا خطرُ
ومتــى يكن عَمــراً لهــا أحدٌ فالشّيخ سيّدنــا لهــا عُمرُ
لا زلــت ما سجــع الحمــام وما نفــح النّسيم ونــوّر الزّهرُ
فــي عيشــةٍ لا جوّهــا قَترٌ فيه ولا في صفوهــا كدرُ

وقال :

ولقــد يئســتُ من الرّئيــ ــس ومــن بنيه زائدَهْ
وضربتهــم عُرض الجدا رِ فليس فيهــم فائدَهْ
وغسلْــتُ من معروفهم كلتــا يديّ بواحدَهْ

وقال :

أثرنا خبايا العيش في جنــب خابيَهْ بأجــدب[6] حنّــانٍ وحدبــآء حانيَهْ

١٧٠ ـ ابو نصر احمد بن محمّد الخالدي

أديبٌ بارع شاعر حسن الشّعر من المقيمين بغزنة يقول :

---

(١) دجا خطبٌ : أي أظلمت الدنيا وتراكمت المصائب .
(٢) الصارم الذكر : السيف القاطع .
(٣) الوزَر : الملجأ .
(٤) جدواك : عطاياك ومننك .
(٥) أممٌ : قاصد .
(٦) الأجدب : المكان المحل الذي انقطع عنه المطر .

متى شملتْني صحّةٌ وفراغُ وقوتٌ به لي غُنيةٌ وبلاغُ[1]
وأصبحْتُ لهفاناً على ما يفوتني فرأسي رأسٌ ليس فيه دِماغُ

ويقول :

قلْ للنّؤوم عن التّفضّل وادعاً وسط الكرى مَهْ
أحسن فإنّ الحُرّ عبدٌ للمبرّةِ والكرامَهْ

وله :

قاضٍ لنا ابليسُ يشهد أنّه ما في الفضائح مثله ابليسُ
فكأنّما زُبَرُ الحديد[2] فياشلٌ[3] وكأنّما مَفساه مغناطيسُ

١٧١ - ابو الفتح المظفّر بن صالح الرّازي المدير

أحد من انتقل من الرّيّ في صحبة الرّاية السّلطانيّة أدام الله نصرتها وتصرّف على خدمة الحضرة وهو القائل في سيلٍ أتى بالريّ بعيد ارتحال الموكب العالي عنها :

أتى كالطود أحمرَ في اصفرارٍ كأنّ قراهُ ضُمّخ بالخلوق
أتانا تجرف الدّنيا بليلٍ لحاه الله من زَوْرٍ طروق[4]
تغنّم فرصةً ونوى بياتاً لأنّ البحرَ مال عنِ الطّريق
ولولا رحلةُ الملك المرجّى لما جسر السّيول على الطّروق

---

(١) بلاغ : اكتفاء .
(٢) زبر الحديد : قطعه .
(٣) الفياشل : الحشفات ، ورأس كلّ محوّق مفرده فيشلة .
(٤) لحاه الله من زور طروق : أي لعنه من زائر طارق أثناء الليل .

خاتمة الكتاب

يشتمل على ذكر أقوامٍ مختلفي التّرتيب متفاوتي التّاريخ غير معطين حقوقهم من التّقديم والتّأخير وهم من كلّ الأقسام الأربعة فبعضهم من استفدتهم بآخرة ومنهم قوم ما أنسانيهم الاّ الشّيطان أن اذكرهم في اماكنهم فقد جمعت في هذا الفصل محاسنهم على ما خيلت وكتبت من لطائف غررهم وملحهم ما يجري مجرى الحلوآءِ الّتي تُقدّم في أواخر الموائد ويكمل به الكتاب والله وليّ التّوفيق .

١٧٢ ـ ابو محمّد لطف الله بن المعافى

يقول :

ذهب الّذين يُعاش في أكنافهم ... وهمُ الكرام السّادة الأشرافُ
وبقيتُ في خلفٍ كأنّ وجوههم ... خبزُ الشّعير اذا علاه جَفافُ

ويقول :

أرى ما أشتهيه يفرّ منّي ... ومالا أشتهيه اليّ يأتي
ومَنْ أهواه يبغضني عناداً ... ومَنْ أهواه شصّ[1] في لهاتي

---

(١) شصّ : بعد ـ ومنع .

كأنّ الدّهـر يطلبنـي بثأرٍ فليس يسـرّهُ الاّ وفاتي

وهو القائل :

وهل يذّخر الضّرغامُ قوتـاً ليومِهِ اذا اذّخـر النّمـلُ الطّعـامَ لعامِهِ

هذا البيت لابي العلاء المعرّي[1] .

١٧٣ ـ ابو القاسم عليّ بن مسرّة البغدادي

يقول :

زعمَـتْ انّمـا هوايَ محالُ اتُراهـا ظنّـت نحولـي[2] انتحالا
ولقـد زارنـي الخيالُ فمـا صا دف منّـي الخيالُ إلاّ خيالا
بـتُّ ارعـى النّجـومَ فيهـا وباتَتْ من وراءِ السُّجـوف[3] تنعـمُ بالا
وشـكوتُ الهـوى اليهـا فقالت حضـريٌّ يُنمِّـق الأقوالا

وقوله :

ألف الحـوادث مهجتـي فألفتها بعـد التّنافُـرِ والـكريم ألوف
ليس البـلآء علـيّ صنفـاً واحداً لكن علـيٌّ اليوم منـه صنوف

١٧٤ ـ محمّد بن أحمد الشّيرَجي

أديبٌ فقيهٌ ظريفٌ شاعر خليع يقول :

يا خليلـيَّ عرّجـا بي الـى القفـ ـص وحُطّـا الرّحـال بالبرَدان

---

(١) كذا بالأصل .
(٢) نحولي : هزالي .
(٣) السجوف : ما يستر به .

واتركاني من التّفقّـه في الدّيـ ـن فحسبْـي تعلُّمـي ما كفاني
واسْقياني علـى وجـوه الغواني واصطفـاق النّـايات والعيدان

ويقول :

إلقَ الدّساكرَ والمعاصرَ والسّواحر والزّوامِرْ
ودَعِ الدّفاترَ والمحابرَ والقماطرَ والمساطِرْ

وكتب الى صديقٍ له يستزيره :

اليوم يوم انجحار[1] ويوم ايقـاد نار
ويومَ عزْفٍ وقَصفٍ ويوم شربِ عُقار
وكلّ هذا لَدينا فاحضَـرْ مع الحضّار

وكان كثيراً ما يقول لاخوانه : أنعم الله صباحك وأدام لرأسك الخضـرةَ ولوجهـك الحمرة ولوجه حاسدِك الصُّفرة .

١٧٥ ـ أبو الفضل أحمد بن محمّد الكاتب

ثقيل وزن الفضل خفيف روح الشّعر ، يقول :

دخلـت إلـى النّخّـاس يومـاً وعندهُ غلامٌ صبيح الوجـه أتلـع[2] أحورُ
فقلـت له هذا الغـلام تبيعهُ فقـال به عيبٌ وذلك يُسترُ
فقلـت فأظهِـرْهُ فقـال اباقه فقلـت رضـىً بالعيب فالظّبـي ينفر

ويقول :

قد قلـت والصّـدغ علـى خدّه كاللّيل يبـدو تحتـه الفجرُ

(١) انجحار : دخول الجحر .

(٢) أتلع : مدّ عنقه متطاولاً .

البدرُ من أبراجه عقربٌ فصار برجُ العقْربِ البدرُ

١٧٦ ـ أبو المظفَّر عبد الجبّار بن الحسن البَيْهقي الجُمَحيّ

كثير المحاسن حلو الأدب مليح الشّعر يعيش في ظلّ الكفاية ويخدم السّلطان ويعاشر الاخوان ويقول مثل قوله في بعض الصّدور :

وإنّ أبا سعد لعائن ربّنا عليه لشيخٍ حامضٍ في المشايخ
فلو أنّني ولّيتُ شُغْلَ وكالةٍ لوفّرت من خدّيه خلّ المطابخ

وقوله :

وجه أبي العبّاس ما أصلده[1] نعم ويوم البعثِ ما أسوده
يخيبُ من يرجوه في يومه ثم مع الخيبة يخشى غده
قُلْ لمليكِ الشّرْق هذا الّذي يكتب في الدّيوان ما أبرده
إنْ شئت ان تبسط بين الورى عَدْلَ أنوشروان فاقبضْ يده

وقوله :

دخلْتُ على أبي سعدٍ وانّي اداخله على ودٍّ سقيم
رأيت لديه كُتّاباً ظِرافاً حَيارى حول محزونٍ كظيم[2]
تصوّر لي ملائكةٌ كرامٌ قعودٌ حول شيطانٍ رجيم
ففي ديوانه كرمٌ ولكن مدارعه[3] تُزرّ على لئيم
يعزّ عليَّ ان يلقاه شتْمي بلا ضربٍ اكرّره أليم

---

(١) الصلد : القاسي الصلب .
(٢) كظيم : حزين القلب أسوده .
(٣) مدارعه : أي ما يدرّع به من ثياب وغيره .

وقوله من قصيدةٍ :

عبــقٌ بكفّــي من خيالٍ طارقٍ عـنـد الـكرى متصافـحٍ متعانقِ
فأبيْتُ أضحـك من وِصـالٍ كاذبٍ واظـلُّ أبـكي من فراقٍ صادق
إنّــي أصافحــه بكفّــي صائن لكن ألاحظـه بعينـي فاسق
ما للهمــوم ألفــن كلّ متيّمٍ اعشقــن مهجــة كلّ صبٍّ[1] عاشق

١٧٧ - أبو منصور عليّ بن أحمد الحَلاّب

شاب كان متقدّم القدم في الفضل والأدب كتب في ديواني الرّسائل بنيسابور والرّيّ وبرع وخدَم وخُدِمَ وقد ذكرت له أبياتاً في مرثية صديقه أبي بكر الصّبّغي وكتبت الآن ما أنشدني لنفسه قوله في خطّ العذار :

كم سقيت الدّمــوع عارض حتّى اشتهــي خطّـه علــى غير حين
فتباطــى النّبــات حتّــى إذا ما رَويت خدّه وجفّــت شؤوني
دار فيهــا السّــواد وهــو شبيهٌ بِخُطـى النّمــل في جَنــى الياسمين
كيفع أستنــكر العــذار نباتاً وهــو من عبرتــي وزرع جفوني

وقوله :

حلّــى المشيب محلاً عن كلّ ورد التّصابي
مــا للغــواية والصّبا بة غير ريعــان الشّباب

١٧٨ - أبو سهل الجُنَبذي الكاتب

من كُتّاب الرّسائل في ديوان السّلطان الأعظم وليّ النّعم أدام الله ملكه ومن الأدب والفضل بحيث يُضرب به المثل وله شعر يجمع الحُسْن واللُّطف والظّرْف كما

---

(١) الصب : العاشق المشتاق .

أنشدني الحاكم أبو جعفر محمّد بن اسحاق البحّاثي قال أنشدني هذا الشّيخ لنفسه :

أفـدى فتـاةً حرَّمتْ ظلمـاً علـيّ جمالها
ودّ الهـلالُ بأن يكو نَ لساقهـا خلخالها
قد واعدتنـي زَوْرةً تشفـى الجـوى[1] فبدالها

وأنشدني أيضاً قال أنشدني لنفسه :

سقياً لزائـرةٍ زارتْ علـى عجلٍ والليل ألبس غيطـان[2] الفـلا غسقا
في ليلـةٍ بات شمْـل الانس مجتمعاً فيهـا وشمْـل الأسـى والحـزن مفترقا
قطعـت أولها شُرْبـاً وأوسطها سكْراً وآخرهـا ضمّـاً ومعتنقا
حتّـى بدا الصّبـح محمّـراً ذوائبُهُ كأنّـه موقـدٌ في أفقـه سذقا[3]
قالـت تودّعنـي والعينُ باكيةٌ يا ليت انّ بياضَ الصّبـحِ ما خُلقا

١٧٩ ـ أبو طالب محمّد بن عليّ بن عبد الله المعروف بالبغدادي المستَوْفي

أخبرني أنّه واسطيّ خدم الصّاحب والأجلّـة واقتبس من أنوارهـم في صبـاه وانتقل الى خراسان فشاخ بها على الاستيفاء في الدّيوان وكان أديباً كاتباً حاسباً كريماً فاضلاً به طرش يسير وله حفظ كثير وطلع بنيسابور فأطلع شمس فضله وأنشدنـي لنفسه :

إن كنـتُ عنـدك يا مولاي مُطَّرحاً فعنـد غيرك محمـولاً علـى الحدق

(١) الجوى : شدّة الوجد والحب والاشتياق .
(٢) الغيطان : السهل المنخفض الواسع من الأرض .
(٣) السذق : ليلة الوقود معرّب سَدَه .

وأنشدني لنفسه في قائدٍ اسمه فولاذ :

قالـوا امتـدح فولاذ فاسعـد به ... فالحـرّ بالأحـرار يَعتاذُ
فقلـت لا يغـرُرْكُم برّه ... فإنّـه في اللّـوم أُستاذُ
لو أنّـه الزّيبـق لم يجـر لي ... فكيف تجـري وهـو فولاذ

وله في الأمير حسنك رحمه الله تعالى :

أبـدى لك الدّهـرُ في أحوالـه عبَرا ... لو كنـتَ يومـاً بمـا تلقـاه مُعْتبرا
أنظـر بعين النّهـى في حسنـك لترى ... سحـابَ كلّ بلاءٍ أرضَـه مطرًا
صَلـبٌ ورجَـمٌ وحـزّ الـرّأس بعدهما ... مَنْ يقهـرِ النّـاس في سلطانـه قهرا

وانتقل الى جوار ربّه منذُ سنيّات وله ابن نجيب أديب في ديوان الاستيفاء بالحضرة يكنّى ابا غالب .

١٨٠ ـ أبو عديّ الشَّهْرَزُوريّ

له شعر مدوّن قد انتخبت منه قوله :

حصّلـتُ وعـدَك سيّدي ... وكفـى به ثقـةً لآمل
لكنّنـي كالنّـاسِ مشـ ... ـغـوف الفـؤاد بكلِّ عاجل

وقوله :

ربّمـا كـان واحدٌ ... يغلـب الألف زائدا
ربّ ألفٍ رأيتهم ... لا يُسـاوون واحدا

وقوله :

وأنـت كالمـاءِ يُروى النّـاس كلّهم ... ورُبّما شرَقَ[1] الانسـان بالماءِ

---

(١) شرق : غصّ .

١٨١ ـ أبو منصور محمود بن عليّ المهلبيّ العَماني

حدّثني أبو الحسن علي بن محمّد الحاجبي بالجرجانيّة قال كنت في أواخر أيّام السّامانيّة أُحرّر في ديوان الرّسائل ببخارا مع جماعةٍ من المحرّرين وصاحب الدّيوان اذ ذاك أبو علي محمد بن عيسى الدّامغاني ومعنا في الجملة أبو منصور المهلّبي وكان أشعر القوم وكان فينا واحد يعرف بأبي الفوارس النّيسابوري رديّ الخطّ غليظ الطّبع كثير الكتب قليل الأدب يتعاطى الشّعر ويفتضح فيه فمدح أبا علي بما اضحكه والقوم فأمر المهلّبي بهجائه ووصف خطّه وبلاغته فقال أبياتاً منها :

وكاتبٍ كتبه تُذكّرني الـ ... ـقرآن حتّى أظلّ في عجب
فاللّفظ : قالوا قلوبنا غُلفٌ[١] ... والخطُّ : تبَّتْ يدى أبي لهب

فأعجب أبو علي بقوله وأمر له بصلةٍ ولمّا رأى المهلّبي ميل أبي علي الى وصف خطّ أبي الفوارس قال فيه يخاطب أبا عليّ :

يا سيّد السّاداتِ في المجالس ... أما ترى خطَّ أبي الفوارس
كأنّما يكتب بالمكانس ... فميمُه كمنخَرِ الأفاطس
وجيمُهُ كرجْل بغلٍ رافس ... وسينهُ كأرجلِ الخنافس
وواوه مغرفة الهرائس ... ولامُهُ شريجةُ[٢] المحابس
وما تراه الدّهر غير عابس ... أو ناكساً[٣] لرأسه كالنّاعس
يدرس طوماراً بفِهْمٍ دارس ... أو قائلاً شعراً بشقّ هاجس
أو غايصاً في لُجَّة الوساوس ... كأنّه من جملةِ الأبالس
فارم به في شدق ليثٍ ناهس ... فبئسَ للكتّابِ من مُجالس

(١) غلف : أي لا تفقه ، محجّرٌ عليها .
(٢) شريجة : جديلة من القصب .
(٣) ناكساً : مطأطئاً

قال ولمّا قلّد أبو محمّد عبد الله بن محمدّ بن عزير الوزارة ببخارا مدحه أبو منصور المهلّبي ببيتين فوصله بألفيْ درهمٍ وهما :

أرى الله البـرّية كلّ خيرٍ   وجنّبهـم بفضـلٍ كلّ ضير[1]
وردّ حياتهـم ببنـي عزيرٍ   كمـا ردّ الحياة علـى عُزير

وأنشدني غيره للمهلّبي :

قد أُولـعَ النّـاسُ في الـدّنيا بأربعةٍ   أكلٍ وشـربٍ وملبـوسٍ ومنكوحِ
وغـايةُ الـكلِّ إنْ فكّرت فيه الى   روثٍ وبـولٍ ومطـروحٍ ومفضوحِ

وله :

إذا اعتـلّ برذون الفتـى وهـو واحدٌ   فصاحبْـهُ حتّـى يصـحّ عليل

١٨٢ ـ أبو منصور نصر بن أحمد بن سعد السَّعدي

أنشدني الشّيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن أيّده الله له :

أكرمْ أليفـك ما استطعْـت فإنّه   ما دمْـتَ تكرمـه فأنـت كريمُ
فإذا أضعْـتَ ذمامـه وتركتَهُ   تركَتْـكَ الفتـه وأنـتَ مُليمُ

وله في ذمّ صديقٍ :

الفلْكُ تجـري في البحـار وانّني   أجريه منـك على الصّفـا والجندل[2]
الله يعلـم ما أقاسـي دائباً   من سوء خلقـك يا نقيعَ الحنظل[3]

---

(١) الضير : الأذى والمكروه .
(٢) الجندل : الصخر .
(٣) الحنظل : نبات مرٌّ ثمره .

وله :

يا جامعَ المـال كي تضـنّ به[1] تطمـع والله في الخلـود معَهْ
هل حمـل المـالَ ميّتٌ معه أمـا تراه لغير مَنْ جمعَهْ

وممّا ينخرط في سلك هذا النّظام قول بعضهم :

يا جامعـاً للمـال يا مانعاً ألـم تثـقْ بالـرّازق الباعث
مَـنْ شحَّ بالمـال علـى نفسه جاد به قهـراً علـى الوارث

١٨٣ ـ أبو الفرج أحمد بن عليّ بن خلف الهمداني

في نهاية الفضل وحسن النّثر وملاحة الشّعر وقد ذكرت له عند أبيه هذين البيتين المرتفعين في الحسن عن النّعت الجاريين مجرى السّحر :

لئن كنْتُ في نظم ِ القـريض[2] مبرّزاً وليســت جدودي يعـربٌ وأياد
فقـد تسجـعُ الورْقـاء وهـي حمَامةٌ وقـد تنطـق الأوتـار وهـي جماد

ولم أكن أحفظ إذ ذاك غيرهم ثمّ اكتبني الشيّخ أبو بكر أيّده الله بعد حين ٍ من الدّهر ما كتبته في سويداء القلب كقوله :

تعيّرنـي وَخْـط المشيب بعارضي ولولا الحجول البيض لم تحسن الدّهم[3]
حنى الشّيب ظهري فاستمرّتْ عزيمتي ولـولا انحنـاءُ القـوس ما نفـذ السّهم

---

(١) تضنّ به : تبخل وتحرص عليه .

(٢) القريض : الشعر .

(٣) الدُهم : ثلاث ليالٍ من آخر الشهر القمري .

وكقوله :

ولــربَّ كَرْمٍ نقلنــا أعنابه ... وشرابنــا حلــبٌ له مختوم
فجمعــت بين الامّ فيه وبنتها ... عمــداً لكي يتضــاعف التّحريم

وكقوله من قصيدةٍ فريدةٍ بديعةٍ جداً :

لا تعذلينــي إنْ ذكرت كثيبا ... ومنعّمــاً غضّ الجمــال ربيبا
ومنــازلاً قضّيتُ بين خيامها ... عيشــاً كمــا يرضــى التّصابــي طيبا
لولا اشــتياقُ الالف لم ترَ طائراً ... يوفــي علــى غصــن الأراكِ[1] خطيبا
ولقــد ترنُّ القــوس وهــي صليبةٌ ... من أن تُفــارق سهمَهَــا فتغيبا
وكفــاك من شرف الهــوى تقديمنا ... أبــداً علــى مدح الملــوك نسيبا
مهــلاً فلسْــتَ ترى الفتــى ذا همّةٍ ... طمّاحــةٍ حتّــى تراه طروبا
أمّــا ترانــي فقــد ولهْــتُ صبابةً ... ورأيت رأى العاشــقين مصيبا
فلــربَّ يومٍ قد حجبــت سماءَهَ ... بعجاجــةٍ[2] تذر الشّبــاب مشيبا
غادرتُ صدر السّمهــريّة[3] مرعداً ... وثنيتُ في قلــب الخميس[4] وجيبا[5]
سرْنــا فســارت للنّســور عصائبٌ ... ترجــو مقامــاً للكمــاة عصيبا
وقّيننــا شمس النّهــار وصــرْنَ من ... دون الهجير[6] سُرادقــاً مضروبا
فليجــزينّ صنيعهــا بفوارس ... تقتــات منهــم أعينــاً وقلوبا
وأبــي الّــذي شهــد الــكرام بأنّه ... أوفاهــم في المكرمــات نصيبا
هوبــي اذا الأبنــاء عدّوا مُنجبٌ ... وبــه أعــدّ اذا افتخــرْتُ حسيبا

(١) الأراك : شجر طيب الرائحة .
(٢) العجاجة : كثرة الصراخ .
(٣) السمهرية : من الرماح .
(٤) الخميس : الجيش من فرقٍ خمس .
(٥) الوجيب : الخفقان والرجف .
(٦) الهجير : الحرّ الشديد ، وهو الوقت الذي تكون فيه الشمس ظهراً .

كالبحر ولّد درّه والغيث أنـ ... ـبت روضه والمسك أبدى طيبا
أصلٌ وفرعٌ طيّبان كلاهما ... ما فيهما أمرٌ تراه معيبا

وكقوله في حال انقضت :

قرّبا الأشقرَ الأغرّ فإنّي ... يا خليليّ قد مللْتُ المقاما
ورأيت الثّواء في بلد الذّلّ ... حِماماً[1] وان أمنْتُ الحماما
وتخيّرْتُ للحروب قناةً[2] ... صعدةً[3] صدقةً وسيفاً حساما
فأجيزا عنّي الكؤوس فإنّي ... قد ألفت السّرى وعفت المداما
ودعاني من الأغاريد الاّ ... من طنين السّيوف يَفْلقْنَ هاما
ولخيرٌ من أن نعيش لئاماً ... مستذلّين ان نَموتَ كراما

وقوله من قصيدةٍ :

نشقتُ بأنفاسي نطاف[4] المناهل ... فأخلفتُها دمعي بسحبٍ هواطل
ورُحْت بقلب في الظّعائن سائرٍ ... حثيثٍ ودمعٌ بالأباطح سائل
وأنكر جاراتي خضاب ذوائبي ... وهنّ به زيّن بيض الأنامل
فيا عجبا منهنّ ينكرْنَ باطلاً ... عليّ ولم يحلين الاّ بباطل
وكنت متى أبدي النّصول[5] بياضها ... رأيتُ نصولاً ركبت في مقاتلي
فسلّ مشيبي من خضابي كأنّما ... تسلّ من الأغماد بيض المناصل

وقوله من أخرى :

شكرٌ لآلآءِ الوزير فإنّه ... أحيى نفوساً قد كمدن تروّعا

---

(١) الحمام : الموت .
(٢) قناة : رمح .
(٣) صعدة : مستويةً لا تحتاج إلى تقويم .
(٤) نطاف : الماء السائل قليلاً .
(٥) النصول : السيوف .

ولئـن تبقّـت لي مآرب لم أزل لنـداه في انجازهـا متوقّعا
يأبـى حيائـي أن أطيقَ بيانَها وعـزوف[1] نفسـي أن أرى متوجّعا
ولأنـت تعلـمُ ما أريد فوقّني[2] ذلَّ السـؤال وجُـدْ به متبرّعاً
وإذا الفتـى سبـق السّـؤال بفعله كان الّـذي يأتيه أحسـن موقعا

وقوله :

تلـوم اميمـةُ انّـي سخوت سيصغـي الـى لومهـا الألأم
أأمنـع ما ملكتـه يدي ويخلـع خلّتـه الأرقم[3]
فيمنـح من جسمـه بعضه ويعظـم في عينـي الدّرهم
إذاً هو أولـى بنيلِ العلى وموقفه في النّـدى أكرم

وقوله :

ولـي أنمـلُ[4] تغنـي وتفنـي كأنّها مسـار غمـامٍ او مثـار حِمام
فمـا انبسطَـتْ الاّ لاغنـاءِ مقترٍ[5] ولا انقبضَـتْ الاّ لهـزّ حسام

وقوله في الزّهد :

في ظلام الدّجـى وضـوءِ النّهار آيةٌ للمهيمـن الجبّار
فلكٌ دائـرٌ وقطـبٌ مقيمٌ ونجـومٌ تجـري بغيرِ اختيارِ
وسمـاءٌ قامـت بغير عمادٍ فوق أرضٍ رسـتْ بغيرِ قرار
وصـعيدٌ[6] يحـول نبتـاً نضيراً مونـق الـرّوض مورق الأشجار

---

(١) العزوف : الامتناع والترك .
(٢) وقّني : من الوقاية أي اكفني وامنعني .
(٣) الأرقم : السام من الأفاعي .
(٤) الأنمل : الأصابع ، كناية عن الكفّين .
(٥) المقتر : الفقير .
(٦) الصعيد : الموضع الواسع العريض ، أو المرتفع من الأرض .

شربــه واحــدٌ وألوانــه شتّـ ـى فمــن أصفــرٍ ومــن جلّنار
شهــد الرّاسخــون في العلـم طُرّاً[1] إنّ هذا من صنعــة الجبّار
خالـقُ الخلـقِ باسِطُ الـرّزقِ فيهم مالكُ الملك عالـمُ الأسرار
فهــو الواحــد الحــكيمُ تعالى عن شبيهٍ وعــن شريكٍ وجار
وهــو ذاك الّــذي اذا خفْـت أمراً قلــتُ يا ربّ نجّنــي من حذاري
فإذا زال ما أخــاف وأخشى عدتُ في سكرةٍ وفــي إصرار
أيّهــا الغافلــون عن نُوب الدّهـ ـر وناســون سطــوة الأقدار
إنّ هذي الــدّيار قد نُزلَـتْ قبـ ـل وحُلّــت فأين أهــل الدّيار
أين أين الملــوك في سالفِ الدّهـ ـر ومــا أثّــروا من الآثار
كلٌّ ذي نخــوةٍ وأمــرٍ مطاعٍ وامتنــاعٍ وعســكرٍ جرّار
ملـكوا برهــةً فســادوا وقادوا ثمّ صاروا أُحدوثــة السُّمّار
لم تخلدهم الكنــوز الّتــي قد كنّزوهــا من فضّــةٍ ونُضار[2]
لم تغْنهــم[3] يوم الحســاب ولكن حملــوا وزرهــا مع الأوزار[4]

١٨٤ ـ أبو الحسين الحسني الهمداني

هو والد عبّاد سبط الصّاحب وكان بهمدان في الشّرف والجاه واليسار كيحيى ابن عمر العلوي ببغداد وفي الأدب والشّعر كالرّضيّ والمرتضى الموسوّيين بها وكان الصّاحب يفتخر بمصاهرتـه ويتشـرّف بمواصلتـه وكان من أعظـم الرّؤسـاء مروءةً وأوسعهم رحلاً وكان له ندماء فضلاء ادباء لا يُغبّونه ولا يغيبون عن مائدته وكان يسأل كلّ واحدٍ منهم عمّا يتشهّاه من الأطعمة فيأمر الطّبّاخ باتّخاذه واحضار جميعه فيأكل بشهواتهم وقال لهم يوماً تعالوا بنا نتكرّم اليوم فقالوا وأيّ يومٍ لا يتكرم سيّدنا فيه قال

---

(١) طرّاً : قاطبةً .
(٢) النضار : الذهب .
(٣) لم تغنهم : لم تنقذهم وتقدّم لهم المساعدة .
(٤) الأوزار : الآثام .

نتكرّم من الكرم لا من الكرم قالوا كيف تعمل قال نستغرق مرافق الكرم ومنافعه ومصالحه فنستوقد بقضبان الكرم ونتّخذ سِكباجة وقليّة حِصْرميّة وحلواء دِبْسيّة ونشرب العيني ونتنقل الزّبيب فقالوا لا اختيار على هذا الرّأي فأمر بذلك كلّه وطاب يومهم وكنت علقت له أبياتاً ضاعت وعلق بحفظي منها قوله في جاريةٍ تحمل شمعة :

خطرت[1] لنا قبل العشاء بشمعةٍ تحكي بها شكل القنا الخطّار[2]
فكأنّما طعنَتْ بها عشّاقها فتكلّلتْ بدل النّجيع[3] بنار

وقوله من قصيدةٍ :

أعينا على تسويفه[4] واعتلاله وتكديرها بالهجر ماء وصاله
لئن كانتِ الأيّام ضنّتْ بقربها فإنّ اللّيالي اسعفَتْ بخياله

ومنها :

ينفّر عنه النّفس سوء فعاله ويدعو اليه القلب فرط جمالهِ
ألا رُبّ يومٍ قد نعمْتُ بقربه إذا العيش في ريعانه واقتبالهِ

ومنها قوله من قصيدةٍ صاحبيّةٍ :

إنّي وإنْ كنت مَنْ يُدنيه أبطِحه الى الفخار وتنميه أخاشبه
حتّى تعلّيه طوراً فواطمه الى النّبيّ وأطواراً زيانبه
لعبد أنعمك اللاّتي ملأن يدي طولاً وميّزتني عمّن أناسبه

---

(١) خطرت : مرّت بدلال .
(٢) القنا الخطّار : الرمح النافذ .
(٣) النجيع : الدم .
(٤) التسويف : المماطلة في الوعد .

وكتب الى الصّاحب مع طبق فضةٍ فيه من ندّ الملوك وذلك قبل العيد :

العيد زارك نازلاً برواقك   يستنبط الاشراقَ من اشراقك
فاقبل من النّد[1] الّذي أهديته   ما يسرق العطّار من أخلاقك
والظّرفُ يوجبُ أخذه مع ظرْفه   فأضفْ به طبقاً الى أطباقك

والجواب عنه في نهاية الظّرف وقد ضاع في جملة ما ضاع ، وسهم الرّزايا بالذّخائر مولع ، ولئن عثرت عليه الحقته بحاشية هذه الورقة ان شاء الله تعالى .

١٨٥ ـ أبو الحسين التَّغْلِبيّ

أنشدني الشّيخ أبو بكر أيّده الله قال انشدني ابن أبي علاّن الأهوازي لأبي الحسين التّغلبي في مدح الصّغار من قصيدةٍ :

وإذا رمقْتَ[2] بحلظِ طرْفك في العلى   نجماً صغيراً فهو فوق الأنجم
وصغيرة الخمس الأصابع انّها   أولى بزينة خاتمِ المتختّم
والرّمح أصغر عقدةٍ فيه الّتي   عند السّنان وذاك صدر الهذم[3]
وكذلك الدّينار يُصْغر حجمه   وهو الثّمين تراه فوق الدّرهم

وأنشدني غيره في أمردٍ متكبّرٍ :

تكبّر لمّا رأى نفسه   على هيئة الشّمس قد صُوّرَتْ
سيندمُ ألفاً على كِبرِهِ   إذا الشّمس في وجهه كُوِّرتْ[4]

---

(١) النّد : عودٌ طيب الرائحة .
(٢) رمقت : نظرت وتطلعت بغنجٍ ودلال .
(٣) الهذّم : السيف القاطع .
(٤) كورت : جمعت ولفّت كما تلفّ العمامة .

١٨٦ ـ الخليل بن أحمد القاضي السَّجْزي

من أفضل القضاة وأشهر أدبائهم وله شعر الفقهاء كقوله :

الشّيبُ أبهى من الشّباب فلا تهجّنْه بالخضابِ
هذا غرابٌ وذاك بازٌ والبازُ خيرٌ من الغرابِ

وقوله :

من أراني في غلوٍّ في الجفا ما لم اره
فانتقامي منه أن أخجله بالبرّ به

وقوله في الهزل :

إذا نامتِ العينان من متيقّظ تراخَتْ بلا شكّ تشانيج فُقحته[1]
فَمَنْ كان ذا عقلٍ سيعذز ضارطاً ومَنْ كان ذا جهلٍ ففي وسط لحيته

وقوله في الجدّ :

جنبي تجافى عن المهاد خوفاً من الموت والمعاد
مَنْ خاف من سكرةِ المنايا لم يدرِ ما لذّة الرُّقاد
قد بلغ الزّرع منتهاه لا بدّ للزّرع من حصادِ

١٨٧ ـ أبو درهم البَنْدَنيجي

أنشدني الشّيخ أبو بكر أيّده الله تعالى له من نتفةٍ :

متى ما أقل مولاي أفضل منهم أكن للّذي فضّلته متنقصا
ألمْ ترَ أنّ السّيف يزري به الفتى إذا قال هذا السّيفُ أمضى من العصا

---

(١) فقحته : فتحة المؤخرة .

وله أيضاً :

ألـم تر هذه الـدّنيا حُطاماً توقّـد بيننـا فيه الحروب
إذا نافسـتَ فيه كسـاك ذُلاّ ومسّـك في مطالبـه اللّغوب

١٨٨ ـ أبو محمّد يحيى بن عبد الله الأرْزَنيّ

أحد مدرّسيّ اللّغة ببغداد واصحاب الخطوط بها حدّثني ابو الفضل التّميمي قال كنت يوماً معه في دار بهاء الدّولة فجلسنا على برجٍ منها مُطلّ على دجلة مع فتىً أسمر مليح وأخذنا نشرب من نبيذ التّمر فارتجل أبياتاً منها :

كأنّـا علـى البـرج المطـلّ غُديّةً لنـا منـزل بين السّمـاكَيْن والنّجم
ومـن دوننـا فيحـاء قد نسجَـتْ لها يد المزْن أفوافـاً من الوَشْـي والرّقم[١]
ودجلـةَ تحـكي في اطّـراد حُبابها[٢] مضاعفـة التّسـجين محكمـة النّظم
وكاساتنـا تجـري بسـوداء مالها إذا انتسبَـتْ غير الاشـاءة[٣] من امّ
ولـو كان في عمـر الحبيس معرّسي[٤] إذاً لأتـت صهبـاء من حلـب الكرم

[الحبيس كان من بلاد الشّام أو الجزيرة]

ولكنّمـا أزرى بنـا أنّ دارنا ببلـدة لا خالٍ يعـدّ ولا عمّ
بلى قد زهاهـا أنّ لونـك لونُها فجاءت تضاهي المسكَ في اللّون والشمّ

وأنشدني غيره له في امرأةٍ تزوّجها فلم تحمدها وشبّهها بالنّرجس ذامّاً لها :

أبنت أبـي إسحـق هل أنـت نرجسٌ فإنّ كلا شخصيكمـا متماثلُ
فساقـاك خضـروان والـرأسُ أبيضٌ ووجهـك مصفـرٌّ وجسمـك ناحلُ

(١) أفوافاً من الوشي والرقم : أثواباً رقيقة شفّافة موشحة بالوشي والطرز .
(٢) الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر .
(٣) الأشاءة : أشاء أشاءة : أي التجأ اليه .
(٤) التعريس : نزول المسافر للاستراحة .

١٨٩ ـ أوحد الملك أبو طاهر الحسن بن أحمد بن حَسّول

يلقب بالأستاذ أوحد الملك ويرشّح للوزارة ومحلّه محلّ الوزراء وهو ابن عمّ الأستاذ صفيّ الملك أبي العلاء وله بلاغة بالغة وشعر مع قرب لفظه بعيد المرام مستمرّ النّظام كقوله :

اشربْ فقد أقبل الرّبيع بلا مَطلٍ وخلٌّ العذول في تعب
وسقّني قهوةً معتّقة كأنّها جذوةٌ من اللّهبِ
وانظر الى ألسن الرّياض وقد نضنضن يتلو عوارف السّحبِ
كأنّ أشجارها منوّرةً منقوطةٌ بالكواكبِ الشّهبِ
تسري اليها الشّمال مدنفةً مسرى شفاءٍ الى أخٍ وصِبِ[١]
كأنّما النّرجسُ الجنيّ اذا منحته اللّحظ طرف مرتقب
والورق مثل القيان في كللِ الـ أغصان يوقظْنَ هاجد[٢] الطّرب
وخلّني واسْخُ بي على رشأٍ خلّي دموعي مفضوضة السّحبِ

وكقوله :

وأغيد يهجرني دائباً ويمنحني الطّيف من سُخطه
كأنّ الثّريّا وقد صوّبت قبيل التّبلُّج[٣] مِن قُرْطه

وله من رسالةٍ :

عاقتْني عن زيارة مولاي الأنواء[٤] مضاهية تدفّق بنانه بالعطاء وتموّج بحره بالحباء المرتوية من الأنداء ارتواه من الكرم والحياء ثمْ صدّني ايضاً ما نحن بصدده في

(١) الوصب : المرض السقيم .
(٢) هاجد : النائم أو المصلي .
(٣) التبلّج : الطلوع والاشراق .
(٤) الأنواء : الأعاصير .

المعسكر المأهول من الخطر المهول والوحول الّتي تسوخ فيها أثباج الفيول فضلاً عن الخيول .

ومن أخرى :

غرست في فنا مولاي آمالاً متهدّلة الأفنان مخضلّة الأغصان فلم استثمر منها إلاّ التأخرّ عن جماعةٍ لم يجرؤا في الخدمة والطّاعة الى أمدٍ معي ولم يضربوا في الغناء بمثل قِدمي ومن أخرى :

ومعاذ الله ان استعدى على كرمة إلاّ بكرمه ولو أحوجت الى استفاف الثّرى أو يشاهد منّي غير الثّناء ولو أزار نعرتي حدّ الظبي .

ومن اخرى :

قد شاهدت عهود الصّبا حاضرةً وأغصان الشّبيبة ناضرة .

١٩٠ ـ القاضي أبو علي عبد الوهاب بن محمّد

امامٌ قد غزر علمه ونقى جيبه وسلم غيبه ولم يدنسْ ذيله واستوى في النّزاهة نهاره وليله ولا عهد لنيسابور بمثله في الزّهد والورع[١] والبعد عن الطّمع وربما يقول شعر ادباء الأيّمة كقوله وانشدنيه له الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست أيّده الله قال أنشدني لنفسه :

شبـابٌ أنسْـتُ بأيّامه فولّـى بأيّامـه وانقضى
وأورثنـي عنـه شيبـاً أضاء كصبحٍ أتـى بعـد ليلٍ مضى

قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

ما في شكاية مَنْ به بعض الأذيّة من حَرجْ
والصّبـر أجمـلُ بالفتى والصّبـرُ مفتـاحُ الفَرَجْ

---

(١) الورع : العبادة والتقوى .

١٩١ ـ الحاكم أبو علي الحسن بن منصور بن العلاء الدَّرابجرديّ النّيسابوري

من شبّان الحكام سنّاً ومشايخهم علماً وفضلاً وكأنّ البحتري يعينه بقوله :

وشبيبــةٍ فيهــا النّهــى فإذا بدت ... لذوي التّوسُّــم[١] فهــو شيبٌ أسود

وله أدب من ثماره شعر حسن كقوله في الغزل :

تجلّتْ كمثلِ الشــمس فوق جبينها ... سلاسـل من مسـكٍ عُقّـدن علــى درّ
إذا نظمَــتْ تحــت العقيق لثالثاً ... نشـرَتْ يواقيت الجفــون علــى تِبر

وقوله :

وإذا مررتَ بموضــعٍ مرّت به ... خلــتَ التّــراب غدا فتيت العنبر
أرجــاً[٢] علــى أرجائــه وكأنّما ... خلــط العبير به بمســكٍ أذفر[٣]

وقوله :

ولمّــا تداعــوا للــرّحيل وودّعوا ... وظـلّ حُداة العيس[٤] توضــع بالوخد
تردّدت في تلك المــواقف باكياً ... ومعــكتُ في آثــار أخمصهــا خدّي

وقوله في الرّبيع من نتفةٍ :

قد طال لبثْــكَ في البيوت كثيراً ... فاعـزمْ الــى صحــن الفضــاء مسيرا
وانهضْ الـى حسْنِ الـرّياض وطيبها ... تشتــمّ مسْــكاً بينهــا وعبيرا
راقَــتْ بدائعهــا فصــرْنَ كأنّما ... ألبسْــنَ من حللِ الجنــان حبيرا[٥]

---

(١) التوسُّم : التطلع والتأمّل .
(٢) أرجاً : عبيراً من الرائحة الذكية .
(٣) الأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت .
(٤) العيس :النوق والجمال .
(٥) حبيرا : ثياباً مخططة تصنع من الكتان أو القطن .

فاحــت روائحهــا وفــاح نباتها　　في القلــب نوراً ساطعــاً وسروراً

وقوله في الخريف :

جمــع الزّمــانُ محاســنَ الألوانِ　　وافتــرَّ عن بشــرٍ وطيب أوان
واهتــزّ اعطــاف الهــواء كأنّما　　تحــكي الهــواء تمــايل النّشوان
وامتــدّ ظلّ اللّيل في أطرافها　　مثــل امتــداد مواقف الهجران
فانظــر الــى حســن الزّمــان وطيبه　　وتلــوّن الأشجــار بالألوان
من بين أحمــر قد علاه وأصفرٍ　　مثــل العقيق تُطمْــنَ[1] بالعقيان
وتمايلــتْ تلك الغصــون فأشبهَتْ　　يوم الــوداع تَعانُــقَ الخلاّن
تتطــاير الأوراق في أفــق الهوا　　قلقــاً كقلــب الهائــم الحيران
خلــع الرّياح علــى الــرّياض نثارها　　في أطيب الأوقــات والأزمان
يا طيب ذاك العيش في أرجائها　　لو نام عنها أعين الحدثان[2]

١٩٢ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد الحميري

من وجوه العمّال بنيسابور أديبٌ فاضلٌ شاعرٌ يقول في أبي علي الزاهر الشّاعر البلخي الّذي وقع يسير من شعره في اليتيمة[3] :

لنــا صديقٌ شعــرُه داجنٌ　　لا يألف الأسفــارَ والغربهْ
لكنّنــي أنشــده راعياً　　لحقّــه في قدم الصّحبهْ

ويقول في الغزل :

وأغيد ســاحــر الألحــاظ أدعج[4]　　يتيه علــيٌّ بالخــدّ المضرّجْ[5]

(١) تطمن : تسكنّ .
(٢) الحدثان : الليل والنهار .
(٣) اليتيمة : ج ٤ ص ٢٩٦ .
(٤) أدعج : من كانت عينيه شديدة السّواد واسعة.　(٥) المضرج : أي المورّد .

أفاض على فؤادي الوجد لمّا أضاف الى شقائقه البنفسجْ

ويقول أيضاً :

أبو الفضل أخو النّقـ ـص وعمّ الخرق[1] والجهلِ
حمارٌ من بني آ دم محمولٌ على بغلِ

١٩٣ ـ أبو القاسم عليّ بن الحسين الاليماني

أصله من الرّيّ وكان مقامه بنيسابور بعد تركه التّصرّف وكان يقول شعراً مليحاً ظريفاً كقوله في استقبال رئيسٍ :

كيف أستقبلُ من حيث مضى طار قلبي معه في سفرهْ
فهو في غيبتِهِ يخدمه مثل ما يخدمه في حضرهْ

وكقوله في وزيرٍ :

سيرة الشّيخ سيرةٌ مذكورهْ وأياديه بيننا مشكورهْ
إذ لديه محلّ كلّ كريم كمحلّ الكلاب في المقصورهْ

١٩٤ ـ الأمير أبو القاسم عليّ بن عبد الله الميكالي

أكبر أبناء الأمير السّيد أبي الفضل أدام الله عزّه وأدبهم وأعلمهم وهو في الكرم هُمام وفي الطّب امام وله شعرٌ لم يخرج بعد لأنّه لا يظهره ترفّعاً عنه وسوء ظنّ به فممّا اختلسه حفظي منه قوله في شدّة الحرّ :

كأنّنا والهجير يطبخنا والبقّ تقتات كلّ ما نضجا
طبخ صيامٍ يراقبون به أدراكه والظّلام أن يلجا[2]

(١) الخرق : الطيش والنزق .

(٢) يلج : يدخل ويحلّ .

وسألحق ما أجده من غرره بهذا الكتاب ان شاء الله تعالى

١٩٥ ـ الأمير أبو العباس اسمعيل بن عبد الله

كثير المحاسن غزير الفضائل كريم النّفس شريف الطّبع كتب الى الأمير أبيه أيّدهما الله وكان خرج الى ناحيةٍ أبياتاً منها :

ولو أنّي غداة البين[1] أغدو امام الخيل في خدم الأميرِ
للاحتْ لي تباشيرُ الأماني وهشّتْ لي أسارير السّرورِ
ولكنّي لقيد الاذن منه أقمت وجدّ قلبي في المسيرِ

١٩٦ ـ أبو الحسن عليّ بن عبد الله الدّلشاذي

من كتّاب ديوان الرّسائل بالحضرة حرسها الله يتناسب وجههُ وخطّهُ وشعرهُ حسناً وسنّه فويق العشرين وهو من أهل البيوتات بنيسابور يقول في غلام جنديٍّ :

يا من حوى جدّ القتال وهزله وسبى الورى بحسام طرفٍ سلّهُ
صدغاه مثل الصّولجان وخدّه ميدانه وقلوبنا كُرةٌ له

١٩٧ ـ أبو منصور عبد الرّحمن بن سعيد القائني

أنشدني الشّيخ أبو بكر أيّده الله له :

يا مَنْ تخطّا الى داري فأخطاني طوباي طوباي لو قد كنت في الدّار
لو أنّ لي ألف دينارٍ وكان معي نثرتُ بين يديه ألفَ دينار

(١) غداة البين : يوم الرحيل والفراق .

١٩٨ ـ السّلاميّ المقيم ببخارا

له ملحٌ ظريفةٌ كقوله :

قال السّلامـيّ محنتـي عجبٌ أصغرهـا في القياس أعظمُها
مَنْ ذاك انّـي اشتـريت جاريةً خادمةً لي فصرْتُ أخدمها

وكقوله :

قال السّلامـيّ إذا شئْتَ أن تبصـر محرومـاً ومسكينا
فذاك مَنْ لم تَر في كُمّه في زمـن البّـطيخ سكّينا

١٩٩ ـ الأصمعي المقيم بها

لمّـا استـوزر الشّيخ أبـو الحسين محمّـد بن كثير رحمـه الله ببخـارا قال الأصمعي :

صدرَ الـوزارةِ أنـتِ غيرُ كثير لأبـي الحسين محمّـد بن كثير

فأعجـب به الصّـدور والسّامعـون واستحسنـوا قرب المأخـذ وسهولة المطلع ، وممّن ذكر الكنية والاسم واسم الوالد والبلدة في بيت واحد أبو القاسم الأليماني حيث قال :

إلى الشّيخ الجليل أبـي عليٍّ محمّـدِ بن عيسـى الدّامغاني

وممّن ذكر الاسم واسم الأب واسم الجدّ واسم جدّ الأب أبو الحسين بن بلقين في قوله لأبي الفضل العارض بالرّيّ :

أنّـا نرى للملك بعـد حوادثٍ حدثـت به وتصرّفَـتْ أطوارا
في ظلّ راية زيدِ ابـن محمّـد بـ ـن علـيّ بن القاسـم استقرارا

والأصل في مثله قول الأوّل :

ان يقتلـوك فقـد ثللـتَ[1] عروشهم   بعتيبـة بن الحـرث بن شهاب

وممّا يستظرف من شعر هذا الأصمعي قوله :

قد ارتهنـتْ قلبـي غداة لقيتها   وقد هيّجت شوقـي الى القمـر السّعد
سرخسيّة الألحـاظ مرويّة الحشا[2]   بخـاريّة الألفـاظ بلخيّة القدّ

٢٠٠ - أبو علي الحسين بن أحمد الاسفرايني

من حسنات اسفرائن وأفرادها عقلاً وفضـلاً وكتابـةً وظرفـاً ومعرفـةً بالنّجـوم يقول :

يا أيّهـا الشّيخُ الجليلُ الّذي   في غير مغنـاه يذلُّ العزيز
طال مقامـي وانتهَـتْ غربتي   ومسنّـي الضـرُّ وأنـت العزيز

ويقول :

قد قلـت لمّـا أن كسـاه الرّدى   يوم الثلاثـا بردة[3] الهالك
يا ملكَ المـوتِ تسلّمته   منّـي فسلّمْـه الـى مالك

٢٠١ - أبو نصر المُهَلَّبي القائد

شاعر اسفرائنيّ المولد عراقيّ المنشأ صحب أعـراب البـوادي وأخـذ عنهـم وتفاصح متشبّهاً بهم وكتب الى الشّيخ الامـام الموفّـق أيّده الله وقـد تتابعـت عليه امراضٌ في شبيبته :

---

(١) ثللت : هدمت .
(٢) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع .
(٣) البردة : الثوب والعباءة .

أقـول لأصحابـي وقـد قال بعضهم ... أرى نفسـه في لُجَّـة المـوتِ تغْرقُ
عزيزٌ عليكم أن يمـوت فتـىً له ... لسـانٌ بحـدّ الهنـد وانـيِ ينطقُ
لئـن غبْـت عن مغنـاك يا بن محمّدٍ ... بمـوتٍ فكم جيبٍ علـيّ يُشقّقُ
وكم من سريرٍ زيّنته يد العلى ... بريحـان فضلـي في الاقـاليم يخرق
ولـم أرَ من دنياي بعـدُ لذاذةً ... ولـم يتمتّـع بي الغـزال المطوّق
ومـا سرّنـي دسْـتُ العلـى وأنـا الّذي ... بأنجم فضلى سنّـة الشّـمس[1] تشرق

٢٠٢ ـ أبو القاسم هبة الله بن محمّد الاسفرائني الفقيه

أنشدت له في غلامٍ صيدلانيّ :

قد صاد باللّحـظْ مهجتـي غنجٌ ... عذار خدّيه صولجانيّ
ما خلـت كي أتّقـي مخائله ... ان يحسـن الصّيد صيدلانيّ

٢٠٣ ـ ابن هلال العَسْكَريّ

انشدت له من قصيدةٍ :

شقائـق من تحـت أغصـان بانِ ... كمثْـلِ العـرايس من تحـت كلّهْ
ودجلـةُ زرقـاء مثـل السّماء ... وفيهـا زبازبها[2] كالأهلّهْ

٢٠٤ ـ ابو صالح سهل بن احمد النّيسابوريّ المستوفي

هناك من الجمع بين الأدب الدّيوانيّ والشّعر الكتابيّ وتقدّم القدم في براعة الصّناعة ما لا خفاءَ بمكانه وله ديوان شعر كتبت منه قوله في ابي سعد بن ارمك من

(١) سنّة الشمس : وجهها .
(٢) زبازب : نوع من السفن .

قصيدةٍ مهرجانيّةٍ مطبوعة مصنوعة. :

سلك ابـن ارمـك للسّمـاح مسالكا لو مرّ فيهـا حاتـم لم يهْتدِ
وسمـا بهمّتـه الّتـي قد ذلّلتْ هام السّمـاك وقرن سعـد الأسعد

ومنها :

تهـدى إليك طرائف وهديتي حلل الثناء عليك تنشرهـا يدي
تفنـى الهـدايا وهـي باقيةٌ على مرِّ الزمـان بقـاءَ نقش الجلمد[1]
غرّاء بكراً صنتهـا عن غيره وزفَفْتهـا نحـو الأغـرّ الأصيد[2]
مهـرج[3] علـى يمـنٍ وطـول سلامةٍ ودوام عافيةٍ وعـزٍّ سرمد[4]

وقوله في سنّة الأفاضل من قصيدةٍ :

دهانـي الشّتـاء بضيق اليد وأنسانـي الشّغـل بالخُرَّدِ[5]

ومنها :

وممّـا أسـاء له عُطلتي ودَين أقضّ له مرقدي
كأنّ الزّمـانَ وهجْـرَ الحبيب وبـردَ الشّتـاء وضيقَ اليدِ
تجمّعْـنَ ثمّ ترصّـدنَ لي فوافين منّـي علـى موعدِ

وهي طويلةٌ في السّهولة والعذوبة ومن حقّهـا أن تُكتَـبَ كلّهـا دون بعضهـا وكذلك سائر فقره وله من سذَقيّة في بعض أصحاب الدّواوين :

اذا حدّثَ المـرءُ عن فضله أصاخـوا اليه وقالـوا صدَقْ
كفـى أمـر ديوانـه وحده وقـام بواجبـه فاتّسَقْ

---

(١) الجلمد : الصخر الأصم .
(٢) الأصْيَدْ : السيد ، الملك .
(٣) مهرج : أي افرح وابتهج ، من الهرج .
(٤) عزٌّ سرمدي : عزٌّ أبدي .
(٥) الخرّد : الفتيات العذراوات .

ودبّـر أعمـال سلطانه ودوّج[1] من مالـه ما انغلَقْ

ومنها :

ولـو لم يقيّض لتدبيرها لأضحَـتْ معالمهـا تنمحق
وبـات الـرّعيّة في شقوةٍ وواليهـم لم يكن يرتفق

ومنها :

أرى النّـاسَ يهـدون ما استطرفوا من البـرّ ما جلّ منـه ودَقّ
وكلٌّ بمقـدار امكانهم يقيمـون رسمـاً لهـذا السّذَقْ[2]
وأصبحْـت عن شأوهـم قاصراً فجئْـتُ السّـكيت غداة السّبَقْ
ولـو كان في قبضتـي مهجتي لأنفذتهـا نحـوكم في طبَقْ
ولمّـا تعـذّر ما رمتُه تركْتُ تكلُّفَ ما لم اطِقْ
ولسْـتُ لأقـدح في همّتي ولـكن تقاصـر عنهـا الورَقْ

وله من قصيدةٍ ربعيّةٍ فهي كما تراه كتابة معقودة بالقوافي كشعر البحتريّ :

أمـا ترى الدّهر في أثـواب جدّتهِ قد عاد فينـا فتيا بعـد ما هرما
تحـكي البسيطـة جامـاً من زبرجده خضراء حيث وضعت النعل والقدما
كأنّمـا ألبسَ الـدّنيا لبهجتها حَلياً من النّـوْر والنّـوار منتظما
فاشرَبْ على وجهها صهبـآء[3] صافيةً واستسمـعِ الـطّيرَ والأوتـار والنّغما
وانعـمْ بيومـك هذا وارعَ ذمّته فانّ مثلك يرعـى الحـقّ والذّمما
امّـا الـرّبيعُ فقـد أحيى الرّبـى فغدا وجه الثّرى عن صنوف الدّهـر مبتسما
كأنّمـا الأرض تجلى وهـي ضاحكةٌ والجـوّ من غيره تبـكي لهـا ديَما[4]

(١) دوّج : مشّى وفتح لها أبواب العمل .

(٢) السذّق : نسبة الى السذقية إحدى البلدان

(٣) صهباء : خمرة .

(٤) ديماً : سحباً ممطرة .

وأصبح الـرّوض ذا شكرٍ لنعمته كمثـل شكريك اذ أوليتنـي نعما

وله من مهرجانيّةٍ :

جـآءك المهرجـان أطيبَ وقتٍ يتقاضـاك ما هو المعهود
من سمـاعٍ يزيد في الـرّوح روحاً وغنـآءٍ يصبـو اليه الوليد
وشـرابٍ كأنّـه المسـك نفْحاً طيّب الطّعْـم زانـه التّوريد

وكتب الى صديق له في حاجةٍ :

يا قاضـيَ الحـاج لاخوانه ومشتـري الحمْـدَ باحسانه
يا مَنْ اذا عنّ لنـا مشكلٌ فرّجـه عنّـا بامكانه
خادمـه يسألـه حاجةً تخفّ في كفّة ميزانه

وله في أيّام العجوز :

اليوم يومُ اعتكافٍ وليس يوم بُروز
ويوم بيت دفىءٍ ويوم لبس الخزوز
ويوم عزفٍ وقصفٍ ويوم شربٍ بكوز
فـانّ يومـك هذا عنـوانُ بردِ العجوز

وله في استبطاءِ عامل في اقامة مرسومةٍ لحقّ الحساب :

يا ايّهـا الشّيخُ الّـذي برّه ابطـأ عنّـي بعـد طول انتظار
أغفلـة ألهتـك أم نيّة نَويْتَ في تأخير رمـى الجمار
اذا انقضـى الغـرْس فلا مرحباً بالخـرفيّات الّتـي تستعار

وله في المهرجان :

أسعـدْ بيوم المهرجان واشـربْ علـى نغـمِ القيان
لا زلْـتَ يا عينَ الزّما ن تُصـان عن عين الزّمان

وله في رئيسٍ منكوبٍ :

يا سيّدَ الصّدرِ الّذي ... شهد الصّدور على بهائهْ
ان كان نابك حادث ... فلتصبرَنّ على بلائهْ
فالبدرُ يكسف ساعةً ... لكن يعود الى انجلائهْ

وله في الشّرب الدّواءِ :

شربتَ الدّواء فهنيته ... والبسْتَ من شربه عافيهْ
ولا زال جسمك في صحّةٍ ... وآثار أسقامه عافيَهْ

وله ترجمة فارسيّة :

خضت بنا المآء مع الخفِّ ... تركتنا نغرق في جُرف

وله في محرّرٍ ردىء الخطّ :

اقبحْ بخطِّ محرّرٍ أقلامه ... لعنتْ أنامله اذا ما حرّرا
فكأنّ ما مجّتْ[1] به أقلامه ... آثار أبقع[2] حيث يبحث عن خرا

وله في كاتبٍ ادّعى الحساب :

يا كاتباً يدّعي الحسابَ وقد ... أوتي عُجباً بحسن تخطيطِ
دعْ عنك ذا العُجْب لست تفرق ... ما بين القناطير والقراريط

اذا أخذْتَ الحساب تكتبه ... مقيّداً شكله بتنقيط
حكيت ذا حرفةٍ يقال لها التّـ ... ـوقيع في الظّهر بالمشاريط

---

(١) مجّت : من مج يمج الشراب : يقذفه ويرمي به .
(٢) الابقع : الغراب.

٢٠٥ ـ حيدر الخجنديّ

استصفع بقوله :

مـــا ان سألــتُ الله مذ ايقنت نفســيَ انّ الــذلَّ تحــت السّؤال

وانّما كتبته تعجبّاً من خُرقه وحمقه في التّرفع عما يَدين به أفضل العالم وسيّد ولد آدم نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ونظيره في الجهل الـكثيف والعقـل السّخيف الصّوفيّ الّذي كان اذا ذكر الله سبحانه لا يقول تبارك وتعالى ولا عزّ وجلّ فاذا قيل له في ذلك انشد :

اذا صفَــتِ المــودّة بين قومٍ ودام اخاؤهــمَ سَمُــج[1] الثّناءُ

٢٠٦ ـ ابو الحسن الآغاجي

هو أشهر في شعر الفارسيّة وفرسانهم من المجرّة وله ديوان شعر سائر في بلاد خراسان وربّما ترجم شعر نفسه بالعربيّة كقوله :

ان شئْــتَ تعلــمِ في الآداب منزلتي وانّنــي قد غذانــي العزّ والنّـعمُ
فالطّرف والقوس والأوهاق[2] تشهد لي والسّيف والنّـرد والشّطرنـج والقـلمُ

وقوله في بلخ :

وبلــدةٍ قد ركُّب اســمٌ لها من أحــرف البخل هي بلخْ
والعيش فيهـا كاسمهـا مبدلاً من بائهـا تاءً وذا تلخ

٢٠٧ ـ ابو بكر محمّد بن عليّ بن احمد العبْدَاني

جمع غضاضة الشّبّان الى أُبّهة المشايخ ولم يرث الفضل والأدب عن كلالةٍ

---

(١) سمج الثناء : أي قبُح واستثقل .
(٢) الأوهاق : حبل في أحد طرفيه عقدة .

فقد كان ابوه ابو الحسن رحمه الله تعالى روضة الأدب وغدير العلم مع وجاهته عند الملوك والصّدور وابو بكر من اهل بيت المعاذيّة بنيسابور وهم هم وله شرف الانتساب الى شرف الاكتساب وشعره في صباه مليحٌ لطيفٌ ووراء طبعه على الأيّام غُررٌ ودُرَرٌ وقد كتبت لُمَعاً من بنات خاطره كقوله من قصيدةٍ :

شموسٌ مغاربهنّ الكللْ ... شققْنَ فؤادي بسهم المقل
وحمّلنني ثقل اردافهنّ[1] ... يا ويحَ قلبي مما حمل
ونادينَ قلبي فلبّى وقال ... عزايَ مع الظّاعنين ارتحل
فيا عينُ جودي ولا تبخلي ... وإنْ كان بالصّبر قلبي بخل
وأدمعها كاثرت في الورى ... أيادي الوزير الكبير الأجلّ

وله من اخرى :

فيا طول انشادي غداة رحيلِهم ... حشاشة[2] نفسٍ وُدّعت يوم ودّعوا
لئِنْ ضاع سرّي بعد ما قد كتمته ... كذلك سرّ العاشقين مضيّعُ
وان طال انشادي مديح محمّدٍ ... فمن طربٍ وُرْق الحمائم تسجع[3]

وله من أخرى :

اذا ما كنتَ ذا رأيٍ سديدٍ ... فلا تغترّ بالدّهر الخؤون
ولا تغضبْ فانّك بين قومٍ ... يقيسون الملائك بالقيون[4]

٢٠٨ ـ ابو الحسن عليّ بن محمّد بن عَبْدونة

يقول من قصيدةٍ :

دموعٌ بما ألقى من الوجد تنطقُ ... وقلبٌ بنيران الصّبابةِ محرَقُ

---

(١) الردف : مؤخّرة المرأة .

(٢) الحشاشة : بقية الروح .

(٣) ورق الحمائم تسجع : الحمائم تغنّي وتهدل .

(٤) القيون : جمع قين ، وهو العبد .

ولو كان لي طرفٌ يحلّ به الكرى		رأيت خيالاً للحبيبة يطرق

٢٠٩ ـ وهذه خاتمة الخاتمة في ذكر الاستاذ الأوحد أبي عثمان اسماعيل بن عبد الرّحمن الصّابوني

وهو هو في الامامة والانفراد عن النّظرآء وتقدّم القدم في الخطبآء وممّا حاضر به من شعره قوله :

طيب الحياة لمَنْ خفّت مؤونته		ولم تطبْ لذوي الأثقال والمؤنِ
هذا يزجّى[1] بيسرٍ عمره طرباً		وذا يذوبُ من الأهوال والمحَنِ
فاجهَدْ لتزهدَ في الدّنيا وزينتها		انّ الحريصَ على الدّنيا لفي حزَنِ
يخوض في غمرات الشّغل ليس له		الاّ الحصول على البغضاء والأحَن[2]
فارغبْ الى الرّبّ في تيسيره سبباً		تنجو به من بلايا حادث الزّمن
فإنه خيرُ مرغوبٍ اليه ومَنْ		يكفي المكاره ذو الآلاء[3] والمِنَنِ

(١) يزجّي : يدفع برفق .
(٢) الآحن : الأحقاد .
(٣) الآلاء : النعم .

قال مؤلّف الكتاب

قد أنجزت ما وعدت ووفّيت بما ضمنْت ووقفت حيث انتهيت من كتاب تتمّة اليتيمة اذ اودعته من بدائع النّظم وأحاسنه ولطائف النّشر وطرائفه ما يستميل القلوب بحدّته وغضاضته ويقف الأهوآء على براعته وحلاوته فكتاب اليتيمة الآن كرأس المال وهذا الكتاب الّذي هو فرّخه وعلاته كالرّبح المستفاد والرّبح أطيب وبالقلب أعلق ونسيمه أعبق ولله الحمد اولا وآخراً على ما أفاض علينا من نعمه وايّاه نسأل الصفح الجميل من الاشتغال بما لا يزلف لديه ولا يقرّب اليه وصلواته على أشرف الخلق وأكملهم سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلامه صلاة وسلاماً دائمين متلازمين الى يوم الدّين ورضي الله تعالى عن التّابعين وتابعيهم .

تمّ

من كتابة العبد الفقير المعترف بالعجز والتّقصير الرّاجي كرم ربّه القدير ابراهيم ابن المرحوم احمد القلعي حامداً لله تعالى على نعمه ومصلّياً على نبيّه سيّدنا محمّد وآله وصحبه ومسلّماً في مدّة غايتها السّابع عشر من شهر صفر الخير من شهور سنة تسع وثمانين وتسعماية أحسن الله سبحانه وتعالى عاقبتهما بمنّه وكرمه آمين آمين آمين .

وان تجد عيباً فسدّ الخللا وجلّ من لا فيه عيبٌ وعلا

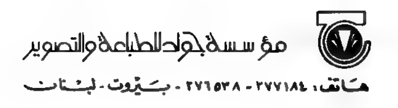
فهـرست الكتاب

المقدّمة

تتمّة القسم الأول في محاسن أهـل الشّـام والجزيرة ٩

تتمّة القسم الثاني في محاسن
أشعار أهل العراق ٦٩

تتمّة القسم الثّالث في محاسن
أهل الرّي وهمدان واصفهان وساير بلاد الجبل


مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٢٧٧١٨٤ - ٢٧٦٥٣٨ - بيروت - لبنان



تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« مُقَدّمَة المحقّق »

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصّصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلاقل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتاباتٍ قيمة وابتكارات رائعة ، كان لهما الأثر المرجوّ في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلّفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نمي ، وكان في أوّل حياته فرّاءً ، يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلِم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلاّ أنها أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألبّاء عنه : « كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنّف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلّفين في زمانه ، وإمام المصنّفين بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تآليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع ، من أن يستوفيها حدٌّ أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظمٌ أو رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمةً وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد وأصبهان . .

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنٍّ مبكّرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه، ليتّم في كهولته ما

استهلّه في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتمات لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وساير بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنهّم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدُّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولّما كان الشعر محمدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبّي فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الاعجاب إلى الاعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبةٍ داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدِّر لها نصيبٌ من الحسّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفنّ الشعري الذي برع فيه ويكشف بلباقة وكياسة عن مدى تأثّـر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقّب بحسٍّ أدبـيٍّ وذوق مرهفٍ صوره ومعانيه، فيشهد له بما قدّم من توليداتٍ مبتكرة وجديدة، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلّداً ، كما نراه أحياناً يصوّب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثـال ذلك تعليقه على بيتٍ شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشـوة نفـاس الأمـير الذي أدرك ما شاء برغـم الزمان

فيرى الثعالبي أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس الممدوح وهو ملك عظيم ، لأنّه إنّما يشبّه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعـال الأمـير الذي أدرك ما شاء برغـم الزمان

كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمّد الخوارزمي فيقول : « وممّا زلّ فيه أقبح زلّة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتلّ:

نعـوا إليّ نفس المجـد ساعـة أخبروا بمـا يشتـكي من سقمـه ويمارس

فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي ممّا يقع في المرثيّة لا في العيادة » .

ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيبٍ كأنّمـا أذنـبَ النـا س إليه فهـم مغشـون ذلا
وظـريفٍ كأنّ في كلّ فعلٍ من أفاعيلـه عرائس تجلى

فإنّ الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبّه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح مخنّثاً لما زاد ».

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيتٍ منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهن الملاحة أن يُرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر

فيقطع الثعالبي القصيدة ليذكر أنّه سرقه من قول القائل :

ولمّا تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبّع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السريّ الرّفاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثّر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنّه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلّقاً على بيتٍ لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجوّد اللفظ وزاد في المعنى » .

أمّا حديثه عن المتنبيّ فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أنّ هذا الاعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعالبي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلّة التناسب،وتنافر الأطراف وتخالُف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفخر حلي وينظم أحسن عقد وينسج أنفس وشي ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلّف والزيادة في التعمّق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدّر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بألسنة الطاعنين »وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثّل ذوقه الأدبي وحسّه الشعريّ ، وهذا الرأي مبنيٌّ على خبرة واسعة واطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليلات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمّقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلاّ أنّه في تعليلاته ونقداته لم يخرج عمّا تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاًيُفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركزّ على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكليّ للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤدّيان الصورة الفنّية الممتعة ، فقد ظلّ الشعر في نظره لفظاً ومعنىً لا عملاً فنّياً متكاملاً تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتابٌ هام لا غنىً عنه لكلّ من يتعانى الأدب ويسلك دروبه لأنّه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد
وهو وليُّ التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلّفها الثعالبي

خلَّف الثعالبي كتباً قيمه أربت على الثمانين كتابا ، وقد وضع لها الأستاذ عبدالفتاح محمد فهرساً بأسمائها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

(١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .

(٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف باللآلي والدّرر .

(٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلّفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الامجار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزهة الجليس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

(٨) خاص الخـاص ، وفيه مواضيع شعـرية ونثـرية ، أودع فيه من عيون الغـرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الاعجاب إلى حدّ الاعجاز .

(٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .

(١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .

(١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .

(١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .

(١٣) الكناية والتعريض .

(١٤) لطائف المعارف .

(١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .

(١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّـه .

(١٧) مرآة المروءات .

(١٨) مكارم الأخلاق .

(١٩) من غاب عنه المطرب .

(٢٠) و المنتحل ـ وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .

(٢١) المقصور والممدود .

(٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .

(٢٣) يتيمة الدهر .

(٢٤) الغلمـان .

(٢٥) الشكوى والعتاب .

(٢٦) تحفة الوزراء .

(٢٧) لباب الأدب .

(٢٨) طبقات الملوك .

(٢٩) نسيم السحر .

وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه أبو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة ... أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه - وهي التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد - غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »[1] وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

---

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١).

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجد منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن ـ على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي ـ أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب ـ على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم ـ سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية برواثه ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا لنتائج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب ـ فيما نعتقد ـ خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبينا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نعثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نعثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبن لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكنا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجاً منهم وتأثماً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا ـ لأنا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تحرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تحرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه ، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف ، إنما هو أن ندل قراء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكنا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكنا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض الناس ، ويصر ـ مع ذلك ـ على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يورده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلديين والمكدين وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل ـ كما قال إبراهيم بن المهدي ـ لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام » ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ، ثم احكم وكن من المنصفين .

* * *

وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على اعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وقد وفَّى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »[1] والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات »[2] .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١).
(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب ـ في نظر هؤلاء ـ ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارىء من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبئاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكتفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن اليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو ـ فيما نعتقد ـ شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب اهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب اللباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله »[1] ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهي ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكني أكتفي بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .

* * *

والكتاب ـ بعد هذا ـ أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله[2] « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .
(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماد ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل يبنيه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبته ، وينتسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، وينتصفه فلا يستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه »[1] وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « يسحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء »[2] ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما ينخرط في سلك اليتيمة ، ويصلح للالحاق به ، ولا يسوغ تأخيره عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم »

---

(١) أنظر (ص ٥ و٦ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تتمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحينئذ يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبني فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الآفاق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذيول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشنتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبني ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطراء الذي لا غناء فيه والذي تمتلىء به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها » . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ، فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . »[1] .

* * *

وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ، وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن التي يجد فيها القارىء ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر ـ مع الأسف المحض ـ لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ، وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج الى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك بالعبارة في أسفل الصحائف ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعتز بالله تعالى
أبو رجاء
محمد محيي الدين عبد الحميد

---

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي » .

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بســم الله الرحيــم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم[١] .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة[٢] وأجسام النثر والنظم جمة ، وأرواحهما نزرة[٣] ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة[٤] . ولما كان الشعر عمدة الأدب[٥] ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم[٦] ، كانت أشعار

---

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وسكون الواو ـ وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نوادر اللغة ، ونظيره كبيته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب ـ بضم اللام ـ وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [ألطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة، ورونق الطلاوة .

وكذاك قد ساد النبي محمد   كل الأنام وكان آخر مرسل[1]

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها[2] ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار[3] والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

---

(١) في م « ولذاك قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر ـ بفتح الشين وسكون الذال ـ المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر ـ بفتحتين ـ وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمتنسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره[1] وعدهم إياه من فرص العمر وغرره[2] واهتزازهم لزهره ، واقتفارهم لفقره[3] ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى[4] ، وزيادات جمة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع[5] والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه ، وأزيده وأنقصه ، وأمحوه وأثبته ، وأنتسخه ثم أنسخه ، وربما أفتتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحنكة[6] ، وشارفت

---

(١) الغدر ـ بضمتين ـ جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر ـ بضم ففتح ـ جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة ـ بالكسر ، وبالفتح ـ وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجملة من الكلام البليغ .

(٤) في م « ورأيتني أحاضر بأجواب كثيرة مما ينسب فيه وقعت بآخرة الى » .

(٥) في جـ « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحنكة ـ بضم الحاء وسكون النون ـ التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل ـ مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون ـ إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكيماً .

أوان الثبات والمسكة [1] ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهيئات مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس [2] ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس [3] ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره ، ولم تفتض عذره [4] ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره [5] وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم [6] وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

---

(١) المسكة ـ بضم الميم ـ الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاوس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والخالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس ـ بكسر الكاف ـ وهو هنا بيت الظبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر ـ بضم ففتح ـ جمع عذرة ـ بالضم ـ وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً ـ من بابي ضرب ونصر ـ إذا كتبته .

(٦) الطرف ـ بضم الطاء وفتح الراء ـ جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « ظرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين ، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان ـ مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ـ فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه[1] ولأن ما يتقدمه[2] أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق[3] مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً   وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، كما قال الله تعالى : ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[4] وقال تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[5] وكما قال حسان ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلُ منهم جعفرٌ وابن أمّه   عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيَّر

وكما قال الصلتان العبدي [من المتقارب] :

فملّتنا أنّنا مسلمون   على دين صدّيقنا والنبيّ

---

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه ـ الخ » .

(٣) في جـ ، م « يتفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق ـ بالنون ـ مضارع نفقت السلعة تنفق ـ من باب نصر ـ نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرقاً لك [1]، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

---

(١) طرقت لك ـ بتشديد الراء ـ فأنا مطرق لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليَّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي[١] ومحمد بن زرعة الدمشقي، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين[٢] اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

---

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بأل » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت[1] قرائحهم في الإجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم، ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفتراً ضخم الحجم عليها[2] ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنّها ... شريعة وِرْدي أو مهبّ شمالي[3]
لياليَ لم نحذرْ حزون قطيعةٍ ... ولم نمش إلا في سهول وصال[4]
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها ... بخلّب برقٍ أو بطيف خيال[5]

---

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .
(٢) تقول: كسرت الكتاب على عدّة أبواب بتشديد السين - إذا كنت قد جعلته عدّة أبواب .
(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لنهله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .
(٤) الحزون: الأرض الصعبة المسالك .
(٥) خلّب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ... ولا سيَما إذا بدت الخيامُ[1]
فلمح العين دون الحيِّ شهرٌ ... ورجع الطرف دون السير عامُ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بلدةً أنت فيها ... كدموعي عند اعتراض الفراقِ
وأرانيك فالصِّبا قد ترقَّتْ ... يا بروحي إلى أعالي التّراقي[2]

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقت عقدة ودِّه ... ولا حلت ما عمِّرت عن حفظ عهدهِ[3]
ولا بدّ أنّ الدّهر كاشف أهله ... ويظهر للمولى موالاة عبدِهِ

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء[4] ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول: ما فتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

---

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة فِيهْ بالعقود والإيمان لا سيما عقد وفاءٍ به من أعظم القرب
(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٣) لا حلت : لا تغيّرت وتراجعت .
(٤) لفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني مما يضن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها ماء الظرف، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله تعالى .

ومن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى ثمارها، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع البحتري .

* * *

الباب الثاني

١ - في ذكر سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان[١] وسياق قطعة من أخباره، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم[٢] وكان - رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه ! - غرة الزمان ، وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور[٣]، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف[٤] بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

---

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٢/ ٦٦ النيل) .

(٢) القلادة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حليٍّ وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوّتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزّهم مدّاحهمْ هزّ الكماة عوالي المُرّانِ[1]
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأرْيحيّة منهمُ بمكان[2]

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليليَّ إني لا أرى غير شاعرٍ فلم منهم الدعوى ومنّي القصائدُ[3]
فلا تعجبا إنّ السيوف كثيرةٌ ولكنَّ سيف الدولة اليوم واحدُ
له من كريم الطبع في الحرب منتضٍ ومن عادة الإحسان والصفح عامدُ[4]
ولما رأيت الناس دون محلّه تيقّنت أنَّ الدهر للناس ناقدُ[5]

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلاّ من حماها من الظّبا لمى شفتيها والثديُّ النواهدُ[6]
تبكي عليهنّ الباطريق في الدّجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قوم فوائدُ

---

(1) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضمّ الميم وتشديد الراء ، شجرٌ باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(2) ملأ ريحيّة : أراد من الأريحيّة ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قومٌ ملجنٌ في زيِّ ناسٍ فوق طيرٍ لها شخوص الجبال

(3) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (1/ 271/ 275) .

(4) منتضٍ : انتضى السيف ، شهره واستلّه من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ، وجفنه .

(5) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسّيادة وكبار المهام .

(6) اللّمى : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنك فيهمُ ... على القتل مرموقٌ كأنك شاكد[1]
وأنّ دماً أجريته بك فاخرٌ ... وأنّ فؤاداً رعته لك حامد
وكلٌّ يرى طرق الشجاعة والنّدى ... ولكنّ طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنِّئتِ الدّنيا بأنّك خالد
فأنت حسامُ الملك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبُّك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لا مني فيك السُّهى والفراقد[2]
وذاك لأن الفضل عندك باهرٌ ... وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السري بن أحمد الموصلي [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النّهارُ ... أراحتُك السّحاب أم البحار[3]
خلقت منيّةً ومنىً فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار[4]
تحلّي الدين أو تحمي حماه ... فأنت عليه سورٌ أو سوار
سيوفك من شكاة الثغر برءٌ ... ولكن للعدى فيها بوار[5]
وكفّاك الغمام الجون يسري ... وفي أحشائه ماءٌ ونارُ[6]
يمينٌ من سجيتها المنايا ... ويسري من عطيتها اليسار[7]
حضرنا والملوك له قيامٌ ... تغضٌّ نواظراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ... ولم نر قبله ليثاً يُزار
فكان لجوهر المجد انتظامٌ ... وكان لجوهرِ المدح انتثار[8]

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .
(٢) السُّهى والفراقد : النجوم والأقمار .
(٣) الراح : الكفّ الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .
(٤) تمور : تموج وتضطرب .
(٥) البوار : الهلاك .
(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .
(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .
(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكها في عقدٍ واحد .

فعشـــت مخيّراً لك في الأماني وكان علـــى العـــدوّ لك الخيار
فضيفـــك للحيا المنهـــلّ ضيفٌ وجـــارك للـــربيع الطلـــق جار[1]

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشـــدَّةٌ ما أراه فيك أم كرم تجـــود بالنفس والأرواح تصطلمُ[2]
يا باذل النفس والأمـــوال مبتسماً أمـــا يهـــولك لا موتٌ ولا عدم ؟
لقـــد ظننتـــك بين الجحفلين ترى أن السّلامـــة من وقـــع القنـــا تصم[3]
نشدتـــك الله لا تسمـــح بنفس علاً حياة صاحبهـــا تحيا بهـــا أمم
إذا لقيت رقـــاق البيض منفرداً تحـــت العجـــاج فلـــم تستكثـــر الخدم
تفـــدي بنفســـك أقوامـــاً صنعتهمو وكان حقّهـــم أن يفتـــدوك همُ
من ذا يقاتـــل من تلقـــى القتـــال به وليس يفضـــل عنـــك الخيل والبهم[4]
تضـــنّ بالطعـــن عنّـــا ضنَّ ذي بخلٍ ومنـــك في كلِّ حالٍ يعـــرف الكرم
لا تبخلنَّ علـــى قومٍ إذا قتلوا أثنـــى عليك بنـــو الهيجـــاء دونهم
ألبســـت ما لبســـوا أركبـــت ما ركبوا عرّفـــت ما عرفـــوا علّمـــت ما علموا
هم الفـــوارس في أيديهـــم أسلٌ فإن رأوك فأســـدٌ والقنـــا أجم[5]

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقْـــتَ كمـــا أرادتـــك المعالي فأنـــت لمـــن رجـــاك كمـــا يريدُ

---

(١) الحيا المنهلّ : المطر المتصبِّبْ .
(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .
(٣) الجحفل : الجيش الجرّار ، والقنا : جمع قناة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غيّر .
(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فجيشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدوّ لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .
(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أنّ سيفــك ليس يروى وسيفــك في الــوريد له ورود[1]
وأعجــب منــه رمحــك حين يسقى فيصحــو وهــو نشــوانٌ يميد[2]

وكقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنّ الغمــام غمام وعزمــك إن فلّ الحســام حسام[3]
فهــذا ينيل الــرزق وهــو ممنّعٌ وذاك يردُّ الجيش وهــو لهام[4]
ومـن طلـب الأعـداء بالمــال والظّبا وبالسعــد لم يبعــد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسّحــاب فما أنصف بالحــكم بيـن شكلين[5]
أنــت إذا جدت ضاحــكٌ أبداً وهــو إذا جاد دامــع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشــاك أن تدّعيك العــرب واحدها يا من ثرى قدميه طينــة العرب
فإن يكنْ لك وجــهٌ مثــل أوجههمْ عنـد العيان فليس الصّفـر كالذهب[6]
وإنْ يكن لك نطــقٌ مثــل نطقهم فليس مثــل كلام الله في الكتبِ

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد في صحائف حسن الذكر .

* * *

---

(١) ليس يروى : أيّ يظلّ ظمآناً على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .
(٢) يميد : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .
(٣) ضنّ : بخل ، وفلّ الحسام : تكسّر حدّه .
(٤) لهام : كثير ضخم .
(٥) جدواك : عطاياك .
(٦) الصُفْر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السّماطين[1] بين يدي سيف الدولة بحلب، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليٌّ وهذه حلبٌ قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البلادوبالأمير تزهى على الورى العربُ
وعبدك الدّهر قد أضرّ بنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة ، «أحسنت، ولله أنت !». وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم نرتع بين السعود والنّعمِ
أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذةً من العدم[2]

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

---

(١) السماطين : الصفّين .
(٢) العُوذة : ما يعلّق على الصبي من التمائم ليقيه العين .

أيكم يجيز قولي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لـك جســمي تعلُّه فدمي لـم تُحِلُّـهْ[1]
لك من قلبـي المكا ن فلـم لا تَحلُّهْ

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنـا إن كنـت مالكاً فلـيَ الأمـر كـلُّـهْ

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنبج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدتـه التي أولهـا [مـن الطويل] :

على قدر أهـل العـزم تأتـي العزائمُ وتأتـي علـى قدر الـكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ قوله فيها :

وقفت ومـا في المـوت شكٌ لواقفٍ كأنّـك في جفـن الـردى وهـو نائمُ
تمـرُّ بك الأبطـال كلمـي هزيمةً ووجْهـك وضّـاحٌ وثغـرك باسمُ

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه [من الطويل] :

كأنّـيَ لم أركبْ جواداً للذّةٍ ولـم أتبطّـنْ كاعبـاً ذات خلخالِ[2]
ولـم أسبأ الـزقَّ الـرويّ ولـم أقلْ لخيلـيَ كرّي كرّةً بعـد إجفالِ[3]

---

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .
(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .
(٣) أسبأ : أشتري ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كَأنّـيَ لم أركب جواداً ولـم أقلْ   لخيلـيَ كرّي كرّةً بعـد إجفال
ولـم أسبـأ الـزق الـرويّ للذّةٍ   ولـم أتبطّـنْ كاعبـاً ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفـت ومـا في المـوت شكٌّ لواقفٍ   ووجهـك وضـاحٌ وثغـرك باسم
تمـرُّ بك الأبطـال كلمـي هزيمةً   كأنَّـك في جفـن الـردى وهـو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جميلته وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ـ وهو الموت ـ ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة[1] وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغـد شكرك في الخلائـق مطلقاً   إلاّ ومـالك في النّـوال حبيسُ

---

(١) البدرة : صرّة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوّلتنا شمساً وبدراً أشرقت ... بهما لدينا الظُّلمة الحنديسُ[1]
رشأٌ أتانا وهو حسناً يوسفٌ ... وغزالةٌ هي بهجةً بلقيس
هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه ... حتّى بعثت المال وهو نفيسُ
أتت الوصيفة وهي تحمل بدرةً ... وأتى على ظهر الوصيف الكيس[2]
وبررتنا مما أجادت حوكه ... مصرٌ ، وزادت حسنه تنيس[3]
فغدا لنا من جودك المأكول والـ ... ـمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف الدولة ـ وكان [قد] قدم إلى الحضرة ـ شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهي [من الكامل] :

إنْ كنتُ خنتك في الأمانة ساعةً ... فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أنّ له شريكاً في العلا ... وجحدته في فضله التوحيدا
قسماً لو انّي حالفٌ بغموسها ... لغريم دينٍ ما أراد مزيدا[4]

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الحنديس : من الحنديس، وهو الليل الشديد الظلمة .
(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .
(٣) بررتنا : من البرّ وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت بالنسج .
(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له ... خير الخلائف والأنام سميُّ
أو ما ترى صفين كيف أتيتها ... فانجاب عنها العسكر الغربيُّ[1]
فكأنّه جيش ابن حربٍ رعته ... حتى كأنّك يا عليُّ عليُّ[2]

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذأب البَهْم واغتدت ... بها أذؤب البيداء وهي قساور[3]
فثقّف منآدٌ ، وأُصلح فاسدٌ ... وذلّل جبارٌ ، وأُذعر ذاعر[4]

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ[5] السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل، وبين يديه رأس

---

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعليّ الثاني : الإمام عليّ بن أبي طالب .

(٣) البهم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقّف : قوّم وعدّل ، والمنآد : المنحني المنعطف ، وذلّل : أخضع ، وأُذعر : أُخيف وأفزع .

(٥) يغذّ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقذ من مسّ الحديد وثقله أبا وائلٍ ، والدهر أجدع صاغرُ[1]
وآب ورأس القرمطيّ أمامه له جسدٌ من أكعب الرمح ضامرُ[2]

وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ يسري ، ولكن على ساقٍ بلا قدم

وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائلِ[3]
فدى نفسه بضمان النّضار وأعطى صدور القنا الذابلِ[4]
ومنّاهم الخيل مجنوبةً فجئن بكلِّ فتىً باسلِ[5]
كأنّ خلاص أبي وائلٍ معاودة القمر الآفلِ
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائلِ
فلبّيته بك في جحفلٍ له ضامنٌ وبه كافلِ
وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحليِّ إلى العاطلِ[6]

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم[7] ، فقهروا

---

(١) أجدع : أي ذليل .
(٢) آب : رجع ، وضامر : هزيل .
(٣) أسر : قيود .
(٤) النضار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .
(٥) المجنوبة : السلسة القياد .
(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .
(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء ـ أي آمن في حرمه وعياله ، وهو مستعار من سرب الظباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته[1] فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعـدن كمـا أخـذن مكرّمات عليهـن القـلائـد والمـلاب[2]
يثبنـك بالـذي أوليت شكراً وأين من الـذي تولـي الثوابُ ؟
وليس مصيرهـنّ إليك شيناً ولا في صونهـنّ لديكَ عاب[3]
ولا في فقدهـنّ بني كلابٍ إذا أبصـرن غرّتـك اغتراب
وكيف يتـمّ بأسـك في أناسٍ تصيبهـم فيؤلمـك المصـاب
ترفّـقْ أيهـا المـولى عليهمْ فإنّ الرفـق بالجانـي عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية .

وعين المخـطئين همُ ، وليسوا بأوّل معشـرٍ خطئـوا فتابوا
وأنـت حياتهـم غضبـت عليهم وهجـر حياتهـم لهـمُ عقاب
ومـا جهلـت أياديك البوادي ولـكن ربّمـا خفـي الصّواب
وكم ذنـبٍ مولّـده دلالٌ وكـم بعـد مولّـده اقتراب
وجـرمٍ جرّه سفهـاء قومٍ وحـلّ بغير جارمـه العذاب[4]

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾[5] [ونحو من هذا قول زياد في خطبته البتراء « والله لآخذن المحسن بالمسيء »]

ولـو غير الأمير غزا كلاباً ثنـاه عن شموسهُـمُ ضبابُ

---

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .
(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطر مائع ، وهو فارسي الأصل .
(٣) الشين : العيب والنقص .
(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .
(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولــكن ربّهــمْ أســرى إليهمْ ... فمـــا نَفَــعَ الوقــوف ولا الذّهابُ
كذا فليســرِ من طلــب المعالي ... ومثــل سراك فليكن الطّلابُ

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

ومــا أنس لا أنس يوم المغار ... محجّبــةً لفــظتهــا الحجــبْ
دعــاك ذووهــا بســوء الفعال ... لمــا لا تشــاء ومــا لا تحبْ
فوافتــك تعثــر فــي مرطها ... وقــد رأت المــوت من عن كثبْ[1]
وقــد خلــط الخــوف لمّــا طلعـ ... ـت دلّ الجمــال بذلّ الرعب
تســرع في الخــطو لا خفّةً ... وتهتــزّ في المشــي لا من طرب
فلمــا بدت لك دون البيوت ... بدا لك منهــن جيشٌ لجب[2]
وما زلت، مذ كنت ، تأتي الجميل ... وتحمـي الحـريم وترعى الحسب
وتغضــب حتــى إذا ما ملكت ... أطعــت الرضــا وعصيت الغضب
فكنــت حماهــنّ إذ لا حمى ... وكنــت أباهــنّ إذ ليس أب
فــولّيــن عنــك يفدينهــا ... ويرفعــن من ذيلهــا ما انسحب
ينــادين بيــن خلال البيــو ... ت لا يقطــع الله نسـل العرب
أمــرت وأنــت المطــاع الكريم ... ببــذل الأمــان وردّ النّهب[3]
وقـد رحــن من مهجــات القلوب ... بأوفــر غنــمٍ وأغلــى نشب[4]
فــإن هنّ يا بن الــكرام السراة ... رددن القلــوب رددنــا السلب[5]

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكثب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .
(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .
(٣) النّهب : السّلب .
(٤) النشب : المال وغيره من إبلٍ وخيل الخ . . .
(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به ... وقد شكتك إلينا الخيل والإبلُ
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهمُ ... أنْ ليس يعصمهم سهلٌ ولا جبل[1]
في كلِّ يوم تزور الثغر لا ضجرٌ ... يثنيك عنه، ولا شغلٌ ، ولا ملل
فالنفس جاهدةٌ ، والعين ساهرةٌ ، ... والجيش منهمكٌ ، والمال مبتذل
توهّمتك كلابٌ غير قاصدها ... وقد تكنّفك الأعداء والشّغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه ... وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسانٍ أسنّتها ... سود البراقع والأكوار والكلل[2]
فكنت أكرم مسئولٍ وأفضله ... إذا وهبن فلا منٌّ ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و[قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرىءٍ من دهره ما تعوّدا ... وعادات سيف الدولة الطّعن في العدا

---

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .
(٢) البراقع : أقنعة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ... ويمسي بما تنوي أعاديه أسعدا[1]
وربّ مريدٍ ضرّه ضرَّ نفسه ... وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمدٍ ... ثلاثاً ، لقد أدناك ركضٌ وأبعدا
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه ... جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبتْ زرق الأسنة غيره ... ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبّلٌ ... تحفُّ بطاريقٌ به وزرازرُ[2]
وولّى على الرسم الدمستق هارباً ... وفي وجهه عذرٌ من السّيف عاذر
فَدى نفسَهُ بابنٍ عليه كنفسه ... وللشدّة الصماء تقنى الذخائر[3]
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ... وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ـ وهي قلعة عظيمة الشأن ـ فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٢) الزرازر : جمع الزرزار ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .
(٣) تقنى : تدّخر ، والذخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تدّخره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناهــا فأعلــى والقنــا تقــرع القنا ... ومــوج المنــايا حولهــا متلاطـمُ[1]
وكان بهــا مثــل الجنــون فأصبحت ... ومـن جثث القتلــى عليهــا تمائم[2]
تفيت الليالــي كلّ شيءٍ أخذتهُ ... وهــنّ لمــا يأخــذن منــك غوارم[3]

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقــد فجعتــه بابنــه وابــن صهره ... وبالصهــر حمــلات الأمير الغواشم
مضى يشكر الأصحاب في فوتـه الظّبا ... بمــا شغلتهــا هامهــم والمعاصم[4]
ويفهــم صوت المشــرفية فيهم ... علــى أنّ أصــوات السيوف أعاجم
يســرّ بمــا أعطــاك لا عن جهالةٍ ... ولــكنّ مغنومــاً نجــا منــك غانم

وقال السريّ في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت ... منه الحوادث حتى ذلّ جانبهُ
أعدتــه عدويــاً فــي مناسبه ... من بعــد ما كان روميّاً مناسبه[5]
فقــد وفــي عرضــه بالبيد واعترضت ... طولاً علــى منــكب الشّعــرى مناكبه
مصــغ إلى الجــو أعــلاه فإنْ خفقت ... زهــر الــكواكب خلناهــا تخاطبه
كأنّ أبراجــه من كلّ ناحيةٍ ... أبراجهــا والدُّجــى وحفٌ غياهبه[6]

---

(۱) القنا : يقصد بها السلاح وعدّة الحرب . ، والمنايا : جمع منيّة ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضا ، متدافع .
(۲) التمائم : جمع تميمة وهي العوذة التي تقي من العين .
(۳) غوارم : مَدينة .
(٤) الظّبا : جمع ظبّة ، وهي حدّ السيف والسكّين وغيرهما .
(٥) عدويّاً : منسوب إلى عدي ، وهو جدّ من أجداد سيف الدولة .
(٦) الوَحْف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدّ بسيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر][1]

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغمضِ[2]
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضٍّ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دكناً والحواشي على الأرض[3]
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍّ
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبّغةٍ والبعض أقصر من بعضِ[4]

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرِ

وقول أبي فراس ـ وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس ـ [من الكامل] :

وكأنّما البرك الملاء تحفّها ألوان ذاك الروض والزهرِ

---

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .
(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، سنة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .
(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسطٌ من الديباج بيضٌ فروزت أطرافها بفراوزٍ خضر[1]

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر الـ ـرّوض في الشّطين فصلا
كبساط وشيٍ جرّدتْ أيدي القيون عليه نصلا[2]

وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه . وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبّله على جزعٍ كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا ولم يلتذّ بالجرع[3]

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ مختلساتٍ حذار مرتقب
نقر العصافير- وهي خائفةٌ من النواطير- يانع الرطب[4]

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقـ ـت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقِ

---

(١) فروزت : ذيّلت بحواشي .
(٢) القيون : مفردها قين وهو الحداد .
(٣) الجرع : شرب الماء بسرعة .
(٤) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العـذول يحسدني فيـ ـك مجـداً يا أنفس الأعلاقِ[1]
فتمنّيت أن تكوني بعيداً والـذي بيننـا من الـودِّ باق
ربَّ هجـرٍ يكون من خوف هجرٍ وفـراقٍ يكون خوف فراق

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالـويه بحلـب لسيف الدولة [من الطويل] :

تجنّى علـيَّ الذنـبَ والذنـب ذنبه وعاتبني ظلمـاً وفـي شقّـه العتب[2]
وأعـرض لمـا صار قلبـي بكفّه فهلاَّ جفاني حين كان لي القلبُ ![3]
إذا برم المولـى بخدمـة عبده تجنّـى له ذنبـاً وإن لم يكن ذنب[4]

يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفـاء جهّـز جيشاً سبقتـه طليعـةٌ من تجنّي

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم[5] لسيف الدولة [من المديد] :

قـدْ جرى في دمعـه دمه فإلـى كـم أنـت تظلمُه ؟
ردَّ عنـه الطـرف منـك فقد جرّحتـه منـك أسهمهُ[6]
كيف يستـطيع التجلّـد مَنْ خطـراتُ الـوهـم تؤلمـه ؟[7]

---

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .
(٢) شقّه : فمه .
(٣) أعرض : صدّ وامتنع .
(٤) برم : سئم وضجر .
(٥) المتيّم : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفريقي .
(٦) الطرف : العين والنظر .
(٧) خطرات الوهم : تخيّله وتصوّره .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنّما ... تجافيت عن حقي فتمّ لك الحقُّ[1]
ولا بدّ لي من أن أكون مصلّياً ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق[2]

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنّما النار والرماد معاً ... وضوءها في ظلامه يحجبْ
وجنة عذراء مسّها خجلٌ ... فاستترت تحت عنبرٍ أشهبْ[3]

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنّما الجمر والرماد وقد ... كاد يواري من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد ... ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـ ... ـقرّ فأضحت تخبو وطوراً تسعرُ[4]
وغدا الجمر والرماد عليه ... في قميصٍ مذهّبٌ ومعنبرُ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .
(٢) المصلّى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة ، وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) القرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره

وغرر أخباره وأشعاره(١)

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدىء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ١٢٧ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه
سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال: كتب أبو فراس إلى سيف الدولة، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره: «كتابي - أطال الله بقاء مولانا! - من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً». فاستحسن سيف الدولة بلاغته، ووصف براعته. وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل]:

هل للفصاحة والسما ... حة والعلا عنّي محيدُ
إذ أنت سيدي الذي ... ربّيتني، وأبي سعيدُ
في كلّ يومٍ أستفيـ ... ـد من العلاء وأستزيدُ
ويزيد فيَّ إذا رأيـ ... ـتك في النّدى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب، وممارسة الحروب، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يحثه على استحضارها، فقال [من السريع]:

محلّك الجوزاءُ أو أرفعُ ... وصدرك الدهناء بل أوسع[1]
وقلبك الرحب الذي لم يزلْ ... للجدّ والهزل به موضع
رفّهْ بقرع العود سمعاً غدا ... قرع العوالي جلّ ما يسمع[2]

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها

---

(١) الجوزاء: نجم في السماء، والدهناء: صحراء من صحارى العرب، يريد أنّ صدره مثلها في الاتساع.

(٢) العوالي: الرماح.

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيّها الملك الذي أضحت له جمل المناقبْ[1]
نتج الربيع محاسناً ألقحنها غرر السحائب[2]
راقت ورقّ نسيمها فحكتْ لنا صور الحبائب
حضر الشّراب فلم يطبْ شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعلة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدّهر بتأخيري عن الحضره
فما ألقى من العلّة ما ألقى من الحسره

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو فراس [من الكامل] :

نفسي فداؤك قد بعثـ ـت تعهّدي بيد الرسولِ
أهديت نفسي ، إنّما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلةَ المبشّر بالقبول
[لما رأيتك في الأنا م بلا مثالٍ أو عديل][3]

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدّتيَ التي أسطو بها ويدي إذا اشتدّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أمّلته والمرء يشرق بالزلال البارد[4]

---

(١) المناقب : المآثر .
(٢) نتج الربيع : خلّف ، وألقحنها : أسقينها والسحائب : الغيوم .
(٣) العديل : الشبيه والموازن .
(٤) يشرق : يغصُّ ، والزلال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقيّ لبرّه أغضى على ألمٍ لضرب الوالد

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزَّ الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخذمُ[1]
حقّاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له لولا فراقك لم يوجدْ له ألمُ
لا تشغلنّ بأمرِ الشّام تحرسه إن الشام على من حلّه حرمُ
وإنّ للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يحرمنّيَ سيف الدّين صحبته فهي الحياة التي تحيا بها النسم[2]
وما اعترضت عليه في أوامره لكنْ سألت ، ومن عاداته « نعم »

وقال له [من الطويل] :

وما ليَ لا أثني عليك وطالما وَفَيت بعهدي والوفاء قليلُ
وأوعدتني حتّى إذا ما ملكتني صفحت ، وصفح المالكين جميلُ

وكتب إليه يعزيه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدِ
كُنِ المعزّي لا المعزى به إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه عليّ ، ولا عندي لأنعمه جحد[3]
سأسكت إجلالاً لعلمك أنّني إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ[4]

---

(١) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع .
(٢) النسم : الناس والأرواح .
(٣) الجحد : النكران .
(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ ... برغم شانيك مقبلْ[1]
ترى لنفسك أمراً ... وما يرى الله أفضلْ

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنو ... ب وجدتها فينا كثيره[2]
لكنّ عادتك الجميـ ... ـلة أن تغضّ على بصيره[3]

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهمارا ... ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقرُّ عيني ... ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممّن ... تعزّ عليه فرقته اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوّاً ... لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجالٌ ... دققت الرمح بينهم مرارا
وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً ... وجوٌّ كنت أُرهجه غبارا[4]
إذا بقي الأمير قرير عينٍ ... فديناه اختياراً واضطرارا
يمدّ على أكابرنا جناحاً ... ويكفل عند حاجتها الصّغارا[5]

---

(١) شانيك : مبغضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصّغار .

أرانـي الله طلعتـه سريعاً وأصحبـه السّلامـة حيث سارا
وبلّغـه أمـانيـه جميعـاً وكان له من الحدثـان جارا[1]

وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلـغٍ سروات قومي إذا حدّثـن جمجمـن الكلامـا[2]
بأنـي لم أدع فتيات قومي وسيف الدولـة الملك الهماما
شريت ثناءهـنّ ببـذل نفسي ونـار الحـرب تضـطـرم اضطراما[3]
ولمـا لم أجـد إلاّ فراراً أشـدّ من المنيّة أو حِماما[4]
حملـت علـى ورود المـوت نفسي وقلـت لصحبتـي موتـوا كراما
وهـل عذرٌ وسيف الـدين ركني إذا لم أركبِ الخطـط العظاما
وأقفـو فعلـه في كـلّ أمرٍ وأجعـل فضلـه أبـداً إماما
وقـد أصبحـت منتسبـاً إليه وحسبـي أن أكون له غلاما
أرانـي كيف أكتسـب المعالي وأعطـاني علـى الدهـر الذّماما
وربّانـي ففقـت بـه البرايا وأنشـأني فسـدت بـه الأناما
فأحياه الإلّـه لنـا طويلاً وزاد الله نعمتـه دوامـا

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .
(٢) السروات : جمع سرَاة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .
(٣) تضطرم : تستعر وتصطلي .
(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة [من الوافر] :

ألم ترنا أعزّ الناس جاراً … وأمنعهم وأمرعهم جنابا[١]
لنا الجبل المطلّ على نزارٍ … حللنا النّجد منه والهضابا[٢]
يفضّلنا الأنام ولا نحاشي … ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ … بأنّا الرأس والناس الذنابى
ولما أن طغت سفهاء كعبٍ … فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا … إذا جارت منحناها الحرابا[٣]
ولما ثار سيف الدين ثرنا … كما هيّجت آساداً غضابا
أسنّته إذا لاقى طعاناً … صوارمه إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنّة مشرعاتٌ … فكنّا عند عودته الجوابا[٤]
صنائع فاق صانعها ففاقتْ … وغرسٌ طاب غارسه فطابا
وكنّا كالسهام إذا أصابت … مراميها فراميها أصابا

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها في المحمدة نصيب » .

---

(١) أمرعهم جناباً : أخصبهم محلاً وأكثرهم نعمة .
(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .
(٣) الحرائب : الأسلاب .
(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحانــي علــى العبــرات لاحي وقـد يئس العـواذل من صلاحي[1]
تملّكنـــي الهـــوى بعـــد التآبي وراضَنِيَ الهـوى بعـــد الجماح[2]
ألا يا هذه هل من مقيلٍ لضيفــان الصّبابــة أو مراح
فلــولا أنــت ما قلقــت ركابي ولا هبّــتْ إلــى نجــدٍ رياحي

ومنها :

ومــن جرّاك أوطنــت الفيافي وفيك غذيت ألبــان اللقاح
أصاحــب كلّ خلٍّ بالتّجافي وآســو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربٌ بأرضٍ ركبــت له ضمينــاتُ النّجاح[3]
ولــي عنــد العــداة بكلّ أرضٍ ديونٌ في كفــالات الرمــاح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّــا إذا اشــتدّ الزّما ن ونــاب خطــبٌ وادلهمْ[4]
ألفيت حــول بيوتنــا عــدد الشجاعــة والكـرم
للقــا العــدا بيض السيو ف وللنــدى حمـر النعم[5]
هــذا وهــذا دأبنــا يودى دمٌ ويـراق دم[6]

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّـي فأيام المحــبّ قلائـل وفـي قلبــه شغــلٌ عن اللــوم شاغل

---

(1) اللاحي : اللائم .
(2) التآبي : الإمتناع ، وراضني : قادني وطوّعني ، والجماع : الشرود .
(3) ضمينات : من الضمان والحيطة .
(4) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهرّ .
(5) حمر النعم : الإبل .
(6) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطـالبني البيض الصـوارم والقنا بمـا وعـدت جـدَّيَّ فيَّ المخايل[1]
ووالله ما قصَّـرت في طلـب العلا ولـكنْ كأنَّ الدّهـر عنّـيَ غافلُ
مواعيد أيامٍ تطالبنـي بها مراءاة أزمـانٍ ودهـرٌ مخاتل[2]
وأخـلاف أيامٍ متـى ما انتجعتها حلبـت بكيّاتٍ وهـنَّ حوافل[3]
تدافعنـي الأيام عمّا أريغه كمـا دفـع الـدين الغـريم المماطل[4]
خليلـيَّ ، شدّاً لي علـى ناقتيكما إذا ما بدا شيبٌ من الفجـر ناصل[5]
فمثلـيَ من نال المعالـي بسيفه وربّتمـا غالتـه عنهـا الغوائـل[6]
ومـا كلّ طلاّبٍ من النـاس بالغٌ ولا كلّ سيّارٍ إلـى المجـد واصل
وإنّ مقيمـاً منجـح العـزّ خائبٌ وإنّ مريعـاً خائـب الجهـد نائل
ومـا المـرء إلاّ حيث يجعـل نفسه وإنّـي لهـا فوق السمـاكين جاعل[7]
أصاغرنـا في المكرمـات أكابرٌ وآخرنـا في المأثـرات أوائل
إذا صلـت صولاً لم أجدْ لي مصاولاً وإن قلـت قولاً لم أجـد من يقاول

وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيريَ من طوالـع في عذاري ومـن ردّ الشبـاب المستعارِ
وثـوبٍ كنـت ألبسـه أنيقٍ أجـرّر ذيلـه بين الجواري

---

(١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .
(٢) المخاتل : الغادر .
(٣) الأخلاف : الأثداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .
(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين الموفّ .
(٥) الناصل : الظاهر والخارج .
(٦) غالته : دهته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .
(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

وما زادت عن العشرين سنّي ... فما عذر المشيب إلى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجدْ ... للشّيب عذراً للنزول براسي

رجع وما استمتعت من راعي التصابي ... إلى أن جاءني داعي الوقار

تلاعب بي على هوج المطايا ... خلائق لا تقرُّ على الصغار(1)

ونفسٍ دون مطلبها الثريا ... وكفٌّ دونها فيض البحار

وما يغنيك من همٍّ طوالٍ ... إذا قرنت بأحوالٍ قصار(2)

عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي ... تداريني الأنام ولا أداري

فأهلي من أنخت إليه عيسي ... وداري حيث كنت من الديار(3)

وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثّريا ... بعيد مذاهب الأطناب سامي(4)

تظلّله الفوارس بالعوالي ... وتفرشه الولائد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنّا ... لنا الجبل الممنّعُ جانباهُ

يفيء الراغبون إلى ذراه ... ويأوي الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحثّ كأسٍ ... ومزمارٍ وطنبورٍ وعودِ

---

(1) الصغار : الذلّ .

(2) قرنت : سُلِكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(3) العيس : الإبل .

(4) الأطناب عُمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلم يخلق بنو حمدان إلاّ لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود

وله [من الوافر] :

علونا جوشناً بأشدّ منه وأثبت عند مشتجر الرماح[1]
بجيشٍ جاش بالفرسان حتى ظننت البرّ بحراً من سلاح[2]
وألسنةٍ من العذبات حمرٍ تخاطبنا بأفواه الرياح[3]
وأروع جيشه ليلٌ بهيمٌ وغرّته عمودٌ للصبّاح[4]
صفوحٌ عند قدرته كريمٌ قليل الصفح ما بين الصفّاح
وكان ثباته للقلب قلباً وهيبته جناحاً للجناح[5]

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلت فتى بني عمرو بن عبدٍ وأوسعهم على الضيفان ساحا
ولست أرى فساداً في فسادٍ يجرّ على فريقيه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقال في ذلك [من الوافر] :

سلي عنّا سراة بني كلابٍ ببالس عند مشتجر العوالي[6]

---

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .
(٢) جاش : امتلأ وفاض .
(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .
(٤) غرّته : نوره وبياضه .
(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسّم إلى خمس فرق ـ القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .
(٦) بالس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ | كفين مؤونة الأسل الطوال[1]
فولّى بابن عوسجةٍ كثيرٌ | وساع الخطو في ضنك المجال
يرى البرغوث إذ نجّاه منّا | أجلّ عقيلةٍ وأحبّ مال
تدور به إماءُ بني قريطٍ | وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنمٍ | وإنّ الذلّ في ذاك المقال
وعادوا سامعين لنا فعدنا | إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخطٍ | أسونا ما جرحنا بالنوال[2]

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلْتَ بالدهر عيناً غير غافلةٍ | بجود كفّك تأسو كلَّ ما جرحا

وله من قصيدة أولها [من الوافر] :

وقوفك بالدّيار عليك عار | وقد ردّ الشباب المستعارُ

ومنها :

وكم من ليلةٍ لم أروَ منها | حننت لها وأرّقني ادّكارُ[3]
عسفتُ بها عواريَّ الليالي | أحق الخيل بالركض المعارُ[4]
فبتُّ أعلّ خمراً من رضابٍ | لها سكرٌ وليس لها خمار[5]

---

(١) الأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .
(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .
(٣) لم أروَ : لم أنل غايتي منها ، وأرّقني : أسهرني
(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ | أحقّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعلّ : أنهل وأشرب ، والخمار : الصداع يعتري شارب الخمر .

إلـى أن رقّ ثوب الليل عنّا ونـادت قم فقـد برد السِّوار[1]

ومنها :

إذا ما العـزّ أصبـح في مكانٍ سمـوت له ، وإن بعـد المزارُ
مقامـي حيث لا أهـوى قليلٌ ونومـي عنـد من أقلـى غرار
أبـت لي همتـي وغـرار سيفي وعزمـي والمـطيّة والقفار[2]
ونفسٌ لا تجاورهـا الدّنايا وعـرضٌ لا يرفُّ عليـه عـار
وقـومٌ مثـل من صحبـوا كرامٌ وخيلٌ مثـل من حملـت خيار
وكم بلـدٍ شننّاهـنّ فيـه ضحـىً وعـلا منابـره المُعار[3]
وكم ملكٍ نزعنـا الملك عنه وجبّـارٍ به دمـه جبار[4]

وله من أخرى [من الطويل] :

ولـو نيلـت الـدنيا بفضـلٍ منحتها فضائـل تحويهـا وتبقـى فضائلُ
ولكنّهـا الأيام تجـري بمـا جرتْ فيسفل أعلاهـا وتعلـو الأسافل
لقـد قلّ أن تلقـى من النـاس مجملاً وأخشـى قريبـاً أن يقـلّ المجامل[5]
ولست بجهم الوجه في وجـه صاحبي وإن سأل الأعمـار ما هو سائل[6]

وله [من الطويل] :

بخلـت بنفسـي أن يقـال مبخّلٌ وأقدمـت جبنـاً أن يقـال جبانُ

---

(١) السِّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .
(٢) غرار السيف : حدُّه .
(٣) المعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :
وكم بلـدٍ شتتناهـن فيه ضحـىً وعـلا منابـره الغبار
(٤) جُبار : بزنة شجاع ـ أي هدر دمه ولا ثائر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .
(٥) المجامل : المواسي والمشارك .
(٦) جهم الوجه : مقطّبه وعابسه .

وملـكي بقـايا ما وهبـت مفاضةً ورمـحُ وسيفٌ قاطـعٌ وسنانُ(١)

وله [من الوافر] :

بأطـراف المثقّفـة العوالـي تفرّدنـا بأوسـاط المعالـي
ومـا تحلـو مجانـي العـزّ يوماً إذا لم تجنـها سمـر العوالي
ممالكنـا مكاسبنـا إذا ما توارثهـا رجـالٌ عن رجال
إذا لم تمس لي نارٌ بأرضٍ أبيت لنـار غيري غير صالي(٢)

وله [من الكامل] :

غيري يغيّره الفعـال الجافي ويحـول عن شيم الـكريم الوافي(٣)
لا أرتضـي ودّاً إذا هو لم يدمْ عنـد الجفـاء وقلـة الإنصاف
تعس الحـريص وقـلٌ ما يأتـي به عوضـاً عن الإلحـاح والإلحاف
إنّ الغنـيَّ هو الغنـيُّ بنفسه ولـو انـه عاري المنـاكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطـة كافياً وإذا قنعـت فبعض شيءٍ كافي(٤)
وتعـافُ لي طمـع الحـريص فتوتي ومروءتـي وقنـاعتي وعفافـي(٥)
ما كثـرة الخيل العتـاق بزائدي شرفـاً ، ولا عدد السـوام الضافي(٦)
خيلـي - وإن قلّـتْ - كثيرٌ نفعها بين الصـوارم والقنـا الرّعافِ(٧)
ومكارمـي عدد النجـوم ، ومنزلي مأوى الـكرام ومنـزل الأضياف

---

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .
(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .
(٣) يحول : يتغيّر ويتحوّل .
(٤) البسيطة : الأرض .
(٥) تعاف : تكره وتأبى .
(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .
(٧) الرعّاف : النازف للدماء .

لا أقتنـي لصـروف دهـري عدّةً حتـى كأنَّ خطوبـه أحلافي[1]
شيمٌ عرفـت بهـنَّ مذ أنـا يافعٌ ولقـد عرفـت بمثلهـا أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجـب إن ملكنـا الأرض قسراً وأن تمسـي وسائـديَ العراب[2]
وتربـط في مجالسنـا المذاكي وتنـزل بين أرحلنـا الركـاب[3]
وهـذا العـزُّ أورثنـا العوالـي وهـذا المـلك ملّكنـا الضّرابُ
فقصـرك إنّ حـالاً ملّكتنا لحـالٌ لا تذمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحـن أنـاسٌ لا توسّـط عندنا لنـا الصـدر دون العـالمين أو القبرُ
تهـون علينـا في المعالـي نفوسنا ومن خطـب الحسنـاء لم يغلـه المهر

* * *

الإخوانيـات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللـت من المجـد أعلـى مكانِ وبلَّغـك الله أقصـى الأمانـي
فإنّـك ـ لا عدمتـك العلا ! ـ أخٌ لا كإخـوة هذا الزمان
كسـوت أخـوتنا بالصفـاء كمـا كسيت بالـكلام المعاني

---

(١) أحلافي : أي مرافقيّ وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقني .
(٢) العراب : الخيل العربية .
(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تمّ له بعد قروحه سنتان ، يقصد الخيل النشيطة الفتيَّة .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لـم أؤاخـذك بالجفـاء لأنّـي واثـقٌ منـك بالـوداد الصريحِ[1]
فجميل العـدو غير جميـلٍ وقبيح الصـديق غيـر قبيح

وله [من الكامل] :

مـا كنـت تصبـر في القديـ ـم فلـم صبـرت الآن عنّا
ولقـد ظننـت بك الظنو ن لأنّـه مـن ضنٌ ظنّاً[2]

وقال [من الكامل] :

أشـفقت مـن هجـري فسلّـ ـطت الـظنون على اليقيـن
وضننـت بـي فظننـت بـي والظـنّ مـن شيـم الضنينِ

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقـد أبيتُ وجـلّ ما أدعـو به حتّى الصباح وقـد أقضّ المضجعُ[3]
لا همّ إنّ أخـي لديك وديعتي أبـداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفـى النـوم عن عينـي خيالٌ مسلِّم تأوّب من أسمـاءَ والـركب نوّمُ[4]
وخطـبٌ من الأيام أنسانـيَ الهوى وأحلى بفيٍّ المـوت والمـوت علقمُ[5]
ووالله ما شبّبـت إلاّ علالـةً ومـن نار غير الحـبّ قلبـي يضرَّم

---

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .
(٢) ضنّ : بخل .
(٣) أقضّ المضجع : أي أقلقه وحرمه النوم .
(٤) تأوّب : رجع .
(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمن مبلغٍ عنّي الحسين ألوكة تضمنها درُّ الكلام المنظّم[1]
لذيذ الكرى حتى أراك محرّمٌ ونار الأسى بين الحشا تتضرّم
وأترك أن أبكي عليك تطيُّراً وقلبي يبكي والجوانح تلطم[2]

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهر للأعداء فيك جلادةً وأكتم ما ألقاه ، والله يعلمُ
وما أغربت فيك الليالي وإنّها لتصدعنا من كلّ شعبٍ وتثلم[3]
طوارق خطبٍ ما تغبُّ وفودها وأحداث أيامٍ تفذُّ وتتئم[4]
فما عرّفتني غير ما أنا عارفٌ ولا علّمتني غير ما كنت أعلم

ومنها :

أندعو كريماً من يجود بماله ومن جاد بالنفس النفيسة أكرمُ
إذا لم يكن ينجي الفرار من الرّدى على حالةٍ فالصّبر أرجى وأحزم[5]
لعمري لقد أعذرت لو أنّ مسعداً وأقدمت لو أنّ الكتائب تقدم
وما عابك ابن السابقين إلى العلا تأخّر أقوامٍ وأنت مقدَّمُ
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا وأنت من القوم الذين همُ همُ
لعاً يا أخي لا مسّك السوء ! إنَّه هو الدهر في حاليه بؤسى وأنعم[6]

---

(١) الألوكة : الرسالة .
(٢) تطيُّراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .
(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشقّ الذي يفرّق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .
(٤) تغبّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفذّ : تأتي بالمصائب فذّة أي مفردة ، وتتئم : تأتي بها زوجا ، وأصله قولهم « أتأمت المرأة » إذا ولدت توأماً .
(٥) الرّدى : الموت والهلاك .
(٦) لعاً : دعاءً للعاثر ، يعني نعشك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أأبـا العشائـر إن أُسِـرْت فطالما ... أسـرت لك البيض الخفـاف رجالا
لمَّـا أجلـت المهـر فوق رؤوسهم ... نسجـت لـه حمـر الشعـور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى ... قال اتخـذ حبـك التـريك نعالا[1]
ما كنـت نهـزة آخـذٍ يوم الوغى ... لو كنـت أوجـدت الـكميت مجالا[2]
أخـذوك في كيد المضـايق غيلةً ... مثـل النسـاء تربَّـب الرئبالا[3]
زللٌ من الأيام فيك يقيله ... ملكٌ إذا عثر الزمـان أقالا
بالخيل ضمـراً والسيوف قواضباً ... والسمـر لدنـاً والرجـال عجـالا[4]

وقال [من البسيط] :

ما كنـت مذ كنـت إلاَّ طوع خلاّني ... ليسـت مؤاخـذة الإخـوان من شاني
يجنـي الخليل فأستحلـي جنايته ... حتـى أدلُّ علـى عفـوي وإحساني
إذا خليلـي لم تكثـر إساءته ... فأين موقـع إحسانـي وغفراني
يجنـي علـيَّ وأحنـو صافحـاً أبداً ... لا شيء أحسن من حانٍ على جاني[5]

وقال [من الكامل] :

ما صاحبـي إلاَّ الـذي من بِشْرِهِ ... عنـوانـه في وجهـه ولسانـه

---

(1) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالاً له ، وذلك كنايةً عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .

(2) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .

(3) الرئبال : الأسد .

(4) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والسمر : الرماح ، واللدن : الليّن المرن .

(5) الجاني : الآثم .

كم صاحبٍ لم أغن عن إنصافه   في عشرةٍ وغنيت عن إحسانه

وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد موردٍ أنساً يؤكّدهُ   صدوره عن سليم الورد والصدر
شدّت سحائبه منه على نزهٍ   تقسّم الحسن بين السمع والبصر
عذوبةٌ صدرت عن منطقٍ جددٍ   كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر[1]
وروضةٌ من رياض الفكر دبّجها   صوبُ القرائح لا صوبٌ من المطر[2]
كأنّما نشرت أيدي الربيع بها   برداً من الوشي أو ثوباً من الحبر

وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترفْ   وبفضل علمك أعترفْ
أنشدتني فكأنّما   شقّقت عن درّ الصّدف
شعراً إذا ما قسته   بجميع أشعار السّلفْ
قصّرن دون مداه تقـ   ـصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصينٍ عاتبٌ   والحرّ يحتمل الصديق ويغفرُ
وإذا وجدت على الصديق شكوته   سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر[3]

هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاه أبو إسحاق الصابي في قوله [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سـ   ـرّاً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

---

(١) منطقٍ جددٍ : منطق فيه لينٌ وسهولة .

(٢) دبّجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .

(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أراني وقومي فرّقتنا مذاهبُ وإنْ جمعتنا في الأصول المناسبُ
فأقصاهمُ أقصاهم من مساءتي وأقربهم ممّا كرهت الأقارب
غريبٌ وأهلي حيث ما كرَّ ناظري وحيدٌ وحولي من رجالي عصائب[1]
نسيبك من ناسبت بالودِّ قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
وما الذّنب إلاّ العجز يركبه الفتى وما ذنبه إنْ حاربته المطالب
ومن كان غير السيف كافلُ رزقه فلِلْذلّ منه ـ لا محالة ـ جانب[2]

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟ قد صرّح الدهر لي بالمنع والياس
أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء له كأنّني جاهلٌ بالدّهر والناس

وقال [من الطويل] :

تمنّيتم أن تفقدوني ، وإنّما تمنّيتمُ أن تُفقدوا العزَّ أصيدا[3]
أما أنا أعلى من تعدّون همّةً ؟ وإن كنت أدنى من تعدّون مولدا
إلى الله أشكو عصبةً من عشيرتي يسيئون فيَّ القولَ غيباً ومشهدا

---

(١) كرّ ناظري : تطلّع ، والعصائب : الجماعات .
(٢) جانب : ملازم .
(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم وإن ضاربوا كنت المهنّد واليدا[1]
وإن ناب خطبٌ أو ألمّتْ ملمّةٌ جعلت لهم نفسي وما ملكت فدا

وقال [من الطويل] :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا أيا قومنا لا تقطعوا اليدّ باليدِ
فيا ليت داني الرحم منّا ومنكمُ إذا لم يقرِّبْ بيننا لم يبعّد
عداوة ذي القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند[2]

وقال [من الطويل] :

ويغتابني من لو كفانِيَ غيبه لكنت له العين البصيرة والأذْنا
وعندي من الأخبار ما لو ذكرته إذاً قرع المغتاب من ندمٍ سنّا[3]

وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلي لا أسوّغ نفعه فأفضل منه أن أرى غير فاضلِ
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقلٍ يجوز على حوبائها حكم جاهلِ[4]

* * *

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

تبسّم إذ تبسّم عن أقاح وأسفر حين أسفر عن صباحِ
وأتحفني براحٍ من رضابٍ وراحٍ من جنى خدٍّ وراحِ[5]

---

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .
(٢) المضاضة : الألم وشدّته .
(٣) قرع المغتاب من ندمٍ سناً : أي عضّ على أسنانه بقوّة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .
(٤) الحوباء : الروح والنفس .
(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكفّ الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمـن لألاء غرّتـه صباحي ومـن صهبـاء ريقتـه اصطباحي[1]

وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظـه لا من مدامته ومـال بالنّـوم عن عينـي تمايلهُ
فمـا السـلاف دهتنـي ، بل سوالفه ولا الشمـول ازدهتنـي ، بل شمائلهُ
ألـوى بعزمـي أصـداغٌ لوين له وغـال صبـريَ ما تحـوي غلائله[2]

وقال [من الكامل] :

من أين الرشـأ الغـرير الأحور في الخـدّ مثـل عذاره المتحـدِّرِ[3]
قمـرٌ كأنّ بعـارضيه كليهما مسـكاً تساقـط فوق وردٍ أحمرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

قـد كان بدر السمـاء حسناً والنّـاس فـي حبّـه سواءُ
فـزاده ربّـه عـذاراً تـمّ به الحسـن والبهـاءُ
لا تعجبـوا ربّنـا قديرٌ يزيد فـي الخلـق ما يشاءُ

وقال [من الطويل] :

وظبـيٍ غريرٍ في فؤادي كناسه إذا اكتنسـت عين الفـلاة وحورها[4]
فمـن خلقـه أجيادهـا وعيونها ومـن خلقـه عصيانـهـا ونفورها

---

(١) غرته : طلعته البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .
(٢) غال صبري : قتله .
(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشـادنٍ قال لي لمّـا رأى سقمي — وضعف جسمي والدمع الذي انسجما[1]
أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من — خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أسـاء فزادتـه الإسـاءة حظوةً — حبيبٌ علـى ما كان منـه حبيب
يعـدّ علـيَّ الـواشيان ذنوبه — ومـن أين للوجـه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّهـا الغـازي الـذي يغـ — ـزو بجيش الحـبّ جسمـي
مـا يقـوم الأجـر في غز — وك للـروم بإثمـي

وقال [من الكامل] :

وإذا يئِسـتُ من الدنـــوِّ رغبـت في فرط البعاد
أرجـو الشهـادة في هوا — ك لأنَّ روحـي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنـى الرّسـول عن الجـواب تظرُّفاً — ولئـن كنـى فلقـد علمنـا ما عنى[2]
قل يا رسـول ولا تحـاشِ فإنّهُ — لا بدّ منـه أسـاء بي أمْ أحسنا
الذنـب لي فيمـا جنـاه لأنّني — مكّنتـه مـن مهجتـي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتنـي عن زيارتـه عوادٍ — أقـلُّ مخوفهـا سمـر الرماحِ[3]

---

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .
(٢) كنى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .
(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولـو أنّـي أطعـت رسيس شوقي ركبـت إليه أعنـاق الرياحِ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا عسوفـاً بالمسـتهـام الشفيق وعنيفـاً علـى الـرفيق الرفيق[2]
أسـرق الدمـع من نديمـي بكأسٍ فأحلّـي عقيانهـا بالعقيـق

وقال [من مخلع البسيط] :

لـطيرتـي بالصـداع نالـتْ فـوق منـال الصـداع منّـي
وجـدت فيه اتفـاق سوءٍ صدّعنـي مثـل صدّ عنـي

وقال [من البسيط] :

يا ليلـةً لسـت أنسـى طيبهـا أبداً كأنّ كلَّ سرورٍ حاضـرٌ فيها
باتـت وبـتُّ وبـات الـزِّقُّ ثالثنا حتـى الصبـاح تسقِّينـي وأسقيها
كأنّ سودَ عنـاقيدٍ بلمّتها أهـدت سلافتهـا خمـراً إلـى فيها[3]

وقال [من الوافر] :

مسـيءٌ محسـنٌ طوراً وطوراً فمـا أدري عدوّي أمْ حبيبي
وبعض الظـالمين وإنْ تناهى شهـيُّ الـظلم مغتفـر الذّنـوب

وقال [من الخفيف] :

قمـرٌ دون حسنـه الأقمار وكثيبٌ مـن النقـا مستعارُ[4]
وغـزالٌ فيه نفـارٌ ، ومـا ينـ ـكر من شيمـة الظّبـاء النِّفارُ

---

(١) رسيس شوقي : رقته ولينه .
(٢) العسوف : الجائر الظالم .
(٣) اللمّة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .
(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرّمل المحدودبة .

لا أعـاصيه في اجتـراح المعاصي ... في هوى مثلـه تطيب النّار
قـد حذرت المـلاح دهـراً ولكنْ ... ساقنـي نحـو حبّـه المقدار
كم أردت السلـو فاستعطفتني ... رقيـةٌ مـن رقـاك يا عيّار

وقال [من الهزج] :

مـن السلـوان فـي عينيـ ... ـك آيـاتٌ وآثـارُ
أراهـا منـك بالقلب ... وفـي الأضلاع أبصـار
إذا مـا بـرد القلـ ... ـب فمـا تسـخنـه النّار

وقال [من المجتث] :

يا معشـرُ النـاس هل لي ... ممّـا لقيـت مجيـرُ
أصـاب غرّة قلبـي ... ذاك الغـزال الغريـرُ[1]
فعمـر ليلـي طويـلٌ ... وعمـر يومـي قصيـر

وقال [من الرمل] :

أجملـي يا أمَّ عمروٍ ... زادك الله جمـالا[2]
لا تبيعنـي برخـصٍ ... إنّ فـي مثلـي يُغالى
[أنـا إن جدت بوصلٍ ... أحسـن العـالـم حـالا]

* * *

الأوصـاف والتشبيهـات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنّمـا المـاء عليه الجسر ... درْج بياضٍ خطّ فيه سطر

---

(١) غرّة قلبي : مفطمه ، والغرير : الجميل الناعم .
(٢) أجملي : ترفّقي وتصبّري .

كأنّنا لمّا تهيّا العبر أسرّة موسى حين شقّ البحر

وجلس يوماً في البستان البديع والماء يتدرج في البرك ، فقال في وصفه ، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له [من الكامل] :

أنظر إلى زهر الربيع والماء في برك البديعِ
وإذا الرياح جرت عليـ ـه في الذهاب وفي الرجوعِ
نشرت على بيض الصفا ئح بيننا حلق الدروع

وقال في وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله بردٌ ما أشـ ـدّ ومنظرٌ ما كان أعجبْ
جاء الغلام بناره هوجاء في فحمٍ تلهَّبْ
فكأنّما جمع الحلـ ـيّ فمحرقٌ منه ومذهب
وكأنّها لما خبت ما بيننا ندٌّ معشّب[١]

وقال [من الطويل] :

مددنا علينا الليل والليل راضعٌ إلى أن تردّى رأسه بمشيبِ
بحالٍ تردّ الحاسدين بغيظهمْ وتطرف عنّا عين كلٍّ رقيبِ
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنّهُ مبادي نصولٍ في عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجلّنارٍ مشرفٍ على أعالي شجرَهْ
كأنّ في رءوسه أحمرَهُ وأصفرَهْ

---

(١) خبت النار : ضعف وهجها ، والندّ : نوع من الطيب .

قـراضـةُ من ذهـبٍ فــي خـرقٍ معصفــرَهْ(1)

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخـــريدةٍ كرمـــت علـــى آبائها زمنـــاً ، وعنـــد سبائهـــا لم تكرم(2)
خطبت بحـــدّ السيف حتّـــى زوِّجت كرهـــاً ، وكان صداقهـــا للمقسم
راحـــت وصاحبهـــا لعـــرسٍ حاضرٌ برضـــا الإِلّـــه وأهلهـــا في مأتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبـكي عليهـــن البطـــاريق في الدّجى وهـــنّ لدينـــا ملقياتٌ كواسدُ
بذا قضـــت الأيام ما بين أهلها مصائـــبُ قومٍ عنـــد قوم فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لمـــا رأت أثـــر السنـــان بخدّه ظلّـــت تقلّبـــه بوجـــهٍ عابسِ
خلف السّنـــان به مواقـــع لثمها بئس الخلافـــة للمحـــبٍّ البائس
حســـن الثنـــاء بقبـــح ما صنـــع القنا يوم الطعـــان بصحـــن خدٍّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنـــى النفس لمـــن يعقـ ـل خيرٌ من غنـــى المالِ
وفضـــل النـــاس في الأنفـ ـس، ليس الفضـــل في الحالِ

(1) القراضة : النثار ، ومعصفرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .
(2) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المـرء نصـب مصائـب لا تنقضي حتـى يوارى جسمـه في رمسه[1]
فمؤجَّـلٌ يلقـى الـرَّدى في أهله ومعجَّـلٌ يلقـى الـردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفِـقْ من الصبـر الجميل فإنّه لم يخش فقـراً منفـقٌ من صبره
والمـرء ليس ببالـغٍ في أرضه كالصقـر ليس بصائـدٍ في وكرِهِ

وقال [من الكامل] :

خفِّض عليك ولا تكن قلـق الحشا ممّـا يكون وعلَّه وعساهُ[2]
والدّهـر أقصـر مدّةً ممـا ترى وعسـاك أن تكفـي الـذي تخشاهُ

وقال [من الهزج] :

عـرفـت الشـرّ لا للشـ ـرّ لكـن لتوقيـه
فمـن لا يعـرف الشرّ مـن النـاس يقـعْ فيه

وقال [من الطويل] :

لعمـرك ما الأبصـار تنفـع أهلها إذا لم يكن للمبصـرين بصائرُ
وهـل ينفـع الخطّـيّ غير مثقّفٍ وتظهـر ، إلاّ بالصّقـال ، الجواهرُ[3]
وكيف ينـال المجـد والجسـم وادعٌ وكيف يحـاز الحمـد والوفـر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنـك الله فيمـا تريده فليس لمخلـوقٍ إليك سبيل

---

(١) نصب : أمام وهدف ، والرمس : القبر .
(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمّت عليه الضلوع .
(٣) الخطيّ : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشـدك في كلِّ مسلكٍ ضللت ، ولـو أنَّ السّمـاك دليلُ[1]

وقال [من الخفيف] :

لسـت بالمسـتضيم من هو دوني اعتـداءً ، ولسـت بالمستضامِ
ربَّ أمـرٍ عففـت عنـه اختياراً حذراً من أصابـع الأيتامِ
أبـذل الحـقَّ للخصـوم إذا ما عجـزت عنـه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شجٍ ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

مـا للعبيد مـن الذي يقضـي به الله امتنـاعُ
ذدت الأسـود عن الفرا ئس ثم تفرسنـي الضباعُ !

وقوله [من السريع] :

قـد عذّب المـوت بأفواهنا والمـوت خيرٌ من مقـام الذّليلْ
إنّـا إلـى الله لمـا نابنا وفـي سبيل الله خير السبيل

(١) السّماك : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :

فلا تصفـن الحـرب عنـدي ، فإنّها طعامـيَ مذْ بعـت الصبـا وشرابي
وقـد عرفـت وقـع المسـامير مهجتي وشقّـق عن زرق النصـول إهابي[1]
ولججـت في حلـو الزمـان ومرّه وأنفقـت من عمـري بغير حساب

وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنـةً أسيراً فلقـد حللـت بهـا مغيرا
ولقـد رأيت النـار تنتـهـب المنـازل والقصـورا
ولقـد رأيت السبـيَ يجلـب نحونـا حوّاً وحورا[2]
مـن كان مثلـي لم يبت إلاّ أميـراً أو أسيرا
ليسـت تحـلّ سراتنـا إلاّ الصـدور أو القبـورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :

دعوتـك للجفـن القـريح المسهّد لديّ ، وللنـوم القليل المشرّدِ
ومـا ذاك بخـلاً بالحياة وإنّها لأوّل مبـذولٍ لأوّل مجتدِ[3]
ولا زال عنّـي أنّ شخصـاً معرّضاً لنبـل العـدا إن لم يصـب فكأن قدِ
ولكنّنـي أختـار موت بنـي أبي علـى سروات الخيل غير موسّد
وآبـى وتأبـى أن أمـوت موسّداً بأيدي النصـارى موت أكمد أكبد[4]
نضـوت علـى الأيام ثوب جلادتي ولكننـي لم أنض ثوب التجلّد[5]

---

(1) شقّق : تفتح وأنبت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهـاب : الجلد .

(2) الحوّ : البيض من النساء ، والحور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(3) المجتدي : السائل والطالب .

(4) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(5) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوّة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعدٍ ... ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
فمثلك من يدعى لكلّ عظيمةٍ ... ومثليَ من يفدي بكل مسوّد[1]
تشبّثْ بها أكرومةً قبل فوتها ... وقمْ في خلاصي صادق العزم واقعد
فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا ... وأسرع عوّادٍ إليكم معوَّد
يدافع عن أعراضكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهنّد
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقلّد[2]
ولا وأبي ما ساعدان كساعدٍ ... ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنّك للمولى الذي بك أقتدي ... وإنّك للنجمُ الذي بك أهتدي
وأنت الذي عرّفتني طرق العلا ... وأنت الذي أهديتني كلَّ مقصد
وأنت الذي بلّغتني كلَّ غايةٍ ... مشيت إليها فوق أعناق حسَّدي
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها ... لقد أخلقت تلك الثيابَ فجدِّدِ[3]
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها ... وفيك شربت الموت غير مصرّد[4]
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها ... بسبعين فيها كلّ أشأم أنكد
يقولون جنِّبْ عادةً ما عرفتها ... شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّدِ[5]
فقلت أما والله ما قال قائلٌ ... شهدت له في الخيل ألأم مشهد
ولكن سألقاها فإمّا منيّةٌ ... هي الظنُّ أو بنيان عزٍّ مؤيّد
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا ... وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

(١) كلّ عظيمة : كلّ أمرٍ عظيم ، والمسوّد : أي سيّد .
(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلّد : موضع حمائل السيف .
(٣) أخلقت : بليت .
(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الإرتواء .
(٥) جنّب : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابي جليلٌ والعزاء جميل وظنّي بأنّ الله سوف يديلُ[1]
جراحٌ تحاماها الأساة مخافةً وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسرٌ أقاسيه وليلٌ نجومه أرى كلّ شيءٍ غيرهنّ يزول
تطول بيَ الساعات وهي قصيرةٌ وفي كلّ دهرٍ لا يسرّك طول
تناسانيَ الأصحاب إلاّ عصابةً ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإنّ الذي يبقى على العهد منهم وإن كثرت دعواهم لقليلُ
أقلّب طرفي لا أرى غير صاحبٍ يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أنّ المتارك محسنٌ وأنّ خليلاً لا يضرُّ وصول

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به من أكثر الناس إنعامٌ وإفضالُ

(رجع) :

تصفّحت أحوال الزمان فلم يكن إلى غير شاكٍ للزّمان وصولُ
أكلّ خليلٍ أنكدُ غير منصفٍ وكلّ زمانٍ بالكرام بخيلُ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً أجاب إليها عالمٌ وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلى أمير المؤمنين عقيلُ
فيا حسرتي من لي بخلٍّ موافقٍ أقول بشجوي مرّةً ويقول
وإنّ وراء الستر أمّاً بكاؤها عليّ ، وإن طال الزمان ، طويلُ
فيا أمّتا لا تعدمي الصبر ، إنّه إلى الخير والنجح القريب رسول[2]
فيا أمّتا لا تحبطي الأجر ، إنّه على قدر الصّبر الجميل جزيل

---

(١) يديل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .
(٢) أمّتا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

تأسَّيْ كفاك الله ما تجدينه فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمٌ وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلّةً عشيّة لم يعطفْ عليّ خليل
ولكن لقيت الموت حتّى تركته وفيه وفي حدّ الحسام فلول[1]
ومن لم يوقِّ الله فهو ممزّقٌ ومن لم يعزِّ الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

هل تعطفان على العليل لا بالأسير ولا القتيلِ
باتت تقلّبه الأكـ ـفُّ سحابة الليل الطويلِ
فقد الضيوف مكانه وبكاه أبناء السّبيل
وتعطّلت سمر الرما ح وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ ـم وكاشف الخطب الجليل
كن يا قويّ لذا الضعيـ ـف ويا عزيز لذا الذّليل
قرّبه من سيف الهدى في ظلٍّ دولته الظّليل
لم أرو منه ولا شفيـ ـت بطول خدمته غليلي
ولئن حننت إلى ذرا ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا الغضو ب ولا الكذوب ولا الملول
يا عدّتي في النائبا ت وظلّتي عند المقيل[2]
أين المحبّة والذّما م وما وعدت من الجميل ؟
احمل على النفس الكريـ ـمة فيَّ والقلب الحمول

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسّر في حدّ الدسيف .
(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلولة : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لـولا العجـوز بمنبـجٍ ما خفـت أسـباب المنيّـه
ولـكان لي عمّـا سألــــت من الفـدى نفسٌ أبيه
لـكنْ أردت مـرادهـا ولـو انجذبـت إلى الدنيّه
أمسـت بمنبـجَ حـرّةٌ بالحــزن من بعـدي حريّه[1]
فيهـا التقـى والـدين مجـــــموعـان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطـرق منبجاً في كلّ غاديةٍ تحيّه
يا أمّتـا لا تحزنـي وثقـي بفضـل الله فيّه
يا أمّتـا لا تيأسـي لله ألـطـافٌ خفيّـه
أوصيك بالصـبر الجميــــل فإنّــه خيـر الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّـان لي رفيقـاً رفيقا يحفـظ الـودّ أو صديقـاً صدوقا
لا رعـى الله يا خليلـيّ دهراً فرّقتنـا صروفـه تفريقـا
كنـت مولاكمـا ومـا كنـت إلاّ والـداً محسنـاً وعمّـاً شفيقا
فاذكرانـي وكيف لا تذكراني كلمـا استخـون الصـديق صديقـا
بتُّ أبكيكمـا وإنّ عجيباً أن يبيت الأسير يبـكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغـرمٌ مؤلـمٌ جريحٌ أسيرُ إنّ قلبـاً يطيق ذا لصبورُ
وكثيرٌ من الرجـال حديدٌ وكثيرٌ من القلـوب صخور
قـل لمـن حل بالشـآم طليقاً : بأبـي قلبـك الـطليق الأسير

---

(۱) حريّه : جديره .

أنـــا أصبحـــت لا أطيق حراكاً   كيف أصبحـــت أنـــت يا منصور

وكتب إليه [من السريع] :

ارثِ لصـــبٍّ بك قد زدته   علـــى بلايا أسره أسرا
قـد عدم الـــدنيا ولذّاتها   لكنّـــه ما عدم الصبرا
فهـــو أسير الجســـم في بلدةٍ   وهـــو أسير القلـــب في أخرى

وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفـــل عمّـــا بي   حبائبـــي فيـــك وأحبابي
يا ليل نام النـــاس عن موجعٍ   ناءٍ علـــى مضجعـــه نابي[1]
هبّـــت لـــه ريحٌ شآميةٌ   متّـــت إلـــى القلـــب بأسباب[2]
أدّت رســـالات حبيبٍ بها   فهمتهـــا مـــن بيـــن أصحابي

بلغني أن الصاحب كان يستظـرف هذين البيتين ويستملحهمـا ويكثـر الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيّـكـــم أذكـــر   وفـــي أيّكـــم أفكـــرُ
وكم لي علـــى بلدتي   بكـــاءٌ ومستعبـــر
ففـــي حلـــبٍ عدّتي   وعـزّيَ والمفـــخـــر
وفـــي منبـــج من رضا   ه أنفـسُ ما أذخـر[3]
ومـن حبّهـــا زلفـةٌ   بهـــا يكـرم المحشـــر
وأصـــبيـةٍ كـــالفـرا   خ أكبـــرهـم أصغـــر

---

(1) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .

(2) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .

(3) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أدّخر وأبقي .

يخيّل لي أمرهم كأنّهم حضّر[1]
وقوم ألفناهم وغصن الصّبا أخضر
فحزنيَ ما ينقضي ودمعي ما يفتر[2]
أيا غفلتا كيف لا أرجى كما أحذرُ
وماذا القنوط الذي أراه وأستشعر
بلى ، إنّ لي سيّداً مواهبه أكثر
بذنبيَ أوردتني ومن فضلك المصدر[3]

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحبوب على معنّى القلب مكروبِ[4]
يا عيد قد عدت إلى ناظرٍ عن كلِّ حسنٍ فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربّها أصبح في أثواب مربوب[5]
قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسْنٍ ولا طيبِ
ما لي وللدّهر وأحداثه لقد رماني بالأعاجيبِ

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتي هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهموم ببالِ
أتحمل محزون الفؤاد قوادمٌ على غصنٍ نائي المسافة عالي

---

(١) حُضَّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحتضرون من الألم .
(٢) يفتر : يضعف .
(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الوِرد منه .
(٤) معنّى القلب : متألّمه ومتعبه ، والمكروب : المحزون .
(٥) ربُّ الدار : صاحبها ، والمربوب : المستعبد .

أيا جارتـا ما أنصف الدهـر بيننا تعالـي أقاسمـك الهمـوم تعالي[1]
تعالـي تري روحـاً لديّ ضعيفةً تردّد في جسـمٍ يعـذب بالي
أيضحـك مأسـورٌ وتبـكي طليقةٌ ويسـكتُ محـزونٌ وينـدب سالي[2]
لقـد كنت أولـى منـك بالدمـع مقلةً ولـكنّ دمعـي في الحـوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أمـا لجميلٍ عنـدكنّ ثوابُ ولا لمسـيءٍ عنـدكنّ متابُ
إذا الخـلُّ لم يهجـرك إلاّ ملالةً فليس له ، إلاّ الفـراق ، عتاب
إذا لم أجـد من خلّـةٍ ما أريده فعنـدي لأخـرى عزمـةٌ وركاب
وليس فراقٌ ما استطعـت فإن يكنْ فراقٌ علـى حالٍ فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر[من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكدْ إليه بوجـهٍ آخـر الـدهـر تقبل

(رجع) :

صبـور ولـو لم يبـق منّـي بقيةٌ قؤولٌ ولـو أنّ السيوف جوابُ
وقـورٌ وأحـداث الزمـان تنوشني وللمـوت حولـي جيئـةٌ وذهاب
بمـن يثـق الإنسـان فيمـا ينوبه ومـن أين للحـرّ الـكريم صحاب
وقـد صار هذا النـاس إلاّ أقلّهمْ ذئـابٌ علـى أجسـادهـن ثياب
تغـابيت عن قومٍ فظنّـوا غباوةً بمفـرق أغبانـا حصـىً وتراب !

---

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلٍّ أحوالها .
(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .
(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .
(٤) تنوشني : تصيبني وتترك فيّ آثارها .

ولـو عرفونـي بعض معرفتـي بهمْ إذاً علمـوا أنّـي شهـدت وغابوا
إلـى الله أشـكو أنّنـا بمنازلٍ تحـكّم في آسادهـنّ كـلاب
تمـرُّ الليالـي ليس للنفـع موضعٌ لديّ ولا للمعتفين جناب
ولا شدّ لي سرجٌ علـى متـن سابحٍ ولا ضربـت لي بالعـراء قباب[1]
ولا برقـت لي في اللقـاء قواطعٌ ولا لمعـت لي في الحـروب حراب
ستـذكر أيامـي نميرٌ وعامرٌ وكعـبٌ ، علـى علاّتهـا ، وكلاب
أنـا الجـار لا زادي بطـيءٌ عليهمُ ولا دون ما لي في الحـوادث باب
ولا أطلـب العـوراء منهـا أصيبها ولا عورتـي للطـالبيـن تصـاب
بني عمّنا ، ما يفعل السيف في الوغى إذا قلَّ منـه مضـرب وذباب
بني عمّنـا ، نحـن السواعـد والظُّبا ويوشـك يومـاً أن يكون ضراب
ومـا أدّعـي ما يعلـم الله غيره رحـابُ علـيٍّ للعفـاة رحـاب
وأفعالـه للـراغبيـن كريمةٌ وأموالـه للطـالبيـن نهاب
ولـكن بنـا منـه بكفّـيَ صارمٌ وأظلـم في عينـيَّ منـه شهاب[2]

ألم فيه بقول البحتري [من الطويل] :

سحـابٌ عدانـي جوده وهـو ريّقٌ وبحـرٌ خطانـي فيضـه وهـو مفعم
وبـدرٌ أضـاء الأرض شرقـاً ومغرباً وموضـع رحلـي منـه أسـود مظلمُ

(رجع) :

وأبطـأ عنّـي والمنـايا سريعةٌ وللمـوت ظفـرٌ قد أطـلَّ وناب
فإن لم يكن ودٌّ قريبٌ تعدّه ولا نسـبٌ بين الرجـال قراب
فأحـوط للإسـلام أن لا يضيعني ولـي عنـه فيه حوطـةٌ ومناب[3]

---

(1) السابح : الحصان .
(2) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .
(3) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنّنـي راضٍ علـى كلٍّ حالةٍ		لنعلـم أيّ الخلتين سرابُ
ومـا زلـت أرضـى بالقليل محبّةً		لديه ، ومـا دون الـكثير حجاب
وأطلـب إبقـاءً علـى الـودّ أرضه		وذكرى منـىً في غيرهـا وطلاب
كذاك الـوداد المحض لا يرتجـى له		ثوابٌ ، ولا يخشـى عليه عقاب[1]

ومثله للمتنبي [من الطويل] :

ومـا أنـا بالباغـي على الحـبّ رشوةً		ضعيف هوىً يبغـى عليه ثواب

(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشّمل جامعٌ		وفـي كلّ يومٍ لُقيةٌ وخطاب
فكيف وفيمـا بيننـا ملك قيصرٍ		وللبحـر حولـي زخـرةٌ وعباب ؟
أمـن بعـد بذل النفس فيمـا تريده		أثـاب بمـرِّ العتْـبِ حين أثاب
فليتـك تحلـو والحيـاة مريرةٌ		وليتـك ترضـى والأنـام غضاب
وليت الـذي بينـي وبينـك عامرٌ		وبينـي وبين العـالمين خرابُ
إذا صحّ منـك الـودُّ فالـكلُّ هيّنٌ		وكلُّ الـذي فوق التـراب تراب

وكتب إليه [من الكامل] :

بالـكره منّـي واختيارك		أن لا أكون حليف داركْ
يا تاركي إنّـي لشكـ		ـرك ما حييت لغير تارك
كنْ كيف شئـت فإنّني		ذاك المـواسـي والمشـارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبـى غربُ هذا الدّمـع إلاّ تسرّعا		ومكنـون هذا الحـبّ إلا تضوّعا[2]

---

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعيّة وغيرها .

(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٌ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنـت أرى أنّـي مع الصّبـر واجدٌ إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعا[1]

فلمـا استمـرّ الحـبُّ في غلوائهِ رعيت مع المضياعـة الغـرّ ما رعى[2]

فحزنـيَ حزن الهـائمين مبرّحا وسـرّيَ سرُّ العاشـقين مضيّعا

وهبـت شبابـي والشبـاب مضنّةٌ لأبلـج من أبنـاء عمّـيَ أروعا[3]

أبيت معنّـىً من مخافـة عتبه وأصبـح محزونـاً وأمسـي مروّعا

فلمـا مضـى عصـر الشبيبـة كلّه وفارقنـي شرخ الشبـاب فودّعا[4]

تطلّبـت بين العتـب والهجـر فرجةً فحاولـت أمـراً لا يرام ممنّعا[5]

وصـرت إذا ما رمـت في الخير لذّةً تتبّعتهـا بيـن الهمـوم تتبّعا

وهـا أنـا قد حلـى الزمـان مفارقي وتوّجنـي بالشيب تاجـاً مرصّعا

فلـو أنّنـي مكّنـت ممّـا أريده من العيش يومـاً لم أجـد فيَّ موضعا

أمـا ليلـةٌ تمضـي ولا بعض ليلةٍ أسـرُّ بهـا هذا الفـؤاد المفجّعا

أمـا صاحـبٌ فردٌ يدوم وفاؤه فيصفى لمن يصفى ويرعى لمـن رعى

أفـي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه إذا ما تفرّقنـا حفظـت وضيّعا

إذا خفـت من أخوالـيَ الـروم خطّةً تخوّفـت من أعمامـي العـرب أربعا

وإن أوجعتنـي من أعـاديَ شيمةٌ لقيت من الأحبـاب أدهـى وأوجعا

ولـو قد رجـوت الله لا شيء غيره رجعـت إلـى آلـي وأملّـت أوسعا

لقـد قنعـوا بعـدي من القطـر بالنّدى ومـن لم يجـد إلاّ القنـوع تقنّعا[6]

ومـا مرَّ إنسـانٌ فأخلف مثله ولـكن يرجّـى النـاس أمـراً مرقّعا[7]

---

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضيّ .

(٢) الغلواء : حدّة الشباب ونشاطته وميعته .

(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .

(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .

(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .

(٦) القطر : المطر المنهلّ .

(٧) مرقّعا : موصولاً .

تنكّر سيف الدّين لمّا عتبته ... وعرّض بي تحت الكلام وقرّعا
فقولا له من صادق الودّ: إنّني ... جعلتك ممّا رابني منك مفزعا[1]
ولو أنّني أكننته في جوانحي ... لأورق ما بين الضلوع وفرّعا
فلا تغتررْ بالناس، ما كلّ من ترى ... أخوك إذا أوضعت في الأمر أوضعا[2]
فلله إحسانٌ عليٍّ ونعمةٌ ... ولله صنعٌ قد كفاني التصنّعا
أرانيَ طرق المكرمات كما رأى ... عليٌّ، وأسعى لي علياً كما سعى
فإن يك بطءٌ مرّةً فلطالما ... تعجّل بي نحو الجميل فأسرعا
وإن يجف في بعض الأمور فإنّني ... لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ الناس بعدي فلم يزل ... بذاك البديل المستجدّ ممتّعا

وكتب إليه أبو فراس: مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري، فأجابه سيف الدولة بكلام حسن، وقال له: ومن يعرفك بخراسان؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب]:

أسيف الهدى وقريع العربْ ... إلامَ الجفاء؟ وفيم الغضبْ؟
وما بال كتبك قد أصبحتْ ... تنكبني مع هذي النكب[3]
وأنت الكريم، وأنت الحليم ... وأنت العطوف، وأنت الحدب[4]
وما زلت تسعفني بالجميلِ ... وتنزلني بالمكان الخصب
وإنّك للجبلُ المشمخرّ لي، بل لقومك، بل للعرب
علاً يستفاد، وعافٍ يفاد، ... وعزٌّ يشاد، ونعمى تربّ[5]
وما غضّ منّيَ هذا الإسار ... ولكن خلصت خلوص الذّهب

---

(١) رابني: أدخل في نفسي الريبة والشك، والمفزع: الملجأ.
(٢) أوضعت: أسرعت، وأفسدت.
(٣) تنكّبني: تصيبني وتساعد عليّ، والنكب: المصائب.
(٤) الحدِب: العطوف الشفوق.
(٥) العافي: الطالب المعروف، تربّ: تحمد وتحفظ.

ففيم يقـرّعني بالخمو ل مولىً به نلت أعلى الرتب ؟
وكان عتيداً لديّ الجواب ولكنْ لهيبته لم أجب
أتنكر أني شكوت الزمان وأنّي عتبتك فيمن عتب
فألاّ رجعت فأعتبتني وصيّرت لي ولقومي الغلب
فلا تنسبنّ إليّ الخمول عليك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضلٌ وإن كان نقصٌ فأنت السّبب
وإنّ خراسان إنْ أنكرت علايَ فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدون أمن نقص جدٍّ ؟ أمن نقص أب ؟
ألست وإيّاك من أسرةٍ وبيني وبينك عرق النسب ؟
ودادٌ تناسب فيه الكرام وتربيةٌ ومحلٌّ أشب[1]
ونفسٌ تكبّرُ إلاّ عليك وترغب إلاّك عمّن رغب
فلا تعدلن فداك ابن عمّك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
وأنصِفْ فتاك فإنصافه من الفضل والنسب المكتسب
فكنت الحبيب ، وكنت القريب لياليَ أدعوك من عن كثب
فلمّا بعدت بدت جفوةٌ ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرةٍ لقلت صديقك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زماني كلّه غضبٌ وعتبٌ وأنت عليّ والأيام ألْبُ[2]
وعيش العين لديك سهلٌ وعيشي وحده بفناك صعب
فكيف وأنت دافع كلّ خطبٍ مع الخطب الملمّ عليّ خطب

---

(١) أشب : ملتف ومتماسك .
(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ ... به لحوادث الأيام ندبُ[1]
أمثلي تقبل الأقوال فيه ... ومثلك يستمرّ عليه كذبُ
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ ... يقدّ الدرع والإنسان ، عضب[2]
وزندي وهو زندك ليس يكبو ... وناري وهي نارك ليس تخبو[3]
وفرعي فرعك السّامي المعلّى ... وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه ... لأنّك أصله والمجدّ ترب[4]
فدت نفسي الأمير وكان حظّي ... وقربي عنده ما دام قربُ
فلمّا حالت الأعداء دوني ... وأصبح بيننا بحرٌ ودرب[5]
ظللت تبدّل الأقوال بعدي ... ويبلغني اغتيابك ما يغبّ[6]
فقل ما شئت فيّ فلي لسانٌ ... مليءٌ بالثّناء عليك رطب
وقابلني بإنصافٍ وظلمٍ ... تجدني في الجميع كما تحبُ

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم ، فكتب إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها ... آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشآم مفردةٌ ... بات بأيدي العدى معلّلها

---

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .
(٢) يقدّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للّسان وهي بمعنى القاطع .
(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفىء .
(٤) الترب : يقال فلان ترِبُ فلان ، أي يساويه في السنّ .
(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .
(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنـــت ، وأين ؟ أو هدأت ... عنـــت لهـــا ذكرةٌ تقلقلها[1]
تسـأل عنّـا الركبـان جاهدةً ... بأدمـعٍ ما تكـاد تمهلها
يا من رأى لي بحصـن خرشنةٍ ... أسـدَ شرىً في القيود أرجلها
يا من رأى في الـدروب شامخةً ... دون لقـاء الحبيب أطولهـا
يا أيهـا الراكبـان هل لكما ... في حمـل نجـوى يخفُّ محملها
يا أمّتـا هـذه منازلنا ... نتـركهـا تـارة وننزلهـا

ومنها :

يا سيّداً ما تعـدُّ مكرمةً ... إلاّ وفـي راحتيك أكملها
ليسـت تنـال القيود من قدمي ... وفـي اتباعـي رضـاك أحملها
لا تتيمّـمْ والمـاء تدركه ... غيرك يرضـى الصغـرى ويقبلها[2]
أنـت سمـاءٌ ونحـن أنجمها ... أنـت بلادٌ ونحـن أجبلهـا
أنـت سحـابٌ ونحـن وابله ... أنـت يمينٌ ونحـن أشملها
بـأيٍّ عذرٍ رددت والهةً ... عليك دون الـورى معولّها[3]
جاءتـك تمتـاح ردّ واحدها ... ينتظـر النـاس كيف تقفلها[4]
تلك العقـود التـي عقـدت لنا ... كيف وقـد أحكمـت تحلّلها
أرحامنـا منـك ، لمْ تقطّعها ؟ ... ولـم تزلْ دائبـاً توصّلها
سمحـت منّـي بمهجـةٍ كرمتْ ... أنـت ، علـى يأسهـا ، مؤمّلها
إن كنـت لم تبـذل الفـداء لها ... فلـم أزل في هواك أبذلها
تلك المـودات كيف تهملها ... تلك المـواعيد كيف تغفلها

---

(١) عنّت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقِلها : تقضُّهـا وتقلِقُها .
(٢) التيمُّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفّر الماء .
(٣) الوالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولّها : أي الذي يعولها .
(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالـي التـي عرفـت بها تقولهـا دائبـاً وتفعلها ؟
يا واسـع الـدار كيف توسعها ونحـن في صخـرةٍ نزلزلها
يا ناعـم الثـوب كيف تبدله ثيابنـا الصـوف ما نبدِّلها !
يا راكب الخيل لو بصـرت بنا نحمـل أقيادنا وننقلها
رأيت في الضـر أوجهـاً كرمت فارق فيك الجمـال أجملها
قـد أثّـر الدهـر في محاسنها تعـرفهـا تـارةً وتجهلهـا
لا يفتـح النـاس باب مكرمةٍ صاحبهـا المسـتغـاث يقفلهـا
أينبـري دونـك الـكرام لها وأنـت قمقـامهـا وأجملهـا[1]
وأنـت إن عزَّ حادثٌ جللٌ قُلَّبُهـا المـرتجـى وحُوَّلُهـا[2]
منـك تردّى بالفضـل أفضلها منـك أفـاد النـوال أنولهـا[3]
فـإن سألنـا سواك عارفةً فبعـد قطـع الـرجـاء نسألها[4]
لـم يبـق في النـاس أمّـةٌ عرفتْ إلاّ وفضـل الأمير يشملها
نحـن أحـقُّ الـورى برأفته فأين عنّـا وكيف معدلها
يا منفـق المـال لا يريد به إلاّ المعالـي التي يؤثّلها[5]
أصبحـت تشـري مكارمـاً فضلاً فداؤنـا ما علمـت أفضلها
لا يقبـل الله قبـل فرضـك ذا نافلـةً عنـده تنفّلهـا[6]

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :

يـا سيـديّ أراكمـا لا تـذكـران أخـاكمـا

---

(١) القمقام : السيِّد الكثير العطاء .

(٢) قلّبُها : يقال فلان قُلَّب حوّل : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحيُّل لها .

(٣) تردّى : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمساك بالفضل ، وأنولها : أشدّها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدٌ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنفلها : أراد تتنفلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجـدتما بـدلاً به يبني سماءَ علاكما
أوجـدتما بدلاً به يفـري نحور عداكما[1]
مـن ذا يعـاب بمـا لقيــت من الـورى إلاّكما
لا تقعـدا بي بعدها وسـلا الأميـر أباكما
وخـذا فدايَ جعلـت من ريب المنـون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف في رسـوم المستجا ب ونـاد أكنـاف المصلّى
تلـك المنـازل والمـلا عـب لا أراهـا الله محلا[2]
أوطنتهـا زمـن الصبا وجعلت منبـج لي محلاّ
حيث التفـت رأيت ما ءً سائحـاً وسـكنت ظلاّ
والمـاء يفصـل بين زهـــر الروض في الشـطين فصلا
كبسـاط وشـيٍ جـرّدت أيدي القيون عليه نصلا[3]
مـن كان سرٌّ بمـا عرا ني فليمـت ضرّاً وهزلا[4]
مـا غضّ مني حادثٌ والقـرم قـرمٌ حيث حلاّ[5]
أنّـى حللـت فإنّمـا يدعـونني السيف المحلى
ولئـن خلصـت فإنّنـي شرق العـدا طفـلاً وكهلا[6]
مـا كنـت إلاّ السيف زا د على صروف الدهـر صقلا[7]

---

(١) يفري : يقطع .
(٢) المحل : الجدب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصبة ناعمة .
(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .
(٤) عراني : أصابني .
(٥) غضّ : نقص وقلّل من منزلتي ، والقرم : السيّد .
(٦) شرق العدا : غصتهم .
(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئن قتلت فإنّما ... موت الكرام الصيد قتلى[1]
يغترّ بالدنيا الجهو ... ل وليس بالدنيا مملّى[2]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ... أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بلى أنا مشتاق وعندي لوعةٌ ... ولكنَّ مثلي لا يذاع له سرُّ
إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرّجا ... وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحي ... إذا هي أذكتها الصبابة والفكر[3]

ومنها :

وإنّي لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ ... معوّدةٍ أن لا يخلّ بها النصر
وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا ... وأسغبُ حتى يشبع الذئب والنسر[4]

ومنها :

أسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ... ولا فرسي مهر ولا ربّه غمرُ[5]
ولكن إذا حمّ القضاء على امرىءٍ ... فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
وقال أصيحابي : الفرار أو الرّدى ... فقلت : هما أمران أحلاهما مرُّ
ولكنّني أمضي لما لا يعيبني ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الرّدى بمذلةٍ ... كما ردّها يوماً بسوأته [redacted][6]

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبراً .
(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .
(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .
(٤) أصدأ : أظمأ ، وأسغب : أجوع .
(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .
(٦) يقال : إنّ عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فنال منه أبو الحسنين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سوأة أحدٍ قطّ ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

ما لي جزعت من الخطوب ، وإنّما أخذ الإلّه لبعض ما أعطاني
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي رأي الكهول ونجدة الشبانِ
قمنٌ بما سرّ الأعادي موقفي والدهر بَرّزَ لي مع الأقران[1]
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي وغدرت بي في جملة الإخوان
لكنّ سيف الدولة المولى الذي لم أنسه وأراه لا ينساني
أيضيعني من لم يزل ليَ حافظاً كرماً ويخفضني الذي أعلاني
إنّي أغار على مكانيَ أن أرى فيه رجالاً لا تسدُّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبّة بالشآم حبيبٌ بات ممنوع المنام
وإني للصبور على الرزايا ولكنّ الكلام على الكلام[2]
جروح ما يزلن يردن منّي على جرحٍ قريب العهد دام
تأمّلني الدمستق إذ رآني فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرني كأنّك لست تدري بأنّي ذلك البطل المحامي
فلا هُنّئتها نعمى بأخذي ولا وصلت سعودك بالتمام
أما مِنْ أعجبِ الأشياء علجٌ يعرّفني الحلال من الحرام[3]
وتكنفه بطارقةٌ تيوسٌ تباري بالعثانين الضخامِ[4]

= عنه ، ففرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخترمتك بالرمح . . .

(1) القمن : الجدير والخليق .

(2) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(3) العلج : الكافر .

(4) تكنفه : تحيط به ، والعثانين : اللحى ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلست تلقى ... فتىً منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب ، وأعجزتهم ، ... وأيّ العيب يوجد في الحسام[1]
ثناءٌ طيّبٌ لا خلف فيه ... وآثارٌ كآثار الغمام
ألاز على التعرُّض للمنايا ... ولي سمعٌ أصمّ عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواءٌ ... ولو عمر المعمّر ألف عام
ألا يا صاحبيَّ تذكّراني ... إذا ما شمتما البرق الشآمي[2]
إذا ما لاح لي لمعان برقٍ ... بعثت إلى الأحبّة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب ... وناديت بالتسليم خير مجيبِ
ولم يبق منّي غير قلبٍ مشيّعٍ ... وعودٍ على ناب الزمان صليب[3]
وقد علمت أمي بأنّ منيتي ... بحدّ حسامٍ أو بحدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها ... بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها ـ وهي حبلى ـ كأن نار أخرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطةٍ ... وأمّلت نصراً كان غير قريب
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه ... وفارق دين الله غير مصيب[4]

---

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشرّ والخلاف .
(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .
(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .
(٤) أراد بربّ غسان : جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولطم أعرابياً مسلماً لأنّه داس رداءه فأراد عمر أن يقتصّ منه ،إلاّ أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى الغد ، ثمّ فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصرًا . . . ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعبٍ ولا خفّ خوفٌ بالحزون خبيب[1]

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أنّنا ونحن أسود الحرب،لا نعرف الحربا[2]
فويلك ! من للحرب إن لم نكن لها ؟ ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟
ومن ذا يكفّ الجيش من جنباته ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا
وويلك ، من أردى أخاك بمرعشٍ وجلّل ضرباً وجه والدك العضبا[3]
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً وخلاّك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا][4]
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنّا بها أسداً وكنت بها كلبا
وسلْ برد ، سل عنّا أباك وصهره وسل أهل برداليس أعظمهم خطبا[5]
وسل قرقاشا والشمقمق صهره وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسل صيدكم آل الملابين ، إنّنا نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا[6]
وسل أهل بيرامٍ وأهل بلنطسٍ وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسل بالبطرصيس العساكر كلّها وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا

---

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفَّ خوفَ الحرب قلبُ حبيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخبيب : من الخبب وهو ضربٌ من العدو .

(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمة في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : إسم مكان .

(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبراً ومخيلة والملابين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألم تكفهم قتلا ونهباً سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا
بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ؟ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا ؟[1]
تفاخرنا بالضّرب والطعن والقنا لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذبا[2]
رعى الله أوفانا ـ إذا قال ـ ذمّةً وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليليَّ ما أعددتما لمتيّمٍ أسيرٍ لدى الأعداء جافي المراقد
فريدٍ عن الأحباب لكن دموعه مثانٍ على الخدين غير فرائد[3]
جمعت سيوف الهند من كلّ وجهةٍ وأعددت للأعداء كلّ مجالد
إذا كان غير الله للمرء عدّةً أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرّت الحنفاء حتف حذيفةٍ وكان يراها عدّةً للشدائد[4]
[وجرت منايا مالك بن نويرة عقيلته الحسناء أيام خالد][5]
وأردى ذؤاباً في بيوتِ عُتيبةٍ بنوه وأهلوه بشدو القصائد[6]

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عندي في الإسار وغيره مواهب لم يخصص بها أحدٌ قبلي
حللت عقوداً أعجز الناس حلّها وما زلت لا عقدي يذم ولا حلّي

---

(١) أجحرت : أي دخل الجحر فراراً .
(٢) الإست : المؤخّرة .
(٣) مثانٍ : جمع مثنى ، وأراد متتالية بعضها إثر بعض .
(٤) الحنفاء : القوس ، والحتف : الهلاك .
(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .
(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عاينتنـي الـروم قد ذلّ صيدها كأنّهـمٌ أسـرى يديٍّ بلا كبل[1]
وأوسـعُ أيّامـاً حللـت كرامةً كلأنّيَ من أهلـي نُقلـتُ إلـى أهلي
فأبلغ بنـي عمـي وأبلـغ بنـي أبي بأنّـيَ في نعمـاء يشكرهـا مثلي
ومـا شاء ربـي غير نشـر محاسني وأن يعرفـوا ما قد عرفتـم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية

مـا العمـر ما طالـت به الدهور العمـر ما تمّ به السرورُ
أيام عزّي ونفـاذ أمري هي التـي أحسبهـا من عمري
[مـا أجـور الدهـر علـى بنيه وأغـدر الدهـر بمـن يُصفيه][2]
لـو شئـت ممـا قد قللن جدا عددت أيام السـرور عدّاً
أنعـت يومـاً مرّ لي بالشام ألـذّ ما مرّ من الأيام
دعـوت بالصّقّـار ذات يوم عنـد انتباهـي سحـراً من نومي[3]
قلـت له اختـر سبعـةً كبارا كلٌّ نجيبٌ يردُ الغبارا
يكون للأرنـب منهـا اثنان وخمســةٌ تفـرد للغزلانِ
واجعـل كلاب الصيد نوبتين يرسـل منهـا اثنـان بعـد اثنينِ
ثـم تقدّمـت إلـى الفهّاد والبـازياريـن بالاستـعـداد[4]
وقلـت إنّ خمسـةً لتقنع والزُّرَّقـان الفـرخُ والملمّع
وأنـت يا طبـاخ لا تباطا عجّـل لنـا اللّفـات والأوساطا
ويا شرابـيٌّ البلقسيـات تكون للـراح ميسّراتِ

(١) الكبل : القيد .
(٢) يُصفيه : يتخذه خليلاً .
(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .
(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بـالله لا تستصحبـوا ثقيلا واجتنبـوا الكثـرة والفضـولا
ردّوا فلانَـا وخـذوا فلانا وضمنونـي صيدكـم ضمانـا
فاختـرت لمّـا وقفـوا طويلاً عشـرين أو فويقهـا قليـلا
عصابـةٌ أكرم بهـا عصابهْ معروفـة بالفضـل والنجابهْ
ثـم قصدنـا صيد عين باصر مظنّـة الصيد لكلّ خابر[1]
جئنـاه والشـمس قبيل المغربِ تختـال في ثوب الأصيل المذهبِ
وأخـذ الـدّراج في الصياح مكتنفـاً من سائـر النواحي[2]
فـي غفلـةٍ عنّـا وفـي ضلال ونحـن قد زرنـاه بالآجالِ
يطـرب للصبـح وليس يدري أنّ المنـايا في طلـوع الفجرِ
نحـن نصلـي والبـزاة تخرج مجـردّاتٍ والخيـول تسـرج
وقلـت للفهّـاد : إمض وانفردْ وصـح بنـا إن عنّ ظبـيٌ واجتهد
فلـم يزل غير بعيد عنّا إليه يمضـي ما يفـرّ منّا
وسـرت في صفٍّ من الرجال كأنّمـا نزحف للقتال
فمـا استوينـا كلّنـا حتـى وقف غليّمٌ كان قريبـاً من شرف[3]
ثـم أتانـي عجـلاً قال السبق فقلـت إن كان العيان قد صدق
سـرت إليه فأرانـي جاثمه ظننتهـا يقظـى وكانـت نائمه
[ثـم أخـذت نبلـة كانـت معي ودرت دورين ولـم أوسع]
حتـى تمكنـت فلـم أخـط الطلبْ لكلّ حتفٍ سبـبٌ من السبب

ومنها :

ثم دعوت القوم: هذا بازي فأيكـم ينشـط للبـراز

---

(١) مظنّة الصيد : أي حيث يظن أنّ فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .
(٢) الدرّاج : طائر كالحجل .
(٣) الشُّرَف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقال منهم رشأ: أنا ، أنا ولو درى ما بيدي لأذعنا[1]

ومنها :

جئت ببازٍ حسنٍ وهبرج دون العقاب وفويق الزمَّج[2]
زيْنٍ لرائيه وفوق الزّين ينظر من نارين في غارين
كأنَّ فوق صدره والهادي آثار مشي الذرِّ في الرماد
[ذي منسرٍ فخمٍ وعينٍ غائرهْ وأفخذٍ مثل الجبال وافره[3]
ضخمٍ قريب الدَّستبان جدًّا يلقى الذي يحمل منه كدًّا[4]
وراحةٍ تحمل كفِّي سبطة زادت على قدر البزاة بسطه[5]
سرّ وقال هات قلت مهلا احلف على الردّ فقال كلاًّ
أما يميني فهي عندي غاليهْ وكلمتي مثل يميني وافيه
فقلت خذه هبةً بقبله فصدّ عني وعلته خجله
ثم ندمت غاية الندامة ولمت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال حضّر وهو يزيد خجلاً ويحصر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط وهشّ للصّيد قليلاً ونشطْ

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتى إذا جندله كالعندل أيقنت أن العظم غير الفضل[6]
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر انزل عن المهر وهات ما حضر

(١) أذعن : أقرّ وهدأ .
(٢) الهبرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .
(٣) المنسر : الظفر .
(٤) الدستبان : فارسية والدست المكان والبيت .
(٥) البسطة : القوّة .
(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جـاء بأوسـاطٍ وجُرْدباج ... من حجـل الـطير ومـن درّاج
فمـا تنازلنـا عن الخيولِ ... يمنعنـا الحـرص من النزولِ
وجـيء بالـكأس وبالشراب ... فقلـت : وفّرهـا علـى أصحابي
أشبعنـي اليوم وروّانـي الفرح ... فقـد كفانـي بعض وسـطٍ وقدح

ومنها :

ثـم انصرفنـا والبغـال موقرهْ ... في ليلـةٍ مثـل الصبـاح مسفره
حتـى أتينـا رحلنـا بليلِ ... وقـد سُبقنـا بجياد الخيل
ثـم نزلنـا فطرحنـا الصيّدا ... لمـا عددنـا مائـةً وزيْدا[1]
فلـم نزل نشـوي ونقلـي ونصُبْ ... حتـى طلبنـا صاحياً فلـم نُصِبْ
شربـاً كمـا عنّ من الزّقاق ... بغير ترتيبٍ وغير ساق
ولـم نزل سبـع ليالٍ عددا ... أسعـد من راحَ وأحظـى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني قال : قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم ـ وقد جرى ذكر أبي فراس ـ : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصـل يدهـا بباعك ... ولا تغـز السبـاع إلـى رباعكْ
ولا تعـنِ العـدو علـيّ ، إني ... يمينٌ إن قطعـت فمـن ذراعكْ

فقال الصاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه فد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

مـا العمـر ما طالـت به الدّهور ... العمـر مـا تمّ به السّرورُ

(١) زيْدا : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروِّح القلــب ببعض الهزل تجاهــلاً منّــي بغير جهلِ
أمــزح فيه مزح أهــل الفضلِ والمــزح أحيانــاً جلاء العقلِ

* * *

فصــــل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها . ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها ـ كما قرأته لبعض البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، او استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مرثيته على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالــي ، إنّ أيدَيها إذا ضربن كســرن النبــع بالغرب[1]
ولا يعــنّ عدوّاً أنــت قاهره فإنهــنّ يصــدن الصقــر بالخرب[2]

---

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القويّ .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من الكامل] :

أبنيَّتـــي لا تجزعـــي ... كـلُّ الأنـــام إلـــى ذهابْ
نـــوحي علـــيَّ بحسـرةٍ ... من خلف ستـــرك والحجاب
قـــولـــي إذا كلّمتنـــي ... فعييت عن ردٍّ الجـواب
زين الشبـــاب أبـــو فرا ... س لـــم يمتَّـــعْ بالشّباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان
وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منّا قبائل يعربٍ وبنو نزارِ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ تبشّرهم بأعمارٍ قصار

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر - [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي والخيل من تحت الفوارس تنحطُ[1]
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى والبيض تشكِلُ والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامُ ما يدريك ما أفعالنا والخيل تحت النّقع كالأشباح[2]

(١) تنحط : تزفر من الجهد .
(٢) النقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفــو وترســب في الدّمــاء كأنّها صور الفــوارس في كؤوس الراح

وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ، ظبـيٌ من الجنَّــة الفــردوس قد هبطا
له عذران قد خطّــا بوجنته فاستوقفــا فوق خدّيه ومــا انبسطا
وظــلّ يخطــو فكلٌّ قال مِنْ شغفٍ : يا ليتــه في سواد الناظــرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه فقلت له : ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن رضوان غفل عنه فأبق[1] من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقــم هذا الغــلام جسمي بمــا بعينيه من سقام
فتــور عينيه من دلالٍ أهــدى فتــوراً إلــى عظامي[2]
وامتزجــت روحــه بروحي تمــازج المــاء بالمــدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد » هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمــي هذا الغــزال ، فإنّه رمانــي بسهمــيْ مقلتيه علــى عمدِ
ولا تقتلــوه إنّنــي أنــا عبده ولــم أر حرّاً قطُّ يقتــل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :

للعبـد مسألــةٌ لديك جوابها إن كنــت تذكره فهــذا وقتهُ
ما بال ريقــك ليس ملحــاً طعمه ويزيدنــي عطشــاً إذا ما ذقتهُ !

---

(١) أبق : هرب .
(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والـذي جعـل الموا ... لي في الهـوى خدم العبيدِ
وأصـار في أيدي الظبا ... ء قياد أعنـاق الأسودِ
وأقـام ألـوية المنيـ ... ـة بين أفنية الصّدود(1)
مـا الـورد أحسـن منظراً ... من حسـن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسـول الحبيب ويحـك قد ألـ ... ـقـى عليك الحبيب حسنـاً وطيبا
وتعلّمـت حسـن ألفاظـه تلـ ... ـك فظرّفـت بادئـاً ومجيبـا
ولقـد كدت أن أضمّـك لولا ... أن يسـيء الظنـون أو يستريبا
خيفـةً أن يكون ذاك كمـا قيـ ... ـل قديمـاً : صار الرسـول حبيبا

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلـيَّ ، أسعدانـي فقـد عيـ ... ـل ، اصطبـاري علـى احتمـال البليّهْ
غربـةٌ قارظيّـةٌ ، وغرامٌ ... عامـريٌّ ومحنـةٌ علويـة(2)

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمـت أنـي ظالـمٌ فهجرتني ... ورميت في قلبـي بسهـمٍ نافذِ
فنعـم ظلمتـك فاغتفـر لي زلّتي ... هذا مقـام المسـتجير العائذ

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

---

(1) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .
(2) قارظيّة : أراد دائمةً أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامريّة وعلويّة : نسبة إلى آل عليّ بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عينيك في عيني تجدها ... مشرّبةً ندى ورد الخدود[1]
وصافحني تجد عبقاً بكفّي ... يضوع إليك من ردع النهود[2]
وخذ سمعي إليك فإنّ فيه ... بقايا من حديثٍ كالعقود

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال: أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إنّي لأحسد « لا » في أسطرِ الصحف ... إذا رأيت اعتناق اللام للألف
وما أظنّهما طال اجتماعهما ... إلاّ لما لقيا من شدّة الشغفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أفدى الذي زرته بالسّيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له ... حتّى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه ... من كان في الحبّ أشقانا بصاحبه

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى : ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزدِ
فقال : خلفته لو مات من ظمأٍ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي !

---

(١) أجل : أدِر ، وتطلّع ، وحدّق .
(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع ؛ أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها[1] تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوءٌ من البدر أحياناً فيبليها
وكيف تنكر ان تبلي معاجرها والبدر في كلّ حينٍ طالع فيها[2]

وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقدهِ وإنْ كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا ببينٍ دعا[3]

وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدِ
ولست أعتدّه من بعدكم نظراً لأنّه نظرٌ من مقلتيْ رمِدِ[4]

* * *

٣ ـ منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يومَ أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس[5]

---

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشدّه المرأة على وسطها .
(٢) تبلى : تخلق وترثّ .
(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .
(٤) الرمد : وجعٌ يصيب العين .
(٥) الدجن : المطر الكثير ، والإلفي : خلّي وحبيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط في أذنها ... بدر الدجى قرّط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها ... « يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفّه مداما ... ألذُّ من غفلة الرقيب
كأنّها إذ صفت ورقّتْ ... شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا ... يا صاحبيَّ فسقّياني واشربا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قبل أن يتغيَّبا
قام الغلام يديرها في كفِّه ... فحسبت بدر التمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنَّهُ ... قد سلَّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه ـ على كثرته ـ قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أَحسِنْ بدجلة والدجى متصوِّبُ ... والبدر في أفق السماء مغرِّبُ[1]
فكأنّها فيه بساطٌ أزرقٌ ... وكأنّه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على ... وجه غزالٍ مونِقِ[2]
بقمرٍ منتقبٍ ... بخاتمٍ منتطق
والبدر فوق دجلةٍ ... والصبح لمّا يشرق

---

(١) الدّجى : الظلام : متصوّب : منحدر ، ونازل .
(٢) المونق : البديع الفاتن .

كحليةٍ من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بماء الجفون وقلبي بماء الهوى مشربُ
فكفّي تخطُّ وقلبي يمل وعيني تمحو الذي تكتبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألبسني ذلّة العبيد مَنْ قلبُهُ صيغ من حديد[1]
ونمَّ طرفي بما ألاقي من كمدٍ دائم المزيد[2]
وكيف يخفي الهوى عميدٌ ودمّه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا : عليك سبيل الصبر ، قلت لهمْ : هيهاتَ ! إن سبيل الصبّر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليه القلب مشتاقا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للكأس في كفّـ ـك يوم الغيث لبثُ[3]
أو ما تعلم أن الـ ـغيث ساقٍ مستحثُّ

وله [من الهزج] :

ولولا أن برذون الـ ـهوى يعتلف الرطبه

---

(١) صيغ : سبك وصنع .
(٢) نمَّ : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغمّ .
(٣) اللَّبْث : مقامٌ .

ركبناه إلى الصيّد وأرسلنا له كلْبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه[1]
وصيّرنا لزيت الوصـ ـل من جلد استها ربّه[2]

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما ليَ في لوعتي شبيهٌ قال : وأبصرت لي شبيها ؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطبِ
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمٍ يمجُّ خمراً من برد
إنْ قسّم الناس فحسـ ـبي بك من كلٍّ أحد

* * *

٤ ـ أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتاني عن بني ورقاء قولٌ ألذُّ جنىً من الماء القراح

---

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحوله ، والخبّة : خرقة طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب المدبوغ ، أو أنثى الضبّ .
(٢) الإست : المؤخّرة .

وأطيب من نسيم الـروض حفّتْ | به اللّـذات من روحٍ وراح
ولـو أنّـي اقترحــت علـى زماني | لكنتـم ، يا بنـي ورقـا ، اقتراحي

ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصـاح قلبـه أم غير صاحٍ | وقـد عنّـت له عفـر البطاح[1]
ظبـاء الـوحش تحـكي ماثلاتٍ | ظبـاء الإنس بالصّـور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفـانٍ صحاحٍ | فيا عجبي من المرضـى الصحاحِ
ومـا زالـت عيون العين فينا | تؤثّـر فوق تأثير السّلاح

ومنها :

أمطلعــة الهــلال علـى قضيبٍ | ومسدلـة الظـلام علـى الصّباح !
عدتنــي عن زيارتـك العوادي | ودهـرٌ للأكارم ذو اطراح[2] !

ومنها :

أمـدره تغلـب لسنـاً وعلما | ومصقـع نطقهـا عنـد التلاحي[3]
لقــد أوتيت علمـاً واضطلاعا | بآدابٍ وألفـاظٍ فصـاح
لمقـولِكَ المضـاء إذا انتضـاه الـ | ـقصيد علـى المهنّـدة الصّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعـري ، والحـوادث جمّةٌ | وما كنت في دهري إلى النـاس شاكيا

---

(١) عنّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .
(٢) عدتني : منعتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .
(٣) المدره : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمـي ريب المنـون بحسرةٍ تبلِّـغ نفسـي من شجاهـا التراقيا ؟[1]
إلـى الله أشكو أنَّ في الصـدر حاجةً تمـرُّ بهـا الأيام وهـي كمـا هيا

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنّهـمُ لمّـا استهاجـوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا[2]
كمـن شبَّ ناراً في شعـار ثيابه وهيّج ليثـاً للفريسـة ضاريا[3]

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

لعل خيال العامرية زائر

عمـرن بعمّـارٍ من الإنس برهةً فهـا هنَّ صفـرٌ ليس فيهـنَّ صافرُ
أخلَّـت بمغناهـا دمـىً وخرائدٌ وحلّـت بأقصاهـا مهـاً وجآذر[4]
أهـنَّ عيونٌ باللحـاظ دوائرُ علـى عاشقيهـا أم سيوفٌ بواتر ؟[5]
ضعـائف يقهـرن الأشـدّاء قدرةً عليهـم وسلطـان الصّبابـة قاهرُ

ومنها :

ألا يا ابـن عمّ يستـزيد ابـن عمّه رويدك إنّـي لانبساطـك شاكرُ
تصفّحـت ما أنفذتـه فوجدته كما استودعـتْ نظـم العقـود الجواهر
وذكّرنـي روضـاً بكتـه سماؤه فضاحـكه مستأسـدٌ وهـو زاهر
عرائس تجلوهـا عليك خدورها ولكنّمـا تلك الخـدور دفاتـر

---

(١) امخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحية إلى ناحية . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخّر والتعب ، والضعيف .
(٣) شبّ ناراً : أسعرها وأصلاها .
(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبكار النواهد .
(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فإنّ العـدل في الحـكم سيرةٌ بها سار في الناس الملـوك الأساور[1]

ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنــا إذا اشتــدّ الزما ن ونــاب خطــبٌ وادلهمْ

من أبيات قـد مـرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات [من الكامل] :

أنتـم كمـا قد قلـت بل أعلـى وأشـرف يا ابــن عمْ
ولــكم سوابــق كلّ فخـــــرٍ واللواحــق من أمم[2]
أحسنــت والله العظيـــــم نظــام بيتــك حين تمّ
فيمــا ذكرت من السيو ف ومــا ذكرت من النعم
حتــى كـأنّ بنظمـه للحسـن دراً منتظـم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق الصابي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من الكامل] :

يا ذا الــذي جعــل القطيعــة دأبه إنّ القطيعــة موضــعٌ للريْبِ
إن كان ودّك في الطــويّة كامناً فاطلـب صديقـاً عالمــاً بالغيبِ[3] !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قـد يهجـر الخـلّ الســليم الغيب للشغــل وهــو مبـرأٌ من ريب
ويواصـل الرجــل المنافــق مبدياً لك ظاهــراً مستبطنــا للعيب

---

(١) الأساور : الشجعان الأسود .
(٢) أمم : قرب .
(٣) الطويّة : يقصد الصدر والضمير والنيّة .

لا تفرحـنّ من الصـديق بشاهدٍ حتـى يكون موافقـاً للغيب
وتأمّـلِ المسـودَّ من شعـر الفتى أهو الشبيبة أم خضاب الشيب ؟[1]
وإذا ظفـرت بذي ودادٍ خالص فاغفـر له ما دون غشّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولـةٍ صرفٍ صرفـت بشربها وجـوه لحاتـي قاطبـاتُ الحواجبِ
إذا جال فيهـا المـزج خلـت حبابها عيون الأفاعـي أو قرون الجنادب
وعاذلـةٍ في بذل ما ملـكت يدي رددت لهـا المسعـى بصفقـة خائب
فإنّ زئير الأسـد من كلّ جانبٍ ليشغـل سمعـي عن صياح الثعالب
أفي الحـقّ أن قايسـت غير محقّقٍ فظاظـة جنـديّ إلـى ظرف كاتب[2]
ولا سيّمـا أنـت الـذي نشـرت له محاسـن كالأعـلام فوق المراقب[3]
ومـا زلـت بين النـاس صدر محافلٍ وعين مقامـاتٍ وقلـب مواكِبِ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعـى أبـوه هلالا جلّ باريك في الـورى وتعالى
أنـت بدرٌ حسنـاً، وشـمسٌ علوّاً ، وحسـامٌ عزمـاً ، وبحـرٌ نوالا

* * *

٥ ـ أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقـد أضحـت خلال أبـي حصينٍ حُصونـاً في الملمّـاتِ الصعابِ

---

(١) الخضاب : الصباغ .
(٢) قايست : وازنت وساويت .
(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وآوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضةٍ سقيت سحاباً فأثنت بالنسيم على السّحاب

وكتب إليه أبو فراس ـ وقد عزم على المسير إلى الرقة ـ قصيدة افتتاحها [من البسيط] :

يا طولَ شوقيَ إنْ كان الرحيل غدا لا فرَّق الله فيما بيننا أبدا

فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطانيَ الدَّهر ما لم يعطه أحدا

ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقّاً فإنّي أرى وشك الحمام غدا[1]

ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلَّ أو عقدا
يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع منْ والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبدا

وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البسيط] :

من واثبَ الدهر كان الدهر قاهرهُ ومن شكا ظلمه قلَّت نواصِرُهُ[2]
إن كان سار فإنّ الروح تذكره ، والعين تبصره ، والقلب حاضره
يا من أخالصه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره[3]
أتى كتابك والأنفاسُ خافتةٌ والجسم مستسلمٌ ، والسُّقم قاهره

(١) وشك الحمام : قرب الموت .
(٢) واثب الدّهر : قارعه وسابقه .
(٣) أمحضه : أصفيه .

والطرف منكسرٌ، والشوق طارقه ، والوجد باطنه ، والصبر ظاهره
فانتاشني وأعاد الروح في بدني وشدّ صدعاً وكسراً أنت جابره[1]
ما زلت في نزهةٍ منه وفي زهرٍ وأحسن الروض ما دامت زواهره
حسبي بسيِّدنا فخراً أصول به هو الفخور وما خلقٌ يفاخرُهُ
من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟ أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟[2]
أم من يفاقهه ؟ أم من يشاعره ؟ أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
أم من يقاربه في كلِّ مكرمةٍ ؟ أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟[3]
أم من يبارزه ؟ أم من يواقفه في كلِّ معتركٍ ؟ أم من يصابره ؟
الحرب نزهته ، والبأس همَّتُهُ والسيف عزمته ، والله ناصره
والجود لذّته ، والشكر بغيته والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليلٍ لا حراك به قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
يشكو إليك بعاداً عنك أتلفه وطول شوقٍ ونيراناً تخامره[4]
إن كان قصّر فيما قال مجتهداً فأنت بالعدل والإحسان عاذره

وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنّي ما بقيت رهين شكرِ الحارث[5]
فإذا المنيّة شارفتْ ورِّثت ذلك وارثي[6]

---

(١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .
(٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في الماجد والمآثر .
(٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .
(٤) تخامره : تداخله وتخالطه .
(٥) أليت : حلفت وأقسمت .
(٦) المنيّة : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رقّـي له من بعـد سيّـ ـدنـا وليـس لثالـث
قسمـاً علـى صدق الضمير ولسـت فيـه بحانـث[1]

* * *

٦ ـ أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

مـن سرَّه العيد فمـا سرّني بل زاد همّـي وأشجاني[2]
لأنّـه ذكّرنـي ما مضى من عهـد أحبابـي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

مـن سرَّه العيد الجديـ ـد فمـا لقيت به سرورا
كان السـرور يتـمُّ لي لو كان أحبابـي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمـام بيثـربٍ غرد هيّج شوقـي وزاد في كمدي
واكبـدي من عذابـكم ! وكذا من ذاق ما ذقـت صاح واكبدي !
فارقـت إلفـي فصـار في بلدٍ بالرغـم منّـي ، وصـرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج ببيروت لنفسه [من الكامل] :

مـولاي ما لي منـك بختُ قد ذبـت من كمـدٍ ومتُّ[3]

---

(١) الحانث : الذي لا يفي بقسمه .
(٢) أشجاني : أحزنني .
(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغمّ .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
مولاي ما ذنبي إليك ؟ فلو عرفت الذنب تبت
لا أنني أنسيتكم أو أنني للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقيت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محت رسم الكرى عن مقلتيه ... رواسمُ لا تملُّ من الرسيمِ[١]
تروم وقد فرعن بنا فروعاً ... من الفيَّاضِ طيِّبة الأرومِ[٢]
إذا طافت بعبد الله لاقت ... سمات المجد في الوجه الوسيمِ
لك القلم الذي يضحي ويمسي ... به الإقليم محمِّي الحريم[٣]
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاًّ ... لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادت ... حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قسّاً ... برونقها وقيس بن الخطيم[٤]

---

(١) الرواسم : الإبل ، والرسيم : ضرب من السير .
(٢) الأروم : الأصول والمحتد .
(٣) الصلّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمنّياً له السلامة .
(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقسّاً : هو قسّ بن ساعدة الأيادي .

نجـومٌ لا تعـوز فمـن درارٍ يسـار بضوئهـن ومـن رجوم[1]
كحلـي الخـود مؤتلفُ النّواحي ووشـي الـرّوض مختلف الرقوم[2]

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد، تفادياً من قول القائل [من الوافر] :

دعـيٌّ في الكتابـة لا رويٌّ له فيهـا يُعِـدُّ ولا بديهُ
كأنَّ دواتـه من ريق فيه تُلاقُ فريحهـا أبـداً كريه[3]

وإيثاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

فـي كفّـه مثـل سنـان الصعدهْ أرقش بزّ الأفعـوان جلده[4]
كأنّمـا النقش إذا استمدّهْ غاليةٌ مدوفةٌ بنـدّه[5]

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمْ فاسقني بين خفـق النـاي والعودِ ولا تبـعْ طيْب موجـودٍ بمفقود
كأسـاً إذا أبصـرت في القـوم محتشماً قال السـرور له قم غير مطرود
نحـن الشهـود وخفق العـود خاطبنا نزوِّج ابـن سحـابٍ بنـت عنقود[6]

وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

---

(١) رجوم : شهب تتطاير .
(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقـم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .
(٣) تلاق : تملأ .
(٤) الصعدة : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيّات وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلدا لأفعوان ولبسه ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .
(٥) الغالية : ضربٌ من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .
(٦) أي نخلط الماء بالخمر .

غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبالِ وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلُّ طريفةٍ ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنّك عاتبٌ لا تعتبُ
وأمنت من قلبي التقلّب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلّبُ[1]

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللّذات إلاّ محادثة الكرام على الشرابِ
ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخدّه ماء الشباب

٨ ـ أبو القاسم الشيظمي

قال يصف نمرقة[2] رآها بجنب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الرّوض أصناف المُلَحَ
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنّما دارت على سمائها قوس قزح

* * *

٩ ـ أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي في حبّه لم أخش من رقبائه

---

(١) التقلّب : التحوّل والتغيّر .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشـــمس تطلـــع في أســـرّة وجهه   والبـــدر يطلـــع من خلال قبائه[1]

وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مـــروّعٌ منـــك كلّ يوم   محتمـــلٌ فيـك كلّ لوم
إن كنـــت أنـــكرت ملك رقي   غصبـــاً صراحـــاً بغير سوم[2]
فقـــلْ لجنبـــيَّ : أين قلبي ؟   وقـــل لعينـــيَّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ ـ أبو الفتح البكتمري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحة ولطافة ، أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضـــةٍ راضيةٌ عن الدِّيمْ   وطأتهـــا بناظـــري دون القدمْ
وصنتها صونيَ بالشكر النِّعمْ

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالـــوا : بكيت دمـــاً؟ فقلـــــــت : مسحـــت من خدي خلوقا[3]
أبصـــرت لـؤلـؤ ثغـرهِ   فنثـــرت من جفنـــي عقيقا
لـــولا التمسُّـــك بالهـوى   لحملـــت في دمعـي غريقـا

وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمـــرٌ كأنّ قوامـــه   من قدِّ غصـــنٍ مسترقْ

---

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .
(٢) السوم : المبايعة والمفاصلة عند الشراء
(٣) الخلوق : الطيب .

وكأنّما اصطبح الربيـ ... ـع بوجنتيه واغتبق[1]
وكأنّما قلم الزمرّ ... د فوق عارضه مشق[2]

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينيه كأس الهوى ... وثنّى وثلّث بالحاجبِ
كأنّ العذار على خدّه ... فذالك من مشقة الكاتبِ

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوّ كما عهدت إلى الحشا ... والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتمُ أنْ تغدروا ... ما بعد فرقة بيِّعين تخيّرُ[3]

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحقّ بيتٍ من بيوت الورى ... بصونه قدماً وإيثاره
بيتٌ إذا [ما] زاره زائرٌ ... فقد قضى أعظم أوطاره[4]
يدخله المولى بخزٍّ كما ... يدخله العبد بأطماره[5]
وهو إذا ما كان مستنظفاً ... مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتىً كاتبٌ ... والشعر من آلته فضلُ

(١) اصطبح واغتبق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءاً .
(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .
(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .
(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .
(٥) الخزّ : ضربٌ فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنـا شعـراً فقلنـا له : ذا غزلٌ ويحـك أم غَزْلُ ؟
وملـت عنـه نحـو أصحابنا أسألهـم : هل عنـدكم نعل !؟

* * *

١١ - أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من المتقارب] :

أقـول له يا مُذيقـي الهوى ولـم أكُ فيمـا مضـى ذقتُهُ
سألتـك بالله لا تدنني إلـى أجـلٍ ما دنـا وقته
ملـكت فؤادي فعذّبته ولـو أنّـه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلـت نظـرة وامـقٍ لك خائفٍ من عين واشٍ لحظـه ما يفترُ[1]
وجعلـت أوهـم أنّ قلبـي مضمرٌ شيئاً سوى نظـري ، وأنـت المضمر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنّـي سلـوت ، وإني لمشـوقٌ والله صبٌ إليهِ
وهـواه يدبُ في كلّ قلبٍ كدبيب السـواد في عارضيه[2]

ومنها قوله وأنشدنيه غيره [من الوافر] :

عـذارٌ كالطّـراز علـى الطراز وبـدرٌ في الحقيقـة لا المجازِ

---

(١) الوامق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .
(٢) يدبُّ : يتمشّى .

ولــو جاز السجــود له سجدنا   ولــكن ليس ذاك بمستجازِ

* * *

١٢ ـ أبو عبد الله الحسين بن خالويه*[١]

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف بَرْدَ همذان [من الطويل] :

إذا همــذان اعتارهــا القــرُّ وانقضى   برغمــك أيلــولٌ وأنــت مقيمُ[٢]
فعينــك عمشــاءٌ وأنفــك سائلٌ   ووجهــك مســودّ البياض بهيم
وأنــت أسيرُ البــرد تمشــي بعلّةٍ   علــى السّيف تحبــو مرّةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبــل جنّةٌ   ولكنّهــا عنــد الشتــاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همــذان متلفــة النفــوس ببردها   والزمهــرير ، وحرُّهــا مأمونُ
غلــب الشتــاء مصيفهــا وخريفها   فكأنّمــا تمــوزهــا كانــون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يــا بلــدةً أســلمني بردها   وبــرد من يسكنهــا للقلقْ
لا يسلــم الشاتــي به من أذىً   من لثــقٍ أو دمــقٍ أو زلق[٣]

---

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (١/ ٢٨١ النيل) .
(٢) اعتارها : حلّ بها ، والقرّ : البرد القارص .
(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها بَرْد ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش[1] [من المجتث] :

الشـــاش في الصيف جَنَّة ومـــن أذى الحـــر جُنَّهْ[2]
لــكـنّنـي تعتـريـنـي بهـا لدى البـرد جِنّـهْ[3]

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادنـاً متُّ قَبْلَهْ قد صار في الحســن قُبْلَهْ
امنــنْ علـيَّ بقبلـةٍ تشـفـي فـؤاداً مـولَّـه[4]

ولابن خالويه ايضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجــالس سيِّداً فلا خير فيمــن صدّرتــه المجالسُ
وكم قائــلٍ : ما لي رأيتــك راجلاً ؟ فقلـت له : مَن أجـل أنّــك فارس !

* * *

١٣ ـ أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*[5]

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقـل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حالـه . فمـن ذلك قولـه في الغـزل [مـن مجـزوء الوافر] :

غـزالٌ غيـر وحشـيٍّ حكـى الوحشــيُّ مقلتَـهُ
رآه الــورد يجنــي الور د فاستـكسـاه حـلَّـتـهُ

---

(١) الشاش : بلدة مما وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .
(٢) جلة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .
(٣) جنّة : بكسر الجيم : تعني الجنون .
(٤) امنن : تكرّم وتمنّن ، والواله : العاشق المعذب .
(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٥٦١ النيل) .

وشـمٌ بأنفـه الريحـا ن فاسـتهـداه زهرتـه
وذاقـت ريقـه الصهبـا ء فاختلسـتـه نكهتـه[1]

وله [من الطويل] :

أيا دارهـم ما أنـت أنـت مذ انتووا ولا أنـا مذ سار الـركاب أنـا أنا[2]
وجـود المنـى أن لا يكاثـر بالمنى ونيل الغنـى أن لا يكاثـر بالغنى
ومـن كان في الـدنيا أشـدّ تصوّراً تجـده عن الـدنيا أشـدُّ تصوّنا

* * *

١٤ ـ الشمشاطـي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج [من الكامل] :

إشـربْ علـى زهـر البنفسـ ـج قبـل تأنيب الحسودِ
فـكـأنّـمـا أوراقـــه آثـار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبـدا الجلّنـار مثـل خدودٍ قد كساهـا الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغـة الله كالعقيـق تراه أحمـراً ناصعـاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعـر أبـو القاسم الآدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

---

(١) اختلسته : أي سرقت منه ، والنكهة : المذاق .
(٢) انتووا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ ـ في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه*

هو ـ وإن كان كوفي المولد ـ شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج . نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه[٢] ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدّهر إلاّ من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمِّراً ... وغنّى به من لا يغنّي مغرِّدا[٣]

وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقلْ قائلٌ ... وما لم يسرْ قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشُّردُ السائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا
إذا سرن من مَقْولِ مرّةً ... وثبن الجبال وخضن البحارا

---

(١) إقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١/ ٦٢/ النيل) .
(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .
(٣) مشمّراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشِّعر
فسار مسير الشمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرِّ والبحر

فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقِوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب في تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه[1] . وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح[2] عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدحُ » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره[3] ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

---

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .
(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .
(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله[1] ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدَّد الله ورد الخدودِ ... وقدَّ قدود الحسان القدودِ

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقّي ، ومن شأنه ... هبات اللجين وعتق العبيدِ
دعوتك عند انقطاع الرجا ... ء والموت منّي كحبل الوريدِ
دعوتك لما براني البلى ... وأوهن رجليَ ثقلُ الحديدِ

ومنها :

وقد كان مشيهما في النعال ... فقد صار مشيهما في القيود[2]
وكنت من الناس في محفلٍ ... فها أنا في محفلٍ من قرود
تعجّل فيَّ وجوب الحدود ... وحدّيَ قبل وجوب السجود ![3]

---

(١) رائشي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش النبل يريشه : إذا لزق فيه الريش ليقوى .
(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهوما عظم شوكه من ذكور القنافذ .
(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ، ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّةً [من المنسرح] :

أهـون بطـول الثـواء والتلفِ والسجـن والقيد ، يا أبـا دلفِ
غير اختيارٍ قبلـت برّك بي والجـوع يرضـي الأسـود بالجيف

يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

مـا أنـت إلا كلحـم ميْتٍ دعـا لي إلـى أكلـه اضطرارُ

(رجع) :

كنْ أيّهـا السجـن كيف شئـت فقدْ وطّنـت للمـوت نفسَ معترفِ
لو كان سكنـاي فيك منقصةً لم يكن الـدرُّ ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحكى أبو الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي [من الخفيف] :

أنـا ترب النـدى وربُّ القوافي وسمـام العـدا وغيظُ الحسودِ
أنـا في أمّـةٍ تداركهـا اللـ ـه غريبٌ كصالـحٍ في ثمودِ

وفي هذه القصيدة يقول :

مـا مقامـي بأرض نخلـة إلاّ كمقـام المسيـح بيـن اليهود

وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبرٍ … فالآن أقحم حتى لاتِ مقتحم[1]
لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً … والحرب أقوم من ساقٍ على قدم[2]
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها … حتّى كأنَّ بها ضرباً من اللممِ[3]
قد كلّمتها العوالي فهي كالحةٌ … كأنّما الصّاب مذرورٌ على اللجمِ][4]
بكلِّ منصلتٍ ما زال منتظري … حتى أدلت له من دولة الخدمِ[5]
شيخٌ يرى الصلوات الخمس نافلةً … ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرم

وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخٍ … كأنّهم من طول ما التثموا مردُ
ثقالٌ إذا لاقوا ، خفافٌ إذا دعوا … كثيرٌ إذا شدّوا ، قليلٌ إذا عدّوا
وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ بعده … وضربٍ كأنّ النار من حرّه بردُ
إذا شئت حفت بي على كلّ سابحٍ … رجالٌ كأنّ الموت في فمها شهد[6]

وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً … فما المجد إلاّ السّيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى … لك الهبوات السود والعسكر المجر[7]

---

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى أخر الاصطبار .
(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .
(٣) اللمم : ضرب من الجنون.
(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارته شديدة المرارة مذرور : نابت وطالع.
(٥) أدلت له : غلّبته وأظفرته.
(٦) السابح : الحصان.
(٧) الهبوّ : الغبار يرتفع في الجوّ.

وتـركك في الـدّنيا دويّاً كأنّما   تداول سمع المـرء أنملـه العشر[1]

وقوله [من البسيط] :

وإن عمـرْت جعلـت الحـرب والدةً   والسمهـريَّ أخـاً ، والمشرفـيَّ أبا
بكلِّ أشعـث يلقـى المـوت مبتسماً   حتّـى كأنّ له في قتلـهِ أربا
قحٍّ يكاد صهيل الخيل يقذفه   من سرجـه مرحـاً للعـزّ أو طربا[2]
الموت أعذرُ لي ، والصبر أجمل بي ،   والبـرُّ أوسـع ، والـدنيا لمـن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعـد من آمالـه ، ويمشـي في منـاكب الأرض ، ويطوي المناهل والمراحـل ، ولا زاد إلا من ضرب الحـراب ، على صفحة المحراب[3] . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتـي تقبـل الـرديف ولا   بالسّـوط يوم الرهـان أجهدُها
شراكهـا كورهـا ، ومشفرها   زمامهـا ، والشسـوع مقودهـا[4]

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبـا العبـاس من بين من مشى   عليهـا امتطينـا الحضرمـيّ الملسّنا[5]
قلائص لم تعـرفْ حنينـاً علـى طلا   ولـم تدرِ ما قرع الفنيق ولا الهنا[6]

---

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .
(٢) قحٌّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال: عربٌ أقحاح .
(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه ينهب الناس بعد ما يقتلهم .
(٤) الشسوع : حبل من جلد .
(٥) الحضرميّ الملسّنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .
(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفنيق : الفحل من فحولة الأبل؛ الهنا : طلي الإبل ، الجربى بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتنـيَ الـدُّنيا فلمّـا جئتها مستسـقياً مطـرت علـيَّ مصائبا[1]
وحُبيت من خوص الـركاب بأسودٍ من دارشٍ فغدوت أمشـي راكبا[2]

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرجلة [من المنسرح] :

ومهمـهٍ جبتـهُ علـى قدمي تعجـز عنـه العـرامس الذُّلُلُ[3]
[بصارمـي مرتـدٍ ، بمخبرتـي مجتـزىءٌ ، بالظّـلام معتملُ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعينـي في فراقـهِ الحيلُ
فـي سعـة الخـافقين مضطربٌ وفـي بلاد من أختهـا بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرّفاهـمْ بأنّـي من مكارمـه أقلّـب الطـرف بين الخيل والخول[4]

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها [من الكامل] :

بأبي الشمـوس الجانحـاتِ غواربا [اللابسـاتِ مـن الحـرير جلاببا]

---

(١) أطمتني : أصلها أظمأتني بالهمز - فسهّل الهمزة فصارت الفاً، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية.
(٢) حُبت : أعطيت، والخوص : ورق النخل.
(٣) العرامس : التوق الشديدة ، والذلُلْ : جمع ذلول وهو سهلة القياد.
(٤) الخول: العبيد .

ومنها :

حالٌ متى علم ابن منصورٍ بها جاء الزّمان إليَّ منها تائبا

إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرّت له أخلاف الدنيا على يده ، كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السُّرى خلفي لمن قلَّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا[1]

وقيَّدت نفسي في هواك محبَّةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيَّدا

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلَّقةٌ عليك رقابها مغلولةٌ ، إنّ الوفاء إسارُ

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتِّل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :

أجاب دمعي وما الداعي سوى طللِ دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبلِ

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

---

(١) السُّرى : المسير ليلاً ، والعسجد الذهب .

[مـا كان نومـيَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتـى من الزّلل]
أقـلْ أنـلْ أقطـعْ احمـلْ علْ سلْ أعد زدْ هشّ بشّ تفضّـلْ أدنِ سرْ صلِ

وقع تحت أقل : قد أقلناك ، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا ، وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت احمل : يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت عل : قد فعلنا ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زد : يزاد كذا ، وتحت تفضل : قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك ، وتحت سر : قد سررناك . وتحت صل : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ، فأمر له بجارية .

قـال : وحـكى لي بعض إخواننـا أن المعقلي ـ وهـو شيخ كان بحضرتـه ظريف ـ قال له ـ وحسد المتنبي على ما أمر به ـ : يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه ، يحـكي الضحـك ، فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احـل وامـررْ وضـر وانفـعْ ولِنْ واخـ ـشنْ ورِشْ وابـرِ وانتـدبْ للمعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علـي الحسين بن أحمـد الصنوبـري ، قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده الى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه[1] فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد قتلتني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .

قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم[2] *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرّخم[3]

أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ، قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من البسيط] :

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ ؟

---

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فانكشف وظهر.

(٢) الشبم : البارد ، لأنّ قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره.

(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر.

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهـرت بعـد رحيلـي وحشـةً لكمُ ثم استمـرّ مريري وارعـوى الوسن[١]

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بودٍّ مثـل ودكمُ فإنّنـي بفـراقٍ مثلـه قِمنُ[٢]

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقـد رأيت الملـوك قاطبةً وسـرت حتـى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحـقّ النـاس باللـوم شاعرٌ يلـوم علـى البخـل الرجـال ويبخلُ

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلـى الأطـلال إن لم أقفْ بها وقوف شحيحٍ ضاع في التـرب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بحلب وقد أحضر مالاً من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليهـا بمجامعه ينقرهـا ويعالج استنقاذها منـه ، ويشتغـل بذلك عن جلسائـه حتـى توصـل إلـى إظهـار

---

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن: النعاس.

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبـدَّتْ لنـا كالشـمس بين غمامةٍ   بدا حاجبٌ منها وضنَّت بحاجبِ(١)

ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة .

وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقـى الشـرق منهـا في ثيابي   دنـانيراً تفـرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبي الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ، وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ، فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من الوافر] :

أرى المتشاعـرين غروا بذمّي   ومـن ذا يحمـل الـدّاء العضالا(٢)
ومـن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ   يجـد مرّاً به المـاء الزلالا

---

(١) تبدّت : ظهرت.

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفـي كلّ يومٍ تحـت ضبنـي شويعرٌ ضعيفٌ يقاوينـي قصيرٌ يطاولُ[1]
لساني بنطقـي صامـتٌ عنـه عادلٌ وقلبـي بصمتـي ضاحـكٌ منـه هازلُ
وأتعـب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
ومـا التّيه طِبِّـي فيهـمُ غير أنني بغيضٌ إلـيَّ الجاهـل المتعاقل[2]

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتـك مذمّتـي من ناقصٍ فهـي الشهـادة لي بأنِّـي فاضل

قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهـل زمـانٍ لا خلاق لهم ضلّوا عن الرشد من جهلٍ بهم وعموا
أعطيتـم المتنبـي فوق منيته فزوّجـوه برغـمٍ أمّهاتكمُ
لكنّ بغـداد جاد الغيث ساكنها نعالهـم في قفـا السقّـاء تزدحم

قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبِّيكُمُ ابـن سقّـاء كوفا ن ويوحـى من الـكنيف إليه[3]
كان من فيه يسلـح الشعـر حتى سلحـت فقحـةُ الزمـان عليه

ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

مـا أوقـح المتنبّـي فيمـا حكـى وادّعـاهُ

(١) الضبن : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح والإبط.
(٢) التيه :التكبّر والعجب، وطبّي : عادتي وخلقي.
(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح مالاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجاثليق إلـه

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجتهْ
فقال: لمّا وقّع البزّاز في الثـوب علمنا أنّه من حاجتهْ[1]

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذمُّ وتحلب[2]

وكما قال الآخر [من البسيط] :

---

(١) البزّاز : بائع البز.
(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

نُبِّئْـتُ أنّـي إذا ما غبـتُ تشتمني　　قل ما بدا لك فالمحبـوبُ مسبوبُ

* * *

قطعة من حل الصاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتّـى أتـى الـدنيا ابـن بجدتها　　فشـكا إليه السّهـل والجبل[1]

والآخر [من الطويل] :

تذكّرت ما بين العـذيب وبارق　　مجـرّ عوالينـا ومجـرى السوابقِ[2]

وفصل له ـ لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن لله أسراراً في علاه لا يزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها .

---

(١) ابن بجدتها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل.

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العـدى ضربٌ من الهذيانِ

فصل ـ ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى في عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولـو قلـمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السقـم ما غيّرت من خط كاتبِ

وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتـى صرت لو زجّ بي في ناظـر النائـم لـم ينتبهْ[1]

ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلـو انّ ما أبقيت في جسـدي قذى في العين لم يمنـع من الإغفاء

فصل للصاحب في التعزية ـ إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ، والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنـت يا فوق أن يعـزى عن الأحـ ـبـاب فوق الـذي يعـزّيك عقلا
وبألفاظـك اهتـدى فإذا عزّا ك قال الـذي له قلـت قبلا

وفصل له ـ وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

---

(١) ضنيت : هزلت وضعفت.

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليّ على الوسميّ ثم العهاد بعد العهاد[2]
فهي تثني على السماء ثناءً طيّب النّشر شائعاً في البلاد
من نسيم كأنّ مسراه في الأرواح مسرى الأرواح في الاجساد

ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطىء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض[3] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[4] [من الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنّني الـجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّني البحرُ[5]

وله من رسالة في التهنئة ببنت أولها ـ أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذي لفضّلتِ النّساء على الرجالِ

---

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرّياض بالكلام ، ثم بيّن أن الرياض أرادت أنّ تتحدّث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدُّث عنه.

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسميّ : مطر الربيع والعِهاد : أوّل المطر.

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبلّغ بالقليل، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره.

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف: أخذ الماء جرعة بعد جرعة.

(٥) جبت : قطعت.

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

* ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية ـ وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل[1] ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركهُ إنّا لنفعل والأيام في الطلبِ
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنّه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن الترب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربِهِ
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيله في

---

(١) الطَفَل : بفتح الطاء والفاء، الوقت عند الغروب.

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونبهت عليه : فمنه ما كتب في تقريظ ـ شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطيب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجـد الخمـر في مكارمه إذا انتشـى خلّـةً تلافاها[1]

وأخذ من قول البحتري [من الطويل] :

تكرّمـت من قبـل الـكؤوس عليهمِ فمـا اسطعـن أن يحدثـن فيك تكرُّما

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة ـ منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنئة ، لأن ما تكتسبه الولاة بها من الصيت والـذكر ، ويدرعونـه فيهـا من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فـوق السمـاء وفـوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب ـ وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعـدت إلـى حلـبٍ ظافراً كعـود الحلـيِّ إلـى العاطلِ[2]

---

(١) الخلّة : الصداقة وتلافاها : توقّاها وتجنّبها.

(٢) العاطل : يقال جيدٌ عطل أي خالٍ من الحليّ.

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهمْ من يحلُّ فيعقِدُ

وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن[1] بل جنة عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ

وفصل لأبي بكر الخوارزمي ـ وكيف أمدح الأمير بخلق ضن به الهواء ، وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :

تنشد أثوابنا مدائحهُ بألسنٍ ما لهنّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمّ بها أغنته عن مسمعيه عيناهُ

ولأبي بكر من رسالة ـ ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم .

---

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره   قد أفسد القول حتّى أُحمد الصممُ

وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ ـ قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التّمام البدر فيهمْ   وأعطاني من السّقم المحاقا(١)

أخذه أبو الفرج الببغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنّني   فارقته وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه   ارحمْ فتىً يحكيه عند محاقه

٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا   تدمى ، وألّف ذا القلب أحزانا(٢)

أخذه المهلبي الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني   فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

---

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه.

(٢) البين : الفراق، وألّف : أوجد.

٣ ـ وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنت إذا يمّمت أرضاً بعيدةً سريت فكنت السرَّ والليل كاتمهْ

أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشّمتها والليل وحفٌ جناحه كأنّيَ سرٌّ والظلام ضميرُ(١)

٤ ـ وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشيَ لا متجمّلاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمّلٍ ولكن لصون الحسن بين برود

وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنّه أعمى تحيّر ما لديه قائدُ

فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةً كأنّها العمى ما لها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة(٢) ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .

٥ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنّما على العيس نورٌ والخدور كمائمهْ

أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

---

(١) تجشّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود.

(٢) المصالتة : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر، ولا يكتفي بهذا حتى يضمّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها.

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًّا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة الروح .

٦ ـ والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرقٍ طال فيه السّير حتى حسبناه يسير مع الركابِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأنّنا على كرةٍ أو أرضه معنا سفرُ[1]

٧ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأحلّها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمدٍ ولا أطنابِ

وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا[2]

٨ ـ وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلةُ برقهِ عندي وعند سواي من أنوائه[3]

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيمُ

---

(١) يخدن : يهتمُّ ويحدب، والخدن : الصديق.

(٢) الطنب : الحبال.

(٣) الأنواء : المطر.

٩ ـ وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام(١)

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٍّ ... سواك من الورى إلاّ بدالي
وأنّك منهمُ وكذاك أيضاً ... من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ ... ـحجارة والزّمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

١٠ ـ وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباء عنصرها ... فإنّ في الخمر معنىً ليس في العنب

ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرّزٌ ... عليه إذا نازعته قصب المجدِ
وللخمر معنىً ليس في الكرم مثله ... وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترفْ ... نتيجته والنّحل يكرم للشهدِ

---

(١) الرغام : التراب.
(٢) الزند: الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبــوك كريمٌ غير أنّـك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم[1]
فلا يعجبــنّ النــاس ممــا أقوله وأقضــي به فالغيث أنــدى من الغيم

١١ ـ وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصــرت أشــكُّ فيمــن أصطفيه لعلمــيَ أنّــهُ بعض الأنـامِ

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قــد ظلمناك بحســن الـ ـظـنّ يـا بعض الأنامِ

١٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتــى الزّمــان بنــوه في شبيبتهِ فسرّهــمْ وأتينــاه علــى الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدّهـر مخترفاً فقــد أتينــاه بعــد الشيب والخرف

١٣ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنــزلك الــدنيا ، وأنــت الخلائق

امتثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّــرت آمالــي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الــدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ ـ وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزلْ تسمــع المــديح ولكــــــن صهيل الجياد غير النهاقِ

---

(١) الذيم والذام : العيب.

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنّيك في النداء طيورٌ أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ ـ قال مخلد الموصلي [من مخلع البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريّاً من الغمامِ
ما ترك الدهر منك إلاّ ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوّده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي[١]

٢ ـ وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وإبنا بالملوك مصفّدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[٢]

---

(١) هزيم الودق : أي المطر المندفع ، وينحلها : يخصُّها وحكت : شابهت وماثلت .
(٢) الكريهة : الحرب .

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهـب نفـوس أهـل النّهـب أولى   بأهـل المجـد من نهـب القماشِ

٣ ـ وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مثـار النقـع فوق رؤوسنا   وأسيافنـا ليلٌ تهـاوى كواكبهْ(١)

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّمـا كسـيَ النّهـار بهـا دجى   ليلٍ ، وأطلعـت الرّمـاح كواكبا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفـوا قبـره من عدوّه   فطيْبُ تراب القبـر دلَّ علـى القبرِ

ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

ومـا ريح الـرياض لهـا ولكنْ   كساهـا دفنهـم في التّـرب طيبا

٥ ـ وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنـت فيهـم كممطـورٍ ببلدته   يسـرّ أن جمـع الأوطـان والمطرا

أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الـذي يتبـع الوبـل رائداً   كمـن جاءه في داره رائـد الوبل

٦ ـ وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ   أبـت رعيهـا إلاّ ومرجلنـا يغلي

---

(١) النقع : الغبار

رائحة من قول امرىء القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنـا قال ولـدانُ أهلنا : تعالوا إلـى أن يأتـيَ الصّيد نحطبِ[1]

٧ ـ وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلـت بالدهـر عينـاً غير غافلةٍ بجـود كفّيك تأسـو كلٌّ ما جرحا[2]

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبـع آثـار الـرزايا بجوده تتبّـع آثـار الأسنّـة بالقتل[3]

٨ ـ وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتـت دون اللهـاة من الفتى دعـا همّـه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

ومـا هي إلاّ لحظـةٌ بعـد لحظةٍ إذا نزلـت في قلبـه رحـل العقل

٩ ـ وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرْ واديَ القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئتَ ، أو بادي
ترقـى به السفـن والظلمـان حاضرةٌ والضبُّ والنـون والمـلاح والحادي[4]

وهـذا أحسـن ما قيل في وصف مكان يجمـع بين أوصـاف البـر والبحـر والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

---

(١) نحطب : نجمع الحطب.
(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح.
(٣) الرزايا : المصائب، والأسنّة الرماح وغيرها من عدّة الحرب.
(٤) الظلمان: جمع ظليم ، وهو ذكر النعام، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها.

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سـقياً لدشـت الأرزن الطوال بين المـروج الفيح والأغيال[1]
مجـاور الخنـزير والرئبال داني الخنـانيص من الأشبال[2]
مستشـرف الـدبّ علـى الغزال مجتمـع الأضـداد والأشكـال

١٠ ـ وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه نجـا ، وبـه الـداء الـذي هو قاتله[3]

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنْ أسلـمْ فمـا أبقـى ولكنْ سلمـت من الحمـامِ إلـى الحمام[4]

١١ ـ وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هـل يغلبني واحـدٌ أقاتله ريمٌ علـى لبّاتـه سلاسلهْ[5]

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعنـي ثغـر الرجـال جآذرُ ومـن الرمـاح دمالـجٌ وخلاخلُ
ولـذا اسـم أغـطية العيون جفونها من أنّهـا عمـل السيوف عوامل

---

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة، والغيل : أجمة الأسد .
(٢) الخنانيص : أولاد الخنازير، والرئبال: الأسد .
(٣) بلّ من دائه : شُفي ونجا من المرض.
(٤) الحمام : الموت.
(٥) الريم : الظبي الخالص البياض، واللبّة: موضع القلادة.

١٢ ـ وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتْ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربِ

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ ـظ كلانا ربّ المعاني الدّقاقِ[1]

١٣ ـ وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسّيوف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيُّهما النصل

١٤ ـ وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدّست نُعمى تسربلْتها كم حجةٍ فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فإنّه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتعطيل والقدم

١٥ ـ ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرِّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍ ثقالِ أحسن منها الحسن في المعطال

---

(١) الخدن : الصاحب والصديق.

١٦ ـ وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّبت حتى لا أرى الدهر مغرباً علـيّ بشيءٍ لم يكن في تجاربي

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلا[1]
وقتلت الزمان علماً فما يغـ ـرب قولاً ولا يجدّد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلمّا دهتنا لم تزدني بها علما

١٧ ـ وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحت عليهِ[2]
وأبو محمدٍ الجليل مصابه لكن يمنّي المرء خير يديهِ

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلا
فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقّنت أنّ حظك أوفى وتبيّنت أن جدك أعلى[3]

١٨ ـ وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

---

(١) بلوت : خبرت وجرّبت، والحزن : الأرض الصعبة المسالك.

(٢) غبنت : انتقصت، يقال غبنه حقه : أي انتقصه إياه .

(٣) الجدّ : الحظّ.

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسّب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ ـ وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهمْ وسواد الليل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبي ـ وقت القراءة عليه ـ [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نمّامة والليل قوّاد *[1]

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت : لا تلق إلاّ بليلٍ من تواصله .

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمّــةً كان قبــح الجــور يسخطها دهـراً فأصبـح حسـن العـدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقـات ، ولكنـه لا يستقـل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحوِ
وأبــدت بوجهــي طالعــاتٍ أرى بها سهــام أبــي يحيى مســدّدةً نحوي
فذاك سواد الحــظّ ينهــى عن الهوى وهــذا بياض الوخـط يأمـر بالصحو[1]

٢٠ ـ وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضــل مال المــرء داءً لعرضه كمــا أنّ فضــل الــزاد داءً لجسمهِ
فليس لداء العــرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجســم شيءٌ كحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتــداوى من كثــرة المــال بالإقـ ـلال جوداً كأنّ مـالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ ـ قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنــت المــرء تمرضــه الحشايا لهمّتــه ، وتشــفيه الحــروبُ

---

(١) الوخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود .

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طبّه أنّي جوادٌ أضرَّ بجسمه طول الجمامِ[1]

٢ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصِلي صلة الضّنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائبِ

٣ ـ وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيبتهُ وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوةٍ هيهات لست على الحجاب بقادرِ
من كان ضوء جبينه ونوالهِ لم يحجبا لم يحتجبْ عن ناظر
فإذا احتجبت فأنت غير محجّبٍ وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ ـ وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أنّ الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسينِ

٥ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا[2]

---

(١) طبّه : عِلمه والجمام: الراحة.
(٢) القرن : النضير في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

لقـد حال بالسيف دون الوعيد   وحالـت عطـاياه دون الوعودِ

٦ ـ وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :

ومـا رغبتـي في عسجـدٍ أستفيده   ولكنّهـا في مفخـرٍ أستجدُّهُ[1]

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسـرت إليك في طلـب المعالي   وسـار سواي في طلـب المعاش

٧ ـ وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علّـم البين منّـا البين أجفانا   تدمـي وألف في ذا القلـب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأنّ الجفـون علـى مقلتي   ثيابٌ شققـن علـى ثاكلِ

٨ ـ وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنّـك بالفقـر تبغـي الغنى   وبالمـوت في الحـرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنّـك في الإعطـاء للمـال مبغضٌ   وفـي كلّ حربٍ للمنية عاشقُ

٩ ـ وقال [من الخفيف] :

الّـذي زلـت عنـه شرقـاً وغرباً   ونـداه مقـابلـي مـا يـزولُ

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومـن فرّ من إحسانـه حسـداً له   تلقـاه منـه حيث ما سار نائلُ

---

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ ـ وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّمـا نتجـت قيامـاً تحتهم　　وكأنّمـا ولـدوا علـى صهواتها[١]

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعـن غطـاريفٍ كأنّ أكفَّهم　　عرفـن الـردينيات قبـل المعاصـم[٢]

١١ ـ وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحـتِ مجرّحـاً لم يبـق منهُ　　مكـانٌ للسيوف وللسهـامِ

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانـي الدهـر بالأرزاء حتّى　　فؤادي في غشـاءٍ من نبالِ
فصـرت إذا أصابتنـي سهامٌ　　تكسّـرت النصـال علـى النصال

١٢ ـ وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشـكيتـي فقـد السّهـام لأنّـه　　قد كان لمّـا كان لي أعضاءُ

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهـر من قلبـي ومـن كبدي　　شيئـاً تتيِّمـه عينٌ ولا جيـدُ[٣]

١٣ ـ وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصـد الـرياح الهـوج عنهـا مخافةً　　وتفـزع فيهـا الـطير أن تلقـط الحبّا

---

(١) نتجت : ولَدت.
(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والردينيّات : الرماح.
(٣) تتيِّمه : تجعله يعشق والجيد : العنق.

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاّ بترتيب

١٤ ـ وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطّير فرجةً تدوَّر فوق البيض مثل الدراهمِ[1]

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفرُّ من البنانِ

وقال[2] [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمّتي مسودَّةٌ ، ولماء وجهي رونقُ
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق[3]

١٥ ـ وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةٌ ما رأيت مهديها إلاّ رأيت العباد في رجلِ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

---

(١) الفرجة : الكوّة.
(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدّ أنّه سقط من الأصول ما يوافقها وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .
(٣) أشرقُ : أغصُّ.

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنّما ردّ الإلٓه نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمةً تستجمع الخلق في تمثال إنسانِ

١٦ ـ وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبنٍ وهو الجواد يعدُّ الجبن من بخلِ

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تريه في الشحّ صورة الفرقِ(١)

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعةً تدمى ، وأنّ من الشجاعة جودا

١٧ ـ وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما النا س بناسٍ في موضعٍ منك خالِ

---

(١) الشحّ : البخل، والفرق : الخوف وشدّته.

١٨ ـ وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلَّ سيف الدولة اعتلَّتِ الأرضُ ... ومَنْ فوقها والبأس والكَرَمُ المحض[1]

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برءٍ بتهنئةٍ ... إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

١٩ ـ وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه ... بأحسن ما يُثنى عليهِ يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظْمُ قدرك في الآفاق أوهمني ... أني بقلّةِ ما أثنيت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدّد إحسانهُ ... كأنّه أسرف في سبّه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلَّ عن مذهب المديح فقد كا ... د يكون المديح فيه هجاءُ

٢٠ ـ وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي ... لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ فيخبر ناعباً ... بما شربت مشروبة الراح من ذهني

---

(١) المحض : الخالص الصافي.

٢١ ـ وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأسـرار الديانـات واللّغى   له خطـراتٌ تفضـح النـاس والكتبا(١)

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّـك ناظـرٌ في كلّ قلبٍ   فمـا يخفـى عليك محـلّ غاشِ(٢)

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظـن بالأسـرار فانكشفتْ   له سرائـر أهـل السهـل والجبلِ

٢٢ ـ وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفـرْ فدىً لك واحبنـي من بعدها   لتخصّنـي بعـطيةٍ منهـا أنا(٣)

وقال [من المنسرح] :

لـه أيادٍ إلـيّ سالفةٌ   أعـدُّ منهـا ولا أعدِّدها

٢٣ ـ وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنـا الـرؤسُ ولكنْ   فَضُلتهـا بقصـدك الأقـدام(٤)

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألـى حوله   لتحسـد أرجلهـا الأرؤس

٢٤ ـ وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفٌ له   إذا لم يكن في فعلـه والخلائق

---

(١) اللغى : جمع لغة.

(٢) غاشٍ : مغطى ومحجوب.

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) فضلتها : من الفضل، اي سبقتها إلى الفضل.

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيبُ[1]

وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحبُّ العاقلون على التصافي وحبّ الجاهلين على الوسامِ

٢٥ ـ وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذلّ من يغبطِ الذليل بعيشٍ ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ

وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو متْ وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفقِ البنودِ[2]

٢٦ ـ وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسرْ جيشاً إليهمْ أسرت إلى قلوبهم الهلوعا[3]

وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأنّ القتال قبل التلاقي

وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهمُ

وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماح خيالا[4]

---

(١) الشية : العلامة.

(٢) البنود : الأعلام والرايات.

(٣) الهلوع : الخوف والرعب.

(٤) دراكاً : متلاحقه.

وقال [من الطويل] :

صيامٌ بأبواب القباب جيادهمْ   وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغيرُ عنه على الغارات هيبتهُ   وماله بأقاصي البرّ أهمالُ[1]

والأصل فيه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوّك [من الهزج] :

غدا مجتمع العزم   له جندٌ من الرعبِ

٢٧ ـ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همّهُ   وقصّر عمّا تشتهي النفس وجدَهُ

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ   فكلّ بعيد الهمّ فيها معذّبُ[2]

٢٨ ـ وقال [من الخفيف] :

ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ   لزمته خيانة السُّرّاقِ

وقال [من الكامل] :

مسكيّةُ النّفحات إلاّ أنّها   وحشيةٌ بسواهم لا تعبقُ

* * *

(١) تغير : تغزو : من الغارة .
(٢) لحى الله : لعن وقبّح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلّها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه[1]

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن دراريٍّ الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيهبِ[2]

* * *

١ ـ فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردى » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمري من احرار الكلام وغرره ، بل هي - كما نعاها عليه العائبون ـ مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا[3]

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

---

(١) السجايا : الصفات والطبائع .
(٢) داجٍ : مظلمٍ · وغيهب : شديد الظلمة .
(٣) الرسيس : الرقة في الشوق. والنسيس: بقية الروح.

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهِ بديلٌ من قولتي واها *[1]

وهو برقْيَة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمهْ بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمهْ[2]

وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوقة ، فضلاً عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرٌ وما طلّت ثراك يد الطلِّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

---

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكراها . وأوه : كلمة توجع ، وواهاً : كلمة تعجب وطيبة .
(٢) طاسمه : دارسه ، وأشجاه : أحزنه والساجم : المذروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقــل بشــرى ولــكنْ بشريانِ غرّةُ الدّاعــي ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم مهرجان ؟!

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى [من الوافر] :

أحــادٌ أم سداسٌ في أحاد لييلتنــا المنــوطــة بالتنــادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط[1] وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظـة والمعانـي المنبـوذة ؟ فأي هزة تبقـى هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى احتيج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملــثَّ القطــرِ أعطِشْهــا ربوعاً وإلاّ فاسِقهــا الســمّ النجيعا[2]

وقوله [من الكامل] :

أثلث فإنّــا أيّهــا الطلل [نبكي وتــرزم تحتنــا الإبل][3]

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام، والزط: جيل من الهنود.
(٢) ملثُّ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيّام والنجيع : النافع، أي القائل لها.
(٣) أثلث: كن ثالثاً. ترزم : تحنّ.

وقوله [من الوافر] :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا   [وحسن الصبر زمّوا لا الرّحالا][1]

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإنني   لآخذُ من حالاته بنصيب

قال الصاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق !

* * *

٢ ـ ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينا هو يصوغ أفخر حلي، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بألسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائقٌ   لكنّها في كلِّ يومٍ تصرعُ

---

(١) زمّوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشّاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقي[1]

وقوله [من الطويل] :

ليالـيَّ بعد الظاعنين شكولُ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلُ[2]
يبِنَّ ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراً ما إليه وصولُ
وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ولكنني للنائبات حمولُ
وما شرقي بالماء إلاّ تذكّراً لماءٍ به أهل الخليط نزول[3]
يحرِّمهُ لمع الأسنة فوقه فليس لظمآنٍ إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

---

(١) راءها : أي رآها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقي : رقأ الدمع، انكفأ وانقطع.
الظاعنين : الراحلين.
(٢) الظاغين: الراحلين وشكول : متشابهة.
(٣) شرقي : غصي، والخليط: المكان الذي يختلط به القوم.

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغــرَّكُمُ طول الجيوش وعرضها   علــيٌّ شروبٌ للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلاّ فريسةً   غذاه ولم ينفعــك أنّــك فيل

ثم أتى بما هو أطم[1] منه فقال ، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض النــاس سيفــاً لدولةٍ   ففــي النــاس بوقــاتٌ لهــا وطبــول
فإن تكن الــدولات قسمــاً فإنّها   لمــن ورد المــوت الــزؤام تدول

قال الصاحب : قوله « الدولات » و « تـدول » من الألفـاظ التي لو رزق فضـل السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعرة ، والدرة والآجرة [من الكامل] :

لك يا منــازل في الفــؤاد منازل   أقفــرت أنــت ، وهــنَّ منــك أواهلُ

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنــا الــذي اجتلــب المنيَّة طرفُهُ   فمــن المطالــب والقتيل القاتلُ

وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبــا بظــلامتــي أحداً   طرفــي وقلبــي في دمــي اشتركا

فإنه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة، ثم استمر في قصيدتـه ، فجـاء بالمتوسـط المقارب والبديع النادر والرديء النافر ، حيث قال :

ولــذا اســم اغـطية العيون جفونها   من أنّهــا عمــل السيوف عوامل

---

(١) أطمّ : أدهى .

وهذا معنى في نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفةٍ سجرتك شوقاً بعدما غريَ الرقيب بنا ولجَّ العاذل[1]

فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقّهما وضمٌّ الشاكلُ[2]

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية الإحسان :

للهو آونةٌ تمرُّ كأنّها قبلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ
جمع الزمان فما لذيذٌ خالصٌ ممّا يشوب، ولا سرورٌ كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشّمس فيه وللرّياح وللسّحا ب وللبحار وللأسود شمائلُ

ثم قال وتحذق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل[3]

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

---

(١) سجرتك : أشعلتك، وسجر التنوّر : زاده ناراً ووقوداً.

(٢) أدقهما : حركهما ،

(٣) يريد : من العقيان، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (منْ) الجارة والف الوصل من المجرور بها.

ثم قال :

علاَّمــةُ العلمــاء واللــجُّ الذي لا ينتهــي ، ولــكلّ لجٍّ ساحلُ[1]

ثم قال فأحال :

لو طاب مولـد كلّ حيٍّ مثله ولـد النســاء ومــا لهــنَّ قوابل[2]

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنــو الحســن الشــراف تواضعاً هيهــات تُكتــم في الظــلام مشاعلُ
ستــروا النــدى ستــر الغــراب سفاده فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطـل ؟[3]

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخـت وهــم لا يجفخـون بهـا بهم شيمٌ علـى الحســب الأغــرّ دلائل[4]

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افْخــرْ فإنّ النــاس فيك ثلاثةٌ : مستعظــمٌ ، أو حاســدٌ ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجســر الفصحــاء تنشـد ههنا شعــراً ، ولكنّــي الهزبــر الباسل

---

(١) اللجُّ: البحر الزاخر.
(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة .
(٣) السّفاد : الجماع ، والرّباب .
(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغرّ : الشريف والكريم .

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتـك مذمّتـي من ناقصٍ   فهـي الشهـادة لي بأنّـي كامل
ما نال أهـل الجـاهلية كلّهم   شعـري ، ولا سمعـت بسحـري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أمّـا وحقّـك وهـو غاية مقسمٍ   للحـقّ أنـت ، ومـا سواك الباطل
الـطيب أنـت إذا أصابـك طيبه   والمـاء أنـت إذا اغتسلـت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتـزيدين طيب الـطيب طيباً   إن تمسّيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّـم البين منّـا البين أجفانا   تدمـى ، وألّف في ذا القلـب أحزانا
أمّلـت ساعـة ساروا كشف معصمها   ليلبـث الحـيّ دون السير حيرانا
بالـواخـدات وحاديهـا وبـي قمرٌ   يظلّ من وخدها في الخـدر حشيانا[1]

وحشيان ـ بالحاء المهملة ـ من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي خشيانا بالخاء معجمة من الخشية .

---

(١) الواخدات : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق.
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كلّ عزيزٍ بعدكم هانا

ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى ـ كما قال الصاحب ـ بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا(١)

قال الصاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا

وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، او لقوا، او حوربوا، وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا(٢)
كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطّعن خرصانا(٣)
كأنّهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّيّ ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرّانا

والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

---

(١) بعران : جمع بعير ، وهو الجمل.
(٢) الهيجاء : الحرب.
(٣) خرصان : جمع خرص، وهي أسنّة الرماح، او الحراب.

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من المتقارب] :

وملمومةٍ زردٍ ثوبها ولكنّه بالقنا مخملُ[1]
يفاجىء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل[2]

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدّةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ ـ ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويُتعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نيِّها إسئادها في المهمه الأنضاءُ[3]

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نيها إسآدها في المهمه : أي كلما قطعت الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا .

---

(١) الملمومة : الدرع .
(٢) القسطل : الغبار.
(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم
والمهمه : الأرض الواسعة البعيد
والأنضاء : مصدر أنضاه : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنّـى يكون أبـا البـرايا آدمٌ وأبـوك ، والثقـلان أنـت ، محمدٌ[1]

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عذلـوا فيهـا أجبـت بأنّةٍ حبيبتـا قلبـي فؤادي هيا جمل

أراد « يا حبيبتي » ثم أبدل الياء من حبيبتي ألفاً تخفيفاً ، و« قلبي » منصوب لأنه بدل من حبيبتا ، و« فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ، نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشباه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لسانـي وعينـي والفـؤاد وهمّتي أودّ اللواتـي إذا اسمُهـا منـك والشطرُ

وقوله [من الطويل] :

فتـىً ألف جزءٍ رأيهُ في زمانه أقـلُّ جزيٍّ بعضـه الـرأي أجمعُ

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكنْ من ذا الورى اللذ منك هو عقمـت بمـولـد نسـلهـا حواء

وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد الخاطر، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

---

(١) الثقلان : الجنّ والانس.

٤ ـ ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرم[1]

ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعرٍ تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطّعُ

وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيلِ

والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلّم دلّها تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب « تميس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمتْ ركباتها عن مبركٍ تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا[2]

---

(١) القرم : السيد.

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاّك يا علـيُّ همامٌ سيفـه دون عرضـه مسلـولُ

وكقوله [من السريع] :

لـم تر من نادمـت إلاّ كا لا لسـوى ودّك لي ذا كا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه أن ينفصل عنه كمـا قال الله تعالـى[1] : ﴿ضـل من تدعون إلا إياه﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلمِ *

وألف التعجب[2] لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .

وكقوله [من الكامل] :

* جللاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين[3] ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة «أفعل» في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان، وهذا رأي كثير من النحاة، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسّواد بخصوصهما .

(٣) أجازه يونس بن حبيب واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرآة أبدت وسامةً. فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم.

وكقوله [من الطويل] :

* أمطْ عنك تشبيهي بما وكأنّه *[1]

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمتَ حتى لو تكون أمانةٌ ... ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال الصاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليه من ثنائي حديقةً ... سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

أي : سقي السحائب الرياض[2] .

* * *

٥ ـ ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكُّره علمٌ ، ومنطقه حكمُ ... وباطنه دينٌ ، وظاهره ظرفُ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نحَّ وأبعد.

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين، وله شواهد.

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إنّما بدر بن عمّار سحابٌ   هطِلٌ فيه ثوابٌ وعقابْ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ ـ ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ـ حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره ـ قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلمٍ   إذا انتبهت توهّمه ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفشٌ   كأيدي الخيل أبصرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديَ الهبـاء أنيـقٌ متـوالٍ فـي مستـوٍ هزهازِ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطِسُ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلـى حصـى أرضٍ أقـام بها بالنّـاس منْ تقبيلهـا يلَلُ

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمعه في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسّحاب كنهوراً *

الكهنور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيّها النّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عـن المتديّريها *

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ، المتديروها : المتخذوها داراً .

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمــه التــوراب قبـل فطامه ويأكله قبـل البلـوغ إلـى الأكلِ[1]

وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغريبة التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :

أُروضُ النـاس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبـي شجـاعٍ مـن أمانِ[2]

وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابحٍ *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنـا ما قلـت في الأحلام وأنلنـاك بدرةً في المنام[3]

---

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض.
(٢) أروض : جمع أرض .
(٣) البدرة : العطية، وهي كيس من الدراهم، أو صرّة.

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ ـ ومنها الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رماني خساس الناس من صائب استه وآخرُ قُطنٌ من يديه الجنادلُ[١]

وقوله [من الوافر] :

وإن ماريتني فاركب حصاناً ومثّلهُ تخرُّ له صريعا[٢]

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلاّ كذا رجلاً فسمّ الناس طرّاً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفزع من يديه ورقّ فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزه والدّرز لينٌ كما يتألم العضب الصنيعا[٣]

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول : يا

(١) خساس الناس : أقلّهم قدراً. والإست : المؤخّرة.
والقطن : الذي تصنع منه الثياب، والجنادل : الصخور .
(٢) ماريتني : جادلتني.
(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف.

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القطـ ـن ومروي مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرطبه[1]
رموا برأس أبيه وباكوا الأمّ غلبه[2]

وقوله [من البسيط] :

بياض وجهٍ يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظٍ يريك الدرّ مخشلبا[3]

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلامِ

قال الصاحب : « حينئذ » ، ههنا من عير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والذهـ ـن ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وإيراء زنده ؟، ولو لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

---

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة.

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو[من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابـن يوسفٍ   بشهوتنـا والحاسـدو لك بالرغم

وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمر والحـديد الأعادي   دونـه قضـم سكّر الأهوازِ

وقوله [من الكامل] :

فكأنّمـا حسِـب الأسنّـة حلوةً   أو ظنّهـا البـرني والآزاذا[1]

قال الصاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والأزاذ تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من الكامل] :

إنّـي علـى شغفـي بمـا في خمرها   لأعفُّ عمّـا في سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكـلّ مكانٍ أتـاه الفتى   علـى قدر الرِجـلِ فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسـرّةٌ في قلـوب الـطيب مفرقها   وحسـرةٌ في قلـوب البيض واليلب[2]

---

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الآزاذ.
(٢) اليلب : الجلد.

وقوله [من المنسرح] :

تجمّعتْ في فؤادهمْ هممٌ　　ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السّحاب ، وإنّما　　حمّت به فصبيبها الرحضاء[1]

وقوله [من البسيط] :

إلاّ يشبْ فلقد شابت له كبدٌ　　شيباً إذا خضبته سلوةٌ نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبّا　　فلا تحسبنّي قلت ما قلت عن جهلِ

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ، وللكبد شيباً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فإنّني　　صبٌّ قد استعذبت ماء بكائي]

فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

---

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمّى.

وافقت موضعاً تليق به فاكتست قبولاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرّ ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليكا

وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذمنك هو عقمت بمولد نسلها حواءُ

وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجمالِهِ

وقوله [من المنسرح] :

وإنْ بكينا له فلا عجبٌ ذا الجزر في البحر غير معهودِ[1]

وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمٌ قفاه على الإقدام للوجه لائمُ

وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجيا

وقوله [من الطويل] :

* وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلِّغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

---

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الوراء .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلٌ حبيبةٍ *

فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والفلتة .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً ... وصاد الوحش نملهم دبيبا[1]

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهمْ ... إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلا

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتْ ... بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا ... وقد أعطيت في المهد الكمالا

وأقسم لو صلحت يمين شيء ... لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه ... إليك وأهلُ الدهر دونك والدهرُ ؟

---

(١) الهون : الرفق والتأنّي والدبيب : مشي النمل .

وقوله [من الطويل] :

ولــو قلــمٌ ألقيت في شقّ رأسهِ من السّقــم ما غيّرت من خطٍّ كاتبِ

وقوله [من البسيط] :

من بعــد ما كان ليلــي لا صبــاح لهُ كأنّ أوّل يوم الحشــر آخرُهُ

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقـدة لا يرتضـون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومـن جاهـلٍ بي وهـو يجهـل جهله ويجهــل علمــي أنّــه بيَ جاهلُ

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلـت بالهـمّ الــذي قلقــل الحشا قلاقــل عيسٍ كلُّهــنَّ قلاقلُ(1)

قال الصاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلّــت وسلّــت ثم سلّ سليلها فأتــى سليل سليلهــا مسلـولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجــع من فقدنــا من وجدنا قبيـل الفقــد مفقــود المثالِ

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

---

(1) قلقل : حرّك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل.

وقوله [من الطويل] :

عظمـــتَ فلمّـــا لم تكلّـــمْ مهابةً   تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فمـا للنـوى جدّ النـوى قطـع النوى   كذاك النـوى قطّاعـةٌ لوصالِ

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه   ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولـــم أر مثـــل جيرانـــي ومثلي   لمثلـــي عنـد مثلهـِـمِ مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابـــن العارض الهتن ابن العارضِ الهتنِ[1]

وقوله [من الطويل] :

وإنّـي وإنْ كان الـــدفين حبيبه   حبيبٌ إلـى قلبـي حبيبُ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى   وغيري بغير الـــلاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولـــةٌ ما تدوم ليس لها   من مللٍ دائـمٍ بهـــا مللُ

---

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [مَن الوافر] :

قبيلٌ أنـت أنـت وأنـت منهم   وجـدّك بشّـر الملك الهمامُ[1]

وقوله [من الوافر] :

وكلُّكُمُ أتـى مأتـى أبيهِ   فكلٌّ فعـالِ كلِّـكمُ عجابُ

وقوله [من الطويل] :

ومـا أنـا وحـدي قلـت ذا الشعـر كلّهُ   ولـكن شعـري فيك من نفسـه شعرُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا النـاس حيث أنـت ، ومـا النا   س بنـاسٍ في موضـعٍ منـك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولـولا تولّـى نفسـه حمـل حمله   عن الأرض لانهدّت وناء بهـا الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهـبُ نفـوسِ أهـل النّهـب أولى   بأهـل النّهـب من نهـب القماش

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنّ الطّعن لا طعنَ عندهُ *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرهـا عظـم قدره   فمـا لعـظيمٍ قدره عنـده قدرُ

---

(١) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جواب مسائلي أَلَهُ نظيرٌ ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت الفأفاء ، ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ ، وبلَّ ببولَه الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل[1]

وقوله [من الطويل] :

خفِ الله واستُرْ ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العواتقُ[2]

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاماً لي ألمّ بها فقد أطلت وما سلّمت عن كثبِ

---

(١) الكاذة : ما حول السوأة من ظاهر الفخذين ، أو لحم مؤخرهما.

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء.

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيّ حسن مبسمها وليس يعلم إلاّ الله بالشنبِ[1]

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإنّ قلبي وإن جانبت أرضك غير سالي ؟

فيتشوق إليها ، ويخطىء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزّ فوقك مسبطر وملك عليٍّ ابنِكَ في كمالِ[2]

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفّن بالجمالِ

فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواريها .

أتتهنّ المصائب غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضابها .
(٢) رواق العزّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدّ .

ومنها الإيضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هنّ فيه أحلى من التوحيدِ

وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإلّه ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهاميِّ أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقبِ

وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا

وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهةً وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإلّه مقسّماً في الناس ما بعث الإلّه رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ ـتوراة والفرقان والإنجيلا

وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقّ حتّى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :

يا من نلوذ من الزمان بظلّهِ أبداً ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي ؟! أيُّ عظيمٍ أتّقي ؟!
وكلُّ ما قد خلق اللـه وما لم يخلق
محتقرٌ في همّتي كشعرةٍ في مفرقي[1]

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفةِ الأمير أبي الحسينِ

---

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ ... على درٍّ يقبِّله الزُّجاجُ

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !

وكقوله [من المتقارب] :

وغرَّ الدمستق قول الوشا ... ة إنّ علياً ثقيلٌ وصِبْ[1]

فجعل الأمراء يوشى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرقة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني ... كأنّا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرانق *[2]

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

---

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرانق : الأرانب .

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ] سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[1]

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشتِ اليدين صحوت فلم تحلْ بيني وبيني

وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيٌّ يخبِّرني عنّي بما شربت مشروبة الراح من ذهني

وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه منّي لله ما تصنع الخمورُ !

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليَّ حتّى إنّه صار اليقينُ من العيان توهّما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضنُّ على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي

وقوله [من الوافر] :

ولولا أنّني في غير نومٍ لكنت أظنّني منّي خيالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيـ ـك ، وخانته قربك الأيام

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعته المتصوفة دهراً بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنّك الدّنيا إليَّ حبيبةٌ   فما عنك لي إلاًّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً   للمنتهى ، ومن السرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجزٌ   والأسى لا يكون قبل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الأنـ   ـفس أنّ الحمام مرٌّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاقَ لهمْ   إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب(١)

فقيل : تخلص نفس المرء سالمةً ،   وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفتْ صفاتك في العيون كلامَهُ   كالخطّ يملأ مسمعي من أبصرا

---

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقاد ... ولا تأمل كرى تحت الرجام[1]
فإنّ لثالث الحالين معنى ... سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكرهاً إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جرَّ نملٌ ... ثبيراً وابن إبراهيم ريعا[2]

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنّما ... أبو الفرج القاضي له دونها كهفُ

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلّهم ... إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعزُّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ ... وخير جليسٍ في الزّمان كتابُ[3]
وبحر أبو المسك الخضمٌ الذي له ... على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعبابُ[4]

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

---

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .
(٢) ثبير : إسم جبل ، وابن ابراهيم : هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه ، وريعا : أي أخيف .
(٣) السابح : الحصان .
(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنهـا قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما ... كلام العدا ضربٌ من الهذيانِ
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأتْ ... قيام دليلٍ أو وضوح بيان ؟
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يبتلي ... بغدر حياةٍ أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ ... وليس بقاضٍ أن يرى لك ثاني
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما ... عن السعد ترمي دونك الثقلان[1]
وما لك تعني بالأسنّة والقنا ... وجدّك طعّانٌ بغير سنانٍ ؟!
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غنيٌّ عنه بالحدثان[2]
أرد لي جميلاً جدت أو لم تجد بهِ ... فإنّك ما أحببت فيَّ أتاني

هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيَهُ ... لعوّقه شيءٌ عن الدورانِ

وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :

في خطِّه من كلِّ قلبٍ شهوةٌ ... حتّى كأنَّ مداده الأهواءُ
ولكلِّ عينٍ قرّةٌ في قربهِ ... حتّى كأنّ مغيبه الأقذاءُ[3]

هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواءُ

---

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .

(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .

(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذىً .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزالة ليلها   فأعاضهاك الله كي لا تحزنا[1]

* * *

هذا آخر المقابح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا   فإنّك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً   لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أوّلٌ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ   بلغت من العلياء كلَّ مكانِ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدَّمُ   أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيَّمُ ؟
لحبُّ ابن عبد الله أولى : فإنّهُ   به يبدأ الذكر الجميل ويختمُ

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ   والطعن عند محبّيهن كالقبلِ[3]

---

(١) الغزالة : أي الشمس .
(٢) المرّة : القوية الثابتة .
(٣) الأسل : الرماح .

وقوله [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسلّيه المدام وعمـرٌ مثل ما يهـب اللئام

وقوله [من البسيط] :

أفاضـل النـاس أغـراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهـم من الفطنِ (١)

وقوله [من الكامل] :

اليوم عـهدكـمُ فأين الموعدُ هيهـات ليس ليوم عهـدكُمُ غدُ ؟
المـوت أقـرب مخلبـاً من بينكمْ والعيش أبعـد منـكُمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجـد عوفـيَ إذْ عوفيت والكرمُ وزال عنـك إلـى أعدائـك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرَّت بنـا بين تربيهـا فقلـت لها : من أين جانس هذا الشـادن العربا(٢)
فاستضحـكت ثم قالـت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننـا تحتـهُ أنَّ عامراً علا لم يمـت أوفـى السحـاب له قبرُ

وقوله [من الطويل] :

وإلاَّ فخانتنـي القوافـي ، وعاقني عن ابـن عبيد الله ضعف العزائمِ

---

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .
(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمِ

وقوله [من الطويل] :

نودِّعهم والبين فينا كأنَّهُ قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلقِ(١)

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحشٍ كنَّ من أقواتها(٢)
أقبلتها غرر البلاد كأنّما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمُّ من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائلِ
فدى نفسه بضمان النّضار وأعطى صدور القنا الذابلِ

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيِّ الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ ؟(٣)
إن كنت تسأل شكّاً في معارفها فمن بلاك بتسهيدٍ وتعذيب ؟

---

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .
(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .
(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائرٌ ربّما سارت هوادجها منيعةً بين مطعونٍ ومضروب

أي : لكثرة الرغبة فيهن، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وخدت أيدي المطيّ بها على نجيعٍ من الفرسان مصبوبِ[1]
كم زروةٍ ليَ في الأعراب خافيةٍ أدهى وقد رَقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره .

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتِعها وخالفوها بتقويضٍ وتطنيبِ
فؤاد كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومال كلّ أخيذِ المال محروب[2]
ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويّات الرعابيب[3]
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب
أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكهنّ صقيلاتُ العراقيب[4]
ومن هوى كلّ من ليست مموهةً تركت لون مشيبي غير مخضوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

---

(١) وخدت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .
(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .
(٣) الرعابيب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .
(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هامَ الفؤاد بأعرابيةٍ سكنتْ ... بيتاً من القلب لم تضربْ به طنبا
مظلومة القدّ في تشبيهه غصناً ... مظلومة الرّيق في تشبيهه ضربا[1]

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا ... أيامهم لديارهم دُوَلُ
الحسن يرحل كلّما رحلوا ... معهم ، وينزل حيثما نزلوا
في مقلتيْ رشأٍ تديرهما ... بدويّةٌ فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها ... وصدودها ومن الذي تصل

وصفها بقلة الطعم ، وهي محمودة في نساء العرب .

ما أسأرت في القعب من لبنٍ ... تركته وهو المسكُ والعسل[2]
قالت ألا تصحو فقلت لها ... أعلمتني أنّ الهوى ثملُ

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتي دارهنّ عزيزةٌ ... بطول القنا يحفظن لا بالتمائم[3]
حسان التثنّي ينقش الوشي مثله ... إذا مِسْنَ في أجسادهنّ النواعم
ويبسمن عن درٍّ تقلّدن مثلهُ ... كأنّ التراقي وشّحت بالمباسم[4]

* * *

---

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛
(٢) السؤر : بضمّ فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .
(٣) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة تعلق على الصبي من العين .
(٤) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعنـي الحياء من البكا   فالآن يمنعـه البـكا أن يمنعا
حتّـى كأنّ لكلّ عظـمٍ رنّةً   في جلـده ولـكلّ عرقٍ مدمعا
سفـرت وبرقعهـا الحياء بصفرةٍ   سـترت محاسنهـا ولـم تكُ برقعا
فكأنّهـا والدمـع يقطـر فوقها   ذهـبٌ بسمطـي لؤلـؤٍ قد رصّعا(1)
كشفـت ثلاث ذوائـبٍ من شعرها   في ليلـةٍ فأرت ليالـي أربعا(2)
واستقبلـت قمـر السمـاء بوجهها   فأرتنـيَ القمـرين في وقـتٍ معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربـع أي دمٍ أراقا ؟   وأيّ قلـوب هذا الـركب شاقا ؟
لنـا ولأهلـه أبـداً قلوبٌ   تلاقـي في جسـومٍ ما تلاقى

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّـا علـى البعـاد والتفرّقِ   لنلتقـي بالـذّكر إنْ لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأحبّـة كان عدلاً   فحمّـل كلَّ قلـبٍ ما أطاقا(3)

---

(1) السمط : العقد .
(2) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .
(3) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمّل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نورٌ يقود بلا أزمّتها النِّياقا[1]
وطرفٍ إن سقى العشّاق كأساً بها نقصٌ سقَانيها دهاقا[2]
وخصرٍ تثبت الأحداق فيه كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا[3]

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّها إذا انفتلتْ سكران من خمر طرفها ثملُ
يجذبها تحت خصرها عجزٌ كأنّه من فراقها وجلُ[4]

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً فتشابها كلتاهما نجلاءُ[5]
نفذت عليّ السابريّ ، وربّما تندقّ فيه الصّعدة السّمراء[6]

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا[7]
لبسن الوشي لا متجملاتٍ ولكنْ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .
(٢) دهاقاً : مملوءة .
(٣) النطاق : الإزار ، وما تضعه المرأة في خصرها .
(٤) الوجل : الخوف .
(٥) النجلاء : الواسعة .
(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .
(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمعه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمــراً ، ومالــت غصــن بانٍ   وفاحــت عنبــراً ، ورنــت غزالا[1]

وقوله [من البسيط] :

ترنــو إلــيَّ بعينِ الظَّبــي مجهشةً   وتمســح الطـلَّ فوق الــورد بالعنمِ[2]

وقوله [من الكامل] :

قمــراً ترى وسحــابتين بموضعٍ   من وجهــه ويمينــه وشمالهِ

وقوله [من البسيط] :

أعارنــي سقــم عينيه وحمّلني   من الهــوى ثقــل ما تحــوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفــت نوائــب الحدثــان حتّى   لو انتسبــت لكنــت لهــا نقيبا

وقوله [من الكامل] :

فــأتيت معتزمــاً ولا أسدٌ   ومضيت منهزمــاً ولا وعلُ

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنــا من النقــع في عارضٍ   ومــن عرق الــركض في وابلِ[3]

---

(١) رنت : نظرت .
(٢) العنَمْ : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .
(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والوابل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحـرب أعرا ءً ويخرجـن من دمٍ في جلالِ[1]
واستعـار الحـديد لونـاً وألقى لونـه فـي ذوائـب الأطفالِ

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهـاري ليلـةٌ مدلهمَّةٌ على مقلـةٍ من فقـدكمْ في غياهبِ
بعيدة ما بـين الجفـون كأنَّما عقدتـم أعـالي كلّ هدبٍ بحاجب

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفـت عينـي عن التغميض حتّى كأنّ جفـونها عنهـا قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسِي مرفـوعٌ إلى النّجـم كأنّما قفـاي إلى صلبـي بخيطٍ مخيَّطُ[2]

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيبـاً منـك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلهـا العذلُ
كأنّ سهـاد العـين يعشـق مقلتي فبينهما في كلٍّ هجـرٍ لنـا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميّا في الزّجـاج بكفِّهِ فشبّهتها بالشمس في البدر في البحرِ[3]

---

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .
(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .
(٣) الحميّا : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتـي كأنَّ بهـا حياءً فليس تزور إلاَّ بالظلامِ
بذلـت لهـا المطـارف والحشايا فعافتهـا وباتـت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أغْنـاه حسـن الجيد عن لبس الحلي وعـادة العـري عن التفضُّلِ(1)

* كأنّه مضمَّخٌ بصندلِ *(2)

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

ومـا أنـا غـير سهـمٍ في هواءٍ يعـود ولـم يجـد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما، ثم يتصوب منحدراً . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت صعوده .

وقوله ـ وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربّتما شفيت غليل صـدري بسـيرٍ أو مقـامٍ أو حسامِ
وضاقـتْ خطّـةٌ فخرجـت منها خروج الخمـر من نسـج الفدام(3)

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضـت النـاس لمّا لقيته كأنّهـم ما جفَّ من زاد قادمِ

---

(1) الجيد : العنق ، والتفضّل : بقيَّة الشيء .
(2) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيّب الرائحة .
(3) الفدام : المصفاة .

وكاد سروري لا يفي بندامتي على تركه في عمريَ المتقادم

وقوله وهو من بدائعه [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعا[1]

وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعْت على عرضٍ له حللاً وجدتها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضررٌ كما تضرُّ رياح الورد بالجعل[2]

وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشي عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنّما نحن في جيلٍ سواسيةٌ شرٌّ على الحرِّ من سقمٍ على البدنِ
حولي بكلِّ مكانٍ منهم خلقٌ تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم « من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريّان من جبلٍ وحبّذا ساكن الريان من كانا

قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا .

---

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود.
(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نتـاج رأيك في وقـتٍ علـى عجلٍ كلفـظ حرفٍ وعـاه سامـعٌ فهِمُ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسـوى الهنـديّ حاجتهُ أجـاب كلّ سؤال عن هل بلمِ

وقوله [من الكامل] :

أمضـى إرادتـه فسـوف له قـد واستقـرب الأقصـى فثـمّ لـه هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول : إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانـق ناحلين كشكلتي نصـبٍ أدقّهمـا وضـمٌّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولـولا كونـكم في النـاس كانوا هـراءً كالـكلام بلا معان[1]

وقوله [من الطويل] :

قشيرٌ وبلعجـان فيهـا خفيةٌ كراءين في ألفـاظ ألثـغ ناطقٍ[2]

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنـويه فعـلاً مضارعاً مضـى قبـل أن تلقـى عليه الجوازمُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقـوم وتقـوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعته قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

---

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .
(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنـا عدوٍّ كاثراه له يآءي حروف أُنَيْسَيـانِ

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذاك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهبـت من الأعمـار ما لو حويتهُ لهنِّئـتِ الـدنيا بأنّـك خالـدُ

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمـر العـدوّ إذا لاقـاه في رهجٍ أقـلّ من عمـر ما يحـوي إذا وهبا(١)
مالٌ كأنّ غراب البين يرقبهُ فكلّمـا قيل هذا مجتـدٍ نعبا(٢)

وقوله [من المنسرح] :

تشـرق تيجـانـه بغرّتـه إشـراق ألفـاظهِ بمعناهـا

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوّت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجههمْ كأنّما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيَّل لي أنّ البلاد مسامعي وأنّيَ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كأنّ ألسنهم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطعنِ خرصانا[1]

* * *

ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ لها منك يا سيفها منصلُ[2]

وقوله [من الكامل] :

لولا سميُّ سيوفه ومضاؤه لمّا سللن لكنَّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى بهِ فإنّك نصلٌ والشدائد للنصلِ

---

(١) خرصان : جمع خرْص ، وهو سنان الرمح .
(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يسمّى الحسام وليست من مشابهةٍ ... وكيف يشتبه المخدوم والخدمُ
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها ... يمسّها ـ غير سيف الدولة ـ السأمُ[1]

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدٌ ... فكيف إذا كانت نزاريّةً عربا

وقوله [من الطويل] :

تحيّر في سيفٍ : ربيعة أصلُهُ ... وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أنـ ... ـت حساماً بالمكرمات محلّى
فإذا اهتزّ للندى كان بحراً ... وإذا اهتزّ للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدّين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً ... فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمهْ[2]
على عاتق الملك الأغرِّ نجاده ... وفي يد جبار السّموات قائمهْ[3]
وإنّ الذي سمى عليّاً لمنصفٌ ... وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حدُّهُ ... وتقطع لزبات الزمان مكارمه[4]

---

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .

(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .

(٣) قائمه : قبضته .

(٤) الزبات : شدّته وقحطه .

وقوله [من الكامل] :

إنّ الخليفة لم يسمّكَ سيفهُ ... حتى بلاك فكنت عين الصارمِ[1]
وإذا تتوّج كنت درّة تاجه ... وإذا تختّم كنت فصّ الخاتمِ

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميُّها ... في أصله وفرندِهِ ووفائهِ[2]
طبع الحديد فكان من أجناسه ... وعليٌّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملِكٌ سنانُ قناته وبنانهِ ... يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ... ويظنُّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفتّ رأيته ... يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهراً ... جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله ... بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنملٍ ... ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه ... أحصى بحافر مهره ميماتها
كرمٌ تبيّن في كلامك ماثلاً ... ويبين عتق الخيل في أصواتها[3]

---

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .
(٢) الفرند : السيف بالفارسية .
(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلٍّ نلته   لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدةً   أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوهُ   يسايرني في كلِّ ركبٍ له ذكرُ
وأستكبر الأخبار قبل لقائهِ   فلمّا التقينا صغَّر الخبرَ الخُبْرُ

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنّما   بنوها لها ذنبٌ وأنت لها عذرُ

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيّها المال الذي قد أباده   تعزَّ فهذا فعله بالكتائبِ[1]
لعلّك في وقتٍ شغلت فؤاده   عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي   فكأنّ القتال قبل التلاقي
وتكاد الظُّبا لما عوَّدوها   تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمرٍ يزيد في الموت حسناً   كبدورٍ تمامها في المحاق[2]
كرمٌ خشَّنَ الجوانب منهمْ   فهو كالماء في الشِّفار الرقاقِ[3]
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهمْ   لزمته جناية السُّراقِ

---

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .
(٢) الذمر : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .
(٣) الشِّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فَضُلتها بقصدك الأقدامُ

وكقوله [من المنسرح] :

قومٌ بلوغ الغلام عندهمُ طعن نحور الكماة لا الحلمُ
كأنّما يولد الندى معهمْ لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرمُ
إذا تولّوا عداوةً كشفوا وإن تولّوا صنيعةً كتموا
تظنُّ من فقدك اعتدادهمُ بأنّهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوف حاضرةٌ أو نطقوا فالصواب والحكم
أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مهج الدارعين ما احتكموا[1]
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم « خاب سائلي » القسم[2]
أو ركبوا الخيل غير مسرجةٍ فإنّ أفخاذهم لها حزمُ
تشرق أعراضهم وأوجههمْ كأنّها في نفوسهم شيمُ
أعيذكم من صروف دهركمُ فإنّه في الكرام متّهمُ

وكقوله [من المنسرح] :

الناس ما لم يروك أشباهُ والدهر لفظٌ وأنت معناهُ
والجود عينٌ وأنت ناظرهُ والبأس باعٌ وأنت يمناه
يا راحلاً كلّ من يودّعه مودِّعٌ دينه ودنياهُ
إن كان فيما تراه من كرمٍ فيك مزيدٌ فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ

---

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلِّ الشمس موضعه   فليس يرفعه شيءٌ ولا يضعُ

وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه   دروا أنّ كلَّ العالمين فضولُ

وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه   فتى بأسه مثل العطاء جزيلُ
جوادٌ على العلاّت بالمال كلّهِ   ولكنّه بالدّارعين بخيل(١)

وكقوله [من الطويل] :

أرى كلَّ ذي ملكٍ إليك مصيرُهُ   كأنّكَ بحرٌ والملوك جداولُ
إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ   فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابلُ(٢)

وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً   وأيّامه فيما يريد قيامُ
وكلُّ أناسٍ يتبعون إمامهم   وأنت لأهل المكرمات إمامُ
وربَّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته   وعنوانه للناظرين قتامُ(٣)

وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرَّ في حومةِ الوغى   وأحسن منهم كرُّهم في المكارمِ(٤)
ولولا احتقار الأسد شبّهتها بهم   ولكنّها معدودةٌ في البهايمِ

---

(١) العلاّت : كلّ الأحوال .
(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .
(٣) القتام : الغبار .
(٤) الكرُّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغرّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشر إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لست ربّها نفلٌ وبلدةٌ لست حليها عَطِلُ[1]

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عَدَتْ نفسه سجاياها[2]
كالشمس لا تبتغي بما صنعتْ منفعةً عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا[3]

وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلاّ عذاريا[4]
أبا كلّ طيبٍ ، لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصّ الغواديا
يدلُّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجتث] :

كأنّما أنت شيءٌ حوى جميع المعاني

* * *

---

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .
(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .
(٣) إنسان العين : بؤبؤها .
(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكرمة التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ، وأراد المكرمة التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في الألفاظ والمعاني ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ... ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلاّ أن أدلّ عواذلي ... على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرّقوا ... وغرَّبتُ ، أنّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينٌ ... وكلّ الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها ... بقلب المشوق المستهام المتيَّمِ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيّام بالجمع بيننا ... فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدْ لي بقلبٍ إن رحلت فإنّني ... مخلّفُ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبّك أن يحلَّ به سواكا
فلو أنّي استطعت حفظت طرفي ... فلم أبصرْ به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّمُ حبّاً قد برى جسدي ... وتدّعي حبَّ سيف الدولة الأممُ ؟

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرَّته فليت أنّا بقدر الحبِّ نقتسِمُ[1]
يا أعدل الناس إلاّ في معاملتي فيك الخصام ،وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنَّنَّ أنَّ الليث يبتسم
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهمْ واجداننا كلُّ شيءٍ بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ لو أنّ أمركم من أمرنا أمم[2]
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرحٍ ـ إذا أرضاكم ـ ألم
وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفةٌ إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذممُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكمْ ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقُهُ يزيلهنّ إلى من عنده الدِّيم[3]
أرى النوى تقتضيني كلَّ مرحلةٍ لا تستقلّ بها الوخّادة الرّسم[4]
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندم
إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا ألاّ تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم[5]
وشرُّ ما قنصته راحتي قنصٌ شهب البزاة سواءٌ فيه والرخم[6]

(١) لغرَّتـه : لطلعته المضيئة .
(٢) أخلقنا : أجدرنا ، وأمم : قريب .
(٣) الديم : السحاب الممطر .
(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخّادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثّر في الأرض بأخفافها .
(٥) يصم : يلحق به العار .
(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي ـ على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها ـ تكاد تدخل في باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ والطعن عند محبيهن كالقبلِ

وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحرب عاشقةٌ له إذا زارها فدّته بالخيل والرجل

وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهمْ تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلِ
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ

وكقوله [من المنسرح] :

والطّعن شزرٌ والأرض واجفةٌ كأنّما في فؤادها وهلُ[1]
قد صبغت خدّها الدماء كما يصبغ خدّ الخريدة الخجل[2]
والخيل تبكي جلودها عرقاً بأدمعٍ ما تسحّها مُقَلُ[3]

---

(١) الشزر : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجفة : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .
(٢) الخريدة : الفتاة البكر .
(٣) تسحّ : تذرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعـوّد أن لا تقضـم الحـبَّ خيله ... إذا الهـام لم ترفـع جنـوب العلائقِ [1]
ولا ترد الغـدران إلاّ وماؤها ... من الـدمّ كالريحـان تحـت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتـك دامية الأظـلّ كأنّما ... حذيت قوائمهـا العقيق الأحمرا
وإذا الحمائـل ما يخـدن بنفنفٍ ... إلاّ شققـن عليه برداً أخضرا[2]

وكقوله [من الكامل] :

قـد سوّدت شجـر الجبـال شعورهمْ ... فكأنّ فيه مسفَّـة الغربان[3]
وجـرى علـى الـورق النجيع القاني ... فكأنّـه النارنـج في الأغصـان

وكقوله [من الوافر] :

حمـى أطـراف فارس شمرّيٌّ ... يحضُّ علـى التباقـي في التفاني[4]
بضـربٍ هاج أطـراب المنايا ... سوى ضربِ المثالـث والمثاني
كأنّ دم الجماجـم في العناصي ... كسـا البلـدان ريش الحيقطان[5]
فلـو طرحـت قلـوب العشـق فيها ... لما خافـت من الحـدق الحسان[6]

---

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .
(٢) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع ، والنفنف : المفازة والمهوى .
(٣) المسفّة : الدانية من الأرض ، وأسفّ الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .
(٤) شمّريٌّ : فارسٌ كثير التشمير ، أي الجدّ والسّعي ، ويحضّ : يحثّ .
(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدرّاج وريشه ملون .
(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بسبتٍ في إناءٍ من الورد[1]

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال : سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالكُمُ هجرٌ ، وحبُّكم قلى ... وعطفكم صدٌّ ، وسلمكم حربُ[2]
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ ... وكلُّ ذلولٍ من مراكبكمْ صعبُ[3]

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ... ملء الزمان وملء السهل والجبل
فنحن في جذلٍ ، والرُّوم في وجلٍ ... والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجل[4]

وكقوله [من البسيط] :

الدّهر معتذرٌ ، والسّيف منتظرٌ ... وأرضهم لك مصطافٌ ومرتبعُ
للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدٌ ... ولم يخل من شكرٍ له مَن له فمُ

---

(١) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرظ .
(٢) القلى : البغض .
(٣) الذلول : الليّن السهل الانقياد .
(٤) الجذل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولـم يخـل من أسمائـه عود منبرٍ ... ولـم يخـل دينـارٌ ولـم يخـل درهمُ

وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائـدي ، سقـمٌ فؤادي ... كثيرٌ حاسدي ، صعـبٌ مرامي[1]
عليـل الجسـم ممتنـع القيام ... شديد السّـكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصـر ملـوكٌ لهـمْ ما لَهُ ... ولـكنّهـم ما لهـم همّةُ
فأجـود من جودهـم بخله ... وأحمـد من حمدهـم ذمّةُ
وأشـرف من عيشهـم موته ... وأنفـع من وجدهـم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقـد بك من مزنٍ سوى لثقٍ ... ولا من البحـر غير الـريح والسفن[2]
ولا من الليث إلاّ قبـح منظره ... ومـن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجـلُّ عن التشـبيه : لا الـكفُّ لجّةٌ ... ولا هو ضرغـامٌ ، ولا الـرأي مخذمُ
ولا جرحـه يؤسـى، ولا غوره يرى ... ولا حـدّه ينبـو ولا يتثلّمُ[3]
محلّك مقصـودٌ ، وشـانيك مفحمٌ ... ومثلك مفقـود ، ونيلك خضرمُ[4]

---

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .
(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللثق : تبلُّل الثياب أو : الوحل .
(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتثلّم : يتقطّع .
(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كلّ شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله ... فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدُ(١)
وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٍ ، ... وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردُ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةٌ ، وطيشك نفحةٌ ... ورضاك فيشلةٌ ، وربُّك درهمُ(٢)

وقوله [من الخفيف] :

عربيٌّ لسانه ، فلسفيٌّ ... رأيه ، فارسيَّةٌ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربُّليَ مليحةٌ ... على كاذبٍ من وعدها ضوء صادقِ(٣)
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ، ... وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشق
وأغيد يهوى نفسه كلّ عاقلٍ ... عفيفٍ ، ويهوى جسمه كلّ فاسقِ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ ... وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ(٤)

---

(١) الفدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .
(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيب الضخم الرأس .
(٣) القطربليّ : الخمر المنسوب إلى قطربل .
(٤) القال : الكاره ، والوامق : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيّهـا السيف الـذي ليس مغمداً ولا فيه مرتـابٌ ، ولا منـه عاصمُ[1]
هنيئاً لضـرب الهام والمجـد والعلا وراجيك والإسـلام أنّـك سالـمُ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحـي أحـدٌ يقـال له فضلـوك آل بويه أو فضلـوا[2]
قدِروا عفـوا ، وعـدوا وفـوا ، سئلوا أغنـوا ، علَـوْا أعلَـوْا ، ولُـوا عدَلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربَّ جوابٍ عن كتـابٍ بعثته وعنوانـه للناظـريـن قتـامُ
حروف هجـاء النـاس فيه ثلاثةٌ : جوادٌ ، ورمـحٌ ذابـلٌ ، وحسام[3]

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة، وقوله [من البسيط] :

ومـرهفٍ سِرْتُ بين الجحفلين به حتـى ضربـت ومـوج المـوت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمـح والقرطـاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبـا ثالثـاً سـواي فإنّي رابـع العيـس والدُّجـى والبيدِ

---

(١) عاصم : مانع .
(٢) فضلـوك : غلبوك .
(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهـذا اللفـظ عذب ، ولـكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقولـه [مـن البسيط] :

أنـت الجـواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطـالٍ ولا وعـدٍ ولا مذل(1)

وقوله [من المنسرح] :

بي حرُّ شوقٍ إلـى ترشُّفها ينفصـل الصّبـر حين يتّصلُ
فالثغـر والفجـر والمخلخـل والـ ـمعصـم دائـي ، والفاحـم الرَّجِلُ(2)

وقوله [من الطويل] :

ولـكنَّ بالفسطـاط بحـراً أزرته حياتـي ونصحي والهـوى والقوافيا(3)

وقوله [من الطويل] :

أمينـاً وإخلافـاً وغـدرا وخسّةً وجبناً، أشخصاًلحت لي أمْ مخازيا ؟(4)

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلّ السّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

---

(1) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذل : الضجر والقلق .
(2) الفاحم الرَّجل : الشعر المسترسل المسرّح .
(3) أزرته : منحته .
(4) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إنّ المعارف في أهل النّهي ذممُ *

وقوله [من البسيط] :

* وربّما صحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتأبى الطِّباع على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبْ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلٌ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجبهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحبِّ للعاقلِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلاّ الميّتَ الضبعُ *

وقوله [من الخفيف] :

* كلّ ما يمنح الشريف الشريفُ *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيَفِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمهْ *

وقوله [من البسيط] :

* إنّ النفيس غريبٌ حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرّديف وقد ركبت غضنفراً *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلَّ المساعدُ *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الآجالِ *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشر بالشرِّ أحزمُ *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البللِ *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقمِ الذي أذهب السّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فإنّ الرفق بالجاني عتابُ *

وقوله [من الكامل] :

* إنّ القليل من الحبيب كثيرُ *

وقوله [من الطويل] :

* بغيضٌ إليّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وليس كلّ ذوات المخلب السبعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وللسيوف كما للنـاس آجالُ *

وقوله [من البسيط] :

* في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحلِ *

وقوله [من الوافر] :

* فأوّل قرح الخيل المهار *

وقوله [من البسيط] :

* والبر أوسع والدنيا لمن غلبا *

وقوله [من البسيط] :

* ليس التكحّل في العينين كالكحل *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتقُ الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرىءٍ يولي الجميل محبّبٌ   وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيّبُ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ   وفي بلادٍ من أُختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا   وألذّ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

وقوله [من الخفيف] :

ذلَّ من يغبط الذليل بعيشٍ   ربَّ عيشٍ أخفُّ منه الحمامُ(1)
من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن   يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطنِ

---

(1) يغبط الذليل : أي يتمنّى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومَنْ لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا
وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً ... ومن وجد الإحسان قيْداً تقيَّدا

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر والدنيا والناس وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجدَّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيَّةٍ ... نظرُ العدو بما أُسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربَّ مجتهدٍ ... ما خاب إلاَّ لأنَّه جاهد[1]

---

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابرٌ عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإنّي لست ممّن إذا اتقى   عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرُّها   يأوي الخراب ويسكن الناووسا[1]

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه   أنف العزيز بقطع العزّ يُجتدعُ[2]

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأفهام شيءٌ   إذا احتاج النَّهار إلى دليلِ

قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله   ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا   إذا لم يكن فوق الكرامِ كرامُ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنّى المرء يدركه   تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ

(١) الناووس : القبر .
(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبّ أنّي لو هويت فراقكمْ　　فارقته والدّهر أخبث صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصّ بالذمّ الفراق فإنّني　　من لا يرى في الدّهر شيئاً يحمدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى　　عدوّاً له ما من صداقته بدٌّ(١)

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً　　تعبتْ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلْفَ الذي اتخذ الشجاعة جنّةً　　وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا(٢)

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً　　فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ　　أنْ لا تراني مقلةٌ عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزي بذلوا　　منها رضاك ومن للعور بالحولِ ؟!

---

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنّة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فآجرك الإلّه على مريضٍ   بعثت به إلى عيسى طبيبا

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ   ولم أَلُم المسيءَ فَمَنْ ألومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ   فهي الشّهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ   فإنّي على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ   ـه غذاءٌ تضوى به الأجسامُ(1)

وقوله [من الكامل] :

وتوهّموا اللعب الوغى والطعن في الـ   ـهيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ   طلب الطّعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطءُ سيبك عنّي   أسرع السحب في المسير الجهام(2)

---

(1) تضوى : تهزل .
(2) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الــذي يتبــع الوبــل رائداً   كمــن جاءه في داره رائــد الوبلِ

وقوله [من المنسرح] :

أبلــغ ما يطلــب النجــاح به الــــطبــع ، وعنــد التعمّــق الزللُ

وقوله [من البسيط] :

كم مَخْلصٍ وعـلاً في خوضِ مهلكةٍ   وقتلــةٍ قرنــت بالــذمّ في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

ومــا قلــت للبــدر أنــت اللجين   ولا قلــت للشــمس أنــت الذهبْ
ومــن ركب الثــور بعــد الجوا   د أنــكر أظــلافه والغبــب[1]

وقوله [من البسيط] :

فقــر الجهــول بلا قلــبٍ إلــى أدبٍ   فقــر الحمــار بلا رأسٍ إلــى رسنِ
لا يعجبــن مضيمــاً حســن بزّته   وهــل يروق دفينــاً جودة الكفنِ

وقوله [من الوافر] :

إذا ما النــاس جرّبهــم لبيبٌ   فإنّــي قــد أكلتهــمُ وذاقا
فلــم أر ودّهــم إلاّ خداعاً   ولــم أر دينهــم إلاّ نفاقا

وقوله [من الطويل] :

ذرينــي أنــل ما لا ينــال من العلا   فصعب العلا في الصّعب والسهل في السهلِ
تريدين لقيان المعالــي رخيصةً   ولا بدّ دون الشهــد من إبــر النحل

(١) الغبب : اللحم المتدلّي تحت الحنك من الناس والبقر والدّيكة .

وقوله [من الطويل] :

تمنٍّ يلذُّ المستهام بمثله ... وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
وغيظٍ على الأيام كالنّار في الحشا ... ولكنّه غيظ الأسير على القدِّ(١)

وقوله [من الكامل] :

ومكائد السفهاء واقعةٌ بهمْ ... وعداوة الشعراء بئسَ المقتني
لعنت مقاربة اللئيم فإنّها ... ضيفٌ يجرُّ من النّدامة ضيفنا

وقوله [من الطويل] :

وما الخيل إلاّ كالصديق قليلةٌ ... وإن كثرت في عين من لا يجرِّبُ
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيَّبُ(٢)

وقوله [من الكامل] :

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ ... عمّا مضى منها وما يتوقَّعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع(٣)

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدّثتها ... إنّ صدق النفس يزري بالأمل

وكقوله [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همُّه ... وقصّر عما تشتهي النفس وجدُهُ
فلا ينحلل في المجد مالك كلّه ... فينحلُّ مجدٌ كان بالمال عقدُهُ

---

(١) القدّ : القيد .
(٢) الشية : العلامة .
(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبِّـره تدبير الـذي المجـد كفّه
إذا حارب الأعـداء والمـال زنده
فلا مجـد في الـدنيا لمـن قلّ ماله
ولا مال في الـدنيا لمـن قلّ مجدُهُ
إذا كنـت في شكٍّ من السيف فابْلُهُ
فإمّـا تنفِّيه وإمـا تعدُّهُ[1]
ومـا الصـارم الهنـديُّ إلاّ كغيره
إذا لم يفارقـه النجـاد وغمدُهُ[2]

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا تنجـح المقالـة في المر
ء إذا وافقـت هوىً في الفؤادِ
وإذا الحلـم لم يكنْ في طباعٍ
لـم يحلّـم تقـادم الميـلادِ
إنّمـا أنـت والـدٌ ، والأب القا
طع أحنـى من واصـل الأولاد

وقوله [من الطويل] :

وما الحسـن في وجـه الفتـى شرفاً لهُ
إذا لم يكنْ في فعلـه والخلائقِ
ومـا بلـد الإنسـان غير الموافق
ولا أهلـه الأدنـون غير الأصادق
وجائـزة دعـوى المحبّـة والهوى
وإن كان لا يخفـى كلام المنافقِ
ومـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ حارمٍ
كمـا يوجـع الحرمـان من كفٍّ رازقٍ

وقوله [من الخفيف] :

إنّمـا أنفس الأنيس سباعٌ
يتفـارسـن جهـرةً واغتيـالا
مـن أطـاق التمـاس شيءٍ غلاباً
واقتسـاراً لم يلتمسـه سؤالا
كلُّ غادٍ لحاجـةٍ يتمنّـى
أن يكون الغضنفـر الرئبالا[3]

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّـة ساد النـاس كلّهم
الجـود يفقـر والإقـدام قتّالُ

---

(١) أبله : اختبره من البلاء .
(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .
(٣) الغضنفر الرئبالا : أي الأسد الشجاع .

وقلَّمــا يبلــغ الإنســان غايته ... ما كلُّ ماشيةٍ بالرجــل شملالُ[1]
إنّــا لفــي زمــنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثــر النّــاس إحســانٌ وإجمالُ
ذكر الفتــى عمــره الثانــي ، وحاجته ... ما قاتــه ، وفضــول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبنــاء أنَّ العجــز حزمٌ ... وتلك خديعــة الطّبــع اللئيمِ
وكلُّ شجاعــةٍ في المــرء تغني ... ولا مثــل الشجاعــة في الحكيمِ

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبـي طالـب كرم الله وجهه ! .

وكم من عائــبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتــه مــن الفهــم السقيمِ
ولــكن تأخــذ الأذهــان منه ... علــى قــدر القرائــح والعلومِ

وقوله [من الكامل] :

ولقــد رأيت الحادثــات فلا أرى ... يققــاً يميت ولا سواداً يعصم[2]
والهــمُّ يختــرم الجسيم نحافةً ... ويشيب ناصية الصبــيّ ويهرمُ[3]
ذو العقــل يشقــى في النعيم بعقله ... وأخــو الجهالــة في الشقــاوة ينعم
لا يخدعنّــك من عدوٍّ دمعه ... وارحــم شبابــك من عدوٍّ يرحمُ
لا يسلــم الشــرف الــرفيع من الأذى ... حتّــى يراق علــى جوانبــه الدم

---

(١) الشملال : السريع .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .
(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرماً من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإنْ تجدْ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمْ
ومن البليّة عذل من لا يرعوي عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصّداقة ما يضرُّ ويؤلم

وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا[1]
فحبّ الجبان النفس أورده التُّقى وحبُّ الشُّجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنَى الجاني أناةٌ تظنّ كرامةً وهي احتقارُ[2]
بنو كعبٍ وما أثّرت فيهم يدٌ لم يدمها إلاّ السّوار
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار
لهم حقٌّ بشركك في نزارٍ وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارُ
لعلّ بنيهمُ لبنيك جندٌ فأوّل قرّح الخيل المهار[3]
وما في سطوة الأرباب عيبٌ ولا في ذلّة العبدان عار[4]

---

(١) الصبّ : العاشق .

(٢) الأناة : التصبُّر وطول البال .

(٣) القرح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .

(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوي الهنديِّ حاجته أجاب كلّ سؤالٍ عن هل بلم
ولم تزلْ قلّة الإنصاف قاطعةً بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّنْ على بصرٍ ما شقّ منظره فإنّما يقظات العين كالحلمِ
لا تشكونّ إلى خلقٍ فتشمتهُ شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذرٍ للنّاس تسترهُ ولا يغرنّك منهم ثغر مبتسم
وقتٌ يضيع وعمرٌ أنت مدّته في غير أمّته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم وأتيناه على الهرم

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أوّلٌ ، وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرّةٍ بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربّما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران(١)
لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسان(٢)

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذَّبُ !
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً ولا أشتكي فيها ولا أتعتّبُ !؟
وبي ما يذود الشعر عنّي أقلّه ولكنّ قلبي ، يا ابنة القوم ، قلّبُ
أما تغلط الأيام فيَّ بأن أرى بغيضاً تُنائي أو حبيباً تقرّبُ ؟

---

(١) القرين : المثيل والنظير ، والأقران :
(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبـي خُلُـقُ الـدّنيا حبيبـاً تديمهُ فمـا طلبـي منهـا حبيبـاً تردُّهُ ؟
وأسـرع مفعـولٍ فعلـت تغيّراً تكلّف شيء في طباعـك ضدّه

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إذا ساء فعـل المـرء ساءت ظنونه وصـدّق ما يعتـاده من توهُّمِ
وعـادي محبيه يقـول عداتـهُ وأصبـح في ليلٍ من الشّـكٍّ مظلم

ومنها :

ومـا كلٌّ هاوٍ للجميـل بفاعـلٍ ولا كـلٌّ فعّـالٍ له بمتمّمِ

ومنها :

فأحسنُ وجهٍ في الورى وجـه محسنٍ وأيمـن كفٍّ فيهـمُ كفٌّ مُنعمِ
وأشرفهـم من كان أشـرف همّه وأكثـر إقدامـاً علـى كلّ معظم
لمـن تطلـب الـدّنيا إذا لم تردْ بها سرورَ محـبٍّ أو مسـاءةَ مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فـؤادٌ ما تسـلّيه المـدامُ وعمـرٌ مثـل ما يهـب اللئامُ
ودهـرٌ ناسـه نـاسٌ صغارٌ وإن كانـت لهـمْ جثـثٌ ضخامُ
ومـا أنـا منهـم بالعيش فيهم ولـكن معـدنُ الـذّهـب الرُّغام[1]
وشبـه الشـيء منجـذبٌ إليه وأشبهنـا بدنيانـا الطّغام[2]
ولـو لم يعـل إلاّ ذو محلٍّ تعالـى الجيش وانحـطَّ القتام[3]

---

(١) الرغام : التراب .
(٢) الطغام : أرذال الناس .
(٣) القتام : الغبار .

ولــو حيْزَ الحفــاظ بغير عقلٍ تجنّــب عنـق صيقلـه الحسام[1]

وقوله [من الخفيف] :

أبــداً تستــردّ ما تهــب الدّنـ ـيا فيا ليت جودهــا كان بخلا
فَكَفَــتْ كون فرحــةٍ تورث الغـ ـمّ وخــلٌ يغــادر الوجــد خلاً
وهـي معشوقـةٌ علـى الغــدر لا تحـ ـفـظ عهــداً ولا تتمّــم وصلا
كلُّ دمــعٍ يسيل منهــا عليها وبفــكّ اليديـن عنهــا تخلّـى

أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً بفك يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغــانيات فيهــا فلا أد ري لذا أنّث اسمهــا النــاس أم لا ؟
ولــذيذ الحياة أنفس في النّفـ ـس وأشهــى من أن يمــلّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفٍّ فمــا مـــــلّ حياةً وإنّمــا الضّـعف ملاّ
آلــة العيـش صحّــةٌ وشبــابٌ فإذا وليّا عن المــرء ولّى

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالــم أهــل الــودادِ بعدهُمُ يُسْلــمُ للحــزن لا لتخليـد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فمــا ترجّــى الخلــود من زمنٍ أحمــد حاليـهِ غيـر محمودِ

---

(١) حيْزَ : امتلك .

أي : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفقةً ... من أن يعيش بها الكريم الأروعُ
والناس أنزل في زمانك منزلاً ... من أن تعايشهم وقدرك أرفعُ
قبحاً لوجهك يا زمان ؛ فإنّهُ ... وجهٌ له من كلِّ قبحٍ برقع
أيموت مثل أبي شجاعٍ فاتكٌ ... ويعيش حاسده الخصيُّ الأوكع ؟[1]

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأنّي سرت أطلبه ... فما تزيدني الدّنيا على العدمِ
من لا يشابهه الأحياء في شيمٍ ... أمسى يشابهه الأموات في الرّمم[2]

أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قَبْلنا ... وأعيا دواء الموت كلُّ طبيبِ
سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئةٍ وذهوبِ
تملَّكها الآتي تملُّك سالبٍ ... وفارقها الماضي فراقَ سليب

هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ، ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً ... بشقّ قلوبٍ لا بشقٍّ جيوبِ
فربٌ كئيبٍ ليس تندى جفونه ... وربٌّ كثيرِ الدّمع غير كئيبِ

---

(١) الأوكع : اللئيم ، والأحمق .

(٢) الشّيم : السجايا والخصال الكريمة . والرّمم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاءٍ أو سكون لغوب[1]

وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثّرى أنّ الكواكب في التراب تغورُ
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسيرُ[2]
خرجوا به ، ولكلّ باكٍ خلفه صعقات موسى يوم دكّ الطُّور[3]
حتى أتوا جدثا كأنّ ضريحه في كلّ قلب موحّدٍ محفورُ
كفل الثناء له بردّ حياته لما انطوى فكأنّه منشورُ

وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشْتَ بالسّيوف من الدّهـ ـر أسيراً وبالنّوال مقلاّ[4]
خطبةٌ للحمام ليس لها ردٌّ وإن كانت المسمّاة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدرٍ أرادتِ الموت بعلا

هذا أحسن ما قيل في مرثية حرم الملوك .

وقوله في مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنّك في الحشا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يبكي على قدر سنّهِ ولكنْ على قدر المخيلة والفضل[5]
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنّك نصلٌ ، والشدائد للنّصلِ

---

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .
(٢) رضوى : إسم جبل معروف .
(٣) دكّ : هدم وتحطم ، والطور : جبل .
(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقلّ : الفقير .
(٥) المخيلة : المظنّة .

ولـم أر أعصـى فيك للحـزن عبرةً / وأثبـت عقـلاً ، والقلـوب بلا عقل
تخـون المنـايا عهـده في سليله / وتنصـره بين الفـوارس والرّجل[1]
ويبقـى علـى مرّ الحـوادث صبره / ويبدو كما يبدو الفرنـد على الصقل
ومـا المـوت إلاّ سارقٌ رقّ شخصه / يصـول بلا كفٍّ ويسعـى بلا رجل
يردّ أبـو الشبـل الخميس عن ابنه / ويسلمـه عنـد الـولادة للنمل
إذا ما تأمّلـت الزّمـان وصرفه / تيقّنـت أن المـوت ضربٌ من القتل
ومـا الدّهـر أهـلٌ أن يؤمّـل عنده / حياةٌ وأن يشتـاق فيه إلـى النّسل

وقوله [من السريع] :

نحـن بنـو الـدنيا فمـا بالنا / نعـاف ما لا بدٌّ من شربِهِ
تبخـل أيدينـا بأرواحنـا / علـى زمـانٍ هنّ من كسبه
فهـذه الأرواح من جوّه / وهـذه الأجسـام مـن تربه
لـو فكر العاشـق في منتهى / حسـن الـذي يسـبيه لم يسبه
لـم ير قرن الشـمس في شرقه / فشـكّتِ الأنفس في غربه
يمـوت راعـي الضـأن في جهله / موتـة جالينـوس فـي طبِّه
وربّمـا زاد علـى عمـره / وازداد في الأمـن علـى سربه[2]
وغـاية المفـرط فـي سلمه / كغـاية المفـرط فـي حربه ؟[3]
فـلا قضـى حاجتـه طالـبٌ / فؤاده يخفـق من رعبـه !

* * *

---

(١) الرجل : المشاة من الجيش .
(٢) السرب : الجماعة .
(٣) المفرط : المتزيّد والمكثر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي فإنّها دار غربهْ
أو آنستك المخازي فإنّها لك نسبهْ

وقوله [من البسيط] :

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدودُ
جود الرجال من الأيدي ، وجودهُمُ من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلاّ وفي يده من نتنها عود

يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أنّه في ثياب الحرّ مولودُ
لا تشترِ العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد
من علّم الأسود المخصيَّ مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟[1]
أم أذنه في يد النخاس داميةً أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةً عن الجميل فكيف الخصية السّودُ

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجلٌ مكفوفُ[2]

وقوله [من السريع] :

فلا ترجُّ الخير عند امرىءٍ مرّت يد النخاس في رأسه

---

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبّراً .

(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخـذتُ بمدحـه فرأيت لهواً | مقالـي للأحيمـق يا حكيمُ
ولمّـا أن هجـوت رأيت عيّاً | مقالـي لابـن آوى يا حليمُ[1]
فهـل من غادرٍ في ذا وهذا | فمدفـوعٌ إلـى السُّقـمِ السّقيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقـد كنـت أحسـب قبـل الخصي | بأنّ الـرءوس مقـرُّ النهى
فلمـا نظـرت إلـى عقله | رأيت النهـى كلّهـا في الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشـي بأربعـةٍ علـى أعقابه | تحت العلـوج ومـن وراءٍ يلجم[2]
وجفونـه ما تستقـرُّ كأنّها | مطروفـةٌ أو فتَّ فيهـا حصرم
وتـراه أصغـر ما تراه ناطقاً | ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشـار مكلِّمـاً فكأنَّهُ | قردٌ يقهقـه أو عجـوزٌ تلطم
يقلـي مفارقـة الأكفّ قذاله | حتـى يكاد علـى يدٍ يتعمّم[3]

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة
في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة
والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

---

(١) العيّ : الصعوبة في الكلام .
(٢) العلوج : الحمير .
(٣) يقلى : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذمّمٍ وأمٌّ ومن يممّتُ خير ميمّم[1]

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجّلْ عنده وأكرَّمُ
رحلت فكم باكٍ بأجفان شادنٍ عليَّ ، وكم باكٍ بأجفان ضيغم[2]

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثنّ لمن ودّعتهم ندمُ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربّ الحسام المصمّمِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمّمِ[3]

وهذا أيضاً مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب في كثير من شعره :

رمى واتّقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوىً كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثٍ يديه والشآبيبِ[4]
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارِ موهوبِ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزّع موفوراً بمنكوبِ
يا أيّها الملك الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقيب

---

(١) يمّم : قصد ناحيته .
(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .
(٣) معمّم : يلبس عِمّة .
(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنـت الحبيب ولكنّـي أعـوذ به   من أن أكون محبّـاً غير محبوبِ

وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنْ فارقتنيَ أمطـاره   فأكثـر غدرانهـا ما نضبْ
وإنّـي لأتبـع تذكـاره   صلاة الإلَه وسقـي السُّحبْ

ومنها في التعريض بكافور :

ومـن ركب الثـور بعـد الجوا   د أنـكـر أظلافـه والغبـب[1]

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله   فإنّـي أغنّـي منـذُ حينٍ وتشربُ

يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك .

وهبـت علـى مقـدار كفّـي زماننا   ونفسـي علـى مقـدار كفّيك تطلبُ

وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربـي منـك عينـاً قريرةً   وإن كان قربـاً بالبعـاد يشابُ[2]
وهـل نافعـي أن ترفـع الحجـب بيننا   ودون الـذي أمّلـت منـك حجابُ ؟
أقـلّ سلامـي حبّ ما خفّ عنكُمُ   وأسـكت كيمـا لا يكون جواب

---

(١) الغبب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقر والدّيكة .
(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفـي النفس حاجـاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتـي بيانٌ عندهـا وخطاب

وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشـقين كمنته أراقـب فيه الشـمس أيّان تغربُ
وعينـي إلـى أذنـيْ أغـرّ كأنّه من الليل باقٍ بين عينيه كوكب

أي : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإن رآه قد توجس بهما تأهب في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه ، وتقول العرب : أذن الوحشي أصدق من عينيه .

له فضلـةٌ عن جسمـه في إهابه تجـيء علـى صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ[1]
شققـت به الظلمـاء أدنـى عنانه فيطغـى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه .

وأصـرع أيّ الـوحش قفّيتـه به وأنـزل عنـه مثلـه حين أركبُ

وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإنّـي عنـك بعـد غدٍ لغادٍ وقلبـي في فنائـك غير غاد
محبُّك حيث ما اتجهـت ركابي وضيفـك حيـث كنـت من البلاد

وكقوله [من الكامل] :

سرْ حيث شئـت يحلّـه النوّار وأراد فيك مرادك المقدارُ
وإذا ارتحلـت فشيّعتْـكَ سلامةٌ حيـث اتجهـت وديمـةٌ مدرارُ

---

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهــرك ما تحــاول في العدا حتــى كأنّ صروفـه أنصار
أنــت الــذي بجــح الزمــان بذكره وتزيَّنــت بحــديثه الأسمـار[1]

وكقوله في اللطف بالصديق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إنّي لأجبن عن فراق أحبَّتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمّ بي عتب الصديق فأجزعُ

وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتـكي ما اشتــكيت من ألــم الشو ق إلينــا ، والشــوق حيث النحول

وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجــه ميمونه عفيف ما في ثوبــه مأمونه[2]

أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلّـى عليك الله غير مودعٍ وسقــى ثرى أبــويك صوبَ غمامِ

« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقــر الــدنيا احتقــار مجرّبٍ يرى كل ما فيهــا ، وحاشــاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

---

(١) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السّمر ، وهو الأنس .
(٢) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميّ باكره[1]

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجالَ ، وشائقٌ علاّتها[2]
ومنازل الحمى الجسوم ، فقل لنا : ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسُّبلُ
لم تبق إلاّ قليل عافيةٍ قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلّةِ الدّنيا طبيبُ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟[3]

وكقوله في التهنئة وهي تهنئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفيَ إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصّك في برءٍ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

---

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خبر مقدم، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول، وعلاتها مفعول والشائق: باعث الشوق، يقول: ألمّ بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيبك .

وكقوله [من الخفيف] :

إنّما التهنئات للأكفاء ... ولمن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضوٌ ... بالمسرات سائر الأعضاءِ

وكقوله [من البسيط] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك ، حتّى الشمس والقمرُ
ما الدهر عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ ... يا مَنْ شمائله في دهره زهرُ[1]
ما ينتهي لك في أيّامه كرمٌ ... فلا انتهي لك في أعوامه عمر
فإنّ حظك من تكرارها شرفٌ ... وحظّ غيرك منها النوم والسهر

وكقوله [من الطويل] :

تغيّر حالي والليالي بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغرانق[2]

وكقوله [من البسيط] :

تسوِّدُ الشمس منّا بيض أوجهنا ... ولا تسوِّدُ بيض العذر واللمم[3]
وكان حالهما في الحكم واحدةً ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقوله [من الطويل] :

مُشبٌّ الذي يبكي الشباب مشيبُهُ ... فكيف تَوَقّيه وبانيه هادمُهْ[4]
وما خضب الناس البياض لأنّه ... قبيحٌ ، ولكن أحسن الشعر فاحمه[5]

* * *

---

(١) روضة أنف : أي لم ترعَ.
(٢) الغرانق : الشاب الأبيض الناعم الجميل.
(٣) اللمم : جمع لمّة وهي شعر الرأس.
(٤) مشبّ : مبتدأ خبره مشيبه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنّما أشابه الذي أشبّه ، فقد حصل له الشيب مَن عند الذي حصل له منه الشباب.
(٥) والفاحم : الأسود.

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرَّف الله أرضاً أنت ساكنها   وشرَّف الناس إذْ سوَّاك إنسانا

قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ، ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم سواك رجلاً »[1] ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همّي فوق الهموم   فلست أعدّ يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا عليّ   لم يقبل الدرّ إلاّ كبارا[2]

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أمّلوا   أنالك ربّك ما تأملُ

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ   عليك صلاة ربِّك والسلامُ

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتي درهم ـ استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .
(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي ... فلم أبصرْ به حتّى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرض قال قلبي ... عليك الصّمت لا صاحبتُ فاكا
ولولا أنّ أكثر ما تمنّى ... معاودةٌ لقلت ولا مناكا

أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلته له : ولا بلغت أنت أيضاً منتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ ... وأقتل ما أعلّك ما شفاكا

أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءً أن تصحّ وتسلما *

و « أقتل ما أعلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثويّة من حزينٍ ... يقول له قدومي ذا بذاكا

الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :

ومن عذب الرّضاب إذا انخنا ... يقبّل رحل تروكِ والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وِصاكا[1]

وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصٌ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ تبيَّن من بكى ممَّنْ تَباكى

وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزلْ بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنّةِ في حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين[2] ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي [من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللّسانِ

---

(١) صاك : أراد أنّه لصق به.
(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء.

مـا رأى النـاس ثانـيَ المتنبيّ أيّ ثانٍ يرى لبـكر الزمان ؟
كان من نفسـه الـكبيرة في جيـ ـشٍ وفـي كبـرياء ذي سلطان
كان في لفظـه نبيّاً، ولكنْ ظهـرت معجزاتـه فـي المعاني

فصل ـ وقد جمح بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتاباً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ ـ في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي ـ شاعر من فحولة شعراء العصر ، وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيّمٍ ... وذمة حبٍّ عهده لم يذمَّمِ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ ... فريقين باتا منجداً بعد متهم[1]
فقد كثرتْ في كلِّ أرضٍ ديارهمْ ... ككثرة عذّالي عليٍّ ولوَّمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا ... من اليوم بين الجزع والمتثلّم[2]

ومنها :

لكم يا بني العباس سيفٌ على العدا ... حسامٌ متى يعرض له الداء يحسمِ
أخفُّ إلى يوم الوغى من حمامةٍ ... وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيَّمِ

---

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .

(٢) أثلم : أي أمرّ وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العـلا ، إنّ العوالـي كواسبٌ علاءك في الـدنيا وفـي جنَّـة الخلدِ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ، وطرفـك ما بين الشكيمـة واللبد(١)
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ، وقـولك للتقـوى ، وكفـك للرِّفدِ(٢)

ومنها في وصف أشعاره :

رايحـن أذهـانٍ : سماحـك غارسٌ لها ، فاجِنها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبـات الـدّارميّات شرَّدٌ تدقُّ معانيهـا علـى الملك الكندي(٣)

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقّـاً أنّ قالتـي زرود وأنّ عهودهـا تلك العهـودُ(٤)
وقفـت وقـد فقـدت الصبـر حتّى تبيّن موقفـي أنّـي الفقيدُ
وشـكّتْ فيَّ عذالـي فقالوا لرسـم الـدار : أيّكمـا العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الـراح والأتـرج لاحا لعينـك قلـت : أيّهمـا الشرابُ ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لـي سيدٌ فاتـنٌ يعلّمني بحسنـه كيف يعبـد الصنمُ
لمـا رآنـي وفـي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أيُّنـا القلمُ

---

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس.
(٢) الرفد : العطاء .
(٣) الملك الكندي : يعني امروء القيس.
(٤) زرود : إسم علم.

ومنها :

إليك صدعن أفئدة الليالي　　وفيهنّ السخائم والحقد[1]
فعيدان الأراك لها عظامٌ　　وأسقية السنان لها جلودُ[2]

ومنها :

وشعرٍ لو عبيد الشعر أصغى　　إليه لظلّ لي عبداً عبيد
كأنّ لفكرة نشر ابن حجرٍ　　ونوديَ من حفيرته لبيد[3]

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إلمامةٌ بمغاني داره لممُ　　إذ لا أمامة في دارٍ لها أمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نأتْ　　بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها　　بدار سلمى وترب الدار مستلم
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت　　يوم الحمى وهواها ليس ينصرمُ

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

يا ربّ حسّانةٍ منهنّ قد فعلت　　سوءاً وقد يفعل الأسواء حسّان

[رجع] :

كأنّ قلبي معارٌ للنوى جزعاً　　من قلب قرن عليٍّ وهو منهزمُ
ناط الحمائل في ليثٍ وفي قمرٍ　　وفي الحمائل قد نيطت به الهممُ[4]
كأنّه أجلٌ ، أو طرفه وجلٌ ،　　أو سيفه قدرٌ في الروح يحتكم

---

(١) السخائم : الضغائن.
(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً.
(٣) ابن حجر : امروء القيس، ولبيد : لبيد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .
(٤) ناط : أوكل وكلّف وعهد.

يا مظمــيء الخيل أو تروى ذوابله والخيل تشرب من أشداقهـا اللّجم[1]
إذا ملائــكة النصــر اختلطــت بها تشابــه العالــم النــوريُّ والنَّســم
لم تدعَ يا علــم المجــد المقابلنا إلاّ وسبــح إجــلالاً لك العلم
لا يكتــم النصــر يومــاً أنــت شاهده واليوم من نقعــه قد كاد ينكتم[2]
النصــر أسرجهــا ، والعزُّ ألجمها والحــزم أمســك بالأســراج لا الحزم
قال النهــار له والشــمس مغمدةٌ وللمنــايا شمــوسٌ غمدهــا القمم :
هذا عجــاجٌ فأين الأفــق وهــو قنا ؟ وتلك خيلٌ فأين الأرض وهــي دم ؟
بحــدٍّ سيفــك سيف الدولــة انحطمتْ قواعــد الشــرك والأرواح تنحطم
يحــدّث الذئــب ذئــبٌ وهــو مبتهجٌ ويخبــر النســر نســرٌ وهــو مبتسم
قد أرضعتــك ثديٌ الأرض درّتها ورمحــك ابــن رضــاعٍ ليس ينفطم
من آل حمــدان حيث الملك مقتبلٌ والمــال مقتســمٌ والحمــد مغتنم
قومٌ إذا حكمــوا يومــاً لأنفسهم جار السماح عليهم في الــذي حكموا
أمــن علاً أم ندىً أدعــوك ؟ أم بهما ؟ فأنــت ذا والحيا والصــارم الخذم[3]
إن يعجــل الــرأي تلحقــه بغايته كذا الجــواد من الإعجــاب يحتدم
وإن تأنّيت عزمــاً لم يفتــك عداً إن الأســود تمطّــى ثم تعتزم[4]
إن لم أقــم أممــاً للمــدح من فكري فشــك فيك يقينــي أنّــك الأمم
إذا طلبتــك لم ألحقــك في أمدٍ ما حيلتي ؟ قد تناهــى دونــك الكلم[5]
ومــا علــيٌّ إذا ما كنــت ناظمها فعطّلــتْ كلٌّ ما قالــوا ومــا نظموا

---

(١) الزوايل : الرماح.
(٢) النقع : الغبار.
(٣) الخذم : القاطع.
(٤) تمطّى : تتهيأ.
(٥) أمد : مجال.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمـرن هوانـا أن يصـحَّ لنسقما فأدمى قلوبـاً صاديات إلـى الدّمى[1]

ومنها :

أرتنـا جنـى العنـاب للـورد ظالماً ومـن أقحـوانٍ مرمضٍ متظلّما[2]

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض اليد بالثغر الأشنب :

طوى البين ديباج الخـدود ، ونشّرت يد البين وشياً للخـدود منمنما
تقسّمـت الأهـواء قلبـي كمـا غدا نوال علـيٍّ في العـلا متقسّما
ويومٍ كأجياد العـذارى حليّه فريد ندىً في جيده قد تنظّما[3]
جلونـا به وجهـي عروسٍ وكاعبٍ علـى طفـل زهـر قد بكى وتبسّما[4]
وأخـرس يصبينـا بخمسـة ألسنٍ إلـى أيّهـا مدّ السّنـان تكلّما
لدن غدوة حتـى إذا الشـمس ودّعتْ مغاربهـا واستـأذنتهـا التصرُّما
ثوينـا كأنّـا بعض أبنـاء قيصرٍ غدا فيهـم سيف الأمير محكّما
أطعـت العـلا حتـى كأنّـك عبدها وإن كنـت مولاهـا وكنـت لهـا ابنما
مكارم لا تنفـكّ تتعـب حاسداً يؤخّـره سعـيٌ لهـا قد تقدّما
زكت فكري فيهـا وأينـع هاجسي فَظِلْـتُ علـى أهـل القـريض مقدّما
وولّـد شعـري فيك شعـراً لمعشرٍ فكنـت عليهـم مثـل نعمـاك منعما

---

(1) الصادي : الظامىء ، والدمي : الفتيات.
(2) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة.
(3) الجيد : العنق.
(4) جلونا : زيّنا.

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودَّ الهوى في ابيضاضه ؟ وإلا سلاني كيف بيّض مسودّي ؟
كأنّ برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جندٍ إلى جندِ
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السّري تحيّر لا يهدى لقصدٍ ولا يهدي[1]
كأنّي وابن الغمد والطّرف أنجمٌ على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ جناحيه ورساً عُلَّ بالعنبرِ الوردي[2]
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهي مقطوعة العقدِ
فقلت : أخَيلُ التغلبي مغيرةٌ أم الفجر يرمي الليل سدّاً على سدٍّ ؟
فتىً قسّم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد[3]
فسوَّد يوماً بالعجاج وبالرّدى وبيَّض يوماً بالفضائل والمجد
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا فغودرت العقبى لذي الحقّ لا الحشد ؟
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحةٍ وليس مع التقصير عندي سوى جهدي
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ وقد غودر ابن العبد في نظمها عبدي[4]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتبُ[5]
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلّب[6]
يرجى ويخشى ضرّه وهو نافعٌ كذا البحر في أزّاته متهيّب[7]

---

(١) كليلٌ: متوانٍ والسُّرى : المسير ليلاً.
(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌّ: مزج.
(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .
(٤) زياد : هو النابغة الذبياني، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري.
(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد.
(٦) تتحلّب : تتصبّب، والنوء: المطر.
(٧) أزاته : تموّجه.

يروع ويبدو الأنس منه كأنّه الـ ـهوى لذعهُ بين الجوانح يعذب
وأزهر يبْيضُّ النّدى منه في الرّضى وتحمرُّ أطراف القنا حين يغضب
أمير الندى ، ما للندى عنك مذهبٌ ولا عنك يوماً للرغائب مرغب
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلةٌ فتغلب أبناء العلا بك تغلب
قناةٌ من العلياء أنت سنانها وتلك أنابيبٌ عليها وأكعب
وخيلٍ كأمثال القنا في لبودها فإن صهلت فهي اليراع المثقّب[1]
وضربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه وأشبهها من لون أشقر يخضب[2]

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألتْ بالفراق صبّاً ، وما ينـ ـبئها بالفراق مثل خبيرِ
هو بين الحشا صدوعٌ ، وفي الأعـ ـين ماءٌ ، وجمرةٌ في الصدورِ[3]
نحن أبناء ذا الهوى تسكن الأنـ ـفس منّا إلى الضنّا والزفيرِ
نال منا يوم الفراق كما نا ل من الناكثين سيف الأمير
في خميسٍ للنّصر فيه لواءٌ عقده من لوائه المنصور
رجله كالدبا ، وفرسانه كالأ سد بأساً ، وخيله كالصقور[4]
وسجاياك يا أبا الحسن الغـ ـرّ وإتعابهنّ شكر الشكور
لو غدا الدهر صافحاً لي عن الحـ ـظّ وأعلى من جدٍّ حالٍ عثور[5]
لتعطّرت من غبار مذاكيـ ـك رواحي ، وكان عطري بكوري[6]
ثم صيّرت من دماء أعاديـ ـك خلوقي ، وكان منه طهوري[7]

(١) اليراع : القصبة التي يزمر بها.
(٢) الأشهب: الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .
(٣) صدوع : شروخ.
(٤) الدبا : القرع.
(٥) الجد : الحظ ، والعاثر : السيء.
(٦) المذاكي : جياد الخيل.
(٧) الخلوق : الطيب.

ولقيت المنون تحت عواليـ ـك معداً ذخراً ليوم نشوري
سرْ على السعد تستظلّ من الأيّـام ظلّيْ سلامةٍ وحبور
بين فرضين من جهادٍ وشهرٍ أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لمّا خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بني حمـ ـدان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شموسٍ من الحديد عليها أنجمٌ يفترون فوق بدور
وعجاجٍ كأنّه من دخان النـ ـدّ يلقى الهواء بالتعطير[1]
عبقٌ من علاكُمُ فكأنّ الـ أرض مسكٌ ، والجوُّ من كافور
فتحيّوا بمدحتي فهي ريحا نةُ حمدٍ تبقى بقاء الدّهور

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارقٍ شبّوا ضياء وقوده بوقود[2]
ردّوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصّبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظّبا وشبا القنا غير المنايا السّود[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرِهِ يظلّ لتوفير العلا غير وافرِ
وحسّاده ممّا تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهنّ الزوافرِ

وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارمٍ مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكبِ

---

(١) العجاج: الغبار، والندّ : نوعٌ من الطيب.
(٢) شبّوا : أوقدوا ، وأسعروا.
(٣) انتضوا : شهروا، وبيض الظبا: ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف، وشبا القنا : رؤوس الرماح.

تنــأى به الهــام عن أجسامهــنّ كما ... تنـأى الخــواتيم عن مقــروءة الكتب

وقوله من أخرى [من البسيط] :

في ناظـر الشــمس إن عنّــت له رمدٌ ... ومسمع الرعـد إن أصغـى له صممُ(١)
يردّهــا ونظــام الملك متّسِقٌ ... والمــوت في خرز الأعنــاق ينتظم
أسعــد بعيدٍ إذا كارمتــه حكمت ... لك المعانـي وأمضـى حكمهــا الكرم
عيدٌ وفتــحٌ وملكٌ والأمير له ... دامــت سلامتــه ما أورق السلم !
الله أعطــاك أقســام الفخــار ، فما ... خلقٌ يساميك مذ حيزت لك القسم(٢)
لو كان يرضـى لك الـدنيا لمــا فنيتْ ... ونلــت فيهــا خلــوداً أنــت والنعم

وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

ساميةٌ في الجــوِّ مثــل الفرقد ... قاعــدةٌ فيه وإن لم تقعد
يكاد عاليهــا ـ وإن لم يبعد ـ ... يغــرف من حوض الغمــام باليـد

وقوله [من الطويل] :

خليلـيَ ، هل للمـزن مقلـة عاشقٍ ؟ ... أم النـار في أحشائهـا وهــي لا تدري
أشــارت إلـى أرض العـراق فأصبحت ... وكاللؤلـؤ المبتــول أدمعهــا تجري(٣)
تسربــل وشياً من خروزٍ تطرّزتْ ... مطارفهــا طرزاً من البــرق كالتّبر(٤)
سحابٌ حكت ثكلـى أصيبـت بواحدٍ ... فعاجت له نحـو الـرياض علـى قبر(٥)
فوشــيٌ بلا رقــمٍ ، ونقشٌ بلا يدٍ ... ودمــعٌ بلا عينٍ ، وضحــكٌ بلا ثغر

---

(١) عنّت : بدت وخطرت ، والرمد : وجع يصيب العين ، والصميم : فقد السمع .
(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك .
(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره .
(٤) المطارف : أوشحة من الحرير ، والتبر : الذهب .
(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

يدٌ في برئها برءُ الأيادي ووعكٌ للطريف وللتلاد[1]
يد الحسن التي خلقت سماءً موكّلةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ ـ أبو الحسين الناشىء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشىء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُّ بأقلامي على الماء أحرفا
وَهَبْهُ ارعوى بعد العتاب ، ألم يكنْ تودّده طبعاً فصار تكلُّفا ؟[2]

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إنّ الحجاب مجانبُ الإنصاف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّي أودّع طائعاً وأعطي بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن القيت بالنفس راجعا
تحمّلت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

---

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .
(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنـل همـم الأكرمين وسعيهـم وادعـاً فاغتـرب
فـكم دعـةٍ أتعبـت أهلها وكم راحـةٍ نتجـت من تعب(1)

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلـي وصاحبـي من لؤي بن غالـبِ
حـاكم الحـبِّ جائـرٌ موجـبٌ غيـر واجـبِ
لـك صـدغٌ كأنّمـا نونـه نـون كاتـبِ
يلـذع النـاس ـ إذ تعقـ ـرب ـ لذع العقارب

* * *

١٨ ـ أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إليّ شعره مجموعاً ، وإنما تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من النتف التي استفادها ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفـرن بدوراً ، وانتقبـن أهلَّةً ومِسْن غصونـاً ، والتفتـن جآذرا(2)
وأطلعـن في الأجياد بالـدرّ أنجماً جعلن لحبّـات القلـوب ضرائرا(3)

---

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن اي لبسن النقاب ومِسن : تمايلن وتَثنّين والجاذر : البقر الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرّة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسمعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قا' من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرما
ندوِّم أسيّافاً ، ونعلو قواضباً ، وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجما(١)

وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريَّ المقيّرا(٢)
إذا فضَّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونوّر عصفرا(٣)

ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمَّ النّاس ظرفاً وأصلحهم لمتّخذٍ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلةٍ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظبياً ، وغنّى عندليباً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيبا(٤)

وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنّها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

---

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .
(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيّرا : المطلي بالقار .
(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .
(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتنقُ والمزن باكيةٌ والزّهر معتبق[1]
كأنّما الليل جفنٌ والبروق له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذاري ولكنت في وزرٍ من الأوزارِ[2]
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولي في الوعيد لأجلهِ وعزمت فيك على دخول النّار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءَ والسّيف من نظري يذوب حياءَ
والخيل لو حمّلتها علمي بها لتركتها تحت العجاج هباءَ

ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا أملك الإحصاءَ

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكنْ لذنوب الزمان لست بمحصِ

(١) المُزنْ : السُّحبْ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي.
(٢) الوزر : الإثم.

رجع :

عجباً لصرف الدّهـر كيف يخـون من غمـر البـرية نجـدةً ووفاءَ
عدم الصبـاح فنـاب عنـه بفكره وعلـت يداه فطـاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جمّـلاً في سنِّه هجرتـه حواء السـنين من الدمى[1]

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذاتِ جسـم من الكافـور في ذهبٍ دارت عليه حواشيه بمقدارِ
كأنّهـا ـ وهـي قدّامـي ممثَّلةً في رأس دوحتهـا ـ تاجٌ من النار

* * *

(١) جملاً : حساب الجمل، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف.
والمعنى : أنّ الذي في عمر آدم لابدّ أن تهجره النساءِ .

البـــاب السابـع

١٩ ـ في ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء
وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .

نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده ا لموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطررت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالغ في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرته ، فأخرج إليَّ رقعة مختومة ، وقال لي : قد لزمم فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة ، وونى وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك ـ جعلني الله فداك ! ـ زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك ـ أيدك الله ! ـ قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إليّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ ـقصف وحث الكؤوس والطربِ
هل لك في صاحبٍ تناسب في الـ ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى قربك مستنصراً على النّوب[1]
فإن تقبّلت ما أتاك به لم تشن الظنّ فيه بالكذب[2]
وإن أتى الزهد دون رغبتنا فكن كمن لم يقل ولم يُجِب

(١) النوب : المصائب والأحداث.
(٢) تُشِنْ : تُعِبْ.

قال أبو الفرج : فورد عليَّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما آثره من ا لتفرد أولى من التشاغل بإصدار جو اب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلاية متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه[1] ، معتدل القوام أهيفه[2] ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره[3] ، وتجفو مع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمه.

(٢) الهيف : اعتدال القوام.

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة.

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسراويله ، واعتنقني ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إلى أمره . وأنا أواصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر ا لملوك وأجلة الرؤساء .
وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكي وهو مُلكي   وسالبي ثوب نسكي

نـزّه يقيـن الهـوى فيـ ـك عن تعـرّض شـكٍّ
لـولاك ما كنـت أبكي إلـى الصـباح وأبكـي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، فكدت والله أطير طرباً وفرحاً بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً، فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلـــةٍ أوسعـتنـي حسـناً ولهـواً وأنسـا
مـا زلـت ألثم بدراً بهـا وأشـرب شمسـا
إذ أطلـع الـدّير سعداً لم يبـق مذْ بان نحسا
فصـار للـروح منّي روحـاً وللنفـس نفسـا

فطرب على قولي « ألثم بدراً وأشرب شمساً » ، وجـذب غلامـه فقبلـه ، وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولـم أكـن لغريمـي والله أبـذلُ فلسـا
لـو ارتضـى لي خصمي بديـر مـرّان حبسـا

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى بما حضر، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب عليٍّ من غير إكراه ولا حثٍّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناي إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويومٍ كأنّ الدهر سامحني به ... فصار اسمه ما بيننا هبةَ الدّهرِ
جرت فيه أفراس الصّبا بارتياحنا ... إلى دير مرّان المعظّم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ... ـنّسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضةٍ بالحسن ترفد روضةً ... ومن نَهَرٍ بالفيض يجري إلى نهرِ
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها ... وصحبي حلالاً بعد توفية المهرِ[1]
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها ... فما زلت منها أشرب التبر بالتبرِ

(١) افترع : افتضّ.

وحلّ لنا ما كان منها محرّماً ... وهل يحظر المحظور في بلد الكفر(١)
فأهدت ليَ الأيام فيه مودةً ... دعتنيَ في سترٍ فلبّيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبةٍ ... تخاطبني عن معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعةً لا مقالةً ... ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العين نبلاً وهمّةً ... محلّى السّجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبرّ حتى ظننته ... يريد اختداعي عن جناني ولا أدري(٢)
ونزّه عن غير الصفاء اجتماعنا ... فكنت وإياه كقلبين في صدر
وشاء السرور أن يلينا بثالثٍ ... فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
بمعطي عيونٍ ما اشتهت من جماله ... ومضني قلوبٍ بالتجنّب والهجر
جنينا جنيَّ الورد في غير وقته ... وزهر الرّبا من روض خدّيه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه ... بشمسين في جنحيْ دجى الليل والشعر
وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً ... بأوفر حظٍّ من محاسنه الزهر
وأمتعنا من وجنيته بمثل ما ... تمزّج كفّاه من الماء والخمر
سرورٌ شكرنا منّة الصحو إذ دعا ... إليه ولم نشكر به منّة السكر(٣)
كأنّ الليالي نمن عنه فعندما ... تنبّهن نكّبن الوفاء إلى الغدر
مضى وكأنّي كنت فيه مهوّماً ... يحدث عن طيف الخيال الذي يسري(٥)
وهل يحصل الإنسان من كل ما به ... تسامحه الأيام إلّا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

(١) المحظور : الممنوع .
(٢) الجنان : العقل.
(٣) المنّة : التفضّل.
(٤) نكّبن : حوّلن وغيّرن .
(٥) التهوُّم : النوم القليل، وهوّم : هزّ رأسه لشدّة النعاس.

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليَّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرانيين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاس به ضمانه[1] ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليَّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج[2] وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إلي الغلام قال : يا راهب ، قد حل الفطر وجاء العيد ،[3] ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

(١) خاس : خسر.

(٢) السفاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلدٍ معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّ بها مالك من عميلٍ له في بلد آخر.

بحطيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدي ، ولا يغبّ بري[1] ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذه إياه ، وانكفاءه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة ـ أيد الله سيدنا ! ـ حلة مومومقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلبا ، واستحقها بأفعاله لقبا، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنّه الغاية القصوى التي عجزتْ ... عن أن تؤمّل إدراكاً لها الهممُ
ما تستحق ملوك الدهر مرتبةً ... في الفضل إلاّ له من فوقها قدمُ

(١) لا يغبّ برّي : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي.

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً وظلّه إن خطا صرف الردى حرم[1]
فلو عدا الكرم الموصوف راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرمُ

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرق الدهر إذا نطق ، وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ، نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه ولا انتزع الله الوغى عزّ نصرهِ
وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من البسيط] :

كأنّما ادّخر الرحمن معظمةً دون الملوك لسيف الدولة البطلِ[2]
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزّه وظُبا الأسياف مغْمَدَةٌ واستلّه غير منسوبٍ إلى الفلل[3]

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت.
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمّع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً.
(٣) الفلل : التقطع والتثلم في حدّ السيف .

حتى غدا الـدين من بعـد العبـوس به جذلان يرفـل من نعمـاه في حلل
فلـو تكلـم في حالٍ وقيل له: من خير هذا الورى؟ لم يسمِ غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسـام حق ، ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنـا البـدر من بردهِ ويشـملنـا السعـد من سعدهِ
ولـو فخـر المجـد لم تلقه فخـوراً شيءٍ سوى مجدهِ

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل - مع المبالغة والإغراق فيه - فكّ نفسي بحال من رق أياديه ، غير أني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر ، بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان - أدام الله عزه ! - قد نصر نباهتي على الخمـول ، واستنقذنـي من التعهـد للتـأميل [مـن البسيط] :

قصـرت أمسـك عن أوصـاف نعمتِهِ عجـزاً ، وينطـق عن آثارهـا حالي
لمـا تحصّنـت من دهـري بمعقلِهِ سمـتْ بحملانـه ألحاظ إقبالي[1]
وواصلتنـي صلاتٌ منـه رحـت بها أختـال ما بين عزِّ الجـاه والمال
فلينظر الدهـر عقبـي ما صبـرت له إذ كان من بعض حسـادي وعذالي[2]
ألـم أَكِدْهُ بحسـن الانتظـار الى أن صنـت حظّـيَ عن حلٍّ وترحال

---

(١) المعقل : الحصن.
(٢) العقبى : العاقبة والنتيجة .

بلغــت مَا لا يجــوز الســؤل نائله ولا يدافــع عن فضــلٍ وإفضال

يا عارضــاً لم أشــمْ مذ كنــت بارقه إلاّ رويت بغيثٍ منــه هطّال(١)

رويد جودك قد ضاقــت به هممي وردّ عنــي برغــم الدّهــر إقلالي

لم يبــق لي أمــلٌ أرجــو نداك به دهــري لأنــك قد أفنيت آمالي

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :

والعادة جارية بإعانتي على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد [من البسيط] :

فإن رأى - لا رأى سوءاً ولا برح الـ إقبــال مشتمــلاً أيام دولتِهِ -

أن يقتضــي ليَ من إنعامــه خلعاً تنــوب عن منطقــي في شكر نعمتِهِ(٢)

إذا تأمّلهــا الحسّاد لائحةً تيقنــوا أنّهــا عنــوان نيتِهِ

فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلبي الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً أني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلى إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفــي الحقيقــة لولا أنّ معتقلي عن السُّرى جود سيف الدولة الملكِ

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .

(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لمـا اقتصـرت علـى غير المسير إلى ... من حظّـه في المعالـي غير مشترك
لكنّـه فلك الفضـل المحيط، وما ... من عادة الشمس أن تنـأى عن الفلكِ

وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهـي من سيادته ... إلى المحـلّ الـذي لم يرقـهُ أحدُ[1]
أن يقتضـي ليَ حظّـاً من مكارمه ... يغري علـى العـدى من أجلـه الحسدُ
فالشـمس تدنـو ضياءً وهـي نازحةٌ ... والسّحب تروي ومن أوطانهـا البعد[2]

وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما أوثره من المواصلـة بأمثالهـا ، ولا والله ما حسبـت فيهـا ، ولا فيمـا تقدمهـا من المنثور ، عنان القلم، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعـاً حللتـه يا همامُ ... من ندى كفّـك العـزيز رهامُ[3]
فقبيحٌ إن استـزدت له صو ... ب غمـامٍ وأنـت فيه غمامُ
ما بأرضٍ لم تبـد فيهـا صباحٌ ... ما بدارٍ حللـت فيهـا ظلامُ
وإذا ما حللـت في بلـدٍ فهـ ... ـو جميع الـدنيا وأنـت الأنام
سؤددٌ عنـده التفاخـر ذلٌّ ... ونـدى عنـده الـكرام لئام
وسجـايا كأنّهـا الـروض ، إلاّ ... أنّهـا للعـدوّ موتٌ زؤام[4]
أنتـمُ أنفس العـلا يا بنـي ور ... قاء والنـاس كلّهـم أجسام

---

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أو لم يصل اليه .
(٢) النازحة : البعيدة .
(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم .
(٤) الزؤام : المحتّم القاتل .

سخّط المال من أكفّكمُ ما حمدته السيوف والأقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإيثاره الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ـ فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصدِهِ
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده ؟
ومن علقت بأبي تغلبٍ يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهدِهِ
فطود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده[1]

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة ـ أطال الله بقاء سيدنا ! ـ ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةٌ ضمن الشكر الوفيُّ لها عن الزيادة نيل السؤل في الدركِ[2]
تحقّق الدهر أنَّ الملك منذ نشا له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

(١) الدست : المجلس ٠ وصدر البيت.
(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة.

واستخلف الفلك الدوّار همّته فلو ونى أغنت الدُّنيا عن الفلك[1]

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، ربعي النفاس ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه [من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتني مكارمهُ ولو دعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته والروض يجني بما في عادة السّحب
لو فاته النسب الوضّاح كان لهُ من فضله نسبٌ يغني عن النّسب
إذا دعته ملوك الأرض سيّدها طراً دعته المعالي سيد العرب[2]

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام اخرى .

وله من رسالة شكر :

وكأني أرى عواقب اشتمالك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظرٍ يسارع في صلاحي ومن وصفٍ يحثُّ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني على عدمٍ أفظّ من الفراقِ[3]

---

(١) ونى : ضعف.
(٢) طراً : قاطبة، جميعاً.
(٣) العدم : الفقر : وأفظّ : أغلظ وأقسى.

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى ... كيف الطريق إلى الغنى برجائِهِ
فظللت مخصوصاً بحمد عفاتهِ ... وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه[1]
وأفدت قدماً معجزات فضائلي ... من نور فطنته ونار ذكائه
فإذا نطقتُ نطقتُ من ألفاظه ... وإذا وهبتُ وهبتُ من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابقَ وانعم ولا تزلْ ... يزيدك صرف الدهر حظّاً إذا نقصْ
مضى زمنٌ تستام وصلي غالياً ... فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخصْ[2]
وآنستني في محبسي بزيارةٍ ... شفت كمداً من صاحب لك قد خلصْ
ولكنّها كانت كحسوة طائرٍ ... فواقاً كما يستفرص السارق الفرصْ[3]
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وأوجست خوفاً من تذكّرك القفصْ
كذا الكرز اللّمّاح ينجو بنفسهِ ... إذا عاين الأشراك تنصب للقنصْ[4]

---

(١) العفاة : عطائه.
(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها.
(٣) الحسوة : الجرعة.
(٤) الكرز : البازي.

فحـوشيت يا قسٌ الـطيور فصاحةً ... إذا أنشد المنظوم أو درس القصص[1]
من المنسر الأشغى ومـن حزّة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصّة المقص[2]
ومـن صعـدةٍ فيهـا من الدبـق لهذمٌ ... لفرسانكم عنـد الطعـان بهـا قعص[3]
فهـذي دواهـي الـطير وُقِّيت شرَّها ... إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص[4]

فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجـداً مذ يمّـم المجـد ما نكص ... وبـدر تمـامٍ مذ تكامـل ما نقصْ[5]
ستخلص من هذا السّـرار ، وأيّما ... هلالٌ توارى بالسّـرار فمـا خلص[6]
برأفـة تاج الملّـة الملك الذي ... لسؤدده في خطّـة المشتـري خصص
تقنّصت بالألطاف شكري ، ولـم أكنْ ... علمـت بأن الحـرّ بالبـرِّ يُقتنصْ
وصادفـت أدنـى فرصـةٍ فانتهزتها ... بلقياك إذ بالحـزم تنتهـز الفرص
أتتني القوافي الباهـرات تحمـل الـ ... ـبدائع من مستحسن الجـدّ والرخص
فقابلت زهـر الـروض منها ولـم أرعْ ... وأحـرزت درَّ البحـر منهـا ولـم أغُصْ
فإن كنـت بالببغـاء قدمـاً ملقّباً ... فكم لقبٍ بالجور لا العدل مخترص[7]
وبعـد ، فمـا أخشـى تقنّص جارحٍ ... وقلبـك لي وكرٌ ورأيك لي قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة .

---

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ: هو قسّ بن ساعدة الايادي .
(٢) المنسر : المنقار والأشغى: الطويل.
(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور، **واللهذم**: الحاد القاطع من السيوف **والقعص** : القتل والإجهاز.
(٤) جرع : شرب.
(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب.
(٦) السِّرار : المحاق ، ماخر أيام الشهر.
(٧) مخترص : مختلق، والتخريص : الكذب.

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبج[1] والخطاطيف ، ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة الببغاء :

أنعتها صبيحةً مليحه ... ناطقةً باللّغة الفصيحهْ
غدت من الأطيار ، واللسانُ ... يوهمني بأنّها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه ... تعيد ما تسمعه طبيعه[2]
وربّما لُقِّنتِ العضيهه ... فتغتدي بذيئةً سفيههْ[3]
زارتك من بلادها البعيده ... واستوطنت عندك كالقعيده
ضيفٌ قراه الجوز والأرزُّ ... والضيف في أبياتنا يعزُّ
تراه في منقارها الخلوقي ... كلؤلؤٍ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصّين ... في النور والظلمة بصّاصين[4]
تميس في حلتها الخضراءِ ... مثل الفتاة الغادة العذراءِ
خريدةٌ خدورها الأقفاصُ ... ليس لها من حبسها خلاص[5]
تحبسها وما لها من ذنبِ ... وإنّما تحبسها للحبِّ
تلك التي قلبي بها مشغوفُ ... كنّيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان ... والكاتب المعروف بالبيانِ
وذاك عبد الواحد بن نصر ... تقيه نفسي عاديات الدهرِ !

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب ... شمسُ العلوم قمر الآدابِ ؟

---

(١) القبج : هو الحجل.

(٢) السكّاء : أي أذنها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها

(٣) العضيهة : الكذب والزور البهتان.

(٤) بصّاصين : مضيئين ، ناظرين.

(٥) الخريدة ، البكر.

أضحى لأوصاف الكلام محرزا وسام أن يلحق لمّا برّزا
وهل يجاري السابق المقصّرُ ؟ أم هل يساوي المدرك المعذّر ؟
ما زال بي عن غرضٍ معرضا ولي بما يصدره مستنهضا
فتارةً يعتمد الخطافا ببدعٍ تستغرق الأوصافا
وتارةً يعني بنعت القبجْ من منطقٍ لفضله محتج[1]
يحوم حول غرضٍ معلومِ ومقصدٍ في شعره مفهومِ
حتى تجلّت رغوة الصّريح وسلّم التلويح للتصريح
وصحّ أن الببغاء مقصدهْ بكلّ ما كان قديماً يوردهْ
فلم يدع لقائلٍ مقالا فيها ولا لخاطرٍ مجالا
أهدى لها من كل نعتٍ أحسنهْ وصاغ من حلي المعاني أزينهْ
أحال بالريش الأشيب الأخضر وباحمرار طوّقها والمنسر[2]
على اختلاط الروض بالشقيقِ وأخضر الميناء بالعقيقِ
تزهى بدوّاجٍ من الزّمرد ومقلةٍ كسبجٍ في عسجد[3]
وحسن منقارٍ أشمّ قاني كأنّما صيغ من المرجانِ
صيّرها انفرادها في الحبس بنطقها من فصحاء الإنسِ
تميّزت في الطير بالبيان عن كلّ مخلوقٍ سوى الإنسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذبْ من غير تغيير لجدٍّ أو لعبْ
غذاؤها أزكى طعامٍ رغدا لا تشربَ الماء ولا تخشى الصّدا[4]
ذات شغى تحسبه ياقوتا لا ترتضي غير الأرز قوتا[5]

---

(١) القبج : الحجل.

(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار.

(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبج : خرزٌ أسود ناعم.

(٤) الصدا : الظمأ.

(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيقاتها.

كأنّمـــا الحبّــة في منقارها حبابــةٌ تطفــو علــى عقارها[1]
إقدامهـــا بـبأسـهـــا الشديــدِ أسكنهــا فــي قفص الحديدِ
فهـي كخـودٍ في لبـاسٍ أخضرِ تأوي إلــى خركاهــةٍ لم تسترِ[2]
ووصفهـا المعجـز ما لا يدركُ ومثلـه في غيرهـا لا يملكُ
لـو لم تكن لي لقبـاً لم أختصرْ لكن خشيت أن يقـال منتصرْ
وإنما تنعـتُ باستحقـاق لوصفهـا حذق أبـي إسحاقِ
شرّفهـا وزاد في تشريفها بحـكـمٍ أبـدع في تفويفهـا[3]
فـكيف أجـزي بالثنـاء المنتخبْ من صرف المدح إلى اسمي واللّقبْ

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الألثغ [من الطويل] :

أبـا الفـرج استحققـت نعتـاً لأجله تسـمّيت من بين الخلائـق بَبْغا
بيانــاً منيراً كاللّجين مضمّناً نضــاراً من المعنـى أديبـاً وأفرغا
فلـو لامـرىء القيس انتدبـت مجارياً كبـا أو لقسٌ في فصاحتـه صغا[4]
متـى ما يرمْ ذا الاسـم غيرك رائمٌ ليبلـغَ من غايات فضـلك مبلغا[5]
فإنّــي أسـميه به ثم أنثني فأسلبـه باءً من الاسـم إذ بغى
إذا أنــا سلّمـت البلاغــة طائعاً إليك فأيُّ النـاس خالفنـي طغى
كفتـك علـى رغـم الحسـود شهادتي بأن كنـت منــه ثم منّــيَ أبلغا
ومـا هجّنـت منـك المحاسـن لثغةً وليس سوى الانسـان تلقـاه ألثغا[6]

---

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاعٌ يعلو الخمرة حين تصبُّ في الكأس.
(٢) الخود : الفتاة القاعمة.
والخركاهة : إسم مكان فارسي.
(٣) التفويف : التنزيين والتوشية.
(٤) صغا : مالَ.
(٥) يروم : يبتغي.
(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شيناً.

أتعرفها فيما تقدم خالياً لعيرٍ إذا ما صاح أو جمل رغا[1]
فيا لك حرفاً زدت فضلاً بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوّغا
بقيت ولا تعدم بقاءً مرفّهاً وعشت ولا تعدم معاشاً مرفّغا[2]

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه بالموصل ـ كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنه الناس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي ـ أدام الله عزك ! ـ بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درت لها نعماؤه ، إلى منشأ تجود عليها سماؤه . وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها بالطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ، وهو :

وأما الوديعة ـ أعزك الله ! ـ فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

---

(١) رغا : أزبد وهاج.
(٢) الرفاغية : السّعة في العيش.

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج الببغاء ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي ـ أيده الله ! ـ المستوجب للارتضاء والإحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ! ـ ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة ـ أدام الله تأييده ! ـ حبلي . ومنح عز الدولة ـ أيده الله ! ـ مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً ـ لحقيق بالتناهي في الإعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقني لما يوفي على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقـد عزّ العـزاء علـيَّ لمّـا تصـدّى لي لتقتلني الصدودُ
إذا بَعُـدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ من الـدنيـا ولذّتهـا بعيـدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتـي ، هذه نفسـي تودِّعكُمْ إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ[1]
قد كنـت أطمـع في روح الحياة لها فالآن إذ بنتُـمُ لم يبـقَ لي طمعُ
لا عذّب الله روحـي بالبقـاء فما أظنّنـي بعـدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلـت من الهـوى بك في محلٍّ يسـاوي بيـن قربـك والفراقِ
فلـو واصلـت ما نقص اشتياقي كمـا لـو بنـت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمـي بجفـونٍ سقمهـا سببُ إلـى مواصلـة الأقسـام في جسدي
وحقّ جفنيك لا استعفيت من كمدي دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدِ[2]
عذرت من ظلّ في حبِّيك يحسدني لأنّـه فيك معـذورٌ علـى حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابـه منـه الخلْـقُ والخُلُقُ فمـا تسافـر إلاّ نحـوه الحدقُ
توريدُ دمعـيَ من خدّيك مختلسٌ وسقـم جسمـي من جفنيك مستَرَقُ[3]

---

(١) الجزع : الخوف واليأس.
(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد.
(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق.

لم يبـق لي رمـقٌ أشـكو هواك به وإنّمـا يتشـكّى من به رمق[1]

وقوله [من الكامل] :

ومهفهفٍ لمّـا اكتسـت وجناتُهُ حللَ الملاحـة طُرِّزتْ بعذارِهِ
لمّـا انتصـرتُ علـى عظيم جفائه بالثلـب كان القلـب من أنصارِهِ
كملـت محاسـن وجهـه فكأنّمـا اقـ ـتبس الهـلال النّـورَ من أنواره
وإذا ألـحَّ القلـب في هجرانه قال الهـوى : لا بدَّ منـه فدارِهِ[2]

وقوله [من الكامل] :

ما ضرّ من بعـد السـرور ببعدِهِ لو كان يجمـل في صيانـةِ عبدِهِ[3]
يبـدو فأطـرق هيبـةً ومخافةً من أن يؤثّـر ناظـري في خدِّهِ
قد صرت أعجـب أنّ علّـة طرفه ليسـت تؤثّـر علّـةً في ودِّه

وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنـا عبـده من أين لي شكرٌ يقـوم ببعض ما توليْهِ
ينـأى فتـدنيه إلـيَّ علـى النوى فأراه كالتّحقيق في التشبيه
ما كان أحسـن حالتـي لو أن ما أوتيت من كرمٍ وعـطفٍ فيه

وقوله [من البسيط] :

علِّمـتْ طيفـك اسعافي فما هجعتْ عينـايَ إلاّ وطيفٌ منـك يطرفني[4]
فكيف أشـكر من إن نمـت واصلني بالـطّيف منـه وإن لم أغف قاطعني

---

(١) الرمق : بقيّة الروح.
(٢) فدارِهِ : من المدارة ، أي التمهّل والتأنّي.
(٣) يجمل : يحسن.
(٤) يطرفني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم.

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ وأرأفُ بالمحبٍّ المستهامِ
فلو يستطيع حين حظرت نومي عليَّ لزار في غير المنام[1]

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ بروح مثلك أن تنأى عن الجسدِ
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلمْ ذخرتها بعدهمْ للصّبر والجلدِ ؟
وعدت بالدمع تعليلاً كأنّك قد أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدِ

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذل آمنني جميل إنصافه من عذلِ عذّالي
ما يستحقُّ زماني ـ وهو سامحني بمثل ودّك ـ أن أشكوه في حالِ
رآك غاية آمالي ، فما برحتْ تسعى لياليه حتى نلت آمالي

وقوله [من الكامل] :

أو ليس من إحدى العجائب أنّني فارقته فحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامهِ ارحم فتىً يحكيه عند محاقه[2]

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحبٍّ قلباً لم تذَرْ فكري للحبّ مستمتعاً فيه ولم تدعِ[3]
مفرّقاً بين همٍّ غير مفترقٍ عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمع

* * *

(١) خطرت : منعت.
(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاق : القمر في السرار آخر الشهر.
(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذر : لم تترك.

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسيَ ما يشكوه من راح طرفه ... ونرجسه ممّا دهى حسنه وردُ
أراقت دمي ظلماً محاسن وجههِ ... فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنّما ... سقى عينه من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحت رمداء مقلةُ مالكي ... لقد طالما استشفت بها مقلٌ رمدُ[1]

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ عـ ... ـنّي فأشكو إليه همٌّ المغيبِ
باشرته كفّ الطبيب ، فلو نلـ ... ـت الأماني قبّلت كفَّ الطبيبِ
فعلت في ذراعه ظبّةُ المبـ ... ـضع أفعال لحظه بالقلوبِ[2]
فأسالت دماً كأنّ جفوني ... عصفرته بدمعها المسكوب[3]
طاب جدّاً فلو به سمح الدهـ ... ـر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً ... إلى فؤاديَ والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماةُ الرّوم فارمهمُ ... بسهم عينيك تقتلْ كلَّ من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرةٍ أنخت بها ... وقرن الشمس لم يغبِ
فخلت قزازها بالرّا ... ح بعض معادن الذهب

---

(١) المقلة : العين ، والرّمد : أذى يصيبها.
(٢) ظبّة المبضع : أي حده القاطع.
(٣) العصفر : نبات أصفر يصبغ به .

وقـد ذرفـت لفقـد الكر م فيهـا أعيـن العنبِ
وجـاش عبـاب واديهـا بمنهـلٍ ومنسـكـبِ
ويـاقـوت العصيـر بهـا يلاعـب لؤلـؤَ الحبـب[1]
فيا عجبـاً لعاصرهـا ومـا يغنـي بـه عجبي !
وكيف يعيش وهـو يخو ض في بحـرٍ مـن اللّهب ؟

قوله في الخمر والقدح [من المنسرح]:

بـالقفص للقصف منـزل كثبُ ما للتصابـي في غيره أربُ
جـادت به ديمـة السّـرور، وحـــلّ اللهـو فيه ، وعـرّسَ الطّرب[2]
دارت نجـوم السّـرور في فلكٍ منـه لـه مـن فتوّتـي قطبُ[3]
مـن كلّ جسـمٍ كأنّـه عرضٌ يكاد لطفـاً باللّحـظ ينتهب
نـورٌ وإن يغـبْ ، ووهـمٌ وإن صحّ ، ومـاءٌ لو كان ينسكب
لاعيب فيه سوى إذاعتـه الـ سرّ الـذي في حشـاه يحتجب
كأنّمـا صاغـه النّفـاق فمـا يخلص صدقٌ منـه ولا كذبُ
فهـو إلـى لون ما يجاوره علـى اختـلاف الطّبـاع ينتسب
إذا ادعـاه اللّجين أكذبه بالـرّاح في صبـغ جسمـه الذهب
جلـت عروس المـدام حاليةً فيـه علينـا الأوتـار والنخب[4]
فالـراح بدرٌ، والجـام هالتهُ والأفق كفّي، والأنجـم الحبب[5]
حـال به المـاء عن طبيعته بالمـزج حتّـى خلنـاه يلتهبُ

---

(١) الحبب : فقاعٌ يعلو الماء والخمر وغيرهما .
(٢) الديمة : السحابة الممطرة، وعرّس : أقام.
(٣) القطب : نجمٌ يهتدي به .
(٤) النخب : أي نخب الشراب.
(٥) الجام : إناء الخمر.

ونحـــن في مجلسٍ تدير به الـ خمــر علينــا الأقــداح لا العلب
ينســى بأوطانــه الحنين إلــى الـ أوطــان من بالســرور ويغترب
لــولا حفاظي المشهــور ما أمنتْ من بعــد بغــداد سلوتــي حلبُ

وله [من الخفيف]:

ومــدامٍ كأنّهــا في حشــا الدنّ صبــاحٌ مقــارنٌ لمساءِ
فهــي نفسٌ لهــا من الـطّين جسمٌ لم تمتّــع فيه بطــول البقاءِ
ما توهّمــت قبلهــا أن في العا لم ناراً تذكي بقــرع الماءِ[١]
بزلــت والضحــى عن الليل محجو بٌ فلاحــت كالشــمس في الظلماءِ[٢]
وتــلاه الفجــر المنير فعنا ه لأنّــا عن نوره في غناء
مازجــت جوهــر الزّجــاج فجاءتْ كشعــاعٍ ممــازجٍ لهواء
وتحلّــت من الحبــاب بدرٍّ يتلاشــى باللحّــظ والإيماء
بينمــا تسكتســي به زرد البلّو ر حتّــى ترفضُّ مثــل الهباء[٣]
فكأنّــا بين الـكؤوس بدورٌ تتهــادى كواكبُ الجوازاءِ
وكأنّ المــدير في الحلّــة البيــــــضــاء منهــا في حلّــةٍ صفراءِ
حبــذا العيش حيث تســري الأماني بين جدّ الغنــا وهــزل الغناء
حيث سكر الشبــاب أقضــى علــى قلـــــبــي وأمضــى من نشــوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل]:

وعريقــةِ الأنســاب والشّيمِ موجــودةً والخلــق في العدمِ
قدُمَــتْ فلا تعــزى إلــى حدثٍ إلاّ إذا عُزِيتْ إلــى الهرمِ[٤]

---

(١) تذكي : تسعر.
(٢) بزلت : شُقَّت.
(٣) ترفضّ : تزول.
(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الكرم المولدّ في الـدنيا وحوّا الخمر في القدمِ
كملت فضائلها وقصرّ عن أوصافها الإغراق في الكلمِ
ظهرت ونور الشمس في فلكٍ من قبل خلق الصبح والظُّلمِ
فانهلّ جوهرها بمنسكبٍ لم يعتصرْ بيدٍ ولا قدم
واشتق معنى اسم السُّلاف لها من كونها في سالف الأمم[1]
فكأنّها في صفوها خلقي وكأنّها في عتقها كرمي

وله [من الخفيف]:

غادني بالصبوح قبل الصباحِ واجْرِ في حلبة الصِّبا والمراحِ
واغتنم زائر الغرام فقد بشّـ ـر بالغيث من نسيم الرياحِ
عاطنيها كالجلنار إذاً ما كلّلت من حبابها بالأقاحِ[2]
في اختصاص التفاح بالطيب والخمـ ـرة لا في كثافة التفّاح
غير نكرٍ أن تستمدّ شعاع الـ ـشمس منها كواكب الأقداح
فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ساتها عنصر الزلال القراح[3]
خدمتها الأجسام بالطبع لمّا شاهدت قربها من الأرواح
فتداركْ بها حشاشة أفرا حي وحرِّك بها سكون ارتياحي
بين وردين من بنانٍ وخدٍ وشرابين من رضابٍ وراح[4]
ونشيدٍ مستنبطٍ من حديثٍ وغناءٍ يُغْني عن الأقتراح
فألذُّ الحياة ما خلط العا قل فيه فساده بصلاح

---

(١) السلاف : من اسماء الخمرة ، وسالف الأمم: قديمها .
(٢) كلّلت : أي علاوجهها حباب الخمر والأقاح والجلّنار : من الورود.
(٣) الزلال القراح : العذب الصافي.
(٤) الرضاب : اللعاب.

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح]:

كم منّةٍ للظلام في عنقي	بجمع شملٍ وضمٍّ معتنق
وكم صباحٍ للراح أسلمني	من قلقٍ ساطعٍ إلى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعةً	كأنّها في صفائها خُلُقي
في أزرقٍ كالهواء يخرقه الـ	لحظ وإن كان غير منخرق
كأنّ أجزاءه مركّبةٌ	حسناً ولطفاً من زرقة الحدق
ما زلت منه منادماً لعباً	مذ أسكرتها السُّقاة لم تفق
تختال قبل المزاج في أزرق الـ	فجر وبعد المزاج في الشّفق
تغرق في أبحر المدام فيسـ	تنقذها شربنا من الغرق
فلو ترى راحتي وزرقته	من صبغها في معصْفَرٍ شرِقٍ
لخلت أنّ الهواء لاطفني	بالشمس في قطعةٍ من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل]:

كم للصبابة والصبا من منزلٍ	ما بين كلوا ذا إلى قطربّل
جادته من ديم المدام سحائبٌ	أغنته عن صوت الحيا المتهلّل[1]
غيثٌ إذاما الرّاح أو مض برقه	فرعوده حثّ الثقيلِ الأوّلِ
لطفت مواقع صوبه فسجاله	تهمي على كرب النفوس فتنجلي
راضعت فيه الكأس أهيف ينثني	نحوي بجيدِ رشاً وعيني مغزل
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه	بممزّجٍ من نسجها ومثقّل
وكسا البنان بها خضاباً ياله	لو أنّه من وقته لم ينصل[2]
قدح البزال زنادها من دونها	فتهافتت مثل الشراب المرسل[3]

---

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغيّر لونه.

(٣) البزال : اداةٌ يثقب بها الشيء.

وطغــت لعجــز المــاء عن إطفائها	حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي[1]
فوردت أروي موردٍ وشربــت أحـ	لى مشــربٍ ونهلــت أعــذب منهلِ
ونزعــت لافـي السّكر خنــت تصوّني	بخناً ولا في الصحو شنت تجملي[2]

وقال في الورد [من الخفيف]:

زمــنُ الــورد أظــرف الأزمانِ	وأوان الــربيع خيــر أوانِ
أدرك النّــرجس الجنــيُّ وفزنا	منهمــا بالخـدود والأجفان
أشـرف الزهــر زار في أشــرف الدهـ	ـر فصِــلْ فيه أشــرف الإخوان
وأجِــلْ شمس العقــار في يد بدر الـ	ـحسـن يخدمـك منهمــا النيران
وأدرهــا عذراء وانتهــز الإمـ	ـكان من قبــل عائــقِ الإمكان
في كؤوسٍ كأنّهــا زهــر الخشـ	ـخاش ضمّــت شقائــق النعمان
واختدعهــا عنــد البــزال بألفا	ظِ المثانــي ومطربــات الأغاني
فهــي أولــى من العــرائس إن زفّـ	ـت بعــزف النــايات والعيـدان

وقال في النرجس [من السريع]:

ونـرجسٍ لم يعـدُ مبيضّــهُ الكأس	ولا أصفــره الرّاحا
تخــال أقحــاف لجينٍ حوَتْ	من أصفــر العسجد اقداحاً[3]
كأنّمــا تهـدي التحــايا به	لطفــاً إلى الأرواح أرواحاً
يلهــي عن الــورد إذا مارنا	ويخلــف المســك إذا فــاحا
أحبــبْ به من زائــرٍ راحلٍ	عوّضَ بالأحــزان أفراحــا
فانتهــزِ الفـرصــة فـي قربه	وكنْ إلى اللّــذات مـرتـاحا

---

(١) الجذوة : النار أو قبسٌ منها.
(٢) الخنا : الفحش، والشين: العيب.
(٣) الأقحاف : جمع قحف، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح واللجين : الفضة والعسجد : الذهب.

وهاتها عذراء لم تفترع ... في الليل إلاّ عاد إصباحاً
كأنّما كلّ بنانٍ حوتْ ... كاساتها تحمل مصباحا
واجنِ بألحاظك من وجنتيْ ... مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدّهر في سهلٍ وحزْنِ ... وجرَّبت الأمور وجرَّبتني[1]
فلم أر مذ عرفت محلَّ نفسي ... بلوغ غنىً يساوي حمل مَنٍّ[2]
ولم تتضمَّن الدّنيا لحظّي ... منال مسرّةٍ إلاّ بحزن
حملت على السوابق ثقل همّي ... وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهراً ... فلم أظفر على ظمأ بمزن[3]
ولم أر كالجياد أصح ودّاً ... إذا عدل الودود إلى التضنّي
نكلّفها عزائمنا فتكفي ... ونستدني الحظوظ بها فتدني
وهبت لمثل قطع الليل منها ... أغرّ كمثل ضوء الصبح منّي
وكنت بحيث ظنّ من اعتزامٍ ... وكان من المضاء بحيث ظنّي
وثالثنا ابن جدٍّ لا يرى أن ... يصاحب في تصرّفه ابن وهنٍ[4]
حجبت لجفنه الأبصار عنه ... ومن لي أن يكون الجفن جفني
سقيت نداي ما أسنى محلّ ... وأرفع همّتي وأعزّ ركني
رسا في تربة العلياء أصلي ... وأينع في بروج العزّ غصني

(١) الحزن : المصاعب.
(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.
(٣) شمت : نظرت.
(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليَّ غير الجد فيما سعيت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجزٍ وإن أبلغ فنفسي بلّغتني

وله من أخرى [من المنسرح]:

ما الذلّ إلاّ تحمل المننِ فكن عزيزاً إن شئت أوْفهنِ
إذا اقتصرنا على اليسير فما الـ علة في عتبنا على الزمن

وله من أخرى [من البسيط]:

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرمٍ أحلافه في دياجي دهره شعلٌ
حماه وهو غلامٌ غير مكتهلٍ عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل

وله من أخرى [من الوافر]:

أكلُّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ أما في الدّهر شيءٌ لا يريبُ؟
أبى لي أن أقول الهجر قدرٌ بعيد أن تجاور العيوب

وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح]:

لا غيث نعماه في الورى خلب الـ برقِ ولا ورد جوده وشل[1]
جاد إلى أن لم يبقِ نائله مالاً، ولم يبق للورى أمل

وله [من الكامل]:

واليوم من غسق العجاجة ليلةٌ والكرُّ يخرق سجفها الممدودا[2]
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روعٌ أحال بياضها توريدا[3]

---

(١) الوشل: الماء القليل.
(٢) السجف: الستائر، وشدّة الظلام.
(٣) الصفاح: السيوف.

والطعـن يغتصـب الجياد شياتها والضـرب يقـدح في التّـريك وقودا
وعلى النفـوس من الحمام طلائعٌ والخـوف ينشـد صبرهـا المفقودا
وقـد استحـال البُـر بحـراً ، والضّحى ليلاً ، ومنخـرق الفضـاء حديدا
وأجـلُّ ما عنـد الفـوارس حثّها في طاعـة الهـرب الجياد القودا[1]
حتـى إذا ما فارق الـرأيُ الهوى وغـدا اليقـين على الظنـون شهيدا
لم يغـن غـير أبـى شجـاعٍ والعلا عنـه تناجـي النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط]:

من كلّ متسـع الأخـلاق مبتسمٍ للخطب إن ضاقـت الأخـلاق والحِيَلُ
يسعـى به البـرق إلاّ أنّـه فرسٌ في صورة الموت إلاّ أنّـه رجل
يلقـى الرمـاح بصـدرٍ منـه ليس لهُ ظهـرٌ وهـادى جوادٍ ما له كفل[2]

وله من أخرى [من الكامل]:

في سالـبٍ للشّـمس ثوب ضيائها بعجاجـةٍ مـلء الفضـاء لهامٍ[3]
كاللّيل إلاّ أنّ ثوب ظلامه من عثـيرٍ ونجومـه من لامٍ[4]
يلقـى الدجـى من بيضـه بضحـى كما يلقـى الضحـى من نقعـه بظلامِ

وله من أخرى [من الكامل]:

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً شعثـاً ولـولا بأسـه لـم تنقدِ
في جحفـلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقـطر صافـح موج بحـرٍ مزبد
متوقّـدُ الجنبـات يعتنـق القنـا فيه اعتنـاق تـواصـلٍ وتـودُّد

---

(١) حثها : العمل على إسراعها.
(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة.
(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره.
(٤) العثير : الغبار والتراب واللام: الأشخاص والناس.

مثعنجرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ … تحت الغبار وبالصواهل مرعد[1]
ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ … إظلام من ليل العجاج الأربد[2]
وكأنّما نقشت حوافر خيله … للناظرين أهلّةً في الجلمد
وكأنّ طرف الشمس مطروفٌ وقد … جعل الغبار له مكان الإثمد[3]

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح]:

من كلّ مختالةٍ تنقب بالـ … عثير وجه الضحى من الخجل[4]
تضم أحشاءها على أسدٍ … تزأر في غابةٍ من الأسل[5]

وله من أخرى [من الخفيف]:

في خميس كأنّما السمر والأبـ … طال غيلٌ حمته أسودُ[6]
سلب الشمس ضوءها بشموسٍ … طالعاتٍ أفلاكهن حديدُ
عارضٌ كلّما جلته بروق الـ … بيض حثّته بالصهيل الرعودُ

وله من أخرى [من الطويل]:

وموشيةٍ بالبيض والزغف والقنا … محبّرةِ الأعصاب بالضُمَّر القبِّ[7]
بعيدة ما بين الجناحين في السرى … قريبة ما بين الكميين بالضربِ

---

(١) مُثعنجر : متسلّح ومتمنطق.
(٢) الأربد : الكالح المتجهم .
(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى، والإثمد الكحل .
(٤) العثير : الغبار والتراب.
(٥) الأسل : والرماح
(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق، والغيل: الشجر الملتف.
(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع. والغمر : القبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن.

من السالبات الشمس ثوب ضيائها | بثوبٍ تولّى نسجه عثير الترب
يعاتب نشوان القنا صادح الظّبا | إذا التقيا فيها على قلّة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى | وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب
تبلّج عن شمسي نزار ويعرب | وتفترُّ عن طودي علا تغلب الغلب
موقّرةً يقتاد ثني زمامها | بصيرٌ بأدواء الكريهة والحرب[1]
أصح اعتزاماً من خؤونٍ على فلا | وأنفذ حكماً من غرامٍ على صبٍّ

وله من أخرى [من المتقارب]:

ويومٍ أغصّ اتساع الفضا | ء جيشٌ لمن أمّه مُهولُ
يخيّل أنّ ما له آخرٌ | إذا ما تراءى له اوّلُ
ويغصب شمس الضحى نورها | من الخيل ما تبعث الأرجل
دجى أنت بدرٌ به والنجو | م زرقك والظلمة القسطلُ[2]

وله من أخرى [من البسيط]:

في عارضٍ ضاقت الأرض الفسيحة عن | سراه إذ سال فيها سيله العرمُ
كأنّه الليل لا قربٌ ولا بعدٌ | يخفى عليه ولا فجٌّ ولا عَلَمُ
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفةً | كأنّها فيه سرٌّ ليس ينكتمُ
شقّ الغضنفر آجام الرماح بهِ | والموت يسفر أحياناً ويلتثم
فراسل الدهر في الأعداء عزمته | وكاتب النصر عنه السيف لا القلم
وما سمعنا بليثٍ قبل رؤيته | إذا سرى صاحبته في السرُى الأجمُ[3]

---

(١) بصيرٌ: خبير، والكريهة: الحرب.
(٢) الزرق: كناية عن السيوف، والقسطل: الغبار.
(٣) السُّرى: المسير ليلاً، والأجم: جمع أجمة، وهي غابة الأسد.

البـاذل العـرف والأنـواء باخلةٌ والمانـع الجـار والأعمار تخترم[1]
حيث الدجى النقع ،والفجرالصوارم، والأسد الفـوارس ،والخـطّية الأجم[2]

وله من أخرى [من الطويل]:

وكلّ بعيدٍ قرّب الحـين نحوه سلاهبـك الجـرد الخفـاف قريبُ[3]
تبـاشر أقطـار البـلاد كأنها رياحٌ لهـا في الخافقـين هبوبُ
تمـاشي بفتيانٍ كأن جسومهمْ لخفتهـا فوق السروج قلوب

وله من أخرى [من الطويل]:

أتاهـم بألحـاظ الجياد ولـم تكن لينـأى عليهـا المنـزل المتباعدُ
من الـلاء يهجـرن المياه لدى السرى ويعتضـن شمٌ الجـوّ والجوّ راكدُ
مرنٌ على لدغ القنـا فكأنما عليهـنّ من صبـغ الدمـاء مجاسد[4]
نسجـن ملاء النقـع ثم حرقنه بكرٌ لهـا منـه إلى النصر قائد
عليهـنّ من نسـج الغبـار غلائلٌ رقـاقٌ ومـن نضـح الدمـاء قلائد[5]

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل]:

إن لاح قلـت أدميةٌ أم هيكلُ أو عنّ قلـت أسابـحٌ أم أجدلُ[6]
تتخـاذل الألحـاظ في إدراكه ويحـار فيه النـاظـر المتأمّلُ
فكأنـه في اللـطف فهـمٌ ثاقبٌ وكأنّـه في الحسـن حظٌّ مقبلُ

---

(١) تخترم : تقتطع.
(٢) الخطيّة : الرماح .
(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر.
(٤) لدغ القنا : آثارُ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .
(٥) نضح الدماء : فيضها.
(٦) السابح : الفرس ، والأجدل : الصقر.

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ ـها البرد غيث ندىً ينهلُّ ماطرهُ[1]
عريقةٌ ناسبت أخوالها فلها بالعتق من كرم الجنسين فاخرهُ
ملء الحزام وملء اللبد مجفرةً يريك غائبها في الحسن حاضره[2]
أهدى لها الروض من أوصافه شيةً خضراء ناضرةً إذ حال ناضره
ليست بأول حملانٍ شريت به حمدي ، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدي عنانه، وعلى الجوزاء حافره

وله في وصف بركة [من المتقارب] :

وقوراء كالفلك المستدير تروق العيون بلألائها[3]
حبتها البحار بأمواجها وسحب السماء بأنوائها
كأنّ تدفُّق تيارها يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار.
(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه.
(٣) القوراء : المجوّفة.

الباب الثامن

٢٠ ـ في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحتري وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخا قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهمُ ... إذا جار حكمهم على الجيرانِ
ما الشأن ويحك في فراق فريقهمْ ... الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فاثنهِ ... عنّي ، فقد ملك الشمول عناني[1]
سكران سكر هوىً وسكر مدامةٍ ... أنّى يفيق فتىً به سكْرانِ ؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأيٍّ المدامين لم أسكر ... بكأسك أم طرفك الأحورِ[2]
سقيت من الشمس مشمولةً ... على غرّةِ القمر الأزهرِ
إذا الماء خالطها جنّحت ... أكاليل درٍّ على جوهر

---

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد.

كأنّ علـى الشـرب من لونها ثيابـاً من الذّهـب الأحمرِ

وقوله لسيف الدولة [من الكامل] :

أنـا شاعـرٌ ، أنـا شاكرٌ ، أنــا ناشرٌ ، أنـا راجـلٌ ، أنـا جائـعٌ ، أنــا عاري
هي ستّــةٌ فكن الضـمين لنصفها أكنِ الضـمين لنصفهـا بعيارِ
والنّـار عنـدي كالسـؤال فهـل ترى أن لا تكلِّفنـي دخـول النارِ

وأنشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه [من السريع] :

لــو لم تحـل ما سمّيت حالا وكلٌّ ما حال فقـد زالا
انظـر إلـى الظـلّ إذا ما انتهى يأخــذ في النقص إذا طالا

* * *

٢١ ـ أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام ، ومن عجيب شأنه ما أخبرني به أبو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفوكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق[١] . ثم أخبرني أبو الحسن المصيصي بما يصدقه ، وأنشدني لمعاً يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصّله من اللطائف والبدائع التي عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفني بذلك في دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهو غير ثقة في الرواية والحكاية ، وكنت تأنقت في إخراج ما يفتقر الأديب

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدّمها.

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفنيته حتّى الصّبّاح عناقا
بطيب نسيمٍ منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملّكني لما تملّكت مهجتي وفارقني لمّا أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يبدي لِيَ الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لمّا أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهمْ ودمع العين يجري على خدّي له درٌّ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ ؟
ولو نَصَبَتْ رحىً بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور(١)

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنْ تك في خدّيك للحسن روضةٌ فإنّ على خدّي غديراً من الدمعِ

---

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتّكلّف يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
وردَّ البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلّورِ[1]

ومن ملحه في الخمر[من المنسرح] :

عذَّبتها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبِ
كأن أيدي المزاج قد سبكتْ في كأسها فضةً على ذهبِ

وقوله [من الكامل] :

فامزجْ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربْ على زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السرَّاءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكأنَّ مخنقةً عليها جوهرٌ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ[2]
وكأنّها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على النّدماءِ
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصّبا والعيش في زمن الصّبا

ومن ملحه في الخط[من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخدّيه إلاّ أنها ليس تغربُ[3]
ولما حوى نصف الدجى نصف خدِّهِ تحيّر حتى ما درى أين يذهبُ

---

(١) البين : الفراق.

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه.

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح　　على قضيبٍ على كثيبِ[1]
حتى أتت ألسن الليالي　　معتذراتٍ من الذنوبِ
فيا لها زورةٌ أخذنا　　بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا　　م على قضيبٍ في كثيبِ
تدعو محاسنه القلو　　ب إلى مشافهةِ الذنوبِ
فعلت به ريح الصبّا　　ما ليس تفعل بالقضيبِ
عقلت ركائب حسنه　　بعقولنا عند المغيبِ[2]
وتلطّمت وجناتنا　　بيد الدموع من النحيبِ
وكأنّما تشويشنا　　تشويش ألفاظ المريبِ
يا بدر بالبدر الذي　　أطلعت من فلك الجيوبِ
وبعقرب الصدغ الذي　　زرفنتَ من حسنٍ وطيبِ[3]
ترعى وما استرعيتها　　ثمر القلوب بلا دبيبِ[4]
هبْ لي مزارك في الكرا　　كيما أراك بلا رقيبِ

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها　　كم ذا ؟ أما لقتيل الحبِّ من قَوَدِ ؟[5]
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقتْ　　ورداً ، وعضَّت على العناب بالبردِ[6]

---

(١) الكثيب : التلُّ من الرمل

(٢) عقلت : من العِقال.

(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقه.

(٤) الدبيب : مشي النمال.

(٥) القود: القصاص.

(٦) العنّاب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان.

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةٌ لو بدت للشمس ما طلعتْ	من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
كأنّما بين غاباتِ الجفون لها	أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي

وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر	بساعدٍ حلّ عقد مصطبري
كأنّه والعيون ترمقُهُ	عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أجـ	ـفانها عقد لؤلؤٍ منثورِ
فكأنّ الكحل السحيق مع الدمـ	ـع على خدّها بقايا سطورِ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به	والشمس مسفرةٌ والبرق خلاّسُ
كأنّها قوسُ رامٍ والبروق له	رشق السهام وعين الشمس برجاس[1]

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ	عند التفرُّق دهشة المتحيِّرِ
يا هذه روحي إليك هديةٌ	فتجمّلي في أخذها لي واعذري
وتأمّلي غير الزمان فإنّها	تحكِي تغيُّر عهدك المتغيِّرِ
ولربَّ ليلٍ ضلَّ عنه صباحهُ	وكأنّه بك خطرةُ المتذكّرِ[2]
والبدر أوّل ما بدا متلثّماً	يبدي الضياء لنا بخدٍّ مسفرِ

---

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلَّ: لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّما هو خوذةٌ من فضّةٍ قد ركِّبت في هامةٍ من عنبرِ

وقوله في غلام عليل [من مخلع البسيط] :

إبيضّ واصفرّ لاعتلالْ فصار كالنّرجس المضعّفْ
كأنّ نسرين وجنتيه بشعر أصداغه مغلّفْ
يرشح منه الجبين ماءً كأنّه لؤلؤٌ مصنّفْ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلي أمدٌ من نفس العا شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفّا ن الدجى عن قميصه محلول[1]
وكأنّ الهلال تحت الثريا ملكٌ فوق رأسه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغدافُ الظلام في شرك الفجـ ـر شريكي في قبضة الارتهانِ[2]
وكأنّ النجوم أحداق رومٍ ركِّبتْ في محاجر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربي بكأسه قمرٌ بقدٍّ غصنٍ وخصرِ زنبورِ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلّةً إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب[3]

---

(١) الخفّان : الجوانب.
(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلا.
(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس.

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه ... لسقام عاشقه طبيبُ
حزتَ المودة فاستوى ... عندي حضورك والمغيبُ
كنْ كيف شئت من البعا ... د فأنت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ
ودّعته وبودّي أن تودّعني ... روح الحياة وأنّي لا أودِّعُهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لا أفارقه ... وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربّكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرِّضا بي وقولا في كلامكما : ... ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإنْ تبسّم قولا عن ملاطفةٍ ... ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبٌ ... فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ ... وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حاليهما ... فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى ... ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرْ لحظ عينيك وامرجه في ... مروج الرياض تجدها تشوقُ(1)
ترى مزوج الحسن في مفردٍ ... جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

---

(1) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه ... فكيف الخلاص وأين الطريقُ ؟
بهــارٌ بهيرٌ بــه غيرةٌ ... على نرجسٍ وشقيقٌ شقيقُ(١)
فــذا عاشــقٌ وجــلٌ خائفٌ ... وذا خجــلٌ وكذاك العشيقُ
مداهــن يحملن طلّ النّدى ... فهــاتيك تبــرٌ وهــذِي عقيقُ
تنظّــم أوراقــها درّهــا ... وتنثــر منهــا التــي لا تطيقُ
يميــل النسيم بأغصانهــا ... فبعضٌ نشــاوى وبعضٌ مفيقُ
ويومٍ ستارتــه غيمــة ... وقــد طرّزت رفرفيهــا البروقُ
جعلنــا البختــور دخانــاً له ... ومــن شرر الــراح فيه حريقُ
تظــلُّ به الشــمس محجوبةً ... كأنّ اصطباحــك فيه غبوقُ
على شجــراتٍ رافعــات الذيول ... لمــاء الجــداول منهــا شهيق
سجدنــا لصلبــان منثورها ... وقــد نصرتنــا عليهــا الرحيقُ
وقلنــا بهــا ولضــوء الصّباح ... على عنبــر الفجــر منهــا خلوقُ(٢)
أدِرْ يا غلام كُؤوس المدام ... وإلاّ فيكفيك لحــظٌ وريقُ
أيا من هو الفــوز لي بالمنى ... ومــن هو بالــودّ منِّــي حقيقُ
تغنّــم بنــا غفلــة الحادثات ... فوجــه الحــوادث وجــهٌ مفيقُ
وحــثّ الصبــوح لضــوء الصباح ... فمتســعُ الهــمِّ فيه يضيقُ

وقوله [من البسيط] :

وزائــرٍ راع قلــب النــاس منظره ... أحلى من الأمن عند الخائف الوجل(٥)
ألقــى علــى الليل ليلاً من ذوائبه ... فهابــه الصبــح أن يبــدو من الخجل
أراد بالهجــر قتلــي فاستجــرت به ... فاستلّ بالوصل روحي من يديْ أجلي

(١) البهار : نباتٌ طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدّة التعب .
(٢) الخلوق : الطيب.
(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف.

وصــرت فيه أمير العاشــقين فقدْ صارت إمـارة أهـل العشــق من قبلي

وقوله [من الوافر] :

ومــا أبقــى الهــوى والشــوق منّي سوى روحٍ تردّد في خيــالِ
خفيت عن النوائــب أن تراني كأنّ الــروح منّي فـي محـالِ

وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلاّ جار محتكماً ولا انتضــى سيفــه إلاّ أراق دما
يا دارهــم خبّرينــا ما الــذي فعلوا فربّمــا جهــل المشتــاق ما علما
الله يعلــم أنّــي يوم بينهمِ ندمــت إذا لم أمــتْ في إثرهــم ندما
قد سرّني أنّهــم قد سرّهــم سقمي فازددت كيمــا يســرّوا بالضّنــا سقما[1]

وقوله [من مجزوء الرجز] :

رمــاه ريمٌ فأصاب ب القلــب منــه إذرمى[2]
واحتــج في قتلته بأنّــه مــا علمــا
يا معشــر النــاس أما ينصفنــي من ظلمــا ؟
علّــم سقــم طرفه جسمــي منــه سقما
فسقــم جسمــي في الهوى من طرفــه تعلّمــا
لــو قيل لي ما تشتهي مخيراً محــكّما
لقلــت أن ألثمــه نحــراً ووجهــا وفمــا

وقوله [من المتقارب] :

لــه مضــحــكٌ برقــه خاطفٌ عقــول الرجــال إذا ما ابتسمْ

---

(١) الضنا : المرض والألم.
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض.

أقـول لـه إذ بـدا درّه : شهدنـا لصـانعـه بالحـكمْ
أرى الـدرّ يثقبـه الناظمو ن ومـا ثقبـوا ذا فكيف انتظم ؟!

وقوله [من المتقارب] :

تملّـكت يا مهجتـي مهجتي وأسهـرت يا ناظـري ناظري
وفيك تعلّمـت نظـم الـكلام فلقّبنـي النـاس بالشاعرِ
ومـا كان ذا أملـي يا ظلوم ولا خطـر الهجـر في خاطري

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحـديثٍ كأنّه أوبـةٌ من مسافرِ(١)
كان أحلـى مـن الرقا د لدى طرفِ ساهرِ
بـت ألهـو بطيبـه في رياضٍ زواهرِ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغـنٍّ وزامـرِ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري دعـوة القاضـي أبي بكر الحميري ، فغنـى بعض القـوالين بهـذه الأبيات [مـن الكامل] :

قـمْ يا غلام إلـى المدامِ قم داونـي منهـا بجامِ
قـم فاسقنـي برق الثغو ر فقـد مضـى برق الغمام
بـادر إلـى صرف الحميّـا سابقـاً صرف الحمامِ(٢)
وتغنّـم الغفـلات من دهـرٍ يجـور علـى الكرامِ

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرتـه أنهـا لأبـي الفـرج

---

(١) الأوبة : العودة.
(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت.

الوأواء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتاً ثم أتممتها قصيدة منهـا [مـن الكامل] :

لمـا بدت روح الضيا ء تدبّ في جسـم الظلامِ
وغـدت نجـوم الليل وهـي تفـرُّ من حدق الأنامِ
والـدّيك يتلـو دائماً هجـو النيام علـى القيامِ
ناقضـت ما قال المؤذّ ن بالفعـال وبالـكلامِ
هـو قال حيّ علـى الصلا ة وقلت حيّ علـى المدامِ

ومنها :

لمـا رأيت الهـم يطـرق من أتـاه بلا سلامِ
ضيفٌ يزور فليس يأ كـل غيرِ لحمـي أو عظامي
والـدّهر قد حمـل السلا ح علـى الـكرام عن اللئام
داويتـه بالـرّاح إنّ الـرّاحَ ترياق الكـرام[1]

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهـر حسبي أي ذنـبٍ كان ذنبي ؟
طـرقتني نائبـاتُ الـدّهـر في إعـلال حبّي
علـةٌ عمّـت وخصّت فـي حبيبٍ ومحـبٍّ
دبّ في كفّيه ما من حبِّـه دبَّ بقلبي
فهـو يشـكو حرَّ حبٍّ واشتكائـي حرَّ حـبٍّ

وقوله في زرقة عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو المـاء في تكوين خلقته ومـن هو الخمـر في أفعـال مقلتهِ[2]

---

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .
(٢) طلّ دمي : سفكه .

ومن بزرقة سيف اللحظ طلَّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علَّمت إنسان عيني أن يعوم فقدْ جادت سباحته في بحر دمعته[1]

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقةٌ تشين فظلٌ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن متنه أزرقا ؟[2]

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خدّيه إذا أخذتْ منه اللواحظ شيئاً ردّه الخجلُ
ماذا يضرُّك أن تجني وقد ضمنتْ أضعاف ما تجتني من لحظها المقلُ ؟
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به على العيون، وبئس الخلّة البخل![3]

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه صبٌّ غدا صبّاً بأوصابِهِ[4]
ميتٌ يرى حياً ولكنَّهُ تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرىءٍ قد بلى بالقرب من فرقة أحبابه ؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ س بتسبيح ألسن العيدانِ
كم صلاةٍ على فتىً مات سكراً قد أقيمت فينا بغير أذان

* * *

(١) إنسان العين : بؤبؤها .
(٢) المتن : الحدّ.
(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجيّة والصفه.
(٤) الأوصاب : الأمراض.

٢٢ ـ أبو طالب الرقّي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتك في الظلام كأنّه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشقِ
وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً ... دررٌ نثرن على زجاجٍ أزرقِ
والفجر فيه كأنّه قطر الندى ... ينهلُّ من سحِّ الغمام المغدق[١]

وقوله [من الكامل] :

ومعيرُ وجه البدر ما في وجههِ ... والغصن ما في قدّه المتأوّد[٢]
رمدت جفوني من تورُّد خدِّهِ ... فكحلتها من عارضيه بإثمدِ[٣]

وقوله [من الكامل] :

ديباجُ خدِّك بالعذار مطرّزٌ ... وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكأنّما إنسانُ عينك شاهرٌ ... سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرُزُ ؟
يا من أعزّ بذلتي في حبِّه ... مثلي رأيت بذلّةٍ يتعزَّزُ ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتملٍ ثوبي عفافٍ وفتنةٍ ... يرى قتل من يهوى إلى النّسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى ... فيقضي ولا يقضون للحجِّ منسكا[٤]

---

(١) سح الغمام : هطوله .
(٢) المتأوّد : المتثنّي والمتمايل .
(٣) العارض : صفحة الخدّ ، والاثمد : الكحل .
(٤) المنسك : فرض من فروض الحج .

جنـى اللحـظ من خدّيه ورداً مورَّداً ومـن عارضيه ياسمينـاً ممسكا[1]
فيا رائحـاً منـه بأوفـر فتنةٍ تجهّـزْ لعـامٍ بعـد هـذا لعلّكا

وقوله [من الرجز] :

مصفـرة الظاهـر بيضـاء الحشا أبـدع في صنعتهـا ربّ السّما
كأنّهـا كفُّ محـبٍّ دنفٍ مبعـد يحسِـبُ أيّام الجفا

وقوله [من المنسرح] :

ووردةٍ في بنـان معطار جئـت بهـا في لطيف أسرارِ
كأنّهـا وجنـة الحبيب وقدْ نقّـطهـا عاشـقٌ بدينـار

(١) الممسّك : المشوب بالمسك.

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب
وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفتها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفسح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحوُ
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروُ

ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرّج واقرأ سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رآني وما معي شي

ووجدت للسري والسلامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من مذكوري الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ على الرقاد جفوني قد ضاع بين صبابتي وشجوني
أمّا النجوم فقد ألفن رعايتي والعائدات فقد مللن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سمّاك بدرا ؟ وبدر التمّ ، في خدّيك خالُ
كتمت هواك إذ قلبي سليمٌ فذاب القلب وانحلّ العقال
وكنت كمودع الحلفاء ناراً وكتم النار في قصبٍ محالُ[1]

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهرت حتى تجلّى مغرماً في ظلامه أتقلّى[2]
والثريّا كأنّها رأس طِرفٍ أدهمٍ زين باللّجام المحلّى[3]

وقوله [من الكامل] :

ومتيّمٍ أبدى إليّ غرامه فعذلته والعذل فعل الجاهلِ
حتى إذا أبصرت مالك رقه كادت لواحظه تصيب مقاتلي
إن عدت أعذل عاشقاً من بعده فأصابني ربّي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء

---

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال وهي سريعة الاشتعال.
(٢) أتقلّى : أتحرّق.
(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

وصاحبٍ مؤنسٍ إذا حضرا ... جالسني بالملوك والكبرا
جسمٌ مواتٌ تحيا النفوس به ... يجلُّ معنىً وإن دنا خطرا
ملكت منه كنزاً غنيت به ... فما أبالي ما قل أو كثرا
أظلّ منه في مجلسٍ حفلٍ ... بالنّاس طرّاً ولا أرى بشرا
وإن أُطفِّلْ بهِ فيا لك من ... مستحسنٍ منظراً ومختبرا[1]
أعجب به جامعاً ولو جعلتْ ... عليه كفّ الجليس لاستترا

وله في شمعة [من المنسرح] :

بركة صفرٍ عمودها شمعٌ ... تفيض ناراً من موضع الماءِ
تبكي إذا ما المقصّ خمّشها ... فرط حياء من الأخلاّءِ
كأنّها عاشقٌ مخايله ... فيه بوادٍ لمقلة الرّائي
صفرة لونٍ ، وذوب معتبةٍ ... ودمع حزنٍ ، ونار أحشاءِ[2]

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

صديقٌ لنا من أبدع الناس في البخل ... وأفضلهم فيه وليس بذي فضلِ
دعاني كما يدعو الصديق صديقه ... فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته ... يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده ... وأعلم أنّ الغيظَ والشتمَ من أجلي
فأقبلت أستلُّ الغذاء مخافةً ... وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمةً ... فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل[3]

---

(١) أطفّل : أي يبقى حتى الغروب.
(٢) المعتبة : أي عاتبة من العتاب ، أو غاضبة.
(٣) الشزر : النظر بغضب.

إلى أن جنت كفّي لحتفي جنايةً ... وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرَّتْ يدي للحين رجل دجاجةٍ ... فجرّت كما جرّت يدي رجلها رجلي
وقدّم من بعد الطعام حلاوةً ... فلم أستطع فيها أمرُّ ولا أحلي
وقمت لو اني كنت بيّت نيّةً ... ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس [من المنجتث] :

إذا الوزير تجلّى ... للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سميا ... ه جعفر بن الفراتِ

وله في طبيب[من المجتث] :

عيسى الطبيب ترفقْ ... فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلاّ ... فراق جسمٍ لروحِ
شتان ما بين عيسى ... وبين عيسى المسيحِ
فذاك محيي مواتٍ ... وذا مميتُ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقّ عرق إسحاق ... أي دمٍ لو علمت مهراقِ ؟[1]
سفكته من يدٍ معودةٍ ... لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه ... إذاً أقام الدّنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٍ موصوفةٍ من الجونِ ... قد جمع الطباخ فيها كلّ فنّ[2]

---

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بآلة حادة .
(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

مـــن كلّ سخـــنٍ منضـــجٍ وباردِ ما بين ألـــوانٍ إلـــى بوارد
فمـــن رقـــاقٍ ناعـــم رقاق يحمـــد في المنـــظر والمذاق
وأرغف تشـــفّ للصفـــاء كمـــا تشفُّ أوجـــه المرائي
ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل كأنّمـــا كانـــت ترفُّ في الجبلْ(١)
ومـــن فراريج بمـــاء الحصرم تصلـــح للمخمـــور أو للمحتمي
قـــد شوّشـــت أكبادهـــا ببيض فهـــي كمثـــل نرجسٍ في روض
وجاءنـــا فيهـــا ببيضٍ أحمر كأنـــه العقيق ما لم يقشرِ
حتـــى إذا قدّمـــه مقشّرا أبـــرز من تحـــت عقيقٍ دررا
حتـــى إذا ما قطـــع البيض فلقْ رأيت منـــه ذهبـــاً تحـــتَ ورقْ
يخـــال أنّ الشطـــر منـــه من لمحْ أعـــاره تلـــونيه قوس قزحْ
مـــا بين أوســـاطٍ لطـــاف القدِّ مقـــدودةٍ كمثـــل قدِّ النّدِّ
مـــن صدر درّاج وصـــدر حجلهْ بملحهـــا وبقلهـــا متبلّـــه(٢)
فيهـــا جبـــن صادق الحرافه مقطّـــعٌ باللـــطـــف والنظافـــهْ
قـــد ألبســـت قضبـــان طلـــعٍ غضّه كأنّهـــا سلاســـل مـــن فضهْ(٣)
وجـــاءنـــا فيهـــا بباذنجـــان مثـــل قدود أكـــر الميدان(٤)
قـــد قارن الهليـــون بالممازجة تقـــارن الـــكـــرّات بالصوالجـــه
ثـــم أتـــت سكارج الكوامـــخ كمثـــل أنـــوارٍ من اللخالخ(٥)
مـــا بين طرخـــونٍ وبين صعتر وفيجـــنٍ غضٍّ وبين كزبر(٦)

---

(١) المصوص : الفراريج الطريّة اللحم.
(٢) الدرّاج : طائر يشبه الحجل.
(٣) الطلع من النخل شيء كالكوز يخرج منه وفيه حب منضود .
(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكُرة.
(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرّب اللخالخ : ضرب من الطيب.
(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور كأنّه تعلية النحور[1]
ثم أتى براضعٍ لم يعتلفْ كأنّ في جنبيه قطناً قد ندفْ
وحَمَل مبزرٍ مشبر كأنّه مضمّخٌ بعنبرِ
يتلوه جديٌ قارسٌ بخلٍّ كأنّه بالزعفران مطلي
تخاله في خلّه المزعفر مركباً تحت عقيقٍ أحمر
وقد عملت أطرافه سلاقهْ عجيبة الصنعة والمذاقهْ
زيدت من الخردل والصباغ وكشف القحف عن الدماغ
وصفّ فيه فلق الرمان مثل رصيع خرز المرجانِ
ثم أتى بناطفٍ هيّاج يحرُّ طبع البارد المزاج[2]
كأنه في العين والقياس سبائكٌ جاءت من الروباس[3]
ثم أتانا بعده لوزينج كأنّه في الأتحمي مدرج[4]
تنشله من دهنه العميق كما أخذت بيد الغريقِ
وجاءنا الغلمة بالمدام ونحن لم ننهض من الطعامِ
بغير ترتيبٍ ولا صواني وغير أنقالٍ ولا ريحان[5]
لأنّ في الجونة أنواع الأرب وعوضاً من كلّ شيءٍ يطلبُ
هذا هو النوع الذي أختاره ليس الذي عذّبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

---

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .
(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء.
(٣) الروباس : الفضّة.
(٤) الأتحمي : نوع من البرد .
(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستقٍ وغيره.

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط النـاس بالكتابـة قوماً حرمـوا حظّهـم بحسـن الكتابهْ
وإذا أخطـأ الكتابـة حظٌّ سقطت تاؤهـا فصـارت كآبهْ

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قـل لمـن تاب ولـم يقـ ـضِ من اللّـذات نحبَهْ
توبـة الحشـويِّ لا تعـ ـدلِ عنـد الله حبّه
أمُّ من تسـبقـه أنـ ـت إلـى الجنّـة قحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي ، قال : أنشدني أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضـت للهـو أوقات ولـلأوقـات لـذّاتُ
إليهـا أنـا مشتاق وقـد فاتـت بمـن فاتوا
ومـا لي عوضٌ عنهم وأحيا النـاس أموات
مضـى أهـل المروءاتِ فلـم تبـقَ المـروءاتُ

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء لأبـي عمارة الصوفي في ثقيل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقيلٍ لو كان في حسناتي وجميعُ الأنـام فـي سيئاتـي
لاستخفّ الذنـوب بل كسـر الميـ ـزان من ثقلـه علـى الكفّاتِ

وله في ثقيل [من الطويل] :

ثقيلٌ براه الله أثقـل من برى ... ففـي كلّ قلـبٍ بغضـةٌ منـه كامنهْ[1]
مشـى فدعـا من ثقلـه الحـوت ربّه ... فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم في كتاب أشعار الندماء لأبي الحسن الممشوق الشامي ـ ولست أتحقق اسمه ـ في المشمش [من الرجز] :

أمـا ترى المشـمش يا خلّ الأدب ... مشطّبـاً أكرم بهـاتيك الشّطبْ
مثقّـبُ الهامـات من غير ثقبْ ... كأنّهـا بنـادقٌ من الذّهب

* قد صاغها صائغها بلا تعبْ *

وله في جام فالوذج [من الكامل] :

إنـي اتخـذت أبـا علـيٍّ ذا العلا ... معقـودةً لك ذات طعـمٍ طيِّبِ
فقـد اغتـدت في جامهـا وكأنّها ... شمسٌ علـى بدر أوانِ المغربِ[2]
وتخـال فيهـا اللـوز وهـو منصف ... أنصـاف درٍّ فوق صحـنٍ مذهبِ
فتعـال نخمش وجههـا بأكفِّنا ... غضبـت علينـا أو غدت لم تغضبِ

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فـؤادي كَفيْكِ إذا ما نطقت ... وصبـري كخصـرك فـي دقّتهْ
ومـا آس عارضـك المستنيـ ... ـر كالقلـب منِّـيَ في حرقته[3]
وبالجسـم منّـي الـذي يشتكيـــــه طرفـك من غير ما علّته

(١) براه الله : أنحله .
(٢) الجام : الإناء من فضة .
(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبه وعدك إمّا وعدت   بعقرب صدغك في عطفته
وأزداد في كلٍّ يومٍ هوى   وحبّيك يزداد في فتنته

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةٌ بتّها بقرتمَ أسقي   عاتقاً عتّقت مداها الدّهورُ
وكأنّ السماء والبدر والأنجم   روضٌ ونرجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمّل جودك القطرُ   وسما ليدرك صدرك البحرُ
خجلا جميعاً مثل ما خجلا   إذ قابلاك الشمس والبدرُ
يا صالح الخيرات ما صلحا   إلاّ لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانٌ كان رسماً   ثم قد أصبح وهما[1]
لا تراه العين إلاّ   بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد   رك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخـ   ـراجها البيت المعمّى

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظـرةٌ كانــت لحتفــي سببا ... جلــب الحين لهــا ما جلبا
ضحــكت أسمــاء من ذي لمّةٍ ... ضاحــك الأشيب فيه الأشيبا
إنّمـا يعــرف أيامِ الصِّبا ... من صَبـا في غير أيّام الصّبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبــربطٍ صحـب الترنــام نغمته ... أحلى من اليسـر وافـى بعـد إعسارِ[1]
يملــي القــريض عليه لفــظ محسنه ... فينبــري مخبــراً عنهــا بإجهـارِ
ما حثّ أوتــاره في وجــه نائبةٍ ... إلاّ استفــاد بتــاراتٍ وأوتار
تحنــو عليه أمٌّ تخاطبه ... سرّاً فيخبــر بالنّجــوى بإظهار[2]
وإن هفــا عركت آذانــه شفقاً ... عليه من وصمــة النقصــان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذريَ فيهِ حتّــى عذّرا ... ومشــى الدجــى في خدّه فتحيّرا
همّــت تقبّلــه عقــارب صدغه ... فاستــلّ ناظــره عليهــا خنجرا
والله لولا أن يقــال تغيّرا ... وصَبــا وإنْ كان التصابــي أجدرا
لأعــدت تفــاح الخــدود بنفسجاً ... لثمــاً وكافــور الترائــب عنبرا[3]

* * *

---

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنام : النغم والغناء.

(٢) النجوى : السرّ.

(٣) الترائب : جمع تربية، وهي موضع القلادة من الصدر.

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلمِ
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسمِ
وإنْ أبى إلاّ جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنّ فيه نقطةً من دمي

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح] :

وَجْنَةُ من شفّني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي(١)
كأنّما الصيرفيُّ دنّر ما نجم منها ودرهمَ الباقي(٢)

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلاّ الذي به له سكنٌ يشتاقه وحبيبُ
إلى الله أشكو وشك بينٍ وفرقةٍ لها بين أحشاء المحبّ ندوبُ
ترى عندهم علمٌ وإن شطّت النوى بأنّ لهم قلبي عليّ رقيب(٣)

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا(٤)

---

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .
(٢) دنّر : أي جعلها كالدنانير.
(٣) شطّت : باعدت.
(٤) الكاظم : المتحمّل للمحن والصابر عليها

عجيبـةً في الأنـام محنتنـا أوّلنـا مبتلى وآخرنـا
يفـرح هذا الـورى بعيدهم طرّاً وأفـراحنـا مآتمنـا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنـا علـى نوح المطوّقـة الورقِ وأردية الـروض المفوفـة البلقِ
معتّقـةً أفنـى الزّمـان وجودها فجاءت كفوت اللحـظ أو رقّـةِ العشق
كأنّ السحـاب الغـرَّ أصبحـن أكؤساً لنـا ، وكأنّ الـراح فيهـا سنـا البرق
فبتنـا نحـثُّ الـكأس فينـا ، وإنّنا لنشربهـا بالحـثِّ صرفـاً ونستسقي[1]
إلـى أنْ رأيت النجـم وهـو مغرِّبٌ وأقبلن رايات الصبـاح من الشرق
كأنّ سواد الليل والفجـر طالعٌ بقية لطـخ الكحـل في الأعين الزرق

أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـدر في جوِّ السمـاء قد انطوتْ طرفـاه حتـى عاد مثـل الزورقِ
وتـراه من تحـت المحـاق كأنّما غرق الـكثير وبعضـه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولةٌ من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

---

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة.

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي الفقيه المالكي لأميرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدَّلتْ ... بنا الحال أو دارت علينا الدوائرُ ؟
إذا ولد المولود منّا تهلّلت ... له الأرض واهتزَّت إليه المنابرُ

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [من البسيط] :

يا مَنْ أراني بألحاظٍ يصرّفها ... عنّي الصبا والهوى رشدي وتوفيقي
جمعت فيك غليل العاشقين كما ... جمعت ما تشتهي من كلٍّ معشوقِ

وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليَّ عيونُ ... وبين ضلوعي للشجون شجونُ
لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ... فحبُّك غضٌّ في الفؤاد مصونُ
نصيبي من الدّنيا هواك ، وإنه ... عذابي ولكنّي عليه ضنينُ(١)

وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الزّجاج فإن سرتْ ... في الجسم دبّت مثل أيمٍ لاذع(٢)

---

(١) ضنين : حريص.
(٢) الأيم : الحيّة، ولذغ : عضّ.

لم يحسن في تشبيه دبيب الخمر في جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت علـى شرّابهـا فكأنّهـم   يجـدون ريّاً من إنـاءٍ فارغِ

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطَـتْ بالعبـد سطوتُهُ   ما كلُّ مالك رقٍّ مغضـبٌ حنقُ
أعتـقْ وإلاّ فبـعْ، كم ذا تعذبني ؟   إنّ العبيد إذا ما عذبـوا أبقوا[1]
وثقـت منّـي بأنَّ الحـبَّ قيَّدني   أجـل وحقـك إنّـي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعـر المتغزلـون ولا يرضونـه . وإنمـا يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لـي مَولـى أقسـى البـرية قد قا   سيت فيه الهمـوم والأشواقا
قلـت إذ لجَّ في جفائـيَ واحتـ   ـجَّ عليه فسـاق نحـوي السّياقا
أيهـذا المليك رأيك في سو   ءِ امتـلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثـون من عمري مضين فمـا الذي   أؤمّـلُ من بعـد الثـلاثين من عمري
أطـايب أيامـي مضين حميـدةً   سراعـاً ولـم أشعـر بهـنّ ولـم أدرِ
كأنّ شبـابي والمشيـب يروعـه   دجـى ليلـةٍ قد راعهـا وضـح الفجرِ

---

(1) اعتِقْ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي(١) [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيِّ وللفقيرِ
ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنّ الله يأتي بالكثيرِ

* * *

٢٣ ـ عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بثأرٍ أم بدينِ علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها ولحاظها ما في الرّديني
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتينِ
بَكَرتْ عليّ وقالت اخـ ـتر خصلةً من خصلتين(٢)
إمّا الصدود أو الفرا ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي منهلّةٌ كالمرزمين(٣)
يا هذه لا تعجلي إن حان بينك حان حيني(٤)
فكأنّما قلت اذهبي فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي.
(٢) بكرت : أتته باكراً.
(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد.
(٤) الحين : الأجل.

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا [من الكامل] :

قالــوا عســى ثقلــت عليــه فباعهــا من غير عدمِ
والله ما ثقلــت علـــــيَّ عمامتــي بل خفَّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم آمــرٍ بالصبــر لم يرَ لوعتي ومـا صنعـت نار الأســى بين أحشائي
ومــن أين لي صبــرٌ وفــي كلِّ ساعةٍ أرى حسناتــي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتــذر العــذار إلى فؤادي لجــرمٍ سابــقٍ من مقلتيهِ
وكم أعرضــتُ عنـه فأعرضــتْ بي عن الإعــراض خضــرةُ عارضيهِ
ولمّــا قلــت إنّ الشعــر يسعى لقلبي في الخـلاص سعــى عليهِ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحــظــاتٌ تتــرامــى بي الــى المرمــى القصيِّ
طــرحتني مــن عليٍّ بيــن ألحـاظ عليٍّ
فادّعــى رقــي ومــا رقـــــى بدعـوى المدّعــي
أنـا عبـد المحســن الصو ريّ لا عبـد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنــى ما جنــى وانصرفْ وأنــكر ثــمّ اعترفْ
وظــنّ بأن القصــا ص يمنـع منــه الترف
سلــوا صدْغَــهُ لِمْ جرى ؟ ولمّــا جرى لِمْ وقفْ ؟
وكــان علــى أنّـه يجـوز المـدى فانعطـف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بـالـذي ألهم تعذيـــبي ثنـاياك العـذابا
والـذي ألبس خدّيــك من الـورد نقابا
والـذي صيّـر حظي منك هجراً واجتنابا
يـا غزالاً صاد باللّحــظ فـؤادي فأصابا
مـا الـذي قالتـه عينا ك لقلبـي فأجـابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلّمـت وجنتـه رِقيةً لعقـرب الصـدغ فمـا تلسعُ
صمّت عن العـاذل في حبِّهِ أذني فمـا لي مسمـعٌ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمنـي من وجهـه روضةٌ مشرقـةٌ يمـرح فيهـا النّظر
فانظـر معـي تنظـر إلـى معجزٍ سيف علـيٍّ بين جفنـي عمرْ

وقوله [من الطويل] :

زففـت إلـى نبهـان من عفـو فكرتي عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا[1]
فقبّلهـا عشـراً وهـام بذكرها فلمّـا ذكرت المهـر طلّقهـا عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجبـاً لي وقـد مررت بآثا رك أنّـي اهتـديت قصـد الطريقِ
أتراني نسيت عهـدك يوماً صدقـوا ما لميّتٍ من صديق

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنـون بدت لنـا أم جفونُ حركاتٌ للسّقـم فيهـا سكونُ
بعتهـا ما حييت طول هجوعي بدمـوعي فأيّنـا المغبـون ؟[1]

وقوله [من الطويل] :

تعلّقتـه سكران من خمـرة الصبا به غفلـةٌ عـن لوعتـي ولهيبي
وشاركنـي في حبّـه كلُّ أغيدٍ يشاركنـي في مهجتـي بنصيبِ
فلا تلزمونـي غيرةً ما عرفتها فإنّ حبيبـي مَنْ أحـبَّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلـت وقـد أوردنـي حبُّهُ مـوارداً ليس لهـا مصدرُ
أفسـدت دنياي ولا دين لي تفسـده فاصـدعْ بمـا تؤمرُ[2]

وقوله [من الطويل] :

أتابعـت أهـل البيعـة اليوم في دمي غلبـت فخـذ أخطارهـم وتقدّمِ
ولا تورثـنْ عينيك سقمـي فإنّهُ حرامٌ علـى الذّمـيٍّ ميراثُ مسلمِ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي ماءً غدا يسبـح في ماءِ
أومـأت باللحـظ إلـى جسمه فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبـيٌ أقـامَ قيامتـي من قبـل أنْ تأتـي القيامهْ

---

(١) المغبون : المنتقص حقه.
(٢) اصدعْ : امتثل.

عـطـب القلـوب جفونـه فعـلام سمّـوه سلامـهْ ؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئـن كنـت قد رحلـت بقلبي فاعلمـي أن سرّ حبـك فيهِ
لا تقـولـي ضيّعتـه بعـد بين ضيعيه إن شئـت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقّـت فكادت لا ترى في كأسـهـا إلاّ التّماسا
لـولا الحبـاب لخالهـا شرّابهـا فـي الـكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لمّـا تبيّنـتُ أنّ حبكمْ يحسـن عنـدي وليس يحسـن بي
بشّـرت طرفـي بحسـن عاقبتي فيكم وقلبـي بسـوءِ منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العـذول في عصياني ومذيقـي حـرارة الهجـران
اتـق الله لا ترعنـي بالصـدّ وجـازِ الإحسـان بالإحسان[1]
كيف أبقى علـى الزمـان وهجرا نك ممّـا جنـت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهاً وعلى الحـبّ دليلٌ من ناظـري ولساني
فـإذا عدت بالتجلّـد عنكمْ كذّبتنـي نواظـر الأجفان
كيف تجنـي ولا تخـاف عقاباً وفـؤادي معاقـبٌ غير جاني
خـلِّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينـا يدٌ من السلطـانِ
لا تكونـن ثالثـاً لقويّـ ـن فلـو كان واحـدٌ لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذّةُ المـاء في فم العطشان

---

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض.

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخٍ مسّه نزولي بقرحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرحُ[1]
قيل لي إنّه جوادٌ كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحٌّ
بت ضيفاً له كما حكم الدهـ ـر وفي حكمه على الحرِّ قبحُ
قال لي إذ نزلت وهو من السكـ ـرة والهمّ طافحٌ ليس يصحو
لِمْ تغرَّبت قلت قال رسول اللـ ـه والقول منه نصحٌ ونجحُ
سافروا تغنموا فقال وقد قا ل تمام الحديث صوموا تصحّوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمٍّ يثنيه دعصٌ وخوطُ عذري في عذاره مبسوطُ
أيّ درٍّ للثقب أيٌّ كتابٍ لو تأتّتْ بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت ظبيٌ غريرٌ وإذا افترَّ قلت درٌّ سقيط[2]

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفْ وتاب مما قد جناه واقترفْ
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفْ

وقوله [من المنسرح] :

طرّةُ مسكٍ وشاربٌ أخضرْ وثغرُ درٍّ ومقلتا جؤذرْ[3]
ريمٌ إذا رمت أن أكلِّمه كلّمني من جفونه خنجرْ
وإن تعوّضت من عوارضه لثماً تجنّى عليَّ واستكبرْ[4]

---

(١) القرح : الجرح ، والمرض.
(٢) افتر : ضحك وتبسّم.
(٣) الجؤذر : البقر الوحشي.
(٤) تعوّض : استبدل.

كأنّ خيلانه ووجنته سماء حسنٍ نجومها تزهرْ
سبحان من صاغه على قدرٍ فذلك الله خير من قدَّرْ

وقوله [من السريع] :

يا حار إنّ الركب قد حاروا فاذهب تجسّس لمن النّارُ
تبدو وتخبو إنْ خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا[1]
قام عليها موقدٌ مرشدٌ له بفضل الزّاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسكم أو مسّها من قربكم عار
وسائلٍ يسأل عن حالتي قلت كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه ممّا أسرَّ الطين والقار[2]
ما نظرةٌ إلاّ لها سكرةٌ كأنّما طرفك خمّارُ
هذا هوىً يصدر عنه جوىً تتلوه لوعاتٌ وأفكارُ
وهذه أفعالها هذه ما بعد رأي العين إخبار
ولست أعتدُّ عليك الضّنا ألست من جفنيك أمتار ![3]

وقوله [من الطويل] :

هواي الذي أبدى وأضمره يحيى وسؤليَ في دار الخلود وفي الدُّنيا
وعيني التي أرعى بها من يودّني وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
أأصبر عن يحيى وأطوي وصاله إذاً فطواني عنه صرف الرّدى طيّا
كتمت الهوى جهدي ونفّيت طاقتي وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصّبا إذاً فأراني الله أعينهم عميا

---

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت.
(٢) القار: القطران.
(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أتغذى.

فمـا بالهـم لا قدَّس الله بالهم ... ولا حاط ميتـاً منهـمُ لا ولا حيّا
يلومـون في يحيى ولـو أنَّ لائماً ... رأى وجهـه لاستقبـح اللـوم واستحيا
فيا منيتـي كم فيك عاصيت عاذلاً ... أرى غيّهـم رشـداً ورشدهـم غيّا
وكم جاءنـي ما قالـه فيك كاشحٌ ... فزدتـك حبّـاً كلّمـا زادنـي نعيا[1]
أأسمـع فيك العـذل ممّـن يلومني ... فلا سمعـت أذنـي إذاً بعدهـم شيّا
فمـا أحسـن الـدنيا إذا كنـت جانبي ... وإن غبت عن عيني فمـا أقبح الدّنيا

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حـديثـه كـالحـدث ... يرفـث كـلّ الرفـث[2]
يـودُّ من يسمعه ... لـو أنّـه في جـدث[3]

وله يرثي [من الكامل] :

قالـوا ألـم تحضـر علياً بعـد ما ... دفنـوه قلـت هنـاك بئس المحضرُ
لا أستـطيع أرى المعالـي بينكم ... محمولـةً وأرى المـكارم تقبرُ
لم يمض قبلك من أراه أسوةً ... فأقـول هذا مثـل ذاك فأصبرُ
قد كنـت جزءاً والأكارم كلُّهم ... جزءٌ ، ولـكنّ الأقـل الأكثر
ما كان أكثرهـم وأنـت جليسهم ... وأقلّهـم إذ شيّعـوك ، وكبّروا

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليهـا سهـرت أم بتّ نائمْ ... بعـد أن لا يلـمَّ بي طيف حالمْ
تسأل النـاس كيف حالي ومـن أعـ ... ـلم منهـا ؟ وفاعـل الشـيء عالمْ
وغـزالٍ أغـنّ أغيد ساجـي الطـ ... ـرف مستحسـن الخلائـق ناعم[4]

(١) الكاشح : المبغض.
(٢) الحدث : ما يخرجه المرء من فضلات وريح والرفث: الجماع والفحش.
(٣) الجدث : القبر.
(٤) الأغن : الذي في صوته غنّة ، وساجي الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكـتم فماذا أسرّ حتّى أكاتمْ

وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها ... فزادني ذلك اللّمى ألما[1]
وساءلتني عن مبتدا سقمي ... مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفّي كفّي ... ما حملت منك وما استوثقتْ
وساعدينا واعلمي أنّها ... قد نذرت قتلي وما أعتقتْ

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبتها جعلتْ ... تمنُّ أن جعلتني من ذوي الأدبِ
وليس عند الليالي أنَّ أقبح ما ... صنعن بي أنْ جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا ... بحيث آمن في قولي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده ... طلوبٌ لأسباب الثناء كسوبُ
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرهُ ... بتفريق ما تحوي يداه رحيبُ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكيـ ... ـها كمالاً إلاّ بقلب وودٍّ
رقَّ جسماً فرقَّ دمعي عليه ... فجرى مثل خدّه فوق خدّيَ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي ... إلاّ لأن أرفع عنها يدي

---

(١) اللّمى : السمرة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما آلفها للأهيف الأغيدِ[1]
يعجبها أن ترتدي حسنه والحسن قد يُردى به المرتدي[2]
طوفان نوحٍ طبّق الأرض لا يبرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الـجوديّ من جود أبي أحمد[3]
أبو العلا إذْ ذكرتْ وابنها يا ذا المكانين من السؤدد
غيَّر من حالي ومن نيّتي في غيره كم مصلحٍ مفسد
لو كان من أحبته بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتىً كلّما قالوا تناهى صعوده إلى كلّ مجدٍ خالف القول صاعدا
ترى كلَّ ملقى المقاليد في الوغى إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا[4]
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرّفتْ أبيات عوفٍ وطهِّرتْ من الرّجس حتى خلتهن معابدا[5]
وكلٌّ يعاف الورد من بعد ربّه وأرماح عوفٍ لا تعاف الموارد[6]
ترى منهم يوم الوغى كلّ ناشرٍ من النقع فوق الدار عينٌ مطاردا
ينالون ما أمسى بعيداً مناله كأنّهم طالوا الرماح سواعدا
وقلّبت الهيجاء أعيان خلقهمْ فقد وثبوا أسداً ودبّوا أساودا[7]

---

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة .
(٢) يردي : يقتل .
(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .
(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور .
(٥) الرجس : الاثم .
(٦) يعاف : يملّ .
(٧) الأساود : الحيّات ، واحدها أسود .

على أنَّ من لاقيتَ منهم مسالماً لقيت به نوء السِّماك مجاودا[1]

وقوله [من البسيط] :

وقد حسدتَ على ما بي فواعجبي حتّى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعتكم مهجتي إلاّ بوصلكمُ ولا أُسلِّمها إلاّ يداً بيدِ

ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لي وظنٌّ بأنّ الـ جود يبلي في كلِّ يومٍ مجدّدْ
بيمينٍ طالت فكم تضرب الأيـ ـام عنّي بها وكم تتجلّدْ
أحسن الفعل بي فأحسنت قولاً فاشتبهنا فقيل جادٌ وجوّدْ

وقوله [من الكامل] :

وغريرةٍ مغرورةٌ بجمالها وتظنُّ أنّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعترفت به زمناً فقلت تقلّدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلّدي لا بالنوى فضعيفةٌ عنها يدي

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمهُ فيما يجدّ وكلُّ يومٍ جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محمودا

وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهمْ : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلتي عامين في يده فإن صيداء معروف تصيُّدها[2]

---

(1) نوء السماك : نجم السِّماك المضيء ومجاودا : متكرّماً.

(2) عقلتي : عِقالي وأسري.

كأنّما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها

وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنّه أنْ قد تناهى واجتهدْ
أحمد الله كثيراً أنّهُ ما درى أني أخو عبد الصمدْ

وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتماديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهِدتكم من حيث عاهدتكمْ لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لمّا نذرتم دمي صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطاياك موفّرةً فلم يكن عندي سوى النشر[1]
مقرونةً بالعذر إنّي لفي التـ ـقصير أولى منك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتّى متى كلّ مشتكٍ زاجرْ واللوم مثل الهوى بلا آخرْ
كم عاذلٍ عاشقٍ وكنت أرى أنّ الذي جرّب الهوى عاذرْ
يا نافراً نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنّا النافرْ
يبيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطرْ
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصرْ
وشادنٍ طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائرْ
صرّعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر[2]
فحثني ساعةً فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الـ ـصبر على رغمه إلى الصابر

---

(١) في الأصول : « جاءت عطاياك موفورة » وغيرّناها لإقامة الوزن .
(٢) أوجس : شعر وأحسّ.

فبتُّ في روضه ألفاً على الغادة طرفي وأمرح الناظر

يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأنَّ أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أوّل فيهما ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودُّه مستأنسٌ بي، وهو نافرْ
إن قلت زرني قال نمْ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتّى أشاور قلت لكنّي هويت ولم أشاور !

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتّى أوصلته إلى العلا وهي وعرَهْ
ثم هامت به المعالي فصارتْ تتقي صدّه وتحذر هجرَهْ

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍّ يباعْ أو استخبروا عن كرىً يكترى(1)
هل الناس مثلي ؟ وإلاّ فما أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها فتترك ما حولها أصفرا
بمدٍّ إذا شعشعت كالهباء لمن كان قدّامها أو ورا(2)
وفي القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

---

(1) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري.
(2) شعشعت : أضاءت ، والهباء : غبارٌ دقيق يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوّة بيت مظلم.

سقـاني وشـدّ معـي مئزراً فلما شـدّ من بعدهـا مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عنـدي حدائـق شكرٍ غرسِ جودكم قد مسّهـا عطشٌ فليسـقِ من غرسا
تداركوهـا وفي أغصانهـا رمقٌ فلن يعـود اخضر العـود إنْ يبسا

وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بئس السياسـة والرياسـة منزلٌ أصـبحـت وحـدك في ذراه مقيما
وجعلـت تفعـل مثـل ما فعـل الألى فيه وتتخـذ الخـطوب خصوما
ولو اختصرت على القـديم كفـى العلا إنّ القـديم ليوجـب التّقديما
للحادثـات معـي حديثٌ مبهمٌ أضحـى النّهـار عليَّ منـه بهيما
وصناعتـي عربيّةٌ وكأنّني ألقـى بأكثـر ما حفظـت الرّوما
فلمـن أقـول ومـا أقـول فأين بي فأسـير أولا أين بي فأقيما
وإذا اشتـكيت إلى امـرىءٍ ما حلَّ بي فأقـول يرحمنـي أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسـب الثنـاء ويغتدي إذا كان همّ النـاس كسـبُ الدراهمِ
وإن جلس الأقـوام عن واجـب الندى وحـق العطـايا كان أوّل قائمِ
يزيد ابتهاجـا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقـاً إلى كلِّ قادمِ

وقوله [من السريع] :

إنّ لهـا من لوعـةٍ شانا أضرمـت الأحشـاء نيـرانا
وحالفـت دمعـي فلـم يطفها وقـد جرى سحّـاً وتهتانا(١)

(١) سحّاً : متصبباً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل.

وآل ما زال عدواً لها ... مذ كانت النار ومذ كانا[1]
لكنّ في حيني وفي شقوتي ... ما يجعل الأعداء خلاّنا[2]
وغادةٍ قمت لتوديعها ... أسعى إلى التفريق عجلانا
فغاض دمعي وجرى دمعها ... زوراً على الحبِّ وبهتانا
ثم انثنت قائلةً : ما له ... لم يبكه البين وأبكانا ؟
فقلت : جار الدمع في حكمه ... ففاض من أجفان أجفانا[3]

وقوله [من السريع] :

ما زال يبني كعبةً للعلا ... ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها ... وقبّلوا راحته اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ ... فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويّةٌ ... فتصلحه حتى متى أنت حاقدُ[4]
سبقتَ بني الدنيا فما هبَّ قائمٌ ... سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدُ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته ... عن سيفه سيوف أجفانهِ[5]
سلطان عينيه له سطوةٌ ... أشدّ من سطوة سلطانهِ

---

(١) آل : أقسم .
(٢) الحين : الموت والخلاّن : الأصحاب .
(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجراً .
(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمره .
(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه » وغيرّناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الـذي في خدّه جيشـان من زنـجٍ وروم
هـذا يغـير على القلو ب وذا يغـير على الجسوم
إنّـي وقفـت من الهوى في موقفٍ ضنـكٍ عظيم
كوقـوف عارضـك الـذي قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غنّنـي يا أعـزّ ذا الخلـق عندي حيٍّ نجـداً ومـن بأكنـاف نجد[1]
واسقنـي ما يصـير ذو البخـل منه حاتمـاً والجبـان عمـرو بن معدي
لي ومـا فوق وجنتيك من الو رد مدامٌ كالمسـك في لون ورد
فاسقينهـا ملأى فقـد فضـحَ الليـ ـلَ هلالٌ كأنّـه فتـرُ رندٍ[2]
والثـريا خفّاقـةٌ بجنـاح الـ ـغـرب تهـوي كأنهّـا رأس فهد
في أوان الشّبـاب عاجلنـي الشّيـ ـب فهـذا من أوّل الـدنّ دردي[3]

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنـا وهنا من عنـدكم هاج لنـا حزنا
أحبابنـا ، لا بلغـتْ منكم أيدي النّـوى ما بلغـت منّا
فلـم يغـبْ عنـكم على بعدكم ما فعلـت غيبتـكم عنّا
أيسر ما في عهـدكم أنّنا لمّا حفظنـا عهـدكم ضعنا

* * *

---

(١) الكناف : الجنبات.
(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة.
(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً.

٢٤ ـ أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبدَ المحسنِ الصوريّ لم قدْ ... جثمت جثوم منهاضٍ كسيرِ؟[1]
فإن قلت العبالة أقعدتني ... على مضضٍ وعاقت عن مسيري[2]
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ... ويستثني بركنٍ من ثبير[3]
وإن حاولت سير البرّ يوماً ... فلست بمثقلٍ ظهر البعير
إذا استحلى أخوك قلاك يوماً ... فمثل أخيك موجودُ النظير[4]
تحرّك علّ أن تلقى كريماً ... تزول بقربه إحن الصدور[5]
فما كلُّ البرية من تراه ... ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ... ولكنْ جاء في الزمن الأخيرِ
وقد حدّتْ لي السّبعون حدّاً ... نهى عما أمرت من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي ... قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ ـ أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، وممن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

---

(١) المنهاض : المقعد.

(٢) العبالة : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام.

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل.

(٤) قلاك : أبغضك.

(٥) إحن الصدور : أحقادها.

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذارهْ ... وأقلناه ذنبه وعثاره[1]
والمعاني لمن عنيت ، ولكن ... بك عرَّضتُ فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهـ ... ـر تراه محلِّلاً أزراره
عالمٌ أنّه عذابٌ من اللـ ... ـه مباحٌ لأعين النظّاره
هتك الله ستره فلكم هتّـ ... ـك من ذي تستّرٍ أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كـ ... ـلّ مليحٍ لحاظه سحّاره
ما على مؤثر التباعد والإعـ ... ـراض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أنّني وإن كان قد عذّ ... ب بالهجر مؤثرٌ إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيبٍ ... أشتهي قربه وآبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزيز في سائر الأر ... ض عدوّاً إلاّ وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه ... واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيّدْ له الوزارة مجداً ... لا ولا قيل رفّعتْ مقداره
بل كساها وقد تخرّمها الدهـ ... ـر جلالاً وبهجةً ونضاره[2]
كلُّ يومٍ له على نُوَبِ الدهـ ... ـر وكرِّ الخطوب بالبذل غاره[3]
ذو يدٍ شأنها الفرار من البخـ ... ـل وفي حومة الوغى كرّاره

(١) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره.
(٢) تخرّمها الدهر : ترك بها خروماً.
(٣) كرّ الخطوب : تجدّدها واستمرارها.

هــي فلّــتْ عن العــزيز عداه بالعطــايا وكثّــرت أنصاره[1]
هــكذا كلُّ فاضــلٍ يده تمـــــسي وتضحــي نفّاعــةً ضرّاره
فاستجــره فليس يأمــن إلاّ من تفيًّا بظلّــه واستجاره
فــإذا ما رأيتــه مطرقــاً يُعـــمِـل فيما يريده أفكاره
لــم يدع بالــذكاء والذهــن شيئاً في ضمــير الغيوب إلاّ أناره
لا ولا موضعــاً من الأرض إلاّ كان بالــرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطــةً وكفاه خوفــه من زمانــه وحــذاره[2]

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إنّ ربعــاً عرفتــه مألوفا كان للبيض مربعــاً ومصيفا
غيّرت آيةُ صروف الليالي وغــدا عنــه حسنــه مصروفا
مــا مررنــا عليه إلا وقفنا وأطلنــا شوقــاً إليه الوقوفا
آلفــاً فيه للبــكاء كأنّي لم أكن فيه للغوانــي ألوفا
حاســداً للجفــون لمّا أزالت في مغــانيه دمعهــا المذروفا
إنّ يعقــوب قد أفــاد وأقنى وأعــاد النــدى وأغنــى الضعيفا[3]
ســلّ سيفــاً من البصيرة والرأ ي فأغنــاه أن يســلّ السيوفا
بــاذلاً للعــزيز دون حمــاه مهجــةً حرّةً ورأيا حصيفا
لــم تزل دونــه تخــوض المنــايا وتــردُّ الــردى وتلقــى الصفوفا
ناصحــاً مشفقــاً محبّــاً ودوداً قائمــاً في رضــاه صعبــاً عسوفا
ليس يخشــى فساد أمــرٍ تولاه وأضحــى برأيه مكنوفا[4]

---

(١) فلّت : قطّعت.
(٢) البسطة : القوة والهيبة .
(٣) أقنى : أملك واعطى.
(٤) مكنوناً : محاطاً .

مـا رأينـاه قطُّ إلاّ رأينا خلقـاً طاهـراً وفعـلاً شريفا
ورأينـا قرمـاً كبيراً همـاماً منعمـاً مفضـلاً رحيمـاً رؤوفا(١)
لـذّ طعـم العطـاء وهـو إذا جا د وأعطـى يرى الـكثير طفيفا(٢)
خلـقٌ منـه ـ منـذ كان ـ كريمٌ يستلـذُّ النّـدى ويقـري الضيوفا
ويريش الفقير بالبـذل والجو د ويعطـي ويسـعف الملهوفا(٣)
فأرانـا الإلـه صرف الليالي أبـداً عن فنائـه مصروفا

وقوله من أخرى [من المجتث] :

حـيّ الخيام فإنّي مغـرى بأهـل الخيامِ
بالـراميـات فؤادي بصـائبـات السّهامِ
أسقمتنـي وتألُّـ ـن لأشـفين سقامي(٤)
أيام وصلـي حرامٌ والهجـر غير حـرام
لا عذب الله قلبي إلاّ بطـول الغرام
سـقياً لدهـر تولّى بشـرّتـي وغـرامي(٥)
كأنّمـا ذلك العيـ ـش كان في الأحلام
لـم يبـق مـن نرتجيـه لـحـادث الأيـام
إلاّ ابـن أحمـد ذو الطو ل والأيادي الجسامِ
كفـاه أغـدق جوداً من واكفـات الغمامِ
يلقـى العفـاة بوجهٍ مستبشـرٍ بسّامِ

---

(١) القرم : السّيد.
(٢) الطفيف : القليل.
(٣) يريش : يقوّي ويغني.
(٤) تألّين : أقسمن ودعون الله.
(٥) الشرّة : حدّة الشباب ونشاطه.

معظّماً ترتجيه للنائبات العظامِ
يرمي الخطوب برأيٍ أمضى من الصمصام
قرمٌ له عزماتٌ تفلُّ حدَّ الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهّمت أمراً فلم أنبسِ بحرفٍ وناديت بالأكؤسِ
حميّا كأنَّ سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندسِ [1]
يعاطيكها رشأٌ طرفُهُ سريعٌ إلى تلف الأنفس
بخدٍّ يروقك توريده وعينٍ تنوب عن النرجسِ

يقول في مدحها :

له قلمٌ أبداً ناطقٌ بأسعد قومٍ وبالأنحسِ
إذا ما انتضاه لأمرٍ رمى به الدّهر عن صائبات القسي [2]
رآه الوزير على غايةٍ من الفضل تعلو على الخنّسِ [3]

ومن أخرى [من الوافر] :

أظنّ ودادها من غير نيّة وهل هي فيه إلاّ مدّعيّهْ
فتاةٌ لا تملُّ عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذيّهْ
ولا ذنبٌ له إلا التوافي لمن في الحبٌ ليست بالوفيّهْ
ويعجبني التمنّع والتشاجي من الخود الممنّعة الشجيّه [4]
فوا أسفاً على حرٍّ يعزّي أخا رزءٍ على عظم الرزيهْ [5]

---

(١) الحميّا : الخمر ، والحندس : الظلام.
(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسيّ : جمع قوس .
(٣) الخنّس : الكواكب .
(٤) التشاجي : شدّة الشوق والتذكرّ والخود : الفتاة الناعمة .
(٥) الرزية : المصاب.

ومنها[1] :

وذلك أنّ إيري فيه رطلٌ ... وما في حرّها إلاّ وقيّهْ
ومن بعث المدام فليس بدٌّ ... ولاتك غير بكرٍ بابليّهْ
فثمّ هناك حرٌّ شافعيٌّ ... عظيم الشأن واستٌ مالكيّهْ
ونفسي غير مائلةٍ إليها ... لأحوالٍ مقبّحةٍ بذيّهْ
أحبُّ دنوّها وتحبُّ قربي ... وهذا لا يكون بلا بليّهْ
وما لاقيتها إلاّ تلاقى ... مبالانا بإسقاط التقيّهْ
وهذا الرأي لا رأيٌ سواهٌ ... فلا تحفل بأقوال الرعيّهْ
ولا عيشٌ سوى تقليب بظرٍ ... وثقبٍ من صبيٍّ أو صبيّهْ
على أنّي أقول بكلٌّ شيءٍ ... سوى نيك العجوز القذمليّهْ[2]
ولا ألوي على أحدٍ يراني ... بعين النقص والحال الدنيّهْ
ومن نال العلاء حجاً ومجداً ... وأفعالاً مهذّبةً سنيّهْ[3]
تشابه خلقه والخلق حسناً ... وحسبك بالنّفاسة والسجيّهْ
تشاهد منه طوداً مشمخرّاً ... وأفعال الملوك الكسرويهْ
له الأقلام كيف يشاء تجري ... بتأييد القضاء بالمشيّهْ
كأنّ اللفظ في القرطاس زهرٌ ... تفتّح عن معانٍ معنويّهْ

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملامك يا ذات الملاماتِ ... فما أريد بديلاً بالرّقاعاتِ

---

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون ـ كما يفعل بعض الناشرين ، تحرّجاً منهم وتأثماً كما يزعمون، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأنّا لا نؤلّف ، وإنّما نحقق نصاً قيدّه صاحبه في زمنٍ كان الناس فيه أشدّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأنّا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذملية : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأننـــي وجنـــود الصفـــع تتبعني وقـــد تولـــت مزامير الرطانات[1]
قسيس ديرٍ تلا مزمـــاره سحراً علـــى القســـوس بتـــرجيعٍ ورنّاتِ
وقـد مجنِـتُ وعلّمـت المجـون فما أدعـــي بشـــيءٍ سوى ربٌّ المجاناتِ
وذاك أنـــي رأيت العقـــل مطّرحاً فجئـــت أهـــل زمانـــي بالحمـــاقاتِ
إنـــي سأدخـــل عذّالـــي علـــى عذلٍ في الحـــبّ أن عذلوني في الحراماتِ
أفـــدي الـــذين نأوا والـــدار دانيةٌ وشتّتـــوا بالجفـــا شمـــل المودات
كم قد نتفـــت سبالـــي في صدودهم والصـــدّ أصعـــب من نتف السبالات[2]
سقياً ورعياً لأيّامٍ لنـــا سلفتْ بالقفص قصّرهـــا طيب اللذاذاتِ
إذا لا أروح ولا أغـــدو إلـــى وطنٍ إلاّ إلـــى ربـــع خمّـــارٍ وحاناتِ
أيام أسحـــب أذيال الهـــوى مرحاً مصرّعـــاً بين سكراتٍ ونشواتِ
عوّضـــت منهـــن أحزانـــا تؤرّقني بعـــد الســـرور وفرحـــاتٍ بترحاتِ
لولا عذارٌ تعالـــى كيف صوّره ربٌّ العبـــاد لتعذيبـــي وحسراتي
كأنّـــه مِشقـــةٌ من خدٌّ من شقيت روحـــي بهجرانـــه أو عطف نونات[3]
لمـــا حللـــت بدارٍ مالهـــا أحدٌ إلاّ أنـــاسٌ تواصـــوا بالخساسات
لو كنـــت بين كرام ما تهضّمني دهـــرٌ أناخ علـــى أهـــل المروءاتِ[4]

ومنها :

لو نيل بالمجـــد في العلياء منزلةٌ لنـــال بالمجـــد أعنـــان السمواتِ
يرمـــي الخطـــوب برأيٍ يستضـــاء به إذا دجـــا الـــرأي من أهـــل البصيراتِ
فليس تلقـــاه إلاّ عنـــد عارفةٍ أو واقفـــاً في صدور السّمهريّاتِ[5]

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي.
(٢) السبال : الشارب.
(٣) المشقة : طول ورقّة في الخد.
(٤) تهضّمني : أنقصني حقوقي ـ ظلمني.
(٥) السمهري : الرمح.

يا من غدت أوجه الأيام مشرقةً بجوده مستهلاتٍ منيراتِ
مالي بلا سبب غودرت مطّرحاً وقد حرمت عطاياك الجزيلاتِ
ولي مدائح قدماً فيك سائرةٌ مستطرفاتٌ بألفاظٍ طريفاتِ

ومن أخرى [من البسيط] :

كلٌّ بشعريَ مفتونٌ ومشغوفُ وجيّد الشعر منعوتٌ وموصوفُ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به ومن يقوم بأمرٍ فيه تكليفُ
لأنتفن سبالي طاعةً لهمُ والذّقن إن دام ذا الإعراض منتوفُ
أمسي وأصبح مجفوّاً ومطّرحاً هذا ورأسي وما والاه مكشوفُ
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا رزقي قذالٌ أصمُّ السمع مكفوفُ(١)
من تلك أقفية القوم الكشاخنة الـ ـفدم الذين لهم منها مجاديفُ(٢)
مفوّقات بتنفيشٍ وأطبعها لا شكّ ما فيه تنفيشٌ وتفويفُ
معطوفةٌ وبنفسي يا ابن أمّ قفا على الأخادع مثنيٌّ ومعطوفُ
كم قاتلٍ ويداه في أطايبه وطيّب الشيء مجنيٌّ ومقطوفُ
فإن يكن ذا فلا غروٌ ولا حرجٌ فللّيالي وللأيّام تصريفُ
هذا الذي من رآه دون ملمسه لم يأكل اللحم إلاّ وهو معلوف
ولم يمدّ إلى رأسٍ على طربٍ يديه إلاّ وفي اليمنى تطاريفُ(٣)
بينا يرى الثوب منشوراً بلا سببٍ حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفُ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي إلاّ نتيجة رأسٍ فيه تخفيف ؟(٤)
ألِفتهُ حسب مالي من محبّته دون البرية والمحبوب مألوفُ

---

(١) القذال: القفا.
(٢) الكشاخنة : الفسدة والفسقة والفدم الأحمق الغليظ.
(٣) التطاريف : من الأطراف.
(٤) ألحى : ألام .

إلف المكارم والجدوى فتىً أسدٌ محمدٌ خير من ناداه ملهوفُ
حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتملٌ على السّماح ببذل العرف معروفُ
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا تصرّفت ببني الدّنيا تصاريفُ
ندبٌ نماه كرام سادةٌ نجبٌ شمّ الأنوف بها ليلٌ غطاريفُ[1]
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ولا يحيط بها وصفٌ وتكييفُ

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعرِ ؟ لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إنْ دجا خطبٌ ونابت نوب الدّهرِ
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجرِ
تحيّرت فما أدري الذي أصنع في أمري
على أنّيَ بالدّهر وبالأيام ذو خبرِ
ولكنّيَ للحيرة سكرانٌ بلا سكرِ
كأني لست مخلوقاً لغير الجهد والضرّ
ومذ كنت فمدفوعٌ إلى الفاقة والفقرِ
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصرِ؟
وفي الآفاق أقوامٌ يميلون إلى شعري
ونبّئت بأنّ القوم لا يخلون من ذكري
ففيم الترك للسير؟ وهل في ذاك من عذرِ؟
وقد قدّمت أثقالي وسيري غرّة الشهرِ
فأمّا أكثر الحمقِ فقد سيّرت في البحر
وباقيه معي يذهب في البرّ على ظهري

---

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحبّ للخير وكثيرة والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل.

ولا أتــرك في مصر لذكر الحمــق من أثرِ
فمــن بعــدي ليطبيـ ـه في النظم وفـي النثر ؟[1]
ومــن يلعــب في الرأس من العصــر إلــى العصر ؟
ومَــنْ مِنْ شدّة الصفع له رأسٌ بلا شعر ؟
ومــن هامتُــهُ أقوى علـى الصّفـع من الصخرِ ؟
ومــن يضــرطُ في الذّقن بلا كيلٍ ولا حزر ؟[2]
ومــن ينتف بالدّبق سبــالاتِ بنــي البظر ؟[3]
ولكنّــيَ لا كنت لمــا فيَّ من الكبرِ
إذا أمْرانــيَ الصّفع تجشّــأت من الدّبرِ[4]
وهيهــات ترى صفعاً لغيري أبــداً يمري

ومنها :

ألا يا منتهـى الجود ويا ذا المجــد والفخر
ويا ابــن السّــادة الغر ويا ابــن الأنجــم الزهر
ويا أبهــى من الشمس ضياءً ومــن البدرِ
لمــاذا أنــت لا تعدي علــى الأيّام والدّهر ؟
همــامٌ طاهــر الذّيلِ سليل السّــادة الغرِّ
كريم الأصــل والخيم رحيب البــاع والصدر[5]
جــوادٌ غير مدفوعٍ عن الإفضــال والبرِّ

(١) أطباه : دعاه .
(٢) الحزر : المقدار والمعرفة .
(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .
(٤) أمراني : يقال أمري الدَم: استخرجه وربما الصفع أمرى دموعه .
(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلٍّ له عارفةٌ تسري[1]
لقد عمّت أياديه جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبُ فعلوا بي غير ما يجبُ
قرقرت بطني فواحزني ذقن من بالسّلح يختضب[2]
هرباً من شرّها هرباً فعسى أن ينفع الهَرَبُ
ذهب النّاس فما أحدٌ يشتهي أن تنفخ القربُ
حزَنني أنّيَ مذْ زمنٍ ما لعبناه ولا لعبوا
ولكم بتنا على طربٍ ورؤوس القوم تستلب
وكؤوس الصفع دائرةٌ ملؤها اللّذات والطّربُ
وانتخبناها وهامهمُ وأكفُّ القوم تصطخبُ
وكأنّ الصفع بينهمُ شعلُ النّيران تلتهبُ
والعمى منهم وإن شغلوا عنه باللّذات مقتربُ
سوف يدرون أيما رجلٍ ضيّعوا مني إذا طربوا
بسيوفٍ شركها أدمٌ مرهفاتٍ للعمى سببٌ[3]
وعجيبٌ والحسين له راحةٌ بالجود تنسكب
أنّ شربي عنده رنقٌ ولديه مربعي جدب[4]
وله الوِردُ المعاذ به والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل.
(٢) القرقرة : أصوات الريح في البطن.
(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به.
(٤) الرنق : الكدر.

وهــو الغيث الملــثّ إذا أعوزتنــا درّهــا السُّحب[1]
وإلــى الرسّــيّ ملجؤنا من صروف الدهــر والهربُ
سيدٌ شادت علاه له في العــلا آبــاؤه النجبُ
ولــه بيتٌ تمــدّ له فوق مجرى الأنجم الطنب[2]
حسبــه بالمصطفــى شرفاً وعلــيٍّ حين ينتسبُ
رتبــةٌ في العــزّ شامخةٌ قصّــرت عن نيلهــا الرتبُ
ذاك فخــرٌ ليس تنكره لكُمُ عجْــمٌ ولا عرب
ولأنتــم من بفضلهمِ جاءت الأخبــار والكتب
وإليكم كلّ منقبةٍ في الورى تعزي وتنتسب[3]
وبــكمْ في كلّ معركةٍ تفخــر الهنــديّةُ القُضُبُ[4]
وبــكمْ في كلّ عارفةٍ ترفــع الأستــار والحجب
وإذا سمــر القنــا اشتجرت فبــكم تستــكشف الكُرَبُ[5]

وقوله من قصيدة في الرسّي أولها [من مجزوء الرمل] :

بــاح وجــداً بهواه حين لم يعــط مناهُ
مغــرمٌ أغــرى به السّقــــــم فمــا يرجــى شفاهُ
كاد يخفيه نحــول الـ ــجســم حتــى لا تراهُ
لــو ضنــاً يخفــى عن العيــــــنِ لأخفــاه ضناهُ

ومنها :

حبّــذا الرسّــيُّ مولىً رضــيَ النّــاس ولاهُ

---

(١) الغيث الملثّ: المطر الهاطل والدرّ : يعني به مطر السحاب.
(٢) الطنب : الحبال .
(٣) المنقبة : المأثرة.
(٤) الهنديّة القضب : السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.
(٥) اشتجرت : تداخلت وتشابكت في العراك.

جعــل الله أعاديـــــه من الســوء فداهُ
فلقــد أيقــن بالثر وة من حلَّ ذراهُ
مــن رقــى حتــى تناهى في المعالــي مرتقاه
فــات أن يبلــغ في السؤ دد والمجــد مداهُ
ملكٌ مذ كان بالسطــــوة ممنــوعٌ حماهُ
بحــر جودٍ ليس يُدْرَى أين منــه منتهاهُ
لــم يضــع من كان إبرا هيمُ في النــاس رجاهُ
لا ولا يفــرق من صر ف زمــان إن عراهُ[1]
مــن به استكفــى أذى الأيّــــام والدّهــرِ كفاهُ
كيف لا أمــدح من لم يخــلُ خلــقٌ من نداهُ

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لــو برجلــي ما برأسي لم أبــت إلاّ بنجدِ
خفّــةٌ ليســت لغيري لا أرانــي الله فقدي
ومحــالٌ أن يرى مثـــــلـيَ أو يبصــرَ بعدي
رجــلٌ لا يضــرط الضّر طة إلاّ بعــد جهدِ
فلــذا الأمــر تــراه يأكل التّمــر بزبدِ
غير أنّــي قيل عنّي إنّنـــي مغــرىً بدعدِ
وبليلــي وبسلمي وبســعــدى وبهندِ
ثــم لا أملك شيئاً غير سنّــورٍ وخلدِ[2]
وحماقــاتٍ وعمري إنّ لي رأســاً مرنديِ[3]

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : آصابه وحلّ به .
(٢) السنّور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاً عدّة .
(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمُّل .

أصبـر الأرؤس في صفـــع بلا حزرٍ وعدٍّ

ومنها :

خلقـت كفّـاه من جو د لراجيه ورفدِ
مــوردٌ يورِد راجيـــه إلـى أعـذب وِردِ
لا خلا من منّـةٍ منــــه إلـى الأحـرار يسدي[1]
فهــو القائـم بالحـــقّ وموفـي كلّ عهدِ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبـي لك الخير بالأفـراح معمورُ مستبشـرٌ جذلٌ بالفتـح مسرورُ

يقول فيها :

خذ في هناتـك ممّـا قد عرفـت به ممّـا به أنـت معـروفٌ ومشهور[2]

واحـك العصـافير صي صي صي صصي صصصي
إذا تجاوبـن في الصبـح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومـن هوسٍ قليلـهُ لكثيرِ الحمـق إكسير[3]
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهمْ وكيـف يُدْرَكُ ما فيه قناطيرُ
لا تنـكرنّ حماقاتـي لأنّ بها لواء حمقـيَ في الآفـاق منشورُ
ولسـت أبغـي بهـا خلاً ولا بدلاً هيهـات غيري بتـرك الحمـق معذور
لا عيب فيَّ سوى إنّـي إذا طربوا وقـد حضـرت يرى في الـرأس تفجير

---

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم.
(٢) الهناة : الدّهاء .
(٣) الإكسير : ما يلقى على الفضة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافـات أصحـاب الكيمياء القديمة .

والأخدعـان فمـا زالا يُرى بهما لكثـرة المـزح توريمٌ وتحمير[1]
وذا الفعـال مع الإعـراض مطّردٌ صفـعٌ ونقـعٌ وتيسيرٌ وتعسير
فذا وذاك وهـذا ثم ذاك وذا كذا الليالـي لهـا صفـوٌ وتكدير
أستغفـر الله ممّـا قلتـه عبثاً لغير شيءٍ وما في الصّـحف مسطور
أقـول للنفس لمـا استشْعَـرَتْ جزعاً وبـات يردعها خوفٌ وتحذير
إنّ الإمـام نزاراً مدحـه فثقي ذخـرٌ لمثلك عنـد الله مذخور
هو الـذي ليس بعـد الله من أحدٍ سواه في النـاس محمـودٌ ومشكور
مشمّـرٌ في المعالـي ذيل مجتهدٍ ومالـه في سوى العلياء تشمير[2]

ومن أخرى [من الوافر]:

أترضـى بالتخلُّف والتـواني على ضربِ اللّجاجـة والحـرانِ؟[3]
ومـا أنـا والأحـاديث اللواتي تزهـد في المثالـث والمثاني ؟
ألا طربـت إلـى النشـوات نفسي وتقـت إلـى معتّقـةِ الـدّنان[4]
كمـا طربـت أباريق النـدامى إلـى أصـوات قهقهـة القناني
ويومـك إذ تطـوف بـه فتاةٌ علـى الخدّين منهـا وردتـان
مهفهفـة القـوامِ إذا تثنّتْ تثنّـتْ كـالقضيب الخيزران[5]
ولـم أر قبلهـا شمسـاً تبدّت ولا قمـراً بـأعلـى غصـن بـان
لحـاه الله من شيخٍ ضـروطٍ ضجيجٌ ضـراطـه بالنهروان
ولـكن رأسـه جـلْـدٌ جليدٌ صبـورٌ عنـد مختلف الطعـان

---

(١) الأخدعان : عرقان في العنق .
(٢) مشمّر : متأهّب .
(٣) الحران : العناد .
(٤) تقـت : اشتقت .
(٥) تثنّت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه   غدا وقفاً على حربٍ عوان[1]
ولا سيْما إذا الأيدي توالتْ   عليه والتقت حلق البطان[2]

ومنها :

إلى من راحتهاه ندىً وجودٌ   علينا بالمواهب ثرَّتان[3]
كريمٌ لا يدافع عن سماحٍ   جوادٌ ماله في الجود ثان
تناهت عنده الآمال لمّا   غدا أقصى النهاية في الأماني

ومن أخرى [من مجزوء الرمل]

كلام باطل لا يصح

كلُّ يومٍ أنا من إيـ   ـريَ في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من هـمٍّ   وحزنٍ واكتئاب
لم يدعْ لي ذهباً إلاّ   رماه بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يعـ   ـمل في امر التّباب[4]
هل مجيرٌ ليَ منهُ   أهلَ ودِّي وصحابي
أو وإلاّ تبت والرحـ   ـمن من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلايا   ـهُ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفيـ   ـت قليل الاضطرابِ
وتجزَّيت بنزرٍ   من طعام وشرابِ
ولما طال انتزاحي   عن بلادي واغترابي[5]
لعنة اللّهِ عليه   وبراغيثُ الكلاب

---

(١) الحرب العوان : الحرب الضّروس المتتابعة .
(٢) حلق البطان : أي بطون الأكف .
(٣) الثرّة : المنعمة بالخير الكثير .
(٤) التباب : الهلاك والخسران .
(٥) الانتزاح : الابتعاد .

فَلَكَمْ أوقفني موقف خزيٍ واكتئاب
ولكم أغلقت باباً من هواه دون باب
ربَّ قد أبليتني منه بمعتوهٍ مصاب
عينه في كلِّ من دبَّ على وجه التراب
ثم لا يرضيه منه غير دبرٍ مستطاب

ومنها :

وبإحسان تميمٍ عُذْتُ من عُظْمِ مصابي[1]
بالأمير السيِّد الماجد والقرم اللَّباب[2]
والهمام المنعم المفضل والبحر العباب
والذي لا فرق ما بين جداهُ والسَّحاب[3]
تنثني منه الى ذي كَرَمٍ رحبِ الجناب
رافعٍ دون بني الآمال أستار الحجاب
لم أزره قطُّ إلاَّ بتُّ محمود الإياب
ذكره أعذب في الأنفس من ذكر الشباب
ولقد رقَّ عن الماء وعن طبع الشراب
أكثمٌ في الرأي والفضل وقسٌّ في الخطاب[4]

وقوله [من الكامل]:

كتب الحصير إلى السريرِ أنّ الفصيل ابن البعيرِ

---

(١) عذتُ : احتميت .
(٢) القرم : السيد ، واللَّباب : الخالص من كلّ شيء .
(٣) جداه : تفضّله وكرمه .
(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قسّ بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجةٍ بقَيرِ[1]
فلأمنعنَّ حمارتي سنتين من علف الشعيرِ
لا همَّ إلاّ أن تطير من الهزال مع الطيورِ
فلأخبرنَّك قصّتي فلقد وقعت على الخبير
إنّ الذين تصافعوا بالقرع في زمنِ القشور
أسفوا عليَّ لأنّهمُ حضروا ولم أكُ في الحَضورِ
لو كنت ثمَّ لقيل : هلْ من آخذٍ بيد الضّريرِ؟
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
متشمّراً متبختراً للصفع بالدلْو الكبيرِ
فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
ياللرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فإنّهُ يستلُّ أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبخو ر فلا تملّوا من بخور
ولأذكرنّ إذا ذكر ت أحبتّي وقت السحور
ولأحزننَّ لأنّهمْ لمّا دنا نَضْجُ القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكلُ الفطير
لا والذي نطق النبيُّ بفضله يوم الغدير
ما للإمام أبي عليٍّ في البرّية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب]:

سلامٌ على الربع ربع الجدا سلامٌ على تمره واللّبا[2]

---

(١) طباهجة : اللحم المشرّح ، بقير : مقطّع ومشقّق .
(٢) اللّبا : أوّل اللبن عند الولادة .

سـلامٌ عليه سلام امرئٍ ... معنًّـى بتـذكار ما قد مضى[1]
سـلامٌ عليه فكمْ موقفٍ ... وقفنـاه فيه نذير الدلا
لعهـديَ فيه شيوخٌ لنا ... غلاظ الرّقـاب عراض اللحى
إذا ما قبضـت علـى لحيةٍ ... ونـاديت بطنـي أجـاب الخرا
وكنّـا من الظّـرف لو أنّنا ... أقمنـا نصافـع شهـراً ولا
نعيب الوفـاء ولهفـي على ... أخـادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألاّ أدير اللّطام ... إذا الصفـع دار وكلّـي قفا
وقـد كنـت تبـت ولكنّني ... إذا الصفـع دار أتانـي الجشا
فـلا تتـرك الصفـع جهـلاً به ... فمـا أطيب الصّفـع لولا العمى
ومالـي أكاتمـكمْ قصتّي ... رأضـرب بالطبـل تحـت الكسا
إذا كان في الصيف لي جنّةٌ ... لأيّةِ حالٍ أذمُّ الفِرا[2]
ولـم أكسـبِ الحمـق لكنّني ... خلقـت رقيعـاً كمـا قد ترى
لقـد فقـت فيه كمـا الفارسـيُّ في الرَّمـي فاق جميع الورى
كأنّ البنـادق طوعٌ لهُ ... فهـنَّ يصبـن له ما اشتهى
إذا ما رمـى طائـراً حطَّهُ ... ولـو أنّـه بمـكان السُّها[3]
فيالك من موقفٍ مبهجٍ ... عجيبٍ ومـن منظـرٍ مُشتهى
فعيد الـطيور به مأتمٌ ... وأضيافـه عنـده في القِرى

ومن أخرى [من مخلع البسيط]:

عـاذلِ كمْ فيه تعذليني ... وكمْ إلـى كم تؤنبيني
لـو بك ما بي من التصابي ... لكنـت لاشـك تعذريني

(١) معنّى : مولعٌ ومغرم ومُشقى .
(٢) الفرا : يعني الفراء .
(٣) السّها : النجوم .

إنّ الــذي قد أذاب جسمي ... بالثّغــر والجيد والجفونِ
بــدر تمــامٍ علــى قضيبٍ ... ركّبَ من نغمــةٍ ولين
مــا شئــت من نرجسٍ جنيٍّ ... غضٍ وورِدٍ وياسمين
عينــاه تسطــو علــى فؤادي ... والمــوت في سطــوة العيون

ومنها :

فــأطيب العيش كان عندي ... أيّام للفســق قلّدوني
وكنــت طبّــاً به بصيراً ... وأقــوَدُ النّــاس في سكونِ[1]
فــكم غزالٍ أخــذت قسراً ... وكم مليحٍ حوت يميني
والنــاس يسعــون نحــو داري ... من كلِّ أرضٍ ويقصدوني
فــذا يوافــي بثــوب خزٍّ ... وذا يوافــي بثــوب توني[2]
وذا يفــدِّي وذاك يهدي ... وذاك يمضــي وذا يجيني
وكلٌّ علــقٍ الــى مراحي ... أهــدى من الــطير للوكون[3]
وكان خلقــي لهــم رضيّاً ... أصفعهــم ثم يصفعوني
قــد أجمــع النــاس أنّ حمقي ... أحســن من عفتــي وديني
قــد عشــث دهــراً أعــول عقلي ... والنّــاس إذ ذاك يبعدوني
فمــذ تحامقــت قد كساني ... حمقــي وقــد عالنــي جنوني
ومــن بلائــي أبــو عميرٍ ... معــرِّضٌ لي إلــى المنون
منتصــبٌ ما ينــام وقتاً ... وليس يهــدى من الرنين
مــن كان ذا زوجــةٍ فإنّي ... لشقوتــي زوجتــي يميني
عميرةٌ قد جلــدت حتى ... خشيت والله يجلدوني

(١) طبّاً : عالماً .
(٢) التوني : نوع من الحرير .
(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبوا الله في أموري فطلقوها وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهل ذا المنزل هل حيلةٌ تنجي فمن ظبيكمْ مُعطبي
عقرب صدغيه فقلبي إذا همّ توقّى لدغة العقرب
وكلّما لاحظني طرفه لاحظني عن مقلة الرّبرب
يبسم إنّ ناولني ثغرَهُ عن ذي غروبٍ واضح أشنب[1]
أنجبت في الحمق وهل فاضلٌ كناقصٍ في الحمق لم ينجبِ
لو علموا ماليَ من لذةٍ لم أُلحَ في الحمق ولم أعتب[2]
أعتبني الدهر ولولا الذي عمّ الورى بالبذل لم يعتب
لما رأى الآمال مصروفةً إلى السّديد ابن أبي الطيب
فارقني من شرّه صاحبٌ كان لعمري شرُّ مستصْحَبِ
هناك لو تبصرني تائهاً على بني الدهر تعلّقت بي
تطلب منّي نائلاً بعد أن كنت أرى الرّزق مع الكوكب
كذاك من صاحبٍ من لم يزلْ ربّ جنابٍ ممرعٍ مخصب
أكرمُ من جاد فما بعدَهُ لطالبيْ جدواه من مطلب
أوّل من يثني به خنصرٌ وأصفح النفس عن المذنب
مهذب الآراء محمودها مفضّلٌ في الشرق والمغرب
لا فرق عندي بين أقلامه وبين فعل الصارم المقضب
ما استلّها إلاّ أذلّتْ لهُ من الأعادي كلّ مستصعب

---

(١) عن ذي غروب أشنب: يقصد الرضابَ البارد.

(٢) ألحى: ألام.

ومن أخرى [من المجتث]:

إنّـي ليرتـاح قلبي إلـى اصطحـاب المثاني
بحيث تنفـي همومي معتّقـاتُ الدِّنـان
مـع شادنٍ ذي دلا لٍ مهفهفٍ فتّان
يرنـو إلـيَّ بطرفٍ وناظرٍ وسْنـان[1]
أعـار حسـن التثنّي تثنّـي الأغصـان
إذا تبسّـم تيهاً يفتـرُّ عن أقحوان
لأسخطـنَّ عذولي فيه بخلـع العنـان
فقـمْ رفيقـي فاحثثْ كؤوسنـا غير واني[2]
وهاتهـا كسنـا البر ق لا ح من نعمان
صفـراء ممّـا اقتناها كسـرى أنـو شروان
صفـت ورقّـت ففاتت إدراكهـا بالعيان
فليس تـدرك بالحـسِّ لا ولا الأذهان
روحٌ من الـراح لكنّـهـا بـلا جثمان
فالـريحُ للمسـك منهـا واللـون للـزعفـرانِ[3]

يقول في مدحها:

مـن قال من غير خيْرٍ بأن في النـاس ثاني
لسـؤدد ابنـي عليٍّ قد جاء بالبهتان[4]
يداهمـا بالعطايا وبالنّـدى ثـرّتـان

(١) يرنو: ينظر، والوسنان: الناعس.
(٢) فاحثث: أسرع وعجّل، والواني: المبطىء.
(٣) الزعفران: نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة.
(٤) البهتان: الزور والكذب.

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربَّ يومٍ قد قطعنا ه حديثاً وعتابا
وجمعنا بين خمريـن مداماً ورضابا
وشفينا غلَّة النَّفس دنوّاً واقترابا
وترشّفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهاراً فأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السّـيد والقرم اللبابا[1]
فرأينا العزَّ والثر وة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل النا س وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذَّبته فطنةُ العلم فما يخشى معابا
عرف اللّذة للبذ ل فأعطى وأثابا
وإذا ما كَرُمَ الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز]:

كأنّما عذاره سطرا سوادٍ في يققْ[2]
كأنّما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتِقْ

ومنها :

إنّ نكته فاستمعنْ نصحك من خلٍّ شفقْ

(١) اللباب : الخالص من كلّ شيء .
(٢) اليقق : الشديد البياض .

كنْ حذراً كن حذراً كن حذراً من الغرق
لأنّه من سعةٍ يصلح للبحر طبق
انْ قلت إنّي حسنٌ والحسن منّي مسترق
قلنا مقالاً بيّناً لا كذباً ولا خرق[1]
كلٌ امرءٍ صوّره خالقه كما اتفق
كنْ غُصُناً كن قمراً كن شمس دجنٍ في الأفق[2]
كن يوسف الحسن الذي من طينة الحسن خلق
هل أنت إلاّ خلقٌ زدت على كلٍّ خلق
يا أيها العلق الذي فقحته بلا غلق[3]
خانك في الودّ الذي بودّه كنت تثق

ومن أخرى [من المتقارب]:

خليليٌ من عامرٍ اسعدا على الشّوق خلاً بلا مسعدِ
قفا وقفةً بربوع الحمى فلولا الوفا لهوى الخرّدِ[4]
لما عجتُ بالركب مستنجداً دموعي على الطلل الملبد
معاهدُ لهوٍ كأنّ الهوى بها بعد زينب لم يعهد
فسبحان من جعل المكرمات جميعا بكفٍ أبي أحمد
وقال له كن كما تشتهي فكان النهاية في السؤدد
وهل غيره أحدٌ يرتجى ويعدى على الزمن المعتدي

---

(١) الخرق : الجهل والطيش .
(٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .
(٣) العِلق : المخنّث ، والفقحة: فتحة المخرج .
(٤) الخرّد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل]:

عــدِّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولِ
حصــحص الحــق فمــا [ذا] شئــتِ من قولٍ فقولي
غير أنّــي أقبــل النا س لشــيءٍ مستحيل
فاسمعــن منّــي ودعني من كثيرٍ وقليل
وصــغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليــل
قــد ربحنــا بالحماقا ت علــى اهــل العقول
فرعــى الله ويبقى كلُّ ذي عقــلٍ قليل
مــا له في الحمــق والخفّــــة مثلــي من عديل[1]
فمتــى أذكر قالوا شيخنــا طبــلُ الطبول
شيخنــا شيخٌ ولكنْ ليس بالشّيخ النبيل
طالمــا نادى نداما ه إلــى شرب الشمول[2]
قائــلاً بالشــادن الأغــــيد ذي الطّــرف الكحيل
أطــرب النــاس إذا غــــنّــى علــى ثانــي الثقيل
قفْ علــى المنــزل بالنحـــتين فالرسم المحيل
وقفــةَ الــوالــه للتســآل ما بين الطلول
أهملنْ دمعــك فالرا حة في الدمــع المهمول
عــدِّ عمــا أنــت فيه من محــالٍ وفضول[3]
واصــرف المــدح إلــى ذي الــــطّــول والفعــل الجميل[4]

---

(١) العديل : المثيل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدِّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الــذي ذكراه في كــــلِّ محــلٍّ وقبيلِ[1]
ذي يدٍ بالجــود أندى من ندى الغيث الهطولِ
لــم يكنْ قطّ لراجيــــــه سوى سمــحٍ منيل
أسمــح الأمّــة بالما ل وبــالنَّيل الجزيل
وإذا ما سيل الفي بالنّــدى غير بخيل
لــم يزلْ يذخــر للحا دث والخطــب الجليل
نــاهضٌ إذْ عجــز الأقـــــوام بالعــبء الثقيل
ليس يصغي في المقالا تِ إلــى عذل العذول
وإذا ما قال قولاً لم يكنْ غير فعول
ولقــد عزّت به الآ داب من بعــد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمــرك إنّــه رزءٌ عظيم ... وخطــبٌ أمــره جللٌ جسيم
رزئنــا من صلاة الله تترى ... عليه ما دجــا ليلٌ بهيم
ومــا أطّــت إلــى البيت المطايا ... وما طلعت على الأرض النجوم[2]
لعمـرك ما المصــاب به خصوصٌ ... ولــكنّ المصــاب به عموم
سقــى جدثــاً به حمّــاد أضحى ... من الوسمــيِّ هطــالٌ سجوم[3]
ففيه المجــد أمســى والمعالي ... وفيه العــزُّ والفخــر القديم
أبعــد وفاتــه يدعــى همامٌ ... لخطــبٍ أو يقــال بقــي كريم
كأنّــا يوم منْعَــاهُ إلينا ... وقــد فتــكت بأنفسنــا الهموم[4]

---

(١) القبيل : الجماعة .
(٢) أطّت : سارت وشقت الأرض .
(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .
(٤) منعاه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثـواكل حزنهـنّ علـى الليالي وإن قدم المـدى حزنٌ مقيم
وكان ربيعنـا في كلٍّ محلٍ إذا ضنّـت بوابلهـا الغيوم
جميل الفعـل محمـود السجايا يزين فعالـه كرمٌ وخيْمُ[1]

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلـى بيتـي وجاريتي أنّـى ؟ وكيف ومـا داري بدانية ؟!
أم هل سبيلٌ إلى البيت الـذي سكنتْ فيه التـي بفراقـي غير راضيةِ
لا أحمـد البعـد عنهـا بعـد معرفتي بأنّهـا لبعـادي غير حامدة
أشـكو إلـى الله دهـراً غير متّئدٍ من قبـح ما لجَّ فيه من معاندتي[2]
ما زدت فيه اجتهـاداً في معاتبةٍ إلاّ وزاد اجتهـاداً في مغايظتي
أقـول والدهـر لا يألـو مراغمةً وليس يثنيه شيءٌ عن مراغمتي[3]
يا واحـداً ليس إلاّ من يؤمّله ويرتجـى عفـوه جدْ لي بواحدة[4]
وامنـن عليَّ علـى أنّـي وإن نزحت عنّـي فمـا هي عن قلبـي بنازحة
ناشدتـك الله فيمـا أشـرت به إلاّ قبلـت ولا تهمـل مناشدتي
واستعمل السخف واتـرك ما سواه فما لذاذة العيش إلاّ في المساخفة
والصفـع إيّاك منـه فالعمـى أبداً بغير شكٍّ منـوطٌ بالمصافعة

ومنها :

لكن مدحـت حميداً فامتدحـت فتىً وقفـاً علـى منّـةٍ تسـدى وعارفةِ
رأيتـه فرأيت البـدر في أفقٍ والشـمسَ طالعـةً من كلٍّ شارقة
والبحـر معترضـاً والغيث منبجساً برائـحٍ لمـرجّيـهِ وغاديـة[5]

---

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .
(٢) اتئد : توافق وامتنع وتمهّل .
(٣) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .
(٤) جدْ : تكرّم .
(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

ساس الأمور بآراءٍ مهذّبةٍ صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه موفّقُ الرأي محمود المخاطبة
ذو أنملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً إلاّ وفلّ شباه كلّ حادثة[1]
في كلّ يومٍ له نعمى مجدَّدةٌ ليست إذا طلعت عنّا بآفلة
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
حتى رأيت صروف الدهر عائذةً من بعد ضربي وحربي بالمسالمة

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد وعن حال الصلاح إلى الفسادِ
ولو عاينت ما لك في ضميري ولو شاهدت ما لك في فؤادي
إذاً لعلمت أنّك منه تُمسي وتصبح دون غيرك في السّواد
فما آلوك نصحاً في ودادٍ ولا آلوك جهداً في اجتهاد[2]
وليس سوى المودّة والتصافي أبا عبد الإلّه لك اعتقادي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك في طلب المعالي وكسب الحمد غير فتىً جواد
ومن ألف المكارم والعطايا كإلفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بما حواه وأن يهب الطّريف مع التلاد[3]
ووعدك في الحياة له مرادي ولست أريده يوم التناد[4]

ومنها :

فكم مننٍ قرنت بهنّ شكراً كشكر الروض منهلُّ الغوادي

---

(١) انتضت : استلّت وحملت ، فلّ شباه كلّ حادثة : أي قصمها وقطّعها وأعان من أصابته عليها .
(٢) آلوك : أقصرّ في نصحك .
(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .
(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمَّد من أيادٍ لديَّ ومن جميلٍ وافتقاد

ومن أخرى [من البسيط] :

ليلي بتنّيس ليلُ الخائف العاني تفنى الليالي وليلي ليس بالفاني[1]
أقول إذ لجَّ ليلي في تطاوله يا ليل أنت وطول الدهر سيّان
لم يكف أنّي في تنّيس مطرَّحٌ مخيّمٌ بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما للنوم إذ بعدوا عهدٌ بأجفاني
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهمِ إلاّ تذكرت أيّامي بنعمان
ولا حننت إلى نجرانَ من طربٍ إلاّ تكنّفني شوقٌ لنجران[2]
لا تكذبنَّ فما مصرٌ وإن بعدتْ إلاّ مواطنُ أطرابي وأشجاني
ليالي النّيل لا أنساك ما هتفتْ ورق الحمام على دوحٍ وأغصانِ
أصبو إلى هنواتٍ فيك لي سلفتْ قطّعتهنَّ وعين الدهر ترعاني[3]
مع سادةٍ نجبٍ غرٍّ غطارفةٍ في ذروة المجد من ذهلِ بن شيبان[4]
وذي دلالٍ إذا ما شئت أنشدني وإن أردت غناءً منه غنّاني
سقيته وسقاني فضل ريقته وجاد لي طرفه عفواً ومنّاني
ما زلت أجني بلحظي ورد وجنته وأستغير على تفّاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافيةً حتى توسَّد يسراه وخلاّني
الله يعلم ما بي من صبابته وما عليَّ جناه طرفه الجاني
كم بالجزيرة من يومٍ نعمت بهِ على تصاخب نايات وعيدان
سقياً لليلتنا بالدّير بين رباً باتت تجود عليها سحب نيسان[5]

(١) العاني : الشاكي والقلق .
(٢) تكنّفني : أحاط بي ، وشملني .
(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .
(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتي الجميل .
(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطـلُّ منحـدرٌ والـروض مبتسمٌ عن أصفـرٍ فاقـعٍ أو أحمـرٍ قانِ[1]
والنّـرجس الغضُّ منهـلٌّ مدامعه كأنَّ أجفانـه أجفـان وسنان

ومنها :

أستغفـر الله من عقـلٍ نطقـتُ بهِ ما لي وللعقل ليس العقل من شاني !؟
لا والـذي دون هذا الخلـق صيَّرني أحدوثـةً وبحـبُّ الحمـق أغراني
ما للشذائـيِّ من مثْـلٍ يقـاس بهِ ولا له في اصطنـاع العـرف من ثان
مهـذَّبُ الـرأي محمـودُ خلائقه رحـبُ المـكارم سمـحُ غير منّان
من كان في الجـود والإفضـال لذّته لم يخلـه الجـود من فضـلٍ وإحسان
وجملـة الأمـر فيه أنّـه رجلٌ يراقـب الله في سرٍّ وإعلان
إن كنـت قلـت سوى ما فيه أعرِفُهُ إذاً كفـرت بمعبـودي وديّاني
إذا جرت يده في الطّـرس كاتبةً تبلّـج الطـرس عن درٍّ وعقيانِ[2]
وإن تكلـم جاءتـه براعتـه بكلٍّ ما شاء من فهـمٍ وتبيان

٢٦ ـ أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعتـه[1] ، وهـو أحـد الفضـلاء المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكنـي حلـب العوا صم جادهـا صوب الغمامهْ
أنـا في مدينتـكم غريـــبٌ لست من أهـل الإقامهْ

---

(١) الباقـع : الخالص الصافي من الألوان .
(٢) الطرس :الصحيفـة ، تبلّج : أشرق

والخـــان يحـــدث للغريـــــــــب إذا أبـــنّ به سآمهْ[2]

فقرضـــتُ من طول المقا م بهـــا وأعـــوزت المدامه

وخرجـــتُ في بعض الليا لي قاصـــداً باب السلامه

وشربـــتُ من بئـرٍ بها من يأتهـــا ينقـــعْ أوامه[3]

ورتعـــتُ فـــي فلواتـــه وعلـوت مرتقياً أكامـه[4]

فلمحـــت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامـه[5]

فســعيت أحســبها غـرا باً أو حداةً أو حمامه[6]

وإذا بأسـود كالفنيـــــــق يقـــلُّ إيراً كالدّعامه[7]

وإذا بشيخٍ تحتـه حسـن الوسـامة والقسامـه

والشيـخ يعصـر تحتـه قد بلَّ من عرقٍ حزامه

فزجـرتُ نايكـه فقا ل له ألســـت ترى مقامـه

انهـض فديتـك علّنـا نقضـي بنهضـتنـا ذمامــه

ونعـود بعـــد عزوبـه عنّــا وتربحنـــا خصامـه

فسطـــا عليه وقـــال نكْ لا كان ذاك ولا كرامه

هـــذا الـــرقيـع بعينـه ليَ في رقاعتـــه علامـه

لـــولا فضـــولٌ فيه لم يصرف إلـى دبـري اهتمامهْ

وبـكى وقـال ليَ امْضِ ويـــــــحك واســأل الله السلامه

---

(١) الباقعة : الرجل الذكيّ الدّاهية .

(٢) أبنّ : أقام بالمكان .

(٣) الأوام : العطش .

(٤) الأكام : القمّة والمرتفع .

(٥) الهامه : طائرٌ كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتيل ويطلب الثأر .

(٦) الحدأة : طائرٌ كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .

(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشكره لما صار سر ... مك لا يريد له صمامه[1]
واعلم بأنّي كنت من ... أهل الرّياسة والزّعامه
يُومي إليَّ إذا عبر ... ت يقال ذا ابن أبي أسامه
حتى ابتليت بمبعري ... فحصلت بين الناس شامه
فعجبت من تلك الفصا ... حة وهو يعفج والعرامه[2]
شيخٌ له سمةٌ تخا ... طبني بألفاظٍ مقامه
والأير يغرق في استه ... قد غاب في مفساه قامه
فتضاحك الحبشيُّ منـ ... ـه وقال لا تسمع كلامه
هذا وعيشك دأبه ... من قبل مبلغه احتلامه
أبدا يباري باسته ... بين الورى صوب الغمامه
واستلّه من دبره ... وكأنّه عنق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قال منشا يوماً لسعدانه ... وهي سحور العينين فتّانه
من بعد أن غلّف العوارض بالـ ... ـطّيب وغلا بالمسك أسنانه[3]
وامتص من خمرةٍ معتّقةٍ ... تحول بين الدّنان في الحانه
وكان خشفٌ قد باسها بفمٍ ... وهي من البوس بعد شبعانه
هل لك في قبلةٍ وهاك خذي ... خمسين حمراً وحلّ هميانه[4]
قالت له هاتها ودونك فاسـ ... ـطعني بجعصٍ وعجّل الآنه
فباسها ثم قال قد بقيتْ ... أخرى فقالت وعظّمت شانه

(١) الصمامة : السدّة .
(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدّة والقوّة .
(٣) العوارض : الأسنان .
(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

مـا هي قل لي ألـم أبس شرجاً   جمّشـت أعفاجـه ومصرانـه[1]
ألـم أقـدمٍّ فمـا أضـنّ به   إلـى كنيف أطـرت ذبانه ؟
فقـال أن تدخلـي لسانـك في   فيَّ فردت مردٌّ حردانه
يا ألف كشخـان وابـن زانيةٍ   نعـم ويا زوج ألف كشخانه[2]
لـم ترض أنّـي قبّلـت مقعدةً   تحـت سبـالٍ كأنّهـا عانه
حتـى تنـاهيت في الهـوان فشبّهـ   ـت لسانـيَ ببنـت وردانه[3]

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشـا قد زاد في التّيه   وزاد في شامنـا تعدّيهِ
فـلا ابنُ هنـدٍ ولا ابـن ذي يزنٍ   ولا ابـنُ ماء السما يدانيهِ
وهـو مغيظٌ عليّ الـوصّي ومنْ   يعـزى إليه من يواليهِ
يذكر أيّام خيبـرٍ بهمِ   وهـم قذىً جال في أماقيهِ
وقـد حكى أن فاه أطيب من   سرمـي وأنّي ممّـن يعاديهِ
ومـن يقـول القبيح فيه ومن   أصبـح بالمعضـلات يرميهِ
فسـوكوه بكلّ طيّبـة الر   يح تعفـي على مساويهِ[4]
ومضمضـوه بالخـلّ واجتهدوا   معـاً بكلّ اجتهـادكم فيهِ
وأطعمـوه من الجـوارش ما   يعمـل بالمسـك والأفاويهِ[5]
واسقـوه من خمـرةٍ معتّقةٍ   قد صانهـا القسُّ في خوابيهِ
واستفقحونـي واستنكهـوه فإنْ   كان لسرمـي فضـلٌ على فيهِ

(١) الشرج : المخرج ، وجمّش : داعب وقبّل .
(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .
(٣) بنت وردان : بنت آوى .
(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلّل به الأسنان من بقايا الأطعمة .
(٥) الجوارش : نوع من الحلاوات .

فحمّلـوا الكلـب والحمار على عيالـه واصفعـوا محبّيهِ

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكبـاً يقطـع عرض الفلا على أمـونٍ جسرةٍ حرف[1]
أبلـغ أبـا سهـلٍ إذا جئته رسالـةً عن عبـده المنفي
وقـل له عرنـين ذاك الفتى في حالـةٍ جلَّـت عن الوصفِ[2]
قـد ذاب مذ ليلـةٍ ساررته وصـار للسقـم على النصفِ
يبـكي فما ترقـا له عبرةٌ ويسهـر اللّيل فما يغفي
حزنـاً على أرنبـةٍ غودرت تقطـر قطـراً من دمٍ صرفِ
فهـو بسرم الكلـب يا سيدي من داء أنفاسـك يستشفي
مَـنْ عاذري مِنْ رجـلٍ زرته للحـين والإدبـار والحرفِ
فقـال عنـدي لك أحدوثةٌ مليحـةٌ تكتـب في الصحفِ
فـادنُ لكي تسمعهـا واحتفظْ بالسر في مكنـون ما تخفي
فقمـت للغفلـة مستعجلاً أمشي برجلي إلى حتفي
ففـاه عن أنتـنِ مَنْ جعسه يعـدُّ بـين البخـر بالألفِ[3]
وشـاربٌ فيه دمٌ فارثٌ ولثّـهُ تشخب كالخلف[4]
تحـوم ذبـانُ الخـلا حوله مثـل حمـامٍ طار من كفٍّ
كشعـر زقِّ الـدّبس أو شعـرة الـ ـحـائض أو مكنسـة الكنفِ[5]
وشـكٌّ خيشومـي بنشّابةٍ من يد حرٍّ طامشٍ وجْفِ[6]

---

(١) أمونٍ : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .
(٢) العرنين : الأنف .
(٣) الجعس : الرجيع مولّد ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس .
(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الـكرش، والدم الفارث : المتجمّد .
(٥) الكنف : المرحاض .
(٦) الوجف : المضطرب .

تصمى العرانين ولو أنها في الدلص الموضونة الزغف[1]
وتدرك الهارب منها ولا ينجو ولو كان على طرفِ[2]
فانغمرت روحي وناديته يا أيها الثعبان بالكهفِ
بحق من كلّم موسى على الطور فدكّ الطور بالرَّجفِ
هبْ ليَ ما أبقيت منّي فقدْ أشفى على مثل شفا الجرفِ[3]
ولم أزل أدفعه جاهداً وقد تقاعست إلى خلفِ
فانقدَّ بعض الثوب في كفّهِ وقال أفلتَّ فيالهفي
وكان للحين على موضعٍ مستشرفٍ مرتفعِ السَّقفِ
فانكسرت ساقي وهيْضَتْ يدي واندقَّ صدري ووهى كتفي[4]
وقمت أجري بعدها هارباً أسعى على رجلي كالخشفِ[5]
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا قائله واسمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا فلتكن الآنافُ في غلف[6]
ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها غسل الدرابيك أو القطفِ
وبخِّروها بعد تطييبها بكلِّ شيءٍ طيِّب العرف
وما أرى سائر ما قلته يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيءٌ سوى النتف
وسوِّكوه بخّروا أمّه في رأس كرناف من الزّعفِ[7]

---

(1) تصمي : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(2) الطرف : الجواد السريع .

(3) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(4) هيضت يدي : ضعضعت ورضرضت ، ووهى : ضعف .

(5) الخشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(6) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فـإنّ جالينــوس ما عالــج الــ ـبخــرة إلاّ بخـرا القلف[1]

وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل]:

ومهفهفٍ يزهــو عليّ بجيدهِ وبخصره وبــردفــه وبساقهِ
وافى إليّ وقلبُــهُ متخوِّفٌ كتخـوّف المعشــوق من عشّاقهِ
حتــى إذا مدّدتــه وحللــت عن كفــلٍ مبــاح الحـلّ بعــد وثاقهِ
وافــت إليّ أصنّــةٌ من دبره بخــلاف ما قد فاح من أطواقهِ[2]
فأجبتــه ماذا فقــال بحرقةٍ ودموعــه تنهــلُّ من آماقهِ
هــذا ابــن بسطــامٍ أتانــي طارقاً بلــطيف حيلتــه وحســن نفاقهِ
وعــلا على كفلي وبلغــم مثقبي بريالــه المنهــلّ من أشداقهِ[3]
فبقــى صنــان رضابــه في مثقبي زمنــاً لحــاه الله بعــد فراقهِ
فــالله يحرمــه معيشتــه كما قد سدّ مكســب مثقبــي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

مــن لعيــنٍ تجــود بالهملان ولقلــبٍ مدلّــهٍ حيرانِ ؟[4]
يا خليليّ أقصرا عن ملامي وارثيا لي من نكبتــي وارحماني
ومتــى ما ذكرت دعــوة أولا د البغــايا والعاهــرات الزّواني
فانتفــا لحيتــي وجــزّا سبالي وبنعــل الــكنيف فاستقبلاني[5]
مــا الــذي ساقني لحينــي إلى حتــ ـفي ؟ وما غالني ؟ ومــاذا دهاني ؟

---

(١) القلف : الذي لم يختتن .
(٢) الأصنّة : الرائحة الكريهة من البول .
(٣) الكفل : المؤخّرة .
(٤) المدلّه : المعذّب من العشق .
(٥) السِّبال : الشارب .

مِن عذيري من دعوةٍ أوهنت عظـ ـمي وهـدَّت بهولهـا أركاني ؟
كنـت في منظـرٍ ومستمتـعٍ عنـ ـهـا ومـن ذا يغتـرُّ بالحدثانِ[1]
فنـزت بطنتـي وهاجـت على نفـ ـسي بلاءً ما كان في حسباني[2]
كان عيشي صافٍ فكدّره أهـ ـل صفائـي بنـو أبـي صفوانِ
فارثوا لي يا معـاشر النّـاس من ضـ ـرّي ومـن طول عطلتـي وامتحاني
ضرب البـوق في دمشـق ونادوا لشقائـي في سائـر البلدانِ
النفـيرَ النفـيرَ بالخيل والرجـ ـل إلى فقـر ذا الفتـى الواساني
جمعـوا ليَ الجمـوع من خيل جيلا ن وفرغانـةٍ إلى ديلمانِ
ومـن الـرّوم والصقالـب والتّر ك وخلقـاً من بلغـرٍ واللاّنِ
ومـن الهنـد والطماطـم والبر بر والكيلجـوح والبيلقانِ
لـم يبقّـوا ممّـن عددت من الآ فاق من مسلـمٍ ولا نصراني
والبـوادي من الحجـاز إلى نجـ ـدٍ معدّيهـا مع القحطاني
كلّ ضربٍ فمـن طوالٍ ومـن حُد بٍ قصـارٍ والحـول والعورانِ
وشيوخٍ مثـل الفـراخ وشبّا نٍ رحـاب الأشـداق والمصرانِ
مِعَـدٌ جوّعـتْ ثلاثـين يوماً بسـلاحٍ شاكٍ من الأسنانِ
مـن مرنـدٍ ومـن تكينَ وطرخا ن وكسرى وخـرّدٍ وطعانِ
وخمـارٍ وزيركٍ وعجيبـبٍ وبـديعٍ وفـارسٍ وجوانِ
وجـريحٍ ونـار قسطـا ويونا ن وبـرحفشيا يوحنانِ
وطـرادٍ وَجَهْيلٍ وزيادٍ وشهـابٍ وعامـرٍ وسنانِ
قمّسٌ جمّعـوا بغـير عقولٍ ردعتهـم عنـي ولا أديانِ[3]

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .
(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .
(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هـل سمعتم بمعشرٍ جمعوا الخيـ ـل وسـاروا في الرجـل والفرسانِ
رحلـوا من بيوتهـم ليلـة المر فع من أجـل أكلـةٍ مجّانِ
يركضـون البـريد تسعـة أميا لٍ بنصٍّ الـوجيف والذملانِ[1]
شرهٌ باردٌ وحـرصٌ على الأكـ ـل بأنّـا قومٌ من المجّانِ
مـا شعرنـا ونحـن من آمـن العا لم إلاّ بصرخـة الديدبانِ[2]
أدركونـي فهـذه غرر الخيـ ـل وسمـرٌ يعسـلن كالأشطانِ[3]
لسـت أنسى مصيبتـي ويوم جاءو ني وقـد غصَّ منهـم الواديانِ
وردوا ليلـة الخميس علينا في خميسٍ ملء الرُّبـا والمحاني[4]
متلئبٍ كالسّيل لا يلتقـي منـ ـه لفـرط انتشـاره الطرفانِ[5]
شزرونـي بأعـينٍ تقـدح النـ ـيران خوصٍ إلى العـدوِّ زواني[6]
أشرفـوا لي على زروعٍ وأحطا بٍ وبيتٍ من خـيره ملآنِ
لبـنٌ قارسٌ وخبـزٌ كثيرٌ وقـدورٌ تغلي على الداذكانِ[7]
وشـواءٌ من الجـداء ومعلو فُ دجـاجٍ وفائـق الحملانِ
وشرابٌ ألـذُّ من زورة المعـ ـشـوق بعـد الصّـدود والهجرانِ
يخجل الـورد في الروائـح والطعـ ـم ويحـكي شقائـق النعمانِ
أذكرتنـي جيوشهـم يوم جاءو ني جيوش العـدو في رغبانِ
بقـدم القـوم هاشمـيٌّ هريت الشّـدق رحب المعـيٌّ طويل اللسانِ[8]

---

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .
(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .
(٣) الأشطان : الحبال .
(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .
(٥) متلئب : مندفع .
(٦) الشزر : النظر بغضب ، والخوص : الضيقة .
(٧) الداذكان : المواقد .
(٨) الهريت : الواسع .

هـو نمسُ الدّجـاج والبـطّ والأو زّ وذئـب النعـاج والخرفان[1]
والشريفـان أشرفـا في خلال الـ ـخيل في موكبٍ من الحبشان
وسـوادٍ من عظمـه طبّـق الأرض وخيلٍ تهـوين كالظلمان[2]
وأبـو القاسـم الكبـير على طِرِ فٍ كميتٍ أقـبُّ كالسرّحان[3]
وأخـوه الصغـير يعتـرض الخيـ ـل على قارحٍ عريض اللّبان[4]
وهما يهـويان بالسـوط والرجـ ـل إلى ما يسوءنـي مسرعان
أيُّ قلـبٍ يطيق شتـم بنـي خيـ ـر البـرايا وأكرم النسوان ؟
غـير أنّـي يوم القيامـة أشكو هم إلى الحـرّةِ الحصـان الرزان[5]
وأنـادي يا بنـت خـير النبييـ ـن ويا أمّ أكرم الفتيان
أيّ شيءٍ صنعـت بابنيك حتّى غزوانـي في الزّنـج والسودان ؟
والسرّيُّ الـذي سرى في جيوشٍ أضعفتنـي وقصرّت من عناني
بفـمٍ أشـوهٍ وشـدقٍ رحيبٍ وبـكفٍّ يجـول كالصولجان
وأخـوه الفضـل الـذي بان للعا لم من فضـل أكلـه نقصاني
والشمـوليُّ خلقـه خلـق ترّا سٍ عريض الأكتاف عبل الحران[6]
لسـت أنسـاه جاثياً جاحـظ العيـ ـن عبوسـاً في صورة الغضبان
كالعقـاب الغرثـان يقتنص اللحـ ـم ويهـوي إلى طيور الخوان
والأديب الـذي به كنـت أعتـ ـدُّ غزانـي للحـين فيمـن غزاني

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .
(٢) الظلمان : ذكور النعام .
(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر والسرحان : الذئب .
(٤) القارح : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .
(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجحة العقل .
(٦) ترّاس : صانع التروس ، عبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الـذي كان جاري وصديقي ومُشتكى أحزاني
غيرَّته الأيام حتى أتاني جائعاً للشقاء مذْ سنتان
وصديق الأشراف أخنى على خمـ ـري وأفنى بالكرع ما في دناني[1]
كلّما شقّق الفراريج شقّقـ ـت لغيظي من فعله قمصاني
وهو في أمره مجدٌّ رخيُّ الـ ـبال لم يعنه الذي قد عناني
مجرهدٍ كالسوس في الصوف في الصيـ ـف بقلبٍ خالٍ من الإيمان[2]
قلت قل لي يا ابن المبشّر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني
ليس هذا من شهوة الأكل هذا من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ أكل أعني فتى أبي عدنان
واستحثَّ الكؤوس صرفاً بلا مز جٍ مكبّاً كالهائم العطشان[3]
ليت شعري أمن رسائل بقرا ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
أنت تزداد يا خليلي بهذا الـ ـفعل علماً بالعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ لشؤمي من عسكر الفرغاني
أعجمي اللسان أفصح من قـ ـسٍّ إذا ما نشا ومن سحبان
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ ونبيذٍ في حمرةِ الأرجوان
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجـ ـه يحاكي بقدّه غصن بان[4]
لم توكلْ فرغان إلا بتفريـ ـغ دناني وصبّها في الجفان
إنّ من أعظم المصائب يا قو م بلائي بذلك الطرمذان[5]
رجلٌ كالفنيق فدمٌ بلا لـ ـبٍّ طويلٌ في صورة الشيطان[6]

---

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .
(٢) المجرهد : المشتغل والعابث .
(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .
(٤) المقيّن : المؤدب من القيان .
(٥) الطرمذان : الأبله .
(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والفدم : الأحمق .

يققاً كالعمـود يستعـذب الصفـ ـع ورأسٌ أصـمُّ كالسندان (١)
زائـد الخلـق ناقص العقـل والديـ ـن غليظ القـذال كالقلّتان (٢)
يبلـع الطيبـات بلعـاً بلا مضـ ـغٍ ويحسـو النبيذ كالثعبان
لا تمتنـي حتـى أراه وقـد قصّـ ـر من فضـل طولـه شبران
وأتونـي بزامـرٍ زمـره يحـ ـكي ضراط العبيد والرّعيان
ومغـنٍ غنـاؤه يطلـق البطـ ـن ويأتـي بالقـيء والغثيان
قصـدت هذه الطـوائف حمرا يا لهتـكي وذلّتـي وامتحاني
قلـت ما شأنـكم قالـوا أغثنا ما طعمنـا الطعـام منـذ ثمان
وأناخـوا بنـا فيا لك من يو مٍ عبـوسٍ عصبصـبٍ أرونان (٣)
نزلـوا حجرتـي وأطلقـت الأفرا س بـين الرطبـان والقصلان (٤)
لـم يكن مربعـاً سوى ساعـة حـ ـتـى رأيت الـزروع كالفلحان
أفقرونـي وغادرونـي بلا دا رٍ ولا ضيعـةٍ ولا بستان
حيرّونـي ودلهّونـي فقـد صر ت بليداً كالذاهـل السكرانِ
أسمـع اللفـظ كالطنـين لسهوي وهـو لفـظٌ يجـري لغـير معاني
تركونـي يا قوم أفقـر من فر خٍ وأعـرى ظهـراً من الأفعوان
أكلـوا لي من الجـرادق ألفيـ ـن ببـنٍّ تشتاقـه العارضان (٥)
أكلـوا لي أضعافهـا غـير مسطو رٍ ومالـوا إلى سميد الفران
أكلـوا لي من الجـداء ثلاثين قريضـاً بالخـلّ والزعفران (٦)

---

(١) اليقق : الشديد البياض .
(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .
(٣) عصبصب : أي عصيب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .
(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .
(٥) الجرداق : الأرغفة .
(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضربٌ من الأدم .

أكلـوا ضعفهـا شواءً وضعفيـ ـهـا طبيخـاً من سائـر الألوان
أكلـوا لي تبالـةً تبّلـت عقـ ـلي بعشرٍ من الدجـاج السّمان
أكلـوا لي مضـيرةٍ ضاعفـت ضرّ ي بروس الجـداء والعصبان
أكلـوا لي كشـكيّةً فرّحـت قلـ ـبـي وهاجـت لفقدهـا أشجاني
أكلـوا لي سبعـين حوتـاً من النهـ ـر طريّاً من أعظـم الحيتان
أكلـوا لي عدلاً من المالح المشـ ـويّ ملقـى في الخـلّ والأنجدان
أكلـوا لي من القريشـاء والبر ني والمعقـلي والصـرفان
ألف عدلٍ سوى المصقـر والبر دي واللؤلـؤي والصيحاني
أكلـوا لي من الكوامـخ والجو ز معـاً والخـلاط والأجبان
ومـن البيض والمخلّل ما تعـ ـجـز عن جمعـه قرى حوران
فتّتـوا لي من السفرجـل والتّـ ـفـاح والرازقـيّ والرّمان
والرياحـين ما رهنـت عليه جبتّـي عنـد أحمـد الفاكهاني
درسـوا لي من البنفسـج والنر جس ما ليس مثلـه في الجنان
ذبحـوا لي بالرغـم يا معشر النا س ثمانـين من معـينٍ وضان
مـا كفاهـم ما مرّ من غنـم القر ية حتـى أخنـوا على الثيران[1]
ذبحوهـا والدمـع يجـري على خدّ ي انسيابـاً مثـل انسياب الجمان
أكلـوا كل ما حوتـه يميني وشمالي ومـا حوى جيراني
ثـم قالـوا هلـمّ شيئـاً فناديـ ـت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
لـم تدع لي بطونـكم يا بني البظـ ـر سواه وذا شطـوبٌ يماني[2]
فتمالـوا عليّ شتمًا ولعناً واستباحـوا عرضي بكلّ لسان
مـن له قدرةٌ على الشعـر يهجو ني ومـن كان مفحماً يلحاني[3]

(١) أخنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .
(٢) شطوب يماني : سيف يماني .
(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الـذي عشـت في الخيـ ـر وغـيرَّت صورة الحيوان
ثـم جاء المعقِّبـون من السّا سة والشـاكريّ والعبدان
فـرأيت النخـاع واللطـم والدفـ ـع وكدم الأنـوف والآذان
وتفانـوا صفعـاً وفـاح من القو م غبـارٌ من الفسـا والصِّنان
ثـم لمّا أتـوا على كلِّ شيءٍ ختمـوا محنتـي بكسر الأواني
ثـم قامـوا إلى الجلاهـق والبا شق والمحـدقـات والزربطان[1]
فـرأيت الحمام بعضـاً على بعـ ـضٍ وبعضـاً ملقـى على الأغصان
ورأيت الدّجـاج في وسـط القر ية ملقـى مكسرّ السّيقان
أكلـوا ما ذكرت واستعملـوا لي يا ثقاتـي كرّاً من الأشنان[2]
ومـن المحلـب المطيب بالبـا ن ومـاء الكافـور سبـع براني
شربـوا لي عشرين ظرفـا من الرا ح لذيذ المذاق أحمـر قان
فأقامـوا سواسهـم والمـكاريـ ـن إلى أن سمعـت صوت الأذان
ينقلـون الأحطـاب من حيث وافو ها فبالطـير مرّ لي غيضتان
جـوزةٌ كان حملهـا أحسـن الحمـ ـل وكانـت ظليلـة الأفنان
كان لي في فنائهـا منـزلٌ رحـ ـبٌ أنيـقٌ يحفّـه نهـران
ورياضٌ مثـل البـرود علاهـا الـ ـطـلُّ بـين البهـار والأقحوان
وطيورٌ مـا بينهـا تتغنّى بجميـع اللّغـات والألحان
هـي كهفـي ومستـظليّ من الحـ ـر وذخـري لنائبـات الزّمانِ
أحرقوهـا يا قوم في ساعـة القفـ ـز وضرب الأحطـاب بالنيرانِ
كسروا السّـكر فاختلطـت فقالوا كيف تبقـى بغـير شاذروان[3]
قطعـوا اللـوز والسفرجـل أحطا بـاً ومالـوا بهـا على غلماني

(١) الجلاهق : القوس التي يرمى بها البندق .
(٢) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .
(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مدّدوا وعلوهم حنقاً بالعصيّ والقضبانِ
طالبوني بالنيك في آخر الليـ ـل وجمع النساء والمردانِ
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر د وبعضٌ مستهترٌ بالغواني
فتوهّمته مزاحاً فجدّوا قلت هذا ضربٌ من الهذيانِ
ليس يبقي على أرامل حمرا يا سوى بذلهنّ للضيفانِ
لو سمعتم يا قوم في غسق الليـ ـل بكاء النِّساء والولدان
يتنادون بالعويل والويـ ـل وراء الأبواب والجدرانِ
ويقولون ويلنا من أبي القا سم هذا المطرمذ المخرقاني[1]
قصدته الأعداء فاستملكونا فحصلنا أسرى بغير أمان
أوجروني النبيذ بالرطل حتى صرت أمشي كمشية الفرزان[2]
فجعوني لمّا سكرت بهميا ني وشقّوا عصائب الطيلسانِ
كان في أوّل النهار على رأ سي فأمسى على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرشٌ وكلٌّ مليحٍ فوقه مطرحٌ من الميساني
وبساطٌ من أحسن البسط مذخور لعرسٍ او دعوةٍ أو ختان[3]
غرّقوه بالزّيت والبول والقـ ـيء فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيـ ـلٍ يكيلونه ولا ميزانِ

خلت داري يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
سرقوا جبّتي وسيفي وسكيـ ـني وخفّي وجوربي ورّاني

---

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .
(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .
(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لمـا انتهت بهم شدّة الـكظّـــة خرّوا صرعـى علـى الأذقان[1]
هوّمـوا ساعـةً كتهويمـة الخا ثف في غير ارضـه الفزعان
ثـم قامـوا ليلاً وقـد جنـح النسـر ومـال السّمـاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيـت فأبكوا عيني وراعـوا جنانـي
سحبوني من جوف بيتي علـى وجـهي كأنّـي أدعـى إلـى السلطان
بقلـوبٍ أشـدُّ حرّاً من الجمـر وأقسـى من الصفـا الصوان
قلـت رقّـوا لذلك الطفـل ميمو نْ ولا تؤتمـوه يا إخواني[2]
مـا تفـي أكلـةٌ بقتـل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقوني بفرد رجـلٍ إلـى السّقـف وعذّبـت ليلتـي بالدخان
لو رآنـي أبـي وأمـي على رأسـي ورجـلاي بالعصـا تنقران
بـكيا لي من ذاك واشتريانـي من يديهـم بكلّ ما يملكان
وقع الضـرب ياخليلـي علـى جسـمٍ من السّـوط والعصـا قرحان[3]
قلـت للفضـل والسـريّ غثاني ومماتـي قد حلّ بي خلّصاني
واذكرا عشرتـي وودّي وإخلا صي وحنّـا علـيّ واستبقياني
أنتمـا إن قتلتماني وحقّ اللـه من أجـل أكلـةٍ تندمان
أيّ شيءٍ تركتمـاه لضعفي قد مضـى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفانـي أن ليس عنـدي مشرو بٌ ولا في خزانتـي لقمتان
فاستشاطا علـيّ غيظـاً وقـال الـفضـل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحـن من أجهـل البـرية طرّاً إن حصلنا منـكم علـى الأيمان
قطعـوا الحبـل فانقلبت علـى رأسي وظهـري فانـدقّ لي ضلعان

---

(١) الكظّة : التخمة .
(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .
(٣) قرحان : سريض .

ثم لمّا تمكّن اليأس خلّو ني ومالوا حشواً على الأتبان[1]
وأجيري مسخّرٌ ينقل الأتـ ـبان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت ويحك ما تصـ ـنع بالتبن بعد موتة الفدّان
سرقوا السُّرج والقناديل والزيـ ـت وأقداحنا وكلَّ القناني
والنبيذ استقوه واغتنموه آخر الليل كاستقاء السواني[2]
زوّدوه سواسهم والمكاريـ ـن معاً بالجرارِ والكيزان
لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مخيَّط الأردان
قد حشاه لحماً وطيراً وسبعيـ ـن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا بطعامٍ منضّدٍ في الصّواني
ميزّوا خيلهم بكلِّ كسيرٍ وعقيرٍ مدبَّرٍ جربان
خلّفوه يرعى بقيّة زرعي رعيَ لا خائفٍ ولا متوان
ما رثى لي سوى المبارك من ضـ ـرّي وذاك القصير الدحدحاني
رفّهاني وخفّفا الثقل عني فهما من ملامتي سالمان
والسري السرى حقاً كما سـ ـمى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا نٍ عراه في دعوةٍ ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموعٍ تجري من الأجفان
إخوتي من لواكف الدمع محزو نٍ كئيبٍ مدلّهٍ حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي الـ ـعين واهي القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلاّ على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال، وأمكنه القول فقال. وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

---

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .
(٢) السواني : البُهم .

والوصف هذا التخلص، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح] :

يا أهـل جيرون هل لسامركم إذا استقلّـت كواكب الحمل
في ملحٍ كالـرّياض باكرها نوء الثـريا بعـارضٍ هطلَ
أو مثل نظـم العقـود بالشـذر والـ درٍّ وَوَشـي البـرود والـكللِ[1]
يلـذُّ للسامع الغنـاء بهـا علـى خفيف الثقيل والـرمل
كنـت علـى باب منزلـي سحراً أنتظـر الشـاكريّ يسـرج لي
وطـال ليلـي لحاجـةٍ عرضت باكرتهـا والنجـوم لم تمل
فمـرّ بي في الظـلام أسـود كالـ فيل عريض الأكتـاف ذو عضـل
أشغـى له منخـرٌ كـكوّة تنـ ورٍ وعينٌ سجـراءَ كالشّعل[2]
ومشفـرٌ مسبـلٌ كخـبٍّ رحىً علـى نيوبٍ مثـل المـدى عُصُل[3]
مشقّـق الكعـب أفـدع اليد والر جل طويل السـاقين في سمل[4]
فأهـدت الـريح منـه لي أرجاً مثل جني الروض في النـدى الخضل
مسـكاً وقفصيّةً معتّقةً شيبـا ببـانٍ وعنبـرٍ شمل[5]
فقلـت ما هكذا يكون إذا راح النـدامـى روائـح السفل

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .
(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمّى والمستعر .
(٣) العصل : المعقوفة .
(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .
(٥) شيبا : مزجا .

أسـود غادٍ من الأتـون له عرف أميرٍ نشـوان في فضل
هذا وربّ السّمـاء أعجـب من حمـار وحشٍ في البـرّ منتعل
اردده يانصـر كي أسائلـه فشأنـه عضـلـةٌ مـن العضل
فقـال يخشـى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبـر الشغل
فقلـت ترك الفضـول يا ناقص الـ ـهمّـة عين الإدبـار والـكسلِ
بادره من قبـل ان يفوتـك في سلـوكه بين هذه السُّبلِ
فصـدّ عنّـي تغافـلاً ومضى يعجـب من عقلـه ومـن خللي
وصـاح من خلفـه رويدك يا أسـود مالـي بالعـدوّ من قِبَلِ
ارجـعْ إلـي ذلك الـرّقيع وإن أطـال في خطبـه فلا تطل
أجـبْ إذا ما سئلـت مقتصداً في اللفـظ واسكتْ إن أنـت لم تسل
وهـو بتـرك الفضـول أجـدر لو يسلـم من خفّـةٍ ومـن خطل[1]
فكرّ نحـوي عجـلان يعثـر في مرطِ كسـاءٍ مبرغـثٍ قمل[2]
وقـد مذى والمـذي يقطـر من غرمولـه في الـذيول كالوشل[3]
وظـنّ أنّـي صيدٌ فأبـرز لي فيشلـةً مثـل ركبـة الجمل[4]
سوداء قد طوِّقـت بطـوق خرا أصفـر تزهـى به علـى الحجل
وقـال لجْ داركم لأولجها فيك وإن كنـت لم تبـل فبل
فطالمـا أسهلـتْ طبيعـة من ليس لأمثالهـا بمحتمل
هذا علـى أنّهـا مؤدّبةٌ من الفياشـي المروضـة الذلل
وطـال والله ما خدمـت بهـا الـ ـملـوك خلف السّتـور والـكلل
وكنـت أغشاهـم علـى فرش الـ ـخزّ بـلا سقطـةٍ ولا زلـل

(١) الخطل : فساد الرأي .
(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .
(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيّجه ، والوشل : الماء القليل .
(٤) الفيشلة : عنق القضيب الضخم .

لأنهـا صنعتـي وصنعـة آ بائـي قديمـاً في الأعصـر الأول
وزاد في دولـة اليهـود بها شرطـي علـى ما مضـى من الدّول
حتّـى لقـد فتّقـتْ فروشهم وطـرّيت بالغـدوّ والأصـل
فانظـر إليهـا فإن رأيت لها شبهـاً فلا تدعنـي أبـا الجعل
وخـذ عمـوداً أغلافـه شرجٌ لم يمتهـنْ ساعـةً ولـم يذل[1]
قلـت له لا عدمـت برّك قد بذلـت ما لم يكن بمبتذل
وجـدت عفـواً من غير مسألةٍ بدرّةٍ لا تبـاع بالجمـل
لكنّنـي والـذي يمـدُّ لك الـ ـعمـر ويعـطيك غاية الأمـل
ما شقّ دبـري مذ قطّ فيشلةٌ ولا انتخـاب الأيور من عملي
ولا لهـذا دعيت فاطلـب لميـ لوخـك من يستلـذّهُ بدلي
وهـاتِ قل لي بالله من أين أقـ بلـت ودعنـي من هذه العلل
فقـال لي بتُّ عنـد عاملكم هذا أبـي الفضـل يوسف بن علي
فصـاك بي طيبـه وصـاك به منّـي صنـانٌ في حدّة البصل[2]
تركتـه بالنهـار اخفش لا ينظـر في خدمـةٍ ولا عمـل
قلـت تزيّدت وادّعيت علـى شيخٍ نبيـلٍ ينمـى إلـى نبل
أبـوه سمـحٌ وجـدّه ملكٌ يدعـى حنينـاً وعمُّـهُ الصملي
لعـلّ ذا غيره فصفـهُ فما يخـدع مثلـي بهـذه الحيـل
فإن تكن صادقـاً نجـوت وأنـــحيت عليه باللـوم والعذل
وإن تكن كاذبـاً صفعتـك بالنــعـل فإن كنـت قائـلاً فقل
فقـال يا سيدي عجلـت بمكــــر وهـي وكان الإنسـان من عجل
هذا الـذي بتُّ عنـده نصفٌ دون مســنٍّ وفـوق مكتهل

---

(١) الشرج : نهاية المعيّ .
(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه عينٌ تمجُّ الصديد في دغل[1]
آدر رخو العجان منخرق الـ مبعر ألحى مهيّج السفل[2]
حيضة باسوره إذا اختلطت بالسّلح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفسٌ أمضى من السيف في يد البطل
يصرع طير السماء في الأفق الـ أعلى ويوهي مخارم القلل
أنتن من كلٍّ ما يقال إذا بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولعٌ أبداً لشؤم بختي بالعضِّ والقبل
نعم وفي باب سرمه وضحٌ أبيت ليلي منه على وجل
أخاف يعدى أيري ببرصته فأغتدى مثلةً من المثل
أسود كالليل بين أكرعه عمود صبحٍ ينجاب عن طفل[3]
فقلت هذى صفاته ولقد شغلت قلبي بذلك الرجل
فقال أمّا إذ اهتممت به فإنّه في نهاية الجذل
قد طاب عيشاً وقد أصاب من الـ لذة ما لم يصب ولم ينل
يكون مثل العروس مفترشاً طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
فيجمع اللذّتين مغتبطاً ذي دبره تارةً وفي قبل
وهو عوانٌ لم يخش من ألم الـ حمل عقيمٌ لم يخش من حبل[4]
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ بأمره وهو غير محتفل
فقلت قل لي من أين تعرفه فقال ذرني من هذه العقل
كنت أجيراً بيدّ معصرةٍ بصور كانت لكاتب البجل
وكنت أضحى النهار في ظاهر الـ يد إذا ما انصرفت من شغلي

---

(١) الدغل : في خفاء .

(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .

(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .

(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

فنمـت يومـاً وكنـت من سهـر الـ ليل وقيذاً كالشـارب الثمـل[1]
وهبّـت الـريح فانكشفـت ولم أشعـر وطـار الشـراع عن قبلي
واجتـاز للحين والقضـاء الذي حمّ منشـا في موكبٍ زجل
حف بّصفـر البنـود والخيل والر جل وبيض الصـفيح والأسل
علـى كميتٍ أقـبّ كالصّخـرة الـ صمـاء قدت من قنّـة الجبل[2]
ليس بأشغـى ولا أجش ولا أهضـم طـاوي الحشـى ولا شغل[3]
وهـو أمـام الصفـوف تقدمه جرد الهـوادي شوازبُ المقل[4]
مجنّبـاتٌ كأنهـنّ سـرا حين قطـاءٍ أو كالقنـا الذّبل[5]
وحـان منـه التفاتـة فرأى ذيل قميصـي قد قدَّ من قبل
فاشتـدّ تحـديقـه إلـيَّ كما حدّق ذئـبٌ طـاوٍ إلـى حمل
ولـم أبـت ليلتـي وعيشـك يا مولاي حتّـى دعيت بالرسل
فجئتـه خائفـاً كمـا يلـج الـ ـعصفـور مستكرهـاً علـى الـورل[6]
فارتعـت لمـا رأيت لحيتـه وكـدت أخـرى من شدّة الوهل
وظـنّ أنـي استحييتـه فغدا يبسطنـي بالمـزاح والغـزل
وقـال هذا الحياء - يا بأبي أنـت - بريد النـكول والفشل[7]
فاطـرّح الهيبـة المضـرة بي واعتـزل الخـوف أيّ معتزل
إن كنـت أكرمتنـي لترفـع من قدري فبعض الهـوان أنفـع لي

(١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثمل : السكران .
(٢) قنّة الجبل : قمّة الجبل .
(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشازب : الضامر والخشن .
(٤) الجرد : الخيل ، والشازب : الضامر والخشن .
(٥) السّراحين : الذئاب .
(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .
(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالى واصفع قفاي ولا | تنظر إلى قدرتي ولا خولي
ولا عبيدي ولا فروشي ولا | طيبي ولا حليتي ولا حللي
إن يشقَ أعلاي باللطام فقد | يسعد بالرهز بعده سفلي[1]
وليس بعد المزاح يا بأبي | في الرأس من حشمةٍ ولا خجل
ولم يزل دائباً يشمرخ شا | قولي ويختال لي على مهل[2]
فحين أدليت كالحمار بدا | يرفع أجلاله عن الكفل
وخرَّ للوجه والجبين وقد | رطّب حول خصييه بالبلل
طعنته طعنةً بصدق الأنا | بيب أصمّ الكعوب معتدل
فقال: أوجعت جوف مقعدتي | وظلَّ يدعو بالويل والهبل
وقرقرت بطنه وربّتما | حذّرت من مثلها ولم أبل
ثم رماني بسلحة خطمت | أنفى فزاولتها على ميل[3]
فقلت: يا سيدي ويا أملي | أظن ذا السرم من بني ثعل
فقال: أخطأت إذ أسلت دمي | فقلت: كلا والله لم يسل
أين النجيع القاني؟ فديتك من | لطخٍ رجيعٍ كالورس منسحل[4]
ألا تبرّزت لا أبالك أو | شددت من باب سرمك النغل؟[5]
فقال لما أنشأت تعفجني | في استى برمحٍ لم يعتصم سفلي[6]
ألم تكن عالماً بأنّ سلا | ح استي سلاحي في كلّ منتضل[7]

---

(١) الرهز: النهز والإدخال.
(٢) يشمرخ: ينتصب، والشاقول: القضيب.
(٣) خطمت: أصابت وقطعت.
(٤) النجيع: الدم، ومنسحل: مطحون.
(٥) تبرّزت: خرجت، والنغل: الفاسد.
(٦) تعفج: تعالج وتعرك.
(٧) منتضل: معترك.

خذ آبنوساً حلّيته ذهباً فالحلي أولى به من العطل[1]
ولا تلمني فكيف أصنع في سرمٍ شديد الحكاك مؤتكل
تمنعه اللّذة الحياء فتسـ ترخي حواشي مثقّفٍ نغل
نعم وعاجلتني بجانفةٍ أصمت ومرّت في موضع العلل[2]
عاجلت قلبي عن التحفّظ في أمري برهزٍ كالبرق مشتعل
وخاض جعسي أيرٌ به هوجٌ يجوز حدّ الجنون والخبل[3]
يا سيدي ما اسمه فقلت أبو الـ أسود يكنى وليس بالدؤلي
فقال: يا حبذا أبو الأسود الزا هد فينا بسلحةٍ قبلي
هل رابه غيرها وقد جعل الـ ـماء طهوراً لكلّ مغتسل
فامض وعد بعدها لترويني من بعد نومي علاً على نهل
ولاتخف بعدها وصاح بفرّا ش قصيرٍ السّربال معتمل
فقال ذاك الفرّاش: مالك قد متّ كذا فاغتسل ولا تبل
فهذه عادةٌ لسيّدنا موروثةٌ عن أبيه لم تزل
ولم أزل في خزانة الفرش أيّاماً مخلّى في زيّ معتقل
حتى انثنت صعدتي وبان له فيّ اناة الفتور والكسل[4]
ثم تغنّي والأير في يده قد خفّ بعد العتوّ والثقل
يا دار هندٍ بالخيف من ملل حييت من دمنةٍ ومن طلل
وقال لي ويك في دمشق أخٌ للوقف والخرج والضياع بلى
وهو بحبّ السودان أعرفه وليس عن رأيه بمنتقل
فخذ كتابي وسر إليه ولا تترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

---

(١) الجيد العطِل: الخالي من الحليّ.
(٢) الجانفة: الجالفة، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد.
(٣) الخبل: فساد العقل.
(٤) الصعدة: القوّة، أي ضعفت شهوته وفتر قضيبه.

وقلّ سرتْ بي في الليل ذعلبةٌ تهدي صدور المهريّة البزل[1]
تمطو جماحاً إذا المطيُّ ونتْ حتى تراخى لها من الجذل[2]
أهوى بطون الأقطار في غسق الـ لميل وآوي مناهل الوعل
وليس لي شافعٌ إليك سوى فيشلةٍ أسهلت أبا سهل
فإنّه سوف يلتقيها ويحـ بوها إذا أقبلت بحيهل[3]
وتغتدي عنده أعزّ من الـ أهلين والأقربين والخول
فجئته واثقاً بقول أبي سهلٍ ومن يسمع المنى يخل
فما حصلنا إلا على سهرٍ يعمي ورهزٍ يوهي القوى نكل
وكان هذا ابتداء معرفتي به ، فحسبي فاقطعْ ولا تصل
وقد مضى يومنا بلا عملٍ ترجى له أجرةٌ ولا أمل
ظننت للنيك قد دعيت، ولم أدري بأنيّ دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطال ولم يصرفه بعد منثور يتقدم ذلك :

قلت له : اذهب مصاحباً فلقد حدثّت عنه بحادثٍ جللِ
فمرّ يسعى كأنّه ثملٌ من سهرٍ كدّه ومن ملل[4]
يقول في سيره وقد وضح الـ صبح : ألا ربّ واثقٍ خجل
كان نكاح إبليس زوّره بلا شهودٍ ولا حضور ولي
لا بارك الله فيهما فلقد جاءا بما لا يجوز في الملل

(١) الذعبلة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .
(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والونى : الضعف .
(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .
(٤) كدّه : أرهقه .

وعـدت بالله أسـتعيذ من الـ سوء ومـن كلّ موقفٍ رذل
والحمـد للواهـب السلامـة من جرحٍ يداوي بهـذه الفُتُل[1]

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ ـ أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قـد غدونـا إلـى صلاة الغداة ثم ملنا منهـا إلـى الحانات
فشربنـا مدامـةً كدم الخشـ ـف عقـاراً تضـيء في الكاسات
فـإذا شجّهـا السقـاة بمـاءٍ أبـرزت مثـل ألسـن الحيّات[2]
وكأنّ الأنـامـل اعتصرتهـا من شقيق الخـدود والوجنات

* * *

٢٨ ـ أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا عـلـى النّجـم همّه مثل ما قد زرى على الخلـق عزمهْ[3]
أكثـر النـاس في التعـازي وقـالوا كلّ معنـىً ينسـي أخـا الهـمّ همّهْ
فاختصـرت العـزاء في نصف بيتٍ كلّ خطـب إذا تعـدّاك نعمهْ

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .
(٢) شجّها : مزجها وشقها .
(٣) زرى : عمّ .

٢٩ ـ أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالةٌ من كلفٍ عميد حياته في قبضةِ الصّدودِ
بلّغه الشّوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيدِ

* * *

جار عليه حاكمُ الغرام فدقّ أن يُدرك بالأوهام
فلو أتاه طارقُ الحمام لم يرده من شدّة السقام

* * *

له اهتزازٌ وارتياحٌ وطربْ لوجه من أورثه طول الكربْ
فهل سمعتم في أحاديث العجبْ بمن مناهُ قُرْبُ مَنْ منه العَطَبْ

* * *

ما غاب عنه الحزم في الأمور لكنّ مقدار الهوى ضروري
صاحبه يخبط في ديجور منفسد التّقدير بالمقدور

* * *

إذا التقى في مسمعيه العذلُ وقيل من دون المراد القتلُ
قال لهم لوم المحبّ جهلُ إنّ الهوى يغلب فيه العقلُ

* * *

ما العذر في السلوة عن غزالِ منقطع الأقران والأشكالِ

تســتخلف الشــمس لدى الزوال ضياء خدَّيه علــى الليالي

* * *

بخفــة الــروح احتــوى صلاحي فصــرت لا أرغــب في الفلاحِ
والشــكل والخفّــة في الأرواح أملــح ما يعشــق في الملاحِ

* * *

مـن عشـق الفـدم وإن دقّ البصرْ فليقصـد البيعـة وليهـوَ الصُّور[1]
مــن كان يهــوي منظــراً بلا خبر فمــا له أوفــق من عشــق القمر

* * *

ظبــيٌ سلــويّ عنــه مثــل جودهْ خيالــه أكذب من موعودهْ
أجفانــه أسقــم من عهوده أردافــه أثقــل من صدودهْ

* * *

يا وصلـه صل مثــل وصــل صدّه يا حكمــه كن في اعتــدال قدِّه
يا قلبــه كن رقــةً كخدّه يا خصــره كن مثــل ضعف عهده

* * *

أمّــا وخصــر ضعفــه كصبري له ووجــه حســنه كشعري
لــه عذارٌ قام لي بعذري لا تِيْــتُ من شوقــي إليه دهري

* * *

أضحــى لإبليس به استقدار علــى بنــي آدم واستبشارُ
وقــال : في ذا تستطــاب النار ما لهــم عن مثــل ذا اصطبارُ

* * *

---

(١) الفدم : الغليظ الأحمق .

تمّت لي الحيلة في العباد ... أدركت من صالحهم مرادي
بمثل ذا أمكنني إفسادي ... لأنفس العبّاد والزّهادِ

* * *

والهفتي من خدّه الأسيلِ ... إذا انجلى عن صفحتيْ صقيلِ[1]
واحربي من طرفه الكحيلِ ... مَنْ منصفي منه ومَنْ مديلي ؟[2]

* * *

من مقلةٍ كالصّارم البتّار ... ألحاظها أمضى من المقدار[3]
تحكم في لبّي وفي اصطباري ... نظيرَ حكم الدّهر في الأحرار

* * *

حلّ قواي العقد من زنّاره ... ألهب قلبي خدُّه بنارهِ
عذّر صبري مبتدا عذاره ... حيّرني بالطرف واحوراره[4]

* * *

جاء بوجهٍ حسنه محبوبُ ... تطيب في أمثاله الذّنوبُ
وقامةٍ ذلّ لها القضيبُ ... والقدُّ تنقدُّ به القلوبُ

* * *

هفا بقلبي منه إفراطُ الهيَفْ ... فقلت لما أن تثنّى وانعطف :[5]
يا سيدي من دون ذا الميل التلفْ ... وشرط من كان ظريفاً في القطف[6]

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقيل : السيف المصقول .
(٢) الحرَب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلّب .
(٣) البتّار : القاطع .
(٤) الحور : شدّة سواد العين وشدّة بياضها .
(٥) هفا : حنَّ ومال ، والإفراط : الإكثار .
(٦) التلف : الهلاك .

مـا قِصَـرُ القامـة مثـل الطول ولا البـدين الجسـم كالمهزول
عشـق الـرشيق الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهـام والعقول

* * *

لا يعشـق الضخـم الغليظ الجسمِ غير غليظ الطبـع جافٍ فدمِ
مـكدّر الحسّ ركـود الفهم يقـول في الحسـن بغير علمِ

* * *

قد صحـت لمـا خفـت منـه القتْلا وكدت من فرط السقـام أبلى :
يا حاكمـاً جانَـبَ فيَّ العـدلا مهـلاً بمـن يهـواك مهـلاً مهلا (١)

* * *

يا ظالمـاً يقتلـنـي مجاهره قد منـع الوجـد من المساتره
هلـم إن شئـت إلى المناظره واستعمـل الإنصـاف لا المكابره

* * *

فـي أيٍّ دينٍ حلَّ قتـل الروح وهـل لمـا تفعـل من مبيحِ
إن قلـت ذا جاء عن المسيح فليس مـا تـزعـم بالصحيحِ

* * *

مُـرْقُصُ ما أخبرنـا بذا الخبرْ عنـه ولا لوقـا حكاه في الأثرْ
وقـد نهـى عن ذا يوحنـا وزجر ولا ارتضـى متَّـى به ولا أمرْ

* * *

أربعـةٌ ليس لهـم عديلُ ولا لهـم فـي أمرهـم كفيلُ

---

(١) جانبَ : ابتعد وفارق .

مـا فيهـمُ مـن قـال مـا تقولُ   فهـل سوى إنجيلهـم إنجيلُ

* * *

فـإن زعمـت أن ذا موجود   في زبـرٍ جاء بهـا داودُ
فمـا الزّبـور بيننا مفقود   فكيف لـم تعلـم بـه اليهودُ

* * *

ولـم يخبّـر أحـدٌ سواكا   مـن النصـارى كلّهـمْ بذاكا
لا تتقـوّل غـير ما أتاكا   وغلّـبِ الحـقّ علـى هواكا[1]

* * *

سفـك دمـي يحظـر في الأديانِ   فدع حجاجـاً ظـاهـر البطلانِ
لا تجمـع الإثـم مع البهتانِ   وكن علـى خوفٍ من العدوانِ[2]

* * *

واعلم بأنـي إن تمـادى بي الهوى   وخفـت أن أتلف من فرط الضّنى
ودمـت في هجـرك لي كمـا أرى   ولـم أجـدْ منـك لمـا بي مشتكى

* * *

شـكوت ما تلقـاه نفسـي البائسهْ   من خطـراتٍ للهمـوم هاجسهْ
عفـت رسـوم الصبـر فهـيَ دارسهْ   إلـى جميع عصبـةِ الشمامسهْ

* * *

فـإنْ هُـمُ لم يرحمـوا أنيني   وخيّبـوا في قصدهـمْ ظنوني

---

(١) لا تتقوّل : لا تختلق الأقوال .
(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولـــم أجـــد في القـــوم من معين ينصفنـــي منـــك ولا يعديني

* * *

شـــكوت ما يلقـــى من الأحزان قلبـــي إلـــى مشيخـــةِ الرُّهبانِ
عســـاك تستحـــي من الشّيخان وإن تهاونـــت بهـــم في شاني

* * *

فـــلا أراك مغضبـــاً عبوسا إذا أتيت أســـأل القسّيسا
معونـــةً أرجـــو لهـــا التّنفيسا عن مهجـــةٍ قاربـــت النسيسا[1]

* * *

واعلـــمْ بأنـــي إن رددت شافعي هذا ولـــم يرجـــع بأمـــرٍ نافعِ
فليس ذا بحـــاســـمٍ مطـــامعي كم طالـــب جدًّ بجـــدٍّ مانعِ

* * *

لـــو كنـــت مبـــذولاً لنـــا لم تطلبِ وإنمـــا نـــرغـــب إذ لـــم ترغبِ
وكلّـــت النّفس بتـــرك الأقرب وشدّة الحـــرص علـــى المستصعبِ

* * *

وإن تمـــاديت علـــى جفائـــكا ودمـــت بالقلّـــة من حبائـــكا[2]
فـــي هجرنـــا عل قبيحٍ رأيـــكا واســـتيأس الرهبـــان من إصفائـــكا

* * *

(١) النسيس : آخر الرمق والروح .
(٢) الحباء : العطاء والتكرّم بالوصل .

فـلا تلمنــي إن قصــدت الأسقفا | من برّحَ السُّقــم بهِ رامَ الشفّا[1]
فـلا تقـل أبــديت مكنــون الخفا | أنــت الــذي أحوجتنــي أن أكشفا

* * *

سوف إلـى المطـران أنهـي قصّتي | إن دام ما تؤثــره من هجرتي
فــإن رثــى لي طالبــاً معونتي | ولــم تشفّعــه بكشف كربتي

* * *

شــكوت ما يلقــاه من فرط السقمْ | قلبي إلى البطـرك والحبـر العلم[2]
عســاك إن حالفتــه فيمــا حكمْ | يدخلك الحــرم فويلُ من حرم

* * *

هنــاك تأتــي مســتقيلاً ظلمي | تسألنــي عطف الــرضى بالرغم
ترضــى بمــا ينفــذ فيك حكمي | إذا بك اشتــدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهـذا كلّــه تهديدُ | أرجــو به قربــك يا بعيــدُ
هيهــاتَ سرّي أبــداً جحود | فيـك وقولــي كلّمــا تريــدُ

* * *

مــولاي قد ضاقــت بيَ الأمورُ | فقلــت ما قلــت وقولــي زورُ
قلبــيَ إلاّ في الهــوى جسورُ | فلا تلــم أن ينفــث المصدورُ[3]

* * *

---

(١) برّح : آلم وعذّب .
(٢) الحبر : العالم النحرير ، وهو رئيس الأساقفة .
(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مــولاي بالرحمــن أحــيٍ مغرما يخــاف أن تغضــب إن تظلَّمـا
إليك أشــكو فعســى أن تنعما مهــلاً قليلاً قد قتلــت المسلما

* * *

يا جرجس ارفــق بفــؤادٍ هائمِ يا سيدي خفْ سوء عقبي الظالمِ
وقــد رضينــا بك في التّحاكمِ والجــور لا يشبــه فعــل الحاكمِ

* * *

أقصــى رجائــي منــك نيل الودِّ وقبلــةٍ تشفــي غليــل الوجدِ
يا جائــراً أفــرط في التعدِّي منــك إليك في الهــوى أستْعــدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلــي عن أطيب الدّهور وقعــت في ذاك علــى الخبير
سألتنــي أيّ الزمــان أحلى وأيّهُ بالقصف عنــديَ أولى
عنديَ في وصف الفصــول الأربعة مقــالــةٌ تغنــي اللبيب مقنعه

فصل الصيف :

أمــا المصيف فاستمــعْ ما فيهِ من فطــنٍ يفهــم سامعيه
فصــلٌ من الدّهــر إذا قيل حضرْ أذكرنــا بحــرِّه نار سقر[1]
تبصــر فيه النبــت مقشعرا والأرض تشــكو حرَّه المضرّا
نهــاره مقسّــمٌ بين قِسَمْ جميعهــا يعــاب عنــدي ويذمْ
أولّــه فيه ندىً مبغضُ كأنّــه علــى القلــوب يقبضُ
يلصــق منــه الجســم بالثّياب وتعلــق الأذيال بالترابِ

---

(١) سقر : جهنّم .

حتى تراهــا مثــل منــديل الغمرْ فيهــنّ تخـطيطٌ كتخــطيط الحبرْ(1)

حتــى إذا ما طردتــه الشمسُ وفرحــت بأن يزول النفس

فتحــت النّـــار لــه أبوابهــا وشــبّ فيهــا مالكٌ شهابهــا

حــرٌّ يحيــل الأوجــه الغرّانا حتــى ترى الــروم بهــا حبشانا(2)

يعلـو به الـكرب . ويشتــد القلقْ وتنضــج الأبــدان منــه بالعرق

تبصــره فوق القميص قد علا حتــى ترى مبيضّــهُ مصندلا(3)

إن كان رثّــاً زاد في تمزيقه أو مستجــداً حلّ حبــل زيقه(4)

ثــم يعيد المــاء ناراً حامية تزيد في كرب قلــوب الضاويه(5)

شاربــه يكرع في حميمِ كأنّــه من ساكنــي الجحيم

ينسيه ما يلقــى من التّهابه أن يحمــد الله علــى شرابه

حتــى إذا عنّــا انقضــى نهاره وأرخيت مــن ليلــه أستاره

تحــرّكتْ في جنحــه دواهي ساريةً وأنــت عنهــا ساهي

من عقــربٍ يسعــى كسعــيِ اللِّصِ سلاحهــا في إبــرٍ كالشّصِّ(6)

وحيّةٍ تنفــث سمّــاً قاتلا تزود الملــدوغ حتفــاً عاجلا

تبصــر ما في جلدهــا من الرقشْ كوجنــةٍ مصفــرّةٍ فيهــا نمشْ

لــو نهشــت بالنّاب منهــا الخضرا لبتــرت منه الحياة بترا(7)

فــإن أردت الشــرب في إبانهْ علــى الــذي وصفتــه من شانهْ

أبشــر بمــا شئــت من الصراعِ فضــلاً عن التهــويس والصّداعِ

---

(1) الحبرة : الملاءة .

(2) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(3) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيّب الرائحة .

(4) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(5) الضاوية : الملتهبة .

(6) الشّص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرحل .

(7) بترت : قطعت .

وعللٍ تعجز إحصاء العددْ — من جربٍ ومن دُوارٍ ورمَدْ
وبعد حمّى الكبد لا تنساه — لأنّه أوّلُ ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلا — فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ — فصلٌ بكلٍّ سوءةٍ معروفُ
أهويةٌ تسرع في كلِّ الجسدْ — وهو كطبع الموت يبساً وبردْ
يخشى على الأجسام من آفاته — فأرضه قرعاء من نباتهِ[1]
لا يمكن الناس اتقاء شرّهِ — من اختلاف بردِهِ وحرِّهِ
تبصره مثل الصبيِّ الأرعنِ — في كثرة التغيير والتلوُّنِ[2]
فإن أردت الشرب للعقارِ — في حينه بالليل والنهارِ
فأنت منه خائفٌ على حذرْ — لأنه يمزجُ بالصفْوِ الكدرْ
أحسن ما يهدي لك النسيما — يقلّبُهُ في ساعةٍ سموما[3]
وهو على المعدود من ذنوبه — خيرٌ من الصنيف على عيوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ — جاءتك منه غمَّةٌ غماءُ[4]
أقبل منه أسدٌ مزيرُ — له وعيدٌ وله تحذيرُ
لو أنّه روحٌ لكان فدما — أو أنّه شخص لكان جهما[5]
يأتيك في إبانه رياحُ — ليس على لاعنها جُناح[6]

---

(١) قرعاء : جرداء .
(٢) الأرعن : الطائش .
(٣) السّموم : الريح اللافحة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شيّاً .
(٤) الغمّة : الكرب .
(٥) الجهم : العابس المقطّب .
(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

حراكهـا ليس إلى سكونِ تضرُّ بالأسماع والعيونِ
يحـدث من أفعالهـا الزكام هذا إذا ما فاتـك الصدامُ
ثـم يليهـا مطـرٌ مداومُ كأنّـه خصـمٌ لنـا ملازمُ
يقطعنـا بغضـاً عن الطّريقِ وعـن قضـاء الحـقِّ للصديق
وربّمـا خرَّ عليك السَّقْفُ وإن عفـا عنـك أتـاك الوكفُ[1]
هـذا وكم فيه من المغارمِ وكثـرة الإنفـاق للدّراهمِ
في ملبسٍ يدفـع شرَّ بردِهِ يكفُّ عنّـا منـه غِرْبَ حدِّهِ[2]
مـلابسٌ تعيي الجليد حملا كأنّمـا يحمـل منهـا ثقلا
يحكي بها المنحوف أصحاب السِّمَنْ لكن تراه سمنـاً غـير حَسَنْ
فـإن أردتَ بالنّهـار الشرُّبا فيه فقـد قاسيت خطبـاً صعبا
واحتجـت أن توقـد فيه النارا تطـير نحـو الحـدق الشرّارا
تتـرك مبيضَّ الثيابِ أرقطا تحـكي السـعيديّ لك المنقّطا[3]
وبعـد ذا تسـدُّدُ الثِّقابا من خوفـه وتغلـق الأبوابا[4]
نعـمْ وترخـي نحـوه الستورا حتـى ترى صاحبـه ديجورا
فحسـنُ لون الـراح فيه لا يُرى لأنّـه صار سواءً والدُّجى
تشرب فيه إن شربـت الخمرا ليس لأنْ تلهـوَ أو تسرَّا
لـكن لتحمـي خضر الأعضاء فشربهـا ضربٌ من الدواء[5]
وإن أردت الشرب في الظلام عاقـك عن تنـاول المدام
حسبـك أن تنـدسّ في اللحاف وخشيةَ البـرد على الأطرافِ

---

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقّط .

(٤) الثقابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفتورها .

ورعــدةٍ تشغــل عن كلّ عملْ وتؤثــر النــوم وتســتحلي الكسل
حتــى إذا ملــت إلى الرّقاد غــت على فرشٍ من القتاد[1]
إنّ البــراغيث عذابٌ مزعج لكلٍّ ما قلــبٍ وجلــدٍ تنضج
لا يستلــذّ جنبــه المضاجعا كأنّمــا أفرشتــه مباضعا[2]
قبّــح فصــلاً فوق ما ذممته لو أنّــه يظهــرُ لي قتلتهُ
حتّــى إذا ما هو عنّــا بانا وزال عنّــا بعضــه لا كانا

فصل الربيع :

جــاء إلينــا زمــنٌ الربيعِ فجــاء فصــلٌ حســن الجميعِ
لبــرده وحــرّه مقــدارُ لم يكتنف حدّهمــا الإكثار
عــدّل في أوزانــه حتــى اعتدلْ وحمــد التّفصيل منــه والجملْ
نهــاره من أحســن النّهارِ في غاية الإشــراق والإسفارِ
تضحك فيه الشمس من غيرحُجُبْ كأنّهــا في الأفــق جامٌ من ذهبْ
وليلــهُ مستلــطــف النّسيمِ مقــوّمٌ في أحســن التّقويمِ
لبــدره فضــلٌ علــى البــدورِ في حســن إشــراقٍ وفــرط نورِ
كجامــة البلّــور في صفائهــا أو غرّةِ الحسنــاء في نقابها
كأنّهــا إذا دنــت من نحرهِ جوزاؤه قبــل طلــوع فجره
روميةٌ حلّتُهــا زرقاءُ في الجيد منهــا درّةٌ بيضاءُ
هــذا وكم يجمــع من أمور إســراف مطربهــا من التقصير
فيه تظــلّ الــطير في ترنّمِ حاذقــةً باللحــن لم تعــلّمِ
غناؤهــا ذو عجمــةٍ لا يفهمُهْ سامعــه ، وهــو علــى ذا يقرمه[3]

---

(١) القتاد : الشوك الحاد .
(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشقّ .
(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدّة الشهوة .

مــن كلٍّ دبســيٍّ له رنينٌ وكلِّ قمــريٍّ له حنين[1]
فــي قرطــقٍ أعجــل أن يورّدا خاط له الخياط طوقــاً أسودا[2]
هــذا وفيه للــرياض منظــر يفشــي الثّرى من سرّهــا ما يضمرُ
ســرّ نبــاتٍ حسنــه إعلانهُ إذا سواه زانــه كتمانهُ
فيه ضروبٌ للنّبــات الغضّ يحـكي لبـاس الجنـد يوم العرض
مــن نرجسٍ أبيضَ كالثّغور كأنّــه مخــانــقُ الكافور
وروضــةٍ تزهــر من بنفسجِ كأنّهــا أرضٌ من الفيروزجِ
قــد لبســت غلالــةً زرقاءَ فكايدت بلــونهــا السماءَ[3]
تبصرهــا كثــاكلٍ أولادها قد لبســت من حزنٍ حدادها
يضحــك فيهـا زهــر الشّقيقِ كأنّــه مداهــنُ العقيقِ
مضمَّنَّــاتٌ قطعــاً من السَّبجْ فأشرفــت بين احمــرارٍ ودعجْ[4]
كأنّمــا المحمــرُّ في المسود منــه إذا لاح عيون الرمد
أمــا ترى أترجــهُ ما أحسنهْ يختــال في غلائــلٍ مبيّنهْ
وانظـر إلـى الخشخــاش إن نظرتا يحـكي كراتٍ ظوهــرت كيمختا[5]
وارم بعينيك إلـى البهـار فإنّــه من أحســن الأنوار[6]
كأنّــه مداهــنٌ من عسجدِ قد سمِّــرتْ في قضــب الزّبرجدِ
فــانهضْ إلــى اللهــو ولا تخلفِ فلســت في ذلك بالمعنّفِ
واشــرب عقــاراً طال فينـا كونها يصفــرُّ من خوف المــزاج لونها

---

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .
(٢) القرطق : نوع من الأردية .
(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكايدت : ماثلت .
(٤) السَّبج : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .
(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .
(٦) البهار : نبتٌ طيّب الرائحة .

مـن كفٍّ طبـيٍ من بنـي النصارى ألبابنـا فـي حسـنـه حيارى
إذا بدا جمالـه لذي النظرْ قال : تعالـى الله ما هذا بشرْ
يبـدي جمـالاً جلّ عن أن يوصفا لو أنّـه رزقُ حريصٍ لاكتفى
تزينُـهُ أحشـاءُ كشـحٍ طاويهْ وسـرّةٍ محشـوّةٍ بالغاليهْ[1]
لاسيمـا مع مسمـعٍ وزامرِ قد سلمـا من وحشـة التّنافرِ

* * *

دونـك هذي صفـة الزمـان مشروحـةً في أحسـن التبيان
فأَصغِ نحـو شرحهـا كي تسمعا ولا تكـن لحقّهـا مضيِّعا
وارض بتقليـديَ فيمـا قلتُهُ فإنّنـي أدرى بمـا وصفتهُ
ولا تعارضنـيَ في هذا العمل فإنّنـي شيخُ الملاهـي والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثـاً لدعوتـي غـلامهْ وعاتبـا من تركنـا إلمامه[2]
إذا أردت أن تزار في غدِ فلا تغـال في الطعـام واقصدِ
واعْمـدْ إلـى ما أنـا منـه واصفُ فإنّنـي بالطيِّبـاتِ عارفُ
ابعـث فخـذ عشـراً من الرّقاقِ تلذُّهـا نواظـرُ الأحـداقِ
تـكاد ممـا رقّ من حرسائها تشف للأعين من صفائها[3]
أَرَقْهـا الصّانـع حتّـى خفّتِ ولطّفـتْ أجسامهـا ومدّتِ
تـكاد لولا حذقـه في صنعته تطيرهـا أنفاسـه من راحتهْ
حتـى أتـت في صورة البدورِ أو مثـل جامـاتٍ من البلّورِ

---

(1) الغالية : أنواع الطيب .
(2) الإلمام : الزيارة ، والقصد .
(3) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتـى إذا فرغـت منهـا متقناً ولـم ير العائـب فيهـا مطعنا[١]
فاعمـد إلـى مدوّرٍ من البصلْ فإنّـه أكبـر أعـوان العملْ
يحـكي لعينيك اخضـرار قشره إذا رمـاه ناظـرٌ بفكرهِ
غلائـلاً خضـرا علـى جسومِ بيضٍ رطـابٍ من بنـات الرّوم
حتـى إذا أحكمتـه تقطيعا وقلـت قد جوّدتـه صنيعا
خلطتـه باللّحـم خلطـاً جيّدا ولـم تزلْ تخلـطه مردّدا
حتـى إذا أنـت أجـدت فعلهُ ثم جمعـت في الرّقـاق شملهُ
صيَّرتـه يا ذا العـلا السنيَّهْ شابـورةً ليسـت لهـا سميَّهْ[٢]
ثمّـت أغـل الشبـرق المقشّرا من فوقـه حتـى تراه أحمراْ[٣]
مـكتسياً حلّتـه الخمريَّهْ من بعدمـا عهدتهـا فضيَّهْ
ثـم أدِرْ كأس الشمـول منعما أكرم بهـذا مشربـاً ومطعما
فلسـت في فعلك ذا مبذّرا كلاّ ولا في حقّنـا مقصرًا

وله في الروض [من الرجز] :

أسفـر عن بهجتـه الدّهـر الأغرْ وابتسـم الـروض لنـا عن الزهرْ
أبـدى لنـا فصـل الـربيع منظراً بمثلـه تفتـن ألبـاب البشرْ
وشياً ولـكن حاكـه صانعه لا لابتـذال اللبس لكنْ للنّظرْ
عاينـه طرف السمـاء فانثنى عشقـاً له يبـكي بأجفـان المطرْ
فـالأرض في زيٍّ عروسٍ فوقها من أدمـع القطـر نثـارٌ من دررْ[٤]
وشـيٌ طواه في الثّـرى صوانه حتـى إذا ملّ من الطـي نشرْ[٥]

---

(١) المطعن : الانتقاص .
(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .
(٣) الشبرق : نبات رطب .
(٤) نثار : ما ينثر من الماء والمال وغيره .
(٥) نشر : فاح وعرّض لأشعة الشمس .

أمــا ترى الــورد كخــدَّيْ كاعبٍ راودهــا فامتنعــت منــه ذكرْ
كأنّمــا الخمــر عليه نفَّضتْ صباغهــا أو هي منــه تعتصرْ
أخجلــه النــرجس إذ جاد له فاحمــرّ من فرطِ حياءٍ وخفرْ[1]
قــال له العين ومــا الخــدُّ لها موازنــاً في عُظْــمِ قدرٍ وخطر
مــاذا الــذي يرجــى لخــدٍّ بَهجٍ مستحســنٍ صاحبه أعمــى البصر
فاحمــرّ من حجّتــه إذ ظهرتْ والحــقُّ لا يدفــع يومــاً إنْ ظهر
وانظــر إلــى النارنــج في بهجته يلــوح في أفنــان هاتيك الشجر
مثــل دنــانير نضــارٍ أحمرٍ أو كعقيقٍ خرِّطــت منــه أُكَرْ[2]
وانظــر إلــى المنثــور في ميدانه يرنــو إلــى الناظــر من حيث نظر
كجوهــرٍ مختلفٍ ألوانه أسلمــه سلكُ نظــامٍ فانتثر
كأنّ نور الباقــلا إذا بدا لناظــريه أعينٌ فيهــا حور
كمثــل ألحــاظ اليعافيــر إذا روّعهــا مــن قانصٍ فــرطُ الحــذر[3]
كأنّــه مداهــنٌ من فضةٍ أوساطهــا بهــا من المســك أثر
كأنّهــا سوالفُ من خرّدٍ قد زيِّنــت بياضهــا سود الطُّرر[4]
وانظــر إلــى الأطيار في أرجائهِ إذا دعــا الشــاكل منهــا وصفر
كأنّهــا تصفــر في رياضها سرب قيانٍ فوق بســطٍ من حبر
فانهض إلــى اللهــو ولــذات الصبّا لامــك من يعــذل فيهــا أو عذر
فقلَّمــا يغنيك من يعــذل فيـ ـمــا تشتهي حتــى تواريك الحفرْ
فــكيف هجــران اللــذاذاتِ ولمْ يبــدِ نهــار الشّيب في ليلِ الشّعَرْ
والنُّســك في عصــر الصبّــا كأنّه من قبحــه خلــعُ عذارٍ في الكِبَرْ

---

(١) الخفر : الحياء .
(٢) الأكر : الكتل .
(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيٌ بلون التراب .
(٤) الطرّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائمـاً يعـذلنـي في طربي حسبك قد أكثرت من هذا الهذر[1]
أعـرف فضـل العقـل إلاّ أنّهُ لعيش من آثـره عين الكدر
الجهل ينبـوع مسـرَّاتِ الفتى والعقـل ينبـوع الهمـوم والفكر
فاجسـر علـى ما تشتهـي جهالةً ما فاز باللَّـذَّاتِ إلاّ من جسر[2]
واشـرب عقـاراً لو أصابـت حجراً لطـار من خفَّتـه ذاك الحجر
عـدوَّةُ الحـزن الـذي ما ظفرت قطُّ به إلا أساءت في الظَّفر
لـو رام أن يجيره من كيدها صرف الزمـان الحتـم يومـاً ما قدر
أرَقَّهـا الدّهـر إلـى أن شاكلت من رقَّـةٍ شعـر جميلٍ وعمر
خفية الحيلـة في جسـم الفتى تحدث في الجسـم دبيبـاً وخَدَرْ[3]
كأنّمـا الأوطـار فيهـا جمعت فليس في العيش لجافيهـا وطر[4]
لاسيَّمـا من كفِّ ظبـي لم يشنْ بفـرط طولٍ لا ولا فرط قصرْ
لـه سهـامٌ من لحـاظ صيّبٍ كأنّمـا يرمين عن قوس القدر
مزنّـرٌ شككّنـي في دينهِ حتى أحلـت الكفـر فيمـن قد كفر
لأنّـه كالحُـوْرِ في تصويره والحـور لا يسكنهـا الله سقر[5]
لـو لم يكن زنّـاره في وسطهِ يمسـك ضعف الخصـر منـه لانبتر
وبـان منـه نصفـه عن نصفه لكنّـه جاء لهُ علـى قدر
إن قلـت يحـكي قمـراً عنّفني عقـلٌ له أعدمـه عنـد القمر
أنـى يوازيه وهـذا ناطقٌ وذاك إن خوطبَ لم ينطقْ حَصَرْ[6]

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .
(٢) جسر : تجرأ .
(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .
(٤) الوطر : الحاجة .
(٥) سقر : جهنّم .
(٦) حصراً : إعياءً .

يا لك منه منظراً أشهى إلى قلبيَ من جنّةِ عدنٍ أو أسرّ
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلةً لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضاً [من البسيط] :

عللّْ فؤادك والدنيا أعاليلُ لا يشغلنْكَ عن اللّهو الأباطيلُ
ولا يصدنّْكَ عن أمرٍ هممت بهِ من العواذل لا قالٌ ولا قيلُ
فخير يوميك يومٌ أنت فيه إذا ميزت في الناس محمودٌ ومعذولُ
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا فقل لهم إنّني عن ذاك مشغولُ
فإن ذلك أمرٌ معْ نفاستهِ ونبله بفناء العمر موصولُ
وارض الخمول فلا يحظى بلذّتهِ إلا امرؤٌ خاملٌ في الناس مجهولُ
ولا تبع عاجل الدنيا بآجل ما ترجو فذلك أمرٌ شأنه الطولُ
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به روحي فإنّ دم الصهباء مطلول[1]
يا خائف الإثم فيها حين تشربها لا تقنطن فعفو الله مأمولُ
قم فاسقني النضّ ممّا حرموه ، ولا تعرض لما كثرت فيه الأقاويل[2]
من قهوةٍ عتقتْ في دنّها حقباً كأنّها في سواد الليل قنديلُ[3]
عروس كرم أتت تختال في حللٍ صفرٍ على رأسها للمزج إكليلُ
كأنّها بأكفّ القوم إذ جليتْ ذوبٌ من الذّهب الإبريز محلولُ
في فتيةٍ جعلوا للهو طاعتهمْ فما لهم عن طريق اللهو معدولُ
جليسهم ليس يُروى من حديثهم يوماً وبعض حديث القوم مملولُ
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم ففي سكوتهم المأمول والسولُ
ترى مجالسهم مملوءةً لجباً وكلّ ذاك فضولٌ عنك معزولُ[4]

---

(١) المطلول : مباحٌ سفكه .
(٢) نضّ الماء : سال قليلاً ، أو خرج رشحاً ، والناض : الزائد .
(٣) الحقب : مفردها حقبة وهي مدّة طويلة من الزمن .
(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشـرب فقـد طابـت العقارُ وابتسـم الـورد والبهارُ
مـن قهـوةٍ ما انبـرت لهمُ إلاّ وولّـى له انشمارُ[1]
لهـا جيوشٌ من الملاهي للهـمِّ قـدّامها الفرارُ
لألاؤهـا في الدّجـى نهارٌ يظلـم من نوره النّهارُ
إذا استقـرت حشـا لبيبٍ رأيتـه ما له قرارُ
لـم يرهـا ناظرٌ حـديدٌ إلا ثنـى لحظـه انكسارُ
خيالهـا جسـمـه لجينٌ وجسمهـا شخصـه نضار[2]
كأنّهـا تحتـه كميتٌ عليـه من فضّـةٍ عذارُ
لهـا لدى حزن شاربيها ثأرٌ وعنـد الحلـوم ثار
فالحـزن عن أهلهـا مُطارٌ والحلـم في إثـره مطارُ
فـلا انتصـار لذا عليها ولا عليها لـذا انتصارُ
يسعـى بهـا جؤذرٌ غريرٌ في لحـظ أجفانـه احورار
يحسـن منـي الـوقار إلاّ فيـه فمـا يحسـن الوقارُ
أغـار منّـي عليه حتّى عليه مـن نفسـه أغارُ
كلّ جمـالٍ ترى فمنهُ إذا تأمّلـت مستعارُ
كأنّ صدغـاً له تراه وهـوَ علـى خدِّهِ مدارُ
ميدان آسٍ بدا جنياً ألهـب في جانبيه نارُ[3]
بيتٌ من الحسـن لي إليه حجٌّ مدى الدّهـر واعتمارُ
زيارة البيت كلّ عامٍ ودهـر ذا كلّـه يزارُ

---

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .

(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .

(٣) الآس : الريحان .

قلت له إذ بدا وقلبي من لاعج الشوق مستطارُ[1]
يا جامع الحسن كلّ حسنٍ للناس من شرطك اختصارُ
ما فضَّل الغانيات عندي عليك إلاّ امرؤٌ حمارُ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت المدامُ وافترّ عن ثغره الغمامُ[2]
من قهوةٍ حُرِّمت علينا والصبّر عن مثلها حرامُ
جلَّتْ عن الوصف فهي شيء يدقُّ شأنها الكلامُ
إذا استذمّ الأسى إليها فما له عندها ذمامُ
طوّقها الماء سمط درٍّ ليس لمنشوره نظامُ[3]
كأنّها تحته كميتٌ عليه من فضّةٍ لجامُ
إذا بدت للهموم ظلّت وهي لإعظامها قيامُ
تلوذ منها فلا لواذٌ ينفع منها ولا اعتصامُ
في فتيةٍ كلُّهمْ كريمٌ وخير مَنْ يُصحب الكرامُ
يكسد سوق الفتاة فيهمْ ظرفاً ولا يكسد الغلامُ
أئمّةٌ كلُّهمْ عليمٌ بكلّ ما فعله أثامُ
لكنني فيهمْ على ما وصفت من فَضلهم إمامُ
وعندنا شادنٌ غريرٌ في لحظ أجفانه سقامُ
للحسن قدّامه جيوشٌ للصبر قدامها انهزام
يخفّ في حبّه التصابي كمثل ما يثقل الملامُ
ذا العيش فافطنْ له وبادرْ من قبل أن يفطنَ الحمامُ

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .
(٢) افترّ : تبسّم .
(٣) السمط : العقد .

وانعـم فغـام السـرور عندي يومٌ ،ويوم الهمـوم عامُ

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبـت بعـدك عفَّتـي ووقاري وخلعـت في طرق المجـون عذاري
ورأيت إيثـار الصبابـة في الذي تهـوى النفـوس ممحّق الأعمارِ[1]
لا تأمرنّـي بالتّستُّـرِ فـي الهوى فالعيش أجمـع في ركوب العار
إنَّ التوقّـر للحياة مكدِّرٌ والعيش فهـو تهتُّـكُ الأستارِ
من تابعـت أمـر المـروءة نفسه فنيت من الحسـراتِ والأفكار ؟
لا تكثـرنَّ علـيَّ إنّ أخـا الحجا بَرِمٌ بقـرب الصّاحـب المهذارِ[2]
خوَّفتنـي بالنـار جهـدك دائباً ولججـت في الإرهـاب والإنذارِ
خوفـي كخوفـك غير أنّـي واثقٌ بجميل عفـو الـواحـد القهّارِ
أقـرَرْتُ أنّـي مذنـبٌ ومجرمٌ تعـذيب ذي جرمٍ علـى الإقرارِ[3]
انظـر إلـى زهـر الـربيع ومـا جلتْ فيه عليك طرائف الأنوارِ
أبـدت لنـا الأمطـار فيه بدائعاً شهـدت بحـكمـة منـزل الأمطارِ
ما شئـت للأزهـار في صحرائه من درهـم بهـجٍ ومـن دينارِ
وجواهـرِ لولا تغيُّرُ حسنها جلَّـتْ عن الأثمـان والأخطار
من أبيضٍ يقـقٍ وأصفـر فاقعٍ مثـل الشمـوس قرنَّ بالأقمارِ
ناحـت لنـا الأطيار فيه فأرهجت عرس السـرور ومأتـم الأطيارِ[4]
دارٌ له اتصـل البقـاء لأهلها لم يحفلـوا بنعيم تلك الدّارِ
فانهضْ بنـا نحـو السّـرور فإنَّهُ ما زال يسـكن حانـة الخمّارِ

---

(١) ممحـق الأعمار : متلفها .

(٢) برم : ضجِزٌ ومال .

(٣) الجرم : الذنب .

(٤) أرهجت : أقامت .

فاشـرب معتّقـةً كأنَّ نسيمها مسـكٌ تضوّعـه يدُ العطارِ[1]
أَخْفَـى دبيبـاً في مفاصـل شربها وأدقُّ ألطافـاً من المقدارِ
أحكامها في العقـل إنْ هي حكِّمتْ أحـكام صرف الدهـر في الأحرارِ
يرضى على الأقـدار شاربهـا الذي ما زال ذا سخـطٍ علـى الأقدارِ
وكأنّهـا والـكأس ساطعـةٌ بها ذوبٌ تحلّل في عقيقٍ جاري
لا سيّمـا من أغيد شادنٍ يسبـي العقـول بطرفـه السحَّارِ
فضـل الغصـون لأنّهـا من غرسنا عنـد التأمُّـل وهـو غرسُ الباري
قد غيَّب الزّنـار دقّـةَ خصره حتّـى ظنناه بـلا زنّارِ
متنصـرٌ قويت علـى إسلامنا بالحسـن منـه حجَّـةُ الكفارِ
قالـوا أيصنـع مثـل هذا ربكم ويرى فسـاد صنيعـه بالنارِ ؟
مع مسمـعٍ حلفـتْ له أوتاره أنْ لا تنافـر رنَّـة المزمارِ[2]
فطـنٌ يحـرِّك كلّ عضـوٍ ساكنٍ تحـريكه لسـواكن الأوتارِ
شدوٌ إذا الحلمـاء زار حلومَهَمْ باعـوا بطيب السّـخف كلَّ وقارِ
والشـدو أحسنـه الـذي لم يستمعْ إلاّ أطـار العقـل كلَّ مطارِ
ذا العيشَ ، لا نعـتُ المهامـه والفلا وسـؤال رسـم الـدّار والأحجارِ[3]
لا فرَّجَ الرحمـن كربـةَ جاهلٍ يبـكي علـى الأطـلال والآثارِ

وقال أيضا [من الخفيف] :

قد رضينـا من الغـزال الكحيل بغـرورِ العـدات والتعليلِ[4]
وهجرنـا سـواه وهـو منيلٌ وهوينـاه وهـو غـير منيلِ

---

(١) تضوّعه : تنشر عبقه .
(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنّى .
(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .
(٤) العدات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثيرٍ ... وقليل الحبيب غيرُ قليلِ
يا عذولي زعمت صبري صواباً ... وطريق الصواب غير محيلِ
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ ... أنا فيه ، وبين صبرٍ عليلِ
لا تعِبْ من هويتَ بالبخل ، إنّي ... لا أحبُّ الحبيب غير بخيلِ
يجمل البخل بالملاح وإن كا ... ن بغير الملاح غير جميلِ
كلّ من سرَّه حبيبٌ جوادٌ ... فلتطبْ نفسه بقرنٍ طويلِ

وقال أيضا [من الطويل] :

ألست ترى وشيَ الرّبيع المنمنما ... وما رصّع الربعي فيه ونظّما[1]
فقد حكت الأرض السماء بنورها ... فلم أدرِ في التّشبيه أيُّهما السّما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه ... وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه ... تداخله عجبٌ بها فتبسّما
وأبدى على الورد الجنيّ تطاولاً ... فأظهر غيظ الورد في خدّه دما
وزهر شقيقٍ نازعَ الورد فضلَهُ ... فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
وظلَّ لفرط الحزن يلطم خدَّه ... فأظهر فيه اللّطم جمراً مضرَّما[2]
ومن سوسنٍ لمّا رأى الصبغ كلّهُ ... على كلِّ أنوار الرياض تقسّما
تجلبب من زرق اليواقيت حلَّةً ... فأغربَ في الملبوس منه وأعلما[3]
وألوان منثورٍ تخالف شكلها ... فظلَّ بها شكل الربيع متمّما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها ... رأيت بها كلّ الملوك مختما
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى ... من العيش حلواً غير ما قيل حرّما

---

(١) الربعي : مطر الربيع .
(٢) المضرَّمْ : المتّقدّ .
(٣) تجلبب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالـوا عشقـت كثير البخـل ممتنعا   فقلـت هيهـات عنـكم غاب أطيبهُ
لو جاد هانٍ وقيل الجـود عادته   وإنّمـا عزٌ لمّـا عزٌ مطلبهُ

وقال [من الطويل]:

أُرجّي دنـوٌ الوصـل من بعـد بعده   كما قد ترجّى في الجدوب السحائب
وأكثـر في الهجـر العتـاب كأنّني   لدهـريَ من ظلـم الـكرام أعاتب
وأهـوى مواعيد المنى عنك بالرضى   وقـد تمنـع الآمـال وهـي كواذب

وقال [من الرمل]:

حبـذا زورٌ أتـاني طارقـاً بعـد اجتنابهْ
شـقّ جنـح الليل بدرٌ لاح من ثنـي نقابهْ
طربـتْ نفسـي إليـهِ وإلـى طيبِ اقترابهِ
طَـرَبَ الشيْخ إذا ذُكّـرَ أيّام شبابهْ

وقال [من مخلع البسيط]:

خلعـت في حبّـه عذاري   وطـاب لي العيش باشتهاري
وذقـت طعـم الجنـون فيهِ   فـكان أحلـى من العقار(١)
إنْ أُبـدِ في حبّـهِ خضوعاً   فليس ذلّ الهـوى بعارِ
لـو كان في الحـبٍ لي اختيارٌ   لكان تركي له اختياري
مـن روحـه في يديْ سواه   فهـو حقيقٌ بأن يداري
لا تحمدونـي علـى احتمالي   هـوانـه واحمـدوا اصطباري

(١) العقار: الخمر.

وقال [من البسيط]:

متى وعدتك في ترك الهوى عدةً ... فاشهدْ على عدتي بالزّور والكذبِ
أما ترى الليل قد ولّت عساكرهُ ... وأقبل الصبح في جيشٍ له لجبِ[1]
وجدّ في أثر الجوزاء يطلبها ... في الجوّ ركض هلالٍ دائم الطّلب
كصولجان لجينٍ في يديْ ملكٍ ... أدناه من كرةٍ صيغتْ من الذّهبِ
فم بنا نصطبح صفراء صافيةً ... كالنّار لكنها نارٌ بلا لهب
عروس كرمٍ أتت تختال في حللٍ ... صفرٍ على رأسها تاجٌ من الحبب

وقال [من المنسرح]:

قم فاسقني والخليج مضطرب ... والرّيح تثنى ذوائب القضبِ
كأنّها والرّياح تعطفها ... صفٌّ قنا سندسية العذبِ[2]
والجوّ في حلّةٍ ممسكةٍ ... قد طرّزتها البروق بالذهبِ

وقال [من الخفيف]:

وسحابٍ إذا همى الماء فيه ... ألقت الرّعد في حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم تجرِ إلاّ ... ظلّ يذكي على القلوب حريقا

وقال [من الخفيف]:

جوهريٌّ الأوصاف يقصر عنهُ ... كلّ وصفٍ لكلّ ذهنٍ دقيقِ
شاربٌ من زبرجدٍ وثنايا ... لؤلؤٍ فوقها فمٌ من عقيقِ

وقال [من السريع]:

صوّره خالقه جامعاً ... لكلّ شيءٍ حسنٍ بارعِ

---

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .
(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حسنٍ من جميع الورى   مختصرٌ من ذلك الجامعِ

وقال [من المنسرح]:

عشقت من لا ألام فيه وما   يخلو من اللّوم كلُّ مَنْ عشقا
رأيُ الورى في سواه مختلفٌ   وأنت تلقاه فيه متّفقا
وكل قلبٍ إليه منصرفٌ   كأنّه من جميعها خُلِقا

ألمّ فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : «خلق من كل قلب ، فهو يغني كلا ما يشتهيه».

وقال [من الخفيف]:

زارني في دجا الظلام البهيمِ   قمرٌ بات مؤنسي ونديمي
بحديثٍ كأنّه عودة الصّحَـ   ـة في الجسم بعد يأسِ السّقيمِ
تتلقّى القلوب منه قبولاً   كتلقّي المخمورِ برد النسيم

وقال [من الوافر]:

ظفرتُ بقبلةٍ منه اختلاساً   وكنت من الرقيب على حذارِ
ألذُّ من الصّبوح على غمامٍ   ومن برد النسيم على خمار(١)

وقال [من الكامل]:

لا تلفينّ مقارناً   من لا يزين من الصّحابِ
فالثوب ينفذ صبغه   فيما يليه من الثّياب

وقال [من السريع]:

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه   ريّاً ثناني الريُّ ظمآنا

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمـر أروى ما يكون الفتى   من شربها أعطش ما كانا

وقال [من الخفيف]:

حملتْ كأسُهُ إلى شفتيه   كفُّهُ والظلام مرخي الإزار
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغرٍ   وعقيقان من فمٍ وعقارِ

وقال [من الطويل]:

وصفرا من ماء الكروم كأنّها   فراقُ عدوٍّ أو لقاء صديقِ
كأنّ الحباب المستدير بطوقها   كواكب درٍّ في سماء عقيقِ
صبيبت عليها الماء حتّى تعوّضت   قميص بهارٍ من قميص شقيقِ

وقال [من الوافر]:

سلا عن حبّك القلبُ المشوقُ   فما يصبو إليك ولا يتوقُ(1)
جفاؤك كان عنك لنا عزاءً   وقد يسلى عن الولد العقوقِ

وقال [من المجتث]:

كأنّ أوراق زهرٍ   للباقلاء بهيّه
خواتمٌ من لجينٍ   فصوصها حبشيّه

وقال [من الكامل]:

أسنى الأماني كلّها   وأجلّ منها ما ينالُ
كأسٌ ومسمعةٌ وإخوان   تحادثهم ومالُ

وقال [من مخلع البسيط]:

أبصره عاذلي عليه   ولم يكن قبل ذا رآهُ

(1) سلا : من السلوّ ، وهو التجمّل والنسيان ، ويتوق : يشتاق .

فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواهُ
قل لي إلى إلى من عدلت عَنه فليس أهل الهوى سواهُ[1]
فظلَّ من حيث ليس يدري يأمر بالحبِّ من نهاهُ

وقال في ثقيل [من البسيط]:

ما السّقم في سفرٍ والدّين مع عدمٍ يوماً بأثقل منه حين يلقاني
مالي عليه معينٌ حين أبصرهُ غير الصّدود وتغميضي لأجفاني

وقال [من الكامل]:

إن كان قد بعد اللقاء فودُّنا دانٍ ونحن على النوى أحبابُ
كم قاطعٍ للوصل يؤمن ودّه ومواصلٍ بوداده يرتابُ

وقال [من الرمل]:

لا ووعد الوصل باللحظ على رغم الرقيبِ
واختلاسِ القبلة الحلوة من خدٍّ الحبيبِ
وسماعٍ مستطابٍ جاء في لفظٍ مصيبِ
ما سوى الراح لداء الهمِّ عندي من طبيبِ

وقال [من الكامل]:

يا من إذا لاحت محاسن وجههِ غفرت بدائعها جميع ذنوبِهِ
النّجم يعلم أنّ عيني في الدّجا معقودةٌ بطلوعه وغروبه
إنْ كان في تعذيب قلبي راحةٌ لك فاجتهد بالله في تعذيبِهِ
لو كان سفك دمي إليك محبباً لرأيتني متضرّجاً بصبيبه[2]

(١) عدلت : ملت وغيّرت .
(٢) متضرّجاً بصبيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل]:

ازهدْ إذا الدنيا أنالتك المنى ... فهناك زهدك من شروط الدِّين
فالزّهد في الدنيا إذا ما رمتها ... فأبت عليك كعفّة العنِّينِ[1]

وقال [من المجتث]:

لا تحسدنّ صديقاً ... على تزايد نِعْمَهْ
فإن ذلك عندي ... سقوط نفسٍ وهمّهْ

وقال [من المجتث]:

وجلنارٍ بهيٍّ ... ضرامه يتوقّد
بدا لنا في غصونٍ ... خضرٍ من الرىٍّ ميّدْ[2]
يحكى فصوص عقيقٍ ... في قبّةٍ من زبرجدْ

وقال [من السريع]:

أقبل والعذال يلحونني ... فكلُّهم قالَ: مَنِ البدرُ؟
فقلت: ذا من طال في حبّهِ ... منكم لي التعنيفُ والزجرُ
قالوا: جهلنا فاغتفر جهلنا ... فليس عن ذا لامرىءٍ صبرُ
عذرك في الحبّ له واضحٌ ... وما لنا في لومنا عذرُ

وقال [من مخلع البسيط]:

بما بعينيك من فتونٍ ... ومن فتورٍ بها وسحرِ
وبالعذار الذي تولى ... خلع عذاري وبسط عذري

---

(١) العنّين: الفاقد الفحولة.
(٢) ميّدٍ: متمايلة.

ومضحكٍ منك لؤلؤيٌّ ممتزجٌ مسكه بخمر
جُدْ لي بالصفح عن ذنوبي أولا فعاقبْ بغير هجرِ

وقال [من مخلع البسيط] :

عدت إلى الغيّ بعد نسكي ولذّ لي فيك طعم محكي[1]
أضحك للكاشحين جهراً ولي ضميرٌ عليك يبكي
تمنعني أن أبوحَ نفسٌ تأنفُ من ذلَّةِ التّشكّي
عيني التي أوقعت فؤادي يا عين ماذا لقيت منكِ

وقال [من مخلع البسيط] :

واحربي من جفون ظبيٍ أقام عذري به عذارهْ
أسقم جسمي بسقم طرفٍ حيرني في الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه يحرقني دونه استعاره
هذا اختياري فأبصروهُ شاهد عقل الفتى اختياره

وقال [من الكامل] :

لا تقبلن من الرشيد كلامَهُ وإذا دعاك أخو الغواية فاقبلِ
ودع التزمُّت والتجمُّل للورى فالعيش ليس يطيب بالمتجمّلِ[2]
واشرب مزعفرةَ القميص سلافةً من صبغة البردان أو قطربُّلِ[3]
كأسٌ إذا رمت الهموم بسهمها لم يخطِ نافذه سواء المقتل
تحلو وتعذب في النفوس كأنّها كبْتُ العدو ورغم أنف العذَّلِ

---

(١) الغيّ : الضلال ، والمحك : من المماحكة .
(٢) التزمّت : التضييق والتشدّد .
(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

حمراء يرحُبُ كلّ صدرٍ ضيّقٍ معها ويُفتح كلّ بابٍ مقفل
تحكى ضرام النار إلاّ أنها نارٌ لعمرك ليس تؤذي المصطلي (١)
لا سيما من كفّ طاوية الحشا ترنو بناظرتي خذولٍ مطفل (٢)

وقال [من الوافر]:

كتبت وفرط شوقي قد عناني وقد بعد اللقاء على التداني
وما في البيت لي ثانٍ فكن لي جعلت فداك يا مولاي ثاني
فعندى ما يجاوز كلّ وصفٍ وما يرضى الخليل إذا أتاني
خروفٌ أظهر الشُّوّاء فيه تأنُّقه فليس له مداني
غلالة باطنٍ منه لجينٌ وظاهره غلالة زعفران
وكأسٌ مثل عين الديك صرفٌ لها حببٌ كمنظوم الجمان
لها في كفّ شاربها شعاعٌ تطرّف منه مبيضٌ البنان (٣)
يطوف بشمسها قمرٌ منيرٌ تمكّن طالعاً في غصن بانِ
وإنْ أحببت مسمعةً أتتنا محذّقةً بأصناف الأغاني
تطلّق همّ سامعها ثلاثا بتحريك المثالث والمثاني
فهذا عندنا، ولدون هذا لعمرك ما كفاك وما كفاني
فزرنا لاعدمتك من صديقٍ تتمّ لنا بزورته الأماني

وقال [من الخفيف]:

فَحُمٌ شبَّهُ الغلام وأدلى في كوانينه حياة النفوس (٤)

---

(١) ضرام النار : إيقادها .
(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتنفرد ، والمطفل : التي تربّي أطفالها .
(٣) تطرّف : تزيّن وتوشّح .
(٤) شبّه : أوقده .

كان كالآبنوس غير محلى	فغدا وهو مذهب الآبنوسِ
لقي النار في ثياب حدادٍ	فكسته مصبّغاتُ عروسِ

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيّد يمنيّ	فقراني والجود قدماً يماني
وأتت عرسه تغازل إيري	قلت لا تفعلي فلستُ بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممّن	يتصدّى لنسوةِ الإخوان
فأتاني وقال نكْها بعيشي	فهي موقوفةٌ على الضّيفان
قلت قد زدت في الضيافة معنىً	ما عرفناه في قديم الزّمان
قال من أجل ذاك طار لي اسمٌ	وألحّ الضيوف في غشياني [1]
فمتى يدعى مع اسمي ضيوفٌ	قيل مرعى وليس كالسّعْدَان

* * *

٣٠ - القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسّني عدمٌ	مذ وقعت عينه على عدمي
أغنى وأقنى فما يكلّفني	تقبيلَ كفٍّ له ولا قدَمِ
قام بأمري لمّا قعدت به	ونمت عن حاجتي ولم ينمِ

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدبٌ	صداقة مثله نسبُ
رعى لي فوق ما يرعى	وأوجب فوق ما يجبُ

---

(١) الغشيان : الأمّ والقصد والنزول .

فلـو نقـدت خلائقـه لبهـرج عندهـا الذّهب[1]

* * *

٣١ - إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرّقنـي الشـوق فلـم أكتحلْ بلـذّةِ الغمض إلى الفجرِ
تسري همومـي فأراعـي بها كواكبـاً دائبـةً تسري
حتـى كأنّ البـدر إذ أشرقتْ علـى الثّـريا غـرّة البـدرِ
صفحـة مرآةٍ وقـد أُذهبتْ بمقبضٍ رصّـع بالـدرّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهـلٍ بسـواد الليل ملتبسٍ باتـت تقمّـه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفـت أشـكال أنجمه كأنهـنّ عيونٌ للدّجـى حولُ
تبـدو الثـريا ككفٍّ للدعـاء بها قد مدّهـا الصبـح والجـوزاء إكليلُ
تلـوى رقـاب المطـايا من تطاوله وينهض الفجـر فيه وهـو مشكول

* * *

٣٢ - القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربَّ ليلٍ لم أذقْ فيه الكرى حظُّ عينـي فيه دمـعٌ وسَهَرْ
طال حتـى خلتـه لا ينقضي ونـأى الصّبـح فمـا منـهُ أثرْ

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زيّفه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عـــنّي قمرٌ أحببته فتعلّلـــت بـأنـــوارِ القمـرْ
كلّما هيّـج شوقـــي حزَني صحـــت ياليلي أمـا فيك سَحَرْ

وقال [من الخفيف]:

ربّ خودٍ عرفـتُ في عرفاتِ سلبتنـــي في حسنهـا حسناتي
حرّمـــت يوم أحْرَمـــت نوم عيني واستباحـــت حـماي باللّحظـاتِ(١)
وأفاضـــت مع الحجيج ففاضت من جنونـــي سواكب العبراتِ
ولقـد أضرمـــت بقلبـي جمراً حـــين راحـــت للرمـــي بالجمراتِ(٢)
لم أنـــل من منـــى منـــى النّفس حتّى خفـــت بالخيف أن تكون وفاتي(٣)

وقال يصف الهلال [من المنسرح]:

انظـــرْ الى حســـن ذا الهـــلال وقدْ بدا لســـتٌ مضـــينَ مِنْ عُمُرهْ
وقـــد أطافـــت بـــه كواكبهُ حســـناً فبيّنتـــهُ لمعتـــبرهْ
مثـــل زنـــادٍ قد صيغ من ذهبٍ يقـــدح ناراً وهـــن من شررهْ
ثم تولى يـريـد مغربهُ في شفـــق الشّـمس وهـــي في أثرهْ
فخلتـــه غائصـــاً ببحـــر دمٍ يقـــذف بالرائعـــات من دررهْ
فلـــم أزل ليلتـــي أراجعـــهُ لحظـــي وأبـكي للوقـــت من قِصرِهْ
حتـــى تبـدّى الصبـــاح منتبهاً قبـل انتبـــاه المخمـــور من سكَرِهْ

وقوله في مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل]:

يا من يمـــرُّ ولا تمـــــــرُّ به القلـــوب من الحُرَقْ

---

(١) استباحت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .
(٢) أضرمت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .
(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامةٍ من خدِّهِ ... أو خدّه منها سرق
فكأنَّها وكأنَّه ... قمرٌ أحاط به شَفَقْ
فإذا مشى وإذا انثنى ... وإذا رنا وإذا نطقْ
شغل الجوارح والخوا ... طر والمسامع والحدقْ

* * *

٣٣ ـ صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالحُ ... من كلّ ما يكرهه صالحُ
فأنت غصنٌ صيغ من درَّةٍ ... على ذراه قمرٌ لائحُ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور ... د في الطّيب على الوردِ
ونادمت ابن رشدين ... فما حدت عن الرُّشدِ
فتىً كالبدر في الرفعة ... والإشراق والسعدِ
كأنّي منه في الجنّة ... لو أظفر بالخلدِ

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى ... عن زماني حين أسخطْ
فأدم لي الوصل إنّي ... بك في العالم أغبطْ
أنت والرحمن مذ كنت ... على قلبيَ مسلَطْ
ومصيبٌ أنا في الحبّ ... ومن بعدي يغلط
يا جواداً في لهاه ... بنداه أتبسّط[1]

---

(١) لهاه : عطاياه ، واتبسّط : أتكرّم وأتوسّع في العيش .

أسقط الحشمة في العشرة فالحشمة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمره [من الكامل] :

ما اسم إذا صحَّفتهُ وعكسته ونقصت حرفا منه كان سلاحا[1]
وإذا قام ولم يحلْ عن حاله عادى العقول وصالح الأرواحا

وله في بعض آل الفرات [من المجتث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدُ ما اخضرَّ لي فيه عودُ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيد ؟
يا من له عُدَدُ المجد كلّها والعديدُ
آل الفرات نداهمُ علىٰ الفُراتِ يزيدُ
وأنت فضلك فيهمْ عليك منه شهودُ
وكلّ يومٍ لغيري من راحتيك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدود ؟
ما النّاس إلاّ شقيٌّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدْ لي بجديٍ نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لفّات قطنٍ بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوسا [من الخفيف] :

قد غدونا علىٰ رءوسٍ سمانِ ناعماتٍ من أرؤس الخرفانِ

---

(1) « خمرة » إذا صحّفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفٍ منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

وارمـات الخـدود من غير سوءٍ شحمـاتِ العيون والآذانِ
تتداعـى بالوهـم من قبـل أن تلـ ـمسها كفٌّ آكلٍ ببنانِ
ولأصـل اللسـان طيبٌ ينسيـ ـك من الـطيب مصّ طرف اللسانِ
ورقـاقٍ ذي نعمـةٍ وبياضٍ كوجـوه المخـدّرات الحسانِ
وبقـولٍ تغنيك عن زهـرة الرو ض وتنسيك خضـرة البستانِ
وأتـت راحنـا التـي هي في الأر واح مثـل الأرواح في الأبدانِ
ثـم وافـى بنفسـجٌ في حدادٍ فرأينـا السـرور فـي الأحزانِ
عنـد حرٍّ يستنفـد الـوصف مدحاً وهـو عبـدٌ لسائـر الإخوانِ
أحكمتـك الأيام يا ابـن حكيمٍ فأريت الزّمـان حـكم الزمانِ

وقال أيضا [من الطويل] :

سأدمِـنُ شرب الـراح ما دمـتُ باقياً وأمـدح من شرَّابهـا كلَّ مدمنِ[1]
فمـا تـكمـل الأوقـات إلاّ بقهوةٍ ولا تحسـن الأيـام إلاَّ لمحسنِ

وقال [من السريع] :

إذا هجـا الشاعـر في خفيةٍ وخفض الصّـوت عن الرفعِ
ولاذ بالجحـد لمـا قاله فإنّمـا خاف مـن الصّفعِ[2]

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

هذا لعمـرك يومٌ يستـطير له من قرِّهِ شَعَـرُ الهامـات بالرّعد
لو شئـت لا خائفـاً لذعـاً ولا ألماً قبضت فيه على جمـر الغضـا بيدي[3]

---

(۱) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .
(۲) الحجد : الإنكار .
(۳) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ يقيم عذري عند عذّالي
قد قصد الله بأحواله فليته يقصد في حالي (1)

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله مادحٌ فأنت في صفقتك الرّابحُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ميسمها في وجهه لائحُ (2)
ففخر عبد الله في النّاس أن يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرءاً من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرّةٍ قريحةٍ صاحبها قارحُ (3)
فاركب ذلول الأمر أوْ صعبهِ فيَّ فقد جدَّ بك المازح
وعِقّ من أهلك من شئته فإنّما أنت له فاضحُ (4)
واغد بما تهوى وروح إنّني غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيُّها الصعو الذي لم يزل يرقص حتى دقّه الجارح (5)

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى وهاج يوماً ضرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابحُ

---

(1) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(2) الميسم : الأثر والعلامة .

(3) الغرّة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(4) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجحود الفضل .

(5) الصعو : العصفور الصغير .

إنّ الـــذي تطمــع في قربهِ نجــمٌ لمـــن يرمقـــه لائحُ
يا شاربـــاً في يده حتفه لم تدرِ ما خاض لك الجارحُ
أراك قد لججـــت في غمرةٍ يغـــرق في تيارهــا السابحُ
فقـــد تمرّســـت بمـــن شعره كالبحـــر لا ينزفـــهُ الماتحُ[1]
كم جامـــحٍ قبلك ألجمته بالـــذلّ حتـــى سكن الجامح[2]

وقوله فيه [من السريع] :

يا ذا الـــذي عن رشـــده قد عمي لو كنـت جلـداً حدت عن أسهمي
لــو كنـــت شهمـــاً حازمـــا ضابطاً لمـــا تقلبـــت علـــى الشّيهمِ[3]
مـــا أنـــت في فعلك إلاّ كمنْ تطعَّـــمَ الـــرِّيـــق مـــن الأرقمِ[4]
كيف يخـــوض البحـــر من مثله يغـــرق فـــي دائـــرة الدرهمِ
فاثبـــتْ أوِ أجـــزعْ كلّ ذا واحدٌ لا عاصـــم اليوم لمستعصمِ
استقـــدر الله علـــى كلّ ما ألصـــق منـــك الأنف بالمـــرغـــم
تجاســـر الجـــوع علـــى صالحٍ تجاســـر الكلـــب علـــى الضيغمِ[5]
وفـــاه باســـمـــي مفصحـــاً بعدما تركتـــه أســـكت من أبكمِ[6]
وقـــال قومٌ قد غدا شاعراً والشّعـــر لا يعـــرف للمفحمِ
فقلـــت لا لومَ علـــى مثله من أخـــذ الصّفـــع قفـــاه حمي
أنـــا الـــذي ألبستـــه حسرةً بمـــا جرى من ذكره في فمي
والله لا يجهـــل من بعدها وفـــي قفـــاه للـــرّدى ميسمي

---

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يقنيه .
(٢) الجامح : الشرود .
(٣) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكه من ذكرانها .
(٤) الأرقم : الأفعى السامة .
(٥) الضيغم : الحيوان المغترس .
(٦) الأبكم : الأخرس .

أبْيِن به من ميسمٍ واضحٍ ... يضيء كالغرَّة في الأدهم(١)
فليت شعري كيف رام العلا ... وهمٌ أن يرقى بلا سلم ؟!

ومنها :

ثم أتت بالصَّعو مستبشراً ... يروم أن يلحق بالقشعم(٢)
في الثمر المرّ دليلٌ على ... رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبي لسكوتي بعد أشجاني ... فالعذر عن كلٍّ ما أهواه أسلاني
قد أرقأ الله دمعي بعد جريته ... وأنقذ القلب من همٍّ وأحزانِ(٣)
فما أرى أحداً يُصفي الهوى أحداً ... وجود هذا رعاك الله أعياني
لم يبق بين الورى إلاّ مكاشرةً ... تبدو لنا عن صدورٍ ذات أضغانِ
أقول لابن أبي الجوع المنافق إذْ ... لم ينهه الحلم عنّي وهو ينهاني
أراك تقرعني سرّاً وتعجمني ... فهل وجدت صفاتي غير صوّان(٤)
تردّ في جبهة النّقار معوله ... إذا تضعضع عنها كلّ كدّان(٥)
العزُّ داري وظهر العزم راحلتي ... والوحش أنسي وجنُّ الأرض إخواني

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لي سيِّدٌ ما مثله سيِّدُ ... تصدَّتِ الحمّى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها ... والأفق بالليل قد احلولكا

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرّة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسّواد .
(٢) القشعم : النّسر المسنّ .
(٣) أرقأ : كفّ .
(٤) تقرع : تطرق ، وتعجم : تحك وتتفحّص .
(٥) الكدّان : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجـاءت الحمـى كعاداتها فلـم تجـدْ ما بيننـا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أمُّ الحياةِ على سرير نحاسٍ عريانـةٌ أبـداً بغيـر لباسِ
هي في الموات لدى الورى معدودة لكنّهـا ضمنتْ حياة النّاسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنـت فإنَّ عيني إذا ما غبـت داميةَ الجفون
كأنّـكَ مهجتـي فإذا تدانى فراقـك حمَّ لي ريبُ المنون[1]

وقال يصف البنفسج والورد [من مخلع البسيط] :

بنفسـجٌ جاء في حـدادِ وورْدنـا فـي معصفراتِ
فاشـرب علـى مأتـمٍ وعرسٍ جلا جميعـاً عـن الصّفاتِ

وسأله ابن رشدين الإمسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا آمـري بالمسير في لجج الـنيل كأنْ سخّـرتْ ليَ الريح
مـا جمّـد المـاء لي فأركبهُ كلاّ ، ولا صامـتِ التماسيح

* * *

٣٤ ـ محمد بن الحسن اليمني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعـي بعـد وصل تسـوم ما لا أسومُكْ[2]

---

(١) حمّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .
(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذلّه .

يا ليت أنّيَ يوماً من الزّمان نديمُكْ
فالشوق عندي غريمٌ كما السّلوُّ غريمُكْ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسفَ البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ - محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسب
من يرُمْ حبّك يتعبْ وأمانيه تكذّب
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعا ترجّل الـ ـمجد مذ صار يركب[1]

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابنيْ كشاجم أنتما مستعملان مجرّبانِ
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكانِ[2]
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القرانِ
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حيّاً وإن غطّاه دونكما الترابُ

---

(١) ترجّل : أي أصبح يمشي على رجليه .
(٢) المشوم : من المشؤم خففت الهمزة للضرورة الشعرية .

فـلا تستشعـرا حزنـاً عليه   فيذهـب لاعدمتكمـا الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمـر الليل كن شهيدي   فأنـت من أعـدل الشهودِ
هـل نمـت أو ذقـت طعـم غمض   مذ هجعـت أعين الرّقودِ
وكيف يلتـذّ باغتماض   من لجّ مولاه فـي الصّدودِ
فـكن شفيعـي إلـى حبيبٍ   قد زاد في كثـرة الجحّودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنّ الأبـاريق مملوءةٌ   ظبـاءٌ وقـوفٌ علـى ساحلِ
رماهـا بأسهمـه قانصٌ   فخضّبهـا بالـدّمِ السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

بـاكيةٌ ضاحكةٌ   خدّامهـا جلاّسها
مظهـرةٌ أنوارهـا   إن جُزَّ منهـا رأسها
كأنّهـا عاشقةٌ   تذيبهـا أنفاسها

وقال [من السريع] :

لـو أنصفـتْ عطفـتْ أو رقّتِ   ما أضنـت الجسـم ولا سلّتِ
أفـدي التـي إن أقبلـتْ أقبلتْ   دنيايَ أو غنّـتْ لنـا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيّهـا ذا أْستمـعْ مقالي   فليس في قصتـي ضلالُ
ثلاثـةٌ مالهـا مثالٌ   السّجـن والجـوع والعيالُ
إن دام هذا علـيَّ منهمْ   صحّحـت ما شنّعـوا وقالوا
أليس إن متّ مات شعري   أفنـى ومـا قلتـه يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثـر العـذال لومي ... يا ابـن رشـدين وزادوا
وبقلبـي منـك وجدٌ ... مالـه الدّهـر نفادُ
قـد تجافـى عن جفوني ... مذ تجـافيتُ الرّقادُ
فيك يا صالـح للقلـب ... صلاحٌ وفسادُ
أنـا من حبِّـك مولا ... ي عليلٌ لا أعاد[1]

وقوله [من السريع] :

دافعـت أيّامـي بأيامي ... حتّـى مضـى أكثـر أعوامي
وإنّمـا عمـر الفتـى كلّه ... كأنّـه طارقُ أحلامِ
يا ويح من أمسـى علـى غرَّةٍ ... وأنفـه من حتفـه دامي[2]
يرمـى بسهـمٍ للـردى صائبٍ ... من حيث لا يشعـر بالرامي

* * *

٣٦ ـ عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنّـك يا سيدي إذْ جفوت ... توهّمـت بي نبـوة الغادرِ[3]
وخلـتَ بأنـي ملالاً سلوتُ ... ولسـت بسـالٍ ولا صابرِ
وقـد علـم الله أنّـي عليـ ... ـك أشفـق منّـي علـى ناظري

---

(١) أعاد : أزار .

(٢) الغرّة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .

(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالــح يا مشبــه بدر الدجى ... بالحســن والإشــراق والرفعةِ
وجهك في الليل كشمس الضُّحى ... نوراً فمــا تصنــع بالشمعةِ

وقال [من المجتث] :

يا أطيب النــاس ريحاً ... وأطيب النــاس راحا
ومــا به أتصــدى الـ ... أطـراب والأفـراحا
هــات اسقنــي أو تراني ... لا أعــرف الأقداحا
واحفــظ علــيَّ فؤادي ... من أن يطير ارتياحا
لـو كنــت كاسمــك يا صا ... لح اعتمـدت الصّلاحا
لــكن أبــى الله إلاّ ... أن تفســد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبــان قد صار نضواً ... ولــم نفــد فيه لهوا ؟![1]
وليس ذلك منّا ... جهــلاً ولا كان سهوا
فبــالمــودّة إلاّ ... بكّرت للقصف عدوا[2]
حتــى نقــوم فنرفوا ... ما خرق الدهــر رفوا[3]
مــن بعــد تقــديم جديٍ ... مسمّــنٍ ظلّ يشوى
لــه ثلاثــون يوماً ... يحبــو إلـى الضّرع حبوا[4]
وأوفــر الــزّور في الخــ ... ـلِّ قد تبــوّأ مثوى

---

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .
(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .
(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمزّق منه .
(٤) الضّرع : الثدي .

لمـا انتزعـت حشاه عوّضتـه البقـل حشوا
وقـد عنيت بجامٍ ملأتـه لك حلوى
وقهـوةٍ بنـت كرمٍ صفـت من الـذمِّ صفوا
مـا شعشعـت قطُّ إلاّ سطت علـى الهـمّ سطوا
جنَّبتهـا كلّ وغدٍ يمحـو المحاسـن محوا
إلاّ إذا ما اقتنصنا عذب الخلائـق حلوا
وشـادنٍ ذي دلالٍ يشـدو فيلهيك شدوا
إمّـا غنـاءً وإمّا عجائبـاً عنـه تروى
حتـى تظـلّ بمـا فيــــه من وقـارك خلوا
وعندنـا لك وردٌ يحـدو المسـرّة حدوا[1]
ريحانـه لا يوازي لونـاً وعطـراً وسروا
فمـا اعتـذارك فـي أن تُفنـي زمانـك صحوا
وأنـت بعـد قليلٍ بالصّـوم والله تطوى
أبـا علـيٍّ ألا اسمعْ نصيحـةً ليس تزوى[2]
فإنّمـا نحـن سَفْرٌ علـى محجّـة بلوى
ولا تعـرِّج ذميماً علـى معاهـد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف]:

لا تنفَّسْ في مجلسٍ أنـا فيـه وتـنـفّسْ سـرّاً وراء الـبـابِ
ثم لا تعتـرض لسرِّ صـديقٍ إنّ ذاك السِّراء سـوطُ عـذاب
إنّمـا فـوك فقحـةٌ كـلّ وقتٍ تتصـدى الأنـوف كـالنّشاب

---

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .
(٢) تزوى : تبعد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجـــــوِّ ولو غاب في سواء السّحاب

وقوله [من الوافر]:

أرى اللذاتِ تعبـر بي يميناً ... على رغمي وتعبـر بي شمالاً
فأجرعُ دونها غصصاً لأنّي ... أشاهدها وما اعطيت مالاً

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعّدٍ ... فوق خدٍّ مورّدِ
كلّما رمتُ فرصةً ... لسعتْ عقربٌ يدي

* * *

٣٧ ـ الحسن بن محمد الشهواجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشوروباً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ ... وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصّلته ... وصفوه من مطله يكدر(١)
فهات ما يحضر إنّي امرؤٌ ... يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قوليَ ماضٍ على العباد فما ... يُردُّ في جدّه ولا لعبهِ
ولي لسانٌ كأنّه ظبَّةُ الـ ... ـسّيف طويلٌ أكاد أعثرْ بهِ(٢)

وقوله [من البسيط]:

وقهوةٍ كشعاع الشّمس صافيةٍ ... شربتها مَعَ شَرْبٍ سادةٍ كرما

---

(١) المطل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .
(٢) ظبّة السيف : شفرته .

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهجٍ حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما[1]
إذا رأيتهم أيقنت أنّهمُ نجومُ كلّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]:

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً وأسرح في أقطارها حين تقربِ
وأنت جناحي كلّما طرت للعلا وسيفي الذي أسطو به حين أضربُ

وقوله [من الرجز]:

وقهوةٍ في كأسها ترمي الندامى بالشَّررْ
قد جمعت نشر الرُّبا وبرد انفاس السّحرْ[2]
أطيب ما شربتها على غناءٍ ووتر
طوبى لمن حجَّ إلى كعبتها ثم اعتمر

وقوله [كن الكامل]:

وعلوُ قدرك وهو أبعد غايةً في كلّ حالٍ من علوِّ الكوكبِ
لأسيِّرنَّ مديحك الحسن الذي ألبسته ثوب الثناء الطّيبِ
حتى يحدِّث مَنَ بأرض المشرق الـ أقصى حديثك من بأرض المغربِ

وقوله [من الكامل]:

ومهفهفٍ ساقٍ أغنّ سقيته قبل الصبوح سلافةً عذراءَ
ما صاح ديك الصبح إلّا صيحةً حتّى توسّد كفَّه اغفاءَ
جعلته قبل رقاده كاسلتُهُ لمّا استقلّ لسانه فأفاءَ[3]

---

(١) الرهج : غبار الحرب .
(٢) نشر الرّبا : عبقها الطيّب .
(٣) الفأفاء : الذي يفأفىء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ ـ أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف]:

قلْ لمولاي منعماً لم صَرَمْتَ المتيَّما(١)
أنت أعطشتني إليك وأبكيتني دما
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظما
فأدر في ناظريك تجدني توهّما

وقوله [من المُجتث]:

أَجَنَّةٌ نحن فيها أم نحن في المرزجوش(٢)
ما بين آسٍ وماءٍ ينساب بين العروش
وقهوةٍ ذات حسنٍ وطاجنٍ ذي نشيش(٣)
وسيّدٍ رشت منه لما تطاير ريشي(٤)

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأهافوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

---

(١) صرمت : هجرت وقطعت .
(٢) المرزجوش : معرّب مرزنكوش ، ويسمّى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .
(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .
(٤) رشت : تقوّيت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قـد ، ومن خصّني بـودّك، أذكـى ... طول شوقي إليك في القلب نارا[1]
سـرت فيـه تلقـاء داريَ قـصـداً ... فـإذا النـور قـد تغشّى الـدِّيـارا
فـتـعـجـبـت أن أرى الأفـق لـيـلاً ... مـدلـهـمـاً وجـوف داري نـهـارا
وإذا خـطّك الـبـديـع على الـبـا ... ب يـبـثُّ الـضـيـاء والأنـوارا
فـتـمـنّـيـت أنّ خـدّي نـعـلا ... أخمصيـك اللذيـن نحـويَ سـارا
غـيـر مستنكـر لـمثلك أن يسـ ... ـبق فـضـلاً وأن يـفـوت فـخـارا
ثم أصبحت أشتكي عثر السكـ ... ـر وعـزمي زيـارتيـك ابـتـكـارا
فـإذا رقـعـةٌ تـمـرُّ بـهـا الـريـ ... ـح يـمـيـنـاً طـوراً وطـوراً يسـارا
فتـأمّلتـهـا وكـانـت مـن الـلا ... ئـي تـروق الـقـلوب والأبـصـارا
مـا تـوهّـمـت أنّني قـبـلهـا أقـ ... ـرأ خـطّاً يـزيـل عنّي الـخـمـارا
قـابـلتني منهـا سـهـامُ عـتـابٌ ... جـعلت درعـيَ الـحـصـين اعـتـذارا
وأحـاشـيـك أن تـكـون خـلـيـلاً ... مـذق الـودّ لـلـصديق مـعـارا[2]

فلما رأى ابن ابي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بـأبـي أنـت سـابـقٌ لا يـجـارى ... قـاده نـحـويَ اشـتـيـاقٌ فـزارا
عـاقـنـي الـحظّ أن أراه وأن نـقـ ... ـضي عنـد اجـتـمـاعـنـا الأوطـارا
يـا ابن رشدين قـد أفدت بـك الرشـ ... ـد وبـدّلـت بـعـد عـسـرٍ يـسـارا
كنت بـالأمس عنـد إخـوان صـدقٍ ... أدبـاءٍ نـديـر كـأسـاً عـقـارا
قـد جعلنـا محمـود ذكـرك نـقـلاً ... وشـربـنـا مـن قـبـلـه تـذكـارا[3]

---

(١) أذكى : أوقد .
(٢) المذق : المداهن .
(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفستق وغيره .

ثم إني انصرفت سكران أعتسُّ طريقي تمايلاً وعثارا[1]

والدّجى كالهموم في قلب من فا   رقَ عشقاً وغربةً وادّكارا

أخبط الليل مفرداً إذ تراءى   لي نورٌ أضاء ثمّ استطارا

فهنيئاً إنّي أودّك ودّاً   ترتضيه مغيَّباً وجهارا

ثم أخبرتني بشكواك فيها   فوقاني الإله فيك الحذارا

لم أزل دائباً أكرِّر قولي   كان لي فيك حافظ الجار جارا

* * *

٤٠ ـ أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث]:

يا حسرةً في نفوسٍ   ويا شجىً في حلوقِ[2]

يا فضّةً بين ثنييْ   غلالةٍ من عقيقِ

عليّ لا زلت همّي   في صبحتى وغبوقي

ودون سلوة وجدي   وجدان بيض الأنوقِ[3]

وأنشدني أيضاً [من المجتث]:

يا موقظاً طرف همّي   من بعد ما كان أغفى

تظنّ ما بتُّ أخفيه من جوىً بك يخفي

ولي لسان دموعٍ   ما يكتم النّاس حرفا

إذا تظلّم طرفي   وقعت بالطّرف تكفى

---

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأَنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث]:

قد عابني برقادي ... خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ ... فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراهُ ... طوعاً فنمت اضطرارا
فتلك علّةُ نومي ... يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ ـ القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح]:

يا أيها القائد الجليل ومنْ ... أصبح بالمكرماتِ يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإن ... كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنّ سورتها ... تجني على عقله ويعتذر[1]

فكتب إليه القائد ابو تميم [من المنسرح] :

أبا عليٍّ حاشاك يا أملي ... من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقٌ ... يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرْ إلينا فوقتنا حسنٌ ... ساعد فيه السّحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائية ، فحملني

---

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف]:

صـالـحٌ لا يـزال يـطلب عـبْـدَهْ   مـن كـريمٍ يصـفي الأخـلاء ودّهْ
قد بثث الغـداة وجـدي وحبي   مـن ولـي يـولـي لـمـولاه مـجـده
فـإذا شئـت أن أرى لـك عـبداً   فـتـفـضّـل أبـا تـمـيم بـعـبدَهْ

فقـرأهـا وأمسـك ، فـارتعت وخفتـه ، وتمـاديت في الشـرب معـه ، ثم نهضت الى منزل أنزلني فيـه بقربـه ، فلما استقـر بي انفذ لي الجـارية ومعهـا درجٌ فيـه طيب كثيـر، وعليهـا ثيـاب رفيعـة حسنـة ، ورقعـة فيهـا شعـر [من الخفيف]:

قـد بـعثـنـا أبـا عليٍّ بـعـبـده   وقـضـيـنـا بـذاك حـقّ الـمـودَّهْ
وحـمـدنـاك إذ خـطبت إلـيـنـا   أسـأل الله أن يـهـنّـيـك حمـده
فخـذنـهـا فـأنـت أكـرم كفـءٍ   وهي ما عشت كاسمها لك عبـده

وقـال الخادم الـذي جاء بهـا : يقول لـك مـولاي : لا تخـرج غـدا من منـزلك او يـأتيك رسـولي . فلما أصبحت جـاءني القـائـد أبـو تميم بجـواريـه المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب، فمازلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحا مسروراً .

٤٢ ـ أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل]:

لئِنْ ذهبتْ أيـام لـذّتـنـا الأولـى   بذي الأسل ما وجدي عليها بذاهبِ
ألاليت أيـامـاً مضت لم تكن مضتْ   ففقدي لها يا صاحِ إحدى المصائب
رعـى الله ايـام الـسـرور فـإنّـهـا   تمر سـريعـاتٍ كَمـرِّ السّحـائب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

قد أفسد الموت على صالح ... كلَّ الذي اصلحه صالحُ
وانصرف البوّاب عن بابه ... وصاح في مجلسه الصائحُ
خلّوه في دار البلى مفرداً ... وناح في اوطانه النائح
يا ليت شعري ما الذي قاله ... إذ راح في حفرته الرائح
يا أيُّها الناس ألا فاسمعوا ... قولي فإنّي مشفقٌ ناصحُ
لا تؤثروا الدنيا على غيرها ... ففرْقُ ما بينهما واضح
فالحمد لله وشكرٌ لهُ ... كلّ امرىءٍ عن أهله نازحُ

وقوله [من الخفيف]:

مَنَ رسولي إليك أو من شفيعي ... ياشبيه الهلال عند الطلوعِ ؟
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو ... من ضميري وأنت بين ضلوعي

وقوله [من البسيط]:

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ ... والأرض تضحك كالجذلان من فرحِ
فقمْ فديتك نشكو ما نكابدهُ ... من الزمان وما نَلقى إلى القدحِ

وقوله [من المنسرح]:

كم لي بدير القصير من قصفِ ... مع كل ذي نشوةٍ وذي ظُرْفِ(١)
لهوت فيه بشادنٍ غنجٍ ... تقصر عنه بدائع الوصفِ

وقوله [من السريع]:

أذكرتني يا ديرُ مَنْ قد مضى ... من أهل ودّي ومصافاتي

---

(١) القصف : المجون .

كم كـان لي فيـكَ وفيـهـمْ مـعـاً | مـن طـيـب أيامٍ ولـيـلاتِ
أشكـو إلى الله مـصـابـاتـهـم | وفـقـدنـا أهـلَ الـمـروءاتِ

وقوله [من البسيط]:

كتمتُ حّبـك في قلبي فما وسعـهْ | هـذا وليس لـه شغلٌ سـواه مَعَـهْ
يـا من إذا ما بـدت للناس صورتـهُ | رأيت فيهـا فنـون الحسن مجتمِعَـهْ
والله مـا حلتُ عّمـا قـد عهـدت ولا | أصغيت أذناً إلى العذّال مستمعـه[1]
رفقاً بمن لـو تسلّى عنـك يـا أملي | بكـلِّ شيءٍ على الـدّنيـا لَمَـا نفعـهْ

* * *

٤٣ ـ أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف] :

مَنْ عـذيري إلى العـذار الجـديـدِ ؟ | مَنْ رسـولي إلى القـريب البعيـدِ ؟
دبَّ فـي خـدِّه الـعـذار فـحـاكى | ظلمـة النّحس في بيـاض السّعـودِ

وقوله [من السريع]:

أمـا تـرى لـي نـاظـراً شـاهـداً | بـالـحبِّ والأعـينُ رسْـلُ الـقـلوبْ
ودون إلـحـاح جـفـونـي بـه | تـخبـر عـمّـا في فـؤادي الكئـيـبْ
وأنـت لا شـك بـه عـالـمٌ | لأن عـنـد الـمِـرْدِ عـلمُ الـغـيـوبْ

وقوله [من المنسرح]:

ضـممتـه ضمّ مـفـرط الضّـمِ | لا كـأبٍ مـشـفـقٍ ولا أُمِّ
ولـم نـزل والـظـلام حـارسنـا | جسمين مستـودعين فـي جسـمِ

---

(١) حلت : تحولّت وتغيّرت .

ألثمه في الدُّجا وبرق ثنا ... ياه يريني مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصّباح وقد ... أثّرت فيه كهيئة الختم

وقوله [من البسيط]:

إذا ذكرت أياديك التي سلفتْ ... مع قبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني ... علمٌ بأنّك مجبولٌ على الكرم

وقوله [من الخفيف]:

أنت مني بحيث مأوى الغرام ... وبحيث افتقاد طيب المنامِ
في فؤادي وناظري وهما منـ ... ـك قرينا صبابةٍ وانسجامِ

وقوله [من الوافر]:

لحى الله امرءاً يوعيك سرّاً ... لتكتمه وفضّ الله فاهُ[1]
فإنّك بالذي استودعت منهُ ... أنمُّ من الزُّجاج بما حواهُ[2]

وقوله [من الكامل]:

بيضاء جنح جبينها ... في ليل طرّتها البهيمْ
ضدّان ما اجتمعا لغيـ ... ـرتشتُّتِ الصَّبر المقيمْ
ولَذِكْرُها أندى على الـ ... أكباد من برد النّسيم
ووصفت نعمة حسنها ... فنعمت في صفة النعيمْ

وقوله [من المتقارب]:

ديون المكارم لا تُقتضى ... كما تقتضى واجباتُ الديونْ

---

(١) لحى الله : لَعَنَ الله ، يوعيك : يكتمك ويأتمنك ، وفضّ : فتح وشقّ .
(٢) أنمّ : أدل .

ولـكـنّـهــا فـي قـلـوب الـكــرامْ　　تجـول مجال القـذى في العيـونْ

وقوله [من المنسرح]:

طـرفي على ما عهـدت في أرقِـهْ　　فيــك وقلبي يـزداد من حُــرَقِـهْ
ولـي حـبـيـبٌ أقــام مـعـتـنـقـي　　كمـا أقام الشّهـاب في غسقـه[1]
وجــمـلة الأمــر أنَّــنــي رجــلٌ　　قـدمُتُّ قبل الفـراق من فـرقـه[2]
هــذا حـديثي والشمــل مجتمعٌ　　فما حديثي في عقب مفتـرقه ؟!

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشـر أنه كـان له جـد لأم يعرف بكـولان ، وكان هو من أهـل الأدب والكتابـة، وحسن الشعر والخـطابة قـال لي حججت سنـة من السنين، وجاورت بمكـة حرسهـا الله ، فـاعتللت علة تـطاولت بي ، وضـاق معهـا خلقي ، ثم صلحت منهــا بعض الصـلاح ، ففكــرت في أنني عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين . ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتـج علي[3] فلم أقدر على زيـادة ، فعظم ذلـك عليَّ ، واجتهدت في أن أكمل البيت فـلـم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحـالة مـا زاد على غمي بإضاقتي وعلتي ، فنمت اهتماماً بالحال، فـرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال لي : تصدق يوسع عليك، وصم يصـح جسمك ، فقلت لـه : يا رسـول الله، وأعـظم مما شكـوته إليـك أنني رجل شـاعر اتشيـع ، وأخص بالمحبـة ولـدك

(1) الغسق : الظلام .
(2) الفرَق : الخوف .
(3) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلني له رحمة لما جرى عليه من القتل، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليَّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى :﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾[1] ثم قال لي : اذهب الى صاحبك، وأومأ بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أومأ ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليٌّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب]:

* بني أحمد يا بني أحمدِ *

فقال للوقت قل :

بكتْ لكم عُمُدِ المسجدِ
بيثربَ، واهتزّ قبر النبي ... أبي القاسم السيِّد الأصيدِ[2]
وأظلمت الأفق أفق البلاد ... وذرَّ على الأرض كالإثمد[3]
ومكّة مادتْ ببطحائها ... لإعظام فعل بني الأعبد
ومال الحطيم بأركانه ... وما بالبنية من جلمد
وكان وليُّكُمُ خاذلاً ... ولو شاء كان طويل اليد

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .
(٢) يثرب : المدينة المنوّرة ، والأصيد : الكريم العظيم .
(٣) ذرّ : نثر ، والإثمد : الكحل .

قال: ورددها عليَّ ثلاث مرات، فانتبهت وقد حفظتها:

* * *

٤٤ ـ الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر]:

وَمُنْهَتِكٍ لـه نَظَرٌ يصون مواقع النظر[١]
هلالٌ لو بدا للسَّفْرِ ألهاهُمْ عنِ السَّفَرِ
فوا ويلاه من قمرٍ يريك مساويَ القمرِ
لقد أصبحتُ من كلفي بغرَّتهِ على غرر[٢]

وقوله [من مجزوء الرمل]:

يا مريداً منِّي الوصل ووصلي في يديهِ
أنا لا اعرف من لا يعرف الحقَّ عليهِ

وقوله من أبياتِ [من مجزوء الكامل]:

نختال في حلل الصَّبا كالبدر في حلل الغيومِ
وإذا تثنَّت جال في أعطافها ماءُ النعيمِ
ينسيك طيب نسيمها بعد الكرى برد النسيمِ

وله أول قصيدة [من الطويل]:

هو السيف لا يكسوك ما لم يُجَرَّدِ فجرِّده واسترفدْ بِغربيهِ تُرفدِ[٣]

* * *

(١) ومنهتك: غير محجوب،
(٢) الكلف: العشق، والغرر: الطيش.
(٣) الغرب: الحدّ، واسترفد: أي اطلب الرزق بحدّه.

٤٥ ـ أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط]:

لا تنكري سرعة اختلاسي لذّاتِ أيّامي القصارْ
فإنّ علمي بغدر دهري صيّرني خالع العذارْ

وقوله [من السريع]:

أهديت لي تذكرةً خاتماً اسمك منقوشٌ على فَصِّهِ
فما اعترتني زفرات الهوى إلاّ تروّحت إلى مَصِّهِ

٤٦ ـ سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف]:

وهتوفٍ ورقاءَ أرَّقتِ العينَ، وزادت خبلَ الفؤاد خبالا(١)
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي صفو عيشٍ عنّي تولّى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليلَ كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنّما بدموعي خضّبوها أو خاضت الجريالا(٢)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل]:

ما رأينا مثل هذا الراي حسناً ، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب]:

ومجدولةٍ مثل صدر القناة تعرَّت وباطنها مكتسي

---

(١) الخبال : فساد العقل والرأي .

(٢) الجريال : صبغٌ أحمر .

لـهـا مـقـلـةٌ هـي روحٌ لـهـا وتـاجٌ على الـرأس كـالـبـرنس
إذا رنَّـقـتْ لـنـعـاس عـرا وقُـطّت من الـرأس لم تنعس[1]
وإن غـازلتهـا الصَّبـا حـرَّكَتْ لـسـانـاً من الـذّهـب الأمـلس
وتـنـتـج فـي وقـت تـلقيحـهـا ضيـاءً يجلّي دجـا الجنـدس[2]
فـنحـن من الـنـور في أسـعُـدٍ وتـلك مـن الـنـار في أنـحس
وقـد نـاب وجهـك عن ضـوئهـا وعـن ذا البـنـفـسـج والـنـرجس
ولـكـنـهـا آلـةٌ لـلـنـدام ونـجـمٌ تـألّـق فـي الـمـجـلس
تـوقُّـدُهـا نـزهـةٌ لـلعـيـون ورؤ يـتـهـا مـنـيـةُ الأنـفس
تـكـيـد الـظلام كـمـا كـادهـا فـتفـنـى وتُـفـنـيه فـي مـجـلس
فيـا ربّـة العـود حثّي الـغـنـاءَ ويـا حـامـل الكـأس لا تحبس
ويـا صـالـح انعم وعش سـالمـاً على الـدهر في عـزّك الاقعس[3]

وله يصف روضة [من الرجز]:

وروضـةٍ ذاتِ غـديـرٍ مـتـئـقِ وَزَهَـرٍ مثـل عشـور المهـرقِ[4]
ونـرجسٍ مثـل العيـون الـرمَّق أجـفـانهـا مـن لؤلـؤٍ مفـلَّقِ[5]
بـاهتـةٍ قـد فتحت لـم تـطبقِ وسـوسنٍ غضِّ النّبـات مـونقِ[6]
يشفُّ فيـه كـالـزّجـاج الأزرق وقـد حكـاه في ضيـاء الـرونق
بنفسـجٌ مثـل اللجينِ المحـرقِ يـا حسنهـا من روضـةٍ لم تـطرق

(١) رنّقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطّتْ : أي قطعت .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .
(٣) الأقعس : المنيع الثابت .
(٤) متئق : المملوء من كلّ شيء بما يناسبه ، والعشور : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .
(٥) الرمّق : المتطلعة من رمق : أي نظر .
(٦) المونق : المعجب والجميل المنظر .

كـأنّهـا سـافـرةٌ عـن خـلقـي ... أو حسْنِ مـا ألفته عن منـطقي
بـاكـرتهـا مثـل انفـلاق الفلق ... وشـهـبُـهُ حـائـرةٌ فـي الأفـق
فـي عصبـةٍ غـرٍّ كـرامٍ سُبَّقِ ... يخطـرن فيهـا بقسيِّ البُنـدقِ[1]
كـلّ فـتىً فـي قـصـده مـوفَّقِ ... كـأنّـه مـن نـفسـه فـي فيـلقِ
مـقـرطسٍ فـي رمـيـه مؤنّـقِ ... وهــو يـراعيهـا بـطرفٍ شيِّقِ[2]
خـوفـاً عليهـا وهـو عين المحنق ... فـصـاد مـا شـاء بـلا تـعـوُّقِ

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل]:

أنت في الحمـام مـوقـو ... فٌ عـلى قلبـي وسـمـعي
فـتـأمـلّهـا تجـدها ... كُـوِّنتْ من بـعض طبـعي
جـرَّهـا مـن حـرِّ أنـفـا ... سي وفيض الـمـاء دمعي

وله يصف ناعورة [من السريع]:

كم نَعَـرَتْ بالحيِّ نـاعـورةٌ ... حنينها كالبـر بطِ النّاعـرِ[3]
فـتـارةً تحـسبـهـا قـيـنـةً ... تـردِّد الـزَّمْـرَ على الـزامـرِ
وتـارةً ثكلى جـرى دمعهـا ... في مستهلٍّ واكفٍ ماطـرِ[4]
كـأنّمـا كيـزانهـا أنجمٌ ... دائـرةٌ فـي فـلكٍ دائـرِ

* * *

(١) البندق : ما يرمى بالقسيّ ليصطاد به .
(٢) مقرطسٍ : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنّق : متمهل ومتقن أي الصحيفة
(٣) اليربط : آلة موسيقية تشبه العود .
(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ ـ الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف]:

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحـــشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العـــلم، وفيه جلاء همِّ النّفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شموسِ
والنّفيس البهيُّ ما زال يُهدى كلَّ حينٍ إلى البهيِّ النفيسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف]:

قد قرأت الكتاب يا خلَّ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذي ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحجبني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح]:

يا عَلَمَ المكرماتِ والسؤددِ إليك أشكو بوّابك الأسودْ
يبعدني كلَّما دنوتُ، وما حقّ كريمٍ الوداد أنْ يبعدْ
في كلِّ يومٍ ألقى بطلعته طالع نحسٍ يسوءني أنكدْ
وجهٌ شتيمٌ بكلِّ فاحشةٍ عليه من كلِّ مشهدٍ يشهدْ
كلبٌ يهرُّ الضيوف إنْ طرقوا فناءك الرّحب كالحٌ اعقدْ
أبعدْهُ وانفِ الخبيث عنك كما ينفي القذى عنه خالص العسجدْ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما عنك من المكرمات قد بدّدْ

وما انتفاع الورى ببحر ندى   تذادُ عنه العطاش لا تورِدْ[1]

فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد غمني ما جرى من البواب ، وقد قرىء عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة ، ونحبسه، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه، فقال : والله مالي إلى تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا ضرب لأضربنه بين يدي مائة مقرعة، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفاً. ولا تحنثه[2]، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ ـ أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح]:

يا بدرُ بادرْ إليَّ بالكاسِ   فربَّ خيرٍ أتى على ياسِ[3]
ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي   أولى بها من يدي ومن رأسي
لا عاش في الناس من يلوم على   حبّي وعشقي لأحسنِ الناسِ

وقوله [من البسيط]:

قلْ للذي حسنت منه خلائقُهُ   باكرْ صبوحك واسبقْ من تسابقُهُ

(١) تذاد : تمنع وتحجب .

(٢) تحنثه : أي تجعله لا يفي بقسمِهِ .

(٣) بادر : أسرعْ وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً يسير هذا الى هذا يعانقُهُ
كعاشقٍ زار معشوقاً يودِّعهُ قبل الفراق فآلى لا يفارقُهُ[1]

وقوله [من البسيط]:

قالت :أراك خضبت الشيب قلت لها: سترته عنكِ ياسمعي ويا بصري
فاستضحكتْ ثم قالت مِنْ تعجُّبها: تكاثر الغشُّ حتى صار في الشَّعَرِ

وقوله [من الخفيف]:

عيَّرتني بالنوم جوراً وظلماً قلت: زدت الفؤاد همًّا وغمّا
اسمعي حجّتي وإنْ كنت أدري أنّ عذري يكون عندك جرما
لم أنم لذّةً ولا نمت إلاّ طمعاً في خيالك أن يلمّا[2]

وقوله [من الطويل]:

خليليّ، إنّي للثريّا لحاسدُ وإنّي على صرف الزمان لواجدُا
أيبقى جميعاً شملها وهي سبعةٌ وأفقد مَنْ أحببته وهو واحدُ ؟
كذلك من لم تخترمه منيّةٌ يرى عجباً فيما يرى ويُشاهدُ[3]

وقوله [من الطويل]:

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قالت لطيف خيالٍ زارني ومضى : صفْ لي هواهُ ولا تنقصْ ولا تزدِ[4]
فقال: أبصرته لو مات من ظمأٍ وقلت قفْ عن ورود الماء لم يردِ

---

(١) آلى : أقسم .
(٢) أن يلمّا : أن يحلّ .
(٣) اخترمته المنيّة : قضت عليه .
(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبّ عادتُهُ ... يـا برد ذاك الـذي قالت على كبـدي

وقوله [من المتقارب]:

سـأعتبهـا حـتّ مـا استعتبتْ ... وإن لـم تـكنْ أبـداً مُعِتبَـهْ
وسـوف أجـرّبهـا بـالصّـدود ... ومَنْ يشربِ السَّمَّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ ـ ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرسّي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر]:

إذا الكـروان صاح على الـرمـالِ ... وحـلّ البـدر في بـرج الـكمـالِ
وجعّـد وجـه بـركـتـنـا هـبـوبٌ ... تمـرُّ بـه الجنـوب مع الشمـالِ(١)
وحـرّكتِ الغـصـون فشـابـهتهـا ... قـدودُ سـقـاتـنـا فـي كـلِّ حـالِ
فـهـات الـكـأس مـترعـةً ودعـني ... أبـادرُ لـذّتـي قبـل ارتـحـالـي(٢)
فـكـلُّ جـمـاعـةٍ لا شـكَّ يـومـاً ... يـفـرِّقُ بـينـهـمْ صـرفُ اللـيـالـي

وقوله [من المتقارب]:

إذا التحـف الجـوُّ بـالأدكـنِ ... وغنّى الحمـائم بـالأعـنِ(٣)
وهبَّ نسيم الـصّبـا سـحـرةً ... بـريـح البنفسـج والسـوسن
وحـنَّ الى الـقـصـف أُلّافَـهُ ... فبادر إلى شيخك المنحني(٤)
فـنفِّسْ مـن الحـنـقِ أوداجـه ... وسقِّ النـدامى ولا تنسـني(٥)

---

(١) جعّد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبّها .
(٢) المترعة : المملوءة .
(٣) الأرعن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .
(٤) القصف : المجون ، والألآف : العشاق .
(٥) وسقٍّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل]:

تـوقّ معـزّ الـدين شؤم ابن كلّس ... ولا تـقـبـلـنْ مـنـه مـقـال مـدلِّسِ
فـإنّـا أردنـاه لـكـافـور شـربـةً ... فـزاد على تقـديـرنـا ألف مجلسِ

* * *

٥٠ ـ أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب]:

عـرفتُ الـدِّيـار على مـا بهـا ... وأوقفتُ ركـبي عـلى بـابهـا
ونـاديت فيهـا بـأعلى النـداء ... مـراراً بـأسـمـاء أربـابهـا
فلم أر فيهـا سـوى بـومهـا ... تصيـحُ جهـاراً بـأتـرابهـا
فـأعـلمـنـي ذاك أنّ الـزمـا ... ن أخنى عليهـا وأودى بهـا[١]

* * *

٥١ ـ ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم ابن أحمد رحمهما الله تعالى!

أنشدني له الزاهر [من المجتث]:

شُـمَّ الـنـسـيـم لـذيـذاً ... مـن قبـلِ أنْ لا تـشِـمَّـهْ
واصرفْ عن القلب ما اسطـ ... ـعت بـالـمـسـرَّة همَّهْ
وغـالطِ الـدّهـر إن كـنـ ... ـت لست تـملك حُكْمَـهْ
وقـد نصحـتـك جهـدي ... فـلا تـصـمَّ وتَـكْـمَـهْ[٢]

---

(١) أخنى عليها : أهلكها ، وطال ، وأودى بها : أهلكها وذهب بها .
(٢) الأكمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل]:

صَدَفَتْ عنّا نوار ... ولقد كانت تزورُ[1]
ثم قالت: كيف أودى ... ذلك الغضنُ النضيرُ ؟
وشبابٌ يتلالا ... فيه للناظر نورُ
قلت: إنْ أنصفتِ هذا ... لابن خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ ـ أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع]:

لنا أخٌ يحسن أنْ يحسنا ... جناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه ... بأنّها تنبت زهر الغنى
إذا تبدّى وجه إحسانه ... تنزَّهتْ فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل]:

الصبح ينشرُ فوق مسـ ... ـك اللّيل كافور الضياءِ
والبرق يُذهب ما تفضّـ ... ـضه الغيوم من السماءِ
فاشربْ على ديباج نبـ ... ـتٍ قد أحاط بشرب ماءِ
فالعيش في زمن الربيـ ... ـع رقيق حاشية الرِّداءِ

وقوله [من المتقارب]:

وراحٍ تتيهُ بأنفاسها ... على ما يفوح من العنبرِ[2]

---

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .
(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كـأنّ زجـاجـاتـهـا دُرَّةٌ تشفُّ عن الـذّهب الأحمرِ[1]

وقوله [من البسيط]:

تـاه الـربيـع بـآذريـونـهِ وزهـا لما بدا منه نشرٌ في الـرُّبا أرِجُ[2]
كـأنّ أغصـانـه فيـروزجٌ بهـجٌ من فوقه ذهبٌ في وسطه سَبَجُ[3]

وقوله [من الكامل]:

اشربْ على زهر البنفسج قهوةً تنفي الأسى عن كـلِّ صبٍّ مُكْمَدِ
فكـأنّـه قـرصٌ بخـدٍّ غـريـرةٍ أو أعـينٌ زرقٌ كـحـلن بـأثـمـدِ

وقوله [من الطويل]:

ونـارنجـةٍ بين الـريـاض نـظرتهـا على غصـن رطب كـقـامـة أغيـدِ
إذا ميَّلتهـا الـرّيـح مـالت كأكـرة بـدت ذهبـاً في صـولجـان زمـرُّدِ[4]

وقوله [من الكامل]:

ومـدامـةٍ يـبـدو إليـك جنينهـا وعـليـه تـاجٌ لم يـصغْـهُ صـائـغُ
تخفى لفـرطِ صفـائهـا فكـأنّمـا إبـريـقنـا الـمـلآن مـنـهـا فـارغُ

وقوله [من الكامل]:

إن كـنـت تـعـلم أنّ لـي علمـاً بـأسـرار السـرورِ
فـاعمـلْ بحسبِ وصيَّتي لـك في مـلازمـة البكـورِ
ودعِ الـصّغيـر مكـانـه واعـدلْ إلى جهـة الكبيـر

---

(١) تشفّ : تنمّ وتظهر .
(٢) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .
(٣) السبج : خرز أسود .
(٤) الأكرة : الكرة .

مـا بـين وردٍ كـالـخـدو د وأقـحـوانٍ كـالـثّـغـور
وعليك بـالـذّهب الـذي أجـراه روبـاس العصيـر[1]
مـا زال يسبك بـالـذي قـد شبَّ من نـار الهجيـر
حـتّـى صـفـا فكـأنَّـهُ دمـع الـطليق على الأسير

وقوله [من المنسرح]:

نـحن أنـاسٌ نـوالـنـا خَـضِـلُ يـرتـعُ فينـا الـرجـاء والأمـلُ[2]
كـلُّ فـتـىً لـيس في مـودَّتـهِ مـذقٌ . ولا في خـلالـه خَلَلُ[3]
لـو أبصـر البحـر فيض أنملنـا فـاض على وجـه فيضـه الخجلُ
تـسبـق أمـوالـنا مـؤمِّـلنـا لا يعتـرينا مـطلٌ ولا بُخُـلُ[4]
تسمـح قبـل السؤال أنفسنـا بخـلاً على ماء وجـه من يسلُ[5]

* * *

٥٣ ـ أبو القاسم بن أبي العفير الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل]:

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ من الزّهر فيها شاكلتْ بهجة الحمدِ
يـريـك عنـاق العـاشقين عنـاقـه بثغـرً على ثغـرً وخـدٍّ عـلى خـدِّ

---

(١) الروباس : الفضة .
(٢) الخضِل : النديّ الناعم .
(٣) المذق : الملل والكدر .
(٤) المطل : التسويف والمماطلة .
(٥) أي أننا نكفّي الناس مذلّة السؤال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من لكامل]:

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر. والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر. فقال الأنصاري [من الكامل]:

أمّا الثناءُ فصادرٌ بك واردُ ... بادٍ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعٌ ... أيقظن أحوالي وجدّى راقدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها ... شهدتْ عليَّ مواهبٌ وفوائد
نِعَمٌ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ ... يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربَّ ليلٍ قد هجرت رقادَهُ ... لك والرّدى مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلّل الكلمَ العوانَ تحلُّلا ... فأغافص المعنى كأني صائد(1)
وقصائدٍ لي فيك لولا انها ... كلمٌ شهدت بأنّهنَّ مشاهدُ
ولهنّ في عين الوليّ شواهدٌ ... تترى ، وفي عين العدوِّ جلامد
لمّا رعيت مودّتي وخلطتني ... ببني أبيك ظننت أنّك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلّمٍ ، ... أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لمَّا تعرَّض لي بمقْتٍ حاسدي ... أبدى الملام، وكيف يرضى الحاسد ؟(2)
ما زال ينشد قائماً حتّى إذا ... أنشدت عارضني لأنّي قاعدُ
في مجلسٍ أمّا الوزير فمنكبٌ ... فيه يؤيدّهُ وأنت الساعدُ
ولّى ولا انا شاكرٌ لسؤالِه ... فيه ، ولا هو للإجابة حامد

* * *

(1) أغافص : أفاجىء وأعالج .
(2) المقت : الكره .

٥٤ ـ أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من الكامل]:

لو قد سألتك حسب قدرك ما رضيت بألف جرَّهْ
ولقلَّ ذاك لقدر من لا تحصر الأوصاف قدرَهْ
فابعثْ إليَّ بجرَّةٍ وكفافِ ما أبغيه جرَّهْ
وتوخّها كبر الجرار، فربَّ وافيةٍ كزكره[1]
من رسم بسطام الذي أحيا بحسن الرَّسم ذكرَهْ
لا بوطساً يؤذي النديم، ولا مذاقته بمرَّه[2]
واعلمْ بأنَّ محلَّها عند الضرورة مثل صرَّة[3]

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط]:

لا تتركنْ لغدٍ مالاً ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا[4]
خذْ من زمانك ما جاد الزمان بهِ فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذرْ أنْ تضيِّعهُ فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
رايٌ طريٌّ كقابِ الفتر تحسبه ذوباً من الفضّة البيضاء او بردا[5]
كأنَّ كفّاً عليه جرّشتْ قطعاً من اللجين صغار النظم او زردا

---

(١) الزكرة : زقّ الخمر .
(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .
(٣) الصرّة : كيس الدراهم .
(٤) السبد : البقيّة من النبات والقليل من الشعر .
(٥) الراي : ضرب من السمك .

كـأنَّ قـالـيَـهُ بـالـقـلـيِ ألـبَـسَـهُ ... من الشـقـائق أثـوابـاً لـه جـددا
كـأنَّـه في سعيـر القـلي منـقـليـاً ... صـبٌّ تقـلِّبـه كفُّ الـهـوى كمـدا
كـأنَّ يـاقـوتـةً حـمـراء هـلَّلهـا ... صـوَّاغهـا ذهبـاً للحسن متّحـدا
كـأنَّـه كـان في نهـر الحيـاة فمـا ... يكـاد يسلم منـه روحـه الجسـدا
وقهـوةٍ تـذكـر الأفـلاك سـاكنـةً ... مشمـولـةً أفنتِ الايـام والـمـددا
يـديـرهـا قـمـرٌ في كـفِّـه قمـرٌ ... من الـرحيق يـزيـل الهمَّ والكمـدا
فـلا تضيع سـروراً جـاء عن كثبٍ ... عجـزاً فتكتسب التـوبيخ والفندا[1]

* * *

٥٥ ـ أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الاتجالاً [من الهزج]:

لـنـا مـسـمـعـةٌ حـلوه ... ولـونٌ يفتـق الـشّـهـوهْ
فـالـبـارع مـن مـجـدِ ... ك إن لم تجب الـدّعـوهْ

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطّاً وكتب إليه [من البسيط]:

إنّـي بعـثت مـقـطّـاً غيـر محتـشمٍ ... ولم أجلْ في الغنى فكري ولا العدمِ
ولـو بعثت سـواديْ نـاظـريَّ لمـا ... كـانـا كفـاءً لمـا تـولي من النّعمِ
فـاقبله واجعله ممّـا يستعـان بـه ... فـإنّـه خـادم السّكيـن والـقـلمِ

وقوله يصف النرجس [من المجتث]:

خـواتـمٌ من لـجيـنٍ ... فـصـوصهـا كـاربـاءُ[2]
ولـيس تـضـحـك إلَّا ... إذا بـكـتـهـا الـسـمـاءُ

---

(١) الفند : العجز والباطل والكفر بالنعمة .
(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف]:

منذُ حلَّ السواد زاد البياضُ واعتداءاته طوالٌ عراضُ
وإذا ما طغى المشيب فلا المنـ ـقاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناسٍ فيها قلوبٌ مراضُ

وأهدى الى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب]:

وذي عنقٍ لم يطلْ عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخِنصر
وقد زاد في ضُمره على الفرس المضمَر[1]
وأسفله فضَّةٌ وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي الـ ـمقلُّ إلى المكثر

وقوله [من الكامل]:

قد قلت إذ سار السّفين بهمْ والشَّوْقُ ينهب مهجتي نهبا[2]
لو أنّ لي عّزاً أصول به لأخذت كلَّ سفينةٍ غصبا

٥٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله[3] [من الوافر]:

إذا ما نلت من دنياك حظّاً فأحسن للغنّي وللفقيرِ

---

(١) الضمر : الهزال والنحول .

(٢) السفين : القافلة .

(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فـإنَّ الله يـأتي بـالكثيـر

وقوله [من المنسرح]:

خـاطبت شمس النهـار إذ بـدت وقـلت مـا أنت لـي بمـنصـفـةِ
إنّ الـتـي أشـبـهـتـك مـائـلـةٌ من بعـد ذاك الـوصال قـد جفتِ
فـعـاتبـيـهـا فـليس يـقـنـعـني يـا شمس من شبهك الـذي أتتِ
لمـا رأتني على الـوفـاء لـهـا صـدَّت ومـا أنصفتْ ولا وفتِ

* * *

٥٧ ـ أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نـارٌ جرت في غـايـةٍ تـرمـى العـلا بـالـشُّـهُـبِ
كـأنّـهـا جـيشٌ وغـى فـرسـانـه مـن ذهـبِ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفـسـتـق رأيت مـنـــه طـرفـاً مـن الـطرفْ
كـأنّـه لـمـا بـدا والـرّاح فـيـنـا تـخـتـلفْ
زمـرُّدٌ ضـمَّـنـه من خالص العاج الصـدفْ

٥٨ ـ أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربَّ صبحٍ كطلعة الوصـل جلّى جنـح ليـلٍ كـطلعـة الهجـرانِ[1]

---

(١) جلّى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولىّ الليل عنه في حلّة الغربانِ

وقوله [من الطويل]:

يومٌ كأنَّ الروض خاط لضوئهِ قراطقَ من وشيٍ غلائلها الغدرُ
كأنّ صفاء الجوِّ ناظر أزرقٍ له الغيم جفنٌ هُدْبُ أجفانه القطرُ
كأنّ أعالي السرو بين رياضه مطارف لفّت في مواكبها خضرُ (١)

* * *

٥٩ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل]:

لا تصحبِ الدّنيا كئيباً مكمدا من ذا رأيت من البريّة خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنهِ فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنّ أصولَهُ وفروعَهُ سُقيتْ دماً حتى ارتوى فتورّدا
وشقائقٌ شقّ القلوب كأنّه خدٌّ مليحٌ ضمَّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرّياض كأنّهُ سيفٌ صقيل من قرابٍ جُرِّدا (٢)
فاشربْ عليه فإنّه وقتٌ إذا ولّى تفاوت أن يُنالَ فيوجدا

وله [من المتقارب]:

فلو زيّن الحسن في وجههِ بهجر الصدود ووصل الوصالِ
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعالِ

* * *

---

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .
(٢) القراب : الغمد .

٦٠ ـ ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز]:

يا حسرةً في القلب ما أقتلها   كأنّها في القلب اطرافُ الأسلْ
فكم وكم من ليلةٍ طيِّبةٍ   أحييتها في الدّير في خير محلْ
دير القصير الفرد في صفائه   يا من رأى الجنّة من غير عمل
أشربها راحاً شمولاً قرقفاً   تدبُّ في الجسم فما تبقي عِلَلْ
يديرها ذو غنجٍ بطرفه   يحيي إذا شاء وإنْ شاء قتلْ
كأنّه غصنٌ من البانَ وقدْ   زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغُ حَتْفُ النفس في لثغته   تاه بها على الورى تيه مدلّ(١)
إن قال نارٌ قال ناغٍ أو يقل   نورٌ يقل نوغٌ بدلٍّ وغزل
فاحثث كؤوس الراح ياساقِيَنَا   واغتنمِ الدّهر فللدهر دُوَلْ
من قبل أن يطرقنا بين فلا   ينفع عند البين ليست ولعلْ

* * *

٦١ ـ محمد بن عباس البصري
المعروف بصاحب الراقوية

قال [من البسيط]:

لا تعذلوني فما مثلي بمعذول   جسمي سقيمٌ وأمري غير مجهولِ
إن ملَّ مولاى وَصْلي بعد ألفته   فإنّ مولاي عندي غير مملول
ملكت قلبي ولم تعطف على دنفٍ   ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول(٢)

---

(١) الألثغ : هو الذي ينطق السين شيئاً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتاه : فخر ، ومدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني ... قد ذعر الشوق فؤادي فانذعرْ
أما ترى البركة ما أحسنها ... إذا تداعى الطير فيها وصفر
أما ترى نوارها أما ترى ... حسن مسير مائها إذا انحدرْ
كأنّما الجوهر في ألوانه ... نثّر في تلك النواحي فانتشر

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أما طغان فقد طغى ... والطَّرفُ منه قد بغى
شهر السّلاح بطرفه ... فتكاً وما شهد الوغى
لولا مخافة عقربٍ ... في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسّكاً ... ومصندلاً ومصبَّغا

وقوله [من الوافر]:

أتاني في قميص اللاذ يسعى ... عدوٌّ لي يلقّبُ بالحبيبِ[1]
فقلت له لم استحليت هذا ... فقد أصبحت من زيٍ عجيبِ ؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... غريب اللون في شفق المغيبِ
فصوبي والمدام ولون خدّي ... قريبٌ من قريبٍ من قريبِ

وقوله [من السريع]:

وشمعةٍ ظِلْتُ أناجيها ... تبيتُ تبكي وأبكيها
كأنّما صفرتها صفرتي ... ومدمعي دمعُ مآقيها
أعارها قلبيَ من ناره ... فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

(١) اللاذ : حريرٌ صينيّ أحمر .

٦٢ ـ أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب [من المنسرح]:

إذا سقامٌ عراك نازلُهُ فاندبْ أبا جعفرٍ لنازلهِ
يعرف ما يشتكيه صاحبه كأنّما جال في مفاصله

٦٣ ـ أبو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز]:

شيخٌ وبردٌ وسمك لكلٍّ ما يخشى شَرَكْ[1]
فهاتها صافيةً وضمنٌ الكأس الدّرك[2]
ولا تبالِ بعدها من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل]:

ولِّيتُمُ أمرَ الخراج محمّدا فغدا الخراج بغير جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجال دهيتمُ فالكلب فيكم عن قليلٍ يخطب

وقوله في أبخر [من الوافر]:

أَرَدْتُ لقاءه فلقيت منهُ كما يلقى الخلاء من الفقاح
وجالسني فلم أشعر بأنّي ولم أبعد جليس المستراح[3]

---

(١) الشرك : المصيدة .
(٢) الدّرك : الغاية والحاجة .
(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ ـ أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع]:

بـالله يا صـالح قمْ مسـرعاً إلى عقـارٍ أدركت تبَّعـا[١]
وسـاعد الليلة في شـربهـا وخذ من السكر بها مصرعا
وقـد بـذلنـا لـك أرواحنـا لمّـا رأينـاك لهـا مـوضعـا

* * *

٦٥ ـ أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب]:

وهـيـفـاء مـن نـدمـاء الـمـلوك تـزيـد فـيـنـقـص مـن قـدرهـا
إذا ضحكت جنـح داجـى الـظلام بكتْ فجرى الـدمـع من نحـرهـا
فـإن نـعـسـت لـلـكـرى نـعـسـةً فـإيقـاظهـا القصُّ مـن شعـرهـا

* * *

٦٦ ـ محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب]:

ألاقـل لـعلوان كـيف أجـتـرأت على الأسـد الباسل الخـادرِ ؟[٢]
وكـيـف أرقـت دمـاً دونـه يـراق دم الـجحـفـل الثـائـر ؟
تـرفَّـقْ قـليلاً عـلى مرفـقٍ بـه مـرفـق البـدو والـحـاضـرِ
فليس الحـديـد على سـاعـدٍ ولكـن من الـدّهـر في النّـاظـرَ

(١) تبّع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .
(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف]:

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى ... باتت الخمر من رضابك سكرا
فلهذا أراك تزداد صحواً ... وأراها عليك لا تتجرّا

وقوله [من السريع]:

أشربْ على الجيزة والمقسِ ... من قهوةٍ صفراء كالورسِ [1]
وروِّحِ النّفس بها إنّما ... عيش الفتى في راحة النّفس
وأنسْ بإخوان الصّفا إنّهمْ ... من أكبر النّزهة والأنسِ
فلست تدري أيّما ساعةٍ ... تبيت تحت اللحد والرّمس [2]
والمرء لا يعرف في يومه ... يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع]:

أقول والليل دجىً مسبلُ ... والأنجم الزّهر به ميَّلُ
يا طول ليلٍ ماله آخرٌ ... فيك وصبحٌ ماله أوّلُ

وقوله [من السريع]:

اشرب ستنسى ويك مع مَنْ نسي ... من قهوةٍ قوصيّة المغرس
في قمرٍ للربع منْ شهره ... كشقّةٍ من درهمٍ أطلس [3]

وقوله [من السريع]:

يا حاديَ اللّذات عرِّس بنا ... ويا مدير الكأس قمْ فاسقنا

---

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .
(٢) الرمس واللحد : أي القبر .
(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السّواد .

أمـا تـرى شمس ضحى يـومنا   قد لبست مـطرفهـا الأدكنـا[1]
والـروض لـلوسـمـيّ فـي حـلَّةٍ   أذهـبـهـا من بعـد مـالـوّنـا[2]

وقوله [من البسيط] :

اشربْ شمولاً على ريح الشمال فقد   هبّتْ شمـالاً ولاح الصبح فـاتّضحـا
كـأنّـهـا جنّـةٌ فـي الكـفِّ مـائلةٌ   تبـدو فيخفي ضيا أنـوارهـا القـدحـا
كـأنّ حـاملـهـا من خـمـر ريقتـه   وافى بهـا أوْلهـا من خـدّه اقتـدحـا

وقوله [من الوافر] :

وظـبـي زارنـي مـن غـيـر وعـدِ   نـعمـت بـقـربـه بـأتـمّ سـعـدِ
سـقـانـي ثـم نـقّـلني بـلـثمٍ   عـلى عـجـلٍ وحـيّـانـي بـوردِ
وشـمـرً سـاعـداً فـيـه وشـومٌ   بقلبي مثلهـا من أجـل صـدّ[3]
فكـان كفضّـةٍ سـكّت عـمـوداً   عـليـهـا أسـطرٌ بـالـلازورد[4]

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف] :

إن ديـر القصيـر هـاج ادّكـاري   لهـو أيـاميَ الحسـان القصـارِ
وزمـانـاً مضى حميـداً سـريعـاً   وشبـابـاً مثـل الـرّداء الـمعـارِ
عـرفتني ربـوعـه بعـد نـكـرٍ   فـعـرفت الـربـوع بـالإنـكـار
ولـو أنّ الـديـار تشكـو اشتيـاقـاً   لشكتْ جفـوتـي وبعـد مـزاري
ولكـادت نحـوى تسيـر لمـا قـد   كنت فيهـا سيّـرتُ من أشعـاري
وكـأنّـي إذ زرتـه بعـد هـجـرٍ   لـم يكـن من مـنـازلي وديـاري

---

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .
(٢) الوسميّ : أول مطر الربيع .
(٣) الوشوم : جمع وشم وهو العلامة .
(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعـودي على الجيـاد إليـه وانحداري في المعقباتِ الجواري[1]
بـصقـورٍ إلـى الـدّمـاء سـوارٍ وكلابٍ على الوحوش ضواري[2]
منـزلاً لست محصيـاً مـا لقلبي ولـنـفـسـي فـيـه من الأوطـار
مـنـزلاً فـي عـلّوه كسمـاءٍ والمصابيح حـولـه كـالـدّراري

ومنها :

غـرّدت بينهـا الـطيـور فـطارتْ بـفـؤاد الـمـتـيَّـمِ الـمـسـتـطارِ
كـم خلعـت الـعـذار فيـه ولـم أر عَ مـشـيـبـاً بـمـفـرقـي وعـذاري
كم شـربنـا على التـصـاويـر فيه بـصـغـارٍ مـحـشـوثـةٍ وكـبـار
صـورةٌ مـن مـصـوّرٍ فـيـه ظلّت فـتـنـةً لـلقـلوب والأبـصـار
أطـربتنـا من غيـر شـدوٍ فـأغنتْ عـن سمـاع الـعيـدان والـمزمـار
لا وحسن الـعينين والشـفـة اللمـيـاء منها وخـدّهـا الجلنّـاري[3]
لا تـخـلّفـت عـن مزاريَ ديـراً هـي فـيـه ولـو نـأى بـي مـزاري
فـسقـى الله أرض حـلوان فـالـنخـل فـديـر القصيـر صـوب العشـار[4]
كـم تـنـبـهّـتُ مـن لـذاذة نـومـي بنعيـر الـرُّهبـان فـي الاسحـار[5]
والـنـواقـيسُ صـائـحـاتٌ تـنـادي حيّ يـا نـائمـاً عـلى الابـتـكـار
قبـل أن يبليَ الجـديـد الجـديـدا ن بـلـيـلٍ مـعـاقـبٍ ونـهـار
إنّـمـا هـذه الـحـيـاة عـوارٍ وعـلى المـستـعيـر ردُّ الـعـواري[6]

---

(١) المعقبات : المتابعات السير .
(٢) سوارٍ : أي سائره .
(٣) اللّمى : سمرة تستعذب في الشفة .
(٤) العشار : الغزير من المطر .
(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .
(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر]:

أأيـامي بشـاطى البـركتيـنِ | سقـاك الله نـوءَ المـرزميـن[1]
لقـد أذكـرتني طـربي ولهـوي | ووكّلت الـفـؤاد بلوعـتيـن
تُـرى أيـامنـا فيـك المـواضي | يعـود وصـالهـا مـن بعـد بين[2]
سقى الله البـقـاع ملثّ قـطرٍ | وأعـطش منـزلاً بـالجلهتين[3]
ودار عـلى المـدار رهـام مـزنٍ | تسير إلى جنـان السـروتين[4]
فكم من بيعـةٍ عقـدت لقصـفٍ | وعـزفٍ في ريـاض البيعتيـن[5]
وكم من مـدنفٍ قـد حـاز وصـلاً | ونـال مـنـاه وسط المـنيـتيـن[6]

وقوله [من البسيط]:

إشـربْ بطمـوة من صفـراء صـافيـةٍ | تـزرى بخمـر قـراهيتٍ وغـايـات[7]
عـلى ريـاضٍ من الـنّـوار زاهـرةٍ | تجـري الجـداول فيهـا بين جنّـات
منـازلاً كنت مفتـونـاً بهـا يـفعـاً | وكنَّ قـدمـاً مـواخيـري وحـانـاتي[8]
كـأنّمـا النيـل في مـرِّ النسيم بهـا | مـسيـلمٌ فـي دروعٍ سـامـريّـاتِ

* * *

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .
(٢) البين : الفراق .
(٣) ملثٌّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .
(٤) الرهام : المطر المتصبِّب برفق .
(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .
(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .
(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .
(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ ـ أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط]:

قـد شـابهتنيَ في لـونٍ وفي قصفِ وفي نحـولٍ وفي دمعٍ وفي سهـر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل]:

صحتُ السلاح لشدَّة الحـربِ والمستغـاث لشـدّة الـكـربِ
حـتى إذا لـبسـوا سـلاحـهـمُ وتشـدّدوا لـوقـائـع الحـربِ
نـاولتهـم قلبي وقلت لـهم: هـذا المسيء فقـطّعـوا قلبي

وقوله [من الطويل]:

لئن صـدع الـدهـر المشتّت شملنا فللدهر حكمٌ في الجموع صدوعُ(١)
وللنجم من بعـد الـرجـوع استقـامـةٌ وللشمس من بعـد الغـروب طلـوع
وإنْ نعمةٌ زالتْ عن الحبّ وانقضتْ فـإن لـهـا بـعـد الـزّوال رجـوعُ
وكنْ واثقـاً بـالله واصبـرْ لحكمـه فـإنّ زوال الـشـرِّ عـنك سـريـعُ

وقوله [من الكامل]:

وغـزالـةٍ غـازلـتـهـا في المقس من أولاد حامِ(٢)
نـظرت بـعـينـيْ ظبـيـةٍ ونظرت من عينْي قطـامِ(٣)
وتـبـسّـمـت وكـأنّـهـا بـرقٌ تـألّـق في غـمـامِ
ثـم انثنت مثـل المـهـى وتبعتهـا رتـك النّعـامِ(٤)

---

(١) صدع : فرّق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدّة نظرها وفيها يقول الشاعر :

إذا قالـت قطـام فصدّقوها لأنَّ القـول ما قالـت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها | فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها | لما جثوت لها بلامي
وكأنّني إذ ذاك أو | لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعْهما | إلّا المحبّةُ للحرامِ
كانت لعمري عاهة | جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ ـ أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمتَ الهوى | فاستخرِ الله إذا قبْلا
ولا تكن يا قلب مثل الذي | قدّم رجلاً وثنى رجلا
حتى تلاقي في الهوى أهله | وقلّما تلقى له أهلا
لا توردنّي مورداً كلّما | قطعت وحلاً ألتقى وحلا

* * *

٦٩ ـ عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقالت تعجّباً: | لقد شبت من هجري وأنت صغيرُ
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم | يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ ـ أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائعٌ | على مائعٍ هذا على ذاك مطبقُ
فهذا لجينٌ سابحٌ مترقرقٌ | وذاك لجينٌ في السماء معلّقُ

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها   لـه سـاعة أبصـرتـهُ يتـمـزّق

وقوله [من المتقارب]:

عـذارك المنقـطعُ المسبَـلُ   يقـطع عـذري عنـد من يعـذلُ
ووجهـك المقبـل إقبـال منْ   أنـت عـلى طلعـته مقبـلُ
لا عـشت أن أعدمـه فـالـذي   يـعدمه يـعدم مـا يـأمـلُ

وقوله يصف السحاب [من الرجز]:

سـاريـةٌ فـي غسـق الـظلام   دانـيـةٌ مـن قـلل الآكـام
جاءت مجيء الجحفل اللهـام   فـافترقت كـالإبـل السـوامي[1]
كـأنّهـا والبـرق ذا ابتسـام   كـتـيـبـةٌ مـذهـبـةُ الأعـلام
دنـت من الأرض بـلا احتشـام   ثـم بكـت بكـاء مسـتهـام
وانـتشـرتْ بسـائـغ الإنـعـام   وثروةٍ تـحـكـم فـي الإعـدام

٧١ ـ أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل]:

أعـزز عـليَّ بـنـيَّ مـا تـلقـى   سدّت عـليَّ شكـاتـك الـطرُقـا[2]
قـد كنت بـالحمـىّ أحقُّ فليتني   ألقـى من الـحمّـى الـذي تـلقـى

٧٢ ـ أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح]:

قـد رابـني مـن شبيبـتي ريـبُ   وفـلّ من غِـرب صبـوتي الشيبُ

---

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهام : العظيم ، والسوامي : المرسلة لترعى .
(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكـان ثـوب الشبـاب أحسن ملـــــبوسـاً بهـاءً فـأخلق الثـوبُ[1]
من عـابني بـالمشيب قلت لـه: صـدقـت فـالشـيب كـلّه عيـبُ
طـلائع الشيـب كلّمـا طـلعتْ شـقٌّ عـلى ميـت الصِّبـا جيـبُ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل]:

هـاتـرْ هـتـورُ بكـثـرةِ الفـرح واقـدحْ زنـاد اللهـو بـالقـدحِ[2]
وصلِ الغبوق إذا وصلت إلى الـــمسى ، وإن أصبحت فاصطبحِ
أبـردْ إلى النـدمـان رسلك مـا بَـرَدَ الـنّسيـم وغـنٍّ واقـتـرحِ
أصلح فسـاد العيش مـجتـهـداً ففسـاد عـمـرك غيـر مـنصلح

* * *

٧٤ ـ أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبـو بكر هـذا من البصـرة . وكـان يشبّـه ـ في حضـور جـوابـه ، وبيـان خطابه . وحسن عبارته ، وكثـرة درايته ـ بـأبي العيناء، وكـان قد تنـاول البلاذر فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونـه ويكتبون عنـه ما يقـول. فقال يـوماً للمصريين «يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ الـولد حتى يقتنـوا له العقـدوالعدد ، فهم أبـدا يعزبـون . ولا يقولـون باتخـاذ العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنـزون . ولا يقولـون بإِظهـار الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون».

ووقف يوماً بالجامع ـ وقد أخذت الحلق مأخذها ـ فقال « يا أهل مصر ،

---

(١) أخلق الثوب : بليَ ورثّ .
(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُستَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها » .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيبويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد.

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال: لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءة خطِّهِ ... واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه ... وبيانه إلاّ إبانة سمطه[1]
فإذا أبان عن المعاني سمطه ... كانتْ ملاحته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غنّت فأخفت صوتها في عودها ... فكأنّما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها ... أبداً ويتبعها اتباعَ ودودِ

---

(١) السمط : ترتيبه ونظمه .

أنــدى من النَّـوار صبحــاً صـوتهــا ... وأرقّ مـن نشـر الثنـا المـعـهـود
فكــأنّمـا الصــوتـان حين تمـازجـا ... مـاء الـغـمـامـة وابـنـة العـنقـود

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أحيـاء اللّوى كلّمـا سقى ... بضربٍ من المزن الكتهور هامـل[1]
إذا نشـرت ريحٌ جمـانٌ سحـابـةً ... غـدا وهـو حليٌّ للريـاض العـواطـل
بــه خفق بـرقٍ ليس بين جـوانـحٍ ... ووسـواس رعـدٍ ليس بين مفـاصـل
إذا كـاد درّ البـرق يـلمس نـبتـه ... فلقّـاهُ درُّ النّـور بين الخمـائـل[2]

وقوله [من الكامل] :

يجـري النسيم على غـلالـة خـدِّهِ ... وأرقّ مـنـه مـا يـمـرُّ عـليـه
نـاولتـه المـرآة يـنـظر وجـهـهُ ... فعكست فـتـنـة نـاظـريـه إلـيـه

وقوله [من الوافر] :

صـديقٌ قـد نـدمت على اختبـاري ... لــه لــمّـا تـأمـلّه اخـتـبـاري
ينـمُّ بـسـرٍّ مـسـتـوعيـه سـرّاً ... كـمـا نـمَّ الـظّلام بـسـرٍّ نـار[3]
أنـمُّ من الـنـصـول عـلى مشـيـبٍ ... ومـن صـافى الزّجـاج عـلى عقـارِ

وقوله [من الوافر] :

وذي حـرصٍ تـراه يـلّم وفـراً ... لـوارثـه ويـدفـع عـن حـمـاهُ
ككلب الصّيـد يمسـك وهـو طـاوٍ ... فـريـسـتـه لـيـأكـلـهـا سـواهُ

وقوله [من السريع] :

لـكـل شـيء فـي الـورى آفـةٌ ... وآفـةُ الـمـرء مـن الـكـبْـرِ

---

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .
(٢) النّور : الأزهار .
(٣) ينمُّ : يدل ويشير .

يحسب أن الكِبْرَ فخر له   وليس غير العلم من فخْرِ

* * *

٧٦ - أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنّما الفضل غرّةٌ   في وجوه المدائحِ
أريحيٌّ رياحه   عبقاتُ الروائح
كعبة الجود كفّه   بين غادٍ ورائح
إنّما تصلح الأمو   ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ - أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطلْ ليلي ولكنْ   سهري كان طويلا
وكذا ليس يلذّ الـ   نوم من كانَ عليلا
يا غزالاً لم أجدْ عنـ   ـه إلى الصّبر سبيلا
هبْ لعينٍ سهرتْ فيـ   ـك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ - محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المطل في الوعد لي   وأنت في مطلك لا تخطي[1]

---

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا: « وأنت في مطلك لي تخطي ».

لـو كنت تعطي مـال مصـر ومـا حـوت مـن الـدور عـلى الـشطّ
ومـا لـدار الـضـرب من عـسجـدٍ لـكـان كـفـراً بـالـذي تـعـطي

* * *

٧٩ ـ أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل]:

يـا دهـر مـا أقسـاك من متـلوّنٍ في حـالتيـك ومـا أقلَّك منصفـا
أتـروح للنكس الـجهـول مـمهـداً وعلى اللبيب الحرّ سيفـاً مـرهفـا ؟
فـإذا صفوتَ كـدرت شيمة بـاخـلٍ وإذا وفيتَ نقضت أسبـاب الـوفـا
لا أرتـضيـك وإن صـفـوت لأنّنـي أدري بـأنـك لا تـدوم على الصّفـا
زمـنٌ إذا اعـطى اسـتـردّ عـطاءه وإذا استـقـام بـدا لـه فتحـرّفـا
مـا قـام خيـرك يـا زمـان بشـرِّهِ أولى بنـا مـا قـلَّ منك ومـا كفى

وقوله [من الطويل]:

أيـا ديـر مـرخنـا سقتـك رعـود من الغيم تـهمي مـزنهـا وتـجـودُ
فـكم واصـلتنـا مـن ربـاك او انسٌ يـطفن علينـا بـالمـدامـة غـيـدُ
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسمٌ ونـاب عـن الـورد الجني خـدودُ
ومـاست على الكثبان قضبـان فضّـةٍ فـأثـقلهـا مِـنْ حملهـنّ نـهـودُ[١]
ليـاليَ أغـدو بين ثـوبيْ صبـابـةٍ ولهـوٍ ، وأيّـام الـزمـان هجـود[٢]
وإذْ لمتي لم يـوقظِ الشيـب ليـلهـا وإذْ أثَـري في الغـانيـات حميـدُ

---

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكثبان : جمع كثيب وهو التلُّ من الرمل .
(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى أملي لا تدن لي أجلي ولا تعذِّبْ ظنوني فيك بالظَّنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ فإنّ قدّك قد قدَّ من غُصُنِ

وأنشدني له من قصيدة أولها [من الطويل]:

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذَّبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعمٌ وأدعجُ نشوانٌ وألعسُ أشنبُ[1]
كأنّ الدّجى في لون صدغيه طالعٌ وشمس الضّحى في صحن خدّيه تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ يهون عليها منه ما يتصعّبُ
وأستصحب الأهوال في كلّ موطنٍ ويمزج لي السمّ الذعاف فأشربُ[2]
فما الحرّ إلاّ مَنْ تدرَّع عزمه ولم يك إلاّ بالقنا يتنكّب[3]
وما لي أخاف الحادثات كأنّني جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهربُ
خليليّ ما في أكؤس الراح راحتي ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنّني للمدح أرتاح والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسي وهمتي يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل]:

إذا حان من شمس النّهار غروبُ تذكَّر مشتاقٌ وحنَّ حبيبُ

---

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدّة سوادها وشدّة بياضها ، والألعس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القاتل .

(٣) تدرّع : جعله درعا ، ويتنكّب : يتكّل ويتكىء .

تُرى عندهم علمٌ وإنْ شطّت النوى   بـأنَّ لـهـم قـلبي عـليَّ رقيـبُ
لهم كبـدي دوني وقـلبي ومـهجتي   ونـفسـي التـي أدعى بـهـا وأجيبُ
فـآية حـزني لـوعـةٌ وصبـابـةٌ   وعنـوان شيـنـي زفرة ونـحيـب
ومـا بـلد الإنسـان إلاّ الـذي لـه   بـه سـكـنٌ يشـتـاقـه وحـبيـب
إلى الله أشكـو وشْـكَ بينٍ وفـرقـةٍ   لـهـا بيـن أحشـاء الـمحبِّ دبيـبُ

وقوله [من الطويل]:

أمـا والـذي لا يملك الأمـر غيـره   ومـن هـو بـالسّـرّ الـمكـتّم أعـلمُ
لئن كـان كتمـان المصـائب مؤلمـاً   لإعـلانـهـا عـنـدي أشـدُّ وآلـم
وبي كـل مـا تشكـو العيـون أقلّه   وإن كـنـت مـنـه دائـمـاً أتـبسّـمُ

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

قـالت وقـد نـالهـا للبين أوجعـه   والبين صعبٌ على الأحباب مـوقعُهُ
اجعل يديـك على قلبي فقد ضعفتْ   قـواه عن حمـل مـا فيـه وأضلعـه
واعـطف عليَّ المطايـا ساعـةً فعسى   من شتَّ شمل الهوى بـالبين يجمعه
كـأنّني يـوم ولّـتْ حسـرةً وأسىً   غـريق بحـرٍ يـرى الشـاطي ويمنعـه

وقوله [من الطويل]:

وغضبى من الإدلال والتّيـه والهـوى   بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكـرِ
كـأنّ على لبّـاتهـا رونق الضحـى   وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر[1]
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها   وتفتـرّ عن مثـل الجمـان من الثغـر

وقوله [من السريع]:

أمـا تـرى الـرعـد بكى فـاشتكى   والبـرق قـد أومض فـاستضحكـا

---

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا ... أضحكَ وجه الأرض لمّا بكى
وانظر لماء النّيل في مدّهِ ... كأنّه صُندِلَ أو مُسِّكا

وقوله [من المنسرح]:

وليلةٍ بتها على طربٍ ... آخرها مشبه لأولاها
أقبِّل البرق من ترائبها ... وألثم الشمس من محيّاها[1]
سقتني الراح وهي خدّاها ... بأكؤس السكر وهي عيناها
إذا أرادت مزاحها جعلت ... بآخر اللحظ في فمي فاها
فيالها قهوةٌ معتّقةٌ ... وليس إلّا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لي ... ونقلها اللثم حين أسقاها[2]
لله أيامنا التي سلفتْ ... بدار حزوى ما كان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى ... أعلى رباها الى مصلّاها
إذ نجتني اللهو من أصائلها ... والعزّ من فجرها ومغداها[3]
إن عرضتْ لذّةٌ ملكناها ... أو صعبتْ خطّةٌ حويناها

وقوله [من الطويل]:

وصفراء لم تطبخْ بنارٍ شربتها ... على وجه معشوق السّجا يا مقرطق[4]
كأنّ حباب الكأس من نظم ثغره ... وإشراقها من خدّهِ المتألق

وقوله [من المنسرح]:

لو صوّرت خلقها إرادتها ... ما قدّرته كمثل ما قدّرا

---

(١) الترائب : جمع تربية وهي موضع القلادة من الصدر .
(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .
(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .
(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوعٌ من الثياب .

كامسك نشراً ، والبرق مبتسماً والغصن قداً ، والحقف مؤتزرا(١)

وقوله [من السريع]:

شبّهتها بالبدر فاستضحكتْ وقابلتْ قوليَ بالنُّكْرِ
وسفّهت قولي وقالت : متى سمجتُ حتّى صرت كالبدر ؟(٢)
والبدر لا يرنو بعينٍ كما أرنو ، ولا يبسم عن ثغر
ولا يميط المرط عن ناهدٍ ولا يشدّ العقد في نحر(٣)
من قاس بالبدر صفاتي فلا زال أسيراً في يديْ هجري

وقوله [من البسيط]:

ناولتها شبه خدّيها مشعشعةً صرفاً كأنّ سناها ضوء مقباسِ(٤)
فقبلتْها وقالت وهي ضاحكةٌ وكيف تسقى خدود الناس للناسِ
أليس خدّاي ذابا إذ لمستهما فاستنبطا قهوةً حمراءَ في الكاس
قلت: اشربي إنّها دمعي وحمرتها دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت: إذا كنت من حبي بكيت دماً فسقّنيها على العينين والراسِ
يا ليلةً بات فيها البدر معتنقي وباتت الشمس فيها بعض جلّاسي
وبتُّ مستغنياً بالثّغر عن قدحي وبالخدود عن التفاح والآسِ

وقوله [من الطويل]:

وما أمّ خشفٍ ظلّ يوماً وليلةً ببلقعةٍ بيداء ظمآن صاديا(٥)

---

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .
(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .
(٣) يميط : يزيح ، والمرط : الثوب .
(٤) المقباس : الضوء والسّراج .
(٥) البلقع : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي مولهةً حيرى تجوب الفيافيا
أضرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجدْ لغلّتها من بارد الماء شافيا
إذا بعدت عن خشفها انعطفتْ له فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
بأوجعَ مني يوم شدّوا رحالهم ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

وقوله مفتخراً [من الكامل]:

ألقى الكميَّ فلا أخاف لقاءه ويفلُّ إقدامي شبا الحدثانِ[1]
وأكرّ في صدر الخميس معانقاً للموت حين يفرّ كلّ جبانِ[2]
ويزيدني كلّ الخطوب تعظّماً وتسلُّط الأيام عزّ مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضقْ ذرعاً بأيامي وغر زماني
وكما يملّ الدهر من إعطائه فكذا ملالتهُ من الحرمان
وكما يكرُّ لمعشرٍ بسعادةٍ فكذا يكرّ لمعشرٍ بهوان
فإذا رماك بشدَّةٍ فاصبرْ لها فلسوف يأتي بعدها بلَيَانِ
وسلِ الليالي عن نفاذ عزيمتي وسلِ الحوادث عن ثبات جناني
يخبرك عنّي أنّني لم ألقها بين العزائم واهن الأركان
اصبحت لا أشتاق إلّا للنّدى إلفاً ولا أهوى سوى الإحسان
وإذا السيوف قطعن كلّ ضريبة قطع السيوف القاطعات لساني

وقوله [من الخفيف]:

اسقياني فلست أصغي لعذلِ ليس إلا تعلّةُ النفس شغلي،
أأطيع العذول في ضدّ ما أهوى كأنّي اتهمت رأيي وعقلي
علّلاني بها فقد أقبل الليل كلون الصدود من بعد وصلِ

---

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .
(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الرو ض بكاء السّحاب فيه بوبل
عن هلالٍ كصولجان نضارٍ في سماءٍ كأنّها جامُ ذبل[1]

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل]:

إذا هبّ سلطان المريسيّ نافحاً سُحَيْراً وحلّ القرُّ كلّ نقابِ[2]
ومدّ على الأفق الغمام ثيابه فقمْ فالقه في عدّةٍ وحرابِ
بكنٍّ وكانونٍ وكأس مدامةٍ وكيس وكس وافرٍ وكبابِ[3]

وقوله [من الكامل]:

ورد الخدود أرقُّ منْ ورد الرياض وأنعمُ
هذا تنشّقُهُ الأنو ف وذا يقبّله الفمُ
فإذا علت فأفضل الـ ـورديـن وردٌ يُلْثَمُ
هذا يُشَمُّ ولا يضمُّ وذا يضمُّ ويشمم

وأنشدني المصيصي له [من المنسرح]:

وجنّةِ من شفّني هواه ومنْ أفنيت فيه دموع آماقي
كأنّما الصيرفيُّ دنَّر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة اولها [من الهزج]:

دمُ العشاق مطلول ودَيْنُ الحبِّ ممطولُ[4]

---

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .

(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرّ : البرد .

(٣) الكنّ : البيت والستر .

(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسـيـف اللحظ مـسلول ومـبـدا الـحـب مـعزولُ

وإن لم يصغ ِ للآثمْ

إذا لــم يـظهـر الـحـبّ ولـم يـنـهـتك الـصـبُّ

ويـفـشـي سـرّه الـقـلبُ فـجـمـلة مـا ادّعـى كـذبُ

فبُحْ يـا أيّهـا الـكاتم[1]

وأحـور سـاهـر الـطرفِ يـفـوق جـوامع الـوصـفِ

مـلـيـح الـدلِّ والـظُّرفِ جـنـت ألـحـاظـه حـتـفي

فمن يعدي على الظالم

أطـاع جـفـونـه الـسّـحـرُ وذلّ لـوجـهـه الـبـدرُ

ومـاد بـردفـه الـخـصـرُ وأشـبـه ثـغـره الـدرُّ

فقـلب محبِّـه هـائمْ ؟

يـعـنّـفـنـي عـلى حـبـيَّ ويـهـجـرنـي بـلا ذنـبِ

كـأنّـي لـسـت بـالـصَّـبِّ لـقـهـوة ريـقـه الـعـذبِ[2]

أما في الحب مـن راحم ؟

غـزالٌ لـحـظه شَـرَكُـهْ وبـدرٌ ثـوبـه فَـلَـكُـهْ

لـو أنـي كـنـت أمـتـلِكُـهْ فـأنهب مـا حـوت تِكَكُـه[3]

نـهاب الظافـر الغانـم

خـذوا بـدمـي قـنـا الـقـدّ وحـسـن تـورّد الـخـدّ

(١) باح : أعلن .

(٢) الصبّ : العاشق .

(٣) التكّة : حبل يربط به السروال .

وليل الشعرّ الجعد وثقل الكفل النّهد

وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدلِ
محبٌّ دائم الخبل سليب الصبر والعقل

كئيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعضٍّ الوقف والحجل[1]
وذاك القصب الجدل وريقٍ كجنا النحل

وثغرٍ يطمع الشائم[2]

سلوا الشمس التي طلعتْ علينا ثمَّ ما أفلتْ
عسى ترثي لمن قتلتْ بعينيها وما علمتْ

فقد يستعطف العالمْ

أما والخرَّدِ الصّفرِ شبيهات سنا البدرِ
وألوان صفا الخمر لقد أضرمْنَ في صدري[3]

غراماً ليس بالنائمْ

وراحٍ تبعث الطربا وتحيي الظُّرف والأدبا
يثير مزاجها حببا تخال به عيون دبى[4]

---

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السوّار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضرمن : أوقدن النار .

(٤) الدّبى : الجراد .

ودرّاً صفّــهُ الناظمْ

أمـا والـجـمـرة الـكـبـرى وزمـزم والـصـفـا ومـنـى
ومـن لـبـى بـهـا ودعـا وطـاف الـبـيـت ثـم سـعـى
خميصاً مخبتاً صـائمْ[1]

لـقـد أضـحـى لـنـا خلفـا نـزارٌ وابـتـنـى شـرفـا
وأصـبـح خـامس الـخـلفا وأحـيـا سـعـيـه الـسـلفا
وأضحى بالهدى قائمْ

نـمى فـي الـمـجـد عنصـره وطـال الـنّـجـم مـفـخـره
وفـاق الـبـدر مـنـظـره فـصـرف الـدهـر يـحـذره
أبيٌّ ليِّنٌ صـارمْ

وقوله في الراي [من الوافر]:

كـأنَّ الـراي حين أتـى طـريـاً بـأذنـابٍ كمجمـرة العـقيـقِ[2]
بـإسـقـيَّـاتِ بـلّورٍ لـطافٍ بـأسفلهـا بقـايـا مـن رحيـق

٨٠ ـ محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من شعره [من الطويل]:

ومـا كـان من عـطفٍ عليّ حـديثهـا ولكنْ لتعـذيب الفؤاد المعـذَّبِ
حديثٌ لو استسقت به الصخر جادها بـأعـذبَ من صوبِ الغمـام وأطيبِ

---

(١) الخميص : الجائع ، والمخبت .

(٢) الراي : نوعٌ من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجعه شوقه فحنَّا ... وشفّه شجْوهُ فأنَّا[1]
وسال من دمعه مصون ... أظهر ما كان مستكنَّا
فعاد فيه الهوى يقيناً ... وكان عند الرقيب ظنّا
لو كان يلقى الذي تلاقي ... أوسعه رحمةً ومنّا

وقوله [من الخفيف]:

بين أجفانها وبين ضلوعي ... نازعتني الحياة أيدي المنونِ
لست أدري أعن مدى طرفها الفا ... تن موتي أم طرفي المفتونِ

وقوله [من الخفيف]:

قد رضيت الهوى لنفسيَ خلاّ ... ورأيت الممات في الحبِّ سهلا
وتذلّلت للحبيب وعزّ الـ ... صبّ في سنة الهوى ان يذلاّ
بأبي من أحلَّ قتليَ عمداً ... وهنيئاً لسيدى ما استحلاّ
سوف أجزي الحبيب بالصدِّود ودّاً ... مستجدّاً وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيهاً وعُجْباً ... زدت نفسي له خضوعاً وذلاّ

وقوله [من الخفيف]:

غير مستنكرٍ همول دموعي ... في التّصابي وغير بدعٍ خشوعي
ليس عزّي إلاّ فناءُ عزائي ... وسنائي إلاّ بقاء خضوعي
وبحسبي أنّي ألاقي عذولي ... باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

وقوله [من الطويل]:

أعِدْ نظراً واستوقف الطرف منعماً ... تجدْ كَلِفاً صبّا بحبِّكَ مغرما

---

(١) أنّا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقّها وعلّمهُ احكامه فتعلّما
ولست تراه سائلاً منك عطفةً حذاراً من التقبيل إلّا توهّما
فإن جدت لاقته الحياة كريمةً وإن لم تجد لاقى الحمام مقدّها

وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَ عاتبٍ يجاحدني وعدي وينكرني حقّي
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقٌ وأبلغه ما جاء بالرّعد والبرقِ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعدٍ فإنّ الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
فلا كان لي في الأرض رزقٌ أناله إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقوله [من الخفيف]:

ياربيعي ما كان ضرّك لوجد ت علينا كما يجود الربيعُ
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ وهو سهلٌ به وأنت منوعُ
كن شفيعي إليك ياجنّة الخلـ د فمالي غير الخضوع شفيعُ

وقوله [من الخفيف]:

كم تصابٍ أردفته بتصاب واصطباحٍ وصلته باغتباق
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمٍّ جلّ أن يعتريه نقصُ المحاق
وغصونٍ جنيت منها ثماراً لم يشنها تساقط الأوراق
زمنٌ بكيته حسب وجدي كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُّ أشيمه مجالسةً والليل حيران مطرقُ[1]
سرى يخبط الظلماء حتّى كأنّه بوجديَ يسرى أو بقلبي يخفق

---

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل]:

تبـدّت بـأكنـاف الحجـاز ديـارهـا ... فـأوقد نـار الوجـد في القلب نـارُهـا
كـأنّ بـأنفـاسي استمدّ ضـرامهـا ... وعن كبدي الحرّى تلظّي استعارها(١)
يحنّ إليهـا الـقلب حتّى كـأنّـمـا ... إليـه تنـاهيهـا ومنـه انتشـارهـا

وقوله [من الطويل]:

ولمـا حمى الشوق المبّرح نـاظـري ... كـراه حـذاراً أن يـريـني مثـالـه
شـربت عقـاراً أذكـرتني بـريقـه ... وأهـدت كـرىً اهـدى إليَّ خيالـه
فـهـلْ هي إلاّ نـعمـةٌ مستـرقَّـةٌ ... أنـالت يـدي مـا لم أؤمـلْ نـوالـه

* * *

٨١ ـ حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف]:

ودعـتـنـي بـزفـرةٍ واعـتـنـاقِ ... ثم نـادت متى يكـون التـلاقي ؟
وتصـدّت فـأشرق الصُّبح منهـا ... بـين تـلك الجيـوب والأطـواقِ
يـا سقيم الجفـون من غيـر سقمٍ ... بين عينيـك مصـرعُ الـعشّـاقِ
إنّ يـوم الـفـراق أفـظعُ يـومٍ ... ليتـني مـتُّ قبـل يـوم الـفـراق

وله [من الرمل]:

هـيَّـج الـبـين دواعـي سقـمي ... وكـسـا جسـمـيَ ثـوبَ الألـمِ
أيّـهـا الـبـيـن أقـلـني مـرَّةٍ ... فـإذا عـدت فـقـد حـلَّ دمـي
يـا خـليَّ الـروع نـمْ في غـبـطةٍ ... إنّ مـن فـارقـتـه لـم يـنـمِ

---

(١) تلظّى استعارها : أي وهج اتقادها .

ولـقـد هـاج لـقـلـبـي سـقـمـاً   حـبٌّ مـن لـو شـاء داوى سـقـمـي

وقوله [من الخفيف]:

وجنّـةٍ كـالـربيع جـاد عليهـا   مـن حيـاءٍ لا مـن حيـاً وسْمِيُّ
ووجـوهٍ قـلبتهـا كـالـدّنـانيـر   ومثـلي لمثـلهـا صيـرفيُّ
تتهـادى الـريـاح منهـا نسيمـاً   شـابـه عنبـرٌ ومسـكٌ ذكيٌّ(۱)

وقوله [من الطويل]:

ألا بـأبي من قـلبـه غيـر مـشفـق   عـليَّ ، ولـي قـلبٌ عـليـه شـفـيـقُ
وإنـي لأبـدي لـلوشـاة تـبسُّـمـاً   وإنسـان عيني في الدمـوع غـريقُ(۲)
وكم شـافهـتني للصبـا أَرْيحيَّـةٌ   ومـازج ريـقـي لـلأحـبّـة ريـقُ

* * *

تم ـ بحمـد الله تعالى وحسن تـوفيقه ـ مـراجعة الجـزء الأول من كتـاب يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثاني ، مفتتحا بتـرجمة « الـوزير أبي مـروان عبد الملك بن جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

---

(۱) شابه : خالطه ومازجه .
(۲) إنسان عيني : بؤبؤ ناظرها .

الفهـــرس

الموضوع الصفحة

البـاب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

الباب الخامس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الموضوع | الصفحة

الباب التاسع

الموضوع	الصفحة
أبو محمد بن أبي العفير الأنصاري	٥٠٣
أحمد بن محمد الكحال	٥٠٤
أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ	٥٠٦
أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي	٥٠٨
أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب	٥٠٨
أبو القاسم عبد الصمد بن فضاله الصفار	٥٠٩
ابن الزيعي	٥١٠
محمد بن عباس البصري	٥١٠
أبو عبدالله الحسين المعروف بالجمل	٥١٢
أحمد بن صدقة الكاتب	٥١٣
أبو الحسن بن أبي ياسر	٥١٣
محمد بن عاصم الموقفي	٥١٣
أبو الفتح البستي	٥١٨
أبو سهل بن أسباط	٥١٩
أبو العباس الكندي	٥١٩
أحمد بن بدر المعروف بالبلاط	٥٢٠
أبو العباس الزوفي	٥٢٠
عبد الوهاب بن جعفر	٥٢١
أبو البكر الموسوس	٥٢١
أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس	٥٢٢
أبو القاسم عبد الغفار المصري	٥٢٤
أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي	٥٢٤
محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب	٥٢٤
أبو علي تميم بن معد صاحب مصر	٥٢٥
محمد بن أبي مروان	٥٣٤
حبيب بن أحمد الأندلسي	٥٣٧
فهرس الكتـــاب	٥٤٠



تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمْتَ قلبي فكن أنت الدواءَ له ... ولا تدعْه بأيدي الشوق مخترما(١)
عيناي أورثتاه سقمه نظرا ... رضيت دمعيَ من عينيَّ منتقما

وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ... ضعفت نواظرها من الخَفَرِ(٢)
وحديثه أشهى لسامعه ... من نغمة الشّادي على الوتر
ورضابه أشهى على كبدي ... من ريٍّ عذبٍ باردٍ خَصِرِ(٣)
وكأنَّ قلبي حين يفقده ... ما بين ذي نابٍ وذي ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس في عينيَّ مبتسماً ... وأعذب الخلق عندي منطقاً وفما
حلَّت بقلبيَ من عينيك نازلةٌ ... من الهوى صيَّرتني في الورى علما

---

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اخترمته المنيّة مثلاً ، والمقصود أنّه هالك .
(٢) الخفر : الحياء .
(٣) الخصر : البارد .

لم تبـقَ جارحــةُ منِّـي أقلّبها | إلاّ بعثـت عليهـا بالهـوى سقما
فارحـمْ مقـام محـبٍّ ما شكا وبكى | تبرّمـاً بالـذي يلقـى ولا ندما[1]

وقوله [من السريع] :

أملـح ما تنظـر عيناكِ | شاكٍ شكا الحـبّ إلـى شاكي
يَقْصُـرُ من ذكرك ليلـي على | أنّـيَ فيـه ساهـرٌ باكي
ولـي فؤادٌ يسـتجير من الـــشـوق | إلـى برد ثناياك
سيدتـي لو كنـت أبصـرت ما | يصنـع بي حبّـك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنـار لي وجهـه ليلاً فخلـت به | بدراً تمامـاً علـى الآفـاق يطّلع
ومـرَّ يمشـي دقيق الخصـر يجذبه | ردفٌ ، فقلت : أَدْركوه قبـل ينقطع[2]

وقوله [من الوافر] :

أجلّك أن تحـلَّ بك الأماني | فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمثّلك التمنّي | حذاراً أن يبـوح به لساني
ولـو أنـي ستطعـت لفـرط شجوي | عليك لمـا رآك الحافظان
ومـا أشـكو إليك بغير دمعي | بيانُ الدمـع أعـربُ من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمـع منبسط | وحـب من شفّنـي بالـروح مختلط
حمّلـت قلبـيَ أن يسلـو تذكُّرَه | فقـال : إن الـذي حمّلتنـي شطط[3]

---

(١) التبرم : الملل والضجر .
(٢) وصل الهمز من « أدركوه » ليستقيم له الوزن .
والردف : العجز .
(٣) الشطط : البعد والجفاء .

تسومني الصبر عن روحي وتمنعني عن ذكره ، إن ذا من رأيك الغلط

وقوله [من الوافر] :

ترى العشّاق لاقوا ما ألاقي فقد بَلَغَتْ بيَ النّفس التّراقي ؟[1]
خصصت من الهوى بأمرٍ شيءٍ وكنت أرى الهوى عذبَ المذاق
أنا العبد الذي لا عتق يرجو ولا يجد السبيل إلى الإباق[2]

وقوله [من الطويل] :

وما سرّني أن الهوى غير صاحبي وأنّ خراج العبشميين في ملكي[3]
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً من الحبّ لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى على أُنُف العشاق من نفحة المسك

وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى فإنّ خلاف الصبر عنديَ أحمد
إذا كان قلب المرء لا يألم النوى ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الـ ـشفتين عذب الريق آلمى[4]
مخضرٌ شاربه علا دراً يريك الدرَّ نظما
لو زارني طيفٌ له عند الهجوع ولو ألمّا
لأعاد روحاً أو لفرَّ ج من هموم النفس همّا

* * *

(1) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(2) الإباق : الهرب .
(3) العبشميين : كلمة منحوتة من « عبد شمس » .
(4) الأحوى : شديدُ بياض العيان وسوادها ، واللعس : سواد مستحسن في الشفة ، واللّمى : سمرة في الشفة .

٢ ـ أحمد بن عبد ربه الأندلسي ،
رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

بكَرَتْ علـيَّ عواذلـي تلحينني ... وعلى الـذي لم يعـد بي أعدينني[١]
إيهـاً عليك فقـد كبـرت عن الصبّا ... ونهـى المشيب عن الـذي تنهينني[٢]
أنّـى وكيف وقـد رأين تغيّري ... عن عهدهـنّ إذا العيون رأينني
وعلى مفارقـة الشبـاب شمتْـنَ بي ... وعلـى معـاداة الصبـا عاديْنني
أَدْنَيْنَنـي حتـى إذا التهـب الجوى ... أقصينني أضعـاف ما أدنينني[٣]
وفتَّنَـني بلواحـظٍ تشـكو الضنى ... دائـب بهـن وربما داوينني
يُذْكين في قلبـي وبين جوانحي ... حُرَقـاً بنـار جحيمهـا أصلينني[٤]

ومنها أيضاً :

يا ابـن الخـلائف ، إن أيام الغنى ... أيامـك الغـرُّ التـي أغنينني
بنـوالهـا وسجـالهـا وثمالهـا ... أسـقينني حتـى لقـد أروينني

وقوله [من الكامل] :

وصحائحٍ مرضـى العيون شحائحٍ ... بيض الوجـوه نواعـم الأبشار
أضنينني بلواحـظٍ تشـكو الضنى ... وكسونـني ما هنَّ منـه عواري
بجـوى حوتـه مهجتـي عن مقلتي ... والجـار قد يشقـى بذنـب الجار

---

(١) بكرت : أسرعت . وتلحينني : تلومني .
(٢) إيهاً : أمر بالسكوت .
(٣) الجوى : العشق والحرقة .
(٤) أصلينني : أي أسعرت النار بين الجوانح .

وله في العذار [من الكامل] :

يا ذا الـذي خط الجمـال بخده خطين هاجـا لوعـةً وبـلابلا
مـا صح عنـدي أنّ لحظـك صارمٌ حتى لبسـتَ بعـارضيك حمائلا[1]

وفي مثله [من الكامل] :

ومعـذرٍ نقش الجمـال بمسكه خداً له بدم القلـوب مضرَّجا
لمـا تَيَقَّـنَ أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النّجاد بنفسجا[2]

وقوله [من الوافر] :

تعللنـا أمـامـة بالأمانـي ولـجَّ بنـا البعـاد من التداني
إذا ما قلت : أين الوصل؟ قالت : طلبـت العـز في دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمـام الهـوى أمتُّ إليه وبحـكـم العقـار أقضـي عليه
بأبـي من زهـا علـيَّ بوجهٍ كاد يدمـي لمّـا نظـرت إليهِ
كلّمـا علّنـي من الـراح صرفا علنـي بالرضـاب مـن شفتيه
نـاول الـكأس واستمـال بلحظ فسقتنـي عينـاه قبـل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيّهـا البـدر الـذي ضـنّ علينـا بالطلـوع
ابـغِ لي عنـدك قلباً طار مـن بيـن ضلوعي
يا بديعَ الحسـن كم لي فيك من وجـدٍ بديع

---

(١) العارضين : الخدّين ، والحمائل : علائق السيف .
(٢) النجاد : حمائل السيف .

وقوله [من الطويل] :

وساحبةٍ فضل الذيول كأنّها | قضيبٌ من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي : | أطِعْني وخذ من وصلها بنصيب

وقوله [من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي | ما خَدَّت العبرات من خدّي[1]
نام الخليُّ عن الشجيِّ به | وجفا الملول ولجَّ في الصدّ
كنت الشفاء فصرت لي سقماً | أبداً تتوق إلى هوىً مُرْدي[2]

وقوله [من الطويل] :

سقوني حمامي يوم ساقوا حمولهم | فرحت وراحوا بين ساقٍ وسائقِ
وأخْرَسَ لفظي وهو ليس بأخرسٍ | وأنْطَقَ دمعي وهو ليس بناطق
فيا بأبي تلك الدموع التي همت | فدلَّت على مكنون تلك العلائق

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودَّعتني مقلةٌ | أوحت إليَّ جفونها بسلامِ
وتطلعت بين الحدوج كأنها | شمس تطلّعُ في خلال غمام[3]
وشكت تباريح الصبابة والهوى | بمدامعٍ نطقتْ بغير كلام
كمهاة رمل قد تربّعت الحمى | بين الظباء العفْر والآرام[4]
حتى إذا ضربَ المصيف رواقه | صافت بظلّ أراكةٍ وبشام[5]

(١) ينبيك : يخبرك ، والوجد : شدّة العشق وخدَّت : تركت آثاراً في الوجه والعبرات : الدموع .
(٢) تتوق : تشغف وتميل أشدّ الميل ، والمردي : المهلك .
(٣) الحدوج : مراكب للنساء .
(٤) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضهاحمرة، أو في سرّتها احمرار ، والآرام : جمع رئم وهو ولد الظبية .
(٥) صافت : أي قضت زمن المصيف ، والبشام بفتح الباء : شجرٌ عطر الرائحة .

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع عليها ، ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ وقرت عيونٌ دمعها اليومَ ساكب
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرةً تبعث الأسى لها زفرة موصولة بحنينِ
بلى ربّما حلّت عرى عزماته سوالف آرامٍ وأعين عين[1]
لواقط حبّات القلوب إذا رنت بسحرِ عيونٍ وانكسار جفون
وريطٍ من الموشيِّ أينع تحته ثمار صدورٍ لا ثمار غصون[2]
برودٌ كأنوار الربيع لبسْنها ثياب خضابٍ لا ثياب مجون
قرين نجوم ديم عن نور أوجهٍ تجنٌّ بها الألباب أيَّ جنون[3]
وجوه جرى فيها النعيم فكلّلتْ بورد خدودٍ يجتني بعيون
سألبس للأحزان ثوبَ تصبُّر وإن لم يكن عند اللّقا بحصين
وكيف ولي قلب إذا هبت الصبّا أهاب بشوقٍ في الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

ونائحٍ في غصون السّدر أرقّني وما عنيت بشيءٍ ظَلَّ يعنيه
مطوّقٌ بعقودٍ ما تزايله حتى تزايله إحدى تراقيه[4]

---

(١) العرى : ما يصل الشيء بالشيء ومنه العروة .
(٢) الريط : كل ملاءة من نسجٍ واحد وقطعة واحدة .
(٣) ديم : يقال ديم به : أي أخذه الدوّار في رأسه .
(٤) تزايله : تفارقه .

قد بات يبكي لشجوٍ ما دريت به ... وبتُّ أبكي لشجوٍ ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يميس فوق كثيب ... طيِّبِ المجتنى لذيذ العناقِ
قد تغنّى كما استهلّ يغنّي ... ساق حرٍّ مغرِّدٍ فوق ساق[1]
ينثر الدر في المسامع نثراً ... بين درٍّ منظَّمٍ مستاق[2]
وافتضضنا من العواتق بكرا ... نكحتْ أمها بغير صداق[3]
ثم بانت ولم تطلّق ثلاثاً ... لم تبنْ حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مدينيٍّ ، وفي شربنا الشراب عراقي[4]

وقوله [من الوافر] :

سرى طيف الحبيب على البعاد ... ليصلح بين عيني والرقادِ
فبات إلى الصباح يدي وسادٌ ... لوجنته كما يده وسادي
بنفسي مَن أعاد إليَّ نفسي ... وردَّ إلى جوانحه فؤادي
خيالٌ زارني لما رآني ... عَدَتْني عن زيارته عوادي
يواصلني على الهجران منه ... ويدنيني على طول البعاد

وقوله [من الطويل] :

وريّانَ من ماء الشباب تهاتفت ... به نشواتٌ من صبا ودلال[5]
كما اهتزَّ بانٌ من أكاليل روضةٍ ... تلاعبه ريحا صَبا وشمال

---

(١) ساق حر : هو ذكر القماري المعروف بالحمام القمري ، سمّيَ بذلك لأن حكاية صوته ساق حر .
(٢) مستاق : متتابع بعضها بعد بعض .
(٣) العواتق : الفتيات أوّل إدراكهن والصداق : المهر .
(٤) يريد بالمديني المنسوب إلى علم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، وبالعراقي المنسوب إلى عالم العراق أبي حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ .
(٥) الرّيان : الكثير الارتواء ، وتهاتفت : تداعت وثبّت .

تعلّم منه الهجرَ طيفُ خياله هدواً فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ويمنع ذكراه الخطور ببالي

وقوله [من الكامل] :

بأبي غزال صدّ بعد وصاله وزها عليّ بحسنه وجمالِهِ
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله[1]

وقوله [من البسيط] :

مستوحشاً من جميع الناس كلّهمِ كأنما الناس أقذاءٌ على بصري[2]

وقوله [من الطويل] :

أما والذي سوّى السماء مكانها ومن مرج البحرين يلتقيانِ
ومن قام في الأوهام من غير رؤية بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفّاك إلا لأربع عقائل لم يخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه ، وإعطاء نائل ، وتقليب هنديٍّ ، وحبس عنان

* * *

٣ ـ عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له [من المديد] :

قد بلوت الحب مختبراً فأنا المسئول عن خبرِهِ
هو عذب عز موردُه غير أن الموت في صَدْرِهِ
نظري أذكى جوى كبدي وهلاك الصَّبِّ في نظره[3]

---

(١) الكرى : من الأضداد يطلق على الأرق والسهاد ، ويطلق على النوم .
(٢) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٣) أذكى : أوقد وأشعل وأهاج والصب : العاشق .

وقوله [من الكامل] :

قمــرٌ بسبــي ذوي العقــول أنيقا ... ورشــاً بتقــطيع القلــوب رفيقا[1]
مــا إن رأيت ولا سمعــت بمثله ... دراً يصير من الحياء عقيقا
وإذا نظـرت إلــى محاســن وجهه ... أبصرت وجهك في سناه غريقا[2]

وقوله [من الكامل] :

برح الخفــاء فأعْتِبي أو عاتبي ... فهــواك سدٌ علــيَّ رحــب مذاهبي
لو كنــت أعلــم لي سوى فرط الهوى ... ذنبــاً إليك لكنــت أول تائبِ[3]
يــا ظالمــاً لا يســتفيد بظلمه ... متعتِّباً في الحــبّ غير معاتب
هلاّ عطفــت علــيَّ عطفــة راحمٍ ... لمــا ذللــت إليك ذِلــة راغب

* * *

٤ ـ الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عيني جفونك أم خمرا ... فقد رحت ملآن الجفــون به سكرا
وشعــراً أرانــي صبح وجهــك أم دجا ... ووجهــاً جلا إظــلام شعــرك أم فجرا
وجســمٌ تثنّــى بين ثوبيك ناعمٌ ... أم الغُصُنُ اللدن اكتسى ورقاً خضرا[4]

وقوله [من الخفيف] :

رب خمــر شربتهــا من جفون ... ورياض جنيتهــا مــن خدودِ

---

(١) أنيق : متقن ومعجب .
(٢) السناء : الضياء .
(٣) فرط الهوى : شدّته .
(٤) اللدن : الطري .

إذ يشجّ اللثام ريقاً بريقٍ ويلفّ العناق جيداً بجيد[1]
تحت ظل من النعيم ظليل وبفيء من السرور مديد

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع نيران شوقٍ وغليلاً يذوب منه الغليلُ[2]
وحنيناً إليه في طول ليلٍ ما إلى الصبح من دجاه وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عنّيَ المليح الجميل

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ترك القلب والهاً مستكينا
يا غزالاً يصبي القلوب هواه وهلالاً يُعشي سناه العيونا[3]
أنت علّمتني الصبابة والبخل فصرت البخيل فيك الضنينا[4]

وقوله [من البسيط] :

لأنزعنَّ وإن لم أقض من وطري إلاّ لبانة أشواقٍ ومُدَّكَرِ[5]
أكفُّ كفي وأثني من تقلّبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* * *

٥ ـ يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل] :

هو ظالمي لكن أرقُّ عليه من أن أجيل اللحظ في خدّيْهِ

---

(١) يشجّ : يشق ، والجيد : العنق .
(٢) الغليل : الظمأ .
(٣) أصبى :استمال، وأعشى: أضعف البصر ليلاً ونهاراً .
(٤) الصبابة : رقة الحبّ وشدّته والضنين : الشديد الحرص .
(٥) الوطر : الغاية ، واللبانة : الحاجة .

أعفيت رقـة وجنتيه من أذى عينـي ومـا أعفيت من عينيه
وكأن در الخـد يكسـي حمـرة الـــــياقـوت من نظـر العيون إليه

وقوله [من الوافر] :

أتضـرب بين عينـي واغتماضي بواشٍ من لواحظـك المراضِ
وتخلفنـي بوعـد قد تَقَضّى مدى عمـري وليس له تقاضي
ولـم أسـألك إلاّ النـزر ، إنّي بذاك النّـزر مغتبـطٌ وراض[1]
أبـحْ تفـاحتيك للحـظ عيني وأعـطيك الأمـان من العضاض

* * *

٦ ـ عبد الله بن إسمعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبـان إلـى قلبـي من الفِكَر
قد كنت أسمـع عمّـن لسـت أذكره خوفـاً عليه من التصـريح بالذكر
سمعت حتـى إذا أبصـرت قلت له : يا حاش لله ما هذا من البشر

* * *

٧ ـ سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعـي فلا كان أعمـى بالبـكا بصري وقـاد قلبـي إلـى الأحـزان والفكرِ
فإنٍ بكت مقلـة مِن فَقْـد من عَرَفَتْ فقـد بكيت بمـن لم أدر بالنظر
يا واصـفيهِ رويداً إنّ وصفَكُمُ لم يُبْقِ من جَلَـدي شيئـاً ولـم يذر[2]

---

(١) النزر : القليل واليسير .
(٢) الجلد : الصبر .

قالـوا بدا فغلطنـا بالسّـرار له   لمـا تَبَلَّـج منـه الليل بالقمر[1]

وقوله [من الكامل] :

سقـم الأحبـة للقلـوب سقام   وإذا القلـوب سقمـن فهـو حمامُ
لله بدرٌ قد تنقص نوره   بالسقـم ، وهـو بمـا سواه تمام

وقوله [من المتقارب] :

بـكيت ومثلـي بكى للوداع   وعاصـي العـزاء بشـوقٍ مطاعِ
ولـم أحمـد الصبـر يوم النوى   ولا كان من قبلـه في طباعي[2]
ولـو كنـت لم أبـك من بينهم   بكيت علـى عهـد حبٍّ مضاع

وأنشدني لبعضهم شعراً [من الوافر] :

كلامـك مثـل ريقـك ، ذا بهذا   مزاج سلافـةٍ حلـوٌ بعذبِ[3]
فلـو أنـي إذا أسمعْـتُ هذا   شربـت بذاك ضاع عليَّ لبّي[4]
فـإن أبصرْتَنـي منـه صريعاً   فغالـطْ في هوايَ وشـاةَ صحْبي
وقـل هو نشـوةٌ من خمـر حبٍّ   فإنّ الـدنَّ قد يدعـى بحبٍّ

* * *

٨ ـ يحيى بن عبد الملك بن هذيل رحمه الله تعالى !

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلمْ هائمـاً قدِ استْحسـن الوجـــــد وكلّ أمـره إلـى استحسانِهْ

---

(١) السرّار : اختفاء القمر والتبلّج : الإشراق .
(٢) النوى : الفراق .
(٣) السلافة : الخمر .
(٤) لبّي : عقلي .

فأنـا الطائـع المشـوق لمـن صـا ر يُريـنـي الهـوانَ في عصيانه
مـرّ بي خاطـراً يكاد من العجـــب به ان يُراعَ في ريعانه[1]
فـي ملاءٍ كأنّـه وهـو فيها ورد خدَّيْه في جنـى سوسانه[2]
يشتـكي بالفتـور من كسـل المشـــي ولا يشتـكيه من أجفانه
ولقـد شفَّنـي وأسهـر طرْفي لمـع برقٍ يزفّ في لمعانه[3]
شمتـه والظـلام يفتـرّ عنه كافتـرار الزنجـيٍّ عن أسنانه[4]

وقوله [من الطويل] :

ألا عودة من طيفـه فيرى حالي ألا يا ادّكاري للـكرى لي أتـى تالي
يكاد يضيق الجـو من عظـم زفرتي وتهفـو نجـوم الليل من فرط إعوالي
أبـي غير تعذيبـي ولـو أمـر الردى أطـاع ولـكن فعلـه هو أنـكى لي

وقوله [من الخفيف] :

والثـريا دنـت من البـدر حتى خلتهـا دارعـا يدير مجنّا[5]

وقوله [من الكامل] :

ومزنَّـةٍ والبـرق ينسـج فوقها برديْن من نوءٍ وطـلٍ باكي[6]
مالـت علـى طيّ الجنـاح وإنّما جعلـت أريكتهـا قضيب أراك[7]

---

(١) خاطراً : ماشياً بزهوٍ وتبختر،ويراع : من الروع وهو الخوف .
(٢) الملاء : الخمار .
(٣) شفّني : أمرضني وأهزلني .
(٤) شمته : ترقبته وتطلعت إليه .
(٥) المجن : الدرع .
(٦) المزنّة : السحابة ، والنوء ، المطر .
(٧) الأراك : شجر طيّب الرائحة .

وقوله في الخضاب [من الكامل] :

لما رأت شعري تغيّر لونه ... ورأته محتجباً وراء حجابِ
قالت : خضبت ، فقلت : شيبي إنما ... لبس الحداد على ذهاب شبابي

* * *

٩ - قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع] :

استحيت الأغصان من قدِّه ... وحار ماء الحسن في خدِّهِ
إنّي لمشتاقٌ إلى ريقه ... طوبى لمن يرشف من برده

* * *

١٠ - محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له [من الخفيف] :

يا سقيم الجفون من غير سقمٍ ... حاشَ لله أن تبوء بإثمي[١]
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي ... وجعلت السّقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا ... م خطيباً من سحر عينيك خصمي

* * *

١١ - عبد الله بن حارث

قال [من الطويل] :

عزائم وجدٍ ما يحلّ لها عقد ... وجرية دمعٍ ليس يبقى لها خدٌّ

---

(١) تبوء بإثمي : أي تتحمله .

ومقلة ممنوعِ الرّقاد كأنّما جرى بين عينيه وبين الكرى حقد
وبادية الإعراض لا عن ملالةٍ ولكنّ إعراضاً يولّده الود[1]
منعّمة تزهو بخدٍّ مورّدٍ كأنّ شعاع الشمس من خدها يبدو
وقد وثقت مني بعزم صبابةٍ لها دون عقد الصبر من مهجتي عقد
وما الصّد إلا كالوصال إذا غدا لغير ملالٍ أو قَلَى ذلكَ الصَّدُّ[2]

* * *

١٢ ـ عباس بن قرماس

أنشدني له [من الطويل] :

وأحورَ ما يعفى العيون من العشق له كذبٌ في الجدِّ أحلى من الصدقِ[3]
وللحسن في خدَّيه شمس مقيمةٌ وبدر كمالٍ لا يحور إلى محق[4]
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى بأحورَ ما يبقى هواه ولا يُبقي

* * *

١٣ ـ أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسيَ من يصدُّ بغير ذنب سوى إدلاله ثقةً بحبّي
عجبت لقلبه قاسٍ كجسمي ويحكي جسمه في اللين قلبي
فهلاً بالتشاكل كان قاسٍ لقاسٍ ، واغتدى رطبٌ لرطْب[5]

---

(١) الإعراض : الصدّ والهجر .
(٢) القلى : البغض والكره .
(٣) الأحور : من كان في عينيه حور ، وهو شدّة البياض وشدّة السواد معاً .
(٤) لا يحور : لا يرجع ، والمحق : من المحاق وهو اختفاء القمر ، وأراد به النقصان .
(٥) التشاكل : التشابه .

وإنْ لم ينعطف باللين فظٌّ فقولي بالقساوة قلب صَبٍّ

وقوله [من الوافر] :

بأيِّهما أنا في الحب بادي بشكر الطَّيْف أم شكر الرقادِ[1]
سرى وأرادني أملي ولكنْ عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حَرَجٍ ولكنْ جريت من العفاف على اعتقادي

وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً لقلبي أفرُّ إليه من نوب الخطوبِ
وألتذُّ الغرام المحض منه وأستحلي به حتى كروبي[2]
كذاك الحب ضيفٌ ليس يأتي إلى غير الكرام من القلوب

وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها فتترك شمل العزم وهو مبدَّدُ
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه من الأين يمشي ظالعٌ ومَقيّد[3]

* * *

١٤ ـ أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يوم وصالٍ مستجدٍّ وبين يوم صدودِ
وحديثٌ موشَّحٌ بعتابٍ فيهما نزهة الفؤاد العميد[4]

---

(١) بادي : أراد أن يقول « بادىء » فلم يستقم له الوزن فقلب الهمز ياء .
(٢) المحض : الخالص ، والكروب : الهموم .
(٣) الأين : التعب والاعياء . والظالع : الذي أصابه الظلع : وهو شبه العرج .
(٤) الموشّح : المزيّن ، والعميد :

مـــن غزالٍ في مقلتيه سهامٌ هنّ أمضى من مرهفـات الحديد(1)

وقوله [من الطويل] :

وكم ليلـــةٍ قد نادمتنـــي نجومها أديمُ صبوحـــاً عندهـــا وغبوقا(2)
يعاطينـــي كأســـاً ألـــذَّ من المنى وأعـــذبَ من ريق الأحبّـــة ريقا

وأنشدني لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنياي التـــي كلمـــا غدتْ لهـــا عزّة المولـــى فلـــي ذلّـــةُ العبدِ
أعالـــج داء الدهـــر منـــك بذلّتي وقد قيل قِدْماً : عالجوا الضـــدّ بالضدِّ

* * *

١٥ ـ زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له [من الكامل] : *

صبـــراً علـــى هجـــر الحبيب وصدِّهِ لا يؤْيِسَـــنَّـــكَ هجـــره من ودِّهِ
لا تقنطـــنَّ من الصـــدود فإنّما لين الزمـــان معـــرَّضٌ بأشدِّه(3)
وأنـــا الفـــداء لشـــادنٍ علّقته حبّه صيّرنـــي تحلّـــة عبدِهِ(4)
مـــاء الشبـــاب يجـــول في وجناته وحســـام رونقـــه يجـــول بخدِّه

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطـــيِّ علـــى المنازلْ بالسفـــح من حصـــنٍ فعاقلْ
دِمَـــنٌ أنـــاخ بهـــا الربيـــــع وحـــلَّ أثقـــال الرواحلْ(5)

---

(١) المرهفات : أي الحادة ، وأمضى : أقطع .
(٢) الصبوح : مشرب الخمر صباحاً ، والغبوق شرب الخمر مساءً .
(٣) القنوط : اليأس ، والصدّ : الإعراض .
(٤) الشادن : الغزال ، وعلقته : عشقته .
(٥) الدمن : الأطلال .

لعبـت بهـا هوج البوا رح بالغـدوِّ وبالأصائـل[1]
تستـنُّ فـي عَرَصاتـها وتجـرُّ أذيـال الـقساطـل[2]
حتـى كـأنَّ رسومهـا إخـلاق أجفـان المنـاصـل[3]
أو أسطرٌ من عهـد ذي الـ ـقـرنين في الصـُّحُف الأوائل

* * *

١٦ - فاتك الشهواجي

[قال] في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالـةٌ من كلف الفؤاد معـذَّبٍ بالصـَّد والبعـادِ[4]
أجفانـه وقفٌ علـى السُّهاد يبـكي بدمـعٍ رائـحٍ وغادي
إلـى الـذي ممّـا لقيت خالي منعَّـم العيش رخـيٍّ البال
يريد هجـري ويرى مطالي لئـن سلانـي لسـت عنـه سالي[5]
يا غصـن بانٍ مخْجـل الأغصان ويا رخيم الـدلِّ والمعاني
يا قمـراً ما إنْ له مداني يا ذا الـذي بطرفِـهِ سباني[6]
بلغـت أعـداي الـذي أحبُّوا صرت علـيَّ والزمـان ألْبُ
هـذا جـزا من بصبـيٍّ يصبو عثـرْتُ والطِّـرفُ الجـواد يكبو
يا عبـد ما تعـرفُ ما ألاقي يا عبـد ما شوقـك كاشتياقي
نفِّسْ بحـقِّ الـودِّ عـن خناقي ما شَدَّد الهجـرانُ من وثاقي

---

(١) البوارح : الآلام .
(٢) العرصات : الساحات ، والقساطل : الغبار الساطع في الحرث .
(٣) إخلاق : إبلاء ، والمناصل : السيوف وغيرها .
(٤) كلف الفؤاد : العاشق والمتيِّم .
(٥) المطل : التسويف .
(٦) سباني : أسرني .

يا ذا الـــذي يمْلكنـــي بطرفِهْ		يا من يجـلُّ الـوصف عنـــدَ وصفِهْ
يا قاتلـي بوعـــده وخُلْفهِ		ارحــمْ محبّــاً قد دنــا من حتْفه[1]
ارحـــم عزيزاً في هواك ذلا		ألبستـــه ثوبــاً فمــا تملّـى
قطعـــه العـــذّال فيـك عذلا		يا بدرَ تمٍّ في السمـــا تجلّـى
إرْثِ لقلـــبِ دائـــمِ الجراحِ		ارْعَ انتهـــاكي فيك وافتضاحي
لا تقبلنَّ فيَّ قولَ لاحي		يا ذا الـــذي بكفّـــه سراحي[2]
فقـد عفـا الرحمـن عمـا قد سلفْ		فعدٌ عن زور التصابي والصلف[3]
واحْنُ على الصبِّ بوصلٍ وانعطفْ		إن لم ينلــه منـك إحســان تلف
بحـــق ما في فيك من رضابِ		يا من غَذَتْــه نعمـةُ الشباب[4]
لا تقطعـــنَّ الدهـــر في عتاب		فقـــد تقضّـى زمـن التصابي
بحـــق من أنـــزل صُحْفـــاً وكتبْ		إجعـلْ إلـى القلـب طريقـاً وسببْ
يا لعبــةً وافـــت علـــى كل اللعبْ		قد مسَّنـــي بعـــدك بؤس ونصب
لـــم يرض بالذلـــة غير نذل		ولســـت أرضـــى بقبيح الفعل
إنـــي ،أرى من دون هذا قتلي		فاقطع وصالـي أو فجـد بالفضل[5]

وهي طويلة جداً .

* * *

١٧ ـ أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :

غزالٌ جنينـــا الـــورد من وجناته		علـى أنـــه منّـــا القلـــوب بهـــا يجْني

---

(١) الخلف : عدم الوفاء ، والحتف : الموت والرّدى .
(٢) اللاّحي : اللائم ، وسراحي : فكّ أسري .
(٣) الصلف : التكبّر .
(٤) الرضاب بضمّ الراء : الريق .
(٥) جد : تكرّم .

إذا ما بدا والليل منسدل الدُّجا رأيت سناه كيف يفعل بالدّجنِ
أُخبِّرُهُ بالطّرف أني أحبه فتخبرني عيناه أنْ قد وعى منّي

وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذيبي يا غايةً في الحسن والطيبِ
إن الذي قال عليَّ العدى إفك كما قيل على الذِّيب
يا يوسفَ الحسنِ أمَا رحمةً تكْشف عنّي ضرٌّ أيّوب ؟[1]

* * *

١٨ ـ مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أُسَمِّي بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ إنس لو فُرِّجَ هَمِّي ؟
سَيِّدي ، وجهكَ شمسٌ أشرقتْ أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل] :

أودى الفراق بقلبه فكأنّه بعد الظعائن ميتٌ لم يلحدِ[2]
يا ظاعناً ولّى بقلبي إذ غدا ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيت فيك دموع عيني بعد ما أفنيْتُ فيك تصبُّري وتجلُّدي
الله يعلم أن نار صبابتي من يومِ بنْتَ جحيمُها لم يبردِ[3]

---

(١) يوسف الحسن : أي النبي يوسف عليه السلام وتكشف : تزيل ، والضرّ : البؤس والشقاء والعذاب ، وأيوب : أي النبي أيوب عليه السلام .
(٢) أودى : أذهب وأهلك وقضى ، والظعائن : النساء الراحلات ، والظعن : الرحيل والفراق .
(٣) بنت : بعدت وغبت .

وقوله [من الكامل] :

ذكر الرّصافة قلبه فاشتاقا ... وأذاع ماء جفونه مهراقا[1]
كم بالرصافة من أخٍ ليَ مسعدٍ ... لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلاً ... لقيَ الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلدٍ به ... أهلي فحكم البين أن أشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنما أزري بقدري أنني ... لست من بابة أهل البلدِ[2]
ليس منهم غير ذي مقلية ... لذوي الألباب أو ذي حسد[3]
يتحامون لقائي مثلما ... يتحامون لقاء الأسد
طلعتي أثقل في أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني قعر بحرٍ لم يكن ... أحدٌ يأخذ منهم بيدي[4]

* * *

١٩ ـ الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال [من الرمل المجزوء] :

قتلت عيناك عبدَكْ ... قبل أن تقضيه وعدكْ
حُلْتَ عن عهد محبٍّ ... لم يزل يحفظ عهدك

* * *

(١) أذاع : أسال وأظهر ، ومهراقا : أي أراقها وسفحها .
(٢) أزرى : أعاب وأنقص والبابة : الصنف ، والخصلة .
(٣) ذي مقلية : أي صاحب بغضٍ وكره .
(٤) أي أنهم لو رأوه غريقاً لما ساعدوه .

٢٠ ـ عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال [من الخفيف] :

كيف صبري وأملح الثَّقَلَيْنِ مُخْلِفٌ موعدي ولاوٍ بديني[١]
كلما رمت وصلها وصلتني بصدودٍ وذنَّبتني ببين[٢]
هي وسْنى الجفون لكنْ بنومٍ مذ أرتنيهِ أذهبَتْ نومَ عيني[٣]

* * *

٢١ ـ الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاي حتى متى أضرعُ وأشكو إليك فما تسمعُ
نبا بي الوساد وطول البعاد وطار الرقاد فما أهجع[٤]
أودُّ بأن المنايا أتت وأين يرى اللحد لي مضجع
يُقَطِّع قلبي صدودك عني فما ليَ في عيشةٍ مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدودٌ ليس يبلغه عقاب وعتبٌ ليس يثنيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٍ وإعراضٌ وصدٌّ واجتناب
فلا سهرٌ يطيب ولا رقادٌ ولا أكلٌ يسوغ ولا شراب

* * *

---

(١) الثقلين : الجن والانس ، ولاوٍ بديني : مماطل به ، ومنكر لهُ .
(٢) ذنبتني ببين : أي زاد البعد بعد الصدّ .
(٣) الوسن : النعاس .
(٤) نبا : جفا وباعد ، والهجوع : الرقاد .

٢٢ ـ محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولــون كم تدعــو إلــى غير راحم   وما كلِ من يشكو إلـى النـاس يرحمُ
وددت بأن يرضـى فإنِ جاد بالرضا   تفـكّرٍ في ذنـب المحـب فيندم

وقوله [من الخفيف] :

كان في كثـرة العتـاب دليلٌ   لي علـى أنَّ من هويْتُ ملولُ
مـن نوى جفـوةً تقـوَّل في الحـ   ـب علـى من يحبـه ما يقولُ[1]
فاقطعـي الوصـل أو صلـي فبقائي   مع طول العتـاب منـك قليل
واسلـكي بي سبيل عروةَ إن لم   يتَّجِـه لي إلـى رضـاك سبيل[2]

وقوله [من الطويل] :

ولـم أدر إذ زمّـوا الهــوادج بالضّحى   أطرْفِيَ أعمـى أم نهـارِيَ مظلمُ ؟[3]
فيا جفن عيني كيفَ تطمـع في الهوى   بنــوم ونــوم العاشـقين محرَّمُ ؟

* * *

٢٣ ـ علي بن حتفان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقـى المحـبّ مخلَّفاً   بعـد الأحبـة من جوى وسهادِ
بالله لا تنس الــوداد فإنّني   باقٍ علـى عهـدي ومحض ودادي

* * *

---

(١) تقوّل : اختلق الأقوال .
(٢) عروة : هو عروة بن حزام أحد متيّمي العربِ وصاحبته اسمها عفراء .
(٣) زمّوا : شدّوا وأزمعوا الرحيل .

٢٤ ـ محمد بن عبديس الجناني
رحمه الله !

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمــدُّ بشـجْـوي يداً فقـد بلـغ الحـبُّ منّـي المدى[١]
فــريد المحاســن أنــت الذي قَد اثْبَتَّنــي في الأســى مفردا
ترفَّــقْ فلــو كنــت بعض العدى وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحنــي فقــد بتُّ ممّــا لقيت وأَرْوَحُ ما أرتجيه الرَّدى

* * *

٢٥ ـ أحمد بن أبي صفوان بن العباس
ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلــو ترانِــيَ نشوانــاً أميل على هذا وذاك بلا خوف الرقيبيْنِ
والـكأس يسعى ونقـر العـود يخفرها ونقــل كأسِــيَ من ريق الغزالين
رأيت أحســن مرئــيٍّ وأبهجه ليث العــرين صريعــا بين ريميْن

* * *

٢٦ ـ أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ أحييتْ فيه سنــا الصبـ ـح بوجــه يُعشــي الوجــوهَ سناهُ
بات والــراح فـي غلائلهــا البيـ ـض تعــاطيكهــا بــه راحتاه

---

(١) الشجو : الحزن .

فأعـــار الــكؤوس توريدُ خدَّيْـ ـه وطيب النسيم مـن رياه
وكأنَّ المـــدام قد علّمتها كيف تَسْبــي ألبابنَــا مقلتاه[1]

وقوله [من الخفيف] :

قد توقعـــت حادث البين إشفا قاً عليه من قبــل حين وقوعِهْ
فرأيت الفــراق دلَّ علــى أن فـراق الحيـاة فـي توديعه

وقوله [من الخفيف] :

مـن مجير المشــوق من أشواقهْ ويكـف الدمــوع مـن آماقِهْ
بان عنــي من غادر القلــب مني فَرَقــاً مـن تأسُّفــي لفراقه[2]

وأنشدني لبعض أدبائهم [من الطويل] :

وليلــة أنسٍ كاد يسبقهــا الفجر وتسفـر في عينـي بهــا الظُّلــم الكُدْرُ
لقيتــك منهــا بالأمانِــيِّ ذاكراً فيا طيب ليلــى من لقــاءٍ هو الذكر
أقمتــك في نفســي لنفســي تذكُّرا ففــزت بوصــل ما يغالبــه الهجر
ألســت نظير البــدر حسنــاً وبهجةً فمالك لا تسـري كمــا يفعـل البدر ؟

* * *

٢٧ ـ محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثـل شوقــي إليـك ينفرج وهـو بروحــي والجســم ممتزجُ ؟
أيـن لقلبــي من الهــوى وزر ولوعــة الشــوق فيـه تعتلج ؟[3]

---

(١) المدام : الخمر ، وتسبي : تأسر .
(٢) الفرق : الخوف .
(٣) وزر : مساعد ، تعتلج : تتلاعب .

وابأبـي من يذيب نفسـيَ بالتَّـــكريه منـه الـدلال والغنج
علّـمَ طرْفـي السهـاد من طرفـه السـاحـر ذاك الفتـور والدَّعَج[1]

* * *

٢٨ ـ حسن بن محمد بن ربيع الفاني

قال [من البسيط] :

لولا جفونـك ما استولـى بيَ الكمد ولا تَحَـكَّمَ في أجفانِـيَ السَّهَدُ[2]
الهجـر يذكي جوى قومٍ فيا عجباً للوصـل يذكي جوى قومٍ فيتَّقد
كأنـه ليس يبقـى في جوانحه إلاّ ليشقـى بمـا يلقـى ومـا يجد
هذا مقـام فؤادي في تشوُّقه فلا تسـلْ بعـد ذا ان كان لي كبد

* * *

٢٩ ـ عبد الله بن بكر
رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الخفيف] :

حَسَـدَتْ نفسِيَ الـطبيب وقالت ليت كفـي مكان كفٍّ الطبيبِ
عجبـاً كيـف ساعدتْـه يـداه فصَـدْ ذاك المطـرَّفِ المخضوب[3]
ليت وجـه الحبيب كان من الدنـيا ومـن جنـة الخلـود نصيبي

---

(١) الفتور : الضعف والإنكسار ، والدّعج : سعة العين مع اشتداد بياضها وسوادها .
(٢) الكمد : الحزن والغمّ ، والشهد : الأرق والسهر .
(٣) الفصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة والمطرّف المخضوب : أي الكفّ المخضّب بالخضاب .

وقوله [من الكامل] :

لمـا رأيت شعـاع وجهـك قد بدا　　متهلـلاً كتهلـل البرقِ
سَبَّحْـتُ من عجـبٍ وقلـت : متى　　للشـمس مُطَّلَـعٌ سوى الشرق ؟
ما كنـت أحسـب مثـل صورتها　　متكوِّنـاً أبـدا مـن الخلق

وأنشدني للكلبي [الوافر] :

بنفسِـيَ من هواك لهيب شوقٍ　　ومـا يخبـو كمـا يخبـو اللهيبُ[1]
هو الـداء الـذي لم يشف منه　　لقـاء يلتقيـه ولا مغيـب
وتـروي بالعنـاق قلـوب قومٍ　　وتظمـأ لو تعانقـت القلوبُ
علـى أنـي إذا ما غبـت عني　　وان أصبحْـت في أهلـي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده ، فكتب إليه كتاباً متنصلاً[2] ، وجعل عنوانه « عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء نسبته » فاستظرف الحكم كتابه ، وضحك منه ، ودعاه فأعتبه[3] ، ووصله .

* * *

٣٠ ـ محمد بن حفص بن فرح

قال [من البسيط] :

يا من غدت نفسه نفسي فإن سَلِمَتْ　　سلمـتُ أو أَلِمَـتْ قاسمتُهـا الألما
ما إن علمـت الذي تشكوه من سقمٍ　　حتـى وجـدت بنفسـي ذلك السَّقما

---

(١) يخبو : يخمد وينطفىء .
(٢) متنصّلاً : متبرئاً .
(٣) أعتبه : أرضاه وأزال سبب عتبه .

وله [من الخفيف] :

فــي المنــى راحــة لكل عميد شفــه الحــب بالنــوى والصدودِ
إن تنــاءى الحبيب أدْنته منه فغــدا في العبــاد غير بعيد
أو جفــاه فإنــه لمنــاه واصــل حبلــه برغــم الحسود

* * *

٣١ ـ عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال [من الطويل] :

شكا السقم من أهوى وجدَّ به الصبا ولا مثـل ما جدّ الصبّــا بي في الحبِّ
ومــا عدتــه إلاّ وسقمِــيَ واحدٌ وأُبْتُ ولي سقمان بالحـب والكرب[1]

وقوله [من الخفيف] :

ما لهــذا الصــدود من غير معنى يا حبيبــي ، إلــى متــى تتجنّى ؟[2]
أنــت غصــنٌ فكيف تقســو لجانٍ مدَّ كفــاً وأنــت تهتــزُّ لدنا[3]
إن تكن قد مللــت قربــي تباعد ت قليلاً لعلنــي سوف أدنى
أيهــا الباخــل الممانــع جُدْ لي من حياتــي ببعـض ما أتمنَّى
أو أرحني بالمــوت فالمــوت عندي هو خير من أن أعيش مُعَنَّى[4]

وقوله [من الطويل] :

رحلــت وقلبــي عنــك ليس براحل وزلــت وصبــري عنــك أوّل زائلِ

---

(١) أبت : عُدت .
(٢) تتجنّى : تتحامل وتتهم .
(٣) الجاني : القاطف ، واللدن : الطري الناعم .
(٤) المعنّى : المعذَّب .

وجَـدَّتْ بنـا العيس العتـاق وإنما رحيلـي من الـدنيا بتلك الرواحل[1]
ومـن عجـب أختـار فيك منيَّتي وما في الـدنيا من خيارٍ لعاقل

وقوله [من المتقارب] :

نظـرت إلـى عقـدات الكثيبِ بعينـيْ مشـوقٍ إليهـا كئيبِ
وكم نظـرة ملأتْ ناظـري إليهـا دمـا مستهـلٍّ الغروب
رعـى الله أهـل كثيب اللوى كرَعْيك منهـم عهـود الحبيب[2]
وشقَّـق فيهـم جيوب السماء كما شقـق البين رتـق الجيوب[3]

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلـي بالعقيق تلوح فتدنـو النّوى بالشـوق وهـي تروحُ
نظـرت إليهـا وهـي تسْبح في الدجى وإنسـان عيني في الدمـوع سبوح[4]
فسلنـي بوجـد لو تقسّـم في الورى لمـا بات بين الخـافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليهـا جوانحي ودون الصَّـلا منهـا مهامـه فيح[5]

* * *

٣٢ ـ محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لـم أبـح باسمـه لأنّـي ضنينٌ باسمــه أن تذيلـه الأفواهُ

---

(١) العيس العتاق : النوق الكريمات .
(٢) الكثيب : التلّ من الرمال ، واللوى : ما التوى من الرمال .
(٣) الرتق : ضدّ الفتق .
(٤) إنسان عيني : ناظرها . وسبوح : سابح وغارق .
(٥) الفيح : الواسعة ، والمهامه : الفلوات والقفار .

أنـا من خاطـري أغـار عليه ... عنـد ذكـري له فكيف سواه
سـاء ظنـي لفـرط غيرة قلبي ... مَعَ علمـي عفـافَ من أهواه
وإذا ما سمعـت من يتشكّى ... حرقـةً خلـت أنهـا شكـواه

وقوله [من البسيط] :

إنّـي زعيمٌ لمـن أسهـرْتَ مقلتَهُ ... أن لا يطيف به طيف من الوسنِ [1]
سبحـان رب الـورى ما كان أغفلني ... حتـى رمتنـي الليالـي فيك بالمحن

وقوله [من الخفيف] :

قفْ بربـع البلـى وربـع الهموم ... واسفـحِ الدمـع فيه سفـح الغيومِ
غيّرت آيَـهُ صروفُ الليالي ... ومحاهـا الغمـام محـو الرّقيم [2]
ساء ما اعتـاض بالسحائـب من نبـ ... ـت المعالـي بمنبـت القيصـوم [3]
فالأسـى حين يعـدم الشـيء محمو ... لٌ علـى قدر جوهـر المعلـوم

وقوله [من الوافر] :

أمـا والبيت والشهـر الحرام ... وزمـزم والمشـاعـر والمقامِ [4]
لقـد حنَّـت ركاب الـركب حتى ... شجـت قلـب الخلـيِّ من الغرام [5]
إذا شاق الحنين فؤاد خلوٍ ... فكيف نـرى فؤاد المستهام ؟
تحـنُّ إلـى حنين العيس نفسي ... ويبعـث شجوهـا نوحُ الحمام [6]
وإنّ حياة نفسٍ كلّ شيءٍ ... يُشوِّقُهـا لموشكـة الحِمام

---

(١) زعيمٌ : كفيل ، والوسن : النعاس .
(٢) الصروف : الأحداث والتقلّبات ، والرّقيم : الخطّ والكتاب .
(٣) القيصوم : نبات ذهبيّ الزهر طيب الرائحة يُتداوى به .
(٤) يجمع الشاعر في هذا البيت الحجّ ومناسكه .
(٥) الخليّ : الذي لا يعرف العشق .
(٦) يبعث : يثير ، والشجو : الحزن .

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركي للعيادة عن قلى ... مني ولا لتبدل وتغيُّرِ
لكنْ علمت إذا سمعتك تشتكي ... أن لا يقوم به جميل تصبُّري

* * *

٣٣ ـ محمد بن عبد العزيز العتبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذي ... يجدي عليك سؤال ربع داثرٍ؟
عَفَّتْ معالمه الليالي مثل ما ... عفّى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خودٌ تستعير إذا مشتْ ... لينَ القضيب الناعم الميّاسِ[٢]
لانت أناملها ولكنْ قلبها ... في قسوة الحجر الصَّلود القاسي

وقوله [من الكامل] :

ألا في سبيل الله قلب متيم ... أصيبت ببين الظاعنين مقاتلُه
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى ... وغالته إذ بان الخليط غوائله[٣]
وبين الحمول المستقلّة شادنٌ ... أغنٌّ غليظ القلب رخصٌ أنامله[٤]
تيقنت أن الصبر عنّيَ زائلٌ ... عشيةَ زَمَّت للرحيل رواحله

* * *

---

(١) لموشكة الحمام : لقريبة إلى الموت .

(٢) الحوراء : من الحور ، وهو شدّة بياض العين وشدّة سواد، والخود: الشابة الجميلة الناعمة والمياس : المتمايل .

(٣) غالته : أهلكته وقضت عليه وبان الخليط .

(٤) الأغنّ : من في صوته غنّة كغنّة الظبي والرخص : الناعم اللين .

٣٤ ـ محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلع البسيط] :

من فرط شحِّي عليك أنّي رسول نفسي إليك عنّي
فلو سألت الرسول ممن أتى لقال الرسول مني

* * *

٣٥ ـ المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي

قال [من البسيط] :

لا يبعد الله أياماً نعمْت بها بين الغواني وشمل الحي ملتئمُ[1]
بكلّ ناعمة الأطراف مشرقة تكاد تسفر من إشراقها الظُّلَم
كأنّها دميةٌ بل كوكبٌ شَرِقٌ بل روضةٌ أُنُفٌ زهراءُ بل صنم[2]
فما لمثلِيَ لا يبكي لفرقتها والعهد منها ولو أن البكاء دم

* * *

٣٦ ـ مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال [من السريع] :

كم لي بمن أهواه من وجدِ بين إلى هجرٍ إلى صدٌ
وعبرةٍ لو أنها جمرةٌ ما أطفئت من شدَّة الوقد
إن حالت الريح إلى غيرها أقول قد حال عن العهد
وإن دنا دانٍ توهمته دنا ليثنيك عن الودّ
كأن سوء الظن مستجمعٌ من بين هذا الخلق لي وحدي

---

(١) ملتئم : مجتمع .
(٢) روضة أنفٌ : أي لم ترعَ .

وقوله [من الكامل] :

ومنعم للحسن في وجناته ... فجر ينم صباحه ونهارُهُ
قد تاه قرطقه بنهدَيْ صدرِهِ ... وزها بلعبة خصره زناره[1]
أمسى يعلّلني المدام وعنده ... عود ترنٌّ بشجوه أوتاره
فيهيج منّي لوعةً لو أنها ... بصفا المقرّر ضعضعت أحجاره
والدنُّ مقطوع الوتين ترى له ... علقاً يجود بصوبه مدراره[2]
طفئت مصابحنا فكان سراجنا ... مصباحه حتى الصباح وناره

* * *

٣٧ ـ أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] :

لئن منعوا من ناظر نور ناظري ... فما منعوا ما بيننا في الضمائرِ
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا ... إذا ما التقينا نشتكي بالمحاجر[3]

وقوله [من السريع] :

ودّعني إذ ودّعوا صبري ... وجمّعوا البين إلى الهجر
واستخلفوا في كبدي لوعةً ... لاعجها أذكى من الجمر[4]
لولا دموع العين يوم النوى ... لأحرقت من حرّها صدري
وكيف صبري في هوى شادنٍ ... مكتحل الأجفان بالسّحر

* * *

---

(١) القرطق : الثوب أو نوعٌ من الثياب .
(٢) الوتين : شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها . والصوب : المطر .
(٣) المحاجر : يعني العيون .
(٤) اللاعج : حرقة الحبّ .

٣٨ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الواحد
المعروف بعرجون

قال [من الخفيف] :

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي   واسْأَلَنْها ولو بقاء حياتي
قل لها قد قضى هواك عليه   فهو مَيْتٌ أو مؤذِنٌ بالممات
فالحظيه ترين إن شئت ميتاً   كان يحيا بأيسر اللحظات
واعجبي أن تكون لحظة عينٍ   منك تهدي الحياة للأموات

* * *

٣٩ ـ عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتنِيَ كأسَ الحبِّ عيناه   صرفا وَثَنَّى بأخرى طيب ريّاهُ[١]
وزادني وردتي خديه ثالثة   فأسْكَرَتنِيَ عيناه وخدّاه
يا من كساه ضياء الحسن خالقه   فبالملاحة حيَّاه وردَّاه[٢]
حيٌّ يرجّي سلاماً في ملاحظةٍ   تشفي به سقم قلبٍ طال بلواه

* * *

٤٠ ـ أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نَفَسْت على الأراك ، وحق لي   لما اجتني بالذوق طيب جناكِ
وبِيَ الصَّدى لا بالأراك ، فما له   رشف اللّمى وحرمت رشف لماك ؟[٣]

---

(١) الصرف : الصافي الذي لم يمزج بغيره .
(٢) ردّاه : ألبسه .
(٣) الصّدى : الظمأ .

أشعرت لو أنّي حللت محله لم أمتهنك بأن أقبِّل فاك

وقال [من الطويل] :

على صدع شملي منك قلبي تصدعا فعن أي حال منك أبدي التوجُّعا ؟[1]
على النَّأي منكم أم على قرب داركم بهجرٍ يزيل الصبر عنِّيَ أجمعا ؟
بلى إن في قرب الديار لراحةً وإن لم يَدَعْ فيك هجرك مطمعا
كما أن أيام النوى تبعث الأسى ويدعو التصابي للمحب إذا دعا

وقوله [من البسيط] :

هبّت لنا الريح من تلقاء كاظمة وهناً فكم ردّ نفح الريح من روح[2]
وما عرفت نسيم الريح من بلدي إلا بعرف حبيب هَبَّ في الريح

* * *

٤١ ـ عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافحُ دمع العين حين همى من الجوانح سراً كان مُكْتَتَما[3]
لا تحسبي أنّه سرٌّ بذلت به ولا فتحت به للكاشحين فما[4]
لولا عواصي دموع لا تطاوعني ما ذاع سرُّكِ عندي لا ولا عُلِما
لؤمٌ بذي الحب أن يُبْدي سرائر ما يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرما
سجيّتي أنني أرعى ودائعكم وأحفظ العهد منكم كلما قدُما[5]

---

(١) صدع الشمل : تفرّقه .
(٢) كاظمةِ : إسم موضع ، والوهن : الضعف .
(٣) همى : نزل وانذرف والمكتتم : المستتر .
(٤) الكاشح : المبغض .
(٥) السجيّة : الطبع .

وأنني أمنح الواشي بكم أذناً معارةً فيكُمُ عن قوله صمما[1]

* * *

٤٢ ـ عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما لعذري يزيد في قدر ذنبي وعتابي يغريك فِيَّ بعتْبِ
ولماذا اشتريت ودِّي وقد أعطيتك الود من لساني وقلبي
حسبِيَ الله من أعادٍ وحسَّا دٍ، وبالصدق في ترضيك حسبي
أنت شربي وليس في العيش حظ لِيَ يصفو إذا تكدَّرَ شربي

* * *

٤٣ ـ عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من المجتث] :

أبدى الصدود حبيبٌ قد خان عهدي وملاّ
ولي فمن لي بروحي يردّها إذ تولّى !
لا آخذ الله منه من بالجفاء تحلّى

وقوله [من البسيط] :

أغرى بِيَ الشوق فِكْر ما يسالمني أقام بين ضلوعي حرب صفينا[2]
هذا وما خان أحبابي الأولى ظلموا وإنّهم لعهود الحبّ راعونا[3]

---

(١) الصمم : الوقر .
(٢) صفّين : مدينة على الفرات كانت بها الواقعة العظمى بين جيشيْ عليّ ومعاوية سنة ٣٧ هـ .
(٣) راعون : محافظون .

يا أهــل ودّي عدا بي عن زيارتكم ... هوى يلـحُّ بإبعــادي أحايينـا
ما لي على الحـبِّ من عونٍ يوازرني ... فيه سوى أدمـع تجـري أفانينا(1)

* * *

٤٤ ـ الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائبـاً لي بالصدو ... د إذا ذكرت قبيح عذركْ
أخليت من قلبـي مكا ... ناً كان معمـوراً بذكرك
وأنـا أحبّـك لو وثقـــــت وأستـديم بقـاء عمرك

* * *

٤٥ ـ عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيبٍ كان لي قُرَّةً ... مقتـرب الـود لطيف المكانْ
يرى علـى الأعـداء فيمـا يرى ... كالصــارم الهنـدي أو كالسّنانْ
حتـى إذا الدهـر نبـا نبوةً ... حال فحلنـا بانقـلاب الزمان(2)
كان صديق الغيب فيمـا يرى ... وإنّمـا كان صديق العيان(3)

وقوله [من المتقارب] :

تقـول : بعـدتَ فأنسيتنـا ... ولـم يـك حبـك بالدائمِ

---

(1) الأفانين : جمع أفنان الذي هو جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة .
(2) نبا نبوةً : جفا جفوةً، والصارم : السيف القاطع .
(3) صديق الغيب : أي من يودك في القرب والنأي . وصديق العيان : من لا يودك إلاّ في القرب والمشاهدة.
أي صديق المصلحة .

فقلـت لهـا : لو علمـت الهوى لمـا جرْتِ فيه علـى العالم[1]
لأن الهـوى وانتـزاح النوى يزيدان في لوعـة الهائم[2]
كفعـل الـرحيق وسـكر الكرى إذا ما استعانـا علـى النائم[3]

* * *

٤٦ ـ محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إنَّ جهـلاً بالمـرء ذي الحـزم والرأ ي رجـوعٌ في الغـيِّ بعـد نزاعِ[4]
ومحـالاً بأن يطيع هواه والهـوى ـ ما علمـت ـ شرُّ مطاع

وله [من الخفيف] :

أوْدَعَـتْ مهجتـي غداة الوداع حرقات تجنُّها أضلاعـي
طفلـة تستبـي العقـول بدلٍّ آخـذٍ للقلـوب والأسمـاع
كشف البينُ ما كتمـت ومـا كنـ ـت قديمـاً أصونـه في قناعي[5]

* * *

٤٧ ـ الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[6]

أنشدنـي له أبـو سعيد بن دوسـت ، قال : أنشدنـي الـوليد بن بكر الفقيه الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها [من الطويل] :

---

(١) جرتِ : ظلمت من الجور .
(٢) انتزاح النوى : كدر البعد وطول مدّته .
(٣) الرحيق : الشراب .
(٤) النزاع : وهو النزوع عن الشيء والإقلاع عنه .
(٥) البين : البعد ، وأصونه : أحفظه والقناع : يريد به الصدر موضع الأسرار .
(٦) له ترجمة وافية في ذخيرة ابن بسّام (١ ـ ١٦١) وما بعدها .

وأخــرى اعتلقنــا دونهــن، ودونها قصــور وحُجّــابُ ووالٍ ومعشرُ
يزيِّنهــا مــاء النعيم وحَفُّها من العيش فينــان الأراكة أخضر[1]
إذا رامهــا ذو حاجــة صدَّ وجهه ظبــا الباتــرات والــوشيج المكسَّر[2]

ومنها :

ومــن قبــةٍ لا يدرك الطــرف رأسها تزلُّ بهــا ريح الصبــا فتَحَدَّر
إذا زاحمـت فيهــا المخــارم صوَّبت هبوباً على بعد المـدى وهـي تجأر[3]
تكلَّفتهــا والليل قد جاش بحره وقــد جعلــت أمواجــه تتكسَّر
ومن تحت حضنـي أبيضُ ذو شقاشقٍ وفي الكف من عسَّالـة الخـط أسمر[4]
إلـى بيت ليلـى وهــو فرد بذي الغضا يضــيء كعين المستهــام ويزهر
همـا صاحبــاي من لدنْ كنــت يافعاً مقيلان من جدِّ الفتــى حين يعثر
فذا جدول في الكفِّ تشفـي به المنى وذا غُصُـنٌ في الــكفِّ يجنــي ويثمر
فبتنــا علــى ضمٍّ اشتياقنا تكاد له أكبادنــا تتفطَّر

ومنها :

ودَوِّيةٍ من فتنــةٍ مدلهمَّةٍ دريس الصُّـوى معروفهــا متنكِّر[5]
إذا جابهــا الخِــرِّيت في طرقاتها يظـل بهــا أعمــى وإن كان يبصر[6]
ترى ثابتـات الحــكم عنــد اعتسافها تركُّ علــى إدفافهــا فتهوَّر
وإن سلــكت أضواجهــا عَيَّتْ بها غوارب من ذي مطـريات تزجَّر[7]

---

(١) الفينان : وصف للغصن الرطيب الطويل الكثير الحسن .
(٢) الظبا : الحد ، والباترات : القاطعات ، والوشيج : شجر نتخذ منه الرماح .
(٣) المخارم : جمع مخرم ، وهي الطرق والأنفاق في الجبال .
(٤) الحضن : الجانب وبين الإبط ، والأبيض : السيف ، والأسمر : الرمح .
(٥) الدّوية : القفر والصحراء ، والصّوى : الطريق والمعالم .
(٦) الخرّيت : الدليل الحاذق الماهر .
(٧) أضواجها : منعطفات الأودية وغوارب : المطيّ النشيطة .

وسرنا نجوز النهج حتى بدا لنا   بغرة يحيى ساطع اللون أزهر

وله من أخرى أولها [من الطويل] :

* أمن رسم دار بالعقيق محيل *

ولما هبطنا الغيث يذعر وحشه   على كلّ خوّار العنان أسيلِ[1]
مسوَّمة نعتدُّها من جيادنا   لطرد قنيص أو لطرد رعيل[2]
إذا ما تغنى فوق متونها   ضُحَيّاً أجابت تحتهم بصهيل
تدوس بنا أوكار نوء كأنه   رداء عروس أوذنت برحيل
رمينا بها عرض الصوار فأقعصتْ   أغنَّ قتلناه بغير قتيل[3]
وبادر أصحابي النزول فأقبلت   كراديس من غضٍّ الشِّواء نشيل[4]
فقلت لساقيها أدرها سلافةً   شمولاً ومن عينيك صرف شمول
فقام بكأسيه مطيعاً لإمرتي   يميلِ به الإدلال كلَّ ميل
وشعشع راحيه فما زال مائلاً   برأس كريمٍ منهمُ ونبيل

وله من أخرى[5] [من الطويل] :

منازلهم تبكي إليك عفاءها   سقتها الثريا بالعُريٍ نحاءها[6]
أَلَثَّتْ عليها المعصرات بقطرها   وَجَرَّتْ بها هوج الرياح ملاءها[7]
حبست بها عدواً زمام مطيتي   فحلَّت بها عيني عليٍّ وكاءها[8]

---

(١) الأسيل : الليّن المستوي الأملس .
(٢) المسوّمة : المعلّمة ، والرعيل : القطيع .
(٣) الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، فأقعصت : قتلت في مكانها .
(٤) الكراديس : القطع .
(٥) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة (١ - ٢١٦) مع اختلافٍ يسير .
(٦) العفاء : زوال آثارها ، والعري : اسم مكان والنحاء : الزقّ والجرّة .
(٧) ألث عليها المعصرات : أي دام المطر بها أيّاماً متتابعة دون انقطاع .
(٨) الوكاء : رباط القربة والوعاء والكيس وغيره .

رأت شدَنَ الآرام في زمـن الهوى ... ولـم تر ليلـي فهـي تسفـح ماءها
خليلـيَّ عوجـا بارك الله فيكما ... بدارتهـا الأولـى نُحَـيٍّ فناءها
ولا تمنعانـي أن أجـود بأدمعٍ ... حواها الجوى لما نظـرت جواءها
فأقسـم ما شمـت الغـداة وقودها ... وقـد شمـت ما راب الحمى وأساءها
ميادين أفـراس الصبـا ومراتعُ ... رتعـت بهـا حتـى ألفـتُ ظباءها
ولـم أر أسرابـاً كأسرابهـا الدمى ... ولا ذئـب مثلـي قد رعـى ثَمَّ شاءها
ولا كضـلالٍ كان أهـدى لصبوتي ... ليالِـيَ يهدينـي الغـرام خباءها
ومـا هاج هذا الشـوق إلاّ حمائمُ ... بكيت لهـا لمـا سمعـت بكاءها
تغـنًّ فلا يبعـدْ بذي الأيك عاشقٌ ... بكى بين ليلـى فاستحـثّ بكاءها
أنا البحـر لا يستوهـن الخطب طاقتي ... وتأبـى الحسـان أن أطيق لقاءها
تيمّـم قصـدي النائبـات فردَّها ... فتـى لم يشجّـعْ حين حان رياءها
إذا طرقتـه الحادثـات أعارها ... شبـا فكرات قد أطـال مضاءها[1]
أمـا وأبـي الأعـداء ما دفعتهم ... يد سبقتهـم يَتَّقـون عداءها
جزاهم بمـا حازوا من الجهـل حلمه ... كريم إذا رَأْيُ المـكارم جاءها

ومنها :

وكم لك من يوم وقفـت بظله ... وقـد نازلتنـا الحادثـات إزاءها
ومن موقف ضنـك زحمـت به العدى ... وقـد نفضـت فيه العقـاب رداءها
وكم أمـةٍ أنجدتهـا وكأنها ... يرابيع سدَّتْ خيفـةً قصعاءها[2]
ومـن خطبـة في كبَّـة الصَّـك فيصلٍ ... حسمـت بهـا أهواءهـا ومراءها[3]

---

(١) الشبا : يقال شبا النار : أوقدها وهنا يقصد قوّة الفكر والرأي ومضاءها : إعمالها وحدّها .
(٢) يرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وطويل الذنب .
(٣) كبّة الصك : الكبّة : الزحمة والجماعة والشدّة والصك : الكتاب ، والمراء : المزاج والهوى .

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

* أنكيت ـ إذ ظعن الفريق ـ فراقها *

يقول فيها :

إنـي امـرؤٌ لعـب الزمـان بهمّتي — وسقيتُ من خمـر الخطـوب دهاقَها
فإذا ارتمـتْ نحـوي المنـى لأنالها — وقف الزمـان لهـا هنـاك فعاقها
فإذا أبـو يحيى تأخّـر سعيه — فمتـى أؤمِّـل في الدّنـا إلحاقها[1]
الملبسـي ذهبيَّةً مـن فضله — ثنـتِ العيون فلـم تطـق رقراقها
والمانعـي من صرف دهـري بعدما — قلبـتْ إلـيَّ الحادثـات حداقها[2]
حتّـام لا تزوي جيادك للوغى — وتشيم من بيض السيوف رقاقها[3]
وتسـدّ طرق الأرض منـك بجحفلٍ — يذر الملـوك مديمـةً إطراقها
بحـرٌ إذا خفقـت عقـاب لوائه — بتخـوم أرضٍ لم تخف إخفاقها

ومنها :

بطلٌ إذا خطب النفـوس إلـى الوغى — جعل الظُّبا تحـت العجـاج صداقَها[4]
لو عارضـت هوج الـرياح بنانه — يومـاً لسـدَّ ببعضـهـا آفاقها
وإذا الملـوك جرت جياداً في الوغى — والجـود قطّـع غفـوةً أعناقها
ولَـو أنَّ أفـواه الضراغـم منهلٌ — للـورد أورد خيلـه أشداقهـا[5]

وقوله [من الطويل] :

أفـي كلّ عامٍ مصـرعٌ لعظيم — أصـاب المنـايا حادثـي وقديمي

---

(١) كذا ، وفي الذخيرة « فمتى أؤمل في الزمان لحاقها » .

(٢) الحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .

(٣) تزوي : تجمع وتهيّء .

(٤) الصداق : المهر .

(٥) المنهل : مشرع الماء ، والورد : حيث ترد الحيوانات للإرتواء من الماء .

فكيف لقائي الحادثات إذا سطت وقد فلّ سيفي منهم وعزيمي[1]
مضى السَّلَف الوضّاح إلاّ بقيةً كغرةٍ مُسْودٍّ القميص بهيم[2]
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجتْ وقد فقدت عيناي ضوء نجومي
أما وأبي الأيام لولا اعتداؤها لظاهرتُ في ساداتها بقروم[3]
وقارعت من يبغي قراعِيَ منهمُ بأحلام بطشٍ أو بطيش حلوم
أحلُّوا ملامي لا أبا لأبيهمِ وإنّي وربِّ المجد غير ملوم
فلا تعذلوني إن ولهتُ فإنها علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غَوِيٍّ وانسلخنا من كل ذام وعابِ
وانقطعنا لواعظات مشيب آذنتنا حياتها بذهاب
وإذا ما الصبا تحمَّل عنا فقبيحٌ بما ارتضاه التصابي
وفُتُوٍّ سروا وقد عكف الليل وأقعي مغدودن الأطناب[4]
وكأن النجوم لما هدتهم أشرقتْ للعيون من آدابي
وكأنّ الصباح قانصُ طيرٍ قبضت كفّه برجل غراب
وكأن البروق إذ طالعتهم أوقدت في سمائها من شهابي
يتقرُّون جوز كلّ فلاة جنح ليل جوزاؤه من ركابي[5]
عَنَّ ذكري لمدلجيهم فتاهوا من حديثي في عرض أمرٍ عجاب[6]

---

(١) سطت : من السطوة : أي بطشت وفتكت ، وفلّ : تشقق وتقطّع .
(٢) أي كغرّة الفرس .
(٣) القروم : الأسياد ، وظاهرت : استعنت ، وطابقت .
(٤) الفتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم .
(٥) يتقرّون : يتلمّسون ويتفحّصون وجوز الفلاة : وسطها .
(٦) الإدلاج : المسير في الظلمة .

همــةٌ في السمــاء تسحـب ذيلاً   من ذيول العــلا وجـدٌ كابي(١)
وفتــىً أرهفــت ظبــاه المعالي   فثنتـه بالبــاتـر القرضـاب(٢)
نيَّبتـه أيامـه ولياليــــــه بظَفْــرٍ مِنَ الْخطـوب وناب
حُــوَّنٍ لو رآه صرف الليالي   لتــوارى من خوفــه في حجاب
ذاق أيامــه فكان سواء   عنــده طعـم شهدهــا والصّاب
وَلَــو آنَّ الــدنيا كريمــة نجرٍ   لم تكن طعمـة لفــرس الكلاب(٣)
وإذا ما نظـرت ما حاز غيري   قلٌ عمـا حملتــه في ثيابي

وقوله [من الرمل] :

أصــفيحٌ شيمَ أم برقٌ بدا   أم سنـا المحبــوب أورى أزندا(٤)
هــبَّ من مرقــده منكسراً   مسبــلا للــكُمِّ مُرْخٍ للرّدا
يمســح النعســة من عينــيْ رشأ   صائــد في كل يوم أســدا
كاد أن يرجــع من لثمــي له   وارتشافــي الثغــر منــه أدردا(٥)
قــال لي يلعــب : صدْ لي طائراً   فترانــي الدهــرَ أجــري بالكدا(٦)
فــإذا استنجــزت يومــاً وعده   قال لي يمطــلُ : ذكِّرنــي غدا
شربــت أعضــاؤه خمــر الصبا   وسقــاه الحســن حتــى عربدا
وأنــا المجــروح من عضته   لا شفانــي الله منهــا أبدا !
ومــكانٍ عازبٍ من جيرةٍ   أصدقــاء وهــمُ عين العدا
ذي نبــاتٍ بلبلــت أعرافه   كعــذار الشعــر في الخــدّ بدا(٧)

---

(١) وجدٌ كابي : أي خط عاثر .
(٢) أرهفت : أمضت ، والباتر : القاطع .
(٣) النجر : الأصل .
(٤) أورى أزندا : أشعل الزند ، والزند شجر سريع الاحتراق وشديد الحرارة .
(٥) الأدرد : ذاهب الأسنان .
(٦) الكدا : الاستعطاء .
(٧) الأعراف : تيجان النبات والعذراء : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

قلــت إذ خيَّمْــتُ فيه قاطناً	وتلاقتنــي الأمــانــي سُجَّــدا
ورأيت الدهــر خوفــي ساكناً	وبنــى الأحــرار حولــي أعبدا
جــاد من أصبحــت في أيامه	والـردى يحــذر من خوفــي الردى
ملكٌ يحســب عدلاً ملكاً	وإمــامٌ أمٌّ فينا فهدى
خلتــه والرمــح في راحته	قمــراً يحمــل منــه فرقدا
نِعْـمَ ما اختــرت لنفســي فاعلموا	إنْ زمــان جار أو صرفٌ عدا
ليس من يعشــو إلــى نار القرى	مثـلَ من يعشــو إلـى نارِ الهدى[1]

ومن شعره [من الطويل] :

أبــرقٌ بدا أم لمــع أبيضَ قاصل	ورجــعٌ شدا أم رجــع أشقــرَ صاهلِ
ألا إنهــا حرب جنيت بلحظة	إلــى عُرُبٍ يوم الــكثيب عقائل
هوى تغلبــيٍّ غالــب القلــب فانطوى	على كمـدٍ من لوعــة القلــب داخل
ردى تعلمــي بالخيل ما قرَّب النوى	جيادك بالثرثــار يا ابنــة وائل
جزينــا بيوم المــرج آخــر مثله	وغصــنٍ سقينـا ناب أسمــر عاسل[2]

ومنها :

سهــرت لهــا أرعــى النجــوم وأنجماً	طوالــع للــراعين غير أوافل
وقــد فغــرت فاهــاً بهــا كلّ زهرة	إلــى كلّ ضرعٍ للغمامــة حافل[3]
كأنّ الدجــى همِّــي ودمعــي نجومه	تَحَــدَّرَ إشفاقــاً لدهــرٍ مماحل[4]
ومــا بِيَ إلاّ همــةٌ أشجعية	ونفسٌ أبــت لي من طلاب الرذائل
وكيف ارتضائــي دارة الجهــل منزلاً	إذا كانــت الجــوزاء بعض منازلي

---

(١) يعشو : يقصد ليلاً ، والقرى : الضيافة .
(٢) العاسل : الرمح .
(٣) فغرت : فتحت ، والضرع : الثدي في الحيوانات اللبونة .
(٤) همِيٌّ : من هما المطر : أي نزل .

وصبري على محض الأذى من أسافلٍ ومجـدي حُسامـى والسِّيادةُ ذابلي
ولمـا طمـى بحـر البيان بفكرتي وأغـرق قرن الشـمس بعض جداولي
زففْـت إلـى خير الـورى كلَّ حرةٍ من المدح لم تخمل برعي الخمائل[1]
ومـا رمتهـا حتـى حططـت رحالها علـى ملكٍ منهـم أَغَـرَّ حلاحل[2]

وقوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

* هاتيك دارهم فقف بمغانها *

يقول فيها :

ودَّعتُهُـمْ وزنـاد قدح في الحشا دون الضلـوع يشـبُّ من نيرانِها
يا صاحبـيَّ إذا ونـى حاديكما فتنشَّقـا النفحـات من ظيَّانها[3]
وخـذا بمرتبَـع الحسـانِ فربما شفع الشباب فصرت من أخدانها
وكأنمـا الشعـرى عقيلـة معشرٍ نزلـت بأعلـى النسـر من ولدانها
وكأنّمـا طرق المجـرة منهجٌ للعامـرية ضامـنٌ فينانهـا
المعجليـن عداتهم برماحهـم والجـاعلين الهـام مـن تيجانها
أنـا طودهـا الراسـي إذا ما زلزلت أيدي الحـوادث من فؤاد جبانها
وعلـيَّ للصبـر الجميل مفاضةٌ زغفٌ أفـلَّ بهـا شبـاة سنانها[4]
وكأنّني لمـا كرمـت وقـد شكت أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقضـت بعـزّ النفس منـي دوحةٌ من عامـرٍ أصبحـت من أغصانها
أسـري لهـم بالخيل حتـى خيّلوا أنّ الجبـال رمتهـمُ برعانها[5]

---

(١) زففت : قدّمت وأنشأت أحسن القصائد والأفكار ، لم تخمل : تزول آثارها .
(٢) حلاحل : السيّد الشجاع .
(٣) ظيّانها : عسلها .
(٤) المغاضة : الدرع . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(٤) المفاضة : الدرع ، والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(٥) خيّلوا : حسبوا ، والرعان : جمع رعن وهو أنف الجمل .

ورمى العـدى بكتائـبٍ ملء الفضا ... أعمدن نصـل الصبح في رهجانها[1]
مــن كلّ سلهبــةٍ تطير بأربعٍ ... ينسيك مُؤْخَرهــا التمــاح لبانها[2]
نشــأوا بزاهــرة الملــوك ومائها ... وكأنهــم نشــأوا علــى غسَّانها[3]
وأَرَتْهُـمُ العــرب الــكرام مصاعها ... فتعلَّمــوا من ضربهــا وطعانها[4]

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليليَّ ما آنفــك الأسى منــذ بينهم ... حبيبِــيَ حتــى حلَّ بالقلــب فاختطا
أريد دنــواً من خليلي وقــد نأى ... وأهــوى اقترابــاً من مزار وقـد شطا[5]
وإنــي لتعرونــي الهمــوم لذكركم ... هدوّاً فلا أستــطيع قبضــاً ولا بسطا
وإن هبــوط الــواديين إلى النقا ... بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سربٍ ما تقــرّى نعاجه ... بريراً ولا تقــرو جآذره خمطا[6]
ومرتجــزٍ ألقــى بذي الأثــل كلكلاً ... وحــطّ بجرعــاء الأبــارق ما حطّا[7]
سعــى في قياد الــرّيح يسمــح للصبا ... فألقَــتْ على غــير التِّــلاع به مرطا[8]
وما زال يروي الترب حتى كسا الربى ... درانـك والغيطـان من نسجـه بسطا[9]
وعَنَّــتْ له ريح فأسقــط قطره ... كما نثـرت حسنـاء من جيدهــا سمطا
ولــم أر درا بدَّدتــه يد الصبا ... سواه فبــات الزهــر يجمعــه لقطا

---

(١) الرهج : الغبار .
(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة ، واللبان : الصدر .
(٣) غسّانها : رجالها ، والغسّان : ريعان الشباب وحدّته .
(٤) المصاع : الجلاد والقتال .
(٥) شطا : بعُدَ .
(٦) تقرى: تطعم، والبرير: الأول من ثمر الأراك ، والخمط : نوع من الشحر .
(٧) الكلكل : الصدر ، والجرعاء : أرض حزنة بها رمل وحجارة .
(٨) التلاع : المرتفع والمنتصب من الأرض والمرط : الثوب الطويل الذيل .
(٩) الدرانك : ضربٌ من الثياب .

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزلٌّ كسا جثمانه مستترا طيالس سوداً كالدجى وهو أطلسُ[1]
فدلَّ عليه لحظ خِبٍّ مخادعٍ ترى ناره من ماء عينيه تقبس[2]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغرَّ قد لبس الدجى برداً فراقك وهو فاحمْ
يحكي بغُرَّته هلا ل الفطر لاح لعين صائم
أرمي به بقر الحمى وأصدُّ عن عصم العواصم[3]
وتجانبي فتق النفو س من المهاريت الدلاقم[4]
حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم
وتمايلت أيدي الثريّا وهي مُذْهبة الخواتم
ورنت ذكاءُ بناظرٍ رمدٍ من الأقذاء سالم[5]

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الإيوان ، وقد كدسني بصارم وسنان . فجعلت مجني حطباً دل على نفسه ، وتشظى من يبسه[6] فسلطت عليه صاحب الشرر[7] ورميته منها ببنات الحديد والحجر . فواقعه قليلاً، وعاركه طويلاً . فكان لها عجيج ، وله من حرها ضجيج . ثم خلا لها صريعاً ، واستولت

(١) الأزلّ : الضيق .
(٢) الخبّ : الخداع والخبث .
(٣) أصدّ : أمنع ، والعصم : جمع أعصم ، وهو من الغزلان وغيرها ، ما في ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .
(٤) المهاريت الدلاقم : الأسود المغيرة .
(٥) ذكاء : هي الشمس .
(٦) تشظى : تشقق .
(٧) صاحب الشرر : الزناد .

عليه صعباً منيعاً . فبددت شمله وألفت شملها ، واستحالت حية لا يستلذ قتلها . ترمي بألوان وتتهدد بلسان ، فلذعت البرد لذعة ، ونكرته على فؤاده نكزة ، خرّ لها على جبينه ، ومات بها من حينه . وغشينا من فائض حمتها حر كان لنا حياة ، ولذلك وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته ، ودلنا به من لطيف صنعته . ولما استحال جمرها رماداً ، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً ، ولمحته العين كالورد ، وذر عليه كافور الهند ، انبسطت نفس شاكرك فتذكر لما كلفته ، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته ، محرماً له لا مقتدياً به ، ومستثنياً فيه لا آخذاً منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع ، ومشى إليه بروع ، وكان بالأمس برداً أجحف[1] ، فابتنى من سحابة أو طف[2] ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار والفجار . فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ واستعاذ بالله من لهبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ، وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أخذت منهم حمياه ، تهللت الشفاه ، وانطلقت الأفواه ، فأخذوا من تجالدهم ، وأكثروا من عوائدهم ، وكشفت الأبشار ، وهتكت الأستار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ، ويتضاربون حكا . حتى إذا خرجوا بجماهرهم ، وانحفلوا بحذافرهم[3] . صب على جسمه من عريض ، وامتد على وضاح ذي وميض ، قاربه الحر حتى احتواه ، وباعده القر حتى اشتهاه . فحينئذ أخذ في طهره ، وقضى من أمره ، وقد لطف حسه ، وتراجعت إليه نفسه . فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته ، على الاختيار الذي قصدته ، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواه ، ولا يقتضي لغير

---

(١) أجحف : مهلك وكثير الضرر .

(٢) أوطف : أرفع .

(٣) انحفلوا : اجتمعوا .

معناه . فأثبتت فقراً مخترعة أرهفت جوانبها ، فسالت غرائبها ، وهي حلة ملبسها المشكور ، فإن كان ذلك من كريم كان ذلك طرازاً على كمها ، ورقماً على حاشيتها ، فإن زاد أن يكون عن كريم ، فإن ذلك تميمة لوشيها ، وذهب يرف على أرضها ، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور ، دريها أمل ، وملحها[1] عسل . فإن كانت من كريم كان روضها ورداً ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب ، والشكر طائر يتغنى باسم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوباً ، ورجعه تطريباً . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم ، ويقع ببشرى ، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها برداً ، ونفحها نداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة[2] ، وجناها شهوة ، والشكر واد يسقي أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيا[3] ، وإن زاد آن يكون عن كريم عمر عمر العجاج ، وأترع الأضواج[4] . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً ، ونفحه روحاً . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منه مسك أذفر[5] .

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل - أو شونيزة[6] ، أو بنتها عزيزة . أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم

---

(١) الدرى : الدرّ والإدرار ، وملحت الناقة : ذهب لبنها إلاّ قليلاً يجد ذائقه فيه ملوحة .
(٢) العجوة : التمر المخلوط بعضه ببعض .
(٣) الآتي : السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك أو النهر الذي يسوقه الرجل إلى أرضه .
(٤) الأضواج : منعطفات الوديان .
(٥) أذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت طيبةً كانت أم خبيثة .
(٦) الشونيزة : الحبّة السوداء .

كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة ، ومجرد له على الجبابرة ، يتكفن بأرفع الثياب ، ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل إلى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث . كفى بهذا نقصاناً للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمن .

وقوله في صفة بعوضة :

مالكة لا حس لها سواها ، تحقرها عين من رآها ، تمشي إلى الملك بندبها ، وتضرب بحبوحة داره بطلبها، تؤذيه بإقبالها ، وتعرفه بإراقة مالها ، فتعجز كفه ، وترغم أنفه ، وتضرج خده ، وتفري لحمه وجلده ، زجرتها تسليمها ، ورمحها خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة[1] وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوى وهي بعوضة ، ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

وله يصف ثعلباً :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر . كثير الوقائع في المسلمين ، مغري بإقامة ذم المؤمنين ، إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكماة أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرح[2] ودجاج .

وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر لياح ، له من إنائه ، انصباب الكوكب الدري من سمائه ، العين كانونه ، والقمر عفريته . كأنه خيط من غزل قلق ، أو مخصرة ضربت من ورق ، يترفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

---

(١) الحلفة : من الحِلف ،وهو المعاهدة والاتفاق على المساعدة .

(٢) الذرح : اللبن الذي مزج فيه الماء .

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى :

وما أرّقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكع ، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً ، وأتبعت الشفع وتراً[1] . جلت في أكنافه ، وانعطفت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغبراؤه تضاهي الخضراء ، زجاجة نورية ، كأنها الكواكب الدرية . ورعد قراء الله تعالى وخيرته ، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته . فصحت واويلاه ، واحر قلباه . أين منك المفر ، وأين دونك المقر . لاها الله لا يتركك كريم ، ولا يقلاك إلا لئيم ، بركا كبرك الجمال ، وثباتاً كثبات الجبال . ثم خرجت في تتمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب[2] ، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به ، فلما طالعتنا الحلوى صاح : هذا وأبيكم الروض ، فناديته اسكت فضحتنا لا أبالك . فقال : لا وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسال من لعابه ، وازور جانبه ، وخفق شاربه ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج ، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة[3] الزنابير ، حدثت على شوابير ، وخالطها لباب الحبة ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص[4] ، فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا التماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، تجرحه اللحظة ، وتدميه اللفظة ، بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ،

---

(١) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد .

(٢) الثبّة : الجماعة .

(٣) المجاجة : ما يقذفه الإنسان من فمه ، ومجاجة الشيء عصارته .

(٤) الخبيص : حلواء تتخذ من تمرٍ وسمن .

أبأحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً ، وجبل هواك على كبدي متيناً ، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني ، فأقطعك مني دواجني ، والعزيز الغفار لأطلبن بالثأر ،وتلمظ[1] له لسان الميزان، فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد ألبس، وهو ينظر نظر المفلس ، حنت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر ، وفي كل كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التي أنطقته ، وتحتوي على ضروبها التي أخرعته. فجاء بها فوضعها بين يديه ، فلما عاينها انحنى عليها بليانه ، وألقى عليها بجرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويجاحش بفخذيه ممانعاً ، ومدافعاً عنهـا . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويبلع ، ويوجر فاه ويدفع . وعينـاه تبضان ، كأنها جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان ، وأنا أقـول : على رسلك يا فلان . البطنة تذهب الفطنة . وهو يقول (أكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها . وألحق أولها بآخرها . وهبت منه ريح عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم، وفرقتنا شذر مذر[2] . وسربتنا في كل شعب شغر بغر[3] ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان ، نفخ ذلك فبدد النعام ، ونفح هذا فبـدد الأنـام ، فلـم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جارية :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة ، كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد[4] حمامة بيضاء. وكأن خدها على جيدها المشرق، تفاحة قدم بهـا إبـريق من راووق تكلمك بألحاظها، وتأسوك بألفاظها. تقابلك من خدها بوردة، ومن عينها بنرجسة .

---

(١) تلمّظ : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .
(٢) شذرمذر : أي ذهبوا في كلّ وجه .
(٣) شغر بغر : أيّ تفرّقوا في كل وجه .
(٤) يسفد : يجامع .

كأنما ثغرها من جوهر ،وشفتها خيط حرير أحمـر . وتقبل إليك بقضيب بان ،ثمرتـه رمانتان، وتنفتل عليك بكفل مائج ، كأنه كثيب عالج [1] ، تنطوي بقبطية ، وتقوم على أنبوب بردية ، أن استقبلتها بركان ، تضحك لك عن فلقة رمان . أو يطحنك جبهة أسـد غرير، فيقبض روحـك قبض أرواح المؤمنـين . ويتوفـاك بكدّ كالفقيه المشرف على المذاهب ، ركبت فيه اخلاق كاتب . فإن كنت شافعياً سددتك ، وإن كنت مالكياً قلدتك ، المنظر غلام ، والمخبر فتاة ، إن علوتهـا تدفعـت إليك ، أو علتك تداركت عليك ، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب ، إن شئت قلـت خمرة أو رضاب ، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانهـا ، يصـل إليك وصـول الإيمان .

فنثره في غاية الملاحة ، ونظمه في غاية الفصاحة .

* * *

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله [من الخفيف] :

قل لمن زاد إذ تباعـد بعدا ... وتنـاسى عهـدي ولـم أنس عهدا
لا يغرنّـكَ ما ترى من ودادي ... فلعلّي إن شئـت غـيرَت ودّا
لا وحـق الهـوى وحـق لياليـ ... ـه ومـن صاغ حسـن وجهـك فردا
ما أطيق الـذي آدّعيت ولـو ملّـكتـه لم أكن لغـيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربـت فوق الغصـون حمامةٌ ... ألا رأيت دمـوع عينـي تسكبُ
وإذا الـرياح تناوحـت ألفيْتني ... بـين الصبابـة والأسى أتقلّب
يا عاذلي في الحـب مهـلا بالأذى ... لو كنـت تعشـق ما ظللـت تؤنب

---

(1) الكفل : الأرداف ، والكثيب : التلّ من الرمل .

كم حاولـت نفسي السلـوَّ فطالبت أسبابـه جهـداً فعـزَّ المطلب

* * *

٤٨ ـ غسان بن سعيد

قال [من البسيط] :

من خانـه حسـبٌ فليطلـبِ الأدبا ففيه منيتـهُ إن حلَّ أو ذَهَبا
فاطلـب لنفسـك آدابـاً تعـزُّ بها كيما تسـود بهـا من يملك الذهبا

* * *

٤٩ ـ محمد بن يحيى النحوي
المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] :

طـوى عنّـي مودتـه غزال طوى قلبـي على الأحـزان طيًّا
إذا ما قلـت يسـلاه فؤادي تجـدد حبـه فازددت غيّا[1]
أحيّيه وأفـديه بنفسي وذاك الوجـه أهـلٌ أن يُحيّا

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفـاً سما وهنـاً إليّا لقـد جدّدت لوعاتـي عليّا
ألـمَّ مواصـلاً كأخـي غرامٍ سيذكر وصلـه ما دام حيّا
غـزالٌ لو رأى غيلانُ يوماً محاسـنـه إذاً أنسـاه ميّا[2]

* * *

٥٠ ـ شهيد بن المفضل
عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا تردُّ عنـان شوقـك صابرا وأخـو الصّبابـة لا يكون صبورا

---

(١) يسلاه : يصبر على بعاده والغيّ : الضلال . (٢) غيلان : هو ذي الرّمة ، ومي : معشوقته .

فاخلع عذارك في هواه فربما كان المحبّ على الهوى معذورا
ما العِزّ إلا أن تذلّ مع الهوى شحّاً عليه وإن ظللت أسيرا

* * *

٥١ ـ منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لي صبرٌ، أجل لا
بأبي أنت وأمّي أترى قتلِيَ حلاّ
حاش لله بأن أسلو عن الحبّ وكلاًّ !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحرّ مستعبدا
عبوديةٌ تُؤْيِس الآملين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه من الأسر غير تمنّي الردى
فيا غصن بانٍ إذا ما مشى ويا بدر تمٍّ إذا ما بدا
ويا عارضاً كلما أطمعت بوارقه زاد قلبي صدى[1]
أسرت فهلاّ بحكم الكتا ب قضّيْتَ بالمنّ أو بالفدى
ولكن أبيت سوى قسوةٍ يفوت بها قلبك الجلمدا[2]

* * *

٥٢ ـ غريب بن سعيد

أنشدني له [من مجزوء الكامل] :

وجدٌ دخيل واكتئابُ وفراق شملٍ واقترابُ
ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخواني حجاب

---

(١) العارض : السحاب الممطر .
(٢) الجلمد : الصخر الصلب .

فـإذا خلا وَلَجَـتْ عليـــه همومـه من كلّ باب[1]

يا عاذلي لمّا رأى دمـع العيون له انسكاب

مـا لي على برح النوى جلـدٌ فأقصرْ في العتاب[2]

وله [من المنسرح] :

ألان يوم الفـراق قسوته حتّـى جرى دمعـه ومـا شعرا

فخلـت ما سال من مدامعه درًا على وجنتيه منتثرا

لـم يبـك شوقـاً لكن بكى حزناً لهـول يوم الفـراق إذ حضرا

في مشهـدٍ لو أطـاق شاهده فيه استتـاراً لوجْـدِهِ استترا

أبـى أسـاه وفيض أدمعه إلاّ اشتهـاراً في الحـبّ فاشتهرا

وقوله [من الطويل] :

أستـودع الـريح الجنـوب تحيةً إليكم تؤدي من سلامـي ومـن شكري

وكم بلغـت ريح الشمال نسيمكم فأهـدتْ إلينـا منـكمُ أطيب النَّشْر

رعـى الله أحبابـاً تألّف شملهم بقرطبـةٍ بـين الرُّصافـة والقصر

تعوَّضت من أنسي بهـم وحشـة النوى ومـن قربهم قرب المهامه والقفر[3]

* * *

٥٣ ـ إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولـم أنسهـا يوم الـوداع ومسحَها بوادرَ دمـع العين والعين تذرفُ

أفـانين تجـري من دمـوعٍ ومـن دمٍ علـى الخـدّ منهـا تستهـلُّ وترعف

وتكرارنـا نجـوى الهـوى ذات بيننا وكلٌّ إلـى كلٍّ يلين ويعطف

---

(١) ولجت : دخلت .

(٢) الجلد : التصبُّر .

(٣) المهامه : القِفار ، والنوى : البعد .

جعلنا هناك الهجر منا بجانبٍ وللبين داعٍ بالترحُّل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتكٍ من صبابةٍ ولكنّني عن حملها منك أضعف

قال : وحدثت أن إدريس بن الهيم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنّما أنسى إذا ما نأيتُم بأقرب من لاقيته بكمُ عهدا(١)
إذا حصلتْ روحي إليكم وقد أتتْ على أرضكم ألقتْ على كبدي بردا
ويوحشني قرب الجميع وإنّها لتأنس نفسي إن ذكرْتكمُ فردا
وما كان قلبي إذ تبدَّيتُ صخرةً فينبو الهوى عنه ولا حجرا صلدا(٢)
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى عليها حِمامٌ ما وجدت لها فقدا

* * *

٥٤ ـ محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظل الدمع من جزعٍ عليهمْ وقد بانوا يسحُّ ويستهلُّ(٣)
سأتبع إثْرهم شوقاً إليهم وأقتصُّ المناهل حيث حلُّوا
فما لي أشتكي بالبين منهم كأنّي ليس لي زادٌ ورحل

* * *

---

(١) النأي : البعد .
(٢) ينبو الهوى : يجافيه .
(٣) يسحّ : يهطل ويذرف .

٥٥ ـ قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الــدار بنــا بي واغتربْ ورمــاه الدهــر رشقــاً من كَثَبْ
بعــدتْ عن دار ليلــى داره وهــو، في حبــل هواهــا مضطرب
فرجــتْ نفسِــيَ أن تشفــى بكم فرحــة في الحــب شيبــت بكرب
كنــت لي بدراً بدا في سجفه طلــع البينُ عليــه فغرب(١)

* * *

٥٦ ـ أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الــرياح إن نفــد الصبـــــــر وشطَّــتْ عن أرضهــا أوطاني
بلّغتهــا تحيتي وسلامــي وسـلام الإلّــه كلَّ أوانِ

* * *

٥٧ ـ سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبــدر في جوِّ السمــاء قد انطوى طرفــاه حتــى عاد مثــل الزورق
فتــراه من تحــت المحــاق كأنّه غرق الــكثير وبعضــه لم يغرق(٢)

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز (من الكامل] :

انظــر إليه كزورق من فضة قد أثقلتــه حمولــةٌ من عنبر

(١) السجف : الستائر ، والظلام .
(٢) المحاق : الوقت الذي يكون فيه القمر مختفياً .

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعــوا الهــوادج للــرحيل وأعتموا ... فغــدت لبينهــمُ المدامــع تسجمُ[1]
وســرّوا وأروقــة الظــلام تكنُّهم ... فكأنهــم من تحــت ذلك أنجم[2]
واستكتمـوا بمسيرهـم تحـت الدجى ... فأبـى نسيم المســك أن يستكتموا
ومــن العجائــب أنّنــي متأخِّرٌ ... عنهـم وقلبـي عنـدهـم متقدّم
وهـي النّـوى لم يبـق لي من بعدها ... غيـرُ الهـواء بنفحـهِ أتنسّم
وإذا الصّبــا أســرتْ أقــول لعلّها ... تلقــاهـم بتحيتـي فيُسلّمـوا

* * *

٥٨ ـ عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقــد هاجنــي للشــوق نوح حمائمٍ ... مطوّقــةٍ من مشْرقــات الحمائمِ
وناحــت ومــا أذرت دموعــاً قد رأتْ ... عيونِــيَ تجــري بالدمــوع السَّواجم
إذا ما تراجعْــن الحنيـن حسبتها ... نوادب رجَّعْــنَ الصَّــدى في المآتم

* * *

٥٩ ـ سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

بنفســي من يجرِّعنــي منوني ... ويرجمنــي بأحجــار الظُّنــونِ
ويصرمنــي ولا يرثـي لمــا بي ... وينفـي النـوم ظلمـا عن جفوني[3]

* * *

(١) تسجم : تذرف .
(٢) تكنّهم : تسترهم .
(٣) يصرمني : يهجرني .

٦٠ ـ عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له [من الكامل] :

أو ميض برقٍ أم سيوفٌ تبرق ... في عارضٍ أكنافه تتألَّقُ

دِيَمٌ إذا ارتدَّتْ إليك وجوهها ... أضحت وجوه الأرض منها تشرق

ترمي بأجفان الوميض كما انثنت ... أجفان عاشقةٍ إلى من يعشق

* * *

٦١ ـ يحيى بن عباد البسري

قال [من الطويل] :

إذا بارقٌ هاج الفؤاد المعذَّبا ... فَطَرَّبَ قلباً هائماً فتطرَّبا

بنفسي بلادٌ رحت من نحو أرضها ... بعيني مشوقٌ ما ألذَّ وأطيبا

بلادٌ بها قلبي رهينٌ معذّبٌ ... وإن جلْت في الآفاق شرقاً ومغربا(١)

* * *

٦٢ ـ الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ريع قلبي لما ذكرت الديارا ... وتنوَّرْتُ بالنخيلات نارا(٢)

وازدهتني ذات السنا ببروق ... من لظاها فما أطيق اصطبارا

والقريح الفؤاد يزداد للنا ... ر وميض السعير منها استعارا

* * *

---

(١) جلت : رحلت وتنقلت .

(٢) ريع قلبي : أي اضطرب .

٦٣ - يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعب الغراب ببينهم فتحمّلوا ونأى المحل بها فكيف تزارُ
بكروا وفي الأظعان يوم تحملو هنّ القصور تكنُّها الأستار
صفر النحور من العبير روادعٌ بيض الثغور كواعبٌ أبكار[1]

* * *

٦٤ - الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أيُّ طيفٍ في الكرى طرقا سام عيني الدمع والأرَقا[2]
أنا أفدي من بجنح دجى جاب في ظلمائه الطُّرُقا
ليَ حظٌّ في زيارته لي لَوَ آنَّ الكرى صدقا

* * *

٦٥ - الديك النيري مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فمرحباً بالطارق قرّتْ به في النوم عين العاشقِ
طرق الخيال خيال ليلى موهناً رحلي ، فبات مُضاجِعي ومُعانِقي[3]
ومنى المشوق أخي الصبابة أن يرى وسنان أو يقظان وجه العاشق

* * *

(١) روادعٌ : متطيّبات بأنواع الطيب . والكواعب : النواهد .
(٢) سام : كلّف وترك وشغل .
(٣) الوهن : الضعف والإعياء .

٦٦ - أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له [من الكامل] :

هل تعتب الأيام منك بنظرةٍ ... تغدو بسرّاءٍ على ضرّاءِ
لولا محاباة الخيال برقدةٍ ... من طيفها لطوى الردى حوبائي (١)
يا ليت أيام النّوى عادت كرى ... فأنال من طيف الحبيب شفائي

* * *

٦٧ - يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له [من السريع] :

يا بأبي طيفٌ سرى موهناً ... ودونه جوْب الفلا والقفارْ
أكرم به من راحلٍ ذاهبٍ ... يرعى نوى الدار وشحط المزار
لو أنه شايع إلمامه ... بطول مكثٍ دائم أو قرار
لكنه هيّج نار الأسى ... ثم تولّى بفؤاد مُطار

* * *

٦٨ - الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صيِّرْ فؤادك للمحبوب منزلة ... سمُّ الخياط مجال للمحبيْنِ (٢)
ولا تسامحْ بغيضاً في معاملةٍ ... فقلّما تسع الدنيا بغيضين

* * *

---

(١) الحوباء : النفس .

(٢) سمّ الخياط : أي مكان دخول الخيط في الإبرة « الفتحة » .

٦٩ ـ غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولي حبيبٌ هاجرٌ ... قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مُواصِلي ... جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

وله في عطش البحر [من السريع] :

إنّا إلى الله لقد نالنا ... همٌّ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به ... نسكن في الماء ونشتاقه

* * *

٧٠ ـ محمد بن أبي الحسن العروضي

قال [من البسيط] :

لما تطلع بدر التم أذكرني ... بدراً تطلَّع وهناً من بني قطنِ
بدر تطلّع والآفاق مظلمةٌ ... فانجاب إظلامها عن وجهه الحسن
كم مهجةٍ أرهفت ألحاظ مقلته ... ومقلة منعتها لذة الوسن[1]

* * *

٧١ ـ إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال [من الطويل] :

سلامٌ على خِلٍّ أدين بحبّه ... وأصفيه من حلو الوداد وعذبهِ[2]
سلام امرىء أودى الفراق بصبره ... ولجَّ فأوْدى بالفؤاد ولُبِّه

---

(١) المهجة : النفس ، والمقلة : العين ، والوسن : النوم والنعاس .
(٢) أصفيه : أخصّه .

لعلّ الذي شتَّ الجميع بنأيه سيجمعنا بعد الشتّات بقربه[1]
وما الأخُ بالأخِ الشقيق ، وإنّما أخوك الذي يعطيك حبة قلبه

* * *

٧٢ ـ محمد بن وافد

أنشدت له [من الوافر] :

كتابك هاج لي شوقاً عجيباً وأورثني الصَّبابة والنحيبا
تغرَّب عن أحبَّته محبٌّ فأصبح صبره عنه غريبا
فكيف بصبره والقلب منه يكاد من الصَّبابة أن يذوبا

* * *

٧٣ ـ خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :

والله لولا خطرات المنى ما طال يوماً عمر أهل الهوى
وابأبي من ظَلْتُ من هجره مستشعراً ثوب الأسى والجوى

* * *

٧٤ ـ علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :

بيض كبيض الهند في أفعالها فلذاك قيل ظباً وقيل ظباءُ
وترى محاسنها تروق كأنّما نشرت عليها وشيَها صنعاءُ

* * *

---

(١) الشتات : التباعد والفراق .

٧٥ ـ يحيى بن الفضل

قال [من الطويل] :

وسُفْنٍ تثير الريح منها عجاجةً ... تظلُّ مياه الأرض وهي صعيدُها(١)
تلوح كأمثال الشواهين حلَّقت ... على دهم خيل قد أثيرت صيودها(٢)
فللطير ما قد نشَّرَتْهُ قلوعها ... وللخيل ما قد أظهرتْه قدودها

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

لا تيأسنَّ بوفاة مَنْ ... لم تنتفع بحياته
ولْيجرِ عندك ميّتاً ... مجراه قبل مماته
فوفاته كحياته ... وحياته كوفاته

* * *

٧٦ ـ أبو بطال

أنشدت له في العذار [من الطويل] :

وعارضِ كافورٍ تراه كأنّما ... يدبُّ به من خالص المسك عقربُ
تنزَّهٌ عن لسب الجلود ، وإنما ... يغوص على حَبِّ القلوب فيلسب(٣)

وقوله [من البسيط] :

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعت له ... يا جامع المال أبواباً تفرِّقُهُ
المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال مالك إلاّ يوم تنفقه

---

(١) العجاج : الغبار .
(٢) الشواهين : الصقور . والأدهم من الخيل : الأسود ، والصيود : ما يصطاد بواسطة الخيل من حيوانات كالبقر الوحشي والظباء وغيرها .
(٣) اللسب : اللسع .

إنّ القناعــة من يحللْ بساحتها لم يلــق في ظلهــا همّــاً يؤرِّقه

وأنشدت لبعض شعرائهم[1] في العذار [من الكامل] :

ومعــذِّرٍ نقشَ العــذار بمسكهِ خداً له بدم القلــوب مضرَّجا
لمــا تيقّــن أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النِّجاد بنفسجا[2]

* * *

٧٧ ـ القرشي المعروف بالفرح

أنشدت له [من الرمل] :

رُبَّ كأس قد كست جنــح الدجا ثوب بردٍ من سناهــا يَقَقا[3]
قلــت أسقيهــا رشــاً في جفنه سِنــة تورث عيني أرقا
أشرقــتْ في ناصــع من كفِّهِ كشعــاع الشــمس وافــى الفلقا
خفيتْ للعين حتــى خلتها تتَّقــي من لحظــه ما يتّقى
أصبحــت شمســاً وفــوه مغرباً ويد الساقــي المحيِّي مشرقا
فــإذا ما غربــت في فمه تركتْ في الخــدِّ منــه شفقا
خلــع البــرق علــى أرجائه ثوب وشــيٍ منــه لمّــا برقا

* * *

٧٨ ـ إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له [من الطويل] :

غريبٌ بأرض الغــرب منقطــع الذكر بعيدٌ من الأهلين في بلــدٍ قفرِ

---

(١) هو أحمد بن عبد ربه ، وقد مرّ ذكر هذين البيتين في ترجمته ، وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في «ب » .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) اليقق : الأبيض الشديد البياض .

تذكّر في أهل الجزيرة أهله فهيَّجه طول التشوُّق والفكر
فصوْت حمامٍ في الغصون كأنّما ندبْن قتيلا أو روينَ من الخمر
لئن كن ما تجري لهن مدامع فكل غريب الدار أدمعه تجري

* * *

٧٩ ـ عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمام الأيْك مالك باكيا وغصنك نضرٌ والجناب مريعُ[١]
تغنَّ ولا تنشجْ فإلفك حاضرٌ قريب وإلفي غائبٌ وشسوع[٢]
بكيت بلا دمعٍ وترفض مقلتي شآبيب منها في المصيف ربيع[٣]
وقلبك خلوٌ من تباريح لوعتي وقلبي بلوعات الفراق صريع

* * *

٨٠ ـ المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألم ترني بعت المقامة بالسُّرى ولين الحشايا بالخيول الضوامرِ[٤]
وبدّلت بعد الزعفران وطيبهِ صدا الدرع من مستحكمات المسامر
فلا تحسبوا أنّي شغلت بلذّةٍ ولكن أطعت الله في كلّ كافر

* * *

(١) الأيك : الشجر الملتف .
(٢) تنشج : تبكي وتصوّت حزنا ،وشسوع : أي بعيد .
(٣) شآبيب : الشؤبوب : الدفعة من المطر.
(٤) السرُّى : المسير ليلاً ، والضوامر : الهزال .

٨١ ـ الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلــى رجــبٍ أو غُرَّة الشهــر بعده   توافيكمُ بيض المنــايا وسودُها
ثمانــون ألفــاً دين عثمــان دينها   بشرذمــةٍ جبــريل فيهـا يقودها

* * *

٨٢ ـ القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

* لا تلمني على البكا والعويل *

فعلــت زفرتــي وطــال انتحابي   وبــدت لوعتــي وهــاج غليلي
ولنعــم البــلاد للنــازح الأو   طان دمــعٌ جرى برغــم العذول
وقبيحٌ صبــر الخليل أخــي الوجـــــــد عن الدمــع عنــد ذكر الخليل
وبنفسي نائــي المحــلّ قريبٌ   من فؤادٍ صبٍّ وجســمٍ نحيل
كان بينــي وبينــه البحــر والقفـــــــر ووخْد السُّرى وطـول الذميل[1]
يا قليل الإنصــاف في الهجــر مهلاً   إنّ وجــدي عليك غــيرُ قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادّكارك من وُرْقٍ مغرِّدةٍ   على قضيبٍ بذات الهضــب ميّاسِ
هجْــنَ الصبابــة لولا همــةٌ شرفتْ   فصيَّرت قلبــه كالجنــدل القاسي[2]

* * *

---

(١) الوخد : ضرب من العدو . والذميل : السريع .

(٢) الجندل : الصخر .

٨٣ ـ محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتــكَ أمّــك هل سمعــت مخلداً — أم هل رأيت مصحَّحــاً لم يسقمِ
أم هل رأيت من البــريّة ناشئاً — نال الــذي في مدةٍ لم يهرم
فدعِ الأمانــي إنّهــا مكذوبةٌ — واجعــل دعــاءك للسـبيل الأقوم
أي امرىءٍ يرجــو البقــاء وقــد رأى — آثــار عادٍ في البــلاد وجرهم[1]

* * *

٨٤ ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال [من الطويل] :

لئـن غاب عن عينـي وأعجــز ناظري — لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتــالله لو أستــطيع ، محض مودةٍ، — لأحللتــه قلبــي وأسكنتــه صدري[2]
أتتنــي بصفــو الــودّ منــه صحيفة — تخبِّــرُ عن وُدٍّ وتنطــق عن برٍّ
تضمّنهــا من جوهــر الشعــر حكمةٌ — بهــا سحــرت من كاد ينفــث بالسحر
يطــول لهــا لفــظ الــذكيِّ بلاغةً — ويقصــر بالــراوي لهــا طائــل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبِــلْ فإن اليوم يوم دجنِ — إلــى محــلٍّ كالضــمير المكْني
ساكنــه كطائــر في وكن — لعلّنــا نعلــم أدنــى وفن[3]

---

(١) عاد وجرهم : من القبائل البائدة .

(٢) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللته وما عطف عليه .

(٣) الوكن : عش الطائر ، الوفن : القلة في كلّ شيء .

فـــي مجلسٍ مزخــرفٍ ذي كنٍّ　　فأنــت في سنّــك دون سني[1]

* * *

٨٥ ـ أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لمــا عدمــت مواسيا وجليساً　　جالســت بقراطــاً وجالينوسا
وجعلــت كُتْبَهمــا شفــاء تفرُّجي　　وهمــا الشفــاء لكلّ جرحٍ يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمـن بعـد غوصـي في علـوم الحقائق　　وطـول انبساطـي في مواهــب خالقي
ومــن بعــد إشرافــي علــى مَلَكوته　　أرى طالبــاً شيئــاً إلــى غير رازقي
وقـد آذنـتْ نفســي بتقــويض رحلها　　واعنف في سَوقي إلى المـوت سائقي
وإنّــي وإن أيقنــت أو زغــت هارباً　　عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي

* * *

٨٦ ـ الحسن بن محمد بن بابل

.ال [من الطويل] :

ألا ما لجسمــي قد علاه شحوب　　ومــا بال قلبــي ضامرتــه كروبُ
ومــا بال أحشائــي تَوَقَّــدُ لوعةً　　ومــا بال رأســي قد علاه مشيب
ومــا ذاك إلا أن رمتنــي يد النوى　　وأنــيَ في أرجــاء مصــر غريب
أراعــي نجــوم الليل لا آنف الكرى　　كأنّــي علــى رعــي النجــوم رقيب
إذا ما دعــوت الدمــع يومــاً أجابني　　وإن رمـت دعـوى الصبر ليس يجيب

(١) الكنّ : الستر .

وإن رمت كتمان الـذي بي من الأسى جرى هاطـلٌ من مقلتـيَّ سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهـر منزلاً تبـوّأه بعـد الفـراق حبيب[1]
وهــل أَرِدَنْ يومــاً مياهُ رصافةٍ وهــل يصفُــوَنْ لي عيشهـا ويطيب

* * *

٨٧ ـ عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحى ، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يـا سليل الأكرمين ومن فضلـه فرضٌ فمـا منـه بدٌّ
أزف العيد وعودتـم الــكبش داري والحبـل معد[2]
ولقـد أبـرزت مديّتنا فهـي من قبـل الصبـاح تحدّ[3]
خيمـك الفضـل وقـد حكموا أنـك الفـرد ومـا لك نِدُّ[4]

فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة .

* * *

٨٨ ـ محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طفقت به الخلافـة والأيـام تبتسمُ

---

(١) تبوّأه : حلّه وأقام فيه .
(٢) أزف العيد : قرب .
(٣) المدية : السكين .
(٤) الندّ : المثيل .

ومــن به أمــن الرحمــن بلدتنا من بعد أن فارقت ملكاً لها العجم
وخامر المسلمين الذعر وانحسرت عنهم عوائد صنع الله والنِّعم[1]
حتى إذا قنط الإسلام وانبسطت أعداؤه واستبيحت منهم الحُرُم
هبَّت به ريح نصر الله عن كثبٍ للدين واستيقظت من نومها الهمم
وجرد السيف فانحازت لسلَّته من الجسوم طُلى الأعناق والقمم[2]
إذا تبسَّم فالأموال عابسةٌ أو صال ماتت له الأبطال والبُهُم
فأيُّ بلدة شركٍ أمَّها قدماً ولم يحلَّ بها في عقرها النقم ؟
بقيت للدين والدنيا تسوسهما ما حنَّت النيب أو ما أورق السَّلم[3]

* * *

٨٩ ـ موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيها المنتمي للعطر قَدْكَ فقد قدحْتَ نيران بغيٍ سوف تضطرمُ
زعمْت أنك محسود على نعم أوليتها ومحالٌ أنها نعم
فربَّ ذي نقم يعتدُّها نعماً بجهله وهي إمَّا حُصِّلَتْ نقم
قذفت أعراض قومٍ جاهلاً بهمُ يا ظالماً وهمُ أعلام عصرهم
وقلت إنك قد فارقتهم وهمُ في حيث قدرك إمّا حصلوا رخم[4]
فما حماك اغتياب القوم فضلهمُ ولا تحرَّجت فيمن عرضه حرم
مدحت نفسك فاستنقصتهم سفهاً وما استزلَّك إلاّ فرط حلمهم
أقسمت بالله ما يرضى بفعلك من فيه حشاشة إيمان ولا كرم[5]

---

(١) خامر : داخل .
(٢) سل السيف : شهر من غمده :
(٣) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنّة والسّلم : من شجر البادية .
(٤) الرخم : طائر يشبه النسر كثير الريش أبيض اللون مبقّع بسواد .
(٥) الحشاشة : بقية الروح والنفس .

ما حصحص الحق فيما قد أتيت به لكنها ظلمات فوقها ظلم[1]
وعن قريب ستجني غبَّ ما غرستْ يداك فالبغي غرس طعمه وخم[2]

* * *

٩٠ ـ حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها في ابن أبي عامر [من البسيط] :

لا ضَيَّعَ الله للمنصور مالكنا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظرِ
في كلّ يومٍ له في المسلمين يدٌ غرّاء تخبر عن أفعاله الغرر[3]
فيا لها فرجةً عمَّتْ طوالعها كما يعمّ ضياء الشمس والقمر[4]
لا زالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* * *

٩١ ـ أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له [من الكامل] :

ثَقَّلْتَ نفسك بالذنوب ودونها جسرٌ لعمرك ما تَحير ثقيلا
يا بانيَ الغرفِ التي قد عطّلت ـ لو كنت تعقل ـ دينها تعطيلا
فاقصده إنّك ميتٌ ومشاهدٌ يوماً عليك من الحساب طويلا
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ فلمن بناؤك إن أردت رحيلا

* * *

---

(١) حصحص الحق : ظهر وبان .
(٢) غبّ : عاقبه .
(٣) الغرر : البيض
(٤) فرجة : فسحة .

٩٢ ـ أبو محمد الباجي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفـو عن الذنـب من أخٍ   وقلــت أكافيه فأين التفاضلُ
ولكنني أُغضـي جفونـي علـى القذى   وأصفــح عمّـا رابنــي وأجامل[1]
متـى أقطـع الإخــوان في كلّ عثرةٍ   بقيت وحيداً ليس لي من أواصل
ولــكنْ أداريه فإن صحّ سرّني   وإن هو أعيا كان عنـه التجامل

* * *

٩٣ ـ عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له [من الكامل] :

لمــا قدمــت وقــال بعض صحابتي   قد جاء من علقــت يمينـك حبلَهُ
قالــت قعيدة بيتهــا يمِّــمْ أبا   إسحــق سيّدنــا وقبِّــلْ نعله
نفسـي تعــاود نيلـه الغمــر الذي   هـو أهلــه وعســى بـه ولعلّه[2]

* * *

٩٤ ـ عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى النـاس إنّ النـاس في أسف   إذ ليس بعــدك للإســلام من خلفِ
وقــد مضــت لك أيامٌ ثمانيةٌ   أشفى لها الناس من وجدٍ على التلف
خوفــاً لعلّــة حبْــرٍ ليس يشبهه   من البــرّية إلاّ خيرة السلف[3]

---

(١) أغضي : أعضُّ وأطرق ، والقذى : ما يقع في العين من الأذى ، ورابني : جعلني أشك فيه .
(٢) الغمر : العطاء الوفير .
(٣) الحبر : العالم الجليل .

أضحى الضلال بإبراهيم متَّضعاً وصار بالمشرفيِّ الدين ذا شرف

* * *

٩٥ ـ أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إنـي رأيت لك اليو م يا كريماً أجلَّه
طفلاً عليه حياءٌ وفي الحيا الخير كله
سقيته الحلم لدناً والفرع يسقيه أصله(١)
لا زلت أثني عليه دهري بما هو أهله
فبارك الله فيه وفي محلٍ يحلُّه

* * *

٩٦ ـ محمد بن وهيب البدسمي

أنشدت له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد حضروا لعقد نكاح ، فقال الفقيه لابن وهيب : لو أمكننا(٢) عقد هذا النكاح لشاركتنا في الحسنة ، فقال : نعم وكرامة ، وكيف تريد ذلك : منثوراً أو منظوماً ؟ فقال له الفقيه: سبحان الله ، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لي : إي والله . وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلى آخره . ولا أخليه من البسملة في افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه ، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق [نظما] لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ على نصها في

(١) لدناً : يافعاً طرياً .
(٢) كذا ، ولعله أمليتنا .

الصداقات قديماً . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيج وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به ، وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه .

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر ، فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً ، وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهي [من الطويل] :

لأصدق عبد الله نجل محمدٍ ... فتى أمويّ زوجه البكر مريما
وأمهرها عشرين عجّل نصفها ... دنانير يحويها أبوها مسلّما
وأنكحها منه أبوها محمد ... سلالة إبراهيم من حيٍّ خثعما[1]
وباقي صداق البكر باقٍ إلى مدى ... ثلاثة أعوام زماناً متمّما[2]
مؤخّرة عنه يؤدي جميعها ... إذا لم يكن عند التطلب معدما
ومن شرطها أن لا يكون مرحّلا ... لها أبداً عن دارها أين يمّما
وأن لا يرى حتماً بشيء يضرّها ... يصرِّف فيه الدهر كفّاً ولا فما

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه ، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مرابتهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف ، وهذه مادة عظيمة .

* * *

٩٧ ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر ، وله كتب مؤلفة

---

(١) خثعم : اسم قبيلة .
(٢) الصداق : المهر.

منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي ، وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله ، وكان الشعر أقل أدواته .

فما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسرْ　　فإنك إن سرت لاقيت ضرّا
فإن كان يعلم أنّي جسير　　فقد جاء بالنهي لغواً وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف　　يراني إذا سرت لاقيت شرّا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسمعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم ، وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى　　ذو جسدٍ في رأس نيقٍ منيفِ[1]

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن نارٌ ولا جنّةٌ　　للمرء إلاّ أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ　　ناهٍ لمن يسمع أو يبصر

وقوله [من السريع] :

الفقر في أوطاننا غربةٌ　　والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلّها واحدٌ　　والناس جيران وأخوان

* * *

(١) صرف النوى : كناية عن الصروف والأحداث ، والنيق : أعلى موضع في الجبل ، والمنيف : الشاهق المطلّ . .

٩٨ ـ محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد [من الوافر] :

لقـد فاز الموفّـق للصواب ... وعاتـب نفسـه قبـل العتابِ
ومـن شغـل الفـؤاد بحـب مولىً ... يجـازى بالجـزيل من الثواب
فـذاك ينـال عزاً لا كعزٍّ ... من الـدنيا يصير إلـى الذهاب
تفكَّرْ في الممـات فعـن قريبٍ ... ينـادى بالـرحيل إلـى الحساب
وقـدِّمْ ما تُرَجِّـي النفـع منه ... لدارِ الخلـد واعمـل بالكتاب
ولا تغتـرَّ بالـدنيا فعمّا ... قريبٍ سوف يُؤْذَن بالخراب

* * *

٩٩ ـ الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريمين

أنشدت له قوله في الزهد [من الخفيف] :

أيهـا المـرء إنَّ دنياك بحرٌ ... طافـحٌ موجـه فلا تَأْمَنَنْها
وسـبيل النجـاة فيهـا مهينٌ ... وهـو أخـذ الكفـاف والقـوت منها

وقوله [من الطويل] :

خليلـيَّ إنّ الـذي تعلمانـه ... زمـان التصابـي وانطـلاق عنانهِ
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى ... فهـل من مجيرٍ مخبـرٍ بأمانه(١)
رأى مجيرٍ غير من قد عصيته ... فيا أسفـى أن لم يعـد بحنانه

وقوله [من الطويل] :

وذي حُرَقٍ زادت به زفراتُه ... إذا ما سطـت في قلبـه خطراتُه

---

(١) من بحيرٍ : من حامٍ وحافظ

له في دجى الإظلام خلوة مخلصٍ تذكّره فيها الجحيم هناته[1]
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى فتنهلُّ من لوعاته عبراته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده سقت خوفه من مائه لحظاته
بنفسي وليٌّ أنه بمليكه وفي ذكره إصباحه وبياته

وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرّك دنيا أنت منها مرحَّل عن قريبِ
وإذا المرء لم يقصِّرْ خطاه في أمانيه فهو غير لبيب

* * *

١٠٠ ـ أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل] :

قف بالمطيِّ على مغاني الدار ليس الوقوف على الرسوم بعارِ

يقول فيها :

أنت الذي أنقذتنا من بعدما كنّا جميعاً تحت جرفٍ هارِ[2]
ونهضت نحو المارقين بجحفلٍ جمٍّ أولي عزمٍ وذي استبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمدٍ فكأنّهم في الحرب أُسْد الزار

وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحاً للردى حتى رموا من جيشك المنصور بالإعصار

---

(١) الهنة : خصلات شرّه .
(٢) جرفٍ هار : كناية عن الخطر الشديد أي أنهم كانوا على وشك الهلاك .
(٣) الزار : من الزئير ، وهو صوت الأسد .

الله أركسهم وفرّق شملهم حتى أحلّهمُ بدار بوار[1]

* * *

١٠١ ـ محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان ـ مع ذلك ـ حافظاً للفقه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضله ويعظمه ، ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرني أبو سعيد بن دوست قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجاً منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه ببيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك

فأجابه مسرعاً [من البسيط] :

من منزل يعجب النّساك خلوته وفيه سترٌ على الفتّاك إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيخي وأستاذي ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضُحىً أناخوا بوادي الطلح عيرهمُ فأوردوها عشاءً أيَّ إيرادِ[2]
أكرم به وادياً حلَّ الحبيب به ما بين رند وصفصاف وفرصاد[3]

---

(١) أركسهم : أهلكهم وبدّدهم والبوار : الهلاك .

(٢) أناخوا : حطّوا الرحال والعير : الدواب .

(٣) الرند : شجرٌ طيب الرائحة ، والفرصاد : هو المعروف في بلادنا باسم التوت .

يا وادياً سار عنه الركب مُرتحلا بالله قل أين سار الركب يا وادي
أبالحمى نزلوا أم باللِّوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خُلْفاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي لبينهم سقماً وقد قطعوا بالبين أكبادي

* * *

١٠٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً ، وأدباً ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدني الوليد بن بكر قوله [من الكامل] :

يا من يجرِّد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزمِ
رعْت العدو فما مثلت له إلا تفزَّعَ منك في الحلم[١]
أضحى لك التدبير مطَّرداً مثلَ آطّراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره فرآك مطَّلعاً مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعتركٍ تهزّ له المنايا ذكور الهند في أيدي ذكورِ[٢]
لوامع يبصر الأعمى سناها ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذّوائب قد أقامت على حمراءَ ذاتِ شباً طرير[٣]
نجومٌ تحتها عقبان موتٍ تخطَّفتِ القلوب من الصدور
بيوم راح في سربال ليلٍ كما عرف الأصيل من البكور

(١) رعْت : أخفْت .
(٢) ذكور الهند : سيوفها .
(٣) الشبا الطرير : الطرف الحادّ من السِّنان .

وعين الشمس تدنو في قتامٍ | دُنُوَّ الإنف ما بين الستور
فكم قصَّرْتَ من عمرٍ طويلٍ | به وأطلْتَ من عمرٍ قصير

وقوله [من البسيط] :

كم ألحم السيف من أبناء ملحمةٍ | ما منهمُ فوق ظهر الأرض ديَّارُ
فأورد النار من أرواح بارقةٍ | كادت تَمَيَّزُ من غيظٍ بها النار
كأنّما صال في ثني مفاضته | مستأسدٌ حنق الأحشاء هرّار[1]
لما رأى الفتنة العمياء قد دخنتْ | منها على الناس آفاقٌ وأقطار
وأطبقت ظُلَمٌ من فوقها ظلمٌ | ما يستضاء بها نورٌ ولا نار
قاد الجياد إلى الأعداء ساريةً | قباً طواها كطيٍّ العصب إضمار[2]
ملمومةٌ تتبارى في ململمةٍ | كأنّها لاعتدال الخلق أقمار
تفوت بالثأر أقواماً وتدركه | من آخرين إذا لم يدرك الثار
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم | وحوله من جنود الله أنصار
كتائبٌ تتبارى حول رايته | وجحفلٌ كسواد الليل جرارُ

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعتركٍ ضنكٍ تساقت كماته | كؤوس المنايا من كلى ومفاصلِ[3]
يديرونها راحاً من الراح بينهم | ببيضٍ رقاقٍ أو بسمرٍ ذوابل[4]
وتسمعهم أمّ المنية وسطها | غناء صهيل البيض تحت المناصل

---

(١) المفاضة : الدرع الوافية . وهرّار : مكشرٌ عن أنيابه .

(٢) قباً : من القبّ ، وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل . والعصب : نوعٌ من الثياب المخطّطة .

(٣) الضنك : الشديد الصعب ، والكماة : الفرسان والأبطال .

(٤) البيض والسمر : السيوف والرماح .

وقوله [من الطويل] :

بكلّ رديني كأنّ سنانه ... شهابٌ بدا في ظلمة الليل ساطع[1]
تقاصرت الآجال في طول متنه ... وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنّه ... فهن ظباتٌ للقلوب قوارع
وذي شُطَبٍ تقضي المنايا بحكمه ... وليس لما تقضي المنية دافع[2]
فرندٌ إذا ما اعتن للعين راكد ... وبرق إذا ما اهتز بالكف لامع
يسلّل أرواح الكماة انسلاله ... ويرتاع منه الموت والموت رائع

وقوله [من السريع] :

بكلّ منشورٍ على متنه ... مثل مدبٍّ النَّمل بالقاعِ
يرتدُّ طرف العين عن حدِّه ... عن كوكبٍ للموت لمّاع

وقوله [من الطويل] :

كريمٌ على العلاّت جزلٌ عطاؤه ... منيلٌ ، وإن لم يعتمد لنوالِ
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ... ولكنّ من يعطي بغير سؤال

وقوله [من السريع] :

من يُرتجى بعدك أو يتّقي ... وفي يديك الجود والباسُ
إن عشت عاش الناس في نعمةٍ ... وإن تمت مات بك الناس

وقوله في الشيب [من الوافر] :

شباب المرء تنفده الليالي ... وإن كانت تصير إلى نفادِ
فأسوده يصير إلى بياضٍ ... وأبيضه يعود إلى سواد

---

(١) الرديني : الرمح .

(٢) وذي شطب : كناية عن السيف .

وقوله [من البسيط] :

قالوا شبابك قد ولّى فقلت لهم هل من جديدٍ على كرِّ الجديديْنِ [1]
صِلْ من هويْتَ وإن أبدى معاتبةً فأطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خلٍّ لا تلائمه فربما ضاقت الدنيا على اثنين

وقوله يرثي ولده [من الكامل] :

بليتْ عظامك والأسى يتجدَّدُ والصبر ينفد والبكا لا ينفدُ
يا غائباً لا يرتجى لإيابه ولقائه حتى القيامة موعد
ما كان أحسن ملحداً ضُمِّنْتَهُ لو كان ضم أباك ثَمَّ الملحد
باليأس أسلو عنك لا بتجلدي هيهاتَ أين من الحزين تجلّد

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

واكبداً قد تقطّعت كبدي وأحرقته لواعج الكمدِ [2]
ما مات حيٌّ لميتٍ أسفاً أعذر من والدٍ على ولد
يا رحمة الله جاوري جدثاً دفنتُ فيه حشاشتي بيدي
ونَوِّري ظلمة القبور على من لم يصل ظلمه إلى أحد
أيّ حسامٍ أخذت رونقه وأيّ روحٍ نزعت من جسدي
يا قمراً أجحف الخسوف به قبل طلوع السَّواء في العدد [3]
أيّ حشىً لم يذب له أسفاً ؟ وأيّ عينٍ عليه لم تجدِ ؟
لا صبر لي بعده ولا جلدٌ فُجعْتُ بالصَّبر فيه والجلد
يا لوعةً لا يزال لاعجُها يقدح نارَ الأسى على كبدي

---

(١) كرّ الجديدين : أي تقلّب الليل والنهار .

(٢) لواعج الكمد : حرقة الحزن والهمّ .

(٣) أجحف : ظلم وأضرّ ، وليلة السواء : هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا[1]
لهفا على ميت مات السرور به ... لو كان حياً لأحيا الدين والسننا
واهاً عليك أبا بكرٍ مرددةً ... لو سكَّنتْ والهاً أو فتَّرتْ شجنا[2]
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا ... وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني ... هلاّ دنا الموت منّي حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمّه ُبدنٌ ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله في التحبب إلى الناس [من الكامل] :

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ... ومحبّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبّة للناس

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن نال منك السقم ما سألا ... قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكي علّةً في الدهر واحدةً ... إلاّ اشتكى الجود من وجدٍ بها عللا

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
دعني أصنْ حرَّ وجهي عن إذالته ... وإن تغرَّبْت عن أهلي وعن ولدي[3]

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا ... كريمٌ رأى الدنيا بكفّ لئيمِ

---

(١) امتلا أصله امتلأ ـ بالهمز ـ مخفّف الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، لضرورة الشعر .
(٢) الشجن : الحزن .
(٣) إذالته : إهانته وابتذاله .

أرى كلّ فدمٍ قد تبجّح في الغنى ... وذو الظرف لا تلقاه غير عديم[1]

وقوله في الشيب [من الوافر] :

بدا وَضَحُ المشيب على عذاري ... وهل ليلٌ يكون بلا نهار
وألبسني النهى ثوباً جديداً ... وجرّدني من الثوب المعار
شريت سواد ذا ببياضَ هذا ... فبدّلت العمامة بالخمار
وما بعت الصبا بيعاً بشرط ... ولا استثنيت فيه بالخيار

وقوله في الشباب [من الكامل] :

ولّى الشباب وكنت تسكن ظلّه ... فانظر نفسك أي ظلٍّ تسكنُ
وَأَنْهَ المشيب عن الصبا لو أنه ... يدلي بحجته إلى من يعلن

وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودّعني ... وداع من بان غير منصرفِ
أيام لهوي كظلّ أسجلةٍ ... وإذ شبابي كروضةٍ أُنُف[2]

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابيَ كيف صرت إلى نفاد ... وبدّلت البياض من السوادِ ؟!
وما أبقى الحوادث منك إلا ... كما أبقت من القمر الدّآدي[3]
فراقك عرّف الأحزان قلبي ... وفرّق بين عيني والرقاد
كأني منك لم أربعْ بربعٍ ... ولم أرتدْ به أحلى مراد
سقى ذاك الرّبا وبلٌ الثريا ... وغادى نبته صوب الغوادي[4]

---

(١) الفدم : الأحمق .
(٢) كظلٍّ أسجلة : أي الظل الواسع المتدلي ، والروضة الأنف : التي لم ترعَ .
(٣) الدآدي : الليالي الشديدة الظلام .
(٤) الوبل : المطر ، وصوب الغوادي : مطر السحاب .

زمـانٌ كان فيه الرشـد غيّاً وكان الغـيّ فيه من رشادي
فـكم لي من غليل فيك خافٍ وكم لي من عويل فيك بادي

وقوله [من البسيط] :

فكّرْت فيك أبحـرٌ أنـت أم قمرٌ فقـد تحـيرٌ فكري بـين هذيْنِ
إن قلت بحـرٌ وجـدت البحـر منحسراً وبحـر جودك ممتـدٌّ العنانين
أو قلـت بدرٌ رأيت البـدر منتقصاً فقلـت شتّـان ما بـينَ اليزيدين

وقوله في الزهد [من السريع] :

يا ويلتـها من موقف ما به أخـوف من أن يعـدل الحاكمُ
أبَـارز الله بعـصيانـه وليس لي من دونـه راحم
يا رب عفـواً منـك عن مذنب أسرف إلا أنـه نـادم

وقوله [من الوافر] :

أتلهـو بـين باطيه وزير وأنـت من الهـلاك على شفيرِ[1]
فيا من غرّه أمـلٌ طويلٌ به يرْدى إلى أجـل قصير
أتفـرح والمنية كلّ يوم تريك مكان قبـرك في القبور
هـي الـدنيا وإن سرّتـك يوماً فإن الحـزن عاقبـة السرور
ستسلـب كل ما جمّعْـتَ فيها بعـاريةٍ ترد إلـى معير[2]
وتعتـاض اليقـين من التظنّي ودار الحـق من دار الغرور

وقوله [من السريع] :

مدامـع قد خدّدت في الخدودْ وأعـينٌ مكحـولـةٌ بالهجود[3]

(١) الباطية : الخمر وأوانيها والزير : إناء الخمر .
(٢) العارية : الأمانة ، أو الشيء المستعار .
(٣) خدّدت : تركت آثاراً وأخاديداً لمجراها .

ومعشرٍ أوعدهم ربهم ... فبادروا خشية ذاك الوعيد
فهم عكوفٌ في محاريبهم ... يبكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يعشب من دمعهم ... ما قابلَتْ أعينهم في السجود

وقوله في الغزل [من الطويل] :

أتقتلني ظلما وتجحدني قتلي ... وقد قام من عينيك لي شاهدا عدلِ
أطلاّب ذحلي ليس بي غير شادن ... بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلي[1]
أغار على قلبي بعينيه شادن ... أطالبه فيه أغار على عقلي
بنفسي التي ضنَّت عليَّ بوصلها ... ولو سألَتْ قتلي وهبتُ لها قتلي
إذا جئتها صدَّت حياء بوجهها ... فيعجبني هجر ألذُّ من الوصل
كتمت الهوى جهدي فحرّره الأسى ... بماء البلا هذا يخطُّ وذا يملي
وإن حكمتْ جارت عليَّ بحكمها ... ولكنَّ ذاك الجور أحلى من العدل
وأحببت فيها العذل حباً لذكرها ... فلا شيء أشفى في فؤادي من العذل
أقول لقلبي كلما ضامه الأسى ... إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيي تعرَّضتَ للهوى ... وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي
وجدت الهوى نصلاً لموتيَ مغمّداً ... فجرّدته ثم اتّكيت على النصل[2]
فإن كنت مقتولاً على غير ريبةٍ ... فأنت الذي عرّضت نفسك للقتل

وقوله ، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حوراء راعتها النوى في حور ... حكمت لواحظها على المقدورِ
نظرت إليك بمقلتيْ أدمانةٍ ... وتلفّتتْ بسوالف اليعفور[3]

---

(١) الذحل : الثأر .

(٢) النصل : السيف والرمح وكلّ ماله حدّ ، ومغمّداً : أي في غمده . . وغمد السيف : حيث يوضع وعاؤه وبيته .

(٣) الأدمانة : الظبية . واليعفور : الغزال ، وولد البقرة الوحشية .

وكأنمـا غاص الأسى بجفونها حتـى أتـاك بلؤلـؤٍ منثور

وقوله [من الكامل] :

أدعـو إليك فـلا دعـاءٌ يسمع يا من يضرُّ بناظـريه وينفعُ
للـورد حـينٌ ليس يطلـع دونه والـورد عنـدك كلَّ حـينٍ يطلع
من لي بأحـورَ ما يبـين لسانه خجـلاً وسيف جفونـه لا يقطع[1]
منـع الـكلام سوى إشـارة مقلةٍ منهـا يكلّمنـي وعنهـا يسمع

وقوله [من الطويل] :

جمـالٌ يفـوت الوهـم في غاية الفكر وطـرفٌ إذا ما فاه ينطـق بالسحرِ
ووجـهٌ أعـار البـدر ذلّـة حاسدٍ فمنـه الـذي يسـودُّ في صفحـة البدر

وقوله في النحول [من الكامل] :

لـم يبـق مـن جثمانه إلا حشـاشـة مبتئـسْ
قـد رقَّ حتـى ما يرى بـل ذاب حتـى ما يحس

وقوله في البين [من الوافر] :

فررت من اللقـاء إلى الفراق فحسبـي ما لقيت ومـا ألاقي
سقانـي البـين كأس الموت صرفاً ومـا ظنـي أمـوت بكفّ ساقي
فيا برد اللقـاء على فؤادي أجرْنـي اليوم من حرِّ الفراق

وقوله في نوح الحمام [من الطويل] :

ويهتـاج قلبـي كلما كان ساكناً دعـاء حمـامٍ لم يبـت بوكونِ[2]
وإن ارتياحـي من بكاء حمامةٍ كذي شجـنٍ داويتـه بشجون

---

(١) الأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها معا .
(٢) الوكون : جمع وكن وهو : العشّ .

كأنّ حمـام الأيك لما تجاوبت حزينٌ بكى من رحمـةٍ لحزين

وقوله فيه [من الطويل] :

أناحـت حمامـات اللـوى أم تغنّتِ فأبـدتْ دواعـي قلبـه ما أجنّتِ[1]
فديت التـي كانـت ولا شيء غيرها منـي النفس أو يقضى لهـا ما تمنّت

وقوله فيه [من الطويل] :

لقـد سجعـت في جنـح ليلٍ حمامةٌ فأيُّ أسًى هاجـت على الهائـم الصَّبِّ
لك الويل بل هيَّجْت شجوي بلا جوىً وشكوى بلا شكوى وكرباً بلا كرب
وأسكبْـت دمعـاً من جفـون مسهَّدٍ ومـا رقرقـت منـك المدامـع بالسَّكب

وقوله في الرياض [من الطويل] :

ومـا روضـةٌ بالحـزن حاك لهـا الندى بروداً من الموْشيِّ حمـر الشقائقِ
يقيم الدجـى أعناقهـا ويميلهـا شعاع الضحى المستنّ في كلّ شارق[2]
إذا ضاحكَتْهـا الشـمس تبـكي بأعينٍ مكلّلـة الأجفـان صفـر الحمالق[3]
حكت أرضهـا لون السماء وزانها نجـومٌ كأمثـال النجـوم الخوافق
بأطيب نشراً من خلائقـك التي لها خضعـتْ في الحسـن زهـر الخلائق

وقوله في التضمين [من الطويل] :

وروضـة ورد حفّ بالسوسـن الغضِّ تحلّتْ بلون السّام والذّهب المحضِ[4]
رأيت بهـا بدراً على الأرض ماشياً ولـم أر بدراً قطُّ يمشي على الأرض
إلى مثلـه تصبـو إذا كنـت صابياً فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض

---

(١) اللّوى : ما التوى وانعطف وانثنى من الرمل أو مسترقّه .
(٢) في كلّ شارق : أي عند كلّ شروق .
(٣) الحمالق : باطن أجفان العين .
(٤) السام : عروق الذهب والفضة .

وقل للذي يفني الفؤاد بحبّه على أنه يجزي المحبّة بالبغض
« أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعضُ الشرّ أهون من بعض »

وقثوله [من الطويل] :

وحاملةٍ راحا على راحة اليد مورّدةٍ تسعى بلونٍ مورَّدِ
متى ما ترى الإبريق للكأس راكعا تُصلّ له من غير طهرٍ وتسجد
على ياسمينٍ كاللُّجين ونرجسٍ كأقراط درٍّ في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فَالْهُ يومَكَ كلَّه وعنها فسلْ لا تسألِ الناس عن غد
« ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود »[1]

وقوله [من الطويل] :

أيقتلني دائي وأنت طبيبي قريبٌ وهل من لا يرى بقريبِ
لئن خنت عهدي إنني خير خائنٌ وأيّ محبٍّ خان عهد حبيب
وساحبةٍ فضلَ الذُّيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا برزتْ من خدرها قال صاحبي أطِعْني وخذْ من حظها بنصيب
« فما كل ذي لب بمؤتيك نصحَهُ وما كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلبيب »

وقوله [من المديد] :

يا طويل الهجر لا تنس وصلي واشتغالي بك عن كلّ شغلِ
يا هلالاً فوق جيد غزالٍ وقضيباً فوق دعصة رمل[2]

وقوله [من المديد] :

يا وميض البرق بين الغمام لا عليها بل عليك السلام

---

(١) البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور .
(٢) دعصة الرمل : التلّة والكثيب .

إنّ في الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالاً لها وترى الوصل عليها حرام
ما تأسّيك لدارٍ خلت ولشعبٍ شتّ بعد التئام[1]
إنما ذكرك ما قد مضى ضِلَّةٌ مثلُ حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عاتباً صرت له عاتباً رب مطلوبٍ غدا طالبا[2]
من يتب عن حب معشوقه لست عن حبي له تائبا
فالهوى لي قدر غالب كيف أعصي القدر الغالبا
ساكن القلب ومن حلّه أصبح القلب به ذاهبا

وقوله [من المديد] :

أيُّ تفاح ورمّانِ نجتني من خوط ريحانِ[3]
أي وردٍ فوق خدٍّ بدا مستنيراً فوق سوسان
وثنٌ يعبد في خلوةٍ صيغ من درٍّ ومرجان
من رأى الذلفاء في خلوةٍ لم ير الحدَّ على الزاني[4]
« إنما الذلفاء ياقوتةٌ أخرجت من كيس دهقان »[5]

وقوله [من المديد] :

من محبٍّ شفَّهُ سقمُهُ وتلاشى لحمه ودمه

---

(١) شت : تفرق .
(٢) زاد في أول هذا البيت سبباً خفيفاً وهذه الزيادة سائغة عند أهل العروض .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) الذلفاء : إسم . علم ، والذّلف : صغر الأنف واستواء طرفه .
(٥) الدهقان : التاجر .

كاتبٌ حنَّت صحيفته وبكى من رحمةٍ قلمه
يرفع الشكوى إلى قمرٍ تنجلي عن وجهه ظلمه
خلِّ عقلي يا مسفهه إنَّ عقلي لست أتهمه
« للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادني لومك إصرارا إنّ لي في الحبّ أنصارا
طار قلبي من هوى رشأٍ لو رثى للقلب ما طارا
خذْ بكفّي لا أمت غرقاً إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ودموعي تطفىء النارا
« رب نار بتُّ أرمقها تقضم الهنديَّ والغارا »[1]

وقوله [من البسيط] :

يا ليلةً كان في ظلمائها نور إلاّ وجوهاً تضاهيها الدنانيرُ
حورٌ سقتْنِيَ كأس الموت أعيُنها ماذا سقتْنِيَ تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرُّ الثغر منتظمٌ وإن نطقْن فدر اللفظ منثور
خلِّ الصبا عنك واختم بالنهى عملاً فإنّ خاتمة الأعمال تكفير[2]
« فالخير والشر مقرونان في قَرَنٍ فالخير ممتنعٌ والشر محذور »[3]

وقوله [من البسيط] :

يا طالباً في الحبّ ما لا ينال وسائلاً لم يعف ذلّ السؤالْ
ولّت ليالي الصبا محمودة لو أنها ترجع تلك الليالي

---

(١) الهندي والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .
(٢) خلّ : دع واترك . والتكفير : التوبة وعمل الخير إزالةً للذنب .
(٣) القرن : القيد والشَّركْ .

وأعقبتْـك التـي أوصلتها بالهجـر لمـا رأت شيب القذال[1]
لا تلتمس وصلـةً من مخلفٍ ولا تكن طالبـاً ما لا ينال
« يا صاح قد أخلفـت أسمـاء ما كانـت تمنّيك من حسـن وصال »

وقوله [من البسيط] :

ظالمتـي في الحـبّ لا تظلمي فتصرمـي حبـل من لم يصرمِ[2]
أهـكذا باطـلاً عاقبتني لا يرحـمِ الله من لم يرحم
قتلـت نفسـاً بلا نفسٍ وما ذنـبٌ بأعظـم من سفـك الدم
لمثـل هذا بكت عينـيَ لا للمنـزل القفـر ولا للرَّسَم
« مـاذا وقوفـي علـى رسـمٍ عفا مخلولـقٍ دارسٍ مستعجمِ »[3]

وقوله [من مخلع البسيط] :

مـا أقـرب اليأس من رجائي وأبعـد الصبـر من بكائي
يا مذكيَ النـار في جوائي أنـت دوائـي وأنـت دائي
مـن لي بمخلفـةٍ وعدها تخلـط لـي اليأس بالرجاء
سألتهـا حاجـةً فلـم تفُهْ لي بنعـم لا ولا بلاء
قلـت استجيبـي فلمـا لم تجبْ فاضـت دموعـي علـى ردائي
كآبـة الـذل فـي كتابي ونخـوة العـزّ في الجواء[4]

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلـت نفسـاً بغير نفس فكيف تنجـو من العذابِ

---

(١) القذال : القفا ، حيث الصفع .
(٢) الصرم : الهجر والقطيعة .
(٣) الدارس : البالي الذي عفت آثاره، والمستعجم : الذي لا ينطق .
(٤) الجواء : من الجوى ، وهو شدّة الوجد والاحتراق من العشق والجواء : الداخل والباطن .

خلقــت من بهجــةٍ وطيب إذ خلــق النــاس من تراب
ولّــت حميّا الشبــاب عني فلهف نفســي علــى الشباب
أصبحــت والشيب قد علاني يدعــو حثيثــاً إلــى الخضاب

وقوله [من الوافر] :

تجافــى النــوم بعــدك عن جفوني ولــكن ليس تجفوهــا الدموعُ
يطير إليك من شوقٍ فؤادي ولــكنْ ليــس تتــركه الضلوع
كأن الشــمس لمــا غبْــتَ غابتْ فليس لهــا علــى الــدنيا طلوع
يذكّرنــي تبسُّمــك الأقاحي ويحــكي لي توردُّكَ الربيع
فمــا لي من تذكُّرِكَ امتناعٌ ودون لقائــك الحصــنُ المنيع
« إذا لم تستطــع شيئــاً فدعْه وجــاوزْه إلــى مــا تستطيع »

وقوله [من الكامل] :

حال الزمــان له فبــدّل حالا وكســا المشيب مفارقــاً وقذالا
غابـت غوانــي الحــيّ عنــك وربما طلعــت إليك أكلّــةً وحجالا[١]
أضحــى عليك حلالهــن محرَّماً ولقــد يكون حرامهــن حلالا
إن الكواعــب إن رأينــك طاوياً وصل الشبــاب طوين عنـك وصالا[٢]
« وإذا دعونــك عمّهــن فإنّه نســبٌ يزيدك عندهــن خبالا »[٣]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتــك الحجــاب عن الضمائر طرفٌ به تبلــى السرائرْ
يرنــو فيمتحــن القلو ب كأنّــه فــي القلــب ناظر

---

(١) الأكلّة : المتزينة بالتاج ، أو بعصابة من الجواهر ، والحجال : الخلاخيل .
(٢) طاوياً : جائعاً .
(٣) الخبال : فساد العقل والرأي .

يا ساحراً ما كنت أعـــرف قبله في النـاس ساحر
أقصيتنــي من بعـد مـا أدنيتنــي فالقلـب طائر
« وغررتنــي وزعمـت أنّــــك لابـنٌ في الصيف تامر »[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقلـةَ الرشـأ الغريــــر وشقّـة القمـر المنير
مـا رنّقـت عينـاك لي بين الأكلّمـة والستور
إلا وضعـت يدي على كبـدي مخافـة أن تطير
هبنـي كبعض حمـام مكّـــة واستمـع قول النذير
« أبنـي لا تظلـم بمكــــةَ لا الصـغير ولا الكبير »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قـل ما بدا لك وافعل واقطـع حبـالك أوصـلِ
هـذا الـربيع فحيِّـهِ وانــزل بأكـرم منــزل
وصـل الـذي هو واصلٌ وإذا كرهـت تبـدّل
وإذا نبـا بك منزلٌ أو مسـكـنٌ فتحـوّل
« وإذ افتقـرت فـلا تكـن متـخشّـعاً وتحمّــلِ »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهـر ما لك ضنكٌ وأنـت غيـر مواتـي[2]
جرّعتنـي غصصـاً بها كدرت [علـيَّ] حياتـي
أيـن الـذيـن تسابقـوا فـي المجـد للغايـات
قـومٌ بهـم روح الحيا ة تـردّ فــي الأمــوات

(١) لابن في الصيف تامر : أي عندك لبنٌ وتمر .
(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « يا دهر مالي بضنكٍ » وهو غير مستقيم الوزن .

وإذا همو ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسنات

وقوله فيه [من الهزج] :

متى أشفي غليلي بنيلٍ من بخيلِ
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزن الطويل
حملت الضيّم فيه من حسودٍ أو عذول
جميل الوجه أخلاني من الصبر الجميل
« وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول »[١]

وقوله [من الرجز] :

لم أدرِ جنيٌّ سباني أم بشرْ أم شمس ظهرٍ أشرقتْ لي أم قمرْ
أم ناظر يهدي المنايا طرفه حتى كأن الموت فيه في النظر
ويحي قتيلاً ما له من قاتل إلا سهام الطَّرف ريشتْ بالحَوَرْ[٢]
ما بال رسم الوصل أضحى دارسا حتى لقد أذكرني ما قد دثر
« دارٌ لسلمى إذ سليمى جارةٌ قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر »[٣]

وقوله [من الرجز] :

قلبٌ بلوعات الهوى معمود حيٌّ كميْتٍ حاضرٌ مفقودُ[٤]
ما ذقت طعم الموت في كأس الرّجا حتى سقتنيه الظِّباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى إذ لا دواء للضنى موجود
أم كيف أسلو غادةً ما حبُّها إلاّ قضاءٌ ما له مردود
« القلب منها مستريحٌ سالم والقلب مني جاهد مجهود »

(١) الذلول : السهل امتطاؤه .
(٢) ريشت : يقال أراش السهم .
(٣) الزبر : المكتوب .
(٤) المعمود : الموجع والمضني .

وقوله [من الرجز] :

يا أيها المشعوف بالحب التعبْ كم أنت في تقريب ما لا يقتربْ
دع ودَّ من لا يرعوي إذا غضب ومن إذا عاتبته يوماً عتب

« إنك لا تجني من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنا في اللذات ممنوع العذار هائم في حب ظبي ذي احورارِ
صفرةٌ في حمرةٍ في خدّه جمعتْ روضة وردٍ وبهار[1]
بأبي طاقة آسٍ أقبلتْ تنثني بين حِجْلٍ وسوار
قادني قلبي وطرفي للهوى كيف من قلبي ومن طرفي حذاري
« لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصّان بالماء اعتصاري »

وقوله [من الرمل] :

يا مدير الصدغ بالخد الأسيل ومجيل السحر بالطرف الكحيل[2]
هبْ لمحزونٍ كئيبٍ نظرةً منك يشفي بردها حرّ الغليل
وقليلٌ ذاك إلاّ أنه ليس من مثلك عندي بالقليل
بأبي أحور غنّى موهناً بغناء قصّر الليل الطويل
« يا بني الصيداء ردّوا فرسي إنما يفعل هذا بالذليل »[3]

وله [من الرمل] :

شادنٌ يسحب أذيال الطرب ينثني ما بين لهوٍ ولعبْ

---

(١) البهار : كلّ شيء حسن ومنير وطيّب الرائحة .
(٢) الأسيل : الناعم الرقيق .
(٣) الصيداء : المائلة العنق .

بجبينٍ مفرغٍ من فضةٍ فوق خد مشْربٍ لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده للهوى والشوق يملي ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس منّي قد ذهب
« قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب »[1]

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً في تجلّيه وقضيباً في تثنّيه
والذي لست أسميه ولكنّي أكنيه
شادنٌ ما تقدر العين تراه من تلاليه
كلّما قابلها شخصٌ رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذرّ عليه كاد يدميه[2]

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً قد تجلّى في سحابٍ من حريرِ
وأميراً بهواه قاهراً كلَّ أمير
ما لخدّيْك استعارا حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألبسها ثوب الدثور[3]

وقوله [من السريع] :

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكمُ
ألحاظه في الحبّ قد هتكتْ مكتومةً والحبّ لا يكتم
يا مقلتي وحشيةٍ قتلت نفساً بلا نفسٍ ولا تظلم

(١) اشتهب : أي خالط بياضه سواده .
(٢) الذرّ : النمل الصغير .
(٣) الدثور : الستر .

قالــت تســلّيت فقلنــا لهـا ما قال قبلــي عاشــق مغرم
« يا أيهــا الــزاري علــى عمرٍ قد قلــت فيه غير ما تعلم »[1]

وقوله [من السريع] :

ويحــي قتيلاً ما له من عقل من شادن يهتــزّ مثـل النصلِ[2]
مكحّــل ما مسّــه من كحل لا تعذلانــي إننــي في شغل

« يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضــاء مضمومــةٌ مقرطقةٌ تنقــدُّ عن نهدهــا قراطقُها[3]
كأنّمــا بات ناعمــاً جذلاً في جنــة الخلــد من يعانقها
وأي شيء ألــذّ من أملٍ نالتــه معشــوقــةٌ وعاشقهـا
دعنــي أمــتْ في هوى مخدَّرةٍ يعلــق نفســي بهــا علائقها
« مــن لم يمــت عبطة يمـت هرماً المــوت كأس والمــرء ذائقها »[4]

وقوله [من الخفيف] :

أنــت دائــي وفــي يديك شفائي يا دوائــي من الهــوى وشفائي
إنّ قلبــي يحــبّ من لا أسمّي في عنــاءٍ أعظِــمْ به من عناء
كيف لا كيف أن ألــذ بعيشٍ مات صبــري به ومــات عزائي
أيّهــا اللائمــون ماذا عليكم أن تعيشــوا وأن أمــوت بدائي

---

(١) الزاري : العائب .
(٢) العقل : الدّية ، سمّيت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ، وكان قوم القاتل يجيئون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل .
(٣) القراطق : نوع من الثياب والمضمومة : الملتفّة المكتنزة .
(٤) عبطة : شاباً ، أو فجأة .

«ليس من مات فاستـراح بميتٍ   إنّمـا الميت ميت الأحياء»

وقوله [من الخفيف] :

ذات دلٍّ وشاحهـا قلق   من ضمـورٍ وحجلهـا شرقُ
بـرت الشـمس نورهـا وحباها   لحـظ عينيه شادنٌ حدق[1]
ذهـبٌ خدُّهـا يذوب حياءً   وسـوى ذاك كلـه ورق
إن أمـت ميتـة المحبّين [يوما]   وفـؤادي من الهـوى حرق
فالمنـايا ما بين غادٍ وسارٍ   كلُّ حيٍّ برهْنهـا علِق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقـتْ لي بـدورٌ   فـي ظلامٍ تنيـرْ
طـار قلبي لحسنهـا   مـن لقلـب يطيـر!
يا بدور أنـا بهـا الـ   ـدهـر عان أسيـر[2]
إن رضيتـم بأن أمو   ت فمـوتـي حقيـر[3]
«كلّ خطـبٍ ما لم تكو   نوا غضـبتـم يسيـر»

وقوله [من المقتضب] :

يـا مليحـة الدعـج   هـل لديك مـن فرج[4]
أم أراك قـاتلـي   بالـدلال والغـنـج
مـن لحسـن وجهـك من   سـوء فعلـك السّمج
عـاذلـيَّ ويحـكمـا   قـد غرقـت فـي لجج[5]

---

(١) حباها : أعطاها ، والشادن : الغزال .

(٢) في أ ، ب ، الدهر عان وأسير والوزن يختل عليها .

(٣) في أ ، ب ، فموتي بها حقير والوزن لا يستقيم .

(٤) الدعج : سعة العين وحورها .

(٥) عاذلي : لائمي ، واللجّة : الماء العميق .

هـل علـيٌّ ويحكمـا   إن لهوْت مـن حـرج

وقوله [من المتقارب] :

أأحـرم منك الرضى   وتـذكـر ما قـد مضى
وتعـرض عـن هائـمٍ   أبـى عنـك أن يعرضا
قضـى الله بالحـب لـي   فصـبـراً على ما قضى
رميت فـؤادي فمـا   تركت بـه منهضـا
وقـوســك شـريـانـةٌ   ونبلـك جمـر الغضـا[1]

وقوله [من الطويل] :

وأزهـر كالعيّوق يسعـى بأزهرٍ   لنـا منـه داء وهـو برءٌ من الداءِ[2]
ألا بأبـي صدغٌ حكى العين فتله   وشـارب مسـكٍ قد حكى عطفـة الراء
فما السحر ما يعـزى إلـى أرض بابلٍ   ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء[3]
وكيف أدارت مذهـب اللـون أصفرا   بمُذْهبـةٍ في راحـة الـكفّ صفراء

وقثوله [من الطويل] :

معذّبتـي رفقـاً بقلـبٍ معذّبٍ   وإن كان يرضيك العـذاب فعذّبي
لعمـري لقـد باعـدت غير مباعد   كمـا أننـي قربـت غير مقرّب
بنفسـيَ بدرٌ أخمـد البـدر نوره   وشمسٌ متى تطلعْ إلى الشمس تغرب
لو ان امـرأ القيس بن حجـر بدتْ له   لمـا قال « مـرّا بي علـى أم جندب »

وقوله [من الطويل] :

(١) شريانة : من الشريان ، وهو شجر للقسيّ وجمر الغضا : الغضا شجر حطبه شديد اللهب والاشتعال .
(٢) العيّوق : نجم في السماء .
(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

محبٌّ طوى كشحاً على الزفراتِ وإنسان عينٍ خاضَ في العبراتِ[1]
فيا من بعينيه سقامي وصحتي ومن في يديه ميتتي وحياتي
بحبّك عاشرت الهموم صبابةً كأني لها تربٌ وهنَّ لداتي
فخدّيَ أرضٌ للهموم ومقلتي سماء لها تنهلُّ بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلَّق اللهو فؤادي ثلاثاً لا ارتجاعٌ ليَ بعد الثلاثِ
وبياض في سواد عذاري بدّل التشبيب لي بالمراثي
غير أني لا أطيق اصطباراً وأراني صائراً لانتكاثي[2]
بإناثٍ في صفات ذكورٍ وذكورٍ في صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعتْ قلبي صدع الزجاج ما له من حيلةٍ أو علاج[3]
مزجت روحي ألحاظها فالهوى مني لروحي مزاج
يا قضيباً فوق دعص النقا وكثيباً تحت تمثال عاج[4]
أنت نوري في سواد الدجا وسراجي عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعه سافحٌ بين جفنيه هوىً قادح
كلما أمَّ سبيل الهوى قاده السافح والنازح[5]

---

(١) طوى كشحاً : أي تصبّر . وانسان عينٍ : أي ناظر العين .
(٢) الانتكاث : انتكث العهد : انتقض وانحلّ بعد إبرامه .
(٣) صدعت : شقّت .
(٤) النقا : القطعة من الرمل المحدودبة .
(٥) أمّ : قصد . والسافح : السائل من الدمع ، والنازح : البعيد عنه ، من أهلٍ وأحبّة .

حلَّ فيما بين أعدائه وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كلّ مطبوخ غير داذيٍّ ومفضوح[1].
فاعتقد من ود أهل الحجى كلّ ودٍّ غير مشدوخ[2]
وانتشق ريّاك من ملتقى شاربٍ بالمسك ملطوخ
إنّ في العلم وآثاره ناسخاً من بعد منسوخ

وقوله [من المديد] :

يا مجال الروح من جسدي والذي يفتر عن بردِ
وفريد الحسن واحده منتهاه منتهى العدد
خذ بكفي إنني غرق في بحار جمّة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ما أقام الصبر من أوَدي[3].

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طيرناباذ فقري الكرخ فبغداذِ
قهوةً ليست ببارقةٍ لا ، بتع ولا داذي
مرّةً يهذي الحليم بها بأبي ذلك من هاذي
فهي أستاذ الشراب معاً والمعاني دأب وأستاذ

---

(١) الداذي : شراب الفساق ، والمفضوخ : عصير القصب .
(٢) مشروخ : مجرّح .
(٣) الأود : الإعوجاج ، والكدّ والتعب .
(٤) البتع : نبيذٌ يتخذ من العسل ووقع في أ ، ب ، ولا بتع ولا باداذي .

وقوله [من البسيط] :

نورٌ تولّد من شمسٍ ومن قمر ... في طرفه سقمٌ أمضى من القدرِ
أصلي فؤادي بلا ذنبٍ جوى حرقٍ ... لم يبق من مهجتي شيئاً ولم يذر
لا والرحيق المصفى من مراشفه ... وما بخديه من خالٍ ومن طرر[1]
ما أنصف الحب قلبي في حكومته ... ولا عفا الشوق عني غير مقتدر

وقوله [من البسيط] :

خرجت أجتاز قفراً غير مجتاز ... فصادني أسهل العينين كالبازِ[2]
صفرٌ على أنه صفر لوالبه ... ذا فوق نعلٍ وهذا فوق قفّاز
كم موعدٍ ليَ من ألحاظ مقلته ... لو أنه موعدٌ يُقضى بإنجاز
أبكي ويضحك منّي طرفه هزؤا ... نفسي الفداء لذاك الضاحك الهازي

وقوله [من البسيط] :

يا غصناً مائساً بين الرباط ... ما لي من بعد بالعيش اغتباط[3]
يا من إذا ما ابتدى ماشياً ... وددت أن له خدّي بسلاط[4]
تترك عيناه من يبصره ... مختلط اللّبسة كلّ اختلاط[5]
قلت متى نلتقي يا سيدي ... قال غدا نلتقي عند الصِّراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحراً طرفه إذ يلحظ ... وفاتنا لفظُه [illegible] يلفظ

---

(١) الخال : بثرة سوداء في الوجه والطرر : جمع طرّة ، وهي الخصلة من الشـ[illegible]
(٢) الأشهل : الذي يخالط سواد عينه زرقة .
(٣) في أ ، ب ، « مالي من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن .
(٤) في أ ، ب ، « وددت لو أنّ له خديّ بساط » ولا يستقيم عليه الوزن .
(٥) اللبسة : الشك .

يا غصناً ينثني من لينه ... وجهك من كل عين يحفظ
أيقظني إذ جاءني من نفسه ... من طرفه ناعس مستيقظ
ظبيٌ له وجنة من رقةٍ ... تجرحها مقلة من يلحظ

وقوله [من البسيط] :

يا من دمي دونه مسفوك ... وكلّ حرٍّ له مملوك
كأنه فضّةٌ مسبوكةٌ ... أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك
ما أطيب العيش لولا أنه ... عن عاجلٍ كلّه متروك
والخير مسدودةٌ أبوابه ... ولا طريقٌ له مسلوك

وقوله [من البسيط] :

إليك يا غرّة الهلال ... وبدعة الحسن والجمالِ
مددت كفّاً بها انقباض ... وأين كفي من الهلال
شكوت ما بي إليك وجداً ... فلم ترِقّي ولم تبالِ
أعاضك الله من قريبٍ ... حالاً من السقم مثل حالي

وقوله [من الوافر] :

بنفسي من مراشفه مدام ... ومن لحظات مقلته سهامُ
ومن هو إن بدا والبدر تمٌّ ... صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً ... فلا لفظ إليَّ ولا ابتسام
تكلَّمْ ليس يوجعك الكلام ... ولا يمحو محاسنك السلام

وقوله [من الوافر] :

سلبت الروح من بدنيِ ... وصمت القلب بالحزنِ
فلي بدن بلا روح ... ولي روح بلا بدن

قرنـت مع الـردى نفسي فنفسـي وهـو في قَرَن
فليت السحـر مـن عينيـك لم أره ولـم يرني

وقوله [من الوافر] :

غـزالٌ من بنـي العاص أحسّ بصوت قناصِ
فأتلعَ جيـده حذراً وأشـخَصَ أيٍّ إشخاص[1]
أيا من أخلصتُ نفسي هواه كـل إخلاص
أطاعـك من ضمير القلـب عفـواً كلّ معتاص[2]

وقوله [من الكامل] :

في الكِلَّـةِ الصفـراء ريمٌ أبيضُ يشفـي القلـوب بمقلتيه ويمرضُ
لمـا غدا بين الحمـول مقوّضا كاد الفـؤاد عن الحياة يقوّض[3]
صدّ الكرى عن جفن عينك معرضاً لمـا رآه يصـدُّ عنك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحـت إليك جفونهـا بوداع خود بدت لك من وراء قناعِ
بيضـاء ما باهـى النعيم بصفرةٍ فكأنهـا شمسٌ بغير شعاع
أمـا الشبـاب فودّعـت أيامـه ووداعهـن موكّلٌ بوداعي
لله أيام الصبِّـا لو أنها كرَّت علـيَّ بلـذةٍ وسماع

وقوله [من الكامل] :

أصغـى إليك بكأسـه مصغي صلـت الجبين معقـرب الصدغ[4]

---

(١) أتلع : رفع ومدّ . ، وأشخص : تنبّه وازداد يقظةً واحتراساً .
(٢) المعتاص : الأمر الخفيُّ الصعب .
(٣) مقوّضاً : مهدّماً .
(٤) الصلت : الواضح والبارز المستوى .

كأسٌ تولَّـد بالمحبـة بيننا طوراً وتنـزغ أيّمـا نزغ[1]
في روضــةٍ درجــت بزهرتهـا الصبّا والشــمس في درجٍ من الفرغ
واشـرب بكفٍّ أغـنٌّ عقـرب صدغه للقلـب منـك مميتـة اللدغ[2]

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليســت بمعتكف بل ظبية أوفـت علـى شرفِ
بـل درّة زهـراء ما سكنت بحـراً ولا درّا من الصدف
أسرفـت في قتلـي بلا ترةٍ وسمعـت قول الله في السرف[3]
إنـي أتـوب إليك معترفاً إن كنـت تقبـل قول معترف

وقوله [من الكامل] :

يا فتنـة بعثـت علـى الخلق ما بينهـا والمـوت من فرق
شـمس بدت لك في مغاربها يفتـرُّ مبسمهـا عن البرق
مـا كنـت أدري قبـل رؤيتها للشـمس مُطّلعـاً سوى الشرق
يا من يضـن بفضـل نائله لو في يديك مفاتـح الرزق

وقوله [من الكامل] :

طلعـتْ له والليل دامس شمسٌ تجلّـت في حنادس[4]
تختـال في صفـر المجا سد بين حارسـةٍ وحارس
يا من لبهجـة وجهه يستأسـر البطـل الممارس
لـم يبـق من قلبـي سوى رسـمٍ تغيّر فهـو دارس

---

(١) النزغ : الافساد بين الناس .
(٢) اللدع : اللسغ .
(٣) الترّة : الثأر .
(٤) الحندس : الظلمة الشديدة .

وقوله [من الكامل] :

دع قول واشيةٍ وواشي ... واجعلهمـا كلبـيْ هراشِ[1]
واشـرب معتَّقـةً تَسلـ ... ـسلُ في العظام وفي المحاشي
حتـى ترى العـود المسن ... بهـا أرقَّ من الخشاش[2]

وقوله [من الكامل] :

ألحـاظ عيـن تنتهـي ... فـي روض ورد تزدهـي
رتعـت بهـا وتنزَّهـتْ ... منهـا بـأي تنـزه
يا أيهـا الخنـث الجفو ... ن بنخـوة وتكـرُّه[3]
والمـكتفـي عجبـاً أما ... ترثـي لأشـعـث أمـره

وقوله [من الكامل] :

أطفـت شـرارة لهـوي ... ولـوت بشـرّة عـدْوي[4]
شـعـل علـون مفارقـي ... ومضـت ببهجة سَرْوي
لمـا شككـت عروضهـا ... ذهـب الزحـاف بحـزْوي[5]
يا أيهـا الشـادِيُّ صهْ ... ليسـت بسـاعـة شـدوِ

وقوله [من الهزج] :

ألا يا زين قلبـي للـ ... ـشبـاب العفـر إذ ولّى[6]

---

(١) الهراش : النباح والعراك .
(٢) العود : الجمل المسنّ ، والخشاش : حشرات الأرض .
(٣) الخنث : الذي فيه تكسر ولين .
(٤) الشرّة : الحدّة والنشاط .
(٥) الحزو : التقدير والتكهُّن .
(٦) العفر : أي المعفّر بالاثم ، وعفّره في التراب : أي مرّغه وقلّبه .

جعلت الغيَّ سربالي وكان الرشد بي أولى
بنفسي جائرٌ في الحكـ ـم يلفي جوره عدلا
وليس الشهد في فيه بأحلى عنده من لا

وقوله [من الهزج] :

هنا تفنى قوافي الشـ ـعر في هذا الرويِّ
قوافٍ ألبستْ حلياً من الحلى الرويّ
تعالت عن جرير بل زهير بل عديّ

* * *

١٠٣ ـ أبو عمرو يوسف بن هرون المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ، من قصيدة أولها [من الكامل] :

مَنْ حاكمٌ بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي
في أيّ جارحةٍ أصون معذّبي سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت في بصري فثَمَّ مدامعي أو قلت في كبدي فثمّ غليلي
وثلاث شيباتٍ نزلن بمفرقي فعلمت أنّ نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثٌ في نزول ثلاثةٍ واشٍ ووجه مراقبٍ ومقيل[1]
فَعَذَلْنني عن صبْوتي متذلّلاً ولقد سمعْتُ بذلة المعذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهنّ غير معالمٍ وطلول

(١) المقيل : مكان القيلولة .

ونهت محافظة الحسان فلم تصل | كفّي إلى ظبي أغنٍّ كحيل
ومكبَّلٌ لم يجترم جرماً ولا | دامت صحابته بغير كبول
متلفّتٌ كتلفت المرتاع يقـ | ـسم لحظه في الحول بعد الحول
حتى إذا ما السرب عنَّ للحظه | أومى بقادمتيه خلَّ سبيلي[1]
ولّت جماعتها وشدّ وراءها | وكأنه بطل وراء رعيل[2]
عجلت وأدركها ردىً في إثرها | إنّ الردى قيدٌ لكلِّ عجول
ولقد غدوت بأهرت متضائلٍ | سر النفوس إليه غير ضئيل[3]
ولربما اشتمَّ الصعيد بأنفه | حيناً فقام له مقام دليل[4]
متتبِّع لظلاله فكأنه | في القيظ يطلب ظلّه لمقيل[5]
فنزلت في فرش الرياض ولم يكن | ليحوزها مثلي بغير نزول
روضٌ تعاهده السحاب كأنه | متعاهدٌ من علم إسمعيل
قِسْمُهُ إلى الأعراب تعلم أنه | أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات جُمِّعَتْ | فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما | نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه | عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهمُ بليل همومهم | منه فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمسٌ بدت في غربنا | وتغرّبت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلْ | زوراً ولا عرَّضتُ بالتنويل[6]

---

(١) السرب : الجماعة .
(٢) الرعيل ـ القطعة من الخيل .
(٣) الأهرت : الأسد .
(٤) الصعيد : التراب .
(٥) المقيل : مكان القيلولة وقت اشتداد الحرّ .
(٦) التنويل : الإعطاء .

من كان يأمل نائلاً فأنا امرؤ   لم أرْجُ غيرَ القربِ في تأميلي

وقوله [من الطويل] :

وإني لأغضي الطرف عنك جلالةً   وخوفاً على خدَّيْك من لحظاتي
ولو أنني أهملت عيني بأن ترى   سناك لحالت دونها عبراتي
رأيت وشاة الكاشحين أباعداً   ولكن دمعي من عديد وشاتي
زعمت بأني حلت عنك ولم أكن   أُعنِّيك في بثّي وفي حسراتي[1]
وهل أنا إلا طالبٌ لمنيتي   إذا حلت عمّن في يديه وفاتي

وقوله [من الطويل] :

عزمت على قتلي بغير تحرّجِ   شجى بك حتى تقتل الهائم الشجي
ولم يبد سرّي فيك رأيي ، وإنما   تبدّى فراراً من حشىً متوهّج[2]
نحولي ودمعي دبّجاً وجنتي بما   رأت مقلتي من خدك المتدبج
بهاراً ودرّاً هبّت الريح فوقه   بقروٍ فغطّت ورده بالبنفسج[3]

وقال يرثي البلدي الخباز [من الرمل] :

أنا إن رمت سلوّاً   عنك يا قرّة عيني
كنت في الإثم كمن شا   رك في قتل الحسين
لك صولات على قلـ   ـبي دليلات لحيْني
مثل صولات عليٍّ   يوم بدرٍ وحنين

(١) حلت عنك : تخلّيت وابتعدت ، أعنّيك : أقصدك .
(٢) لم يبدِ : لم يظهر ، ومتوهّج : متوقّد .
(٣) القرو : القصد والتتبع .

ومن شعره قوله [من الطويل] :

هَبُوا أن سجني مانعٌ لوصاله ... فما العذر أيضاً في امتناع خيالهِ ؟
بلى لم تنم عيني فيطرق طيفها ... زوالُ منامي علّةٌ لزوالِهِ

* * *

١٠٤ ـ عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه ، أولها [من الكامل] :

ألوي بعزم تجلّدي وتصبّري ... نأيُ الأحبة واعتياد تذكّري
شحط المزار فلا قرار ونافرتْ ... عيني الهجوع فلا خيالٌ يعتري[١]
أزرى بصبري وهو مشدود القوى ... وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كلّه وتلذذي ... بالعيش طيٌّ صحيفةٍ لم تنشر
هلاّ بما ألقى الحبيب توهّماً ... بضمير تذكاري وعين تفكّري
وإذا الفتى فقد الشباب سما له ... حب البنين ولا كحبّ الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ... ودنا وداعك كيف لم يتفطّر
ما خلتني أبقى خلافك ساعةً ... لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي ... مهما بطشت وصاحبي المستوزر
فإذا شكوت إليه شكوى راحةٍ ... ذكّرته فشكا إليّ بأكثر
أربى عليّ فحظه ممّا بنا ... حظ المعلّى من قداح الميْسر[٢]

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر

---

(١) شحط المزار : بعد ونأى .
(٢) المعلّى : القداح الفائز من الأقداح .

وبضُمَّـر الأقـلام يبلـغ أهلها ... ما ليس يبلـغ بالجياد الضُّمَّرِ
والعلـم ليس بنافـع أربابه ... ما لم يفـد عمـلاً وحسـن تبصر
فإذا دفعـت إلـى قرين فابْلُهُ ... قبـل التقـارض والتشـارك واخْبُرْ
لا يستفـزّك منظـر حسـن بـدا ... حتـى تقابلـه بحسـن المخبر
كم من أخ يلقـاك منـه ظاهر ... باد سلامتـه وبـاطنه وري[1]
واشـرح لكل ملمّـةٍ صدراً وخذ ... بالحـزم في كلّ الأمـور وشمِّر
واستنصـح البِـرّ التَّقـيَّ وشـاور الـ ... ـفطـن الـذكي تكن ربيح المتجر
واخـزن لسانـك واحتـرس من نطقه ... واحـذر بوادر غيِّه ثم احذر
واصفـح عن العـوراء إن قيلـت وعد ... بالحلـم منـك علـى السـفيه المعور
وكل المسـيء إلـى إساءتـه ولا ... تنعقـب الباغـي ببغيٍ تنصر[2]
فكَفَـاك من شرٍّ سماعـك خبره ... وكفـاك من خبـرٍ قبـول المخبر
وإذا سئلـت فجـد وإن قلّ الجدى ... جهـد المقـل إزاء جهـد المكثر[3]
واشـكر لمـن أولاك براً إنّه ... حقٌّ عليك ولا تكن بالممتري[4]
ليس الحـريص بزائـدٍ في حرصه ... بأتـمّ حيلتـه هشيمـة إذخـر[5]
أو ما رأيت غبـيَّ قومٍ موسراً ... ولبيبهـم يشقـى بحـال المعسر
قد أوعـب التـكوين كلَّ مكوَّنٍ ... مذ أحـكم التقـدير كلّ مقدر
فلـوِ ابتغيتَ بكل جهـدٍ نيل ما ... سبـق القضـاء بمنعـه لم تقدر

* * *

(١) الوري : المتضرّم ناراً .
(٢) كِلْ : دعْ واترك .
(٣) الجدى : العطاء .
(٤) الممتري : الشاك .
(٥) الإذخر : الحشيش الأخضر .

١٠٥ ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر [من البسيط] :

ما كُفْرُ نعماك من شأني فيثنيني عمَّنْ توالى لنصر الملك والدين
ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما أوليتني دون بذل النفس يكفيني
حقٌّ على النفس أن تبلى ولو فنيتْ في شكر أيسر ما أضحيت توليني
ها إنها نعمة ما زال كوكبها إليك في ظلمات الخطب يهديني
تنأى بجوهر ودٍّ غيرِ مبتذلٍ عندي وجوهر حمدٍ غير مكنون(١)
وحبذا النأي عن أهلي وعن وطني في كلّ برٍّ وبحرٍ منك يدنيني
وموقفٍ للنوى أغليت مُتَّئدي فيه وأرخصْتِ دمع الأعين العين
من كلّ نافرةٍ ذلَّت لقود يدي في ثني ما يدك العلياء تحبوني(٢)
والخدر يخفق في أحشاء والهةٍ تردّد الشجو في أحشاء محزون
أجاهد الصبر عنها وهي غافلةٌ عن لوعةٍ في الحشى منها تناجيني
يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته وهذه طاعة المنصور تدعوني
شدّي عليَّ نجاد السيف أجعله ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون(٣)
رضيت منها وشيك الشوق لي عوضاً وقلت فيها للوعات الأسى بيني(٤)
فإن تشجَّ تباريح الهوى كبدي فقد تعوضْت قرباً منك يأسوني

---

(١) مكنون : مستتر .
(٢) النافرة : الشاردة ، وذلّت : انقادت .
(٣) الهون : الذل والصغار .
(٤) بيني : أي أبعدي .

وإن يمت موقف التوديع مصطبري فأحرِ لي بدنوٍّ منك يحييني
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب من الوفاء بحظٍّ فيك مغبون
وخازنٌ عنك نفسي في هواجرها وليس جودك عن كفّي بمخزون
وأي ظلٍّ سوى نعماك يلحقني أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
وحاش للخيل أن تزهى عليَّ بها والبيض والسمر أن تحظى بها دوني
وربما كنت أمضي في مكارهها قدماً وأثبت في أهوالها الجون
من كلّ أبيض ماضي الغرب ذي شطبٍ وكل لدنٍ طرير الحدِّ مسنون
كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا سعيت فيه فلا ساعٍ يباريني(1)
لكنْ سهام من الأقدار ما برحت على مراصد ذاك الماء ترميني
يحملن للروْع أسداً في فرائسها تمدُّ للطعن أمثال الثعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة تغلغل الماء في ظل الرياحين(2)
حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت بملك آبائك الشم العرانين
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا رقَّ الأساور منهم والدهاقين(3)

وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

لولا التحرج لم يحجب محياك

وحشية اللفظ هل يودي قتيلكم ؟ دمي مضاعٌ وجاني ذاك عيناكِ(4)
إني أراك بقتل النفس حاذقة قولي فديتك : من بالقتل أوصاك ؟
ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأٍ هيهات لا ريَّ إلاّ من ثناياك
لولا الضلوع لظل القلب نحوكمُ ضعي بعيشك فوق القلب يمناك

---

(1) شأوي : مداي وحالي .
(2) النقع : الغبار .
(3) اعتوروا : امتلكوا ، ورقّ الأساور : أي نساءهم والدهاقين : السادة والأمراء .
(4) يودي : تعطي عنه دية ، والجاني : الفاعل والقاتل .

أصليتنـي لوعـة الهجـران ظالمةً رحمـاك من لوعـة الهجـران رحماك
أظـنُّ عزمـك أن أخفـي لأسلوكم حلّـي غريمـي إنـي لسـت أسلاك
حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى قبح الصـنيع بمـن يهـواك حاشاك
إن كان واديك ممنوعـاً فموعدنا وادي الـكرى فلعلّـي فيه ألقاك
ظبـيٌ وقلـبٌ فمـن لي أن أصيدهما ضاع الفـؤاد وقلـب الظبـي أشراكي

وقوله [من الوافر] :

أصـخْ نحـوي لدعـوة مستقيل ينـادي من غيابـات الخمـولِ[1]
رهينـة كلّ همٍّ مستكنٍ ونهـزة كلّ خطـب مستطيل[2]
ومأمـونٌ علـى ظلـم الأعادي ونـوّامٌ علـى ثوب الذحول[3]
ترانـي منـك في همـمٍ صحاحٍ نكصْـن على دجى خطـبٍ عليل[4]
ولـكن ربَّ دهـر ساورتني غوائلـه علـى نهـج السبيل
مظاهـر لأمتَـيْ بغـيٍ ومكرٍ ومصلـت صارمَـيْ قالٍ وقيل[5]
ورامٍ عن قسـيِّ الغـلِّ نبلاً أصبْـن مقـاتل الأدب النبيل
أبـا وبنين عن عرضٍ منيعٍ لقـد أجلين عن أمـل قتيل
فكان كأنـه جفـن سخين أسـال دمـاً علـى خد أسيل
ومضطـرم الحشـى داءً دوياً تنفّس منـه عن سيفٍ صقيل
فتلك معالمـي علـم الرزايا وتلك وسائلـي درج السيـول
وتلك مراتـب الأخطـار مني حمائـم تنتحبـن علـى هديل

(١) أصخ : استمع وانتبه .
(٢) النهزة : الفرصة .
(٣) النوب : المصائب ، والذحول : الحقد والثأر والعداوة .
(٤) نكصن : تراجعن واحجمن .
(٥) اللأمة : الحاجة ، ولأم الشيء : جمعه .

لعـل رضـاك يا منصـور يوماً ... يحـلّ بسـاحتي عمّـا قليل
ويقـرع منـك أسمـاع المعالي ... لنـا بعثـار عبـدٍ مستقيل[1]
إليك جلـوت أبـكار المعاني ... معـاذيراً بلألاء القبـول[2]
سوارٍ في الظـلام بلا نجومٍ ... هوادٍ في الفـلاة بلا دليل[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحنّـا الفُلْكَ تهـوي كأنها ... وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربانُ
علـى لجـجٍ خضـرٍ إذا هبـت الصَّبا ... ترامـى بنـا فيهـا ثبير وثهلانُ[4]
وإن سكنـت عنّـا الـرياح جرى بنا ... زفيرٌ إلـى ذكر الأحبـة حنّان[5]
يقلن ومـوج البحـر والهـمّ والدجا ... تمـوج بنـا فيهـا عيون وآذان
ألا هل إلـى الـدنيا معـادٌ وهـل لنا ... سوى البحر قبرٌ أو سوى المـاء أكفان
وهبنـا رأينـا معلـم الأرض هل لنا ... من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
هوت أمهـم ماذا هوت برجالهم ... إلـى نازح الآفـاق سفْـنٌ وأظعان
كواكب إلا أن أفـلاك سيرها ... زمـامٌ ورحـلٌ ، أو شراع وسكان
فإن غربـت أرض المغـارب موئلي ... وأنكرنـي فيهـا خليطٌ وخلاّن[6]
فكم رحبـت أرض العـراق بمقدمي ... وأجزلـت البشـرى علـى خراسان
وإنّ بلاداً أخرجتنـي لعاطلٌ ... وإن زمانـاً خان عهـدي لخوّان
سلامٌ علـى الإخـوان تسـليم آيسٍ ... وسَـقياً لدهـر كان لي فيه إخوان[7]

---

(١) العثار : ما عثر به واطلع عليه والمستقيل : فقير .
(٢) أبكار المعاني : أي القصائد البكر .
(٣) هوادٍ : أي مهتديات .
(٤) ثبير وثهلان : من الجبال .
(٥) الزفير : يعني به الشوق ، لأنّ المتشوق يكثر من التأوّه والزفرات الطويلة .
(٦) الخليط : المجالس والمساكن ، والخلاّن : الأصحاب .
(٧) آيس : قانط ويائس ، وسقياً : هي للدعاء .

فلا مؤنسٌ إلاّ شهيقٌ وزفرةٌ ... ولا مسعدٌ إلا دموع وأجفان
وما كان ذاك البين بين أحبةٍ ... ولكن قلوب فارقتهنّ أبدان
فيا عجباً للصبر منا كأننا ... لهم غير من كنا وهم غير من كانوا
مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم ... كأنيَ قد خنت الوفاء وقد خانوا
وأفجع من آوى صفيح وجلمد ... ووازت رمال بالفلاة وكثبان
وجوه تناءت في البلاد قبورها ... وإنهمُ في القلب منّي لسكان
وما بليت في الترب إلا تجدّدتْ ... عليها من القلب المفجّع أحزان

ومنها :

وأوردتْها يوم اللقاء فراته ... كما انصرفَتْ يوم الهباءة ذبيانُ(١)
بكل كميٍّ عامريٍّ يسوقه ... لحرّ الوغى قلب على الدين حرّان
حليهمُ بيض الصّوارم والقنا ... لها وحلاها سابغات وأبدان
فيا ذل أعلام الهدى يوم عزّهم ... ويا عزّ أعلام الهدى بك إذ هانوا
حفرت لهم في يوم ثبرةَ بالقنا ... قبوراً هواء الأرض منهنّ ملآن(٢)
يطير بهم بازٍ ونسرٌ وناعبٌ ... ويغدو بهم ذئبٌ رميحٌ وسرحان(٣)
فلو نشر الأملاك يومك فيهم ... لألقى إليك التاج كسرى وخاقان(٤)
ولو رد في المنصور روح حياته ... غداة لقيت الموت والموت غرثان(٥)
وناديت في الهيجاء أبناء ملكه ... فلبّاك آساد عبيدٌ وفتيانُ
جبالٌ إذا أرسيتها حومة الوغى ... وإن تدْعُها يوماً إليك فعقبان
يقودهمُ داعٍ إلى الحق مجلبٍ ... على البغي يرضى ربه وهو غضبان

---

(١) يوم الهباءة : أحد أيام العرب ، نصرت فيه قيس على فزارة وذبيان .
(٢) يوم ثبرة : أحد أيام العرب ، والقنا : الرماح .
(٣) الناعب : الغراب ، والرميح : السريع ، الخفيف والسرحان : الذئب .
(٤) الخاقان : من القاب الملوك عند المغول .
(٥) غرثان : جوعان .

وأسمر يسري في بحارٍ من الندى بكفك لكنْ يغتدي وهو ظمآن
تلألأ نوراً من سناك سنانه وقد دعتِ الفرسان للحرب فرسان
فحيّاك من أحييت منه شمائلا يموت بها في الأرض ظلمٌ وعدوان
وناداك إسراراً وناداك معلناً وحسب المعالي منه سرٌّ وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ألا هكذا فليخلف الملك سلطان
فلله ماذا أنجبتْ منك عامرٌ ولله ماذا ناسبتْ منك قحطان
ولله منّا أهل بيتٍ رمتهم إلى يدك العليا بحورٌ وبلدان
فما قصرت بي عن علاك شفاعةٌ ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بشّر الخيل يوم كرّ الطراد وظبا الهند عند حرّ الجلادِ(١)
وسماء العلا بنجم المساعي ورياض المنى بصوب الغوادي
ثم واف القصور من ملك بصرى بالمشيدات من ذرى شدّاد
ثم ناد الأذواء عن ذي الرياسا ت نداءً يصغي له كلّ نادِ(٢)
وصلتكمْ أرحام ملكٍ نمتكمْ من كرام الأملاك والأجواد
وهناكمْ منصور كم من نجيب في مساعٍ جلتْ عن الأنداد
بلغت مجدكم نجوم الثريا ومساعيكمُ أقاصي البلاد
ونما منكمُ إلى الملك سيف نافذ الحكم في رقاب الأعادي
بسمات أهدت لكم هدى هودٍ وبحلم أعاد أحلام عاد
وأنارت به نجوم المعالي وأنار الدنيا ببيض الأيادي
وهو في المنجبين أعلى وأزكى والد أنت أكرم الأولاد
قمرٌ في مطالع الملك أوفى طالعاً والمنى على ميعاد

---

(١) كرّ الطراد : من المطاردة ، وتكون أثناء الصيد وأثناء الحرب ، والظبا : الحدّ .
(٢) الأذواء : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم « ذو » ومنهم « ذو نواس » ملك الدولة الحميرية .

وتلاقت زهْرُ النجوم عليه بسُعود الجُدود والأجداد
وسما للإسلام باسم أبيه وانتحى باسم جدِّهِ للأعادي
هو للبين بالحياة بشيرٌ وهو للشرك منذرٌ بالبواد
سابق الشأو لم يؤخّر مداه عن مداكم تأخّر الميلاد
ولدته الحروب منكم تماماً فارس الخيل فارس الآساد
فاكتسى الدين منه ثوب سرورٍ وصليب الضلال ثوب حداد
فهنيئاً للتاج أيّ جبينٍ عنده أيّ عاتقٍ للنجاد[1]
وهنيئاً لنا وللدين والدنـ ـيا وللبيض والقنا والجياد
وغريبٍ تهوي به كلّ أرضٍ وشريدٍ ينبو به كل وادي
وهنيئاً لطيءٍ ولهمْدا ن ولخمٍ وكندةٍ وإياد[2]

وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التداني وشيك التنائي
لقد حلّ من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء
هل الملك يملك ريب المنون أم العزّ يصرف صرف القضاء
أرى الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الربوع ثياب العفاء[3]
يبيد الحياة ببطشٍ شديدٍ ويلقي النفوس بداءٍ عياء
ألم تر كيف استباحت يداه حريم الملوك وعلّق النساء[4]
هو الرزء أودى بعزم الملوك مصاباً وأودى بحسن العزاء
فما في العويل له من كفاءٍ ولا في الدموع له من شفاء

---

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق .
(٢) أسماء قبائل عربية .
(٣) العفاء : الغناء .
(٤) العلق : النفيس من كلّ شيء .

فهيهـات فيه غنـاء الزفير وهيهـات فيه انتصـار البكاء
وأنّـى يدافـع سقـم بسقم ؟؟ وكيف يعالـج داءً بداء ؟
فتلك مآقـي جفـون رواء مفجّـرة من قلـوبٍ ظماء
فـلا صدر إلاّ حريقٌ بنار ولا جفـن إلا غريق بماء
فقـد كاد يصـدع صمّ السلام ويضـرم نار الأسـى في الهواء
وجيب القلـوب وشـق الجيوب وشجـو النحيب ولهف النداء
فمـن مقلـة شرقـتْ بالدموع ومـن وجنـة غرقـت بالدماء
وسافـرةٍ من قناع الحياء ونابـذةٍ صبـرهـا بالعـراء
وبيضٍ صَبَغْـن بلـون الحدا د حمـرَ البـرود وبيضَ الملاء
أَنجمـاً هوى من سمـاء المعالي لتبـكِ عليك نجـومُ السماء
وحاشـا لرزئـك أن يقتضيه عويلُ الرجـال ولـدم النساء[1]
لبيض أياديك في الصالحات تمسّـك وجـه الضحـى بالضياء
فقـل لفقيدك أن يحتبي عليك الصبـاح بثـوب المساء[2]

ومنها :

لئـن حجبـتْ تحـت ردم اللحود ومـن قبـل في شرفـات العلاء
فتلك مآثرهـا في التقى وبـذل اللهـى ما بهـا من خفاء[3]
جـزاك بأعمـالـك الزاكيـا ت خير المجـازين خير الجزاء
ولُقّيتَ من ضَنْـكِ ذاك الضريح نسيم النعيم وطيب الثواء

---

(١) اللدم : اللطم .
(٢) احتبى : اشتمل والتفّ .
(٣) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم : « اللها تفتح اللها » يريدون أنّ العطـايا تفتـح الفـمّ بالثنـاء على المعطي .

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لك الله بالنصر العزيز كفيل أجدٌّ مقام أم أجدٌّ رحيلُ
هو الفتح أمّا يومه فمعجّلٌ إليك ، وأما صنعه فجزيل
وآيات نصر ما تزال ولم تزل بهن عمايات الضلال تزول
سيوفٌ تنير الحق أنّي انتضيتها وخيلٌ يجول النصر حيث تجول
ألا في سبيل الله غزوك من غوى وضلّ به في الناكثين سبيل
لئن صدئت ألباب قوم بمكرهم فسيف الهدى في راحتيك صقيل
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدّهم فأحجار داودٍ لديك مثول[1]
خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ولكن على صدر الكميّ ثقيل
وجرداء لم تبخل يداها بغاية ولا كرهاً نحو الطعان بخيل[2]
لها من خوافي لقوة الجوّ أربعٌ وكشحان من ظبي الفلا وتليل[3]
وبيض تركن الشرك في كل منتأى فلولا وما أزري بهن فلول
تمور دماء الكفر في شفراتها ويرجع عنها الطرف وهو كليل
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما بهن إلى شرب الدماء غليل
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه لصرف الردى نحو النفوس رسول
وحنّانة الأوتار في كلّ مهجةٍ تعاصيك أوتارٌ لها وذحول[4]
إذا نبعها عنها أرنّ فإنما صداه نحيبٌ في العدى وعويل
كتائب عز النصر في جنباتها وكلّ عزيزٍ يمّمته ذليل

(١) جالوت : أحد الملوك الكفرة قتله طالوت وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .
(٢) الجرداء : كناية عن الفرس .
(٣) الخوافي : الريش الصغار التي تلي القوادم في مقدّمة الجناح . ولقوة الجوّ : العقاب السريعة . .
والكشحان : يعني عظام الصدر ، والتليل : العنق .
(٤) الذحول : الثأر والحقد والعداوة .

يسير بهـا في البـرّ والبحـر قائدٌ ... يسيرٌ عليه الخطـب وهـو جليل[١]
جوادٌ له من بهجـة العـزّ غرةٌ ... ومـن شيم الفضـل المبين حجول
به أمـن الإسـلام شرقـاً ومغرباً ... وغالـت غوايات الضلالـة غول[٢]
حسـامٌ لداء المـكر والغـدر حاسم ... وظـلٌ علـى الـدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه ... فقـد حان من يوم الضـلال أفول[٣]
كريم التأنـي في عقـاب جناته ... ولكنٍ إلـى صوت الصـريخ عجول[٤]
وأيقـن باغٍ حتفـه أنَّ أمه ... ـ وقدامـه الليث الهصـور ـ هبول[٥]

وله أيضاً [من الكامِل] :

اليوم أبهجـتِ المنى أبهاجها ... وتوسّطـتُ شمس الضحـى أبراجَها
ما للـوزارة لا تضـيء لنـا وقد ... أضحـى سراج العـالمين سراجها
شمسٌ تبـدَّتْ في ذوائـب يعربٍ ... ركبـت إلـى الرُّتـب العـلا معراجها
لم تنتقـل قدمـاً لأول منزل ... للمجـد حتـى استقبلـت منهاجها
أنجبتـهُ ذخـر الخلافـة إن شكتْ ... ألمـاً تضمَّـن برءهـا وعلاجها
وسللتـه سيفـاً لكلّ ملمّةٍ ... يفـري بأول ضربـة أوداجها[٦]
فنظمـتَ في جيد الـوزارة عقدها ... وعقـدت في رأس الرياسـة تاجها
والخيل جانحـة إليـه كلما ... رفـع اللـواء وأوجفـت أسراجها
يا قبلـةً للآمليـن وكعبـةً ... تدعـو بحـيٍ علـى النـدى حجاجها
أنـت الـذي فرَّجْـتَ عنّـي كربةً ... لله قد شدّت علـيٍّ رتاجها[٧]

(١) ورد عجز البيت غير مستقيم الوزن على هذه الصورة يسير على الخطب وهو جليل » فأصلح .
(٢) غالت : دهت وأهلكت .
(٣) الأفول : الغروب .
(٤) الصريخ : المستغيث .
(٥) هبول : ثاكل .
(٦) الملمّة : الحادثة ، ويفري : يقطع ، وَالأوداج : يعني بها الأعناق حيث تكون الأوداج والعروق .
(٧) الرتاج : الباب ، وأرتج الباب : أقفله وغلقه .

وجلوت عن قلق المنى من ليلةٍ طاولت في ظلم الأسى إدلاجها[1]
وسقيتني من جود كفك منعماً كأساً وجدت من الحياة مزاجها
فلألبسن الدهر فيك ملابساً للحمد أحكم منطقي ديباجها
ما عاقب الليل النهار ورجَّعتْ ورق الحمائم بالضحى أهزاجها

وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيتَ فأصغ لداعي الطرب وطاب لك الدهر فاشرب وطبْ
فهذا بشير الربيع الجديد يبشّرنا أنه قد قرب
بهار يروق بمسك ذكيٍّ وصبغٍ بديعٍ وخلقٍ عجب
غصون الزبرجد قد أورقت لنا فضّةً نوّرت بالذهب
فمن حقّها أن ترى الشاربين وقد نفقت سوقهم بالنخب
وأن تسألوا الله طول البقاء لعبد المليك مليك العرب
فلولا محاسنه لم ترق ولولا شمائله لم تطب

وقوله [من الطويل] :

ألم تعلمي أن الثّواء هو النوى وأن بيوت العاجزين قبور
ولم تزجري طير السرى بحروفها فتنبيك إن يمَّنَّ فهو سرور[2]
يخوّفني طول السفار وإنه لتقبيل كف العامري سفير
ذريني أَردْ ماءَ المفاوزِ آجناً إلى حيث ماءُ المكرمات نمير[3]
وأختلسِ الأيام خِلسة فاتكٍ إلى حيث لي من عَدْوهن خفير
فإن خطيرات المهالك ضُمَّنٌ لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبريَ منها أنَّة وزفير

(١) الإدلاج : الظلمة .
(٢) زجر الطير: التفاؤل أو التشاؤم بها، ويمّن: سرن يميناً حيث يكون التفاؤل أمّا السير شمالاً فهو للتشاؤم.
(٣) المفاوز : الأرض الكثيرة الهلكة ، والآجن : المتغير والنمير : الصافي .

تناشدني عهد المودة والهوى … وفي المهد مبغوم النداء صغير[1]
عييٌ بمرجوع الخطاب ، ولفظه … بموضع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ، ومهّدت … له أذرع محفوفةٌ ونحور
عصيت شفيع النفس فيه وقادني … رواحٌ لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفتْ بها … جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودّعت مني غيوراً فإنني … على عزمتي من شجوها لغيور
وما شاهدتني والضواحك تلتظى … عليَّ ورقراق السراب يمور[2]
أسلّط حر الهاجرات إذا سطا … على حر وجهي ، والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي نوازحٌ … وأستمطىء الرمضاء وهي تفور[3]
وللموت في عين الجبان تلون … وللذعر في سمع الجريء صفير
ولو شاهدتني والسُّرى جل عزمتي … وجرسي لحنان الفلاة سمير
وأعتسف الموماة في غسق الدجا … وللأُسْد في غيل الغياض زئير[4]
أميرٌ على غول التنائف ما له … إذا ريع ، إلا المشرفيّ ، وزير[5]
وقد خليتْ طرق المجرة أنها … على مفرق الليل البهيم قتير
ودارت نجوم القطب حتى كأنها … كؤوس طلا والى بهن مدير[6]
لقد أيقنت أنّ المنى طوع همتي … وأنّى بعطف العامريّ جدير
وأنّى بذكراه لهمّيَ زاجرٌ … وأنى منه للخطوب نذير
تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ … شموسٌ تلالا في العلا وبدور

---

(١) المبغوم : الخفي صوته الذي لا يفهم .
(٢) الضواحك : حجارة براقة .
(٣) استمطىء : أي أمتطي وأسير، والرمضاء: الحرّ الشديد .
(٤) الموماة : الصحراء المقفرة ، وغيل الغياض : أي الشجر الكثير الملتف .
(٥) التنائف : جمع تنوفة وهي المفازة والغلاة .
(٦) الطلا : الخمر ، ووالى : دار بها على الشاربين .

من الحميريين الـذين أكُفُّهـمْ سحائـب تهمـى بالنـدى وبحور
همُ صدّقـوا بالوحـي حين أتاهم ومـا النـاس إلاّ عابـدٌ وكفور
مناقب يعيا الـوصف عن كنـه قدرها ويرجـع عنهـا الوهـم وهـو حسير
ألا كلّ مدحٍ عن نداك مقصر وكلّ رجـاءٍ في سواك غرور
ولمـا تراءوا للسـلام ورُفِّعتْ عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقـد قام من زرق الأسنـة دونه صفـوف ومـن بيض السيوف سطور
رأوْا طاعـةَ الرحمـن كيف اعتزازُها وآياتِ صنـعِ الله كيف تنير
وكيف استوى بالبـدر والبحر مجلس وقـام بعـبء الـراسيات سرير
يقولـون والأوجـال تخـرس ألسناً وحـارت عيون منهـم وصدور[1]
لقـد حاط أعـلام الهـدى بك حائطٌ وقـدّر فيك المكرمـات قديـر

ومنها :

أثرني لخطب الدهر والدهر معضلٌ وكِلْني لِلَيْثِ الغـاب وهـو هصورُ[2]
وقـد تخفض الأسمـاء وهـي سواكنٌ ويعمـل في الفعـل الصـحيح ضمير
وتنبـو الـردينيات والطـول وافرٌ ويبعـد وقـع السهـم وهـو قصير[3]

وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعـت خيلـي في الهـوى وركابي وقذفـت نبلـي في الصبـا وحرابي
وسللـت في سبـل الغـواية صارماً عضبـاً ترقـرقُ فيه ماء شبابي[4]
ورفعـت للشـوق المبـرّح رايةً خفّاقـة بهزائـج الأطـراب[5]

(١) الأوجال : المخاوف .
(٢) الهصور : الشديد الفتك .
(٣) تنبو : تخطىء ، والردينيات : الرماح .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) أراد بهزائج الأطراب : الأناشيد التي تقال عند الطرب ، وكأنما سمّيت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للّوّام لأمة خالعٍ مسرودةٍ بصبابةٍ وتصابي[١]
وبرزت للشكوى بشكّة مُعْلمٍ نكص الملام بها على الأعقاب[٢]
فاسأل كَمِيّ الوجد كيف أثرته بغروب دمعٍ صائب التكساب
واسأل جنود العذل كيف لقيتها في جحفل البرحاء والأوصاب[٣]
ولقد كررت على الملام بزفرةٍ ذهل العتاب بها عن الإعتاب
حتى تركت العاذلين لما بهم شغفاً بحبّ التاركيّ لما بي
من كلّ ممنوع اللقاء آغتاله صرف النوى فنأى به ودنا بي
حتى افتتحت على الأحبة معقلاً وعر المسالك مقفل الأبواب
ووقفت موقف عاشق حلّتْ له فيه غنيمة كاعب وكعاب
بحدائقِ الحدق التي أفنينني بأحدٍ من سيفي ومن نشّابي
في روضةٍ جاد النعيم نباتها فتفتحت بكواعبٍ أتراب
من كلّ مغنومٍ لقلبي غانمٍ عشقاً ومسبيٍّ لعقلي سابي
في جنح ليلٍ كالغراب أطار لي عن ملتقى الأحباب كلّ غراب
وجلا لعيني كلّ بدرٍ طالعٍ قَمِنٍ بهتك حجابه وحجابي[٤]
جاب الظلام فلم يدع من دجنه إلا غدائر شعره المنجاب[٥]
فظللت بين صبابة وظلامة مغري الجفون بطرفه المغري بي
فإذا كتبت بناظري في قلبه أخفى فخطّ بناظريه جوابي
وإذا سقاني من عقار جفونه أبقى عليّ فشجها برضاب
وسلافة الأعناب توقد نارها تهدي إليّ بيانع العناب

---

(١) اللأمة : الدرع . والمسرودة : المصنوعة .
(٢) الشكّة : السلاح . ونكص : تراجع وفرّ .
(٣) البرحاء والأوصاب : الآلام والأمراض الموجعة .
(٤) قمِنٍ : جدير . وهتك الحجاب : نزعه .
(٥) الدجن : الظلام .

فسكِرْتُ والأيام تسلب جدَّتي والدهر ينسج لي ثياب سلابي[1]
سكرين من خمرٍ كأنّ خمارها فقد الشباب وفرقة الأحباب[2]
لمدى تناهى في الغواية فانتهى فينا إلى أجلٍ له وكتاب

ومنها :

وشملتني بشمائلٍ أذكرنني في طيبها طوبى وحسن مآب[3]
ورضاك ردَّ ليَ الرِّضا في أوجه من جور أيام عليٍّ غضاب
وهداك أشرق لي وليلي مظلم وسناك أبرق لي وزندي كابي[4]
فحللت منه خير دار مقامةٍ وثويت منه في أعزّ رحاب
وأسمت في أزكى البقاع صوافني وضربت في أعلى البقاع قبابي[5]
وشويت للأضياف لحم ركائبي في نار أحلاسي وفي أقتابي[6]
ولقد كسوت برغم دهرٍ ضامني ما أخلقتْ عصراه من أثوابي

وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وَمَحَقَ الشهرُ كمالَ البدرِ فلاحَ في أولى الصباح النّضرِ
* كأنه قرطٌ بأُذْنِ الفجرِ *

---

(١) الجدّة : قدرتي وترفي ، أو ثيابي .
(٢) الخمار : وقع الخمر وأثره .
(٣) طوبى : جنة الخلد ، أو يثرب مدينة الرسول .
(٤) الزند الكابي : الذي لا يورى ولا يخرج ناراً .
(٥) أسمت : أحللت . والصوافن : الخيل .
(٦) الحلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها، والأقتاب : الرّحل

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم

١٠٦ ـ فمنهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك من السري ؟ صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث في عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفكر. فكتبت منه محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح ، وبدأت بصدر من أخباره ، وبطرف لأشعاره .

بلغني أنه أسلم صبياً في الرفائين بالموصل ، فكان يرفو[1] ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب ، وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ، وذكر ان صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز ، فكتب إليه [من السريع] :

يكفيك من جملة أخباري يُسري من الحب وإعساري
في سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ نقصاً ، ففضلي بينهم عاري[2]

---

(١) يرفو : أي يصلح الثوب من شقّ وغيره .

(٢) مرتد : لابس .

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيِّقاً كأنّه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس ، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد ، وهي عنده الآن ، وكل خبر عندنا من عنده .

ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن هذه الجبهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ابن هاشم. في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر سهل بن المرزبان وأنفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ، وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصر ، فمنها أبيات في وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يا من أنامله كالعارض الساري وفعله أبداً عارٍ من العارِ
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوباً يزرّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمبديةٍ نوراً ، وماءٌ ولكن ليس بالجاري

والـراح قد أعوزتنـا في صبيحتنا بيعـاً ولـو وزْن دينـارٍ بدينار
فامنـن بمـا شئـت من راحٍ يكون لنا ناراً فإنّـا بلا راحٍ ولا نار[1]

ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألـذُّ العيش إتيان الصبيح وعصيـان النصيحـة والنصيحِ
وإصـغـاءٌ إلـى وتـرٍ وناي إذا ناحـا علـى زقٍّ جريـح[2]
غـداةَ دجنَّـةٍ وطفـاءَ تبكي إلى ضحـكٍ مـن الزهـر المليح[3]
وقـد حديت قلائصهـا الحيارى بحـادٍ من رواعدهـا فصيح[4]
وبـرقٍ مثـل حاشيتـي رداءٍ جديدٍ مذهـبٍ في يوم ريح

هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي « حاشيتي لواء » ، ولست أدري أأنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهم مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلى المعاني .

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهما منه وغارتهما عليه ، ثم أسوق غرر الخالديين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى ومشيئته .

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ، ومدح المهلبي الوزير وغيره من

---

(١) الراح : الخمر .
(٢) الزق : وعاء الخمر ، الدنّ .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي تدلّت ذيولها .
(٤) حديت : سيقت ، والقلائص : النوق .

الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان ، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان . فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة . وعذوبة اللفظ ، وهي : [من الطويل] :

أقول لحنّان العشاء المغرّد ... يهزّ صفيح البارق المتوقّدِ[1]
تبسم عن ريٍّ البلاد صبيبه ... ولم يتبسم إلاّ لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقيّ لا زال رائحٌ ... يحلّ عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنّما ... يعلُّ بماء الورد نرجسها النّدى
يشقّ جيوب الورد في شجراتها ... نسيمٌ متى ينظرْ إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت في كتاب تفسير ابن جني لشعر المتنبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة ، وذكر أنه أخذه من قول المتنبي [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنما ... على العيس نور والخدود كمائمه[2]

---

(١) صفيح البارق : أي صفحة السيف ويعني هنا صفحة الخدّ أو الفم المفترّ عن بيض الأسنان .
(٢) العيس : الجمال ، والكمائم : أغلفة النّوار .

وهو [من المنسرح] :

حيّا بك الله عاشقيك فقد ... أصبحت ريحانة لمن عشقا

فكدت أقضي بأني لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف ، وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا ، وعلمت أن الذي حصلت من شعره غيض من فيض ما لم يقع إلي .

* * *

ولما وجدت السريّ أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :

طلعتُ على الديار وهم نباتٌ ... وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلاّ مخطفاتٍ ... حماها الخصر منها والنهود[1]

وكرر هذا المعنى فقال [من الكامل] :

أفنت ظباك الروم حتى إنّها ... لم تبق إلاّ ظبيةً أو ريما

وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا ... لمى شفتيها والثديّ النواهد[2]

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

حيّيت من طللٍ أجاب دثوره ... يوم العقيق سؤال دمعٍ سائلِ
يخفي وينزل وهو أعظم حرمةً ... من أن يذال براكب أو ناعل

---

(١) المخطفات : المهزيلات .
(٢) اللمى : السمرة في الشفة السفلى .

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

نزلنا على الأكوار نمشي كرامةً   لمن بان عنه أن نلمَّ به ركبا[1]

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

فالدهر يمسح منه غرَّة سابقٍ   لاقاه أوّل سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة [من الكامل] :

مسحت معدٌّ وجه معنٍ سابقاً   لمّا جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لي الوفاء ولم يزل   خدن الصبابة بالوفاء حقيقا[2]
ومضى وقد منع الجفون خفوقها   قلبٌ لذكرك لا يقرُّ خفوقا

فالتجنيس أخذه من قول التنوخي [من مجزوء الكامل] :

يفديك قلبٌ خافقٌ   أبداً وطرفٌ ما خفق

واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* ما بال قلبك لا يقر خفوقا[3] *

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

نَضَت البراقع عن محاسن روضةٍ   ريضَتْ بمحتفل الحيا أنوارُها[4]

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو الرّحل الذي يجعل على ظهر الجمل كالسرّج .
(٢) خدن الصبابة : الخدن الصديق ، والصبابة : المحبّة والعشق .
(٣) هذا صدر بيت : وعجزه قوله : « وأراك ترعى النجم والعيوقا » ولابن المعتز في هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيّمٍ جرح الفؤاد فراقه   فالدمع من أجفانه يتدفّق
بهرته ساعة فرقةٍ فكأنّما   في كلّ عضوٍ منه قلبٌ يخفق

(٤) نضت : خلعت ، والبراقع : الملاء . والحيا : المطر .

فمـن الثغـور المشرفـات لجينهـا ... ومـن الخـدود المذْهبـات نضارها
أغصـان بانٍ أغربـت في حملها ... فغرائـب الـورد الجنـيٍّ ثمارها

وهو من قول ابن الرومي [من البسيط] :

غصـون بان عليهـا الدهـر فاكهة ... ومـا الفـواكه ممـا يحمـل البان !

وقال السري [من الكامل] :

تلك المـكارم لا أرى متأخراً ... أولـى بهـا منـه ولا متقدما
عفـوٌ أظـلَّ ذوي الجرائـم كلَّهم ... حتى لقـد حَسَـدَ المـطيعُ المجرما

وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

وتـكفّـل الأيتـام عن آبائهم ... حتـى وددنـا أننـا أيتـام

والأصل فيه قول أبي دهبل الجمحي [من المنسرح] :

ما زلـت في العفـو للذنـوب وإطـ ... ـلاقٍ لعـانٍ بجرمـه غلقِ
حتـى تمنّـى البـراء أنّهـمُ ... عنـدك أضحـوا في القـدٍّ والحلق

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكـر العقيق لنـا نثرنا ... عقيق الدمـع سحّـاً وانهمالا[1]
طلـولٌ كلّمـا حاولن سقياً ... سقتهـا العين أدمعهـا سجالا
تحـنّ جمالنـا هونـاً إليهـا ... فأحسبهـا ترى منهـا جمالا
ونسـأل من معالمهـا محيلاً ... فنطلـب مـن إجابتهـا محالا

وهو من قول ديك الجن [من الكامل] :

قالـوا السـلام عليك يا أطلالُ ... قلت السـلام على المحيل محالُ

---

(١) السحّ : غزارة المطر عند هطله .

وقال السري من قصيدة يتشوق بها بني فهد [من الطويل] :

تنــاءوْا ولمّـــا ينصــرمْ عزمهــم ... وحاشـــا لذاك الحبــل أن يتصرّما
فشــرّق منهــم سيدٌ ذو حفيظةٍ ... وغـــرّب منهــم سيِّدٌ فتشأما
كأن نواحــي الجــو تنشــر منهم ... علــى كلّ فجٍّ قاتــمِ اللــون أنجما

وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمــى القفــر بالفتيان حتّــى كأنهم ... بأقــطــار آفـــاق البــلاد نجومُ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

تناهــى فاطمــأنَّ إلــى العتاب ... وأحســـن للعـــواذل في الخطابِ
وصـــار جنيب غصـــنٍ غير رطب ... وكان جنيب أغصـــانٍ رطاب
خلــت منــه ميادين التصابي ... وعـــرّى منـــه أفــراس الشباب
وزهّـــده خضـــابُ الله لمـــا ... تولّـــى عنـــه في زور الخضاب[١]

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير [من الطويل] :

* وعزي أفراس الصبا ورواحله[٢] *

وذكر خضاب الله في البيت الرابع ، وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابي[٣] *

---

(١) خضاب الله : يعني الشيب .
(٢) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره قوله :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق وصدره قوله :
أو ما رأت برديّ من نسج الصّبا

وفي قصيدة السري [من الوافر] :

وكنت كروضةٍ سُقِيَتْ سحاباً فأثنَتْ بالنسيم على السّحابِ

وهو من قول المتنبي [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحة الرياض كلامها تبغي الثناء على الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليِّ على الوسـ ـميِّ ثم العهاد بعد العهاد[2]
فهي تثني على السماء ثناءً طيِّب النشر شائعاً في البلاد

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

ليالينا بأحياء الغميم سقيت ذهاب مُذْهَبَة الغيومِ
مضتْ بك رأفة الأيام فينا وغفلة ذلك الزمن الحليم
فكنّا منك في جنات عيشٍ وَفَتْ حسناً بجنات النعيم
رياض محاسن وسنا شموسٍ وظلّ دساكرٍ وجنى كروم[3]
وأجفان إذا لحظت جسوماً جعلن سقامهن على الجسوم

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حسن الرسوم وما تمشّى إليها الدهر في صور البعادِ
وإذ طير الحوادث في رباها سواكن وهي غنّاء المراد
مذاكي حلبةٍ وشروب دجنٍ وسامر قينةٍ وقدور صاد[4]

---

(١) ذكي : عبق .
(٢) الوسمي : مطر الربيع .
(٣) الدساكر : جمع دسكرة ، وهي القرية أو البناء الضخم الذي يتخذه الملوك للّهو والشراب .
(٤) المذاكي : الخيل الكريمة . والصاد : النحاس .

وأعين ربربٍ كحلتْ بسحرٍ وأجسادٌ تضمَّخُ بالجساد(1)

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفانٌ تروّي كلّ شيءٍ سوى قلبٍ إلى الأحباب صادي(2)
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً لبست لبينِهم ثوبَيْ حداد
معادن حكمةٍ وغيوث جدبٍ وأنجم حيرةٍ وصدور نادي

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

ترتع حولي الظباء آنسةً نظائراً في الجمال أشباها
رقّت عن الوشي نعمة فإذا صافح منها الجسوم وشّاها

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

حِسان التثنّي ينقش الوشي مثله إذا مِسْن في أجسامهن النواعمِ

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيدَ مهتزٍّ على صحن خدِّهِ غلائل من صبغ الحياء رقاقُ
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهنّ له دون النطاق نطاق(3)

وهو أيضاً من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصرٍ تثبت الأحداق فيه كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا

(1) الربرب : البقر الوحشي . والجساد : الزعفران .
(2) الصادي : الظامىء .
(3) النطاق : الإزار أو مكانه .

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه في حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن سجيَّتُهُ التَّمَنُّع والخلافُ
وخفت عليه في الخلوات منّي ولم تك بيننا حالٌ تخاف
جفوت من الصبا ما ليس يُجفَى وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقبح فعلٍ لدى الإغفاء أيقظني العفاف

وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

ماذا يعيب الناس من رجلٍ خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرعٌ كلٌّ بكلٍّ منه مشتبه
إن همَّ في حلم بفاحشة زجرتْه عفّته فينتبه

وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر مشهَّرة الجلباب حورية النجرِ[1]
مضمَّنة ماءً صفا مثل صفوها فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى كما نِبْتَ عن آبائك السادة الغرِّ

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرمٍ انقضى فإنّك ماء الوِرد إن ذهب الوردُ[2]

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت أقطاره ونأت بعداً جوانبُه
تركتهم بين مصبوغٍ ترائبه من الدماء ومخضوبٍ ذوائبه[3]

---

(١) النجر : الأصل ، وحالية النحر : أي تلبس الحليّ في نحرها .

(٢) ماء الوِرد : ماء النبع حيث يشرع الناس للإستسقاء .

(٣) الترائب : الصدر أو أعلاه ، والذوائب : خصلات الشعر في أول الوجه .

فحائـرٍ وشهـاب الرمـح لاحقه ... وهـاربٍ وذبـاب السيف طالبه[1]
يهـوي إليه بمثـل النجـم طاعنه ... وينتحيه بمثـل البـرق ضاربه
يكسـوه من دمـه ثوبـاً ويسلبه ... ثيابـه فهـو كاسيه وسالبه

وهو من قول البحتري [من الكامل] :

سلبـوا وأشرقـت الدمـاء عليهم ... محمّـرةً فكأنهم لم يسلبوا

وقال السري من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشـاءه بالكتـب وهولها ... خوف الـردى ورجـاء السلـم مستلم
لا يشـرب المـاء إلا غصّ من حذرٍ ... ولا يهـوّم إلا راعـه الحلم

وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فـإذا تنبّـه رعتـه، وإذا غفا ... سلّـت عليه سيوفـك الأحلام

وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنـا نحمـد العبـرات لمّا ... رأينـا البين مذمـوم السجايا[2]
كأنّ خدودهـنّ إذا استقلت ... شقيق فيه من طلٍّ بقايا

وهو من قول الناشىء الأوسط [من المتقارب] :

كأنّ الدمـوع علـى خدها ... بقيـة طلٍّ علـى جلّنارِ[3]

وقال من قصيدة في مرثية أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونـات الدمـوع إزاءها ... ونمشي حفاة حولها الرجـل والركب[4]

---

(١) ذباب السيف : حدّه .
(٢) السجايا : الصفات .
(٣) الطلّ : الندى ، والجلنار : نوع من الورود .
(٤) تذال : تجري .

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت كأنّ قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

* مشى الأمراء حوليها حفاة[1] *

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالة نورٍ ليس يدركها اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمسُ
به أضحت الأهواء بجمعها هوىً كأنّ نفوس الناس في حُبِّه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبدر دجىً يمشي به غصنٌ رطبُ دنا نوره لكن تناولُه صعبُ
إذا ما بدا أغرى به كلّ ناظرٍ كأنّ قلوب الناس في حبّه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهوى العذريّ مأربةٌ وليس لي في هوى العذّال من أرب
سقى الغمام رُباها دمعَ مبتسمٍ وكم سقاها التصابي دمعَ مكتئبِ

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولما اعتنقنا خلْتُ أنّ قلوبَنا تناجي بأفعال الهوى وهي تخفقُ
هي الدار لم يُخْلِ الغمامَ ولا الهوى معالمَها من عبرةٍ تترقرق

---

(1) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أمّ سيف الدولة وعجزه قوله :

« فإنّ المرو من زفٍّ الرئال »

والمرو : حجارة بيض براقة بكون فيها النار ، والزفّ : صغار الريش ، والرئال : جمع رئل وهو ولد النعام يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاةً كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدّة الحزن .

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمنٌ طالمـا التقـت أدمـع المز . ن عليهـا وأدمـعُ العشاقِ

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوّقـت قومـاً في الرقـاب صنائعاً كأنّهـم منهـا الحمـام المطوّقُ

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامـت في الرقـاب له أيادٍ هي الأطـواق والنـاس الحَمامُ

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسَّـم برقُ الغيم فاختـال لامعاً وحـلٍّ عقـود الغيث فارفضَّ هاملا[1]
فقلـت علـيٌّ منـك أعلـى صنائعاً إذا ما رجونـاه وأرجـى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحتري فقال [من الكامل] :

قـد قلـت للغيم الـركام ولـجّ في إبـراقـه وألـحّ في إرعاده
لا تعرضـنّ لجعفـرٍ متشبّهاً بنـدى يديه فلسـت من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامـت تميل للعنـاق مقوّماً كالخوط أبدع في الثمـار وأغربا[2]
حملـت ذاره الأقحـوان مفضَّضاً يسقـي المدامـة والشـقيق مذهَّبا
وأبـتْ وقـد أخـذ النقـاب جمالها حركات غصـن البـان أن تتنقّبا

---

(١) الغيث : المطر ، وارفضّ : انفرض وتوزع وهاملاً : ممطراً .
(٢) الخوط : الغصن .

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت ... للناظـرين بقـدٍّ ليس ينتقب(١)

وقال السري في وصف شعره [من الكامل] :

وغريبـةٍ تجـري عليك رياحها ... أرجـاً إذا لفحـت عدوك نارُها(٢)
ممـن له غرر الـكلام تفتّحت ... أبوابهـا وتـرفّعـت أستارها
تجـري وتطلبـه عصائـب قصَّرتْ ... عن شأوهـا فقصارهـا إقصارها(٣)
فتعيش بعـد مماتـه أشعاره ... وتمـوت قبـل مماتهـا أشعارها

وهو من قول دعبل [من الطويل] :

يمـوت رديء الشعـر من قبـل أهله ... وجَيِّده يبقـى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل] :

صـادق البشـر يرى ماء الندى ... يرتقـي في وجهـه أو ينحدرْ
قلـت إذ برّز سبقـاً في العلا ... أإلـى المجـد طريقٌ مختصر ؟

وهو من قول البحتري [من البسيط] :

مـا زال يسبـق حتـى قال حاسده ... له طريقٌ إلـى العلياء مختصرُ

وفي قصيدة السري [من الرمل] :

قـد تقضّـى الصـوم محمـوداً فعدْ ... لهـوىً يحمـد أو راجٍ يسرْ

---

(١) الخمار : الستر والملاءة ، والفرعين : يقصد الشعر ، وانتقيت : أي لبست النقاب وهو ما تستتر به المرأة .
(٢) الأرج : العبق الذكي .
(٣) العصائب : الجماعات ، والشأو : المدى .

أنت والعيد الذي عاودته غُرّتا هذا الزمان المعتكر
لذّ فيك المدح حتى خلته سمراً لم أشق فيه بسهر

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

يا مسرعاً كان لي بلا كدر يا سمراً كان لي بلا سهر

وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره [من الخفيف] :

نوبٌ لو علت شماريخ رضوى أوشكت أن تخرَّ منهنّ هدّا(١)
عرضتني على الحسام فأضحى كلّ عضوٍ منّي لحدّيْه غمدا
وكَسَتْ مفرقي عمامةُ ضربٍ أرجوانيةُ الذّوائب تندى

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا ربَّ يومٍ قد كسوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائبِ

وقال السري من قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

وأرى العدو نقيصة في عمره وأرى الصديق زيادة في حالِهِ
بوقائع للبأس في أعدائه ووقائع للجود في أمواله
عذلوه في الجدوى ومن يثني الحيا أم من يسدّ عليه طرق سجاله(٢)

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

وما ثناك كلام الناس عن كرمٍ ومن يسد طريق العارض الهطل ؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنة لا الوحش يذعر سربها ولا الطير منها داميات المخالب

---

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورضوى : إسم مكان .
(٢) الجدوى : الكرم والعطاء ، والحيا : المطر ، وسجاله : هطوله يريد أنّ المطر يتدفّق ويهطل دون أن يستطيع أحدٌ ردّه .

هي الـروض لم تنش الخمائـل زهره ولا اخضلّ عن دمع من المزن ساكب
إذا انبعثـت بين الملاعـب خلتها زرابـيَّ كسـرى بثّهـا في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل] :

زرابيُّ كسـرى بثّهـا في صحونه ليحضـر وفـداً أو ليجمـع مجمعاً[1]

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنستْ شخصاً من الناس صرصرتْ كما صرصرت في الطِّرس أقلام كاتب[2]

وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنمـا يصفـرن عن ملاعـقٍ صرصـرة الأقـلام فـي المهارق[3]

وقال في وصف رقاص [من الوافر] :

إذا اختلجـت مناكبـه لرقصٍ نزتْ طير القلـوب إليه نزوا[4]
أفـارس أنـت أحسـن من تثنّي علـى صنـجٍ وأملـح من تلوّى

وهو من قول الصنوبري [من المتقارب] :

فمـن متلـوٍّ علـى نايـهِ ومـن متثـنٍّ علـى صنجهِ

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهـل الملك سيف الدولـة أطَّأدتْ قواعـد الـدين واشتـدَّتْ كواهله[5]

---

(١) الزرابي : ما بسط واتكىء عليه من الطنافس وغيرها .
(٢) صرصرت : صوّتت .
(٣) يصفرن : يصوتن .
(٤) النزو : الميل والطموح إلى الشيء .
(٥) أطأدت : أي اشتدت وقويت وتوطدت .

من الرمــاح وإن طالــت مخاصره كمــا الــدروع وإن أوهــت غلائله

وهو من قول البحتري [من الطويل] :

ملــوكٌ يعــدّون الرمــاح مخاصراً إذا زعزعوهــا والــدروع غلائلا

وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعــارض أكلأ فيه بارقاً كالنــار شبَّــت في ذرى طودٍ أشم[1]
كأنّــه نشــوان جرَّ ذيله فكلّمــا ريع انتضــى عضبــاً خذم[2]

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كأن الرَّبــاب الجــونَ دون سحابه خليعٌ من الفتيان يسحــب مئزرا[3]
إذا أدركتــه روعــةٌ من ورائه تلفَّــتَ واستــلَّ الحســام المذكّرا

وفي قصيدة السري [من الرجز] :

ورب يومٍ تكتســي البيض به لونــاً فتكســو لونهــا سود اللِّمم[4]

وهو من قول المتنبي [من الخفيف] :

واستعــار الحــديد لونــاً وألقى لونــه فــي ذوائــب الأطفــال

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وأنــا الفــداء لمرغــمٍ فيَّ العدى إذ زارنــي وهنــاً علــى عدوائه
قمــرٌ إذا ما الوشــي صين أذاله كيمــا يصــون بهــاءه ببهائه[5]

---

(١) الأشم : المرتفع العالي .
(٢) العضب : السيف والخذم : القاطع .
(٣) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .
(٤) اللمم : جمع لمّة ـ وهو الشعر الذي يتجاور شحمة الأذن .
(٥) أذاله : أهانه ، وأذالت المرأة الثوب : أرسلته وجعلت له ذيلاً .

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشى لا متجملاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاقد خصره وعهوده فكأنّ عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

* وشادنٍ ضعيف عقد الخصرِ *

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حَلِيَّةٌ وثناياه وعنبره كلٌّ ينمٌّ عليه أو يراقبهُ[1]
فلست أدري إذا ما سار في أفقٍ شمائل الأفق أذكى أم جنائبه
سرى من الخيف يخفي البدر منتقباً والبدر يأنف أن تخفي مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائرٌ متقنّع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتىً إذا هزّ اليراع حسبته لمضاء عزمته يهزّ مناصلا
من كلّ ضافي البرد ينطق راكباً بلسان حامله ويصمت راجلا[2]

وهو من قول أبي تمام [من الطويل] :

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجم إن خاطبته وهو راجل

---

(١) ينمّ : يشي به .
(٢) ضافي البرد : الطويل الفضفاض .

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

الغيث والليث والهلال إذا أقمر : بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به وذاكرٌ منه كلّ ما وعدا

وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته يأتي من الجود ما لم يأته أحدُ
ينسى الذي كان من معروفه أبداً إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيدٌ إذا رمت إدراكه وإن كان في الجود سهلاً قريبا
ضرائب أبدعتها في السّماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا[1]

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن رأينا لفتح ضريبا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتىً شرع المجد المؤثّل : فالعلا مآربه ، والمكرمات شرائعُهْ
إذا وعد السّراء أنجز وعده وإن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني ، قال :

حدثني محمد بن مسعر ، قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال : إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو : إنك أعجمي ولا أعني لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذما ، وتعده مدحاً ، ثم أنشد :

---

(١) الضريب : المثيل والشبيه .

وما يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... وما أختشي من صولة المتوعّدِ
وإنّي إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[1]

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ، قال : أفتسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : فقد أبطلت شاهدك .

وقال السري من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتي العراق فسلّتْ ... همّتي للرحيل سيف اعتزامي
فسلامٌ على جنابك والمنـ ... ـهل والظّلّ والأيادي الجسام

وهو من قول البحتري [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمنـ ... ـهل فيه وربعك المأنوسِ
حيث فعل الأيام ليس بمذمو ... مٍ ووجه الزمان غير عبوس

وقال في وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلعٌ غضّة النسيم غذاها ... صفو ماء العلوم والآداب
فهي كالخرّد الأوانس يخلط ... ـن شماس الصبا بأنس التصابي[2]
رقّة فوق رقة الحضر تبدي ... فطنةً فوق فطنة الأعراب[3]

وهو من قول الطائي [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهمُ ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب

---

(١) أوعدته : من الوعيد وهو التهديد ، ووعدته من الوعد : أي العطاء وغيره .
(٢) الشماس : بكسر الشين : الإباء والامتناع .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والأعراب : سكان البادية .

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

ألبستني النعمى التي غيرن لي ... ودَّ الصديق فعاد منها حاسدا
فلتلبسنْ بها الثناء مسيَّراً ... ومخلَّداً ما دام يذبل خالدا[1]

والبيت الأول من قول البحتري [من الطويل] :

وألبستني النعمى التي غيَّرت أخي ... عليَّ فأمسى نازح الودِّ أجنبا

* * *

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها .

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات في الاستزارة [من الطويل] :

ألست ترى ركب الغمام يساق ... وأدمعه بين الرياض تراقُ
ورقَّت جلابيب النسيم على الثرى ... ولكنْ جلابيب الغيوم صفاق[2]

وقال في معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه ... وغدا به ثوب النسيم رقيقا

وقال في قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الردا ... ء وغيمه جافي الإزار

(١) يذبل : إسم جبل .

(٢) الصفيق : الجلد الذي تحت الجلد الظاهر ، أو الجلد .

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدبٍ جلّتْ صنائع كفّهِ ولكنْ معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه [من الكامل] :

أعليُّ كم نعمٍ منحت جليلةً منحتك معنى في الثناء دقيقاً
يلقى الندى برقيق وجهٍ مسفرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفلٍ ترك الفضاء مضيقاً

وقال في معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم في العيش رحب منازلٍ وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح [من الكامل] :

فلتشكرنَّك دولةٌ جدَّدْتها فتجدَّدتْ أعلامها ومنارُها
حلَّيتَها وحميتَ بيضة ملكها فغرار سيفك سورها وسوارها[1]

وقال في معناه [من الوافر] :

تحلّى الدين أو تحمي حماه فأنت عليه سورٌ أو سوارُ

وقال [من الكامل] :

نشر الثناء فكان من إعلانه وطوى الوداد فكان من أسرارهِ
كالنخل يبدي الطلع من أثماره حيناً ويخفي الغضّ من جُمّاره[2]

---

(١) وحميت بيضة ملكها : أي جعلت ملكها منيعاً بصونك له ، وغرار السيف : حدّه .
(٢) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أوّل طلوعها، والجمار : شحم النخلة .

وقال في معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه ... وأضمر الودّ فيه أيَّ إضمارِ
كيانع النخل يبدي للعيون ضحىً ... طلعاً نضيداً ويخفي غضَّ جمّار

وقال في وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت للّيل إذا الليل غسق ... وقيّد الألحاظ من دون الطرقْ
قضبان تبرٍ عرّيتْ عن الورق ... شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال في معناه [من الكامل] :

فرّجتها بصحائح إن تعتللْ ... فلهنّ من ضرب الرقاب شفاءُ

وقال في معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضةٌ ... فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال في معناه [من السريع] :

سيّافها يضرب أعناقها ... وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى ... أجرّ بُرديَّ على برد الثرى

* والصبح حمل بين أحشاء الدجى *

وقال في مثله [من الكامل] :

* والصبح حملٌ في حشى الظلماء *

وقال في وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا غادها مخطئاً أو مصيبا ... وسر نحوها داعياً أو مجيبا

وخـذ لهبـاً حرّه في غدٍ إذا الحر قارن يومـاً لهيبا

وقال في معناه [من البسيط] :

هات التـي هي يوم الحشـر أوزار كالنار في الحسـن عقبى شربهـا النار

وقال في معناه [من الخفيف] :

هاتهـا لـم تباشـر النـار واعلم أنهـا فـي المعـاد للشـرب نارُ

وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظـر إلـى الليل كيف تصدعه راية صبـح مبيضَّـةُ العذبِ
كراهـبٍ حن للهـوى طرباً فشـقّ جلبابـه مـن الطرب

وقال في معناه [من السريع] :

والفجـر كالراهـب قد مزّقتْ من طربٍ عنـه الجلابيبُ

وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضـب الـكفّ بالمـدام وطوراً يَخْضُـبُ السيف من دمٍ مهراقِ[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

وتخضب بالراح أيماننا ونخْضـب بالدم أرماحُنا

وقـال في الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفسـي مـن أجـود له بنفسي ويبخـل بالتحيـة والسـلام
وحتفـي كامـنٌ فـي مقلتيه كُمـون المـوت في حدّ الحسام[2]

---

(١) يخضب : من الخضاب ، أي صبغ الشعر واليدين . والمهراق : أي المراق المسفوك .
(٢) الحتف : الموت والهلاك ، وكامن : مستتر وموجود .

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأي حزم كامن فيه كمون الموت في حدّ القضب[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

أما للمحبين من حاكمٍ فينصفني اليوم من ظالمي
حماميَ في طرفه كامنٌ كُمونَ المنيّة في الصارم

وقال في معنى آخر [من البسيط] :

وفتيةٍ زهر الآداب بينهمُ أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشي الرُّخِ وانصرفوا والراح تمشي بهم مشي الفرازين[2]

وقال في معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت خيامها الصفر بقلع الأواخي[3]
راحوا عن الراح وقد أبدلوا مشي الفرازين بمشي الرخاخ[4]

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يبدي لعينك كلّما عاينته قرنين جالا مقدماً ومخاتلا[5]
فكأن ذا صاحٍ يسير مقوّما وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربعٍ لا يطيق النهوض ولا يألف السّيْر فيمن سرى

---

(١) القضب : السيوف .
(٢) الرّخ والفرازن : من أحجار الشطرنج .
(٣) الأواخي : من أحجار الشطرنج .
(٤) الراح : الخمر .
(٥) المخاتل : الخداع .

نحمله سبجاً أسودا فيجعله ذهباً أحمرا [1]

وقال في معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحدقنا بأزهر خا فقات حوله العذبُ
فما ينفكُّ من سبجٍ يعود كأنّه ذهب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجاب إلى مقامٍ توارى الشمس فيه بالحجاب
كأنّ سيوفه بين العوالي جداول يطَّرِدْنَ خلال غاب

وقال في معناه [من الطويل] :

كأن سيوف الهند بين رماحه جداول في غاب سما فتأشّبا [2]

وقال في معناه [من الكامل] :

أُسدٌ لها من بيضها وسمرها جداولٌ مُطَّردات وأَجَمْ

وقال في وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتها عذراء تأوي حجاب القلب لا حجب القبابِ [3]
أذبت لصوغها ذهب القوافي فأدَّتْ رونق الذهب المذاب

وقال في معناه [من الوافر] :

وخذها كالتهاب الحلى تغني عن المصباح في الليل التهابا

---

(١) السبج : الخرز .
(٢) تأشّب : اختلط واجتمع .
(٣) زففت : قدّمت وزينت وحجاب القلب : غلافه ، والقباب : أي البيوت التي تكون للسلاطين .

مشعشعــةً كأنّ الطبــع أجرى ... علـى صفحـاتهـا الذهـب المذابـا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً ، لفرط استحساني جودة وصفه له ، وموافقته الموصوف :

قال في وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

ومــا زالــت رياح الشعــر شتى ... فمــن ريّا الهبــوب ومــن سمومِ[1]
تحيّي الصاحــب الطلــق المحيّا ... وتعلن شتــم ذي الوجــه الشتيم[2]
منحتــك مــن محاسنهــا ربيعاً ... مقيم الزهــر سيّـار النسيم

وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعــدو إليك عن ذي عدة ... ما ثار إلا نال أبعــد ثأره
صلّ القــريض إذا ارتــوت أنيابه ... من سمّــه قطــرت علــى أشعاره[3]
لو أنــه جارى عتيقــيّ طيء ... في الحلبتين تبرقعــا بغباره[4]

وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلَتْكَ عن حســن السمــاع مدائحٌ ... حسنــت فمــا تنفــكّ تطــرب سامعا
طلعــت عليك أبــا الفــوارس أنجمٌ ... منهــنّ يخجلن النجــوم طوالعا
زهــرٌ إذا صافحــن سمــع معاند ... خفض الــكلام وغضّ طرفــاً خاشعا
جاءتـك مثــل بدائــع الوشــي الذي ... ما زال في صنعــاء يتعــب صانعا
أو كالــربيع يريك أخضــر ناضراً ... ومــورّداً شرقــاً وأصفــر فاقعا[5]

---

(١) ريّا الهبوب : أي الرياح المنعشة الباردة والسموم : الرياح الحارة اللافحة .
(٢) الشتيم : الكريه الوجه .
(٣) الصلّ : الحيّة .
(٤) يريد بعتيقي طيء أبا تمام والبحتري .
(٥) الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غبٍّ النوال تبسمت كما ابتسم النوّار غبٌّ حَياً أروى
وما ضرّ عقداً من ثناءٍ نظمته وفصّلته أن لا يعيش له الأعشى[1]

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظامٍ وذا خضلٌ وكالصوارم ذا نابٍ وذا خذم[2]
أو كالعرانين هذا حظّه خنس مزرٍ عليه وهذا حظه شمم[3]

وقال [من المتقارب] :

وفكر خواطره ألبست علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو علقت بالقتير لحسّن عند الحسان القتيرا[4]
إذا ما جفت خلع المادحين عليهنّ رقّت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخلعةٍ من ثناي دبّجها الـ ـفكر ففاقت بحسّها البدعا
وقرّب الحذق لفظها فغدا من قربها مطمعاً وممتنعا

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب[5]
إن المدائح لا تهدى لناقدها ألا وألفاظها أصفى من الذهب

---

(١) الأعشى : ميمون بن قيس أحد شعراء الخمرة المشهورين .
(٢) الظامىء : العطش ، والخضل : المرتوي والنابي : الذي لا يقطع .
(٣) العرنين : الأنف ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه ، والشمم : ارتفاع الأرنبة .
(٤) القتير : الشيب .
(٥) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الشقة الرقيقة من القماش ، والصريح : الخالص والمؤتشب : المختلط .

كم رضْت بالفكر فيها روضة أنفاً ... تفتّح الزهرُ عن جنى الأدب
لفظٌ يروح له الريحان مطّرحا ... إذا جعلناه ريحاناً على النجب[1]

وقال [من الطويل] :

أتتك يجول ماء الطبع فيها ... مجال الماء في السيف الصقيل
قوافٍ إن ثنتْ للمرء عِطفاً ... ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها ... شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت ... أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحةٍ دبّجتها ... فكأنما دبّجت منها مطرفا[2]
من كلِّ بيتٍ لو تجسّم لفظه ... لرأيته وشياً عليك مفوّفا[3]

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدرّ في أصدافه ... لا بل يزيد عليه في لألائهِ
من كلّ رائقة الجمال كأنها ... جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحرٌ نلت أنفس درِّهِ ... وتنافس الشعراء في حصبائهِ

---

(١) النجب : الكرام السادة .
(٢) المطرف : رداء من حرير ذو أعلام .
(٣) التفويف : التزيين .

وقال [من الكامل] :

وغرائبٍ مثل السيوف إضاءةً ... وجدت من الفكر الدقاق صياقلا[1]
فلو استعار الشيب بعض جمالها ... أضحى إلى البيض الحسان وسائلا
جاءتك بين رصينه ودقيقه ... تهدي إليك مطارفاً وغلائلا

* * *

ما أخرج من غرره في الخالديين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالديين والتلعفري إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبر مجدٍ حين أدّرع الصبرا ... وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا
تَحيَّفَ شعري يا ابن فهد مصالت ... عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى[2]
وفي كلّ يومٍ للغبيين غارةً ... تروّع ألفاظي المحجّلة الغرّا[3]
إذا عنّ لي معنى يضاحك لفظه ... كما ضاحك النّوار في روضه الغدرا
غريب كشطر البرق لما تبسّمت ... مخائله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه ... وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثرٍ من الجهل معدمٌ ... من الحلم معذورٌ متى خلع العذرا
فبعد ما قرّبت منه غباوة ... وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا
فمهلاً أبا عثمان مهلاً فإنّما ... يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها ... ودنّستما تلك المطارف والأزْرا
فويحكما هلاّ بشطرٍ قنعتما ... وأبقيتما لي من محاسنه شطرا[4]

---

(١) الغرائب : القصائد ، والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يصنع السيوف ويصقلها .
(٢) تحيّف : اغتصب ، والمصالت : السارق .
(٣) المحجّلة : البيضاء ، والغراء : البيضاء الناصعة .
(٤) الشطر : القسم والنصيب .

وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالديين ، وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعدّ أباً ... فات الكرام بآباءٍ وآثار
أشكو إليك حليفَيْ غارةٍ شهرا ... سيف الشِّقاق على ديباج أفكاري
ذئبيْن لو ظفرا بالشعر في حرمٍ ... لمزّقاه بأنيابٍ وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلتةً ... في جحفلٍ من صنيع الظلم جرّار
وأرخصاه فقلْ في العطر ممتهناً ... لديهما يشتري من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحةً ... منه ومنتخب الهنديِّ والغار[1]
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراق وإسفار
أرّقت ماء شبابي في محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
كأنّها نفس الريحان يمزجه ... صبا الأصائل من أنفاس نوّار
إن قلّداك بدرٍّ فهو من لججي ... أو ختّماك بياقوتٍ فأحجاري[2]
باعا عرائس شعري بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عون وأبكار[3]
مجهولة القدر مظلومٌ عقائلها ... مقسومةٌ بين جهّالٍ وأغمار[4]
ما كان ضرهما والدرّ ذو خطرٍ ... لو حلّياه ملوكاً ذات أخطار
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما ... بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثيا ... ميْتاً ولا افتخرا إلا بأشعاري
هذا وعندي من لفظ أشعشعه ... سلافةٌ ذات أضواءٍ وأنوار
كريمةٌ ليس من كرمٍ ولا التمتْ ... عروسها بخمارٍ عند خمّار
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت ... ذات الحباب خلال الطين والقار[5]

(١) اللطيمة : وعاء المسك .
(٢) اللجج : القاع من البحر .
(٣) العون : المرأة ، والبكر : العذراء .
(٤) الغمر : الطيش .
(٥) القار : القطران .

لم يبـق لي من قريض كان لي وزرا ... علـى الشدائـد إلا ثقـل أوزاري[1]
أراه قد هتـكت أستـار حرمتهِ ... وسائـر الشعـر مستـور بأستار
كأنـه جنـة راحـت حدائقُها ... من الغبيّين في نـارٍ وإعصار[2]
عارٍ من النسـب الوضّـاح منتسبٌ ... في الخالـديين بين العـرّ والعار[3]

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالديين [من الطويل] :

ولا بد أن أشـكو إليك ظلامة ... وغـارة مغـوار سجيّتـه الغصبُ
يخيل شعـري أنـه قوم صالح ... هلاكاً وأن الخالـدي له سقب[4]
رعـى بين أعطـانٍ له ومسارحٍ ... فلم ترع فيهـنّ العشـار ولا النجب[5]
وكان رياضـاً غضّـةً فتكدّرت ... مواردهـا واصفـرّ في تربهـا العشب
يساق إلـى الهجـن المقـارف حليه ... وتسلبـه الغـرّ المحجّلـة القبُّ[6]
غصبـت علـى ديباجـه وعقوده ... فديباجـه غصـبٌ كمـا رُوِّع السِّرب
وكنـت إذا ما قلـت شعـراً حدت به ... حداة المطـايا أو تغنّـى به الشَّرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثـة مصدور ... فحـاذروا صـولة مخـدور
قـد أنسـت العالـم غاراته ... في الشعـر غارات المغاوير
أثكلنـي غيد قواف غدت ... أبهـى مـن الغيد المعاطير

---

(١) الوزر : الملجأ والمعين .
(٢) الإعصار : ريحٌ شديدة تصحب بنارٍ أحياناً .
(٣) العرّ : العيب ، والشرّ .
(٤) السقب : ولد الناقة .
(٥) العطن : مبيت الإبل ، والعشار : النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر والنجب : الجمال الأصيلة .
(٦) الهجن : النوق ، والمقارف : الحمر والقبّ : الفحل ، وسيد القوم .

أطيب ريحـاً من نسيم الصبا جاءت بريّا الـورد من جور[1]
مـن بعـد ما فتحـت أنوارها فابتسمـت مثـل الأزاهيـر
وبـات فكري تعبـاً بينهـا ينقشـهـا نقش الدنانيـر
يا وارث الأغفـال ما حبروا مـن القـوافـي والمشاهيـر[2]
أعـط « قفـا نبـك » أمانـاً فقد راحـت بقلـب منـك مذعور

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك في أيام المهلبي الـوزير [من الكامل] :

بكَرَتْ عليك مغيرة الأعراب فاحفـظ ثيابـك يا أبـا الخطابِ
ورد العـراق ربيعـة بن مُكَدَّمٍ وعتيبـة بن الحـارث بن شهاب
أفعندنـا شكٌّ بأنّهمـا هما في الفتـك لا في صحـة الأنساب
جلبـا إليك الشعـر من أوطانه جلـب التِّجـار طرائفَ الأجلاب
فبدائـع الشعـراء فيمـا جهزا مقـرونـة بغـرائـب الكتـاب
شنّـا علـى الآداب أقبـح غارةٍ جرحَـتْ قلـوبَ محاسـن الآداب
فحـذارِ من حركات صِلَّـيْ قفرة وحـذار من حركات ليثَـيْ غاب[3]
لا يسلبـان أخـا الثـراء وإنما يتنـاهبـان نتـائج الألبـاب[4]
إن عزّ موجـود الـكلام عليهما فأنـا الـذي وقف الـكلام ببابي
أو يهبطـا من ذلـة فأنـا الذي ضربـت على الشّرف المطـل قبابي
كم حاولا أمـدي فطـال عليهما أن يدركا إلاّ مثـار ترابي[5]

---

(١) جور : مدينة فيروز أباد ينسب إليها الورد .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الشاعر المجهول .
(٣) الصل : الأفعى .
(٤) نتائج الألباب : أي ما ينتجه الفكر من أدب وغيره .
(٥) أمدي : مجالي .

عجـزاً ولن تقف العبيد إذا جرت ... يوم الرهـان مواقـف الأرباب
ولقـد حميت الشعـر وهـو لمعشر ... ذمٌّ سوى الأسـمـاء والألقاب
وضربـت عنـه المـدّعين وإنما ... عن حوزة الآداب كان ضرابي
فغـدت نبيط الخالـدية تدعي ... شعـري وترفـل في حبير ثيابي[1]
قوم إذا قصـدوا الملـوك لمطلبٍ ... نقضـت عمائمهـم علـى الأبواب
من كل كهـلٍ تستـطير سباله ... لونين بين انـامـل البواب[2]
مُغْضٍ علـى ذلّ الحجـابِ يردُّه ... دامـي الجبين تجهّـم الحجاب
ومُفَـوَّهَيْن تعـرّضـا لحرابتي ... فتعرّضـت لهمـا صدورُ حرابي[3]
نظـرا إلـى شعـرٍ يروق فتربّا ... منـه خدود كواعـبٍ أتراب[4]
شربـاه فاعترفـا لـه بعذوبة ... ولَـرُبَّ عذبٍ عاد سوطَ عذاب
في غارة لم تنثلـم فيهـا الظبا ... ضربـا ولـم تنـدُ القنـا بخضاب
تركت غرائـب منطقـي في غربة ... مسـبيّةٍ لا تهتـدي لإيـاب
جرحـي ومـا ضربـتْ بحـدٍّ مهنّد ... أسـرى ومـا حملـت علـى الأقتاب[5]
لفـظ صقلـت متـونه فكأنه ... في مشرقـات النظـم درٌّ سحاب
وكأنمـا أجـريت في صفحاته ... حرّ اللجين وخـالص الزرياب[6]
أغربـت فـي تحبيره فرواتـه ... في نزهـة منـه وفـي استغراب
وقطعـت فيه شبيبـة لم تشتغل ... عن حسنـه بصبـاً ولا بتصابي
وإذا ترقـرق في الصحيفـة ماؤه ... عبـق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغـي اللبيب له فيقسـم لبّـه ... بين التعجّـب منه والإعجـاب

(١) نبيط : من النبط أخلاط الناس وعوامّهم .
(٢) السبال : الشنب .
(٣) الحرابة : السّلب .
(٤) تربّا : زيّنا ، والكواعب : الفتيات النواهد ، والأتراب : الرفيقات من سنٍّ واحد .
(٥) المهنّد : السيف : والأقتاب : جمع قتب وهو المحمل على ظهر البعير .
(٦) الزرياب : الذهب .

جدٌّ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب
أعززْ عليَّ بأن أرى أشلاءه تدمي بظفر للعدو وناب
أفنٌ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعت ظباء الروم في الأعراب
إني أحذّرُ من يقول قصيدة غرّاء خِذْنَيْ غارةٍ ونهاب
إني نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المنتاب[1]
وإذا نبذت إلى امرىءٍ ميثاقه فليستعدً لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي ، وقد ورد عليه كتاب الخالدّيين بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة [من الخفيف] :

قد أظلَّتْكَ يا أبا إسحاقَ غارة اللفظ والمعاني الدقاقِ
فاتخذ معقلاً لشعرك تحميه مروق الخوارج المرّاق[2]
قبل رقراقه الحديد تريق السسّم في صفو مائه الرّقراق
كان شنّ الغارات في البلد القفر فأضحى على سرير العراق
غارة لم تكن بسمر العوالي حين شنّت ولا السيوف الرّقاق
جال فرسانها عليّ جلوساً لا أقلتهم ظهور العتاق
فجعت أنفس الملوك أبا الهيجاء حربا بأنفس الأعلاق

يعني أبا الهيجاء حرب بن سعيد أخا أبي فراس الحمداني .

بقوافٍ مثلِ الرياض تمشّتْ بين أنوارِها جيادُ السواقي
بدعٌ كالسيوف أرْهفْنَ حسناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقي
مشرقاتٌ تريك لفظاً ومعنىً حمرة الحلْيِ في بياض التراقي[3]

---

(١) نبذت : أرسلت ، والمنتاب : القاصد .
(٢) المروق : الخروج عن الدين وعدم مراعاة أحكامه .
(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

يا لهـا غارةً تفـرق في الحو　　مة بين الحمـام والأطـواق
تسـم الفـارس السـميدع بالعا　　ر وبعـض الإقـدام عارٌ باقي[1]
لـو رأيت القـريض يرعـد منها　　بيـن ذاك الإرعـاد والإبراق
وقلوب الـكلام تخفـق رعبـاً　　تحـت ثني لوائها الخفّاق
وسيوف الظـلام تفتك فيها　　بعـذارى الـطروس والأوراق
والوجـوه الـرقاق دامية الأبـ　　شار في معـرك الوجـوه الصفّاق
لتنفست رحمـة للخـدود الـ　　ـسمـر منهـن والقـدود الرّشاق
والـريـاض التي ألـحّ عليها　　كاذب الـودق صادق الإحراق[2]
والنجـوم التـي تظـل نجـوم الـ　　أرض حسّادها علـى الإشـراق
بعدمـا لحّـن في سمـاء المعالي　　طُلَّعـاً وانتشرن في الآفاق
وتخيّـرت حليهـن فلـم تعـ　　ـد خيار النحـور والأعنـاق
وقـلعت الشبـاب فيه إلـى أن　　همّ بـرد الشبـاب بالإخـلاق[3]
فهـو مثـل المـدام بين صفاء　　وبهـاء ونفحـة ومـذاق
منطـق يخجـل الـربيع إذا حـــلّ عليه السحـاب عقـد النطاق
يا هلال الآداب يا ابـن هلال　　صرف الله عنـك صرف المحاق
سـوف أهـدي إليك من خدم الــمجـد إماءً تعاف قبـح الإباق[4]
كلّ مطبوعـة علـى اسمـك بادٍ　　وسمُهـا في الجبـاه والآماق

* * *

(١) السّميدع : الشجاع .
(٢) الودق : المطر .
(٣) الإخلاق : يقال ثوب خلق : أي رثٌّ بالٍ .
(٤) الإباق : الهروب .

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي ، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة [من الوافر] :

أرى الجزّار هيّجني وولّى فكاشفني وأسرع في انكشافي
ورقّع شعره بعيون شعري فشاب الشّهد بالسّم الذعاف[1]
لقد شقيت بمديتك الأضاحي كما شقيت بغارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل وكدّر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي على فكرٍ أشد من الثّقاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى على الأسماع أو أرج السّلاف
جمعن الحسنيين فمن رياح معنبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمي رقيق طباعها بطباع جافي
معانٍ تستعار من الدياجي وألفاظٌ تقدُّ من الأثافي[2]
كأنّك قاطفٌ منها ثماراً سبقت إليه إبّان القطاف
وشرّ الشعر ما أدّاه فكرٌ تعثّر بين كدٍّ واعتساف[3]
سأشفي الشعر منك بنظم شعرٍ تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي فقفْ لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدب [من الطويل] :

ينافسني في الشعر والشعر كاسدٌ حسودٌ كبا عن غايتي ومعاندُ
وكلٌ غبيٍّ لو يباشر برده لظى النار أضحى حرّها وهو بارد

(١) الذعاف : القاتل المميت .
(٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور « الموقد » .
(٣) الاعتساف : المشقة .

أفيقوا فلن يعطى القريض معلم | وهل يتولى الأغبياءَ عطارد
ولا تمنحوا منه الكرام قلائداً | فليس من الحصباء تهدى القلائد (1)

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانت الدنيا عليك فسيحةً | فاليوم أضحت وهي سَمُّ خياطِ(2)
أسخطتني وجناة عيشك حلوةٌ | فجنيت مرَّ العيش من إسخاطي
وعلمت إذ كلفت نفسك غايتي | أنَّ الرياح بعيدة الأشواط
أترومني وعلى السّماك محلّتي | شرفاً وبين الفرقدَيْن صراطي
من بعد ما رفع الأكابر مجلسي | فجلست بين مؤمِّلٍ وسماط
وغدت صوارم منطقي مشهورة | بين العراق تهزّ والفسطاط
وقد امتحنت دعاويا لك بينت | عن بحر تمويهٍ بعيد الشاطي
فرأيت علمك من خراً وخراطةٍ | ووجدت شعرك من فسا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤساً لعرس الخالدي بوسا | أكلَّ يوم تغتدي عروسا
خلته واعتاضت فتى نفيساً | وفارقت من نتنه ناووسا
فصادفت ربع هوى مأنوساً | وبدّلت من رخمٍ طاوسا (3)
وكيف تهوى وجهه العبوسا | وهي ترى الأقمار والشموسا

* * *

هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً يتصابب ، ويتعصب للخالديين على السري ، وكان السري

(1) القلائد : جمع قلادة وهي العقد الذي يوضع في العنق ، والحصباء : الحصى .
(2) سمّ خياط : أي ضيقه كفتحة الإبرة .
(3) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش .

يهجوه جاداً وهازلاً ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجبٍ أن الغبييْن أبرقا ... مغيريْن في أقطار شعري وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي ... إلى نسبٍ في الخالدية أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى ... تجرّد لي بالسبّ فيمن تجردا
وعندي له لو كان كفواً قوارصي ... قوارص ينشرن الدلاص المسرّدا[1]
ومغموسةٍ في الشّرْي والأرْي هذه ... ليردي بها باغٍ وتلك لترتدي[2]
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها ... وأطلقتها خزر النواظر شرَّدا[3]
ولست لجدٍّ القول أهلاً وإنّما ... أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبتَ لفتيان البطالة قبَّةً ... ليدخلها الفتيان كهلا وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم ... فسهّلته حتى رأوْه معبَّدا
وكم لذةٍ لا منَّ فيها ولا أذى ... هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
قصدتهمُ وزناً فساويت بينهم ... ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وجئتهمُ قبل ارتداد جفونهم ... بمائدةٍ تكسي الشرائح والمدى
ومبيضّةٍ ممّا قراه محمدٌ ... أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نثرت عليها البقل غضّاً كأنّما ... نثرت على حرّ اللّجيْن الزبرجدا
ومصبوغةٍ بالزعفران عريضة ... كأنّ على أعطافها منه مُجسدا
تريك وقد غطّت بياضاً بصفرة ... مثالاً من الكافور ألبس عسجدا[4]
فحفَّ بها منهم كهولٌ وفتيةٌ ... كأنّهم عقدٌ يحفّ مقلّدا

---

(١) الدلاص : الدروع . . والمسرّد : المنسوج المصنّع .
(٢) الشري والأري : الشري : الحنضل ، والأري : الشهد .
(٣) خزر النواظر : أي العيون التي فيها ضيق .
(٤) العسجد : الذهب والجوهر .

فلا نظر الداعي إلى الزاد كفّهم ... ولا خجلة المدعو ردّت لهم يدا
وملت بهم من غير فضلٍ عليهمُ ... إلى الورد غضاً والشراب مورَّدا
مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهّدا
معدّاً لهم في كل يوم مجدّدٍ ... من الراح والريحان عيشا مجدَّدا
إذا وصلوا أضحى الخوان مدبّجا ... وإن هجروا أضحى سليباً مجردا[1]
وإن شرعوا في لذّةٍ كنت بيعةً ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا
لك القبّة العلياء أوضحْت نهجها ... وأطلعت منها للفتوّة فرقدا
يصادف منها الزور عيشاً مبرّداً ... وباطيةً ملأى وظبياً مغرِّدا[2]
وقد فضلت شمّ القباب لأنّني ... نصبت عليها بالقصائد مطْردا[3]

وقوله فيه [من الطويل] :

طوى ودّه الملحيّ عني فانطوى ... وقد كان لي خلاّفاً فأعرض والتوى
دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه متّ من الطوى[4]
وقال أتاك الحلْي قلت ممازحاً ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى
وناولني مسْودَّةً لو قرنتها ... إلى القار كانا في سوادهما سوا
وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى
وفضّل في الشعر امرأً غير فاضلٍ ... فقلت له أمسكْ نطقت عن الهوى
ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى[5]

---

(1) الخوان : ما يوضع عليه الطعام وقت الأكل .
(2) الباطية : الإناء .
(3) المطرد : من الطرد ، وهو الابعاد .
(4) الطوى : الجوع .
(5) الثقاف : بكسر الثاء ، ما تسوّى به الرمّاح .

وقوله فيه [من الوافر] :

سـل الملحـيَّ كيف رأى عقابي وكيف وقـد أثـاب رأي ثوابي[1]
سقانـي الهاشمـي فسـلَّ ضغني وأغمـد عنـه تأنيبـي ونابي

أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي ، ولهذا قال :

* سقاني الهاشمي فسل ضغني * الخ

وقـال أخـو المـودة والتصافي وعـون أخـي الصبابـة والتصابي
وشيخٍ طاب أخلاقـاً فأضحى أحـبَّ إلـي الشبـاب من الشباب
لـه قفصٌ إذا اسـتخفيت فيه أمنْـت فلـم تنلك يد الطلاب
طـرقنـاه وقنـديـل الثريا يحـطُّ وفـارس الظلمـاء كابـي
فرحَّـبَ واستمـال وقـال حطَّتْ ركابـكُـمُ بأفنيةٍ رحـاب
وحضَّ علـى المناهـدة الندامى بألفـاظ مهـذَّبـة عـذاب
وقـال تيممـوا الأبـواب منها فكلٌّ جاء مـن تلقـاء باب
فهـذا قال قدر من طعام وهـذا قال دنٌّ من شراب
وهـذا قال ريحـانٌ ونقلٌ وثلـجٌ مثـل رقـراق السراب[2]
وسمـح القـوم من سمحـت يداه بخـدر غريرةٍ بكرٍ كَعاب[3]
فتـمَّ لهـم بذلك لهـو يوم غريب الحسـن عذب مستطاب
إذا العـبء الثقيل توزَّعَتْه أكفُّ القـوم خفَّ علـى الرقاب

وقوله فيه [من الرجز] :

أقـررْتَ يا ابـن العصـب العيونا ورحْـتَ حبـلاً للخنـا متيناً[4]

---

(١) أثاب : استيقظ .
(٢) النقل : ما يؤكل مع الشراب من فستقٍ وفواكه وغيرهما .
(٣) سمح القوم : جوادهم وكريمهم .
(٤) ابن العصب : ابن الزنا وابن الجماعة والخنا : الفحش .

علّمت قوماً كيف يقصفونا ... فاطَّرَحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آمنينا ... فأكلوا يومهُمُ سمينا
ولم يكن سرورهم ممنونا ... يا من يرى نزف الدنان دينا
ومن يداري العيش كي يلينا ... ما العيش إلا للمناهدينا [1]
مؤونةٌ قضت على عشرينا ... ولو تفرَّدنا بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحيِّ إنَّ بها ... ظبياً من الإنس مبذول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا ... فنهتدي لخليعٍ منه ضِلِّيل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته ... إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرقْ ... كأس الحياء بضمٍّ أو بتقبيل
فزدت إذ زرته قنديل بيعته ... فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قدْ وهى سترٌ رقيقُ ... ومضى ودٌّ عليلُ
قَصُرَتْ أيامنا البيـ ... ـضُ وفي يومك طول
دعوة ينتسب القحـ ... ـط إليها والمحول
ليس إلا العطش القا ... تل والماء الثقيل
مجلسٌ فيه لأربا ... ب الخنا قالٌ وقيل [2]
وضراط مثل ما انشـ ... ـقَّ الدبيقيُّ الصقيل [3]
فإذا اختالت خلال الـ ... ـشرب عذراء شمول

---

(١) المناهدين : المناهضين المخاصمين .
(٢) أرباب الخنا : أصحاب الفحش وقال وقيل : كناية عن القول الكثير .
(٣) الدبيقي : المنسوب إلى دبيق ، بلد بمصر .

لعبـت أيدٍ لهـا أقـ ـفيةُ القوم طبـول
لسـت من شكلك والنا س ضروبٌ وشكـول[1]
أنـت للحـاجـة حتـى يصـدر الـورد خليـل
فاقطـع الرسـل فقـد أز رى بنـا منـك الرسول

وقوله فيه [من المنسرح] :

شيخ لنـا من شيوخ بغداذ أغـذَّ في القصف أيَّ إغذاذِ[2]
رقَّ طباعـاً ومنطقـاً فغدا وراح في المسـتشفٌ كاللاذ[3]
تظـنُّ تحـت الأكفِّ هامته إذا علتهـا طنين فـولاذ
قوّاد إخوانـه فإن ظمئوا سقاهـمُ الـراح سقـيَ نبّاذ[4]
له علـى الشـط غرفـةٌ جمعت كلَّ خليعٍ نشـا ببغداذ
أعـد فيهـا ابنـة الشبـاك لهم ممكورة الجنب في ابنـة الداذي[5]
ولـذّةٍ من صبـاح قطربُلٍ وجـؤذرا من ملاح كلواذ[6]
يقـول للـزائـر الملـمِّ به أوَصْـلُ هذا ألـذُّ أم هذي ؟
وشاعـر جوهـر الـكلام له ملك فمـن تارك وأخّاذ
وخير ما فيه أنّـه رجلٌ يخدمنـي الدهـر وهـو أستاذي
إذا انتشـى أقبلت أنامله تنشـر ميتـاً خـلال أفخاذي[7]

وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة

(١) ضروبٌ وشكول : أي أشكالٌ وألوان .
(٢) أغذّ : أسرع وأمعن .
(٣) اللاذ : حرير أحمر صيني .
(٤) قوّاد : أي من يقودهم إلى الضلالة والراح الخمر .
(٥) ابنة الشباك : أي التي تصيدهم وممكورة : مصبوغة ، أو مسقيّة والراذي : شراب الفسّاق .
(٦) كلواذ : قرية أسفل بغداد .
(٧) تنشر : تحيي وتبعث .

وسقاه نبيذ الدبس وماء بئر يعرف بكرخايا[1] [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحيَّ راح بنا صبًّا ... نباغضه عمداً ويوسعنا حبًّا
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمتْ ... خلائق يستوفي لصاحبها السَّبا
تيمّم كرخايا فجاد قليبها ... عليه وما شرب القليب لنا شربا[2]
وأحضرنا محبوسة طول ليلها ... معذَّبة بالنار مُسْعرة كربا
تخيَّر من رطب الذؤابة لحمها ... ومن يابس الحبِّ النقيِّ لها حبا
وساهرها ليلاً يضيِّق سجنها ... فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتْها الريح راحت كأنها ... تمسَّح موتي كشّفت عنهم التربا
وداذيّة تنهي الصباح إذا بدا ... وتفسد أنفاس النسيم إذا هبَّا[3]
شراب يغضّ الطرف عنه وعمره ... ثلاثة أيامٍ وقد شبَّ لا شبا
يحدّ بأطراف النهار وما افترى ... ولا كان خدناً للجناة ولا تربا[4]
فلما تراءت للجميع إزاءنا ... عجبت لمضروبيْن ما جنَيَا ذنبا

وقوله فيه [من الخفيف] :

أربعاءٌ حسامه مشهور ... حين يأتي وشره محذورُ
نتوقّاه أول الشهر إن دا ... ر ونخشاه آخراً لا يدور
فاغدُ سراً بنا إلى قفص الملـ ... ـحيِّ فالعيش فيه غضٌّ نضير
نتوارى من الحوادث والدهـ ... ـر خبير بمن توارى بصير
مجلسٌ في فناء دجلة يرتا ... ح إليه الخليع والمستور
طائرٌ في الهواء فالبرق يسري ... دون أعلاه والحمام يطير

---

(١) كرخايا : مسيل يفيض الماء من عمودٍ على نهر عيسى ببغداد .
(٢) القليب : البئر .
(٣) الداذية : شراب الفسّاق .
(٤) الخدن : الصاحب . والترب : الرفيق من سنٍّ واحد .

وإذا الغيم سار أسبل منه كللٌ دون خدره وستور
وإذا غارت الكواكب صبحاً فهو الكوكب الذي لا يغور
ليس فيه إلا خمار وخمر ومَمات من نشوة ونشور
وحديث كأنه زَهَرُ المنـ ـثور حسناً أو لؤلؤٌ منثور
وجريحٌ من الدنان تسيل الـ ـراح من جرحه وقِدْرٌ تفور
ولك الظبية الغريرة إن شئـ ـت وإن عفْتَها فظَبيٌ غرير
فتمتّعْ بما تشاء نهاراً ثم بتْ مُعْرِساً وأنت أمير[1]
كل هذا بدرهمين فإن زد ت فأنت المبجَّلُ المحبور[2]

وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

شققت قذال الخالديّ بمنطقٍ يشقُّ من الأعداء كل قذالِ[3]
وناضلني الملحيُّ عنه فأصبحت جوارحه مجروحةً بنبال
وقد كان يُخلي بيته لمآربي إذا زار إلفٌ أو حبا بوصال
على أنه يكريه يوماً بخمسة موجّهة بيض الوجوه ثقال[4]
تحلّت بذكر الله من كلّ جانب فهنَّ بذكر الله خير حوالي
يبيح بها الملحي طوراً قذاله وطوراً حريمي منزلٍ وعيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالةٍ مهفهفة الكشحيْن أو بغزال[5]
فقدِّمْ له الجدي الرضيع وثنِّهِ بعذراءَ من ماء الكروم زلال
ولا تلْقهُ إلاّ بخير وسيلةٍ يلوح على وجهيه خير مقال

---

(١) المعرس : أي صاحب عرس .
(٢) المحبور : المسرور ، والمبجّل : المعظّم .
(٣) القذال : القفا ، مكان الصفع .
(٤) يكريه : يؤجّره .
(٥) الكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

بباز إذا أرسلته صاد كلّ ما تروم به أو نال كل منال

وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحيّ يثني اليوم من أثنى
على الجلْد وإن صاد ف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً شديدَ الحرِّ فالتحنا
ولم يحو به الأجر ولم نعدم به المنّا
جياعاً نصف الزيتو ن لو أمكن والجبنا
ونطري السمك البنيّ والجردق والبنّا[1]
وكنا ننثر الدرّ من اللفظ فخلَّطنا
فلو طارت بنا ضعفاً صبا لاعبةٍ طرنا
ولو أنا دعونا اللـ ـه في دعوته فزنا
إلى أن كبَّرَ العصرَ وهلَّلنا فكبرنا
ونشٌّ السمكُ المقلوٌّ بالقرب فسبّحنا
وقلنا هذه الرحمة جاءت فأظلَّتْنا
وظَلْنا إذ رأينا الخبز ندنو قبل نُستدنى
إلى مائدةٍ حُفَّتْ بها أرغفةٌ متنى
عليها البقل لا نلحقه بالخلّ أو يفنى
ومنسوبٌ إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنّا
طوى أقرانه الدهر فلم تبقِ له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعْته لعنا

---

(١) نطري : من الإطراء ، وهو المدح ، والجردق : نوعٌ من الخبز .

حللنا عقد الشّوا ء عن جسم له مضنى
ومزّقنا له درعاً يواري أعظماً حجنا[1]
نردُّ اليد بالخيبة عن أقربها مجنى
فما تمَّ لنا الإفطار بالقوت ولا صمنا
وطاف الشيخ بالدنٍّ إلى أن نزف الدنّا
فأدنى كدر العيش بها لا كان ما أدنى
مدامٌ تجلب الهمَّ ولا تطرده عنّا
فلا النفس بها سرّتْ ولا القلب لها حنّا
كأنّ شرابه مطبوخٌ على راحته اليمنى
وفاح البخر القاتل منه فتبخّرْنا
وقال اغتنموا وصل فتاةٍ برعت حسنا
فجاءت تخجل البدر وغصن البانة اللّدْنا[2]
وتصطاد قلوب الشّرْب أجفانٌ لها وسنى
فكدنا وأبى الله لنا والشِّيَمُ الحسنى[3]
وقمنا نعطف الأزر على العفّة إذ قمنا
وقلنا يا لحاك الله نزني بعد ما شبنا!
فأبدى الأنس للقوم وأخفى الحقد والضّغنا
هو الشنُّ وما وافق منّا طبقٌ شنا[4]

---

(١) الحجن : المعوجة ، واحدها حجناء .

(٢) اللدن : الطري الناعم .

(٣) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نفعل ، وله نظائر في العربية منها قول العرب :
من تأنّى نال أو كاد .

والشيم : الصفات والمزايا .

(٤) الشنّ : الوعاء البالي .

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحيِّ عرضٌ مستباحُ
وقفاً فيه لأيدي الشرب جِدٌّ ومزاح
هو للصفع قريحٌ وهو للرحب قراح
وقريضٌ مثلما تنطق باللغو الفقاح[1]
لست أدري أسلاح لك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري

وما أراني أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قوله [من البسيط] :

قسمت قلبيَ بين الهمِّ والكمد ... ومقلتي بين فيض الدمع والسَّهدِ
ورحت في الحسن أشكالاً مقسَّمةً ... بين الهلال وبين الغصن والعقَد
أريتني مطراً ينهلُّ ساكنه ... من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروّى ماؤها ظمئي ... بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما ... أبقى الغرام على صبري ولا جلَدي[2]

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلاني الحب منك بما بلاني ... فشأني أن تفيض غروب شاني[3]
أبيت الليل مرتفقاً أناجي ... بصدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ... ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنتِ الخيام به فأهلا ... بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تمٍّ ... وبين عمادها أغصانُ بان

---

(١) الفقاح : جمع فقحة وهي فتحة المؤخّرة .
(٢) الشؤن : مجاري الدمع .
(٣) الغروب : الدلو ، وهو يريد هنا محبس الدمع في العين .

ومُذْهبة الخدود بجلّنار مفضّضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ريّاك ريا وحيّانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمّن نهاني دموعٌ فيك تلحي من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحبّ أحلى في جناني
فيا ولع العواذل خلِّ عنّي ويا كفّ الغرام خذي عناني[1]

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى تجول في جنح ليلٍ مظلمٍ داجي[2]
مقدودةٌ خرطت أيدي الشباب لها حقّين دون مجال العقد من عاج[3]
عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدّها بحمرٍ لطاف نال منها عذاب بيض عذابِ
فتشكّى العنّاب نوْر الأقاحي واشتكى الورد ناضر العنّاب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخوط البانة الـ ـميّاس في أثوابها
ويهزُّها سكران سكـ ـر شرابها وشبابها
تسعى بصهباوين من ألحاظها وشرابها
فكأنّ كأس مدامها لمّا ارتدت بحبابها[4]
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

---

(١) العنان : الزمام .
(٢) السجوف : الستائر .
(٣) الحقّ : وعاء الطيب .
(٤) الحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

وقال [من الكامل] :

لبستْ مصندلة الثياب فمن رأى ... صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكتْ من الظبي الغرير ثلاثةً ... جيداً وطرفاً فاتراً وإهابا[1]

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها ... وإن سفرت كان الحياء نقابها
حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى ... مشارب يهوى كلّ ظامٍ شرابها
ألاحظها لحظ الطَّريد محله ... وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى ... وهناً فوشّح روضه بسلاسلِ
أذكرتْنا النشوات في ظل الصّبا ... والعيش في سنة الزمان الغافل[2]
أيام أستر صبوتي من كاشحٍ ... عمداً وأسرق لذّتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تثنّى البرق يذكْرني الثنايا ... على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي ... وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلاّ سكرةً ... رحلت لذاذتها وحلّ خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلةٍ شمّرتْ للراح رائحاً ... وبتُّ لغزلان الصَّريم مغازلا[3]

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) السنة : النعاس والغفوة .
(٣) الصريم : القطعة من الرمل .

وحلَّيْتُ كأسي والسماء بحليها فما عطّلت حتى بدا الأفق عاطلا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أمحلّ صبوتنا دعاء مشوق يرتاح منك إلى الهوى الموموقِ
هل أطرقنَّ العمر بين عصابة سلكوا إلى اللّذات كلّ طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمّماً برداء غيمٍ كالرداء رقيق
وقلا ليَ الدير التي لولا النوى لم أرْمها بقلى ولا بعقوق[1]
محمّرة الجدران ينفح طيبها فكأنها مبنية بخلوق
ومحل خاشعة القلوب تغردوا بالذكر بين فروقه وفروقي
أغشاه بين منافقٍ متجملٍ ومناضلٍ عن كفره زنديق
وأغنّ تحسب جيده إبريقه ما دام يسفح عبرة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً يحسبن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفكار وهي كأنها رقراق صادرةً عن الراووق[2]
دهرٌ ترفّق بي فواقاً صرفه وسطا عليَّ فكان غير رفيق[3]
فمتى أزور قباب مشرقة الذرى فأورد بين النسر والعيوق
وأرى الصوامع في غوارب أكْمها مثل الهوادج في غوارب نوق[4]

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته .

حمراً تلوح خلالها بيض كما فصِّلْتَ بالكافور سمط عقيق[5]

---

(١) قلا : أبغض . والقلى : الكره .
(٢) الراووق : المصفاة ، والكأس .
(٣) الفواق : يقال فوّق السهم أي أراشه أي أن أحداثه كالسهام .
(٤) أكمها : جمع أكمة نهي التلّة العالية .
(٥) السمط: العقد .

كلفٌ تذكّر قبل ناهية النهى ... ظلّين ظلّ هوى وظلّ حديق (١)
فتفرّقت عبراته في خدّه ... إذ لا مجير له من التفريق

* * *

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة في الوزير المهلبي [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلي بشموله ... وظلاله ممزوجةً بشماله (٢)
حتى حسبت الورد من أشجاره ... يجني أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله ... جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكْني عن البلد البعيد بغيره ... وأردُّ عنه عنان قلبٍ مائلِ
وأود لو فعل الحيا بسهوله ... وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى ... مثل السهام مرقْن منه مروقا
والفجر مصقول الرداء كأنّه ... جلباب خوْدٍ أشْربتْه خلوقا (٣)
أغمامةٌ بالشام شمْنَ بروقها ... أم شمن من شيم الأمير بروقا (٤)

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جَنَبَتْها الجنوب ... حسبْت العشار تؤمُّ العشارا (٥)
ترى البرق يبسم سراً بها ... إذا انتحب الرعد فيها جهارا

---

(١) كلف : عاشق .
(٢) الشمائل : الصفات الكريمة والشمول : الخمر .
(٣) الخود : الفتاة الناعمة ، وأشربته خلوقا : أي دمجته بالطيب .
(٤) شمن : ترقبن .
(٥) العشار : النوق .

إذا ما تنمَّر وسميُّها تَعَصْفَرَ بارقُها فاستطارا[1]
يعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض دراً صغارا
فطوراً يشقُّ جيوب الحيا وطوراً يسحُّ الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الرّبا شمائله فاشتملن المعارا

* * *

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحبا الحسود وليس من أحبابه
فالغيث يخجل أن يلمَّ بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للمبتغي إدراك سؤدده خفِّضْ عليك أليس النجم مطلوبا
إن تطلب السّلم تسلم من صوارمه أو تؤثر الحرب ترجعْ عنه محروبا[2]
كم من جبينٍ أزار السيف صفحته لعاد طرساً بحدٍّ السيف مكتوبا
وكم له في الوغى من طعنةٍ نظمتْ عداه أو نثرت رمحاً أنابيبا

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل يرْ دي إن طما والدهر يصمي إن رمى
شتّى الخلال يروح إمّا سالباً نعم العدى قسراً وإما منْعما
مثل الشهاب أصاب فجّاً معشباً بحريقه وأضاء فجاً مظلما
أو كالغمام الجوْن إن بعث الحيا أحيا وإن بعث الصواعق ضرّما[3]

---

(١) تعصفر : لمع ، والعصفر : صبغ أصفر يستخرج من النبات .
(٢) المحروب : المحزون .
(٣) ضرّما : ألهب وأشعل .

أو كالحسام إذا تبسّم متنه عبس الرّدى في حدّه فتجهّما
كلف بدرّ الحمد يبرم سلكه حتى ترى عقداً عليه منظّما
ويلمُّ من شعث العلا بشمائل أحلى من اللّعس الممنّع واللّمى[1]

ومن أخرى [من الكامل] :

خلقٌ سهول المكرمات سهوله وتوعّر الأيام من أوعاره
إن لاح فهو الصبح في أنواره أو فاح فهو الروض في نواره

ومن أخرى [من الوافر] :

لقد شرفَتْ بسؤددك القوافي وفاز بمجدك الشرف التليدُ
فيوم الحرب تطربك المذاكي ويوم السلم يطربك النشيد[2]

ومن أخرى [من المتقارب] :

ومقتبل السنّ سن الندى فأعطى الفتوة حق الفتاءِ
بكفٍّ ترقرق ماء الحياة ووجهٍ يرقرق ماء الحياء

ومن أخرى [من الكامل] :

أما السماح فقد تبسم نوره بعد الذبول وعاد نور ذبالهِ[3]
أطلقْت من أغلاله وشفيت من أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب أضاء عموده في رفعة كالصبح فيه ترفُّعٌ وضياءُ

---

(١) يلمّ : يجمع ، والشعث : التفرّق واللعس واللمى : السمرة في الشفاه .
(٢) المذاكي : جياد الخيل .
(٣) الذبال : الفتيل في السراج .

وشمائـل شهـد العـداة بفضلها والفضـل ما شهـدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقـة الألفـاظ منطقه درّ العقـود غدت محلولـة العقدِ
جعلتـه جُنّـةً من كلّ نائبةٍ ورحـت من جوده في جنـة الخلد[1]

* * *

المدح بالبأس ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطـر الإحسـان ممطور ومـرتجيك بغمـر الجـود مغمورُ
والبيض ظلٌّ عليك الدهـر منتشرٌ والنقـع جيب عليك الدهـر مزرور[2]
والشـرك قد هتـكت أستـار بيضته بحـدِّ سيفـك والإسـلام منشور
كم وقعـةٍ لك شبَّتْ في الضـلال بها نارٌ فأشـرق منهـا في الهـدى نور
ونهضـةٍ خرَّ فسطـاط الكفـور لها خوفـاً وأذعـن بالفسطـاط كافور[3]

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيفٌ تمنّـى السيف شيمته ودولـةٌ حَسَدَتْهـا فخرَهـا الدولُ
وعاشـقٌ خيلاء الخيل مبتذلٌ نفسـاً تصـان المعالـي حين تبتذل
أشـمّ تبـدي الحصـون الشـمّ طاعته خوفـاً ويسلـم من فيهـا ويرتحل
تشوقـه ورمـاح الخـط مشرعةٌ نجل الجـراح بهـا لا الأعين النجل[4]

(١) الجنّة : الدرع والستر .
(٢) النقع : الغبار ، ومزرور : مقفل .
(٣) الفسطاط : القبّة تضرب للسلطان .
(٤) الخط : بلدٌ مشهورة بالرماح . والنجل : الواسعة .

كأنه وهجير الروع يلفحه ... نشوان مد عليه ظلَّه الأسل[1]
فالصافنات حشاياه وإن قلقت ... والسابغات وإن أَوْهَتْ له حلل[2]
لما تمزَّقتِ الأغماد عن شغلٍ ... تمزقت عن سنا أقمارها الكلل
أكرم بسيفك فيها صائلاً غزلاً ... يفري الشؤون وتثني غربَه المقل[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

ولربَّ يومٍ لا تزال جياده ... تطأ الوشيج مخضّباً ومحطّما[4]
معقودةٌ غرر الجياد بنقعه ... وحجولها مما تخوض من الدِّما[5]
يلقاك من وضح الحديد موضِّحاً ... طوراً ومن رَهَج السنابك أدهما[6]
أقدمت تفترس الفوارس جرأةً ... فيه وقد هاب الردى أن يقْدما
والندب من لقي الأسنة سافراً ... وثنى الأعنة بالعجاج ملثّما

ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلب عامه في السلم يومٌ ... ولكن يومه في الحرب عامُ
يُهجِّرُ والرماح عليه ظلٌّ ... ويسفر والعجاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيشٌ إذا لاقى العدو صدوره ... لم يلق للأعجاز منه لحوقا
حجبت له شمس النهار وأشرقت ... شمس الحديد بجانبيه شروقا

---

(١) الأسل : الرماح .
(٢) الصافنات : كرام الخيل ، والسابغات : الدروع .
(٣) يفري : يقطع ، والشئون : مجاري الدمع وغربة المقل : أي دمعها الذي لا ينقطع .
(٤) الوشيج : شجر نصنع من أغصانه الرماح .
(٥) غرر الجياد : البياض الذي في وجوههن .
(٦) الرهج : الغبار . والسنابك : الأطراف . والأدهم : الأسود .

ومن أخرى [من الكامل] :

كم معــركٍ عرك القنــا أبطاله فسقاهــمُ في النَّقــع سمّــاً ناقعا
هبَّــتْ رياحــك في ذراه سمائما وغـدت سمــاؤك تستهــلُّ فجائعا
فتــركْتَ من حرّ الحــديد مصائفاً فيه ومــن فيض الدمــاء مرابعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحــى أدهــم بالنقــع فإن ضحــكت فيه الظبــا كان أغرّ
مــوقفٌ لو لم يكن ناراً إذن لم تكن رزقٌ عواليه شرر
ينظــم الطعــن كلــى أعدائه وعقــود الهــام فيـه تنتثر

* * *

العتــاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلــى كم أحبِّــرُ فيك المديح ويلقــى سواي لديك الحبورا
لهمَّــتْ عرائســه أن تصدَّ وهمــت كواكبــه أن تغورا
أيسلمنــي بعــد أن رحــت لي علــى نُوب الدهــر جاراً مجيرا
وأسفــر حظِّــيَ لمــا رآ ك بينــي وبين الليالــي سفيرا
سأهــدي إليك نسيم العتاب وأضمــر من حرِّ عتْــبٍ سعيرا

وقال في معناه [من الوافر] :

أبــا الهيجــاء أصبحــت القوافي تخــبُّ إليك حجّــاً واعتمارا(١)
عتابــاً كالنسيم جرى لعتبٍ يضــرِّمُ في الحشــى منــي استعارا

---

(١) أبا الهيجاء : يعني سيف الدولة الحمداني .

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً [من الطويل] :

رأيتـك تبـري للصـديق نوافذاً عدوك من أمثالهـا الدهـر آمنُ
وتـكْشف أسـرار الأخـلاّء مازحاً ويا ربَّ مزحٍ راح وهـو ضغائن
سأحفـظ ما بينـي وبينـك صائناً عهـودك إن الحـرَّ للعهـد صائن
وألقـاك بالبشـر الجميل مداهناً فلـي منـك خِلٌّ ما عرفـت مداهن
أنـمّ بمـا استودعْتـه من زجاجةٍ ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطـن (١)

وقال في مثل ذلك [من الوافر] :

ثَنَتْنـي عنـك فاستشعـرت هجراً خلال فيك لسـت لهـا براضٍ
وأنـك كلمـا استودعـت سرّاً أنـمُّ من النسيم علـى الرياض

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لسانـك السيف لا يخفـى له أثرٌ وأنـت كالصِّـلِّ لا تبقي ولا تذرُ
سرّي لديك كأسـرار الزجاجـة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشعـر كسـراً لا انجبـار له فللزجاجـة كسـرٌ ليس ينجبر

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منـك ثمـاراً لسـت أجنيها وأرتجـي الحـال قد حلَّـتْ أواخيها
أستـودع الله خِلاًّ منـك أوسعه وداً ويوسعنـي غشّـاً وتمويها
كأن سِرِّيَ في أحشائـه لهبٌ فمـا تطيق له طيّاً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلةً ضنينةً بالذي تخفـي نواحيها
فصـار من بعـد ما استودعـت جوهرةً رقيقـةً تسـتشفُّ العين ما فيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفـنَّ من العتـاب وقرصه فالمسـك يُسحـق كي يزيد فضائلا

---

(١) أنمّ : أدلُّ .

ما أحــرق العــود الــذي أشممته خطــأً ولا غُمَّ البنفســج باطلا[1]

* * *

هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أمــا ترى الجــوَّ يجلــي في مُمَسَّكَةٍ والأرض تختــال في أبرادهــا القشبِ
إذا ألــحَّ حســام البــرق مؤتلقاً في الومض جدَّ خطيب الرعد في الخطب[2]
والـريح وسنـى خلال الـروض وانيةً فمــا يراع لهــا مستيقــظ الترب[3]

وقال من أخرى [من الرمل] :

شاقنــي مستشــرف الــدير وقد راح صوب المــزن فيه وبكرْ
أهــواءً رقَّ فــي أرجائـه أم هوى راق فمــا فيه كدر
أم خدودٌ سفــرت عن وردها أم ربيع عن جنــى الــورد سفر[4]
مجلسٌ ينصــرف الشــرب وما طُوِيَتْ من بُسْطــه تلك الحُبُر
وكأنّ الشــمس فيــه نثرت ورقــاً ما بين أوراق الشجر
بين غُدْرٍ تقــع الـطير بها فتــراهــن رياضــاً فــي غُدُر
ونسيمٍ وكره الـروض فـإن طار في الصبـح ارتدينـاه عطر

(١) غمّ : أخفي ، أو من الغمّ : الحزن .
(٢) الومض : البريق .
(٣) وسنى : ناعسة ذابلة .
(٤) سفرت : كشفت وأبدت .
(٥) الحبر : جمع حبرة ، وهو الثوب الموشى .

وثــرىً يشـــهـد بالـطيب لـه		عبـقٌ خالف أطـراف الأزر
وغيومٍ نشــرت أعلامهــا		فلهـــا ظـلٌ علينـا منتشــر

ومن أخرى [من الكامل] :

وحدائــقٍ يسْـبيك وشــيُ برودها		حتــى تشبِّههـــا سبــائـب عبقـرِ[1]
يجـري النَّسيم خلالهـــا وكأنما		غمســت فضـول ردائـه في العنبر
باتـت قلـوب المحـل تخفـق بينها		بخفـوق رايات السحــاب الممطر
من كل نائــي الحجــرتين مُوَلَّعٍ		بالبـــرق دانـي الـظلتيْن مشهَّـر
تحـدي بألسنـة الرعــود عشاره		فيسير بيـن مغـرِّدٍ ومزمجر[2]
طارت عقيقــة برقــه فكأنمـا		صدعــت مُمَسَّـكَ غيمـه بمعصفر[3]

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحـك الـروض محلَّـى المنزل		سبْطِ هبـوبِ الـريح جعـدِ المنهلِ
موشَّــح بالنّـــور أو مكلل		مفروجــة حلتــه عـن جدول
أقبــلَ قد غصٌ بمــدٍّ مقبل		والــطير ينقضُّ عليه من عل

* تساقط الوشي على المصندل *[4]

وقال في الورد [من السريع] :

لـــو رحّبــت كأسٌ بذي زورةٍ		لرحّبــت بالـــورد إذ زارها
جــاء فخلنــاه خدوداً بدت		مُضْرمــةً من خجــلٍ نارها
وعطّــر الــدنيا فطابــه به		لا عدمـــت دنياه عطّارها

---

(1) السبائب : الطرق . عبقر : موضع زعم العرب أنه موطن للجن .
(2) تحدي : تسوق .
(3) العقيقة : واحدة العقيق ، وهو الخرز الأحمر .
(4) المصندل : من الصندل وهو شجر هندي أبيض الزهر طيب الرائحة .

وقال في وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عنَّ لهـوٌ أو سنحْ   فاغـدُ إلـى الـراح ورحْ
رضيت أن أحظـى بعزّ   الـكأس والحظ منح
وصاحـبٍ يقـدح لي   نار السـرور بالقـدح
فـي روضـةٍ قد لبست   من لؤلـؤ الطـلّ سبح[1]
يألفنـي حمامهـا   مغتبقـاً ومصطبـح[2]
أوقظـه بالعـزف أو   يوقـظني إذا صدح
والجـوّ في ممسَّكٍ   طـرازه قوس قزح
يبـكي بلا حـزنٍ كما   يضحـك مـن غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هفـا طربـاً في أوان الطرب   فأنخـب أقـداحـه كالنخبْ
وغنّـى ارتياحـاً إلـى عارضٍ   يغني وعَبـرتـه تنسكب[3]
غيومٌ تمسّـك أفـق السماء   وبـرقٌ يُكتِّبُهُ بالذهـب
وخضـراء ينثـر فيهـا الندى   فريد ندىً ما له من ثقب
فأنوارهـا مثـل نظـم الحلى   وأنهارهـا مثـل بيضِ القضُب[4]
حللـت بهـا مع ندامـى سلوا   عن الجِـدِّ واشتهـروا باللعب
وأغنتهـمُ عن بديع السماع   بدائـع ما ضمِّنتـه الكتـب
وأحسـن شيءٍ ربيع الحيا   أضيف إليه ربيـع الأدب

(١) السبح : العقد .
(٢) الاغتباق : الشرب مساء والصبوح : الشرب صباحاً .
(٣) العبرة : الدمعة . وتنسكب : تذرف .
(٤) القضب : السيوف .

وقال في وصف البرد [من الكامل] :

يومٌ خلعتُ به عذاري ... فعريتُ من حلل الوقارِ
وضحكتُ فيه إلى الصبا ... والشيب يضحك في عذاري
متلوّنٌ يبدي لنا ... طرفاً بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا ... ء وغيمه جافى الإزار
يبكي فيجمد دمعه ... والبرق يكحله بنار

* * *

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب [من الطويل] :

أعاذل إنّ النائباتِ بمرصدِ ... وإن سرور المرء غير مخلَّدِ
إذا ما مضى يوم من العيش صالح ... فصِلْهُ بيومٍ صالح العيش من غد
وحالية من حسنها وجمالها ... وإن برزت عطل الشّوى والمقلد[1]
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما ... فواقعها أحداق درعٍ مزرَّد[2]
كأنّ أعاليها بياض سوالفٍ ... يلوح على توريد جيب مورّد

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها ... على وجه صفراء الغلائل غضةِ
تبدَّتْ وفضل الكأس يلمع فوقها ... كأترجةٍ زِينَتْ بإكليل فضة[3]

(١) العطل : عدم التزيُّن بالحلي والشوى من الإنسان : أطرافه والمقلد : موضع القلادة .
(٢) الفواقع : حباب الخمر .
(٣) الأترجة : من الأترج ، وهو شجر وثمر من جنس الليمون تسمّيه العامة « الكباد » .

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانـا إلـى اللهـو داعـي السرور … فبتنـا نبـوح بمـا في الصدورِ
وطافـت علينـا بشـمس الدّنا … ن في غسق الليل شمس الخدور
كأنّ الـكؤوس وقـد كلّلتْ … بفضـلاتهـن أكاليل نـور
جيوبٌ من الوشـي مزرورة … يلـوح عليهـا بياض النحور[1]

وقال [من المنسرح] :

وفتيةٍ دارت السّعـود لهم … فدار للـراح بينهـم فلكُ
بتنـا وضـوء الـكؤوس يهتِـك بالـ … إشـراق سـتـر الـدجى فينتهك
تـرى الثـريا والبـدر في قرنٍ … كمـا يحيا بنـرجسٍ ملك[2]

وقال وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :

ومعتـدلٍ يسعـى إلـيّ بكأسه … وقـد كاد ضوء الصبـح بالليل يفتكُ
وقـد حجـب الغيم السمـاء كأنّما … يزرّ عليهـا منـه ثوب ممسّك
ظللنـا نبـث الوجـد والـكأس دائرٌ … ونهتـك أسـتـار الهـوى فتهتك[3]
ومجلسنـا في المـاء يهـوي ويرتقي … وإبريقنـا في الـكأس يبـكي ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وسـاق يقـابـل إبريقـه … كمـا قابـل الظبـي ظبياً ربيبا
يطـوف علينـا بشمسيَّـةٍ … نروع بهـا الشـمس حتـى تغيبا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومـلآن من عبـرات الكروم … كأنّ علـى فمـه عصفرا

---

(١) الوشي : التفويف والتطريز ، ومزرورة : مغلقة .
(٢) القرن : القيد والعقد .
(٣) البث : النجوى .

إذا قربتـه أكفُّ السّقاة من الـكأس قهقـهَ واستعبرا
تروّحـه عذبـات الفدام بريّا النسيم إذا ما جرى(١)
وريم إذا رام حث الكؤو س قطَّـب للتيه واستكبرا
وجـرّد من طرفـه خنجراً ومـن نون طرّتـه خنجرا(٢)
تـرى ورد وجنتـه أحمرا وريحـان شاربـه أخضـرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشـربْ فقـد شرَّدَ ضو ءُ الصـبح عنّـا الظلما
وانبسـط النـور على وجـه الثرى فابتسما
كأنّمـا أطلـع ما ء المـزن فيـه أنجمـا
وصـوَّبَ الإبـريق في الـ ـكأس مداماً عندما(٣)
كأنّـه إذ مَجُّهـا مقهقـهٌ يبـكـي دمـا

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستـك الشبيبـة ريعانها وأهـدت لك الـراح ريحانَها
فـدم للنـديم علـى عهده وغـاد المـدام وندمانهـا
فقـد خلـع الأفـق ثوب الدجى كمـا نضـت البيـض أجفانها
وسـاقٍ يواجهني وجهه فتجعلـه العيـن بستانهـا
يتـوِّج بالـكأس كفّ النديم إذا نظـم المـاء تيجانهـا
فطـوراً يوشّـح ياقوتها وطـوراً يرصّـع عقيانها(٤)
رميت بأفراسهـا حلبـة من اللهـو ترهـج ميدانها

---

(١) الفدام : المصفاة توضع على الابريق .
(٢) الطرّة : خصلة الشعر في أعلى الجبين .
(٣) العندم : نبات يصبغ به .
(٤) العقيان : الذهب الخالص .

وديرا شغفـت بغزلانه فكدت أقبّـل صلبانها
فلمـا دجـى الليل فرّجته بروحٍ تحيّف جثمانها[1]
بشمـعٍ أعير قدود الرماح وسـرجٍ ذراهـا وألوانها
غصـونٌ من التبـر قد أزهرت لهيبـاً يزيّـن أفنانهـا
فيا حسـن أرواحهـا في الدجى وقـد أكلـت فيه أبدانها
سـكرت بقطربّـل ليلةً لهـوت فغازلـت غزلانهـا[2]
وأيّ ليالـي الهـوى أحسنت إلـيَّ فأنـكرْت إحسانها

وقال [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَب واجمع بكأسك شمـل اللهـو والطربِ
أمـا ترى الصبـح قد قامـت عساكره في الشـرق ينشـر أعلامـاً من الذهب
والجـو يختـال في حجـبٍ مُمسكَةٍ كأنّمـا البـرق فيهـا قلـب ذي رُعُب
وجانبتـك صروف الدهـر فانصرفت وقابلتـك سعـود العيش عن كثب
فاخلـع عذارك واشـرب قهـوةً مزجتْ بقهـوة الفَلِجِ المعشـوق والشنب[3]
فالعيش في ظلّ أيام الصبـا فإذا ودّعْت طيب الشبـاب الغضّ لم يطب
جريت في حلبـة الأهـواء مجتهداً وكيف أقصـر والأيام في طلبي
توّج بكأسـك قبـل الحادثـات يدي فالـكأس تاج يد المثْـري من الأدب

وقال [من البسيط] :

خذوا من العيش فالأيام فانيةٌ والدهـر منصـرفٌ والعيش منقرضُ
في حامل الكأس من بدر الدجى خلفٌ وفي المدامة من شمس الضحى عوض

---

(١) تحيّف : تظلم ، والجثمان : الجسد .
(٢) قطربّل : إسم بلد .
(٣) الفلج : الذي تباعد ما بين أسنانه يقصد « الرضاب من الفمّ » . والشنب : البارد .

كأنّ نجـم الثـريا كفّ ذي كرمٍ مبسوطـةٌ بالعطـايا ليس تنقبض
دارت علينـا كؤوس الـراح مترعةً وللدجـى عارضٌ في الجـوّ معترض
حتـى رأيت نجـوم الليل غائرة كأنّهـنّ عيونٌ حَشْوُهـا مرض

وقال يصف ظل كرم [من الطويل] :

أدرهـا ففقـد اللـوم إحـدى الغنائم ولا تخش إثمـاً لسـت فيهـا بآثمِ
ولا عيش إلا في اعتصـامٍ بقهوةٍ يروح الفتى منها خضيب المعاصم[1]
ولا ظلَّ إلاّ ظلّ كرمٍ معرّشٍ يغنّيك في قطـريْهِ ورق الحمائم
سماء غصونٍ تحجب الشمس أن ترى على الأرض إلاّ مثـل نثـر الدراهم

وقال [من البسيط] :

اليـوم يعـذب وردٌ فيـه تكدير ويسـتفيد مـن الهجـران مهجورُ
حثّ الـكؤوس فذا يوم به قصرٌ ومـا به عن تمـام الحسـن تقصير
صحـوٌ وغيمٌ يروق العين حسنهما فالصحـو فيروزجٌ والغيم سمّور[2]

وقال [من الطويل] :

وبـكرٍ شربناهـا علـى الـورد بكرةً فكانت لنـا ورداً إلـى ضحـوة الغدِ[3]
إذا قام مبيَضٌ اللبـاس يديرها توهَّمْتـه يسـعى بكمٍّ مـورد

* * *

(١) القهوة : الخمر .
(٢) السمّور : حيوان يضع جلده فراءً .
(٣) الضحوة : ارتفاع الشمس أو النهار .

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسنٍ إنّ وجه الربيع   جميلٌ يزان بحسن العقارِ[1]
فإن الربيع نهار السرو   ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردتِ   وإن لم ترد غربتْ في استتار
فأجرِ إليَّ بحارَ العقارِ   فمن فيض كفَّيْك فيض البحار
وقد عبَّأ الهم لي جيشه   وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصده إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي   ألوذ به ومعتصمي[2]
ويا سيفي أصول به   ويا حِلِّي ويا حرمي
أرقْت دمي وأعوزني   سليل الكرْم والكَرَم
وبين يديّ مخجلةٌ   سواد القار والظلم[3]
ترى اللهوات تحجبها   إذا وقَعَتْ حيال فمي
ولست أسيغها إلا   كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو   د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني [من الطويل] :

تجنّبني حسن المدام وطيبها   فقد ظمئتْ نفسي وطال شحوبُها
وعندي ظروفٌ لو تظرّف دهرها   لما بات مُغْرىً بالكآبة كوبها
وشعثِ دنانٍ خاوياتٍ كأنها   صدور رجال فارقتها قلوبها

---

(1) العقار : الخمرة .
(2) ألوذ : أحتمي .
(3) القار : القطران .

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما بيَ العلَّةُ الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعتْ نفسي أمانيها إلى يدٍ منك مشكورٌ أياديها
تصرَّمَ الصوم عنّا بعد ما ظمئت له النفوس وفقد الراح يُظْميها(١)
فجدْ بعذراءَ مثل الشمس تعذرها إن أظهرتْ صلفاً للحسن أوتيها(٢)
واعلمْ بأنّ ظروف الراح إن كبرتْ عند الهدية أبدتْ ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقْتُكَ ممتاحاً وليس لطارقٍ يرومك من وقع الضريب طريق(٣)
جنوبٌ تحثّ المزن حثاً وشَمْأَلٌ تعبسّ منه الوجه وهو طليق(٤)
وضوء حريقٍ ألبس الأرض ثوبه يخاف على الإقدام منه حريق
تثير الصبا في الجوّ منه عجاجةً كما انتثر الكافور وهو سحيق
وما انفلَّ حد القرِّ إلاّ بقهوةٍ ترقرقُ في كاساتها فتروق
إذا لبست أثوابها فعقيقةٌ وإن نشرَتْ أنفاسها فخلوق(٥)
تدور علينا كأسها في غلائلٍ رقاقٍ تردُّ العيش وهو رقيق
فألبس منها جبّةً حين أنتشي وأخلعها بالكره حين أفيق
وإني خليقٌ من نداك بمثلها وأنت بما أمّلْتُ منك خليق

* * *

(١) تصرّم : مضى وانقضى .
(٢) الصدف : التكبّر والعجب .
(٣) الممتاح : الطالب ، والضريب : الجليد .
(٤) الجنوب : الريح الجنوبية ، وتحث : تسوق وتسرع .
(٥) الخلوق : الطيب أو نوعٌ منه .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلاتها

قال يدعو صديقاً له ، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الأسفل والنهر ، ويصف ما عنده من قدر وكانون ونار وشراب [من المتقارب] :

لنـا غرفـةٌ حسنـت منظراً ... وطابـت لسـاكنهـا مخبـرا
تـرى العين من تحتهـا روضةً ... ومـن فوقهـا عارضـاً ممطرا
وينسـاب قُدَّامهـا جدولٌ ... كمـا ذُعـر الأيْمُ أو نُفِّرا[1]
وراح كأن نسيم الصّبا ... يحمـل مـن نشرهـا العنبرا
وعنـدِيَ علْـقٌ قليل المكاس ... وندمـان صدق قليل المرا[2]
ودهمـاءَ تهـدر هدر الفنيق ... إذا ما امتطـت لهبـاً مسعرا[3]
تجيش بأوصـال وحشيَّـةٍ ... رعـتْ زهـرات الربـا أشهرا
كأن علـى النـار زنجيةً ... تفـرِّجُ ثوبـا لهـا أصفـرا
وذو أربـع لا يطيق النهوض ... ولا يألف السّير فيمـن سرى
نحمِّلـه سبجـاً أسـودا ... فيجعلـه ذهبـاً أحمـرا
وقـد بكّر العبـد من عندنا ... يزفُّ لك الطـرف والممطرا
فشمِّـرْ إلـى روضـةٍ ترتضي ... فإن أخـا الجِـدِّ من شَمَّرا

وقوله [من المنسرح] :

لـم ألـق ريحانـةً ولا راحا ... إلاّ تثنّـي إليـك مرتاحـا
وعندنـا ظبيـةٌ مهفهفـةٌ ... ترأم ريمـاً يحـنُّ صداحا[4]

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر ، ونفّر : أي ذعر فغادر مكانه هرباً .
(٢) المكاس : المماكسة ، والمراء : المجادلة وقد قصره مضطراً .
(٣) الفنيق : الفحل المكرم .
(٤) ترأم : تحنُّ وتعطف .

تفسد قلبي إن أصلحته ولا أرى لما أفسدته إصلاحا
وفتيةٍ إن تذاكروا ذكروا من الكلام المليح أرواحا
وقد أضاءت نجوم مجلسنا حتى اكتسى غرّةً وأوضاحا
إن جمدت راحنا غدتْ ذهباً أو ذاب تفّاحنا غدا راحا
عصابةٌ إن شهدت مجلسهم كنت شهاباً له ومصباحا
أغلق باب السرور دونهم فكنْ لباب السرور مفتاحا

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقاً [من المنسرح] :

يوم رذاذٍ ممسّك الحجب يضحك فيه السرور عن كثبِ
ومجلسٍ أسبلت ستائرُهُ على شموس البهاء والحسب
وقد جرتْ خيل راحنا خبباً في جريها أو هممْن بالخبب[1]
والتهبت نارنا فمنظرها يغنيك عن كلّ منظرٍ عجب
إذا ارتمت بالشرار واطّردتْ على ذراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتةً مشبّكةً تطير عنها قراضة الذهب[2]
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفسي فداؤك كيف تصبر طائعاً عن فتيةٍ مثل البدور صباحِ
حنّتْ نفوسهمُ إليك فأعلنوا نفساً بغلٍّ مسالك الأرواح
وغدوْا لراحهمِ وذكرك بينهم أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خبباً على أيديهمِ جعلوه ريحاناً على الأقداح

---

(١) الخبب : نوع من العدو .
(٢) القراضة : النثار .

وقال [من الطويل] :

لنـا روضـةٌ في الـدار صيغ لزهرها ... قلائـد من حمـل النـدى وشنوفُ(١)
يطـوف بنـا منهـا إذا ما تبسَّمتْ ... نسيم كعقـل الخالـديِّ ضعيف
ونَدمـان صدقٍ نشـرهُ ونظامه ... ربيْعٌ إذا قارضْتـهُ وخريف
وقـد رقَّ ثوب الغيم حتَّـى كأنما ... تنشـرَ دون الأفـق منـه شفوف
فزر مجلسـاً قد شرّف الله أهله ... وفضّلهـم إنّ الأديب شريف
ولا تعْـدُ أفعـال الظـريف ، فإنّه ... زمـان رقيق الحلبتيـن ظريف(٢)

وقال [من الوافر] :

هـواءٌ كالهـوى حسنـاً وظرفاً ... وخيشٌ ليس يتـرك أن يجفّا(٣)
وفتيانٌ كرامٌ باكروه ... ونجـمٌ صباحهـم يبـدو ويخفى
فـإن بادرْتهـمْ جعلـوك بـدراً ... وإن خالفتهـم جعلـوك خلفا

* * *

أوصـاف شتـى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلـي بباطيةٍ وكاسٍ ... ورعْ همّـي بإبـريق وطاسِ(٤)
وذاكرْنـي بشعـر أبـي فراسٍ ... علـى روضٍ كشعـر أبـي نواس
وغيمٍ مرهفـات البـرق فيه ... عوارٍ ، والـرياض به كواسي
وقـد سلّـتْ جيوش الفطـر فيه ... علـى شهـر الصيام سيوفَ باس

(١) الشنوف : حليٌّ تعلّق في الآذان .
(٢) الحلبتين : الغداة والعشّي .
(٣) الخيش : نسيج من أردأ الكتّان غليظ الخيوط .
(٤) الباطية : آنية الخمر .

ولاح لنـا الهـلال كشطـر طوقٍ　　علـى لبّـات زرقـاء اللباس[1]

وقال [من المنسرح] :

جـاءك شهـر السـرور شوال　　وغـال شهـرَ الصيام مغتالُ
أمـا رأيت الهـلال يرمقه　　قومٌ لهـم إن رأوه إهلال
كأنـه قيد فضـة حرج　　فضّ عن الصـائمين فاختالوا

قال في وصف الريحان [من الكامل] :

وبسـاط ريحـان كمـاء زبرجدٍ　　عبثـتْ بصفحتـه الجنـوبُ فأرعدا
يشتاقـه الشَّـرب الـكرام فكلّما　　مرض النسيم سعـوا إليه عُوَّدا[2]

وقال في وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيّد الطـرفين يطـــرب عنـد تضييق القيودِ
ولقـد يلـطّم خدّه في حال ترفيه الخدود
وكأنّـمـا زأراتـه يحسبـن زأرات الأسـود
أنظـر إليه مـع المدا م ترى بروقـاً معْ رعود

وقال في وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلـةٍ مـن نقمـات الدهر　　قطّعتهـا نزر الـكرى والصبرِ
مكلّـم الظهـر جريح الصدر　　مقسّمـا بين أعـادٍ خزْر[3]
كُمْـتٍ إذا عاينتهـا وشقر　　كأنّهـا آثـارهـا في الأرز[4]

---

(١) اللبّات : الصدور ، أو موضع القلادة منها .
(٢) عوّداً : زائرين .
(٣) مكلّم الظهر : جريحه . والخزر : الضيق في العين .
(٤) الكُمت : الخيل التي لونها يميل إلى الأحمر أو الأسود .

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثـةٍ في كلّ شرقٍ ومغربٍ لهـا أمّهـات بالعـراق قواطنُ
يحـرّك أنفـاس الـرياح حراكها كأنّ نسيم الـريح فيهـن كامن

وصف منثور [من الكامل] :

ومجـرّدٍ كالسيف أسلـم نفسه لمجـردٍ يكسـوه ما لا ينسجُ
ثـوبٌ تمزّقـه الأنامـل رقةً ويصيبـه المـاء القـراح فيبهج
فكأنـه لمـا استـوى في خصره نصفـان ذا عاجٌ وذا فيروزج

وصف الديك [من الكامل] :

كشـف الصبـاح قناعـه فتألّقا وسطـا علـى الليل البهيم فأطرقا
وعـلا فلاح علـى الجـدار موشّحا بالوشْـيِ تُوِّج بالعقيق وطُوِّقا
مرخٌ فضـول التـاج في لبّاته ومشمّـرٌ وشياً عليـه منمّقا[1]

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بهـا مجنونـةً في اغتدائها تُلاقي الوحـوشُ الحين عنـد لقائها[2]
لهـن شياتٌ كالزوامـج أصبحتْ مُولَّعـةً ظلمـاؤها بضيائها[3]
وأيدٍ إذا سلّـت صوالـج فضةٍ علـى الـوحش يومـاً ذهَّبَـتْ بدمائها[4]

وفي مثله [من الطويل] :

إذا ما دعونـا لاحقـاً ومعانقا وقيدَ لدينـا واثـبٌ ومخالسٌ

---

(١) مرخ : مدّهنٌ بالطيب ، والمرخ : النبات الذي طالت عيدانه وطاب ورقه .

(٢) الحين : الهلاك والموت .

(٣) الشيات : جمع شية وهو اللون ، والزوامج : ربما كانت جمع زمّج ، وهو طائرٌ دون العقاب يصاد به ، في قمّته حمرة غالبة .

(٤) الصوالج : الفضّة الصافية .

فذلك يومٌ جانب السعد سربه | وقوبل بالنحس الظباء الكوانس[1]
كأن جلود الوحش بين كلابها | وقد دميت أجيادها والمعاطس[2]
مصندلة القمصان شقّتْ جيوبها | ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال في وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام | ولم ترم ساحة الكرامِ[3]
كأنما تحتها ثلاقٌ | مقترناتٌ من الحمام
يلعب في جسمها لهيبٌ | لعب سنا البرق في الظلام
لها كلامٌ إذا تناهت | غير فصيح من الكلام
وهْي وإن لم تذق طعاماً | مملوءة الجسم من طعام
لم يخل من رفدها نديمي | يوم خمارٍ ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى | مصرّعٌ حولها سوامي[4]
عظيمة إن غلت أذابت | بغليها لابس العظام
كأنما الجن ركّبتها | على ثلاثٍ من الأكام
لها دخان تضل فيه | عجاجة الجحفل اللّهام[5]
كأنّما النار ألبستها | معصفراتٍ من الضّرام
ولم يزل مالنا مباحاً | من غير ذلٍّ ولا اهتضام[6]
نأخذ للقوت منه سهماً | وللندى سائر السهام

---

(١) الكوانس : الداخلات في أكنستهن .
(٢) المعاطس : الأنوف .
(٣) حام : أبو السود .
(٤) السوام : الماشية .
(٥) اللهام : الكثير العدد .
(٦) اهتضام : انتقاص .

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أنعتــه معصــفر البرديـن | أبيض صافــي حمـرة الجنبيْنِ
خلّف شهـرين على الخلفيْن | ثم رعـى بعدهمـا شهرين[1]
فجســمه شبـران في شبريْن | يا حسنـه وهــو صريع الحيْن[2]
بيـن ذراعيـن مفصّليـن | كسارق حُدَّ من اليدين
وطـرفٍ يستـوقف الطرفيـن | كمثـل مرآة مـن اللّجيـن
مُـذْهبـة المقبـض والوجهيـن | تعـرفه مرهفـة الحدّيْن
بـكفٍّ طاه عطـر الكفين | شق حشـاه عن شقيقتين
أختين في القـدِّ شبيهتين | كمـا قرنـت بين كمأتين

* أو كُرَتَيْ مسك لطيفتين *

وقال يصف جام فالوذج ويعبث بأبي بكر الخالدي ، ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل[3] [من الطويل] :

إذا شئـت أن تجتـاح حقـاً بباطلٍ | وتغـرق خصمـاً كان غير غريقِ
فسائـل أبـا بكرٍ تجـدْ منـه سالكاً | إلـى ظلمـات الظلـم كل طريق
ولاطفْـه بالشّهـد المخلـق وجهه | وإن كان بالألطـاف غير حقيق
بأحمـرَ مبيضٍّ الزجـاج كأنـه | رداء عروس مُشْـرب بخلوق
له في الحشـا برد الوصـال وطيبه | وإن كان يلقـاه بلـون حريق
كأنّ بياض اللـوز في جنباته | كواكب لاحـت في سمـاء عقيق

---

(١) الخلفين : يقال شاة ذات خلفين : أي ولدت ستة ذكراً وستة أنثى .
(٢) الحين : الموت .
(٣) البرطيل : الرشوة .

وصف الفقاع [من المنسرح] :

لست بنافٍ خمار مخمور إلاّ بصافي الشراب مقرور[1]
يطير عن رأسه الفقاع إذا نفست عنه خناق مزرور[2]
رامٍ بسهمٍ كأنّه خصرٌ وطيب نشرٍ نسيم كافور
يميل أعلاه وهو منتصبٌ كأنّه صولجان بلّور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

بَرَّزَ إبراهيم في علمه فراح يدعى وارث العلمِ
أوضح نهج الطب في معشرٍ ما زال فيهم دارس الرسم
كأنّه من لطف أفكاره يجول بين الدَّمِ واللّحم
إن غضبتْ روحٌ على جسمها أصلح بين الروح والجسم

وفي مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابن قُرَّةَ شافي بعد الإلّه وهل له من كافي
أحيا لنا رسم الفلاسفة الذي أودى وأوضح رسم طِبٍّ عافي
فكأنه عيسى ابن مريم ناطقا يَهَبُ الحياة بأيسر الأوصاف
مثلتْ له قارورتي فرأى بها ما اكتنَّ بين جوانحي وشغافي[3]
يبدو له الداء الخفيُّ كما بدا للعين رضراض الغدير الصافي[4]

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هل الحذق إلا لعبد الكريم حوى فضله حادثاً عن قديمِ
إذا لمع البرق في كفّه أفاض على الرأس ماء النعيم

---

(١) المقرور : البارد .
(٢) الفقاع : حباب الخمر ، ونفست : كشحت وكشطت .
(٣) اكتنّ : استتر ، والشغاف : حجاب القلب .
(٤) الرضراض : الحصى الدفاق في مجاري الماء .

جهــول الحســام ولكنّــه يروح ويغــدو بكفّــيْ حليم
لــه راحــةٌ سيرهــا راحةٌ تمــرّ علــى الــرأس مرّ النسيم
نعمنــا بخدمتــه مذ نشا فنحــن به في نعيمٍ مقيم

* * *

١٠٧ ـ أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما في الموافقة والمساعدة ؛ يحييان بروح واحدة . ويشتركان في قرض الشعر وينفـردان ، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان . وكانا في التسـاوي والتشابـك . والتشـاكل والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعــيْ لبــانٍ شريكيّ عنانٍ عتيقــيْ رهــانٍ حليفــيْ صفاءِ

بل كما قال البحتري [من الكامل] :

كالفرقــدين إذا تأمّــل ناظرٌ لم يعــل موضــع فرقــدٍ عن فرقدِ

بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعــريين الخالــديّين سيَّرا قصائــد يفنــي الدهــر وهــي تُخَلَّدُ
جواهــر من أبــكار لفــظ وعونه يقصّــر عنهــا راجــز ومقصّد
تنــازع قومٌ فيهمــا وتناقضوا ومــرّ جدالٌ بينهــم يتردّد
فطائفــةٌ قالــت سعيدٌ مقدّمٌ وطائفــةٌ قالــت لهــم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهمْ ومــا قلــت إلاّ بالتــي هي أرشد
هما في اجتمـاع الفضـل زوجٌ مؤلّفٌ ومعناهمــا من حيث يثبــت مفرد
كذا فرقــدا الظلمــاء لمّــا تشاكلا علا أشــكلا هل ذاك أم ذاك أمجد[١]

---

(١) تشاكلا : تشابها .

فزوجهما ما مثله في اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوحد
فقاموا على صلح وقال جميعهمْ رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد[1]

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم في سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق . وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالتة والمسارقة ، وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم ، وكان أفاضل الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما ـ وهي في شق الرجحان ـ تتعصب عليه لهما . لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما ، وقد بدأت بملح شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قام مثل الغصن الميّاد في غضّ الشبابِ[2]
يمزج الخمر لنا بالصَّفْو من ماء الشراب
فكأنّ الكأس لما ضحكت تحت الحباب[3]
وجنةٌ حمراء لاحت لك من تحت النّقاب

وقال السري [من الكامل] :

وكأن كأس مدامها لما ارتدتْ بحبابها

(١) الفرقد : النجم .
(٢) الميّاد : المتمايل والمتثني . وغضّ الشباب : الفتوة والنشاط .
(٣) الحباب : ما يعلو الخمرة أثناء صبّها في الكأس من فقاع .

تـوريـد وجنتهـا إذا مـا لاح تحـت نقابها

وقال أبو بكر [من الطويل] :

ألا فاسقنـي والليل قد غاب نوره لغيبـة بدرٍ في الغمـام غريقِ
وقـد فضـح الظلمـاء برقٌ كأنّه فؤاد مشـوقٍ مولـعٍ بخفوقِ

وإنما سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنـك سرى يا سرّ طيفٌ كأنّه فـؤادٌ مشـوقٌ مولـعٌ بخفـوقِ

رجع :

مدامـاً كأن الـكف من طيب نشْرها وصفرتهـا قـد خلّقـتْ بخلوقِ(١)
نعاينهـا نوراً جلاه تجسد ونشربهـا ناراً بغير حريق
كأنّ حبـاب الـكأس في جنباتها كواكب درٍّ في سمـاء عقيق

وقد مر مثله للسري في وصف الفالوذج .

وقال أبو بكر [من المنسرح] :

مطـرب الصبـح هيّج الطربا لمـا قضـى الليل نحبـه انتحبا
مغـرّدٌ تابـع الصبـاح فما ندري رضـا كان ذاك أم غضبا
مـا تنـكر الـطير أنـه ملكٌ لهـا فبالتـاج راح معتصيا(٢)
طـوى الظـلام البنـود منصرفاً حين رأى الفجـر ينشـر العذبا(٣)
والليل من فتـكة الصبـاح به كراهـبٍ شقّ جيبَـه طَرَبا

---

(١) النشر : العبق الطيب ، والخلوق : الطيب .
(٢) معتصباً : متوّجاً رأسه به .
(٣) العذبا : أي خيوطه الأولى ، وعذبة الشيء طرفه .

وللسري في مثله [من المنسرح] :

كراهــبٍ حنّ للهــوى طرباً فشــقّ جلبابــه مـن الطرب

قال أبو بكر [من المنسرح] :

فبــاكر الخمــرة التــي تركت بنــان كفّ المدبــر مختضبا
كأنّمــا صبّ في الزجاجــة من لطفٍ ومــن رقــةٍ نسيمَ صبا
وليس نار الهمــوم خامدةً إلاّ بنــور الــكؤوس ملتهبا[1]
يظــلّ زقّ المــدام ممتهناً سحبــاً وذيل المجــون منسحبا[2]

ومنها في وصف كانون نار :

ومقعــدٍ لا حراك ينهضه وهــو علــى أربــعٍ قد انتصبا
مصــفرٍّ محــرِقٌ تنفســه تخالــه العين عاشقــاً وصبا[3]
إذا نظمنــا في جيده سبحاً صيره بعــد ساعــة ذهبا[4]

ومثله للسري [من المتقارب] :

وذو أربــعٍ لا يطيق النهوض ولا يألف السير فيمــن سرى
نحملــه سبجــاً أسوداً فيجعلــه ذهبــاً أحمــرا

رجع :

فمــا خبــت نارنــا ولا وقفت خيول لهــوٍ جرت بنــا خببا[5]
وساحــر الطــرف لا نقــاب له إذ كان بالجلنــار منتقبا

---

(١) خامدة : منطفئة .
(٢) زقّ المدام : شربها .
(٣) الوصيب : المرض .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) الخبب : ضرب من العدو .

تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرةً عجبا
شقائقاً مذهباً يرى خجلاً وأقحواناً مفضّضاً شنبا[1]

ومثله للسري [من الطويل] :

سَفَرْنَ فلاح الأقحوانُ مفضَّضاً على القربِ منا والشقيق مذهّبا

رجع :

حتى إذا ما انتشا ونشوته قد سهلت منه كل ما صعبا
غلبت صحبي عليه منفردا به وهل فاز غير من غلبا ؟
أرشف ريقاً عذب اللمى خصرا كأن فيه الضَّريب والضربا[2]

* * *

ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم [غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامَرَ بالنفس في هوى قمر ونال وصل البدور بالبدرِ
وافتضَّ أبكار لهوه طرباً إلى عشايا المدام والبكر[3]
مسرّةٌ كيلها بلا حشفٍ ولذّةٌ صفوها بلا كدر[4]
قد ضربت خيمة الغمام لنا ورشّ خيش النسيم بالمطر
وعندنا عاتقان حمراء كالشـمس وأخرى صفراء كالقمر

---

(١) الشنب : الأبيض ، وهو صفاء الأسنان وابيضاضها .
(٢) الضريب : العسل الأبيض .
(٣) العشايا : جمع عشية ، والبكر : جمع بكرة .
(٤) الحشف : أردأ التمر ، أو الفاسد منه ، أو هي الانقباض .

مدامةٌ كان من تقادمها عاصرها آدمُ أبو البشرِ
وبنت خدرٍ تريك صورتها بدر الدجى في ردائها العطر
حنَّتْ على عودها وقد تركت مدامَنا جمرةً بلا شرر
يسعى علينا بها الوصائف قـلّدن مجوناً قلائد الزهر[1]
يا تاركاً طيب يومه لغد تبيع عين السرور بالأثر!
إن وترت قلبك الهموم فما مثل انتصارٍ بالناي والوتر[2]

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجى وطاب الهواء وتدلت للمغرب الجوزاءُ
والصباح المنير قد نشرت منـه على الأرض ريطةٌ بيضاءُ[3]
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليها غلالة صفراء
قهوةٌ بابليةٌ كدم الشّا دن بكراً لكنها شمطاء[4]
قد كستها الدهور أردية الرقـة حتى جفا لديها الهواء
فهي في خدّ كأسها صفرة التبـر وفي الخدّ وردةٌ حمراء
عجباً ما رأيت من أعجب الأشـياء تقديرُ من له الأشياء
سبجٌ يستحيل منه عقيقٌ وظلامٌ ينسلّ منه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الطويل] :

خليلي إنّي للثريا لحاسد وإنّي على ريب الزمان لواجد
أيبقى جميعاً شملها وهي سبعةٌ وأفقد من أحببته وهو واحد

وقوله من قصيدة في مرثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما [من المنسرح] :

إذا تفكّرت في مصابهم أتعب زند الهموم قادحهُ

---

(١) الوصائف : ساقيات الخمر ، والقلائد : العقود .
(٢) وترت : أثقلت ، والوتر : الظلم في العداوة والانتقام .
(٣) الريطة : الملاءة .
(٤) الشمطاء : التي خالط بياض شعرها سواده .

بعضهم قرّبت مصارعه وبعضهم بعدت مطارحه
أظلم في كربلاء يومهمُ ثم تجلّى وهم ذبائحه
لا برح الغيث كلّ شارقة تهمي غواديه أو روائحه
على ثرى حلّه ابن بنت رسو ل الله مجروحةٌ جوارحه
ذلّ حماه وقلّ ناصره ونال أقصى مناه كاشحه(1)
عفّرتم بالثرى جبين فتىً جبريل بعد النبي ماسحه!
يظل ما بينكم دم ابن رسو ل الله وابن السفّاح سافحه!(2)
سيّان عند الأنام كلهم خاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدّجى صبحي ومصباحي(3)
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنةً راحت خلائقهم أصفى من الراح(4)
قد عدّلوا ثقل أديانٍ ومعرفةٍ فيهم بخفّة أبدانٍ وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة وحكمة بعلومٍ ذات إيضاح
في طب بقراطَ لحن الموصليِّ وفي نحو المبرِّد أشعار الطِرِمّاح
ومنشدٌ حين يبديه المزاج لنا ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح
وكم حننت إلى حاناته وغدا شوقي يكاثر أصواتاً بأقداح
حتى تخمّر خمّاري بمعرفتي وحيّرتْ مُلْحي في السُّكر ملاّحي
يا دير مرانَ لا تعدم ضحىً ودجىً سجال غيثٍ ملثٍّ الودقِ سحّاح(5)

---

(1) الكاشح : المبغض .
(2) ابن السفاح : ابن الزنى .
(3) مسباحي : أي السبحة التي يحملها المرء للتسبيح أو للتسلية .
(4) قلاليه : جمع قُلّة وهي أعلى الرأس والجبل والراح الخمرة .
(5) ملثّ الودق : خفيف المطر عند التصبّب وسحاح : كثير الصبّ .

إن تفـن كأسـك أكياسي فإنّ بها | يفـلّ جيش همومـي جيش أفراحي
وإن أقـم سوق أطرابـي فلا عجبٌ | هذا بذاك إذا ما قام نوّاحي

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتـي فقـد جدَّ الأسى موتي | ما كنـت أول صبٍّ غـيرِ مبخوتِ[1]
بكى إليَّ غداة البـين حـين رأى | دمعـي يفيض وحـالي حال مبهوت
فدمعتـي ذوب ياقـوت على ذهب | ودمعــه ذوب درٍّ فوق ياقوت

وقوله [من البسيط] :

أنبـاك شاهـد أمـري عن مغيَّبةٍ | وجـدٌ جدُّ الهـوى بي في تلعُّبِهِ
يا نازحـاً نزحـتْ دمعـي قطيعته | هب لي من الدمع ما أبكي عليك به

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبـنَّ بكاء النـوء والطّنب | ولا تحيّي كثيب الحـي من كثبِ[2]
ولا تجـد بغمامٍ للغميم ولا | تسمح لسرب المها بالـواكف السَّرِبِ[3]
ربـعٌ تعفّـى فأعفـى من جوىً وأسًى | قلبـي وكان إلى اللّـذات منقلبي
سيّان بان خليطٌ أو أقـام به | فإنّمـا عامـر البيداء كالخرِبِ
أبهـى وأجمـل من وصف الجمال ومن | إدمـان ذكر هوىً يهـوى على قتب[4]
مدّ البنـان إلى كأسٍ على سكرٍ | ورفـع صوت بتطـريب على طرب
حمـراء حـين جلتهـا الـكأس نقّطها | مزاجهـا بدنـانيرٍ من الحبب
كانـت لهـا أرجـل الأعـلاج واترةً | بالدّوس فانتصفت من أرؤس العرب[5]

---

(١) مبخوت : محظوظ .
(٢) تطنب : تكثر ، والنوء : المطر ، والنجم إذا مال للغروب . الكثيب : التل من الرمال .
(٣) الغميم : لبن يسخّن حتى يغلظ ، والغميم هنا الغليظ . والواكف : السائل والدامع .
(٤) القتب : الرّحل .
(٥) الأعلاج : الكفّار ، واترة : ظالمة ومنتقمة .

يسقكيها من بني الكفار بدر دجىً أحاظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطراف مطرَّفةٍ بها خضابان للعنَّاب والعنب

* * *

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيدة مطلعها [من البسيط] :

ما زاره الطيف بعد البين معتمدا إلاّ ليدني له الشوق الذي بعدا

ومنها :

كأنما من ثناياها وريقتها أيدي الغمام سرقْن البرد والبَرَدا

وقال وهو في نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأَرَتْكَ سالِفتي غزالٍ أدعجِ(١)

ومنها :

أرعى النجوم كأنّما في أفقها زهر الأقاحي في رياضٍ بنفسج
والمشتري وسط السماء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبرٍ أصفر ركّبتهُ في فصٍّ خاتمٍ فضةٍ فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلان شارب قهوةٍ لم تمزج
وتنقّبتْ بخفيف غيمٍ أبيضٍ هي فيه بين تخفُّرٍ وتبرُّج
كتنفّس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذيلي مطرف زرّه على الأرض زرّا(٢)
برقه لمحةٌ ولكن له رعدٌ بطيءٌ يكسو المسامع وقرا(٣)

---

(١) الأدعج : واسع العين وأحورها .
(٢) المطرف : الوشاح المفوّف وهو من الحرير .
(٣) الوقر : الصمم .

كخليٍّ منافقٍ للـذي يهـواه يبـكي جهـراً ويضحـك سرّا

وقال [من الوافر] :

ألسـت ترى الظـلام وقـد تولى وعنقـود الثـريا قـد تدلى
فدونـك قهـوةً لم يبـق منها تقـادم عهدهـا إلاّ الأقلاّ
بزلنـا دنّهـا والليـل داجٍ فصـيّرت الدجـى شمسـاً وظلاّ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا معـيري بالصـدّ ثوب السقام أنـت همّـي في يقظتـي ومنامي
أنـت أمنيّتـي فإن رمـت غمضاً سلمتـك المنـى إلى الأحلام

وقال [من الكامل] :

حورٌ شغلْنَ قلوبَنـا بفراغٍ لرسائـلٍ قَصُرَتْ عن الإبلاغِ
ومنعْـن ورد خدودهـنّ فلـم نطق قطفـاً له لعقـارب الأصداغ[2]

وقال [من الكامل] :

روحي الفـداء لظاعنـين رحيلهم أنـكى وأفسـد في القلـوب وعاثا
فليقض عدّتـه السرور فإنّني طلّقـتُ بعدهـمُ السرورَ ثلاثا

أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة ، وهو قوله [من الكامل] :

بلـدٌ خلعـت اللهـو خلعـيَ خاتمي فيـه وطلّقـت السرور ثلاثـا

وقال [من المنسرح] :

في كنف الله ظاعـنٌ ظعنا أودع قلبـي وداعـه حزنا[3]
لا أبصرتْ مقلتـي محاسنه إن كنـت أبصرت بعـده حسنا

---

(١) بزلنا دنّه : شققناه ليسيل الخمر منه .
(٢) لم نطق : لم نتحمّل .
(٣) الظاعن : الراحل .

وقال [من البسيط] :

أهــلا بشــمس مدامٍ من يدي قمرٍ تكامــل الحســن فيه فهــو تيّاهُ[1]
كأنّ خمرتــه إذ قام يمزجها من خده اعتصرتْ أو من ثناياه
إذا سقتــك من الممــزوج راحته كأســاً سقتــك كؤوس الصّرف عيناه
في وجهــه كل ريحــان تراح له منــا قلــوب وأبصــار وتهواه
النــرجس الغضّ عينــاه ، وطرّته بنفســجٌ، وجنــيّ الــورد خدّاه

وقال [من الخفيف] :

قلــت لما بدا الهــلال لعينٍ منعتْهــا من الــكرى عيناكا
يا هلال السماء لولا هلال الـ أرض ما بتُّ ساهــراً أرعاكا

وقال [من الطويل] :

وبــدر دجــى يمشي به غصــنٌ رطب دنــا نوره لكنّ تناولــه صعبُ
إذا ما بدا أغــرى به كلّ ناظرٍ كأنّ قلــوب النــاس في حبّــه قلب

وقال [من البسيط] :

لا تحسبــوا أنّنــي باغٍ بكم بدلاً ولو تمكّنت من صبــري ومــن جلدي[2]
قلبــي رقيبٌ على قلبــي لكم أبداً والعــين عــينٌ عليه آخــر الأبدِ

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعــت في القلــب لحظته صبابــةً وســقى بالدمــع ما زرعا
لو أن قلبــي وفــاه محبتــه أحبّــه بقلــوب العــالمين معــا

وقال [من المنسرح] :

كأنّمــا أنجــم الثــريا لمن يرمقهــا والــظلام منطبــقُ

---

(١) تيّاه : كثير العجب .
(٢) باغٍ : طالب .

مـال بخيـل يظـلّ يجمعه   من كلّ وجـهٍ وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليليّ من عذيري من الدنـــيا ومـن جورهـا عليّ وصبري
عجبـاً أنني أنـافس في عمـــران أيامهـا وتخْـرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هـو الفجـر قابلنـا بابتسام   لتصرف عنـا عبـوس الظلامِ
ولاح فحـلّ كأس الشمو   ل صرفـاً وحـرّم كأس المنام
ظللنـا على شمّ ورد الخدود   ومسـك النحـور ونقـل اللثام
نعـين الصبـاح على كشفه   قنـاع الظـلام بضـوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خانـك الدهـر فكن عائذاً   بالبيـض والـظلمات والعيسِ
ولا تكن عبـد المنـى فالمنى   رؤوس أمـوال المفاليـس

وقال [من الكامل] :

حـورٌ جعلن وقـد رحلن وداعنا   بمدامـعٍ نطقـتْ وهـنّ سكوتُ
فعيونهـا سبـجٌ ونشـر دموعها   درٌّ وحمـرة خدهـا ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنـا في حبسنـا الأكوابا   سقـط النـدى وصفـا الهـواء وطابا
ودعا بـ « حي على الصبـوح » مغرّداً   ديك الصبـاح فهيّج الأطرابـا
وكأنمـا الصبـح المنير وقـد بدا   بازٌ أطـار من الظـلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنـا بمدامـةٍ   زادت علـى هرم الزمـان شبابا
سفـرت فغـار حبابهـا من لحظنا   فعـلا محاسنهـا وصـار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

فلأشكرنّ لدير قنّا ليلةً ... أشرقت ظلمتها ببدرٍ مشرقِ
بتنا نُوَفِّي اللهو فيها حقّه ... بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه ... ثوباً يرشّ بطلِّهِ المترقرق
حتى رأينا الليل قوّس ظهره ... هرماً وأثّر فيه شيب المفرق
وكأنّ ضوء الفجر في باقي الدجى ... سيفٌ حلاه من اللجين المحرق[1]
يا طيبها من ليلةٍ لو لم تكن ... قصرت فريع تجمّعٍ بتفرّق[2]

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً ... وضياءً ومثالا
وشبيه الغصن ليناً ... وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ... ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما ... سرّنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ فضحته بضياء الـ ... راح حتى تركته كالنهارِ
ذي سماءٍ كخرّمٍ ونجومٍ ... مشرقاتٍ كنرجسٍ وبهارِ[3]
وهلالٌ يلوح في ساعد الغر ... ب كدملوج فضّةٍ أو سوارِ[4]
بتُّ أجلو فيه شموس وجوهٍ ... حملت في الدجا شموس عقار

(١) اللجين : الفضّة .
(٢) ريع : أخيف .
(٣) الخرّم : نبات بنفسجي اللون .
(٤) الدملج : نوعٌ من الحلي تلبسه المرأة في ساعدها .

وقال ـ وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن ـ [من مجزوء الخفيف] :

هو يومٌ كما ترا ه مليح الشمائلِ
هاج نوح الحمام فيـ ـه غناء البلابل
ولركب السحاب في الـ ـجو حق كباطل
مثلما فاه في المهنّـ ـد بعض الصياقل
جليت شمسه لرقـ ـته في غلائل
وعمود الزمان معـ ـتدل غير مائل
حين ساوى حر الهوا جر برد الأصائل
وغدا الروض في قلا ئده والخلاخل
فمن العجز أن ترى فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذيـ ـل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقلٍ ومقاساة جاهل[1]
وخصومٍ يكابرو ن وضوح الدلائل
انفِ كيد الجدال عنـ ـك بصيد الأجادل[2]
كلّ صلب العظام والـ ـلحم رطب المفاصل
وهو أهدى من الردى في طريق المقاتل
كم غدونا به لطيـ ـر التلاع السوابل[3]
فانبرى أخرس الجنا ح صخوب الجلاجل[4]

(١) الملاحاة : اللوم .
(٢) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .
(٣) التلاع : الأعالي . والسوابل : من الطرق : المسلوكة .
(٤) الجلاجل : الدويّ والصّويت .

وتعامى عن الشوى واهتدى للشواكل[1]
بسكاكينه التي ثبتت في الأنامل
عقفت ثم أرهفت فهي مثل المناجل[2]
صاعد خلف صاعد نازل خلف نازل
فتردى رداء لهو إلى الليل شامل
ثم انثنى جذلان بين القنا والقنابل[3]
نحو ربعٍ من المكارم والمجد آهل[4]
فترى الأنس في عبيدك عذب المناهل
من عقول قد بلبلتهنّ صفراء بابل
فإذا الليل كفّ كلّ رقيبٍ وعاذل
صرّت الفرش تحت قوم ٍ صرير المحامل[5]

وقال [من الطويل] :

وأغيد روته المدامة فانثنى كما ينثني من ريه الغصن الغضُّ
دعوت إليها وهو في دعوة الكرى وقد أخذت في خلع أسودها الأرض[6]
فقام وفي أعطافه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامةٍ صفراء في قارورةٍ زرقاء تحملها يدٌ بيضاءُ

---

(١) الشوى : أطراف الجسم من اليدين والرجلين . والشواكل : الخواصر .
(٢) عقف السكين : لواها . وأرهفها : سنّها فصارت ماضية .
(٣) القنابل : الجماعة من الناس أو الخيل .
(٤) آهل : عامر .
(٥) صرّت : صوّتت .
(٦) أسود الأرض : يعني الليل .

فالـــراح شمسٌ والحبـــاب كواكبٌ والـــكفُّ قطـــبٌ والإنـــاء سماء

وقال [من المجتث] :

راحٌ كضـوء الشهـاب سـلافـة الأعـنـابِ
والمـزج ماء غديـر صـافٍ كمـاء الشبـاب
لـو لم يكن ماء مزنٍ لكـان لمـع سـراب
كأنّـه جسـم درٍ عليـه درعُ حبـاب
يجـري خلال حصىً أبـيض كقـطر السحـاب
كأنّـه الـريق يجري علـى الثنـايا العـذاب

وقال في مخدة [من الكامل] :

بأبـي التـي كتمـت محاسنها خوف العيون وليس تنكتمُ
لبسـت سواداً كي تعـاب به والبـدر ليس يشينـه الظّلم

وقال من قصيدة في المهلبي الوزير استهلاها [من المتقارب] :

مهـاةً توهّمهـا أم غزالا وشمسـاً تشـبّهها أم هلالا
منعمـةٌ أطلقـت لحظهـا فكان لعقـل المعنّـى عقالا[1]
وشـمسٌ ترجّـل في مجلسٍ لندمانهـا وتغنّـى ارتجـالا
ولا تعـرف اللحـن ألحانها إذا ما الخفـاف تبعـن الثّقالا
شـدت رمـلا في مديح الوزير فظلنـا من السكر نحكي الرمالا[2]
وهـل ثمـلٌ مفـكرٌ بعـد أن تكون له راحتـاه ثمالا ؟[3]

---

(١) المعنى : المتألّم ، والعقال : الأسر .
(٢) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء .
(٣) الثمل : السكران ، والثمال : الغياث النافع .

ومنها في التهنئة بعيد الفطر :

هنيئـاً مريئـاً بأجـرٍ أقام ... وصـومٍ ترحّـل عنـك ارتحالا
وفطـرٍ تواصـل إقبالـه ... لأن له بالسعـود اتصالا
رأى العيد فعلك عيداً له ... وإن كان زاد عليه جمالا
وكَبَّـرَ حين رآك الهلالُ ... كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منـك ما منـه أبصرته ... هلالاً أضـاء ووجهـاً تلالا
تـولاك فيه إلّـه السماء ... بعـزٍّ تعالـى ويمـنٍ توالى(١)
ولقّيت سعـداً إذا العيد عاد ... ولقّيت رشـدا إذا الحـوْل حالا(٢)
وإنْ رمضـان أطـاح الكؤوس ... فشـوّال يأذن في أن تشالا
فواصـل بيمـنٍ كؤوس الشمول ... يمينـاً مقبّلـةً أو شمـالا
ولا زلـت عن رتـبٍ نلتها ... ومـن ذا رأى جبـلاً قطُّ زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضاً [من الكامل] :

أيدت ملك معـزّ دولـة هاشم ... فزمـانـه عرسٌ من الأعراسِ
وتيقّـن الشعـراء أن رجاءهم ... في مأمـنٍ بك من وقـوع الباس
ما صحّ علـم الـكيمياء لغيرهم ... فيمـن عرفنـا من جميع الناس
تعطيهـم الأمـوال في بدرٍ إذا ... حملـوا الـكلام إليك في قرطاس

وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي دلف [من الكامل] :

يـا طالبـاً للـكيمياء ونفعه ... مدح ابـن عيسـى الـكيمياء الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلاّ درهمٌ ... ومدحتـه لأتـاك ذاك الدرهم

---

(١) اليمن : الخير ، وتوالى : تتابع .
(٢) الحول : العام ، وحالا : أي انتهى .

ولكنه لطفه وزاد فيه ، وقال [من الكامل] :

وأخٍ جفـا ظلمـاً، ومـلّ، وطالما ... فقنـا الأنـام مودةً ونداما
فسلـوت عنـه وقلـت ليس بمنكر ... للدهـر أن جعـل الـكرام لئاما
فالخمر وهـي الـراح ربّتمـا غدت ... خلاًّ وكانـت قبـل ذاك مداما

وقال في معناه أيضاً [من الطويل] :

وكم من عدوٍ صار بعـد عداوةٍ ... صديقاً مجلاً في المجـالس مُعْظَما
ولا غرو فالعنقـود في عود كرمه ... يرى عنبـاً من بعـد ما كان حصرما

وقال في استهداء نبيذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعـلا والمجـد منفردا ... وواحـدِ الأرض لا مسـتثنياً أحدا
لهـاك أوجـدت الآمـال ما فقدت ... وقرّبـت لمنـى الـراجين ما بعدا[1]
هذا زمـان علاجٍ يتّقـي ضرر ال ... أخـلاط فيه لأن الفصـل قد وفدا
فلسـت تبصـر إلا شاربـاً قدحاً ... مرّاً وإلاّ نزيف الجسـم مفتصدا[2]
وقـد عصيت الهـوى مذ أمس محتمياً ... لمـا عزمـت علـى إصـلاح ما فسدا
وروقـوا لي رطـلاً لسـت أذكره ... إلاّ عدمـت لديه الصبّـر والجلدا[3]
منـاكرٌ لطباعـي غير أنّ له ... عقبـى تمـازج محموداتهـا الجسدا
وليس لي قهـوةٌ أطفـى بجمرتها ... عن مهجتـي شره المـاء الـذي بردا
فامنن بدستيجـة المشـروب يومـك ذا ... فقد عزمت علـى شرب الـدواء غدا[4]

(١) لهاك : عطاياك .
(٢) المفتصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة .
(٣) الجلد : الصبر .
(٤) الدشيجة : آنية صغيرة .

وقال في العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصتُ عليه حتّى ملّني ... والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ
يا ليتهُ إذ باع ودّي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك ما يعزّ وجوده ... إن رمته إلاّ صديقٌ مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرّسلِ
مهلاً فإنّك في فعالك ذي ... مثل الذي قد قيل في المثل
« ترك الزيارة وهي ممكنةٌ ... وأتاك من مصرٍ على جمل ! »

وقال في وصف سيف [من الكامل] :

متوقّدٌ ، مترقرقٌ ، عجباً له ... نارٌ وماءٌ كيف يجتمعانِ ؟
وكأنّما أبواه صرفا دهرنا ... أو كان يرضع درّة الحدثان
تجري مضاربه دماً يوم الوغى ... فكأنّما حدّاه مفتصدان

وقال في هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدّى الكوفيُّ ينشدنا ... قلنا له : طعنةً وطاعونا
تجمع يا أحمق العبّاد لنا ... شعرك في برده وكانونا ؟

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن في فمه جمراً وأنشدنا ... شعراً لما ضرّه من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره ، وما وقع

لأبي عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق .

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادنُ من الدنّ بي فداك أبي واشرب وسقّ الكبيرَ وانتخبِ
أما ترى الطّل كيف يلمع في عيون نورٍ تدعو إلى الطرب ؟(١)
في كلّ عينٍ للطلّ لؤلؤة كدمعةٍ في جفون منتحب
والصبح قد جرّدت صوارمه والليل قد همّ منه بالهرب
والجوّ في حلّةٍ ممسكةٍ قد كتبتها البروق بالذهب

وللسري في مثله [من المنسرح] :

غيومٌ تمسّك أفق السماء وبرق يكتّبها بالذهبِ(٢)
فهاتها كالعروس محمرة ال خدين في معجزٍ من الحبب
كادت تكون الهواء في أرج الـ ـعنبر لو لم تكن من العنب
من كفّ راضٍ عن الصدود وقد غضبت في حبّه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها رأيت شيئاً من أعجب العجب
نارٌ حواها الزجاج يلهبها الـ ـماء ودرٌّ يدور في اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقرّ غير صافيةٍ تدفع ما ليس يدفع الدّلَقُ(٣)
درياق أفعى الشتاء وهو إذا سلّ علينا سيوفه درق(٤)

---

(١) النور : الزهر .
(٢) هكذا ، والبيت الأول لا يوافق بقيّة الأبيات في الوزن .
(٣) القرّ : البرد . والدلق : الفرو المستخرج من حيوانٍ كالهر .
(٤) الدّرياق : الترياق ، دواء السمّ ، وسلّ : شهر ، والدرق : الترس .

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك [من الكامل] :

هـو يومُ شكٍّ يا علـيّ وشـرّه مذ كان يحذرْ
والجـوّ حلّتـه ممسّـكةٌ ومطـرفـه معنبـرْ[1]
والمـاء عوديّ القميـص وطيلسان الأرض أخضرْ[2]
ولنـا فضيلاتٌ تكـو ن ليومنـا قوتـاً مقدَّرْ
ومدامـةٌ صفـراء أد رك عمـرها كسـرى وقيصر
وحديثنـا ما قد علمـت وشعرنـا ما أنـت أبصر
فانشـط لنـا لنحـثٍّ من كاسـاتنـا ما كـان أكبر
أوْ لا فإنـك جاهل إن قلـت إنـك سوف تعـذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبي [من المتقارب] :

فديتـك ما شبـت من كبرةٍ وهـذي سنـيٌّ وهـذا الحساب
ولـكن هجـرْت فحـلَّ المشيب ولـو قد وصلْـت لعـاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليـت بأحسـن الثقليـن إقبـالاً ومنصرفا[3]
فمثـل الخشْـفِ ملتفتـاً ومثـل الغصـن منعطفـا[4]
يسـوِّفنـي بنـائلـه وقـد أهـدى لـيَ الأسفا[5]
وآخـذ وصـلـه عِـدةً ويأخـذ مهجتـي سلفـا

---

(١) ممسَّك : من المسك ، ومعنبر : من العنبر .
(٢) عوديّ القميص : كناية عن جريانه الذي ينقطع .
(٣) الثقلين : الإنس والجن .
(٤) الخشف : ولد الغزال .
(٥) يسوِّفني : يماطلني ، والنائل : العطاء .

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الوافر] :

دموعـــي فيك أنــواءٌ غزارٌ　　وقلبـــي ما يقــرٌّ له قرارُ
وكل فتــىً علاه ثوب سقمٍ　　فذاك الثــوب منّــي مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتنـــي ما بين همٍّ وبوس　　وثنـــت بعـــد ضحـــكةٍ بعبوسِ
ورأتنـــي مشطـــت عاجــاً بعاجٍ　　وهـــي الآبِنـــوسُ بالآبنوس

وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيبــاً يضاحكهــا فصدَّتْ　　وكان جزاؤه منهــا العبوسا
وقالــت إذْ رأت للمشـــط فيه　　سواداً لا يشاكلــه نفيسا
تلــقَّ العـــاج منـــك بمشـــط عاج　　ودعْ للآبنــوس الآبنوسـا

وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف] :

هـــات مشطـــاً إلـــى وليِّكَ عاجاً　　فهـــو أدنـــى إلـــى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطـــت عاجــاً بعاجٍ　　فامشـــط الآبنـوس بالآبنـوس

* * *

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأنّ الرعـــود خلال البرو　　ق والـــريح يكثر تحريضها
زنـــوجٌ إذا خفَقَـــتْ بينها　　دبـــادبها جـــرّدت بيضهـــا[1]

(١) الدبادب : الصياح والضجّة ، والبيض : السيوف .

وقوله [من الكامل] :

صدّت مجانبةً نوارُ ونأى بجانبها ازورارُ
ورأت ثيابي قد غدتْ وكأنّها دِمَنٌ قفار[1]
يا هذه إن رحت في خلقٍ فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خزفٌ وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه رديءٌ ومحالٌ وساقطٌ وبديعُ
فهو مثل الزمان فيه مصيفٌ وخريفٌ وشتوةٌ وربيع

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياسِ
قطرٌ كدمعي وبرقٌ مثل نار جوىً في القلب منّي وريحٌ مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجـر فما للكأس حبسُ
قهوةٌ تعطيكها قبـل طلوع الشمس شمس
وهي كالمرِّيخ لكنْ هي سعدٌ وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

يا قضيباً يميس تحت هلال وهلالاً يرنو بعينيْ غزالِ
منك يا شمسنا تعلّمت الشمـس دنوَّ السنا وبعدَ المنال[2]

---

(١) الدمن : الأطلال والرسوم .
(٢) السنا : الضياء .

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البـدر في الـ ـحسـن وفـي بعـد المنالْ

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنّـت بعودهـا شغفٌ جاء سرورٌ يفـوق كلَّ منى
واحـدة الحـذق لا نظير لها كالمسـك لونـاً وبهجـةً وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

تركتنـا بطيبهـا إذ تغنّت شغفٌ بين أَنَّةٍ ونحيبِ[1]
طِبَّـةٌ بالغنـاء فهـي لأسقا م الندامـى لطافـة كالطبيب[2]
ألفتهـا القلـوب لمـا رأتها صاغهـا الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

أكسبهـا الحـبّ أنّهـا صبغت صبغـة حبّ القلـوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

يا راقـداً عارياً من ثوب أسقامي هبَّ الرقـاد لعين جفنُهـا دامي
لا خلّص الله قلبـي من يديْ رشإٍ رؤيا رجائـي له أضغـاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسننـاً نحـن في لهـوٍ وليلتنا بزهـر أنجمهـا ترمـي العفاريتُ
وقـد تضـايق في السّـكر العنـاق بنا كمـا تضـايق في النّظـم اليواقيت[3]

---

(١) الشغف : الحب والهوى .

(٢) طبّةٌ : مداوية .

(٣) النظم : من نظم العقد أي سلك حباته في سلكٍ واحد .

وقوله [من الكامل] :

متبرّمٌ بعتابه مستعذبٌ لعذابهِ
هجر العميد تعمّداً فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيبه في عنفوان شبابه
فتراه يؤْذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدّجى فاسقنيها قهوةً تترك الحليم سفيها
لست تدري لرقةٍ وصفاءٍ هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

ظالمٌ لي وليته الدهر يبقى ويظلمْ
وصله جنّةٌ ولكن جفاه جهنم[1]
ورضاه وسخطه الدهر عرسٌ ومأتمُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّ شهر الصيام إذ جاء في فصل ربيعٍ أودى بحسنٍ وطيبِ
فكأنّ الورد المضعّف في الصوم حبيبٌ يمشي بجنبِ رقيب

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ ليلاء في اللون كلون المفرقِ
كأنّما نجومها في مغربٍ ومشرق
دراهمٌ منشورةٌ على بساط أزرق

---

(١) الوصل : اللقاء والقرب ، والجفاء : البعد .

وقوله في معنى متداول [من الطويل] :

بنفسي حبيبٌ بان صبري لبينه ... وأودَعَني الأحزانَ ساعة ودّعا
وأنحلني بالهجر حتى لو أنني ... قذىً بين جفنيْ أرمدٍ ما توجّعا

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

صغيرٌ صرفت إليه الهوى ... وهل خاتمٌ في سوى خنصرِ
فإن شئت فاعذر ولا تلْحُني ... وإن شئت فالحُ ولا تعذر

وقوله [من السريع] :

همّته خمرٌ وماخور ... وهمّه عود وطنبورُ(١)
وليس دنياه ولا دينه ... إلا مهىً مثل الدمى حور
ذيل الصبا في الغيِّ مجرور ... والعمر باللّذات معمور
وليلة الهيكل كم أنفدتْ ... فيها دنانٌ ودنانير
أقبلْن كالروض تغشّاه من ... درٍّ وياقوتٍ أزاهير
علىٰ خصورٍ أرهفت دقةً ... ففي الزنانير زنابير
فما درينا أَوُجُوه الدّمى ... أحسْنُ أم تلك التصاوير(٢)
وعندنا صفراء من قامرت ... بالسّكر منّا فهو مقمور(٣)
سلاف أعناب فعنقودها ... من قبل أن يعصر معصور
زاد على المصباح إشراقها ... فهو ظلامٌ وهي النور
حتى إذا ما انحلّ جيب الدجى ... فينا وجيب الصبح مزرور
جرّت هناةً ليَ أجْملتها ... فهل لها عندك تفسير؟ (٤)

---

(١) الماخور : مكان الشرب والمجون .
(٢) الدمى : يعني الفتيات القيان .
(٣) مقمور : مغلوب .
(٤) الهناة : الداهية .

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمرٌ، وأنفاسه ... مسكٌ، وذاك الثغر كافورُ
أخرجه رضوان من داره ... مخافةً تفتتن الحور[1]
يلومه الناس على تيهه ... والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحّلٌ بالدعج ... منقّبٌ بالغَنَجِ
معصفرُ التفّاح في ... خدٍّ مليحِ الضّرج[2]
خمّشه الشعر وما ... ذاك لطول الحجج[3]
وإنّما عارضه ... شنّفه بالسبج[4]

وقوله [من البسيط] :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به ... والأرض والروض في وشْي وديباجِ
فما ترى غصناً إلا وزهرته ... تجلوه في جبّة منها ودوّاج[5]
وللحمائم ألحانٌ تذكّرنا ... أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفةٌ ... يزورها فتلقّاه بأمواج
والخمر تجلى على خطّابها فترى ... عرائس الكرم قد زفّت لأزواج
وكلُّنا من أكاليل البهار على ... رءوسنا كأنو شروان في التاج
ونحن في فلكِ اللهو المحيط بنا ... كأنّنا في سماءٍ ذاتِ أبراج
ولست أنسى ندامى وسط هيكله ... حتى الصباح غزالاً طرْفُه ساجي[6]

---

(١) رضوان : خازن الجنان .
(٢) الضرّج : ما يعلو الخدّ من حمرة .
(٣) خمّشه : ترك به آثاراً من المداعبة .
(٤) شنّفه : زيّنه وحلاّه ، والسبج : الخرز الأسود .
(٥) الدوّاج : اللّحاف الذي يلبس .
(٦) الساجي : الساكن والهادىء .

أهز عطفيَّ قضيب البان معتنقاً منه وألثم عيني لعبة العاج
وقولتي والتفاتي عند منصرفي والشوق يزعج قلبي أيَّ إزعاج
يا دير يا ليت داري في فنائك أو يا ليت أنك لي في درب درّاج[1]

وقوله [من الكامل] :

قمرٌ بدير الموصل الأعلى أنا عبده وهواه لي مولى
لثم الصليب فقلت من حسدٍ قبل الحبيب فمي بها أولى
جدْ لي بإحداهنّ كي يحيا بها قلبي فحبّته على المقلى[2]
فاحمرّ من خجلٍ وكم قطفت عيني شقائق وجنةٍ خجلى
وثكلت صبري عند فرقته فعرفت كيف تحرّق الثكلى

وقوله من قصيدة في المهلبي الوزير وقد عزم على الرجوع إلى وطنه [من البسيط] :

إنّا لنرحل والأهواء أجمعها لديك مستوطناتٌ ليس ترتحلُ
لهنّ من خلقك الروض الأريض ومن نداك يغمرهنّ العارض الهطل[3]
لكنّ كلّ فقيرٍ يستفيد غنىً دعاه شوقٌ إلى أوطانه عجل
وكلّ غازٍ إذا جلّت غنيمته فإنّ آثر شيءٍ عنده القفل[4]

وقوله [من الطويل] :

وكنت أرى في النوم هجرك ساعةً فأجفو لذيذ النوم حولاً تطيّرا
وتأمرني بالصبر والقلب كلّما تقاضيته صبراً تقاضيت معْسرا

---

(١) درّاج : إسم مكان ، أو درب عام أدرج إليه كلّ يوم .
(٢) جذد لي : تكرّم عليّ .
(٣) الأريض : المكان الكثير العشب .
(٤) القفل : الرجوع إلى دياره .

فلمـا رأيت الغـدر من شأنـك اغتدى غدير التصافـي بيننـا متكدِّرا
فوالله ما أهـواك إلاّ تكلّفاً ولا أشتـكي الهجـران إلا تخمّرا

وقوله في إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحـلّ به الرزيه وأعـاد نعمتـه بليّهْ
حظّـي الـردى بك إذ غدت لك بنـت عمـارٍ حظيّه[1]
قـل لي وكيف تنيكها مع دلٍّ قامتـك القميّه ؟[2]
أنــت البعـوضـة قلـةً وكأنهـا جمـل الضحيّـه
نبئتهـا قالـت وقـد بصـرت بأيـرك كالشظيـه !
مـن ليس تشبعـه الهريـ ـسة كيف تشبعـه القليه ؟
فـلـوِ اطّلَعْـتَ عليهما عنـد ارتـكابهمـا البليـه
لـذكرت في شخصيهمـا الـ ـعنقـاء قد خطفـتْ صبيه !

وقوله [من الخفيف] :

قل لمـن يشتهـي المـديح ولكن دون معروفـه مطـالٌ ولـيُّ[3]
سوف أهجـوك بعـد مدحٍ وتحريـ ـكٍ وعتـبٍ ، وآخـر الـداء كيُّ

وقوله [من المنسرح] :

بغـداد قد صار خيرهـا شرّا صيرهـا الله مثـل سامرّا
اطلـبْ وفتّش واحـرصْ فلسـت ترى في أهلهـا حرّةً ولا حرّا

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيـل المطالــب بالهنـديّة البتر لا بالأمانـي والتـأميـل للقدرِ[4]

---

(١) الحظيّة : الزوجة والعاشقة .
(٢) القميّة : أقمى الرجل إذا سمُن بعد هزال والقامية : الذليلة .
(٣) المطال : التسويف .
(٤) البُتر ; القاطعة .

فإن عفا طللٌ أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين البثِّ والفِكَر
في شمِّك المسكَ شغلٌ عن مذاقته ... وفي سنا الشمس ما يُغني عن القمر
لو لم أكن مشْبهاً للناس في خلقي ... لقلت إنِّيَ من جيلٍ سوى البشر
أو لم يكن ماء علمي قاهراً فِكَري ... لأحرفتني في نيرانها فكري
تزيدني قسوة الأيام طيب ثناً ... كأنني المسك بين الفهر والحجر(١)
ألفتُ من حادثات الدهر أكبرها ... فما أعوج على أطفالها الأُخَر(٢)
لا شيء أعجب عندي في تباينه ... إذا تأمّلته من هذه الصور
أرى ثياباً وفي أثنائها بقرٌ ... بلا قرونٍ ، وذا عيبٌ على البقر !
قالت رقدت فقلت الهمّ أرقدني ... والهمّ يمنع أحياناً من السهر
كم قد وقعت وقوع الطير في شركٍ ... فضعضعتْ مِنّتي منه قوى المرر
أصفو وأكدر أحياناً لمختبري ... وليس مستحسناً صفوٌ بلا كدر
إني لأسْيَرُ في الآفاق من مثلٍ ... فردٍ وأملأُ للآفاق من قمر
إذا تشكّكت فيما أنت مبصره ... فلا تقل إنّني في الناس ذو بصر
وكيف يفرح إنسان بمقلته ... إذا نضاها فلم تصدقْه في النظر !
لقد فرحت بما عاينت من عدمٍ ... خوف القبيحين من كبرٍ ومن بطر(٣)
وربّما ابتهج الأعمى بحالته ... لأنه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكي لشيبٍ قد منيت بِهِ ... يبكي على الشيب من يأسي على العمر
كن من صديقك لا من غيره حذراً ... إن كان ينجيك منه شدة الحذر
ما أطمئن إلى خلقٍ فأخبرَهْ ... إلاّ تكشّفَ لي عن لؤم مختبر
وقد نظرت إلى الدنيا بمقلتها ... فاستصغرتها جفوني غاية الصغر

---

(١) الفهر : حجرٌ رقيق تسحق به الأدوية .
(٢) أعوج : أميل وأتطلع .
(٣) البطر : التكبّر من أثر النعمة .

وما شكرت زماني وهو يصعدني فكيف أشكره في حالِ منحدر
لا عار يلحقني إني بلا نشبٍ وأي عارٍ على عينٍ بلا حور[1]
فإن بلغت الذي أهوى فعن قدرٍ وإن حرمت الذي أهوى فعن عذر

* * *

١٠٨ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي

هو من بلدة يقال لها « بلد » من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل ، وأبو بكر من حسناتها .

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ، وهو القائل [من السريع] :

بالغت في شتمي وفي ذمّي وما خشيت الشاعر الأميّ
جرّبت في نفسك سمّاً فما أحمدت تجريبك للسمّ

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره ، كقوله [من الطويل] :

ألا إنّ إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمالٍ لا تقصّر في لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بوادٍ منهم غيرِ ذي زرع

وقوله [من الطويل] :

كأنّ يميني حين حاولت بسطها لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
وقائلةٍ هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصا وقد جُعلتْ تلك العصا حيَّةً تسعى

---

(١) النشب : المال وغيره من النعم .

وقوله [من الخفيف] :

أتـرى الجيرة الـذين تداعوْا بكرةً للـرحيل قبـل الزوالِ
علمـوا أنّنـي مقيمٌ وقلبي راحـلٌ فيهـمُ أمـام الجمال
مثـل صاع العـزيز في أرحـل القو م ولا يعلمـون ما في الرحال[1]

وقوله [من الكامل] :

سـار الحبيب وخلَّفَ القلبا يُبـدي العـزاء ويُضْمـر الكربا
قـد قلـت إذ سار السـفين بهم والشـوق ينهـب مهجتـي نهبا
لـو أن لي عزاً أصـول به لأخـذت كلّ سفينـةٍ غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله [من الكامل] :

وحمـائـمٍ نبّـهننـي والليـل داجي المشرقيـن
شـبّهتهـنّ وقـد بكيـ ـن ومـا ذرفـن دمـوع عين
بنسـاء آل محمـدٍ لمـا بكين علـى الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحـدتَ ولاءَ مولانـا عليٍّ وقدَّمْـتَ الدعـيَّ علـى الوصيِّ
متـى ما قلـت إنّ السيف أمضى من اللحظـات في قلـب الشجيِّ
لقـد فعلـت جفونـك في البرايا كفعـل يزيد في آل النبيِّ

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنـا إن رمـت سلوّاً عنـك يـا قرَّة عيني
كنـت في الإثـم كمـن شا رك فـي قتـل الحسيـنِ

---

(١) صاع العزيز : وهو الصاع الذي وضعه يوسف في رحل إخوته عندما جاءوا يكتالون القمح .

لـك صولاتٌ علـى قلـــــــــبي بقـدٍّ كالرُّدَيْني[1]
مثـل صولاتِ علـيٍّ يـوم بـدرٍ وحنيـن

وكقوله [من الخفيف] :

أنــا في قبضــة الغــرام رهين بين سيفين أرهفــاً ورُدَيْني
فــكأن الهــوى فتــىً علويٌّ ظنَّ أنــي وليت قتـل الحسين
وكأنّــي يزيد بيـن يديه فهـو يختــار أوجـع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظـر إلــيَّ بعين الصفــح عن زللي لا تتركنّــيَ من ذنبـي علـى وجل[2]
موتــي وهجــرك مقرونــان في قرنٍ فكيف أهجــر من في هجــره أجلي
وليس لي أمــلٌ إلا وصالكم فكيف أقطـع من في وصلــه أملي
هذا فؤادِيَ لم يملــكْه غيرُكُمُ إلا الوصــيُّ أمير المــؤمنين علي

وكقوله [من الوافر] :

تظــن بأننــي أهــوى حبيبا سواك علــى القطيعـة والبعادِ
جحــدت إذن موالاتــي عليّاً وقلــت بأنّــي مولـى زيـاد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فمنها قوله [من الوافر] :

إذا استثقلــت أو أبغضــت خلقاً وســرَّكَ بعــده حتـى التنادي[3]

---

(١) الرديني : الرمح .
(٢) الزلل : الخطأ ، والوجل : الخوف .
(٣) التنادي : القيامة .

فشرّده بقرض دريهماتٍ فإنّ القرض داعية البعادِ

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتاني حبيبٌ في مصارمتي لجوجُ(١)
أيا ليلي الذي ما كنت تفنى قصرْتَ وكنت قِدْماً ما تروج !
أياجوجٌ إذا نحن التقينا وأيام التهاجر أنت عوج(٢)

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تشاجرٌ كأنّ صنوف النور فيه جواهرُ
كأنّ نسيم الروض في جنباته لخالخ فيما بيننا وزرائر(٣)
كأنّ القمارى والبلابل حولها قيانٌ وأوراق الغصون ستائر(٤)
شربنا على ذاك الترنّم قهوةً كأنّ على حافاتها الدرّ دائر

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضةٍ بات طلّ الغيث ينسجها حتى إذا نجمتْ أضحى يدبّجها(٥)
يبكي عليها بكاء الصّبّ فارقه إلْفٌ فيضحكها طوراً ويبهجها
إذا تنفّس فيها ريح نرجسها ناغى جَنِيٌّ خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده كأسٌ كشعلة نارٍ إذ يؤجّجها
لا تمزجنْها بغير الريق منك وإن تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها

---

(١) المصارمة : المقاطعة والهجر ، واللجوج : الملحّ .
(٢) يأجوج: ورد ذكره في القرآن الكريم ، وعوج : من ولد آدم يقال إنّه لفرط طوله كان يمشي في البحر ويشوي السمكة في أشعّة الشمس .
(٣) لخلخ : من اللخلخة ، وهو طيبٌ معروف .
(٤) القماري : من الطيور المغرّدة .
(٥) نجمت : طلعت .

أقــل ما بي من حبيِّكَ أنَّ يدي إذا دنــتْ من فؤادي كاد ينضجها

وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومــدام كســت الكأ س مــن النّــور وشاحـا
ظهــرت في جنــح ليلٍ فكـأنَّ الفجـرَ لاحـا
لــم يكن وقــت صباحٍ فحسـبنـــاه صبـــاحــا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلــت والليل له الويـ ـلُ مقيمٌ غيرُ ساري
أعظــم الخالــقُ أجـرَ الـ ـخلــق فـي شمس النهار
فلقــد ماتــت كمــا ما ت عزائــي واصطبـاري

وقوله [من الخفيف] :

أنــا أخفــي من أن يحس بجسمي أحــد حيث كنــت لولا الأنينُ
فكأنــي الهــلال في ليلــة الشـــــك نحــولاً فمــا ترانــي العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدَّنــي عــن حلاوة التشييع اجتنابــي مـرارةَ التوديعِ
لــم يقــم أنس ذا بوحشــة هذا فرأيت الصــواب تركَ الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الــذي أصبــح لا والدٌ له علــى الأرض ولا والدهْ
قــد مات من قبلهمــا آدمٌ فأيُّ نفسٍ بعــده خالده
إن جئــت أرضــاً أهلهــا كلهم عورٌ فغمِّضْ عينَــكَ الواحده

وقوله [من السريع] :

نكبــت في شعــري وثغــري وما نفسِــيَ في صبـري بمنكوبهْ

إذا دنــتْ بيضــاء مكروهة منــي نأت بيضــاء محبوبـه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالــوا تكهّــل من هويـ ـت فقلــت رســمٌ قد دثرْ
عاينــت مــن طلاّبـه زمـراً مواصــلــةً زمـر
وكـذاك أصحــاب الحديـ ـــث نفاقهــم عنـد الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمــع يفــوق السحـابَ إلــى أن جرى المــاء حولــي وساحا
ولــو لم أكن رجــلاً سابحـاً غرقــت وألزمــت نفســي الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليـل المحبين مطــويٌّ جوانبُهُ مشمّـر الـذيل منســوب إلــى القصرِ
ما ذاك إلاّ لأنّ الصبــح نمٌّ بنا فأطلع الشمس من غيظٍ علـى القمر(١)

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائــع خـدّه ورد صوالـج صدغــه سبجُ
إذا اتّصــلــت محاسنه نقــطّـع بينهـا المهـج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الــرزق لم خانتنِــيَ القسمُ ما أنــت متّهــم قل لي من أتّهمُ ؟
إن كان نجمــيَ نحســاً أنــت خالقه فأنت في الحالتين الخصم والحكم !

وقوله في أمرد التحى [من السريع] :

انظــر إلــى ميت ولكنـه خلــو من الأكفـان والغاسلِ

---

(١) نمّ : وشى ودلّ .

قد كتب الدهر على خده ... بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزّك لا أني عرفتك ناسياً ... لوعدٍ ولا أني أردت تقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سلّهِ ... إلى الهزّ محتاجاً وإن كان ماضيا[1]

أحسن ، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي [من الخفيف] :

لا ملومٌ مستقصرٌ أنت في البرِّ ... ولكن مستعطفٌ مستزادُ
قد يهزّ الهنديّ وهو حسامٌ ... ويحثّ الجواد وهو جواد

* * *

١٠٩ ـ عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر ، وكان قد عاشره واستكثر منه ، فحكى لي أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني ... بأن ربّاً الورى المسيحُ
أراك تعمى وذاك يبري ... فهو إذاً عندي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود ... تشهد أنّا له عبيدُ
كأنّما خدّه وصالٌ ... وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرمٍ ... أقْصِرْ فقد نلت ما تريد[2]

---

(١) الهزّ : التحريك ، وماضياً : قاطعاً .
(٢) أقصر : كفّ وامتنع .

إن كان قد رقَّ ثوب صبري عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ ورومِ
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إني وقفت من الهوى في موقفٍ صعبٍ عظيم
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيقي نشربْ على روض الشقيقِ
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق[1]

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني، وهو في « أخبار دولة آل بويه » .

(١) الأكناف : الجوانب .

القسم الثاني

من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

وهو في أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ ـ بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآلـه ـ ببـاب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقـدم ذكره من الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب .

البـــاب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحهم وأشعارهم

١١٠ ـ عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان ـ على ما مكن له في الأرض ، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض . وخص به من رفعة الشان ، وأوتي من سعة السلطان ـ يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل بارع ، ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة .

فمن ذلك : وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق .

ومنه : لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه .

ومنه : لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هي . إلا أني اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة ، أوجه إليها صلوات التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم .

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة[1] فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بهطة تعجز عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزورِ[2]
كأنّها في الجام مجلوّةٌ ... لآلىءٌ في ماء كافور[3]

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، قال : أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب ، عند اعتذاره إلىه من معاودة بختيار عليه، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه ... يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبنّ عزيمةً عضديّةً ... تاجيّةً تدع الأنوفَ رواغما[4]

---

(١) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن .
(٢) الزور : الكذب .
(٣) الجام : إناءً من فضّة .
(٤) رواغماً : أي ممتلة ومذعنة .

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوالون وهي [من الوافر] :

طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الراح والغرر الملاحِ
وكان الثلج كالكافور نثراً ونارٌ عند نارنْجٍ وراح
فمشمومٌ ومسروبٌ ونارٌ وصبحٌ والصبوح مع الصباحِ[1]
لهيبٌ في لهيبٍ في لهيبٍ صباحٌ في صباحٍ في صباح

وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله في الخيري [من البسيط] :

يا طيب رائحةٍ من نفحة الخيري إذا تمزّق جلباب الدياجيرِ[2]
كأنّما رشّ بالماورد أو عبقت فيه دواخن ندٍّ عند تبخير
كأنّ أوراقه في القدّ أجنحةٌ صفرٌ وحمر وبيضٌ من دنانير

واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :

ليس شرب الكأس إلاّ في المطر وغناء من جوارٍ في السحرْ
غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر
مبْرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاّب القدر
سهّل الله له بغيته في ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير في أولاده ليساس الملك منه بالغرر[3]

فيحكي أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى ﴿ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه﴾[4] .

* * *

(١) المشموم : المسك . والمسروب : الخمر المتسرّب من الدن .

(٢) الخيري : نوع من الورد الذكيّ الرائحة ، والدياجير : الظلمات .

(٣) ليساس : ليقاد . والغرر : الأفعال البيضاء .

(٤) الأيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة .

١١١ ـ عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري ، ورأيته متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، فعرض على كتابه المترجم بحديقة الحدق ، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال : أنشدني القاضي أبو بكر بن قريعة ، قال : أنشدني عز الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضتنا نرجسٍ ... تحيّي الندامى بريحانها
شربنا عليها كأحداقنا ... عقاراً بكأسٍ كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا ... نجرّر ريطاً كقضبانها[1]

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر ... في صحن دجلة واعصِ زجر الزاجرِ
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها ... درّاً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أغيدَ يستبيك إذا مشى ... بدلال معشوقٍ ونخوة شاطر[2]
والماء ما بين الغصون مصفّقٌ ... مثل القيان رقصْن حول الزامر

وأنشدني أبو سعيد[3] قال : أنشدني أبو جعفر الطبري طبيب آل بويه ، قال : أنشدني بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفاؤك لازمٌ مكنون سرّي ... وحبّك غايتي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي ... سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

* * *

(١) ماس : تمايل دلاً ، والريط : الملاء .
(٢) يستبيك : يسلبّ لبّك ، ويستأسرك .
(٣) في إحدى نسخ ١ « سعد » محرّفاً .

١١٢ ـ تاج الدولة أبو الحسين[١] أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن .

أنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن المظفر العلوي النيسابوري ، قال : أنشدني أبو العباس الملحي القوال بسوق الأهواز ، قال : أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلامٌ على طيفٍ ألمَّ فسلَّما وأبدى شعاع الشمس لما تكلّما[٢]
بدا فيدا من وجهه البدر طالعاً لدى الروض يستعلي قضيباً منعّما
وقد أرسلت أيدي العذارى بخدّه عذاراً من الكافور والمسك أسحما[٣]
وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه فعلّمه من سحره فتعلّما[٤]
ألمّ بنا في دامس الليل فانجلى فلما انثنى عنّا وودّع أظلما

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هبِ الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى من الحبس والأسرِ
فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى في أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علّتي من العداة بالتي

---

(١) وفيها « أبو الحسن » .
(٢) ألمّ : حلّ وزار .
(٣) الأسحم : الأسود .
(٤) هاروت : ملك كان ببابل ورد ذكره في القرآن الكريم .

وصـــارمٍ مهنّـــدٍ ماضٍ رقيق الشفرةِ
وليلـةٍ أحييتـهـــا منــوطـةٍ بليلـــة
كأنمـــا نجمُ الثريّـــــا في الدجــى ومقلتــي
جوهرتــا عقــدٍ على نحــر فتــاةٍ طفلة
أفــكر في بنــي أبي وفعــل بعض إخوتــي
تظــنّ أنّــي أحمــل الـــــضيم فأيـن همتــي
تقنــعٍ بالأهـواز لي وواســط والبصــرة
لسـت بتــاج الدولة سليل تــاج الملة
إن لم تزر بغــداد بي عمّـا قليل كبّتي[1]
وعســكــرٍ عرمــرمٍ يملــك كــلّ بلــدة
حشــو الجبــال والفلا مواكــبٌ مـن غلمتــي[2]
نصرتهــم منّــي ومن ربٍّ السمــاء نصرتــي

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنــا ابــن تاج الملــة المنصــور تا ج الدولـة الموجـود ذو المناقبِ
أسمــاؤنـا في وجــه كلّ درهمٍ وفــوق كلّ منبــرٍ لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنـا التـاج المرصّـع في جبين الـــــممــالك سالك سبـل الصلاحِ
كتائبنـــا يلــوح النصــر فيها برايات تطــرّق بالنجاح
تــكاد ممــالك الآفـاق شرقاً تسير إلــيَّ من كل النواحي
ألا لله عرضٌ لي مصونٌ مقــام المجــد بالمــاء المباح

---

(١) الكبّة : الحملة والدفعة في الحرب .
(٢) غلمتي : جنودي ، والمعنى أنّ جنوده يملأون الجبال والفلوات .

وقوله من طردية [الرجز] :

صرنـا مع الصبـاح بالفهود مردفـةً فوق متـون القودِ
قـد وطئـت توطئة المهود بالقـطـف والجـلال واللبود[1]
فهـي كقـومٍ فوقهـا قعود قد ألبسـتْ وشياً علـى الجلود
يخالهـا النـاظـر كالأسود تبـكي لشبـلٍ ضائـعٍ فقيـد
بأدمـعٍ علـى الخـدود سـود فقابلـت مرادهـا في البيـد
وقطّعـت حبـائل المسـود تفـوت لحـظ النـاظـر الحديد[2]
ركضـاً إلـى اقتنـاص كلّ رود فكم بهـا من هالكٍ شهيد[3]
منْعفـر الخـدّ علـى الصعيد بنحسهـا نظـلُّ في السعـود
جدنـا بهـا ، والجـود بالموجود فكثـرتْ ولائـم الجنـود

* وشبّت النيران بالوقود *

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

سقـانـي سَحَـراً خمرهْ وقـد لاحـت لي النّثرهْ[4]
غـزالٌ فاتـن الطّرف مليـح الـوجـه والطُّرَّه
أنـا ملكٌ وقـد ملكـ ـت قلبي صاحب الوفـره[5]
وقـد زرفـن صدغيْـه علـى أبهـى من الزهره
فمـن أسود في أبيـ ـض في أحمـر في صفره
إذا حاول أن يجهـ ـل أو تبـدو له نفـره
أعـان الشيـخ إبليـسُ عليـه فأتـى مكـره

(١) القطف : جمع قطيفة ، وهي دثار مخمَّل .
(٢) المسود : جمع مسد : وهو جبلٌ من ليف مضفور . والناظر الحديد : أي القويّ .
(٣) الرود : الفتاة الحسناء .
(٤) النثرة : كوكبان متقاربان بهما بياض .
(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

وله في النكبة[1] [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني لا أستريح من الأحزان والفكَرِ
إذا أقول مضى ما كنت أحذره من الزمان رماني الدهر بالغير[2]
فحسبي الله في كلّ الأمور فقد بُدِّلْت بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

١١٣ ـ أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرني إلا هذه [من مجزوء الرمل] :

أدر الكأس علينا أيُّها الساقي لنطربْ
من شمولٍ مثل شمسٍ في فم النّدمان تغرب
فحكت حين تجلّت قمراً يلثم كوكب[3]
ورد خديه جنىً لكن الناطور عقرب
فإذا ما لدغت فالريق درياق مجرّب

(١) هذه القطعة ليست في «ب» .
(٢) الغير : النوائب والصروف .
(٣) حكت : شابهت .

الباب الثاني

١١٤ - في ذكر المهلبي الوزير وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده في الأموال ، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلاً مليحاً ، ويقول الشعر قولاً لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلي معه العسل ، يغذي الروح ، ويجلب الروح ، كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبي من إذا أراد سراري ... عبرت لي أنفاسه عن عبيرِ
وسباني ثغرٌ كدرٍ نظيمٍ ... تحته منطق كدرٍّ نثير
وله طلعة كنيل الأماني ... أو كشعر المهلّبي الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي ، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذى

عينه ، وشجى صدره، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب ، إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موتٌ يباع فأشتريه   فهذا العيش ما لا خير فيهِ
ألا موتٌ لذيذ الطعم يأتي   يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد   وددت لو آنني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرٍّ   تصدّق بالوفاة على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه[1] وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رقّ الزمان لفاقتي   ورثى لطول تحرُّقي
وأنالني ما أرتجي   وأجار مما أتّقي
فلأصْفَحَنْ عمّا أتا   ه من الذنوب السُّبَّقِ
حتى جنايته بما   فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه[2] وهاضه عركه[3] فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فدته نفسي   مقال مذكّر ما قد نسيهِ :
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ   ألا موتٌ يباع فأشتريه ؟

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه ، ورعاية حق

---

(١) القَرَم : شدة الشهوة إلى اللحم .
(٢) البرك : البروك وهو النزول .
(٣) عركه : عفاه دلكاً وحكاً وحمل عليه .

الصحبة فيه ، والجري على حكم من قال [من البسيط] :

إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن[1]

وأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته   أَذْكَرْتَنا أدْمنا ، والخبز خشكارُ[2]
إذ ليس في الباب بوّابٌ لدولتكم   ولا حمارٌ ولا في الشطِّ طيَّار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبيٌ يرق الماء في   وجناته ويرق عودهُ
ويكاد من شبه العذا   رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره   سيفاً ومنطقة تؤوده[3]
جعلوه قائد عسكرٍ   ضاع الرعيل ومن يقوده ![4]

---

(١) أسهلوا : أي أصابتهم النعمة .
(٢) الأدم : الطعام . والخشكار : صفة للخبز « فارسية » .
(٣) تؤوده : تثقله وتتعبه .
(٤) الرعيل : هنا الجيش .

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلبي .

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ينوء بخصرٍ في القباء هضيم[1]
يذكّر عزاب الجيوش إذا بدا بخدّ كعابٍ أو بمقلة ريم[2]

وذكر الصابي أن أبا عيينة المهلبي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبته دنيا من عمومة الوزير ، وكان المهلبي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على ما فاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنّي وصلت مفاخري بأبٍ حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلّفني وحديثه فكأنما يحيا
وتلوْتُ عمّي في تغزّله وشربت ريّا من هوى ريا[3]
فكأنّني هو في صبابته وكأنّه في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت أهوى في الجهارةوالنجوى[4]
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقررت في الرتبة العليا
وعاينت من شعر العيينيّ حلّةً تعاون فيها الطبع والمهجهة الحرا

(١) المقرطق : اللابس لنوعٍ من الثياب يقال له « القرطق » .
(٢) العازب : من لا زوج له .
(٣) تلوت : خلفته وتبعثه .
(٤) النجوى : الأسرار .

فحرّكنـــي عرق الوشيجــة والهوى لعمّي وأطّتْ بي إلى الرّحـم القربى(1)
فيا حسرتــى أن فات وقتــي وقته ويا حســرةً تمضــي وتتبعهــا أخرى
ويا فوز نفســي لو بلغــت زمانه وبغيتــه دنيا وفــي يدِيَ الدنيا
فمكنتــه من أهــل دنيا وأرضها ففــاز بمـا يهـوى وفـوق الـذي يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبي

فصل : وردت أدام الله عز مولانا العراق ، فكان أول ما اتفق لي استدعاء مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله ، وجمعه بين ندمائه من أهل الفضل وبيني . وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب ، متقعر في كلامه لطيف يعرف بالقاضي ابن فريعة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاضها إلا أني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الـذي أوردته الصافـة عن الصافـة ، والكافة عن الكافة ، والحافة عن الحافة ، وله نوادر غريبة وملح عجيبة .

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانـك ، ومازحـك فيه إخوانـك ، وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة .

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه ورحمه وأنسأ أجل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلـةٌ غدَتْ في النـاس وهـي قطيعةٌ عجبـاً وبِـرٌّ راح وهـو جفـاءُ

فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته

---

(1) الوشيجة : القرابة والصلة . وأطّت : شدّت وحملت .

عذري وحسبته يعفيني ، فعاودني بمن استحضرني فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهني عليه، ثم قال : أتعرف أحسن صنيعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واحرباه الى واطرباه ، وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويغني ويحسن ، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلافاً [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد شربنا سُلافاً　　وجمعنا بلطفهِ أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما طاب به الوقت ، وهشت له النفس ، وشاكل رقة ذلك الهوى ، وعذوبة ذلك اللمى .

وكان فيما أنشدني لنفسه وقد عمله في بعض غلمانه [من الكامل] :

خطٌّ مقوّمةٌ ومفرق طُرَّةٍ　　فكأنّ سنَّةَ وجهه محرابُ[1]
وريت في كشف الذي ألقى به　　فتعطّل النمّام والمغتاب[2]

فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة . وهو على جملة من البر والتكرمة ، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيب من يومه فيه لا أني حضرته ، ولكني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً م[من الكامل] :

قل للوزير أبي محمدٍ الذي　　من دون محتده السُّهى والفرقدُ[3]
من إن سما هبط الزمان وريبه　　أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقّيتني مشمولةً ذهبيةً　　كالنار في نور الزجاجة توقد
لما تخوّن صرف دهرٍ عارضٍ　　صبري وقلبي مستهامٌ مكْمد

---

(١) الطرّة : الشعر الذي يعلو الجبين

(٢) وريت : من التورية وهي القول الذي يحتمل معنيان قريب وبعيد أو ظاهر وخفي .

(٣) المحتد : الأصل والنسب .

وفطمتنـــي من بعدهـــا عنهـــا فقد أصبحـــت ذا حزنٍ يقيم ويقعد[1]
من أين لي مهمـا أردت الشـــرب عنـ ـدك يا أخـــا العلياء صبـــر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعاني من غده ، فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم .

* * *

فصل من كتاب الروزنامجة أيضاً

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصب اليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من الوافر] :

سـلام أيهـا الملكُ اليماني لقـد غَلَـبَ البعـادُ علـى التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهي [من الكامل] :

تطـوي المنـازل عن حبيبـك دائماً وتظـل تبـكيه بدمـعٍ ساجمِ
هلا أقمـت ولـو علـى جمـر الغضا قلّبـت أو حدّ الحسـام الصارم[2]

وتبعتها جارية ابن مقلة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا مـن له رتـبٌ ممـ ـكّنـةُ القواعـد في الفؤادِ

---

(١) فطمتني : من الفطام ، وهو منع الطفل عن الرضاع .
(٢) الغضا : شجرٌ حطبه شديد التوهّج .

أيحلّ أخذ الماء من متلهّب الأحشاء صادي[1]

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب . واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذاكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا .

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ، وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدي صورتها ، ولولا حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لسافي الريح بانة عرعرا … وزرّت لصافي الراح حانة عكبرا[2]

وقلت لعلجٍ يعبد الخمر زُفَّها … مشعشعةً قد شاهدَتْ عصر قيصرا[3]

فناولَنيها لو تفرَّق نورها … على الدهر نال الليلَ منها تحيّرا

وأوسعني آساً ووردا ونرجساً … وأحضرني ناياً وطبلاً ومزهرا

هنالك أعطيت البطالة حقّها … وألقيت هتك الستر مجداً ومفخرا

كأنّي الصبا جرياً إلى حومة الصبا … أناغي صبياً من جلندا مزنّرا[4]

فعانقته والراح قد عقرتْ بنا … فكرَّرْت تقبيلاً وقد أقبل الكرى

---

(١) الصادي : الظامىء .

(٢) الريح السافية : أي التي تهب فتسفّ الرمال .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) الصبّا : الريح الباردة . والجلندا : الفاجر والعاجز ، أو هي إسم بلدة .

وصدَّ عن المعنى النعاس وصادني | إلى أن تصدّى الصبح يلمع مسْفرا
وهبّت شمالٌ نظّمتْ شمل بغيتي | فطارت بها عني الشمول تطيّرا
فكان الذي لولا الحياء أذعته | ولا خير في عيش الفتى إنْ تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظرة له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما ، وهما [من المجتث] :

لئن عرفت جريراً | أو اعتمدتْ قطيعا
فلا ظفرت بعاصٍ | ولا أطعْت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطيع قطيعة وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعاني ، وقاد دابة نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع خدمه : أبي الكأس ؛ وسلاف، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكمٍ | نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمي | لم ينم ليلي ولم أنمِ
غنني من شعر ذي حكمٍ | يا شقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره ، وقام كل منا يتعثر في سكره .

* * *

ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الـكـتـاب مبشّـراً ... قلبـي بأضعـاف السـرورِ
ففضضـتـه فـوجـدتـه ... ليلاً على صفحـات نور[1]
مثـل السـوالف والخـدو ... د البيضِ زينـتْ بالشعور
بنـظـام لفـظٍ كالثغو ... ر وكالعقـود علـى النحور
أنزلتـه في القلـب منـــــزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلـع الفجـر من كتابـك عندي ... فمتـى للقـاء يبـدو الصباحُ
ذاك إن تمّ لي فقـد عذب العيـ ... ـش ونيل المنـى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصـل الكتـاب طليعـة الوصل ... بغرائـبِ الإفضـال والفضـلِ
فشكرتـه شكر الفقير إذا ... أغنـاه ربّ المجـد بالبذل
وحفظتـه حفـظ الأسير وقد ... ورد الأمـان لـه من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتـاب فديتـه من وارد ... فلـه قلبـي من حياتـي موردُ
فـرأيت دراً عقـده منتظمٌ ... في كلٍّ فصـلٍ منـه فصـلٌ مفرد

* * *

---

(1) فضضت الكتاب : فتحته .

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

فصل : رأيته فصيح الإشارة ، لطيف العبارة [من الطويل] :

إذا اختصر المعنى فشربة حائمٍ وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمدِّ[1]

فصل : قد نظرته فرأيته جسماً معتدلاً ، وفهماً مشتعلاً [من المتقارب] :

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدامِ

فصل : قد عمهم بنعمه ، وغمرهم بشيمه [من الكامل] :

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائنَ نعلهِ[2]

فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :

وكأنّ فطنته شهابٌ ثاقبٌ وكأن نقد الحدس منه يقينُ

فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :

وقصّر يوم الصيف عندي وليلة الـ ـشتاء سرورٌ منه رفرف طائره

فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيح عرينه [من المتقارب] :

ودارت عليه رحى وقعةٍ تظلّ الحجارة فيها طحينا

فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبته بهجرك [من الطويل] :

وإن لمست منه بعاد معاده وعصر جفاه الشرب أن يتعهّدا

فصل : قد ضيعه الجملة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :

وأصلاه حرّ جحيم الحديـ ـد تحت دخانٍ من القسطل[3]

(١) الحائم : الطالب المتعطّش ، المحلّق والإسهاب : الإطالة .

(٢) السوابغ : النعم والعطايا . والسابغة : الدرع .

(٣) أصلاه : أذاقه الحرّ ، وأصلى النار : أوقدها . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه   نزولٌ على حكم النوى والتودّع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليتثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهمّ يملك نفسه   فأولى به ترك العلا والجسائم[1]

فصل : وصلة متينة، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ودٍّ دونها الرحم التي   تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حيفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه   ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وفات مداواة التلافي فساده   وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ذووه إلى جناب عدوه   وتقطّعت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفي ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافي جميل جزائه   وللناصح الهافي جميل التجاوز[2]

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبّره ملكٌ ماهرٌ   بهضم القوي وجبر الضعيفِ

(١) الجسائم : عظيم الأمور .

(٢) الهافي : المخطىء ، والتجاوز : العفو والصفح .

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فـإنّ عصيـر الثمـار الثجيـر وإنّ نفـيّ الحـديد الخبـث[1]

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبـدي الجـور في حالة ويبـذل الإنصـاف في أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعيشة نضرة [من الكامل] :

وغـدا ابـن دأية عندهـم كمهاً وابتـزَّ سوق صياحـه خرس[2]

فصل : عادل المكيال ، وازن المثقال [من الطويل] :

يجير علـى سلطانـه حكم دينه ويبعـد في حق البعيد أقاربه

فصل : فاتهم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تـركوا المكيدة والكمين لجهرهم والنبـل والأرمـاح للأسيـافِ

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلـبٍ شديدٍ لا يلين لخلّةٍ ولا يتلافـاه الرّقـى والتلطُّفُ[3]

فصل : أوحشت عني إبعاداً لك ، وانعطافاً عنك [من البسيط] :

وهـل يباعـد عذب المـاء ذو غصصٍ أو ينثنـي عن لذيذ الـزاد منهوم[4]

* * *

(١) الثجير : الثفل ، والنفيّ : الرديء .
(٢) ابن دأية : الغراب ، والكمه : الأعمى .
(٣) الخلّة : الصداقة ، أو المرأة الخليلة .
(٤) المنهوم : الجائع .

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر
وانخرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة ، ولا يدرك بالمجادلة ، له أنعام كثيرة الشهود ، وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم في أي حتف تورط ، وأي شر تأبط ، محامد أقر بها الراضي والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ، حسن الأخذ والعطاء . يؤذي صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح في رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظاً ، ويتميَّز حقداً ، ويتلظى غضباً ، ويزيد حنقاً . قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ، واستحللت حرام صده . من حنث في أيمانه ، وأخل بأمانته ، فإنما ينكث على نفسه ، حلف يمين بر شهد بها تصديقي ، واستيقنتها نفسي . قد ترامت به البلدان والأسفار ، ونبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاقت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه طافحاً بوجده ، ودمعه سافحاً على خده [لو سالمه الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه الضر طلب سلمه][1] قد أمرته أن يجعل رأيك سراجه ، ورسمك منهاجه ، قد شربت وشلا من وده ، ولبست سملاً من عهده . لأكشفنه لكل ليل بارد ، ونهار واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه ، ثمل من عناه [طرقني ثناء ما تتلقى شفتاي بذكره ، ولا يثبت بالي لخطره][2] لست غفلا عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ، وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المطابق والموافق ، وتخفي نظر المسارق والمنافق ، لو أن البرق فطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاه حسبي ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .
(٢) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .

واستخرجه طلبي ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه ، أوليته من حمايتي عضداً . ومن عنايتي مدداً ، وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه ، مكن موضع رجلك قبل مشيك . وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب ، قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الهجس . في حكمه صارم فصل ، وفي يده خاتم عدل ، سديد المذاهب ، سعيد المناقب ، نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه إلى غرر . لا زلت في إقامة ممهدة الحشايا . وحركة وطيئة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خالياً ، واستدنى مجلسي مكرماً ، واستوفى مقالي مصغياً ، وأعطاني معروفه مسمحاً ، ونزل على مسألتي مسهلاً ، وقضى حاجتي مجملاً ، وصرفني بالنجاح عجلا . طيب المغرس ، زاكي المنبت ، نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيذ الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفتاء ظرف . وجدت فيه مصطنعاً ، وبه مستمتعاً ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومرقد يمهده . أنا أتذمم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد قراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره ، وجدت فيه مع علو سنه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة ، التصرف أسنى وأعلى ، والتسيم أعفى وأصفى ، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه ، لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبيين عجز التدبير الأوحد ، إلا أن الاستلقاح ـ وهو أصل كل شيء ـ لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

* * *

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

مرّت فلم تثن طرفها تيها ... يحسدها الغصن في تثنّيها[1]
تلك تجنّي التي جننت بها ... أعاذني الله من تجنّيها

وقوله [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ لبست فيه التصابي ... وخلعت العذار والعذل عنّي
في محلٍّ يحلّه لذّة العيـ ... ـش ويجني سروره من تجنّي

وقوله [من الخفيف] :

لي صديقٌ في ودّه لي صدوق ... وبرعي الحقوق منّي حقيقُ
يا تجنّي كتمت ثم بدا لي ... أنت ذاك الصديق لي والرفيق
كلّما سرت من فراقك ميلاً ... مال من مهجتي إليك فريق
فحياتي مصروفةٌ في طريقٍ ... للمنايا عليَّ فيها طروق

وقوله [من الخفيف] :

منيّةٌ سابقت ورود البشير ... وموافٍ أوفى على التقديرِ
يا عروساً زفّت إليّ فأهديـ ... ـت إليها رقى مكان المهور
بالتملّي وبالرجا والسرور ... يا حياتي والمنزل المعمور
قد لعمري وفيت لي وسأجزيـ ... ـك وفاءً بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل] :

لقد واظبت نفسي على الحبّ في الهوى ... بإنسانةٍ ترعى الهوى وتواظبُ

---

(١) تثنيها : دلالها وتمايلها .

صفـا لِيَ العيش والشيب شاملٌ كمـا كان يصفـو والشبـاب مصاحب

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل وغيره

فمن ذلك قوله [من الوافر] :

أرانـي الله وجهـك كلّ يومٍ صبـاحـاً للتيمُّـن والسـرورِ
وأمتـع ناظـري بصحيفتيـه لأقـرا الحسـن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منـى نفسـي ويا حسـ ـبـيَ من حسـنٍ وطيبِ
سابقـي بالـوصل موتـي أو مشيبـي ومغيبـي
فهـو للفتيـان في الدنـ ـيا بمـرصـادٍ قريـب

وله في غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعـى الرحمـن قومـاً ملَّكوني رشـا قصـرٍ بلغْـت به المرادا
وسمَّـوْه مع القربـى غريباً كنـور العين سمَّـوْه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعـت فيـه خماري بغـزال كأنّـه مخمـورُ
ومصـادٍ سرحْـت فيه ونصرٍ بازيازي مظفَّـرٌ منصـور[1]
بصقـورٍ مثـل النجـوم إذا انقضّـ ـت وعصفٍ كأنّهـن صقور[2]

---

(١) بازيازي : نوعٌ من الطيور .
(٢) انقضّت : هوت على فريستها والعصف .

وقوله [من الكامل] :

الـورد بيـن مضمّـخٍ ومضرّج والزهـر بين مكلّلٍ ومتوّجِ
والثلـج يهبـط كالنثـار فقـم بنا نلتـذُّ بابنـة كرمـة لم تمزج
طلـع النهـار ولاح نور شقائقٍ وبـدت سطور الـورد تلـوَ بنفسج[1]
فكأنّ يومـك في غلالـة فضةٍ والنبـت من ذهـبٍ علـى فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يـومٌ كـأنّ سمـاءه شبـه الحصـان الأبـرشِ
وكـأنّ زهـرة روضـه فرشـت بأحسـن مفـرش
فسـمـاؤه دكـن الخـزو ز وأرضـه خضـر الوشـي[2]

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

يومنـا للنـديم يوم سرورٍ والتـذاذٍ ونعمـةٍ وابتهـاجِ
ذو سمـاء كأدكن الخـزّ قد غيـ ـمـت وأرض كأخضـر الديباج

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالاً يبـدو فيزداد شوقي وهـزاراً يرنـو فيزداد عشقي
زعـم النـاس أن رقّـك ملكي كذب النـاس أنـت مالك رِقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منى نفسـي وإن كنـت حتفها ومعناي في سرّي ومغـزاي في جهري
تصارمـتِ الأجفـان منـذ صرمتني فمـا تلتقـي إلاّ علـى عبـرةٍ تجري

---

(١) البهار : الضوء والصباح .
(٢) الداكن : المائل الى السواد والخزوز : من الخزّ ، قماشٌ من الحرير .

وقوله [من السريع] :

يا شادناً جدّد حبّي له | من بعد حب سالف ساجي[1]
بلحيةٍ قد أوصلت جمّةً | مثل اتصال الطوق بالتاجِ[2]

وله في غلام ناقه من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حيـ | ـن بدا كغصنٍ مائلِ
طلع الهلال لليلةٍ | بضياءِ بدرٍ كاملِ

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحب والبين قد بدّ | د دمعي مواصلاً للشهيق:
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟ | قلت : أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسلّيَّ بارتكاضي | في البعد والقرب والتلاقي[3]
ودفعيَ الهمّ بالأماني | فارقت روحي مع الفراق

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتطّ وأنوي له | تنقّص الداني على النائي[4]
حتى إذا أبصرته ذبت في | يديه ذوب الملح في الماءِ

وقوله [من المنسرح] :

ولي حبيبٌ ألوذ فيه بأو | صافٍ وفحواه فوق ما أصفُ

---

(١) السالف : الماضي ، والساجي : الساكن .
(٢) الجمّة : الشعر الذي يعلو الرأس .
(٣) الارتكاض : السفر من مكان إلى مكان .
(٤) ينأى : يتباعد ، واشتط : ابتعد .

كالبـدر يعلـو والشـمس تشرق والـ ـغـزال يعطـو والغصـن ينعطف[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

إن كنت أزمعـت الرحيـ ـل فإن عزمـي في الرحيلِ
أو كنت قاطنـة أقمـ ـت وإن منعـت لذيذ سُؤْلي
كالنجـم يصحـب في المسيـــــر ولا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل] :

كالنجـم إن سافـرت كان مواكباً وإذا حططـت الرحـل كان جليسا

وقوله [من الكامل] :

عزمـي وعـزم عصابـةٍ ركّاضةٍ موصولـة الإلجـام بـالإسـراجِ
كالنبـل عامـدةً إلـى أهدافهـا والـطير قاصـدةً إلـى الأبراج

وقوله [من الطويل] :

وذي حسـدٍ ولـو حلّ بي ما يريده لأصبـح مفجوعـاً بفيض بناني
ولـم أعطـه جهـلاً ولـكن سحائبي تعـمّ ذوي الإخـلاص والشّنآن[2]

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط] :

برّد مصيفـك وافرشـه بميثرةٍ فإنّـي لمقـام الخـلّ أرتحلُ[3]
الـذّاكريَّ وإن أُضحـي ويعجبني أن تستـريح وأن تكتنّـك الظُّلل[4]

---

(١) يعطو : أي يتطاول بفيه الى الشجر ويمدّ عنقه ليأكل منه .
(٢) الشنآن : البغض .
(٣) الميثرة : شيء كالمخدّة يجعل على السّرج .
(٤) تكتنّك : تسترك .

وقوله [من الطويل] :

أُوَفِّي كلا وقْتَيَّ قسطَ تألُّه | وقسط هوىً لا يستمرُّ لمحْرِمِ
ولذّة وجدي من لذاذة مطربي | أسرّ إلى نفسي وأعذب في فمي

وقوله [من الكامل] :

يا عارفاً بالداء مطَّرح السؤال عن الدواءِ
العلم عندي كالغذا ء فهل تعيش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسطت إذاً لم تترك | وكففت القلب عن بعض الأربْ
كان أرجى لك في العقبى من ان | تملأ الدلو إلى عقد الكرب[1]

وقوله [من المتقارب] :

هبِ البعث لم يأتنا نذره | وجماحة النار لم تضرمِ
أليس بكافٍ لذي فكرةٍ | حياء المسيء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسرّ بلذّة الدنيا | ويظنّها خلقت لما يهوى
لا تكذبنَّ فإنّها خلقت | لينال زاهدها بها الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثتُ إلى ربّ البرايا رسالةً | توسل لي منها دعاء مناصحُ
فجاء جوابي بالإجابة وانجلت | بها كربٌ ضاقت بهنّ الجوانح

* * *

---

(١) عجز هذا البيت من قول المهبلي :

وأنا الأخضر من يعرفني | أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً | يملأ الدلو إلى عقد الكرب

الباب الثالث

١١٥ - في ذكر أبي إسحاق الصابي ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني .

أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البارعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولابس خيره ، ومارس شره ، ورئس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق ، ودوّن له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره . وفيه يقول بعض أهل العصر[من الكامل] :

أصبحت مشتاقاً حليف صبابةٍ ... برسائل الصابي أبي إسحاقِ
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق[1]
طوراً كما رقّ النسيم وتارةً ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرِّزٍ ... كتبت بدائعه على الأحداق

---

(١) الصوب : المطر ، والحجى : العقل والرأي .

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمعٍ ساجمِ ... يهمي على حجب الفؤاد الواجمِ[1]
لولا تعلّله بكأس مدامةٍ ... ورسائل الصابي وشعر كشاجم[2]

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام ، وأداروه بكل حيلة ، وتمنية جليلة ، حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم ، فلم يهده الله تعالى للإسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلمه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان ، وحلاها بآي من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول : إن أبا إسحاق الصابي ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتني لذّتي رتب المعالي ... وضنّي بالمروءة والوقارِ
ودينٌ ضاق فيه مجال فتكي ... لخوف عقوبةٍ وحذار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار ... وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حلّ الإزار ... صريعاً بين سكرٍ أو خمار[3]

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغني أن الصابي حضر يوماً مائدة المهلبي ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة

---

(١) يمنى : يصاب ، والواجم : الحزين المطرق .
(٢) كشاجم : أحد الشعراء المشهورين عاش في بلاط سيف الدولة .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبي : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه .

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً ، وأرخى بالاً منه في أيام استكماله وزمن اكتهاله ، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفي ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظّي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب ، وفي المشيب مغاضبي
أمن الغواني كان ، حتى ملّني ... شيخاً وكان على صبايَ مصاحبي ؟
أمع التضعضع ملّني متجنّباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبي
يا ليت صبوته إليَّ تأخرتْ ... حتى تكون ذخيرةً لعواقبي[1]

من قصيدة في فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما توفي المهلبي وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل في جملة عمال المهلبي ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادمٍ ... أوفت رسائله على التعديدِ
أيجوز في حكم المروءة عندكم ... حبسي وطول تهدّدي ووعيدي ؟
قلّدت ديوان الرسائل فانظروا : ... أعدلْتُ في لفظي عن التسديد ؟
أعليَّ رفع حسام ما أنشأته ... فأقيم فيه أدلتي وشهودي ؟

---

(١) الصبوة : طيش الشباب . والعواقب : خواتم الأمور .

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول درٍّ عندكم منضود ؟
ورسائلا نفذت إلى أطرافكم عبد الحميد بهنّ غير حميد
يهتزّ سامعهنّ من طربٍ كما هزَّ النديمَ سماعُ ضرب العود
أنا بين إخوانٍ لنا قد أوثقوا بسلاسلٍ وجوامعٍ وقيود
وموكّلين بنا نذلُّ لعزِّهم فكأننا لهمُ عبيد عبيد
والله ما سمع الأنام ولا رأوا نقداً توكل قبلهم بأسود
من كلّ حرٍّ ماجدٍ صنديد في كلّ وغدٍ عاجزٍ رعديد[1]
قصرت خطاه خلاخلٌ من قيده فتراه فيها كالفتاة الرّود[2]
يمشي الهوينا ذلّةً لا عزةً مشي النزيف الخائف المزءود[3]
فتفضّلوا وتعطّفوا وهبوا لنا عفواً قديم حفائظٍ وحقود[4]
وتعلّموا أن الولاية عندكم عاريّة ليست بذات خلود[5]

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصلاً في جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت في صدره حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نقمها منه ، واحتقدها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد

---

(١) الرعديد : الجبان .
(٢) الخلاخل : ما تضعه النساء في أرجلهنّ مفرده خلخال ، والفتاة الرود : أي الحسناء .
(٣) المزءود : الخائف .
(٤) الحفيظة : ما يكنه المرء في نفسه من حقد وبغض .
(٥) الغاريّة : الدّين والأمانة .

الكاتب ، قالا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق . والمعالي السوامق التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمله من ذلك فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن ، وأثار من سخطه الكامن ، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقلبونها بين يديه ، ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أشيائه واستئصال أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره . وكان الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وأبو إسحاق يخدم حضرته بالمدح .

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ، وهو :

ورد ـ أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا ـ أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو

محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن تخطوري بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لي مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائماً ، وقبلت الأرض ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، ما كنّفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداه ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التي هم محلئون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها .

وبلغني أن الصاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدومه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً ، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه ، وأما الترجيح بين هذين الصدرين - أعني الصاحب والصابي - في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب فيه المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد . وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة
في التهنئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده ، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا بجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسمو له همته طامحاً .

فصل من كتاب عن بختيار
إلى مؤيد الدولة
لما قبض على أبي الفتح بن العميد ذي الكفايتين ، في الشفاعة له

وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال ، واجتمع له إلى ذلك التقلب في نعمة حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح في تأثيلها ، ولا مسه النصب في تثميرها ، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها ، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبي تغلب ،
في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمري من ذوي الأرحام الشابكة ، والقرابات الدانية ، من يتمادى في العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع ، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرته بمن يعمل معه ، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، هذا في الاتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب ؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها في متضمناتها ، ويشفع لها في ملتمساتها ، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط . وأحيان الخلوة والانبساط .

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب ،
في ذكر فرس أهداه إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه . وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأماني طلق شده ، وفتح الفتوح غاية شأوه . وسلامة العواقب مثنى عنانه .

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم
يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلة التي تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصياً له

ومدققاً فيه ومتوفراً عليه ، ومتوصلاً الى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولا مقتصراً في الإنـذار بالمنحسـة صرفهـا الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هي تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول إن ذلك يؤدي الى دفع مقـدور نازل ، ولا معارضة محتوم حاصل ، ولكني أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلـوب بصـره وسمعـه ، الـذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك ، ممن لا يهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعـروتين ، فيظـن أن المراعـي لأحدهما مخل بالآخر ، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلـو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه ، أو ناقص اليقين في دينه . وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيره ، إذ للنفس راحة في تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة في أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمِقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عمـا آثـره مع ما

افترض على من طاعتهما اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله . وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعها لي في منازلك المصونة ، بعثتني البواعث وحفزتني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أملي ، فعلت إن شاء الله .

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلم به من ذلك ملم ويطيف به طائف ، فيحيلانه عن رشده ، ويحولان بينه وبين سداده .

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناض إليه ، والمسلم عليه .

فصل عن بختيار إلى عضد الدولة في التأليف

وإن من أعظم محـن[1] هذا البيت ، أن تزول منابـت فروعـه عن منابـت أصوله ، وأن تؤتى مراسي أوتاده من ذوائب عروشه[2] . وأن تدب بينهـم عقـارب المشاحنة ، وتسري إليهم أراقم المناقشة . وتنبثّ الدواهي فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، في الشكوى والاستماحة

ولما صارت صروف الدهر تنوء علـى بعـد التطـريف ، وتجحف بي بعـد التحييف . وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة ، وأعظماً مبـرية ، وحشاشـة مشـفية ، وبقية مودية . جعلـت اختبـار الجهـات ، واغتنـام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل . وكان سيدي أولها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه ، إشفاقاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقة انه يحقن مياه الوجوه ويحميها ، ويجمها[3] ولا يقذيها .

فصل فـي مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفر ، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها ، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرني الى تجشم ما كنت أجمه من نداه ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة ، وتضايق الخطة .

---

(١) المحن : المصائب .

(٢) الذوائب : خصل الشعر في أعلى الجبين .

(٣) ويجمّها : يحفظها ويجمعها، والقذى: ما يسقط في العين من وسخ وغيره .

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهي كالسهام التي لا تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها . ويكونون كمن أطار طائرها لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها ، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل .

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك .

فصل له إليه أيضاً

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الأرقاء العبيد ، إلى مراتب الأحرار الصيد .

فصل إليه أيضاً

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة ، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار .

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانة ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة[١] ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا[٢] ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا[٣] . وهو في نشوزه[٤] عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة .

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته . ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه .

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ، وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ، ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناضلة عضد الدولة من أن أصيب الغرض منه ، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي ، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض لحمي بنابي .

---

(١) الزمانة : المرض .
(٢) المطاولة : من التطاول على مقامنا .
(٣) المنابذة : مفاخرتنا ومباهاتنا .
(٤) النشوز : النفور .

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم يقف عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده ، ولم يخصص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده ، بل يدب دبيب النار في الهشيم ، ويسري كما يسري النغل[1] في الأديم ، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الجرب ، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أحرجها وأضيقها . وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها ، والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها ، والسهام إلى كنائنها .

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاة المجتهدين ، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم ، إذ كان لا بد للأسلاف أن تمضي ، وللأخلاف أن تنمو ، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً ، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشما ، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر ، واستحلى

---

(١) النغل : الفساد في الدباغ والأديم : الجلد .

الثمر ، وتعهد بالعرف من طاب عنه الخبر ، وحسن منه الأثر .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد المؤثقة . متشوقة عاطية . مستبقة جارية . تشتاق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح مولللة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً[1] . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جمامه[2] ، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح فيَ قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائبه عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمّياً ولم نر إلا مذكّياً[3] ، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصـل منهـا

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام[4] ، نستقري ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة في أكلائها ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من

---

(١) الشَره : حب الطعام . والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتلىء والمجتمع .

(٣) مسمّياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ومذكّياً : أي مكبّراً على الذبح .

(٤) الآرام : الغزلان .

العقـارب ، وأنـزل من الجنـادب ، خمص الخصـور قب البطـون [1] ، رقش المتون ، حمر الآماق ، خزر الأحـداق ، هرت الأشـداق [2] ، عراض الجبـاه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصـل منهـا

وكم من قبَّرٍ أطلقنا عليه بازياً فعرج إلى السماء عروجاً ، ولجـج في أثـره تلجيجاً ، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى غابا عن النظـار ، واحتجبـا عن الأبصـار ، وصـارا كالغيب المرجـم ، والظـن المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما .

فصل من رسالة في وصف الرمي
عن قسي البندق

مـآرب النـاس منزلـة بحسـب قربهـا من هزل أو جد ، ومرتبـة علـى قدر استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً ، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقا في استجماله ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهـو رائض الأبـدان ، وجامـع شمـل الإخوان ، وداع الى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحـكام الألفـة بينهم والمحبة .

---

(١) قبّ البطون : ضامروها .
(٢) هرت الأشداق : أي فاتكة .

فصل إلى بعض الوزراء
في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوي مرض عفاته ، وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب، وأنا أود أن سواد عيني مداده، وبياضها طرسه ، شوقاً إلا لألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظمأ إلى ارتشاف بساطه .

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحمده ، على ما أهلني له من بره ورفده ، وجهدي يقصر عن عفوه ، وإسهابي يعجز عن وصفه . وهل أنا في ذلك لو فعلته إلا كمن جارى الحصان بالأتان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورّد دمعي إذ جرى ومدامتي   فمن مثل ما في الكأس عينيَ تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلتْ   جفونِيَ أمْ من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي   شوقاً إلى من لجّ في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوةٍ   يبكي دماً وتشاكل اللونان

فكأنّ ما في الجفن من كأسي جرى وكأن ما في الكأس من أجفاني

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يا من هواه كلّ يومٍ يروعني منه خطبُ
مُرُّ ما مرَّ بي مِن أجلك حلوٌ وعذابي في مثل حبّك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيّق صدري لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوّام حجة عشقي وأبان العذار في الحب عذري

وقوله [من الكامل] :

حذّرت قلبي أن يعود إلى الهوى لما تبدّل بالنزاع نزوعا
فأجابني لا تخش مني بعد ما أفلتُّ من شرك الغرام وقوعا
حتى إذا داعٍ دعاه إلى الهوى أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالةٍ أخمدتها فكما دنا منها الضِّرام تعلّقتْه سريعا[1]

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكنّفني ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنّا نعدُّك للمهمِّ من الأمور
فقال شفاؤه الرّمّان ممّا تضمنه حشاه من السّعير
فقلت لهم أصاب بغير عمدٍ ولكنْ ذاك رمان الصدور

---

(١) الذبالة : الفتيلة .

وقوله [من الطويل] :

إلــى الله أشــكو ما لقيت من الهوى ... بجــارية أمســى بهــا القلــب يلهجُ
إذا امتزجــتْ أنفاسنــا بالتزامنا ... توهّمْــت أنّ الــروح بالــروح تمزج
كأنّــي وقــد قبّلتهــا بعــد هجعةٍ ... ووجــدِيَ ما بين الجوانــح يلعج[1]
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسهــا نفســاً إلــى الصــدر تولج
فإنْ قيل لي اخْتر أيّمـا شئـت منهما ... فإنــي إلــى النفس الجــديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتهــا بالعتــب عنــد لقائها ... فتلثّمــت من شدة استحيائها
واستكملـت صفـة البــدور بطلعةٍ ... وبحلّــة صبغــت بلــون سمائها
فبهــتّ أنظــر من لجين جبينها ... متخفّــراً في لازورد ردائها

وقوله [من المجتث] :

هيفــاء تحــكي قضيباً ... قــد جمّشــتـه الرياح[2]
تفتــرُّ عن سمــط درٍّ ... عليـه مسكٌ وراح
جــرّدتــهــا واعتنقــنــا ... كــلٌّ لكــلٍّ وشاَح
بــاتــت وكــلٌّ مصــونٍ ... لي مــن حماهــا مباح
فــي ليلــةٍ لــم يعبها ... في الدهــر إلاّ الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفــاء كالغصــن في رشاقتة ... لفّــاء كالــدّعص في كثافته[3]
تبختــرت والعثان يكنفهـا ... فكانــت البــدر وســط هالته[4]

---

(١) الهجعة : الرقاد ، ويلعج : يضطرم .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) لفّاء : مكتنزة ، والدعص : الكثيب من الرمل .
(٤) العثان : الطيب والبخور ، أو الدخان ويكنفها : يحيط بها المتصاعد من النار .

وقوله [من الطويل] :

أقول وقد جرّدْتها من ثيابها
وعانقتها كالبدر في ليلة التمٍّ

لئن آلمت صدري لشدّة ضمها
لقد جبرت قلبي وإنْ أوهنتْ عظمي[1]

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد
خفنا عليك إذاً ظلماً وعدوانا

الغصن أحسن ما نلقاه مكتسياً
وأنت أحسن ما نلقاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانة
فرأيت كل الحسن منها

كانت ثيابك عورةً
فسترت بالتجريد عنها

وقوله [من السريع] :

يا قمراً كالخشف في نظرته
وكالقضيب اللدن في خطرته[2]

خلتك صيداً صار في قبضتي
فصرت من صيدِيَ في قبضته

فديْتُ من لاحظني طرفها
من خيفة الناس بتسليمته

لما رأت بدر الدجا تائهاً
وغاظها ذلك من شيمته

أزاحت البرقع عن وجهها
فردّت البدر إلى قيمته

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس ليلة الأحد
والبدر ضيفي وأمره بيدي

قبّلت منه فماً مجاجته
تجمع بين المدام والشّهد

كأن مجرى سواكه بَرَدٌ
وريقه ذوب ذلك البرد[3]

---

(١) جبرت قلبي : واسته .

(٢) خطرته : مشيته ، واللدن الطري والخشف : ولد الغزال .

(٣) السواك : عودٌ طيب الرائحة تخلّل به الأسنان .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشي في عناقك ... ووفاتي في فراقكْ
أنت لي بدرٌ فلا عشت إلى يوم محاقك[1]
فاسقني الصهباء صرفاً ... أو بمزجٍ من رياقك
لا أريد الماء إلاّ ... عند غسلي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

كلّ الورى من مسلمٍ ومعاهد ... للدين منه فيك أعدل شاهدِ[2]
فإذا رآك المسلمون تيقّنوا ... حور الجنان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصارى ظبيةً ... تعطو ببدرٍ فوق غصن مائدِ
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين أبانه ... لكليمه موسى النبيِّ العابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه ... مسودّ فرعٍ كالظلام الراكد[3]
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا ... حججٌ أعدّوها لكلّ معاند
أصبحت شمسهمُ فكم لك فيهمُ ... من راكعٍ عند الظلام وساجد
والصابئون يرون أنّك مفردٌ ... في الحسن إقراراً لفردٍ ماجد
كالزّهرة الزهراء أنت لديهمُ ... مسعودةٌ بالمشتري وعطارد
فعلى يديك جميعهم مستبصرٌ ... في الدين من غاوى السبيل وراشد
أصلحتهم وفتنْتني وتركْتني ... من بينهم أسعى بدينٍ فاسد

* * *

(١) المحاق : عدم ظهور القمر ، مغيبه .
(٢) المعاهد : أهل الذمّة .
(٣) الفرع : الشعر الأسود .

ما أخرج من شعره في الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحا طالعاً والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ سو من الهمِّ جراحا
ذات نشْر كنسيم الـ روض غبَّ القطر فاحا
يا غلامي ما أرى فيـ ـها ولا فيك جناحا
حرم الماء وأبعد ه وإن كان مباحا
أقراحٌ أنا حتى أشرب الماء القراحا

وقوله في نبيذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسي مقبلا يهدي فنونا إلى الشَّرْب الكرام بحسن قدِّهْ
وفي يده من التمريِّ كأسٌ كسوداء العروس أمام خدّه[1]

وقوله [من المنسرح] :

صفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبال يأتلقُ[2]
كأنّ في كفّ من أتاك بها ضحى نهارٍ في وسطه شفق

وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاقي همومِيَ في جحفلٍ لها من مقاميَ فيه قرارُ

---

(١) التمريّ : شراب التمر .
(٢) اليقق : الأبيض .

دبادبة من طوال القيا ... ن والناي بوق له مستعار[1]
ومجلسنا حومةٌ أرهجت ... لزحف الندامى إليها بدار
كأنَّ فكاهاتهم إذ علت ... غماغم للحرب فيها شعار[2]
كأن الكؤوس بأيدي السقاة ... سيوفٌ لها بالدماء احمرار
كأنَّ مناديل أكتافهم ... حمائلها إذ عليهم تدار
كأنَّ رجوم تحاياهمُ ... سهامٌ على الجيش منها نثار
كأنَّ المجامر خيلٌ جرتْ ... وقد ثار للندّ منها غبار[3]
كأنَّ السكارى رجال الوغى ... وقد عقرتْهم هناك العقار[4]
وقد جدلتْهمْ جروحٌ بهم ... وجرح المدامة فيها جبار
كأنْ تسكابُها في الزّجاج ... حريقٌ له من حبابٍ شرار
فيا لك من مأقطٍ لي به ... بلاءٌ وقولٌ إليه يشار[5]
ولما برزت إلى الهمّ فيه ... ولي بالسرور عليه اقتدار
جرى الضرب مختلفاً بيننا ... فمات وعشت وقد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء راوحتني من الرا ... ح بعذراء تطرد الهمَّ طردا
خندريسٌ إذا المزاج علاها ... نظّمت بالحباب للكأس عقدا[6]
تترك البال ناعماً وأخا الشجـ ... ـو خلياً وطائر اللهو سغدا
عبقتني بكأسها ذات دلٍّ ... دلّ قلبي إلى الهوى فتعدّى

---

(١) دبادبة : كثيرو الصيّاح والضجيج .
(٢) الغماغم : أصوات . والشعار : العلامة أو العبارة التي يتعارف بها القوم في الحرب .
(٣) المجامر : أوعية النار التي يوضع فيها الطيب لتفوح رائحته عند الاحتراق .
(٤) العقار : الخمرة .
(٥) المأقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب .
(٦) الخندريس : الخمر .

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفستق للنقل والمطرب الممتع ، فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانعٌ رءوسا يسقط في طيبها الخلافُ
مبيضةٌ كاللجين لوناً شهيةٌ كلّها نظاف
وأخذها في الرقاق يحكي صريع حمّى له لحاف(١)
من بين عجل إلى خروف تزهى بتنضيدها الصِّحاف
مختلفات القدود لكنْ لها بأسنانها ائتلاف
وكلّها راضعٌ صغيرٌ له على ضرعها اعتكاف(٢)
قد أسمنتهنّ أمّهاتٌ من طول إرضاعها عجاف(٣)
نسقي على ذاك روح دنٍّ أرقُّ أسمائها السّلاف
عروس دنٍّ صفت وطابت لوناً وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا ناكس رأسٍ به رعاف(٤)
والنقل من فستق جنيٍ رطبٌ حديثٌ به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف ألفاظه عذبةٌ خفاف
زمرّد زانه حريرٌ في حُقٍّ عاجٍ له غلاف(٥)
ومسمعٌ مطربٌ مليحٌ يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحياً ولكن في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليلٍ أفديك من كلّ ما يخاف

---

(١) الرقاق : الخبز .
(٢) الضرع : الثدي في الحيوان اللبون واعتكاف : إقامة .
(٣) عجاف : هزيلة .
(٤) الناكس : المحني ، والرعاف : النزيف .
(٥) الحقّ : وعاء الطيب .

فأنتَ أصل السرور عندي وكلّ ما بعده مضاف

* * *

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله في الورد [من الوافر] :

وزائرةٍ لنا في كلّ حولٍ لها حظّان من حسنٍ وطيبِ
تنال النفس حين تشمّ منها منال العين من وجه الحبيب
كأنّ زمانها نعتاض فيه إذا طلعت شباباً من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الورد قد حيّاك زائره بنفحةٍ فرّجت عن كلّ مصدورِ[1]
كأن أنفاسه أنفاس غانيةٍ معشوقةٍ خالطت أنفاس مخمور
تفتّحتْ وجناتٌ في جوانبه كأنّما انتزعت من أوجه الحور

وقال في النرجس [من الخفيف] :

ربّ يومٍ نقعْتُ فيه غليلي وهمومي بين الضّلوع كُمونُ[2]
بوجوه مملوءة بعيونٍ وعيونٍ تخشى عليها العيون
تلك من نرجسٍ نضيرٍ وهذي من غوانٍ وجدي بهنّ جنون

وقال في وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كافورةٌ جعلْتها لأسود العين غرضْ
حتّى وددت أنّها من أبيض العين عوض

---

(١) المصدور : مريض الصدر .

(٢) نقعت غليلي : برّدت ظمئي وكمون : كامنة ومستترة .

وقال فيها [من الطويل] :

وشمّامـةٍ كالبـدر عنـد اعتراضه ... وكالكوكب الـدّريّ عنـد انقضاضه
يـودّ سـواد العين مـن شغـفٍ ... بهـا لو اعتاضهـا مستبـدلاً من بياضه

وقال في النافجة [من مجزوء الكامل] :

وشميمـةٍ من نسـل بطـــــنٍ لم تكن من ظهـر فحلِ[1]
أهـدت إليـك جنينها ... مـن غير تطـريقٍ بحمل
بـل باقتنـاص حبائـلٍ ... بثّـتْ لهـا وبرشـق نبل
فغـدت بضـاعـة تاجرٍ ... لا تشتـرى إلاّ ببـذل
فيهـا لنفسٍ قوتُها ... لكـن بشـمٍّ لا بأكل
حلّـت محـلاً لا ترى ... إلاّ لذي الخطـر الأجلّ

وقال في عتيدة الطيب[2] [من الكامل] :

وعتيدةٍ للـطيب إن تستدْعِها ... تبعـثْ إليك أمامهـا ببشيرها
يلقـاك قبـل عيانهـا أرجٌ لها ... فكأنّـه مسـتـأذنٌ لحضورهـا
نفحاتهـا لم تدر من كافورها ... تأتيك أم من مسكهـا وعبيرها
مزجـت ببعضٍ بعضهـا فتوحّدت ... عن أن تقـاس بشكلهـا ونظيرها
لا عيب فيهـا غير أن نسيمها ... مثـل اللسـان يشيع سرَّ ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبـة الأحشـاء يعلـو زفيرها ... وتعصف ريح الـطيب بين فروجها[3]
إذا روّحـت عن نفسهـا بخروجها ... فللنفس منـي راحـةٌ في ولوجها[4]

---

(١) المشيمة : وعاء الجنين في بطن أمّه .
(٢) العتيدة : الحقّة يكون فيها الطيب .
(٣) الفروج : الفتحات .
(٤) الولوج : الدخول .

وقال فيها [من الطويل] :

ومحـرورةُ الأحشـاء تحسـب أنهّا   متيّمـةٌ تشـكو من الحـبِّ تبريحا[1]
تناجيك نجوى يسمع الأنف وحيها   وتجهلـه الأذن السميعـة إذ يوحى
إذا استودعـت سرّاً من الـطيب مجملاً   أشاعتـه تفصيلاً وأفشتـه مشروحا
وإن حاولـت إخفـاءه في ضميرها   أبـى عرفهـا إلا اعترافـاً وتصريحا[2]
يحـرّق فيهـا العـود عوداً وبدأةً   فتأخـذه جسماً وتبعثـه روحا

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

ومجلـسٍ سمـاؤه   مـن النجوم عائمَهْ
فـي جوِّه سحابـةٌ   لهـا الأنـوف شائمـه[3]
تنتـابـه مدخنـةٌ   لحـاصريـه خادمـه
داخلهـا مجمـرة   مثـل القـطـاة الجاثمـه
كأنهـا طـارمـةٌ   فيهـا فتـاةٌ نائمـه[4]
تهـدي لنـا روائحـا   مـن الجنـان قادمـه
لنـا عليهـا خِلَـعٌ   مـن الـذّبـول دائمـه
لـكـنّهـا عاريـةٌ   تخـرج منهـا راغمـه

وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها [من مخلع البسيط] :

جمعـت من حليتـي وعرفي   ما بـين حسـنٍ وبـين طيبِ
أدخـل في الـذيل من محبٍّ   طوراً وفي الـكمِّ من حبيب
فـكم تردّدت بـين هذا   وذا برغـمٍ من الرقيب

---

(١) التبريح : الألم واللوعة .
(٢) العرف : الرائحة .
(٣) شائمة : متطلّعة .
(٤) الطارمة : بيتٌ من خشب كالقبّة .

وقال في الغالية [من مخلع البسيط] :

غـاليـة تنتمـي لحـام قـد استعـارت لبـاس قارِ[1]
في قدحٍ ينتمـي لسامٍ من سنـة البـدر مستعار
جامـعٌ ما بـين ذا وهذا قد أولـج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غـاليةً صـرح عطّارهـا في عجنهـا عن خالص النيَّهْ
تُعْـزى إلى تيِّـتَ من مسكها وهـي من العنبـر شحريّه
منشـورة الـطيب على أنها في قدح البلّـور مطويه
كأنهـا فيه وقـد حازها روميّةٌ حبلى بزنجيّـه

وقال في غلام له أسود شهر برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشـدٍ وقـد أحببته رشـدي ، ولـم أحفـل بمـن قد ينكرُ
يا لائمـي أعَلى السـواد تلومني من لونـه وبـه عليك المفخر
دعْ لي السـواد وخـذ بياضـك إنّني أدري بمـا آتـي ومـا أتخيَّر
مثـوي البصـيرة في الفـؤاد سواده والعيـن بالمسـودِّ منهـا تبصـر
والـدين أنـت مناظـرٌ فيه بذا وكذاك في الـدنيا بهـذي تنظر
بسـواد ذينـك تسـتضيء ولـو هما آبـيـضّـا تغشّـاك الظـلام الأكدر
فغـدا بياضـك وهـو ليلٌ دامس وغـدا سوادي وهـو فجـر أنور

وقال فيه [من الكامل] :

قد قال رشـد وهـو أسـود للذي ببياضـه اسـتعلى علـو مباينِ
ما فخـر خدِّك بالبياض وهـل ترى أن قد أفـدْتَ به مزيد محاسن

---

(١) الغالية : أخلاطٌ من الطيب وحام : أبو السود « الإنسان الأسود » وسام : أبـو البيض « الإنسـان الأبيض » .

ولـو آن منّـي فيه خالاً زانه | ولـو آن منـه فيَّ خالاً شاقني[1]

وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجـه كأن يمنـاك خطتـه | بلفظ تملُّـه آمالـي
فيه معنـى من البـدور ولكن | نفضـت صبغهـا عليـه الليالي
لم يشنْـك السـواد بل زدت حسناً | إنّمـا يلبسـن السـواد الموالي[2]
فبمالـي أفـديك إن لم تكن لي | وبروحـي أفـديك إن كنـت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلـةٍ من محـاق الشهـر مدجنةٍ | لا النجم يهدي السّرى فيها ولا القمرُ
كلّفْـتُ نفسي بهـا الإدلاجَ ممتطياً | عزمـاً هو الصـارم الصَّمصامـة الذَّكَر
إلى حَبيبٍ له في القلـب منزلةٌ | ما حلَّهـا قبلـه سمـعٌ ولا بصر
ولا دليلٌ سوى هيفـاء مُخْطفةٍ | تهـدي الـركاب وجنـح الليل معتكر
غصـنٌ من الذهـب الإبـريز أثمـر في | أعـلاه ياقوتـةٌ صفـراء . تستعر
تأتيك ليلاً كما يأتـي المريب فإن | لاح الصبـاح طواهـا دونـك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج الببغاء[3] [من الرجز] :

أنعـت طارونيّـة الثيـاب | لابسـة خزاً على الإهاب[4]
تصبّغـتْ تصبّـغ التصابي | وأبـرزت وجهـاً بلا نقاب
ريّان مـن محاسـن الشباب | مكحولـة العينـين كالكعـاب[5]
مغموسـة الحـاجـب بالخضاب | منقـارهـا أحمـر كالعنّـاب
كأنّمـا تسقـى دم الرقاب | محـذورةٌ محميّـة الجنـاب

---

(١) الخال : قرصٌ صغير يظهر في الوجه ، وشاقني : أتعبني .
(٢) يشنك : يعبك .
(٣) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل .
(٤) الطارونيّة : المنسوبة إلى الطاروني وهو ضربٌ من الخزّ .
(٥) الكعاب : الجارية الناهدة .

لهـا على الأرجـل والأعقاب حمْـلات ليث من ليوث غاب
أقفاصهـا كمحبس الحجاب مدوّرات الشـكـل كالقبـاب
تسمعنـا منهـا وراء الباب تمتمـةً بالقـاف في الخطاب
كأنمـا تقـرأ من كتاب مكروزةٌ زادت على الحساب[1]
قهقهـة الإبـريـق بالشـراب ملآن منكبّـاً علـى الأكواب
أهـلاً بصيّادٍ لهـا جـلاّب جاء بهـا كريمة النّصاب
ربيبـةَ الجبـال والهضـاب كريمـةَ الأعـراق والأنسـاب
لـم تدر ما بادية الأعراب غريبـةٌ صارت من الأحباب
دونـك يا ذا المفخـر اللباب أرجـوزةً من صنعـة الكتاب
بـاكورةً من ثمـر الألباب وتحفـةً مـن تحف الآداب
هـدية الأتـراب للأتـراب قل ما ترى فيهـا ولا تحُابي[2]
هـل خلصـتْ من هجنة وعاب وسلمـتْ من عيبة العيّـاب
أم خلْتهـا أشـبـه بالصواب فهـات ما عنـدك من جواب

وقال في الخطاطيف [من الطويل] :

وهنـديّةِ الأوطـان زنجيّة الخلق مسـودّةِ الأثـواب محمرّةِ الحدْقِ
كأن بهـا حزنـاً وقـد لبسـت له حداداً وأذْرت من مدامعهـا العلق[3]
إذا صرصرت صرّتْ بآخـر صوتها كما صرَّ ملـوى العـود بالوتـرِ الحرق[4]
تصيف لدينـا ثم تشتـو بأرضها ففـي كل عامٍ نلتقـي ثم نفرِق

وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه [من البسيط] :

وليلـةٍ لم أذق من حرّهـا وسناً كأن من جوهـا النـيران تشتعلُ

---

(١) مكروزة : مخفيّة .

(٢) تحابي : تعدو الحقّ في قولك .

(٣) العلق : الدم .

(٤) صرصرت : صوّتت . والوتر الحرق : الوتر الذي يخرج صوتاً حزيناً .

أحــاط بي عســكرٌ للبــقّ ذو لجبٍ ما فيه إلاّ شجــاع فاتــكٌ بطلُ[1]
من كلّ سائلــةِ الخرطــوم طاعنةٍ لا تحجب السّجف مسراها ولا الكلل[2]
طافــوا علينــا وحــرّ الصيف يطبخنا حتــى إذا طبخــتْ أجسامنــا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليهـا في صبـاه ليستـوفي مالاً على ضامنهــا ، من ذلك قولــه [مــن الخفيف] :

ليس يغنيك في الطهــارة بالبصــ ـرة إن حانــت الصــلاة اجتهادُ
إن تطهّــرْت فالمياه سـلاح أو تيمّمْــت فالصـعيـد سمـاد

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسي على المقــام ببغدا د وشربــي من ماء كوز بثلجِ
نحــن بالبصرة الدميمــة نسقي شرّ سقيا من مائهــا الأترجيّ
أصفــر منــكر ثقيلٌ غليظٌ خاثــرٌ مثــل حقنــة القولنج[3]
كيف نرضى بشربــه وبخيرٍ منــه في كنف أرضنــا نستنجي[4]

وقال في قصر روح بها [من الكامل] :

أحبــبْ إليّ بقصر روح منزلا شهــدت بنيّتــه بفضــل البانـي
ســور علا وتمنعــت شرفاتــه وكأن إحــداهــن هضْــب أبان

---

(١) اللجب : الكثرة .
(٢) السجف : الستائر . والكلل : التعب .
(٣) الخاثر : المتجمّد . والقولنج : مرض يصيب البطن مؤلم يصعب معه خروج الثفل .
(٤) نستنجي : نطلب النجاة .

وكأنما يشكو إلى زوّاره بين الخليط وفرقة الجيران[1]
وكأنّما يبدو لهم من نفسه إطراق محزون الحشى حرّان

وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :

توليت عن أرض البصيرة راحلاً وأفئدة الفتيان حشو حقائبِ
منازل تقري ضيفها كلّ ليلةٍ بأمثال غزلان الصَّريم الربائب[2]
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً لعاشقةٍ حرّى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلاّ صنائعي ولا تستر الجدران إلاّ حبائبي

* * *

ما أخرج من شعره في والدته وأولاده

قال [من الخفيف]:

أُسْرَةَ المرء والداه وفيما بين حضنْيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس أجنبيٌّ غريب

وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط]:

أرضى علَى آبني إذا ما عقني حذراً عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي ؟
وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده

[من الطويل]:

وما أنا إلا دوحةٌ قد غرستها وسُقِّيتُها حتى تراخى بها المدى
فلما آقشعرَّ الجلد منها وصوَّحتْ أتتك بأغصان لها تطلب الندى[3]

---

(١) الخليط: المخالط والمقيم معاً في مكان واحد .
(٢) الصريم : القطعة العظيمة من الرمل والربائب : الحاضنة .
(٣) صوّحت : جفّت ويبست والندى : الكرم ، أو الطلّ .

وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليكَ آبني وبالله إنه — لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله — وهل هو إلا كالمحرَّر في الكتْبِ
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف — من المحور الإصلاح والحلك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومي [من البسيط] :

فقال لا تلحينا في تفاوتنا — فإنّنا كتبٌ آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذي يرضك مرأىً ومخبراً — ويمضي مضاء السهم والصّارم العضْبِ
وشتّان بين العود أيبس وانحنى — وبين النبات الغضّ والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي — يراد من العبد المناصح للربّ
وجرّده من غمدِ التقبُّض باسطاً — وجرِّبْه فالتجريب عن رشده ينبي[1]

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعرعاً ناشئاً [من المنسرح] :

أبو علي محسنٌ كبدي — وقد نشأ من فتاه لي خلبُ[2]
كأن هذا وذاك إذ نسبا — منّي سوادُ يضمّه قلب
لا زلت ألقي الخطوب دونهما — حتّى كأنّي عليهما حجب

وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء — جل ما حلَّ بي عن البيضاء
يؤلم القلب كلّ فقدٍ ولا مثـ — ـل افتقاد الآباء للأبناء

---

(١) ينبي : يخبر .
(٢) الخلب : استمالة القلب .

هدَّ ركنِي مثوى سنان وقد كا ... ن يهدّ الأركان من أعدائي
عكست فيك دعوتي إذ أفديـ ... ـك برغمي فصرت أنت فدائي
إنما كنت فلذة من فؤادي ... خطفتها المنون من أحشائي
كنت منّي وكنت منك اتفاقاً ... والتئاما مثل العصا واللِّحاء (١)
كنت في اليتم فيّ أجمل منّي ... فيك للثكل في أوان فنائي
ولئن كان في أخيك وأولا ... دكما ما يغضّ من برحائي (٢)
فلعمري لربما هيجوا الشو ... ق فزادوا في لوعتي وبكائي

ألم فيه بقول ابن الرومي ، ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنّي - وإن متعت بابني بعده - ... لذاكره ما حنَّتِ النِّيب في نجدِ (٣)
وأولادنا مثل الجوارح أيما ... فقدناه كان الفاجع البيِّنَ الفقد
لكلٍّ مكانٌ لا يسدّ اختلاله ... مكان أخيه من جَزوعٍ ومن جَلْدِ
هل العين بعد السمع تكفي مكانه ... أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

وكتب إليه ولده أبو علي المحسن يسليه في إحدى نكباته [من البسيط] :

لا تأس للمال إن غالتْه غائلةٌ ... ففي حياتك من فقد اللّهي عوضُ (٤)
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت ... يداك من تالدٍ أو طارفٍ عرض (٥)

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يا درّةً أنا من دون الردى صدف ... لها أقيها المنايا حين تعترضُ

---

(١) اللحاء : القشرة .
(٢) البرحاء : الألم .
(٣) النّيب : النّوق الهرمة .
(٤) اللّهى : العطايا والأموال .
(٥) التالد : المال القديم الموروث والطارف : المال الحديث المكتسب .

قد قلــت للدهــر قولاً كان مصدره		عن نية لم يشبْ إخلاصَهــا مرض[1]
دع المحســن يحيا فهــو جوهرةٌ		جواهــر الأرض طراً عندهــا عرض[2]
فالنفس لي عوضٌ عمــا اصيب به		وإن أصبت بنفســي فهــو لي عوض
اتــركه لي وأخــاه ثم خذ سَلَبي		ومهجتــي فهمــا مغــزاي والغرض

***

ما أخرج من شعره في الفخر

قال [من السريع]:

أيســر جودي أنّنــي كلّما		أسرفــت في الســكر ولا أدري
ندمت في صحوي على كل ما		أبقيت من مالِــي في سكري

وقال في صباه [من المتقارب]:

لقـد علمـت خيل هذي الخيام		ونسوانهــا القاصــرات الغواني
بأنــي شفــاء صدور الجميع		وأكرم من ضَمَّــه الخافقانِ
أســرّ القرينــة ليل العناق		وأفتــك بالقــرن يوم الطِّعان[3]
فبطن الحصــان وظهــر الحصان		علــي بمــا قلتــه يشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وقــد علــم السلطان أني لسانه		وكاتبــه الكافــي الســديد الموفَّقُ
أوازره فيمــا عرى وأمدّه		برأيٍ يريه الشمس والليل أغسق[4]
يجدد بي نهج الهـدى وهـو دارس		ويفتــح بي باب النهــى وهـو مغلق

(١) لم يشب : لم يمازج أو يخالط .
(٢) عرض : لا قيمة لها بوجوده .
(٣) القرينة : الزوجة ، وهو يعني أنّه تام الفحولة . والقرن : البطل الذي ينازله .
(٤) أوازره : أساعده ، وعرى : ألمّ وحدث .

فيمنــايَ يمنــاه ولفظِــيَ لفظُهُ وعينـي له عينٌ بهــا الدهــرُ يرمق
ولـي فِقَـرٌ تضحــي الملـوك فقيرة إليهــا لدى أحداثهـا حين تطرق
أردّ بهــا رأس الجمــوح فينثني وأجعلهـا سوط الحــرون فيعنق(١)
فـإن حاولـتْ لطفــاً فمــاء مروّقٍ وإن حاولــتْ عنفــاً فنــار تألّق
يسلــم لي قسٌ وسحبــان وائلٍ ويرضى جريرٌ مذهبي والفرزدق(٢)
فيغضي لنثري خاطب وهـو مِصْقعٌ ويعنو لنظمي شاعـرٌ وهـو مُفْلِق(٣)
معـال لو الأعشى رآهــن لم يقلْ «وبات على النار الندى والمخلق»

وله من قصيدة قالها في الحبس [من الطويل]:

يعيّرنــي بالحبس من لو يحلّه حلولي لطالت واشمخرّتْ مراكبهُ(٤)
وربّ طليقٍ أطلــق الــذلّ رقّه ومعتقــل عانٍ وقــد عزّ جانبه(٥)
وإنـي لقـرن الدهــر يومــاً تنوبني سطــاه ويومــاً تنجلــي بي نوائبه
ومـن مد نحـو النجـم كيمــا يناله يداً كَيَدي لاقتْــه أيدٍ تجاذبه
ولا بدٌ للساعــي إلــى نيل غاية من المجــد من ساع تدبّ عقاربه
وإنــي وإن أودتْ بمــالي نكبة نظيريَ فيهــا كل قرم أناسبه
فما كنـت كالقسطـار يثـري بكيسه ويملق إن أنحى على الكيس سالبه(٦)
ولـكن كليث الغــاب إن رام ثروةً حوتْهــا له انيابــه ومخالبه
يبيت خميصــاً طاويا ثم يغتدى مباحــاً له من كل طعــم أطايبه(٧)

---

(١) الجموح : الشارد ، والحرون : المعاندة، فيعنق : يمشي ، وعنقه : ضربه .
(٢) أسماء لخطباء وشعراء مشهورين .
(٣) يغضي : يطرق ، ومصقع : مبرّز ، ومفلّق : محلق ومبدع .
(٤) اشمخرّت : اشتدّت وارتفعت .
(٥) العاني : الأسير .
(٦) القسطار : منتقد الدراهم ، والعارف بتَميز الجيد والرديء منها ويملق : يفتقر .
(٧) الخميص الطاوي : الجائع .

كذلك مثلــي نفســه رأس ماله بهـا يدرك الربـح الــذي هو طالبه
وللمــال آفـات يهنـأ ربه بهــا إن تخطّتــه إليه مصائبه
ومــن يكن السلطــان فيه خصيمه فلا عار في الغضب الذي هو غاضبه
وما ضرّني إن غاض ما ملكت يدي وفي فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالــي من طريفٍ وتالدٍ قتيل يدي فضلــي فمفنيه جالبه
ولـي بين أقلامــي ولُبِّــي ومنطقي غنىً قلّما يشكو الخصاصة صَاحبهُ(١)

***

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلبي الوزير [من الكامل] :

قــل للــوزير أبــي محمــد الذي قد أعجـزت كلّ الــورى أوصافهُ
لك في المحافل منطق يشفي الجوى ويســوغ في أذن الأديب سلافه
فــكأنّ لفظــك لؤلــؤٌ متنخّلٌ وكأنمــا آنذاننــا أصدافه

وقال فيه من قصيدة [من الطويل] :

وكم من يدٍ بيضــاءَ حازت جمالها يدٌ لك لا تَسْــوَدُّ إلا من النِّقْسِ(٢)
إذا رقشـــت بيض الصحــائف خلتها تطــرّز بالظلمــاء أردية الشمس(٣)

وله من قصيد فيه [من الخفيف] :

وتعلّقــت بالــرئيس الــذي صر ت رئيســاً مذ عدّني في العبيدِ
والــوزير الــذي غدا وزراء الـ ملك ركنــا لعــزّه الموطود

---

(١) الخصاصة : الفقر .
(٢) النقس : الحبر .
(٣) رقشت : زيّنت وكتبت .

أريحـــيٌّ مهلبـــيٌّ سعيد الـ ـجَدِّ صافي الجـدوى كريم الجدود
وإذا استنطـق الأنامــل جادت ببيــانٍ كالجوهـــر المنضود
فــي سطــورٍ كأنّمــا نشــرت يمـ ـناه منهــا عصائبــاً من برود[1]
فِقَــرٌ لم يزل فقيراً إليها كلّ مبــدي بلاغــةٍ ومعيد
يغتــدي البــارع المفيد لديها لاحقــاً بالمقصــد المستفيد
ببيانٍ شافٍ ولفـظٍ مصيبٍ واختصــارٍ كافٍ ومعنــىً سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان [من الطويل]:

لقد كنفت منك السعـود موفّقاً مصــادره محمــودةٌ والموارِدُ
كأنيَ بالبحـر الـذي خيف هوله وقـد خاف حتّى ماؤه فيه جامد
يرى منك بحراً زاخراً فوق متنه فيصبح جاري موجهِ وهو راكد
كأنّ عصـا موسـى بكفّـك فوقه وقد خرَّ إعظاماً لها وهـو ساجد
ستعنو لما تبغـي ظهـور صفاته وتبلغ ما تهوى وجدّك صاعد[2]
فلا تخش من صرف النوائب نبوةً فنصـرك محتـومٌ عليه شواهد[3]
إذا عادة الله التـي أنــت عارف تذكّرْتها هانـت عليك الشدائد

وقال في فاصد من غير علة [من الطويل]:

تنبّــع جود لا دم من يمينه فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصـد العــرق حاجةً ولكنــه ينحــو المحامــد قاصدا
يسبّــب أسبــاب النــدى لعفاتِهِ ويرقبهــا مستفْرصــاً ومراصدا[4]

---

(١) العصائب : الألوان .
(٢) الجدّ : الحظ .
(٣) النبوة : الجفوة .
(٤) العفاة : الطالبين الجدوى ومستفرصاً : أي متحيّناً الفرص .

وقوله في معناه [من الكامل]:

لهجت يمينك بالندى فبنانها أبدا يفيض على العفاة عطاءَ
حتى فصدت وما بجسمك حاجةٌ كما تسبب للطبيب حباءَ
ولقد أرقت دماً زكياً من يدٍ حقنت بتدبير الأمور دماءَ
تجري العلافي عرقة جرْيَ النَّدى في عوده فهو اللباب صفاء
لو يقدر الأحرار حين أرقته جعلوا له حب القلوب وعاء
فانعمْ وعشْ في صحةٍ وسلامةٍ تحيي الوليَّ وتكبتُ الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل]:

أهلاً بأشرف أوبة وأجلِّها لأجلِّ ذِي قدمٍ يلاذ بنعلِها[1]
فرشتْ لك الترب التي باشرتها بشفاهها من كهلها أو طفلها
لم تخطُ فيها خطوةً إلاّ وقد وضعت لرجلك قبلة من قبلها
وإذا تذلّلت الرقاب تقرُّباً منها إليك فعزُّها في ذُلِّها

وله من قصيدة [من الكامل]:

لا تحسب الملك الذي أوتيته يفضي وإن طال الزمان إلى مدى
كالدَّوْح في أفق السماء فروعه وعروقه متولّجاتٌ في النَّدى
في كلِّ عامٍ تستجدّ شبيبةٌ فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتّى كأنّك دائرٌ في حلقةٍ فلكيّةٍ في منتهاها المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل]:

ثنائيَ لو طولّته لك قاصر وطولك لو قصَّرته لي باهرُ
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى بجهدي وعفو الجود لي منك غامر

---

(١) الأوبة : العودة .

وما زلت من قبل الـوزارة جابري فكن رائشـي إذ أنـت ناهٍ وآمر[١]
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فبلّغنـي المأمـول إذ أنـت قادر
لعمري لقد نلـت المنى بك كلّها وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر[٢]

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبي [من الطويل] :

بلغـت الـذي قد كنـت آملـه بكم وإن كنـت لم أبلـغ لكم ما أؤمِّلُ

وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل] :

لمـا وضعـت صحيفتي في بطـن كفّ رسولها
قبّلتهـا لتمسّهـا يمنـاك عنـد وصولها
وتـودّ عيني أنّها قرنـت ببعض فصولها
حتـى ترى من وجهلك الـ ـميمـون غاية سولها

وله من قصيدة [من الخفيف] :

نعـم الله كالوحـوش وماتأ لف إلا الأخـاير النسّاكا[٣]
نفرتهـا آثـار قوم وصيّرْ تَ لهـا البِـرَّ والتُّقـى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل] :

أبـو قاسـمٍ العـزيز بن يوسف عليه من العياء عينٌ تراقبُه
روى ورعـى لمـا روى قول قائلٍ وشبْـع الفتـى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال لبعض الوزراء [من البسيط] :

أنـت الـوزير الـذي الـدنيا تنـاط به وأهلهـا تبـعٌ من دونـه خَوَلُ[٤]

---

(١) الجابر : المعين ، ورائشي : أي جاعلاً لي الريش الذي أستطيع به الحياة ، يعني : المال .
(٢) أحسبه : « وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر » .
(٣) الأخاير : أي الأخيار الفضلاء .
(٤) تناظر به : توكل به ، والخول : العبيد .

تظلّ بالعز ملء الأرض أجمعِها كأنك النَّصلُ والدنيا لك الحلل

* * *

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لم أطوِّلْ في دعوتي لمليك طوّل الله في السّلامة عمرَهُ
بل تلطَّفْت باختصار محيط بالمعاني لمن تأملَّ أمرَه
فهي مثل الحروف من عددِ الهنـد قليل قد انطوَتْ فيه كثره
جمع الله كلِّ دعوة داع مستجاب دعاؤه فيك صبره
وأعاد العيد الذي زاره العا م بأمرٍ يحوزه مسرّه
وأراه الآمال فيه ولقا ه سعادته ووفّاه أجره

وله من قصيدة يهنيه بالفطر. منها [من البسيط] :

يا ماجداً يده بالجود مفطرةٌ وفوه من كلّ هجرٍ صائم أبدا
اسعد بصومك إذ قضيّت واجبه نسكاً ووفِّيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالاً مجددةً واستقبل العيش في إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماضٍ قررت به عيناً ومنتظرٍ يفضي إليك غدا
وفزّ بعمرك ممدوداً وملكك مو طوداً ونل منهما الحدّ الذي بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة في يمناك مملوءةً أرجاؤها رشدا
وحولك الفَلَك الدوّار متّبعاً أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا[1]

وله في الوزير المهلبي قصيدة عيدية [من الطويل] :

أسيِّدنا هُنِّئْت نعماك بالفطر ووُقِّيتَ ما تخشاه من نُوَبِ الدهرِ[2]

---

(١) يألوك : لا يقصّر عنك .
(٢) نوب الدهر : مصائبه .

مضى الصوم قد وفَّيْتَه حقّ نسكه ووفّاك مكتوب المثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزلْ من الله فيما ترتجيه على ذكر
هجرت هجود الليل فيه تهجداً وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامنا باعتقادها لناجتك لفظاً بالدّعاء وبالشكر
وللفطر رسمٌ للسرور وسنّةٌ ومثلك من أحيا لنا سنّة الفطر[1]
ولابّد فيه من سماعٍ وقهوةٍ نقضّي بها الأوطار من لذّة السكر
نواصل قصفاً بين يومٍ وليلةٍ دراكاً فنستوفي الذي فات في الشهر[2]
فمرْ بالذي نبغي وكن عند ظننا فلا زلت فينا نافذ النّهي والأمر
وعاد إليك العيد حتى تملّه بأقصر يوم طاب في أطيب العمر

أخذه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل]:

وليطل عمرك مسرو راً بأيامٍ قصار

وله في بعض الوزراء [من الطويل]:

يصوم الوزير الدهرُ عن كلّ منكرٍ وليس لهذا الصوم عيد ولا فطرُ
ويفطر بالمعروف والجود والندى وليس لهذا الفطر صومٌ ولا حظر[3]
فأكرم به من صائمٍ مفطرٍ معا توافى لديه الأجر والحمد والشكر

وله [من البسيط]:

إذا دعا الناس في ذا العيد بعضهمُ لبعضهم وتمادى القول واتّسعا
فصيَّر الله ما من فضله سألوا فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
حتى يكون دعائي قد احاط له بكلّ ذلك مرفوعاً ومستمعا

(١) السنّة : العادة .
(٢) داركاً : لحاقاً .
(٣) الحظر : المنع .

وله في المطهر بن عبد الله [من الكامل]:

عيد إليك بمـا تحـبّ يعود بطوالـعٍ أوقاتهـنّ سعودُ
متبـاركاتٌ كلّ طالـع ساعةٍ يوفـي علـى ما قبلـه ويزيد
يأتيك من ثمـر المنـى بغرائبٍ معدومهـا لك حاصـلٌ موجود
قضّيت شهر الصـوم بالنّسـك الذي هو منـك معـروف له معهود
أكثـرت فيه من تهجـد خاشع ما يطمئـنّ بمقلتيه هجود
فاشـرب وسَـقٍّ عصابـةً قد مسّها عطشٌ وجهـدٌ في الصيام جهيد[1]
أرويتهـا جوداً فروّ مشاشها راحـاً فمنـك الجـود والناجود[2]
وتمـلَّ عيشـك في سرور دائمٍ سربالـه أبـداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل]:

يا سيداً أضحـى الزّما نِ بأسـره منـه ربيعا
أيام دهـرك لم تزل للنـاس اعياداً جميعا
حتـى لأوشـك بينها عنـد الحقيقـة أن يضيعا
فاسلـم لنـا ما أشرقَتْ شمسٌ علـى أفـقٍ طلوعا
واسعـد بعيدٍ ما يزا ل إليك معتقـداً رجوعا

وله من قصيدة في عضد الدولة [من الكامل]:

إسَلـمْ ودُمْ للرتبـة العلياء وتمـلَّ ملـكك في أمـدٍّ بقاءِ
واستقبـلِ العيد الجـديد بغبطةٍ ومسـرّةٍ وزيادةٍ ونماء
وكفـاك من نحـر الأضاحـي فيه ما نحـرت يمينـك من طلا الأعداء[3]

---

(١) الجهيد : المضني .
(٢) المشاش : النفس . والناجود : الخمر .
(٣) طلا الأعداء : دماءهم .

بهـم تعفَّـرُ كالبهائـم جعجعتْ — أشلاؤهـا في حومـة الهيجاء[1]
حرِّمْـتَ مأكلهـا علينـا واغتدت — حلاًّ لوحش القفـر والبيداء
هـذي مناسـكك التـي قضيّتْها — بالسّيف او بالصَّعْـدة السمراء[2]
ووراء ذلك للعفـاة منائحٌ — هطلـت هطـول الديمـة الوطفاء[3]
ومواهـبٌ ومناقـبٌ ومفاخرٌ — ومآثـرٌ أوفـت علـى الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف]:

صلِّ ياذا العـلا لرّبـك وانحرْ — كلَّ ضدٍّ وشانـيء لك أبترْ[4]
أنـت أعلى من [أن] تكون أضاحيـك قرومـاً من الجمـال تعفَّر
بل قرومـاً من الملوك ذوي السؤ — دد تيجانهـا أمامك تنثر
كلّمـا خرّ ساجـداً لك رأسٌ — منهـمُ قال سيفـك الله أكبر.

وكتب الى الشريف الموسوي في الأضحى [من الهزج]:

مـرجّيك وصابيك — بذا الأضحـى يهنّيكا
ويدعـو لك والله — مجيبٌ ما دعا فيكا
وقـد أوجـز إذ قال — مقـالاً وهـو يكفيكا
أرانـي الله أعداء — ك في حالِ أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط]:

يا سنّـةَ البـدر في الدياجي — وغـرَّةَ الشـمسِ في الصباحِ
صمصـام حربٍ وغيث سلمٍ — ناهيك في البـأس والسماح

---

(١) جعجعت : صوّتت والهيجاء : الحرب .
(٢) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تقويم .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي أرخت أذيالها .
(٤) الشانيء : المبغض . والأبتر : الأقطع الذي لا ولد له .

اسعـد بفطـرٍ مضـى وأضحى وافـاك باليمـن والنجاح
وانحـر أعـادي بنـي بويهِ بالسّيف في جملـة الأضاحي
فالـكلٌّ منهـم ذوو قرون يصلـح للذبـح والنِّطاح

وكتب في يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة [من البسيط] :

أهـدي إليك بنـو الآمـال واحتفلوا في مهرجـانٍ جديدٍ أنـت مبليهِ
لكنَّ عبـدك إبـراهيم حين رأى علـوَّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهـداةً إليك فقد أهـدي لك الفَلَكَ الأعلـى بمـا فيه

وكتب إليه مع زيج أهداه [من البسيط] :

أهـديت محتفـلاً زيجـاً جداوله مثل المكاييل يستوفي بهـا العمرُ(١)
فقس به الفلك الـدوار واجركما يجـري بلا أجـل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الـذي ليس بينه وبين مليك العـرض مثـلٌ يقارنُهُ
رأيت ذوي الآمـال أهـدوا لك الذي تروق العيون الناظـرات محاسنه
وحـولك خزّان يحوزونـه وما له منـك إلا لحـظ طرف يعاينه
ولكنّنـي أهـديت علمـاً مهذباً يروق العقـول الباحثـات بواطنه
وخير هدايانـا الـذي إن قبلته فليس سوى تامـور قلبـك خازنه(٢)

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسـروانيين وكتـاب المسـالك والممالك في دفترين [من مجزوء الكامل] :

---

(١) زيجاً : جدولاً يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .
(٢) التامور : وعاء القلب والنفس .

أهـدي إليك بحسـب حا لي في الخصاصـة درهميْنِ[1]
وبحسـب قدرك دفتريـــن همـا جميع الخافقين
فـإذا فتحتهمـا رأيــت بيان ذاك بلحـظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب [من الطويل]:

تصبَّـحْ بعـزٍّ واعتـلاء جدود وأبشـرْ بخير واطِّـراد سعودِ
وقـل مرحبـاً بالمهرجـان وحَيِّه بطلعـة بسَّـام أغـرٌّ مجيد
له زورةٌ في العـام ما زال يومها كفيلاً بحظَّـيْ سيدٍ ومسود
فيحظـى بفخـرٍ من علاك مجددٍ وتحظـى بعمـرٍ في مداه جديد
تراه إذا ما جاء طامـح مقلةٍ إليك وإن ولَّى فثانـيَ جيد[2]
أتتـك الهـدايا فيه بين موفَّرٍ علـى قدر المُهْـدَى وبين زهيد
فبـان علـى يمنـاك حين مددْتها تكلّف فياض اليدين مفيد
تقـاعس عن بسـط القبـول ولـم تكن لهـا عادةٌ إلا ببسطـة جود
ولـكن إذا أهـدى لك الله نعمةً مددت لهـا كفَّيْك مدَّ رشيد
وقـد نزلـت منـه إليك هديةً بجرجـانَ ما محصولهـا ببعيد
ومـا بيننـا إلاَّ المسافـة فانتظرْ ورود بشيرٍ فوق ظهـر بريد
ولمـا رأيت الله يهـدي وخلقه تجاسـرْت واستفرغْـت جهـد جهيد
فكان احتفالـي في الهـدية درهماً يطير من الأنفـاس يوم ركود
وجـزءاً لطيفـاً ذرعـه ذرع محبسي وتقييده بالشـكل مثـل قيودي[3]

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة .
(٢) ثنى جيده : لوى عنقه .
(٣) ذرعه : مقداره .

ألاطِفُ مولانـا وكالمـاء طبعه ... تسلسـل من عذب النِّطاق برود[1]
زلالاً علـى المستعـطفين وجلمداً ... علـى كلّ عرِّيضٍ ألـدَّ مريد[2]

وكتب إليه في يوم نيروز [من الطويل]:

تهـنَّ بهـذا اليوم واحـظ بخيره ... وكن أبـداً بالعـود منـه علـى وعدِ[3]
أرى النـاس يهـدون الهـدايا نفيسةً ... إليك ولـم يتـرك ليَ الدهـر ما أهدي
سوى سكَرٍ يحلـو لك العيش مثله ... وآسٍ أخـي عمـر كعمـرك ممتدّ
وبينهمـا من ضرب قومـك درهمٌ ... وأبيات شعـرٍ من ثنائـي ومـن حمدي
فإن كنت ترضـى مابـه انبسطتْ يدي ... وتقبلـه منّـي فهـذا الـذي عندي

وكتب إليه [من الطويل]:

تعـذر دينـاري علـيَّ ودرهمي ... فلاطفْـت مولانـا ببيتين من شعري
وكم بيت شعـرٍ زاد بالشـكر قدره ... علـى بيت مالٍ من لجيْنٍ ومـن تبرِ

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع]:

دامـت لمولانـا سعادته ... موصولـةً دائمـةً تترى[4]
ونـال ما أمّـل من ربه ... في هذه الـدار وفـي الأخرى
وزاده النيروز في ملكه ... عزّاً وفـي دولتـه نصرا
لمـا رأيت النـاس لم يتركوا ... فيمـا ادعـوا نظمـاً ولا نثرا
أعملـت فكري في دعـاء له ... يجمـع ما جاءوا به طُرّا
فقلـت بيتـاً واحـداً كافياً ... لم يعـدُ في مقداره سطرا

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي والبرود : البارد .
(٢) الزلال : الصافي . والعرّيض : الكثير المعارضة والعناد ، والألد : الشديد العداوة ، والمريد : الكثير التمرّد .
(٣) العود : العطاء وغيره .
(٤) تترى : متتابعة بعضها بعد بعض .

لا زالـت الـدنيا له منزلا يأويه والدهـر له عمرا

وكتب إليه مع اصطرلاب أهداه [من الوافر]:

يعزٌّ علـي أن أهـدي نحاساً إلـى مَنْ فيضُ راحتـه نضارُ[1]
ولـكنَّ الزمـان اجتـاح حالي وأنـت عليه لي إذ جارَ جار

تب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط]:

نهـدي النحـاس إلـى مولـى أنامله تهـدى النضـار إلـى العـافين منتهبا
وكان يلزمنـا لولا التعـذّر أن يكون إهداؤنـا من عين ما وهبا
لكن بعـديَ عن جدواه أصفرني من كل خيرٍ فصـار الصفـر لي نشبا[2]
وسـوف أظفـر من أخـلاط نائله بالـكيمياء فيضحـي صفرنـا ذهبا[3]
فليبسـط الآن عذراً لسـت أسأله في قابـل إن أنـل من خدمـةٍ سببا
فقـد جرى المـاء في عودي بدولته وكان من قبلـه مستيبسـاً حطبا
وأقبلـت نحويَ الآمـال آتيةً من بعدما أزمعتْ من ساحتـي هربا[4]

وكتب في يوم نيروز وقد أهدى بطيخة كافور [من الكامل]:

أسعـدِ وزير الملك بالنيروز ما سجعـت مطوّقـة علـى أعوادها
وافـى فأنجـز وعـد عام أول بميامـن ستـكرّ من ميعادها
تهـدي إليك به هدايا كلها من راحتيك حقيقـة استمدادها
فتمـدّ كفّـاً نحوهـا نشـأت على إرفـاد أيدي النـاس لا استرفادها[5]

---

(١) النضار : الذهب .
(٢) أصفرني : أخلاني ، والصفر : النحاس والنشب : كل ما يملك الانسان .
(٣) أظفر : أفوز ، وأخلاط نائله : مختلف عطاياه .
(٤) أزمعت : صممت وقرّرت وعزمت .
(٥) الإرفاد : الاعطاء ، والاسترفاد : الإستعطاء .

عاداتها إعطاء ما قد أعطيَتْ أكرِمْ بعادتها وبالمعتادها
ولقد طلبت فلم أجد شيئاً سوى كافورةٍ لم آلُ في إعدادها[1]
وبديع أبياتٍ إذا هي أنشدتْ نفقت بضاعتها على نقّادها
فالصبح من تلك ابيضاض أديمها والليل من هذي اعتكار مدادها
ولو انني مكِّنت من عيني التي هي بعض حقّك يا معيد رقادها
لسكبت كافوري بشحم بياضها وكتبت أبياتي بذوْب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود [من السريع] :

نل المنى في يومك الأجود مستنجحاً بالطالع الأسعد
وارْقَ كمرقى زحلٍ صاعداً إلى المعالي أشرف المصعد
وفضْ كفيض المشتري بالنّدى إذا اعتلى في برجه الأبعد
وزدْ على المريخ سطواً بمن عاداك من ذي نخوةٍ أصيد[2]
واطلع كما تطلع شمس الضحى كاسفةً للحندس الأسود[3]
وخذْ من الزهرة أفعالها في عيشك المقتبل الأرغد
وضاهِ بالأقلام في جريها عطارد الكاتب ذا السؤدد
وباه بالمنظر بدر الدجى وأفضله في بهجته وازدد
واسلم على الدهر ولا تخش من مكروهه الرائح والمعتدي
ذا مهجةٍ آمنةٍ للادي ما أمّنته مهجة الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية [من الكامل] :

قرمٌ علته ملابس العلياء فعلا على النظراء والأكفاءِ

---

(١) لم آل : لم أقصّر .
(٢) الأصيد : السيد والملك .
(٣) الحندس : الظلام الشديد السواد .

أهــدت إلــيَّ سرورهــا مثــل الذي أهــدي مساءتهــا الــى الأعداء
ومــن العجائــب أنّنــي هنأتْه وأنــا المهنــأ فيه بالنعماء
لا زال يفتــرع المراتــب صاعداً حتــى يجــوز محلّــة الجوزاء(١)

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتـار [مـن الخفيف]:

صحّ أنّ الــوزير بدرٌ منير إذ توارى كمــا توارى البدورُ
غاب لا غاب ثم عاد كمــا كا ن علــى الأفــق طالعــاً يستنير
لا تسلنــي عن الــوزير فقــد نبــــئْـــتُ بالــوصف أنّــه سابور(٢)
لا خلا منــه صدر دســتٍ إذا ما قرَّ فيه تقــرُّ منــه الصدور(٣)

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل]:

قد كنــت طلقــت الــوزارة بعدما زلّــت بهــا قدم وســاء صنيعُها
فغــدت لغيرك تســتحيل ضرورة كيمــا يحــلّ إلــى ذراك رجوعها
فالآن آلــت ثم آلــت حلفةً أن لا يبيت سواك وهــو ضجيعها(٤)

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجتث]:

يا جامعــاً لخلالٍ قبيحــةٍ ليس تحصى

يفترع : يمتلك .
(٢) سابور : ملك ، معرّب شاه بور .
(٣) الدست : البيت .
(٤) آلت حلفةً : أقسمت قسما وضجيعها : راقدٌ معها .

نقصْت من كل فضلٍ   فقد تكاملت نقصا
لو أن للجهل شخصاً   لكنت للجهل شخصا

وقال [من الخفيف]:

أيها النابح الذي يتصدّى   بقبيحٍ يقوله لجوابي
لا تؤمّل أنّي أقول لكَ اخسأْ   لست اسخو بها لكلّ الكلاب

وقال [من السريع]:

ياذا الذي صام عن الطعم   ليتك قد صمت عن الظلمِ
هل ينفع الصوم امرأً ظالماً   أحشاؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج]:

أبو الفضل إذا يحصل   فيما بيننا فضلُ
وما نؤثر أن يدخل   في شطرنْجنا بغل

وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل]:

يا من تعمّم فوق رأس فارغٍ   بعمامةٍ مرويَّةٍ بيضاءِ
حسنت وقُبِّح كلّ شيءٍ تحتها   فكأنها نورٌ على ظلماء
لما بدا فيها أطلْتُ تعجبي   من شرّ شيءٍ في أجلٍّ إناء
لو أنني مكّنت ممّا أشتهي   وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها   في رأس حرٍّ من ذوي العلياء

وقال [من الطويل]:

ألا قل لأهل الدولة النذلة التي   ثوى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أمّ وجهها   فنحن لها أرضٌ وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظّ منها فإنهُ   قليلٌ على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث]:

وراكبٍ فوق طرفٍ ... كأنّه فوق طرفي[1]
لـه قذالٌ عريض ... يجـلُّ عن كل وصفٍ[2]
يذوب شوقـاً إليه ... نعلـي وخفّي وكفّي

وقال [من مخلع البسيط]:

قـرنُ ابـن هارون قد تمادى ... علـوه فالغيـور غـيرُهْ
فكاشفتـه البظـراء جهراً ... بفسقهـا حـين قلّ خيره[3]
خلـت به للنـكاح يوماً ... فقـام حِرُّهـا ونـام أيره[4]

وقال [من الكامل]:

يبـدي اللـواط مغالطـاً وعجانه ... أبـداً لأعـراد الـورى مستهدفُ[5]
فكأنـه ثعبـان موسـى إذ غدا ... لحبـالهـم وعصيِّهـم يتلقّـف

وقال [من الرجز المشطور]:

يا رب علـجٍ أعلج ... مثـل البعير أهوجِ[6]
ذي فيشـة عظيمة ... إن دُخلـت لم تخرج[7]
رأيتـه مطّـلعـاً ... من خلف باب مرتج
وتحتـه دنيّـةٌ ... تذهـب طوراً وتجي

---

(١) الطرف : الحصان الجيد .
(٢) القذال : القفا ، موضع الصفع .
(٣) البظراء : الطويلة البظر .
(٤) الحرّ : بضع المرأة .
(٥) العجان : الإست . الأعراد : جمع عرد ، ويعني به القضيب عند الإنسان .
(٦) العلج : الكافر .
(٧) الفيشة : رأس الذكر .

فقلت : فاضي أيدجٍ ؟ فقال : قاضي أيدج

وقال في رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعنَ من سكر الحداثة ما صحا دفعنا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له هّمةٌ لكنّها في حتاره فما يطلب العلياء إلاّ لينكحا[1]
فلو أن ما قاسى من الأير دبره يقاسيه من سير المعلم أفلحا

وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] :

قل للشريف المنتمي للغرّ من سرواتِهِ
آبائه وجدوده والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في أخلافه وصفاته
لا تجرِينَّ من الفخا ر إلى مدى لم تاته
شاد الألى لكَ منصباً قُوِّضْتَ من شرفاته[2]
وأبوك متصلٌ به فعققتهم ببتاته[3]
إنّ الشريف النفس ليـ ـست تلك من فعلاته
والعِود ليس بأصله لكنه بنباته
والماء يفسد إن خلطْ ـتَ أجاجه بفراته[4]
وأحق من نكّسْته بالصفع من درجاته
من مجده من غيره وسفاله من ذاته

(١) الحتار : يعني الإست ، وهو الإطار المحيط بالغربال أو المنخل أو نحوهما .
(٢) قوّضت : هدمت وخربت .
(٣) بتّه : قطعه .
(٤) الأجاج : المالح ، والفرات : العذب .

وقال في هجاء أبخر [من البسيط] :

إنـي بليت بقرنانٍ يساررني سيّان عنـدي مجشّـاه ومفْساهُ[1]
القبـر نكهتـه ، والسـمّ ريقته والمـوت عشرتـه ، والبخـر نجواه[2]

وفي المعنى [من مجزوء الرمل] :

فـي أبـي الفضـل من النقــص ضروب وصنوفُ
رجـلٌ في وعـده خِلْــفٌ ، وفـي فيه خلوف
فـإذا قاوضـك القول فقـد فاض كنيف[3]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

لـم تر العين أبخراً كابـن نصـرٍ ولا ترى
مدخـل الخبـز منـه أخـبـث من مخـرج الخرى

وقال [من الكامل] :

قد أبصـرت عينـي العجائـب كلّها ما أبصـرت مثـل ابـنِ نصـرٍ أبخر
ما شم نكهتـه أمـرؤٌ متعطّرٌ إلا استحـال مخاطـه منهـا خرى

وقال [من الكامل] :

نطـق ابـن نصـرٍ فاستطـارت جيفةٌ في الخـافقين لنتـنِ فيه الفاسدِ
فكأنّ أهـل الأرض كلّهُـمُ فسوا متـواطئين علـى اتفـاق واحد

وقوله [من الخفيف] :

يا ابـن نصـرٍ تِهْ كيف ما شئْتَ بالبَخْـرة إذ بلّغَتْـكَ حالاً شريفَهْ

---

(١) القرنان : الدّيوث المشارك في قرينته لزوجته ، المجش : ما يتجشأ منه ، وهو فمه .
(٢) البخر : الرائحة الكريهة من الفم .
(٣) الكنيف : المرحاض .

لك في الناس مثلُ معجزةِ الخضـــــرِ ، وإن كنْـتُ منـه بئس الخليفة
لا يشمّـون حين تجتـاز طيباً ويشمـون حين تجتـاز جيفة

وقال [من مجزوء الرجز]:

مـا مرَّ بي في عُمُري مثـلُ سرارِ القنطرى
مكّنتـه من أذني فبـال فيهـا وخـرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من شخص عرض به [من مجزوء الرمل]:

نـبَّ هذا التيس نبّا وعلـى الغلمـان هبّا[1]
كلّمـا نادى غزالاً منهـم للنيك لـبّى
مـا رأينـا قبـل هذا رشـأ طاوع كلبا
ليس فيهـم صغيرٍ وكبيـرٍ يتـأبّى
وغَـدَتْ دار أبـي الفضـ ـل لهـذا التيس زربا
وهـو يزداد علـى ذا ك به ضنـاً وعجبـا
يا أبـا الفضـل استمـع نصـ ـح امرىء يصْـفيك حبّا
سـرْحُ غلمانـك للسرّ حان قد أصبـح نهبا[2]

* * *

ما أخرج من شعره في الشعر

قال [من الوافر]:

أحـبُّ الشعـر يبتـدع ابتداعاً وأكره منـه مبتـذلَا مشاعا

---

(١) نبّ : صاح .
(٢) السَّرح : الأنعام التي تسرح للمرعى والسرحان : الذئب .

ولــي رأيٌ غيورٌ في المعاني فمــا آتــي بهــا إلاّ افتراعا
وقِدْماً كانــت الأبــكار أحظى من العــون التــي انتهبــت شعاعا[1]

وقال [من الخفيف] :

رب شعــرٍ أطالــه طول معنا ه وإن قلّ لفظــه حين يروي
وطــويل فيه الـكلام كثير فاذا ما استعدتْه كان لغوا[2]
عرض البحــر وهــو ماءٌ أجاجٌ وقليل المياه تلقــاه حــلوا

وقال [من الطويل] :

لقــد شان شأن الشعــر قومٌ كلامهم إذا نظمــوا شعــراً من الثلــج أبردُ
فيا ربّ إن لم تهدهــم لصوابه فأضْلِلْهــمُ عن وزن ما لم يجوّدوا

وقال من قصيدة في الصاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحــك لاستجــــــررت من كلّ نعمــةٍ لك هجوا
فتأمّــل وانظــر إليه إذا ما طبــق الخــافقين حضــراً وبدوا[3]
كيف تحــدو به عفاتــك حدواً ثم تشــدو به قيانــك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيامٍ تعــدّ علــيّ عــدّا وحظّــي من رغائبهــا يفوتُ
يظــنّ النــاس لي فيهــا ثراءً وحسبي من ظنــون النــاس قوت

---

(١) العون : المرأة صارت وخادمة مساعدة .
(٢) اللغو : الكلام الذي لا طائل وراءه .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والبدو : سكان الصحارى .

كأنّـي من تخاصمهـم مكينٌ وحالـي من خصاصتهـا تموت
ولـم آل اجتهـاداً واحتفالاً ولـكنْ أعيتِ الحيلَ البخوت
إذا رام الـكريم شكاةَ بثٍّ فغايتُـهُ التحمُّـلَ والسكوت

وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

كفانـي علاءً حين أفخـر أنني أضـاف إلـى عبـد العـزيز وأنسبُ
حنته علـيٍّ الحـانيات فصـرت في كفالتـه كالابـن وهـو له أب
فهـا أنـا كالأولاد والفـرع أشمطُ وهـا هو كالآبـاء والفـرع غيهب[1]

ومنها:

عممتم جميع النـاس حسنـاً لمحسنٍ وعفـواً لذي جرمٍ فغيثـوا واخصبوا
فمـا بال إبـراهيم إذ ليس قبله ولِـيٌّ عراقـيٌّ غداً وهـو مجدب
مجلّيهـم في حلبـةٍ أرسلوا وسِكّيتهـم في رتبـةٍ حين رتّبوا
ومـالك يا عينـي البصيرة غمضت جفونـك عنـي حين أبـكي وأندب
وكيف استطبـت العيش في ظلّ نعمةٍ غلامـك عنهـا بالعـراء يعذّب
أتضـرب صفحاً وادع الجـأش ساكناً وجنبـي علـى رمضائـه يتضرّب[2]
متـى لم يكن ترياق جاهـك ضامناً نجاتي إذا دبّت إلـى الحـال عقرب[3]
ومالي إذا لم أسـق ريّاً من الحيا ولـم ترو منـي غلـة الـروح أخصب
ولكنـه التقـويم إن كان طعمه أمـرّ فعقبـاه الحميدة تعذب
ومـن ذا الـذي أهّلتمـوه لنكبةٍ تقوّمـه إلاّ العـذيق المرجّب[4]

---

(١) الأشمط: الذي خالط بياض شعره سواده. والغيهب: الأسود المظلم.
(٢) الرمضاء: شدّة الحرّ، ويتضرّب: يتقلّب.
(٣) الترياق: دواء السمّ.
(٤) العذيق: اللبق الماهر والمرجّب: المعظم.

إذا منصلٌ بالغتمُ في صقالِهِ فما هو إلا المشرفيّ المجرّب
ولم تشحذوا حدّيه حيفاً وإنمّا تريدون أن تسطوا به وهو مُقْضَب[1]
تجرّعت هذا الشرْيَ كالأرْيِ عالماً بأنْ سوف يحلو لي جنى فيه طيّب
ويا سوء حالي لو جريت لديكمُ بمجرى الذي لا يصطفى فيهذّب
فصبراً على بؤسي قليلٌ بقاؤها لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
لئن غمّني التأنيب فيكم وساءني لقد سرّني أن كنت ممن يؤنّب
وعِلميَ باستحكام حقي لديكمُ يحقق ظنّي أنّ جرمِي سيوهب
وإنك للحرّ الذي ليَ عنده وديعة ودٍّ خيرها مترقّب

وقال [من الطويل]:

صديقٌ لكم يشكو إليكم جفاكمُ وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكرٌ وللغيب مأمونٌ وللحبل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيمٌ وقد جمَّتْ عليه البلابل[2]
أكابرَنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتم مناهل[3]

وقال [من الخفيف]:

ومن الظلم أن يكون الرضا سرًا ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهادِ
كي يسرّ الصديق بالعفو عنّي مثل ما سرّ بالنكير الأعادي

* * *

(١) الشرى : الحنظل ، أي الشراب المرّ . والأري : العسل .
(٢) جمّت : كثرت وتزاحمت والبلابل : الهموم .
(٣) برحٌ : مؤلم .

ما أخرج من شعره في الشكوى والحبس

قال [من البسيط] :

قد كنــت أعجــب من مالــي وكثرته ... وكيف تغفــل عنــه حرفــة الأدب
حتى انثنت وهـي كالغضبى تلاحظني ... شزْراً فلم تبق لي شيئاً من النشب[1]
فاستيقنــت أنّهــا كانــت علــى غلطٍ ... فاستدركته وأفْضت بي الـى الحرب[2]
الضّب والنــون قد يُرجــى التقاؤهما ... وليس يرجى آلتقاء اللّب والذهب[3]

وقال أيضاً [من الوافر] :

كأنّ الدهــر من صبــري مغيظٌ ... فليس تغبنّــي منــه الخطوبُ[4]
يحــاول أن تلين له قناتي ... ويأبــى ذلك العــود الصليب
ألاقــي كلّ معضلةٍ نآدٍ ... بوجــهٍ لا يغيّره القطوب[5]
وأعتنــق العظيمــة إن عرتنى ... كأنْ قد زارنــي منهــا حبيب
وبين جوارحــي قلــب كريم ... تَعجّــبُ من تماسـكه القلوب
تلــوح نواجذَي والـكأس شربي ... وأشربهــا كأنّــي مستطيب[6]
ففــوق الســرّ لي جهــرٌ ضحوكٌ ... وتحــت الجهــر لي سرٌّ كئيب
سأثبــت إن يصادمنــي زماني ... بركنيْه كمــا ثبــت النجيب
وأرقــب ما تجــيء به الليالي ... ففــي أثنائــه الفــرج القريب

---

(١) شزراً غاضبةً .
(٢) الحَرب : الهلاك .
(٣) النون : الحوت من السمك والضبّ : حيوان معروف يشبه الهر .
(٤) تغبّني : تزورني .
(٥) النآد : الشديدة الوقع .
(٦) النواجذ : الأضراس ، وهي أربعة .

وقال [من مجزوء الكامل]:

قاسيت من دهري سفيهاً ... ما إن رأيت له شبيها
ثبتتْ نصال سهامه ... في ثغرة لي تنتحيها
فكأنّني استقبلته ... بمقاتلي إذ أتّقيها

وقال [من الطويل]:

إذا لم يكن بدٌّ من الموت للفتى ... فأروحه الأوحى الذي هو أسرعُ[1]
وما طال عمرٌ قطُّ إلاّ تطاولت ... بصاحبه روعات ما يتوقّع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به ... فمحصوله خوفٌ وعقباه مصرع

وقال [من الطويل]:

إذا جمعت بين امرأين صناعةٌ ... وأحببت أن تدري الذي هو أحذقُ
فلا تتفقَّدْ منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حين تفرّق
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيّق

وقال [من المنسرحِ]:

عهدي بشعري وكلّه غزلُ ... يضحك عنه السرور والجذلُ
أيام همّي بحبّةٍ بهم الـ ... ـقلب عن النائبات مشتغل
فالآن شعري في كلّ داهيةٍ ... نيرانها في الضلوع تشتعل
أخرج من نكبةٍ وأدخل في ... أخرى فنحسي بهن متصل
كأنها سنةٌ مؤكدةٌ ... لابدّ من ان تقيمها الدول
فالعيش مرٌّ كأنّه صبرٌ ... والموت حلوٌ كأنّه عسل

---

(١) الأوحى : الأسرع .

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف] :

ليس لي منجـدٌ علـى ما أقاسي   من كروبـي سوى العليم السميع
دفتـري مؤنسـي وفـكري سميري   ويدي خادمـي وحلمـي ضجيعي
ولسانـي سيفـي وبطنـي فريضي   ودواتـي عينـي ودرْجـي ربيعي
أتعاطـى شجاعـةً أدَّعيهـا   في القوافِـي لقلبِيَ المصدوع
بمقـالٍ أعـزَّ من ليث غابٍ   وفعـالٍ أذلّ من يربوع(١)
كلمـا هرَّ في جواري هرٌّ   كاد يقضـي إلـى فؤادي المروع(٢)
وإذا اجتـاز في السطـوح فمـن قبـل قبـوع الجـرذان منـه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبْتُ أقيكَ السُّوءَ من محبسٍ ضَنْكِ   وعينُ عدوّي رحمـةً منـه لي تبكي
وقـد ملكتنـي كفٌّ فظٍّ مسلّطٍ   قليل التقي ضارٍ علـى الفتـك والإفك
صليت بنـار الهـم فازددت صفوة   كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل] :

نفسـي فداؤك غير معتـدٍّ بها   إذ قد مللْـت حياتهـا وبقاءَها
ولـو انّ لي مالاً سواهـا لم أكن   أرضـى لنفسـك أن تكون إزاءها
لكن صفـرْت فلـم أجـد إلا التي   قد آن لي أن أستـطيل ذماءها(٣)
فإذا شكرت لمـن فداك فإنّني   لك شاكرٌ أنْ قد قبلـت فداءها
وكأننـي المفـديُّ حين أرحْتَنَي   من نائبـاتٍ ما أطيق لقاءها

---

(١) اليربوع : حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين ، وطويل الرجلين والذنب .
(٢) هرّ : صوّت .
(٣) صفرت : خليت . والذماء : بقية الروح وقوّة القلب .

وكتب وهو في الحبس الى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل]:

أيهـا السيد قد كنـــت إلى الوصـل تسارعُ
وتـراعينـا ببـرٍّ مـوالٍ متتـابـع
فلمـاذا قـد تسربلـت لنـا سربـال قاطع
نحن كالنسريْن في الصّحبة لـكنّـي واقـع[1]
وعلـى الطائـر ان يغشى أخـاه ويطـالـع[2]

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله رقعة هذه نسختها :

لقد قوي دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعـزب نحسي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]:

دخلـت حاكم حكاّم الزمـان على صنيعـة لك رهـن الحبس ممتحنِ
أخنـتْ عليه خطـوبٌ جارَ جائرها حتـى توفّـاه طول الهـمّ والحَزَنِ[3]
فعـاش من كلمـاتٍ منـك كنٍّ له كالـروح عائـدة منـه إلـى البدن

وقال في مستخرم مال كان يرفق به حال مصادرته ويتشكر منه في تلك الحال [من الكامل]:

لله درّ أبـي محمـدٍ الذي ضمنـتْ إساءتـه بنـا إحسانا
طـويت جوانحـه علـى خيريّة مكتومـةٍ تبـدو لنـا أحيانا

---

(١) النسرين : مثنّى نسر ، والواقع : اسير : أو الذي لا يستطيع التحليق .
(٢) يغشى : يؤم داره ويتفقّد أحواله .
(٣) أخنت : حلّت .

حـرّ تكلف غير ما في طبعه من قسـوةٍ تكسـو العـزيز هوانا
عـكس النفـاق لنـا فأخفـى باطناً حسنـاً وأظهـر ضدَّه إعلانا
ولـه خلال العسف رفـقٌ ربما سغشى الضعيف الرازح الحيرانا[1]
مستخرجٌ للمـال مضطرٌ إلـى اسـتعمال ما يرضـي بـه السلطانا
متلـطفٌ في فقرنـا ولـو أنه وجـد السبيل إلـى الغنـى أغنانا
يتطـرق الأستـار لا عن نيّةٍ ولـو استطاع لهـا الصيانـة صانا
متوعّـر الجنبـات في استخراجه وإذا تعطّف للفتـوة لانا
فتـراه في ديوانـه مستأسداً ليثـاً وفـي خلواتـه إنسانا
رجـل يؤدّبنا ونحـن مشايخٌ مثـل المعلـم يضـرب الصبيانا
عدنـا وقـد شبنـا إلـى حال الصِّبا في مكتـب يستشهـد الولدانا
نهـواه علمـاً أنـه خير لنا من غيره ان قلّـد الديوانا
عجبـاً له إذْ هذِهِ آثارُهُ فينـا وهـذا شكرُنـا وثنانا
فـالله يحفظـه علينـا راضياً ويعيدنـا من بأسِـهِ غضبانا

وقال أيضاً في الحبس [من الطويل]:

إذا لم يكن للمـرءِ بدٌّ منّ الردّى فأسهلُـهُ ما جاءَ والعيش أنكد
وأصعبـه ما جاءه وهـو رائعٌ تُطيفُ به اللـذات والحـظ مسعد
فإن أك شرٌّ العيشتين أعيشها فإنـي إلـى خير الممـاتيْن أقصد
وسيّان يومـا شقْـوةٍ وسعادةٍ إذا كان غبـاً واحـداً لهمـا الغد[2]

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل]:

توجّهْـتَ نحـو المشهـد العلـم الفرد على اليمـن والتـوفيق والطائـر السعد
نزور أمـير المؤمنـين فيالهُ ويالك من مجـدٍ مسيخٍ على مجد

(١) العسف : الظلم .
(٢) الغبّ : الذي يزور يوماً ويترك آخر .

فلـــم ير فوق الأرض مثلك زائراً ... ولا تحتهـــا مثـــلُ المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفـــانَ عارضَ نعمةٍ ... بصـــوتٍ بلا برقٍ يروع بلا رعد[1]
وتابعـــت أهليهـــا ندىً بمثوبةٍ ... فرحـــت إلى فوزٍ وراحـــوا إلى رفد[2]
أمَـــولاي مولاك الـــذي أنـــت ربّه ... إليك على جور النوائـــب تستعدى
وهـــذي يدي مُدَّتْ إليك بقصةً ... أعيذك فيهـــا من إبـــاءٍ ومـــن ردّ
أتانـــي شتـــاءً ليس عنـــدي دثارُهُ ... سوى لوعةٍ في الصدر مشبوبة الوقْد[3]
فلـــو أن بردِ الجلـــد عاد الى الحشا ... وفـــار الحشـــا الحـــران منـــي على الجلد
أزيحـــت لنفسي علّتاهـــا فأعرضتْ ... عن البثّ والشكوى الى الشكر والحمد
وداويْتُ داءَيً النّقضـــين ذا بِذا ... أعـــدّل إفراطـــاً من الضـــدِّ بالضد
ولكنـــي أستبطـــن الحـــرّ كربةً ... وأستظهـــر الضرَّ الشـــديد من البرد
وكم تثبـــت الحوْبـــاء في شبـــحٍ به ... جروحٌ دوامٍ من مناحســـة النكد[4]
أليمات وقـــعٍ لو تكون بيذبل ... تضعضـــع ركنـــاه تضعضـــع منْهدٍ[5]
فلـــولا رجـــاءٌ ملء أرجـــاء أضلعي ... وعلـــم يقـــين بالرعـــاية والعهد
وأنّ نسيم الانعطـــاف تهـــبّ لي ... هبـــوب نسيم النـــرجس الغضّ والورد
قضيت بإحداهـــن نحبـــي حسرة ... ولـــو كان لي قلـــب من الحجـــر الصّلد
وهبنـــي قد حملتهـــا فأطقتها ... إطاقـــة صلـــب العـــود مصطبـــر جلد
فمـــن لي بصبـــرٍ عن جبينـــك لامعاً ... إذا شيم ما بـــين السّماطـــين من بعد[6]
برانـــي بَريٌ القـــدْح شوقٌ مبرِّحٌ ... إليه ووجـــد جلّ عن صفـــة الوجد[7]

---

(١) العارض : الغيم الممطر .
(٢) الرفد : العطاء .
(٣) المشبوبة : المستعرة .
(٤) الحوباء : النفس أو الروح .
(٥) يذبل : إسم جبل .
(٦) شيم : أبصر ونظر إليه والسّماطين : الصفّين ، والجانبين .
(٧) براني : أنحلني .

إذا أبصرت عينـاي خدا معفّراً … لديك نقلـت التـرب منـه إلى خدي
وإن سمعَـتْ أذنـاي عنـك محدثاً … لهجـت بتـكرير الحـديث الـذي يُبدي
فذكراك جهـري حـين يطـرق زائري … ونجواك سري حين أخلـو بهـا وحدي
فلا تبعدنّـي عنـك من أجـل عثرةٍ … فإن جياد الخيل تعثـر إذ تخدي[1]
ولـو كنـت تنفـي كلّ من جاء مخطئاً … إذا لَعَمَمْـت النـاس بالنّفـي والطرد
ومـن زل يومـا زلـة فاستقالها … فذاك حقيق بالهـداية والرشد
ولي عنـد مولانـا وديعـة حرمةٍ … وشـكر أياديه وديعتـه عندي
فإن عشـت كانـت عدتـي وذخيرتي … وإن لم أعش فهـي التـراث لمن بعدي
توالـت سنـيٌّ أربـعٌ ومدامعي … لهـا أربـعٌ كالسّـلك سلّ من العقد
أحـوم إلى رؤياك كما أناها … حيام العطـاش الناظـرات إلى الورد[2]
فيا أيهـا المولى الـذي اشتـاق عبده … إليه أمـا تشتـاق يومـاً إلى العبد ؟
فإن كان لم يبلـغ إلى رتبـة الرضا … فبلّغـه فيما قبلهـا رتبـة الوعد
ومـر أمـرك العـالي بتغيير حاله … وتخفيف ما يلقى من البـؤس والجهد
لعلك ترضى عودةً بعـد بدأةٍ … فيغـدو بوجـه أبيضٍ بعـد مسودٍّ
فقـد يجبـر العظـم الكسـير وربما … تزايد بعـد الجبـر شدّة مشتد

وقال [من الطويل]:

هجـرت دواتـي بعـد تصريف حلّها … وواصلـت كالـورّاق قارورة الحبرِ
وعـاشرْتُ من دون الأخـلاّء دفترا … يحـدّث عما مرّ في سالف الدهر
فطـوراً يسلّيني التعلّلُ بالمنى … وطـوراً يكون الموت منـي على ذكر

* * *

(١) تخدى : تسير مسرعة وتعثر : تزلّ .
(٢) الورد : منهل الماء .

ما أخرج من شعره في الحكمة

قال [من مجزوء الرمل]:

جملـةُ الإنسـان جيفَهْ وهيولاه سخيـفه[1]
فلماذا ليتَ شعري قيلَ للنفس شريفه ؟
إنمـا ذلك فيه صنعـة الله اللطيفـه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل]:

أتهـاب في العزمـات ظـلما ربمـا وقيت عنهُ
وأمامـك الموت الذي أيقنـت أن لا بدّ منه
هـذي سبيل الخائـب الكـابـي الزنـاد فلا تكنه[2]
الدهـر خوّان ولـكن كم سعيدٍ لم يخنه !
وشقـيٌّ جدّ قد تحرّ ز بالتصـوّف لم يصنه
فاحـذرْ مراراً أن يخو ن ومـرة لك فأْتمنْه
واستبـرْ لحظـك بالتقلـب في المطالـب وامتحنه
وابسـط رجـاءً قد قبضـتَ وثـق بربـك واستعنه

وقال أيضاً [من الطويل]:

ألا أيهـا الإنسـان لأنـك آيساً من الدهـر ان تصفـو عليك مشاربُهْ
فإنّ له حتماً من الشر واجباً وحتماً من الخـير الهَنِيِّ عواقبه
وإن تلـق من حتميْه ما كنـت تبتغي فأولى بك الحتـمُ الـذي أنـت طالبه
ستكَسـب ما ترجـو ولـو كنـت كارهاً ككسيْـكَ ما تخشى وأنـت مجُانبه

---

(١) الهيولي : في الفلسفة ، المادة الأولى ، تنفعل وتحمل الصورة فتتولّد الموجودات .
(٢) الكابي الزناد : الذي لا يستعر ، كناية الحظّ السّيء .

وقال [من الخفيف]:

قـد تحابـى الجـواد نائبـة الدهـــــر وفيهـا على البخيل وقاحَهْ
كم رأينا من نعمة قادها البخـــــل وأخـرى تذود عنهـا السماحه
ربمـا ضرّهـا التشـدّد والضبّـــــط فأضحـتْ من أصلهـا مجتاحه
فهـي محميَّة إذا نيل منها وإذا عزَّ نيلهـا مستباحه
وخصـوم الشـحيح يسعـون فيما غضّ من طرفـه وهـاض جناحه[1]
وبنـات القلـوب تصغـي إلى من كان أسخـى نفسـاً وأطلـقَ راحه

* * *

ما اخرج من شعره في الشيب والكبر
وذكر آخر أمره

قال [من الوافر]:

يقـول النـاس لي في الشيب عن يزيد به جلال المرء ضعفا
ولـولا أنـه ذلٌّ وهون لما احتـكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط]:

كفـاك من ذلتـي للشيب حـين بدا أنـي توليت نتفـي لحيتـي بيدي

وقال [من المتقارب]:

لقـد أخلقـت جدّتـي الحادثات ومـن عاش في ريبهـا يخلقِ[2]
وبدّلنـي صـلعـاً شاملا من الشعـر الفاحـم الأغسق[3]
وقـد كنـت أصلـعَ مِنْ عارضي فقـد صرت أصلـعَ منْ مفرقي

---

(١) الشحيح : البخيل . وهاض جناحه : جعله ضعيفاً .
(٢) أخلقت : أبلت ، وجدّتي : فتوتي وشبابي .
(٣) الأغسق : الأسود .

وقال [من المنسرح]:

لما دهتْني السنون بالصَّلعِ وقل مالي وضاق متَّسعي
حاسبت عن لمّتي مزيّنها حسابَ شيخٍ للحزم متبع[1]
قلت له اقنع عن قسط نابتها بالربّع ممّا به عملت معي
واعمل على أنها مزارعةٌ شكوت فيها شكاةَ متَّضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف منّي خراج مزدرع[2]

وقال [من مجزوء الكامل]:

وَجَعُ المفاصل وهو أيـ ـسر ما لقيت من الأذى
جعلَ الذي استحسنْته واليأس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير سب في أواخره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي [من الخفيف]:

أقْعَدَتْنا زمانةٌ وزمان عائقٌ من قضاء حق الشريفِ[3]
فاقتصرنا فيما نؤدي من الفر ض على الكتْب والرسول الحصيف[4]
والفتى ذو الشباب يبسط في التقـ ـصير عذر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته ، وسوء أثر السن عليه ، وحاجته إلى الجلوس في المحفة إذا أراد التصرف في حوائجه . وذلكَ في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [من الطويل]:

إذا ما تعدّت بي وسارت محفّةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ[5]

---

(١) اللّمة : الشعر الذي يعلو الرأس .
(٢) الخراج : الضريبة واحطط : خفّف عنّي .
(٣) الزمانة : المرض الطويل .
(٤) الحصيف : العاقل .
(٥) المحفَّة : مركب كالهودج ، أو ما يشبه السرير يحمل عليه المسافر والمريض .

وما كنت من فرسانها غير أنها ... وفت لي لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصان ... بحكم مشيي أو فراش حصان[1]

فقد حملت منّي ابن تسعين سالكاً ... سبيلاً عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبيُّ وقبلها ... ذعرت ليوث الغيل بالنزوان[2]

ولي بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنيبة يومٍ للمنيّة داني

تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهنّ ثماني

وإني على غيث الردى في جوانبي ... وما كفّ من خطوي وبطش بناني

وإن لم يدعْ إلا فؤاداً مروّعا ... به غير باق من أذى الخفقان

تلوم تحت الحجب ينفث حكمة ... إلى أذن تصغي لنطق لسان

لأعلم أني ميّتٌ عاق دفنه ... ذماء قليل في غدٍ هو فاني[3]

وإن فماً للأرض غرثان حائماً ... يراصد من أكلي حضور أوان[4]

به شره عم الورى بفجائع ... تركن فلاناً ثاكلا لفلان

غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع ... فما تلتقي يوماً له الشفتان[5]

فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا ... وما دون ذاك الحدّ رد عنان

إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله ... تلا أوّلاً منه بمهلك ثاني

إلى ذات يومٍ لا ترى الأرض وارثاً ... سوى الله من إنسٍ يراه وجان

ألا أبلغا فرعاً نمتْه عروقه ... إلى كلّ سامٍ للمفاخر باني[6]

محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كلّ بكر في العلا وعوان[7]

---

(١) فراس حصان : فراش زوجةٍ عفيفة .

(٢) الغيل : الغاب ، والنزوان : الوثب .

(٣) الذماء : بقيّة الروح .

(٤) الغرثان : الجائع .

(٥) الفاغر : الفاتح ، والطوى : الجوع .

(٦) الفرع : الأصل .

(٧) العوان : المرأة التي ليست بكراً .

أبـا حسـن قطّعـت أحشـاء حاسد | طواهـا علـى البغضـاء والشنآن
يراك بحيث النجـم تصـدع قلبه | بحـدّ لسـان أو بحـد سنان
جرى جاهـداً والعفـو منـك يفوته | فكان هجينـاً طالبـاً لهجان[1]
وأنـت سمـاء في الذؤابـة صاعداً | وذاك حضيضٌ في القـرارة عاني[2]
أقيك الـرد إنـي تنبّهـت من كرىً | وسهوٍ على طول المـدى اعتوراني[3]
فأثبـتُّ شخصـاً دانياً كان خافياً | على البعـد حتى صار نصب عياني
هو الأجـل المحتـوم لي جد جدُّهُ | وكان يرينـي غفلـة المتواني
له نذُرٌ قد آذنتنـي بهجمةٍ | له لسـت منهـا آخـذاً بأمان
ولا بدّ منـه ممهـلاً أو معاجلاً | سيأتـي فلا يثنيه عنِّـي ثاني
هنـالك فاحفـظْ في بنـيّ أذمتي | وذدْ عنهـمُ روعـات كل زمان
فإنـي أَعتـدُّ المـودة منـك لي | حسامـاً به يقضـون في الحدثان
ذخـرت لهـم منـك السجـايا وإنّها | لأنفـع ممـا يذخـر الأبوان
وفـاءً ومـدّاً للجنـاح عليهم | وضنّـاً بهـم عن مس كل هوان[4]
وحرمـة أسـلافٍ كرامٍ حقوقها | ديون علـى الخلّين يصطحبان
وحظـك منهـا حسـب شأنـك إنّه | تعاظـم قدراً أن يقـاس بشان
وقـد ضمـن الله الجـزاء المحسن | وحسبـك من وافٍ وَفَـى بضمان
وهـذا قريضـي وهـو همٌّ بعثته | إلـى همّـةٍ عذراء ذات بيان
فكنـت كمـن جارى جواداً بمفرق | قوائمـه مشكولـة بحـران[5]
فإن لثمتنـي بالغبـار سوابقاً | قوافيه من لفـظٍ وحسـن معاني

---

(١) الهجين : المتولد بين عربي وأمة .
(٢) الذؤابة : أعلى الرأس ، والحضيض : الأسفل .
(٣) اعتوراني : لازماني وداخلاني .
(٤) ضناً : حفظاً ومنعاً .
(٥) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذي تربط به الدابة .

فلا عار إن قصّرْتُ دون مبرّز شأن الناس قبلي سعيه وشآني
وعذري إليه خاطرٌ كلٌّ بعدما ثوى وهو ماضي الشفرتين يماني[1]
كذا الدهر إمّا عاد ينقض ما بنى وإما بنى ما ينقض الملوان[2]
وإن أخرتني اليوم سنٌّ تقدمتْ فقد أسلفتني حوز كلّ رهان
ليالي طارت بي عقابٌ بلاغتي وبذّتْ بغاثا ما استطاع يراني[3]
أبابيل جابت دون إدراك غايتي على أنّها لم تألُ في الطيران[4]

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظماني إلى من لو أراد سقاني وديْني على من لو يشاء قضاني
ولو كان عندي معسراً لعذرته ولكنّه وهو المليُّ لواني
رمى مقلتي واسترجع السهم دامياً غزالٌ بنجلاويْن تنتضلان[5]
أأرجو شفائي منه وهو الذي جنى على بدني داء الضنى وشجاني
أبيت فلم أستسق من كان غلّتي ولم أسترش من كان قبل براني[6]
فإن أسْرِ فالعلياء همّي وإن أقم فإني على بكر المكارم باني
وإن أمض أتركْ كلّ حيّ من العدى يقول ألا لله نفسُ فلان
أكرر في الإخوان عينا صحيحةً على أعينٍ مرضى من الشنآن
فلولا أبو إسحاق قل تشبثي بخلٍّ وضربي عنده بجران
هو اللافتي عن ذا الزمان وأهله بشيمة لا وانٍ ولا متواني
إخاءٌ تساوي فيه وداً وألفةٌ رديع صفاء لا رضيع لبان

---

(١) كلّ : ضعف .
(٢) الملوان : الليل والنهار .
(٣) بذّت : فاقت وتقدّمت والبغات : طائرٌ ضعيف .
(٤) أبابيل : يقال طيراً أبابيل : أي متجمّعة يتبع بعضها بعضاً ، قطيعاً خلف قطيع .
(٥) النجلاوين : العينين الواسعتين وتنتضلان : أي تتبارى في رمي السهام .
(٦) الغلّة : الظمأ ، ولم أسترش : أطلب الريش كناية عن المال ، وبراني : أنحلني .

تمــازج قلبانــا تمــازج إخوةٍ وكلٌ طلوبــي غاية أخوان
وربّ قريبٍ بالعــداوة ساخطٌ وربٌ بعيد بالمــودة داني
وغيرك ينبــو عنــه طرفــي مجانباً وإن كان منــي الأقــرب المتداني
لئــن رام قبضــاً سن بناتــك حادث لقــد عاضنــا منــك انبســاط جنان
وإن بزّ من ذاك الجنــاح مطاره قربٌ مقــالٍ منــك ذي طيران
وإن أقعدتْــك النائبــات فطالما سرى موقــراً من مجــدك الملوان
وإن هدمــت منــك الخطــوب بمرّها فثــمّ لســانٌ للمناقــب باني
مآثــر تبقــى ما رأى الشــمس ناظرٌ ومــا سمعــتْ من سامــعٍ أذنان
وموسومــةٌ مقطوعــة العقــل لم تزل شواردُ قد بالغــن في الجولان
وما زلَّ منك الــرأي والحزم والحجى فتأســى إذا ما زلّــت القدمان
ولــو أن لي يومــا علــى الدهــر إمرةً وكانت لي العــدوى على الحدثان[1]
خلعــت علــى عطفيْك برد شبيبتي جواداً بعمــري واقتبــال زماني
وحمّلــت ثقــل الشيب عنــك مفارقي وإن فلّ من غربــي وغضّ عناني[2]
ونــاب طويلاً عنــك في كلّ عارضٍ وخــط بخطــوٍ أخمصــي وبناني
علــى أنــه ما انفــلّ من كان دونه حميم يرامــي عن يدٍ ولسان
ومــا كلٌّ من لم يعــط نهضــاً بعاجزٍ ولا كلّ ليثٍ خادرٍ بجبان[3]
وإنــك ما استــرعيت منــي سوى فتىً صبــورٍ علــى رعــي المــودة حاني
حفــيّ إذا ما ضيع المــرء قوله وفــي إذا ما خوّن العضدان
من الله أستهــدي بقــاك وأن ترى محــلاً لأيام العــلا بمكان
وأسألــه أن لا تزال مخلّداً بملــقــى سماعٍ بيننا وعيان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .
(٢) الغرب : السهم ، وفلّ : قطع .
(٣) الخادر : المسترخي .

إذا ما رعـاك الله يومـاً فقـد قضى مآرب قلبـي كلهـا ورعـاني

وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر شعره [من الطويل]:

أبـا كل شيء قيل في وصفـه حسن إلـى ذاك ينحـو من كنـاك أبا الحسنْ
فوحّدهـا للاختصـار إشـارةً إلـى جملـةٍ تفصيلهـا لـك مرتهنْ
تخولّتها في خـلقـةٍ وخليقةٍ وإن لم تكن أنت الخليق بهـا فمنْ(١)
ومـا هي إلا كنية لك إرثها وإن مسّهـا من غير أربابهـا الدّرن
ولـو أنّ في تحريمهـا لي قدرةً لمـا أصبحـت في غير بيتـك تمتهن
ألسـت لهـا بعـد الموصـي وآله وأنتم انـاسٌ فيكمُ المجـد قد قطن
ولـكنَّ هذا الدهـر جار عليكمُ وبالـغ حتـى في الكنى لكمُ محن
يجاذبـكم علياءكم كلّ حاسدٍ به مرضٌ بين الحيازم قد كمن(٢)
فيجـري إلـى غاياتـكم طالبـاً لها على غير منهاجٍ وأنتم على السنن
مناقبـكم حقٌّ بدتْ بيّنـاته ودعـواه أضغـاثٌ يراهـنّ في الوسنْ(٣)
لكم في الثـريا خطّـةُ وهـو في الثرى فيا بعدهـا من أن يلزّهمـا قرنْ(٤)
وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى وتفتـرق الأعيان في فهـم من فطنْ
وبين وسيمـات الوجـوه تشابـهٌ فـكن فاصـلاً بين التهيُّج والسّمن
وإنْ جـلـدة الوجـه الـوسيم تغضّنَتْ فلا تحسبَنْ تلك الغضون بهـا عكن(٥)
توقّلتـمُ في كلّ هضبـة سؤددٍ فأوفيت واستعليت منها على القنن(٦)

---

(١) الخليق : الجديد .
(٢) الحيازم : الصدور ، وكمن : استتر .
(٣) الأضغاث : الأحلام ، والوسن : النوم والنعاس .
(٤) يلزّهما : يجمعها ، وقرن : سلك .
(٥) تغضّنت : تجعّدت ، والعكن : السُّمنة في الجسد .
(٦) توقّلتم : صعدتم ، والقنن : القمم .

تقسّـم هذا الفضـل بين طوائف وأقسامـه مجموعـة فيك تختزن
غدوْا لك كالأبعـاض إذ أنـت كلهم كمـالا عجيبـا مثلـه قط لم يكن
تراهـم إذا غابـوا عن المنـزل الذي تحـلّ به كانـوا حضـوراً له إذن
وإن غبـت عنهـم ظاعنـاً بان فقرهم إلى الواحـد الفـذّ الـذي عنهـمُ ظعن
وإمـا يبـاريك المباري بهيئة وزيٍّ وملبـوسٍ علـى جسمـه حسن
ففـي درعـك الإنسـان تمـت صفاته وجمـت معـاليه وفـي درعـه الوثن
كتبـت إلـى ابـن الموسـوي رسالةً بلا دَخَـلٍ يدنـو إليهـا ولا دخن[1]
بأنّـي مذ بايعتنـي الـودّ جاعـلٌ سوادي من قلـبٍ وعـينٍ له ثمن
فإن رمتـه من صادقٍ غير ماذقٍ فدونك صدري مسكناً تحتـه شجن[2]
إذا اغتربـت منـك المـوالاة عنـد من ينافـق فيهـا فهـي عنـدي في الوطن
صفت مثل ما تصفو المدام من القذى وطابـت كمـا طابـت من الغبـر الدُّخن
ولـم لا وأنـت الماجـد السيّد الذي له منـنٌ لم تستطـع حملهـا المنن
أقيك الردى ليس القـلا عنـك مقعدي ولـكن دهانـي بالزّمانـة ذا الزمن[3]
وغادرنـي حلف المضـاجع راهـناً على خلّـةٍ في الحـال والنفس والبدن
فإن تنأمنـك الـدار فالـذكر ما نأى وإن بان مني الشخص فالفـكر لم يبن
وإن طال عهـد الإلتقـاء فدونه عهـودٌ عليهـا من رعايتنـا جنن[4]
وأيسـر حقٍ يلـزم النـازح الفتى من الحقّ بسط العذر للدّالف اليفن[5]

وقال الشريف يجُيبه عن هذه القصيدة ، وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم

---

(١) الدخل : سوء النية ، والدخن : الحقد وغيره .
(٢) الماذق : المخادع الكاذب .
(٣) القلى : البغض ، والزمانة : المرض المزمن .
(٤) جنن : حفظٌ وستر .
(٥) الدّالف : السائر بالحمل الثقيل واليفن : المسنّ ، والشيخ الكبير .

بزعمه إلا مختلا [من البسيط]:

دع من دموعك بعد البين للدّمن ... غداً لدارهمُ واليوم للظّعن[1]
هل وقفةٌ بلوى خبتٍ مؤلّفةٌ ... بين الخليطين من شامٍ ومن يمن
عجنا على الربع أنضاءً محرّمةً ... أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن[2]
موسومةً بالهوى تدري برؤيتها ... أنّ المطايا مطايا مضمري شجن
ثم انثنينا على بأسٍ وقد شرقت ... نواظرٌ بمجاري دمعها الهتن[3]
من ملبغٍ لي أبا إسحاق مألكةً ... عن حنو قلبٍ سليم السرّ والعلن[4]
جرى الوداد له مني ، وإن بعدت ... منا العلائق، مجرى الماء في الغصن
لقد تـوامق قلبانا كأنهما ... تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن[5]
مسودٌ قضبَ الأقلام نال بها ... نيل المحمر أطراف القنا اللّدن
إن لم تكن تورد الأرماح موردها ... فما عدلت إلى الأقلام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد ... كالقائل القولة الغرّاء عن لسن
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ... ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهري على حنقٍ ... فزاد مابك في غيظي على الزمن
أنت الكرى مؤنساً عيني ، وبعضهمُ ... مثل القذى مانعاً عيني من الوسن
قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً ... ما يوثق النفس في سرٍّ وفي علن
أنِطت من حسنها ماءً بلا نضبٍ ... وحزت من نظمها دراً بلا ثمن
فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً ... قود الجواد بلا حبلٍ ولا رسن
أنشدتها فحدا سمعي غرابتها ... إلى الضمير حداء الركب بالبدن

---

(١) الدّمن : الآثار والطلول والظعن : الرحيل .
(٢) عجنا : ملنا .
(٣) الهتن : المتتابع .
(٤) المألكة : الرسالة .
(٥) توامق : من الومق : وهو الحب والعشق .

كانت تقاعس لو ما كنت قائدها تقاعس البازل المحبوب في شطن[1]
تستوقف الركب إن مرّتْ معارضهُ يهدي عقيلتها العذراء من لمن

* * *

ذكر وفاة أبي إسحاق وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية . فرثاه ابو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر . وعلو محله في كرم العهد ، وقد كتبتها كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقها ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من الكامل] :

أعلمْتَ من حَمَلوا على الأعواد أرأيْتَ كيف خبا ضياءُ النّادي ؟
جبلٌ هوى لو خرّ في البحر اغتدى من وقعهِ متتابعَ الإزباد
ما كنت أعلم قبل دفنك في الثرى أنّ الثرى يعلو على الأطواد[2]
بُعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى العيونَ وفتّ في الأعضاد[3]
لا ينفد الدمع الذي يبكي به إن القلوب له من الأمداد
كيف انمحى ذاك الجناب وعُطِّلت تلك الفجاجُ وضلّ ذاك الهادي
طاحتْ بتلك المكرمات طوائح وعَدَتْ على ذاك الجلال عوادي[4]
قالوا أطاع وقيدفي شطن الردى أيدي المنون ملكت اي قياد ![5]
من مصعب لو لم يقده إلٓهه لقضائه ما كان بالمنقاد
هذا أبو إسحاق يغلق رهنه هل ذائدٌ أو مانع أو فادي[6]

---

(١) البازل : الفتيُّ من الإبل والشطن : الحبل الطويل ، أو الحبل مطلقا .
(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل .
(٣) فتٌ : الإضعاف والتوهين .
(٤) طاحت : قضت ، والعوادي : المصائب .
(٥) القياد : حبلٌ تقاد به ، والشطن : الحبال .
(٦) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات .

لو كانت تُفدى لافتدتك فوارسٌ مطروا بعارضِ كلِّ يومِ طراد(١)
وإذا تألق بارق لوقيعةٍ والخيل تفحص بالرجال بداد(٢)
سلّوا الدروع من العياب وأقبلوا يتحدثون على القنا الميّاد(٣)
لكن رماك مجبن الشجعان عن إقدامهم ومضعضع الأنجاد(٤)
كالليث يهون بالتراب ويمتلي غيظاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه مأوى الصّلال ومربض الآساد
ألقي الجران على عنطنطحميرٍ فمضى ومدَّ يداً لأحمر عاد(٥)
أَعْزِزْ عليَّ بأن أراك وقد خلتْ من جانبيك مجالس العوّاد
أعزِزْ عليَّ بأن أراك بمنزلٍ متشابه الأمجاد والأوغاد
أعزز علي بأن يفارق ناظري لمعان ذاك الكوكب الوقّاد
في عصبةٍ جنبوا إلى آجالهم والدهر يعجلهم عن الإرواد(٦)
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير أطناب ولا أعماد
ركبٌ أناخوا لا يرجّى منهمُ قصدٌ لإتّهامٍ ولا إنجاد(٧)
كرهوا النزول فأنزلتْهم وقعةٌ للدهر نازلةٌ بكل مقاد
فتهافتوا عن رجلِ كلّ مذلّلٍ وتطارحوا عن سرْج كلّ جواد
بادون في صور الجميع وإنّهم متفردون تفرّد الآحاد
مما يطيل الهمّ أن أمامنا طولَ الطريق وقلّةَ الأزواد
عمري لقد أغمدت منك مهنداً في الترب كان ممزّق الأغماد

(١) مطروا : كثروا .
(٢) البداد : الدعوة للمبارزة .
(٣) العياب : الصدور والقلوب .
(٤) يعني بالذي رماه هنا « الموت » .
(٥) الجران : باطن عنق الجمل أو الفرس والعنطنط : الطويل .
(٦) جنبوا : مالوا . والإرواد : الإكتحال .
(٧) أناخوا : حلّوا ، والاتهام : قصد تهامة والإنجاد : قصد نجد .

قد كنت أهــوى أن أشاطـرك الردى ... لكن أراد الله غــير مــرادي
ولقــد كبــا طرف الرقــاد بناظري ... منــذ افتقــدت فــلالعــاً لــرقادي[1]
ثكلتْــكَ أرضٌ لم تلــدْ لك ثانياً ... أنّــي ومثلك معــوز الميــلاد
مَنْ للبلاغــة والفصاحــة إنْ هَمَى ... ذاكَ الغمــام وعــبَّ ذاك الــوادي[2]
من للملــوك يحــزّ في أعناقهــا ... بظبــاً من القــول البليغ حــداد
من للممــالك لا تزال تــلمّهــا ... سدّاد ثغــرٍ ضائــعٍ وســداد
مــن للمحــافــل يستــزلّ رمــاحها ... ويــردّ رعــلتهــا بغير جــلاد[2]
من للممــارق تســترقُّ قــلوبهــا ... بزلازل الإبــراق والإرعــاد[4]
وصحــائفٌ فيهــا الأراقــم كُمَّنٌ ... مرهوبــة الإصــدار والإيــراد
تدمــي طوابعهــا إذا استعرضتها ... مــن شدّة التحــذيــر والإيعــاد
حمــرٌ علــى نظــر العــدو كأنها ... بدمٍ تخــطّ بهــنّ لا بمــداد
يقدمــن إقــدام الجيوش. وباطلٌ ... أن يهزمــنّ هــزائــم الأجنــاد
فِقَــرٌ بهــا تمسي الملــوك فقيرةٌ ... أبــداً إلــى مبــداً لهــا ومعــاد
وتــكون سوطــاً للحــرون إذا ونى ... وعنــاق عنــق الجــامــح المتمادي[5]
نزقــي وتلــدغ في القلــوب، وإن تشا ... حط النجــوم بهــا مــن الإبعــاد
أمّــا الدمــوع عليك غير بخيلة ... والقلــب بالسلــوان غيــر جــواد
سوّدت ما بين الفضــاء وناظري ... وغسلــت مــن عينــيَّ كلَّ سواد
ريٌّ الخــدود من المدامــع شاهد ... أن القلــوب من الغليل صوادي
ما كنــت أخشــى أن تضــنّ بلفظةٍ ... لتقــوم بعــدك لي مقــام الزاد

---

(١) كبا : سقط. فلالعاً : دعاء على العاثر يعني « لا أنعشه الله » .
(٢) العبّ : ارتفاع الماء ، وهمى الغمام : أمطر .
(٣) الرعلة : الجماعة التي تتقدم غيرها .
(٤) المهارق : المخارج والكوى التي تنفذ منها الرّيح .
(٥) الحرون : المعاند .

ماذا الـذي منـع الفنيق هديره … من بعـد صولتـه علـى الأذواد[1]

ماذا الذي حبس الجـواد عن المدى … من بعـد سبقتـه إلـى الآماد

ماذا الـذي منـع الهمـام بوثبةٍ … وعـدا علـى دمـه وكان العادي

قل للنوائـب عدّدي أيامه … لغنـىً عن التعـديد بالتعـداد

حمّـال ألـوية العـلاء بنجدةٍ … كالسيف يغنـي عـن مناطِ نجاد

قَلُصَتْ أظِلَّـة كلِّ فضـلٍ بعـده … وأمـرّ مشـربهـا علـى الورّاد[2]

فقضـي لسانـك إذ ذوتْ ثمراته … أن لا دوام لنضـرة الأعواد

وقضـى جنانـك مذ خبـتْ وقداته … أن لا بقـاء لقـدح كلِ زناد[3]

بقيتْ أعيجـانٌ يضـلّ تبيعها … ومضَـتْ هوادٍ للرجـال هوادي[4]

يا ليت أنـي ما اقتنيتـك صاحباً … كم قنيةٍ جلبـتْ أسـىً لفؤادي

من لم يسفّ إلـى التناسـل نفسه … كُفِـيَ الأسـى بتفاقـد الأولاد[5]

برد القلـوب بمـن تحـب بقاءه … ممّـا يجـر حرارة الأكبـاد

ليس الفجائـع بالذخائـر مثلها … يا ماجـد الأعيان والأفـراد

ويقـول من لم يدر كنهَـكَ إنّهم … نقصـوا به عدداً من الأعداد[6]

هيهـات أدرج بين برديك الردى … رجـل الرجـال وأوحـد الآحاد

لا تطلبـي يا نفس خِلاً بعده … فلمثلـه أعيا عـلـى المقتاد

فقـدت ملاءمـة الشـكول لفقده … وبقيت بين تبـاين الأضداد

مـا مطعـم الـدنيا بحلـوٍ بعده … أبـداً ولا ماء الحيا ببراد

---

(١) الفنيق : الفحل من الإبل .
(٢) قلصت : أي تقلّصت وصغرت .
(٣) خبت : انطفأت .
(٤) أعيجان : من العوج ، وهو الالتواء وعدم الاستقامة .
(٥) يسفّ : يركن الى الشهوة .
(٦) الكنه : المعنى .

الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن		شرفي مناسبة ولا ميلادي
إن لا تكنْ من أسرتي وعشيرتي		فلأنت أعلقهم يداً بودادي
أو لا تكن عالي الأصول فقد وفى		عظم الجدود بسؤدد الأجداد
لادرٌّ دريٌّ إن مطلْتكَ ذمةً		في باطن متغيّب أو بادي
إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن		حياً إذاً ما كنت بالمزداد
ليس التنافس بيننا بمعاود		أبداً وليس زماننا بمعاد
ضاقت عليَّ الأرض بعدك كلُّها		وتركت أضيقها عليَّ بلادي
لك في الحشا قبرٌ وإن لم تأوه		ومن الدموع روائح وغوادي
سلّوا من الأبراد جسمك فانثنى		جسمي يسلّ عليك في الأبراد
كم من طويل العمر بعد وفاته		بالذكر يصحب حاضراً أو بادي
ما مات من جعل الزمان لسانه		يتلو مناقب عوّد وبوادي
فاذهب كما ذهب الربيع وإثره		باقٍ بكلّ مهابطٍ ونجاد
لا تبعدنَّ وأين قربك بعدها		إنّ المنايا غاية الإبعاد
صفح الثرى عن حرّ وجهك إنّه		مغرىً بطىً محاسن الأمجاد[1]
وتماسكت تلك البنان فطالما		عبث الردي بأنامل الأجواد
وسقاك فضلك إنه أروى حياً		من رائح متعرّض أو غادي[2]
جدثٌ على أن لا نبات بأرضه		وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنينة من أرض كرخايا فقال [من الطويل] :

أيعلم قبر بالجنينة أننا		أقمنا به نبغي الندى والمعاليا ؟
عطفنا فحيّيْنا مساعيه إنها		عظام المساعي لا العظام البواليا

---

(١) مغري : مولع .
(٢) الحيا : المطر .

مررنـــا بـه فاستوقفتْنـــا رسومُـهُ كما استوقف الروض الظباء الجوازيا[1]
ومـــا لاح ذاك التـــرب حتـــى تخيّلتْ من الدمـــع أوشـــالٌ ملأن المـآفيا[2]
نزلنـــا إليه عن ظهور جيادنـــا نكـــــفكف بالأيدي الدمـــوع الجواريا
ولمـــا تجاهشنـــا البـكـاء ولـم نطق عن الوجـــد إقلاعـــا عذرنـــا البواكيا
أقـــول لركـب رائحين تعرجوا أريكم به فرعـــاً من المجـــد ذاويا
ألمّـوا عليه عاقـــرين فإنّنا إذا لم نجـــد عقـــراً عقرنـــا القوافيا
وحطـــوا به رحـــل المـــكارم والعلا وكبّـــوا الجفـــان عَنـــده والمقاريا[3]
فلـــو أنصفـــوا شقـــوا عليه ضمائراً وجـــزّوا رقابـــاً بالظُّبـــا لا نواصيا
وقفنـــا فأرخصنـــا الدمـــوع وربّما تكون علـــى سوم الغـــرام غواليا[4]
ألا أيهـــا القبـــر الـــذي ضم لحدَهُ قضيبـــاً علـــى هام النوائـــب ماضيا[5]
هل ابـــن هلالٍ منـــذُ أودى كعهدنا هلالاً علـــى ضوء المطامـــع باقيا
وتلك البنـــان المورقـــات من الندى نواضـــب ماءٍ أم بواقٍ كمـــا هيا ؟
فإن نيل من ذاك اللســـان مضاؤه فإن به عضـــواً من المجـــد باليا
مجيب الدواعـــي حائـــداً أو مدافعاً هنـــاك مـــرمٌ لا يجيب الداعيـــا[6]
ومـــا كنـــت آبـــى طول لبـــث بقبره لَوَ أنـــي إذا استعديتـــه كان عاديا
صفائـــح تستسقـــي الدمـــوع روائحاً علـــى جانبيهـــا والغمـــام غـــواديا
ترى الكلـــم الغـــرّان من بعـــد مـــوته نـــوافـــر ممـــن رامهـــن نـــوائيا[7]

---

(١) الجوازيا : من جاز الشيء : أي قطعه وسار فيه .
(٢) الأوشل : من الوشل وهو الماء القليل .
(٣) الجفان : القصع التي يوضع بها الطعام والمقاريا : من القرى ، أي الطعام .
(٤) السوم : المفاصلة في الشراء .
(٥) القضيب : السيف .
(٦) مرمٌ : مقيمٌ وماكث .
(٧) نوافر : شوارد ، ونوائياً : مبتعدة .

هو الخاضب الأقلام نال بها علاً ... تقاصر عنها الخاضبون العواليا[1]
معيدٌ ضرابٍ باللسان لوانّه ... بيوم وغىً فلّ الجراز اليمانيا[2]
مرير القوى نال المعالي واثباً ... إذا غيره نال المعالي حابيا[3]
مضى لم يمانع عنه قلب مشيّع ... إذا همّ لم يرجع عن الهمّ نائيا[4]
ولا المسندوه بالأكفّ إلى الحشى ... على جزعٍ والمفْرِشوه التراقيا
ولا ردّ في صدر المنون براحة ... يرد بها سمر القنا والمواضيا
خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه ... وأصبح تعروه النوائب واديا
أرحتَ علينا ثلّة الوجد ترتعي ... ضمائرنا أيامها والليالیا
ولولاك كان الصبر منّا سجيةً ... تراثاً ورثناه الجدودَ الأواليا
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورةً ... ومن ذا الذي يغدو بما ساء راضيا
وطاوعت من رام انتزاعك من يدي ... ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
تطامنتُ كيما يعبر الخطب جانبي ... فألقي على ظهري وجرًّ زماميا
ملأت بمحْياك البلاد مساعياً ... ويملأ مثواك البلاد مناعيا
كما عمّ عالي ذكرك الخلق كلَّه ... كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كي أسلوك فازددت لوعةً ... لأن المراثي لا تسد المرازيا
وأعلم أن ليس البكاء بنافعٍ ... عليك ولكنّي أُمَنّي الأمانيا

---

(١) أي هو الذي نال بالقلم ما لم ينله غيره بالسيوف .
(٢) الجراز : السيوف القاطعة ، واليمانيا : المنسوبة الى اليمن .
(٣) مرير القوى : شديدها .
(٤) همّ : قصد وأراد .

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

١١٦ - أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار ، والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين في الآداب والكتابة ، والبراعة والكفاية، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه ، وخواص ندمائه، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده .

وأنا أورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضد الدولة كلأكما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظراه

فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد بك ذؤابته . وتوقل في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمير المؤمنين، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعد الله لأمير المؤمنين بطاعته وليه المنصور، وصفيه المبرور . وعضد الدولة ايده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدته ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن هماته راحة الحمام [من الطويل]:

مضـــاميرهُ أَعْيَتْ علـــى من يرومُها وكلُّ مدى عن غايتيْه قصيرُ
فهـــو عين أمير المـــؤمنين إذا نظر ، ولسانـــه إذا نطـــق ، ويده إذا لمس

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت .

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهـم الليل فادرعـوه مقتـادين بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم .

ومن كتاب عنه في عود الطائع
إلى بغداد والتقائه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامتثلناه وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه ، ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه، وعواطف إنحائه ، ورعاية ما كنفنا يمنه ، وشايعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة، وسيد الأنام، والمستنزل بوجهه درر الغمام، فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته، وأوسعنا من جميل لقياه، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف في النفس والعقب ، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا في الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، في مواقع ألحاظه ، وموارد ألفاظه، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يبتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لامورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال. واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولا ، ونور الدين والدنيا مرقوباً .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله ، والنجح الذي قرب

الله عليه مناله . والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التي اضطربت بمالكيها فقرت لديه .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر علة نابته من الحمى .

ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى، بعقب دواء تناوله، واتصال ذلك بمليلة أزعجته، وحمى نابته. فتصرفت في الأفكار، وملكني الإشفاق، وخلص إلى قلبي ـ من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه ـ ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمه الصبر ، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ أكثر الأمر ، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة في ثروة العدد ، والبقية الحسنى في الأخوة الولد ، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاد ، في إخوان الصفاء الذين سيدي أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائت سبق أفاضلهم .

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب، ولفظته المهارب . وأقلقته عن مجاثمة المكايد والكتائب ، وتطوح إلى بلاد الشام ، يتنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه .

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من ألطاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً

في البر ، وافياً بالحق . إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً ، لا أعدمه الله شمية الفضل ، ولا أخلاني فيه من كلام العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر في مخاطبة سيدي ان فلاناً ورد علي ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لا ستمرار العزائم في قصد نواحي العراق ، لإعادة ما نضب بها من ماء السياسة ، ومال في جنباتها من رواق الأمر والنهي ، بضعف المنن ، وانتكاث المرر . وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدما بعون الله كتائب الرعب مستصحباً مفاتح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من ان تصاب له ثغرة، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة .

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه . استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم.

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنئاً، فحسبتني وقد تأملت عنوانه ـ مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاما لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي اعددتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألطاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها . ويعرف عتقها في المنظر، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا .

* * *

ما اخرج من إخوانياته

كتب الى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي ـ فيما أعاينه من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه ـ حال امرىء هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكراً . ويتلذذ تحيّراً . ويناجي النفس تمثلاً ، ويراقب المنى تعللا . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبى السارة ، وأقول [من الطويل] :

أقول وقلبي في ذراك مخيِّمٌ ... وجسمي جنيبٌ للصَّبا والجنائبِ[1]
يجاذب نحو الصاحب الشوقِ مقْودي ... وقد جاذبتني عنه أيدي الشوّاذب[2]
سقي الله ذاك العهد عهداً من الحيا ... وتلك السجايا الغرَّ غُرَّ السّحائب
تذكّرت أيامي بقربك والمنى ... يقابلني بالعزّ من كل جانب
وفي ربعك الدنيا تزفّ محاسناً ... وتفْترُّ منك عن ثنايا مناقب
وقد لحظتْ عيناي من شخصك العلا ... ومن فرعك الفيْنان أعلى المناسب
ومن لفظك الدّر المصون ، ومن حَيا ... محيّاك ما لم تُجْرِهِ كفٌّ خاطب
وأخلاقك الغرّ التي لو تجسّمت ... لكانت نجوماً للنجوم الثواقب
ففاضت على خدي سوابق عَبرةٍ ... كما أسلمتْ عقدا انامِلُ كاعب
سلامٌ على تلك المكارم والعلا ... تحيّة خلٍّ عن جنابك غائب
يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبللْ لهاةٌ لشارب[3]
وإني وإن روّعت بالبين شائمٌ ... طوالع عتبي من طلاع العواقب

---

(١) الجنيب : المبعد ، والغريب . والجنائب : من الجنابة وهي النجاسة ، أو هي الريح التي تهبّ جنوباً .

(٢) الشواذب : الشاذب : المتنحّي عن وطنه .

(٣) يكابد : يعاني ، والمزن : المطر . واللهاة : اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .

ومــا أنــا بالنــاس صنائعــك التي كتبْــنَ علــيَّ الــرقّ ضربــة لازب[1]

ابتدأت أطال الله بقاء مولاي الصاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثراً ، فمال طبعي إلى النظم ، وأملى خاطري على يدي منه ما كتبت ، ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض، وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني ، واثقاً بما عنده لي ، وأنا أسترعيه غيبه ، واستغطيه عيبه ، وكنت كتبت إلى حضرته من أول منزل أو ثانيه بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي ، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم صبري، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة ، وحرمة الوفادة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ، لاختلاف العادة علي ، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ، فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل احد عليها ، إن شاء الله تعالى .

ومن كتاب له إليه :

قد كان وردلمولانا الصاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتــابٌ لَوَ آن الليل يرمــي بمثله لألقــت يداً في حجــرتيْه ذكاءُ[2]

تهــادى بأبــكار المعانــي وعونها وأعيان لفــظ ما لهــنّ كفاءِ

شوارد لولا أنهــن أوالفٌ ضرائــر إلا أنهــنّ ســواء

لبسنــا بهــا نعمــى وألبســت الربا خمائــل روضٍ جادهــنّ سماء

بنــان ابــن عبــادة تعلين نوءه ومــا صوبــه إلا حياً وحياء[3]

---

(١) ضربة لازب : أي ضربة لازم .

(٢) ذكاء : الشمس .

(٣) النوء : المطر ، والنجم . والصوب : المطر والعطاء .

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام . لا زالت أياديه قلائد الأعناق، ومرامية مضامير السباق . ولا انفكت عين الله حامية له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وقف مولانا على ما كتبت به معرضا بخدمته ، ومجلياً عن نيته ، فصدقه وحققه ، وقال أدام الله سلطانه : إن لسان أثره في الفصاحة كلسان قلمه . يتجاريان كفرسي رهان . وناهيك بالأول اشتهارا ووضوحا ، وبالثاني غرراً وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، ونتنجز عدات الفضل عنه ، وحسبنا ما أفادتناه التجارب فيه كافلاً بالسعادة، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليداً وناشئاً. وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن أيقانا ، والضمان عيانا ، والتقدير بيانا ، والاستدلال برهانا ، ونرجو أن الله بحسن الامتاع به ، والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأماني فيه .

ومن كتاب :

وقفت على الأبيات التي أتحفني بها سيدي ، وتكلفت لجوابها، على ظلع في خاطري لطول السفار، واتصال حالي بالحل والترحال ، ومولاي يأخذ العفو ويرضى بالميسور ، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله ما دمنا في ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل.

ومن كتاب له إلى الصاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها ، وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم .

وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل لحومهم ، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بأكف الناس ، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في

الإنسان ألذ من كفه وبنانه ، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختلسوه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت ، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عبثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة ، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيره بقدر الفرس . ما عهد ألطف ولا أظرف منه ، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين .

ومن كتاب له إلى ذي الكفايتين أبي الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشرفاً من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق، ومسامرة الأفكار. إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر ، ووعورة تلك المسالك ، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته ، فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جمة تقر بها العيون، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرخ حال الاستقرار، واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه، من غير فكر في عوادي الأسفار ، وعواقب الحل والترحال ، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير ، ومناصبة الهجير . وأنا الآن أعود لعادتي في خدمته ، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته .

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة ، وتلتقي طرق الخطابة، وتتراءى أشخاص البيان ، وتتمايل اعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظا جليا ، حوى معنى

خفيا ، وكلاما قريبا ، رمى غرضا بعيداً وفصولاً متباينة ، كساها الائتلاف صور المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة الأول منها على الثاني ، وتعلق العجز بالهادي، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات قربى موصولة، تتعاطف عيونها ، وتتنصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه، وكرم في جنسه ، فهو جوهر الفضل والألفاظ اعراض ، وعنصر الأدب والمعاني أغراض . وفهمته فهم من قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم، واكتنفه العجز فسلم وسلم ، وأعيته العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعترف بالقصور عن مفترض الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاي بما قرب الى جناه ، وبعد على مداه ، من محاسن لفظه ونظمه ، ومباره التي ما زال يؤثرني فيها بالرغائب ، ويصفيني منها بالعقائل . فوقفت منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتباط، واستبصار في موضع الفضيلة . وشكر لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة ، ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام في انحرافها ومكاره أحداثها، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعديت عليها لاستعدائه ، وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها دون آماله ، وقدحها في أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر اناخ على مولاي بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت اعملت فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الحل والرحل، وعلى مولاي المعول في ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبي فيه [من الطويل]:

وقيتَ أبا إسحاق من حافظٍ عهداً ... وراعٍ لمن يمنى بفرقته ودّا

ومنفـــردٍ بالمكرمـــات تألّفتْ عليه المعالـــي فاستقـــلّ بهـــا مجدا
بلـــوت أخـــلاّءَ الـــزمـــانِ وكلُّهم سواءٌ فلا ذمًّـا منحْـــت ولا حمدا
ومن يبغِ صفـو الـودّ من كلِّ صاحبٍ يكن صبحـــه ليلاً ومسعاتـــه كدّا
سواك أبـــا إسحـــاق إنـــك والنّدى لأوفاهُـــمُ عهـــدا وأصفاهُـــمُ عقدا
وأبعدهـــم في كل مكرمـــةٍ مدى وأنظمهـــم في جيد مأثـــرةٍ عقدا
تلاقـــت بنـــا الآداب في خير منسبٍ عليه تساقينـــا علـــى ظمـــإٍ بردا
وألّفْـــنَ أرواح الصناعـــة بيننا فنحـــن معـــاً والـــدار نازحـــةٌ جدا[1]
ضلالاً لدهـــر أنـــت من حسناته ولمـــا تكنْ في نيل إحسانـــه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه لسيّان من أجْدى عليه ومن أكدى
يميل علـى ذي الفضـل للجهـل ضلّةً يجرّعـــه سمـــاً ويُبْـــدي له شهدا
علـى أنـــه سَلْـــمٌ لمـــن حلَّ بالحمى حمى الملك المدعـوِّ للدولـة العضدا

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها [من البسط]:

ما للنـوى وقفـت دمعـي علـى الطّلل واستودَعَتْنـــي مطـــايا الحـــلِّ والرِّحلِ
ترمـــي بطرفـــك في أطرافهـــا فترى ما في الضّمائر من غشٍّ ومـــن دَغَل[3]
أريتنـا النقص في رأي الأولـى وضعوا كرْمـــان من خولٍ عنهـــا ومـــن فشل
بمائهـــا الوشِـــلِ معْ تمرهـــا الدّقلِ ولصِّهـــا البطـــلِ وأهْلهـــا الهمل[4]
وكم تركْت بهـــا للنـــاس من مثلٍ وكم نصبْـت علـى الأنصـاب من مثل

(١) النازحة : البعيدة .
(٢) لعاً : دعاء على العاثر « أي لا أنعشه الله » وأكدى : ضنّ وبخل .
(٣) الدغل : الافساد .
(٤) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر والبيت ليس بشيء .

يفـدي مقامـك فيه الخلـق قاطبةً ... ونحـن نفـديك بالأرواح والمقل
وليس يثبـت في فرع العـلا قدمٌ ... إلا إذا ثبتَتْ في موضـع الزّلل
خلائـق هذّبَتْهنّ العـلا فغدتْ ... بين الخلائـق كالإسـلام في الملل
اسعِـدْ بوافـدِ نيروزٍ تقابله ... باليمـن والعـزّ والتـأييد والجذل
واستـأنف العيش مسـروراً بجدّته ... في ظلّ عزّ مدى الأيام متّصل

ومن قصيدة قال في آخرها [من الوافر] :

وهـاك تهـز عطفيْهـا اختيالاً ... وتعجـب كلّ مستمـع ثناكـا
تسير بهـا الـرواة بكلّ أرضٍ ... وتُطْـرِبُ من أحبَّـك أو قلاكا[1]
نظيرة تربهـا لفظـاً ومعنى ... فدى لك من يقصّـر عن مداكا
وكلّ الشعـر زورٌ ما خلاه ... وكلّ النـاس زورٌ مـا خلاكا

ومن أخرى فيه [من البسيط] :

الله أكبـر والإسـلام قد سلما ... وعـاد شمـل العـلا والمجـد ملتئما
وظـلّ ملْك بنـي العبـاس معتلياً ... لمـا غدا ببغـاة الحـق مدّعما
بآل بويه أعلـى الله رايتَهُ ... وشـدّ من عقـده ما كان منفصما
سادوا الملوكَ وشادوا المجدَ وابتدروا ... إلـى ذرى أمدٍ نال السُّهـى شمما[2]
همُ قلادة عزٍّ أنـت واسطةٌ ... فيهـا ، وكلٌّ بمـا قد قلتـه علما

ومنها في وصف السيوف [من البسيط] :

بيضٌ تصافـح بالأيدي مقابضها ... وحدُّهـا صافـح الأعنـاق والقمما
ضحـكْن من خلل الأغمـاد مصلتةً ... حتـى إذا اختلفَـتْ ضربـاً بكَيْنَ دما

---

(١) القل : البغض .
(٢) السُّهى : نجم في السماء .

حنَّتْ خراسانُ شوقاً إذ حننْت لها ... حتى كأنكما نازعتما رحما
واهتزَّ منبرها يهفو إليك ، ولو ... أطاق لاخترق القيعان والأكما
رفعت راياتك اللاتي خفقْن على ... أسدٍ نقلْن على أكنافها أجما[1]
لا تنتحي بلداً إلا أفضْتَ به ... عدلاً وأجليت عنه الظّلم والظّلما
سامتْك أبناء ساسانٍ فما بلغوا ... مدى من العزِّ لم ترفع له علما
وناضلوك عن العليا فكنت بها ... أولى وأثبتَ منهم في العلا قدما
وصاولوك فكانوا في الوغى نقدا ... يأبى الصّال وكنت البازل القطما[2]

ومن عضدية في وصف مجلس [من الطويل] :

فيا مجلساً عزّ الخلافة محدقٌ ... بأقطاره والندّ والنّور والخمرُ
وقد أرجت أرجاؤه وتعطّرتْ ... بساطع نشرٍ ما يقاس به نشر
وفتّح فيه النرجس الغضُّ أعيناً ... محاجرها بيضٌ وأحداقها صفر
كأن الشموع المشعلات خلاله ... ثواكل عبري ما ينهْنهها الزّجر
إذا قطعت منها الرؤوس تضاحكت ... وكان على قطع الرؤوس لها بشر
ألا يا أمير المشرقين ومن به ... تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظرْ ... فهذا هو الفأل المحقّق لا الزّجر

وقال من سذقية [من المنسرح] :

ما لي لما بي من الهوى رمق ... كأنما سدّ دوني الطّرقُ
كأنّ نار الأمير ساطعةً ... من نار قلبي استعارها السذق[3]
في ليلةٍ باتت النجوم بها ... حائرةً تنمحي وتنمحق

---

(١) الأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الصيال : المواثبة والقتال ، والبازل : الجمل في سنته التاسعة ، والقطم : المتشهي للضراب .

(٣) السذق : ليلة الوقود .

ونخرط الليل في النهار فما يؤنس إلاّ الصباح والشّفق
بكلّ منشورةٍ ذوائبها محمرّةٍ من شواظها الأفق[1]

وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره [من الهزج]:

شربنا ذهباً يجري بشاطىء فضّة تجري
وما زلنا على السِّكر نداوي السُّكر بالسُّكر[2]
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحر منصبّاً إلى بحر
كجدوي عضد الدولة في نائله الغمر[3]

* * *

١١٧ ـ أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة الديلمية ، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين برسم المطيع لله ، ويتصرف بالعراق في جلائل الأعمال، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال ، وكان آخذاً بطرفي النظم والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي [من الكامل]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوقٌ يفوت الوصف أيسر حدِّهِ
وبحسب فرط الأنس كان بقربه قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنّني مما أحبّ ممكّنٌ لم أعْدُ إغذاذاً أسير لقصدهِ[4]
ووصلت آصال السرى بغدوِّها وقرنْت إرقال المطيِّ بوخده[5]

---

(١) الشواظ : لهبٌ لا دخان معه .
(٢) السِّكر : بالكسر ـ بناء من صخرٍ وحجاره .
(٣) الغمر : الكثير .
(٤) الإغذاذ : الإسراع في السير .
(٥) الإرقال والوخد : ضربان من سير الابل والمطي : جمع مطيّة ، وهي الدابة .

ولئن عدمت سعادتي بلقائه فلقد أقمت على رعاية عهده
وشكرت سالف برّه وأشعت محـكم ودّه وقضيت واجب حمده
وعلمت أني إن طلبت مشاكلاً لعلاه لم تظفر يداي بندّه
فقصرت إخلاصي عليه ممسكا بإخائه محظى بمطلع سعده
من ذا يقاس إليه في آدابه أو علمه أو هزله أو جدّه
والمكرمات بأسرها في حزبه والصالحات جميعها من عنده
بجميل شاهده سالم غيبه وكريم صحبته وخالص وده
أفديه من حرٍّ حليفِ مناقبٍ لولا تكامل فضله لم أفْده
لم تجر أمجاد الرجال إلى مدىً للسّبق إلا حاز نيل أمدّه
وكأنّ أضواء المحاسن كلّها مقدوحةٌ نيرانُها من زنده
فالله يبقيه ويرغد عيشه ويعزّه ويعيذنا من فقده

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل]:

روحي فداؤك والورى من بعده جرّدت سيف صبابتي من غمدِهِ
عين الإمام وكفّه اليمني وحـدّ حسامه الماضي ووسْطى عقده
كلفٌ ببذل المال يحسب غنْمه في عزمه ونموّه في حصده
وجه يجول البشْر فيه برونقٍ ماء السّماح يفيض من إفرنْده[1]
متنقّبٌ بحيائه فكأنما شقّ الربيع شقيقه في خدّه
ومقابلٌ من فارس في دوحةٍ أوفت على قحطانه ومَعَدّهِ
هو شدّ من أزر المكارم والعلا حدثاً ولم يبلغ أوان أشدّه[2]
يفديه من نوب الزمان معاشر أحرارهم لا يلحقون بعبده
أبدت مقابحهم محاسن فعله والضّدّ يظهر حسنُه في ضدّه

---

(۱) الإفرند والفرند سواء : وهما ماء السيف ورونقه .
(۲) الأزر : القوة والمساعدة . والحدث : اليافع .

ما كنت أعرف قدر ما خولّته حتى بليت بقربه من بعهده
جاءت ألوكته إليّ كأنها وصل الحبيب اعتضتَهُ من صدّه[(١)]
ففتحت حين فتحتها عن روضة متفتحٌ حوذانها في ورده[(٢)]
فقرأتها عوداً على بدءٍ كما عاد المولّي في قراءة عهده
يا جنّة الخلد التي أنا نازلٌ ما بين كوثرها وطوبى خلده
لو أستطيع ركبت متن الريح أو أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه فبجدّه يسعى الفتى لا كدّه

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت [من المنسرح]:

خرجت من عندكم فأدركني سحابة ذات منظرٍ صلفٍ
غمامةٌ كالعمامة انتلفت فوق رؤوس المشاة في السُّدف[(٣)]
تنالها كفّ من يزوالها تقول للمرء ويك لا تقف
يختطف الأرض وقع صيِّبها مثل اختطاف المخالب العقف[(٤)]
فوقعه والكساء يدفعه وقع سهام الأتراك في الهدف
كأنّما كلّ قطرةٍ وقعت عليه درٌّ بدا من الصّدف
لو أن ما ذاب منه يجمد لم يصلح لغير العقود والشّنف[(٥)]
فيها من الرعد كالدبادب والصنّج إذا ما ضرْبنَ في شرف[(٦)]
واشتعل البرق في جوانبها مثل السيوف انتضيْن من غلف

(١) الألوكة : الرسالة .
(٢) الحوذان : نبات .
(٣) السدف : الظُّلَم .
(٤) الصيّب : المطر ، والعقف : المعقوفة .
(٥) الشّنف : الحلي والأقراط .
(٦) الدبادب : الصياح والضجّة .

قد جمعت حالتين في طلقٍ صوت عذولٍ ودمع ذي لهف
لو كان كلّي لسان ذي نصرٍ بوصفه واحتشدْتُ لم أصف

وكتب إلى الصاحب يشكو إليه علة النقرش وعلو السن ، فقال [من المتقارب] :

إلى الله أشكو ضنى شفنّي وكم قبلةٍ من ضنى قد شفاني
وسقماً ألحّ فما لي بما أحاط برجلي منه يدان
تراني وقد كنت ثبت الجنان إذا الليل جنّ سليب الجنان
أقطع آناءه بالأنين وأرقب للصبح وقت الأذان
أنقّل في موضعٍ موضع فحيث حللت نبا بي مكاني
أؤمل روحاً فيأتي النهار بأضعاف ما بتّ فيه أعاني
أقول أقيل فلا أستطيع من ألمٍ ملحفٍ غير واني[1]
فمن ليلةٍ أرونانية ويوم بما ساءني أروناني
أرجيّ تقضّي ما أشتكيه من مرضٍ بتقضّي الزمان
وإني قد جزت حدّ الكهول وناهزت ما عَمَّر الوالدان
وجرّمت ستين شمسيّة فسُدَّتْ عليَّ طريقُ الأماني
وأوهتْ عراي ، وهدّت قواي، وليس لما يهدم الدهر باني
وإن كان لا يهتدى صرفه إلى أجل منسإٍ غير داني[3]
وكنت على ثقة أنه إذا شاء أبرأني مَن براني
فيا من له الخلق والأمر من بعافيةٍ منك تشفي ضماني
وجدْ لي نأي أجلُ أو دنا بعفو وسعْتَ به كل جاني

(١) الملحف : ملحٍ ومتجدّد .
(٢) أروناني : نسبة الى الأرونان ، وهو الصعب من الأيام ، والشديد في كل شيء .
(٣) المنسأ : المؤخّر .

وهبني لأحمد والمصطفيـ ـن من آله أهل بيت الجنان
همُ عدّتي وبهم أتقي الـ ـعقاب وأرجو خلود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيباً [من المتقارب]:

عناني من الهمّ ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني
ألفْتُ الدموع وعفْت الهجوع فعيناي عينان نضّاختان[1]
لسقمٍ ألحّ على سيّدٍ بد قد غفرْت ذنوب الزّمان
أحاط برجليه جوراً عليه وأني ونعلاهما الفرقدان
وكيف سطا بهما واستطال وأرض بساطهما النّيران
وهلاّ تجاوزه قاصداً إلى عصبةٍ عصبت بالهوان
إذا ما سعى لطلاب العلا فكلٌّ أوانٍ همُ في توان
وسوف توافيه كفّ الشفاء بما أنشأتُ باسمه من أمان
وتفقأ فيه عيون الزمان عزيز المحل رفيع المكان
ويبقى جمالا لأقرانه وقد قصروا عنه ألفيْ قران
أتتني بالأمس أبياته تعلّل روحي برَوح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب وظل الأمان ونيل الأماني
وعهد الصّبى ونسيم الصّبا وصفو الدّنان ورجع القيان
فلو أن ألفاظها جسّمت لكانت عقود نحور الغواني
فيا ليت عمري في عمره يزاد ولو أنه حقبتان
فيا مهجة قدمت دونه بغانيةٍ عند ذكر الغواني
أجيب عن الشعر مسترسلاً بطبع شجاعٍ وقلب جبان.
فلولا سكوني إلى فضله قبضت بناني بقبضي لساني

* * *

(١) عفت : ملّيت وتركت ونضاختان : دامعتان فائرتان .

١١٨ ـ أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب المجد ، المترقلين في درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل . وعين القول الفصل .

فصل ـ كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خليت عنان انسى في رياض مباره ، فرتعت جاذبيته لاعج الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم ، ولا يتعاظمه الصفح عن الجرائر .

فصل ـ علقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتنف المخايل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته . فقد عرضني للتكشف ، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل .

فصل ـ أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران ممحل أخطأه النوء . وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل ـ وصل كتاب مولاي [من الطويل] :

فكم فرحةٍ أدّى وكم غلةٍ جلا   وكم بهجةٍ أوْلى وكم غمة سلّى

وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفسية . ويديم حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي

المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل]:

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقصٌ ويبهج ذو ودٍّ ويكمد حاسدُ

فصل ـ وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منفي الشواغل، فارغ الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الإسار ، سليم الأفكار. فكيف بي مع كلال الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة، والمعول على النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع الى العقيدة ، وهي بالولاء المجض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجال للعذر وراء هذا الخلال .

فصل ـ مراتع أهل الفضل موبئة . ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة، إلا في محل الشيخ الخصيب ، وفنائه المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة ، وأعنة الوراد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحالـه مكدودة، والمنهل العذب كثير الزحام .

فصل ـ إن كان أوداؤه في فضلـه مستهمين ، وأولياؤه في إحسانه فوضى مشتركين . فلي بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه. لا أسبق إلى جمامها ، ولا أنازع ثني زمامها، فعلى حسب ذلك تصرفي وتجملي من أقسام ما يحدث عنده ويعرض له ، هذا. وقد بلغني من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعيادة ، وإطالته عنده الإقامة ومعه المفاوضة، ما أمكن في نفسي، وقوى ثقتي وأنسى ، فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الرتبة . فالله الذي قرن لمولاي تيسير ما قد قاسى عظيم المجد الذي لا يوازي، وعميم الفخر الذي لا يسامي، ودل بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل ـ قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ،

ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة . واعتاض من تزاحم المواكب تلازم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى الصاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح] :

إذا الغيوم آرجفن باسقها وحفَّ أرجاءها بوارقها[1]
وغيّبت للثرى كتائبها وانتضيت وسطَها عقائقُها
وجلجل الرعد بينها فحكى خفقَ طبولٍ ألحّ خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها واختلفت عبرةً حمالقها[2]
وقيل طوبى لبلدةٍ نتجت بحقّ أكنافها فوارقها[3]
أية نعماء لا تجلّ بها وأيّ بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم الـقرم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياه هزّةً وندىً وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محمّلةً أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها وزان ريحانها شقائقها[4]
هبت رخاء مريضة فشفت مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ تدمي وعينٍ تجري سوابقها
إني وإن غالب الهوى جَلَدي صبراً لصادي الأحشاء خافقها
ذكري لأيامنا التي غفلت عنها العوادي ونام رامقها[4]

---

(١) أرجفن : حركّن ، والباسق : العالي .
(٢) الحمالق : العيون.
(٣) الفوارق : جمع فارقة ، وهي الناقة يأخذها المخاض.
(٤) الحوذان : نبات.
(٥) الرامق : المتطلّع.

إذ النوى لا تروعنا وإذ الـ أيام مأمونةٌ بوائقها[1]
والله لو أنَّ ما أكابده بهضب رضْوى خرّت شواهقها

هذه أطال الله بقاء مولاي نتائج أريحية ، أثارها مخاطبات مولاي التي هي انقع لغلتي من برد الشراب، وأعذب إليّ من برد الشباب. فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته، وأسكنه ظل أمانه وذمته ، ليسبل عليه ستر مودته ويتأمل بعين محبته . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي ، وتتابع بره في مخاطباته لدي . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور ، وكل جناية بهذا الإحسان معمور.

فأجاب الصاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من المنسرح]:

بدت عذارى مدَّتْ سُرادقها وأقسم الحسنُ لا يفارقها
كواعبٌ أخرستْ دمالجها عنّا وقد أنطقت مناطقها[2]
خراعبٌ حقّها وصائفُها تشي بأبدانها قراطقها[3]
صينت عن العطر أن يطيبها إلا الذي حملت مخانقها
أم روضة أبرزت محاسنها ومايني قطرها يعانقها
فأورد الورد غصنها بدعا وشقّ عن أرضها شقائقها
وأعشت الناظرين حليتها وشاق أحداقَهم حدائقها[4]
أم أشرقت فقرة بدائعها حديقة زانها طرائقها[5]
أتى بها بالكمال ناسجها وزانُها بالجمال ناسقها

---

(١) البوائق : المصائب والشدائد.
(٢) المناطق : من النطق ، أو جمع مَنطقة وهي ما يشدّ بها الوسط.
(٣) الخرعبة : الحسناء في بياضٍ وسمن وطراوة والقراطق ضربٌ من الثياب.
(٤) أعشت : أضعفت
(٥) الفقرة : نبات.

لله حــلف العــلا أبـو حسن وقــد جـرت للعـلا سوابقها
فحـاز خصــل الـرهــان عن كثب وفرّجــتْ عنــده مضايقهـا
لله تـلك الألفـاظ حـامـلةً غـرٌّ معـانٍ تُعْيي دقـائقها
يكـاد إعجـازهـا يشكـكها في ســوَرٍ أنهـا تـوافقهـا
أهـدي سلامـاً حكى السلامــة من أسقــام سـوءٍ يخـاف طـارقها[1]
كــأنّــه دارنـا ولـم يــرها نـاعبهـا للنــوى ونـاعقـها
كأنّهـا غفــلــة الــرقيب وقـد مكنــتُ مـن نظـرةٍ أسـارقها
أهــديت منــه مـا لــو تحمّلــه الـ أيام لـم يستقــلّ عــاتقها[2]
تحـدو بــه صبـوةً ركـائبها راتـكةً لا يميل سـائقـها[3]
خذهــا وقــد أحصــدت وثائقها وأُلحقــت بالسّهــي سـواهقـها
نـاشدتـك الله حين تنشدها وخلّـةً لا يخيـل صــادقها
إلاّ تعمّـدت رفـع رايتها ليمــلأ الخـافقيـن خـافقها
نعــم وعش في النعيم ما طلعت شمس نهـارٍ وذرَّ شارقها[4]

هذه أطال الله بقاء مولاي أبيات علقتها والروية لم تعتلقها ، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتنقها، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها ، بل عِلماً بأني وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف ان يتقصاها . والبعد عن الإطناب ان يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين أقبالي وإدبـاري . إلـى أن فكرت أن فضيلـة المولـى يشتمـل عبـده ويخيم ، وإن تصرفت عنده ، فثاب الى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً

---

(١) الطارق : النازل ليلاً.
(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق.
(٣) رتك البعير : قارب بين الخطا.
(٤) ذرَّ شارقها : ظهرت أشعتها .

رجوت ان يحظى بطائل القبول، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الزمان، المستولي على قصب الرهان.

* * *

ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله [من الطويل]:

وإنـي وإن قصـرت عن غير بغضةٍ لراعٍ لأسـبـاب المـودّة حافظُ
ومـا زال يدعونـي إلـى الصدِّ ما أرى وآبـي فتثنينـي إليك الحفـائظ
وأنتظـر العقبـى وأغضـي علـى القذى ألاين طـوراً فـي الهـوى وأغـالظ
وأسـتمطـر الإقبـال بالـودّ منكمُ وأصبـر حتـى أوجعتنـي المغايظ
وجرّبت ما يسلي المحـب عن الهوى وأقصـرت والتجـريب للمـرء واعـظ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

١١٩ - القاضي التنوخي أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن التشيم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب : إن أردت فإني سبحة ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك . أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو آثرت فإني نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه ، وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد، حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبي الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء. ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسير أشعاره، ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيما ، في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل] :

هل على من لامه مدغمٌ   لاضطرار الشعر في ميم نسيمِ

فوقع تحته : نعم ولم لا ؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي، ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة ، والتبسط في القصف والخلاعة. وهم ابن قريعة ، وابن معروف، والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبي ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً قطربلياً أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون أجمعهم، وعليهم المصبغات ومخانق البرم[1] والمنثور، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم عنى السري بقوله [من المنسرح]:

مجالسٌ ترقص القضاة بها ... إذا انتشوا في مخانق البرمِ
وصاحبٍ يخلط المجون لنا ... بشيمةٍ حلوةٍ من الشّيم
تخضب بالراح شيبة عبثاً ... أناملٌ مثل حمرة العنم[2]
حتى تخال العيون شيبته ... شيبة فعلانَ ضرّجتْ بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله [من الخفيف]:

ربّ ليلٍ قطعته بصدود ... وفراقٍ ما كان فيه وداعُ

---

(١) البرم : نوع من الثياب.
(٢) العنم : شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ .

موحشٍ كالثقيل تقذى به العيـن وتأبى حديثه الأسماع
وكأنّ النجوم بين دجاه سننٌ لاح بينهن ابتداع[1]
مشرقاتٌ كأنّهن حجاجٌ تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمة وشيٍ وكأنّ الجوزاء فيها شراع
كان ليلاً فصيّرتْهُ نهاراً كتبٌ تكْبِتُ العدى ورقاع[2]

وقوله [من السريع]:

كأنّما المرّيخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعَهْ
منصرف بالليل عن دعوةٍ قد أسرجوا قدّامه شمعه[3]

وقوله (وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه) [من الرجز]:

وجاء لاجاء الدّجى كأنه من طلعة الواشي ووجه المرتقبْ
وفعل الظّلام بالضياء ما يفعله الحرف بأبناء الأدب

وقوله [من الطويل]:

كأنّ النجوم الزهر في غلس الدجى سنا أوجه العافين في سنَة الردِّ[4]
وقد أبطأت خيل الصباح كأنّها بخيلٌ تباطا حين سيل عن الرّفد[5]

وقوله أيضاً [من الطويل]:

وليلة مشتاقٍ كأنّ نجومها قد اغتصبتْ عين الكرى وهي نوّمُ
كأنّ عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم[6]

---

(١) السنن : الشرائع والابتداع : من البدعة التي ليست من الشريعة.
(٢) تكْبتهمْ : تحيرهم فلا يدرون جوابا.
(٣) أسرجوا : أوقدوا وأشعلوا وأناروا .
(٤) سنة الردّ : سنة الدّخل والريع ، أي السنة المخصبة .
(٥) الرفد : العطاء .
(٦) شخصت : نظرت وتطلعت .

كأنّ سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفي أسودٌ يتبسّم

وقال في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط] :

عهدي بها وضياء الصبح يطفئها كالسُّرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهي نيرةٌ فظلّ يطمس منها النور بالنور

وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات [من مجزوء الرمل] :

بات يسقيني ويشربْ ذهباً للهم مذهبْ
شادنٌ يحمل ماءً فيه نارٌ تتلهّبْ
وردةٌ ضاحكةٌ عن أقحوانٍ حين يقطب
لو أدرناها على ميتٍ لكان الميت يطرب
ليت شعري أسروراً أم مداماً بتُّ أشرب
صبّ في الكاسات منها كالشّهاب المتصوّب[1]
فرأيت الرّاح شرقاً ورأيت الهمّ مغرب
غُصُنٌ فوق كثيبٍ ونهارٌ تحت غيهب
لك منه مطربٌ يرضيك إن شئت ومضرب
جنّةٌ عذِّبت فيها بتجنٍّ وتجنّب[2]
هل رأيتم أحداً قبليَ بالجنّة عُذِّب ؟
بأبي أنت وأمي من بعيدٍ حين تقرب
ليَ قلبٌ كيف ما قلّبه الله يقلب .
وجفونٌ يغضب الغمض عليها حين يغضب
ربّ ليلٍ كتجنيك مقيمٌ ليس يذهب

---

(١) المتصوّب : الهابط والمنطلق .
(٢) التجنّب : الهجر .

قد قطعناه بعزمٍ كالحريق المتلهّب
وكأنّ البرق لما لاح فيه يتنصّب
كاتبٌ من فوق فرع الـ ـغيم بالعقيان يكتب
وكأنّ الرعد حادٍ أو منادٍ أو مثوّب
ونجومُ الليل وقفٌ كلآلٍ لم تثقب
وبد البدر كسيفٍ في يد الجوزاء مُذْهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراحٍ من الشمس مخلوقةٌ بدت لك في قدحٍ من نهارِ
هواءٌ ولكنّه ساكنٌ وماءٌ ولكنّه غير جاري
إذا ما تأملتها وهي فيه تأمّلت نوراً محيطاً بنار
وما كان في الحق أن يجمعا لبعد التداني وفرط النّفار[1]
ولكن تجانس معناهما الـ ـبسيطان فاتفقا في الجوار
كأنّ المدير لها باليمين إذا مال للسقي أو باليسار
تدرّع ثوباً من الياسمين له فرد كمٍ من الجلنار[2]

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل] :

لم أنس دجلة والدجى متصوّب والبدر في أفق السماء معرّبُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنّه فيها طرازٌ مُذْهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] :

ورياضٍ حاكت لهنّ الثريا حللاً كان غزلها للرعودِ
نثر الغيث درّ دمعٍ عليها فتحلّت بمثل درّ العقود

(١) فرط النّفار : كثرته .

(٢) تدرّع : أي لبس.

أقحوانٌ معانقٌ لشقيقٍ كثغورٍ تعضّ ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيونٍ موصولة التسهيد
وكأنّ الشقيق حين تبدي ظلمة الصدع في خدود الغيد
وكأنّ الندى عليها دموعٌ في جفونٍ مفجوعةٍ بفقيد

وقال في البرد [من البسيط] :

وليلةٍ ترك البرد البلاد بها كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوجُ
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصراً وإن تقلّ فقل لي فيه تثليج[1]
فنحن منه ولم نخرسْ ذوو خرسٍ ونحن منه ولم نفلج مفاليج[2]

وقال فيه أيضاً [من البسيط] :

أما ترى البرد قد وافتْ عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها قد ألبست حبكاً أو غُشِّيت ورقا[3]
فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنّهما في العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا برداً فصرنا كقلب الصّب إذ عشقا[4]

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ، ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحببْ إليّ بنهرِ معقلٍ الذي فيه لقلبي من همومي معقلُ[5]
عذبٌ إذا ما عبّ فيه ناهلٌ فكأنّه في ريق حبٍّ ينهل[6]

---

(١) الخصر : البارد.
(٢) الفلج : من الفالج الذي يصاب به المرء وهو نوعٌ من الشلل .
(٣) الضريب : الصقيع ، والصنف.
(٤) الصبّ : العاشق ، وسلا : نسي وتصبّر.
(٥) المعقل : من العقال وهو السجن والتقييد .
(٦) عبّ الماء : شربه بشوق.

متسلسلٌ وكأنّه لصفائه | دمعٌ بخدَّيْ كاعبٍ يتسلسل
وإذا الرياح جريْن فوق متونه | فكأنه درعٌ جلاها صيقل
وكأنّ دجلة إذ يغطمط موجها | مللٌ يُعظّم خيفةً ويبجَّل[1]
وكأنها ياقوتةٌ أو أعينَ | زرقٌ تلائم بينها وتوصل
عذبتْ فما تدري أماءٌ ماؤها | عند المذاقة أم رحيقٌ سلسل
ولها بمدٍّ بعد جزرٍ ذاهبٍ | جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت الى الأبلّة خلتها | من جنة الفردوس حين تخيّل[2]
كم منزلٍ في نهرها آلى والسرو | ر بأنه في غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائسٌ | والروض فيه حليٌّ خودٍ ترفل
غنّتْ قيان الطير في أرجائها | هزجاً يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت | يوم الوداع وغيرهم يترحل
ربع الربيع به فحاكت كفّه | حللاً بها عقد الهموم تحلل[3]
فمدبّجٌ وموشّحٌ ومدنّرٌ | ومعمّدٌ ومحبرٌ ومُهلْهَل
فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا | خدًّا يعضّضُ مرةً ويقبَّل

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالأمن بعد تخوُّفٍ | له في الثرى فعل الشفاء بمدنفٍ[4]
أكبّ على الآفاق إكباب مطرقٍ | يفكّر أو كالنادم المتلهّفِ
ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً | فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضّحى | بظلمته في ثوب ليلٍ مسجَّف[5]

(١) يغطمط : يموج ويضطرب.
(٢) الأبلّة : الشجر المثمر الذي تسقيه المياه وخلتها : حسبتها.
(٣) حاكت : نسجت .
(٤) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .
(٥) السجفة : شدة الظلام.

يعبّس عن برقٍ به متبّسمٍ عبــوس نحيلٍ في تبسّــم معنف
تحاول منه الشـمس في الجـوّ مخرجاً كما حاول المغلوب تجـريد مرهف[1]

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر]:

تحــاول فتــق غيمٍ وهــو يأبى كُعنيِّنٍ يـريـد نـكاح بكرِ[2]

رجع :

فأتــرع ماءً وارد حـوضه أسلســال ماءٍ أم سلافـةِ قرقفِ[3]
أتـى رحمــةً للنــاس غيري فإنه علــيَّ عذابٌ مالــه من تكشُّف
سحابٌ عداني عن سحـابٍ وعارض منعــت به من عارضٍ متكفْكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو [من الخفيف]:

لســت أدري ماذا أذمّ وأشكو من سمــاءٍ تعوقنــي عـن سماءِ
غير أنــي أدعــو علـى تيك بالثكـــــــل وأدعــو لهــذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل]:

أتـت رقعـةُ القاضـي الجليل فكشّفتْ وســاوس محــزون الفــؤاد ملهّفِ
فأهــدت نظامــاً مـن قريضٍ كأنه نظــام لآلٍ أو كوشــيٍ مُفوَّف[4]
تكامــل فيه الظــرف والشــكل مثلما تكامــل في مُهــديهِ كلُّ التظَّرَفُ
حوى منتهــى الحسنــى بأول خاطرٍ يكلّفــه في الشعــر ترك التكلّف

(١) المرهف : الماضي من السيوف.
(٢) العنّين : العاجز في فحولته .
(٣) أترع : أشرب ، والقرقف : من أسماء الخمر.
(٤) النظام : العقد ، والقريض : الشعر والمفوّف : المزيّن والمنمّق.

قال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل]:

وقصيدةٍ ألفاظها في النظم كالدرِّ النثيرِ
جاءت إليَّ كأنها التـ ـوفيق في كلّ الأمور
بأرقَّ من شكوى وأحـ ـسن من حياةٍ في سرور
لو قابلتْ أعمى لأضـ ـحى وهو ذو طرْفٍ بصير
فكأنّها أملٌ تحقّـ ـق بعد يأسٍ في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنام لساهرٍ أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنفٍ أو كالغني عند الفقير
وكأنّما هي من وصا لٍ أو شبابٍ أو نشور[1]
لفظٌ كأسر معاندٍ أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور[2]
ورد الخدود إذا انتقلـ ـت به على درّ الثغور
غررٌ غدت وكأنّها من طلعة الظبيّ الغرير[3]
من كلّ معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبرٍ كالنّوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا صل أو كاعتاب الدهور
أهديتها ياخير من يختار في كرمٍ وخير

وقال في ثوف كتاب [من مجزوء الكامل]:

وافى كتابك مثلما وافى لمفقودٍ بشيرُ

---

(١) النشور : البعث من جديد.
(٢) المهارق : جمع مهرق ، وهي الصحيفة.
(٣) الغرير : الجميل ، والخَلْق الحسن.

وكأنّه الإقبال جا ء أو الشّفاء أو النّشور
كأنّه شرخ الشبا ب وعيشه الغضّ النضير
وافى وعير الليل وا قفةٌ الركائب لا تسير
فأضاء لي من كلّ فـج منه فجرٌ مستنير
وارتدّ طرف الدهر عنّي وهو مطروفٌ حسير[١]
ورأيت أفلاك السرو ر بكلّ ما أهوى تدور
وفضّضته فكأنّه أثواب وشي أو حبير[٢]
خطٌّ وقرطاسٌ كأنّهما السوالف والثغور
وكأنّه ليلٌ يلو ح خلاله صبحٌ منير
ما بين خطٍ كالحيا ة إذا استتبّ لها السرور
وبدائع تدع القلو ب تكاد من طرب تطير
في كل معنى للغني يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأس أسير[٣]
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلم وما أرسى ثبير[٤]

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل] :

أسيرٌ وقلبي في هواك أسير وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرُ
ولي أدمعٌ غزرٌ تفيض كأنّها جَداً فاض في العافين منك غزير[٥]

---

(١) الحسير : المنكفىء الخائب.
(٢) الحبير : الناعم الجديد من الثياب.
(٣) الفكاك : التحرّر من القيد وغيره .
(٤) ذو سلم : اسم مكان ، وثبير : إسم جبل.
(٥) الجداء : العطاء .

وطـرفٌ طريفٌ بالسّهـاد كأنه لهـاك وجيش الجـود فيه مغير.
ريـاضــكمُ خضـرٌ يـرفُّ نباتها ونـوءكم رطـبُ السّحـاب مطيـر
وجـوهٌ كـأكبـاد المحبين رقّةً ولـكنهـا يـوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل]:

كتبـت وليـلـي بـالسّهـاد نهـار وصـدري لورّاد الهمـوم صدارُ[1]
ولـي أدمـعٌ غـزَرٌ تفيض كأنها سحائـب فاضـت مـن يديك غزارُ
ولـم أر مثـل الدمـع ماءً إذا جرى تلهّب منـه فـي المدامـع نار
رحلـت وزادي لـوعـةٌ ومطيتي جوانـح من حرّ الفـراق حرار
مسيرٌ دعـاه النـاس سيراً توسّعاً ومعنـىً آسمـه إن حقّقـوه إسار
إذا رمـت أن أنسـى الأسـى ذكّرتْ به ديارٌ لهـا بين الضلـوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحّلي وهـل لي علـى صرف الزمـان خيار
وهـذا كتابـي والجفـون كـأنّما تحـكّم فـي أشفارهـنّ شفار[2]

الغـزل من شعره

قال [من الكامل]:

حَوَرٌ بعينيْه أطـال تحيّري ترك الـدمـوع كخـدّه المتعصفرِ
غصـنٌ تأوّد فوق دعصٍ من نقا ليلٌ تبلّـج عـن نهـارٍ مسفر[3]
كالشـمس إلا أنـه متنفّسٌ عـن مسـكةٍ متبسّـمٌ عن جوهر
وأطـال من ليلـي وقصّـر ليله أنّـي سهـرت وأنـه لم يسهـر

(١) الصدار: ثوب بلا كمّين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي.
(٢) الشّفار: السيوف القاطعة، أو كلّ حدٍّ قاطع.
(٣) التأوّد: الميل والانعطاف.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبي وجهك لو أشـ ـبهه منك الضيعُ
أنت بدرٌ ما له في فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضاك شبابٌ لا يليه مشيب وسخطك داءٌ ليس منه طبيبُ
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقال في أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهمْ الشمس أعظم جرمٍ حازه الفلكُ
من أين أستر وجْدي وهو منهتكٌ ما للمتيَّم في فتك الهوى درك[1]

وقال فيه [من الوافر] :

لبستْ نحافة الغصن النحيف وذبْت سوى ذماءٍ في ضعيفِ
يحوريٌّ المحاسن والمعاني وإنسيٍّ المخايل والأليف
له في كلّ عضوٍ دعصُ رملٍ ثقيل الجسم ذو روحٍ خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحولٍ سوى أني أخو الخلق الظريف
إذا لمستْه كفّي لم تلامس سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده في ديوانه [من السريع] :

قلت لأصحابي وقد مرّ بي منْتقباً بعد الضيّا بالظّلمْ[2]
بالله يا أهل ودادي قفوا كي تبصروا كيف تزول النعم

* * *

(١) المتيّم : العاشق ، والدرك : من تدارك الشيء : تلافاه قبل وقوعه .
(٢) المنتقب : المستتر .

١٢٠ ـ ابنه أبو علي المحسن ابن القاضي [التنوخي]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المثيل لأصله ، والنائب عنه في حياته . والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيّرت الشباب على الشّيوخِ
ومن لم يرضَ لم أصفعْه إلاّ بحضرة سيدي القاضي التّنوخي

وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه. وإمتاع فنه . وما جرى من الفأل بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال . وأسرى من الخيال .

أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وان بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته . واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت اتفسح في الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره . وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبي نصر المذكور وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه، وهو [من الطويل] :

خرجنا لنستسقي بين دعائه وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا(١)
فلما ابتدا يدعو تقشّعت السما فما تمّ إلا والغمام قد انفضّا(٢)

---

(١) يمن الدعاء : خيره وبركته .
(٢) تقشّعت : أي انكشفت وزال الغمام عنها وانفضّ المجلس: تفرّق بعد عقده.

وأنشدني غيره له ، وأنا مرتاب به لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته ، [من الطويل] :

أقول لها والحيّ قد فطنوا بنا ... وما لي على أيدي المنون براحُ[1]
لِما ساءني أن وحّشتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاح

ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل] :

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجدُ
مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ ... كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد

كأنه نسج على منوال المتنبي حيث قال [من الطويل] :

على ذا مضي الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ ... وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[2]

ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهنئة بشهر رمضان [من الخفيف] :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ... ووقاك الإله ما تتّقيهِ
أنت في الناس مثل شهرك في الأشهر ... بل مثل ليلة القدر فيه

وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع [من الكامل] :

قلْ للمليحة في الخمار المذْهبِ ... أفسدْتِ نسكَ أخي التّقي المترّهبِ[3]
نور الخمار ونور وجهك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتلهّب
وجمعت بين المذهبيْن فلم يكن ... للحسن عن ذهبيْهما من مذْهب
فإذا بدتْ عينٌ لتسرق نظرةً ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

* * *

(١) البراح : المتسع من الأرض ، أو الظهور والبيان .
(٢) القالي : المبغضص ، والوامق ، المحبّ .
(٣) النسك : التعبّد والزهادة .

وأما ابنه أبو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره ، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى الكرخي . وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع .

* * *

١٢١ - ابن لنكك البصري ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه ، والمروع اليه في لطائف الأدب وظرائفه طول ايامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبي[1] ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار ابي رياش اليمامي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادتهما من الأدب بما شقي به ، وحصل أبو الحسن على ثلبهما ، والتشفي بذمهما ، والقعود تحت المثل السائر « أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل » وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها في شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره ، وما أشبه شعره في الملاحة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس . وأقدر أنه في الجبال، كهو في العراق، وكان يقال في منصور الفقيه: إذا رمى بزوجته قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب ، وأبدع فيما صنع ، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح ، وبلغني ان الصاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] :

شعر الظّريف ابن لنكك   مهذّبٌ ومحكّكْ[2]

---

(١) كناية عن الشهرة .

(٢) المحكّك : المراجع والمتقن .

مـذهّـبٌ وممسـكٌ بمثـلـه يتمسّـك

* * *

ما أخرج من شعره في الشكوى، وذم الزمان وأهله

قال [من مجزوء الرمل]:

يـا زمـانـاً ألبس الأحـــرار ذلاً ومهـانَـهْ
لسـت عنـدي بـزمـانٍ إنّمـا أنـت زِمانهْ(١)
كيف نرجـو منـك خيراً والعـلا فيـك مهـانه
أجنـونٌ مـا نـراه منـك يبـدو أم مجـانه(٢)

وقال أيضاً [من الطويل]:

زمـانٌ رأينـا فيه كلّ العجائب وأصبحـتِ الأذنـاب فـوق الذّوائبِ
لو انّ علـى الأفـلاك ما في نفوسنا تهافتـتِ الأفـلاك مـن كلّ جانب

وقال أيضاً [من الوافر]:

عجائـب فـي زمانـك شاهـدات علـب خـرف مـن الفَلَك المحيطِ
يـرى متيقظـاً مـا لا يـراه إذا مـا نـام آكـل قنّبيط

لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية .

وقال [من المنسرح]:

عجبـت للـدهـر فـي تصرّفِـهِ وكـلّ أفعـال دهـرنـا عجبُ
يعانـد الدهـر كل ذي أدبٍ كـأنّمـا نـاك أمَّـه الأدب

---

(١) الزّمانة : المرض المزمن .
(٢) المجانة : من المجون، وهو العبث والتلهّي .

وقال أيضاً [من الطويل]:

يقولون لي أصبحت في العلم واحداً وفي الشعر والآداب مالَكَ ثاني
فقلت صدقتمْ أيّها الناس إنّني كذاك ولكن في حرِ أمٍّ زماني

وقال أيضاً [من الوافر]:

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا وخلّفني الزمان على علوجِ
وقالوا قد لزمْت البيت جدّاً فقلت لفقد فائدة الخروج
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم قروداً راكبين على السروج
زمانٌ عزّ فيه الجود حتّى تعالى الجود في اعلى البروج(1)

وقال في المعنى [من البسيط]:

جار الزمان علينا في تصرّفهِ وأيُّ دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
عندي من الدهر ما لو أنْ أيسرَهُ يُلقي على الفلك الدوّار لم يدر

وقال أيضاً [من الخفيف]:

نحن والله في زمانٍ غشوم لو رأيناه في المنام فزعْنا
يصبح الناس فيه من سوء حالٍ حقّ من مات منهم أن يُهَنّا

وقال أيضاً [من البسيط]:

لا مكّث الله دنيانا فقيمتها ليست تفي عند ذي عقل بقيراطِ(2)
دنيا تأبّتْ على الأحرار عاصيةً وطاوعَتْ كلّ صفعانٍ وضرّاط

---

(1) عزّ : ندر .

(2) لامكّث : لا أبقى ، والقراط يختلف وزنه حسب البلاد ، في مكة ربع سدس الدينار ، وفي العراق . نصف عشر .

وقال [من الوافر]:

زمانٌ قد تفرّغ للفضول ... يسوِّدُ كلَّ ذي حمقٍ جهولِ
فإن أحببتمُ فيه ارتياحاً ... فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضاً [من البسيط]:

إن أصبحتْ هممي في الأفق عاليةً ... فإن حظّي ببطن الأرض ملتصقُ
كم يفعل الدهر بي ما لا أسرُّ به ... وكم يسيء زمانٌ جائرٌ حنِق
كم نفخةٍ لي على الأيام من ضجرٍ ... تكاد من حرِّها الأيامِ تحترق

وقال أيضاً [من المنسرح]:

نحن من الدهر في أعاجيب ... فنسأل الله صبر أيوبِ
أقفرت الأرض من محاسنها ... فابكِ عليها بكاءَ يعقوب

وقال أيضاً [من الكامل]:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف بلا أكنافِ[1]
بطيالسٍ وقلانسٍ محشوّةٍ ... يتعاشرون بقلّة الإنصاف[2]
ما شئت من حللٍ وفرْه مراكبٍ ... أبواب دورهمُ بلا أجواف[3]

وقال أيضاً [من المنسرح]:

لا تخدعنْكَ اللّحى ولا الصور ... تسعة أعشار من ترى بقرُ
تراهمُ كالسّحاب منتشراً ... وليس فيه لطالبٍ مطر
في شجر السّرو منهمُ مثلٌ ... له رواءٌ وما لَه ثمر[4]

---

(١) في خلفٍ : أي في قومٍ .
(٢) الطيالس : الثياب التي تستر الجسم جمع طيلسان .
(٣) الأفره : الجميل ، والنشيط الخفيف.
(٤) الرواء : المظهر .

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف]:

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كلَّ الإباءِ

وقال أيضاً [من الكامل]:

يا طالباً بالعلم حظاً مسْعدا في ذا الزمان رأيت رأي مخرنقِ
إنفاق علمٍ في زمان جهالةٍ ترجو ودهر عَمىً وسخفٍ مطبقِ
كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً تنلِ الرّغائب في الزّمان وتنفق
أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا يتجمّلون بكل قاصٍ أحمق
لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ موّه عليهم ما قدرت ومخرق[1]

وقال أيضاً [من المنسرح]:

لم يبق حرّ إليه يختلف بل كلّ نذلٍ عليه مختلفُ[2]
يا فلكاً دار بالنذالة والجهل إلى كم تدور يا خرف
فعاقلٌ ما يبلّ أنملةً وجاهلٌ باليدين يغترفُ[3]

وقال أيضاً [من الطويل]:

لعنتم جميعاً من جوهٍ لبلدة تكنّفهم جهل ولؤمٌ فأفرطا
وإنّ زماناً أنتمُ رؤساؤه لأهلٌ لأنْ يُخرى عليه ويُضرطا[4]
أراكم تعينون اللئام وإنني أراكم بطرْق اللؤم أهدى من القطا

وقال أيضاً :

عدنا في زماننا عن طريق المكارمِ

---

(١) المخرقة : التلاعب والاحتيال .

(٢) النذل : الخادم ، والوسخ .

(٣) يبلُّ أنملة : كناية عن الكسب ، أي أن العاقل فقيرٌ معدم ، والجاهل يغترف المال اغترافاً .

(٤) لأهلٌ : أي مستحقٌ وجدير .

من كفى الناس شرّه فهو في جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي رياش

كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذ[1] دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي [من الرجز]:

كأنّما قمل أبي رياش ما بين صئبان قفاه الفاشي[2]
وذا وذا قد لجّ في انتفاش شهدانج بُدِّدَ في حشْحاش[3]

وكان مع ذلك شرها على الطعام، رجيم شيطان المعدة ، حوتي الالتقام ، وثعبان الالتهام، سيء في المواكلة ، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة الى القصعة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوماً الوزير المهلبي الى طعامه ، فبينا هو يأكل معه إذ امتخط في منديل الغمر ، وبزق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير ، فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفي شره أبي رياش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحة وحسن التعريض [من الوافر]:

يطير إلى الطعام أبو رياشٍ مبادرةً ولو واراه قبرُ[4]

---

(١) الهذّ : هنا سرعة القراءة .
(٢) الصئبان : بيض القمْلِ والبراغيث .
(٣) الشهدانج : حبُّ القنّب ينفع من الحمى والبرص .
(٤) واراه : ستره وأخفاه .

أصابعه من الحلواء صفرٌ ولكنَّ الأخادع منه حمرُ(١)

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي . قال : أنشدني الصاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هاني أفسد الشعر ضلَّةً وشعر أبي تمّامكم هو أضيعُ
أبا الريش ،يا صفعان ،صفعات واجبٌ ولكن مضى من كان في الله يصفع

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبو رياشٍ بغى والبغي مهلكةٌ فشدّدوا العين ترموه بآبدتِهْ(٢)
عبدٌ ذليلٌ هجا للحين سيِّدَهُ تصحيف كنيته في صدغ والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أأبا رياش يا قبيح المنظر يا منكراً يُنْمى إلى مستنكرِ
تصحيف كنيتك التي كنّيتها في اسْت التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئت أن أبا رياشٍ قد حوى علم اللغات وفاق فيما يدّعي
من مخبري عنه فإني سائلٌ من كان حَنَّكَهُ بأيْرِ الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

على القبح الفظيع أبو رياشٍ يعاشرنا بأخلاقٍ ملاحِ
يبيح أكفّنا أبداً قفاه فنصفعه على جهة المزاح

---

(١) الأخادع : عروق في العنق .
(٢) الآبدة : الداهية ، والقافية الشاردة.

وقال فيه وقد وليَ عملاً بالبصرة [من الكامل] :

قل للـوضيع أبـي رياشٍ لا تبلْ ... تِهْ كلَّ تيْهـك بالـولاية والعملْ[1]

ما ازددت حين وليتَ إلا خِسَّةً ... كالكلـب أنجس ما يكون إذا اغتسل

* * *

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته في أخباره ، ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيذام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك يتولع به ويبدع في هجائه، كقوله فيه[من البسيط] :

نفسـي تقيك أبـا الهيذام كلَّ أذىً ... إنّـي بكلّ الـذي ترضـاه لي راضي

مـا بال جعسـك مركوباً علـى ذكري ... يا أكرم الناس من باقٍ ومـن ماضي[2]

ما كان أيري فقيهـاً إذ ظفـرْتَ به ... فكيف ألبستـه دنيّةً ألقاضي ؟[3]

وقال فيه ايضاً [من الوافر] :

حوِي يومـاً أبـو الهيذام أيري ... وذاك بمثلـه أبـداً حَرِيٌّ

فبـرنَسَ رأسـه بالجعس حتى ... تنـكّر منـه لي خلـقٌ وزي[4]

فقلـت هديت لم برنسْـت أيري ... فقـال لأن أيـرك قـرمطي

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنـت ابـن كل البـرايا لكن اقتصروا ... على اسـم حمـزة وصْفـاً غير تشميخِ

كدار بطيخ تحـوي كلّ فاكهةٍ ... ومـا اسمهـا الدهـر إلاّ دار بطيخ

---

(١) تهِ : افتخرْ .

(٢) الجعس : الرّجيع .

(٣) الدنيّة : الخسّة .

(٤) برنس : إي ألبسه البرنس ، وهو ثوب رأسه منه ملتصق به ، أو القلنسوة ، الطويلة .

وقال أيضاً [من الكامل]:

يا من تطيَّبَ وهــو من حرق استْه ... قلــقٌ يكابــد كلَّ داءٍ معضلِ
فشــل الصّيال ومــا عهدنــا دبره ... مذ كان يفشــل عن صيال الفيشل(١)
وأراه في الكتــب الجليلــة زاهداً ... لا يســتجيد سوى كتــاب المـدخل
قبّلتــه ولثمــت فــاه مسلّما ... لثم الصـديق فم الصــديق المجمل
فدنـا إلـيَّ علـى المـكان وقـال لي ... أفـديك مـن متشـوّقٍ متغزّل
إن كنــت تلثمنــي بحــقٍ فاسقني ... بلسـان بطنــك فـي فمــي من اسفل

وقال في الرملي الشاعر[من الوافر]:

لأمٍّ الشاعــر الرملــيِّ صدغٌ ... صبــورٌ مـا علمـت علـى الدّباغ
فرغــت ولــم تكن فَرَغَــتْ فرامتْ ... إدامــة نيْكهــا حتــى الفـراغ
فقلــت لهــا فديتــك لا تجـوري ... فليس علـى الرّســول سوى البلاغ

وقال فيه أيضاً [من الرجز]:

إن الرميلــيَّ بليدٌ خـاطرُهْ ... يشعــر مــا دامــت لـه دفاترُهْ
* فالشعراء كلّهم خواطره *

وقال فيه إيضاً [من مجزوء الرمل]:

حــلف الرمليُّ فـيمــا اقـــتص عنّــي وحــكاه
يـدّعـي يـوم اصطلحـــنا أننــي قبّلـت فــاه
لــم أقبّـل فــاهُ لكــن قبّلــت نعــلـي قفـاه

---

(١) الصيال : التواثب والقفز . والفيشل : الضخم الرأس يعني به الذّكر.

وقال في المبرمان النحوي [من الوافر]:

صداعٌ من كلامك يعترينا   وما فيه لمستمعٍ بيانُ
مكابرةٌ ومخرقةٌ وبهتٌ   لقد أبرمْتنا يا مبرمان[1]

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل والشراب

قال [من الوافر]:

حبيبٌ جفْوتي فرضٌ عليه   مفرٍّي في الهوى منه إليهِ
إذا لحظاته قتلتْ محبّاً   تَشَحَّطَ منه في دم وجنتيه[2]

وقال أيضاً [من الوافر]:

أتطمع أن تحبّ ولا جفونٌ   مؤرّقةٌ ولا قلبٌ جريحُ
فأين هوىً تذوب به وتبلى   أراك تظنُّ أنَّ الزمر ريح[3]

وقال أيضاً [من الوافر]:

وروضٌ عبقريّ الوشي غضٌّ   يشاكل حين زخْرف بالشقيقِ[4]
سماء زبرجدٍ خضراء فيها   نجومٌ طالعاتٌ من عقيق
خليليَّ اسْقياني الراح صرفاً   إذاً وحريق قلبي بالرّحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامي   أشوب بريق من أهواه ريقي

---

(١) البهت : الزور والكذب ، والبرم : القرف والملل .
(٢) تشحّط : تخبّط واضطرب .
(٣) الزمر : صوت المزمار.
(٤) الشقيق : زهرٌ أحمر .

وقال أيضاً [من الخفيف] :

قد شربنا على شقائق روضٍ　　شربت عبرة السّحاب السكوبِ
صبغتْ من دم القلوب فما تبصر إلاّ تعلّقت بالقلوب

وقال أيضاً [من المنسرح] :

أمرُ غدٍ أنت منه في لبس　　وأمس قد فات فاله عن أمسِ
وإنما العيش عيش وقتك ذا　　فبادرِ الشمس بابنة الشمس

وقال أيضاً [من الوافر] :

أقول لصاحبي والراح روحٌ　　لجسم الكأس في كفّ النديمِ
وقد حبس الدجى عنّا بواكٍ　　تسيل نفوسها فوق الجسوم
ونحن من المسرّة في سماءٍ　　فمن سارى الضياء ومن مقيم
شموعك والكؤوس مع الندامى　　نجومٌ في نجومٍ في نجوم

وقال في قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر] :

فديتك لو علمت ببعض ما بي　　لما جرّعتني إلاّ بمسعطْ (١)
فحسْبك أنّ كرماً في جواري　　أمرّ ببابه فأكاد أسقط

وله في مثل ذلك [من المجتث] :

لو أنني مسعيٌّ　　شربت ما شئت حيناً
لكنني عهديٌّ　　فاعرف حديثي يقينا
قرأت عهدة كرمٍ　　فكان سكري سنينا

---

(١) المسعط : الإناء الذي يجعل فيه السَّعوط .

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

أيهـا الشيخ الـذي برّ ز قدمـاً في السيادَهْ
والـذي أعطـاه أهـل الـ أرض في السّبـق المقاده
وأقـرّ الـكلُّ منهـمْ أنّه عيـن القـلاده
أنـا يكفينـي مـن المشـ روب مـا يكفـي جراده
وحديثـي طـال فيـه مثـل تفسـير قتاده[١]
وهـو إبـرامٌ ونقضٌ فاكفِنـي فيـه الإعاده[٢]

* * *

ما أخرج من ملحه في سائر الفنون

قال [من الطويل]:

تولّـى شبـابٌ كنـت فيه منعّماً تروح وتغـدو دائـم الفرحاتِ
فلسـت تلاقيه ولـو سرت خلفه كمـا سار ذو القـرنين في الظّلمات

وقال [من الطويل]:

فراقُ أخلائـي الـذين عهدتهم يوكِّلُ قلبـي بالهمـوم اللّوازمِ
ومـا ذا أرجّي من حياةٍ تـكدَّرتْ ولو قد صَفَتْ كانت كأضغاث حالم[٣]

وقال أيضاً [من الكامل]:

نكرتْ نحولـي وهـو من فرط الأسى لفـراق إخـوانٍ علـيَّ كـرامِ
وتعجّبـتْ للشيب ، لا تتعجّبي هــذا غبـارُ وقـائـع الأيّام

---

(١) قتادة : أحد رجال الحديث والمفسرين .
(٢) الإبرام : العقد ، والنقض : التحلّل منه .
(٣) الأضغاث : الأوهام .

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

قالــت كبــرْتَ وشبتَ قلــت لهـا ... هــذا غبـار وقـائـع الـدهرِ

وقال أيضاً [من الوافر] :

إذا خفــق اللــواء علــيٌّ يوماً ... وقــد حمـل امرؤ القيس اللِّـواءَ(1)
رجـوت الله لا أرجـو سـواه ... لعـلّ الله يـرحـم مـن أساءَ

وقال أيضاً [من البسيط] :

إذا أخو الحُسْن أضحى فعلـه سمجاً ... رأيت صورتــه مـن أقبــح الصورِ(2)
وهبْك كالشـمس في حسـنٍ ألـم ترنا ... نفــرٌ منهــا إذا مالــت الــى الضَّرر

أخذه الصاحب فقال [من المتقارب] :

يقــال تركت الــذي حسنـه ... يـكاد يخجِّـل شمس الضحـى
فقلــت وشـمس الضـحـى تحتمي ... إذا بســطتُ في المصيف الأذى

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

نحــن بالبصــرة فـي لـو ... نٍ من العيش ظـريفِ
نحــن ما هبَّــتْ شمال ... بين جنّــاتٍ وريـف
فــإذا هبّــت جنـوبٌ ... فـكأنّــا فــي كنيـف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

ليس فــي البصــرة حرٌّ ... لا ، ولا فيهــا جـوادُ

---

(1) خفق : أي ظلّله وعلاه ، وخفقت الأعلام : ارتفعت وتحرّكت بالهواء .
(2) السمج : المكروه المستثقل .

إنّما البصرة أنشا بٌ ونخلٌ وسماد[1]

* * *

١٢٢ ـ ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد ، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه [من السريع]:

وعصبةٍ لمّا توسطتهم ... صارت عليَّ الأرض كالخاتمِ
كأنّهم من سوء أفهامهم ... لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليسُ إذا زارهم ... لأنهم عارٌ على آدم

بقوله [من السريع]:

لا تصلح الأرض ولا تستوي ... إلا بكم يا بقر العالمِ
من قال للحرث خلقتم فلم ... يكْذب عليكم لا ولم يأثم
ما أنتمُ عارٌ على آدمٍ ... لأنّكم غير بني آدم

وقال أيضاً [من السريع]:

وليلةٍ أرّقني طولها ... فبتّها في حيرة الذاهلِ
كأنما اشتقت لإفراطها ... في طولها من أمل الجاهل

وقال أيضاً [من المنسرح]:

يا سفلاً أوقظوا بخسّتهم ... لكنْ عن الجود والنّدى ناموا
لا تكذبوا صحّ أنكم نعمٌ ... عندكم للزمان أنعام[2]

* * *

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو الحطب وشجر القسي.
(٢) النعم : الحيوانات الداجنة .

١٢٣ ـ أبو عبد الله الحسين بن علي النمري

صاحب أبي رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر ، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوي القويم ، والنظم الظريف المليح .

فمما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفايتين أبي الفتح ، وكان ورد عليه الري فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها ... بل آه من تذكارهنّ وآها[١]
فالى الحرينة فالجنينة فالربى[٢] ... مغنى الأحبة حبّذا مغناها
روضٌ كلفْتُ بنوره وبنوْره ... وربى ألفت هواءها وهواها
أصبو إلى أترابها وترابها ... ومهاة عيشي في ظلال مهاها[٣]
فيهن شمسٌ لا تروم عيوننا ... حذر العيون سناءها وسناها
نمريّة من دونها متنمّر ... أخشى شباه تارةً وشباها[٤]
ماذا على النمر الكرام عشيرتي ... لو ضمّ بين فتاتها وفتاها
فتيان صدقٍ كالشموس تعوّدت ... قنص النفوس ظباؤها وظباها
يا من لنفسٍ شطرها في بلدةٍ ... بذرى العراق وشطرها بسواها
ظمئي إلى حوِّ الشفاه ، وإنما ... حوّ الشفاه سقامها وشفاها[٥]
ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا ... وقد ارتوى منها كما أرواها

(١) واهاً : كلمة تلهّف على مافات من الأيام الطيّبة .
(٢) الحرينة والجرينة : موضعان .
(٣) المهاة الأولى : البلور الصافية ، والمِهى الثانية : كناية عن النساء .
(٤) السِّبا : اشتعال النار ، أو الحدُّ القاطع .
(٥) حوّ الشفاء : أي تميل الى السّمر والسواد

وجلست في النادي الـذي حاز الندى   من جنّـةٍ دانٍ إلـيَّ جنـاها
دارٌ عـرفـت معانقـة الـكرى   وأخـذت حظّـي لهـوهـا ولهاهـا
عاتبـت مـكرمـة الزمـان فأعتبت   فيهـا ونـاجيت السـرور شفاها
ملكٌ أغـرّ وبـركةٌ لجيّـةٌ   في روضـةٍ تعـطـي العيون رضاهـا
يحبـوك ذا المـال الجـزيل وهـذه الـــماء المعين وهـذه رياها
روضٌ إذا جـرت الـرياح مريضةً   في زهـرة استشْفَـتْ به مرضاها
وإذا تقابلـت الـندامـى وسطـه   سكر الصّحـاة كمـا صحـا سـكراهـا
يتسلسـل المـاء الـزلال خـلاله   فتخالـه الحيّات خفّ سـراها
تنسـلّ أو تنسـاب غـير لواذعٍ   فكأنّمـا وشـى الحبـاب رقاها(١)
وأخـذْت من أقمـاره وشموسه   من تبـره ولجيْنـه أشبـاها
من أبيضٍ يقـقٍ وأصفَـر فاقعٍ   لو مِعْـنَ كنَّ سلافـةً ومياها(٢)
قد ضوعفـت زنـةً فزادت زينةً   يجلـو القـذى عنّـا جلاء قذاها
خيفـت عليهـن العيون فعوّذت   باسـم الألّه وباسـم شاهنشاها
يا ابـن العميد عميد دولتـه الذي   بلسانـه وسـنـانه سنّـاهـا
ما أنـت إلاّ صحّةٌ مكـلوءةٌ   تتقـاصـر الأفهـام دون مـداها
فإذا مرضـت ولا مـرضـت فإنّه   مـرض الـريـاح يطيب فيه ثناها
لم تنسِـكَ الأمـراض ذكر صنائعٍ   تُوْلـي وشـكر صنائـعٍ تـولاها
فاسلـم لدولتـك التـي وطّـدتها   ورعيت أولاهـا علـى أحراهـا(٣)

وله من قصيدة كتب بها إلي وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته.

---

(١) رقاها : صعودها .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، والفاقع : الذي لا يخالطه لون آخر ، ومعن : ماضٍ مسند لنون النسوة ، ماع يميع : أي سال .
(٣) وطّدتها : أرسيت دعائم ملكها .

المشكورة في مهاداتي بطرائف الآداب التي تصلح لهذا الكتاب [من مجزوء الكامل]:

سرت النجائب بالنجائبْ ترمي الكواكب بالكواكبْ[1]
ترمي تجاهات المشا رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملكٍ تحكّم في رغائبه الرغائب
ملكٌ تبوّأ من علا ه في النواصي والذوائب
حيث السوابغ والسوا بق والنجائب والجنائب[2]
يهب المنعّمة الكوا عب والمطهّمة السلاهب[3]

ومنها :

زرناك من أرض البصيـ ـرة شاحبين على شواحبْ[4]
نرد المناهل كالمجا هل والسباسب كالسبائب[5]
لاريّ دون الريّ والـ ـبحر الغطامط ذي الغوارب[6]
بحرٌ جواهره طوا فٍ في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لا ولا اللجج الكواذب[7]
كم من ظباءٍ بالبصيـ ـرة في المقاصر والسباسب[8]
إنس ووحشٌ يشتبهـ ـن سوى الذوائب والحقائب

---

(١) النجائب : النوق ، والنجائب من القوم : السادة وقد جانس هنا جناساً تاماً .
(٢) السوابغ : الدروع .
(٣) المطهّمة : الخيول ، والسلاهب : الطويلة .
(٤) الشواحب : النوق الهزيلة .
(٥) السباسب : القفار .
(٦) الغطامط : كثير الأمواج وغزير الماء .
(٧) الكوارب : التي تحدث الغمّ والكرب .
(٨) المقاصر : الأخبية .

أدمٌ يقاسمن الأرا ك جناه والقضب الرطائب
فلإنسها أغصانه تجلو به برد السحائب
ولوحشها غضّ الجنى عبث المعازف والملاعب
نصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب (١)
يا ربّ يومٍ لي كظلّك أو كظنّك أو يقارب
رقّت حواشيه وغضّت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب (٢)
وتبرّجت لذّاته للخاطبين وللخواطب (٣)
نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
وكسونني حللاً صقلن خواطري صقل القواضب (٤)
حللاً قديباج الخدو د مطّرزات بالشوارب
فلتشكرنّ رياضنا جدوى سحائبك الصوائب
ولتنظمنّ لك القصا ئد كالقلائد للكواعب (٥)

* * *

١٢٤ ـ المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب ، له مصنفات كثيرة، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء، وفيه قيل [من مجزوء الكامل] :

إن المفجّع ويله شرُّ الأوائل والأواخرْ

---

(١) الخراعبَ : جمع خرعبة ، وهي الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة .
(٢) الذوائب : خصلات الشعر في أعلى الجبين .
(٣) تبرّجت : تزيّنت وأسفرت .
(٤) القواضب : السيوف القواطع .
(٥) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما تضعه الفتاة في عنقها من عقد أو حليّ والكواعب الفتيات النواهد .

ومن النوادر أنّه يملي على الناس النوادر

كأنه من قول أبي تمام [من الوافر] :

ومالك بالغريب يدٌ ولكنْ تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

ومن المظالم أن قعدت على المظالم يا فزارهْ

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر الخوارزمي قال : قال لي اللحام : أنشدني المفجع لنفسه [من الخفيف] :

ليَ أيرٌ أراحني الله منه صار همّي به عريضاً طويلا
نام إذ زارني الحبيب عناداً ولعهدي به ينيك الرسولا
حسبت زورةً عليٍّ لحيني فافترقنا وما شفينا غليلا

فقلت فيه [من الكامل] :

إنّ المفجّع فالعنوه مؤنّثٌ نغلٌ يدين ببغض أهل البيت[1]
يهوى العلوق وإنّما يلقاهم بمؤخَّرٍ حيٍّ وقُبْلٍ ميت[2]

وأنشدني أبو الحسين الشهرزوري الحنظلي . قال : أنشدني المفجع لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف] :

زفراتٌ تعتادني عند ذكرا ك وذكراك ما يريم فؤادي
وسروري قد غاب عنّي مذ غبـ ـتْ فهل كنتما على ميعاد
حاربتْني الأيام فيك أبا سعـ ـدٍ بسيف الهوى وسهم البعاد

---

(١) النغل : ابن الزنى .
(٢) العلوق : الأولاد.

ليس لي مفزع سوى عبراتٍ من جفونٍ مكحولةٍ بالسّهاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا ك اعتياضٌ عن الكرى والرقاد[1]
وبحسبي من المصائب أنّي في بلادٍ وأنتمُ في بلاد

وأنشدني أبو نصر الروذباذي الطوسي للمفجع [من الهزج]:

ألا يا جامع البصر ة لاخَرَّبَكَ اللّهُ
وسقّى صحنك المزن منَ الغيث فروّاه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليحٍ فيك مرعاه
نصبنا الفخّ بالعلم له فيك فصدناه
بقرآنٍ قرأناه وتفسيرٍ رويناه
وكم من طالبٍ للشعـ ـر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا م حتى لان مثناه
وحتى ثبّت السرج عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمر د كذْبٌ ما ذكرناه
فلا يغررْك ما قلنا فما بالجدّ قلناه
ولو كان من البعض بريًّا حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب إليه تتلاقاه
فبالدرهم يستنز ل ما في الجو مأواه

ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج ونارنج وأراه أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل]:

إنّ شيطانك في الظر ف لشيطانٌ مريدٌ[2]

---

(١) الكرى : النعاس .
(٢) المريد : الخبيث المتمرّد الشرّير .

فلهــذا أنــت فيــه تبتــدي ثم تعيــدُ
قــد أتتنــا تحفــةٌ منــــك علــى الحســن تزيدُ
طبــقٌ فيــه قــدودٌ وخــدودٌ ونهــود

وقوله في غلام مغن جدر فازداد حسناً [من السريع]:

يا قمــراً جدّر حيـن استوى فزاده حسنــاً وزادت همومُ
كأنمـا غنّــى لشــمس الضحى فنّقطتــه طــرباً بالنجــوم

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

سيدي أنــت إنّ عبــدك أمسى خافقــاً قلبــه خفــوق الجناحِ
فاغتنــم غفلــة الــرقيب وزرْه في رداءٍ من الدجــى ووشاح

وقال ، ويروي لابن لنكك [من السريع]:

لنــا ســراجٌ نــوره ظلمةٌ ليس له ظلٌّ علــى الأرض
كأنّــه شخص الإمــام الذي تبغـي الهـدى منـه أولـو الرفض[1]

ومن ظريف قوله في الهجاء [من السريع]:

فســا علــى قومٍ فقالــوا له إن لم تقـم من بيننــا قمنا
فقــال لا عـدت فقالــوا له من نتــن فيه ذا كمــا كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى حاطب ليل للمفجع البصري يقول [من الوافر]:

أداروهــا ولليل اعتكــارٌ فخلــت الليل فاجــأه النهارُ
فقلــت لصاحبــي والليل داجٍ ألاح الصبــح أم بدت العقار

---

(١) أولو الرفض : أي الشيعة .

فقــال هي العقــار تداولوها   مشعشعــةً يطير لهــا شرار
فلــو لا أنني أمتــاح منها   حلفت بأنهـا في الـكأس نار[1]

* * *

١٢٥ ـ نصر بن أحمد الخبز أرزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه ، ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنـكك جمـع ديوان شعـره . فسنـح لي أن أضمـن هذا الكتاب. لمعاقد علقت بحفظي منه ، والإعراض عن التصفح لباقي شعـره وتـرك الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملحه ، وعلى ذكره. فقد بلغني من غير جهة أنه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة، فكان يخبز وينشد أشعـاره المقصـورة علـى الغـزل والنـاس يزدحمـون عليه ، ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولتـه. وكان ابـن لنكك ـ على ارتفاع مقداره ـ ينتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوماً وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه [من الوافر] :

لنصـرٍ في فؤادي فرط حبٍّ   ينيف به علــى كلّ الصحابِ[2]
أتينــاه فبخّرنـا بخوراً   من السّـعف المـدخّــن بالتهاب
فقمــت مبــادراً وحسبـت نصراً   يريد بذاك طردي او ذهابي
فقــال متــى أراك أبــا حسينٍ   فقلــت له إذا اتّسخـت ثيابي

فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات، أملى على من كتـب له في

---

(١) أمتاح : أغرف .
(٢) ينيف : يزيد .

ظهرها هذه الأبيات [من الوافر]:

منحت أبا الحسين صميم ودّي فداعبني بألفاظٍ عذابِ
أتى وثيابه كالشيب لوناً فعدْن له كريعان الشباب
وبغضٌ للشيب أعدّ عندي سواداً لونه لون الخضاب
فإن يكن التفزز فيه فخراً فلم يكنى الوصيُّ أبا تراب [1]

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالديين وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان، حتى تقشر فلسه ، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط]:

أظنّ دعوته في الشعر جائزةً له عليٌّ كما جازت على النّسبِ

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي [من المنسرح]:

يقول تصرُّأبي فقلت لهم عندي بهذا شهادة حسنَهْ
نعم ولكنْ أمّه حملتْ من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل]:

خليليّ هل أبصرتما وسمعتما بأكرمَ من مولىً تمشّى الى عبدِ
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسّعدِ

---

(١) التفزّز : فزته وبزته : إذا غررته وغلبته . والوصيّ : الإمام علي عليه السلام ، وقد كناهُ الرسول ﷺ بهذا اللقب فكان أحبّ الألقاب إليه .

فطـوراً علـى تقبيل نرجس ناظرٍ وطـوراً علـى تعضيض تفّاحـة الخدّ

وقوله [من مجزوء الرمل]:

مـن يكن يهـواه للخلـق فإنّـي عبـد خُلقِهْ
إن حسـن الخلـق أبهى للفتـى من حسـن خَلقِهِ

وقوله [من البسيط]:

قالـوا عشقـت صغيراً قلـت أرتـع في روض المحاسـن حتـى يدرك الثمرُ[1]
ربيع حسـنٍ دعانـي لافتتـاح هوى لمّـا تفتّـح منه النَّـوْر والزهر[2]

وقوله [من المنسرح]:

وددت أنّـي بكفّـه قلمٌ أو أننـي مدّة علـى قلمِهْ
يأخذنـي مرّةً ويلثمني إن علقـت منـه شعـرة بفمه

وقوله [من البسيط]:

قد قلت إذ خان صبري من كلفت به ولـم يكن عنـه لي صبـرٌ ولا جلدُ[3]
إن كان شاركنـي في حبّـه وقحٌ فالنهـر يشـرب منـه الكلـب والأسد

وقوله [من الكامل]:

لا تعشقـنّ ابـن الـربيع فإنّه عنـد التجـرّد آية الآياتِ
وجـه كعبّـادانَ ليس وراءه لمحبّه شيءٌ سوى الخشبات[4]

---

(١) أرتع : أمرع وأتنعّم .
(٢) النّور : الأكمام من الزهر .
(٣) كلفت به : عشقته .
(٤) عبادان : جزيرة ، والخشبات : موضع وراءها .

وقوله [من الخفيف]:

تتجنّـى علـيَّ ذنبـاً وتعتلّ بأنْ قد رأيت منِّـي ذلّهْ
لعـن الله قَربـةً ليس فيها لفتـىً يطلـب التعلّـة علّه

وقوله [من الطويل]:

ألـم يكفنـي ما نالنـي في هواكمُ إلـى أن طفقتـم بين لاءٍ وضاحكِ[1]
شماتتـكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخـول النـار بل طنـز مالك[2]

وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال : أنشدني عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال : أنشدني نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه [من الخفيف]:

شاقنـي الأهـل لم تشقنـي الديارُ والهـوى صائـرٌ إلـى حيث صاروا
جيرةٌ فرّقتهـم غربـة البيـــن وبين القلـوب ذاك الجوار
كم أنـاسٍ رعـوا لنـا حين غابوا وأنـاسٍ جفـوا وهـم حضّار[3]
عرضـوا ثم أعرضـوا، واستمالوا ثم مالـوا ، وأنصفـوا ثم جاروا[4]
لا تلمْهـم علـى التجنّـي فلـو لم يتجنّـوا لم يحسـن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه له من قصيدة [من البسيط]:
ورد الخـدود ورمـان النهـود وأغــصان القـدود تصيد السّادة الصّيدا[5]

---

(١) طفقتم : ظفرتم وجعلتم .
(٢) الطنز : السخرية والاستهزاء .
(٣) رعوا المودة : وصلوها وحنّوا إليها .
(٤) أعرضوا : صدوا وأشاحوا .
(٥) الصيد : الكرام السادة .

شرطـــي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والـــردف مرتدفـــاً والقـــدّ مقدوداً

* * *

١٢٦ ـ أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رأيت الهـــلال وقـــد أحدقته نجـــوم الثـــريـــا لـــكي تسبقَهْ
فشبّهتــه وهـــو فـــي إثرها وبينهما الزّهـــرة المشرقه
بقـــوسٍ لـــرامٍ رمـــى طـــائراً فأتبـــع فـــي إثـــره بندقه(١)

وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف]:

قارن الزهـــرة الهـــلال، وكانا في افتـــراقٍ ما بـــين صدٍّ وهجرهْ
فإذا ما تقارنـــا قلـــت طوقٌ من لجـــينٍ قد علّقـــت فيه درّه

وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جمّشته(٢) نثـــر الـــورد عليه ورقه
وإذا مدت يدي طرّته(٣) أفلتـــت منـــي وعـــادت حلقه

* * *

١٢٧ ـ أبو الحسين الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدني أبو الحسين الظاهر البصري لنفسه قوله [من البسيط]:

نفسي الفـــداء لمـــن جاءت تودّعني يوم الفـــراق بقلـــب خائفٍ وجلِ(٤)

---

(١) البندق : رصاص صغير كروي الشكل يستعمل في بعض القذائف للقتال والصّيد .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) الطرّة : الخصلة من الشعر التي تعلو الجبين .
(٤) الوجل : الخوف .

قد كنت فارقتُ روحي خوفَ فرقتِها   لكن حييت بطيب الضمّ والقبل

وله من قصيدة في مفصود [من البسيط]:

كأنّما دمه في الطست حين جرى   صرفٌ من الراح في قعبٍ من الذهبِ(1)
حتى إذا رجعت في كمه يده   كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب
كانت كما قال في القرآن خالقنا   واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله في وصف حيّة قتلها في بعض أسفاره [من الرجز]:

عرفت في الأسفار ما لم أعرف   من كل موصوفٍ وما لم يوصفِ
آليت لا أنصف من لم ينصف   ولا أفي دهري لخلٍّ لا يفي
سرت وصحبي وسط قاعٍ صفصف   إذ أشرفت من فوق طودٍ مشرف(2)
رقشاء ترنو من قليبٍ أجوف   تومي برأسٍ مثل رأس المجدف(3)
في ذنب مندمجٍ معقّف   حتى إذا أبصرتها لا تنكفي(4)
علوتها بحدّ سيفٍ مرهف   فظل يجري دمها كالقرقف(5)

* أتلفتها لما أرادت تلفي *

(1) الصرف من الراح : الخمرة الصافية ، والقعب : الاناء .
(2) الصفصف : المستوى المنخفض والطود : الجبل .
(3) القليب : البئر .
(4) تنكفي : تتراجع وتهرب .
(5) المرهف : الحاد القاطع ، والقرقف : الخمرة .

البـاب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد
وسياق ملحهم ولطائفهم

١٢٨ ـ ابن التمـار الواسـطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحة ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا ، وقد بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد، كقوله [من البسيط]:

أمـا ترى اليوم في أثوابـه الجدد ... يحـكيك يـا غرّة الأيام والأبدِ
فاشـرب وسـقّ الندامـى من مشعشعةٍ ... كلـون خدّك لم تنقص ولـم تـزد
علـى غـدير إذا هبّ النسيم بـه ... أبصـرتـه مـن حبيك الـريح كالزّرد[١]

وله [من الكامل] :

الخمـر شمسٌ في غلالـة لاذٍ ... تجـري ومطلعهـا من الخرداذي[٢]
فاشـرب علـى طيب الزمـان فيومنا ... يوم التـذاذٍ قد أتـى برذاذِ
وانظـر إلـى لمـع البـروق كأنها ... يومَ الضِّـراب صفائـحُ الفولاذ

وقوله عفا الله عنه [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَبِ ... واجمع بكأسك شمـل اللهـو والطربِ

---

(١) الحبيك : النسج .
(٢) اللاذ : حرير أحمر صيني والخرداذي : الخمر .

أمـا ترى الليل قد ولّـت عساكره مهزومـةً وجيوش الصبـح في الطّلب
والبـدر في الجانـب الغربـيّ تحسبه قد مدّ جسراً علـى الشـطّين من ذهب

* * *

١٢٩ ـ أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه ، وديوان شعره ضالتي المنشودة ، ودرتي المفقودة ، ولا بأس من حصوله ، أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته في طول الليل [من البسيط]:

عهـدي بنـا ورداء الشمـل يجمعنا والليل أطولـه كاللّمـح بالبصرِ
فالآن ليلـيَ مذ غابـوا فديتهمُ ليل الضّـرير فصبحـي غير منتظر

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر]:

أراح الله نفسـي من فؤادٍ أقـام علـى اللجّاجـة والخلافِ(١)
ومـن مملـوكةٍ ملـكت رقاها ذوي الألبـاب بـالخـدع اللّطاف
كأن جوانحي شـوقـاً إليها بنـات المـاء ترقص في حقاف(٢)

وأنشدني ميمون الواسطي، قال : أنشدني سيدوك لنفسه [من الوافر]:

أظـن بليّـةً دهمـتْ فـؤادي وأحسبهـا غـزال بنـي سليم
وإلاّ لم يغـبَّ فتعـتريني مـذلّـة ضيمـه مـن غير ضيم !(٣)

---

(١) اللجاجة : الإلحاح .
(٢) الحقاف : جمع حقف ، وهو المعوج من الرمل .
(٣) يغبّ : يبتعد .

ولــي عينٌ إذا فقدتــه صارت كعين الشــمس مـلبســةً بغيم

وأنشدني له أيضاً [من مخلع البسيط]:

أنــت من القلــب في السواد وموضــع الســرّ من فؤادي
يا ساكنــاً في سواد عيني وبينْ جفــنــي والـرقـادِ
لــم تنــأ لمّـا نـأيت عنّي ولا تبــاعــدت بالبعــاد

وأنشدني أيضاً له [من الطويل]:

جنت صبحة الأضحى عليّ فأذهبتْ فؤادي فلا ضرّي ملـكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحــر ما لك مهدياً لنحريَ سهم النحر نبّت عن الشّرعِ [1]

وله من أبيات [من مجزوء الكامل]:

حــذري عليك أشــدّ من حذري على بصــري وسمعي
إن كنــت تنـكر ما أقو ل فهـاك سـل سهـري ودمعي

ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات [من المتقارب]:

جعلــت فداءك قـد زارني أخــلاّء أعظـم أقـدارهمْ
وعزمــي أكون لهــم ساقياً فكن بأبــي أنــت خمّارهمْ

* * *

١٣٠ ـ أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا ممـا أنشـدنيه ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط]:

مشتاقــةٌ طرقــتْ في النــوم مشتاقا أهـلاً بمـن لم يخـنْ في العهـد ميثاقا

---

(١) نبّت : جاوزت وأعرضت .

أهلا بمـن ساق لي طيف الأحبّة من أرض الأحبة ، بل أهـلاً بمـن شاقا[1]
يا زائـراً زار من قربٍ علـى بعد آنســت مستوحشـاً لا ذقـت ما ذاقا
الله يعلـم لو أنّـي استطعـت لقد أفرشـت ممشـاك احداقـاً وآماقا[2]
يا ليل عرِّجْ علـى إلفين قد جعلا عقـد السواعـد للأعنـاق أطواقا
ضاق العنـاق وضـمّ الشـوق بينهما ضمّ القـرينْين أعناقـاً فأعناقا

وأنشدني له أيضاً [من الكامل] :

قل للمليحـة في الخمـار المشمشي كم ذا الـدلال عدمـت كلّ محرّشِ[3]
يا من غدا قلبـي كنـرجس طرفها في الحـبّ لا صاحٍ ولا هو منتشي
هذا الـربيع بصحـن خدك قد بدا لمقبّـلٍ ومعضّـضٍ ومخمّشِ
فمتـى أبيـت معـانقـاً لبهـاره ولـورده المستـأنـس المستـوحش[4]

وأنشدني له أيضاً [من الطويل] :

سقانـي وحيّانـي وبـات معـانقي فيا عطف معشـوقٍ علـى ذلّ عاشقِ
ويا ليلـةً باتـت سواعدنـا بها تدور علـى الأعنـاق دور المخانق
نبـثٌ من الشـكوى حديثـاً كأنه قلائـد درٍّ في نحـور العواتق[5]

وأنشدني له [من الكامل] :

يا راحـلاً تـرك البـكاء مباحا مـا رحت أنـت ، بـل اصطباري راحا
إن اخلفتْنـي فيك أسبـاب المنى وغـدوْت لي سقمـاً وكنـت صلاحا

---

(١) شاق : أتعب .
(٢) الآماق : مجاري الدمع .
(٣) المحرّش : المفسد .
(٤) البهار : الضوء والبياض .
(٥) العواتق : الفتيات في أوّل نهادهن .

فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى   وعهدت وجهك في الظلام صباحا

وأنشدني له [من الكامل]:

ما الرأي عندك أيّها البدر   في عاشقٍ لك خانه الصبرُ
وقّع برأيك فوق قصّته   يا منْ إليه النهي والأمر
لو أنّ حسناً زاد في عمرٍ   لازددت عمراً بعده عمر

* * *

١٣١ ـ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهي في ابن بقية لما قتل وصلب ، وقد أثبتها كما هي [من الوافر]:

علوٌّ في الحياة وفي الممات   لحقٌّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا   وفود نداك أيام الصّلات(١)

وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل]:

وصلُّوا عليه خاشعين كأنّهمْ   وفودٌ وقوفٌ للسلام عليه

رجع :

كأنك قائمُ فيهم خطيباً   وكلهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددْت يديك نحوهمُ احتفالاً   كمدِّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرضِ عن أن   يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا   عن الأكفان ثوب السافيات(٢)

(١) الصّلات : المنح والعطايا .
(٢) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غباراً .

لعظْمك في النفوس تبيت ترعى بحرّاسٍ وحفّاظٍ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطيّة من قبل زيدٍ علاها في السنين الماضيات
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍ تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قطُّ جذعا تمكّن من عناق المكرمات (١)
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات (٢)
وصيّر دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشرٍ سعداً فلما مضيت تفرّقوا بالمنحسات
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي حقيقٌ بالدموع الجاريات

أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط] :

لم يظلم الدهر أن توالى فيكم مصيباته دراكا
كنتم تجيرون من يعادي منه فعاداكم لذاكا

عاد :

ولو أنّي قدرت على قيامي بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكنّي أصبّر عنك نفسي مخافة أن أعدّ من الجناة
ومالك تربةٌ فأقول تسقي لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحيّة الرحمن تترى برحماتٍ غوادٍ رائحات (٣)

* * *

(١) الجذع : الأرومة .
(٢) الترات : جمع ترة وهي الثأر .
(٣) تترى : أي متتابعة بعضها بعد بعض .

١٣٢ ـ أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله في خط العذار ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الخفيف]:

لي حبيبٌ يزهى بحسنٍ عجيبِ وبقدٍّ مثل القضيب الرطيبِ
أحرقت بالسواد فضّةَ خديه فقد أحرقت سواد القلوب

وقوله في وصف التمر [من المجتث]:

أما ترى التمر يحكي في الحسن للنظارِ
مخازناً من عقيقٍ قد قمّعت بنضار[1]
كأنّما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشفّ مثل كؤوسٍ مملوءةٍ من عقار[2]

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر]:

فصوص زبرجدٍ في غلف درٍّ بأقماعٍ حكتْ تقليمِ ظفرِ
وقد صاغ الإله ثياباً لها لونان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلوب بكلّ أرضٍ ونقلٍ ما يملّ لشرب خمر[3]

وله في الرمان [من الوافر]:

ورمّان رقيق القشر يحكي ثديَّ الغيد في أثواب لاذِ[4]
إذا قشّرته طلعتْ علينا فصوصٌ من عقيقٍ أو بخاذ[5]

* * *

---

(١) قمّعت : زيّنت ، والقمع ، التصق بأسفل التمرة أو نحوها حول علاقتها .
(٢) يشفّ : يرقّ .
(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر من فستق وغيره.
(٤) اللاذ : الحرير الأحمر .
(٥) البخاذ : فارسية ، وهي من الجواهر التي لونها احمر .

١٣٣ ـ أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب
رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني ابو سليمان المنطقي ببغداد ، قال : انشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغدادٍ وساكنها مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياسُ
هيهات بغدادُ الدنيا بأجمعها عندي . وسكان بغدادٍ همُ الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيشٍ ولكنّني عقدت من خيشيَ طاقَيْنِ(١)
دار إذا ما اشتد حرٌّ بها أنشدت للصوليٌ بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركيَ العيا دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك ـ يا أكرم الناس ـ مدْنفا
طال خوفي عليك فا لحمد لله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر [من المجتث] :

أبا سعيد أصخ لي يا سيدي ونديمي(٢)
منيت أمس بأمرٍ من الأمور عظيمِ
حصلت عند صديقٍ حرٍّ ظريفٍ كريم

---

(١) الخيش : نسيج من الكتّان الرديء .
(٢) أصخ لي : استمع وانتبه .

أسقي على شدو دبسيّة فتنفي همومي[1]
فكنت حين تغنّي لدي جنان النعيم
وإن نظرت إليها ففي العذاب الأليم
وإن شربت بصوتٍ فالراح بالتسنيم[2]
وإن شربت بلحظٍ فالمهل بالزقّوم[3]
فكان سمعي بخير ومقلتي في الجحيم

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلد مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسته وفي مثل حاله . وقد كان حضره قبل ذلك فحجب [من البسيط] :

إنا رأينا حجاباً منك قد عرضا فلا يكن ذلّنا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحي ولا تغضب عليَّ فما أبغي بقولي لا مالاً ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

قال : فاعتذر إليه الكوفي ، وقال له : حسبنا، وقضى حوائجه .

* * *

١٣٤ ـ أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطايبة والمحاكاة ، وكان يخدم

---

(١) الدبسية : المغنيّة .
(٢) التسنيم : أي ترفع كؤوسها .
(٣) الزقوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

مجلس المهلبي الوزير ، ويحكي شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هي ، فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابي قد بلي به حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها تسوء امرأً مثلي بمثل أبي الوردِ
فيا ليتها اختارت نظيراً وأنّها رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد [1]
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ذليلاً ومقتول الضّراغمة الأسد

وفيه يقول السري حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق يسومني لأمثاله ذماً يسيرا ولا حمدا [2]
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه حسبت قفاه روضةً تنبت الوردا

ولأبي الورد شعر لهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحيرٍ في مداراةٍ لا يرى
دائباً يطلب وجهاً حسناً من بيت غيري
قلت نِكْ يا أيرُ من ير تع في خيري وميري [3]
قال : لا أسطيع نيكاً لكسيرٍ وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيليٌّ يؤمّ الخبز أنّي رآه ولو رآه على يفاعٍ [4]
ولا يروي من الأخبار إلاّ أجبت ولو دعيت إلى كراع [5]

---

(1) الشنعاء : القبيحة ، والداهية : المصيبة .
(2) يسومني : يكلفني ، وسامه الخسف : أذله .
(3) المير : الخيرات من طعامٍ وغيره .
(4) الطفيلي : الحشري الذي يحضر المآدب دون دعوة واليفاع : المرتفع من الأرض .
(5) يشير الى الحديث « ولو أني دعيت إلى كراعٍ لأجبت والكراع بضم الكاف : ما دون الكعب من قوادم الدواب .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديقٍ جاءني يسـألني ماذا لديْك
قلت : عندي بحر خمرٍ حوله آجام نيك [1]

وقوله [من الطويل] :

ولي صاحب أفسى البرية كلّها يشكّكني فيه إذا ما تنفسا
تحولّتِ الأنفاس منه إلىَ استْه فما أحدٌ يدري تنفّس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبي المظفّرْ من أن يرى ظفراً فيظفرْ
لكن تطاول ظُفْرُهُ فلذاك قيل أبو المظفر

(١) الآجام : جمع أجمَة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

البـاب السابع
في ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

١٣٥ - ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم . وأفرادهم الـذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار . وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الاحباب ، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها ، وأتحفني به وهو بغبار السفر ، وجعلني فيه ابا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبـوب بدا لعين محبه ، وباكورة الأشعار، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فص مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطـر ، ويجلـو النواظر ويصدق قوله، وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم للّيل عنـدي من نجومٍ جمعْـت النثـر منهـا في نظامي
عتابـاً أو نسيبـاً أو مديحاً لخـلٍّ أو حبيبٍ أو همـامِ

تفيد بهـا العقـول نهـىً وصحواً وقـد فعلـتْ بهـا فعـل المدام
لهـا في حلبـة الآداب ركضٌ إلـى حبّ القلـوب بلا احتشام

وقوله [من البسيط]:

خذها إذا أنشدت [في القوم] من طربٍ صدورها علمتْ فيها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطريها(١)

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

فات عبـد العـزيز سابقـة القو ل وإنّـي لـوصفـه فـي لحاقِ
طلعَـتْ في القلـوب ألفاظـيَ الغـرُّ طلـوعَ النجـوم في الآفاق

وقوله [من المنسرح]:

هذا الـكلام الـذي خصصـت به أخصّ في الخالـدات من أحدِ
قـولٌ هو المـاء لذّ مطعمه فـكل قـولٍ سـواه كالزَّبد

* * *

ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]:

وبـدر تمامٍ بتُّ ألثـم رجـله وأكبـره عـن أن أقبـل خـدَّه
تعشّقـت فيـه كلّ شيءٍ يودّه من الجور حتى كـدت أعشق صدّه(٢)

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز]:

وشـادن روحـي في يديهِ تبيت تهمـي قبلـي عليـهِ(٣)
* يؤثـرن رجليه عـلى خـدّيه *

---

(١) يطريها : يمدحها .
(٢) الصدّ : الهجر والامتناع .
(٣) تهمي : تسقط بغزارة .

والبيت الثاني فيه رائحة من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لمّا علمت ... بأنّ لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورك ما سرّني ... وما كنت يوماً عليه صبورا
لأني أرى كلّ ما ساءني ... إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

وقال من أخرى [من الطويل] :

عجبت له يخفي سراه ، ووجهه ... به تشرق الدنيا وبالشمس بعدهُ[1]
ولا بدّ لي من جهلةٍ في وصاله ... فمن لي بخلٍّ أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضرّ بحسن الشمس والقمر ... فلم يدعْ فيهما للناس من وطرِ[2]
نفسي فداؤك من بدرٍ على غصنٍ ... تكاد تأكله عينايَ بالنظر
إذا تفكّرتُ فيه عند رؤيته ... صدّقت قول الحلوليّين في الصور[3]

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها ... فتعرف أشجاني بها حين تذكرُ
سوى أنها مسكيّة التّرب ريحها ... ترفّ وتندي والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسَه ... أغرّ الثنايا واضح البشر أحور[4]
فوالله ما أدري أكانت مدامة ... من البدر تجني أم من الشمس تعصر ؟

---

(١) سراه : مسيره .
(٢) الوطر : الحاجة والمآرب .
(٣) الحلويّون : أي الذين يقولون بحلول الإله في الناس ، وهم من المتصوّفة .
(٤) الأحور : من الحور ، وهو شدّة سواد العين مع شدّة بياضها .

إذا صبّهـا جنـح الظـلام وعبّها رأيت رداء الليل يطـوي وينشر

ومن أخرى [من الكامل]:

دعهـم وقلبـي لا أريد رجوعه أبـداً فقلبـي كان أصـل فسادي
لو يعلمـون صلاح حـالـي بعدهمْ ما فرقـوا بينـي وبين فؤادي

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنـع سعـدي من مطالبها فلسـت تمنـع سعـدي من تمنّيها
لله نغمـة أوتـارٍ ومسمعـةٌ باتـت تـدل علـى شوقـي أغانيها
وقهـوةٌ كشعـاع الشـمس طالعةٌ أفنيت بالمـزج فيهـا ريق ساقيها
يا لذّةً بيمين الـدهـر أدفعها في صدره وهـو من أحشـاي يدنيها
لو كان يعلـم أنّـي عنـك أخدعه ثنـى أناملـه لـي حين أثنيها

* * *

الشكوى وذم الـزمان

قال [من البسيط]:

في كلّ يومٍ لنـا في الدهـر معركةٌ هام الحـوادث في أرجائهـا فلقُ[١]
حظـيّ من العيش أكلٌ كلّـه غصصٌ مرّ المـذاق وشربٌ كلّـه شرق[٢]

وقال [من الطويل]:

وكم من خليلٍ قد تمنّيت قربه فجـرّبته حتـى تمنّيت بعـدَهُ
ومـا للفتـى في حادث الدهـر حيلةٌ إذا نحسـه في الأمـر قابـل سعده

---

(١) الفلق : الشجّ .
(٢) والشرق : مشرق بالماء : أي غصّ به .

أرى همم المرء اكتئاباً وحسرةً عليه إذا لم يسعد الله جدّه[1]

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل]:

وأتعب خلق الله من زاد همّه وقصّر عما تشتهي النفس وجده

وقال من قصيدة [من الكامل]:

ما بال طعم العيش عند معاشرٍ حلوٌ، وعند معاشرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الأغبياء فإنّه لا عيش إلاّ عيش من لم يعلم

هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل]:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل]:

يأبى مقامي في مكان واحدٍ دهرٌ بتفريق الأحبّة مولعُ
كفكفْ قسيّك يا فراق فإنّه لم يبق في قلبي لسهمك موضع

كأنه من قول المتنبي [من الوافر]:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرت إذا أصابتني سهامٌ تكسّرت النّصال على النصال

وقال [من الوافر]:

برمت من الحياة، وأيّ عيشٍ يكون لمن مطاعمه الخبالُ؟[2]
ولو أنّي أعدّ ذنوب دهري لضاع القطر فيها والرمال[3]

---

(١) الجدّ: الحظّ.
(٢) برمت: مللت، والخبال: الفساد،.
(٣) القطر: يعني قطرات المطر.

وقال [من الوافر]:

سقامٌ ما يصاب له طبيبٌ وأيامٌ محاسنها عيوبُ
ودهرٌ ليس يقبل من أديبٍ كما لا يقبل التأديب ذيب
يحب على المصائب والرزايا فلا كان المحبّ ولا الحبيب

وقال [من الوافر]:

متى أرجو مسالمة الهموم وآمل صحة الجسم السقيمِ ؟
وكرّ الحادثات عليَّ تجني جنايات القروف على الكلوم(١)

وقال [من الطويل]:

طلاب المعالي للمنون صديق وطول الأماني للنفوس عشيقُ
تسربلْ ثياب الموت أو حلّل الغنى تعشْ ماجداً أو تعتلقْك علوق
وما الفقر إلاّ للمذلة صاحبٌ وما الناس إلاّ للغنيِّ صديق
وأصغر عيبٍ في زمانك أنّه به العلم جهلٌ والعفاف فسوق
وكيف يسرّ الحر فيه بمطلبٍ وما فيه شيءٌ بالسرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً فماذا إلى طول الحياة تتوق
ألا إنّ خوف الموت مرٌّ كطعمه وخوف الفتى سيفٌ عليه ذلوق(٢)
وإنك لو تستشعر العيش في الردى تحلّيت طعم الموت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل]:

كيف السبيل إلى الغنى والبخل عند الناس فطنَهْ
خذ من زمانك كلّ شيءٍ لا يجرّ عليك منّه

---

(١) الكلوم : الجراح .
(٢) الذلوق : القاطع .

ونبتْ بنا أرض العرا ق فما محنّاها بمحنه
غير الرحيل، كفى البلا د بنقلة الفضلاء هجنه!

وقال رحمه الله [من الوافر]:

وتأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصباحِ
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ يحسّ فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيه كالتواني وحرمان العطيّة كالنجاح[1]
ومن لبس التراب كمن علاه فلا تخضعْك أنفاس الرياح
وكيف يكدّ مهجته حريصٌ يرى الأرزاق في ضرب القداح[2]

وقال سامحه الله [من البسيط]:

أراحني الله من قلبٍ منيت به يهوى القعود ويهوى أشرف الرتبِ
أطلبْ لصدرك همّاً بالمنى كلفاً وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
والمجد يطلب بالآفات طالبه لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
ما للزمان سوى أولاده درنٌ إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي[3]

* * *

الفخر والحماسة

قال [من الطويل]:

خليليَّ قد لجّ الزمان ولجّ بي مرادٌ، وأحداث الزمان تعوقُ
وأيّ فتىً غنّيتما وسقيتما فتىً فيه نفث السحر ليس يحيق[4]

(١) التشمير: الجدّ والعمل.
(٢) يكدّ: يتعب.
(٣) الدّرن: الوسخ، أو الإبلاء والافناء.
(٤) يحيق: يؤثّر.

فتــى تطــرب الألحــان من شرفٍ به　　ويســكر منــه الخمــر وهــو مفيق

كأنه نسجه على منوال قول القائل [من المنسرح]:

ريحــان ريحانــه إذا ورد الــــــروض ، ومنــه تــأدّب الأدبُ
تشربــه الــكأس ليس يشربها　　يطرب مـن حســن وجهــه الطرب

وبعد قوله «فتى تطرب الألحان » قوله :

ولـو شئـت علّمـت المــكارم شيمتي　　ولكنّنـي بـالمـكرمـات رفيــقٌ
أخــاف عليهــا أن تجــود بنفسها　　إذا ما أتاهــا فـي الزمــان مضيق

وقال أيضاً [من الوافر]:

ومغــرورٍ يحـاول نيـل عـرضي　　فقلــت لـه : الـكواكـب لا تنـالُ
يعـاين فـي المـكارم فيض كـفّي　　ويـزعــم أنــه ذهــب النــوال
ويعجــب أن حويْت الفضــل طفلاً　　ألا لله ثـم لــــيَ الـــكمال
أحمّــل ضعف جسمــي ثقـل نفسي　　ونفســي ليـس تحملهــا الجبــال
وأسمــع كلّ قــولٍ غير قــولي　　فأَعْــلــمُ أنّـه خطـل محـال(١)

وقال من قصيدة [من الطويل]:

رضينا ومـا ترضـى السيوف القواضب　　نجاذبهــا عـن هـامــكم وتجـاذبُ(٢)
فإيّاكم أن تكشفــوا عن رؤوسكم　　ألا إنّ مغنـاطيسهــنّ الــذوائب
أقــول لسعــدٍ والـركاب منــاخةٌ　　أأنــت لأســبــاب المنيّة هـائب
وهــل خلــق الله الســرور فقــال لا　　فقلـت أثِرهْـا أنــت لي اليوم صاحب
وخــلّ فضــول الــطيلسـان فإنّمـا　　لبـاســك هـذا للعـلا لا ينـاسب

(١) الخطل : الفساد في الرأي .
(٢) القواضب : القواطع .

عمائـم طلاّب المعـالـي صوارمٌ وأثـواب طـلاب المعـالـي ثعالب
ولـي عنـد أعنـاق الملـوك مـآربٌ تقـوِّرُ سيوفـي هـنّ لـي والـكواثب[1]
خلقنـا باطـرافِ القنـا لظهورهم عيونـاً لهـا وقـع السيوف حـواجب
أؤمّـل مـأمـولاً يغيـر صـدورهـا فواخجلتـا إنّـي إلـى المجـد تائب

وله من قصيدة في صباه [من البسيط] :

تضاءل الـدهـرُ حتى ضاع في هممي واستفحل المجدُ حتى صار من شيمي
فلـو يكون سواد الشعـر في ذممي ما كان للشيب سلطـانٌ علـى اللّمم[2]
فالعيش من نِعَمي والمـوت من نقمي وحكمـة الفَلَك الـدوّار من حكمي
والحزم والعـزم في الأقـوام من خلقي كما الفصاحـة فـي الأقـوال من كلمي
لو يعلـم النـاس قدري في زمانهمُ صلّـوا لوجهـيَ واشتاقـوا ثرى قدمي
ما زلـت اعـطف أيامـي وتمنحني نيلاً أدقّ من المعـدوم في العدم
حتى تخـوفَ صرف الدهـر بادرتي فرد كفّـي وأومـا أن يسـدّ فمي[3]
أذمّ كلّ خليلٍ بات يحمدني أنـا الـذي ما لَهُ خلٌّ سوى الندم
وليس سؤلـي يا قلبـي سوى رهجٍ تجـوده من دم الفرسـان بالدِّيَم[4]

وقال [من الطويل] :

وعنّفنـي في موكب المـوت معشرٌ وقالوا أيهوى الجدب من هو في الخصبِ
وإنـي لأدري أنّ في العجـز راحةً وأعلـم أن السهـل أوطـا من الصعب
ولـو طلـب النـاس المـكارم كلّهم لكان الغنـى كالفقـر والعبـد كالرّب

(١) الكواثب : الجموع ، والكثيب ، التلّ من الرمل .
(٢) اللمم : جمع لمّة أي شعر الرأس .
(٣) أوما : أصله أومأ بالهمز فسهل الهمزة بقلبها ألفا وهي بمعنى أشار .
(٤) الرّهج : الغبار .

ولكن أشخاص المعالي خفيّةٌ على كل عينٍ ليس تنظر باللّب
لقد زادني حرب الزمان تجارباً فلا عشت في يومٍ يمرّ بلا حرب
ومن يك يعتاد الكروب فؤاده فإنك يا قلبي خلقت من الكرب

وقال [من الكامل]:

وأنا البصير بكل علم غامضٍ وإذا رأيت مذلّة فأنا العمي
والذلّ أثقل من جبال تهامةٍ عندي وأعذب منه سمّ الأرقمِ (١)

وقال [من المتقارب]:

إذا استروح الغمر من همّه هربْت إلى الهمّ مستروحا
وإني على شغفي بالمديح لست أسرّ بأن أمدحا
وما ينقم الدهر شيئاً علي سوى أنفي منه أن أفرحا

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وإنّي لأغضي الطرف عن كلّ منظرٍ يصبّ إليه النّاسك المتماسكُ (٣)
وما ذاك من جهلٍ به ، غير أنني عيوفٌ لأخلاق الأراذل تارك(٤)

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وآخذ عفو العيش لا أستكدّه لحى الله غنماً يستفاد مع الغرمِ (٥)
فإن كنت أرضى بالبشاشة منكمُ ويستر عدْمي شيمتي وتكرّمي
فربّ جوادٍ قيّد الفقر جوده ومبتسمٍ تعبيسه في التبسّم

---

(١) الأرقم : الأفعى السّامة .
(٢) الغمر : الجاهل .
(٣) أغضي : أطرق حياءً وأغضُّ .
(٤) العيوف : التارك .
(٥) لحى : لعن ، والغنم : من الغنيمة ، والغرم : الذنب والإثم .

وله من أخرى [من الطويل]:

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم إذا كانت الأعراض غير حسانِ
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كلّ مصقول الحديد يماني[1]

وله من أخرى [من البسيط]:

حتى م نقدم والأيام تغلبنا وغيرنا يغلب الأيام بالفشلِ
يا أهل بابلَ عزمي قبله فكري في النائبات وسيفي بعده عذلي
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها لكم وصال الغواني والصبابة لي
قالوا حنيفة شجعانٌ فقلت لهم كلّ الشجاعة والإقدام في الدول
ما لي أغير على دهري فأسلبه ويحجمون وفي أيديهم نفلي[2]
إن لم تسلني المواضي عن جماجمهم إذا تطايرن فالتقصير من قبلي

* * *

غرر في المدح وما يتصل به

قال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط]:

يا أيّها الدهر إنّ العيّ كالخطل ما دهرنا غير سيف الدولة البطلِ
نواله جعل الأرزاق من قبلي وعزّه صيّر الأيام من خولي[3]
وما تمهّل يوماً في ندىً وردىً إلاّ قضيت للمح البرق بالكسل

ومنها في ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً فصرت تأسرهم بالخوف والوهلِ[4]

---

(١) يماني : السيف المنسوب إلى اليمن.
(٢) النفل : العطايا .
(٣) الخول : العبيد .
(٤) الوهل : الخوف والرعب .

من يزرع الضرب يحصدْ طاعة عجباً ... ومن يربّي العلا يأمن من الثكل[1]
كانت سحابك فيهم كلُّ بارقةٍ ... حمراء تهطل بالأيدي على القلل[2]
فاليوم سحبك فيهم كلّ بارقةٍ ... غرّاء تهطل بالأموال والحلل
حتى تمنّى مليك الروم حظّهمُ ... وأنّه معهم في الأسر لم يزل

كأنه أخذه من قول ابي دهبل الجمحي في قوله [من المنسرح]:

ما زلت في العفو للذنوب وإطـــلاق ... لعانٍ بجرمه غلقِ
حتى تمنّى البراء أنهم ... عندك أمسوا في القدّ والحلق[3]

ومنها في شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودّكمُ ... وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها ... وكدت من ضجرٍ أثني على البخل
إن كنت ترغب في بذل النوال لنا ... فاخلق لنا رغبةً ، أولاً فلا تنل
لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله ... تركْتني أصحب الدنياَ بلا أمل

وله إيضاً فيه [من الطويل]:

سيوفك أمضى في النفوس من الرّدى ... وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
فتىً يتحامى لذّة النوم جفنه ... كأنّ لذيذ النوم في جفنه قذي[4]
أطرفك شاكٍ أم سهادك عاشقٌ ... يغار على عينيْك من سنّة الكرى
ومن سهرت في المكرمات جفونه ... رعى طرفه في جوّها أنجمَ العلا
فليس ينام القلب والجفن ساهرٌ ... ولا تغمد العينان والقلب منتضي[5]

---

(١) الثكل : الفقد .
(٢) القلل : يعني الرؤوس .
(٣) القدّ والحلق : أي في القيود والزرد ، يعني الأسر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من أذىً .
(٥) منتضى : انتضى سيفه : شهره وسلّه .

ومن قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه ... إنّ العيون لها من الأمدادِ[1]
وتعوّذوا بالله من أقلامه ... إن السيوف لها من الحسّاد

ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيّرتُ المنى لمنحته ... كمال عليٍّ أو سلوت عن الحبِ
ترى الشمس أمّاً والكواكب إخوةً ... وتنظر من بدر السماء إلى تربِ[2]
غنيت عن الآمال حين رأيته ... فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفّه ... وهل تطلب الأمطار إلاّ من السّحْب

ومن أخرى [من الوافر] :

فدتك بدائع الألفاظ طرّاً ... وأبكار القوافي والمعاني[3]
نزلت من المكارم والمعالي ... بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي ... مواصلة بأيّام التهاني

وله من أخرى في المهلبي الوزير [من الطويل] :

وتطرق أقفال الغيوب بصارمٍ ... من الرأي يخشى الغيب منه ويرهبُ
وتطعن في صدر الكتائب معْلماً ... كأنك في صدر الدواوين تكتب[4]
ولست أرى كسب الدراهم نافعي ... إذا لم يكن لي في المكارم مكسب
ولي همّةٌ لا تطلب المال للغنى ... ولكنها منك المودة تطلب

---

(١) الأمداد : الأعوان .
(٢) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد .
(٣) طرّاً : قاطبة .
(٤) المعْلَمْ : المكان الذي له خبرةً في طعنه .

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شراباً [من الخفيف]:

أيّ يومٍ من صاعدٍ لم أرح فيـــه بخيلٍ كثيرة الأسلابِ
من نوالٍ يسري بغير سؤالٍ وعطاء يهمى بغير طلاب
جئته زائراً وقد ركب الأفلاك والنجم تحته في التراب
بمعانٍ سرقْتها من علاه فكأنّي قرأتها من كتاب
وأشارت ألحاظه بدنوّي فكأنّي سمعت فصل الخطاب[1]
ثم قبّلت ظاهر الكفّ منه فكأنّي قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ه وأفهامنا مع الألباب
إن هذي الهموم تقدح فينا قدح كفيك في السِّلام الصلاب[2]
فاسْقنا صيِّبَ المدام سقاك الله صوب الآمال والآراب
خندريساً كأنّها تتقي المز ج بدرعٍ مسرودةٍ من حباب[3]
خجلتْ من جلالكم فأتتنا في رداءٍ مؤزّرٍ ونقاب
تهب المال للفقير وتغزو شربها في عساكر الأطراب
سرقت حسن خلقها من سجايا ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنها في السحاب وبْل وفي الريح نسيمٌ ونشوةٌ في الشراب[4]
خلق الله صاعداً يوم خلق النـــاس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهي في عيـــنيه أدنى من ودّها الكذاب
قد ظلمناه في السؤال لأنّا ما سألناه ردّ شرخ الشباب[5]

---

(١) فصل الخطاب : الكلام الذي لا اعتراض عليه ولا جواب .
(٢) السِّلام : بكسر السين : الحجارة .
(٣) الخندريس : يعني الخمر ، والمسرودة : المصنوعة والحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .
(٤) الوبل : المطر .
(٥) شرخ الشباب : ما تقضّى منه .

وقال من قصيدة لعضد الدولة [من المنسرح]:

يا عضد الدولة الذي قمعت دولته الدهر وهو جبّار
أنت نهارٌ والعالمون دجىً وأنت طرفٌ والناس أعيار[1]
ليس لنا في المديح محمدةٌ فعلك غيث والقول نوار

وله من أخرى فيه [من المتقارب]:

سلمت على عثرات الزما ن يا عضد الدولة المنتخبْ
ولا زلت ترفع من دولةٍ تواضعْتَ فيها بهذا اللقبْ
قسمْت زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين الدأب[2]
فيوماً تمير عفاة النسور ويوماً تمير عفاة الأدب[3]

وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار السذق [من الطويل]:

لعمري لقد أذكى الهمام بأرضه مشهّرةً ينتابها الفجر صاليا[4]
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كلّ شتوةٍ تغادر جيد الدهر أتلع حاليا[5]

وقال وقد كثر الإرجاف بعلة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط]:

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألفي بمرتاعِ
تجلّد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رمقٌ وحين يؤيس منك المؤيس الناعي[6]

(١) الطرف : بكسرٍ فسكون ـ الفرس ، والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .
(٢) الدأب : العمل والمثابرة .
(٣) تمير : من المير ، وهو الطعام وغيره .
(٤) أذكى : أوقد .
(٥) الجيد : العنق ، والأتلع : المنتصب .
(٦) الرمق : بقية الروح .

وأسـأل الـركب هـل أحسستُم فزعاً لو كان ميتـاً لضاعـت ثلّـة الراعي
أرضـى وأقنـع بالأطمـاع كـاذبـةً فمـا يضـرّك لـو أبقيت أطماعي
قـد كاد يعـرف وجـه الـذلّ في نظري ويظهر العجـز والتقصير فـي بـاعي [1]

* * *

غــرر الأوصاف

قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حمله عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل]:

يا أيهـا الملك الـذي أخـلاقه مـن خلقـه، ورواؤه مــن رائـه
قـد جاءنـي الـطرف الـذي أهـديته هـاديه يعقـد أرضـه بسمائه
أولايـةً ولّيتنا فبعثتـه رمحـاً سبيب العـرف عقـد لـوائه [2]
يختـال منه على أغـرَّ محجّلٍ مـاء الدياج قـطرةً مـن مـائه
وكأنّمـا لطـم الصبـاح جبينـه فـاقتصّ منه فخـاض فـي أحشـائه
متمهلاً والبـرق مـن أسمـائـه متبـرقعـاً والبـدر مـن أكفـائه
مـا كـانـت النيران يـكمـن حـرّهـا لـو كان للنيران بعض ذكـائه
لا تعـلـق الألحـاظ فـي أعطـافه إلاّ إذا كفكفـت مـن غـلوائه [3]
لا يكمـل الـطرف المحـاسـن كـلها حتـى يـكون الـطرف مـن أسـرائـه

وقال أيضاً في وصف هذا الفرس [من الوافر]:

وأدهــمَ يستـمـدّ الليـل منـه وتطـلـع بين عينيـه الثـريّـا [4]
سرى خلف الصبـاح يطير مشياً ويطـوي خلفـه الأفـلاك طيّـا

(١) باعي : يعني الباع في الإنسان : الذراع والعضد .
(٢) السّبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية .
(٣) غلوائه : يقصد شدّة سرعته .
(٤) الأدهم : الأسود .

فلما خاف وشك الفوت منه ... تشبّث بالقوائم والمحيّا

وله في وصف سكين [من السريع]:

مرهفةٌ تعجز وصف اللسان ... للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حدّه تارةً ... وتارةً تخلف حدّ السنان
ما أبصر الراءون من قبلها ... ماءً وناراً جمعا في مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال في ذم العراق [من الوافر]:

بلادٌ أنفس الاحرار فيها ... كضبٍّ القاع تروى بالنسيمِ
يجوز بها وينفق كلّ شيءٍ ... سوى الآداب طرًّا والعلوم

وقال يصف كماة الحرب [من الوافر]:

نسوا أحلامهم تحت العوالي ... ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهمُ دروعا ... فما معنى السوابغ في العياب (١)

وقال يصف طيب الهواء [من الوافر]:

ألا يا حبذا طيب الغبوق ... وملبوسٌ من العيش الرقيقِ (٢)
إذا ما الصبح أسفر نبّهتْني ... جنوبٌ مسّها مسّ الشفيق (٣)

---

(١) السوابغ : الدروع .
(٢) الغبوق : الخمر يشرب مساءً .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ من الجنوب .

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط]:

والـريح تجـذب أطـراف الـرداء كمـا   أفضــى الشــقيق إلــى تنبيه وسنانِ

(رجع):

وفتيانٍ   تهمّهـمُ   هـمومٌ   حديثهــمُ ألـذُّ من الـرحيقِ[1]

وقال [من الطويل]:

وكنــت إذا ما حاجــة حال دونها   نهــارٌ وليــلٌ ليس يعتذرانِ
حملـت علـى حكم القضــاء مـلامها   ولــم ألــزم الإخـوان ذنــب زمـاني

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل]:

وأفلـت نفقــور يـرقّـع جــلده   وفيه لآثـار الســلاح خـروقُ[2]
يجـرّ العـوالــي والســهام بجسمـه   كمحتـطـبٍ للحمــل ليـس يطيق

سرقه من قول عنترة [من المتقارب]:

وغــادرن نضلــة فـي معـركٍ   يجـرّ الأســنـة كالمحتطبْ

وقال [من الطويل]:

ألا فاخْشَ ما يرجــى وجـدّك هابطٌ   ولا تخش مـا يخشــى وجـدّك رافعُ
فلا نافــعٌ إلاّ مع النحس ضائرٌ   ولا ضائــرٌ إلا مـع السعــد نـافـع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلبي [من الكامل]:

وإذا جدْتَ فـكل شيءٍ نافعٍ   وإذا حــدت فـكل شيء ضــائرُ

---

(١) الرحيق : الخمر .
(٢) نقفور : اسم امير من أمراء الروم .

وقال [من البسيط] :

سعى رجال فنالوا قدر سعيهمِ لم يأت رزقٌ بلا سعيٍ ولا طلبِ
حسن التأتي مفاتيح الغنى ، وعلى قدر المطالب تلفى شدة التعب

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة [من المنسرح] :

أحْسد قوماً عليك قد غلبوا وكلٌّ من بادرَ المنى غلبا
وكنت كالكرْم في تكرّمه تلتفّ أوراقه بما قربا

وقال [من الوافر] :

وإني لا أزال ألوم نفسي على طول التجنّب والبعادِ
وما أعتاض بالأقوام منكمْ وهل يعتاض صدرٌ من فؤاد ؟[1]

وقال [من الوافر] :

وما استبطأت كفّك في نوالٍ على عُدواء نأي واقترابِ[2]
ولو كان الحجاب لغير نفعٍ لما احتاج الفؤاد إلى حجاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب، وأحسبه بعد قول أبي تمام [من البسيط] :

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً إنّ السّماء لترجي حين تحتجبُ

وقال [من الكامل] :

مثل خلعت على الزمان رواءه عوز الدراهم آفة الأجوادِ

وقال [من الكامل] :

من لم يذق غصص التفرّق لم يمتْ الموت رمحٌ والفراق سنانُهُ

---

(١) اعتاض : اكتفى واستبدل .

(٢) العدواء : المركب الذي لا يطمئن من قعد عليه ، أو الأرض الصلبة غير المطمئنة ، والنأي : البعد .

وقال [من الكامل] :

يهوي الثناء مبرّزٌ ومقصّرٌ حبّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

نعلّلُ بالدواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواءُ ؟
ونختار الطبيب وهل طبيبٌ يؤخّر ما يقدمه القضاء ؟
وما أنفاسنا إلاّ حسابٌ وما حركاتنا إلاّ فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبي الفوارس [من المتقارب] :

أسرّ إليك مقال النصيح ولست إلى النصح بالمفتقرْ
عليك إذا ضاغنتك الرجال بضرب الرؤوس وطعن الثّغر[1]
ولا تحقرنَّ عدواً رماك وإن كان في ساعديه قِصَرْ
فإن الحسام يحزّ الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع في الرَّوعْ كيد الجبان كما لا يضرّ الشجاعَ الحذر
شبِ الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر[2]

* * *

١٣٦ ـ أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق ، قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق. وعلى ما أجريته من ذكره، شاهد عدل من شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القلوب، ومنى النفوس .

(١) ضاغنتك : من الضغينة أي إضمار الحقد والبغض .
(٢) شب : فعل أمر من شاب أي مزج .

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد ، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب، وأمه شاعرة، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله [من المنسرح]:

بدائع الحسن فيه مفترقة ... وأعين الناس فيه متفقَهْ
سهام ألحاظه مفوّقةٌ ... فكلٌّ من رام لحظه رشقه (١)
قد كتب الحسن فوق عارضه ... هذا مليح وحقٍّ من خلقه

وركب في صباه سمارية ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال [من الوافر]:

وميدانٍ تجول به خيولٍ ... تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طِرفاً ... له جسمٌ وليس له فؤاد (٢)
جرى فظننت أنّ الأرض وجهٌ ... ودجلة ناظرٌ وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح]:

رأيته والمرآة في يده ... كأنها شمسةٌ على ملكِ
فقلت للصورة التي احتجبتْ ... من غير زهدٍ فينا ولا نُسْك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا ... تخبرنا عنك غير مؤتفك (٣)
قال أنا البدر زرت بدركم ... وهذه قطعة من الفلك
قلت فإني أرى بها صدأً ... فقال هذا بقية الحَبَك (٤)

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبي حين راهق ، فوجد بها

---

(١) المفوّقة : يقال فوّق السّهم : أي أراشه وأمدّه .
(٢) الطرف : الجيد من الخيل .
(٣) المؤتفك : من الإفك ، وهو رمي الإنسان بحديث كذب.
(٤) الحبك : الحياكة والنسج، وحبك الشيء بالشيء : جمعه .

أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج الببغاء ، وأبا الحسين التلعفري ، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدي : أنا أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها ، وحصل السلامي معهم ، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته ، والتفتيش على قدر بضاعته ، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد، وقال : يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً [من مجزوء الكامل]:

لله در الخالديِّ ... الأوحدِ النَّدب الخطيرِ
أهدى لماء المزن عند ... جموده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتا ... ب إليه عن حَنَق الصّدور
بعثتْ إليه بعذرهِ ... من خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنّه ... أهدى الخدود إلى الثغور

فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه . وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحذق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل]:

يا شاعراً بسقوطِهِ لم يشعر ... ما كنت أول طامعٍ لم يظفرِ
لو كنت تعرف والداً تسمو به ... لم تنتسب ضعةً إلى تلعفّر
تاهَ ابن بائعةِ الفسوق على الورى ... بقذال صفعانٍ ونكهة أبخر[1]
وبلادةٍ في الشعر تشهد أنّه ... تيسٌ ولو نصرت بطبع البحتري
يحلو بأفواه الأنامل صفعُه ... حتى كأنّ قذاله من سكرّ

وقال فيه أيضاً [من الوافر]:

سما التلعفّريُّ الى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصالهِ

---

(١) القذال : القفا ، والأبخر : من رائحة فمه كريه .

ينافي خلقه خلقي فتأبى فعالي أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني وصنعته الخسيسة في قذاله
فان أشعرْ فما هو من رجالي وإن يصفعْ فما أنا من رجاله

ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال : صفها، فارتجل [من الكامل] :

يا ربّ سابغةٍ حبتني نعمةً كافأتها بالسوء غير مفنّدِ[1]
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبذلها لكلّ مهنّد

وورد حضرة الصاحب بأصبهان واستمطر منه بنوء غزير، وسرى في ضوء قمر منير، ولقيه بقصيدة منها [من الوافر] :

رُقى العذّال أم خدعُ الرقيبِ سقتْ وردَ الخدود من القلوب
وآباهُ الصبابة أم بنوها يروضون الشبيبة للمشيب[2]
وقفنا موقف التوديع نوطي نجوم الدمع آفاق الغروب
تعجب من عناقٍ جرّ دمعاً وتقبيلٍ يشيّعُ بالنحيب
وقد ضاق العناق فلو فطنّا دخلنا في المخانق والجيوب[3]
ونحن أولاك نطلب من بعيدٍ لعزتنا وندرك من قريب
تبسّطنْا على الآثام لمّا رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولعله امير شعره .

ولولا الصاحبُ اخترع القوافي لما سهل الخلاصُ من النسيب
ومن يثني الى ليثٍ هصورٍ لواحظه عن الرشاء الربيب[4]

---

(١) مفنّد: من التفنيد وهو الكذب .
(٢) يروضون : راض الشيء : ساسه وكبح جماحه .
(٣) المخانق : القلادة والعقد .
(٤) الليث الهصور : الأسد المفترس ، والرشأ : ولد الغزال .

وكيف يمسّ حد السيف طوعاً قريب الكفّ من غصن رطيب
وشبّهنا فكنت أبا نواسٍ ولكن جلّ عن قدر الخصيب
ومن يك مثل عبّادٍ أبوه يعشْ بين الأنام بلا ضريب
أحرْز الخائف الجاني، وكنز المقلّ المعتفى ، وأخا الغريب[1]
أما لك غير بأسك من عتادٍ ولا غير العظائم من ركوب
تروُض مصاعب الأيام قهراً وتحملها على عودٍ صليب
وتبذل دون تاج الملك نفساً متيّمة بتنفيس الكروب
وجرّبت الملوك فما أصابت لداءِ الملك غيرك من طبيب
فمن غصب الإمارة إذ حواها فما تحوي الوزارة بالغصوب
توارثها الكفاة وتقتضيها مناسب معرقٍ فيها نسيب[2]
تمائمكم مناطقكم إذا ما جفت بحضور شبّان وشيب
دعيتم في المهود بها وعدّت لكم قبل التصدّر والركوب
ولو صدَقَتْك جنّ الليل عنّي شغفت بفن إنسيٍّ عجيب
مع القرنين من قلمٍ وطرسٍ أو العبدين من طاسٍ وكوب[3]
أشقّ الفكر عن لفظٍ بديعٍ فيقْدم بي على معنىً غريب

ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها [من الكامل] :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا هذي الزيارة لا تعدّ نوالا
زار الخيال فلا تزرني في الكرى حاشا لحسنك أن يكون خيالا
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى حتى رأيتك في اللثام هلالا
وهواك علّمني القريض فزاد في حبّيك أني منه أكسب مالا

---

(١) الحرز : الأمان والملجأ ، والمعتفى : الفقير .
(٢) المعرق : الأصيل في النسب .
(٣) الطرس : الكتاب ، والصحيفة .

هو منهضي نحو الأمير وهمةٌ حملت إليه صلاته آمالا[1]
ووتيرة الشعراء في مدحٍ وفي منحٍ فتجمع مفخراً ونوالا
ضربوا لك الأمثال في أشعارهم لكنني بك أضرب الأمثال

ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة ، منها [من الرجز]:

يا راقداً لولا الخيال ما رقدْ هل لك في عارية لا تستردْ[2]
موشيٌّ أثواب الجمال بالغيدْ وفّر حظ جيده من الجيَد
لو لم يفض ماء الشباب لاتّقد قد استدار صدغه حتى انعقد
وصين ورد خده عمن ورد إن أبا القاسم كالسيف الفرنَدْ[3]
ذو بدَهات لم تخلّد في خلد أغرّ ميمون به الملك اعتضد
فما تحل الوزراء ما عقد بجهدهم ما قاله وما اجتهد
شتان ما بين الأسود والنقد هل يستوى البحر الخضم والثمد[4]
أمنيتي من كلّ خيرٍ مستعد أن يسلم الصاحب لي طول الأبد
حتى يقال لم يطل عمر لبد فما أبو ألفٍ رئيس معتمد[5]
كلّ غلام منهمُ رب بلد يا سعده من والد بما ولد
وشْم بروق سيفه إذا وقد وانساب ماء المزن فيه واطّرد
كالروح لا تكمن إلا في جسد يحمله عبل الشوى عبل الكبد[6]
ينجده وهو عريقٌ في النجد وإن جرى كانت له الريح مدد

(١) الصلات : العطايا .
(٢) العارية : الأمانة والقرض .
(٣) الفرند : السيف بالفارسية .
(٤) الثمد : القليل من الماء .
(٥) لبد : من كنى النسر ، وهو يعمر طويلاً .
(٦) العبل : الضخم ، والشوء .

خاض الدماء وتحلى بالزبد كأنّه إنسان عينٍ في رمد[1]
يا مجريَ الفكر إلى أقصى أمد اسمع فقد انجز حرٌّ ما وعد
عذارء لم يقرع بها سمع أحد لو عرضت على أبي النجم سجد
وخلّ من عاندني وما اعتقد فليس للحاسد إلاّ ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذي الكفايتين ابي الفتح بن العميد وهو بالري قصيدة منها [من الكامل]:

عَبَرَ الجواد بي الفراتَ ودجلةً وأتي نداك فليس يعرف معبرا
فالآن يرجع يا عليُّ القهقرى لم يستطع متقدّماً فتأخّرا
وأعيذها من أن يعارض مثلها بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا
قالت وقد بعث الملوك بمهرها مهري سواك فكن لغيري جوهرا
ما ضرّها إلاّ تواطؤ طيءٍ فيها على نحت المعاني بحترا[2]
جُمَلٌ غدا عنها جميلٌ مفحماً وكثرن في تفصيلهن كُثيِّرا[3]

وكان بحضرة الصاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامي على منزلته ، فيتعرض له ويولع به. حتى ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف]:

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبرد من تطرق الهموم فؤادَهْ
لي شعر كالماء قلت أصاب الشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السعاده
وطبيبٌ مجرّبٌ ماله بالنجح في كلّ ما يجرب عاده

(١) إنسان العين : ناظرها .
(٢) بحترا : يعني البحتري الشاعر العباسي المشهور.
(٣) جميل : يعني جميل بثينة ، وكثيِّر : يعني كثيِّر عزّة ،وهما من شعراء الغزل والنسيب في العصر الأموي .

مرّ يوماً إلى عليلٍ فقلنا قرّ عيناً فقد رزقت الشهاده[1]

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستفيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فجهزه الصاحب إليها، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته:

قد علم مولاي أطال الله بقاه أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من صوغ طبعه، وحلله التي يؤديها من نسج فكره. أقل من ذلك. وممن خبرته بالامتحان فأحمدته، وقررته بالاختيار فاخترته. ابو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيده الله تعالى، وله بديهة قوية توفي على الروية، ومذهب في الإجادة يهش السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه، وقد امتطى أمله، وخيرله إلى الحضرة الجليلة رجاءأن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهزت منه أمير الشعر في موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده الى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى.

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التي منها [من الطويل]:

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشباهٍ كما اجتمع النسر
فبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول. واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه. وظعنه الى العراق، وتوفر حظه من صلاته وخلعه، واللهى تفتح اللهى، وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها، وكان عضد الدولة يقول: إذا

(١) قرّ عيناً: هدأ وسكن.

رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك الي ، ووقف بين يدي. ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي، ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى انتقل الى جوار ربه ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغزل

قال [من الوافر]:

مُنيتُ بمن إذا مُنِّيت أفضت ... مناي إلى بنفسج عارضيْهِ
وفاضت رحمةً لي حين ولّى ... مدامعُ كاتبيّ وكاتبيْه

وقال أيضاً [من المتقارب]:

ومختصر الخصر من بعده ... هربت فألقيت في صدِّهِ
وقابلني وجهه مقبلاً ... بحدّ الحسام وإفرنْده
فما زلت أعصر من خدّه ... وأقطف من مجتنى ورده
أشمّ بنفسج أصداغه ... وزهراً تعصْفر في خدّه
وأظما فأرشف من ريقه ... فيا حرَّ صدريَ من برده
وما للحاظٍ سوى وجهه ... وما للعناق سوى قدّه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى [من الطويل]:

وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا ... تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائلِ
أدارت علينا من سلافٍ حديثها ... كؤوساً وغنَّتنا بصوت الخلاخل

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام بدوي كان معه [من المتقارب]:

تعلّقته بدوي اللسا ... ن والوجه والزي ثبت الجنانِ(١)

(١) ثبت الجنان : ثبت العقل وراجحه .

أعانق من قده صعدةً ترى اللحظ منها مكان السنان[1]
أدار اللثام على ثغره فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
ومِسْك ذوائبه سائلٌ على آس ديباجه الخسرواني[2]
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب إذا هاجنا طرب الغطْرفان[3]
أحييه بالورد والياسمين فيصبو إلى الشيّح والأيهقان[4]
ويشتاق فينا عواء الذئاب إذا هاجنا طرب العترفان[5]
فيا بدويٌّ سهامُ الجفون صر عن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعيَ الذّمام فقل أنت من ذمتي في أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار [من المنسرح]:

يا مرهفاً في لحاظة مرهفٌ ومخطف القدّ سهمه مخطفْ
من أودع الورد وجنتيك ومن نقّش طرز العذار أو غلّفْ
وما لهذا الصدغ المشوش قد عارض طرق التقبيل واستهدفْ
أطلع أفق العجاج لي قمراً بين نجومٍ تجول أو تزحف[6]
يقطر ماء الجمال منه وير تجّ إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا جار على عاشقيه أو أسرف[7]
عقّف كلاّبه وأرهفه فقلت يكفيك صدغك الأعقف[8]

(١) الصعدة : القناة المستوية .
(٢) الآس : الريحان ، نبات ذو ثمار كروية بيضاء وسوداء ، ورقه عطر.
(٣) الغطرفان : الغطريف السيد الشريف ، والسّخي السرّي ، والغطرفة : الخيلاء والتكبرُّ .
(٤) الأيهقان : عشبٌ يطول وله وردةٌ حمراء ، وورقه عريض ، ويؤكل .
(٥) العترفان : الدّيك .
(٦) العجاج : الغبار والدخان .
(٧) أسرف : جاوز الحدّ .
(٨) الكلاّب : حديدة عقفاء يعلّق، وأرهفه : جعله ماضياً عليها .

تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدّك الأهيف
ومال كفي على سوالفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضـ ـل الكم عجْباً وفاضل المطرف[1]
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ سود بأساً والمقرب المقرف[2]
أشطر منّي فتىً إذا وقعت عليه عيني في الوقت لم يتلف
إذا شربنا بنت الكروم فبالـ ـبيض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقيّ أو مراقبتي أنّي عزيزٌ وأنت مستضعف[3]
نحرت حتى السماء واقعةٌ فوقي والأرض تحتنا تخسف
فقلت مهلاً فلست أول من أخطأ جهلا من قبل ان يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على ديباجتيه والبحر لا ينزفْ
عزمت ان أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف[4]
فافترّ عن لؤلؤٍ وأسفر عنْ وردٍ وقبّلته فما استنكف[5]
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف
إلى رياضٍ يغازل القطر ما دبّج من زهرها وما فوّف[6]

---

(١) العجب : التيه .
(٢) المقرف : الوجه القبيح ، أو المرض الممرض.
(٣) توقّي : احتراسي .
(٤) الزّبور : كتاب داود عليه السلام .
(٥) إستنكف : اعترض وأشاح .
(٦) فوّف : زيّن وأبدع .

ما بين فتيان لذةٍ عرفوا العيش فنالوا نعيمه الألطف
هذا يحيّي وذا يغار وذا يلثم كرهاً وذاك يستعطف
برد الثرى بردنا وقد زرّر البدر علينا دواجه المحصف[1]
وبيننا خمرتان من ريقة الكرم وريقٍ أشهى من القرقف
ولطّف الله لي بمدرجةٍ أمثالها عند مثلي تلطف
أنشدته شعر مكشفٍ فأتى يلثم تلك السطور والأحرف
ومات سكراً فمتُّ من فرحٍ وكاد ستر الغرام أن يكشف

وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح] :

لما التحى أصبحت عمامته السوداء تجلي مخضرّة الحبكِ
وصار يختال أن يلين بخلق الخزّ عن ردفه أو الفتك
في كلّ يومٍ تراه مؤتزراً بالروض بين الحياض والبرك
وما علمنا بأنّه قمرٌ حتى اكتسى قطعة من الفلك

وقال من أرجوزة [من الرجز] :

وليلةٍ كأنّها على حذرٍ ممرّها أسرع من لمح البصرْ
من قبلها لم أر ليلاً مختصر ولا زماناً لم يبن من القصر
والليل لا يكرب إلاّ في غررٍ إذا وفى أحبابنا فيه غدر
زار وما اسودّ الدجى ولا اعتكر أبيض إلاّ المقلتين والشّعر
أغر أوقاتي إذا زار غرر فلم يكن إلا السلام والنظر[2]
أو قبلة خالستها على خطر حتى انتضى الصبح حساماً مشتهر
وانفلّ من أهواه في جيش البكر فبتّ محزوناً كأنّي لم أزر

* واحسرتا لليلنا كيف انحسر *

---

(١) المحصف : المحكم ، أو المبعد .
(٢) زار غرر : أي على حين غفلة .

وقال [من المتقارب] :

عـذارك جادت عليه الرياض   بـأجفـانها   وبـآمـاقهـا
وطـال غـرام الغوانـي بـه   فقـد طـرّزته بـأحـداقهـا

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمـال في الأقطـار   كـلّ بـدرٍ مطـرّزٌ بعـذارِ
قد أرانا عقارب الشعـر من خدّ   يـه تـأوي مـكامـن الجلنـار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفضُّ الغـزال جفـون الغزل   وقد فضح الـكحل فيها الـكحلْ(١)
ولا وجنـي الـورد فـي وجنتيـه   ما أوجـب اللثـم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسـرع الألحـاظ تخـطف وردةً   مـن خـدّه إلا عثـرن بخـالهِ
مـذ نقّبـوه وزرْفنـوا أصـداغـه   ختـمـوا بغـاليةٍ عـلـى أقفـاله (٢)

وقال [من الرجز] :

تعـرّض الشـعـر لعـارضيـه   وأطـلـق العشـاق مـن يـديـهِ
كأن الصـبـا يهتـزّ في عطفيه   والحسـن تجـري خيلـه إليـهِ(٣)
حتـى إذا أبصـر وجنتيـه   حجبتـا بمثـل حـاجبيـه
جـاد عـذاريـه بعبرتيـه   كـأنمـا يغسـل مـن خديّهِ

* صحيفـة قـد كتبت عليه *

---

(١) يفض : يفت .
(٢) الزُّرفين : حلقةٌ للباب ، والغالية : وعاء الطيب .
(٣) عطفية : جانبيه .

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل]:

علقت مفترس الضراغم فارساً رحب المدى والصدر والميدانِ
قمرٌ من الأتراك تشهد أنّه الـ ـخود الحصان على أقبّ حصان[1]
البدر في ظل الغمامة والنقا في سرجه والغصن في الخفتان
ألّفْتُ طرّته وغرته وما كان الدجى والصبح يأتلفان
ورمى بلحظيه القلوب وسهمه فعجبت كيف تشابه السهمان
بطلٌ حمائله كعارضه وحا جبه الأزجّ كقوسه المرنان[2]
حيّيته فدنا وأمطر راحتي قبلاً فليت فمي مكان بناني
وخدعته بالكأس حتى ارتاض لي ودرأت عنّي الحدّ بالكتمان[3]
والمرء ما شغلته فرصة لذّةٍ ناسي العواقب آمن الحدثان

وقال من قصيدة [من البسيط]:

وأعرضَتْ إذ رأتْ في عارضي درراً منظومة معها الأحزان تنتظمُ
وللصبابة قومٌ لا يسرّهمُ أن يلبسوا الوشي إلاّ تحته سقم
أشتاق أهلي لظبي بين أرحلهم والحب يوصل إذ لا توصل الرحم

ومن أخرى [من البسيط]:

ما ضنّ عنك بموجودٍ ولا بخلا أعزّ ما عنده النفس التي بذلا
يحكي المطايا حنيناً والهجير جوىً والمزن دمعاً وأطلال الديار بلى

(١) الخود الحصان : المرأة الجميلة العفيفة . والحصان الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر.
(٢) الأزج : الرقيق في الطول. والمرنان هنا : ذات الصوت ، ويقال على القوس ، تسمّى بذلك الرنين صوتها .
(٣) درأت : منعت وتوقّيت .

ومن أخرى [من البسيط]:

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمعُ
صحبتُهُ والصّبا يغري الصبابة بي ... والوصل طفلٌ غريرٌ والهوى يفع[1]
أيام لا النوم في أجفاننا خلسٌ ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلةٍ لا ينال الفكر آخرها ... كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي ... ورايتي اللهو واللذّات لي شيع[2]
أحييتها ونديمي في الدّحا أملٌ ... رحب الذرى وسميري خاطر صنع[3]
حتى تبسّم إعجاباً بزينته ... لفظٌ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل]:

رسولي إذا لم يغْشهنّ رسول ... صباً وقبولٌ بل صباً وقبولُ
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلٌ ... وحدّ سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا ... بنأيٍ ولكن المحبّ حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل]:

وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ... ولكنّني للنائبات حمول

ومن أخرى [من الخفيف]:

أنوُارٌ وأين دار نُوار ... أظلم الناس في أشطّ الديارِ
ذات صدغٍ من البنفسج قد ما ... ل على وجنةٍ من الجلنار

---

(١) اليفع : الناشىء الحدث
(٢) شيع : أتباع.
(٣) الدحا : السعة ، والدفع ، والبسط.

ومن أخرى [من الوافر]:

ويغريني بذكر الربع غيدٌ ... به صيدٌ وحور فيه عينُ
سَلَلْنَ من الحداق السود بيضاً ... فما ندري قيانٌ أم قيون[1]

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النارنج [من الوافر]:

أتنشط للصبوح أبا عليٍّ ... على حكم المنى ورضا الصديق[2]
بنهر للرياح عليه درع ... تَذَهَّبَ بالغروب وبالشروق
إذا اصفرّت عليه الشمس صبّت ... على أمواجه ماء الخلوق[3]
وقفت به فكم خدٍّ رقيقٍ ... يغازلني على قدٍّ رشيق
وجمر شبّ في الأغصان حتى ... أضاع الماء في وهج الحريق[4]
فدُهْم الخيل في ميدان تبرٍ ... يصاغ لها كراتٌ من عقيق
فهل لك في ختام المسك فضّتْ ... نوافجه ومختوم الرحيق[5]

وكتب إليه في وصف الجلنار [من الوافر]:

أحنّ إلى لقاء أبي عليٍّ ... ويأبى أن يحنّ إلى جواري
وقد جلبتْ علينا الراح حتى ... مللنا جلوة البيض العذاري
وصفَّر أوجهَ العذّال يومٌ ... وجوه شموسة تحكي اصفرارى

---

(١) القيون : الحدّادين والصنّاع.
(٢) الصبوح : شرب الخمرة صباحاً .
(٣) الخلوق : الطيب .
(٤) شبّ : اتّقد واضطرم .
(٥) النوافج : أوعية الطيب .

ونهرٌ تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار[1]
كأن الماء أرض من لجين مغشّاةٌ صفائحَ من نضار
وأشجارٌ محمّلةٌ كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءً وهبن له نجوم الجلنار
فزرنا إن نار الراح تكفي الندامى خيفتيْ عارٍ ونارِ

وقال في الدير الذي بقنطرة النوبندجان، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر ورموا البنادق [من الطويل]:

أقنطرة النوبنْدَجان وديرها وحور مهى لا تألف الحور غيرَها
شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تنثر طيرها

كتب يستهدي الشراب [من البسيط]:

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي وما شككت بأني سوف أغتبقُ[2]
فقد كتبت إلى أن خانني قلمي وقد ترددت حتى ملّني الطرقُ
أنت امرؤٌ جوده غمرٌ ونائله همرٌ ووبل نداه مسبلٌ غدق[3]
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه منّي قريضٌ ومنك العرف والخلق

وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر]:

أظنُّ اليوم يهطل بالمدام فإن الأفق محمرّ الغمامِ
وما عوّدت حمل الكأس إلاّ على سكر الكروم او الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادي بالحسام

(١) النمير : العذب الزلال .
(٢) أغتبق : أشرب الخمرة مساءً .
(٣) غمرٌ : كثير ، وهمرٌ : متتابع .

إذا طلعتْ شموس الراح فينا وهبنا كلّ مسرجة اللجام
أبحر الجود في بحر الأماني وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي وصيّره الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميتاً من الحبب المفضّض في لجام[1]
تحيينا بذكرك وانتقلنا بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي ونار الراح مشعلةٌ أمامي
جفون المزن مذ عدمت بواكٍ لرحمتنا وخدّ الورد دامي
فأحْيِ بها فتىً أحلى مناه تقدّم من فداك إلى الحمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتا منها [من الكامل] :

يوماً لبست به الخلاعة حلّةً وسحبتها فسحبت خير لباسِ
في مجلسٍ زجل الغناء متوّج الـ ـكاسات فيه مهذّب الجلاس[2]
والطير قد طربت بحسن غنائها لو أنها فطنت لشرب الكاس
والشمس من حسد تغير لونها أن لا تكون كغرّة العباس
أنا لا أبالي من فقدت من الورى إما حضرت فأنت كلّ الناس

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وظبيةٍ من بنات الإنس في يدها ووجهها للصبا والحسن خاتامُ[3]
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن دررٍ لهنّ في ثغرها الفضّيّ أتوام[4]
وزارت الروض منها مقلتان لها وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبريّ صائغةٌ والماء للحبب الدريّ نظّام

---

(١) الكميت : الحصان الذي يميل لونه الى الحمرة مع السواد .
(٢) الزجل : الذي يرفع صوته بالغناء والطرب .
(٣) الخاتام : لغة في الخاتم ، وقال الراجز . يا هال ذات الجورب المنشقّ أخذت خاتامي بغير حقّ .
(٤) الأتوام : جمع تومة وهي الكبيرة من اللؤلؤ .

بتنــا نـكفــكف بالـكاســات أدمعنا كـأننــا في حجـور الـروض أيتام[1]

هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة .

وقال من أخرى [من المتقارب]:

نفــرغ أكياســنــا في الـكؤوس نبيع العقـار ونشـري العقـارا[2]
حمـدنـا الهــوى ونسينــا الفـراق ومـن يشـرب الخمـر ينس الخمارا

ومن أخرى [من الخفيف]:

اشـربـا واسـقيا فتــىً يصحـب الأيـــــام نفســاً كثيرة الأوطــار[3]
والنفـوس الـكبـار تـأنف للسا دة أن يشـربـوا بغيـر الـكبـار
فـي جـوار الصــبـا نحـلّ بيوتـاً عمـرتْ بـالغصـون والأقمـار
ونصـلّـي عـلـى أذان الطنـابيـــــر ونصـغــي لنغمـة الأوتـار
بين قــومٍ إمـامهــم سـاجـدٌ للـــــكأس أو راكـعٌ علـى المـزمـار

ومن أخرى [من الكامل]:

نسـب الـرياض إلـى الغمــام شريف ومحلّهـــا عنـد النسيم لطيفُ
فاشـــرب وثقِّــلْ وزن جـامــك إنّه يـومٌ علــى قلــب الـزمـان خفيف[4]
أو ما ترى طرز البــروق وتوسّطتْ أفقــاً كـأن المـزن فيه شفوف
واليوم من خجــل الشــقيق مضرّجٌ خجـلٌ، ومــن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرسٌ والــرياض سطوره والـزهــر شكلٌ بينهــا وحروف
وكأنّمــا الـدولاب ضلّ طريقه فتــراه ليس يزول وهــو يطوف

---

(١) الحجور : جمع حجر وهو الحضن والمأوى .
(٢) العقار الأول : بفتح أوله هو المال الثابت كالدور،والعقار الثاني بضمّ أوله : وهو الخمر .
(٣) الأوطار : الحاجات .
(٤) الجام : الكأس من الفضة.

ومن أخرى [من الطويل]:

ولبّاسةٍ حلى الشباب لعوبةٍ	بطرق الهوى عقادة للزمائمِ
غزال صريم في رجومٍ صوارمٍ	وبدر تمامٍ في نجوم تمائم[1]
وكان رقادي بين كأس وروضةٍ	فصار سهادي بين طرفٍ وصارم
ولولا نسيبٌ مطربٌ من قصائدي	لما احتال طيفٌ في زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل]:

أنسيم هل للصلح عندك موضعٌ	فيزور طيفٌ أو تهبّ نسيمُ
والشيب دونك وهو موتٌ مضمرٌ	والهجر وهو تفرّقٌ مكتوم
بيني وبين الراح مثل حبابها	دمعٌ على وجناتها منظوم

ومن أخرى [من الطويل]:

وقد خالطَ الفجر الظلام كما التقى	على روضةٍ خضراءَ وردٌ وأدهمُ
وعهدي بها والليل ساقٍ ووصلنا	عقارٌ وفوها الكأس أو كأسها فم
إلى أن بدرنا بالنجوم وغربها	يفضّ عقود الدرّ والشرق ينظم[2]
ونبّهت فتيان الصبوح للذّةٍ	فلبّوا وما فيهم سوى الليل محرم
وفي كلّ كأسٍ للندامى بقيّةٌ	تلوح كدينارٍ يغطّيه درهم

* * *

سائر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجهاً الى العراق، فقال له : قل في الشعب، فقد سمعت ما قال المتنبي، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط]:

---

(١) العريم : بفتح الصاد ـ القطعة العظيمة من الرمل .
(٢) بدرنا : أسرعنا وعجّلنا .

اشرب على الشّعب واحلل روضة أنفا ... قد زاد في حسنـه فازددْ به شغفا[1]

إذ ألبس الهيف من أغصانـه حللاً ... ولقّن العجم من أطياره نتفا

وأثمرتْ حسن الأغصان مثمرةً ... من نازع قُرُطاً او لابسٍ شنفا[2]

والماء يثني على أعطافه أزرا ... والريح تعقد في أطرافها شرفا

والشمس تخرق من أشجارها طرفاً ... بنورها فترينا تحتها طرفا

من قائلٍ نسجت درعاً مفضّضة ... وقائل ذهبت أو فضّضت صحفا

ظلّت تزفّ له الدنيا محاسنها ... وتستعدّ له الألطاف والتّحفا

من عارضٍ وكفا ، أو طائرٍ هتفا، ... أو بارقٍ خطفا ، أو سائرٍ وقفا[3]

هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن ابا تمام قال [من الطويل]:

يقول فيسمع، ويمشي فيسرع، ... ويضرب في ذات الإله فيوجع

رجع :

ولست أحصي حصى الياقوت فيه ولا ... دراً أصادفه في مائه صدفا

يظنّ من وقفتْ فيه الشجون به ... أنّ الصبابة شابت والهوى خرفا

تعسّف الشوق فيه كلّ ذي شجنٍ ... والشوق ألطفه ما كان معْتسفا[4]

فاحللْ عُرىَ الهمّ واشربها مشعشعةً ... رقّ النسيم مباراةً لها وصفا

ماذا يقول لك المدّاح ؟ قد نفدت ... فيك المعاني وبحر اللفظ قد نزفا[5]

لم يبق لي حيلةُ إلاّ الدعاء فإن ... يسمع ظللت عليه الدهر معتكفا

---

(١) الشغف : الحبّ والميل .

(٢) الشنُف : الحليّ تلبس في الآذان .

(٣) وكف : هطل .

(٤) العسف : الظلم والشجن : الحزن .

(٥) نزف : أي لم يبق منه شيء .

وقال من قصيدة سذقية في أبي الفوارس وأبي دلف [من البسيط]:

ما زلـت أشتـاق ناراً أوقدتْ لهما ... حتـى ظننـت عذاب النـار قد عذبا
يعلـو الدخـان بسـودٍ من ذوائبها ... قد عطّ فيهـا قنـاع التبـر واستلبا[1]
قد كلّلتْ عنبـراً بـالمسـك ممتزجاً ... وطوقـت جلنـاراً واكتسـت ذهبا
فالنـور يعلـب فـي أطـرافهـا مرحاً ... والخمـر يـرعـد فـي أكنافهـا رهبا
وطـار عنهـا شرارٌ لو جـرى معه ... بـرقٌ دنـا او تلقّـى كوكبـا لـكبا[2]
لو كان وقـت نثـارٍ خلتـه دررا ... أو كـان وقـت انتصـارٍ خلتـه شهبا[3]
والليـل عـريان فيه من مـلابسه ... نشـوان قـد شقّ أثـواب الدجـى طربا
أقسمْت بالطَّرْف لو أشرفت حين خَبَتْ ... جعلْـت أنفس أعضائـي لهـا حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف]:

فسمـونـا والفجـر يضحـك في الشر ... ق إلينـا مبشّـراً بـالصبـاحِ
والثـريـا كـراية أو كـجـامٍ ... أو بنـان أو طـائـر أو وشـاح
وكـأن النجـوم فـي يـد ساقٍ ... تتهـاوى تهـاويَ الأقـداحِ
وجمعنـا بين اللـواحـظ والـرا ... ح وبين الخـدود والتفـاح
وشـممنـا بنفسـج الصـدغ حتى ... طـالعتنـا من الثغـور الأقـاح
زمـن فـات بين بهـو وشربٍ ... وغنـاء وراحـةٍ وارتيـاح
معقلـي نهـر معقـل فإن ارتحـْـت ... إلـى منـزل فـدير نجاح
وحيـاتـي بمـا حـوتْـه إلـى الخمـّ ... ار مصـروفـةٌ أو المـَـلاّح
مـركبـي مثـل لمّتـي أدهـم جو ... نٌ ويحـكيـهما نـديمـي وراحـي[4]

---

(١) عطّ: شقّ.

(٢) كبا: سقط وتعثّر.

(٣) النثار: ما ينثر من الذهب.

(٤) الجون: من الأضداد وهو للأسود والأبيض.

مركبة السفينة والزورق وهما أسودان، ولمته سوداء لأنه شاب، ونديمه اسود لأنه عربي، ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود.

وقال، وكتب بها إلى الشريف الرضي، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء استتر به [من الكامل]:

ما زال بي مهر الشبيبة جامحاً ... حتى حملت على المشيب الكابي[1]
فسمعْت أقبح ما سمعت نداءها ... ما بال هذا الأشيبِ المتصابي
إنّي حلفت بربٍّ أشرف كعبةٍ ... في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجرّرٍ ... فضلَ الإزار مسحّب سحّاب
وبمصرّع الدّنّ الجريح وحرمة الـ ... ـوتر الفصيح وذمّة المضراب
ومتى حلفت بمثلها متأولاً ... فصدقْت بالأزلام والأنصاب[2]
وأنا دعيٌّ في البلاغة ملْصق ... في الشعر منسلخٌ عن الآداب
ويباع في الأكراد شعري إنّه ... يغلو إذا ما بيع في الأعراب
لقد ارتقَتْ تبغي أبا الحسن العلي ... يطمحْن منه إلى الأبيّ الآبي
الموسويّ الناصريّ أبوّةً ... وخؤولة علويّة الأنساب
في حيث أرّثت النبوة نارها ... فخبا لنور الحقّ كلُّ شهاب[3]
لا أدعي لك، إنما بك أدعي ... أنّي وصلت إلى أعز جناب
زاد الإله بكم قريشا رفعةً ... وأقرّ عين قُصيِّها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم ... مترددين إليك في الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم ... وغدا وجودك أشرف الأنساب
ألسان هاشمٍ الذي بغروبه ... تفري وناظر غالب الغلاب

---

(١) الجامح: الشرود، والكابي: الذي يحدّ من نزوة الشباب وجموحه، وكبا الفرس سقط.
(٢) الأزلام والأنصاب: ما كان يعبد في الجاهلية.
(٣) خبا: ضعف وانطفأ.

أشكو إليك عشيّةً لم نفترق   فيها على مللٍ ولا استعتاب
ما كنت إلاّ جنّةً فارقتها   كرهاً فصبّ عليّ سوط عذاب
ودّعت دارك والسماء تجودني   بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
ما زلت أركض في الوحول مبارياً   فيها الخيول لواحق الأقراب[1]
فجريت والعكاز أخصر شكّتي   قصراً ولكنّي أعزّ ركابي[2]
ورأيت غالية الطريق ومسكه   طيناً معدّاً لي على الأثواب[3]
وحمى كساؤك لا عدمت معيره   درّاعتي وعمامتي وجبابي
فوليتَ يا بحر السماحة كسوتي   وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
غيثان هذا ابن الذي من أجله   خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـ   ـغيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفّها   ما بين ألفاظ شرفْنَ عذاب
جاءتك يحملها الجمال، وربّما   وقف الجباء بها دويْن الباب
أهديتها خجلاً إلى متغلغل الـ   أفكار محصد مرة الآداب[4]
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي الـ   إعراب حين يفوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبةً   في الفضل نافرةً عن الخطّاب
انظر بعين رضاً إلى ما صغته   وأعره سمع مسامحٍ وهّاب
وتجاوزِ الخطأ الشنيع وأخْفِهِ   عن ناظر المتفيهق المغتاب[5]
واجهر إذا أنشدتها في محفلٍ   فعثرت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء [من مجزوء الكامل]:

---

(١) مبارياً : مسابقاً .
(٢) الأخصر : الأوجزَ والشكّة : السلاح .
(٣) الغالية : أخلاط الطيب.
(٤) المِرّة : الفتل والإحكام في الصنع .
(٥) المتفيهق : المتكبّر المتوسّع في تأويل الكلام .

عدل الحبيب فمن يجور ودنا فأين بنا يسيرُ
عوّضت من عيسٍ تدو ر بي الفلا كأساً تدور[1]
وشربت ما وسع الصغير وزدت ما حمل الكبير
نبّهت ندماني وقد عبرتْ بنا الشعرى العبور
والبدر في أفق السما ء كروضةٍ فيها غدير
هبّوا فقد عيّي الرقيب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليسٌ فقلنا كلّنا نِعْمَ المشير
صرعى بمعركةٍ تعفّ الوحش عنها والنسور
نوّار روضتنا خدو د والغصون بها خصوَر
والعيش أستر ما يكو ن إذا تهتّكت الستور
هبّوا إلى شرب المدا م فإنّما الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصّيد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنّها فيه ضمير
وتظنّ تحت حبابها خداً تقبّله ثغور
حتى سجدنا والإما م أمامنا مثنى وزير[2]
وإذا صحونا فاللسا ن للعذب والفكر الغزير
نفتضّ معنىً أو يولّد بيننا مثلٌ يسير
أو يمدح الملك الجليل السيّد الفرد الخطير
ما عزه شيءٌ بغا ه فكيف أعوزه النظير[3]

ومنها :

(١) العيس : النوق.
(٢) مثنى وزير : من أوتار العود .
(٣) النظير : المثيل .

وغداة أنسٍ بشّرتـك بها المعازف والخمور
إذا ماء غيثنا والأرض تربتها عبير
تغري بصبّ الماء يا ملكاً أنامله بحور
ويقول سيبك هكذا صبّت على العافي البدور[1]
ويقول سيفك هكذا تجري ، إذا غضب ، النحور
هيهات تبتسم الثغو ر ولم تسدّ بك الثغور
قد أذعنتْ أرض العد و وجاء بالنصر البشير
هذي الأماني لي عبيدٌ والسرور معي أجير
لا قيته فغضضت طر في إذا بدا القمر المنير
وجررت أذيالي بمجلسة وقلت فمن جرير
وكأن عاماً عشته في ظلّه يومٌ قصير

وقال يصف الفقاعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر] :

شغفْت بداية لي أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناعُ
ببـاردة المجسّ وما اقشعرّتْ معصّبةٌ وليس بها صداع[2]
تمنّع أو تحل ذؤابتاها ويحسر عن مفارقها القناع

وقال يصف سوداء [من البسيط] :

يا رب غانية بيضاء تصحبني من العتاب كؤوساً ليس تنساغُ
أشتاق طرّتها أم صدغها ومعي من كلها طررٌ سودٌ وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فرقتنا يا لعبة المسك بازٍ تحته زاغ[3]

---

(١) السيب : العطاء، والعافي : الفقير .
(٢) المجسّ : التحسُّس باليد .
(٣) الزاغ : غراب صغير إلى البياض .

وأمره عضدة الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من الكامل]:

مرقومة الجنبات بالبدع التي لم يهدها قط الربيع لروضةِ
كتمت روائحها فلما عذّبتْ بالنار فاح نسيمها فأقرّت
وكأنّما الملك الأجلّ السيد الـ منصور عضد الملك تاج الدولة
أذكي مجامرها بنار ذكائه وغدا الدخان على علوّ الهمّة[1]

وقال من قصيدة عضدية سذقية [من الطويل]:

ألست ترى الأوضاح في دهمة الدجى ومنشؤها بالناظرين رفيقُ
دخاناً سخاميّ الصفات شراره بروقٌ وعقد الريح فيه وثيق[2]
وليلاً كيوم الوصل أمّا رياضه فزهرٌ وأما مسكه ففتيق[3]
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهرٌ ودجلة روضٌ طرّتاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاها وعنبراً ثراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ولا ذهباً صيغ منه جبلْ
إلى أن جرت دجلة في الشعاع وطُنّب بالنور أعلى القلل[4]
سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضةٍ فذهّبه النور حتى اشتعل

(١) المجامر : المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور .
(٢) السخام : السواد .
(٣) الفتيق : المشرق .
(٤) طُنّب : أضيء بأشعة النور التي هي كالحبال ، والقلل : أعالي الجبال .

وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه [من الطويل]:

إليك بعثناها شوارد ضمّنت ... معاني لولاها لما شرف الشعرُ
عروساً ولكن زوّجت بنت ليلةٍ ... مخدّرة لكنّ فكري لها خدر[1]
إذا قال جسمي تستحل بحلة ... تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به لا الدهم فازت بلونه ... ولا البرشُ خازت بردتيْه ولا الصفر
كميتٌ تذال الشهب والبلقُ إن بدا ... وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه ... ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر[2]
فغرّته مبيضّةٌ وحجوله ... ولكنْ أريقت فوق سائره الخمر[3]
وأسبق من عافٍ إليك وشاعر ... قوافيه أفرادٌ محجلّةٌ غِرٌّ
فلو شامه في أرض فارسَ فارسٌ ... لما أمسيا إلاّ ومصرٌ له مصر[4]
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله ... وبالدم تسقى والنزال لها ضمر

وقال من أخرى في وصف السكر المبني بشيراز [من الطويل]:

على نهر سلّ في دجى الليل من رأى ... كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى ... به العين إلا الثلج مستودعاً جمرا
ثريَ قد أعاد الليل مسكاً عبيره ... وماءٌ أعاد البدر فضته تبرأ

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح]:

جملة أمري أني ركبت إلى ... دارك - لما أتيتها - الخطرا
لبست درّاعتي وعمّتي الـ ... ـخزّ فصارا كما ترى حبرا

---

(١) الخدر : الستار .
(٢) الغمر : الكثير .
(٣) الحجول : بياض الوجه .
(٤) شامه : أبصره وتطلع إليه .

أصبحت في الطين عقعقاً بلقاً وإن تعرّيت خلتني نمرا[1]

ومن أخرى في وصف عمامة [من البسيط] :

حسناء صافيةً بيضاء ضافية كأنّ رونقها في صارمٍ ذكر[2]
يزين أطرافها طرزٌ كما رقمت على المجرّة طرز الأنجم الزهر

وقال في وصف زنبور [من الطويل] :

ولابس لونٍ واحد وهو طائر ملوّنة أبراده وهو واقعُ
أغرّ محشيّ الطّيلسان مُدَبَّجٌ وسود المنايا في حشاه ودائع
إذا حك أعلى رأسه فكأنما بسالفتيه من يديه جوامع
يخاف إذا ولّى ويؤمن مقبلا ويخفي على الأقران ما هو صانع
بدا فارسيٌّ الزّيِّ يعقد خصره عليه فباء زيّنته الوشائع
فمعجره الورديّ أحمر ناصعٌ ومئزره التبريّ أصفر فاقع[3]
يرجّع ألحان الغريض ومعبدٍ ويسقي كؤوسا ملؤها السم ناقع[4]

* * *

غرر من محدائحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط] :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ ـعاصي فتحويهما أيدٍ وأعناقُ
في كلّ يوم لبيت المجد منك غنىً وثروةٌ، ولبيت المال إملاق[5]

---

(١) العقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب . والبلق : ما كان في لونه سوادٌ وبياض .
(٢) الضافية : الطويلة . والذكر : القاطع .
(٣) المعجر : الرداء والثوب .
(٤) الغريض ومعبد : من كبار المغنّين ، والناقع ؛ القاتل .
(٥) الإملاق : الفقر والعفاء .

كم خضْت في لجّةٍ كالبحــر زاخرةٍ ماء المنـون بهــا حــاشــاك دفّاق
في فتيةٍ من ليوث الحـرب قد حفظت بالمرهفـات لهـم في الـرّوع أرماق[1]
من كلّ بعــل حياةٍ لا يعاقدها إلاّ علــى أنــه في الحــرب مطلاق
أمــام كل خميسٍ كل يوم وغى كـأنــه في صدور الخيـل ألحـاق[2]
رم أين شئــت من الــدنيا تنلـه فما للجــوّ عـرضٌ ولا للبـحـر أعماق
من شكّ أنـك مخـلـوقٌ لتملكه كمثـل من شـكّ أن الله خلاّق
فللسمــاء سمــاءٌ مـن عـلاك وللـــــآفـاق من ذكرك المحمـود آفـاق

ومن أخرى [من البسيط]:

يا أهـلُ لســت بمشتاقٍ إلــى وطني حتــى أرى خيل فناخســر بينكمُ
أضحـي يهنّأ فـي الأضحــى بمنزلةٍ لا العـرب نـالت مـراقيهـا ولا العجم
أصغِــرْ بـأضــحيةٍ في غير يوم وغى فمــا أضــاحيـك إلا الخيل والبهم
وإنمـا أنــت لطف الله جسّمه لنــا وفــي يـدك الأرزاق والقسـم
عـدلت حتى هممنـا أن نجـور، وكم من شاكرٍ نعمــاً في ضمنهــا نقم
إنّ المسيح وقـد بانــت دلالته لـولا هـداه لمـا ضلّـت به الأمم
في كلّ ناحيةٍ لم ترْعَهــا أمــمٌ الهــدْيُ منـهــا بيعــدٌ والأذى أمم[3]
إن البــلاد ومـن فيهــا مروّعةٌ بهــا إليك وإن ما طلتهــا قرم[4]
ومــا نُبالــي إذا ما كنــت شاهدها إن غاب معتضــدٌ عنهــا ومعتصم
عدهــا بنصــرك أو قل سوف أدركها فإنّ قـولـك في أمثالهـا قسم

---

(١) أرماق : أرواح .
(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق.
(٣) أمم : قريب .
(٤) القرم : الشهوة والشغف.

ومن أخرى [من الطويل]:

يشبهه المداح في البأس والندى لمن لو رآه كان أصغر خادمِ
ففي جيشه خمسون ألفاً كعنترٍ وأمضي وفي خزّانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط]:

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما نصوغه فيكَ تهليلٌ وتحميدُ

فعش أعش في ذري رحب ودم تدم الـ ـخيرات لي وابق يبق المجد والجود

وقال من أخرى يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت في حيطانه أشعاره [من الكامل]:

فالروض عقّفتِ الصبّا أصداغه والموج صفّقت الشمال طرارَهْ[1]
وأظنّ دجلة أسلمت ، أو ما رأيـ ـت الجسر يقطع وسطها زنّاره
وحكى بناء المجد فيها غارسٌ غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صوّر الفلك المدار كأنّه أنشاه قبل كيانه وأداره
وبنى على شرف الثريا قصره وطحا على فلك النعائم داره[2]
فالشّيد يصقل صانعوه لجينه والسّاج ينقش مخلصوه نضاره[3]
شغلت خواطرنا ولحظ عيوننا مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسعْ مثالاً إن خطرت بباله ونلِ السماء إذا بلغْت دياره
ينسى العمالق واصفٌ أخبارَه ويهين مصرَ معدّدٌ أمصاره

---

(۱) الطرار : جمع طرّة بضم الطاء ، وهو شفير النهر .
(۲) طحا : بسط ، والنعائم: من منازل القمر .
(۳) الشيد : ما تطلى به الحائط من جصّ ونحوه والسّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب وأسوده .

ومن أخرى في وصف الحرب ، وهو أحسن ما قيل فيها [من الكامل] :

يا سيف دين الله ما أرضى العدى ... لو أنّ سيفك مثل عدلك يعدلُ
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى ... إلا أطلّ عليه منهم أيطل[1]
فالروض من زهر النجوم مضرّجٌ ... والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطيّر ... والأرض فرشٌ بالجياد مخيّل[2]
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ... بين الفوارس أجدلٌ ومجدّل[3]
وسطور خيلك إنما ألفاتها ... سمرٌ تنقّط بالدماء وتشكل[4]

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن ... قلب الندى وحشي السحائب تنزلُ
ولقد نشرت على الهوا أمثاله ... ذا سجسجٌ صافٍ وهذا سلسل[5]
وكأنّما ذهبيٌّ زَرّافاتنا ... ترمي بأسهم فضة تتسلسل[6]
من فوق كلّ ذؤابتين سحهابةٌ ... أو بين كلّ اثنين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه ... مع غير ماء الورد لا يتبدّل[7]
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترقْ ... ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

---

(١) الأيطل : الخاصرة،قال الشاعر : «له أيطلا ظبي ».
(٢) النقع : الغبار .
(٣) الأجدل : الصقر ، ومجدّل : قتيل .
(٤) السمر : الرماح.
(٥) السجسج : المعتدل الطيّب .
(٦) الزرّافات : هي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما أشبه ذلك.
(٧) أرقت : سكبت .

لم يدر حيٌّ وقد جاء البشير به
إنّ الزمان لما نرجوه متّسعُ
فزارها ليث غابٍ فرسٌ
وبدر تَمٍّ عليه التاج والخلع
لما تطلّع والرايات تكتمه
في ظلها وشعاع الشمس مرتفع
أعدى بإقباله من أهلها نفراً
لم يعلموا أن درّ السعد يرتضع
فليهْنها منه روض زهره درر
فتن العقود ومزن قطره دفّع
لاحظ أباك فهذي مصر معرضةٌ
وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا
لكنهم ما نووا غدراً ولا نقضوا
عهداً ولا أضمروا غلاً ولا ابتدعوا[1]
أيا أخا الجود وابن المجد لا بلدٌ
إلاّ بذكرك أو بالسيف يفترع[2]
فدىً لجودك آمالي وسابقها
ومطمعٌ من بحار الشعر ممتنع
فالقائلون بطاءٌ عن مداي ، وإنْ
أبدْعت معنىً فهم في أخذه سرع
همُ إذا خلطوا شعري بشعرهم
كالطير يهذون أو يحكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً
لك شوقه المطويّ في أسرارِهِ
ودعا الملوك فلم يلبّ دعاءه
إلاّ أحقهم بدار قراره
عظّمت أمر الله في تعظيمه
وأقمت دين الله في استحضاره
وافاك في برد النبي محمدٍ
بهدي النبي وسمته ووقاره[3]
يشكو إلى الإسلام وخط مشيبه
ما كلّفته الترك من أسفاره
حتى بدا عضد الهدى وكأنّما
كان الخضاب أحال شيب عذاره
حتى إذا أبدى الإمام أمامه
ملكاً كبدر التمّ في أنواره

---

(١) الغلّ : الحقد .
(٢) يفترع : يفتتح .
(٣) برد النبي : عباءته .

خلنـا علـى الـكرسـي ليثاً غابه ... سمـر القنا نبتـت بفيض بحـاره
وغـداة ظلـت مسـايـر الإقبـال في ... خلـع الإمـام وطـوقـه وسواره
متسـوّراً بأهـلّـةٍ متطوقاً ... بالشـمس أو بـالبـدر أو بإطاره
في خلعـةٍ صبـغ الشبـاب بلونها ... فالخلـق قـد جبلـوا علـى إيثاره

هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك

* * *

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]:

ركـوب الهـول أركبـك المـذاكي ... ولبس الـدّرع ألبسـك الغـلائلْ(١)
ويـومـك ضـامـنٌ لغـدٍ علواً ... وعـامـك مـلحـق البشـري بقابل

وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب]:

ولمـا وقفـت أمـام الإملم ... تـأخـر خلصـانـه والشيعْ(٢)
دنـوت إلـى تـاجـه والسرير ... فهـذا تعـالـى وذاك اتسعْ
وضـاحـك بـرد النبـي القضيـب ... أنساً بخوضـك فيمـا شرعْ
سـفـرْت فتيمّـه مـا رأى ... وقلـت فـأطـربـه مـا سمعْ
وأثنـت فضـائلك البـاهـرات ... على مـلك الـدهر فيما اصطنع
طلعت فـكنـت كنجـم الصبا ... ح دلّ عـلى الشـمس لمـا طلع
ومـن كلف الـدهـر أمثالكم ... فقـد كلف الـدهر مـا لم يسع(٣)

---

(١) المذاكي : جياد الخيل .
(٢) الخلصان : الأصدقاء المخلصون .
(٣) يسع : يستطع ويقدر.

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمْت وسدت فالجدوى انتهاب إذا زرناك والمدح اقتضابُ
أخزّانٌ وما أبقيت مالاً ؟ وأبوابٌ وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدية [من الخفيف] :

وإذا هنّيء الملوك فصبّحت من العيد أسعد التهنئاتِ
وفداك المحل فالنحر في أرض منىً والمهل في عرفات
وتعجّلت أجر من خلع الإحرام عنه الأطمار في الميقات[1]
وأجاب الإله فيك دعائي غافر الذنب سامع الأصوات
زرته والغنى مني ويدي قد أتعب الناس عهدها بالصّلات
فكأني ملكت ناصية الدهر فصرّفتها على شهواتي[2]

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فما أرى في العالمين سوى سعيدٍ يسلمُ
وله من الحسن البديع برافعٌ وعليه من بشر السماحة ميسم[3]
عبقٌ به مسك الثناء تكاد في النادي نوافج ذكره تتكلم[4]

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه يا شقوة المتشبّهين بأحمدِ
يشرون مثل جياده وعبيده أفيقدرون على ابتياع السؤدد[5]

---

(١) الأطمار : جمع طمر وهو الثوب.
(٢) الناصية : أعلى الشيء، وهنا يريد أنه مُلّك قياده .
(٣) الميسم : العلامة والطابع .
(٤) النوافج : أوعية الطيب .
(٥) السؤدد : المجد والرفعة .

ومن أخرى [من الخفيف]:

هو بحرٌ من مائة ذائب التبـ ـر وأدنى أحجاره الياقوتُ
لي طعامٌ من داره وشرابٌ ومقيلٌ في ظله ومبيت[1]

ومن أخرى [من البسيط]:

أقبلْ عليَّ وقلْ ضيفي ومتّبعي وشاعري قاصدي راجيَّ ممتاري[2]
أنت الإمام فمن أدعو وحضرتك الـ ـدنيا فأين أقضّي بعض أوطاري

ومن أخرى [من المتقارب]:

أفارق بغداد لا عن قلىً وأسري إلى البين لا عن كرمْ
أروح وأغدو ولي قائدا ن عزّ الإباء وذلُّ العدم[3]
وأرجو فتىً مكْرم للندى كما رجّت الأرضَ صوبُ الديم

ومن أخرى [من البسيط]:

ليس الوزراة إلاّ عندكم ولكم ولا مغارسها إلا بدوركمُ
لو أنصفت كلّ أرضٍ في منابتها لكان في أرض قُمٍّ ينبت الكرم

* * *

الشكوى والعتاب

قال [من الكامل]:

أفلا أجاز ولي ثلاثة أشهرٍ لا تعلمون بما أقيم تجمّلي[4]

---

(١) المقيل : حيث القيلولة وقت الظهر
(٢) ممتاري : قاصدٌ خيري وطعامي .
(٣) العدم : الفقر.
(٤) التجمّل : التصبر والتحمّل.

قد بعت حتى بعت طرفاً قائماً تحت القدور على ثلاثة أرجل
ورهنت حتى قد رهنت منادمي ومناشدي ومذكّري ومعلّلي
فرأيت حالة حاسديك كحالتي ورأيت منزل حاسيديَّ كمنزلي

ومن أخرى [من الوافر] :

لبست العدْمَ حتى صار ذيلي يضيق تقلّبي فيه كزيقي[1]
وكادحْت المطالب بعد ضرٍّ ودارأْت المعيشة بعد ضيق[2]
فقد أوقدْت صندوقي ثيابي وصبّ الماء في حبّ الدقيق
فهل في الناس يا للناس حرٌّ يبيّض وجه ممتحنٍ مضيق ؟
أريد أخي إذا مائل عرشي وصرت إلى المعيشة في مضيق
فأما حين يصلح بعض حالي فإنّ الناس كلّهمُ صديقي

ومن أخرى [من الوافر] :

قطعْتكُمُ برغم المجد شهراً أشدّ عليَّ من شهر الصيامِ
وكيف أزوركم والمزن تبكي على داري بأربعةٍ سجام
وكانت منزلا طلق المحيا فصارت وادياً صعب المرام
وبحراً من عجائبه خلوصي إليكم ظامئاً والبحر طامي[3]
بناتي كالضفادع في ثراها وأهلي في الروازن كالحمام[4]
أنادي كلّما ارتفعت سحابٌ فأبكتنا البوارق بابتسام
حوالينا بذاك ولا علينا كفانا الله شرّك من غمام
تهافت ركّع الجدران فيها سجوداً للرعود بلا إمام

---

(١) الزيق : من القميص ، ما أحاط منه بالعنق.
(٢) كادحت : من الكدح وهو العمل ِوالجدّ. ودارأت : من ادّارأ الشيء أي توقّاه وتلافاه .
(٣) الطامي : المتلاطم الزاخر .
(٤) الروازن : جمع روزنة ، وهي الكوّة .

كأنّ مصون ما أحرزت فيها   على أبواب مشرعة الخيام
فلا بابٌ يردّ ولا جدارٌ   يرد الطّرف عن وجهٍ حرام
وكانت جنّة الفردوس عادت   ملاعب جنّةٍ ووكور هام(١)

ومن أخرى [من الخفيف]:

زرت حتى حجبت وانتقب النا   س نقابين طرّزا باحتشامِ
إن بوّابك القصير طويل الـ   ـباع في سوء عشرتي واهتضامي
هو تعويذ ملكك البارع الحسـ   ـن وشيطان عبدك المستضام(٢)
سمج الوجه لو غدا حاجب البيـ   ـت كفرنا بالحجّ والإحرام(٣)

ومن أخرى في سابور الوزير يشكو حاله وسقطه في سكره [من الطويل]:

محاسن غضّت ناظري من تعتّبا   وفضلٌ نهاني وصفه أن أشبّبا
ترى كبرياء الملك فوق جبينه   فتقرأ سطراً بالمهانة معربا
وليس الذي آباؤه وجدوده الـ   ـملوك كمصنوع إذا ما تنسّبا
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظرٌ   إلى خادمٍ أثنى عليك وأطنبا
إلى شاعر نادى وقد فغر الردى   له فاه سابورٍ معي فتهيّبا(٤)
ألم يخبر الشّرب النشاوي بقصتي   ولم يتغنّ الركب بي حين أهدبا(٥)
ولم تتحدث في الخدور بسقطتي   عذارى يقلّبن البنان المخضّبا
فدى الشعراء الشامتون بقصتي   فتى في سماء الشعر يطلع كوكبا
فتى لم يسر إلا الذي صاغ أو روى   وإن قعقع المغرور منهم وأجلبا

(١) الوكور : جمع وكر ، وهو الخباء .
(٢) المستضام : المظلوم والمنتقص حقه .
(٣) البيت : يعني الكعبة المشرفة .
(٤) فغر : فتح . وتهيّب : فزع وارتاع.
(٥) الأهداب : ضرب من سير الخيل فيه جدّ.

أظنوا بأني إن سقطت تكسّرتْ فوافيَّ أو عاودت فكري وقد أبى
توهَّنَ جسمي فاشمتوا أو تجملوا ولكنَّ عضباً بين فكيَّ ما نبا[1]
وكم سار شعرٌ قاعدٌ عنه ربّه ودوّن قول من سطيح وصوّبا[2]
سلوا الموت عنّي كيف فلّلت غربه ونازعْته نفسي وقد كرّ مغضبا
شربنا وكان الشرب بعد سفورنا على نرجسٍ قبل الشبيبة شيّبا
ودجلة تجلو في المصندل شاطئاً يرقّ وطيّاراً يحفّ وربربا[3]
وكانت لنا في جبهة الدهر ليلةٌ كهمّك لان العيش فيها وأخصبا
عفا الدهر عنها بعدما كان ساخطاً وأحسن فيها بعدما كان مذنبا
فيا فرحتا لو كنت أصبحت سالما ويا سوءتا إنْ مركبي زلَّ أو كبا
إذا لم أعربد في أواخر نشوتي فلا عار إن خطبٌ عليَّ توثبا
وصبراً على خير الخمار وشرّه بما قلت أهلاً للكؤوس ومرحبا[4]
أروح وصبغ الراح يخضب راحتي وأغدو بعضوٍ من دمي قد تخضّبا
فلو بصرت عين الوزير بشاعرٍ على مركب قد شانه الله مركبا
رأى اللهو ميتاً والمجون ممدّدا صريعاً وجثمان السرور معذّبا
وباكرني أشياخ قومي فأكثروا الـ ـفضول لعمري والأذى والتعجّبا
يقولون لي تبْ لا تعود لمثلها وهيهات ضاع الوعظ عندي وخيّبا
وكم قبلها قد متّ بالسكر مرةً وعدت فكان العود أحلى وأطيبا
كذا أبداً إما تراني مجررا ذيوليَ سكراً او كسيرا مشعّبا
ولكنْ على الأحرار حمل مؤونتي إذا ذهبَتْ بي نبوة الدهر مذهبا[5]

(١) الـ ـب : السيف . ونبا : فارق ، ويريد بالعضب هنا لسانه .
(٢) دوّن سجّل ، وسطيح : أحد الكهنة في الجاهلية.
(٣) المصندل: من الصندل وهو شجرٌ طيب الرائحة والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الغزلان.
(٤) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .
(٥) النبوة : الجفوة.

ولما جفانا من ألفنا وصالهُ | وأخلف عام كان يرجى وأجدبا
رهنّا وصَرَّفْنا وبعنا منادلا | وحليا ومذخورا إلينا محبّبا
رأيت ابنتي قد أحرزت بعض حليها | فأنشدت تعريضاً لها وتشبّبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى | لرملةَ خلخالاً فقالت هيا أبا
سلبت الجواري حليهن فلم تدع | سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا
فقلت لها ظل الوزير يبيحنا | جناباً إذا رضنا به الدهر أعتبا
إذا كان بدر الملك سابور طالعاً | فلست أبالي بعده من تغيّبا

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف]:

لـيَ فيك التي ترى البحتريَّ أمْـتار في نظمها أبا تمّام
فهي لفظٌ سهلٌ ومعنىً بديعٌ غرّة الفكر درّة [في] النظام
كلما أنشدت شهدت بأن الـشهر أمر مسلّم للسلامي

ومن أخرى [من الكامل]:

وأزور دارك وهي آنس جنّةٍ | فيفيض حولي من نداك الكوثرُ
وأقول فيك فلا تفاخر طيٍّءٌ | إلا وتسجد لي وتركع بحتر

ومن أخرى [من الطويل]:

وهنّيته وحياً من الشعر لم يلق | بألفاظ غيري عند غيرك درسه
صحيفتهُ قلبي إذا ما كتبته | وأقلامه الأفكار والطبع نقسه[1]

---

(١) النقس : الحبر.

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقـافيةٍ منـك أوضاحها ولـكـنَّ لفـظيَ فيها لمعْ
عـراقية اللفـظ شامية الـمحاسـن علْويّة المصـطنع
فيا واحد المجـد صنهـا فمـن سـوى واحـد الشعر مـا تستمع
مدحتك حتى بلغـت المشيب وكنـت ببـابـك دون اليَفَع [1]

وقال من أخرى [من الطويل] :

وأعـطيت طبـع البحتـري وشعره فمـن بـالـي بمـال البحتـري وعمـرِهِ

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومةٍ تحت حضـن الدجى مقبّلـة بشـفـاه الأمـاني
تـروق زهيـرا أزاهيـرُهـا ويعشـو إلـى ضوئـهـا الأعشيـانِ

ومن أخرى [من الوافر] :

وقـد زَعَمَـتْ رواة الشـعـر أنّي مـلـكـت عنـان أبلقـه العقـوق [2]

* * *

قد تمت ـ بحول الله تعالى وتيسيره ـ مراجعة الجزء الثاني من كتاب «يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري. ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثالث مفتتحا بترجمة «ابن سكرة الهاشمي» نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنّه وفضله ، آمين .

---

(١) دون اليفع : دون الشباب.
(٢) الأبلق العقوق : مثلٌ يضرب لما لا يكون ولا يوجد قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي ، قال : لا ، قال : ولعشيرتي فتمثل معاوية :
طلـب الأبلـق العقـوق فلما لم يجـده أراد بيض الأنوق

فهـــرس

الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر »
في محاسن أهل العصر ،
لأبي منصور عبد الملك بن محمد بم إسماعيل الثعالبي النيسابوري

الباب العاشر

في ذكر شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

القسم الثاني

في ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : في الملوك الشعراء منهم

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد



يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ابن سكرة الهاشمي

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع ، في أنواع الإبداع . فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد[١] . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخيٌّ جداً . وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصريهما ، فيقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نوادره وملحه ، كطيلسان بن حرب ، وهن أبي حكيمة ، وحمار طباب ، وضرطة وهب .

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته ـ وهي ابنة عمه ـ أنه لا يخلى بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل[٢] زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر[٣] ، ويمتع السمع والبصر .

* * *

(١) جار : أي جرى معه ما أراد .

(٢) انفتل : عاد إلى منزله بعد الانتهاء .

(٣) الحجول والغرر : أي الناصع الجميل من شعره .

الغزل والنسيب

قال في غلام بيده غصن لوز قد نور[1] [من الخفيف] :

غصنُ بانٍ بدا وفي اليد منه غصنٌ فيه لؤلؤٌ منظومُ
فتحيَّرتُ بين غصنين في ذا قمرٌ طالعٌ وفي ذا نجوم

وقال [من الخفيف] :

وغزالٍ لولا تميمة شعرٍ ذكَّرته لقلت بعض الجواري[2]
شاربٌ أشربَ الصبابةَ قلبي وعذارٌ خلعت فيه عذاري[3]

وقال [من الوافر] :

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ يلوحُ ضياؤه من غير نارِ
أقمنا فيه للذَّاتِ سوقاً نبيع العقلَ فيها بالعقار[4]

وقال [من الخفيف] :

من عذيري من شادنٍ لا يراني وهو روحي أهلاً لردّ السلامِ ؟
أنا من خدِّه وعينيه والثغر ومن ريقه البعيد المرامِ
بين وردٍ ونرجسٍ وتلالي أقحوانٍ وبابليٍّ مدام

وقال [من السريع] :

الغصن منسوبٌ إلى قدِّه والورد منثورٌ على خدِّهِ
بدرٌ يودُّ البدر في حسنه بأنَّه يُعزى إلى عبده[5]

---

(١) نوّر : أزهر .

(٢) التميمة : خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين وهنا « الضفيرة » .

(٣) الصبابة : الوجد والحب ، والعذار : الخدّ .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) يعزى : ينسب .

سألته في صحوةٍ قبلةً فردّني والموت في ردّه
حتى إذا السّكر لوى رأسه قبّلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سميه [من الوافر] :

إذا باسمي دعيتُ حننت شوقاً وذكّرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي وألفتها اتفقنا بالقلوبِ

وقال [من الخفيف] :

الليالي تسوء ثم تسرُّ وصروف الزمان ما تستقرُّ
غير أني عن الحوادث راضٍ بعد سخطٍ والعيش حلوٌ ومرٌّ
كنت صبّاً بواحد ثم ثنّيت فلي بالجميع وصلٌ وهجرُ
من كمثلي وعن يمينيَ شمسٌ تتجلّى وعن شمالي بدرُ
ذا على خدّه من المسك سطرٌ وعلى طرف ذا من الغنج سطر
بتُّ يجري عليَّ من ريق هذين وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمرُ
ليَ مِنْ ريق ذا ومقلة هذا مَعَ كأسي سكرٌ وسكرٌ وسكرُ

وقال [من المنسرح] :

حذار من وصل من بليت بهِ فقد لقيت الرّدى بجفوتهِ[1]
دنوت منه كيما أقبّله فلم تدعني نيرانُ وجنته

وقال [من البسيط] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهُمْ هل يحسن الروض ما لم يطلع الزَّهَرْ
هل التحى طرفه الساجي فأهجره أم هل تزحزح عن ألحاظه الحوَرُ[2]

---

(١) الوصل : اللقاء ، والردى : الموت .
(٢) الساجي : الساكن . والحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

وقال [من المنسرح] :

يـا ضاحـكـاً يسـتهـلُّ مضحكَهُ عـن بردٍ واضـحٍ وعـن شنب[1]
أعـطيتني قبلـةً رشـفـت بهـا الـــــشّـهـد مشـوبـاً بـعـبـرة الـعـنـبِ
كأنّنـي إذ لثمـتُ فـاك بها لثمـت تفـاحـةً مـن الذّهب

وقال [من المتقارب] :

فـديتُ مِنَ النـاس مَنْ لحظه بلا خنجـرٍ كاد أنْ يجرحا
كتمـت هواه زمـان الصبّا وصـرَّحـت بالحـبِّ لمّـا التحى
وقيل محـا الشعـر لمـا بدا محاسـنـه منـه واستقبحـا
فقلـت لهـم مـا محـا حسنه ولـكنّ صبـريَ عنـه محا
بنفسـي عذارٌ بـدا طالعاً علـى ناضـر الـورد مـا أملحا
فـصـيَّـر فـي رزةٍ أصـبـعـي وأوثـق كـفِّي تحت الـرّحى[2]

وقال [من الوافر] :

أشبِّهـهُ وحـاشيـةٌ لديه ثقـالاً كلّهـمْ رخـمٌ وبوم[3]
ببـدر التـمِّ إشراقـاً وحسناً وقـد سـترت محاسنـه الغيـوم
عـهـدت البـدر تـكنـفـه نـجـومٌ وذا بـدرٌ تـطيـف بـه رجـوم[4]

وقال [من مخلع البسيط] :

عـابـوا وقالـوا تسـلَّ عنه فقلـتُ هـذا أوان حبي
إنّ الـذي عبتمـوه منهُ هـو الـذي يشـتهيه قلبي

---

(١) الشنب : صفاء الأسنان وابيضاضها .
(٢) الرزة : حديدة يدخل فيها القفل ، والرّحى : الطاحون .
(٣) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .
(٤) الرجوم : شهب تظهر في السماء وكأنها نجوم تتساقط .

وكلّما عبتموه عندي زاد جنوني به وعجبي

وقال [من السريع] :

أحببت بدراً ما له مشبهٌ في الحسن لولا أنَّه جافي
أحورُ في مقلته حجّةٌ للعين والشين مع القاف
وفي ارتجاج الردف داعٍ إلى نونٍ وياءٍ قبل ما كاف[1]
سألته الوصل فلم يحتشمْ وقال قدِّم نقدك الوافي

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا سيدي ومؤمّلي قد شفَّني شوقي إليكا[2]
دمعي عليك موردٌ فكأنَّهُ من وجنتيكا

وقال في غلام أعرج [من الكامل] :

قالوا بليتَ بأعرجٍ فأجبتهم العيب يحدث في غصون البانِ
ماذا عليَّ إذا استجدت شمائلاً وروادفاً تغني عن الكثبان[3]
إنّي أحبُّ جلوسه وأريده للنوم لا للجري في الميدان
في كلِّ عضوٍ منه حسنٌ كاملٌ ما ضرَّني أنْ زلَّت القدمان

وله [من الخفيف] :

ليس شرب المدام للمستهامِ مُذهباً ما به من الأسقام
كُلَّما دبَّتِ المدامة في الأعضاء دبَّ اشتياقه في العظام

وقال في غلام رش عليه ماء الورد [من الخفيف] :

ليت شعري عن ماء وردك هذا هو من وجنتيكَ أمْ شفتيكا

---

(١) الردف : المؤخّرة .
(٢) شفّني : أمرضني وأنحلني .
(٣) الكثبان : الرمل المرتفع .

رقَّ حسناً وطاب عرفاً فقد د لَّ بأوصافه الظّراف عليكا[1]

وقال [من الخفيف] :

بات سكران لا يحيرُ جواباً عن كلامي وبتُّ ألثم فاهُ[2]
وأتاني إبليس يأمر بالسو ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظّرف أن أصون حبيبي عن قبيحٍ يراه أو لا يراه
أيُّ فرقٍ بين الحبيب إذا نيـ ـك ولم يحتشمْ وبين سواه

وقال [من المنسرح] :

في وجه إنسانةٍ كلفتُ بها أربعةٌ ما اجتمعن في أحد[3]
الخدُّ وردٌ ، والصدغ غاليةٌ والرِّيق خمرٌ ، والثغر من برد[4]
لكلِّ جزءٍ من حسنها بدعٌ تودع قلبي بدائع الكمد[5]

وقال [من الرمل] :

يا نظيرَ البدر في صورته وشبيهَ الغصن في قامتِهِ
والذي ينتسب الورد إلى روضةٍ تضحك في وجنتِهِ
ما ترى في عاشقٍ مكتئبٍ دمعه وقفٌ على مقلته
واقفٌ بالباب يشكو ما به فمتى تنظر في قِصَّته

وقال [من الخفيف] :

بأبي الأسمر الذي فزتُ منه بهلالٍ يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً وشربنا من ريقه فروينا

---

(١) العرف : الرائحة الطيبة .
(٢) لا يحير جواباً : لا يدري .
(٣) كلفت : همت وعشقت .
(٤) الغالية : أخلاطٌ من الطيب .
(٥) الكمد : الحزن .

وقال [من المتقارب] :

غزالُ فؤادي إليه صبًا وهشٌ ولولاه لم يهشش
أجِلْ نظراً في نقا خدّه وفي خدّيَ الأصفر الأنمش[1]
تجد صحن خديه تفاحةً وخدّي من أجله مشمشي

وقال [من الخفيف] :

خُذْ من الدهر ما صفا لك منه ودعِ الفكر في بنات الطريقِ
أيُّ شيءٍ يكون أطيب من كأ س رحيقٍ شيبتْ بريق عشيق[2]

وقال [من المجتث] :

تظنُّ أنّيَ أسلو كلاّ وربُّ البُنيَّه
الآن تيّمَ قلبي باللحية السجيَّه[3]
الخدُّ خمرة فضلٍ على الخدود النقيَّه
فيه بقية حسنٍ لم تبقِ منّي بقيَّه

وله [من مجزوء الخفيف] :

أنا والله تالفٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامتْ قيامتي

وقال [من المنسرح] :

وشادن ما رأيت غرّته الغراءَ إلاّ شككت في القمرِ
قد قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصوّر

---

(1) الأنمش : من النمش ، وهي بقع صفار في الجلد تخالف لونه .
(2) شيبت : مزجت .
(3) السبحية : السوداء ، والسبج خرز أسود .

وقال في غلام زطي زامر [من السريع] :

ظبيٌ من الزُّطِّ تعلَّقته ... فصار معشوقي ومولايَ
أحسن والإحسان لم يجمعا ... في حسنٍ إلاَّ لبلوايَ
إذا نأت روحيَ عن جسمها ... ردَّ ليَّ النأي بالناي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [من الوافر] :

بليت ولا أقول بمنْ لأنِّي ... متى ما قلت من هو يعشقوهُ
حبيبٌ قد نفا عنّي رقادي ... فإن غمَّضتُ أيقظني أبوه

وقال [من المديد] :

مستهامٌ ضاق مذهبُهُ ... في هوى من عزَّ مطلبُهُ[1]
كلُّ أمري في الهوى عجبٌ ... وخلاصي منه أعجبُهُ
لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ ... فعيون الناس تنهبه
صيغ من ماءٍ ولي نظرٌ ... ليس يُروى حين يشربه
ضاع من عيني فمقلتُها ... في بحار الدمع تطلبه
منعتني من مقبَّلهِ ... حين أدنو منهُ عقربهُ[2]
واستدارت فهي تحرسه ... من فمي بخلاً وترقُبُهُ

وقال [من البسيط] :

أهلاً وسهلاً بمن زارتْ بلا عدةٍ ... تحت الظلام ولم تحذر من الحرسِ
تستَّرت بالدُّجى عَمْداً فما استترتْ ... وناب إشراقها ليلاً عن القبسِ
ولو طواها الدُّجى عنَّا لأظهرها ... برق الثنايا وعطر النحر والنفس

---

(١) مذهبه : طريقه وحيلته .

(٢) العقرب : حشرة معروفة لسعها شديد الألم « ويشبه الصدغ بها » .

المجون وما يجري مجراه

قال [من السريع] :

قد قلتُ لما مرّ بي معرضاً   كالبدر تحت الغسق الداجي[1]
يهتزُّ في حشيتِهِ مُتعَباً   من كفلٍ كالموج رجراج[2]
ويلي على حلٍّ سراويله   فإنَّه شدٌّ على عاج

وقال في غلام تركي شرب معه [من مجزوء الرمل] :

أيُّها التركيُّ ما عندك للصبِّ النحيلِ
هل إلى ما يستر القرُ طق عنِّي من سبيل ؟
أشتهي ذاك وأخشى صولة اللَّيث الثقيلِ

وقال [من المجتث] :

يا ليلةً ليس فيها   إلى الفقاح سبيلُ[3]
طالت على ذي اهتياجٍ   له قمدٌ طويل[4]
مسكْرجٌ تتوالى   دموعه وتسيل[5]
رقاده في الدياجي   حتى ينيك قليل
موتَرٌ مستقيمٌ   عليه رأسٌ ثقيل
أنزلته خان سوءٍ   عنه يطيب الرحيل

---

(١) معرضاً : صاداً غير مكترث ، والغسق : الظلام .
(٢) الكفل : الردف ، ورجراج : متحرّك متموّج .
(٣) القرطق : كجندُب ، لبسٌ ، معرّب كرته وقرطقته : ألبسته .
(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهي حلقة الدّبر .
(٥) القمد : الطويل الضخم العنق .
(٦) مسكرجٌ : من صفات القضيب « والسكرجة » الإناء الصغير .

وقال [من المجتث] :

قــل للكويتــب عنّــي ... بــأيٍّ أيــرٍ تنيـكُ ؟
والأيــر منك صغيــرٌ ... نضـوٌ ضعيفٌ ركيك[1]
شــاركْ بأيــرك أيــري ... ونـكْ فنعــم الشريـك

وقال [من الكامل] :

إنّــي بليت بشــادنٍ غنجٍ ... حســن الشمائـل وافـرُ الكفلِ
يبغــى الدراهــم وهــي معوزةٌ ... عنــدي فحبلــي غير متصلِ
مستعجــم الألفــاظ أجهــل ما ... يبــدي ويجهــل فهمــه غزلي
وإذا مدحــت فليس يفهمه ... والفــارسية ليس مـن عملي
فبحــقٍّ ما بينــي وبينـك من ... ودٍّ بلا زيغٍ ولا ميل[2]
امنــنْ علــيَّ بقربــه فعسى ... أحيا بزورتــه ويسمــح لي
الجــود منــك سجيّةٌ أبداً ... والمــدح والتقــريظ من قبلي

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن للأير بخــتٌ تعذَّرت ... عليه جهــات النيك من كلِّ ناحيهْ
حرمــت الغــزال الواسطــي لشقوتي ... فدمعــة أيري فوق خصييه جاريه
وفــاز به كل البــرايا ، وربّما ... غدت عقدي في خدعة المرد واهيه[3]
أقــول لأيري وهــو يرقــب فتكةً ... به خيْــتَ يا أيري وغالتــك داهيه[4]
عزاءً فقــد خاس الرجــال بسيدي ... علــيٍّ ولاذوا بالدعــيِّ معاويه[5]

---

(١) نضوٌ : الضعيف المهزول .
(٢) الزيغ : الابتعاد .
(٣) عقدي : حيلي وألاعيبي ، وطُرقي واهية : ضعيفة .
(٤) غالتك داهيه : أصابتك مصيبةٌ قضت عليك .
(٥) خاس : أخلف وغدر ، وفسد .

وقال [من الكامل] :

لما رأت كلفي بها وصبابتي وتأمّلت شمطاً يلوح بعارضي[1]
قالت أكلت جناك ثم أتيتنا بمدوَّدٍ من تمر عمرك حامضِ
أفحين نام الأير منك وصلتنا تبغي النكاح بغير أيرٍ ناهض
لا تعرضنَّ لمهرةٍ إن لم تُرَضْ كلٌّ الرضى كسرت ضلوع الرائِض

وقال [من الطويل] :

وجاهلةٍ هبَّت سفاهاً تلومني وما عندها من لذَّة القصف ما عندي[2]
توبِّخني بالشيب والشيب مرشدٌ لعمري ولكن لست أنشط للرشد
فقلت لها كفّي ملامك إنّني بطيءٌ عن العذَّال في زمن الورد

وقال [من السريع] :

وبات في السطح معي واحدٌ من أكرم الناس ذوي الفضل
أفسو فيفسو وهو لي مسعدٌ كأنّما أملي له ويستملي

وقال [من المنسرح] :

عشقت للحين قينةً عطفتْ قلبي بالحسن كلَّ منعطفِ
ورمت نيكاً لها فكيف به لولا سفاهي والبدع من حرفي
قلت ارفقي بالشريف فابتسمتْ عن لؤلؤٍ ما اعتزى إلى صدفِ[3]
عجباً وأبدت كالقعب غضّ له أيري على بيضه من الأسفِ[4]
وصفَّقت فوقه تحسّرني وهو كثيف المجسّ كالهدفِ

---

(١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .
(٢) القصف : الخلاعة والمجون .
(٣) اعتزى : نمي ونسب .
(٤) القعب : النقرة « يريد بضع المرأة » .

حتـى إذا ما رنـا له ذكري وطـال حتـى عـلا علـى كتفي
قالـت بحقـي عليك تطمـع أن تولـج في ذا بالشعـر والشرف
تالله لا نكتنـي بقافيـةٍ ولا بفخـرٍ فانسـلٌ أو فففِ
وأسبلـت ثوبهـا عليه فلـم أملك سلـواً ولـجٌ بي كلفي
فعجـت عنهـا والأير ينشدني بيتـاً ويبـكي بأدمع ذرف[1]
قال لي الشـوق قف لتلثمه فمـن حذار الـرقيب لم أقف

وقال [من مجزوء الوافر] :

أيا من كلُّـهُ قمرٌ وكـلٌّ لحاظـه حَوَرُ
لقـد طالـت عداتـك لي وأيامـي بهـا قصـر
متى في البـرج تحصـل كي تزيـف ويهـدر الذكـر[2]
وتنشـر بيننـا قبـلٌ يطيـر لنـارهـا شـرر

وقال [من المتقارب] :

وسـوداء بورك في بضعها ولا نال بؤسـاً فمـا أضيقا[3]
نزوت عليهـا ولا علـم لي بأن لهـا كعثـاً محرقا[4]
وكدت من الحـرِّ أن أشتوي ومـن شدّة الضيق أن أختنقا
وألفيت من جسدينـا معـاً لمبصـرنـا شبحـا أبلقـا
فإن أخدشـتْ قرطسـتْ بالمنى وإن تمّمـت ولـدتْ عقعقـا[5]

---

(١) عجت : ملت عنها .
(٢) تزيف : تتبختر، والذكر : عضو التناسل .
(٣) البضع : الفرج .
(٤) الكعثن : « الفرج » .
(٥) قرطست : أصابت الغرض ، وعقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود .

وقال [من المتقارب] :

لخمـرةَ عنـدي حديثٌ يطول رأتنـي أبـول فكـادت تبولُ
فلمـا نهضـت أتـاني الكتاب وجـاء الهـدايا ووافـى الرسول
وقالـت تقـوَّل بنـا يا فتى فقلـت وأنعـظـت لـم لا أقـول[1]

وقال [من السريع] :

وأجـر غلمانـي في واسطٍ جوعٌ ، وكانـوا لا يراموننا
جـادوا بمـا كنـت ضنينـاً به فاتّسعـوا ممّـا يناكوننا
لـو أنّ رزقـي مثـلُ أدبارِهمْ كنـت من الإثـراء قارونا[2]

* * *

ملح من أهاجيه لخمرة

قال [من البسيط] :

غشّـت خميرة يوم العـرس حاجبها بريقهـا وأتتنـي وهـي مختضبهْ
فقلـت للـزوج لا تغـررك حُمرتها فإنّهـا القفـل موضـوعٌ علـى خرِبهْ

وقال [من السريع] :

يا سائلـي عن ليلـةٍ لي مضتْ وطيبهـا عنـد أبـي الجيشِ
وكيف غنَّـت خمـرةٌ لا تسلْ غنَّـت فأغنتنـا عن الخيش[3]
كفٌّ علـى الطبـل لإيقاعـها وكفُّهـا الأخـرى علـى الفيش[4]
وربّمـا مرت لهـا فسوةٌ من فمهـا عفَّـتْ علـى العيش

---

(١) أنعظ الذكر : أي قام وانتصب .

(٢) قارون : أحد الكفرة الأغنياء في زمن موسى عليه السلام وردت قصته في القرآن الكريم .

(٣) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ .

(٤) الفيش : رأس الذكر .

وقال [من السريع] :

ربّ عجوزٍ مستعينيه سلقيةِ اللون سلوقيه
عاجيّةُ الشعر إذا استضحكتْ أبدت ثنايا آبنوسيه
ذات حرّ عنبلُهُ بارزٌ كمرقبٍ في وسط بريِّه[1]
وشعرةٍ بالقمل منظومةٍ كالودع في عقصةٍ كرديّه
يفترُّ ذاك الصدغ عن بظرها كقنفذٍ عضٍّ على ريّه[2]
مُسِنَّةٌ تصبو إلى أمردٍ فهي على العاهة لوطيّه[3]

وقال [من الوافر] :

عجبت لخمرة البخراء أنّى أقامت مع مؤاجرها زمانا[4]
وليس لأيره طولٌ ولكنْ ينيكُ به فيردفه لسانا[5]
لحاه الله كيف يدس فيها لساناً ربّما درس القرانا

وقال [من السريع] :

هل لك يا خمرة في تجرةٍ مربحةٍ ما مثلها تجره
صيري إلى البصرة واسترزقي ربَّك بالنكهة في البصره
فلو عرضت الريق في سوقها لابتيعت التفلة بالبدره[6]
تزكو بها النخل وتحمر في غير أوان الحمرة البسره[7]

---

(١) الحرّ : الفرج .
(٢) ريّه : يعني على شفته حيث يبدأ الارتواء .
(٣) لوطية : من اللواط وهو الاتيان من دُبر .
(٤) البخراء : أي أن رائحة فمها كريهة .
(٥) يردفه : يضمّ إليه .
(٦) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم.
(٧) البُسْر : ثمر النخل الذي لوّن ولم ينضج .

وقال [من المنسرح] :

لا تسمعوا خمرة فقد هرمتْ وانكسرتْ تلكم القواريرُ
رثٌّ غناها ورثٌّ كعثنها والخلق المسترثُّ مهجور[1]
وكلُّ بازٍ يمسُّهُ هرمٌ تخرى على رأسه العصافير

وقال [من الطويل] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرةً وتفرطُ في عشقي وتضرطُ من حبي
إلى أن عفا حرّها ودبّب منعظي وصارت قفا نبك وصرت ألا هبّي[2]

وقال [من البسيط] :

حسبي سواك وبسّي من وصالك لي شغلتُ عنك بمن أهواه فاشتغلي[3]
لا تعذليني على ما كان من مللٍ من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً وصرت مفرغةَ الألحاظ والمقل
إنْ كنت أبصرت أسى منك في بصري فلا بلغت الذي أهواه من أملي
البحر أنت وأيري ليس من سمكٍ وليس بيني وبين البحر من عمل

وحصل معها في دعوة فغنّت . فقال ابن سكرة [من السريع] :

ذنبي عظيمٌ ما أرى يُغفرُ في وصل من نكهتها مبعر[4]
فالحمد لله على حكمه هذا دليلٌ أنّني مدبر
قد قلت لما لاح لي ثغرها ولاح منه الخزف الأخضر
وانتشر السوسن من صدغها وثار منها نفس أبخر

---

(١) رثّ : بلي ، والكعثن : الفرج .
(٢) عفا : امّحى ، ودبّب منعظي : أي ضعف الذكر منّي .
(٣) بسّي : ابتعدي وتنحّي .
(٤) المبعر : المخرج .

وشفَّ قلبي نتن آباطها يا معشر الناس قفوا فانظروا(١)

* * *

ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [من مخلع البسيط] :

تهت علينا ولست فينا ولي عهدٍ ولا خليفه
فتِهْ وزد ما عليَّ جارٍ يقطع عنّي ولا وظيفه(٢)
ولا تقل ليس فيَّ عيبٌ قد تقذف الحرّة العفيفه
الشعر نارٌ بلا دخانٍ وللقوافي رقىً لطيفهْ(٣)
كم من ثقيل المحل سامٍ هوت به أحرفٌ خفيفه
لو هجي المسك وهو أهلٌ لكلٍّ مدحٍ لصار جيفه

وقال [من البسيط] :

أمّا الصيام فشيءٌ لست أعدمهُ مدى الزمان وإن بيَّتُّ إفطارا
أغشى أناساً فأغشى في منازلهمْ جوعاً عليَّ ولا أغشى لهم نارا
قد ألجموا القمل أن ترزأ دماءهمُ وألجموا في الكوى الجرذان والفارا(٤)

قال [من الوافر] :

وهنوا بالصيام فقلت مهلاً فإنّي طول دهري في صيام
وهلْ فطرٌ لمن يمسي ويضحي يؤمِّل فضلَ أقواتِ اللئام

---

(١) النتن : الرائحة الكريهة والآباط : جمع إبط .
(٢) ما عليّ جارٍ : أي رزقٌ أو مالٌ شهري .
(٣) الرُّقى : النفث .
(٤) الكوى : الخرق في الحائط .

وقال [من السريع] :

أكره أن أدنو إلى داركم ... لأنّني أخشى على نفسي
ضرسي طحونٌ وعلى خبزكم ... من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكُمُ ... فكيف آتي ومعي ضرسي ؟

وقال [من الوافر] :

عليلٌ لا يعاد من الخساسة ... له نفس تحيد عن النفاسه(١)
دخلت أعوده فازورّ عنّي ... كأنّي جئته لأدقّ راسه(٢)

وقال [من السريع] :

قام إلى كلبٍ له مثله ... فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي ... يقنع من زادك بالطيفِ
فقال لي لا عفوَ عن ذنبه ... حاف علينا أيّما حيف(٣)
صانعه الضيف بعظمٍ له ... فنحن في ريبٍ من الضيف

وقال [من الكامل] :

كلُّ العجائب قد سمعت وما أرى ... أنّي سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحكُّ به السماء ومثله ... ذنبٌ يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدّث أحدثت لهواتُهُ ... فترى الأنوف تلوذ بالأردان(٤)
وترى أخادعه تعطُّ كأرنبٍ ... عكفت عليه مناسر العقبان(٥)

---

(١) الخساسة : الضعة ، والنفاسة : من النفيس وهو الثمين الغالي .
(٢) ازورّ : أشاح مغضباً .
(٣) الحيف : الانتقاص والظلم .
(٤) أحدثت : من الحدث وهو الريح والغائطمن الانسان، والأردان : أطراف الأكمام .
(٥) تعطّ : تتثنّى ، وعطّ الثوب : شقّه .

وقال [من السريع] :

لا قدّستْ أرضٌ أقمنا بها ... قريبةٌ من طبرستان
ليست خراسان ولكنّها ... تقرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجان من وابلٍ ... قطراً ولا ساكن جرجان
قومٌ إذا حلَّ غريبٌ بهمْ ... مات من الشوق إلى البان(١)

وقال [من السريع] :

لا وصل الروح إلى تربةٍ ... تضمّنت روح أبي روح
والضرطُ والفسو على قبره ... أولى من التأبين والنوح

وقال [من الخفيف] :

يا جوّ أمرد يا حليف البلاده ... لك في الفسق عادةٌ أي عاده(٢)
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي ... لم تأنّقت في شرا سجّاده

وقال [من الكامل] :

يا شاعراً جمَّت مصائب دبره ... وتكاثفتْ لوداقه أوجاعُهُ(٣)
طلب التطبُّع في القريض بجهده ... فجرت طبيعته وقام طباعُهُ(٤)

وقال [من البسيط] :

علامة النحس والخذلان والشوم ... إغراض وجهك عن صقرٍ إلى بوم
كراغبٍ في بنات الزنج من أفنٍ ... وزاهدٍ في بنات الترك والروم(٥)

---

(١) ألبان : شجر لين ورقه طويل ، أبيض الزهر، وبان : بعد ، وانفصل .
(٢) كذا وقع صدر هذا البيت .
(٣) جمَّت : كثرت .
(٤) القريض : الشعر .
(٥) الأفن : الحمق والجهل .

وقال [من المتقارب] :

تجشّـأتُ في وجـه بوابه ... ليعـرف شبعـي فلا أمنعُ
وقلـت له إنّ بي تخمةً ... فهـل من دواءٍ لهـا ينفع ؟
فقـال لقـد غرّنـي معشرٌ ... بهـذا الحـديث الـذي أسمع
فلمـا نذرت بهـم صاحبي ... ولاحـت موائـده أوجعوا
فراحـوا بطانـاً ذوي كظّةٍ ... وأقبلـت من أجلهـم أصفع[1]

وقال [من الوافر] :

يطيل المـكث في الإصطبـل حتّى ... يرى أير الحمـار إذا آسبطرّا[2]
فيمرسـه ويكثـرُ قولَ طوبى ... لغمـدٍ ضمّ هذا النصـل شهرا[3]

وقال [من الوافر] :

لنـا شيـخ يصلّـي من قعودٍ ... وينـكح حين ينـكح من قيامِ
صمـوت فمٍ أخـو عيٍّ ولكنْ ... لـه دبـرٌ يطفّـل بالكلام[4]

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [من المنسرح] :

كددتنـي أن سألتـك الورقا ... فكيف حالـي إن قاسمتـك الورقا[5]
يـا كاتبـاً بـرزت كتابته ... فصـار فيهـا مقدّمـاً لبقا
أسـلـم فـي مكتـب المروءة والـظـرف وكسـب العـلا فمـا حذقـا

(١) البطان : كثرة الأكل : والكظّة : امتلاء البطن حتى لا يطيق التنفُّس .
(٢) اسبطرّا : ظهر وانتصب .
(٣) يمرسه : يعركه بيديه أو يلوكه .
(٤) العيّ : صعوبة النطق : يطفّل : يتدبّر .
(٥) كددتني : أتعبتني وبخلت عليّ والورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعاً وهو ما يكتب فيه والورق الثاني يقرأ بفتح الواو وكسر الراء وهو الفضة .

حتى إذا أسلموه في مكتب اللؤم جرى كيف شاء وانطلقا

* * *

ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [من البسيط] :

إشربْ فلليوم فضلٌ لو علمتَ به ... بادرتَ باللهو واستعجلت بالطربِ
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا ... والغيم مبتسمٌ والشمس في الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشعةً ... حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب في الغمر بواسط [من مجزوء الرمل] :

ليلتي في الغمر دهري ... أو يقضّي العمر عمري
مرّ لي في العمر يومٌ ... لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى ... أمزج الريق بخمر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [من مجزوء الخفيف] :

للأمير الجليل لا ... حظّ من نيل قدرهِ
قهوةٌ أشبهت سجا ... ياه في كلِّ أمرهِ
ذات صفوٍ كودّهِ ... ونسيمٍ كنشرهِ
قد حصلنا بمجلسٍ ... فيه ريحان ذكرهِ
فشربنا بحمده ... وانتقلنا بشكرهِ
وسمعنا غرائباً ... من أفانين شعرهِ
فكأنّا في الخلد نر ... تع في طيب زهرهِ

وقال [من مجزوء الكامل] :

قم يا غزال من الكرى ... روحي فداؤك من غزالِ

هـذا الصـبـوح وأنـت وهـذه بكـر الحجـالِ
لا تـخـدعـن عـن الـشّـمو ل يـشـوبـهـا مـاء الـشـمـالِ

وقال سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

قد بدا الصبح مؤذناً بسفور وفرى الفجر حلَّةَ الديجورِ[1]
فاسقني قهوةً تترجم بالرِّقّة عن دمع عاشقٍ مهجور

وقال [من المنسرح] :

يا ساهر الطرف قد بدا السَّحَرُ وجمّشتنا بنشرها الزَّهَرُ[2]
ورقَّ جلبابُ ليلنا ودعا إلى الصبوح الصباح والقمرُ
فما ترى في اصطباح صافيةٍ بكرٍ حناها في الحانة الكبر
رقَّتْ فراقتْ وفات ملمسها ولم يفتنا النسيم والنظر
فهي لمن شمّ ريحها أثرٌ وهي لمن رام لمسها خبر
ترى الثريا والغرب يجذبها والبدر يهوى والفجر ينفجر
كفَّ عروسٍ لاحت خواتمها أو عقدَ درٍّ في الجو ينتثر
في روضةٍ راضها الربيع وما قصّر في وشي بردها المطر[3]
حيث نأى الناي بالعقول وقد أبلغ في نيل وتره الوتر

وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فهيد يستهديه نبيذاً [من المجتث] :

رسالة من مكدٍّ وشاعرٍ وشريفِ
إلى فتىً مستبدٍّ بكلِّ فعلٍ ظريف
إليك يحيى اشتكائي صحوي بيومٍ طريف

---

(١) السفور : الوضوح ، وفرى : شقّ .
(٢) جمّش : داعب .
(٣) راضها : حلّ بها وقادها .

ولست مضمر نسكٍ كلاً ولا بعفيف
ولو أسام بديني لبعته برغيف[1]
موت الوزير دعاني إلى التماس طفيف
ولم أزل وهو حيٌ في كلّ خصبٍ وريف
وأنت منه اعتياضي يا ذا المحلّ المنيف[2]
أجل وكهفي وغوثي على الزّمان العنيف
وفي النبيذ سلوٌ عن الغرام المطيف
فامنن عليّ بضخمٍ من الدنان كثيف
مستودعٍ ذات لونٍ ومطعمٍ حرّيف[3]
كأنّها وهم حسٍ أتى بحدسٍ لطيف
فقد تبدّد شملي وأنت للتأليف

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من ثناه وذكره بين الورى مسكٌ وعنبرْ
إني كتبت وزائري ظبيٌ مليحُ الدلّ أحورْ[4]
متمنّعٌ في الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
وأرى تعذّر أمره في الكفّ إنْ سِكْرٌ تعذّر
فامننْ عليّ بقهوةٍ أنف الحبيب بها يُعفّر
فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتؤجر

وقال [من مجزوء الكامل] :

إن كنتَ تنشط للمديح وللثناء عليك منّي

(١) أسام : من السوم وهو المفاصلة عند البيع والشراء .
(٢) المنيف : الشامخ المشرف .
(٣) الحرّيف : الحاد الطعم ، الذي يلذع الفم واللسان .
(٤) الدلّ : الجرأة في تلطف ، الغنج .

فـابـعـث إلـيَّ مـع الـرسـو   لَ إذا أتـاك بـمـلء دنٍّ
ومتـــى رضيـــت بـأن أُقــطَّــع أو أهجَّــن أو أزنَّــي[1]
فـاصــرف رســولــي خائباً   وادفـع بقبحـك حسـن ظنّي

وقال [من مجزوء الرمل] :

يـا فتـى الجصّاص قـد أعـــدمتني الإحسان دفعـهْ
ولـزمـت الشحّ بالـرا   ح فمـا تسـخـو بجرعه
قـد أتـى العيـد وصحوي   فيـه يا مولاي بدعـه
أملـي فيـك قريبٌ   ليس فيه ليَ مِنعه
شـربـةٌ مـن خمـرك الصا   في ومـن نـدِّك قطعـه[2]
ينبـذ الحـبُّ فيسـتنفـده   الشـعـر برقعـه

وقال [من المجتث] :

لنـا علـى النـار قِدرٌ   بخـاتـم النـار بكـرُ
وعنـدنـا مـن بقايا   صبيحـة العيـد خمـر
وقـد دعـونـا غلاماً   كالغصـن أعـلاه بـدر
فـاطلعْ علينا وساعدْ   أو لا فمـا لك عـذر

وقال [من مخلع البسيط] :

على الأثافـي لنـا قدورٌ   ساكنـةُ النَّبـض لا تفور[3]
قامـتْ علـى سوقهـا لأكلٍ   ونحـن مـن حولهـا ندورُ
وعندنـا من شراب عمروٍ   دنٌّ رحيبُ الحشـى كبيرُ

(1) أهجّن : أعاب .
(2) الندّ : عود طيب الرائحة يُتبخَّر به .
(3) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر ، واحدتها أثفية « الموقد » .

لمـا فضضنـاه فاح منه نسيم مسكٍ ولاح نور
فـكن لنـا مسعـداً وبادر يكْمُـلْ بك الحسـن والسرور
واغنـم من الدهـر صفـو يومٍ فهـو بتـكديـره جديـر

وقال يستهدي نبيذاً في ذكرة[1] [من الطويل] :

وزنجيةٍ لم تعـرف الزنـج طفلةٍ خميصـة بطـنٍ مسَّهـا عنـدك العطشْ
فجاءتـك تستسقـي من الخمـر ريَّها فترجـع كالحبلـى من النسـوة الحبشْ
فكم من هزيلٍ مثلهـا في ضمورها عنيت به حتـى تضلّـع وانتعشْ

وقال [من المجتث] :

للـورد عنـدي محلٌّ لأنَّـه لا يمـلُّ
كـلُّ السرياحيـن جنـدٌ وهـو الأميـر الأجـلُّ
إن غاب عزّوا وباهوا حتـى إذا عـاد ذلّوا

وقال من قصيدة[2] [من الوافر] :

ويومٍ لا يقـاس إليه يومٌ يلـوح ضياؤه من غير نار
أقمنـا فيه للـذات سوقاً نبيع العقـل فيـه بالعقار

* * *

الشكوى والتفجع

وقال [من الوافر] :

أرى حلـلاً وديباجـاً حساناً فألحظهـا بطـرفِ المستريـبِ[3]

---

(١) الذكرة : الكتاب .

(٢) تقدم ذكر هذين البيتين « انظر ص ٤ من هذا الجزء » .

(٣) الطرف : العين ، والمستريب : الشاك .

وأعـرف قصتّـي وأردُّ طرفـي وفـي قلبـي أحـرُّ من اللهيبِ
جنـى نسبـي علـيَّ وصـدَّ رزقي وأثـكلنـي مـن الـدنيا نصيبي
فوا أسفاً علـى كسـتيج قس ويا لهفـاً علـى قوس الصليب[1]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

قـد أتـى العيد لا أتـى فلقـد أنهـج المهـج[2]
ليـس فيـه لهاشمـيٍّ سـرورٌ ولا فـرج
إنّـه عيـد أهـل قـمّ وقاشـان والكـرج[3]
يتـلاقـى بياضهـم بقلـوبٍ مـن السبـج[4]

وقال يتأسف على أيام المهلبي الوزير[من الكامل] :

يـا صاحبيَّ قفـا أبثُكما مـا قد منيت به من النُّوبِ
وافـى الـربيع وقـد ألفـت به درر السقـاة بدائـر النخب
في روضـةٍ صبـغ الـربيع بها ورد الخـدود بعصفـر العنب[5]
وإذا الغـلام أدار في يده صفـراء بعـد المـزج كالذهب
حمـراء يضحـك فوق مفرقها ثغـر الحبـاب كثغـر ذي شنب[6]
أسجـدت فوق الخـدِّ منـهُ فمي شكراً لمـا أوليت من طرب[7]
هذا حديثٌ كان لي ومضى كالأمس ولّـى ثمَّ لم يثب[8]

---

(١) الكستيج : خيط غليظ يشدّه الذمّي فوق ثيابه تحت الزنّار .
(٢) انهج المهج : أبلاها .
(٣) قم وقاشان والكرج : أسماء بلاد في إيران .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) العصفر : نبات يصبغ به وصبغه أصفر .
(٦) الشنب : عذوبة ورقّة في الأسنان .
(٧) أسجدت : طأطأت وانحنيت .
(٨) لم يثب : يعود من جديد .

أيام كنت من المهالب في ... ربعٍ أغنّ ومرتعٍ خصب
فبمن أعوذ اليوم من كمدٍ ... لا أستقلُّ به من الكرب
والورد قد وافى بنضرته ... والنفس تطلب غاية الطلب
طلَّقتُ لذاتي الثلاث فما ... بيني وبين اللهو من سببِ
فإذا بصرت بوردةٍ قنعتْ ... نفسي بها وقضت مدى أربي
فعلى السرور وكلِّ فائدةٍ ... بعد الوزير سلام محتسب

وقال [من الطويل] :

مضى ملكٌ عمَّ البرية جوده ... رءوفٌ وإن راع الأسود شفيق[1]
سكرت بنعماهُ وجود وزيره ... فقالت لي الأيام سوف تفيق

وقال [من البسيط] :

لا عذَّب الله ميتاً كان ينعشني ... فقد لقيت بضرِّي مثلَ ما لاقى
طواه موتٌ طوى منِّي مكارمه ... فذقت من بعده بالموت ما ذاقا

وقال لبعض الوزراء [من المنسرح] :

يا سيدي أنت إنَّ لي خبراً ... أجرى لساني وصلّب الحدقهْ[2]
هاك حديثي فإن نشطت له ... فاسمعْ وإلا فخرِّق الورقهْ
مستأنسٌ زارني وحسبك بالـ ... ـببغاء ضيفاً ذا فقحةٍ شبقه[3]
باكرني جائعاً فهتّكني ... ومصّ منّي دمي ولا علقه
وهو على البخت ناقةٌ فمتى ... قدّمت ثوراً بفرثه شرقه[4]
لم يبق في روح برمّتي رمقاً ... أتى على اللحم واحتسى المرقه

---

(١) راع : أخاف .
(٢) الحدقه : سواد العين .
(٣) الفقحة الشبقة : النقحة : حلقة الدّبر والشبقة : من الشّبق ، أي حبّ الجنس .
(٤) البخت : الحظ . والفرث : ما يكون في الكرش .

وعـاث في سفرتـي كمشبلـةٍ غرثـى بتلك الأنامـل اللبقـه[1]
قلعاً وبلعـاً بـلا مراقبةٍ لله فـي عيلتي ولا شفقه
قـل للـرئيس الـذي أناملـه مبسـوطـةٌ بالنـوال منخرقه[2]
حلّـت لي الميتـة التـي حُرمتْ فكيف تنبـو نفسـي عن الصّدقه

وقال [من البسيط] :

يـا سيداً ظـلَّ فـرداً في سيـادتـه يخشى ويرجى لدفع الحادث الجللِ
الشـوق يُنهضني والعدم[3] يُقعدني فمـن شنـاك به ما بي من الخللِ[4]

وقال [من السريع] :

جملـة أمـري أنَّنـي مفلسٌ وليـس للمفلس إخـوانُ
وكلُّ ذي عيشٍ بلا درهمٍ فعيشـه ظلـمٌ وعـدوان

وقال [من مجزوء الرمل] :

قيـل مـا أعـددتَ للبر د فقـد جـاء بشـدّهْ
قلـتُ درّاعـةُ عريٍ تحتهـا جُبَّـةُ رِعْدِهْ

وقال [من البسيط] :

وجاهـلٍ قال لي : لا بدَّ من فرجٍ فقلـت للغيظ : لم لا بدَّ من فرجٍ ؟
فقـال من بعـد حينٍ قلـت يا عجباً من يضمـن العمـر لي يا بارد الحجج
لو كان ما قلـتَ حقّـاً لم أكن رجلاً مُقسِّـمُ العمـر في الروحـات والدلّج

---

(١) المشبلة : المسبعة . وغرثى : جائعة .
(٢) منخرقه : متكرّمة متلطّفة .
(٣) الجلل : العظيم .
(٤) العدم : الفقر : شناك : أبغضك .

أسعـى لأدرك حظّاً لو حظيت به ... ما كنت أول محظوظٍ من الهمج
ذنبي إلى الدّهر أنّي أبطحيٌّ أبٍ ... ولست أُعزى إلى قمٍّ ولا كرج[1]

وقال [من البسيط] :

أمسى يسائل عن حالي ليخبرها ... وكيف أمسيت في أهلي وفي بلدي
فقلت حالي بحالٍ من رثاثتها ... وعلّةُ الحال تُنسي علّةَ الجسدِ

* * *

المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [من السريع] :

وقائلٍ لمْ غبتَ عن لحظِهِ ... وأنت من أصغر غلمانه
فقلت ما أجهل فخري بمنْ ... تسمو به سادات أزمانه
هيبته تمنع من قربه ... وحبُّه يغري بغشيانه[2]
وقد تبلّدتُ فهل حيلةٌ ... تبسط أنسي عند لقيانه

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [من البسيط] :

أخٍ مزجت بروحي روحه جرى ... منّي كمجرى دمي في الجسم أفديه
ثم اتفقنا على ألقاب سالفنا ... فصرت في كلٍّ حالٍ ما أضاهيه
أهدى إليَّ دواةً لو كتبت بها ... دهري أياديه لم تنفدْ أياديه

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [من الوافر] :

لقد أمسكت من عمر بن يحيى ... بحبلٍ لا أخاف له انبتاتا[3]

---

(١) أعزى : أنسب .
(٢) غشيانه : إتيانه وقصده .
(٣) انبتاتاً : انقطاعاً .

حباني في الحياة ورمَّ حالي ... وأوصى بي أبا حسنٍ وماتا[1]
فكنت مجاوراً للبحر منه ... فلمّا مات جاورت الفراتا

وقال يهني بالعيد [من الوافر] :

عماد الدين قابلك السعود ... وعشتَ كما تريد لمن تريدُ
وأظهرك الإله على الأعادي ... ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقتبلاً جديداً ... وجدُّك فيه مقتبلٌ سعيد[2]
يُهنّي الناس بالأعياد فينا ... وأنت لنا برغم العيد عيدُ

وقال [من الخفيف] :

ولعمر الإله لولا أياديك لماتت خواطر الشعراءِ
عشت تطوي الأعياد طيَّ الأعادي ... في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءِ

* * *

سائر الملح والنوادر

قال [من الوافر] :

أقرَّ اللهُ عينكِ يا جفوني ... فقد أعتقت من رقٍّ السُّهاد
ويا عيني لك البشرى فنامي ... وتهنيك السلامة يا فؤادي
نزعت عن الهوى وبرئت منه ... إليك وكنت دهري في جهاد[3]

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا شاعراً نمتار من ... أفكاره الفقر الدِّقاقا[4]

---

(١) رمّ حاله : أصلحه وأقامه .
(٢) الجدّ : الحظّ .
(٣) نزعت عن الهوى : تخليت وفارقت .
(٤) نمتار : نشتري ونستخلص ، والفقر : القطع من القصائد .

شعـــرٌ لــو أنّ الشــهــد قيـــس بـــه وجــدنـــاه زعاقـــا[1]

وقال يصف رمكة شقراء[2] [من المنسرح] :

شقــراء إلاّ حجــولٌ مؤخرها   فهــي مدامٌ ورسغُهــا الزَّبد
تعــطيك مجهودهـــا فراهتها   في السير فالحضـر عندهـا وتد[3]

وقال [من مجزوء الرمل] :

قلــت للنّـزلـة حُلّي   وانــزلــي غيـر لهاتـي
واتــركي حلقي بحقي   فهــو دهليــز حياتـي

وقال في غلام له كبر فأخرجه [من مجزوء الرمل] :

مـا   تركنـاه   وفيــه   لمحــبٍّ   مــن   طبـاخ
هــدر الــطير ومـن عا   داتنـا   أكــل   الفراخ

وقال [من السريع] :

وهامــةٍ نيطــت بهـــا لحيةٌ   يظلــم من قد قاسهــا باللّحى
قـد نصل الخضـب إلــى نصفها   فهـي كمثــل النمــل إذ أجنحا[4]

وقال [من المتقارب] :

فإن كنــت من هاشــمٍ في الذّرى   فقــد ينبــت الشــوك وســط الأقاحي

وقال [من الطويل] :

هو البحــر إلا أنّــه عذب موردٍ   ومــن عجــبٍ أنّ العذوبــة في البحر

---

(١) الزعاق : الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه .
(٢) الرمكة : المهرة أو الفرس .
(٣) الحضر والاحضار : ارتفاع الفرس عند العدو .
(٤) الخضب : من الخضاب وهو الصباغ ، ونصل أي ذهب قسمٌ منه .

وقال [من الكامل] :

الجـوعُ يطـرد بالـرغيف اليابس فعـلام تكثُـرُ حسرتـي ووساوسي
والمـوت أنصف حين عدَّل قسمةً بيـن الخليفـة والفقير البائس

وقال [من السريع] :

كنـتُ فقيراً ثم أغنيتني وعـدتُ في الفقـر من الراس
كمثـل من بخَّـره أهله وهـو على مجمـره فاسي[1]

وله [من السرِيع] :

أمـا ترى الروضـة قد نوَّرت وظاهـر الروضـة قد أعشبا
كأنّمـا الأرض سمـاءٌ لنا نقـطف منهـا كوكبـاً كوكبا

وقال [من المنسرح] :

أطعمنـي في خروفـكم خرَفي فجئـت مستعجـلاً ولـم أقفِ
غـدوت أرجـو طرافـه فغدتْ في طرفٍ والسِّمـاك في طرفِ

وقال [من الوافر] :

لقـد بان الشبـاب وكان غضاً لـه ثمرٌ وأوراقٌ تـظلُّك[2]
وكان البعض منـك فمـات فاعلمْ متـى ما مات بعضـك مات كلُّكْ

أخذه من قول الخريمي [من الوافر] :

إذا ما مات بعضـك فابـك بعضاً فبعض الشـيء من بعضٍ قريبُ

(١) المجمر : ما يوضع فيه الجمر مع البخّور .
(٢) بان : مضى وذوى .

وقال في الزهد يخاطب نفسه [من الطويل] :

محمدُ ، ما أعددت للقبر والبلى ... وللملكين الواقفين على القبر ؟
وأنت مصرٌّ لا تراجع توبةً ... ولا ترعوي عمّا يذمُّ من الأمر
تبيت على خمرٍ تعاقر دنَّها ... وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر
سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه ... فقدِّمْ له زاداً إلى البعث والحشر

* * *

الباب السابع

٢ ـ نذكر فيه محاسن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج وغرائبه

هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف[١] ، ولا يبني رجل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر . وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة[٢] . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم . ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه[٣] . ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك

---

(١) السجف : الستار .

(٢) مشوبة : ممزوجة ، والمكدين : الذين يستعطون الناس .

(٣) الرفث والقذع : أي فحشه وإساءته .

والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله[1] ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكّم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر النفس ، وتعيد الأنس .

ما يستغرق وصف ابن الرومي [من الكامل] :

شرك العقول ونزهةٌ ما مثلها ... للمطمئنّ وعقله المستوفز[2]
إن طال لم يملَلْ وإن هي أوجزت ... ودَّ المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [من المجتث] :

فإنَّ شعري ظريفٌ ... من بابة الظّرفاء
ألذُّ معنىً وأشهى ... من استماع الغناء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قرمٌ إذا أنشدته ... شعري البديع تهلّلا[3]
فحسبت أن أبا عبا ... دة يمدح المتوكلا

---

(١) السفاتج : هي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردُّ بها مالك من عميلٍ له في بلدٍ آخر أنت قاصده « من السفتجة » .

(٢) شرك العقول : نظمها وحبكها . والمستوفز : المتيقظ الوافر .

(٣) القرم : السيد القوي .

وقوله [من المجتث] :

إن عاب ثعلب شعري أو عاب خفة روحي[1]
خريت في باب أفعلت من كتاب الفصيح

وقال [من السريع] :

يا سيدي هذي القوافي التي وجوها مثل الدنانير
خفيفةٌ من نضجها هشّةٌ كأنّها خبز الأبازير

ومن أخرى يصف فيها نفسه [من الخفيف] :

حدَثُ السّنّ لم يزلْ يتلهّى علمه بالمشايخ الكبراء[2]
خاطرٌ يصفع الفرزدق في الشعر ونحوٌ ينيك أمَّ الكسائي
غير أنّي أصبحت أضيع في القو م من البدر في ليالي الشتاء

ومن جملتها :

رجلٌ يدّعي النُّبوة في السخف ومن ذا يشكُّ في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبوا يا معشر السخفاء

وقال [من مخلع البسيط] :

بالله يا أحمد بن عمروٍ تعرف الناس مثل شعري
شعرٌ يفيض الكنيف منه من جانبي خاطري ونحري[3]
نسيمه منتن المعاني كأنّه فلتة بجحر
لو جدّ شعري رأيت فيه كواكب الليل كيف تسري

---

(١) ثعلب : أحد النحاة المشهورين .
(٢) حدث السنّ : صغيره .
(٣) الكنيف : المرحاض .

وإنما هزلـه مجـونٌ يمشـي بـه في المعـاش أمري

وقال من قصيدة [من المجتث] :

ألســت تعلـم أنّي فــي غيبتـي وحضـوري
مــا زلــت فيك بمدحي أنيــك أم جريـر

ومن أخرى [من الخفيف] :

ويدٌ تخـرج العـرائس في مد حك بين الأقــلام والأدراج
فاستمعهــا منّي ألــذّ وأشهى من سمــاع الأرمــال والأهزاج
بمعــانٍ بخورهــا لـك طيبٌ وفساهــا في لحيــة الزّجّاج[1]
حلقــت في الطــوال ذقــن جريرٍ والأراجيز لحيــة العجّــاج

وكتب إليه بعض الرؤساء [من مجزوء الرمل] :

يـا أبـا عبـد الإلّه بــك أصـبحـت أباهـي
غيــر أن السـخــف فــي شعــرك قــد جـاز التـناهــي
ولقــد أعــطيت من ذا ك ملاحــات الملاهـي
أقــدمِ الآن علـى القو ل ولا تصـغِ لناهـي

فأجابه [من مجزوء الرمل] :

سيـدي شكـرك عنـدي مثـل شكـري لإلّهـي
سيـدي سخفــي الــذي قد صـار يأتــي بالدواهـي
أنــت تدري أنــه يد فـع عـن مالــي وجاهي
ليت من عاداك عندي وهـو ساهــي الذقــن لاهي

(١) الزّجاج : أحد النحويين .

فتـــرى لحيته فــي اســتـــي إلــى الصـدغ كمـا هـي[1]

وقال [من الوافر] :

وشعــري سخفـه لا بدَّ منهُ ... فقـد طبنـا وزال الاحتشامُ
وهــل دارٌ تكون بلا كنيفٍ ... فيمـكن عاقـلاً فيهـا المقام

وقال [من الوافر] :

تراني ساكنـاً حانـوت عطرٍ ... فإن أنشـدت ثار لك الكنيفُ

وقال [من مجزوء الكامل] :

شـعري الـذي أصبحت فيه ... فضيحـةً بيـن المـلا
لا يستجيب لخاطري ... إلاّ إذا دخل الخلا[2]

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا أيُّهـا الأستـاذ دعـوة شاعرٍ ... طريقتـه في الشعـر لا تتبهرج
إذا أنـت وظَّفـت القوافـي فخيرها ... وإن قلَّ ما يرجـو ومـا يتروَّج
ومـن كان يحـوي العطـر دكان شعره ... فإنـي كنَّـاسٌ وشعـري له مخرج[3]

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف [من المتقارب] :

وهــذي القصيدة مثـل العروس ... موشّحـةٌ بالمعـانـي المـلاح
بـلا نفحـة من فسـا عارضٍ ... ولا وزن خردلـةٍ من سلاح
فلـو أنّهـا جُعلـت خطبةً ... لكانـت تحـلُّ عقـود النّكاح
بعثـت بهـا عنبـراً في الشتاء ... وفي الصيف كافور خرطٍ رياحي[4]

---

(١) الإِست : فتحة المؤخّرة .
(٢) الخلا : أي المرحاض .
(٣) الكِناس : بيت الغزال في الشّجر .
(٤) الخِرط : اللبن المتعقّد ومعه ماء أصفر من داء .

فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح[1]
وشعري لا بدٌّ من سخفه ولا بدّ للدار من مستراح[2]

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر ، وما ينضاف إليها ، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره ، فقال « قيمته بربخ »[3] أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه ، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون .

* * *

قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلاً [من الخفيف] :

يا أبا أحمد بنفسي أفديك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طاعة شرب الدواء يوم الدواء[4]
كيف أمسى سبال مبعرك النذل عريقاً في المرّة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجبٌ في الإخاء فاحفظ إخائي
ربّ ريحٍ يوم الدواء دبورٌ شوّشت في عصاعص الأغبياء[5]
قدّروها فساً وقد كمن الجعس لهم في مهب ذاك الفساء
فإذا الفرش في خليج سلاحٍ ذائبٌ في قوام جسم الماء
فاتق الله أن تغرك ريحٌ عصفت في جوانب الأحشاء

(١) خفشلنج : « يريد المنيّ » ، ولعوق انعقاح : يريد الغائط .
(٢) المستراح : المرحاض .
(٣) البربخ : منفذ الماء ومجراه ، والبالوعة من الخزف .
(٤) الجعس : اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس وهو القصير الدميم .
(٥) الدبور : الريح الغربية والعصاعص : جمع عُصْص : عظم الذنب أو المؤخرة في الإنسان .

لا تنفّسْ خناق سرمك عنه أو تخلّي سبيله في الخلاء[1]
والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخٍ حنّكته تجارب الآراء

وأهدى إليه صديق له نبيذاً وكتب له [من السريع] :

مدامةٌ تمريّةٌ صافيه تلبس من يشربها العافيه
زففتها طوعاً إلى شاعرٍ ما وقفت قطُّ له قافيه

فصادف وصول النبيذ خلفة عرضت له فكتب إليه [من السريع] :

مولاي قد أحسستُ لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكنّني في صورةٍ للخرا جملتها مقنعةٌ كافيه
قد كتبت سطراً على عصعصي هذا لسلطان الخرا ضافيه

وقال يهجو [من مجزوء الكامل] :

ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحيح النيء والخبز الفطير
في جوف منحلِّ الطبيعة والقوى شيخٍ كبير
يخرى فيخرج سرمه شبرين من وجع الزحير[2]
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنت بلا الملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطةَ الشيخ المبجَّل بين حسادٍ حضور

---

(1) السُرم : عنق المخرج .
(2) الزحير : مرض يستطلق معه البطن فيخرج منه دم ومخاط مع ألم .

يا ريح سرقين البغا ل يداف في بول الحمير[1]
يـا نتـن رائحـة الـطبيـخ إذا تغيَّـر فـي القـدور
يا عشَّ بيض القمـل فـرَّ خ في السوالف والشعـور
يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
يا بغض تدخين الجشا في الصوم من تخم السحور[2]
يا حرّ قولنج البطو ن وبرد أعصاب الظهور
يـا ذلَّـة المظـلـوم أصـبـح وهـو معـدومُ النصيـر
يـا سـوء عـاقبـة التعقّـد عنـد تمشيـة الأمـور
يـا كلَّ شيءٍ متعـبٍ متعقّـدٍ صعـبٍ عسير
يـا حيـرة الشيـخ الأصـمِّ وحسـرة الحـدث الضريـر
يـا قعـدةً في دجلةٍ والريـح تلعـب بالجسور
يا قرحـةَ السِّلِ التي هدَّتْ شراسيف الصدور[3]
يـا أربعـاءً لا تـدو ر بـه محاقـات الشهـور[4]
يـا هـدَّة الحيطـان تنـقـض بالمعـاول والمـرور
يـا قرحـةً فـي ناظرٍ غلطوا عليهـا بالـذرور[5]
فتسلَّخـت مـع مـا يليـــها في الجفون مـن البثور
يـا خيبـةَ الأمـل الـذي أمسى يُعلَّل بالغـرور
يـا غلمـة المتخـدرا ت وراء أبـواب القصـور
يـا ملتقـى سعـف الأيو ر على عراجيـن البظـور
يـا وحشـة الموتـى إذا صـاروا إلـى ظلـم القبور

---

(١) سرقين البغال : زبلُها . ويداف : يخلط .
(٢) الجشا : الصوت الذي يخرج من الفم عند الشبع وامتلاء المعدة .
(٣) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع الليّن المشرف على البطن .
(٤) المحاقات : الأوقات التي يكون فيها القمر محتجباً .
(٥) الذرور : ما يذرُّ في العين من دواء يابس .

يا ضجرة المحموم بالـ ـغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضرّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيّام السرور
يا ضجّة الصخب المصدّ ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القلم المرشّ ش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـ ـبَّ عشية اليوم المطير(١)
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـ ـيوم العبوس القمطرير(٢)
يا نهشة الكلب العقو ر ونكهة الليث الهصور(٣)
يا عيش عانٍ موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير(٤)
يا حدَّة الرمد الذي لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقـ ـت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خيلُ بني كلابَ بلا خفير
وأرى بعيني لحمك الـ ـمطبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور

وقال في المهلبي الوزير[من الخفيف] :

قيل إنَّ الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شملُهُ ويعمُّهْ
ثم أخفاه فهو كالهرِّ يخرا في زوايا البيوت ثم يطمُّهْ
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمُّهْ

---

(١) غبَّ : بعْدَ وعِقْب .
(٢) القمطرير : الشديد .
(٣) العقور : الذي يعضّ .
(٤) العاني : الفقير الموجع .

وقال [من المتقارب] :

وذي همّةٍ في حضيض الكنيف وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلةٍ حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع سكرجة كان فيها مري[1]
فلمّا قعدت فسا فسوةً فلم تخطِ عصفتها منخري
وأقبل يضرط في إثرها فقلت أقوم وإلاّ خري

وقال في شيخ بني بعجوز [من مخلع البسيط] :

أفصحْ ودعني من الرموز قد دخل الشيخ بالعجوز
من لي بها حين ضاجعته في ذلك الموضع الحريز
فكنت أخرا على زليخا وهي إلى جانب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [من مجزوء الرجز] :

قد أصبحوا كما ترى ما بين نومٍ وخرا
قومٌ برئت منهمُ لأنَّهم مني برا
ما إنْ أرى مثلاً لهمْ ولا أرى أني أرى

وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها [من مجزوء الخفيف] :

لي صديقٌ جنى عليَّ مراراً فأكثرا
ثم لمّا عتبته غسل البول بالخرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

فقدت بختي إنَّهُ ما زال بختاً قذرا

---

(١) السكرجة : الإناء الصغير يؤكل فيه الشيء .

لـو كـان شيئـاً ناطقاً لكـان شيخـاً أبخـرا
مـن حيث ما درتُ بـه لطَّخ وجهـي بالخـرا

وقال [من السريع] :

يقـول قومٌ أبصرونـي وقدْ تلفـتُ مـا بينهـم سِكْرا
قم بالحـق الظهـر ولـو ركعةً فالنـاس قد صلّـوا بنـا العصرا
فقلـت ما أحسـن ما قلتُمُ أقـوم حتـى ألحـق الظهرا
أقـوم والركعـة مـن عنـد من نعـم وإن قمـت فمـن يقرا
قالـوا فلا تسـكر فلسنـا نرى لعاقـلٍ في سكـره عذرا
والله لولا السـكر يا سادتي ما ذقـت مطبوخـاً ولا خمرا
قالـوا فهـذا السـكر ما حدُّهُ فقلـت حدُّ السـكر أن أخرا

وقال [من المنسرح] :

قومـي تنحـي فلسـتِ من شاني قومـي اذهبـي لا يراك شيطاني
لا كان دهـرٌ عليك حصّلني ولا زمـانٌ إليـك ألجاني
قعـدت تفسين فوق طنفستي مـا بين راحـي وبيـن ريحاني
فمـا عدمنـا مـن الـكنيف إذا حضـرتِ إلاّ بنـات وردان[1]

سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول : حضرت مجلس الصاحب ليلة بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد الصاحب رائحة تأذى بها وتأفف منها، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

* قومي تنحي فلست من شاني *

---

(١) بنات وردان : دواب .

وجاء الفراشون بالندّ فتلافوا تلك الفرطة ، وتقوّض المجلس .

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب [من مخلع البسيط] :

شهرٌ أراه يلجُّ مع منْ يغتاظ من طوله ويدردْ(١)
فالبول قد جفَّ من حماه في الجوف والجعس قد تقدَّدْ(٢)

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات ، واستخلف على نواحي فم النيل. خليفة فكتب إليه [من السريع] :

الحمد لله وشكراً له والله أهل الحمد والشكر
يا أيها الذئب الذي اخترته خليفة ينظر في أمري
أوصيك بالأغنام شراً وهل يوصي أبو جعدة بالشرّ(٣)
امش إليها مشية الليث أو فاحملْ عليها حملة البر
ولا تدع في النيل من إثرها إلا بقايا الصوف والبعر
أنظر إلى السكباج من شمّها أو مرَّ مجتازاً على القدر(٤)
فاقبض على لحيته واحترزْ من حيلةٍ في أمرها تجري
أريد أن تحصي طاقاتها وكلَّ ما فيها من الشعر
اعمل بها لي عملاً جامعاً مستظهراً فيه كما تدري
واحذر إذا وفّيتها في غدٍ أن ينقص الكيل عن الحزر(٥)
حتى إذا جئتك سلّمتها بذلك الإحصا إلى جحري
أوصيك في القوم بهذا الذي عقدته في السرِّ والجهر

(١) يدرد : يغتاظ ويحرد .
(٢) الجعس : القصير الدميم « يعني قضيبه » .
(٣) أبو جعدة : من كنى الذئب .
(٤) السكباج : مرق يتخذ من اللحم والخلّ .
(٥) الحزر : التقدير والتخمين .

وكيف لا أوصي بهذا وقد بليت منهم ببني البظر
واضطرني جور زماني إلى معيشةٍ تزري على الحرّ
والدّهر قد صارت به هيضةٌ فنحن غرقى في خرا الدهر[1]

وقال في ابن سكرة [من مجزوء الخفيف] :

سلحةٌ بعد قرقره من سلاح المزوّره[2]
باتت الليل كلّه جوف بطني مخمّره
ثم رامت تخلُّصاً فاغتدت ذات طرطره
ثم سارت كأسهمٍ عن قسيٍّ موتّره
فأصابت بوثبةٍ جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فسابخس [من مخلع البسيط] :

سعدك للحاسدين نحسٌ وهمْ ظلامٌ وأنت شمس
ارفقْ عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجنب الدست في دار أبي الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن خبري زاحَمَ جوفي قذري
فكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبري
فقمت أعدو حافياً وقد تغشّى بصري
حتّى خريتَ خريةً مثل الخبيص الجزري

---

(١) الهيضة : انطلاق البطن .
(٢) المزوّره : المؤخّرة .

كأنّها من عُظْمها روثة كرشٍ بقري

وقال [من المجتث] :

أبا الحسين بن نصر أبشر بعزٍّ ونصر
فأنت في الصدر أحلى من المنى جوف صدري
وليت لحيةَ من لا يهواك في جوف حجري
من أين مثليَ حرٌّ أو سفلةٌ غيرُ حرٍّ
خراي عند القوافي وذقن غيري بشعري
ومن تكلّف في الشعر نظم سبحةِ درٍّ[1]
نظمت من مثل طبعي الخسيس سبحة بعر
وجملة القول أنّي إحدى عجائب دهري
قد درّ ضرعي على ما ترى فللّه درّي[2]

وقال في إنسان طبري مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا غصّةَ الموت افغري فاك لروح الطبري[3]
حتّى تمجيها على علاّتها في سقرِ
يا أيُّها الشاوي الذي أفلح لو كان خري
لمثل ذا اليوم يقال من خري فقد بُري

وقال يستميح شراباً [من الوافر] :

ألا يا إخوتي وذوي ودادي دعاءُ فتىً إجابته مناهُ
زيادة دجلةٍ والورد غضٌّ قد استولى على قلبي هواهُ

---

(١) السبحة : عقد من الخرز أوغيره يحمل في اليد للتسلية أو للتسبيح « المسبحة » .
(٢) درّ ضرعي : الدرّ : خروج اللبن ، والضرع : في الحيوانات حيث يجتمع الدرّ « الثدي » .
(٣) افغري : افتحي .

فهـذي ليس يفتننـي سواها وهـذا ليس يسبينـي سواه
أمـا فيكم فتـىً يرثـي لصحوي فيسقينـي المشـوم ولـو خـراه[1]

وقال [من السريع] :

يا عينـي السفلـى لحـى سادتي قد شهـدت بالـزُّور فاستعبري
أبـكي عليهـا كلّمـا سرحـت في اسـتي بدمـعٍ سلسٍ أصفر

واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال [من مجزوء الرجز] :

قـل للأمير المرتجى مـن جاءنـي فقـد نجا
ومـن أبـى فذقنه في عصعصـي قـد لجَّجا
يسبـح في بحـر خرا إذا جـرى تموّجـا
وهـا هنـا حكمٌ إذا كوى لحـاهـم أنضجـا
مـن لم يجـيء فذقنه في است الذي استدعي فجا
فقـل لمـن لجـج في جوابـه أو مجمجـا[2]
سبـالك المحفـوف قـد حرّك منّي مخرجـا[3]
مـؤزّراً بالجعس في حـافـاتـه مصهـرجـا
فيـه خراً معتّـقٌ كالبـنّ حيـن كرّجا[4]
تـدفعـه مقعـدتـي بعـد العشـا ملهوجـا[5]
مـن قبـل أن تطبخه طبيعتـي فيـنضجـا

---

(١) المشوم : الشراب .
(٢) لجّج : تردّد في الكلام ، ومجمج الحديث : لم يبيّنه .
(٣) سبالك : الشارب « ما فوق الشفة العليا من الشعر » .
(٤) كرّجا : فسُل وعلته خضرة .
(٥) ملهوجا : مخلوطاً ، أو لم ينضج .

مــن كلٍّ من سرمــي إلى لحيتـه قــد التجا
عاشــرت باستــي ذقنه فامتــزجـــا وازدوجـــا
وصـــعـــدا ونـــزلا ودخـــلا وخرجـــا
ولـــن تـــرى أحســـن مـــن ذقــنٍ تـــواخـــى شرجا(١)

وقال من أخرى [من السريع] :

أنظــر لهــرون وقــد جاءني يطمــع أن يبتزّنــي ضيعتي
جذبــت قوس استــي في وجهه فقرطســتْ لحيتــه ضرطتي(٢)

ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف] :

إن أطفــالــي الــذين تراهم حول ناري في الليل مثــل الفَراش
أتــرى ما شممــت ريح فساهم حين باكرتنــي وهــم في الفِراش
وجعيساتهــم خــلال الزوايا مثــل ذرق الفــراخ في الأعشاش(٣)
لا ترمهــم واقبــلْ نصيحــة رأيي لك واحــذر مغبّــة الغُشّاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمـزين يحفـى شاربـه [مـن الخفيف] :

قد لعمــري فارت طبيعــة حجري منــذ أحفــى المقــراض شارب عمر
كلمــا قصَّ شعــرةً صرَّ منها عصعصــي النــذل أو تفرقــع ظهري

وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [من المنسرح] :

يا سائلــي عن بكاي حين رأى دمــوع عينــي تسابــق المطرا

---

(١) الشرج : مخرج الغائط .
(٢) قرطست : أصابت .
(٣) ذرق الفراخ : سلحها .

ساعــة قيل الــوزير منحدرٌ أســرع دمعــي وفــاض منحدرا
وقلــت يا نفس تصبــرين وهلْ يعيش بعــد الفــراق من صبرا
شاورتــه والهــوى يفتِّنه والــرأي رأيُ الصــواب قد حضرا
أهــوى انحــداري والحــزم يكرهه وتــارك الحــزم يركب الغررا[1]
لأنّنــي عاقــلٌ ويعجبنــي لزوم بيتــي وأكره السفرا
الخيش نصف النهــار يعجبنــي والمــاء بالثلــج بارداً خصرا[2]
والشــرب في روشنــي أقــول به كمــا أرى المــاء منــه والقمرا[3]
ولا أقــود الخيل العتــاق بلى أســوق بين الأزقّــة البقرا
من كلِّ جاموســةٍ لعنبلها رأس بقــرنيه يفلــق الحجرا[4]
قد نفــخ الشّحــم جوفهــا فغدا كأنّــهُ بطــن ناقــةٍ عشرا[5]
لمــا أتتنــي بالليل مقبلةً وثوبهــا بالخــرا قد ائتزرا
تركض مثــل الحصــان نافرةً ومــن يردُّ الحصــان إن نفرا ؟
مدّ ذراعــي في سرمهــا لبباً وســدّ أيري في سرمهــا شعرا[6]
أحســن في الحــرب من صفوفكم غداً قعــودي أصــفف الطُّررا
وأنتف الشعــر من جبين حرٍّ لطفــت في نتفــه ومــا شعرا
أو مبعــرٍ جعســه يطالعني من كوّة البــاب كلّمــا زحرا[7]
هيهــات أن أحضــر القتــال وأن ترى بعينيك فيه ليَ أثرا
بــل الــذي لا يــزال يعجبني الــــدبيب بــالــليــل خــائفــاً حــذرا

---

(١) الغررا : الجهل .
(٢) الخيش : الشراب البارد ، والخصر : البارد .
(٣) الروشن : الكوّة .
(٤) العنبل : البظر الطويل .
(٥) العُشراء : الحامل من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر .
(٦) اللّبب : ما يشدّ من سيور السرج في صدر الداية ليمنع تأخر السّرج أو الرّحل .
(٧) زحرا : أخرج صوته أو نفسه مع أنين .

أنـا إلـى تلك وهـي نائمةً ... وذا إلـى ذاك بعـد ما سكرا
وضجّـة النيك كلّمـا ضرطتْ ... واحـدةٌ تحت واحـدٍ نخرا
وقـول بعض المميّزين وقـد ... شمَّ فسانـا بأنفـه سحرا
في جعس هذا فطـورةٌ وأرى ... أنّ خرا تلك بعـد ما اختمرا
الـدفُّ يوم الصبـوح دبدبتي ... وبوقـي النـايُ كلّمـا زمرا
وخريتـي كلمـا رميت بها ... مقتـل ذقـنٍ خضـبتها بخرا
هذا اعتقـادي وهـكذا أبداً ... أرى لنفسـي فأنـت كيف ترى

وقال [من المجتث] :

إذا تغنّـى سليـمٌ ... عـاق المسرّةً عنّـي
وافـى بـذقـن سخيـف الـ ... ـمغنـي وجئـت ببـطني
فلحيـة التيـس منه ... وسـلحة الفيـل سنّـي

* * *

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي [من مخلع البسيط] :

النـاس يفـدونـك اضطراراً ... منهـم وأفـديك باختيـاري
وبعضهـم فـي جوار بعضٍ ... وأنـت حتـى أمـوت جاري
فـعشْ لخبـزي وعش لـمـائـي ... وعش لـداري وأهـل داري
يـا مـن بـإحسانـه بلغت الـسـ ... ـمـاء في الـعـزّ والـيـسـار
فـاليوم قارون في غناه ... عبـدي وكسـرى ركاب داري

وقال [من السريع] :

يا من يدي من خيره فارغهْ ... ملّيت لبس النعمـة السابغه[1]

---

(١) السابغة : الوافية الفضفاضة ويقال : درعٌ سابغة .

قـد هشمـتْ رأسـي بأحجارها ألفـاظك الهاشـمـة الدامغه
فيا أبـا قابـوس في ملكه رفقـاً أبيت اللعـن بالنابغه

وقال [من السريع] :

إنّك إنسـانٌ له موقعٌ من ناظـري في جوف إنسانه[1]
فكيف تخشـى هجـو من مدحه فيك يـرى أوّل ديوانه
ومـن له في شعـره مذهبٌ ذكرك فيـه نَوْرُ بستانه
تمضـي لياليـه وأيامُـهُ وسـرُّه فيـك كإعلانـه
ولسـت ممـن يخلـط الكفـر في شكـر أياديـك بإيمانـه
قلْ للـذي جهّـز في السعـي بي بضـاعـةٌ عـادت بخسرانـه
لا تغتـررْ أنّـك من فارسٍ في معـدن الملك وأوطانه
لو حدثّـتْ كسـرى بذا نفسه صفعتـه في وسْـطِ إيوانـه

وقال في بختيار [من المنسرح] :

فديت وجـه الأمير من قمرٍ يجلـو القـذى نوره عن البصر
فديت من وجهـه يشككني في أنّـه من سلالـة البشـر
إن زليخـا لو أبصرتْـكَ لما ملّـتْ إلـى الحشـر لذّة النظرِ
ولـم تقسْ يوسفـاً إليك كما نجـم السُّهـى لا يقـاس بالقمرِ
وكان يا سيدي قبـاك إذا هربـت منهـا ينقـدُّ من دُبُرِ[2]
بل وحياتـي لو كنـت يوسفها لم تك من تهمـة العـزيز بري
لأنني عالـمٌ بأنّـك لـو شممـت ريّـا نسيمهـا العطر
سبقتهـا وانـزبقـت تتبعها ما بين تلك البيوت والحجر[3]

---

(١) إنسان العين : البؤبؤ .
(٢) قباك : ثوبك .
(٣) انزبقت : دخلت .

ولـم تزل بالـكدين تقصرها | من قبل وقت العشا إلـى السحر[1]
وقـد علمنـا بأنّ سيدنـا ال | أمير ممَّـن يقـول بالبظر
ولـم تكن تلك تشتـكي أبداً | ما كان من يوسفٍ من الحذر
طبعـك كالمـاء في سهولته | لكنْ أبـو الزبرقـان من حجر
إنّ الملـوك الشبـاب ما خلقوا | إلاّ صلاب الفياش والكمر[2]

وقال [من السريع] :

إنَّ بنـي برمـك لو شاهدوا | فعلك بالغـائب والشاهـدِ
ما اعتـرف الفضـل بيحيى أباً | ولا انتمـى يحيى إلـى خالدِ

وقال [من المنسرح] :

وكاتـبٍ بارعٍ بلاغتُهُ | تجلـو علينـا كلام سحبانِ
وخطُّـه والكتـاب في يده | ينثـر درّاً أمـام مرجان
لـو كان عنـد المأمـون جوهره | أهـداه أو بعضـه لبوران[3]

وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [من الطويل] :

عفـا الله عنهـا إنّهـا يوم ودّعت | أجـلُّ فقيدٍ في التـراب مغيّبِ
ولـو أنّهـا اعتلَّـتْ لكان مصابُها | أخفَّ على قلب الحـزين المعذبِ
ولـكنْ رأت في الأرض أفعى مجدلاً | على قدر غرمـول الحمـار المشغّبِ[4]
فظنتـه أيراً والظنـون كواذبٌ | إذا أخبـرت عن عام ما في المغيَّبِ
وأهـوت إليه من يفـاعٍ ودونه | ثمانـون باعـاً في علـوٍّ مصوّبِ[5]

---

(١) الكدين : من الكِدن ، الشحمُ واللحم ، والكدَن : ثوب للخدر ومركب للنساء .
(٢) الفياش : الذكور . والكمر : العقدة التي في الذّكر .
(٣) بوران : زوجة المأمون وابنة الحسن بن سهل وزيره .
(٤) غرمول الحمار : ذكره .
(٥) اليفاع : التلّ وما ارتفع من الأرض .

فصـــارت حديثـــاً شاع بين مصدّقٍ تحقّقــه علمــاً وبين مكذِّبٍ
سعـى الطمـع المـردي إليهـــا بحتفها ومــن يمتثــل أمــر المطامــع يعطب
فأعظــم يا هذا لك الله ربُّها وربُّــك أجر الثّــكلِ في شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانـت لي علـى سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت[1] ، فأهوت إليه واثبة ، فسقطت من السطح فاندقت عنقها .

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين يدي صاحبه فقال [من المتقارب] :

أميري يا من ندى كفّه يزيد على العــارض الممطرِ
أرى يومنـــا يوم كأسٍ تدو ر من يد ذي دعــجٍ أحور[2]
وأبيض يحــدوك سكر الغرام علــى لثم شاربــه الأخضر
بحمـرة وجنته تستدلُّ علــى أنـه من بنــي الأصفر[3]
وأنّــك مــن دونــه قــد ضربـــت هــامة ذي لبــدةٍ قســور
وشعــر ابــن حجّــاج يا سيدي يغنّــي به عبـدك الهنكري
غنــاءٌ وشعــرٌ لنـــا يجمعا ن مــا بين زلــزل والبحتري

وقال [من البسيط] :

غداً أراه علــى عبــل الشـــوى مرحٍ والخيل من حوله مثـل الحصـى عددا
في خلعــةٍ لو رآهـــا يوم يلبسها نمـرود قبّــل وجــه الأرض أو سجدا

(١) القت : الفصفصة اليابسة ، أو القتات وهو نوع من النبات .
(٢) الدعج في العين : سعتها مع اشتداد سوادها وبياضها .
(٣) بني الأصفر : الروم .

وقال [من المنسرح] :

يا من إذا ما اختللتُ أيَّدني ... ومن إذا ما ضعفت قوّاني
ابق لي اليوم ضعف ما بقّيتْ ... أمس نسورِ الحكيم لقمان

وقال [من السريع] :

يا درَّة الملك ويا غرَّةً ... في وجه هذا الزمن الأدهمِ[1]
تراب نعليك على ناظري ... أعزُّ من عيسى على مريم

وقال [من السريع] :

فتى له عزمٌ إذا كلَّتِ السيوف مثل المرهفِ الصارمِ
وراحةٌ لو صفعت حاتماً تعلَّم الجود قفا حاتمِ

ومن أخرى [من المنسرح] :

هذا حديثي تنمي عجائبه ... بكثرة القال فيه والقيل
أعجزني دفنه فشاع كما ... أعجز قابيل دفن هابيل[2]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وأبرصٍ من بني الزواني ... ملمَّعٍ أبلق اليدين[3]
قلت وقد لجَّ بي أذاه ... وزاد ما بينه وبيني
يا معشر الشيعة الحقوني ... قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

كلُّ خفيف الرجلين ثقلُ ... خفَّة رجليه بالحديدِ

---

(١) الأدهم : الأسود .

(٢) قابيل وهابيل : إبنا آدم عليه السلام .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

أذِقْــهُ من غبٍّ ما جناه ما ذاق يحيى من الرشيد

ومن أخرى [من السريع] :

واستــوف عمــر الدهــر في نعمةٍ دون مداهــا موقف الحشر
مصيبــةُ الحاســد في مكثها مصيبــة الخنســاء في صخر

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من يعــادي الهــوى جهــلاً بموقعه ولا يزال يعــادي المــرء ما جهلا
أمــا رأيت الهــوى استولــى بفتنته على النبيين واستغــوى بهــا الرسلا
فإن شككت فســلْ زيداً بقصته وأورياء يقــولا الحــق إن سئلا[1]
لم بتَّ هذا طلاقــاً حبــل زوجته وذاك في رقعــة التابــوت لم قتلا

ومن أخرى [من السريع] :

مولاي يا من كلُّ شيءٍ سوى نظيره فــي الحســنِ موجودُ
إن كنــت أذنبــت بجهلــي فقد أذنــبَ واســتغفــر داود

ومن أخرى [من الرمل] :

ملكٌ لو لم يكن من ملكه غير دارٍ وُشِّحــتْ بالنِّعمِ
لو رمــى شدّاد فيهــا طرفهُ زهَّدتــه بعدهــا فــي إرمِ

وله ، وقد خرج هارباً من غرمائه [من المنسرح] :

هربــتُ من موطنــي إلــى بلدٍ قد صفّــر الجــوع فيه منقاري
يقــول قومٌ فرَّ الخسيس ولو كان فتــىً كان غير فرّار
لا عيب لا عيب في الفــرار فقدْ فرّ نبــيُّ الهــدى إلــى الغار

(1) يزعم القصاصون أن أوريا جندي من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته ، وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه في قتالٍ ليموت فيه .

ملح من سائر أمثاله في الجد والهزل
الواقعة في فنون نوادره

قال [من مجزوء الرجز] :

جميع ما لي صَدَقَهْ لأكسرنّ فستقه
فبسّ كم تهذين يا سنديةً مطلّقه[1]
لا بدّ للسندان أن يصبر تحت المطرقه
وفيشتي لا بدّ أن أسبكها في البوتقه
لا بد أن أطعن بالـ ـمردي صميم الدرقه
وأن أمرّ الميل في جوف سواد الحدقه
تريد مني أترك اللـ ـحم وأحسو المرقه !
ليس الثريد بابتي بسّي من الملبّقه[2]
أريد من لحم است من أعشقها مدققه
أح!ب أن لا تشفقي عدمت هذي الشفقه
وكلُّ شاةٍ في غدٍ برجلها معلّقه
لا بدّ من أن يقع الـ زرفين جوف الحلقه[3]

وقال [من المنسرح] :

أخشى على حسبتي العدو وفي الـ ـناس لمثلي أصادقٌ وعدي
هرٌّ يراني وفي فمي غددٌ والهرُّ بالطبع يألف الغَدَدا
وإن تغافلت عنه غافصني واستلب الكرش من يدي وغدا[4]

---

(١) بسّ : صوت للزجر .
(٢) الثريد : طعام من خبزٍ مفتّت مبلولٌ بمرق ، وبابتي : الغاية والشرط والصنف .
(٣) الزرفين : حلقةٌ للباب .
(٤) غافصني : فاجأني على حين غرّة.

وقال [من السريع] :

قد وقع الصلح على غلتي فاقتسموها كارةً كاره[1]
لا يدبر البقّال إلاّ إذا تصالح السّنور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [من الرمل] :

أيُّها السائل عن حا لي أنا المضروب زيدُ
وأنا المحبوس لكنْ ليس في رجليَ قيدُ

وقال [من المجتث] :

وقائلٍ هو رأس الـ ـعمال بين الناس
والرأس يصلح إن لم ينفعك للروّاس
هذا هو الحقُّ والحقُّ ما به من باس

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌّ وخمولٌ معاً أحسنت يا جامع سفيان[2]

وقال [من المنسرح] :

الحمد لله إنَّ لي أملاً أنا إلى الخصِّ منه أستند[3]

وقال [من الكامل] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبُّراً فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش[4]

---

(١) الكارة : حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام .
(٢) جامع سفيان : مثل يضرب لكثرة الاحاطة .
(٣) الخصّ : العناية والفضل ، والخُصّ بالضم : البيت من القصب .
(٤) البرغش : البعوض .

وقال [من المتقارب] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولكنّه للفتى يرزقُه

وقال [من الوافر] :

دعوت نداك من ظمئي إليه فعنّاني بقيعتك السرابُ[1]
سرابٌ لاح يلمع في سباخٍ فلا ماءٌ لديه ولا شراب[2]
وليس الليث من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ تحيط بها كلاب

وقال [من الخفيف] :

مستحيل المعنى يصلّى إلى الحشر ويخرى في جانب المحراب

* * *

أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال [من الطويل] :

* وربَّ كلامٍ تستثار به الحربُ *

وقال [من السريع] :

* حتّى متى ترقص في زورقي ؟ *

وقال [من الكامل] :

* خودٌ تزفُّ إلى ضريرٍ مقعدِ *

---

(١) عنّاني بقيعتك السراب : أي أتعبني الأمل الكاذب .
(٢) السِّباخ : من الأرض : ما لم يفلح ولم يعْمَر لملوحته .

وقال [من الكامل] :

* أصبحت أخلقُ منك بالزَّبدِ *

وقال [من المنسرح] :

* تفور من نصف خوصةٍ قِدْري *

وقال [من الرجز] :

* فقلتُ من يفسو على الكنيف *

وقال [من الوافر] :

عجبت من الزمان وأيّ شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمانِ
أتأخذ قوت جرذانٍ عجافٍ فتجعله لأوعالٍ سمانِ[1]

وقال [من الوافر] :

وقد غمزوا مع العيدان عودي ليختبروا الصحيح من المريب[2]
فلان الخروع الخوَّار منَّا وبان تكرُّم النبع الصليب[3]

وقال في بوابٍ أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعت فيمن مات أو من بقي بمقبلٍ بوابه أعورُ
واللّوزة المرة يا سيدي يفسد في الطعم بها السُّكر

وقال [من المنسرح] :

ولي شفيعٌ إليك شرّفني إيجابه لي وزاد في قدري

---

(١) عجاف : هزال .

(٢) غمزوا : جسّوا وعصروا .

(٣) النبع : شجرٌ تصنع منه القسي ، والصليب : الذي لا يسهل كسره .

نبَّهـت منـه لحاجتـي عمراً ... ولـم أعـوّل فيهـا علـى عمرو

يريد قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتـك حروب العدا ... فنبِّـه لهـا عمـراً ثم نمْ

وللآخر [من البسيط] :

المستجير بعمـروٍ عنـد كُربتهِ ... كالمستجير من الرمضـاء بالنار[1]

وقال [من الوافر] :

عذرتُ الأسـد أن صَليت بناري ... مخاطـرةً فمـا بال الكلاب

وأزواج الحرائـر لم يجابوا ... لديَّ فكيف أزواج القحاب ؟

وقال ـ وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع ـ [من السريع] :

ضربـت في الإبـرام يا سيدي ... لي مثـلاً بابـن أبـي رافع[2]

فقلـت في ذلك : لا تعجبوا ... من متخـمٍ يفسـو علـى جائع

وقال [من البسيط] :

إنّـي بليت بأقـوامٍ مواعدُهم ... تزيدنـي فوق ما ألقـاه من محنِ[3]

ومـن يذقْ لسعـة الأفعـى وإن سلمتْ ... منهـا حشاشتـه يفـزعْ من الرسن

* * *

(١) الرمضاء : الحرّ الشديد .

(٢) الابرام : العقد .

(٣) الحشاشـة : الروح والنفس .

الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد [من الوافر] :

فداؤك نفس عبدٍ أنت مولى ... له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويلٌ ... فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبّره مقالي ... حصول استي على حرّ المقالي
وأنّي بين قومٍ ليس فيهمْ ... فتىً ينهى إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري ... وحوتي ليس تقليه المقالي
ومائي قد خلتْ منه جبابي ... وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغُ المطروح خلفي ... بعيدُ العهد بالقطع الحلال
أفكّرٌ في مقامي وهو صعبٌ ... وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي الـ ... ـعليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جفّ كبدي ... وإن عالجت ذاك ربا طحالي(1)

وكان يكتب في حداثته لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب إليه [من السريع] :

سألت يا مولاي عن قصّتي ... وما اقتضى بالرسم إخلالي(2)
ليست بجسمي علةٌ تشتكي ... وإنّما العلّة في حالي
وذاك داءٌ لم تزل ضامناً ... من سقمه برئي وإبلالي(3)

وقال [من المتقارب] :

خليلي قد اتّسعت محنتي ... عليَّ وضاقت بها حيلتي

---

(1) ربا : انتفخ وازداد .
(2) الرسم : الإيضاح والتبيان ، والإخلال : عدم الوفاء بالعهد .
(3) إبلالي : شفائي .

عذرتَ عذاريَ في شيبه ... وما لمت أن شمطت لمتي
إلى كم يخاسسني دائماً ... زماني المقبح في عشرتي
تحيَّفني ظالماً غاشماً ... وكدَّر بعد الصفا عيشتي
وكنتُ تماسكتُ فيما مضى ... فقد خانني الدهر في مسكتي
إلى منزلٍ لا يواري إذا ... تحصّلت فيه سوى سوأتي
مقيماً أروح إلى منزلٍ ... كقبري وما حضرتْ ميتتي
إذا ما ألمَّ صديقي بهِ ... على رغبةٍ منه في زورتي
فرشت له فيه بسط الحديث من باب بيتي إلى صفّتي[1]
ومعدته في خلال الكلا ... م تشكو خواها إلى معدتي[2]
وقدْ فتّ في عضدي ما به ... ولكنْ عليه غلبت علّتي
وأغدو غدواً ملياً بأنْ ... يزيد به الله في شقوتي
فأيّةُ دارٍ تيمّمتها ... تيمّم بوابها حجتي
وإن أنا زاحمتُ حتّى أموت ... دخلتُ وقد خرجتْ مهجتي
فيرفعني الناس عند الوصول ... إليهم وقد سقطت عمّتي[3]
وإن نهضوا بعد للانصرا ... ف أسرعت في إثرهم نهضتي
وإن قدَّموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدّمت لي ركبتي
وفي جمل الناس غلمانهم ... وليس سوائي في جملتي
ولا لي غلامٌ فأدعو به ... سوى من أبوه أخو عمَّتي
ركنت مليحاً أروق العيو ... ن أيضاً فقد قبِّحت خلقتي
يعرق خدي جفاف الهزال ... وحاف الشناج على وجنتي[4]

(١) الصفة : الاستراحة أمام البيت .
(٢) الخواء : الفراغ والجوع .
(٣) العمّة : أي العمامة توضع على الرأس .
(٤) الشناج : تقبض الجلد .

وقوّسنـي الهـمُّ حتـى انطويت | فصـرتُ كأنّـي أبـو جدَّتي
وكان المـزيِّنُ فيمـا مضى | تكسِـرُ أمشاطَـهُ طرَّتي[1]
وكنـت برأسٍ كلـون الغداف | فقـد صرت أصلـع من فيشتي[2]
ويا ربَّ بيضـاء رود الشبا | ب كانـت تحـنُّ إلـى وصلتي[3]
فصـارت تصـدُّ إذا أبصرتْ | مشيبـي وتغضـب من صلعتي
علـى أنَّنـي قلـت يومـاً لها | وقـد أمضـت العـزم في هجرتي
دعـي عنـك ما فوقـه عمّتي | فإن جمالـي ورا تكّتـي[4]
هنـالك أيـرٌ يسـرُّ العيون | طويلٌ عريضٌ علـى دقّتي

ومنها :

سوى أنّ قلبـي قد صرفتـ | ـه في شغلـه بالأسـى عطلتي
وكانـت بتـكريت لي غلّةٌ | فغلّـت بأجمعهـا غلتـي
أغـاروا علـى سمسمـي غارةً | تعـدَّت فأنضـت إلـى حنطتي
فلا أزال في نقمـةٍ كلٌّ من | أزال بحيلتـه نعمتـي

وقال [من الخفيف] :

قد قنعنـا فهـات خبـزاً بلحمٍ | أنـا من شدّة الخـوى في السِّياقِ
فرجـي أن أشـمَّ رائحـة اللحـ | ـم ولـو كان من فسـا مرّاقِ

وقال [من السريع] :

ما حال من يأوي إلـى منزلٍ | أرفـقُ منـهُ المسجـد الجامعُ

---

(١) الطرّة : الشعر أو مقدمه الذي فوق الجبين .
(٢) الغداف : الغراب والشعر الأسود الطويل على سبيل الاستعارة .
(٣) رود الشباب : أي الشابة الحسناء .
(٤) التكّة : رباط السراويل .

لا يرتـوى العطشـان فيه ، ولا يلحـق مـا يقتاتـه الجائع
وسوقـهُ كاسـدةٌ بينكـم لا مشتـرٍ فيهـا ولا بائـعُ

وقال [من الخفيف] :

أتعشّـى بغير خبـزٍ ، وهذا خبـري منـذ مدّةٍ في غدائي
فأنـا اليوم من ملائـكة الدّو لة وحـدي أحيا بغير غذاء
آيةٌ لم تكنْ لموسـى بن عمرا ن ولا غيره مـن الأنبياء

* * *

نبذ من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال [من المجتث] :

هـذا وأيام أكلـي عنـد الملـوك الكبـارِ
مـا كنـت أفـطر إلا علـى كبـود القمـاري
مشـويـةً وقـلايـا فاليوم سنّـور داري
إذا أرادت تعشّـى تنغّصـتْ لـي بفـار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [من المجتث] :

يا سادتـي قول ميتٍ في مثـل صورة حـيٍّ
لـم يبـق في الخـرج شيءٌ أتـأذنـون بـشـيٍّ ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [من السريع] :

سيدي عبـدك في الزيتِ فرَّ من المـوتِ إلـى الموت
حالـي وأقطاعـي خرابٌ فقدْ فررت من بيتـي إلـى بيتي

وقال [من البسيط] :

مـا لي أرى بيت ما لي حلَّهُ زحلُ ... وحسبه من بعيدٍ أن يرى زحلا(١)
فمـا ترى لا رأيت السـوء في رجلٍ ... قد شبَّ تحت خطوب الدّهـر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تطعم لحوم الجدا [من الوافر] :

رأيتُ كلابَ مولانـا وقوفاً ... ورابضـةً علـى ظهـر الطّريق
فمـن وردٍ له ذنـبٌ طويلٌ ... يعقّفـه وملهـوبٌ خلوقي(٢)
تغـذّى بالجـدا فوددت أني ... وحـقّ الله خركوشٌ سلوقي
فيا مولاي رافقنـي بكلبٍ ... لآكل كلَّ يومٍ مع رفيقي
أرى القصّـاب قد أضحـى عدوّي ... لشؤم البخت والملحـي صديقي(٣)
فلـو أنّـي افتصـدت لمـا وجدتم ... سوى الحلتيت داخـل باسليقي(٤)
جفانـي اللحـم وهـو شقيق روحي ... فمـنِ يعـدي علـى ذاك الشقيق
كأنّ اللحـم في صوم النصارى ... توهّمنـي ابـن عمٍّ الجاثليق
وأحســن ما رآه النـاس لحمٌ ... جرايتـه تضـاف إلـى الدقيق

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا سيِّد النـاس عشـت في نعمٍ ... تأوي إليهـا ممـالكُ العجمِ
بديهتـي في الخصـام حاضرها ... أشهـر في الفيلقين من علم
والخـطّ خطـي كمـا تراه ولا الـ ... زهـرة بين القرطـاس والقلم
هذا وخبـزيَ حافٍ بلا مرقٍ ... فكيف لو ذقـت ثردة الدسم(٥)

---

(١) الزَّحْل : التعب أو الجفاء والبعد وزُحل : أحد الكواكب السيارة .
(٢) المهلوب : المنتوف .
(٣) الملحي : اللائم .
(٤) الحلتيت : الصمغ . والباسليق : وريد يمتدّ في الذّراع .
(٥) اثردة الدسم : من الثريد وهو الخبز المقتت الممزوج بالمرق .

ما لـي وللحـم إنّ شهوتـهُ		قـد تركتنـي لحمـاً علـى وضم[1]
ومـا لحلقـي والخبـز يجرحه		بالملـح يشـكو حزونـة اللّقم[2]

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا من رأى البـدر حسـن صورته		فبـان في البـدر موضـعُ الحسدِ
نحـن سنـانيرُ أهـل دولتكم		فأنصفونـا من صاحـب الغدد
والله لولاك لم تبـت مرق اللـ		ـحـم تروي شحومـه ثردي
ولـم يحـوّر لي الـدقيق ولا		كانـت تحـوز المسلقـات يدي

وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [من السريع] :

خفّـي فمـا أنـت بمعذوره		ولا علـى نصحـك مشكوره
أذاك كم يصـدع قلبـي به		وإنّمـا قلبـي قـاروره
فـي كلِّ شيءٍ أنـت يا هذه		مغمومـةٌ بي غير مسروره
حتـى مسنّاتـي التـي أصبحت		وهـي خرابٌ غيـر معموره
أيّتهـا المـرأة لا تقلقي		من قبـل أن تستعملـي الصوره
لـي سيدٌ أضحـت عناياته		علـى مسنّـاتـي مـوفـوره[3]
ناهدتـه فيهـا علـى أنّها		تجعـل بالصـاروج كـافـوره[4]
منّـي أنـا لا شيء ومـن سيدي الـ		ـآجـر والصنّـاع والنُّـوره[5]

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه عمامة [من مخلع البسيط] :

يا من له معجـزات جودٍ		توجـب عنـدي له الإمامه

(١) الوضم : الطاولة التي يضع اللّحام عليها قطع اللحم .
(٢) الحزونة : الصعوبة .
(٣) المسناة : أحباس للمياه .
(٤) الصاروج : النورة وأخلاطها .
(٥) النُّورة : حجر الكلس .

مـا لي إذا ما الشمـال هبَّتْ قامـت علـى رأسـيَ القيامه
ودمّيت في القفـا عيونٌ بالطـول في موضـع الحجامه
أظـنُّ هذا من أجـل أنّي في البـرد أمشـي بلا عمامه

وقـال لبختيار حين عاود الحضـرة بعـد هزيمـة الأتـراك والحجـاج معـه [مـن المنسرح] :

الحمـد لله جاءت النعمُ وانصرفـت مع مجيئهـا النقمُ
واطلـع البـدر بعـد غيبته فانكشفـت عن وجوهنـا الظلم
فـأيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي فإنّنـي منـك لسـت أحتشم ؟!
أريد ممـا آفتتحتـه عملاً يثـرد في دغبـاجـه اللقم[1]

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [من الخفيف] :

يا ابـن بشـرٍ يا سيدي يا ابـن بشرٍ يا معينـي علـى ملمّـات دهري
حلـق الله ذقـن من يتشنّا ك وألقـاه في غيابـة حجر[2]
أيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي اليو م فهـذا أنـا وأنـت وشعري ؟!
أنـا في واسـطٍ أروح وأغدو بين مَدٍّ من الظنـون وجزر
تارةً يسنـح الغنـى لي فأرجو ه ، وطـوراً أرى دلائـل فقري
راجـلاً أعزبـاً فرجلـي وأيري بين بطـنٍ قد أعوزانـي وظهر
غيـر أنّي أرى عـمـيـرة بـالـلـيـل يمشي بجلدهـا بعض أمـري
وكعـابي التي يـرضّضهـا المشـي على من أحيلهـا ليت شعري[3]
أنـت تدري وحسـب عبـدك فيما يرتجـي منـك قولُـهُ أنـت تدري

---

(1) الدغباج : النعيم والأكل .
(2) يتشنّاك : يبغضك ، وغيابة حجر : قعر سجن .
(3) يرضّضها : أي يترك بها رضوض وأوجاع .

وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [من السريع] :

يا سيدي دعوة ذي رحلةٍ ... مقصّرٍ في الجري مسبوقِ
والقوم قد صحَّ بهم عزمهمْ ... وضربوا بالطبل والبوق
وضمَّروا للسير أفراسهم ... وفرسي الأشهب في زيقي[1]
بل لي كميتٌ ما رئي مثله ... يا سيدي قطُّ لمخلوق
كأنّني في متنه راكبٌ ... داليةً في رأس زرنوق[2]
ما في فضلٌ لا ولا فيه لي ... لأنني وهو على الريق

وقال يتنجز رداء شرب [من الخفيف] :

ويحك اسكت فضحتني يا راسي ... أنت بالضدّ من رءوس الناس
أنت والله فارغ القحف إلاَّ ... من كنوز الخباط والإفلاس[3]
بسّك اقطعْ ففي ضماني الرّداء الـ ... ـشرب الأميريّ عن أبي العباس[4]
أبيض الغزل فيه خطُّ سوادٍ ... مثل خطّ الرئيس في القرطاس

وقال يتنجز دراهم [من المنسرح] :

يا قمراً في تمامه طلعا ... هذا رسولي إليك قد رجعا
في غاية الحسن والدماثة والـ ... ـنعمة والظرف والجمال معاً
عن طيب معناه في لطافته ... كأنّه في الكنيف قد وقعا
وهو يحب الصرار يفتقها ... ويشتهي أن يجمّش القطعا[5]
فاحسمْ بختم القرطاس مقطعه ... وامنعْ يديه عليه أنْ تقعا

---

(١) الزِّيق : ما أحاط بالعنق من رباط .

(٢) الزنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر .

(٣) الخباط : الزكام ، أو مرض كالجنون .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) الصرار : جمع صُرّة، ما تجمع فيه الدراهم أو غيرها وتشدّ .

واردده من همةٍ بختمكَهُ كأنّه بالفلوس قد صفعا

وقال يتنجز شعيراً لدابته [من المنسرح] :

كميتيَ اصهل واضرط فقال نعم بالسمع يا سيدي وبالطاعه
نعم ولكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فممّن فقلتُ من رجلٍ قد صارِ في الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [من مجزوء الخفيف] :

كال لي ابن المعدل بالقفيز المعدّلِ[1]
من شعيرٍ بلا ترا بٍ نقيٍّ مغربل
ما أرى مثله فلا نٌ قضيماً لدلدل[2]

وقال يطلب خيشا [من السريع] :

يا أحرص الناس على مبعرٍ يدقُّ مستنجاه بالفيش
حتّى متى تتركني في لظى حرٍّ حزيران بلا خيش

وقال يستعين بأبي قرة على تطهير ابنه [من السريع] :

يا سيدي دعوةُ من لم تزلْ تعديه بالجود على دهرِهِ
إنّ ليَ ابناً أمسِ خلَّفتهُ في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عنّ ذكري له وفي فؤادي النار من ذكره
والعزم بي قد جدّ يا سيدي في شهرنا الأدنى على طهره
فقوِّني إنّي ضعيفُ القوى على الذي أنويه في أمره
فأنت سترُ الله في وجه من أصبح ذاك الطفل في ستره

---

(١) القفيز : المكيال .

(٢) دلدل : بغلة شهباء كانت للنبيّ ﷺ .

وقال لبعض بني حمدان [من السريع] :

فتىً يُغير المدح في داره على صناديقٍ وأكياس
ذقت ندى راحته مرّةً فطعمه في جوف أضراسي

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [من المنسرح] :

يا وقح الوجه جيِّدَ الحدقه خست بوعدي وكنت غير ثقهْ[1]
أين نصيبي من الطعام وما طمعت في لعقةٍ من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعني عندك ما ليس يوجب الشّفقه
قطعة لحمٍ في وزن خردلةٍ على رغيفٍ كأنّه ورقه[2]

وقال يطلب مشروباً [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت لي وبعدي وأرضُ نعليك صحن خدّي
عندك يا سيدي نبيذٌ وليس لي منه رطل دردي[3]
تروى وأظمأ وذاك بين الـ أحرار ضربٌ من التّعدّي
وقد تناهى أمري إلى أن بكّرت من منزلي أكدي[4]

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

أبا الحسين الزمان ذو دولٍ أسبابها عند علّة العللِ
والعيش كالصّاب في مرارته طوراً، وطوراً أحلى من العسلِ[5]
ودار هذي الحياة مذ بنيت لم تخل من ساكنٍ ومنتقلِ

---

(١) خست بالوعد : لم تفِ به .
(٢) الخردلة : حبّة صغيرة سوداء تستعمل في التوابل وفي الطب .
(٣) الدُّردي : من الزيت ونحوه : ما يبقى راسباً في أسفل الإناء من الكدر .
(٤) أكدي : أطلب واستعطي .
(٥) الصاب : نبات شديد المرورة .

والنّـــاس فـي طيبهـم ونتنِهِمْ ... ضدّان مثـل التُّفـاح والبصل
وهـم مليحٌ وآخـرُ وحِشٌ ... ما بيـن رامشـةٍ إلـى جعل[1]
فوجـه هذا للسّيف وحشته ... ووجـه ذاك المليح للقبل
وليس هذا وقـت الخطـاب على ... جرايةٍ تقتضـي ولا عمل
الوقـت وقـت الأرطـال تعملها ... ما بين ثانـي الثقيل والرمل
وقحبـةٍ تبلـع القضيب ولا ... يعجبهـا غيره مـن الحمل
فابعـث بقفصيـةٍ تحدّثنـا ... عن حرب صفين أو عن الجمل[2]
غزيرة الـورد إن بي ظمأً ... لا يرتـوي من صبابـة الوشل[3]
ولا تجـادل أخـاك معتذراً ... فلسـت ممّـن يقـول بالجدل

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

يا نديمـي قد خلـوت بحرٍّ ... ليس منـه ثقـلٌ علـى ملكيْهِ
اسقنيهـا وحـدي سروراً ببدرٍ ... يعلـم الله كيف شوقـي إليهِ
يا ابـن يحيى الـذي أمـوت وأحيا ... في موالاتـه وبيـن يديه
منـك هـذا النبيـذ والخبـز واللحـم الـذي يشـرب النبيـذ عليـه

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

استمـع شرح قصـةٍ أنـا منها ... بـين وصـلٍ ممّـن أحـبُّ وهجرِ
ليَ وعـدٌ على غزالٍ غريرٍ ... ينجـز الوعـد كل غرَّةِ شهر[4]
ومغـنٍّ يحيط بالحـال علماً ... فهـو يأتـي ولا يقـول بحذر
وعليك انتهـاء سكرهمـا اليو ... م إلى غاية المراد وسكري

---

(١) الرامشة : الطاقة من الريحان ونحوه ، والجعل : الدميم الأسود .
(٢) القفصيّة : إناء يجعل فيه الخمر .
(٣) الوشل : الماء القليل .
(٤) غرّة شهر : مطلعه .

فأرحني من الهموم براحٍ تصدر الهم عن موارد صدري[1]
وابقَ حياً يضاف قسطٌ إلى عمرك طول الحياة من كل عمرٍ

* * *

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [من الوافر] :

وليس العيش إلاّ شرب راحٍ إليَّ بشربها الساقي يشيرُ
وكأسٍ يعدل الساقون فيها ولكنْ حكم سورتها يجورُ
وشدو صغيرةٍ كالخشف يحدي بصوتِ غنائها الرّطل الكبير

ومن أخرى [من الخفيف] :

آسقني بالكبار إمّا بطاسٍ أو بكأسٍ محرورةٍ أو بجام[2]
لا تكلني إلى الصغار التي تحكي قوارير جونة الحجّام[3]
وتقلّدْ ديوان عشرتي اليو م بلا مشرفٍ وغير زمام

ومن أخرى [من المنسرح] :

الشرب لا الحرب عادتي ومعي ستة رهطٍ جندٌ صناديدُ
الدنُّ والرّطل والمشمَّة والنّـ ـقل وطبلُ التكريع والعودُ[4]

---

(١) الراح : الخمر ، وتصدر الهم : تبعده .
(٢) الجام : الإناء الكبير .
(٣) القوارير : إناء مستطيل من زجاج يجعل فيه الشراب والطيب .
والجونة : سلّة صغيرة مستديرة مغطّاة بالجلد تكون مع العطارين ويوضع فيها الطيب .
(٤) النُّقل : ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق وما إلى ذلك .

ومن أخرى [من مجزوء الخفيف] :

سيدي ما أظنُّهُ بعد يدري بما جرى
ما درى أنَّ عبدَهْ فلسه قد تقشّرا
عند قومٍ معروفهم فيَّ قد صار منكرا
كنتُ كالمسك مرةً بالدنانير أشتري
فأنا اليوم بعد ما صرت شيخاً كما ترى
عبدُ من عنده نبيـ ـذٌ إذا كان أحمرا
خمرةٌ دنُّها يضـ ـمن مسكاً وعنبرا[1]
كم فمٍ ذاقها فطا ب وقد كان أبخرا[2]
وغلامٍ بكأسها راح يسعى وبكَّرا
هو فينا بريحها عبقٌ قد تعطَّرا
ظلّ يفسو وعندنا أنّه قد تبخرا

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

أيلول والعيد واعتدال الـ هواء في اللّيل والنهارِ
وشهر شوال في تكافي ساعات أيامه القصار
أربعةٌ تقتضيك دين الـ سّماع واللهو والعقار
فاشربْ لها بالكبير إنّ الـ كبير للسادة الكبار

ومن أخرى [من البسيط] :

والكأسُ تسلبني عقلي ، وأهون ما لهوتُ عن ذكره عقلي إذا سلبا
حمراء يمسي بناني وهو فوق يدي منها بمثل شعاع الشمس مختضبا

---

(١) الدنّ : الزق أو وعاء الخمرة .

(٢) الأبخر : ذو الرائحة الكريهة .

ابتعتها غير مغبونٍ ولو طلب الخمار روحي بها أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته محصلٌ يشتري بالفضة الذهبا

ومن أخرى [من الكامل] :

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدةٍ تزري عقل اللبيب الأكيسِ
هذي المجرَّة والنجوم كأنَّها نهرٌ تدفَّق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غسَّلت بنسيمها فعلام شربي الراح غير مغلّس(١)
قوما اسقياني قهوةً روميةً مذ عهد قيصر دنُّها لم يُمسس
صرفاً تضيف إذا تسلّط حكمها موتُ العقول إلى حياة الأنفس(٢)

ومن أخرى [من الخفيف] :

من شروط الصبوحِ في المهرجانِ خفَّةُ الشغل مع خلوِّ المكانِ
وحضور الطعام قبل طلوع الشمس مذ أمس بارد الألوان
والعروس التي تزفُّ إلى الأر طال في ثوب صبغها الأرجواني
رسموا طين دنِّها وهو رطبٌ باسم كسرى كسرى أنو شروان
وترى سوسن الكؤوس عليها كسوةً من شقائق النعمان
ثم خفق الطبول بين الأغاني واصطكاك الأوتار في العيدان
والسماع الذي يملّ على الأسماع ما تشتهي بلا ترجمان
كلُّ صوتٍ من اقتراحات إسحا ق التي زيَّنت كتاب الأغاني
لا أعد الصبوح إلاَّ غبوقاً إن جعلت الصبوح بعد الأذان(٣)
يا خليليَّ قد عطشت وفي الخمرة ريٌّ للحائم العطشان

(١) غير مغلّسة : أي غير قديمة العهد .
(٢) صرفاً : صافية غير ممزوجة .
(٣) الصبوح والغبوق : شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

فاسقياني محض التي نطق الوحي بتحريمها من القرآن

والتي ليس للتأوُّل فيها مذهبٌ غير طاعة الشيطان

واعدلا بي عن التي هدَّت النا ر قواها وحنِّقت بالدخان

إنّني خشيةً من النار أخشى كلَّ شيءٍ يُمسُّ بالنيران[1]

لا تخافا عليَّ دقّة كشحي لاتكال الرجال بالقفزان[2]

فاسقياني بين الدّنان إلى أنْ ترياني كبعض تلك الدنان

مقعداً بعد خفّتي في نهوضي أخرساً بعد كثرة الهذيان

سكرةٌ بعد سكرةٍ تثبت اسمي في المفاليج أو مع العميان

اسقياني في المهرجان ولو كا ن لخمسٍ بقين من رمضان

اسقياني فقد رأيت بعيني في قرار الجحيم أين مكاني

أنا حودابة وذهني صديدٌ تحت خصي فرعون أو هامان[3]

كلُّ شيءٍ قدّمته لي فيه رأس مالٍ يأوي إلى الخسران

غير حبّي أهل الحواميم والحشر وطه وسورة الرحمن[4]

خمسةٌ حبّهم إذا اشتدّ خوفي ثقتي عند خالقي وأماني

قد تيقّنت أنّهم ينقلوني من يدي مالكٍ إلى رضوان

بهمُ قد أمنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني

يا أبا طاهرٍ ولولاك ما كا ن لبدر السماء في الأرض ثاني

لك يا سيدي دعا الفطر والأضحى ويوم النيروز والمهرجان

ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى [من السريع] :

قد صخّب البمُّ مع الزيرِ فقم قليلاً غير مأمور

---

(١) خشية النار : خوفها .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة والصرّة ووسط الظهر من الجسم . والقفزان : جمع قفيز وهو المكيال .

(٣) حودابة : أي العنيد .

(٤) أهل الحواميم : أهل الكساء « الرسول وآل بيته » .

قم هاتها أصفى إذا رقرقتْ | في الكاس من دمعةٍ مهجور
من يدِ عذراء لها وجنةٌ | تحار فيها أعينُ الحور
تحدثت فانتشر الدرُّ من | مشمَّةِ النَّرجس والخيري[1]
وعنبرت أنفاسها نكهةً | تبسّم عن نفحة كافور
الليل والعشر يقولان لي | مذ أمس قولاً غير مستور
أمسلمٌ قلت نعم ظاهري | وباطني في الخمر نسطوري[2]
من أجل هذا أنا مذْ جئتما | ما بين سكرانٍ ومخمور
فاسعد بيوم العيد واجلس له | في خلوةٍ جلسة مسرور
وضحٍّ فيه بالدنان التي | تخرُّ بين البمِّ والزير
من كلّ دنٍّ دمُّ أوداجهِ | أحلُّ من لحم الخنازير
واستحضر العود ووجّه به | حتى نصلّي بالطنابيرِ[3]
الركعة الأولى سريجية | وركعة التسليم ماخوري[4]
وهي صلاة العيد لا يستوي | تجوّزي فيها وتقصيري
والله لو كنت لها حاضراً | لحيَّر العالم تكبيري
فاشربْ على ملكٍ تملّيته | موشّحٍ بالعزِّ منصور
في قدحٍ أزرقَ أو ساذجٍ | أبيض مثل الثلج بلّور
واستجل مع ذاك وذا أوجهاً | صبيحةً مثل الدّنانير
كأنّما عينك ما بينهُمْ | تدور في زهرة منثور

ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على

---

(١) الخيري : زهر المنثور الأصفر .
(٢) نسطوري : من النّساطرة طائفة من النصارى .
(٣) الطنابير : من الطنبور آلة موسيقية .
(٤) سريجية : نسبة إلى سريج أحد المغنّين . وماخوري : من الماخور : وهو بيت الرّيبة .

بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد [من الكامل] :

حقّـي علـى الأستـاذ قد وجبا فإليه قـد أصبحـت منتسبا
مولاي ترك الشـرب ينكره من كان في بغـداد محتسِبا
إن كان من غمٍّ الأمير فلمْ وزيره بالأمـس قد شربا
إنّ الملـوك إذا هُمُ اقتتلوا أصبحـتُ فيهـم كلـبَ من غلبا
فلـذاك أسـكر غير مكترثٍ وألفُّ مع خيشومـيَ الذّنبا
يا سادتـي قد جاءنـا رجبٌ فتفضّلـوا واسـتقبلوا رجبا
بمـدامـةٍ لـولا أبوتها ما كنـت قطُّ أشـرِّفُ العنبا
حمـراءَ مثـل النـار موقدةٍ لم تلـق لا ناراً ولا حطبا
من قال إن المسـك يشبهها ريحـاً فلا والله مـا كذبا

ومن أخرى في بعض الوزراء [من السريع] :

فُديتَ بي يا سيدي وحدي وعشـت ألفـي سنـة بعـدي
قد رحـل النـرجس فاشـربْ على محـاسـن المنثـور والـورد
من لي بهـا عنـدك مشمولةً قـد أصبحـت معدومـةً عندي
يمـزجهـا لي رشـأٌ أغيدٌ بريقـةٍ أحلـى من الشهد(١)
نهـاية الحـرِّ مجسُّ استه وريقـه فـي غاية البرد(٢)
جنـى من البسـتـان لي وردةً أحسـن من إنجـازه وعدي
وقـال والـوردة في كفِّهِ مع قدحٍ أذكى من الندِّ
اشـرب هنيئـاً لك يا عاشقي ريقـي مـن كفّـي علـى خدِّي

---

(١) الرشأ : الغزال .
(٢) مجسٌّ استه : أي وضع اليد عليها .

ومن أخرى [من المنسرح] :

يا من حقــوق النيروز تلزمُهُ رسمــك يوم النيروز مشهورُ
فاســكر من الليل واصطبــح سحراً غداً ترانــي وأنـت مخمور
واستنطــق الــزير إنّنــي رجلٌ يعجبني مـا يقولـه الزيـر[1]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

قـمْ فاسقنــي الــراح أو تراني مبلبــلُ العقـل واللســانِ
إذا تكلّمــت لم يُفسَّرْ قولـيَ إلاّ بتــرجمــان

وله يهنىء نصرانياً بفصحه [من السريع] :

أوجــعْ دمــاغ القــرع بالسلقِ اليوم يوم القطــع والبلقِ[2]
اليوم يوم الــراح يا سيدي فاشــرب من الــراح كمــا تسقي
كلْ سيدي واشرب ونك إنّما الــــــحيــاة بين الشــرب والـفسـق
وافطــر من الصــوم علــى فقحةٍ زبدتهــا فــي طرف الزقّ[3]
وابــقَ سليمــاً ودعِ المــوت لا يجنــو علــى الخلــق ولا يبقي

* * *

ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال [من الوافر] :

سرى متعــرِّضــاً طيف الخيال فسـوَّف لا محــالــة بالمحــال[4]

---

(١) الزير : وتر العود .
(٢) البلق : الفتح ، بلق الباب فتحه .
(٣) الفقحة : الحسنة الخلق ، أو حلقة المؤخّرة .
(٤) سوّف : أخلّ وماطل .

ولكنّـــي انتبهــت فكان حزني على ما فاتنــي أســوأ لحالي
ومــا خلــق النســاء البظــر إلاّ وبــالاً حيث كنَّ علـى الرجال
عذيري في الزنــا من كلِّ تيسٍ عتيقٍ قد تمــرّد في الضلال
يحسِّن لي الحلال فنحن طول الـــــنهــار إذا اجتمعنــا في جـدال
وليس سوى الزنــا همّــي ورأيي فبيكار الخصى نيك العيال
وفــي النيك الحــرام خزعبلاتٌ قليلاً ما تراهــا في الحلال
وســرمٌ مرَّ مجتــازاً بأيري كمـا صلّـى العشــا والـدرب خالي
فقــال له إلـى كم تزدريني وتــكشف بالقبيح إلــيَّ بالي
ولم تختــار وصـل الحـرِّ دونـي وتكــرهني وتعــرض عن وُصــالي
ألـم تــر أنَّ شكــل البـدر شكلي وأنَّ الحــرّ معــكــوس الـهــلالِ
تــأمَّـلَ تكّتي فــوقي وأيـن الـــــوهــاد مــن الـروابي والـتّـلال
فنــكّس رأســه أيري طويلاً وفــكّر في الجــواب عن السؤال
وفــكّر ثم قال له إذا لمْ توفَّــق للصــواب فمـا احتيالي
أبــا الــدرّاق ما للحــرِّ ذنبٌ إذا فكرت في عذري ولالي
ولكنّــي رأيت الحرَّ فينا يســام الخسف حالاً بعــد حال(١)
فيقطــع أنفه طفــلاً وينشو كبيراً وهــو منتــوف السبِّال
ويلــكم شدقــه في كلِّ وقت بغير خصومــةٍ وبـلا قتـال
وأنــت فســيّء الأخـلاق جدّاً كمـا تدري قليلُ الإحتمال
بأوّل خاطــرٍ من غير فكرٍ تشــرّس من لقيت ولا تبالي
ومدخلــةٍ لهــا ردفٌ سميــنٌ وخصــرٌ كالهــلال من الهزال
يـؤذّن فــي استهــا أيــري أذان الــضّحــى ويقيــم فــي وقــت الــزّوال
وتعصف ريح عصعصهــا شمالاً وهــل ريحٌ أرقّ من الشمالي

---

(١) يسام الخسف : يصيبه النقصان والاجحاف .

وقد بادلتها فمبالُها لي بمشّورة استها ولها قذالي[1]
كما لابن العميد جميع شكري ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن أخرى [من السريع] :

فحميةُ السّرم ولكنّها الـبظراء شيرازية المفرق
قالت لأيري بعد ما صبّ في دواتها أكثر من دورق[2]
أوحشت عشّ استي فقل لي متى تؤنسه يا عنق اللّقلق
فقال هيهات وهل يرجع اللصُّ إذا فرّ من المطبق

ومن أخرى في حسبته [من السريع] :

يا معشر الناس اسمعوا دعوةً دخّالةً بالنصح خرّاجه
من منكمُ طار على حسبتي قطعت بالدّرة أوداجه[3]
لأنّه أقرنُ ليستْ له بعديَ في زوجته حاجه
كأنّ أيري في آستها زمجٌ يطلب بين الشوك درّاجه[4]

ومن أخرى [من السريع] :

جاريةٌ أرض نبات استها رقيقةُ التربة خوّاره
تسيح في جانب مفساتها عين خرا بالعرض خرّاره
كأنّ لي منها على عاتقي كراع شاة فوق قنّاره[5]

(١) القذال : يعني ذكره .
(٢) الدروق : مكيال للشراب .
(٣) الحسبة : منصب كان يتولاّه مسؤول عن مراقبة الأسعار .
(٤) الزّمج : الغضب ، وزمج على القوم دخل بغير إذن منهم .
(٥) القناره : القنور : الضخم الرأس ، والطويل .

ومن أخرى [من المنسرح] :

وقينـةٍ كلٌّ مـن يعاشرها مغتبطٌ بالسـماع مسـرورُ
مبـرودة الـرّيق بعـد هجعتها وجوفهـا في الفـراش محرور
كأن تنّورهـا الشـديد حمى بقـرب عهـد الشبـاب مسجور[1]
تشـمٌّ ريح استهـا الزنـاة كما تشـمٌّ ريح اللحـم السنانير
فجوفهـا قربـةٌ وفـي حرّها خنـدق بول وبظرهـا سور

ومن أخرى [من السريع] :

ولـم أزل وهـي إلـى جانبي كظبيـةٍ عفـراءَ وحشيَّهْ
أنـبُّ مثـل التيس فوق استها وهـي بحـال النيـك تيسيّه

ومن أخرى [من الوافر] :

صمـدت لهـا وجنـح الليل داجٍ بأخـطـف للطـريدة من عقابِ
وأولـع بالمباعـر مـن قرادٍ وأوقـع فـي المقـاذر من ذباب

ومن أخرى [من الوافر] :

فتـاةٌ ما عرفنـا قطُّ منها بحمـد الله إلاّ كلَّ خيرِ
فمـا تهـوى سوى أيار شهرا وليس إمامهـا غيـر الزبير

ومن أخرى [من السريع] :

قالـوا رأينـاك بمـا فيك مـن هشـاشـة الفـطنـة والكيـسِ
تحبـو إلـى باب آستهـا مثـل ما يحبـو ابـن عامين إلـى الدّيس[2]
فأيُّ شيءٍ كان قلـت الذي يكون بيـن العنـز والتيس

---

(١) مسجور : موقد .

(٢) الدّيس : الغابة المتلبّدة « أو الوطه والجِماع » .

وقال [من مخلع البسيط] :

يا سادتي ما استرقّ ديني شيءٌ كمثل الحرّ السمينِ
لمّا أراه يزول عقلي عنّي ويعتادني جنوني
وأشتهي أنْ أغوص فيه من مشط رجلي إلى جبيني
وكلّما شلّتْ منه رأسي رزقت قوماً يغوّصوني
أغيب شهراً فلا تراني العيون والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهرٍ دلَّ على موضعي أنيني
فديته كالعروس يجلى في دست وردٍ وياسمين
جبينه الصّلت من حديدٍ وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيري صلابةٌ بُطِّنت بلين

وله [من مجزوء الرجز] :

يا صاح فاشرب واسقني من الشراب العكبري(1)
مع أمردٍ عصعصهُ يجيد بلع الكمر
أو قينةٍ طنبورها المحفوف صلب الوتر
حوريةٌ قد شربت بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها وسرمها من سقر(2)
لها حرٌ كأنَّه وجه غلام خزري(3)
ذو شعرةٍ أطرافها شبه رءوس الإبر
أصيح في نيكي لها تقدَّمي تأخَّري

---

(1) العكبري : من العكبر : شيء يجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله في الشهد مكان العسل .
(2) سقر : جهنّم .
(3) الخزر : جماعة من التتار .

أحسنــت لي هم، هكذا مُـدِّي وشـدِّي واعصـري
العيش مـا أطيب ذا يـا مهجتي يا بصـري
لمثـل ذا الـوقـت انتفي أو احلقـي أو نـوّري

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

صــبيةٌ بظــرهــا بجنبي يبيت مثـل الصبــيّ المخضَّبْ
مفعـول بـاب استهـا بـأيـري الـــــــفـاعـل فـوق الفراش ينصبْ
وسرمهـــا كان أمس غرّاً لـم يتفقّــه ولا تأدّبْ
فـاليوم قد صار منـذُ قاسي أمـور أهــل الزِّنـا وجرَّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوّق في وجهــه ودبدبْ

ومن أخرى [من البسيط] :

تبـول من شدق مهـزولٍ به عجفٌ وقـد تفقّـا عليه بظرهـا سمنا(١)
ترغــي وتزبـد شدقـاه إذا اختلفا كأنَّـه شدق مفلـوجٍ حســى لبنا(٢)

ومن أخرى [من الخفيف] :

ذات حمٍ يسقــي الفراغــات صرفاً من عصير الخصـي بغير مزاج
بات دكشــاب فيشتــي في خراها يخلـط الدوغبـاج بالزيرباج(٣)

وقال [من مجزوء الرجز] :

لـو أنَّ سرمـاً كان في يديـه ملـكُ اليمـن

---

(١) تفقا : تشقّق .
(٢) حسى : شرب .
(٣) الدكشاب : رأس الـذّكر ، والـدوغباج والـزيربـاج : لغة فـارسية . الـدوغباج : تعني : المنيّ والمخيطي ، والزيرباج : المختّر الذي في أمعائها .

لكان أولى منه بي قطعةٌ بظرٍ عفن

وقال [من مخلع البسيط] :

عمرك الله يا ابن عمروٍ عمر ثلاثين ألف نسر
وجهك عند الصباح شمسي وأنت عند المساء بدري
مولاي ذا اليوم يوم سعدٍ أشرف عندي من ألف شهر
نذرت فيه إذا التقينا سكراً إلى الليل بعد سكر
مع قينةٍ لا تريد غيري فهي تجيني بغير حذر
أيري على أنّه طويلٌ أقصر من بظرها بشبر
لصوف شعر استها مدادٌ يعجنه بولها بحبر
فأيّ شيء تقول هو ذا أقوم حتى أفي بنذري

وقال [من مجزوء الكامل] :

ضرطتْ ونحن بعكبرا فتشوّشتْ سفن الغروبِ
وفست على ريحِ الشما ل فألحقتها بالجنوبِ
ومسحتُ مبقلةَ استها فوجدتها ألفي جريب
جاءت إليّ وجوفُها يغلي ولا قدرُ الزبيب
فسلقت بيضي في آستها وشويت في حرِها عسيبي[1]

ومن أخرى [من المنسرح] :

وكم حديثٍ كأنّه سمرٌ قد مرّ لي في الزّنا مع السمر
وافرة الرّدف فهو يثقلها لطيفةُ الكشح نضوة الخصر[2]
طعم خراها مع طعم فيشلتي يشبه طعم اللّبا مع التمر

(١) العسيب : عظم الذنب « ويعني به قضيبه » .
(٢) نضوة الخصر : هزيلته .

لو لم أشبّبْ بشعر عانتها ما طاب للناس كلهُمْ شعري[1]
قيل لأيري وقد رأوه ولا الهارب بعد الحصول في الأسر
يشتدُّ بعد العشا إلى حرّها عدواً بلا حشمةٍ ولا فكَر
ما لك هوذا تطير قال لهم أطير مستعجلاً إلى وكري
ولي خصىً لو خرجت أعرضه اشتراه منّي بروحه درّي
ايري عليه كأنّه وتدٌ قد علقت فيه دبّة البزر[2]

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

يا ويحكم واللحم يعرض والبزاة على الكنادر[3]
قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
نبدا بكرّاعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
ثم الحوافظ إنهنّ عجائزٌ شمطٌ عواهر
أحراحهم بيض العنا فق واللّحى سود المباعر[4]
كشيوخ أصحاب الحديث إذا تمشّوا بالمحابر

ومن أخرى [من السريع] :

أنا ابن حجاج إليه أبي يُنمي وقلبي من بني عذره
لم يخل جسمي في الهوى من ضنىً قطُّ ولا عيني من عبره
حبائبٌ مثل حصى عكبرا والرقبا مثل نوى البصره
حامضة البول ولكنْ لها مستنعَظٌ أحلى من التمره[5]

(١) العانة : الشعر الذي ينبت حول الفرج .
(٢) دبّة البزر : ظرفٌ للبزْر والزّيت .
(٣) الكنادر : مجثم البازي .
(٤) الأحراح : جمع حر ، والعنافق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن .
(٥) المستنعظ : يعني به « بضع المرأة » .

لها حرٌّ درّته جرّةٌ ومبعرٌ روثته صخره
فما تلاحظنا سوى مرّةٍ حتى أتى الشيخ أبو مرّه[1]

* * *

نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية ، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهو جالس ، فقال [من مجزوء الرمل] :

غطّتِ البظراء لمّا عاينت مفتاح ديري
ورجت منّيَ خيراً قلت لا ترجين خيري
اقعدي عندي وهذا فافعليه عند غيري
أنت في دعوة أذني لست في دعوة أيري

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجاج ، فتفرقع ظهره فغضبت وانصرفت ، فقال [من السريع] :

قد غضبت ستي وقد أنكرت قرقعةً تظهر في ظهري
وليس لي ذنبٌ ولكنّني أضرط بالليل ولا أدري
فليت شعري وهي غضبانةٌ من حجرها أضرط أم حجري

وأنا أستظرف كنايته بالفرقعة عن الضراط .

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقه له ، فتضاربتا وتجارحتا وطال بينهما الشر . فقال [من الخفيف] :

رحم الله من أتاني بموسى فتقصّى بحدّه جبّ أيري[2].

(١) أبو مرّة : هو إبليس ، وكنّى بمجيئه على حصول ما يغضب الله .
(٢) جبّ : قطع .

كلُّ يومٍ أغضـي له عن جنايا ت كأنّ الحـديث فيهـا لغيري
ولعمـري كم من صبـاحٍ بشرٍ كان لولاه قد جرى لي بخير

ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب إليهما [من المنسرح] :

يـا سيدي النبيذ موجود وبـابُ شرب النبيذ مسدودُ
قدْ مَلُـح ابنـي فكيفَ يشـربُ مَنْ أمسـى ولحـم ابنـه تمكسود(1)

وعرض له صداع ،فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها، فكتب إليهم [من الوافر] :

حصلـت أنـا الشقـيُّ علـى الصداع وأنتـم بالتمتُّـع والسَّمـاعِ
خلوتـمْ بالتـي قلبـي إليها شديدُ الشـوق مشهـور النّزاعِ(2)
فتـاةٌ أصبـح الإجمـاع فيها يقـرّ بأنّهـا شرطُ الجمـاعِ(3)

وحصل مع رجل يكنى أبا الحسين في دار رجل بخيل ، فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا سيدي يا أبـا الحسين أنـت رفيعٌ بنقطتينِ
يا كلـب الضّـرس ما يداوي ضرسـك إلاّ بكلبتيـن
ويلك قل لي جننـت حتّى نلتمـس الخبـز مرّتيـن
فـي دار من خبـزه عليه ألف رقيبٍ بألف عين

وحضر في دعوة ، وأخر الطعام ، فقال [من الكامل] :

يا صاحـبَ البيت الذي أضيافـه ماتـوا جميعـا

---

(1) كذا ، ولم يتجه لي عجزه .
(2) النزاع : الميل .
(3) شرط الجماع : أي صالحة للمعاشرة .

حصّلتنا حتى نموتَ بدائنا عطشاً وجوعا
ما لي أرى فلك الرغيف لديك مشترفاً رفيعا[1]
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

ونظر إليه يذهب ويجيء في داره ، فقال [من السريع] :

يا ذاهباً في داره جائيا بغير معنىً وبلا فائده
قد جُنّ أضيافك من جوعهمْ فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيا من وجهه قمرٌ منيرُ يضيءُ لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكري وتنساني إذا حضر الشّراب
أجبني بالقناني والمثاني ووجهك إنّه نِعمْ الجواب
وكِلني في الحساب إلى إلَهٍ يسامحني إذا وضع الحسابُ[2]

وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر ، فلم يصادفه ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيا من وجهه كالشمس توفي فيمحق نورَهُ بدرُ التمام
لعيد النّحر أيامٌ قصارٌ تلمُّ بنا اجتيازاً كلَّ عامِ
أُمرنا كلّنا بالنيك فيها وأكل الطيبات وبالمدام
فقيل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني وتكرار التحايا والسلام

---

(١) المشترف : أي المشرف العالي .
(٢) كلني : دعني ووكِّل بي .

فيا طوبى لمن صلُّوا قعوداً ونـاكوا في الكواشـلِ من قيام[1]
وقـد بكَّرتُ أمسِ على كميتٍ يقصّـر خطـوه طول المقام[2]
جريح الجنـب من ضغطِ الحزام قريحِ الفـكٌ من مضـغ اللجام
فإن أنـا لم أعـدْ فالله أولى بعـذري ثم أنـت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها ويصف حسنها . فأمره بالإجابة فقال [من السريع] :

يا ذا الـذي جاء بِحـرٍّ له في السـرٍّ يهـديه إلـى أيري
علـيَّ شغـلٌ بالمهـمِّ الذي تراه فاطلـب نايكاً غيري

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر ، وكان مستهتراً بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال [من السريع] :

إيَّـاك والعفـة إيَّاكا إيَّاك أن تفسـد معناكا
أنـت بخيرٍ يا أبـا جعفرٍ ما دمـت صلـبَ الأير نيَّاكا
فنِكْ ولـو أمّـك واصفـع ولـو أبـاك إن لامـك في ذاكا

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبـو الفـرج قد خلـوا في الـديوان لعقوبـة أصحاب المهلبي عقب موته ، وأمرا ان تلوث ثياب النـاس بالنفـط إن قربـوا من الباب ، وقد كان المهلبي فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط فانصرف فقال [من مخلع البسيط] :

الصفـح بالنفـط في الثيابِ ما لم يكن قطُّ في حسابي
ليس يقـوم الوصـول عندي مقـام خيطـين من ثيابي
يا ربِّ من كان سنَّ هذا فزده ضعفـاً من العذاب

---

(١) الكواشل : الفياشل الضخمة ، وكاش جاريتَه : جامعها .
(٢) الكميت : من الخيل الذي بين الأسود والأحمر .

في قعر حمراء ليس فيها غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهرّي ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرد عندي يجلُّ عمَّنْ يسنُّ هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها [من الكامل] :

إنّي جعلت إجابتي في ظهرها عمداً ليمكن فضُّها في المجلس(١)
كانت كنيفاً فائضاً فزرعت في ظهر الكنيف حديقةً من نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا من إلى مجده انقطاعي ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفي عليك جدّاً وعظَّم الأمر في ارتياعي
في كلِّ يومٍ سبعٌ جديدٌ ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليس قتل السّباع ممّا يدرك بالختل والخداع(٢)
فلا تطر بعدها لسبعٍ مراسه غير مستطاع
إن صراع السباع عندي حاشاك ضربٌ من الصّداع
آعدلْ إلى الكأس والندامى والأكل والشُّرب والسِّماع
وأمردٍ جامعْ لشرط العناق والبوس والجماع
بلى أجع لي السباع واطرح خصمي في بركة السباع
فإنَّ عيشي في أنْ أراه بين سباع الرُّبى الجياع

---

(١) فضُّها : فتحها .
(٢) الختل : الخداع والتستُّر .

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال [من السريع] :

يا صنماً يعبده شعري   بلا ثوابٍ وبلا أجر
إن لم تكن دبّاً فخاطبهم   بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا   أنّك من طين وآجرٍّ[1]

وقال وقد عرضت له علة صعبة، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت في نعيمٍ   حلو الجنى دائمِ المسرّهْ
عبدك يشكو إليك حمّى   قد سبكته الصفراء نقره
حمّى لتنورها وقودٌ   يزيد في اليوم ألف سجره[2]
قد حفرت تربةً لصيدي   فكدت منها أصير صبره
علّة سوءٍ كانت تريني   نفسي فوق الفراش حسره
طالعني الموت من زوايا   برسامها[3] ألف ألف مرّه
قد نصب الفخَّ لي ولكنْ   أفلتُّ من فخّهِ بشعره

وقوله [من السريع] :

يا سيّدي دعوةُ من قلبُهُ   من خوفِ ما مرّ به يخفُقُ
قد نصب الفخَّ لصيدي أبو   يحيى ولكن أفلت العقعق[4]

وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم

---

(١) الآجر : القرميد .
(٢) سجره : من سجر النار أي زادها وقوداً.
(٣) البرسام : علّة يهذى فيها .
(٤) العقعق : طائرٌ كالغراب ذو لونين أسود وأبيض طويل الذنب .

الأحد ، فقال [من مجزوء الكامل] :

يا مَنْ إذا نظر الهلا ل إلى محاسنه سجدْ
وإذا رأته الشمس كا دت أن تموتَ من الحسد
يوم الخميس بعثتني وصرفتني يوم الأحد
والناس قد غنّوا عليّ كما رجعت إلى البلد
ما قام عمروٌ في الولا ية ساعةً حتى قعد

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا مالك الصدر ما خلوت من الـ إيراد ما عشت فيه والصّدر[1]
قلّدتني ليلةً وباكرني كتاب صرفي المشوم في السّحر[2]
فقد بختي فكيف درت به دوّر لي جانب استه وخري

وقال ، وقد حجبه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [من السريع] :

قولا لمن إحسانه لم يزل شفاء علاتي وأوصابي[3]
بي علّةٌ تقطع أسبابها من راحة الصّحة أسبابي
أخفيت ما بي اليوم منها فما تطلّع الناس على ما بي
وليس يشفيني سوى نهشةٍ من قطعةٍ من كبد بوّاب
تبيت فيها وهي مشبوبة بالنار أضراسي وأنيابي[4]
فامنن بأن تذبحَ لي واحداً بالنعل في دوّارة الباب
فنقطةٌ من دمٍّ أوداجه أنفع لي من رطل جلاّب

* * *

(١) الايراد : ورود الماء للارتواء ، والصدور : العودة عنه بعد الارتواء .
(٢) المشوم : أي المشؤوم الملعون .
(٣) الأوصاب : الأمراض .
(٤) مشبوبة : متّقدة .

ملح من نوادره في ذكر الصفع

قال [من السريع] :

يا سخـن العين التـي لم تزل تعيش في النـاس بلا عقلِ
إن لم تزن نفسـك مستأنفاً والخـوف بين القـول والفعل
حلٌّ بيافوخـك منّـي الذي يحـلُّ يوم العيد بالطبل
لا تجهـل اليوم علـى من له معرفـةٌ بالعقـل والجهـل
فتـىً وإن زلّـت به نعلهُ أصفـع خلـق الله بالنّعـل

وقال [من الرمل] :

هاربٌ منّـي وقـد خاف العمى بقفـا للنعـل بادي المقتلِ
وبـكفّي شمشـكٌ منتعلٌ والقفـا حبر الشمشـك المنعل(١)

وقال [من المنسرح] :

في البيت لي درّةٌ يحـدّث عنْ أفعالهـا الموغلـون في الشارع
تأكل لحـم القفـا السـمين كما يأكل رز البهـطة الجائع(٢)

وقال [من الخفيف] :

ربَّ مستصفـعٍ نسخـت بنعلي بيـن أجفانـه شروط القوافي
كلُّ نهب الطلـى مبـاح حمـى الرأ س حريب الآذان والأكتاف(٣)
فـاتـق الله فـي غـطاريـف أذنيـــــــك وأعصـاب أخدعيك الضعاف(٤)

---

(١) الشمشك : نوعٌ من الأحذية .
(٢) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسّمن معرّب من الهنديّة .
(٣) الطلى: الخمر ، والحريب : المسلوب .
(٤) الغطاريف : الغطرفة : الخيلاء والعبث ، والأخدع : عرق في العنق .

وقال [من السريع] :

قل لابـن حسنـون ومـا زال من تعجـرفٍ يصـغـو ويستعفي
أمـا ترى رخٌ يدي جائلاً وشـاه أذنيك علـى الكشف[1]

وقال [من المنسرح] :

قد وقـع المنـع والحجـاب معاً فكلٌ من رام بابَـكُمْ صفُعا
وافيتـه طامعاً لأدخلـه ولـم أكن قط أحمـد الطمعا
فواثبـوني جهلاً بمرتبتـي في حيث أشـكو الصّـداع والصّلعا
لا تطلبـوا بعـدهـا مواصلتي فإنّ حبـل الوصـال قد قُطِعا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [من المنسرح] :

قال وأجفـان مقلتيه تكِفْ وجسمـه ظاهـر السقـام دنِف
أعمالنـا هذه التـي كثـر الـ إرجـاف فيهـا بنـا فليس تقف[2]
قد صرفونـا عنهـا فقلـت لهم نعـم وصـادف عين واو نون ألفْ

وقال [من مخلع البسيط] :

قلـت وقـد جاء حرّ شاذا لأي معنـى قد جاء هذا
قالـوا لصفـع العِبـاد حتّى يجعـل أقفاءهـم جذاذا[3]
فقمـت وابنـايَ يتبعاني ننسـل من بينهـم لواذا[4]

* * *

---

(١) الرخ والشاه : من أدوات الشطرنج .
(٢) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٣) الجُذاذ : المقطّع المكسر .
(٤) لواذاً : إحتماءً .

نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [من المنسرح] :

شيخٌ فتـىً والشّبّـاب أكثرهم ... قـد علـم الله غير فتيان

من قول كثير[من البسيط] :

يا عزُّ هل لك في شيخٍ فتـىً أبداً ... وقـد يكون شبـابٌ غير فتيان

وقوله [من الوافر] :

وأولاد الحرائـر لم يجابوا ... لديَّ فكيف أولاد القحابِ

من قول دعبل [من الكامل] :

إنـي لأهجـو من يجـود بماله ... أتظننـي أدع اللئيم الواضعا

وقوله [من الوافر] :

علـى أنّـي أظنُّـك سوف تنجو ... بعرضـك من يدي منجـى الذئابِ

من قول أبي الزيات [من المتقارب] :

نجا بـك لؤمـك منجى الذئاب ... حمتـه مقـاذره أن ينالا

وقوله [من الوافر] :

وأحسـن ما رأينـا قطُّ راحاً ... إذا كانـت مطيَّة كأس راحِ

من قول أبي تمام [من الكامل] :

راحٌ إذا الـرّاح كنَّ مطيَّها ... كانـت مطـايا الشـوق في الأحشاء

وقوله [من الوافر] :

ستِـرتُ بظلِّـهِ من ريبِ دهري ... فعـزَّ علـى النوائـب أن تراني

من قول أبي نواس [من الطويل] :

تستَّـرت من دهـري بظـلٍّ جناحه ... فعينـي ترى دهـري وليس يراني

وقوله [من الكامل] :

أمشـي بقلبـي، لا برجلـي ، إنَّما ... تمشي بحسب هوى القلـوب الأرجلُ

من قول اللجلاج [من الطويل] :

ومـا زرتـكم عمـداً ولـكنَّ ذا الهوى ... إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجلُ

وقوله [من الوافر] :

وخمَّـارٍ أعـدَّ الـكأس ظئراً ... لطارقـه فلـم يرضعـه غيلا(1)
أوفِّيهِ خلاص التبـر وزناً ... فيسبـكه ويعـطينيـه كيـلا

من قول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمّـارةٍ مـن بنـات المجوس ... ترى الـزقَّ في بيتهـا شائلا(2)
وزنّـا لهـا ذهبـاً جامداً ... فكالـت لنـا ذهبـاً سائلا

وقوله [من الوافر] :

فتـاةٌ كالمهـاة تروق عينـي ... مشاهدهـا وتفتُـنُ من رآها
تـكاد تردُّ للمجبـوب أيراً ... وتحـدث للفتـى العنّين باها(3)

من قول جحظة [من مجزوء الكامل] :

لـو مـرّ بـالأعمـى لأبـصـر أو بعنّيـنٍ لأنعـظ(4)

---

(1) الظئر : المرضع غير الأم . والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل.
(2) الشائل : أي الذي ارتفعت قوائمه عند الملء أو النفخ ، يريد هنا ان الزق ممتليء .
(3) المجبوب : المقطوع الذكر. والعنّين : العاجز جنسياً. وباهاً : نكاحاً .
(4) أنعظ : انتصب وقام .

نبذ مما تكرر من معانيه

قال [من السريع] :

وفـي فمـي سكرةٌ حلوةٌ قـد نغَّصتهـا لـوزةٌ مرَّه

وله [من السريع] :

واللّـوزة المـرَّةُ يا سيدي يفسـد في الطعـم بهـا السُكر

وله [من السريع] :

كأنَّـه وهـو إلـى جنبها سكرةً مع لوزةٍ مرّه

وله [من المنسرح] :

نبّهـت منـه لحاجتـي عمراً ولـم أعـوّل منـه على عمرو

وله [من المنسرح] :

فمـا استجـارت بعمـرو مظلمةٌ بل حين جاءتـك أنـت يا عمر
فالشّعـر قد صار فيهـا وأتى مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله في عكس المعنى [من السريع] :

ولـم تنبِّـه عمـراً حاجتي بل وقعـتْ منـك علـى عمرو

وله [من المنسرح] :

خيـر الستـور التـي نعلّقها سـتـر خصـيً مسبـلٍ علـى حجر
والقـدر إن لم يكنْ لهـا طبقٌ لم يتهـرَّ العصيبُ في القدر[1]

(١) العصيب : الصلب الكثير العصب من اللحم .

وله [من المنسرح] :

ولـم تر العين قطُّ أحسـن مِنْ ستـر خصـيً مسبـلٍ علـى حجر

وله [من الخفيف]:

كـتبت رقـعـةً إليَّ وقـد عـبّـت بسـطرٍ مقـرمطٍ خـلف سـطر
يا فتـى سـترُ باب سرمـي خصاهُ هات قل لي متـى تعلـقْ بستري

وله [من الوافر] :

أحـنُّ إذا رأيت الحـرّ ليلاً بجنبـي وهـو منتـوفٌ نظيفُ
ولا آبـاه إن هو جاء يوماً وفـي رأس الكلاجـق منـه ليف[1]

وله [من مخلع البسيط] :

فـاستـأذنيـهِ غـداً وعـودي إلـيَّ منتـوفـةً نظيفـه
فقـد تبيَّنـت فـوق رأس الـحـرّ ذي الـزوزك لـيفـه[2]

وله [من المنسرح] :

بيضـاءُ وهـجُ استهـا يفـور حمى وريقهـا العـذب باردٌ خصـرُ

وله [من السريع] :

بريقـةٌ كالثّلـج مبرودةٌ ومبعـرٌ كالنّـار محـرورٌ[3]

وله [من السريع] :

نهـاية الحـر مجسّ آستها وريقهـا في غاية البرد

(١) الكلاجق : ما يحيط بالفرج .
(٢) الزوزك : القصير « البظر » .
(٣) البريقة : البيضاء المتلألئة أو الحسناء من النساء .

وله [من مخلع البسيط] :

للبـزد في ريقـه كزازٌ وللحمى في آستـه حريقُ

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقهـا حميمٌ وريـق مفسـائها صقيعُ[1]

وله [من الخفيف] :

وغـلامٌ شظّـى بكرفس مفسا ه قديمـاً أسنَّـةُ الأقـلام[2]

وله [من الخفيف] :

لا ترى كرفسـا علـى باب مفسا ه يشـظّـي بصـوفه الأقلاما

وله [من الخفيف] :

ودواة استـهـا بصـوفٍ ولا اللّيـفُ يُشَظّـي أسنّـة الأقـلام

وله [من الرمل] :

كلّمـا استمـددت من سرمها شعّـب ستّـي قلمـي الكرفسُ

وله [من السريع] :

فـديت من لقّبنـي مثلما لقّبتـه والحـق لا يغضبُ
إن قلـت يا عرقـوب أطمعتني قال فلـم نفسـك يا أشعبُ

وله [من السريع] :

وعدتنـي وعـداً وحاشـاك أنْ تروغ منـه روغـة الذيبِ[3]

---

(١) الحميم : المستعر ، والحار .
(٢) شظّى : قطّع وشقّق،|والكرفس : القـطن. وتكرفس الرجل : انضم ودخل بعضه في بعض .
(٣) تروغ : تتهرّب .

مـا كنـت إذ أطمعتنـي أشعباً فيه ولا أنـت بعرقوب[1]

* * *

ما جاء له في التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول [من الوافر] :

أيا مولاي دعـوة مستغيثٍ قد التهبـتْ جوانحـه بنارِ
أغثنـا بالـرحيل غداً فإنّا من الشـوق المبـرّح في حصارِ
وأبـرحْ ما يكون الشـوق يوماً إذا دنـت الـدّيار من الدّيار

وقال [من] [البسيط] :

قد قلت لمـا غدا مدحي فمـا شكروا وراح ذمّـي فمـا بالـوا ولا شعروا
علـيَّ تحـت القوافـي من معادنها ومـا علـيٌّ إذا لم تفهـمِ البقر

وقال [من الوافر] :

ولـم أطـرب إلـى عذراء رودٍ بهـا عن وصـل عاشقهـا نفارُ
ولا غـرثى الـوشـاح كـأنّ ورد الـحيـاء بـوجنـتيهـا الجلّـنار[2]
بنفسـي كلُّ مهضـومٍ حشاها إذا ظلمـت فليس لهـا انتصارُ
ولكنّـي طربـت إلـى خليلٍ سمحـت ببذلـه ولـي الخيار
فلمّـا أن مضـى في حفـظ من لا يضيّعـه وشـطَّ بـه المزارُ
ندمـت ندامـة الكسعـي لمّا غدت منـه مطلقـةً نـوارُ
فعينـي ما تجفُّ لهـا دموعٌ وقلبـي ما يقـرُّ لـه قرار

---

(١) أشعب : رجلٌ مشهور بحبّ الطعام ،وعرقوب : هو ابن صخر ، أو ابن معبد بن أسد من العمالقة ، أكذب أهل زمانه ، وأصبح يضرب به المثل في عدم الوفاء بالمواعيد فيقال : كمواعيد عرقوب .

(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

وقال [من الخفيف] :

سيدي إن أقمت بعدك بالصعد فقلبي عليَّ غير مقيمِ
غير أنّي أقول بالرغم منّي فلعلّي أكفُّ بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإنّي أشتهيه لوقفةِ التّسليم

وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [من مخلع البسيط] :

بحقّ رأس الأمير مثلي يظمأ في دولة الأميرِ
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضورِ
قد قلت لما حجبتموني فاشتدّ من بابكم نفوري
إن دام هجرانكُمْ على ذا طويتُ من بينكم حصيري

وقال [من الخفيف] :

صاح أيري ورمحه فوق خصييه ولا رمح ضمرةَ بن هلال
قرّبا مربط النعامة منّي لقّحت حرب وائلٍ عن حيال
ثم أهوى بطعنةٍ بات منها سرم ستّي ذاك الشقيُّ بحالِ
فتولّى يقول وهو طعينٌ دمه مع خراه مثل البزال[1]
لم أكن من جناتها علم الله وإنّي بحرِّها اليوم صالي

وقال [من الخفيف] :

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ن من اللّيل وجهه في نقابِ
وانظر اليوم كيف قد ضحك الـ ـزّهر إلى الروض من بكاءِ السَّحاب
إنّ صحوي وماء دجلة يجري تحت غيمٍ يصوبُ غير صواب[2]

---

(١) البزال : يقال بزل الإناء شقّه أو ثقبه .
(٢) يصوب : يمطر .

اتـركـانـي ومـن يـعـيِّرُ بـالـشـيــــب ويـنعـي إليَّ عـهـد الشـبـاب
فبياض البـازيِّ أصـدق حسناً إن تأملـت مـن سواد الغراب

وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [من الخفيف] :

أيُّهـا السيِّد الـذي طـاب في المجــــد فـروعـاً كـريـمـةً وأصـولا
لـو مشـى بـي الشّيـخ الفـرق لسـابقتـك سيـراً إلـى الـوداع ذميـلا[1]
فـتجـاوزت خـانـقـيـن وخـلّفــــت ورائـي عـلى الـطريـق جلولا
لكن الشيـخ كـان جـذعـاً من الخيــــل طـريّا فصـار جـذعـاً طـويـلا[2]
كـلّمـا سـار سـال دمـع مـآقـيــــه ومـن حـقٍّ دمـعـه أن يـسـيـلا
مستغيثـاً يصيح تحتـي ضراطاً مزوجـاً في طريقـه وصهيـلا
أبصـر القـتّ وهـو يجـري فغنّى بعـد ما كاد عقلـه أن يزولا[3]
أزجـر العين أن تبـكي الطلولا إنّ في القلـب من كليبٍ غليلا

وقال يصف ضعف فرسه [من البسيط] :

يسومنـي المشي مضطراً وليس له الــــمسكين بالمشي شبراً واحـداً جلدُ
ما كلَّف الله نفسـاً فوق طاقتها ولا تجـود يدٌ إلاّ بمـا تجدُ

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [من الكامل] :

قد قلـت لمـا أن رجعـت مولّياً ومعـي مدابيرٌ من الكتّابِ
نحـن الـذين لهـم يقـال وكلّنا فلّ العصـا وطـريـدة الحجاب
قومٌ إذا قصـدوا الملـوك لمطلبٍ نُتفـت شواربهـم علـى الأبواب

---

(١) الذميل : السير السريع اللّين .
(٢) الجذع : من الحيوانات : صغيرها .
(٣) القتّ : نوع من النبات ، أو حبّ بريّ يؤكل أحياناً بعد دقّه وطبخه .

وقال [من المنسرح] :

يا ربربُ اعبرْ بنا إلى ملكٍ تَوَّجَهُ الله بالمهاباتِ
يقول للريح كلّما عصفتْ هل لك يا ريح في مباراتي

وقال [من مجزوء الكامل] :

قالت وقد كشف الودا ع قناع حزنٍ قد عَلَنْ
وأذلَّ بالجزع الفرا ق قوى عزاءٍ ممتهن
يا من مُحنت بفقده حوشيتُ فيك من المحن
خلّفتني والحزن بعدك يا قريني في قرن[1]
فإذا صبرت ضرورةً صبر الوقيذ على الوسن[2]
فترى يطيق الصّبر عنك أو السّلو أبو الحسن
طفلٌ نشا وفؤاده بك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه عن أنْ يودّع بالحزن
فأجبتها وهي التي استولت عليَّ بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرِّقٌ بين الأحبَّة والوطن
يا ربّ فازددْ سالماً سكناً يحنُّ إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل [من البسيط] :

يا سيدي جودك المشهور ما فعلا أبيع بالرخص يا هذا أم ابتذلا ؟
واسوأتا من أناسٍ ظلت أطمعهم أنّ الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيدٍ صفرٍ وما كان عندي أنّه وصلا

(١) القرن : الشّرك أو الأغلال .
(٢) الوقيذ : الشديد المرض المشرف على الفناء .

قالوا لقينتهم غنيّ عليه لنا صوتاً ضربنا له في شعره مثلا
ما زلت أسمع كم من واثقٍ خجلٍ حتى بليت فكنت الواثق الخجلا

* * *

ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [من الخفيف] :

افضُضِ الدنَّ واسقني يا نديمي اسقني من رحيقه المختومِ
اسقني الخمرة التي نزلت فيها على القوم آية التحريم
اسقنيها فإنّني أنا والقسُّ جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النقل عليها ولا إلى المشموم[1]
بادر الصبح بالصبيحة وجهاً فابنة الكرم شرط كلِّ كريم
ثم قلْ للشمال من أين يا ريح تحمّلت روح هذا النسيم
أترى الخضر مرَّ لي فيك أم جزت برضوان في جنان النعيم
أم تقدّمت والأمير أبو تغلبَ قد صحَّ عزمه في القدوم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [من الوافر] :

سقاني كأسه سحراً بوقتٍ وكان صبوحنا في يومِ سبت
غلامٌ أعجميٌّ فيه ظرفٌ وحذقٌ بالتلطّف والتأتي
سقاني دو وسا وازددت منها على سكري وصبحني بهفت[2]
فلما نمت قام وقال برّوا لمن حولي خوى خاني بجفت[3]

(١) تكلني : تدعني وتتركني . والنقل : ما يؤكل مع الشراب ، والمشموم : من فاكهة وفستق وغيره .
(٢) دو وسا وهفت : من الأعداد الفارسية أي إثنين وثلاثة وثمانية .
(٣) جفت : إجتفت المال : اجترفه أجمع .

وفــي باب آستــه زغــبٌ لطافٌ ملاحٌ مثــل ورد الــزاد رخت[1]
ولــكن كان لا يقــوى لشؤمي وخذلانــي بــه سواد بختي
فشدّقــت الصّــبيَّ فدتــه نفسي بدوديكي وتيمــردم درست
وكان من استــه كالبنــت بكراً مخــدّرة الخــرا ففتحــت بنتي
كمــا فتحــتْ وحــدّ السيف يدمي من الأعنــاق قلعــة اردمشت

وقال في مدح صاعد [من مجزوء الخفيف] :

ومهــــاةٍ غريــرةٍ غضّــة الحســن ناهــدِ
فتنتنــي بِمــعصــمٍ وبــكــفٍّ وســاعــدِ
وبثغــرٍ منضّــدٍ شنــبِ الــرّيــق بارد[2]
ونــسيــمٍ كــأنّــه اشــــتقَّ من نشرِ صــاعــد[3]
فهــو طيباً كذكــره فــي الثنــا والمحــامــد
همــةً في العــلا اقتدت بالسّــهــى والفــراقــد
ونــدىً بخلــت بــه كــفُّ يحيى بــن خالــد

وقال [من مجزوء الرجز] :

كأنّمــا بــاب استهــا شكلــة كــافٍ مطلقــه
بيــن سطــور كاتــبٍ حــروفــه محقّقــه
يصــكُّ لــي بين يدي سيّدنــا فــي ورقــه
باللحــم والخبــز الذي روحــي بــه معلّقــه
يا من به قد فتحت أبــواب رزقــي المغلقــه

---

(١) رخت : الرُّخّ : نباتٌ هشٌ .
(٢) الشنب : البارد .
(٣) النشر : العبق الطيب .

وقِّعْ لمن علَّمه جودك حذق العقعقه[1]

* * *

هذه نبذ من ملح ملحه الرائقة ، وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي وأنت على تجاوزه قديرُ
فبحرك درّ لجته ثمينٌ وغيثك ماء مزْنته طهورُ

وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المطر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع الشمس ثم يعود [من الكامل] :

يا سيدي تفديك مهجة خادمٍ لك يستقلُّ لك الفداء بنفسهِ
يفديك مَنْ جلّيت أوّل كربةٍ عنه ومن أدركت آخر نفسهِ
انظر إلى اليوم الذي أشبهته لو كان جنسك ناشئاً من جنسهِ
يحكي نداك بغيثه فإذا انجلى فكأنَّ وجهك ما انجلى من شمسهِ
لكنْ فضلت عليه أنّك دائماً تبقى وهذا اليوم تابع أمسه

وقال [من المتقارب] :

هو الشيخ لما صفا جوهر الـ ـفضائل منه ولم يكدرِ
أضاف الزمان إليه ابنه كما اقترن البدر بالمشتري

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [من السريع] :

يا عارضاً يروي الثّرى غيثه ومنهلاً يشفي الصّدى موردُهْ[2]

(١) العقعقه : التصويت : والعقعق طائرٌ كالغراب .
(٢) العارض : الغيم الممطر .

أقعـدت في الكتـاب من لم يكنْ يضـرُّه أنَّـك لا تقعـدُهْ
أنـت أبـوه فهـو يُنمـي إلى كتابـةٍ يوجبهـا محتـدُهْ[1]
إن شئـت علِّمْـهُ وإن شئـت لا لا بدّ أن تحـكي أبـاه يدُهْ

وقال [من السريع] :

لا زلـت يا عُمْـرَ أبـي عمرو أبقـى علـى الدّهـر من الدهر
فتَـى إذا ما جاء لي بحرُهُ أمـرت من يخـرى علـى البحر
وإن بدا لي وجهـه طالعاً صفعـت بالشـمس قفـا البدر

وله [من السريع] :

فديت عزّ الدولـة المرتجى بمهجتـي إن قبلـت مهجتي
ومـن أنـا في عيلـة إحسانه وفقـر أهلي فـي عيلتي
ثيابـه فـي سفطـي بيتها وخبـزه مـأواه فـي ملتي[2]
جرايةٌ أصبحـت في رزقها في كلٍّ يوم أجتبـي غلتي
وكان جوفـي بالخـوى مأتماً فاليوم بيت العـرس في معدتي

وقال [من الخفيف] :

سيدي والـذي يقيك من السو ءِ يمينـاً من أوكد الأيمان[3]
لا جحـدت النعْمـى لأكفـر إحسا نك عنـدي يا دائـم الإحسان
أنـا في نـزهـةٍ من العيش في ظلّـك طـول الـحيـاة كـالـبسـتـان
ذاتِ زهـرٍ فيه البنفسـج والنّر جس معـه شقائـق النعمان
جالسٌ في تبظـرمٍ ترك الحا سد يقلـى بعـر آستـه بوراني[4]

(١) المحتد : الأصل .
(٢) سفَطي : من السفاطة : أي متاع البيت .
(٣) أوكد الأيمان : أكثرها إصراراً وعزماً .
(٤) تبظرم : إذا كان أحمق وعليه خاتمٌ فيتكلّم ويشير به في وجوه الناس .

وله في شارب دواء [من المجتث] :

يا من به تتباهى مجالسُ الخلفاءِ
ومن تقصَّرُ عنه مدائح الشّعراءِ
يا سيدي كيف أصبحت بعد شرب الدواءِ
خرجت منه تضاهي في الحسن بدر السّماء
في ثوب صحة جسمٍ مطرّزٍ بالشّفاء

وقال من أبيات في الصاحب [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها السّيِّد الجليل الـ ـمرجوُّ للحادث الجليل
كلُّ مديحٍ أجملت فيه يقصر عن فعلك الجميل

وقال في ابن بقية [من مجزوء الكامل] :

يا بدر يا بدر التمام بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسما العظا م بحرمة الأسما العظام
هبْ لي بقا ابن بقيَّةٍ هبةً تجدد كل عام
أنت الكريم فهبْ لنا هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي أنّي على خبزي أُحامي

* * *

قطعة من ملحه في نوادره في سائر الفنون

وقال [من الوافر] :

أعصرَ شبيبتي قف لي قليلا أناشدك المودّة أن تحولا(1)

(1) أن تحول : أن تفارق وتتغير .

فديتــك يا شبابي أنــت ما لي　　أراك مكلــكلاً نضــواً عليلا[1]
تولّــى حسنــك المفقــود عنّي　　وحــوّل رحلـه إلاَّ قليلا
وقالــوا الشيب يكسبــه جلالاً　　معــاذ الله بل خطبــاً جليلا

وقال [من الوافر] :

بياض الشيب تكرهــه الغواني　　ويعجبهــا سوادٌ في الشباب
وشيبُ لحــى الزنــاة فدتــك نفسي　　ضراطٌ في اللحــى عنــد القحاب

وقال [من مخلع البسيط] :

طاقــة آسٍ جنيت منها　　بلحظتــي نرجســاً وورداً
أرضــاه مولــىً وليس يرضى　　مولاي بي في هواه عبدا

وقال [من السريع] :

فــديت إنسانــاً علــى هجره　　ووصــلــه تحسدنــي الناسُ
لمــا احتــوى الــورد علــى خدّه　　ودبّ في عارضــه الآسُ
مزجــت كأســي من جنــى ريقه　　بمثــل ما دارت به الكأسُ

وقال في أرمد [من البسيط] :

أنــا الفــداء لعينٍ بعض أسهمها　　مشــكوكةٌ بين أحشائــي وفــي كبدي
فيهــا سقــامٌ فتــورٍ لا خفــاء به　　تُجدِّدُ السقم في قلبي وفــي جسدي[2]
كانــت تعــلُّ فؤادي وهــي سالمة　　فكيف بي وهو يشكو علّة الرمد ؟؟[3]

---

(١) مكلكـلاً : مهموماً . نضواً : هزيلاً .
(٢) الفتور : الضعف والإنكسار .
(٣) تعلُّ : تمرض .

وقال [من المنسرح] :

فديت من مرَّ في الرصافة بي فقلت : يا سيدي، فلم يُجِبِ
واصفرَّ غيظاً عليَّ وامتزجتْ صفرةُ ذاك اللُّجين بالذهب

وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً [من الرمل] :

اسمع المدح الذي لو قيل في أحدٍ غيركَ قالوا سرقا
جاء يستهديك مهراً أدهماً يركب الفارس منه غسقا[1]
كالدّجى تبصر من غرَّتِهِ فوق أطباق دجاه فلقا[2]
جلَّ أن يلحق مطلوباً ومن طلب الرِّيح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه يتلظّى من ذكاه قلِقا[3]
فإذا طار به المشي مضى وهو كالرِّيح يشقُّ الطرقا
كالسّحاب الجون إلاّ أنَّه ليس يسقي الأرض إلاّ عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطى في مدى السبق ويمشي العنقا[4]

وقال يصف الفرس الذي أهداه له أبو تغلب [من المجتث] :

اليوم يوم سروري بالموصليِّ الذنوبِ
من عند قرمٍ كريمٍ جزل العطاء لبيب
آدابه جعلتهُ يُغنى بكلٍّ أديب
ركّبت فيه القوافي فجاد بالمركوب
ذو غرَّةٍ يتلالا في حالكٍ غربيب[5]

---

(١) الأدهم : الأسود . والغسق : الظلام .
(٢) الفلق : الصباح .
(٣) يتلظّى : يتحرّق .
(٤) المرطى بفتحات : نوع من العدو ، والعنق : السير السريع .
(٥) الغربيب : الشديد السواد .

لـون الشبـاب عليـه مـع غرّةٍ كالمشيـب
صهيلـه جوف إذني ولا غنـاء غريـب
وروثـه المسـك طيبـاً بيـن اللحـى والجيـوب
لـولا اضطـراري إليه نزّهتـه عـن ركوبي

وقال في خصم له أعمى [من الوافر] :

سمعتـم قطُّ أعجـب من ضريرٍ يقـدِّر أن يجـور علـى بصيرِ؟
ولـو شاء الـوزير ـ ولـم يزل لي صلاحـي في مشيئـات الوزيرـ
لألزمـه العصـا يمشـي عليها وعلّمـزه القـران علـى القبور

وفيه [من المنسرح] :

إن كان هذا الضـرير يعنتني بحجـةٍ مثـل عينـه غلقِه[1]
فوقّـع السـوس في عصـاه ولا بورك في قسطـه من الصدقة

وقال [من السريع] :

لا يحسـن الإشـراف من مقعدٍ كأنّـه زرقة فـرّوج[2]
أقصـر من يأجـوج في قدّه وقـرنـه أطـول مـن عوج[3]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

أزجـر العين أن تـرى أزرق العيـن أشقـرا
مـا أرى البـوم وجهه قـطُّ إلاّ تـطـيّرا

---

(١) يعنتني : يكرهني لزوم ما يصعب عليّ أداؤه واحتماله ، غلقه : مقفله .
(٢) زرقة فرّوج : سلحته .
(٣) يأجوج ومأجوج ، ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قومٌ من الأقوام .
وعوج : هو عوج بنُ عوق : رجلٌ ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة .

وقال [من الخفيف] :

سيدي حشمتي عليك حرامُ ... وبحكم الكريم تقضي الكرامُ
وأرى مذ ملكتني أنّ مثلي ... أبداً لا تفيدك الأيامُ
خادمٌ ناصحٌ ، وعبدٌ محبٌّ ... وصديقٌ ، وصاحبٌ ، وغلامُ
خمسة قد جمعتهم لك وحدي ... لمعاني اختصاصهم والسلامُ

وقال يتشوق رئيسا ويصف رواقه [من الكامل] :

لا والذي يا سيدي يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحنك والتدلّي والرواق[1]
دارٌ غدت شرفاتها توفي على السّبع الطباق
فقبابها وكواكب الجوزاء تسمو باتّفاق
ولها حصونٌ تشتكي حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهو يسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشيت في طول الرواق
دارٌ بها يا سيدي ما بي إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز في قوله [من المجتث] :

لا تدعني لصبوحٍ ... إنّ الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي ... والصّبح لون مشيبي

وقال [من مخلع البسيط] :

الصّبح مثل البصير نورا ... والليل في صورة الضرير
فليت شعري بأيّ رأيٍ ... يختار أعمى على بصير

---

(١) الصحن : الدار أو البهو المتسع فيه .

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من صديقٍ يروق عيني بالشّكل والحسن واللّباقهْ
ليس له في الجميل رأيٌ ولا بفعل القبيح طاقه[1]
كأنّه في القميص يمشي فالوذج السوق في رقاقه[2]

وقال يصف بغلة [من السريع] :

تعرف لي أحسن من بغلةٍ جدَّدت في البرِّ بها عهدي
تنساب كالماء على حافرٍ كأنّه من حجرٍ صلدِ
نابت عن الأشهب لما مضى نيابة الكلب عن الفهد[3]

حاشية من قصيدة لابن حجاج [من الوافر] :

فأقسم لا بيسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد[4]
ولكن بالوجوه البيض مثل الـ ـأهلة تحت أغصان القدودِ
وشربِ الريِّ من خمر الثنايا وشمٍّ المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم الـ ـفراق بمصٍّ رمّان النهود
وبالخمر التي كانت لعادٍ ولكنْ بعد محنتهم بهود
مدامٌ في قديم الدهر كانت تعدٌّ لكلِّ جبارٍ عنيد
مدامٌ ليس لي فيها إمامٌ أصلّي خلفه غير الوليد

* * *

(١) طاقه : قدره .
(٢) الفالوذج: نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل . والرقاق : نوع من الخبز .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) يسين وطه والذاريات والحديد : سورٌ من القرآن الكريم .

فصـــل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضة من تبرها[1] ، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله [من الكامل] :

برزت لنـا تحـت القنـاع الأزرق ليلاً فعـاد لنـا كصبـحٍ مشرقِ
الوجـه بدرٌ والقنـاعُ سماؤهُ والشّعـر بينهمـا كليلٍ مُطبقِ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله [من الطويل] :

وفي الدهـر عن مطلٍ بمـا هو واعدٌ فساخطـه راضٍ ، وشـاكيه حامدُ
وأدركتِ الـرّيَّ الخلافـة بعدما تجهّمهـا عن موقف الحـقِّ ذائدُ[2]
رأت قادراً بالله لم يعـدُ قدره مدى العفـو عمّـا رام باغٍ وحاسدُ
رأينـا به العبـاس معنـىً وصورةً فمـا عدَّ عنّـا غائبـاً فهـو شاهدُ

(١) القراضة : القطع الصغيرة ، والتبر : الذهب .
(٢) تجهّم : استقبلها ، وذائد : مانع .

تقبَّلَــهُ فضــلاً أشــاد بذكره له قبلــه جدٌّ كريمٌ ووالد
كذاك الأصــول الــزاكيات ذواهبٌ إلــى ما رأتهــا بالــزكاء المحاتد
ومــن يكُ لله المهيمــن سعيــه ينــل ساعياً في ظلّــه وهــو قاعد

ومنها :

فللّــه ما تأتــي ولله ما ترى ومــا أنــت فيه صادرُ الأمــر واردُ
وملّيت من ربٍّ السمــاء فوائداً عدوّك منهــا قبــل سيفــك فائدُ
فوالله ما ندري أليث ضبارمٍ مفيت الأعــادي أنــت أم أنــت عائد[1]
كذا الخلفاء الراشــدون الأولــى مضوا وأنــت عليهــم بالبقية زائد
فلا عولّــتْ إلاّ علــى مجــدك العلا ولا انتسبــت إلا إليك المحامد

وقال في الوزير سابور بن أردشير [من الوافر] :

رويدك قــد تعــاليت اطّلاعاً علــى العلياء همّــاً وارتفاعا[2]
ونفســك لا ترى ببلــوغ مجدٍ ـ وإن أوفــى علــى النجــم ـ اقتناعا
إذا ما خطّــةٌ ضاقــتْ عليه أشــرت لهــا فأمعنــتِ اتساعا
برأيٍ ما رأتــه الشــمس إلاّ تمنّــت أن تكون له شعاعا
وأذلَّ بعــزّهٍ صــرفَ الليالي ورام عصيّهــا حتــى أطاعا
ندىً وبسالــةً علمــاً يقيناً بأنّهمــا به في الخلــق ذاعا
تكفَّــل ذا نداك ومــا رأينا جواداً كامــلاً إلاّ شجاعــا
ودونــك كلّ بكرٍ لم تملّكْ سواك لهــا من الأنفِ افتراعا[3]
رأت حســن اختراعــك للمعالي فبــارتهــا معــانيهــا اختــراعا
وهــا أنــا ذا أرى لك كلَّ وقتٍ ببــدعٍ من مكارمــك ابتداعا

---

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء ، على سبيل الاستعارة .
(٢) اطّلاعا : رفعة واشرافاً .
(٣) الأنف : الشمم والكبرياء ، واقتراعاً : من اقترع البكارة أي افتضّها .

تراعـي أمـرَ ذا وتـريش هذا   فما لي لا أُراش ولا أراعى ؟[1]
فلا زالـت لك الـدنيا فناءً   ولا حلّ الفنـاء لهـا رباعا
فقـد أضحـى افتـراق المجـد فيمن   حوتـه من الـورى فيك اجتماعا

وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

فدمْ يا وزير العـلا والنُّهى   تنـال المنـى وتوقّـى الحذارا
وراعِ اختلالـيَ سراً ولا   تراع ربـاء اختلالـي جهارا[2]
ولا تستمـع خبـراً طارئاً   عن المـرء أو تبتليه اختبارا
ولا تـحسـبن كـلّ عـودٍ يـريـك ما أنت مورٍ من القـدْح نارا[3]
فمـا كلُّ وحشٍ يرى ضيغماً   ولا كلّ عودٍ يسمّـى غفارا[4]

وقال فيه [من الوافر] :

أبـا نصـرٍ وأنـت البحـر طامٍ   على العـافين جيّاش العباب[5]
يقيم مقـام جيشٍ من ليوثٍ   بفضـل نهـاه سطـراً من كتاب

ومنها :

رآك لقصـده أهـلاً ، وأنّى   يرجّـى الغيث من غير السَّحاب ؟
وقـد أظمـأه ورد سواك إلاّ الـ   أقـلّ، وأيّ وردٍ من سراب ؟

وقال من أخرى [من الطويل] :

ويستبشـر الإسـلام أنّـك سالمٌ   وأنّ بقـاء الملك باسمـك دائمُ

---

(١) تريش : تغني وتجعل له ما يساعده على الحياة .
(٢) اختلالي : نُكسي وسوى حالتي ،والرّباء : المنة والفضل .
(٣) مورٍ : مشعل وموقد .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) طامٍ : غامرٍ وفائض .

وأنّ المعالي ما بنى لك ذو العلا ... وليس لما تبني يد الله هادمُ
أنا الشمس إن لم تستبن عين ناظرٍ ... ضيائي فإنّ الذنب للعين لازمُ
وما دمت بعد الله لي عنه رازقاً ... فما أتظنّي أنّه لي حارمُ[1]

وقال من أخرى [من البسيط] :

وأنت فرع زكاء الأصل منه ، ولا ... يطيب إلا بطيب المنبت الثمرُ
وأنت بحر النهى ما للعقول إلى ... سواه مورد صفوٍ ما له كدرُ
وأنت بيت الندى طافت بكعبته ... حجّاجه ، ونداك الركن والحجر
وقد عُرِفْتَ ولم تحددْ بمنزلةٍ ... والشيء يجهل علماً وهو مشتهر[2]
كالشمس تدركها الأبصار ظاهرةً ... وحدّ منزلها بالغيب مستتر
والملك من بعد طول الكدِّ في دعةٍ ... كالعين أغفت وقد أعيا بها السهر[3]
إليك جاب الفلا عزمٌ تمثّل في ... تحقيقه منك قبل المورد الصّدَرُ
في كلِّ طاميةٍ بالآل ظاميةٍ ... تصدى بها النفس ما يُروى به النّظر
إذا الركائب من أشباهها لعبتْ ... بعد المقيل تولّى حثّها الأشر[4]
أبثُّها فيك آمالي فما انتظرتْ ... لفرط ما طويت ما كنت أنتظر
حتى إذا هي حلّت من ذراك حمىً ... قالت : إلى منتهى المجد انتهى السّفر
ألست لي يا أبا نصرٍ مدى أملي ... وأنّني بك في اللأواء منتصر[5]
فمر زماني لا ينتابني بأذىً ... فإنّه لك فيما شئت مؤتمر

* * *

(١) أتظنّي : أشك ، وحارم : مانع .
(٢) تحدد : أي تقدّر بمكان .
(٣) الكدّ : الجهد والعمل .
(٤) الحث : السوق والاسراع ، والأشر : النشيط .
(٥) اللأواء : الشدّة .

٣ ـ محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، وليس يحضرني من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [من الخفيف] :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنّى ما تعدَّيته ولو بالمنونِ
أشتهي أن أحلّ في كلِّ جسمٍ فأراه بلحظ كلِّ العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها [من الخفيف] :

حيِّ رسم الغميم تحيي الغميما إنْ فقدت الهوى فحيِّ الرّسوما(١)
واستمحْ مقلة الغمام على أطلاله ديمةً أبت أن تدوما(٢)
نشرت عقد دمعها فغدا النو ر بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الظباء إنساً ووحشاً ومحلُّ الأسود خلقاً وخيما(٣)
كلُّ ريمٍ يعطو فيصطاد ليثاً عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريما
كم رعينا من البطاح وكأس الراح والأوجه الملاح نجوما
حين رضنا من التصابي جموحاً وبعثنا من الوصال رميما(٤)
ودعتنا المنى إلى مرح الفتك ولكنّنا أجبنا الحلوما

---

(١) الغميم : إسم مكان ، والغميم : واد بين الحرمين على مرحلتين من مكان . والرسوم : الآثار .
(٢) الديمة : السحابة الممطرة .
(٣) الخيم : يكسر الخاء المعجمة ـ السجيّة والطبع .
(٤) الجموح : فتوة الشباب وجهله، والرميم : البالي .

حين صرف الزمان كان اعتذاراً ورياح الخطوب كانت نسيما
قد وقفنا على الطلول طلولاً ومثلنا على الرسوم رسوما
وخلعنا على البكاء عيوناً ونزفنا من الدموع جموما[1]
ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما[2]
وهي تبدي منها نجاراً ومن سير الدجى مخلفاً ومنّي كريما
وإلى القادر الإمام قريت البيد حرفاً أنضى بها الديموما[3]
الإمام الماضي العزيم الذي را ح وأضحى على المعالي زعيما
وهو من أسرةٍ همُ رسموا الدّهر ذرى المجد والمعالي قديما
وهمُ كالبحار جوداً وكالأنجم هدياً وكالسّيوف عزيما

ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الشرع فارتدّ نهجه مستقيما
وذببت العدو عنه ولولا ك بلا مريةٍ لعطّ أديما[4]
أنت أنكحتني الرجاء فقد أضحى ولوداً وكان قبل عقيما
دُمْ تدمْ دولة المفاخر والمجد وحسن الزمان في أن تدوما
والبس المهرجان ما ابتسم الفجر وأهدى من الرياض نسيما

وقال [من الطويل] :

منازلهم لا شافهتك النوازلُ وأطلالهم حيّاك طلٌ ووابلُ
كأن الرّبا لم تلبس الأرض حالياً ولا أخملت بالنور تلك الخمائل[5]

---

(١) الجموم : الكثير والغزير « من الجمّ » .
(٢) الظليم : ذكر النعام .
(٣) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة ، والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة .
(٤) عطّ : تشقق .
(٥) الخمائل : الجنائن المزهرة .

تعرّفتهــا واستنكــر الطّــرف أنّها
كما استنكرت سقــم المحبّ العواذل

وكم قطْــع ليلٍ بعــد ليلٍ قطعته
وسرح الكرى عن جفـن عينـي هامل

وقــد مالــت الجــوزاء حتّــى كأنّما
بهــا راقصٌ من سورة الـكأس مائل

وخلــت الثــريا كف عذراء طفلةً
مختّمــةً بالــدُّرِّ منها الأنامل

تخيّلتهــا في الأفــق طرّةَ جعبةٍ
ملــوكيةٍ لم تعتلقهــا حمائل[1]

كأنّ نبــالاً ستــةً من لآلىءٍ
يوافــى بهــا في قبّــة الأفــق نائل[2]

وعيشٍ كنــوّار الــرياض استرقته
خلاساً ، وأحــداث الليالي غوافل[3]

لماماً وأغصــان الشبيبــة رطبةٌ
ومــاء الصبــا في ورد خدّيَ جائل

ويومٍ كحلــي الغــانيات سلبته
حلي الربا حتى انثنى وهــو عاطل

سبقــت إليه الصبح والشــمس غضّةٌ
وصبغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل[4]

ونشــوان من خمــر الــدّلال سقيته
شمــولاً فنمّــت عن هواه الشمائل[5]

شكا ظمأً منــه الموشّــحُ ، وارتوت
بمــاء الصّــبا أردافــه والخلاخل

إذ العيش مخضّــر الأصائــل ناعمٌ
وإذ زبــرج الــدنيا خليلٌ مواصلُ[6]

وليلٍ موشّــى بالنجــوم صدعته
بأبيضَ وشّــى صفحتيه الصياقل[7]

إليك ، أمير المــؤمنين، ارتمــت بنا
بنــات الفــلا والمقربــات الصواهل

إلــى من له في جبهــة الدهــر ميسمٌ
ومن سيفــه في مفــرق الدهــر سائل[8]

تشيم الحيا من كفّــه وهــي لجّةٌ
تشــقُّ جيوب القطــر فيهــا الأنامل

---

(١) الحمائل : ما يعلّق به السيف .
(٢) النائل : العطاء .
(٣) خلاساً : أي خلسة في غفلةٍ من عين الزمن .
(٤) ناصل : خارج .
(٥) نمّت : دلّت وأظهرت، والشمائل : الصفات .
(٦) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر أو نحوهما ،وهنا يعني إقبال الدنيا عليه بمباهجها .
(٧) وشّى : طرّز وزيّن : والصياقل : الذين يصقلون السيوف .
(٨) الميسم : العلامة والأثر .
(٩) تشيم : تنظر وتتطلع .

ومــن عوّدتــه المكْرُمــاتُ شمائلاً | فليس له عنهــا ، ولــو شاء ، ناقل
وإنْ راســل الأعــداء فالجــرد رسله | إليهم ، وأطراف العوالـي الرسائل[1]
بيومٍ عقيمٍ يلقــح البيض بأسه | ولــود المنــايا وهــو أشمــطُ ثاكلٌ[2]
إذا ما أســرّ النقــع أنــوارُ شمسه | أذاعـت بأسـرار الحمـام المناصل[3]
فيا بدرُ لا تغـرب ، ويا بحـرُ لا تفضْ | ويا نوءُ لا تخلف حياً منـك هاطل[4]
عظُمْــتَ فهــذا الدهــر دونــك همّةً | وجـدت فهــذا القطـر عنـدك باخلُ

وقال في الأمير شمس المعالي [من الخفيف] :

كم قلــوبٍ تحمّلــت بالحمول | ودمــوعٍ طلّــت بتلك الطلولِ
واصطبــارٍ أضيع ما بين إيضا | ع المطايا وفي المحلّ المحيلِ[5]

ومنها :

وبنفسي بــدرٌ يعــود ضيــاء الــــــبدر من نـور وجهـه بـالأفــولِ
أثمـرت وجنتـاه روضــاً جنى الـــــورد يفتّـر عن غـديـرٍ شمـولِ
وإلــى مســرح المــكارم قابو | س أراح النــدى سوام العقولِ[6]
فــارسُ الكتب والكتـائب والمنـــــبـر والخيـل واليـراع النحيـل
تعــبُ البيض والسلاهــب والأر | ماح والوفـر والنــدى والعذول[7]
وكهـولٌ أوهت كـواهلهـا السمـــــر تهـادى إلى ابتغـاء الـدخـول
يتعاطــون بالصــوارم كاسا | ت المنــايا علـى غنـاء الصّهيل

---

(١) الجرد : الخيل الأصيلة ، والعوالي : الرماح .
(٢) الأشمط : الذي خالط سواد شعره البياض .
(٣) النقع : الغبار ، والحمام : الموت .
(٤) النوء : المطر وشدّة الريح .
(٥) المحيل : الماحل المجدب .
(٦) سوام العقول : طلبها والتفكير بها .
(٧) السلاهب : من الخيل ما عظم وطال عظامه . ، والعذول : الكثير العذل واللوم .

كم يدٍ للخطوب طالت على الأحـــــــرار قصّــرتها ببـاعٍ طــويــل
فـابقَ ما استعبـر الغمام ومـا علَّـــــــــلَ صبّـاً نسيمُ روضٍ عليـل[1]

* * *

(١) استعبر : سال ماؤه واستعبرت العين : جرى دمعها .

الباب الثامن

في تفاريق قطع من مِلح المقلّين

من أهل بغداد ونواحيها ، والطارئين عليها من الآفاق، والمقيمين بها .

٤ ـ القاضي ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف ، وكان ـ كما قرأته في فصل للصاحب ـ شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة ، وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلبي وغيره من الوزراء ، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف ، وخشونة الحكم . ولين قشرة العشرة ، وكان ـ على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بحلائل الأعمال من أمور المملكة ـ يقول شعراً لطيفاً في الغزل ، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً[1] .

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف ، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره وهو :

وصل كتاب قاضي القضاة ، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبته ، والمعاني التي لو واجهت دجى الليل لأزاحته وأذهبته ، ولم أدر بأي مذاهبه فيها

(١) يتعاوره : يتداوله .

أعجب ، ولا من أيها أتعجب ، أمن قريض عقوده منظومة ، أم من ألفاظ لآلئها منثورة ، أم من ولوجها الأسماع سائغة ، أم من شفائها العلة نافعة ؟ وأما الأبيات التي رسم التقدم بتلحينها ، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها ، فما أعرف كفؤاً لمثلها ملحناً ، ولو كان إسحاق الموصلي ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس الكندي ، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب ، ولا مجالاً إلا أرجاء الصدور ، وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه عن تعاطي الإجابة عنه ، وقرن بها من الأطراب ما يكفينا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه ، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة [من البسيط] :

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروفِ في الحادثات سوى القاضي ابن معروفِ

ولابن حجّاج في بعض من كان يناوىء ابن معروف من الحكام [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها الحاكم الرقيع ذقنك في سلحتي نقيعْ
إن ابن معروفٍ في محلٍّ مرامه متعبٌ منيعْ
فضّله الله واجتباه للأمر واختاره المطيع
هذا له وحده فقل لي من أنت في الناس يا وضيع

وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غرره ، فمنها قوله من قصيدة [من الطويل] :

ولم تُسلِني الأيام عنك بمرّها بلى زادني بعد اللقاء تتيُّما
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا وآخذ ما فوق الرضا متلوِّما
فلما تفرّقنا وشطّت بنا النوى رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلِّما[1]

(١) شطّت : باعدت .

وقال [من الكامل] :

لو كنت تدري ما الـذي صنـع الهوى والشـوقَ بالجسـد النحيل البالي
لهجـرتَ هجـري واجتنبـت تجنُّبي ووصلـت من بعـد الصـدود وصالي

وقال [من الطويل] :

ومـا سرَّ قلبـي منـذ شطَّـتْ بك النّوى نعيمٌ ولا كأسٌ ولا متصرِّف
ومـا ذقـت طعـم المـاء إلاّ وجدته سوى ذلك الماء الـذي كنـت أعرف
ولـم أشهـد اللّـذات إلاّ تكلُّفا وأيُّ نعيمٍ يقتضيه التكلُّفُ(١) ؟

وقال [من مجزوء الكامل] :

احـذر عـدوّك مـرةً واحـذر صديقـك ألفَ مرَّهْ
فـلربّـمـا انـقـلـب الـصّـديـق فكـان أعـرف بـالمضـرَّهْ

* * *

٥ ـ أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء ، والذي رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغاني ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرد الأغاني ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشك في أن له غيرها ، وكان منقطعاً إلى المهلبي الوزير ، وكثير المدح ، مختصاً به ، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) التكلُّف : التصنُّع ، وتحمل الشيء على غير عادة .

ولمـا انتجعنـا لائـذين بظلِّه أعـان ومـا عنَّـى ومـنَّ ومـا منَّا[1]
ورَدْنـا عليه مقتـرين فَراشنَا ورِدْنـا نداه مجـدبين فأخصبنا[2]

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [من الكامل] :

آسعـدْ بمولـودٍ أتـاك مباركاً كالبـدر أشـرق جنـح ليلٍ مقمرِ
سعـدٌ لوقـت سعـادةٍ جاءت به أمٌّ حصـانٌ من بنـات الأصفر
متبجِّـحٌ في ذروتـي شرف الذرى بين المهلَّـب منتمـاه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى حتـى إذا اجتمعـا أتـت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي [من السريع] :

* شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا *

وقال من قصيدة فيه عيدية [من الطويل] :

إذا ما علا في الصّـدر للنهـي والأمرِ وبثّهمـا في النفـع منـه وفـي الضرّ
وأجـرى ظُبـى أقلامـه وتدفَّقتْ بديهتـه كالمستمـدّ من البحر[3]
رأيت نظـام الـدُّرّ في نظـم قولِهِ ومنثـوره الرقـراق في ذلك النثر
ويقتضـب المعنـى الـكثير بلفظهِ ويأتي بما تحوي الطـوامير في سطر[4]
أيا غرَّة الدّهـر ائتنفْ غرَّة الشّهر وقابِلْ هلال الفطـر في ليلـة الفطر[5]
بأيمـن إقبـالٍ وأسعـد طائرٍ وأفضـلَ ما ترجـوه في أفسـح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهـد صادقاً بطهـرك فيه واجتنابـك للوزر
فأكرم بمـا خطّ الحفيظـان منهما وأثنـى به المثني وأطـرى به المطري

(١) عنّى : حبس معونته ، ومنّ : تكرّم ، وما منّا : أي لم يعدّد ما فعله له من الخير وفخر به .
(٢) مقترين : معدمين ، فقراء .
(٣) الظُّبى : جمع ظبّة ، حدّ السيف والسنان والسكين ونحوها، ويعني بها رؤوس الأقلام لأنها مسنّنة .
(٤) الطوامير : الصُّحف .
(٥) إئتنف الشيء : أخذ فيه وابتدأه .

وزكّتــك أوراقُ المصــاحف وانتهى إلـى الله منهــا طول درســك والذِّكر
وقبضـك كفّ البـطش عن كلّ مجرمٍ وبسطكهـا بالعُـرف في الخير والبرّ[1]
وقـد جاء شـوال فشـالت نعـامـة الـــــصّيـام وأبدلنـا النعيم من الضـرّ[2]
وضجّت حبيس الدنّ من طول حبسها ولامـت علـى طول التجنُّـب والهجر
وأبرزهــا من قعــر أســودَ مظلمٍ كإشــراق بدرٍ مشــرق اللّــون كالبدر
إذا ضمّهــا والــورد فوه وكفُّه فلا فرق بين اللـون والطعـم والنشر[3]
وتحسبــه إذ سلســل الـكأس ناظماً على الكوكب الدرِّيِّ سمطاً من الدُّرّ[4]

وقال يهنئه بالعافية [من البسيط] :

أبـا محمـدٍ المحمـود يا حســن الـ إحسان والجود يا بحر الندى الطّامي[5]
حاشــاك من عود عوّادٍ إليك ومن دواء داءٍ ومــن إلمـام آلام

وقال فيه [من المتقارب] :

تــأوّب عينــي طيفٌ ألمّ لظالمــةٍ طرقــت في الظُّلم[6]
تخيَّل منهــا خيالٌ سرى فيسلــب حلمــي بذاك الحلم
فمــا أنس لا أنس إقبالها تميسُ بغصــنٍ سَقَتْــهُ الدِّيَم[7]
وقــد بدرت مثـل بدر الدّجى سمــا في السمــاءِ علــواً وتمّ
علــى رأسهــا معجــرٌ أزرقٌ وفــي جيدهــا سبحــة من برمْ[8]

---

(١) العرف : الكرم والمعروف .
(٢) شالت : ارتفعت .
(٣) النشر : الرائحة الطيبة .
(٤) السمط : العقد .
(٥) الطامي : الفيّاض الغامر .
(٦) تأوّب : وجع وألم .
(٧) تميس : تمشي بغنجٍ ودلال .
(٨) المعجر : الغطاء ، والبرم : كل ما فيه لونان مختلطان وحبلٌ للمرأة مزيّن بجوهر .

ولـم ترتقـبْ لطلـوع الرقيب ... ولـم تحتشـمْ لطلـوع الحشـم
لقـد سؤتنـي يا نظـام السرور ... وأسقمتنـي يـا شفـاء السقم
أهـذا المـزار أم الازورار ... وإلمامـكم ألـمٌ أم لمـم[1]
ويومٍ كمثـل رداء العرو ... س حسنـاً وطيبـاً إذا ما يشم
خلعـت عذاري ولـم أعتذر ... ولـم أحتشـم فيه من يحتشم
وقابلـتُ فيه صفـاء الشمال ... بصفـو الشمـول وشجـو النغم
فـداؤك نفسـيَ هذا الشتاء ... علينـا بسلطانـه قد هجم
ولـم يبـق من نشبـي درهمٌ ... ولا من ثيابـيَ إلاّ رِمم[2]
يؤثّـر فيهـا نسيم الهواء ... وتخرقُهـا خافيـات الوهـم
وأنـت العمـاد ونحـن العفاة ... وأنـت الـرئيس ونحـن الخدم[3]

وله فيه [من المتقارب] :

فـداؤك نفسـي من الحادثاتِ ... وريب الـرّدى وحلـول الحذرْ
فعـالك تكبـر عن موعدٍ ... ووعـدك يسبـق أنْ ينتظرْ
وكفُّـك تهمـي علـى المعتفين ... بفيضٍ عفـا وصفـا من كدر
إذا عاقـك الشغـل عنّـي ولم ... أذكّرك نفسـيَ خوف الضّجر
تسكّعـتُ في حيرةٍ لا أجو ... ز منهـا إلـى عضـدٍ أو وزر
رهنـت ثيابـي وحـال القضا ... ء دون القضـاء وصـدٌ القدر
وهـذا الشتـاء عسـوفٌ علي ... كمـا قد تراه قبيح الأثـر[4]
يغـادي بصـرٍّ من العاصفا ... ت أو دمـقٍ مثـل وخـز الإبر[5]

---

(١) في الأصول : « وإلمامكم بنا ألم أم لمم » ولا يستقيم به الوزن .
(٢) النشب : المال القديم الموروث ، والرمم : البالي .
(٣) العفاة : المحتاجين .
(٤) عسوفٌ : قاسٍ وظالم .
(٥) الصرّ : صوت الريح وعصفها .

وسـكان داري ممّـن أعو | ل يلقين من برده كلَّ شرّ
فهـذي تحـنٌّ، وهـذي تئنٌّ | وأدمـع هاتيك تجـري درر
إذا ما تململن تحـت الظلام | تعلَّلن منـك بحسـن النظر
ولاحـظنَ ربعك كـالممحليـــن | شاموا البروق رجاء المطر[1]
يؤمّلن عَودي بمـا ينتظرن | كمـا يرتجـى آيبٌ من سفر
فأنعـمْ بإنجـازِ ما قد وعدت | فمـا غيرك اليوم من ينتظر
وعشْ لي وبعـدي فأنـت الحيا | ة والسمـع من جسـدي والبصر

وقال من أخرى فيه [من البسيط] :

يا فرجـةَ الهـمِّ بعـد اليأس والوجلِ | يا فرحـة الأمـن بعـد الـروع والوهلِ
اسلمْ ودمْ وابقَ واملكْ وانمُ واسمُ وزدْ | واعطِ وامنع وضرّ وانفع وصـلْ وصلِ

وقال في وصف الخمر من قصيدة [من الخفيف] :

وسـلافٍ كالتبـر أذكـى مـن المسـك | وأصفـى صبغـاً مـن الزّعفـران
وكأنّ اليد التي تحتويها | من صبيب العقيان في دستبان[2]

وقريب منه قوله [من الطويل] :

وبـكرٍ شربناهـا علـى الـورد بكرةً | فكانـت لنـا ورداً إلـى ضحـوة الغدِ
إذا قام مبيَضٌ اللبـاس يديرها | توهمتـه يسعـى بكمٍّ موردَّ

والأصل فيه قول أبي الشيص [من الطويل] :

سقانـي بهـا والليل قد شاب رأسه | غزالٌ بحنّـاء الغزالـة مختضبْ

(١) شاموا : نظروا وترقّبوا .
(٢) الدستبان : نوعٌ من الآنية .

وقال في أبي سعيد السيرافي [من الخفيف] :

لست صدراً ولا قرأت على صد ... رٍ ولا علمك البكيُّ بكافي[1]
لعن الله كل شعرٍ ونحو ... وعروض يجيء من سيراف

وقال في القاضي الأيذجي ، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها [من البسيط] :

اسمع حديثي تسمع قصّةً عجبا ... لا شيء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكّازةً للوحل تحملني ... ورمزتها عند من يخبي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوي عصا عصبٍ ... ولم أخل أنّه صبٌّ بكل عصا

وكتب إلى القاضي التنوخي يلتمس منه خبرا [من الرجز] :

يا أيُّها القاضي السنيُّ الذّكر ... ومن علا على قضاة العصر
قد اجتمعنا في محلٍّ وعر ... ومنزلٍ ضنكٍ ومثوىً قفر
خالٍ من الخير كثير الشرِّ ... نلقى زماني ألمٍ وضرٍّ
من ليل بقٍّ ونهار حرٍّ ... فقد فقدت جلدي وصبري
وليس لي عند مجيء فكري ... سوى تشكّي فادحاتِ أمري
بقلمٍ يخطّها في سطر ... إلى فتىً ذي أدبٍ وقدر
فاسمع لشكواي وجدْ بعذر ... قد صفّرت محبرتي من حبر
ولم أجده مشترىً فأشري ... فجد حباك الله طول العمر
بمثلها حبراً وفز بشكري ... من بين نظمٍ حسنٍ ونثر
وربّ مجدٍ باسقٍ وفخرٍ ... نالهما الحرُّ ببذل النزر[2]

* * *

(١) البكيُّ : القليل العطاء ، ومن الآبار : القليلة الماء .
(٢) الباسق : الشامخ الرفيع ، والنزر : القليل من الجهد .

٦ ـ أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة ، يقول [من الخفيف] :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عضّني الدّهـ ـر ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارٌ في مرتقى نفس الحا سد ماءٌ جارٍ مع الإخوان

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخٍ من عزّه المترفّعِ
قالتْ لي النفس العروف بفضلها: ما كان أولاني بهذا الموضع

وقال [من الكامل] :

الدّهرُ يلعب بالفتى فيهيضُهُ طوراً ، ويجبر عظمه فيُراشُ[1]
وكذا رأينا الدّهر في إعراضه ينحى وفي إقباله ينتاش[2]

وقال [من المتقارب] :

أدلَّ فيا حبذا من مدلّ ومن ظالمٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزّز قابلته بذلٍّ ، وذلك جهد المقلّ

وقال [من الرمل] :

أنت يا ذا الخال في الوجنة ممّا بيَ خالِ
لا تبالي بي ولا تخطرني منك ببال
لا ولا تفكر في حا لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إماميٌّ وفي حبّك غالي[3]

* * *

(١) يهيض : يكسره ، كناية عن الفقر ، ويراش : أي يجعل له ريشاً كناية عن الغنى .

(٢) ينتاش : يطلب وينقذ .

(٣) غالي : أي مغالي من الغلو .

٧ ـ أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفي أسرتـه يقول الصاحب [من الكامل] :

لبنـي المنجّـم فطنةٌ لهبيه ومحاسـنٌ عجميـةٌ عربيـه[1]
مـا زلـت أمدحهـم وأنشـر فضلهم حتـى عُرفـت بشـدَّةِ العصبيه

ولذكرهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب الصاحب وشعرائه .

* * *

فأما أبو الحسن ، الذي هو كبيرهم ، فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب في كتابه المعروف بالروزنامجه ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلبي حين ورد الصاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه .

فصـل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجودا بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير : فإن لأبي الحسن رسما أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد ، أحب إلى من أن أحصل عنده في رتبة مقصر، يبتدىء فيقول ببحة عجيبة ، بعد إرسـال دموعـه ، وتـردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب إليه حرام وعبيده

---

(١) فطنه لهبيه : أي متوقده دليل على الذكاء .

أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبي دؤاد الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوذه[1] ويهتز له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي عهدي وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر[2] اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها .

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان ، وقد نمى إلى سيدنا خبر ابنه وحذفه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبوري يشاكله أو يقاربه ، ومما يغنى به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه [من الكامل] :

بيني وبين الدهر فيك عتابُ ... سيطول إنْ لم يمحهُ الإعتابُ
يا غائباً بوصاله وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك إيابُ
وإذا بعدت فليس لي متعلّلٌ ... إلا رسولٌ بالرّضا وعتاب

---

(١) يعوذه : يدعو له بالحفظ .

(٢) اشتجر : تخاصم .

وإذا دعوت مساعداً فهو المنى سعد المحبُّ وساعَدَ الأحبابُ
لولا التعلُّل بالرجاء تقطّعتْ نفسٌ عليك شعارها الأوصاب[1]
لا يأس من روح الإلّه فربما يصل القطوع وتحضر الغيّاب[2]

إلى ههنا من كتاب الروزنامجه .

وقرأت للصابي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تألمه من قدمه ، وأضر بي وبالأحرار انقطاعه بذلك عن مساعي كرمه . وأقول له ، ما أنشدنيه علي بن هرون بن المنجم لنفسه من قصيدة كتب بها إلى أبي الحِواري ، وقد وثبت رجله من عثرة لحقته [من الخفيف] :

كيف نال العثار من لم يزل منه مقيلاً من كلِّ خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لمْ تخطُ إلاّ إلى مقامٍ كريم

وقال في قدح أصفر [من الرجز] :

وقدحٍ مورّس السّربال من نقشه قبل المدام حال[3]

* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالي * قريبه أبو محمد بن المنجم فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب [من الطويل] :

وأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها

ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى .

* * *

(١) الأوصاب : الأمراض والآلام .
(٢) القطوع : المهجور .
(٣) مورّس : من الورس ، وهو نبات كالسمسم تغطّي ثمره غدد حمر ، يصبغ به .

٨ ـ الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين[١] وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر ، لامتلأت عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه يقول [من الهزج] :

على أنّي بحمد اللـ ... ـه في بيتٍ من المجد
بإخواني بني ساسا ... ن أهل الجدِّ والحدِّ[٢]
لهم أرض خراسان ... فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج ... إلى البلغار والسِّند
إذا ما أعوز الطرق ... على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم ... من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النّهج ... بلا سيفٍ ولا غمد
ومن خاف أعاديه ... بنا في الرّوع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوي الثورة وأهل الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال : أنا مكدي ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام الصاحب .

وفي هذه القصيدة !

وقالوا قد سلا عنك ... وقد حال عن العهدِ

---

(١) المكديين : المتكسّبين .
(٢) الحدّ : الفطنة .

ولا والله ما أسلو ولكن قلَّ ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيصي قال : أنشدني الأحنف لنفسه [من الخفيف] :

عشتُ في ذلَّةٍ وقلَّةِ مال واغترابٍ في معشر أندال[1]
بالأماني أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رزقٌ يقول بالوقف في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال

وقال [من البسيط] :

رأيت في النّوم دنيانا مزخرفةً مثل العروس تراءت في المقاصير[2]
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصت من أيدي الخنازير

وقال [من البسيط] :

العنكبوت بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنُ
والخنفساء لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنُ

وقال [من البسيط] :

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يُدرك إلاّ بالتفاريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ولا بشعر ولكن بالمخاريق[3]
والناس قد عملوا أنّي أخو حيلٍ فلست أنفق إلاّ في الرساتيق[4]

---

(١) الأندال : مفردها النّدل وهو الوسخ .
(٢) المقاصير : الحجرات التي تقيم فيها والمقاصير : العشيّات .
(٣) بالمخاريق : الألاعيب والتمويه القائم على الكذب والاختلاق .
(٤) الرساتيق : الرستاق : الرزداق .

وقال [من الخفيف] :

قال رؤيا المنام عندك حقٌّ   قلت هيهات كلٌّ ذاك بخارُ
ليت يقظانهم يصحُّ له الأمر فكيف المغطُّ والنّخّار[1]

وقال [من الهزج] :

سريرٌ بِتْ بماخورِ   على دفٍّ وطنبور
وصوت الطبل كردَمْ طعْ   وصوت الناي طلّير
فصرنا من حمى البيت   كأنّا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع   كمثل العمى والعور
لقد أصبحت مخموراً   ولكنْ أيَّ مخمورِ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

ترى العقيان كالذّهب المصفّى   تركّب فوق أثفار الدواب[2]
وكيسي منه خلوٌ مثل كفّي   أما هذا من العجب العجاب

وقال [من مجزوء الرمل] :

قام للشقوة أيري   وجرى بالنحس طيري
وولّى حلَّ سراويلك   يا مولاي غيري
وتقرّأت علينا   كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناقة   يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صبٍّ   حك الله بخير

* * *

(١) المغطّوالنّخار : أي النائم المستغرق في نومه ، والذي يسمع له صوت أثناء نومه « شخير » .
(٢) الأثفار : جمع ثفر ، وهو سيرٌ في مؤخر السرج يشدّ تحت ذنب الدابة .

٩ ـ ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرّفاء ، وكان يتطايب في المداخلة والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [من الخفيف] :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ   فيه ضنٌّ بالأصدقاء وشحُّ
بين شخصي وبين شخصك بعدٌ   غير أنّ الخيال بالوصل سمح
إنما يمنع التآلف منّا   أنّني سكرٌ وأنّك مُلحُ

فأجابه من أبيات منها [من الخفيف] :

هل يقول الإخوان يوماً لخلٍّ   شاب منه محضَ المودة قدحُ[1]
بيننا سكّرٌ فلا تفسدنه   أو يقولون بيننا ويكَ مِلحُ

وقال في قاض [من الهزج] :

لنا قاض له وجهٌ   على أخذ الرشا عابسْ[2]
ولكنّ له أيراً   يدقّ الرطب واليابس

وقال [من مجزوء الرمل] .

ذرفتْ عين الغمام   فاستهلّت بسجامِ[3]
وبكى الإبريق في الـ   ـكأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ   من مدامٍ وغمام
واعصِ من لامك فيه   ليس ذا وقت الملام

* * *

(١) شاب : مزج ، ومحض المودة : خالصها، والقدح : الذمّ .
(٢) الرشا : أي الرشوة .
(٣) السجام : الدمع السائل .

١٠ - أبو علي الحسن بن علي الخالع

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ولذكره موضع آخر في الباب التاسع . ومن ملح شعره قوله من أبيات [من الخفيف] :

اسقنا من شرابك الصّرف نمزجه بماءٍ من الثنايا زلال(١)
بنت كرمٍ كأنّها خجلةُ الخدّ تبدَّت في حلَّةٍ من دلال(٢)

وقال [من مجزوء الكامل] :

هو معلمٌ لهواك فاعلمْ وهي الرسوم كما ترسّم(٣)
قف مطلق العبرات محتبس الصبابة يا متيّم
حتى ترى ديباج خدّك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعةٍ لك في مغانيه تقدّم
إذ أنت في مجموع شمل الغانيات به مقسّم
يثني عناقك من سعاد ساعداً عبلاً ومعصم(٤)
وتصير من نَعَمٍ إليك معاطف الغصن المنعّم
أرعيت ألحاظي بمو شي الرّبى خضلٍ موشّم(٥)
متضوّع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسّم(٦)
ألقت بكلّ قرارةٍ فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغضُّ من خجل الشقائق قد تبسّم

---

(١) الصرف : الخالص ، الصافي .
(٢) بنت كرمٍ : أي بنت العنب .
(٣) معلمٌ : دليل .
(٤) العبل : الضخم .
(٥) خضلٍ موشّم : النديّ المعلَّم من النبات .
(٦) متضوّع : أي يفوح طيبه .

فكأنّما ريّاه أخلاق الوزير وقد تكرّم
يا من إليه مقالد العلياء عن حقٍّ تسلّم
مات السّماح فكنت في إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

١١ ـ الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللأدب مفزع . وإليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله ، مع الشيخ أبي حامد الإسفرائيني أيده الله ، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله [من الطويل] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركي قتيلَ الهوى لو زرتني كان أجدرا
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتك لا تحججْ ولا تقتلِ الورى

وكقوله ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي [من الخفيف] :

حاش لله أن أزول عن العهد وإن زاد سيدي في الجفاءِ
أنا ذاك الذي عرفت قديماً لابسٌ للصديق ثوب الوفاء

وأنشدني أبو الحسن الكرخي ، قال: أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه [من الكامل] :

يا عينُ منكِ شكايتي وبلائي أنت التي أسلمتني لشقائي
لمّا نظرت إلى محاسن وجههِ أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالبكا فكشفت ذاك السرّ للأعداء
فتأمّلي ماذا جنيتِ وأمسكي بالله عنّا معشر الغرباء

وقال : أنشدني أيضاً لنفسه [من المنسرح] :

عجبت من معجبٍ بصورته   وكان من قبل نطفةً مذره[1]
وفي غدٍ بعد حسن صورته   يصير في الأرض جيفةً قذره
وهو على عجبه ونخوته   ما بين ثوبيه يحمل العذره[2]

وقال : أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً ، وهما [من مجزوء الكامل] :

سابور ، ويحك ! ما أخسّك ! بل أخصّك بالعيوبِ !
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسن في القطوبِ

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه ، قال : أنشدني أبو يعلى الواسطي ، قال : أنشدني النامي لنفسه [من البسيط] :

قالتْ له ورأى في وجهها أثراً   فازورّ عنه كئيب القلب مدهوشا
ما حسن ديباجة الخدِّ المليح إذا   لم يحكِ في حسنه الديباج منقوشا

قال : وأنشدني أبو علي الكندي، قال : أنشدني النامي لنفسه ، وقد أهدى هدية مهرجانية إلى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

هديَّةُ المهرجان واجبة   على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سننٍ   من التهادي فما أتى سفها
حَمْلٌ على أنّني لكم قلمٌ   قطّ برأسين يكشف الشبها

* * *

(١) مذره : قذره وقبيحه .
(٢) العذره : الأقذار كالغائط وغيره .

الباب التاسع
فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

١٢ - في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لا يجري له ذكرٌ فيما سواه .

قال السلامي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [من البسيط] :

اليوم طبَّقَ أفق الدولة النورُ ... وأوضحت فلقَ الملك التباشيرُ(١)
فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ ... وكلُّ قلبٍ بما خولت مسرورُ
أقبلت في خلع السلطان زيّنها ... ذيلٌ على أنجم الجوزاء مجرور
كأنّما نسجتها في الرياض يداً ... غيثٌ فرونقها بالحسن مغمور
ورحت فوق جوادٍ كالعقاب جرى ... والجود في سرجه والمجد والخير

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه [من البسيط] :

وفي الظعائن مهضومُ الحشى غنجٌ ... يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثملِ(٢)
ظبيٌ مشى الورد من لحظي بوجنته ... مشيَ اللواحظ من عينيه في أجلي

(١) الفلق : الاشراق والنور .

(٢) الظعائن : النساء في الهودج ، وثمل : نشوان يتمايل غنجاً ودلالاً .

ومترف التــرب مجّــاج النــدى عطرٍ مفوَّف النور موسـوم الثـرى خضلِ[1]
قد شام جدولــه فيهــا مهنّدةً فاهتـزّ مثـل اهتــزاز الخــائف الوجل
إذا نسيم الصّبــا باحــت سرائره أصغـى إليهـنّ سمـع الغصـن بالميل
والـروض تسحـب فيه السحـب أرديةً مظاهــراتٍ عليهــا أظهــر الحلل
يا مؤنس الملك والأيام موحشةً ورابــط الجــأش والآجــال في وجل
ما لي وللأرض لم أوطـن بهــا وطناً كأنّنــي بكرُ معنــىً سار في المثل
لو أنصف الدهــر أو لانــت معاطفه أصبحـت عنـدك ذا خيلٍ وذا خول[2]
لله لـؤلـؤ ألفــاظٍ أساقطها لو كنَّ للغيد ما استأنســن بالعطل[3]
ومــن عيون معــانٍ لو كحلــت بها نجـل العيون لأغناهــا عن الكحل[4]
سحــرٌ من الفــكر لو دارت سلافته علـى الزمــان تمشّــى مشية الثمل[5]

أبو الفرج الببغاء [من البسيط] :

لمــت الزمــان علــى تأخير مطّلبي فقــال ما وجــه لومــي وهــو محظورُ
فقلـت لو شئـت ما فات الغنــى أملي فقــال أخطــأت بل لو شاء سابورُ
عذْ بالـوزير أبـي نصـر وســلْ شططاً أسـرفْ فإنّـك في الإسـراف معذور[6]
وقــد تقبّلــتُ هذا النّصــح من زمني والنّصــحُ حتــى من الأعــداء مشكورُ
ومــا لطــرف رجائــي عنــك منصرفٌ وهـل يفـارق جرم المشتــري النور[7]

---

(١) ومترف الترب : أي أنه يعيش حياةً راغدة في سعة وبحبوحة .
(٢) الخول : الخدم والعبيد .
(٣) العطل : يقال جيدٌ عطل : أي خالٍ من الحليّ .
(٤) النجل : الواسعة .
(٥) السلاقة : الخمرة .
(٦) عذ : أي احتمي ، والشطط : مجاوزة الحدّ .
(٧) الجرم : الكوكب ، والمشتري : أحد الكواكب .

ابن بابك من قصيدة [من الخفيف] :

شِمـت برقَ الـوزير فانهـلَّ حتّى | لم أجـد مهربـاً إلـى الإعدامِ
وكأنّـي وقـد تقاصـر باعي | خائضٌ في عبـاب أخضـرَ طامي
مسـتفيض النّـدى كريم السّجايا | عاجـل العفـو آجـل الانتقام
كذب الزاعمـون أنّ المعالي | في صدور المثقّفـات الدوامي
إنّمـا المجـد والنّـدى والمساعي | والـرّدى في أسنَّـةِ الأقلام[1]

ابن لؤلؤ من قصيدة [من المتقارب] :

خصـال العـلا كلُّهـا من خصالي | وصـوب الحيا قطـرةٌ من شمالي
خلقـتُ كمـا شاءتِ المكرماتُ | بعيدُ النـظيـر فقيد المثال
تنزّهنـي عـن دنـايا الأمو | ر نفسـي وتندبنـي للمعالي
فللبـأس طول يـدي والحسام | وللمجـد والحمـد جاهـي ومالي
وحـرفٍ تعـرّس فيهـا الرياح | إذا ما صغـت للونـي والكلال[2]
أجـرّتْ تـعـوّج مـثـل الـقـسـيّ | يُحملن ركباً كمثل النّبـالِ[3]
ومجنـوبـةٍ فـي حـواشـي المـطـيّ | ينفِّضن أعـرافها كـالسّعـالي
طـلـبـن الـوزيـر فـتـى أردشـيـر | صنو الندى وحليف المعالي
بعيد مدى الجـود لا يتّقي | مؤمّلـه بكريـه المطـال[4]
أغـرُّ يرى لك ما لا تراه | لديه ويعـطيك قبـل السؤال
ويهتـزُّ من طربٍ للسما | ح هزّ الصّبـا للرمـاح الطوال

---

(١) المثقفات : أي السيوف والرماح الصقيلة .
(٢) الحرف : النوق ، وتعرّس : تستريح ، والونى والكلال : التعب والارهاق .
(٣) أجرّت : تركت وشأنها .
(٤) المطال : من المطل وهو التسويف والمماطلة .

الخليع النامي من قصيدة [من الكامل] :

في أيٍّ منــزل صبــوةٍ لم أنزلِ ... وبــأيٍّ منطــق عاذلٍ لم أعذل[1]
ما حقٌّ هذا الربــع إذ فيه الهوى ... أن يستضــام بوقفةِ المستعجل
كِلْ إنْ حضرت إلى الدمــوع سؤاله ... فالدّمــع أفصــح من سؤال المنزل[2]
يا هذه إن لم يكُنْ لك نائلٌ ... فعــدىً وإن لم تجملــي فتجملي
جودي فإنْ لم تحسنــي فتعلّمــي الـ ... إحســان من هذا الــوزير المفضل
أعــدى الزمــان ندا أبــي نصــر فلو ... سمنــاه أن يهــب الصّبــا لم يبخل
أرضــى الديانــة والصيانــة حكمه ... بكفايتــي قلــمٍ وقــائم منصل[3]
يـا موئـل الراجي وهـل للحـائم الـــــــــــصّادي سوى قطر الحيا من موئل[4]
أسعــد بإقبــالٍ وعيدٍ قابلاً ... بك شخص سعــدٍ ليس بالمترحِّل
وتمــلَّ فضــلك فهــو أفخــر ملبسٍ ... وتبــوَّ عزَّك فهــو أمنــع معقل[5]
وآخبر متى ما شئت إخلاصــي تبنْ ... لك نيَّةُ المصفــي مــن المتجمّل
ما قلــت قطّ لمنعــمٍ هبْ لي وفي ... تحصيل رأيك قد رغبــت فهبــه لي
فالآن قد أوفى النجاح علـى المنى ... بسعادتــي في الأصــل لا بتوصلي
وعلمــتُ أنّــي مقبــلٌ وعلامــة الـ ... ـإقبــال أنّــي عذت منــك بمقبل

الحاتمي من أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

أولــى بعفــوٍ مَنْ قدرْ ... لا عفــو عن جانٍ أصرّ[6]

---

(١) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .
(٢) كِلْ : أي دع .
(٣) المنصل : السيف .
(٤) الصادي : الظمآن .
(٥) تبوّ : أي تبوأ وارتقي ، والمعقل : الحصن .
(٦) الجاني : الآثم المذنب .

لـم يجـن ذنبـاً من أقرّ الصّـبـر عنـوان الظفـر
أولـى بفـوزٍ من صَبَرْ المجـد في خوض الخطر
كفّي العيـان المختبـر أولـى بعـرفٍ مـن شكر
شـكـر الـريـاض للمطر إن يطـوِ معـروفٌ نشر
الحمـد خيـرُ مدّخـر إن ساءك الـزّمـان سـرّ
مـا كسـر الدهـر جبرْ من زجـر الهـوى انزجر
بـادر من العيش الغرر ما العيش إلا المبتدر[١]
لهفـي لعصـرٍ مدّكـر إذ غصـن عيشـي مهتصر[٢]
آصـالـه مثـل البكـر لم تفتـرع منـه العذر[٣]
مـرّ كلمـحٍ بالبصـر وأَرّجُ النّشـر عطـر
غصـنٌ ودعـصٌ وقمر تحـت ظلامٍ من شعر[٤]
ذي ريقـةٍ تشـكو الخصر شيبـت بمسـكٍ وسكر[٥]
محييةٌ ميت الوطـر وسابـحٍ سامـي النظـر
أسـرع من وشـك القدر وخاطـر الـوهـم خطر
وسائـلٍ مـن منحـدر وقبلـةٍ علـى حـذر

ومنها :

أوفـى علـى كل البشر سابـور مجـداً وأثـر
وإنّمـا العضـب الذكـر أعـاره مـا لم يعر[٦]

(١) الغرر : الفرص ، والمبتدر : المبادر الذي لا يؤجّل .
(٢) مهتصر : مقصّف ومعتصر .
(٣) تفترع : تفتض ، والعذر : من العذراء وهي البكر التي لم تمسّ .
(٤) الدعص : الكثيب من الرمل كناية عن الأرداف .
(٥) الخصر : البارد .
(٦) في الأصول: «إن ما العضب الذكر» ولا يتمّ الوزن، والعضب: السيف، والذكر: القاطع .

رأياً كمحتوم القدر فانصاع كالنّجم انكدر
يحمد إن ذمّ المطر تهفو الرواسي إن زفر
في كفّه نفعٌ وضرّ ولحظه خيرٌ وشرّ
والدهر طوعٌ ما أمر يجري بما ساء وسرّ
ذو خلقٍ سهلٍ يسر كمثل نوّار الزهر
وشبه أنواءِ المطر يحيي أفانين الثمر
من بالغٍ ومنتظر كالأمن من بعد الحذر
والخير في أعقاب شر وكالكرى غبّ السهر[1]
عمّرت ما شاء الوطر فأنت للملك وزر[2]
دونك عذراء الفقر تُتلى كما تتلى السُّور

الخالع من قصيدة [من البسيط] :

أفي غلائلها غصنٌ من البان يهتزُّ في نعمةٍ أم قدُّ إنسان
هيفاءُ مرهفة الأعطاف إن خطرتْ أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسّمت فظنّنا أنّ مبسِمها فيه من اللؤلؤ المجلوِّ سمطان[3]
وأومأتْ بيمينٍ لو دنت لفمي لأفسدت صالحاً من نسك إيماني
مقسِّم العيش في تحصيل مأثرةٍ سيارةٍ يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمةٍ وللدرائع منه يوم ديوان
طرز الطّلاقة في ديباج غرّته للبشر فيها إشاراتٌ بألوان
كأنّ ماء الحياء الغمر منسكباً فيها يفيض على نوّار بستان[4]

---

(١) الكرى : النعاس، وغبّ السهر : بعده .
(٢) الوطر : الحاجة والمأرب والبغية ، وزر : مساعد وحامٍ .
(٣) السمط : العقد .
(٤) الغمر : الكثير .

محمد بن بلبل من قصيدة [من الكامل] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً ... وارتدّ روض الحمد وحفاً ناعما[1]
سمّيت نفسي إذ رجوتك واثقاً ... ودعوتها لك مذ مدحتك خادما
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي ... عقدت عليّ من الخطوب تمائما[2]
لا زال جدُّك للعدو مزاحماً ... يعلو وآنف حاسديك رواغما[3]
واسعد بعيدٍ قد حبتك سعوده ... عزّاً يكون مع السعادة قادما

أحمد بن علي المنجم من قصيدة [من الخفيف] :

أيهذا الوزير محَّصت بالإحـ ... ـسان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشربِ الراح راحة القلب أخت الـ ... ـروح روح المكروب أنس الأماني
وابقَ ما شئت في نعيم تراهٍ ... لك أنموذجاً لعيش الجنان

السفياني من قصيدة [من الكامل] :

روض المنى بك عاد غضّاً مونقاً ... واهتزّ غصن المجد فيه وأورقا
وابيض وجه الدهر بعد سخومه ... وارتدّ بعد ظلامه فتألّقا[4]
فُتّ الأنام فما يجاريك امرؤٌ ... في حلبة الفخر المنيع المرتقى
ولو اغتدى ظهر المجرّة راكباً ... وغدا بأذيال السُّهى متعلّقا
أجرى فكان مسبّقاً وصفاً فكا ... ن مروّقاً وسطاً فكان محقّقا
وشأى فكان محدّقاً وهمي فكا ... ن مطبّقاً وعفاً فكان موفّقا[5]

---

(١) الوحف : الغزير من النبات والشعر .
(٢) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة يعلّقها الانسان تجنّباً لشرٍّ من الشرور ودفعاً له .
(٣) جدك : حظّك ونجمك .
(٤) السخوم : السواد .
(٥) شأى : تطلع بنظرٍ حاد .

أحمد بن المغلس من قصيدة [من الخفيف] :

أبــروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ ... وليالٍ دجـت لنـا أم شعورُ
وغصــونٌ تأوّدت أم قدودٌ ... حامـلاتٌ رمّانهــن الصدورُ[1]
طالعاتٌ من السجوف على الركــــب ... بـدورٌ أبـرزتهنّ الخــدور[2]
مثقــلاتٌ أردافُهُــنَّ ولكـن ... مرهفــاتٌ من فوقهــن الخصورُ
مـطمعـاتٌ في وصلهنّ ودون الـــــ ... ـوصـل إن رمتـه دمـاءٌ تمـور[3]
عــزَّ منهـنَّ مــا يــرام كمــا عــــــ ... ـزَّ جنابٌ يحتـلُّ فيـه الـوزيـر
نصر المجد حافظاً حـرمة المجـــــ ... ـد أبــو نصـر الـرضـا سـابـور
مفــردٌ في الـزمــان ليس يـدانيـــــ ... ـه من النــاس مشبـهٌ أو نــظيـر
إنْ يواجــه فطــود حلــمٍ ركينٌ ... أو يفـاوض فبحــر علــمٍ غزيرُ[4]
أو يجــد واهبــاً فغيثٌ مطيرٌ ... أو يصــل واثبــاً فليثٌ هصورُ

سعد بن محمد الأزدي من قصيدة [من الطويل] :

أأجفـو الهــوى في ربعِــهِ لا أخاطبه ... وأمضي ولـم تلعـب بدمعـي ملاعبه ؟

ومنها في وصف السحاب :

وأقمــرَ منشــور الجنــاح مرفرفٍ ... تحلّــى بعقيانِ البــروق ترائبه[5]
وخلف غمــام الخــدر بدرٌ مضمّخٌ ... بحســن بديعٍ والحلــيُّ كواكبُهْ
أرجــى أبــا نصــرٍ لعصــرٍ كأنّما ... من النــار عينــاه فمــن ذا يغاضبه

---

(١) تأوّدت : تمايلت .
(٢) السجف : الفرجة بين الستربن .
(٣) تمور : تجري .
(٤) الطود الركين : الجبل العالي الثابت الأركان ، والرزين .
(٥) الترائب : جمع تربية ، وهي موضع القلادة من النحر .

علـى عيلـةٍ لو حُمِّـل الدهـر ثقلها   لزلـت به رجـلاه وانقضّ غاربه[1]
إذا ما رآه النـاس قالـوا تعجُّباً   تبـارك مختـار الكمـال وواهبُهْ

الحسن بن محمد العضدي [من الكامل] :

يلقـاك إن لاقـاك دهـرك كالحاً   متبسّـمـاً كالعـارض المتبسِّـم[2]
وإذا سمـا نحـو العـلا لم يتخذْ   غير المواهـب والعـلا من سُلَّم
سيَّان عزمـك والحسـام المُنتضى   ونـدى يديك وصـوبُ نوء المرزم[3]
كم منّـةٍ لك لم يكدِّرْ صفوها   منٌّ وكم نعمـى شفعـتَ بأنعم ؟
أتـراك تحرمنـي لطيف عنايةٍ   وبـك الغـداة من الزّمـان تحرّمي
وأنـا ابـنُ أنعمـك القديمـة فليصِلْ   منـك السمـاح مؤخّـراً بمقدم

عون بن علي العنبري [من مخلع البسيط] :

لسـتُ علـى العتـب بالمنيب   ولا لـلّـوم بمستجيـب[4]
جـلّ غرامـي وزاد سقمي   وذبـت شوقـاً إلـى مذيبي
غير عجيبٍ نحـول جسمي   شوقـاً إلـى حسنـه العجيب
تلهُّـبُ الـوجنتين منـهُ   غادر قلبـي علـى لهيب
يا دهـر أغربـت في التعدّي   والجـور ظلمـاً علـى الغريب
شوبـك لي فرقـةً بشوقٍ   أطلـع من لمتـي مشيبي[5]
حسبـي أبـو نصـر المرجّى   عونـاً علـى الدّهـر والخطوب
إن ضاق دهـرٌ بنـا أوينا   منـه إلـى صدره الرحيب

(١) الغارب : الكاهل .
(٢) الكالح : المتجهِّم الوجه .
(٣) نوء المرزم : نوء الشتاء البارد .
(٤) المنيب : التائب والراجع .
(٥) شوبك : من الشوب ـ بفتح فسكون ـ مصدر بمعنى الخلط والمزج ، تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوباً .

الباب العاشر

١٣ ـ في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، من مضى منهم ومن غبر[1] على كثرة شعرائهم المفلقين ، كالجماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنىء بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه

---

(١) غبر : تقدّم في الزمان .

الأعمال إليه [من الكامل] :

انظرْ إلى الأيّام كيف تعودُ وإلى المعالي الغرّ كيف تزيدُ
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه فارتاح ظمآنٌ وأورق عودُ[1]
قد عاود الأيام ماء شبابها فالعيش غضٌ والليالي عيد
إقبال عزٍّ كالأسنّة مقبلٍ يمضي وجدٌ في العلاء جديدُ
وعلاً لأبلج من ذؤابة هاشمٍ يثني عليه السؤدد المعقود[2]
قد فات مطلوباً وأدرك طالباً ومقارعوه على الأمور قعود
ما السؤدد المطلوب إلاّ دون ما يرمي إليه السؤدد المولود
فإذا هما اتفقا تكسَّرت القنا إن غالباً وتضعضع الجلمود[3]

وله من قصيدة في أبيه ، ويذكر حجه بالناس [من الوافر] :

دعيني أطلب الدنيا فإنّي أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن أبقى لآجله حديثاً ومن عانى لعاجله اكتسابا
وما المغبونُ إلاّ من دهته فلا مجداً ولا جدةً أصابا[4]
ونصل السّيف تسلم شفرتاه وتخلق كلّ أيامٍ قرابا[5]
وأيامٌ تجوز عليك بيضٌ وقد فتحت من الإقبال بابا
وكم يومٍ كيومك قدت فيه على الغرر المقانب والركابا[6]
إلى البلد الأمين مقوّماتٌ تماطلها التعجُّل والإيابا[7]

---

(١) نبا : فارق وابتعد ولم يستقر على ما كان عليه .
(٢) الأبلج : المنير ، والذؤابة : ذروة النسب .
(٣) الجلمود : الصخر .
(٤) المغبون : الخاسر الذي انتقص حقه، والجدة : العطاء والغنى والترف .
(٥) القراب بالضمّ ، بزنة غراب ـ غمد السيف وجفنه .
(٦) المقانب : جمع مقنب بزنّة منبر : وهو الجيش .
(٧) الإياب : العودة .

بحيث تفــرّغ الــكوم المطايا حقــائبهــا وتحتقــب الثوابــا[1]
معالــم إنْ أجــال الطــرف فيها مســيءُ القــوم أقلــع أو أنابا[2]

وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [من الكامل] :

لله ثــمَّ لك المحــلُّ الأعظمُ وإليك ينتســب العــلاء الأقدمُ
ولك التــراث من النبــي محمدٍ والبيتُ والحجــر العــظيمُ وزمزمُ
تمضــي الملــوك وأنــت طودٌ ثابتٌ ينجــاب عنــك متــوّجٌ ومعمّمُ[3]
لله أيُّ مقــام ديــنٍ قمتَهُ والأمــر من دون القضية مبهم
فكأنّمــا كنــت النبــيَّ مناجزاً بالقــول أو بلسانــه تتكلم[4]
أيام طلّقهــا المــطيع وأوحشت مذ زال عن ذا الغــاب ذاك الضيغمُ
فمضــى وأعقــب بعــده مستيقظاً سجــلاه بؤســي في الرجــال وأنعم[5]
كالغيث يخلفــه الــربيع وبعضهم كالنــارِ يخلفــه الرَّمــاد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه ، وهو قوله [من الطويل] :

* فإنَّك ماء الورد إنْ ذهب الورد *

ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر[من الوافر] :

وبعضُهُــمُ يكــون أبــوه منه مكان النــار يخلفهــا الرّمـاد

---

(١) تحتقب : تكتسب وتحصل .
(٢) أقلع : صلُح وابتعد عن فعل السوء وأناب : تاب .
(٣) ينجاب : ينزاح وينكشف .
(٤) مناجزاً : مدافعاً وقاضياً وموفيّاً .
(٥) سجلاه : حكمه ورأيه .

ومنها في وصف النوق :

هـنٌ القسـيّ من النحـول فإنْ سما طلـبٌ فهـنٌ مـن النجـاء الأسهم

ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمـت قدراً أن يروقـك مغنمٌ أو أن يصـلّ علـى بنانـك درهمُ[1]
هي راحـةٌ ما تسـتفيق من النّدى أبـد الـزمـان وبـدرةٌ لا تختم[2]
ما كان يومـي دون مدحـك أنّني صبٌّ بغير جلال وجهـك مغرم
أنـت العـلا فلقصـدها مـا أقتـني مـن جـوهـرٍ ولمـدحها مـا أنـظم
ما حقٌّ مثلـي أنْ يضـاعَ وقوله باقـي العمـاد علـى الزمـان مخيِّمُ
وأنـا القـريب قرابـةً معلومةً والعـرق يضـرب والقرائـب تلحم
إنـي لأرجـو منـك أنْ سيكون لي يومٌ أغيظ به الأعـادي أيوم[3]
وأنـال عنـدك رتبـةً مصقولةً إنْ عاين الأعـداء رونقهـا عموا
إنّـي وإنْ ضرب الحجـاب بطوده أو حال دونـك يذبـل ويلملم[4]
لأراك في مرآة جودك مثـل ما يلقـى العيان الناظـرُ المتوسِّمُ
يا دهـر دونـك قد تماثـل مدنفٌ واقتصّ مهتضـمٌ وأورق معدم[5]
إنّـي عليك إذا امتـلأت حميّةً بنـدى أمير المـؤمنين محـرّم

---

(١) يصلّ : يرنّ ويسمع له صوت .

(٢) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم .

(٣) يوم أيوم : أي شديد كقولهم : ليلٌ أليل وليلة ليلاء وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئاً يصفونه به إلاّ أن يشتقوا الوصف منه .

(٤) يذبل : جبل ، ويلملم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة .

(٥) اقتص مهتضمٌ : أي نال حقّه بعد انتقاص.

ومذ ادّرعت فناءه وعطاءه أُرمى ويرميني الزّمان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من مجزوء الكامل] :

إنْ كان ذاك الطود خرّ فبعدما استعلى طويلا
موفٍ على القلل الذوا هب في العلا عرضاً وطولا[1]
قرمٌ يسدّد لحظه فيرى القروم لا مثولا
ويُرى عزيزاً حيث حلّ ولا يَرى إلّا ذليلا
كاللّيث إلّا أنَّهُ اتخذ العلا والعزّ غيلا[2]
وعلا على الأقران لا مثلاً يعدُّ ولا عديلا
من معشرٍ ركبوا العلا فأبوا عن الكرم النّزولا
كرموا فروعاً بعد ما طابوا وقد عجموا أصولا[3]
نسبٌ غدا روّاده يستنخبون له الفحولا
يا ناصر الدّين الذي رجع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ملئت مضاربه فلولا
يا كوكب الإحسان أعجلك الدُّجى عنا أفولا
يا مصعب العلياء قا دتك العدى نقضاً ذلولا
لهفي على ماضٍ قضى أنْ لا يُرى منه بديلا
وزوال ملكٍ لم يكنْ يوماً يقدّر أن يزولا
ومنازلٍ سطر الزما ن على مغانيها الحؤولا
من يزجرِ الدّهر الغشو م ويكشفِ الخطب الجليلا ؟

(١) موفٍ : مشرف ومرتفع .
(٢) الغيل : مسكن الأسود .
(٣) عجموا : جرّبوا واختبروا .

وتــراه يمنــع دوننــا وادي النــوائـب أن يسيلا
عقّـاد ألــويــة الـمــلو ك علـى العــدى جيلاً فجيلا
صــانعـت يــوم فراقــه قلبـاً قد اعتنــق الغليلا[1]
ظَعَــنَ الغنــى عنّـي وحوَّ ل رحلـه إلاّ قليـلا[2]
إن عــاد يــومــاً عــاد وجــــــه الــدهـر مـقتبـلاً جـمـيـلا
ولئــن غدا طوع المنو ن ميمِّمـاً تلـك السّبيلا
فلقـد يخلّــف مجــدَهُ عبئـاً علـى الـدّنيا ثقيلا
واستــذرت الأيام مــن نفحــاتـه ظــلاً ظليــلا[3]

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليماً ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتحنوا ، فأخذ هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبـادر إلـى نزول دجلـة ، وكان أول خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضاً آخر في نفسه ويشكو الزمان، ويذم عمل السلطان [من البسيط] :

لواعـج الشــوق تخطيهــم وتصميني واللوم في الحـبِّ ينهاهـم ويغريني[4]
سلا عن الوجــد إنّــي كلّ شارقةٍ تريشنــي الشّيب والأيام تبريني[5]
من لي ببلغــة عيشٍ غير فاضلةٍ تكفُّنــي عن أذى الــدنيا وتكفيني
أخــي من باع دنياه وزخرفها بصونــه كان عنــدي غير مغبون
قالــوا أتقنــع بالــدّون الخسيس وما قنعـتُ بالـدّون بل قنِّعــت بالدون[6]

(١) الغليل : الظمأ .
(٢) ظعن : رحل .
(٣) استذرت : استظلّت .
(٤) تصميني : تقتلني .
(٥) سلا : نسي ، وطابت نفسه بعد الفراق .
(٦) الدون : الوضع القليل .

إذا ظننّــا وقدّرنــا جرى قدرٌ   بنــازلٍ غير موهــومٍ ومظنون
أعجبْ بمسكة نفسي بعد ما رميتْ   من النوائب بالأبكار والعون[1]
ومــن نجاتــيَ يوم الــدار حين هوى   غيري ولــم أخــل من حزمٍ ينجّيني
مرقــت فيهــا مروق النجــم منكدراً   وقد تلاقــت مصــاريع الــرّدى دوني[2]
وكنــت أوّل طلاّعٍ ثنيتها   ومــن ورائــي شرٌّ غير مأمون[3]
من بعــد ما كان ربّ الملك مبتسماً   إلــيّ أدنيه في النجــوى ويدنيني
أمسيت أرحــم من قد كنــت أغبطه   لقــد تقــارب بين العــزّ والهون
ومنظــرٍ كان بالسّــراء يضحكني   يا قرب ما عاد بالضّــراء يبكيني
هيهــات أغتــرُّ بالسلطــان ثانيةً   قد ضلّ ولاّجُ أبــواب السلاطين

وقَال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من الكامل] :

شـرف الخلافــة يا بنــي العباسِ   اليوم جدَّدهُ أبــو العباسِ
وافــى لحفــظ فروعهــا وكنيِّه   كان المثير مواضــع الأغراس[4]
هذا الذي رفعت يداه بناءهــا الــــــعــالي وذاك مــوطِّــدُ الآســاس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله [من الطويل] :

كمــا بأبــي العبــاس أنشــىء ملككم   كذا بأبــي العبــاس منــكمْ يُجدد

رجع :

ذا الطــود بقّــاه الزمــان ذخيرةً   من ذلك الجبــل العــظيم الراسي
فالآن قرَّ العــزُّ في سكناته   ثلــجَ الضمائــر باردَ الأنفاس

(١) العون : يقصد النوائب الشديدة .
(٢) المروق : الخروج والنّفاذ من جانبٍ إلى آخر .
(٣) الثنية : منعطف الوادي .
(٤) كنيِّه : أي بيت الخلافة والكنّ ، وقاء كلّ شيء وستره .

وقفــت أخـــامص طالبيه ورفّهت ... أيدٍ نقضــن معاقــد الأحلاس[1]
واحتــلّ غاربــه ولــيّ خلافةٍ ... ما كان يلبسهــا علــى اللّباس
سبــق الرّجــال إلــى ذراهــا ناجياً ... من نابِ كلٍّ مجــاذبٍ نهّاس[2]
يقظـانٌ يجــرح في الخطــوب وينثني ... ولهــاه للكِلْــمِ الــرغيب أواسي[3]
ويرقُّ أحيانــاً وبين ضلوعه ... قلــبٌ علــى المــال المثمَّــر قاسي
تغــدو ظُبــى البيض الرقــاق بقلبه ... أحلـى وأعـذب من ظبــاء كناس[4]
فكأنَّ حمــل السيف يقطــر غِربه ... أنســى يمين يديه حمــل الكاس
أحســود ذي الغــرر الشــوادخ إنّها ... حرمٌ علــى الأعيار لا الأفراس[5]
لا تحســدن قومــاً إذا فاضلتهم ... فضلــوك في الأخــلاق والأجناس
مجـدٌ أميرُ المــؤمنين أعدته ... غضّــاً كنــوز المــورق الميّاس
وبعثــت في قلــب الخلافــة فرحةً ... دخلت علـى الخلفـاء في الأرماس[6]
أورِقْ أمين الله عودي إنّما ... أغــراث مثلك في العــلا أغراسي[7]
واملك علــى من كان قبلك سلوةً ... في فرط تقريبــي وفــي إيناسي

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها [من الكامل] :

لمــن الحــدوج تهزهــنَّ الأنيق ... والــركب يطفــو في الســراب ويغرق[8]

---

(١) الأخامص : أطراف الأقدام ، والأحلاس : أي العهود والمواثيق .
(٢) النّهاس : النهاش والذي يعضّ .
(٣) ولهاه : مواساته ، والكلم : الجرح ، والرغيب : الواسع .
(٤) الظُّبى : الحدّ من السيف وغيره ، والكناس: بيت الظبي .
(٥) الشوادخ : الظاهرة المنتشرة والأعيار : جمع عير كل قافلة من الجمال والبغال والحمير .
(٦) الرمس : القبر .
(٧) أغراث : تجويع .
(٨) الحدوج : جمع حدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب للنساء كالمحفة .

أنّي اهتديتُ ؟ فلا اهتديت ! وبيننا سورٌ عليّ من الظلام وخندقُ

ومطلّحون لهمْ بكلِّ ثنيَّةٍ ملقى وسادته الثّرى والمرفق

أبغاةَ هذا المجد ، إنَّ مرامه دحضٌ يزلُّ بطالبيه ويزلق[1]

لا تحرجوا هذي البحار فربَّما كان الذي يروي المعاطش يغرق

ودعوا مجاذبة الخلافة إنّها أرجٌ بغير ثيابهم لا يعبق

وأبوكم العباس ما استسقى به بعد القنوط قبائلٌ إلاَّ سقوا[2]

بعج الغمام بدعوةٍ مسموعةٍ فأجابه شرق البوارق مغرق[3]

لله يومٌ أطلعتك به العلا علَماً يزاول بالعيون ويرشق

لمّا سمتْ بك غرَّةٌ مرموقةٌ كالشمس تبهر بالضياء وترمق

وبرزتَ في بُردِ النبيّ وللهدى نورٌ على أسرار وجهك مشرق[4]

وعلى السّحاب الجون ليثٌ مُعَظّماً ذاك الرّداء وزرٌّ ذاك اليلمق[5]

وكأنَّ دارك جنَّةٌ حصباؤها الـ ـجادي أو أنماطها الإستبرق[6]

في موقفٍ تغضي العيون جلالةً فيه ويعثر بالكلام المنطق

والناس إمّا شاخصٌ متعجّبٌ ممّا يرى أو ناظرٌ متشوّق

مالوا إليك محبّةً فتجمعوا ورأوا عليك مهابةً فتفرّقوا

وطعنت في غرر الكلام بفيصلٍ لا يستقلُّ به السِّنان الأزرق

وأنا القريب إليك فيه ، ودونه لندى عدوِّك طود عزٍّ أعبق

عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا في دوحة العلياء لا نتفرّق

---

(١) الدحض : الباطل والزّلل .

(٢) القنوط : اليأس .

(٣) بعج : شقّه وجعل ماءه يسيل .

(٤) برد النبي : عباءته أو لباسه .

(٥) اليلمق : بزنة جعفر : قباء فارسي .

(٦) الجادي : الزعفران .

ما بيننـا يوم الفخـار تفاوتٌ أبـداً كلانـا في المعالـي معرق[١]
إلاّ الخلافـة ميّزتـك فإنّني أنـا عاطـلٌ منهـا وأنـت مطوّق[٢]

هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [من المنسرح] :

توقّعـي أن يقـال قدْ ظعنا ما أنـت لي منـزلاً ولا وطنا
يا دار قلّ الصّـديق فيكِ فما أحسُّ وداً ولا أرى سكنا
كيف يخـاف الزمـان منصلِتٌ مذ خاف غدر الزمـان ما أمِنا[٣]
لم يلبس الثـوب من توقّعه للأمـر إلاّ وظنّـه كفنا
لي مهجـةٌ لا أرى لهـا عوضاً غير بلـوغ العـلا ولا ثمنا
ما ضرّنـا أنّنـا بلا جدةٍ والبيت والـركن والمقـام لنا[٤]
سوف ترى أنّ نيل آخرنا من العـلا فوق نيل أوّلنا
وأنّ ما بُزّ من مقادمنا يخلفـه الله فـي أواخرنـا[٥]

وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيباً في رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنة .

فقال [من السريع] :

عجّلـتَ يا شيبُ علـى مفرقي وأيُّ عذرٍ لك أن تعجلا ؟
فكيف أقدمـت علـى عارضٍ ما استغـرق الشعـر ولا استكملا
كنـت أرى العشـرين لي جنّةً من طارقـات الشيب إنْ أقبلا[٦]
فالآن سيّـان ابـن أمّ الصّبا ومـن تسـدّى العمـر الأطولا[٧]

---

(١) معرق : أصيل .
(٢) عاطل منها : أي أنها ليست من نصيبي بل هي من نصيبك ، والجيد العطل : الخالي من الحليّ .
(٣) منصلت : مسرع وسابق .
(٤) الجدة : الغنى والمال .
(٥) بزّ : سلب وأخذ بالقوة .
(٦) الجنّة : الستر والدرع .
(٧) تسدّى : امتدّ به العمر .

يا زائــراً ما جاء حتــى مضى وعارضــاً ما جاد حتــى انجلى
ومــا رأى الــراؤون مـن قبلنا زرعــاً ذوى من قبــل أن يسبلا[1]
ليت بياضــاً جاءنــي آخــراً فدى بياضٍ كــان لي أولا
وليت صبحــاً ساءنــي ضوؤه زال وأبقــى ليلـه الأليلا
يا ذابــلاً صوَّح فينانه قد آن للذابــل أن يختلى[2]
خطّ برأســي يققــاً أبيضاً كأنّمــا خـطّ به منصلا[3]
هذا ولــم أعــدّ مجــال الصّبا فكيف من جاوز أو من علا
من خوفــه كنــت أهــاب السُّرى شحّــاً علــى وجهــي أن يبذلا[4]
فليتنــي كنــت تسربلتُــه في طلــب العــزِّ ونيــل العلا
قالــوا دعِ القاعــد يزري به من قطـع الليل وجــاب الفلا
قل لعذولــي اليوم عدْ صامتاً فقــد كفانــي الشيب أنْ أعذلا
طبــت به نفســاً ومــن لم يجد إلاّ الــردى أذعــنُ واستقتلا

وقال في الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجبه [من مجزوء الكامل] :

تأبــى الليالــي أن تديما بؤســاً بخلــقٍ أو نعيما
والمــرء بالإقبــال يبــلـغ وداعــاً خطــراً عظيمــا
وينــال بغيتـه ومـا أنضــى الــذميل ولا الرسيما[5]
فــإذا انقضــى إقباله رجــع الشــفيع له خصيما

---

(١) ذوى : ذبل ، وأسبل : بدت سنابله .
(٢) صوّح : يبس وتشقّق .
(٣) اليقق : يعني به الشيب .
(٤) السُّرى : المسير ليلاً .
(٥) الذميل : المسرع في لين والرسيم : أثر السير في الأرض .

وهو الزمان إذا نبا ... سلب الذي أعطى قديما
كالريح ترجع عاصفاً ... من بعد ما بدأت نسيما
ذاك الوزير وكان لي ... وزراً أحزّبه الخصوما[1]
فالآن أغدو للعدى ... ونبالها غرضاً رجيما[2]
سدّي العلا وأنار لا ... فضّ اللقاء ولا ملوما
حتى إذا لم يبق إلاّ ... أنْ يلام وأنْ يليما
طرح العناء على اللثا ... م مجانباً ومضى كريما
لم يعتلقه الحبس ممتهناً ... ولم يعزل ذميما
أفنى العدى وقضى المنى ... وبنى العلا ونجا سليما
وجهٌ كأن البدر شا ... طره الضياء أو النّجوما
لو قابل الليل البهيـ ... ـم لمزّق الليل البهيما
يجلو الهموم وربّ وجـ ... ـهٍ إن بدا جلب الهموما
كان العظيم ، وغير بد ... عٍ منه أنْ ركب العظيما
والحرّ من حذر الهوا ... نِ وحاول الأمر الجسيما
بعثوا سواك لها وكا ... ن مبلّداً عنها مليما[3]
والعاجز المأفون أقـ ... ـعد ما يكون إذا أقيما[4]
فسقى بلادك حيث كنـ ... ـت المزن منبعقاً هزيما[5]
فلقد سقى خدّيّ ذكـ ... ـرك دمع عينيَّ السّجوما

وقال [من الطويل] :

عذيري من العشرين يغمزن صعدتي ... ومن نوب الأيام يقرعن مروتي[6]

(١) وزراً : مساعداً ومؤازراً .
(٢) رجيماً : المرجوم بالحجارة ، والملعون .
(٣) المبلّد : العاجز الرأي والضعيف .
(٤) المأفون : الضعيف الرأي .
(٥) المنبعق : المفاجىء المندفع ، والهزيم : المندفع بقوّة .
(٦) المروة ـ بفتح فسكون ـ الحجر الأبيض البرّاق الذي يوري ناراً .

ألا لا أعـد العيش عيشـاً مع الأذى		لأن رفيق الـذل حيٌّ كميّتِ
تخوّفنـي بالمـوت والمـوت راحةٌ		لمـن سلّ عزمـي قلبـه مثـل همّتي
وكم بين ذي أنفٍ حمـيٍّ وحاملٍ		موارن قد عودن حمـل الأحشة[1]

وقال [من الطويل] :

أكابرنـا والسابقـون إلـى العلا		ألا تلك آسـادٌ ونحـن شبولها
وإنّ أسـوداً كنـت شبـلاً لبعضها		لمحقوقـةٌ أن لا يذلَّ قبيلهـا

وقال [من الطويل] :

حذفـت فضـول العيش حتـى رددتها		إلـى دون ما يرضـى به المتعفِّفُ
وأمّلـت أن أجـري خفيفـاً إلـى العلا		إذا شئتـمُ أن تلحقـوا فتخفّفوا
حلفـت بربِّ البـدن تدمـى نحورها		وبالنفـر الأطـوار لبّـوا وعرّفوا[2]
لأبتـذلنّ النفس حتّـى أصونها		وغيري في قيدٍ من الـذلّ يرسفُ
فقـد طالمـا ضيّعـت في العيش فرصةً		وهـل ينفـع الملهـوف ما يتلهف
وإنّ قوافـي الشعـر ما لم أكن لها		مسفسفـةً فيهـا عتيقٌ ومقرف[3]
أنـا الفـارس الوثّـاب في صهواتها		وكلّ مجيدٍ جاء بعـديَ مردف

وقال [من الطويل] :

بنـو هاشـمٍ عينٌ ، ونحـن سوادها		على رغم من يأبـى ، وأنتـم قذاتها[4]
وأعجـب ما يأتـي به الدهـر أنكمْ		طلبتـم علاً ما فيكُمُ أدواتها

---

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته .
(٢) البدن : النوق ، والأطوار : أصحاب العلم والمعرفة .
(٣) العتيق : الأصيل : والمقرف : قريب من الهجين إلاّ أن الأقراف يكون من قبل الذكر والهجنة تكون من قبل الأنثى .
(٤) قذاتها : القذى ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

وأمّلتمُ أن تدْركوها طوالعاً | دعوها سيسعى للمعالي سعاتها
غرست غروساً كنت أرجو لقاحها | وآمل يوماً أن تطيب جناتها
فإنْ أثمرتْ لي غير ما كنت آملاً | فلا ذنب لي إن حنظلتْ نخلاتها[1]

وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [من المنسرح] :

أيُّ دموعٍ عليك لم تصبِ | وأيّ قلبٍ عليك لم يجبِ[2]
ما لي وما للزمان يسلبني | في كلّ يومٍ غرائب السّلب
أما فتىً ناضر الصبا كأخي | عنديَ أو زائد المدى كأبي
وإنّني للشّقاء أحسبني | ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلاّ وأيقظني | من الرزايا بفيلقٍ لجب[3]
في كلّ دارٍ تغدو المنون، ومن | كلّ الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـ | ـفاقد طول العناء والتعب
أحمد ، كم لي عليك من كمدٍ | باقٍ ؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعةٍ تحطّم الضلوع إذا | ذكرت قرب اللقاء عن كثب
إنْ قطّع الموت حبلنا فلقد | عشنا وما حبلُنا بمنقضب[4]
كم مجلسٍ صبّحته ألسننا | نفضن فيه لطائم الأدب
من أثرٍ يونق الفتى حسنٍ | أو خبرٍ يبسط المنى عجب
أو عرضٍ أصبحت خواطرنا | تساقط الدرّ منه في الكتب
كالبارد العذب روّقته صبا الفجر أو الظَّلْم زين بالشنب[5]

---

(١) الحنظل : نبات ثمره شديد المرارة .
(٢) لم تصب : لم تنهمر ألماً ، والوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) اللجب : الكثير ذو الضجّة الشديدة .
(٤) منقضب : منقطع .
(٥) الظَّلْم : ماء الأسنان وبريقها ، والشّنب : البارد ، أو صفاء الأسنان وبياضها .

غـاض غديـر الـكـلام ما بقـي الـدّهـر وقـرّتْ شقـائـق الخطـب[١]

يا علـم المجـد لمْ هويتَ وقدْ كنـت أمين العمـاد والطنب ؟

يا مقـول الدهـر لم صمـتً وقد كنـت زمانـاً أمضـى من الشهب ؟

يا ناظـر الفضـل لمْ غضضـتَ وما كنـت قديمـاً تغضي علـى الريب ؟

كنـت قرينـي ولسـت لي لدةً كنـت نسيبـي ولسـت مـن نسبي[٢]

ممّـا يقـوّي العـزاء عنـك وإن شرّد قلبـي العزاء بالكربِ

أنّـك أحـرزتهـا وإن رغـم الـدهـر ثمـانيـن طلقـة الحقـب

فإنْ دموعـي جرين نهنهها علمـي أن قد ظفـرت بالأرب[٣]

فليت عشـرين بتُّ أحسبها باعـدن بين الـورود والقرب

إنّـي أظمـأ إلـى المشيب ، ومن ينـجُ قليلاً من الـرّدى يشب

إن سرّنـي طالـع البياض أقلْ يا ليت ليل الشّبـاب لم يغب

مـرّ علـى ذلـك التـراب مـن المـزن خفـوق الأعـلام والعـذب[٤]

فثـمّ بشـرٌ أصـفـى مـن الغـدق الـعـذب وجـودٌ أنـدى مـن السحـب

لا تحسبـنّ الخلـود بعـدك لي إنّ المنـايا أعـدى من الجرب

إنْ أنـجُ منهـا وقـد شربـت بها فإنَّ خيل المنون في طلبي

ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه . ولما رثى أبا منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث وثمانين رثى أبا إسحاق الصابي في سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه ، ثم لمـا حال الحـول وتوفـي الصاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة على نسق في ثلاث سنين ، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غررها في مراثي الصاحب .

(١) الشقاشق : الفصيح من الخطب .

(٢) اللدّة : وهو الذي ولد معك أو تربّى .

(٣) نهنها : منعها وكفها .

(٤) العذب : أعالي الرماح ، وطرق الفنن من الشجر .

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي ، وكان من الأعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها ، وتوفي بعيد الصاحب [من الكامل] :

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه … حتى دهانا فيك خطبٌ مضلّع[1]
قرحٌ على قرحٍ تقارب عهده … إنّ القروح على القروح لأوجع
وتلاحُقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ … أنّ الحمام بكلّ علقٍ مولع[2]

وقال من أخرى [من البسيط] :

يا مصعباً بخست أيدي المنون به … فقيد قودٍ ذليل الظّهر مطواع[3]
يسقي أسنّته حتى تفيض دماً … ويهدم العيس من شدٍّ وأيضاع[4]

وقال [من الكامل] :

هيهات أصبح سمعه وعبانه … في الترب قد حجبتهما أقذاؤه[5]
يمسي ولين مهاده حصباؤه … فيه ومؤنس ليله ظلماؤه
قد قلّبتْ أعيانه ، وتنكّرتْ … أعلامه ، وتكسّفت أضواؤه
مغفٍ وليس للذّةٍ إغفاؤه … مغضٍ وليس لفكرةٍ إغضاؤه
وجهٌ كلمع البرق غاض وميضه … قلبٌ كصدر العضب قلّ مضاؤه[6]
حكم البلى فيه فلو يلقى به … أعداءه لرثى له أعداؤه
إنّ الذي كان النعيم ظلاله … أمسى يطنّب بالعراء خباؤه[7]

(١) المضلّع : القوي ذو الثقل .
(٢) العلق : النفيس الغالي .
(٣) القود : يعني الخيل التي تقاد .
(٤) العيس : النوق ، والشدّ والايضاع : الحلّ والترحال .
(٥) العبان : الجسم الغليظ الخشن .
(٦) غاض وميضه : غاب واختفى بريقه ، والعضب السيف ، وفلّ مضاؤه: تقطّع حدّه القاطع .
(٧) يطنّب : أي يقيم خباءه والطنب الأعمدة .

قد خفّ عن ذاك الـرواق حضوره ... أبـداً ، وعــن ذاك الحمــى ضوضاؤه
كانــت سوابقــه طراز فنائه ... يجلـو جمـال روائهــن رواؤه
ورماحــه سفــراؤه ، وسيوفه ... خفـراؤه ، وجيـاده نـدماؤه
ما زال يعــدو والــركاب حذاءه ... بين الصــوارم والعجـاج رداؤه[1]
لا تعجبــنّ فمــا العجيب فناؤه ... بيد المنــون ، بل العجيب بقاؤه
من طاح في سبــل الـردى آباؤه ... فليسلـكنَّ طريقهــمْ أبنـاؤه

ومن قصيدة رثى بها والدته [من الكامل] :

أبــكيك لو نقــع الغليل بكائي ... وأقــول لو ذهــب المقــال بدائي[2]
وأعــوذ بالصبــر الجميل تعزّياً ... لو كان في الصبــر الجميل عزائي
طوراً تكاثرنــي الدمــوع ، وتارةً ... آوي إلــى أكرومتــي وحيائي[3]
كم عبــرةٍ موّهتهــا بأناملي ... وسترتهــا متجمّـلاً بردائـي
أبـدى التجلّــد للعــدو ، ولــو درى ... بتململــي لقـد آشتفـى أعدائي
فارقــت فيك تمسّــكي وتجمّلي ... ونسيت فيك تعــزّزي وإبائي
كم زفــرةٍ ضعفــتْ فصــارت أنّةً ... أتممتهــا بتنــفّس الصّعــداء
لهفــان أنــزو في حبائــل كربةٍ ... ملــكتْ علــيَّ جلادتــي وعنائي
قد كنــت أرجــو أن أكون لك الفدا ... ممــا ألــمّ فكنــت أنــت فدائي
وجــرى الزمــان علــى عوائــد كيده ... في قلــب آمالــي وعــكس رجائي
وتفــرّق البعــداء بعــد مودّةٍ ... صعــبٌ فكيف تفــرُّق القرباء
وتــداول الأيام يبلينــا ، كما ... يبلــى الرشــاء تطاوح الأرجاء[4]
كيف السلــوُّ وكلّ موقــع لحظةٍ ... أثــرٌ لفضــلك خالــدٌ بإزائي

(١) العجاج : الغبار .
(٢) نقع الغليل : رواه .
(٣) الأكرومة : الفعل الكريم .
(٤) الرشاء : الحبل .

وقال [من الكامل] :

قلْ لليالي قد ملكت فأسجحي ... ولغيرك الخلق الكريم الأسجح[1]
إنْ ساء فعلك في فراق أحبّتي ... فلسوء فعلك في عذاريَ أقبح
ضوءٌ تشعشع في سواد ذؤابتي ... لا أستضيء به ولا أستصبح

ومنها :

والذلُّ بين الأقربين مضاضةٌ ... والذلُّ ما بين الأباعد أروح[2]
وإذا رمتك من الرجال قوارصٌ ... فسهام ذي القربى أشدُّ وأجرح
لو لم يكن ليَ في القلوب مهابةٌ ... لم يطعنِ الأعداء فيَّ ويقدحوا

وقال [من المتقارب] :

أنا ابن الأناجب من هاشمٍ ... إذا لم تكن نُجُبٌ من نجبْ
تلاثُ برودهم بالرماح ... وتلوى عمائمهمْ بالشهبْ[3]
عتاق الوجوه ، وعتق الجيا ... د في الضمر تعرفه والقببْ[4]
يشفّ الوضاء خلال الشحو ... ب منها وخلف الدخان اللهبْ

وقال [من السريع] :

السراح والراحة ذلُّ الفتى ... والعزُّ في شرب ضريب اللقاح[5]
ما أطيب الأمر ولو أنّه ... على رزايا نعمٍ في المراح

(١) اسجحي : يسِّري وسهلي ، والخلق الأسجح : اللّين السهل .
(٢) المضاضة : الألم والمصيبة .
(٣) تلاث : تلطّخ وتصاب .
(٤) عتاق الوجوه : كرامها ، والقبب : ضمور البطن ودقّة الخصر .
(٥) الضريب : اللبن الذي يحلب بعضه فوق بعض .

وقال وأجاد [من الرجز] :

ستعلمون ما يكون منّي　　إن مدّ من ضبعي طول سنّي[1]
أأدع الدنيا ولم تدعني　　وسعت أيامي ولم تسعني

* أفضل عنها وتضيق عني *

وقال من أخرى [من الوافر] :

تجاذبني يد الأيّام نفسي　　ويوشك أن يكون لها الغلابُ
نهضت وقد قعدن بي الليالي　　فلا خيلٌ أعزّ ولا ركاب
وما ذنبي إذا اتفقت خطوبٌ　　مغاضبةٌ وأيامٌ غضاب
وبعض العدم مأثرةٌ وفخرٌ　　وبعض المال منقصةٌ وعاب[2]
بناني والعنان إذا نبتْ بي　　ربي أرضٍ ورجلي والركاب[3]
سواءٌ من أقلّ الترب منّا　　ومن وارى معالمه التراب

كأنه من قول ابن نباتة [من الوافر] :

* ومن لبس التراب كمن علاه *

رجع :

وإنّ مزايل العيش اختصاراً　　مساوٍ للذين بقوا فشابوا[4]
وأولنا العناء إذا طلعنا　　إلى الدنيا ، وآخرنا الذهاب
وإنّ مقام مثلي في الأعادي　　مقام البدر تنبحه الكلاب
رموني بالعيوب ملفقاتٍ　　وقد علموا بأنّي لا أعاب

---

(١) الضبع : ما بين الإبط ، إلى نصف العضد .
(٢) العدم : الفقر ، والعاب : من العيب .
(٣) نبت : جفت ولم توافق .
(٤) مزايل : مفارق .

وأنّـي لا تدنّسنـي المخازي وأنّـي لا تروّعني السّبـاب
ولمّـا لم يلاقـوا فيَّ عيباً كسونـي من عيوبهـم وعابوا

وقال [من الطويل] :

سأبـذل دون العـزّ أكرم مهجةٍ إذا قامت الحرب العوان على رجلِ[1]
ومـا ذاك أنّ النفس غير نفيسةٍ ولكن رأيت الجبـن ضربـاً من البخل
ومـا المكرهـون السمهـرية في الطلى بأشجـعَ ممّـن يكره المـال بالبذل

وقال في ذم بعض الناس [من البسيط] :

الله يعلـم ميلـي عن جنابكمُ ولـو تنـاهيت لي في البـرّ واللطفِ
فكيف بي وعلـى عينيك ترجمةٌ من الحقـود وعنـوانٌ من السّرفِ

أخذه من قول البحتري [من الوافر] :

وفـي عينيك ترجمـةٌ أراها تدلُّ علـى الضغائـن والحقود

رجع :

أطـوف منـك بوجـهٍ غير ملتفتٍ إلـى المناجـي وعـطفٍ غير منعطف
فمـا أغبُّـك من عذرٍ ولا شغلٍ ولا أزورك من وجـدٍ ولا شغف[2]
لا قدس الله نفسـاً منـك جامعةً كيد البغـال وحقـد الخلـد والسّرف
ولا سقـى الغيث داراً أنـت ساكنها إلاّ بأغبـر ناريٍّ الـذّرى قصف

وقال [من المنسرح] :

زللـت من موقفـي علـى طللٍ بالٍ فمـن عاذري من الطلل

---

(١) العوان : الشديدة .
(٢) الغبّ : الزيارة فترة بعد فترة .

لمّا تأملت قبح صورته رجعت أبكي دماً على أملي
وجهٌ كظهر المجنّ مسترق الـحسن وأنفٌ كغارب الجمل[1]

وقال في الخليفة القادر بالله [من الوافر] :

تخطينا الصفوف إلى رواقٍ تحجّبُ بالصوارم والرّماحِ
وحيّينا عظيماً من قريش كأنّ جبينه فلق الصّباح
عليه سيماءُ المجد يبدو وعنوان الشجاعة والسّماح[2]

وقال في أبي الحسن النصيح ، وقد لامه في تأخره عنه [من مجزوء الوافر] :

أكافينا النّصيح بقيـت فينا دائماً أبدا
تحثُّ إلى العلا قدماً وتبسط بالنوال يدا
لئن حرّقتني عذلاً لقد نوّهت بي صعدا
عليَّ طروق داركمُ وليس عليّ أن أردا[3]

أخذه من قول منصور :

عليَّ أن أزوركُمُ وليس عليَّ أن أصلا

وقال [من المتقارب] :

أبيعك بيع الأديم النغل وأطوي ودادك طيَّ السّجلْ[4]
وأنفض ثقلك عن عاتقي فقد طالما آذيتني يا جبلْ
قوارص لفظٍ كحزِّ المدى وشزرات لحظٍ كوقع الأسلْ[5]

---

(١) المجنّ : الدرع ، والغارب : السنام في الجمل لأنّه أعلاه.
(٢) سيمياء : آثار وعلامات .
(٣) أرِد : من الورد وهو الشراب ويعني الحصول على الصلة .
(٤) نغل الأديم : أي فسد في دبغه .
(٥) شذرات لحظ : أي نظرات مغضبة، والأسل : الرماح .

وإنَّ أذلَّ الأذلّين مَنْ يروم ببضع النساء الدول[1]

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا ليلةً كرُمَ الزما ن بها لو آن اللّيل باقي
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتّفاق
فاستروح المشتاق من زفرات همٍّ واشتياق
واقتصّ للحقب الموا ضي بل تسلف للبواقي
حتّى إذا نسمت ريا ح الصبح تؤذن بالفراق
برد السّوار لها فأحميت القلادة بالعناق

وله في وزير بذل مالاً كثيراً حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك [من مجزوء الرمل] :

اشترِ العزَّ بما بيع فما العزُّ بغال
بالقصار الصفر إن شئت وبالسّمر الطوال
ليس بالمغبون حظّاً مشترٍ عزّاً بمال
إنّما يدخر المال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

وقال [من السريع] :

يا عذبة المبسم بلِّي الجوى بنهلةٍ من ريقك البارد[2]
أرى غديراً شبماً ماؤه بادٍ فهل للماء من وارد[3]
من لي بذاك العسل الذائب الـ جاري خلال البرد الجامد

---

(١) بضع النساء : فروجهنّ .
(٢) الجوى : شدّة الوجد والاحتراق من العشق .
(٣) الشبم : البارد .

وقال [من الطويل] :

وسالمتُ لما طالت الحرب بيننا ... إذا لم تظفرْ في الحروب فسالم

وقال [من الطويل] :

لنا الدوحة العليا التي نزعتْ لها ... إلى المجد أغصان الجدود الأطايبِ
إذا كان في جوّ السماء عروقها ... فأين عواليها وأين الذوائبِ ؟

وله في غلام أعجمي [من الطويل] :

حبيبيَ ما أزرى بحبّك في الحشا ... ولا غضّ عندي منك أنّك أعجمُ
بنفسي من يستدرجِ اللّفظ عجمةً ... كما يمضغ الظبي الأراك ويبغم(1)

وقال [من البسيط] :

كم المقام على جيلٍ سواسيةٍ ... ترجو الندى من إناءٍ قطُّما رشحا
تشاغل الناس باستدفاع شرّهمُ ... عن أن تسومهمُ الإعطاء والمنحا

وقال [من الكامل] :

واهاً على عهد الشباب وطيبه ... والغضّ من ورق الشباب الناضرِ
واهاً له ما كان غير دجنّةٍ ... قلصت صبابتها كظل الطائر(2)
وأرى المنايا إن رأت بك شيبةً ... جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدي ذاك السواد فديته ... بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأسٍ واسوداد مطالبٍ ؟ ... صبراً على حكم الزمان الجائر !

وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعض الحساد إلى الترفع عن إنشادها ، فقال [من الطويل] :

---

(1) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه .
(2) دجنّة : الظلمة ، أو الغيم الكثير المظلم .

جناني شجاعٌ إن مدحت ، وإنّما لساني إن نسيم النّشيد جبانُ
وما ضرّ قوّالاً أطاع جنانه إذا خانه عند الملوك لسان
وربّ حَيِيٍّ في السّلام وقلبه وقاحٌ إذا لفّ الجياد طعان[1]
وربّ وقاح الوجه تحمل كفّه أنامل لم يعرق بهنّ عنان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ويروي فلانٌ مرّةً وفلان

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [من السريع] :

إن أنشب الخطب فلا روعةً أو عظم الأمر فصبرٌ جميل
فليهون المرء بأيامه أنّ مقام المرء فيها قليل
إنّا إلى الله وإنّا له وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثاني من يتيمة الدهر ، حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ القسم الثالث ، ويشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذي بيده الحول والطول أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

---

(١) الوقاح : الصلب والجريء .

القســم الثالــث

من يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر
وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان

بســم الله الرحمــن الرحيــم

أحمد الله على آلائه ، وأسأله شكر نعمائه ، وأصلي على محمد المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

وبعد ، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجـان وطبرستـان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .

الباب الأول

١٤ - في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة ،وجميع أدوات الرياسة ، وآلات الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها - بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء [من البسيط] :

دعوا الأقاصيص والأنباء ناحيةً ... فما على ظهرها غير ابن عبّاد
والي بيانٍ متى يطلقْ أعنّته ... يدعْ لسان إيادٍ رهن أقياد
وموردٍ كلماتٍ عطّلت زهراً ... على رياضٍ ودراً فوق أجياد
وتاركٍ أولاً عبد الحميد بها ... وابن العميد أخيراً في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق [من البسيط] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكلّة[1] في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيفٌ شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكي ، فلما قتل ما كان في المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاد إلى الحضرة ببخارى ، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعته شفاعة فضله ونبله . فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، فقال فيه [من الطويل] :

تظلّم ديوان الرسائل كلّه إلى الملك القرم الهمام وحقّ له

من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها ، واستعجم عليّ مكانها ، وكان إذ ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه ، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستظرف وتستملح ، فمنها قوله [من مجزوء الرجز] :

وقائل ماذا الذي من كلّةٍ تطلبه

---

(١) الكِلّة : الصوفة الحمراء في رأس الهودج وهي كنية تدل على شهرته .

قلــت له أطلــب أنْ يقلــب منــه لقبــه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس[1] علـى قدمـه [مـن مجزوء الكامل] :

يـا ذا الـذي ركـب المحفّـة جامعـاً فيهـا جهـازه
أتـرى الإلـه يعيشنـي حتـى يرينيهـا جنـازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [من الطويل] :

أقــول وقــد سرْنــا وراء محفّةٍ وفيهــا أبــو عبــد الإلــه كسيرا
شقــاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوءٍ قدّمتـك وزيرا
ترقيك من هذي المحفّـة حيّةٌ إلـى النعش محمـولاً تصـرُّ صريرا[2]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس . يتدرج إلى المعالي ويزداذ على الأيام فضلاً وبراعة ، حتى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسة الجبل ، وخدمه الكبـراء ، وانتجعـه الشعـراء ، وورد عليه أبـو الـطيب المتنبي عنـد صدوره من حضـرة كافـور الإخشيدي ، فمدحـه بتلك القصائـد المشهورة السائرة التي منها [من الكامل] :

من مبلــغ الأعــراب أنّــي بعدهمْ شاهــدت رسطــاليـس والإسكندرا
وسمعــت بطليمــوس دارس كتبه متملّــكاً متبــدّيًاً متحضّـرا
ولقيت كلَّ الفاضــلين كأنّما ردّ الإلـه نفوســهـم والأعصرا
نسقــوا لنــا نســق الحســاب مقدّماً وأتــى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

---

(١) النقرس : مرض يصيب الجلد ويترك فيه آثاراً وتقلصات .
(٢) ترقيك : تلدغك ، تصرُّ : تصوّت .

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته ، فمن عيون شعره فيه قوله من قصيدة [من الخفيف] :

من لقلبٍ يهيم في كلّ واد وقتيلٍ للحبِّ من غير واد
إنّما أذكر الغواني والمقصد سعدي مكثراً للسّواد
وإذا ما صدقت فهي مرامي ومنائي وروضتي ومرادي
وندى ابن العميد إنّي عميدٌ من هواها أليّة الأمجاد[1]
لو درى الدهر أنّه من بنيه لازدرى قدر سائر الأولاد
أو رأى الناس كيف يهتزّ للجود لما عدّوه في الأطواد[2]
أيّها الآملون حطّوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
فهو إنْ جاد ضَنَّ حاتم طيٍّ وهو إنْ قال قلَّ قسُّ إياد
وإذا ما ارتأى فأين زيادٌ من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحّي فيه لمن لا يواليه ويبقى بقيّة الأعياد
ومديحي إن لم يكن طال أبياتاً فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كلِّ ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح ! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن محمد المهلبي لابن المدبر[من الخفيف] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إني لابن بيت تهدى له الأشعار

---

(١) الآليّة : القَسمْ .
(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الثابت .

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [من الكامل] :

قدّم الرئيس مقدّماً في سبقه ... وكأنّما الدنيا جرت في طرقه
فجبالها من حلمه ، وبحارها ... من جوده ، ورياضها من خلقه
وكأنّما الأفلاك طوع يمينه ... كالعبد منقاداً لمالك رقّه
قد قاسمته نجومها : فنحوسها ... لعدوه ، وسعودها في أفقه
ما زلت مشتاقاً لنور جبينه ... شوق الرياض إلى السّحاب وودقه[1]
حتى بدا من فوق أجرد سابحٍ ... إن قال فتٌ الريح فاه بصدقه
يحكي السّحاب طلوعه فصهيله ... من رعده ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله ... وسجدت شكراً لا نهوض بحقّه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا : ربيعك قد قدمْ ... فلك البشارة بالنعم
قلت : الربيع أخو الشتا ... ء أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا : الذي بنواله ... يغني المقلّ عن العدم
قلت : الرئيس ابن العميـ ... ـد إذاً؟ فقالوا لي : نعم !

وقوله [من المنسرح] :

أما ترى اليوم كيف جادلنا ... بمستهلّ الشؤبوب منسجمه[2]
يحكى أبا الفضل في تفضّله ... هيهات أن يعتزى إلى شيمه[3]
كم حاسدٍ لي وكنت أحسده ... يقول من غيظه ومن ألمه :
نال ابن عبّاد المنى كملاً ... إذ عدّه ابن العميد من خدمه

---

(١) الودق : المطر المنهمر بهدوء .
(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أو شدتها .
(٣) الشيم : الصفات الحميدة ، والسجايا .

وقوله في توديعه [من المتقارب] :

أودّع حضرتـك العاليـة ونفسـي لا دمعتـي هاميـه
ومـن ذا يودّع هذا الجناب فتهنـؤه بعـده العافيـه
جنـابٌ رعيت به جنّةً قطـوف مكارمهـا دانيـه[1]
رأيت به فائضـات العلا وعلّمـت ما للهمـم العاليه
كأنّـي بغـداد في شوقها إليـك وأدمعهـا الجاريـه
وأنـت المرجّـى لإظفارهـا بـآمـالهـا وبـآماليـه
ولـو كنـت تأذن لي في المسير إذاً سرت في جملـة الحاشيه
سبقـت جوادك مدّ الطريق وسـرت وفـي يدي الغاشيه[2]

ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [من الوافر] :

بأسعـد طالـعٍ عيّدت يا من بطلعتـه سعـادة كلّ عيد
فعشْ ما شئـت كيف تشـاء والبسْ جديد العمـر في زمـنٍ جديد
فقـد شهـدت عقـول الخلـق طرّاً وحسبـك بالبصائـر من شهود
بأنّ محاسـن الـدنيا جميعاً بأفنية الـرئيس ابـن العميد

ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة [من المتقارب] :

إذا اعتمدتنـي خطـوب الزّمان وكان اعتمـادي علـى ابـن العميد
تذكرت قربـيَ من قلبه فيمّمتـه مـن مكانٍ بعيد
تجـاوز في الجـود حدّ المزيد وجـلّ نداه عـن المستَزيد
وفـات الأنـام ، وفـاق الكرام برأيٍ سديدٍ ، وبـأسٍ شديد

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي [بـن] مسكويه له عنـد

(١) دانيه : أي مذلّلة سهلة الجناء .

(٢) الغاشية : سورة من القرآن الكريم ، والغاشية الغطاء ، وغلاف القلب .

انتقاله إلى قصر جديد بناه [من البسيط] :

لا يعجبنّك حسن القصر تنزله   فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائةً   ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

وأنشده ابن أبي الشباب[1] في يوم مهرجان قصيدة في مدحه أولها [من الطويل] :

آقبرٌ لنا طلّت ثراك يد الطلِّ   وحيّا الحيا المسكوب ذلك من ثلِّ[2]

فتطير من الافتتاح بذكر القبر ، وتنغّص باليوم والشعر ، وفي هذه القصيدة :

نعيمٌ فقدناه فما نرتجي له   معاودةً إلاّ بفضل أبي الفضل

ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ ـ وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في قول الشعر ـ عليه يوماً ، وقد هاج به النقرس فأنشده [من الهزج] :

شكى النقرس نقريسٌ   أخو علمٍ ونطّيس
فما دام لكم قوسٌ   فنفسي لكُمُ جوس[3]

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس .

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من الادلاء ، والنطيس : الفطن بالأمور العالم بها ، وأنشد [من الرجز] :

وقد أكون مرّةً نطيساً   طبّاً بأدواء النسا نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ، وفي القرآن (فجاسوا خلال الديار) .

---

(١) في نسخة « ب » « ابن أبي الثياب » .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « أقبورنا طلّت ثراك يد الطلّ » وهو غير مستقيم الوزن ، والثل : الغيم المتصبِّب .

(٣) الجوس : الجوع أو شدّة النظر وتتابعه .

ومن أمثل شعر أبي بشر قوله [من المتقارب] :

وأنِّـيَ لا أكره من شيمتي زيارة حيٍّ بلا منفعه
ولا أحمـد القـول من قائلٍ إذا لم يكن منـه فعـلٌ معه
ومـن ضاق ذرعـاً بإكرامنا فلسنـا نضيق بأنْ نقطعه

وكان كل من أبي العلاء السروي ، وأبي الحسن العلوي العباسي ، وابن خلاد القاضي ، وابن سمكة القمي ، وأبي الحسين بن فارس ، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويداخله وينادمه حاضراً ، ويكاتبه ويجاويه ويهاديه نثراً ونظماً ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء ، لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه .

* * *

فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي - جعلني الله فداك - وأنا في كدٍّ وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم . ومرتهن بتضاعف حرور[1] لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضاً[2] أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضبّ ويصـرف وجه الحربـاء عن التحنّـق ، ويزويه عن التبصـر ، يقبض يده عن إمسـاك ساق وإرسال ساق [من البسيط] :

ويترك الجـاب في شغـلٍ عن الحقب ويقدح النـار بين الجلـد والعصب[3]

(١) الحرور : شدّة اللهب .
(٢) الغريض : الطازج .
(٣) الجاب : حمار الوحش .

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [من الطويل] :

سجــوداً لدى الأرطــى كأنّ رؤوسها علاهــا صداعٌ أو فواقٌ يصورها[1]

وكما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليومٍ أتــت دون الظــلال شموسه تظلُّ المهــا صوراً جماجمهــا تغلي

وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجــرةٍ ظلّــت كأنّ ظباءها إذا ما اتّقتهــا بالقــرون سجودُ
تلــوذ بشؤبــوبٍ من الشــمس فوقها كمــا لاذ من وخــز السّنــان طريد

وممنوٍّ بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلا ولا قلة ، وكسحو الطائر من ماء الثماد دقة[2] ، وكتصفيقة الطائر المستحرّخفة [من الطويل] :

كمــا أبرقــت قومــاً عطاشــاً غمامةٌ فلمــا رجوهــا أقشعــتْ وتجلَّت
وكنقــر العصــافير وهــي خائفةٌ من النــواطير يانــع الرطب[3]

وأحمد الله على كل حال ، وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرتـه ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرّهـا لعينـي ،

---

(١) الأرطى : شجرٌ له ثمرٌ كالعناب ، والفواق : الميل والإنكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس السهم ، ويصورها : يلويها .
(٢) الثماد : الماء القليل .
(٣) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنّما اجتلبها للتشبيه .

ويسمعني النعرة[1] في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور[2] ، ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها . ويحط من الأجسام نوءها[3] ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيّرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم . ويرمي به مسترق السمع . ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبداً قال آمينا)[4] وأستغفر الله جل وجهه ،مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيقي لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام ؟

* * *

---

(١) النُّعرة : الأمر الذي يهمُّ به .

(٢) الكور : موضع الزنابير ، وهي من الذباب الأليم اللسع .

(٣) النوء : الاضطراب والشدّة .

(٤) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليلى وصدره « يا ربّ لا تسلبني حبّها أبدا » .

فصل من أولها

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأسٍ منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنّك تدل بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة[1] ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلاً لصدمك . وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك[2] ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء[4] . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك . بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت . فلا عجب ان تنتبه انتباهةً تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاولة ما أمكن[5] ، طمعاً في إنابتك[7] ، وتحكمياً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك

---

(١) الغلول : الحقد والغش .

(٢) الاصطلام : الاقتطاع من الأصل .

(٣) يعزب : يبعد ويغيب .

(٤) الغمرة : الشدّة .

(٥) الاستيناء : التمهّل .

(٦) الإنابة : العودة والتوبة .

واستدراجاً لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك ، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير .

* * *

فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلٍّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى[1] وماء روي ، ومهاد وطي ، وكنٍّ كنين[2] ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف[3] ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة[4] ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عددت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي أظلّك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلٌّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ،

---

(١) العذى : الهواء الخالص .
(٢) الكنّ : الحصن والستر .
(٣) المتالف : الأذى والضّرر .
(٤) المتربة : الفقر .

فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود[1] ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها ـ تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي ، فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا ـ وكان آدب أمثاله ـ أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردى إلى طاعة صاحبه .

أقرأني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ـ وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس . الفضل بن علي ـ فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبّهني على شرفه في جنسه ، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتقاض مررها . والأحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم اختراماً . وينتهكها انتهاكاً ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة

(١) العنود : الميل عن القصد .

في تملّك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهي نور ، نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشرد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الوامق[1] وتتشوف[2] نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع :

فإنْ تغش قوماً بعده أو تزورهمْ فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

* * *

وهذه فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقادني منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندي .

فمنها : من أسرَّ داءه، وستر ظمأه بعد عليه أن يبلَّ من غلله ويبلّ من علله[3] * متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى[4] ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى * خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشّم كلفة وتصعّب[5] * المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلاّ من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا

---

(١) الوامق : المحب والعاشق .
(٢) تتشوّف : تتزيّن وتتطلّع .
(٣) يبلّ : يرتوي ، ويبلّ من علله : يشفى .
(٤) الإعتوار : التداول .
(٥) تجشّم : كابد وعانى .

فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

ما أخرج من المكاتبات بالشعر التي دارت بينه وبين ابن جلاد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة، وكتب إليه في وصفها ، وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها [من البسيط] :

قلْ لابن خلاّد المفضى إلى أمد في الفضل برّز فيه أيُّ تبريزِ
يعدى اهتزازك للعلياء كلَّ فتىً مؤخّرٍ عن مدى الغايات محجوز
ماذا أردت إلى منهوض نائبةٍ مدفّعٍ عن حمى اللذات ملهوز(١)
هزت بالوصف في أحشائه قرماً ما زال يهتزّ فيها غير مهزوز(٢)
لم يترك فيه فحوى ما وصفت له من الأطايب عضواً غير محفوز(٣)
أهديت نبرمةً أهدت لآكلها كرب المطامير في آبٍ وتموز(٤)

(نبرمة) هكذا في النسخة ، ولست أعرفها ، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في جنسٍ من السمن في دوشاب شهريز(٥)
هَل غير شتّى حبوبٍ قد تعاورها جيش المهاريس أو نخز المناخيز
رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها تحذى اللسان بطعمٍ جدٍّ ممزوز

(١) الملهوز : المدفوع الممنوع .
(٢) القرم : الطعام .
(٣) المحفوز : المطعون .
(٤) المطامير : جمع مطمورة وهي الحفرة في جوف الأرض .
(٥) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

لو ساعدتــك بنــو حواء قاطبةً ... عليه ما كان فيهــم غير ملموز[١]
أوقعــت للشعــر في أوصافهــا شغلاً ... بين القصائــد تروى والأراجيز
لا أحمـد المـرء أقصـى ما يجــود به ... إذا عصرنــاه أصنــاف الشواريز[٢]
ما متعــة العين من خدٍّ توردِه ... يزهــى عليك بخــالٍ فيه مركوز
مستغــرب الحســن في توشيع وجنته ... بدائــعٌ بين تســهيمٍ وتطريز[٣]
يوفى على القمـر الموفـى إذا اتصلت ... يســراه بالــكأس أو يمنــاه بالكوز
أشهــى إليك من الشيراز قد وضحت ... في صحــن وجنتهــا خيلان شونيز[٤]
وقـد جرى الــزيت في مثنــى أسرتها ... فضارعــت فضّــةً تغلــى بأبريز
ماذا السمــاح بتقــريظٍ وتزكيةٍ ... وقــد بخلــت بمذخــورٍ ومكنوز

ومنها :

لا غرو إن لم ترح للجــود راحته ... فالبخل مستحسنٌ في شيمة الخوزى[٥]

هكذا في النسخة ، وأظن أنه *لم ترح للجود رائحة* .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من البسيط] :

يا أيّهــا السيِّد السامــي بدوحته ... تاج الأكاســر من كســرى وفيروز
أتــى قريضــك يزهــى في محاسنه ... زهــو الربــى باشــرت أنفــاس نيروز
يا حسنــه لو كفينــا حين يبهجنا ... خطــب النبــارم فيه والشواريز
أقررت بالعجـز والألبـاب قد حكمتْ ... به علــيٌّ فقــدك اليوم تعجيزي

(١) الملموز : المعيب المطعون فيه .
(٢) الشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه .
(٣) التوشيع : التزيين ، والتسهيم : التخطيطوهما أيضاً ضربان من ضروب البديع .
(٤) خيلان شونيز : الخيلان جمع خال وهو علامة في الوجه ، وشونيز : إسم بلد .
(٥) الخوزي : نسبة إلى خوزستان .

جوِّز قريضي في بحر القريض فكمْ من قائلٍ عدّ قوالاً بتجويز
إن عدت في حلبةٍ تجري بها طمعاً إنّي لأشجع من عمرو بن جرموز
إنّا لمن معشرٍ حطّوا رحالهم لما استبيروا على أسطمة الخوز[1]
لا نعرف الكسم والطرذين يوم قرى ولا الغبوق على لحمٍ وخاميز[2]

وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة . وابن العميد ناقه من علة كانت به ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [من المتقارب] :

فهمت كتابك في الأطعمة وما كان نولي أن أفهمه
فكم هاج من قرمٍ ساكنٍ وأوضح من شهوةٍ مبهمه[3]
وأرّث في كبدي غلّةً من الجوع نيرانها مضرمه
فكيف عمدت به ناقهاً جوانحه للطوى مسلمه[4]
خفوق الحشى إن تصخ تستمع من الجوع في صدره همهمه
تتيح له شرهاً موجعاً وتغري به نهمةً مؤلمه
فأين الإخاء وما يقتضيه منك بأسبابنا المبرمه
وأين تكرّمك المستفيض فينا إذا غاضت المكرمه
وهلا أضفت إلى ما وصفت شيئاً نهشّ لأن نطعمه
يمدُّ الصديق إليه يداً إذا ما رآه ويشجى فمه
وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلت الأطعمة
وأين كواميخك المجتباة دون الأطايب بالتكرمه

(١) استبيروا : أهلكوا ، والأسطمة : أوساط القوم وأشرافهم ، والخوز : إسم يطلق على بلاد خوزستان .
(٢) الكسم والطرذين : من الأطعمة ، والخاميز : مرق السكباج المبرَّد المصفّى من الدّهن .
(٣) القَرَم : الطعام والشوق إليه .
(٤) الناقه : من يفهم الحديث ونحوه ، والطوى : الجوع .

وهـل أنـت راضٍ بقولـي إذا ... ذكرت : دعـوه فمـا ألأمه !
إذا المـرء أكرم شيرازه ... فلا أكرم الله من أكرمه
وكيف ارتقابـي بقيًا امرىءٍ ... إذا ليم أعتـب بالنبرمه[1]
فـإن كان يجذبـك نعـت الطعام ... إذا الجـوع ناب أذاه فمه[2]
إذا جعـت فاعمـد لمسموطةٍ ... بجوذابـة المـوز مستفرمـه
متـى قستهـا بالمنـى جاءتا ... سواءً كمـا جاءت الأبلمه[3]
وبـزّ السـرابيل عن أفرخٍ ... تخـال بهـا فلـذ الأسنمه
تهـبّ النفـوس إلـى نيئها ... كأنّ النفـوس بهـا مغرمه
فـلا الفـم إن ذاقـه مجّه ... ولا الطبـع إن زاره استوخمه
ودونـك وسطـاً أجـاد الصنا ... ع تلفيق شطـريه بالهندمه
وعالـي علـى دفّـه هيدبا ... كثيفـاً كمـا تحمـل المقرمه[4]
سدىً من نتـائف نيرت بهنّ ... فأضحـت نسـائجهـا ملحمـه[5]
فمـن صدر فائقـةٍ قد ثوت ... ومـن عجـز ناهضـةٍ ملقمه
ودنّـر بالجـوز أجـوازه ... ودرهـم باللـوز ما درهمه
وقـاني بـزيتـونها والـجبـن ... صفـائـح من بيضـةٍ مـدعمـه
فمـن أسطـرٍ فيه مشكولةٍ ... ومـن أسطـرٍ كتبـت معجمـه
وفـوّف بالبقـل أعطافه ... فوافـى كحـاشيـة معلمـه[6]
موشّـى تخـال بـه مطرفاً ... بديع التفـاويـف والنّمنمـه
إذا ضاحكتـك تباشيـره ... أضـاءتْ له المعـدة المظلمه

(١) ليم : من اللوم .
(٢) يجذبك : يحلو لك ، مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى « كفّ » .
(٣) الأبلمة : يقال : المال بيننا شقّ الأبلمة ، أي نصفين .
(٤) الهيدبا : الشعر الكثير ، والمقرمه : محبِس الفراش .
(٥) السّدى من الثوب : ما مدّ من ، ونيرت : أي جعل خيوطه طولاً ، لها نير ، وهو جمع الخيوط الى القصب .
(٦) فوّف : طرّز وزيّن ، ومعلمه : مزيّنه ومخططه .

وهــاك خبيصــاً إذا ما اقترحت ... علــى العبــد إنعامــه أنعمه
إذا سار في ثغــرة سدها ... أو انســاب في خللٍ لأمه
فــإن شئــت فادخــل به مفرداً ... وإن شئــت فادع إليه لمه[1]
وإيّاك تهــدم ما قد بنا ... ه هدمــاً وتنقض ما أبرمه
فــإن لم تجـد ذاك يجــدي عليك ... إذا ما سغبــت فقــل لي لمه
تعــد من الجــود وصف الطعام ... ولســت تقــول بـأن تطعمه
وتحظــر ما قد أحــل الإلّه ... ضراراً وتــطلق ما حرّمه[2]
فهـل نزلـتْ في الــذي قد شرعتَ ... علــى أحــدٍ آيةٌ محكمه
وهــل سنَّــةٌ فيـه مأثورةٌ ... رواهــا لأشياخــكم علقمه
وقلــت تواصــوا بصبــرٍ جميلٍ ... فأين ذهبــت عن المرحمه
ومــن عجــبٍ حاكمٌ ظالمٌ ... يرجــى ليحــكم في مظلمه

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من المتقارب] :

هــلــمّ الصــحيفـة والمقلمـه ... وأدن المحيبـرة المفعمـه
لأكتــب ما جاش في خاطري ... فقــد عظــم الخــوض في النبرمه
وعجّــل علــيَّ بهــذي وذي ... فإنّــي من الخــوض في ملحمه
ألا حبــذا ثــم يا حبذا ... كتابــي المصــنف في الأطعمه
كفانــا بـه الله ما راعنا ... بعلّـة سيدنـا المؤلمـه
أطــاب الحــديث له في الطعام ... ففتّــق شهــوتــه المبهمـه
وعــاد بأوصـافـه للغــذاء ... وطــاب لنــا شكر من سلّمه
ومــنْ يشــكرِ الله يعــطَ المزيد ... كمــا قال الأعمش عن خيثمه
أيا ذا النــدى والحجــى والعلا ... ومــن أوجــب الــدين أن نعظمه

---

(١) اللمه : الجماعة من الناس والأصحاب .
(٢) ضراراً : تضييقاً .

لئن كان نبرمتي أفسدت ولم تأت صنعتها محكمه
فسوف يزورك شيرازنا فنقسم بالله أن تكرمه
يميس بشونيزه كالعرو س يخطر في الحلة المسهمه
ويبطل وسط مسموطةٍ وجوذابةٍ عندها محكمه[1]
ويزهى الخوان بتقديمه عليه ويحمد من قدّمه[2]
ويرمز إخواننا دونه كأنّ تحاورهم زمزمه[3]

* * *

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات ، وهي من مشهور شعره وجيده [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظلّ يعركني عرك الأديم ومن يعدى على الزمن
وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته دهراً فغادرني فرداً بلا سكن
هبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطار بها نحو السرور وألجاني إلى الحزن
نأى بجانبه عنّي وصيّرني من الأسى ودواعي الشوق في قرن[5]
وباع صفو ودادٍ كنت أقصره عليه مجتهداً في السّر والعلن
وكان غالى به حيناً فأرخصه يا من رأى صفو ودٍّ بيع بالغبن
كأنّه كان مطوياً على إحنٍ ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني[6]

---

(١) الجوذاب : طعام يتخذ من سكّرٍ وأرز ولحم .
(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٣) الزمزمه : الدويّ ، والصوت الذي يسمع من بعيد .
(٤) في قرن : في شركٍ وقيد .
(٥) الإحن : الحقد .

« إن الـكرام إذا ما أسهلـوا ذكروا   من كان يألفهم في المنـزل الخشن »

وكتـب إلـى بعض إخوانـه هذه القصيدة ، ليعرضهـا علـى أبـي الحسـن العباسي ، وهي سائرة في الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [من الكامل] :

قد ذبـت غير حشاشـةٍ وذماءِ   ما بين حرٍّ هوىً وحـرٍّ هواءِ[1]
لا أسـتفيق من الغـرام ولا أرى   خلـواً من الأشجـان والبرحاءِ
وصـروف أيامٍ أقمـن قيامتي   بنـوى الخليط وفرقـة القرناء
ومثيرِ هيجٍ لا يشـقُّ غباره   فيمـا خبـاه مهيِّجُ الهيجاء
وجفـاءِ خلٍّ كنـت أحسـب أنّه   عونـي علـى السّـراء والضّراء
ثبـتِ العزيمـة في العقـوق ووده   متنقّـلٍ كتنقّـل الأفياء
ذي ملّـةٍ يأتيك أثبـت عهده   كالخـطِّ يرقـم في بسيط الماء
أبـكي ويضحـكه الفـراق ولن ترى   عجبـاً كحاضـر ضحـكه وبكائي
نفسـي فداؤك يا محمـد من فتىً   نشـوان من أكرومـةٍ وحياء
كأسٌ من الشِّيمِ التـي في ضمنها   درك العـلا عارٍ من العوراء[2]
عذب الخلائـق قد أحطـت بخبره   وبلوتـه فـي شدّةٍ ورخاء
وبلـوت حاليه معـاً فوجدته   في العـود أكرم منـه في الإبداء
أبلـغ رسالتـي الشـريف وقـلْ له   (قـدك اتئـب أربيت في الغلواء)[3]
أنـت الـذي شتَّـت شمـل مسرتي   وقدحـت نار الشـوق في أحشائي
وجمعـت بيـن مساءتـي ومسرتي   وقرنـت بيـن مبرّتـي وجفائي
ونبـذت حقّـي عشرتـي ومودتي   وهرقـت مائي خلّتـي وإخائي

(١) ألذماء : بقية الروح .

(٢) درك العلا : نيلها .

(٣) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبي تمام وتمامه : « كم تعذلون وأنتم سجرائي » .

وثنيت آمالي على أدراجها   ورددت خائبةً وفود رجائي
فرجعت عنك بما يؤوب بمثله   راجي السّراب بقفرةٍ بيداء
وعرضت ودّي بالحقير ولم أكنْ   ممَّن يباعُ وداده بلقاء
ورضيت بالثمن اليسير معوضةً   منّي ، فهلاّ بعتني بغلاء
وزعمت أنّك لست تفكر بعدما   علِقتْ يداك بذمّة الأمراء
هيهاتَ لم تصدقك فكرتك التي   قد أوهمتك غنىً عن الوزراء
لم تغن عن أحدٍ سماءٌ لم تجدْ   أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء
وسألتك العتبى فلم ترني لها   أهلاً ، وجئت بغدرةِ الشوهاء
وَرَدَتْ مموّهة ولم يرفع لها   طرفٌ ولم ترزقْ من الإصغاء
وأعار منطقها التذمّم سكتةً   فتراجعت تمشي على استحياء
لم تشفَ من كمدٍ ، ولم تبردْ على   كبدٍ ، ولم تمنحْ جوانب داء[2]
من يُشفَ من داءٍ بآخر مثله   أثْرَتْ جوانحه من الأدواء
داوت جوىً بجوى ، وليس بحازمٍ   من يستكفّ النار بالحلفاء[3]
لا تغتنمْ إغضاءتي فلعلّها   كالعين تغضيها على الأقذاء[4]
واستبقِ بعض حشاشتي فلعلّني   يوماً أقيك بها من الأسواء
فلو آن ما أبقيت من جسمي قذىً   في العين لم يمنع من الإغفاء

نظيره قول المتنبي [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقٍّ رأسه   من السّقم ما غيّرت من خطِّ كاتب

رجع :

فلئن أرحت إليَّ غارب سلوتي   ووجدت في نفسي نسيم عزاء
لأجهزنَّ إليك قبح تشكرٍ   ولأنثرنّ عليك سوء ثناء

---

(١) الكمد : الحزن والغيظ .

(٢) يستكفّ :يمنع .والحلفاء :

(٣) الاغضاء : خفض الطرف حياءً وأذىً .

ولأكسونّك كلَّ يومٍ حلّةً متروعةً من حيَّةٍ رقشاء
ولأعضلنَّ مودّتي من بعدها حتى أزوّجها من الأكفاء[1]

وكتب إلى العلوي [من المجتث] :

يا من تخلّى وولّى وصدّ عنّي وملاّ
وأوسع العهد نكثاً وأتبع العقد حلاّ
ما كان عهدك إلاّ عهد الشبيبة ولّى
أو طائفاً من خيالٍ ألمّ ثمّ تولّى
أو عارضاً لاح حتّى إذا دنى فتدلّى
ألوتْ به نسماتٌ من الصّبا فتجلّى
أهلاً بما ترتضيه في كلِّ حالٍ وسهلا
ليجزينّك ودِّي بمثل فعلك فعلا
إنْ شئت هجراً فهجراً أو شئت وصلاً فوصلا
صبرت عنّي فانظرْ ظفرتَ بالصبر أم لا
إنّي إذا الخلُّ ولّى ولّيته ما تولّى

وكتب إلى أبي محمد بن هندو ، وقد أهدى له مداداً ارتضاه [من المجتث] :

يا سيدي وعمادي أمددتني بمداد
كمسكنيك جميعاً من ناظري وفؤادي
أو كالليالي اللواتي رميننا بالبعاد

وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه [من مجزوء الكامل] :

أنعم أبا حسن صباحاً وازدد بزوجتك ارتياحا

---

(١) أعضلنّ : أضيّق وأمسك .

قـد رضـت طرفـك خالياً ... فهـل استلنـت له جماحا ؟[1]
وقدحـت زنـدك جاهـداً ... فهـل استبنـت له انقداحا ؟
وطـرقـت منغلقـاً فهـل ... سنّـى الإلـه لـه انفتاحا ؟
قـد كنـت أرسلـت العيو ... ن صبـاح يومـك والرواحا
وبـعـثـت مـصـغـيـةً تـبـيـت لـديك تـرتقب النجـاحـا
فغـدت علـيّ بجملـةٍ ... لـم تولنـي إلاّ افتضاحا
وشـكـت إلـيّ خلاخـلاً ... خرسـاً وأوشـحـةً فصاحا
منعـت وساوسهـا المسا ... مع أن تحسّ لكـم صياحا

وهذه الأبيات بديعة في فنها ، ولم أسمع أملح منها في معناها ، إلا قول الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفى ، وأدخل في باب الكناية والتعريض [من السريع] :

قلبـي علـى الجمـرة يا أبـا العلا ... فهـل فتحـت الموضـع المقفلا
وهـل فككت الختـم عن كيسه ... وهـل كحلـت الناظـر الأكحلا
إنّـك إنْ قلـتَ نعـم صادقا ... أبعـث نثـاراً يمـلأ المنزلا[2]
وإنْ تجبنـي من حياءٍ بلا ... أبعـث إليك القطـن والمغزلا

* * *

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبـو القاسـم بن أبـي الحسين بن سعد ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبري ، وأبو الحسن البديهي .

---

(١) راض : قاد وأسلس، والجماح : التمرُّد .
(٢) النثار : الذهب .

فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأترجةٍ فيهـا طبائعُ أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبّهها الرائي سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنّها من فأرةِ المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبري :

* وما اصفرّ منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهي :

* ولكن أراها للمحبين تجمع *

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزنا [من مجزوء الخفيف] :

أيّ جهـدٍ لقيتـه وشـقـاءٍ شقيتـه ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس أبو الحسن العباسي ، وابن خلاد القاضي ، فقال أبو الحسن :

بـي غزالٌ مقرطقٌ شفّني إذ هويته[1]
أحـرز السحـر طرفه وحـوى الغنج ليته[2]
زاد في الكبـر عامداً إذ رآني وليته
حسبيَ الله والرئيسَ لما قـد دهيتُهُ

وقال ابن خلاد :

يا خليلـيّ ساعدا نـي علـى مـا دهيتُهُ
انظـرا أيّ معذلٍ بقضـاءٍ أتيتـه
سـامنـي السّيـد الـرئيـس محـالا شنيتـه
ظـلّ مستعـدياً على رشـأٍ قـد هويته
عجبـاً أن يكون لي والياً مـن وليتـه
مـا خشيت فيه الحروب فيـه ولـكن خشـيتـه
فـاز روحـي لو أنّني فـي منـامـي أريته

وقال الأستاذ :

أيُّ جهـدٍ لقيته وشـقـاءٍ شقـيتُـهُ
مـن نصيحٍ أودّ من نصحـه لي سكوته
قـال صبـراً ومـا درى أنّ صبـري رزيته
قلـت عنـك المـلام ما باختيـاري هـويتـه
لـم أكنْ أجشـم البلا ء لـو آنـي كفيتـه
ربّ ثـوبٍ من الـمـذلّـة فـيـه كـسـيـتـه
ضـلّ عنـدي تجلّدي فكأنّـي نسيتـه
فـي فـؤادي هـوىً يحـرّقـنـي لـو طـويـتـه

---

(١) مقرطق : متزيّن يلبس الأقراط في أذنيه أي الحليّ .
(٢) الليت : صفحة العنق .

يا ابـن خلاّد الذي شاع في النـاس صيته
أنصف الهائـم الذي يتجـافـى مبيتـه
قـلْ لمـن أشبـه المها مقـلتـاه وليتـه[1]
ثغـره قـد أشـتّ شمـل اصـطبـاري شتيتـه[2]
لـيس يحيـى المتيّم الـصّب إلاّ مـميـتُـهُ
أنـت قوتـي ومـا بقا ء امـرىء بان قوتُهُ
أيُّ ذنـبٍ سـوى المـذلّـة فـي الحـبٍّ جيتـه
مـا أسيـغ السـلوّ عنـك لـو آنـي سقـيتـه
كيف يرجـو البقـاء إنْ باين المـاء حوتـه
مـا أشـاء الـسـلوّ عنـك فـإنْ شئتَ شيتُـهُ
كـلّ شيءٍ رضيتَـهُ مـن غرامـي رضيتُـهُ

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة [من الطويل] :

هل البـثُّ إلاّ ما تحملنيهِ أم البـرح إلاّ مـا تكلّفينه
متـى علقـت نفسـي حبيبـا تعلّقتْ به غِيَـرُ الأيام تسلبنيه
شفيعـي إذا استشفعـت غير مشفعٍ ووجهـي إذا وجّهـت غير وجيه

وقال [من الكامل] :

ظلّـت تظلِّلنـي من الشمس نفسٌ أعـزّ علـيَّ من نفسي

---

(١) الليت ـ بكسر أوله : العنق .
(٢) أشتّ : فرّق وباعد، والشتيت : المتفرق .

فأقــول واعجبــاً ومــن عجبٍ   شمسٌ تظلِّلنــي من الشمس

وقال في الفصد لمعشوقه [من البسيط] :

ويح الـطبيب الـذي جسَّت يداه يدك   ما كان أجهلـه فيمـا قد اعتمدك[1]
بأيّ شيءٍ تُراه كان معتذراً   من مسّـه بحـديدٍ مؤلـمٍ جسدك
لو أنّ ألحاظـه كانـت مباضعهُ   ثم انتحـاك بهـا من رقـةٍ فصدك[2]

* * *

ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهرية عارض فيها ابن العلاف [من المنسرح] :

يــا هـرُّ فارقتنـا مفارقـةً   عـمّـت جميع النفـوس بالثكلِ
لو كان بالحادثـات لي قبلٌ   إذاً أتـاك الصـريخ من قبلي
يــا مثـلاً سائـراً إذا ذكـر الـ   ـحسـن تـركت الحسان كالمثـل
وقيل هل تفتـديه إنْ قبـل الد   هـر فداءً فقلـت حيهل[3]
أفـديه بالصفـوة الـكرام من الـ   إخـوان دون الأخـدان والخلل[4]
بـل بمحـل الـكـرى ومعـتلج الـ   ـفكـر وحبّ الـقلوب والـمقـل
بل بسـكون الـوجيب يجلبـه الـ   أسـن إلـى قلـب خائفٍ وجل[5]
بـل بحـلـول الشـفـاء يجنبـه الـصّحـة بعـد الأوصـاب والعـلل[6]

(١) جسَّت : لامست وتفحَصت .
(٢) المباضع : جمع مبضع وهو ما يستعمل في الجراحة للبضع .
(٣) حيهل : كلمة منحوته بمعنى أجل .
(٤) الأخدان : الأصدقاء .
(٥) الوجيب : الاضطراب والخفقان ، والوجل : الخوف .
(٦) الأوصاب : المرض .

بـل بـبلوغ الـمنى وقـاصيـة الــــبغيـة عـفـواً ونـهـبـة الأمـل

وقال في المغني القرشي [من الوافر] :

إذا غنّـانيَ القـرشـيُّ يومـاً وعنَّـاني برؤيتـه وضربـه
وددت لو آن أذنـي مثـل عيني هنـاك وأنّ عينـي مثـل قلبه

وللمهلبي في هذا المعنى [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّـاني القرشـي دعـوت الله بالطـرشِ
وإن أبصـرت طلعته فوا لهفـي علـى العمشِ

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّـى لنـا أمماً حشوت مسـامعي صمما[1]
وإن أبصـرت طلعته كحلـت نواظـري بعمـى

وقال [من مجزوء الكامل] :

آخِ الرجـال من الأبا عد ، والأقـارب لا تقارب
إنَّ الأقـارب كالعقا رب ، بل أضـرُّ من العقارب

وقال [من الطويل] :

وللـرأي زلاّتٌ يظـلُّ بهـا الفتى مركَّبـةً فوق الثنـايا أنامله

* * *

(١) أمماً : قليلاً .

هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل [من المتقارب] :

يقولــون خطــبٌ من البين جلاّ ولــم أر سير الخليط استقلاّ
وقـد لقبـوه نوى غربةٍ ولــم أر أقــرب منــه محلاّ
وبــزّت سرابيلـه عنـوةً فألفــي لمّــا تعـرّى تحلّى
وأفــرد من بيـن أترابه فمــا غضّ من حسنــه أن تخلّى
وزلّ فقلنــا لعــاً ناعشاً لعــالٍ إذا ما تعلّــى تدلّى[1]
تزيـد مكاسـره لـذّةً إذا ما الغمــام عليه استهلاّ
إذا نال منــه السـليم استقلّ وإن نال منــه السـقيم استبلاّ
إذا ما امــرؤ ملّ روح الحياة فحاشــا لذلك من أن يملاّ

وقال في ماء الورد [من مجزوء الكامل] :

قـل للأديـب أبـي الحسيـنِ أتتــك صمـاءُ الغيـر
نـكـراء فـي حالاتها لـذوي البصــائر معتبر
دهـيـاء يـعـتـرف الـضـمـيـــــر بهـا وينكـرهـا البـصـر
مــاذا ترى فـي درهمٍ قـد مسّـه قـدّ الإبر
وتحفـة مـن بعـده تباشــراً طرفــاً وزر[2]
أزرى بـه وسـط الردى وهــو الحيــاة المشتهـر
فــاكشف لنـا عن سرّه بلـطيـف حدسـك والنظر

وقال في الشمس [من البسيط] :

ماذا ترى يا أبــا العبــاس في عجبٍ تشابهــت منــه أولاه وأخراه

---

(١) لعاً لك : وهو دعاء للعاثر يعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٢) كذا ورد في الأصل .

ترى مقمّـــه شروى مؤخره حسنـاً ، ويمنـــاه في تمثــال يسراه[1]
من حيث واجهتــه أرضــاك منظره وكيـف قابلتــه أغنــاك مغناه
يهــوى المباعــد منــه قرب منزله حتـــى إذا ما تغشّــاه تحاماه

* * *

(١) الشروى : ـ بفتح فسكون ـ المثل والنظير .

البـاب الثانـي

١٥ ـ في ذكر ابنه أبي الفتح ذي الكفايتين
والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق ما قال الشاعر [من الكامل] :

إنّ السريّ إذا سرى فبنفسه   وابن السريِّ إذا سرى أسراهما

وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخياً ، رفيع الهمة ، كامل المروءة ، ظريف التفصيل والجملة ، قد تأنّق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره ، وفضلاء وقته ، حتى تخرج وخرج حسن الترسل ، متقدم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ، لقب بذي الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي ذكره آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثنيه أبو جعفر الكاتب ، وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه القمغدي لكونه قمي المولد بغدادي المنشأ ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد قبض جماعة من ثقاته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه

ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطي ما يجمع شمل اللهو ، في خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من سماه لي أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، في استهداء الشراب ، فحمل إليه ما يصلحهم من المشموم والمشروب والنقل . فدس الأستاذ الرئيس إلى ذلك الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة ـ أطال الله بقاك يا سيدي ومولاي ! ـ رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا كبنات نعش[1] ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لي أثر براعته ، ووثقت بجريه في طريقي ، ونيابته منابي ، ووقّع له بألفي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أحر جواباً لأني لم أفطن لما أراد ، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقمت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبهت على أنهما أرادا الخيش ، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي ، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

---

(١) بنات نعش : مجموعة من الكواكب متقاربة تبدو ليلاً وكأنها مجتمعة .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه ، واستضحك له ، حكايتي رقعة له وردت علي ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة[1] ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى ، وهو قول القائل [من المجتث] :

لئنْ كففت وإلاّ شققت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدني في الوقت [من المجتث] :

يا مولعاً بعذابي أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي من ذلّتي واكتئابي
فارفع قليلاً قليلا عن العظام ثيابي

قال : فتأمل هذه الطريقة ، وانظر إلى هذا الطبع ، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة .

قال : ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها [من الهزج] :

أليلٌ هو أم شعرٌ وبرقٌ هو أم ثغر
وحرُّ الصدر ما ضمّنت الأحشاء أم جمر ؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السَّفر[2]

(١) العنفقة : الشعرات التي تلي الشفة السفلى .
(٢) اليهماء : الأرض الواسعة التي لا يهتدى فيها إلى الطرق .

تعسّفتُ على هولٍ وتحتي بازلٌ جسر[1]
إلى مَنْ وجهه بدرٌ ومَنْ راحته بحر
ومن جدواه مدٌّ للورى ليس له جزر
هو الغيث هو الليث هو الفخر هو الذّخر
لأمرٍ مظلمٍ يخشى وخطبٍ فادحٍ يعرو

وقوله من نيروزية فيه [من الكامل] :

أبشر بنيروزٍ أتاك مبشّراً بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشربْ فقد حلّ الربيع نقابه عن منظرٍ متهلّلٍ بسّامِ
وهديتي شعرٌ عجيبٌ نظمه ومديحه يبقى على الأيّام
فاقبله واقبلْ عذرَ من لم يستطع إهداء غير نتيجة الأفهام

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عودي وماء شبيبتي في عودي لا تعمدي لمقاتل المعمودِ
وصليه ما دامت أصايل عيشه تؤويه في فيءٍ لها ممدود
ما دام من ليل الصبّا في فاحمٍ رجل الذرى قينان كالعنقود
قبل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بسحمٍ سود[2]

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [من المتقارب] :

دعوت الغنى ودعوت المنى فلما أجابا دعوت القدحْ
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترحْ

---

(١) البازل : الذي طلعت نابه من الإبل. والجسر : القوي الصلب .
(٢) اليقق : البياض ، والسحم : الشديدة السواد .

وقال [من الطويل] :

إذا أنا بلغتُ الذي كنتُ أشتهي ... وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قمْ إلى الدهر فاقترح ... عليه الذي تهوي ودعني مع الدهر

وله [من الخفيف] :

أين لي من يفي بشكر الليالي ... إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراحٌ ... غيرها منيةً فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس [من البسيط] :

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقةٍ ... وريح راحٍ حشاها شادنٌ خنثُ(١)
زففتها حين زفَّتْ لي على أملٍ ... إنّي غلامك لا مينٌ ولا عبثُ(٢)

وقوله من قصيدة أخرى في عضد الدولة ، أولها [من الطويل] :

عتبت على الأيام لو عرفتْ عتباً ... وعاتبتها لو أعقبتْ ذنبها عتبى
قضت بيننا أحكامها البين كلما ... طلعن بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجّب عنّي الشمس من نور وجهها ... وتمنح ريّاها الركائب والركبا

ومنها :

وكنت أظن الحبَّ قبلُ خلابةً ... فها هو ذا يغري بمخلبه الخِلبا(٣)
تدور السقاة بالأباريق بيننا ... فنحسبها سرباً يزجّي لنا سربا

---

(١) الخنث : من فيه انخناث أي تكسُّر وتثنٍّ .
(٢) المين : الكذب .
(٣) الخلابة : الخديعة بالحديث الرقيق، والخِلبا : حجاب الكبد أو حجاب القلب .

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضةً ... منوّرةُ النوّار تحسبها عُصبا[1]

ومنها في وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بنجابها ... فلا نهضت نجباً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ... ولا كان لي ما بين آمالها نهبا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبدهُ ... أعدُّ النجومَ بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه ، أولها [من الطويل] :

أفضت عقودٌ أم أفيضت مدامع ... وهذي دموعٌ أم نفوسٌ هوامع ؟[2]
على الملك قوّامٌ وللدين حافظٌ ... وللمال وهّابٌ وللجار مانع
أسودٌ ولكنَّ الحراب عرينها ... شموسٌ ولكنَّ الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحّوا ونابوا وما نبوا ... وكان لهم تحت المنايا مناقع[3]

ومنها في ذل الأعداء :

أذالهم ذلّ الهزيمة فانحنتْ ... قناة الظهور واستقام الأخادع[4]
وكان لهم لبس المعصفر عادةً ... فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجرٌ من عصى ... وتقويم عبد الهون بالهون نافع[5]

---

(١) العُصب : شجر اللبلاب .
(٢) الهوامع : السائلة .
(٣) نبوا : فارقوا وابتعدوا . والمناقع : من النقع وهو الغبار الذي تثيره الحرب .
(٤) أذال : أهان ، والأخادع :الرقاب،والأخدع عرقٌ في الرقبة .
(٥) البطر : الكبرياء عند حلول النعمة ، والهون : الخزي والذلّ .

ومنها :

تبسمتَ والخيل العتاق عوابسٌ ... وأقدمت والبيض الرقاق هوالع

صدعتَ بصبح النصر ليل جموعهم ... وكيف بقاء الليل والصبح صادع

فما الصبح منآدٌ ولا الليل خاذلٌ ... ولا النصل خوّانٌ ولا السهم طالع(١)

ومنها في وصف الشعر :

ومقترحاتٍ في القوافي بداءةً ... بدائع للإحسان فيها ودائع

كلامٌ شكورٌ أطلقت من عنانه ... صنائع تخجلن النهار نواصع

خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله ... خدمت وغى والقول للفعل شافع

وقال من أخرى ، وقد ذكر الشعر [من الطويل] :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتبٍ ... وإن كان مرضياً فقل شعر كاتبي

* * *

ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي ، قال : لما توفي ركن الدولة ، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من أصبهان إلى الري ، ومعه الصاحب أبو القاسم ، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة ، والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به ، وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر في نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضد

---

(١) منآدٌ : منحنٍ ومتثنٍّ ، والأود : الإعوجاج .

الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منهاممـايلتـه بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقـاله ، وأخذ أمواله . ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمَّت إلى عضد الدولـة ، فزادت في استيحاشـه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل احدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجز لحيتـه ، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يئس من نفسه ، واستأذن في صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بـدّل من صورتـي المنظر لكنّـه ما غيّر المخبر
ولسـت ذا حزنٍ علـى فائتٍ لكنْ علـى من لي يستعبر
ووالـه القلـب لمـا مسّني مستخبـرٌ عنّـي ولا يخبر
فقـل لمـن سرَّ بمـا ساءنا لا بد أن يسـلك ذا المعبر

وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره ، وكان مختصـاً به . قال : كان أبـو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه . قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدري أهمالـه أم لغيره [مـن الرمل] :

دخـل الـدنيا أنـاسٌ قبلنا رحلـوا عنهـا وخلَّوهـا لنا
فنزلناهـا كمـا قد نزلوا ونخلّيهـا لقـومٍ بعدنا

فلما حصل في الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لا محالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانـون نار بين يديه ، وقـال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل

به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [من الكامل] :

آل العميد وآل برمك ما لكمْ قلّ المعين لكم وذلّ الناصر !
كان الزمان يحبّكم فبدا له إنّ الزمان هو المحبُّ الغادر

ولأبي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة [من الكامل] :

يا دهر إنك بالرجال بصيرُ فلذاك ما تجتاحهم وتبير[1]

وهي تذكر في موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

* * *

---

(١) تبير : تفنى .

الباب الثالث

١٦ ـ في ذكر الصاحب أبي القاسم إسمعيل بن عباد
وإيراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم . وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وحضرته محطرحالهم ، وموسم فضلائهم . ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمته في مجد يشيده ، وإنعام يجدده . وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه . ولما كان نادرة عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول . وذوب العلوم ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب

القوافي وملك رق المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية ، والعتّابي ، والنمري ومسلم بن الوليد ، وأبي الشيص ، ومروان بن أبي حفصة ، ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والري وجرجان ، مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الهمذاني ، وإسمعيل الشاشي ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي حفص الشهزوري ، وأبي معمر الإسماعيلي ، وأبي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى ، وأبو إسحاق الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة، وابن نباتة ، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [من الخفيف] :

إن خير المداح من مدحتهُ شعراء البلاد في كلِّ نادي

* * *

لمع من أخبار محاسنه ، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج في وكرها ، ورضع أفاويق درها[1] ، وورثها من أبيه كما قال

---

(١) الأفاويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعةً بعد ساعة وهو يريد ما اجتمع من اللبن .

أبو سعيد الرستمي [من الكامل] :

ورث الوزارة كابراً عن كابر　　موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبادٌ وزا　　رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي ، قال : كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب ، فرأيت في ثبت حسبانات كاتبها ـ وكان صديقي ـ مبلغ عمائم الخز التي صارت تلك الشتوة في خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة ، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه : فقيل : إنه في مجلس كذا يكتب ، فقال : علي به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله الصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه ، وقال : أيد الله الصاحب [من الكامل] :

اسمعه ممّن قاله تزدد به　　عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً منها [من المتقارب] :

سواك يعد الغنى ما اقتنى　　ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبادٍ المرتجى　　تعدّ نوالك نيل المنى
وخيرك ـ من باسطٍ كفّه　　وممن ثناها ـ قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى　　فأصغر ما ملّكوه الغنى

وغـادرت أشعرهـم مفحماً وأشكرهـم عاجزاً ألكنا[1]
أيا من عطـاياه تهـدى الغنى إلـى راحتـي من نأى أو دنا
كسـوت المقيمين والزائرين كسـىً لم يخـل مثلهـا ممكنا
وحـاشية الـدار يمشـون في ضروب من الخـزّ إلاّ أنا
ولسـت أذكر لي جارياً علـى العهـد يحسـن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ، أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه ، وقـد أمرنـا لك من الخـز بجبـة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي ، قال : عهدي بأبي محمد الخازن ماثلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه ، أولها [من البسيط] :

هذا فؤادك نهبـى بين أهواء وذاك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجـلِ مقتسمٌ داءٌ لعمـرك ما أبـلاه من داء
لا تستقـرّ بأرض أو تسير إلى أخـرى بشـخصٍ قريبٍ عزمـه نائي
يـوماً بحـزوى ويومـاً بـالعقيق وبـالـعـذيب يـومـاً ويـومـاً بـالخليصـاء
وتـارةً تنتحـي نجـداً وآونةً شعـب العقيق وطـوراً قصـر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشـاده ، مستعيداً أكثر أبياته ، مظهراً من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله :

---

(١) الألكن : من ثقل لسانه ، أو كان به عجمة .

أدعـى بأسمـاء نبـزاً في قبائلها   كأنّ أسماء أضحـت بعض أسمائي[1]
أطلعت شعـري وألقـت شعرهـا طرباً   فألّفـا بيـن إصبـاحٍ وإمساء

زحف عن دسته طربا ، فلما بلغ قوله في المدح :

لو أن سحبـان باراه لأسحبه   علـى خطابتـه أذيـال فأفاء[2]
أرى الأقـاليم قد ألقـت مقالدها   إليه مستبقـاتٍ أيّ إلقاء
فسـاس سبعتهـا منه بأربعةٍ   أمـرٌ ونهـيٌ وتثبيتٌ وإمضاء
كذاك توحيده ألـوى بأربعةٍ   كفـرٌ وجبـرٌ وتشـبيهٌ وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعـم تجنّـب « لا » يوم العطـاء كما   تجنّـب ابـن عطـاءٍ لثغـة الراء[3]

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطـرى وأطـرب بالأشعـار أنشدها   أحسـن ببهجـة إطرابـي وإطرائي
ومـن منائـح مولانـا مدائحه   لأنّ من زنـده قدحـي وإيرائي[4]
فخـذ إليك ابـن عبـاد محبرةً   لا البحتـري يدانيهـا ولا الطائي

قال : أحسنت أحسنت ، ولله أنت ، وتنـاول النسخـة وتشاغـل بإعارتهـا نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة .

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول : أهدي إلى الصاحب هدية أهدى منها إلى

---

(١) النبز : اللئيم في حسبه وأخلاقه، والنبز : العيب واللقب

(٢) الفأفأه : كثرة ترديد الفاء في الكلام .

(٣) ابن عطاء : أحد كبار المعتزلة إسمه واصل بن عطاء وقد تجنّب حلقة الحسن البصري وتبعه جمع سمّوا بالمعتزلة .

(٤) منائح : الأعطيات والمنح ، وأورى النار : أوقدها .

شيخ الدولتين أبي سعيد الشبيبي ، وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [من البسيط] :

رويت في السُّنَّةِ المشهورة البركه أنّ الهدية في الإخوان مشتركه

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى حضرته ، ليلقى إلى مقاليد مملكته ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . فكان فيما اعتذرت به من تركي امتثال أمره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي وضمنتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تحمل مثلي !

وحدثني أيضاً ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أخل به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة .

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني ، قال : لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعلة وجدها : ما الذي كنت تشتكيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعني « الحماقة » فقال « وه » يعني « القهوة » .

قال : واستأذن عليه الحاجب يوماً لإنسان طرسوسي فقال « الطر » في لحيته ، و « السوس » في حنطته .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول : كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمترك » (؟) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التنادر بهذا التجنيس .

حدثني أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلّي طوّلت فقال : لا بل تطوّلت .

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال أهدي العميري قاضي قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميري عبد كافي الكفاةِ ومن اعتدّ في وجوه القضاةِ
خدم المجلس الرفيع بكتبٍ مفعماتٍ من حسنها مترعات

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع في رقعته .

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة . والاسم عليّ ليعليَ الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسِن

الله أمره . فإني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجاني [من مجزوء الرجز] :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إني رزقت ولداً كالصبح إذ تبلّجا
لا زال في ظلّك ظلُّ المكرماتِ والحجى
فسمِّه وكنِّهِ مشرِّفاً متوّجا

فوقع تحتها [من مجزوء الرجز] :

هنئتهُ هنئته شمس الضحى بدر الدجى
فسمِّهِ محسّناً وكنّه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد أخذ منها البلى ، وفيها توقيع الصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ! ـ تنفع المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكراً ، ولا هززت ماضياً . ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا ـ أدام الله تأييده ! ـ في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى . . . وهذه نسخة التوقيع :

أحسنت أبا حفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى .

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم ير فيه توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالي ، لا يصلح لأشغالي .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري ، قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها « في حديد بارد » .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان .

وحدثني أيضاً قال : قال الصاحب : ما أفحمني أحد كالبديهي ، فإنه كان عندي يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أني قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان إذا تطبب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره [من الرجز] :

قعقعة الثلج بماءٍ عذبِ تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي ، قال : انتحل فلان (يعني أحد

المتشاعرين) بحضرة الصاحب شعراً له ، وبلغه ذلك ، فقال : أبلغوه عني [من المجتث] :

سرقت شعري ، وغيري يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال : فاتخذ الليل جملا ، وهرب من الريّ .

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى الصاحب رقعة وقد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها (هذه بضاعتنا رُدت إلينا) .

ووقع في رقعة استحسنها (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) .

ووقع في كتاب بعض مخالفيه (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه في معاودة حضرته (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت) .

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع الصاحب إليه في رقعة : من نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف إن احتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك .

ورفع إليه بعض منهي الأخبار : أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في الناس ، ثم يتلوّم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قد انتاب الصاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر الصاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى بأعلى صوته : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فضحك الصاحب وقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم أمر بإطلاقه .

وحدثني أبو النصر العتبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى الصاحب هدية أصحبنيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك .

وحدثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيري ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني [من البسيط] :

يا ابن الخضيريّ لا تذهبْ على خجلٍ ... لحادثٍ منك مثل الناي والعود
فإنّها الريح لا تستطيعُ تحبسها ... اذ أنت لست سليمان بن داود

وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمذاني في مجلس الصاحب فخجل ، وقال : صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت ، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقته لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان .

وحدثني أبو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني

رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [من الكامل] :

يا أيُّها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنّما أهدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفّيه بي أو توضّعه لي ، فأنشدني [من الكامل] :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدّه من فعلك الحسن
فالعزُّ مطلوبٌ وملتمسٌ وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : قد فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي [من الطويل] :

وشيّدت مجدي بين قومي فلم أقلْ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني ، قال : كتب الصاحب إلى أبي هاشم العلوي وقد أهدى إليه في طبق فضة عطراً [من الكامل] :

العبد زارك نازلاً برواقكا يستنبط الإشراق من إشراقكا
فاقبل من الطيب الذي أهديته ما يسرق العُطار من أخلاقكا
والظُّرف يوجب أخذه مع ظَرفِهِ فأضف به طبقاً إلى أطباقكا(١)

وحدثني عون بن الحسين الهمداني ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم

---

(١) الظرف : اللطافة والكياسة، ومع ظرفه : أي غلافه .

يقول : سمعت الصاحب يقول : ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبذّل بين يدي ومازحني قطّ إلا مرة واحدة ، فإنه قال لي في شجون الحديث ، بلغني أنّك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليّ مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي ، قال : لما توجهت تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان ، فكرت في كلام ألقى به الصاحب . فلم يحضرني ما أرضاه ، وحين استقبلني في العسكر ، وأفضى عناني إلى عنانه ، جرى على لساني (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصي ابن الوصي .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلة .

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول : دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار الصاحب فنظر إلى الخلع والأحبية السلطانية المحمولة برسم الصاحب والناس يقيمون رسم النثار لها ، فارتجل قصيدة أولها [من البسيط] :

ميلوا إلى هذه النعمى نحييها   ودار ليلى فخلّوها لأهليها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري ، يقول : إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرة وابن زكرياء لما زادا عليها . فسأله أن

يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبب الصاحب ونسبته في نفسي إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها ، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلتني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين : أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت[1] بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ،ومع ذلك فلا بد مما يطفي ويغذي . ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق . وقوي به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير . ولا طول هذا التطويل . وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب ، فامتلأ الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد . ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التي

---

(١) لزّت : لصقت ولزمت .

يتألم مولاي منها ، ويضيق صدراً بها ، فليست والحمد لله محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية . فالرعشة التي تتخوف هي التـي تعـرض من ضعف القـوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤذي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام ، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب ، وتـزول عنـه بزوال الفضـل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصـل إليهـا من الروائـح الزكية ، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأباها ولا تؤثرها .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعـم الأشياء المرة ، لامتلاء المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخـلاط الفاسـدة تغري صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذي لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة . فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناولـه تناول الدواء الذي يصبر عليه . وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة .

وجالينوس يشرط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي يفعلـه الضعف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شرا، وهو في نفسه يقول : إن الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحـاف مذمومـان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء .

وسمعت عوناً الهمداني يقول : أتى الصاحب بغلام مثاقف[2] ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته . وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال الصاحب [من السريع] :

مثـاقفٌ في غاية الحذق فاق حسـان الغـرب والشرقِ
شبّهتـه والسيف في كفّه بالبـدر إذْ يلعب بالبرق

وأنشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدني أبـو علـي العراقـي العوامي الرازي ، قال : أنشدني الصاحب لنفسه [من السريع] :

كم نعمـةٍ عنـدك موفورةٌ لله فاشـكرْ يا ابـن عباد
قـمْ فالتمس زادك وهـو التقى لن تسـلكَ الطـرِق بلا زاد

* * *

جرى الشعراء بحضرة الصاحب
في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذِكر الدار التي بناها الصاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقترح على أصحابه وصفها ، وهذه نسخته بعد الصدر .

نعـم الله عنـد مولانـا الصاحـب أدام الله تأييده مترادفـة ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تترامى قوة في إكرامه ، والوفود على بابه المعمور ، كرجل الجراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً ، وعيداً يجنب عيداً ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرتني القصائد لأنفذتها إلا أني علقت

---

(١) المثاقف : الذي يحسن استعمال الرمح والسيف .

من كل واحدة ما علق بحفظي . والشيخ مولاي يعرف ملك النسيان لرقي ، فقصيدة الأستاذ أبي العباس الضبّي أولها [من البسيط] :

دار الوزارة ممدودٌ سرادقها ... ولا حقٌّ بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بها ... فقطرها أدمعٌ تجري سوابقها
بودّها أنها من أرض عرصتها ... وأنّ أنجمها فيها طوابقها[1]
فمن مجالس يخلفن الطواوس قد ... أبرزن في حللٍ شاقت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد ... ألبسن مجسدةً راقت طرائقها[2]
تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها ... يرتدّ عنها كليل العين رامقها[3]
مثل العذارى وقد شدّت مناطقها ... وتوّجت بأكاليلٍ مفارقها
كلّ امرىءٍ سوّغته الحجب رؤيتها ... وأشرقت في محيّاه مشارقها
مخلَّفٌ قلبه فيها وناظره ... إذا تجلّت لعينيه حقائقها
والدهر حاجبها يحمي مواردها ... عن الخطوب إذا صالت طوارقها[4]
مواردٌ كلما همَّ العفاة بها ... عادت مفاتح للنعمى مغالقها
دار الأمير التي هذي وزارتها ... أهدت لها وشحاً راقت نمارقها
هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها ... وافتك منسوقةً والله ناسقها
إنّ الغنائم قد آلت معاهدةً ... لا زايلتها ولا زالت تعانقها[5]
لأرضها كلّما جادت مواهبها ... وفي ديار معاديها صواعقها

ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب [من البسيط] :

---

(١) العرصة : الساحة .
(٢) الكنائس : الظبّاء .
(٣) الرامق : المتطلع ، وكليل العين : حسيرها .
(٤) الطوارق : الأحداث .
(٥) آلت : أقسمت ، وزايل : فارق .

دارٌ علـى العـزّ والتـأييد مبناها ... وللمـكارم والعليـاء مغناهـا
دارٌ، تباهـى بهـا الـدنيا وساكنها ... طرّاً ، وكم كانـت الـدنيا تمنّاها
فاليمـن أصبـح مقرونـاً بيمناها ... واليسـر أصبـح مقرونـاً بيسراها
من فوقهـا شرفـاتٍ طال أدناها ... يد الثـريا فقـلْ لي كيف أقصاها
كأنّهـا غلمـةٌ مصطفّـةٌ لبستْ ... بيض الغلائـل أمثـالاً وأشباها
انظـر إلـى القبّـة الخضـراء مذهبةً ... كأنّمـا الشـمس أعطتهـا محيّاها
تلك الكنـائس قد أصبحـن رائقةً ... مثـل الأوانس تلقـانـا وتلقاها
فالربـع بالمجـد لا بالصحـن متسعٌ ... والبهـو لا بالحلـى بل بالعـلا باهى
لمـا بنـى النـاس في دنياك دورهمُ ... بنيت في دارك الغـرّاء دنياها
فلـو رضيت مكان البُسْـط أعيننا ... لم تبـق عينٌ لنـا إلاّ فرشناها
وهـذه وزراء الملك قاطبةً ... بيادق ، لم تزل ما بيننـا شاها[1]
فأنـت أرفعهـا مجـداً وأسعدها ... جدّاً وأجودهـا كفّـاً وأكفاها
وأنـت آدبهـا بل أنـت أكتبها ... وأنـت سيّدهـا بل أنـت مولاها
كسوتنـي من لبـاس العـزّ أشرفه ... المـال والعـز والسلطـان والجاها
ولسـت أقـرب إلاّ بالـولاء وإنْ ... كانـت لنفسـي من علياك قرباها

ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب [من الطويل] :

ودارٍ ترى الـدنيا عليهـا مدارها ... تحـوز السمـاء أرضـهـا وديارها
بناهـا ابـن عبـادٍ ليعـرض همّةً ... علـى همـمٍ إسرافهـنّ آقتصارها
يردُّ علـى الـدنيا بهـا كلّ غدرةٍ ... إذا ما تبـارت داره وديارها
وإن قيل بهتـاً قد حكت تلك هذه ... فقـد يتـوارى ليلهـا ونهارهـا[2]

---

(١) البيدق والشاه : من حجارة الشطرنج .
(٢) بهتاً : زوراً .

فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما أصــدِّر فالــدنيا يصــحُّ اعتذارها

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

نصبــن لحبّــات القلــوب حبائلا عشيّة حلّ الحاجبــات حبائلا
نشــدن عقــولاً يوم برقــة منشدٍ ضللن فطالبنــا بهــنّ العقائلا[1]
عقائــل من أحياء بكرٍ ووائلٍ يحببــن للعشّــاق بكراً ووائــلا
عيونٌ تكلن الحســن منــذ فقدنها ومــن ذا رأى قبلــي عيونــاً ثواكلا
جعلــت ضنى جسمي لديهــا ذرائعاً وسائــل دمعــي عندهــنّ وسائلا
وركبٍ سرَوا حتّــى حسبــت بأنّهمْ لسرعتهــم عدّوا إليك المراحلا
إذا نزلــوا أرضــاً رأونــيَ نازلاً وإنْ رحلــوا عنهــا رأونــي راحلا
وإنْ أخــذوا في جانــبٍ ملــت آخذاً وإنْ عدلــوا عن جانــبٍ ملــت عادلا
وإنْ وردوا ماءً وردت وإن طووا طويت وإن قالــوا تحوّلــت قائلا
وإنْ نصبــوا للحــرّ حرَّ وجوههم تمثّلــت حربــاءً على الجِـذل مائلا[2]
وإن عرفــوا أعــلام أرضٍ عرفتها وإن أنــكروا أنــكرت منهــا المجاهلا
وإن عزمــوا سيراً شددت رحالهم وإن عزمــوا حلاًّ حللــت الرحائلا
وإن وردوا ماءً حملــت سقاءهم أو انتجعــوا غيثــاً حدوت الزواملا[3]
أو استنفــدت خوص الركائــب منهلاً أعدت لهم من فيض دمعي مناهلا[4]
يظنّــون أنّــي سائــلٌ فضــلَ زادهمْ ولــولا الهــوى ما ظنّنــي الــركب سائلا
وأقســمــت بالبيت الجــديد بناؤه يحيّي ومــن يحفــي إليه المراقلا[5]
هي الــدار أبنــاء النــدى من حجيجها نوازل في ساحــاتهــا وقوافلا

---

(١) العقائل : النساء المصونات الشريفات .
(٢) الجذل : أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفرع أو عددٌ ينصب لتحتك به الجمال الجربى .
(٣) الزوامل : النوق .
(٤) الخوص : النوق .
(٥) المراقل : النوق السريعة .

يزرنك بالآمال مثنىً وموحداً ... ويصدرن بالأموال دثراً وجاملا[1]
قواعد إسمعيل يرفع سمكها ... لنا كيف لا نعتدّهنّ معاقلا
فكم أنفسٍ تأوي إليها مغذّةً ... وأفئدة تهوي إليها حوافلا[2]
وسامية الأعلام تلحظ دونها ... سنا النجم في آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمزٍ ... فأصبح في أرض المدائن عاطلا
فلو أبصرت دار العماد عمادها ... لأمست أعاليها حياءً أسافلا
ولو لحظت جنّات تدمر حسنها ... درت كيف تبنى بعدهنّ المجادلا[3]
يناطح قرن الشمس من شرفاتها ... صفوف ظباءٍ فوقهنّ مواثلا
وعولٌ بأطراف الجبال تقابلتْ ... ومدّت قروناً للنّطاح مواثلا
كأشكال طيرِ الماء مدّت جناحها ... وأشخصن أعناقاً لها وحواصلا
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعاً ... وسدّت هبوب الريح فارتدّ ناكلا[4]
إذا ما ابن عبادٍ مشى فوق أرضها ... مشى الزّهو في أكنافها متمايلا
كنائس ناطت بالنجوم كواهلاً ... وعادت فألقت بالنجوم كلاكلا
وفيحاء لو مرّت صبا الريح بينها ... لضلّت فظلّت تستنير الدلائلا
متى ترها خلت السماء سرادقاً ... عليها وأعلام النجوم تماثلا

ومنها في وصف الماء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته :

هواءٌ كأيام الهوى فرط رقةٍ ... وقد فقد العشّاق فيها العواذلا
وماءٍ على الرضراض يجري كأنّه ... صفائح تبرٍ قد سبكن جداولا[5]
كأنّ بها من شدّة الجري جنّةً ... فقد ألبستهنّ الرياح سلاسلا

(١) الدثر : الكثير من كلّ شيء كالمال وغيره .
(٢) مغذّة : طلباً للغذاء .
(٣) المجادل : الأبنية المحكمة والمتقنة .
(٤) الناكل : الضعيف الجبان .
(٥) الرضراض : الحصى الرقاق في مجاري الماء .

ولو أصبحت داراً لك الأرض كلّها | لضاقت بمن ينتاب دارك آملا
ولو كنت تبنيها على قدر همّةٍ | سمت بك واستسرت إليك المراسلا
عقدت على الدنيا جداراً فحزتها | جميعاً ، ولم تترك لغيرك طائلا
وأغنى الورى عن منزلٍ من بَنَتْ له | معاليه فوق الشعريين منازلا(١)
ولا غرو أن يستحدث الليث بالسّرى | عريناً ، وأن يستطرف البحر ساحلا
ولم يعتمد داراً سوى حومة الوغى | ولا خدماً إلاّ القنا والقنابلا(٢)
ولا حاجباً إلاّ حساماً مهنّداً | ولا عاملاً إلاّ سناناً وعاملا
ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً | ولا البدر منتاباً ولا البحر نائلا
ولا الفلك الدوار داراً ولا الورى | عبيداً ولا زهر النجوم قبائلا
أخذت بضبع الأرض حتى رفعتها | إلى غايةٍ أمسى بها النجم جاهلا(٣)
فإنّ الذي يبنيه مثلك خالدٌ | وسائر ما يبنى الأنام إلى بلى

ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني [من الطويل] :

ليهنَ ويسعدْ من به سعُدَ الفضلُ | بدارٍ هي الدنيا ، وسائرها فضل(٤)
تولّى له تقديرها رحب صدره | على قدره ، والشّكل يعجبه الشكل
بنيّة مجدٍ تشهد الأرض أنّها | ستطوى وما حاذى السماء لها مثل
تكلّف أحداق العيون تخاوصاً | إليه كأنّ الناس كلّهم قبل(٥)
منارٌ لأبصار الرواة ، وربُّها | منارٌ لآمال العفاة إذا ضلّوا
سحابٌ علا فوق السّحاب مصاعداً | وأحرى بأن يعلو وأنت له وبل
وقد أسبل الخيري كمي مفاخرٍ | بصحنٍ به للملك يجتمع الشّمل

---

(١) الشّعرى : نجم في السماء .
(٢) القنابلا : الجماعة من الناس والخيل .
(٣) ضبع الأرض : ابطيها .
(٤) وسائرها فضل : أي كلّها بقيةً له .
(٥) التخاوص : من الخوص وهو صغر العين يريد أن المتطلّع إليها يخفض بصره .

كما طلع النسر المنير مصفّقاً ... جناحيه لولا أنّ مطلعه عقل
بنيت على هام العداة بنيّةً ... تمكّن منها في قلوبهم الغلُّ
ولو كنت ترضى هامهم شرفاً لها ... أتوك بها جهد المقلّ ولم يألوا[1]
ولكن أراها لو هممت برفعها ... أبى الله أن تعلو عليك فلم تعلو
تحجُّ لها الآمال من كلِّ وجهةٍ ... وينحر في حافاتها البخل والمحل
وما ضرَّها ألاَّ تقابلُ دجلةً ... وفي حافتيها يلتقي الفيض والهطل
تجلّى لأطراف العراق سعودها ... فعاد إليها الملك والأمن والعدل
كذا السعد قد ألقى عليها شعاعه ... فليس لنحسٍ في مطارحها فعل
وقالوا تعدّى خلقه في بنائها ... وكان وما غير النّوال به شغل
فقلت إذا لم يلهه ذاك عن ندىً ... فماذا على العلياء إنْ كان لا يخلو
إذا النصل لم يذممْ نجاراً وشيمةً ... تأنّق في غمدٍ يصان به النّصل[2]
تملّ على رغم الحواسد والعدى ... علاك ، وعش للجود ما قبح البخل

ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

سرّك الله بالبناء الجديد ... تلك حال الشكور لا المستزيد
هذه الدار جنّة الخلد في الدنـ ... ـيا فصلها وأختها بالخلود
أمةٌ زيّنت لسيدها الما ... لك لا زينة الفتاة الرود[3]
حليها حسنها فقد غنيت عن ... كل مستطرفٍ بلبس التليد
إرم المسلمين لا ذكر شدّا ... د بن عادٍ فيها ولا اسم شديد
ما تشكّكت أن رضوان قد خا ... ن وإلاّ لم مثلها في الصعيد ؟
كلّ مستخدمٍ فداء وزيرٍ ... خدمته الرجال بعد الأسود

---

(١) يألوا : يقصّروا .
(٢) النجار : الأصل .
(٣) الفتاة الرود : الفتاة الحسناء الفتيّة .

ألـزم الإنس كلّ جافٍ شديدٍ عمـل الجـن كلّ جافٍ مريد
فابتنـوا ما لو ان هامـان يدنو منـه لم يرض صرحـه للصعود
قـد تـولى الإقبال خـدمتـه فيـــــه على رسمـه كبعض الجنـود
ودرى أنّـه يزيد معيناً مثلـه فاستعـان بالتسميد[1]
قـال للجصّ كن رصاصـاً وللآ جر لمـا علاه كن من حديد
فتنـاهـى البنيـان وارتفـع الإيـوان حتـى أنـاف بالتشـديـد
وتبـدّت من فوقـه شرفاتٌ كنسـاءٍ أشرفـن في يوم عيد
قسمـاً لا مدحـت بعـد ابـن عبا د منيل الشبـاب والتخليد
لا لقيت الزمـان إلاّ بوجهٍ ماؤه لا يجـول في جلمود
ويدٍ ما حسـرت ردّنـي عنها فهـي سيفٌ يصـان عن تجريد
أجمـع النـاس أنّـه أفضـل النا س اضطـراراً أغنـى عن التقليد
فلهـذا أعـدّ قربـي منه نعمـةً ليس فوقهـا من مزيد
لا ذكرت العـراق ما عشـت إلاّ أن أراه يؤمـه في الجنود

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الكامل] :

دارٌ تمكّنـت المناهـج فيها نطقـت سعـود العـالميـن بفيها

ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم [من الطويل] :

هجرت ولـم أنـو الصـدود ولا الهجرا ولا أضمرت نفسي الصروف ولا الغدرا
وكيف وفـي الأحشـاء نار صبابةٍ تشبّـب لي في كلّ جارحـةٍ جمرا[2]
تقـول لي الأفـكار لمـا دعوتها لتنظـم في معمـور بنيانـه شعرا
بنـى مسكنـاً بانـي المفاخـر أم فخرا وجنّتنا الأولـى بدت أم هي الأخرى ؟

(١) التسميد : أي جعل فيها السّماد .
(٢) تشبّب : توقد .

أم الـدار قد أجـرى الـوزير سعودها ... فلم تجر دارٌ في الثرى ذلك المجرى
وتبـدو صحـونٌ كالظنـون فسيحةٌ ... تقدّرهـا حلمـاً فتنعتهـا حزرا[1]
وفـي القبـة العلياء زهـر كواكبٍ ... من الضرب المضروب والذهب المجرى[2]
إذا ما سما الطرف المحلّق نحوها ... رآهـا سمـاءً صحف أنجمهـا تقرا

ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم [من الطويل] :

هي الـدار قد عمّ الأقـاليم نورها ... ولـو قدرت بغـداد كانـت تزورها
ولـو خبّـرت دار الخلافـة بادرت ... إليهـا وفيهـا تاجهـا وسريرها
ولـو قد تبقّـت سر من را بحالها ... لسـار إليهـا دورهـا وقصورها
لتسعـد فيهـا يوم حان حضورها ... وتشهـد دنياً لا يخـاف غرورها
فمـا حلمـت عين الزمـان بمثلها ... وحاشـا لهـا من أن يحسّ نظيرها
يقـول الأولـى قد فوجئـوا بدخولها ... وحيَّرهـم تحبيرهـا وحبيرهـا[3]
أفـي كلّ قطـرٍ غادةٌ وحليُّها ... وفـي كلّ بيتٍ روضـةٌ وغديرها
وأبوابهـا أثوابهـا من نفوسها ... فلا ظلـم إلاّ حين ترخـي ستورها
معظّمـةٌ إلاّ إذا قيس سمكها ... بهمّـة بانيهـا فتلك نظيرها
هي الهمّـة الطولـى أجالـت بفكرها ... مبانـيَ تكسوهـا العـلا ويعيرها
فجـاء بدارٍ دار بالسعـد نجمُها ... وجنّبـت المحـذور ليس يطورهـا[4]
وقـال لهـا الله الوفـيّ ضمانُهُ ... سأحميك ما ضمّ الليالـي كرورها
أهنيك بالعمـران والعمـر دائمٌ ... لبـانيك ما أفنـى الدهـور مرورها
وقـد أسجـل الإقبـال عهـدة ملكها ... وخطّـت بأقـلام السعـود سطورها

(١) حزرا : تقديراً وتخميناً .
(٢) الضرب : الدراهم..
(٣) التحبير : التوشية والتزيين ، والحبير : من الثياب : الناعم الجديد الملوّن .
(٤) يطورها : يقربها .

ودارت لهـا الأفـلاك كيف أدرتها ودانـت إلـى أن قيل أنـت مديرها
وهـاك ابنـة الفـكر التـي قد خطبتها وقـدّم من قبـل الزفـاف مهورها
فإن كان للـدار التـي قد بنيتها نظيرٌ ففـي عرض القـريض نظيرها
وإلاّ جررت الـذيل في ساحـة العلا وقلـت القوافـي قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبي دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدري، وله بديهة ومعرفة حسنة [من البسيط] :

بي من هواها وإن أظهـرت لي جلدا وجـدٌ يذيب وشـوقٌ يصـدع الكبدا
رَمَـتْ بأسهـم هجـرٍ لا تقـوم لها خيل العـزاء وإن ألبستهـا زردا
من مبلـغٍ عنّـيَ الماهـات مألكةً تحيي الصديق وتردي كلّ من حسدا[1]
أنّـي ترحّلـت عن قومـي بهـا قنصاً فإنْ رجعـتُ إليهـم أبصـروا أسدا
قل للـوزير ابـن عبـادٍ بنيت علاً أم منـزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمـن رأى دار مولانـا وزينتها رأى بهـا كوكبـاً في أفقـه فردا
رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـطود المنيع رأى ثهلان قـد ركد[2]

ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي [من الكامل] :

أسعـد بدارك إنّهـا الخلد والعيش فيهـا ناعـمٌ رغدُ
دارٌ ولـكن أرضهـا شرفٌ ربـعٌ ولـكن سقفـه مجدُ
قـد أثمرتـه همّـةٌ صعدٌ هي قبـل والـدنيا لهـا بعدُ
هـي للعفـاة وللنـدى قبلٌ صلّـى إليهـا الشّـكر والحمد[3]

---

(١) الماهات : جمع مها وهي البقرة الوحشية ويريد بها « الفتيات » ، والمألكة : الرسالة .
(٢) ثهلان : جبل .
(٣) قبلٌ : جمع قبلة أي مقصد .

إيوان كسرى في مدائنه | منذ ابتنيت دموعه سرد
ولماردٍ همٌّ يعانقه | وكذاك يشجي الأبلق الفرد
والجعفرية لأقوام لها | وصفا البديع وولول القرد
أحييت عباداً وأسرته | فضلاً ولم يشقق لهم لحد
والحي مَنْ حيِيَتْ مناقبهُ | بابنٍ يؤرّخ باسمه المجد
هذي العقيلة من بني أسدٍ | تجلى وتحذر صولها الأسد
بكرٌ فلم يعرض لها بشرٌ | قبلي ولم يقدح لها زند
زفّت إليك وحليها أدبٌ | وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبي الحسن الغويري [من مجزوء الكامل] :

دارٌ غدت للفضل داره | أفلاك أسعده مداره
منها المحامدِ مستقا | ةٌ والمحاسن مستعاره
شرفاتها هيفُ الخصو | ر لها تحاسينٌ وشاره
فلكلٍ طرفٍ نحوها | ولكلّ جارحةٍ إشاره
وعلى جميع الدور في الـ | ـدّنيا تقلّدت الإماره
فترابها مسكٌ سحيـ | ـقٌ شقّ برد الليل فاره[1]
لا تهتدي لنعوت أد | ناها الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [من الخفيف] :

هي دنياً بنيتها أم دارُ | فجميع الأفلاك فيها تدار

ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [من الهزج] :

رأينا طلعة الدار | شموساً مع أقمار

---

(١) الفار : وعاء المسك والطيب .

ولـي مسـألـة بعـد فعـاجلنـي بأخبـار
بنيت الـدار فـي دنيا ك أم دنيـاك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخـذه أبـو الحسـن بن أبـي الحسـن البـريدي [مـن البسيط] :

لما بنى الناس في دنياك دورهم

وهما أخذاه من قول أبي العينـاء حين قال له المتـوكل : كيف ترى دارنـا هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [من السريع] :

إنّ الـوزير قد بنـى دارا والسـعـد فـي أكنـافهـا دارا

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

هنِّـت جنَّـتـك التـي تبنيها وبقيت غضّـاً ناضـراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [من الكامل] :

الملك ملكٌ والأمير أميرُ والـدار دارٌ والـوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهـى الملـوك بدورهـا ولأنـت من تزهـى به الـدنيا فكيف الدّور
لا يعـدم الأمـراء منـك سياسةً لـولا سعـادتهـا وهـي التدبير[1]

وكان في جملة الطارئين شيخ أنطاكي في زي الكتاب حسن البيان ظريف

---

(١) وهى : ضعف .

اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [من المنسرح] :

ما أنصف الدار واقفٌ فيها ... يثني على غيرها ويطريها
فقفْ بها ناشراً محاسنها ... وانح به ما حوت نواحيها
ووفّها النّعت غير مختصرٍ ... فليس نزر الثناء يكفيها
يكاد يجري السّفين سافلها ... يكاد يعلو النجوم عاليها
لم يبق في الناس من إذا ذكرت ... بوحدة الكون لم يقل إيها
فعجْ بها الصّحب واقضِ واجبها ... وقف بها وقفةَ المهنيها
إنْ أغدُ ذا نعمةٍ فواهبها ... أنت فداك الورى ومنشيها
وما تراه عليَّ من حللٍ ... فأنت كاسٍ بها ومعطيها
وكلّ ما ضمَّ منزلي ويدي ... من نعمةٍ لي فأنت موليها
لا نسي الله حسن فعلك بلْ ... أسأله في الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب : وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه قصيدة في دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها [من الطويل] :

أكلُّ بناءٍ أنت بانيه معجزُ ... بنيت المعالي أم بنيت المنازلا
فلا الإنس تبني مثلهنّ معالماً ... ولا الجنّ تبني مثلهنّ معاقلا
كنائس أضحت للغمام عمائماً ... علواً وأمسّت في الظلام قنادلا
رحابٌ كأنْ قد شاكلتْ صدر ربّها ... وبيضٌ كأنْ قد نازعته الشمائلا
وبهوٌ تباهي الأرض منه سماءها ... بأوسعَ منها آخراً وأوائلا
وصحنٍ يسير الطرف فيه ولم يكنْ ... ليقطعه بالسّير إلاّ مراحلا
تلوح نقوش الجصّ في جدرانه ... كما زيّن الوشم الدقيق الأناملا
وماءٌ إذا أبصرتَ منه صفاءه ... حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا

رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى وصارت لها أيدي الرّياح صياقلا
وروضٌ كعيش السائليك نضارةً ووجهك بشراً حين تلحظ آملا
أصائله للنور أضحت هواجراً هواجره للطيب أضحت أصائلا
هي الدار أمست مطرح العلم فاغتدى لها ناهل الآمال ريّان ناهلا
إذا ما انتحاها الركب لم يتطلبوا إليها دليلاً غير من كان قافلا[1]
وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته إلٓهك قال الناس أسرفت سائلا
وإنّي وإلزاميك بالشعر بعدما تعلّمته منك النّدى والفواضلا
كملزم ربٍّ الدار أُجرةَ داره ومثلك أعطى من طريقين نائلا

وأنشدني أيضاً لنفسه فيها [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرّفا
فلا زالت رءوس عدا ك في حيطانها شرَفا

* * *

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بنِ المنجم بأصبهان وكان أصدا[2] قد حمله الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة ، فمن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

كنْ مدى الدهر في حمى النعماء مستهيناً بحادث الأرزاء
ينثني الخطب حين يلقاك عن طو د شديد الثّبات للنّكباءِ

(١) انتحى : قصد وتوجه ناحيتها .
(٢) الأصدأ : ما كان لونه الشقرة إلى السواد، أو السواد المشرب بالحمرة .

بك يا أحمد بن موسى التسلّي والتعزّي عن سائر الأشياء
ومعزّيك لا يزيدك خبراً بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنفس وطرفي من بعده بالماء
يا له جمرةً ونجماً وشؤبو باً وبرقاً وطائراً في الرواء[1]
راكب الليل خائض السيل عيّن الـخيل عانته أعين الأعداء[2]
فقد الوحش منه أوّل قطّا عٍ إليها المدى أمام الضرّاء[3]
واستراحت من نقعه مقلة الشمس ومن لطمه خدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلاّ جاءنا من قتامه بالمساء
وترى الطود حين يمثل مجمو عاً على ضمر القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو بـن عبيدٍ لتاه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خانه الصبر فرامى بصدره في اللقاء
قد تملّيته وإن كنت ما شا هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ب وتقلى طريقة الندماء[4]
كلُّ بؤسي أتتك من قبل اللـه فسلّم فيها لجاري القضاء
سوف تعتاض من خصيّك فحلاً لم يشنه بيطاره بالخصاء
من لهى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ يشتري بالغلاء كلّ العلاء[5]
أي رزءٍ وأيّ وزرٍ على من يتقوّى بأنهض الوزراء
أيّها الصاحب الجليل أتمّ اللـه نعماك عندنا بالنّماء

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والرواء : حسن المنظر .
(٢) عيّن الخيل : نموذجاً لها ، عانته : حسدته .
(٣) الضرّاء : الشجر الملتف الذي تستتر به .
(٤) تقلى : تكره وتهجر .
(٥) اللهى : العطايا وأوسعها .

كم كرعنا من بحر عرفك في كفّـــــك أصـفـى مـاءٍ بـأوفى إنــاء
سنّـةٌ سنها فتـى لا يريـد الـوصـل بيـن البيضـاء والصفـراء
جـمـع الله شمـل مـعتـصـمٍ منـــــك بـحـبـلـي مــودّةٍ وولاء

ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [من الخفيف] :

جلّ والله ما دهــاك وعزّا فعــزاءً إنّ الـكريم معزى
والحصيف الـكريم من إن أصابت نكبــةٌ بعــد ما يعــزُّ يعزّى
هي ما قد علمـت أحـداث دهرٍ لم تدع عدّةً تصــان وكنزا
قصــدت دولة الخلافـة جهراً فأبـادت عمـادهـا والمعـزّا
وقديمــاً أفنت جديسـاً وطمساً حفزتهـم إلـى المقـابر حفزا[١]
اصغِ والحـظْ ديارهــم هل ترى منْ أحـدٍ منهـمُ وتسمـع ركـزا[٢]
ذهــب الطـرف فاحتسـبْ وتصبَّرْ للــرزايا فالحـرُّ من يتعـزّى
فعلى مثـلـه استـطيـر فـؤاد الــــحـازم النـدب حسـرةً واستفـزّا
لم يكن يسمــع القياد علـى الهو ن ولا كـان نافـراً مشمئزّا
ربَّ يومٍ رأيتــه بين جردٍ تتقفــاه وهـو يجمـز جمزا[٣]
وكأنّ الأبصــار تعلـق منـه بحســامٍ يهـزّ في الشــمس هزّاً
وتــراه يلاعــب العين حتّى تحســب العيـن أنّــه يتهزّا
وســواءٌ عــليـه هــجّـر أو أســـــرى أو انـحطّ أو تسنّـم نـشـزا[٤]
وكأنّ المضمــار يبـرز منه متــنُ حسّــي ينـزّ بالمــاء نزّا[٥]

---

(١) جديساً وطمساً : من القبائل البائدة .
(٢) الركز : البقية ، والحسّ .
(٣) الجرد : الخيل الأصيلة ، وتجمز : تثب وتقفز .
(٤) النَشز : المرتفع .
(٥) الحِسّي : السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، وينز : يتحلّب ويسيل منه الماء .

استراحت منه الوحوش وقد كا ن يراها فلا ترى منه حرزا
كم غزالٍ أنحى عليه وعيرٍ نال منه وكم تصيَّد فزا[1]
وصروف الزمان تقصد فيما يستفيد الفتى الأعزّ الأعزّا
فإذا ما وجدت من جزع النكبة في القلب والجوانح وخزا
فتذكّر سوابقاً كان ذا الطر ف إليهنّ حين يمدحُ يُعزى
أين شقٌّ وداحسٌ وصبيبٌ غمزتها حوادث الدهر غمزا[2]
غلن ذا اللّمة الجواد ولزَّت طرباً واللزاز والسلب لزّا[3]
ولقد بزّت الوجيه ومكتو ماً بني أعصرٍ وأعوج بزّا
وتصدّت للاحقٍ فرمته وغرابٍ وزهدمٍ فاستفزّا
فاحمد الله إن أهون ما تُر زأ ما كنت أنت فيه المعزّى
قد رثينا ولم نقصر وبالغـ ـنا وفي البعض ما كفاه وأجزى
ومن العدل أن نثاب أبا عيسى على قدر ما فعلنا ونجزى

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الطويل] :

عزاءً وإن كان المصاب جليلا وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلا
وخفّض أبا عيسى عليك ولا تفضْ دموعاً وإن كان البكاء جميلا
وراجع حجاك الثبت لا يغلب الأسى أساك وإن حمّلت منه ثقيلا
ولا تستفزنّك الهموم وبرحها فحملك قبل اليوم كان أصيلا
وإن نفق الطرف الذي لو بكيته دماً كان في حكم الوفاء قليلا
أقبُّ يروق العين حسناً ومنظراً ويرجعها يوم الحضار كليلا[4]

---

(١) الفزّ : الظبي الفزع .
(٢) شق وداحس وصبيب وغيرها من الأسماء في الأبيات التالية كذي اللمه واللزّاز والسلب والوجيه ومكتوم وأعطر وأعوج ولاحق وغراب وزهدم كلّها أسماء أفراسٍ سوابق للعرب .
(٣) لزّ : التصق .
(٤) أقبّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّةً ... ونفسك إعجاباً به وقبولا
كلمع الشهاب خفّةً وتوقّداً ... وجذع الحضار هادياً ودليلا[1]
إذا قلت قفْ أبصرته الماء جامداً ... وإن قلت سر ماءٌ أصاب مسيلا
خلت قصبات السبق منه وأيقنتْ ... رياح الصبّا أن لا يجدن رسيلا[2]
بكته جلال الخز وانتحبت له ... مخالي حريرٍ رحن منه عطولا[3]
أقام عليه آل أعوج مأتماً ... وأعلى له آل الوجيه عويلا
ففي كلّ إصطبل أنينٌ وزفرةٌ ... تردّد فيه بكرةً وأصيلا
ولو وفت الجرد الجياد حقوقه ... لما رجعت حتى الممات صهيلا
وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده ... شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا[4]
فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً ... جليلاً وخلاً ما علمت نبيلا
عتادك في الجلى وكهفك في الوغى ... وعونك يوماً إنْ أردت رحيلا[5]
تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما ... لفرط التّصافي مالكاً وعقيلا
وهبت لعقبان الفلاة لحومه ... وكنت بها لولا القضاء بخيلا
ووزعتها بين النسور غنيمةً ... صفايا ومرباعاً لها وفضولا[6]
وأعززته دهراً فلما سطا به الردى لم تجد بدّاً فصرت مذيلا[7]
على أنها الأيام شتّى صروفها ... تذلُّ عزيزاً أو تعزُّ ذليلا

---

(١) الحضار : العدو والوثب .
(٢) الرسيل : الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق .
(٣) الجلال : البرذعة للفرس .
(٤) الغليل : الظمأ .
(٥) الجلّى : الأمر العظيم .
(٦) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها ، والمرباع : هو ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية وقال شاعرهم :
لك المرباع وحدك والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول
(٧) مذيلا : قلقا ضجورا .

ومن قصيدة أبي الحسن السلامي [من الوافر] :

فدى لك بعد رزئك من ينام ... ومن يصبو إذا سجع الحمامُ
ونفسي بالفداء عنيت لا من ... ينام عن الحقوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاجٌ ... تقوم به الحروب ولا ضرام
وكان إذا طغت حرب عوانٌ ... جرى ورسيله الموت الزؤام[1]
إذا رميت به الغابات صلّت ... صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهّر في الوقائع وهو مهرٌ ... ولا سرجٌ عليه ولا لجام
فلما لم يدع في الأرض قرناً ... تخوّنه فعاجله الحمام
وعوّد عافيات الطير طعماً ... وشُرْب دمٍ إذا حرم المدام
فلمّا لم يطقْ نهضاً أتته ... فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما ... يجود به ، كذا الخيل الكرام
وكنت البدر عارضه كسوفٌ ... بنحسٍ حين تمّ له التّمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنّا ... فهذا العيش ليس له انتظام
إذا لم تكشف الأصدا همومي ... فليت الخيل أصداه وهام[2]
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى ... فطرفي ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو ... تحمحمه الذي صنع السقام
ولا خبرت ليلة جرّ جسمٌ ... زكت عندي له نعمٌ جسام
ألم أقسم عليك لتخبرنّي ... أمحمولٌ على النعش الهمام[3]

---

(١) الموت الزؤام : الموت المحتّم .

(٢) الأصداء : جمع صدى ، وهي صوت طائر يصرّ بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ، واهام ومثله الهامة : الطائر الذي يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الاصبع العدواني :

يا عمرو إلاّ تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

أي على رأسه .

(٣) هذا البيت للنابغة الذبياني يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر واسمه عصام .

مضـوا يتناقلـون بـه خفافاً عليه من الضبـاع له قيام
فبـزّوه ومـا عرّوه درعـاً نبـت عنـه الصّـوارم والسّهام
أيقتلـه الحمـام أشـدّ قرنٍ وأكرمـه وتسـلبه اللّئام
أبـا عيسـى تعـزّ فدتـك نفسي فإنّ المـوت قرنٌ لا يضام
أقـمْ في ظلّ إسمـاعيل تضمنْ لك الـدّرك السّلامـة والدوام[1]
إذا بقـي الـوزير لنـا وفينا فقـل للدّهـر يهلك والأنام
وعظـت بهـا أخـاً ورثيت مالاً وأدّيت الأمـانـة والسـلام

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

لو سامـح الدّهـر أعصمـاً صدعا أو كاسـراً فوق مربـأٍ وقعا[2]
أو صاحبـاً ساقـه نواهضه أو سبعـاً في عرينـه شبعا
ابقـى لنـا ذلك الجـواد ولم يغـدو لصفـو الهبـات منتزعا
لسـت أقيل الزمـان عثرتهُ فليس يدري الزّمـان ما صنعا
آهٍ علـى ذلك الجـواد فقدْ جرّع قلبـي من كأسـه جرعا
آهٍ عليه من أصـدأٍ جزعٍ طاوع دهـراً أودى به جزعا
آهٍ عليه وقـد سرى لمعاً فراح غيضـاً كبـارق لمعا
لم يكبُ في جـريـه إذا كـنت الـــــخيـل ولا قـال راكبـوه لـعـا[3]
صفـا أديمـاً وحافـراً وقحاً والعين والساعـدين والسفعا[4]
عريض زورٍ وبلـدةٍ وصلاً رحيبُ صدرٍ ومنخـرٍ ومعا[5]

---

(١) الدّرك : إدراك الحاجة .
(٢) الأعصم : عن الغزلان ونحوها : ما في ذراعيه سواد وسائره أسود أو أحمر . والمربأ : المكان الذي يقف فيه المراقب .
(٣) اللعى : كلمة للدعاء تقال للّذي تعثّر في سيره وتعني « أنعشك الله ونجوت » .
(٤) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم .
(٥) البلدة : الصدر ، والصلا : وسط الظهر، والمعا : هي الأمعاء .

إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإنْ رقى فالسحاب مرتفعا
كأنّه بالسّماك منتعلٌ فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يا زمان فقد رحت حزيناً بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومنْ خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجةٌ أيّتها النفس أجملي جزعا[1]
قد شرّع القائلون باباً إلى الصّبر عليه فأصبحوا شرعا[2]
لا تصحب الهمّ في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكنْ جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنّه قمرٌ أزهرُ من ثنيٍّ دسته طلعا
ولا تضق بالذي فقدت يداً إنّ لنا في نداه متّسعا
فاسمع قريضاً من موجعٍ جزعٍ ويرحم الله صاحباً سمعا

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من المنسرح] :

لو أعتب الدهر من يعاتبه ولان للعاذلين جانبُهُ
أو كان يصغي إلى شكاة شجٍ صبّت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب في حرقٍ تشعلها في الحشى نوائبه
ولم أزل عن شكاته أبداً ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهلْ يفكّ رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله لفلّلت دونه مخالبه
أو كان غير المنون يخطبه رمّل أنفٌ أبداه خاطبه[3]

---

(١) العجز صدر مرثية لأوس بن حجر وعجزه « إنّ الذي تحذرين قد وقعا » .

(٢) شرعاً : سواءً .

(٣) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته .

لو بأبانين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم

أو حارب الدهر مشفقٌ حدبٌ ... لقمت في وجهه أحاربه
من لجوىً حلّ بي عساكره ... وحطّ بين الحشى مضاربه
فلست أرجو انقلاعه أبداً ... أو يجلب الصبّر لي جوالبه
يرتدّ بين الضلوع لي نفسٌ ... من ذكره ضاق بي مساربه[1]
لهفي على ذلك الجواد مضى ... في سفرٍ لا يؤوب غائبه
لو عرف الخيل من نعيت لها ... ضاقت بها في السُّرى مذاهبه
أو علم القفر من نعيت له ... لانسدّ للسالكين لاحبه[2]
تباشر الوحش في الفلاة له ... فقد صفت بعده مشاربه
فنام ملء الجفون شارده ... وسام ملء البطون ساربه[3]
تبكي لتقريبه الرّياح معاً ... فهنّ في جريها أقاربه
عهدي به والجنوب تجنبه ... إذا جرى والصبّا تجانبه
والهوج في حضره تحاذره ... والنّكب في سيره تناكبه
يا حسنه والعيون ترمقه ... وأنت يوم الرهان راكبُهُ
ترخى عليه العنان في عنقٍ ... حتى إذا ما التوى تجاذبُهُ
إن سار في السّهل هاج ساكنه ... أو سار في الحزن صاح صاحبه[4]
يوسعه إن رآه حاسده ... مدحاً ويثني عليه جاذبه

أخذه من قول أبي تمام :

* عوّذه الحاسد بخلاً به *

رجع :

---

(١) مساربه : ممرّاته .
(٢) اللاحب : الطريق الواضح .
(٣) سام : طلب .
(٤) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

أصدأ يحكي الظلام ، غرّته البدر ، وتحجيله كواكبُهُ[1]

أعاره الروض وشي زهرته فعاد في لونه يناسبه

وطالبٍ لا يفوز هاربه وهاربٍ لا ينال طالبه

كم موكبٍ سار في جوانبه فاهتزّ زهواً به كتائبه

وعسكرٍ زانه تحمحمهُ فارتجّ من صوته مواكبه

ومجهلٍ راح وهو جائبه لولاه لم تطوه نجائبه

صبراً جميلاً وإن سلبت أبا عيسى جليلاً فالموت سالبه

والموت إن جار في الحكومة أو أنصف فالمرء لا يغالبه

في الصاحب المرتجى لنا خلفٌ من كلّ ماضٍ خفت ركائبه

إنْ نَفَقَ الطّرف أو أصبت به ما نفقت عندنا مواهبه[2]

لم يود طرفٌ وإن فقدت به علقاً نفيساً ما عاش واهبه

دام لنا في النعيم ما طلعت شمسٌ وجلّى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبي العباس الضبي [من الطويل] :

دعا ناظري لذيذ اغتماضه وقلبيَ يستسعرْ أليم ارتماضه[3]

فقد جاد سبّاق الجياد بنفسه فلا ظهر منها لم يملْ لانهياضه[4]

أبيد فما للبيد طرفٌ وطرفه صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه[5]

نفوسُ عتاق الخيل فيضي لفقده وأعينها فيضي لوشك انقراضه

وأظهرها حطّي السّروج تفجعاً له ورِدي ماء الرّدى من حياضه

(١) ألتحجيل : الذي في قوائمه بياض .

(٢) الطّرف : الحصان الجيد .

(٣) الإرتماض : الاحتراق من الحرّ أو الحزن .

(٤) الانهياض : الإنكسار .

(٥) ارفضاضه : زواله ، وارفض الجرح : سال قيحه .

لقد كان وفــق الجــو عنــد ارتفاعه		نشاطـاً ومـلء الأرض عنــد انخفاضه
لو آن خدود الــورد أرضٌ لأرضه		لمــا مسّهـــا منـــه أذىً بارتكاضه[1]
يريك نحــول السّهــم عنــد اقتباله		ويبـدي مثـول الطـود عنــد اعتراضه
وقــورٌ إذا خلّيتــه وطباعه		وإن هزهــز الأرضين فرط انتفاضه
ويخفى اصطفاق الرعـد رجع صهيله		ويخفــت صوت الليث بين غياضه
تعــزّ أبــا عيســى وليّك ثابتٌ		وجــل التسلّــي لم يرعْ بانتقاضه
ومــن عرف الــدنيا استهــان بخطبها		ولا سيّمــا من طال عهــد ارتياضه
ولـو قبـل الدهــر الخــؤون ذخائري		لقدّمتهــا عنــه رضــىً باعتياضه
ولكنــه يبقــى الــذي لا نودّه		ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه[2]
وهـــذا الــذي بي لو غدا زادَ مرضعٍ		لشيّب فوديه اشتعــال بياضه
سقا الأصــدأ الـكدريّ ما نقـع الصدا		غمـامٌ حداه الرعــد عنــد ائتماضه[3]
وفـي بعض حمـلان الــوزير مغوضةٌ		وسلــوان قلــبٍ مسلــمٍ لانقضاضه
فســرْ كيفمــا آثــرتَ فوق جياده		ومِسْ كيفمــا أحببــت بين رياضه[4]

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [من الكامل] :

دهــرٌ علــى أبنائــه وثّابُ		تعجُمهــمْ أنيابــه الصّلابُ[5]
فمــا لهــم من كيده حجاب		يا لك دهــراً كلّــه عقابُ
أصبــح لا يردعــه العتاب		إنّ المنــايا ولهــا أسبابُ

(١) ارتكاضه : تحرّكه واضطرابه .
(٢) غضاضه : نقصه وعيبه .
(٣) إئتماضه : يريد سماع صوته ، وحدوثه .
(٤) مِسْ : تمايلْ زهواً ونشوة .
(٥) تعجمهم : تختبر صلابتهم وتعضّهم .

تصيدنــا والصيّد مستطابُ واهــاً لنـاءٍ مـا لـه إيابُ
لـكلٍّ قلـبٍ بعـده اكتئاب مسـوّمٍ تعنـو له الأسرابُ
أصـدأ بادي الحســن لا يعابُ قد كملـت في طبعـه الآدابُ
وهذّبـت أخـلاقه العـذابُ أقـبُّ ممّـا ولّد الأعراب[1]
ذو نسـبٍ تحسـده الأنسابُ وميعـةٍ ينـزو بهـا الشباب[2]
كأنّمـا غرّتـه شهـاب كأنّمـا لبّـاتـه محـراب
كأنّمـا حجـولـه سـرابُ كأنّمـا حافـره مجـواب
للصخـر عنـد وقعـه التهاب إذا تدانـى فهـو الحبـاب
إنّ القـرارات له انصبـاب وإن عـلا فالصـقر والعقاب
للـريح فـي مذهبـه ذهاب فالـوحش مـا يلقـاه والهراب
دماؤهـا لنحـره خضـاب يا غائبـاً طال به الإياب
لا خبـرٌ منـك ولا كتابُ ما كنـت إلاّ روضـة تنتاب
مستـأنساً تألفـك الرحـاب تعشقـك العيـون والألبـاب
ترتـجّ كالمـوج لـه عبابُ تنـاوبتـك للـردى أنيـاب
تجـزع من أمثالهـا الأحباب وكنـت لو طالـت بك الأوصاب
يخفُّ فـي مصرعـك المصاب ما طاب عن أضرابـك الإضراب
ولا صحـا من حبـك الأصحاب وأنـت فـردٌ مـا له أتراب
يا حزنـاً إذ ضمّـك الخراب وأغلقـت من دونـك الأبواب
كصـارمٍ أسـلمـه القـراب وقـد جرى من فمـك اللعاب
وامتـار منـه النحـل والذّباب واعتورتـك الفئـة الغضـاب[3]

---

(١) أقبُّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٢) الميعة : أوّل الجري وأنشطه، وينزو : يطمح ويتولّع بها .

(٣) امتار النحل والذباب : جنى الزهر .

وفيك أطـراف المــدى تنساب حتـى نضـى عن جسمـك الإهاب
هــل هو إلاّ هكذا العذاب وقـد غدا الإصطبـل والجناب
يبـكيك والسـائس والبوّاب والسّـرج واللجمـام والـركـاب
قـل لأبـي عيســى ومـا الإسهاب بنافـعٍ تمّ لك الثـواب
والــرأي في دفـع الـرّدى صواب فاسـكن فهـذا الصاحــب الوهّاب
شيمتــه الســخاء والإيجـاب فـي جوده وفضلـه مناب
آلاؤه ليس بهـا ارتياب يضـلّ فـي إحصائهـا الحساب[1]
لا زال والدعــاء يستجاب يبقـى لنـا ما بقـي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود [من الطويل] :

بكاءً على الطرف الـذي يسبـق الطرفا على ذلك الإلف الـذي فارق الإلفا
وقفْ مدد الأحــزان وقفــاً مؤبداً عليه وخـلّ الدمع يجـري له وكفا[2]
علـى أصـدٍ زان الحلـيّ إذا اغتدت عليه وزان البيض والبيض والزغفا[3]
علــى أصــدٍ جاراه ألف مشهّرٍ عتيقٍ فوافانــا وقـد سبــق الألفا
على فرسٍ جارى الـرياح على حفاً فغادرهـا حســرى وخلّفهـا ضعفى[4]
جواب الــذي ينعــى إليه أيا لهفاً علــى ذلك الأصــدا وقـلّ له لهفى
أقـام بمثــواه الجياد مناحةً كما عقـدت وحش الفـلاة به قصفا[5]
وآل الغــراب والــوجيه ولاحقٍ أدامــت عويلاً لا أطيق له وصفا
فكم أقرحـت خداً وكم ألهبــت حشاً وكم أوجعـت قلبـاً وكم أدمعـت طرفا

---

(١) الآلاء : النعم .
(٢) الوكف : السيلان .
(٣) البيض : السيوف ، والبيض جمع بيضة ، وهي غطاء الراس في الحرب ، والزعف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة .
(٤) الحفا : رقة القدم والخف .
(٥) قصفا : خلاعة ومجوناً ، أي فرحت لموته لأنّه كان أسبق الخيل إليها .

ولـو عرفـت حسنـاء داود حقّه | لمـا ضفّرت شعـراً ولا خضبّـت كفّا
فكم قد حماهـا يوم حربٍ وغارةٍ | وكم نزعت من خوفها القلب والشنفا[1]
يطير علـى وجـه الصـعيد إذا جرى | فمـا إن يمسّ الأرض من أرضـه حرفا
ويعـطيك عفـواً من أفـانين ركضه | إذا سمته التقـريب أو سمتـه القطفا[2]
له ذنـبٌ ضافٍ يجـرّ علـى الثّرى | طويلٌ كأذيال العـرائس بل أضفى[3]
له غرّةٌ مثـل السـراج ضياؤها | وأيُّ سراجٍ بالنوائـب لا يطفا
سقى الغيث رهـواً مشبهـاً ذلك الكتفا | وطـوداً منيفـاً حاكياً ذلك الردفا[4]
يواجـه وجـه الـوحش إن سار خلفها | فيجعلها من حيث لم يحتسـب خطفا
ويرجـع مخضـوب البنـان كأنّه | عروسٌ وقـد زفّت إلـى خدرهـا زفّا
وإن خاف من عين النواظـر أهله | عليه فمـدّوا دون مربطـه سجفا[5]
إذا ما غزا الغـازي عليه قبيلةً | فلا حافـراً أبقـى عليه ولا خفّا
يراه كميتٍ وهـو لهفـان والهٌ | لميتتـه يطـوي الظـلام ومـا أغفى
ولـو أنّـه قد كان حقّـق موته | لجـزّ عليه للأسـى الشعـر الوحفا[6]
ومـا أنـا ممّـن يظهـر الشجـو آمناً | وإنّ عظيمـات المصائـب لا تخفى
ولـولا وفـاءٌ فيه كنـت أقوده | إليك بلا منٍّ ولكنّـه استعفى
كراهيةً من أن يقـوم مقامه | حفاظاً وبعض الخيل يستعمـل الظّرفا
وأعفيتـه أنّ الـوزيـر معوّضٌ | ومـن ذا الـذي يرجـو نداه ولا يكفى
فعـوّل أبـا عيسـى عليه فإنّه | سيكفيك خطب الدهـر وهـو به أكفى

---

(١) القلب بضمّ القاف : سوار المرأة، والشنف : حلية تلبسها في أعلى الأذن .
(٢) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .
(٣) الأضفى : السابغ الكثير .
(٤) الرهو : المطر الساكن .
(٥) السجف : الستائر .
(٦) الوحف : الشعر الكثير الأسود .

ولـو لم يرد تعويضـه لك عاجلاً
لقـال له رفقـاً وقـال له وقفا

فإنّ صروف الدهـر تحـت يمينه
فإن شاءهـا بعثـاً وإن شاءهـا صرفا

هو البحر يغني النـاس من كلّ جانبٍ
فغرقـاً من البحـر الـذي زرتـه غرقا

هو الغيث يعطـي كلّ غادٍ ورائحٍ
عطـاءً جزيلاً لا بكيئـاً ولا نشفا[1]

كريمٌ إذا ما جاءه ابـن حظيّةٍ
ألان له عِطفـاً وأبـدى له عَطفا[2]

أقـام منـاراً للنـدى والهـدى معاً
فعـاد لنـا كهفـاً وصـار لنـا لطفا

تعـزّ أبـا عيسـى وإنْ أعـوز الأسى
وعـاودْ هُديت اللّهـو والـطيب والعرفا

وهـاك كأمثـال الـرياض سوابقاً
تسير قوافـي الشعـر من خلفهـا خلفا

ومن قصيدة أبي عيسى [من الطويل] :

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصدا
وأبـدت لي اللّـذاتُ من بعـده صدّا

وأهـدي إلـى قلبـي المصـاب بفقده
من الحـزن ما لو نال يذبـل لانهدّا[3]

وأصبحـت مشغـول المدامـع بالبكا
ولي مهجـةٌ تستشعـر الحـزن والوجدا

ولـو كان يغنينـي الفـداء فديته
بنفسـي وأهلـي فهـو أهـلٌ لأنْ يفدى

ولكنّـه لبّـى المنـون مبادراً
ويا ليتـه لمّـا دعـاه الـردى ردّا

مضى الطرف واستولى على الطرف دمعه
وألهب في الأحشـاء من حـرقٍ وقـدا

مضى الفرس السّباق في حلبـة الوغى
فعـادت عيون الخيل من بعـده رمدا

يبيد الـرياح كلّهـا في حضاره
فتتـركه كرهـاً وقـد بذلـت جهدا

مواقفـه عنـد الطـراد شهيـرةٌ
تجاوز في أعجازهـا الـوصف والحدّا

نسيم الصبـا يحـكيه في هزل سيره
وترهبـه ريح الشمـال إذا جدّا

---

(1) البكيء : القليل وكذلك النشف .
(2) العِطف : الجانب كناية عن التواضع .
(3) يذبل : إسم جبل .

فقد صار نهبي بين وحش ٍ وطائرٍ غدا سيّداً فيها وراح لها عبدا
تسلَّ أبا عيسى ولا تقرب الأسى وكنْ حازماً شهماً وكن بازلاً جلدا[1]
فقد كمد الاخوان من فرط حزنهمْ وقد شمت الحسّاد مذْ فقد الأصدا
وأصبح أبناء الشّجاعة حسَّراً فمن قارع ٍ سنّاً ومن لاطم ٍ خدّاً
وقد هاج لي حزنا عليه تحسّري فهيّمني وجداً وذكّرني نجدا
جوادٌ عزيزٌ أن يجود بمثله جوادٌ ومن يعدى عليه إذا استعدى
سوى الصاحب المأمول للجود والنّدى ومن كفّه من صيِّبٍ خضل ٍ أندى[2]
أتاح لنا الإحسان من كلّ جانب فحصّل منّا الشّكر والنّشر والحمدا
له همّةٌ فوق السماء مقيمةٌ تعلّم من يرجوه أن يطلب الرّفدا

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [من مخلع البسيط] :

كلُّ نعيم ٍ إلى نفادِ كلّ قريب ٍ إلى بعادِ
كلُّ هبوب ٍ إلى ركود كل نفاق ٍ إلى كسادِ
وكلُّ ملكٍ إلى زوال وكلُّ كون ٍ إلى فساد
وصادق ٍ من يقول فاسمع والسمع بابٌ إلى الفؤاد
قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزّرع من حصاد
لهفي على أصدأ جوادٍ من هبّة الصالح الجواد
منقطع المثل في البلاد وغرّة الطرف والتلاد
لهفي على أصدأ مسيح ٍ قد كان ماءً وأنت صادي
وكان ناراً وكلُّ نارٍ فمنتهاها إلى الرّماد

---

(١) البازل : الرجل المجرَّب الكامل التجربة .
(٢) الصيّب : السحاب ذو المطر .

كان من العين والفؤاد في العين من مركز السّواد
لو شرب الصافنات راحاً لكان ريحانة الجياد[1]
عهدي به شاهقاً منيفاً يمرُّ مرّاً إلى صعاد
أسرع من لحظةٍ وأحلى في العين من طارق الرّقاد
أجرأ من ضيغمٍ وأجرى من سيل ليلٍ بقعر وادي
سليل ريحٍ أخو شهابٍ طود جمالٍ هلال نادي
عدّة سارٍ عتاد غادٍ قعدةُ قارٍ عماد بادي[2]
أسْيَرُ ممّا يقال فيه والشعر جوّابة البلاد
كأنّما خلقه سدادٌ قد صبَّ في قالب السّداد[3]
كأنّه ساحرٌ عليم من راكب الطرف بالمراد
عينٌ أصابته لا رأت من تهوي لقاه إلى التّنادي
نفّذت يا دهر شرّ سهمٍ أتى على خيرٍ مستفاد
لو كان يغنى الدفاع عنه جعلت ترساً له فؤادي
فاصبرْ لحكم الإلّه وانقدْ للحقِّ يا فاقد الجواد
هوّن عليك الملمّ يا أبا عيسى وكنْ ثابت العماد[4]
أنت من الصاحب المرجّى ما عشت في نائلٍ معاد

* * *

ذكر الفيليات

لما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر

---

(١) الصافنات : الصافن من الخيل : الفرس القائم على ثلاث قوائم .
(٢) قعدة قارٍ : أي سكن فيها ولم يتحرك .
(٣) السداد : الاستقامة والرشاد .
(٤) الملمّ : المصاب .

خراسان ، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدي كرب [من مجزوء الكامل] :

أعـددت للحدثـان سـا بغـةً وعـدّاءً علندي[١]

فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك [من مجزوء الكامل] :

قسمـاً لقـد نشـر الحيا بمنـاكب العلميـن بـردا
وتنفّسـت يمـنيّـةٌ تستضحـك الزهـر المندّى
وجـريـحـة اللّبات تـنـشر من سقيط الدمـع عقدا
نازعتهـا حلـب الشئو ن وقلّمـا استعبـرت وجدا[٢]
ومسـاجـلٍ لـي قـد شققـت لدائـه فـي فيٍّ لحـدا
لا ترم بـي فأنـا الذي صيّرت حرّ الشّعـر عبـدا
بشـواردٍ شمس القيـا د يزدن عنـد القـرب بعدا
ومسّـك البـردين فـي شبـه النّقـا شيـةً وقدّا[٣]
فكـأنّمـا نسجـت عليـه يد الغمـام الجـون جلدا
وإذا لوتـك صفاتـه أعطـاك مسّ الـروع فقـدا
فـكأنّ معصـم غـادةٍ في ماضـغيه إذا تصـدّى
وكأنّ عوداً عاطـلاً في صفحتيـه إذا تبدّى
يحـدو قوائـم أربعـاً يتـركن بالتلعـات وهـدا[٤]
جـاب المطـرّف قد تفرّ د بالفـراهـة واستبـدّا[٥]

---

(١) السابغة : الدرع ، والعلندي : الغليظ من كلّ شيء وأراد به الفرس .
(٢) الشئون : مجاري الدمع .
(٣) النقا : الكثيب من الرمل ، وشيةً : اللون الذي يخالف سائر لون الشيء .
(٤) التلعات : ما ارتفع من الأرض ، والوهد : الأرض المنخفضة .
(٥) الفراهة : النشاط والخفّة .

وإذا تخلّل هضبةً فكأنّ ظلّ الليل مدّا
وإذا هوى فكأنّ ركناً من عمايةَ قد تردّى
وإذا استقلّ رأيت في أعطافه هزلاً وجدّا
متقرّطٌ أذناً تعي زجر العسوف إذا تعدّى
خرقاء لا يجد السّرا ر إذا تولّجها مردّا[1]
أوطأته مرعى نسيبي واجتنبت وصال سعدي
ملكٌ رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعدّا
كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطّي رمدا
تكسوه نشر العرف كفّ من جفون الطلّ أندى
لا زلت يا أمل العفا ة لفارط الآمال وردا
والق الليالي لابساً عيشاً برود الظلّ رغدا

ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري [من مجزوء الكامل] :

قل للوزير وقد تبدّى يستعرض الكرم المعدّا
أفنيت أسباب العلا حتى أبت أن تستجدّا
لو مسّ راحتك السحا ب لأمطرتْ كرماً ومجدا
لم ترض بالخيل التي شدّت إلى العلياء شدّا
وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جندا[2]
حتى دعوت إلى الغدى من لا يلام إذا تعدّى
متقصّياً تيه العلو ج وفطنةً أعيت معدّا[3]
فيلاً كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا

---

(١) خرقاء : الأرض الواسعة التي يشتدّ فيها هبوب الريح . والسرار : من الأرض : أوسطها .
(٢) صرائم الرأي : الحزم والقطع في الأمور .
(٣) العلوج : حمار الوحش القويّ السمين.

مثل الغمامة ملّئت أكنافها برقاً ورعدا
رأسٌ كقلّة شاهقٍ كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا ل مصعّرا للناس خدا[1]
يزهى بخرطوم كمثـ ـل الصولجان يردُّ ردّا
متمرّدٌ كالأفعوا ن تمدّه الرمضاء مدّا
أو كمٍّ راقصةٍ تشيـ ـر به إلى الندمان وجدا
وكأنّه بوقٌ تحرّ كه لتنفخ فيه جدّا
يسطو بساريتي لجيـ ـنٍ يحطمان الصخر هدّا
أذناه مروحتان أسـ ـندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّـ ـقتا لجمع الضوء عمدا
قاسوه باسطرلاب يجـ ـمع ثقبه ما لن يحدّا
تلقاه من بعدٍ فتحـ ـسبه غماماً قد تبدّى
متناً كبنيان الخور نق ما يلاقي الدهر كدّا
ردفاً كدكّة عنبرٍ متمايلِ الأوراك نهدا
ذنباً كمثل السوط يضـ ـرب حوله ساقاً وزندا
يخطو على أمثال أعـ ـمدة الخباء إذا تصدّى
أو مثل أميالٍ نضد ن من الصخور الصمّ نضدا
متورِّدٌ حوض المنيـ ـة حيث لا يشتاق وردا
متلفّعاً بالكبريا ء كأنّه ملكٌ مفدّى
أدنى إلى الشيء البعيـ ـد يراد من وهمٍ وأهدى
أذكى من الإنسان حـ ـتّى لو رأى خللاً لسدّا
لو أنّه ذو لهجةٍ وفّى كتاب الله سردا

---

(١) مصعراً: تائهاً متكبراً.

قلْ للوزير عبدت حتى قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا سن عنده قرناً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجو م جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السما ء لأنبتَتْ زهراً وورداً

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من مجزوء الكامل] :

حازوا سعود ديار سعدى ورعوا جناب العيش رغدا
وقضوا مآرب للصبا مذْ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلاً بالدّمى أضحى محلاً مستجدّا
عطفتْ عليَّ ظباؤه ما شئت سالفةً وقدّا
وشفيت حرّ الوجد من بردٍ سقى الأكباد بردا
عجباً أشيم لثغرها برقاً ولست أحسّ رعدا
وغدوت أجني من غصو ن البان تفّاحاً وورداً
وبنفسيَ القمر الذي لمعاً تصدّى ثم صدّا
يا هذه أهدي الوصا ل تكرُّماً إنْ كان يهدى
وتذكّري عهد الصبا في بيت عاتكة المفدّى[1]
لا تنكري شيباً ألمّ بفوده وفداً فوفدا
وتعلّمي أنّ الشّبا ب وإن وفى قرضٌ يؤدّى
وإذا أعير فإنّه لا بدّ من أنْ يستردّا
كم ليلةٍ ساورتها وقضيتها حسناً وجدّا
وأرى النجوم لآلئاً في الجوّ تجلو اللازوردا
حتى تحوّل أدهم الـ ـظلماء في الأفقين وردا

---

(١) العاتكة : المرأة المحمَّرة من الطيب .

وبــدا الصبــاح يحــلُّ من جيب الدجـى ما كان شُدّا
وقــريــت همّي أعنسـاً تذر الربــى بالوخـد وهـدا[1]
فــوردن أفنيــة العـلا معمــورةً فحمـدن وردا
حيـث الفضــائل والفوا ضل فتــن إحصـاءً وعدّا
حيــث الــوغـى مشبوبـةً نيرانهــا وهجـاً ووقـدا
ومهــابـةً كـادت لهـا صـمُّ الجبـال تخـرُّ هـدّا
أفيالـه يقــدحــن فــي ظلـم الوغـى زنـداً فزندا
تســري كسُحــم سحائب بجانــبٍ تُزجـى وتحدى[2]
ولبســن دكن ملابسٍ غبــراً معــاطفهــن ربدا[3]
ورمقــن عــن أجفــان مضــمــرةٍ على الأعـداء حقـدا
وفــغــرن أفــواهــاً كــأفــــــــواه الــمــزاد تــروغ دردا[4]
وكشــرن عــن أنيابها مثــل الحــراب شبــاً وحدّا[5]
مــن كلّ جهــمٍ خلته يوم الوغـى غولاً تصدّى
كبنيّـةٍ مــن عنبرٍ دعمت سواري السّاج نضدا[6]
وعليــه طارونيــةٌ يزهــى بهــا حرّاً وبردا
لـولا انقـلاب لسانـه لرأيتـه خصـمـاً ألـدّا
مــتــولّــيــاً أمـراً ونــهــــــيــاً مــالكــاً حــلاً وعقــدا
وكأنّمــا خرطومــه راووق خمــرٍ مدَّ مدّا

---

(١) الأعنُسْ : النوق الصلبة القوية، والوخد : ضربٌ من السير .
(٢) السحم : السواد ، والجنائب : النوق .
(٣) الدكن : جمع الأدكن ، وهو المائل إلى السواد ، والربد : جمع أربد ، وهو الذي لونه إلى الغبرة .
(٤) فغرفاه : فتحه، وتروغ : تطلب، والدرد : جمع أدرد ، وهو الذاهب الأسنان .
(٥) شباً : حداً ، وشبا السيف : المكان القاطع فيه .
(٦) السّاج : شجرٌ عظيم طويل عريض صلب الخشب أسوده .

أو مثل كمٍّ مسبلٍ أرختــه للتــوديع سعــدى
وإذا التــوى فكأنّــه الثعبــان مــن جبــلٍ تــردّى
وكأنّمــا انقلبــت عصــا موســى غداة بهــا تحدّى
متعــطّفــاً كالصــولجا ن بساحــة الميــدان يحــدى
يُكســى الحــداد وتــارةً يكســى نسيج الــدرع سردا
وكأنّمــا هــو خاضــبٌ بالإثمــد الجــاريّ جلــدا[1]
لــونٌ حكــى إظلامــه لــون المشبــه ليس يهدى
مــســتــيــقــظٌ أبــداً ويــكــــبــر أن يعيــر العيــن رقــدا
كــفــلٌ تــمــوج كــالــكــثــيــب تهيله صــوبــاً وصعــدا[2]
قــد ساد كلّ بهيمة كيســاً ومعــرفــةً وجــدّا
فكأنّــه يــوم الوغــى يكســى من الخيلاء بردا
وإذا انثنــى من حربه يسعــى فيرقــص دستبنــدا[3]
أردى بــمــن عــادى الــوزبــــر وعمّهم حصــراً وحصــدا
مــن عزمــه كالعضــب قــدّ وعلمــه كالبحــر مــدّا[4]
مستــوحــشٌ بالسلــم لــم تألف ظبــاه قطّ غمدا[5]
كالغيث يهطــل سائحا والليــث يبــرز مستبــدّا
وزر الملــوك ونابهــا الــ أعلــى وساعــدهــا الأشــدّا
أيٌّ اســم فخــرٍ لــم يحز ه؟ وأيّ مجــدٍ لم يعدّا؟

---

(١) الخضاب : الصباغ ، والإثمد : الكحل.

(٢) صوبا وصعدا : انخفاضاً وعلوّاً .

(٣) دستبندا : فارسية الأصل .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) الظُبى : الحدّ من السيف والسهم والسنان .

أم أيُّ ثغر لم يفتـ ـه ولـم يشـده ولـم يسدّا ؟
كـافي الـكفـاة المرتجـى والسيّـد الهـادي المفـدّى
مـا الحـرّ إلاّ من غدا للصاحـب المـأمول عبدا
ولئـن أجدت مديحه فلطـالما أغنـى وأجدى
وقـربـت مـنـه فـالـتـفـت إلى الـزمان وقلت بعـدا
واعتضـت غيـر مخيب من مستمـرّ النحس سعدا
وكفيت ثمداً ناضباً وسقيت ماء العيش رغدا[1]
ومنحـت إنصافـاً بعو ن الله مـن دهـرٍ تعدّى
خذهـا إليـك شواهـداً في الـسن الـراوين شهدا
هـذّبتهـا وجـلوتهـا في الحسـن خاتمـةً ومبدا
قـد كان يكدي خاطري لكنْ بمدحـك قد أمدّا[2]
أعـددت للحدثـان جو دك دون عدّاء علندى[3]
وعلِمـت أنّـك واحـدٌ في العـالمين خلقت فردا
تـذر الـوعيـد نسيئـة كرمـاً وتحبـو الوعـد نقدا[4]
ويـفـوح خلقـك عن عبيـرٍ حـولـه زهـر مـنـدّى
أنـا غـرسـك الـزاكي بكفّـك مـثـمـراً أدبـاً وودّا
فسـأمـلأ الـدّنيـا بمـا استمليـت مـن جدواك حمـدا
هـي طاعتـي حتـى أرى متبوّئـاً في التـرب لحدا
تفـديك نفسـي من عوا دي كلّ مكروهٍ ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث ، وإذا وجدت من

---

(١) الثمد : الماء القليل .

(٢) يكدي : يقصرَ ويمنع .

(٣) للحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ، والعلندي : الغليظ من الأفراس .

(٤) النسيئة : التأخير في دفع الثمن .

أخواتها ما يصلح للإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

* * *

خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [من مجزوء الرمل] :

أحمد اللهَ لبشرى أقبلتْ عند العشي
إذ حباني الله سبطاً هو سبطٌ للنبي
مرحباً ثمّة أهلاً بغلامٍ هاشمي
نبويٌّ علويٌّ حسنيٌّ صاحبيّ

ثم قال [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبدا إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [من البسيط] :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقد تفرّع في أرض الوزارة عن دوح الرسالة غصنٌ مورقٌ رشدا
لله آية شمسٍ للعلا ولدت نجماً وغابةُ عزٍّ أطلعت أسدا
وعنصرٌ من رسول الله واشجةٌ كريم عنصر إسماعيل فاتحدا[1]
وبضعةٌ من أمير المؤمنين زكت أصلاً وفرعاً وصحّت لحمةً وسدى
ومثل هذي السعادات القويّة لا يحوزها غيره دامت له أبدا

---

(١) واشجة : متشابكة ومتصلة .

يا دهـره حقّ أن تزهـى بمولده | فمثلـه منـذ كان الدّهـر ما ولدا
تعجّبـوا من هلال العيد يطلـع في | شعبـان ، أمـرٌ عجيب قطّ ما عهدا
فمـن موالٍ يوالـي الحمـد مبتهلاً | ومخلصٍ يستـديم الشـكر مجتهدا
وكادت الغـادة الهيفـاء من طربٍ | تعطي مبشّرهـا الإرهـاف والغيدا(1)
فلا رعـى الله نفسـاً لم تسـرّ به | ولا وقاهـا وغشّاهـا رداء ردى
وذي ضغائـن طارت روحـه شفقاً | منـه وطاحـت شظـايا نفسـه قددا(2)
علمـاً بأنّ الحسـام الصاحبـي غدا | مجـرّداً والشهـاب الفاطمـي بدا
وأنـه آنسـد شعـبٌ كان منصدعاً | به وأمـرع شعـبٌ كان محتصدا
فأرفـعُ المجـد أعيانـاً وأسمقُهُ | مجـدٌ يناسـب فيه الوالـد الولدا(3)
فليهنـأ الصاحب المولـود ولتـرد الـــــــسعود تجلو عليه الفـارس النجـدا
لم يتخـذ ولـداً إلاّ مبالغةً | في صدق توحيد من لم يتخـذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه !

ومنها :

وخـذ إليك عروسـاً بنـت ليلتها | من خادمٍ مخلصٍ ودّاً ومعتقدا
أهديتهـا عفـو طبعـي وانتحيت بها | سحـراً وإنْ كنـت لم أنفـثْ له عقدا
وازنـت ما قلتـه شكراً لربّـك إذ | جاء المبشّـر بيتـاً سار واطّردا
الحمـد لله شكراً دائمـاً أبداً | إذ صار سبـط رسـول الله لي ولدا

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنئة قصيدته التي منها [من البسيط] :

كافـي الكفـاة بقصـدٍ من صرائمه | حامـي الحمـاة بحصـدٍ من مناصلهِ(4)

---

(١) الإرهاف : الرِّقة والبداهة .
(٢) قدداً : قطعا .
(٣) أسمقه : أعلاه .
(٤) الصرائم : العزائم ، والمفاصل : السيوف والرماح وغيرها .

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً قربى توطّد من عليا وسائله
وكان بعد رسول الله كافله فصار جدّ بنيه بعد كافله
هلّم للخبر المأثور مسنده في الطالقان فقرّت عين ناقلِهِ
فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان ، ورزق سبطاً فاطمياً ، تأوّلوا له هذا الخبر ، وأنا بريء من عهدته .

الصاحبيّ نجاراً في مطالعه والطالبيُّ غراراً في مقاتله
يهني الوزير ظباً في وجه صارمه من صارمٍ وشباً في حدّ عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [من الوافر] :

كساك الصوم أعمارُ الليالي وأعقبك الغنيمة في المآب
فلا زالت سعودك في خلودٍ تبارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب بردتيه على ميثاء حالية التّراب[1]
ببدرٍ من بني الزهراء سارٍ تعرّى عنه جلباب السّحاب
تفرَّع في النبوة ثمَّ ألقى بضبعيه إلى خير الصحاب[2]
تلاقتْ لابن عبادٍ فروع الـ ـنّبوة والوزارة في نصاب
فلا تغررْ برقدته الليالي ولا تشحذْ له الهمم النوابي
فمن خضعت له الأسد الضواري ترفّع عن مراوغة الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عباداً أنشد وقال [من البسيط] :

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسنِ يا ربّ حِطْني في عبّادٍ الحسني

---

(١) الميثاء : الأرض السهلة ، وتجمع على ميَث كهَيف .

(٢) تفرّع : أي هو فرعٌ منها ، وضبعيه : إبطيه وعضديه .

ولما فطم قال [من الطويل] :

فطمت أبا عبّاد يا ابن الفواطم فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه لما فطموه عن رضاع المكارم

ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة منها [من البسيط] :

المجد ما حرست أولاه أخراه والفخر ما التفّ أقصاه بأدناهُ
والسعي أجلبه للحمد أصعبُه والذِّكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجوِّ أنضره والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجزتِ الآمال ما وعدتْ وأدرك المجد أقصى ما تمنّاهُ
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً وأقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها وأرضيَ الملك والإسلام واللهُ
والملك شدّت عراه بالنبوة فار تزّت دعائمه واشتدّ ركناه[1]
وصار يعزى بنو ساسان في مضرٍ صنعاً من الله أسداه فأسناه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى من خاله ملك الدنيا شهنشاه[2]
سبطان سدّى رسول الله سلكهما فألحم الله ما قد كان سداه[3]
أولاد أحمدَ ريحان الزمان ومو لانا الوزير من الريحان ريّاه
أولاد أحمد منه لا يميّزهمْ عنه ولاءٌ ولا مالٌ ولا جاه
متى ابتنى واحدٌ منهم بواحدةٍ فإنّما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به الصاحب في هذا المكان ، فاقتصرت على ما سيمر منها عند ذكر شعرائه ، وسياقة البدائع من

---

(١) ارتز : ثبت .

(٢) شهنشاه : لقب فارسي معناه ملك الملوك وروي عن سفيان الثوري تحريمه .

(٣) سدّى : أصلح وقوّم .

محاسنهم ، والوسائط من قلائدهم ، بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيئته وإرادته .

* * *

وهذه غرر من فقر ألفاظ
الصاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه « ملح الخواطر ، وسبح الجواهر » ، وبين ما أخرجته أنا ساكلاً سبيله ، ومحتذياً تمثيله .

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب * من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه ألسنة المطالب * من كفر النعمة ، استوجب النقمة * من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام * من غرّته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة .

* من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال * الصدر يطفح بما جمعه ، وكل إناء مؤد ما أودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، * الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر * إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب * الضمائر الصحاح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن في إبانه كما أن الثمر يستطاب في أوانه * الآمال ممدودة ، والعواري مردودة[1] * الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة * متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية ألين ، ونابها أخشن * عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب * بعض الحلم

---

(١) العواري : الأمانات والقروض .

مذلّة ، وبعض الاستقامة مزلّة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف[1] * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لا تبطي ، وقيافة الشر لا تخطي[2] * قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم النابح الحجر * كم متورط في عثار ، رجاء أن يدرك بثار * بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام * ربما كان الإقرار بالقصور ، أنطق من لسان الشكور * ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح في الإبانة والدلالة * لكلّ امرىء أمل ، ولكل وقت عمل * إن نفع القول الجميل ، وإلا نفع السيف الصقيل * شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر * لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ ، والأحداث ، والنسور والبغاث[3] * كفران النعم ، عنوان النقم * جحد الصنائع ، داعية القوارع * تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف ويستقيم المائد ، ويستيقظ الهاجد * للصدر نفثة إذا أحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج * ما كل امرىء يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياد * قد يصلى البريء بالسقيم ، ويؤخذ البرّ بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه[4] * إن الأحداث لا رياضة لهم بتدبير الحوادث * إن السنين تغير السِّنن[5] * من ثقلت عليه النعمة، خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه[6] * أطع سلطان النهي ، دون شيطان الهوى .

* * *

(١) الإخلاف : عدم الوفاء .
(٢) القيافة : تتبُّع الأثر .
(٣) البغاث : طائر أغبر طويل العنق بطيء الطيران .
(٤) شائم : مترقّب ومتطلّع وناظر .
(٥) السِّنن : الأعراف والتقاليد .
(٦) الغرّة : الجهل .

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك * وجدت حرّاً يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب * أنوب فيه نيابة الوكيل المكتري ، بل المَملـوك المشتري * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة . ومع قليل البعد ، كثير الوجد * عليّ أن أقول ، وما عليّ القبول * لا أعتـرض بين الشـمس والقمـر ، والروض والمطر * أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق ، وقد قصدت أن أقضي بالحق * مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير * زائر وجهـه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم * بستان رق نزره النظير ، وراق ورقه النضير * فلان بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من عطفات الأصداغ ، وبلاغة كالأمـل آذن بالبـلاغ * فقـر كمـا جيدت الـرياض ، وفصول كما تغازلت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعـان كمـا تنفست الأسحار * نثر كنثر الـورد ، ونظـم كنظـم العقـد * كتابـك رقية القلـب السليم ، وغرة العيش البهيم * كلام يدخل على الأذن ، بلا إذن * فلان كريم ملء لباسه موفق مدّ أنفاسه ، ذو جدّ كعلو الجَدّ ، وهز كحديقة الورد ، عشرته ألطف من نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحـب * شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشـان الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغـل[1] * وعـده برق خلـب ، وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

* * *

(١) النغل : الفاسد : والدغل : الحاقد .

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه ، أو قطع الموت نياطه[1] . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب[2] بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر[3] ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعز السائل ، والأقرح النادر .

* * *

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري ، وما أدراك ما الغضائري . استزاد إلى الجمال جمالاً ، وعاد بدراً وكان هلالاً ، فإن شئت فالغصن ميالاً ، وإن شئت فالدعص منهالا [من الطويل] :

كأنّ جميع الناس يلقون وجههُ ... بناظرك المفتون ، والحبُّ شامل
رويدك إن أحببت فالغصن مائلٌ ... وإنْ تصْبُ بعد الدعص فالدعص هائلُ[4]

وهو يهدي إليك سلاماً كرقة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعك من بعده [من الطويل] :

---

(١) نياطه : عروقه .

(٢) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبيّ ﷺ ، والمرجوب : المهاب والمعظّم .

(٣) الأعجر : الممتلىء .

(٤) الدّعص : الكثيب من الرمل .

سلاماً كما رقّ النسيم على الصّبا وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك في مزح المازح [من الطويل] :

ألا ربّ ذي مزحٍ يحرّك حبلَهُ وحبل التُّقى من قلبه محصدٌ شزر[1]

* فصل ـ وما الشأن إلا في أنك تنتقل في الهوى تنقّل الأفياء ، وتتميّل في الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائري ، حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمى[2] فقمت تفتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع أن تضم ضدّا إلى ضد ، وتجمع سيفين في غمد . وهيهات ! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمّر ، وغار وتنكّر ، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك [من الكامل] :

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر ، وأمّا نحن فننشد لكثيِّر [من الطويل] :

إذا ما أرادت خلّةٌ أن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبيّة أوَّلُ

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويعدينا وإياك على البعاد .

* * *

---

(۱) الشزر : المفتّل ، أو على غير استواء .

(۲) القمي : الموافقة .

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني[1] يعجبني نوؤه الفاختي[2]، وإذ قد غابت شمس السماء عنا. فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا. فإن نشطت للحضور، شاركتنا في السرور. وإلا فلا إكراه ولا إجبار، ولك متى شئت الاختيار.

* * *

وفي مثلها

غداً يا سيدي ينحسر الصيام، وتطيب المدام. فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة[3]، وننشر أعلام السرور خافقة، فبالفتوة فإنها قسم للظراف، يفرض حسن الإسعاف، لما بادرتها ولو على جناح الرياح، إن شاء الله تعالى.

أخرى - نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلاّ عنك، شاكر إلاّ منك. قد تفتحت فيه عيون النرجس، وتوردت فيه خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأترج[4]، وفتقت فارات النارنج[5]، وأنطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، وهبت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندماء، وامتدت سماء الند، فبحياتي لما حضرت، لنحصل بك في جنة الخلد، وتتصل الواسطة بالعقد.

في مثلها - نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت، ونوره در، ونارنجه

---

(١) الطاروني: ضرب من الخز ونسبة اليوم إليه من باب المجاز، كأنما كان لباسهم شتاء.

(٢) والفاختي: نسبة إلى الفاختة، وهي طائر أسود.

(٣) النافق: الرائج، الذي يرغب فيه الناس.

(٤) مجامر الأترج: الأترج شجرٌ من جنس الليمون تسميه العامة «الكباد» والمجامر حيث يوضع البخور أو الطيب ليحرق.

(٥) فارات النارنج: ظروفها الموضوعة فيها.

ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيّبت واسطته ، وشباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

في مثلها ـ مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك، معول في إغنائه عليك، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذناك ، فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لإبطائك ، وعيون نرجسه فقد حذفت تأميلاً للقائك ، فبحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من همي ما طار .

في مثلها ـ صرنا أيّد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه سرق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهاراً كأنّها من يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً نجمنا ، وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب البرء في السقم ، والنار في الفحم . رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعا ، ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع ، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعته ، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله تعالى .

فصل ـ أنا على طرف بستان أذكرني ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله السابح بطبعك، وزهره الجنيّ بقربك .

* * *

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودّي

لك ، ورقة قولي في عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها وضعفت فبقي ذماؤها[1] ، وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها أبرادها ، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت ، أو ثدي أبكار خلقت ، وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت عن كثير مما له تشوفت[2] .

ومن رقعة ـ مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان .

* * *

رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ، وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلاّ إلحاحاً عليّ وإتراعاً إلي[3] ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من أن يعقد على خنصر الثقيل ، فلما بلغت الحد ، الذي يوجب الحد[4] بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبّه ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأرطال ، تدع الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذري ، فيما جناه سكري ، ويهب جرمي

---

(١) الذماء : بقية النفس والقلب .
(٢) تشوّفت : تطلعت ورغبت .
(٣) أتراعاً : إغداقاً .
(٤) الحدّ الأولى : المقدار ، والحدّ الثانية : إقامة وتطبيق الشريعة .

لمعرفته نيتي في صحوي ، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني ، فعل إن شاء الله تعالى .

* * *

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه أول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك ، ولتمايله آدكار بقدود الأحباب ، وتهييج لسواكن الأطراب ، وحمل إلى قضيب منه ورداته متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك ، وقلت [من الخفيف] :

وقضيبٍ من الخـلاف بديعٍ   مستخصٌ بأحسـن الترصيع
قـد نعـى شدّة الشتـاء علينا   وسعـى في جلاء وجـه الربيع
وحـكى من أحـبّ عرفـاً وظرفاً   واهتـزازاً يثير ماء ضلوعي
رقّـةً مـا نـظمت نحـو بـديع الــمجد حاكى الربيع حسن صنيعي

في إهـداء أترجـة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني ، وقد منيت ببعدك ، وبليت بصدّك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه ، فأنفذتها وقلت [من السريع] :

مـولاي قد جاءتـك أترجةً   من بعض أخلاقـك مخلوقه

ألبسـها صانعهـا حلّةً مـن سرق أصفـر مسروقه[1]

فـي إهـداء أقـلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله ، وتتحمل نفحات فواضله ، وتأنّقت في بريها فأتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منهـا مصـرية مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأياديه ، وأيام مؤمليه ، والله يديم له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

تهنئـة ببنـت

أهـلاً وسهـلاً بعقيلـة النسـاء ، وأم الأبنـاء ، وجالبـة الأصهـار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون [من الوافر] :

فلـو كان النّسـاء كمثـل هذي ... لفضِّلـت النّسـاء علـى الرجال[2]
وما التـأنيث لاسـم الشـمس عيبٌ ... ولا التـذكير فخـرٌ للهلال

فـادّرع يا سيدي اغتباطـاً ، واستـأنف نشاطـاً ، فالـدنيا مؤنثـة والرجـال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبـدان ، ومـلاك الحيوان . والحياة مؤنثـة ولولاهـا لم تتصـرف الأجسام ، ولا عرف الأنـام . والجنـة مؤنثـة وبهـا وعـد المتقـون ، ولهـا بعـث المرسلون . فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ، وما بقي الأمد ، وكما عمّر لبد[3] .

(١) السرق : هو الحرير .
(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبي في رثـاء ، شقيقة سيف الدولة الحمداني .
(٣) لبد : أي النسر .

رقعــة مداعبــة

خبر سيدي عندي وإن كتمه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه * وكان ما كان مما لست أذكره *[1] وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاي امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال في الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغني عنه إلا الإقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة[2]. كما ساعده مره ، فنصلي للقبلة التي صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادىء الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها ، وكلا فإنها شوهاء . ورهاء خرقاء خلقاء[3] ، كأنّما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربها فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجرها قوّة المنّة . وكأنما فقدها ريح الجنة .

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(٢) أبو مرّة : من كنى إبليس اللعين .

(٣) الورهاء : الكثيرة الشحم ، والخلقاء : البالية الرثّة ، والخرقاء : الحمقاء .

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا[1] وبالتخاييل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدروا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا . وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغتذون إلا القرطم[2] ، والحظ كتابي دفعة ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو علي كاتب بكر ، فما ألح عليها وألحف كتبت إليه [من مجزوء الرجز] :

أيرك أيرٌ ما له عند حرّي هذا فرج[3]
فاصرفه عن باب حرّي وآدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب الهذلية، وليلى الأخيلية[4] .

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها ، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها ، وهي :

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إذا مد الصباح غرره ، قبل أن يسبغ حجوله . ولولا ذاك

---

(١) الماليخوليا : أحد الأمراض العصبية .
(٢) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر .
(٣) الحرّ : بضع المرأة .
(٤) كعوب الهذلية وليلى الأخيلية : من النساء الشاعرات .

لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقتصر منه على زاد المسافر . فإن المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي ، وهو أبو عبد الله الحامدي أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشبيبي السعيد ، رفع الله منازله . وقتل قاتله، يكتب له فآنسنا بفضله ، وأنسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع إليَّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره[1] . وكنت على جناح النهضة التي لم يستقر نواها ، ولم تبن حصباها ، ولم تلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وتترصد له عملاً خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إلي بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي أفردني بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

* * *

رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدَّثت الركاب بسير أروى   إلى بلدٍ حططتُ به خيامي[2]

---

(١) الذّمار : ما يحمى ويدافع عنه كالشرف والحرم والملك .

(٢) البيتان من الوافر .

فكدتُ أطير من شوقي إليها بقادمةٍ كقادمة الحمام[١]

أفحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأماني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحباً أيها القاضي براحلتك ورحلك . بل أهلاً بك وبكافة أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريّاك ، فحثَّ المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بلقياك ، ونص على يوم الوصول لنجعله عيداً مشرفاً . ونتخذه موسماً ومعرفاً . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر .

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها فأدّتك نحوي يا زياد بن عامر[٢]
أصائل قربٍ أرتجي أن أنالها بلقياك قد زحزحن حرُّ الهواجرِ

رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرُّ أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع[٣] ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً . فتحفة الشيخ إذ أهدي ما لا تشاكله النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله . ومعجز رسول الله ﷺ ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه . فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان[٤] ، لائحٌ سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن ، لا تحصى في ألف قران ، فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ،

---

(١) القادمة : ريش مقدّمة الجناح جمعها القوادم .
(٢) البيتان من الطويل .
(٣) أبواع : جمع باع أي الذراع أو عظم يلي إبهام الرِّجل .
(٤) الملوان : من الملأ ، وهما الجن والإنس .

بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره[1] ، وحقاً أقول إني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد أهديته علقاً نفيساً وما يهدي النّفيس سوى النّفيسِ[2]

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها ، واستجابة أدواتها لها متى نادتها . وركوب الناس أشباحها والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة ، حبب إليهم الغرر[3] ، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال . لا الزلال ، والسحر الحرام ، لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة

---

(١) هذه الفقرة من قولهم في مثل « إن الجواد عينه فراره » .

(٢) البيت من الوافر ، والعلق : النفيس الثمين .

(٣) الغَرر : الخطر والمهالك .

صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلالاً يفضل عن التبرض[1] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[2] .

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنَّك الـ ـجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّك البحر[3]

* * *

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها[4] .

* * *

هذا ما اخترته من ملح شعره
في الغزل ، وما يتعلق به

قال [من الوافر] :

تسحّبْ ما أردت على الصباح فهمْ ليلٌ وأنت أخو الصباح[5]
لقد أولاك ربُّك كلَّ حسنٍ وقد ولّاك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شرابٌ فأنعمْ من رضابك لي براح
وليس لديَّ نقلٌ فارتهنّي بنقلٍ من ثناياك الوضاح[6]

وقال [من الخفيف] :

لا ترجو إصلاح قلبي بلومٍ حلف الجفن لا استقلَّ بنومٍ

---

(١) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : التبلّغ بالقليل .
(٢) الترشف : من رشف الماء أي شربه .
(٣) البيت من الطويل .
(٤) السيح : المطر .
(٥) تسحّب : أي تفاخر زهواً .
(٦) النقل : ما يؤكل من فاكهة وفستق وغيره مع الشراب .

وهـواه لئـن تأخـر عنّي طول يومـي إنّـي سيحضـر يومي

وقال [من الوافر] :

علـيٌّ كالغـزال وكالغزاله رأيت به هلالاً في غلاله[1]
كأنّ بياض غرّتـه رشادٌ كأنّ سواد طرّتـه ضلاله
كأنّ الله أرسـلـه نبياً وصيّر حسنـه أقـوى دلالـه
إذا ما زدت وصـلاً زدت خبلاً كأن حبـال وصـلك لي خباله[2]

وقال [من البسيط] :

هذا علـيٌّ علـيٌّ في محاسنه كأنّمـا وصفـه أن يبلـغ الأملا
وكم أقـول وقـد أبصـرت طلعته هذا الـذي في طراز الله قد عملا

وقال [من السريع] :

وشـادنٍ أصبـح فوق الصّفه قد ظلـم الصّـبّ ومـا أنصفه
كم قلـت إذ قبّـل كفّـي وقد تيّمنـي : يا ليت كفّـي شفه

وقال في معناه [من السريع] :

أبـا شجـاعٍ يا شجـاع الورى ومـن غدا فـي حسنـه قبله
قبّـل فمـي إنْ كنـت لي مؤثراً فاليدُ لا تعـرف القبلة[3]

وقال في معناه [من مجزوء الرجز] :

وشـادنٍ جمالـه تقصـر عنـه صفتي

---

(١) الغلالة : الثوب الرقيق .
(٢) الخبل : الفساد والعناء .
(٣) كذا ، ولعلّه : « فاليدّ ليست تعرف القبلة » ليستقيم الوزن .

أهوى لتقبيل يدي فقلت : لا ، بل شفتي[1]

وقال [من السريع] :

قلْ لأبي القاسم إنْ جئته هنِّيت ما أعطيتَ هنِّيتَهُ
كلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ أنت برغم البدر أوتيتَهُ

وقال [من مخلع البسيط] :

قل لأبي القاسم الحسيني يا نار قلبي ونور عيني
البدر زين السماء حسناً وأنت زينٌ لكلٍّ زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [من الكامل] :

ومهفهفٍ يغني عن القمر قَمَرَ الفؤاد بفاتن النظر[2]
خالسته تفّاح وجنته من غير إبقاءٍ ولا حذر
فأخافني قومٌ فقلت لهمْ لا قطع في ثمرٍ ولا كثر[3]

وقال في مثله [من مجزوء الرمل] :

قال لي إنّ رقيبي سيِّءُ الخلق فدارِهْ
قلت دعني وجهك الجنّة حُفَّت بالمكاره

وقال في مثله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقبلةً إلينا
وقد سحّت غزالتها بهطلٍ حوالينا الصّدود ولا علينا

---

(١) أهوى : انحنى .
(٢) قمر الفؤاد : أسره .
(٣) الكثر : المال ، وجمّارُ النخل أو طلعها .

وقال [من المنسرح] :

الحــبُّ سكرٌ خمــاره التلف يحســـن فيه الذبــول والدنف[1]
عابــوه إذ لجَّ في تصلُّفِهِ والحســـن ثوبٌ طرازه الصَّلف[2]

وقال [من السريع] :

وشــادنٍ يكثــر من قول لا أوقــع قلبــي في ضروب البلا
قلــت وقـد تيّمنــي طرفه هذا هــو السحــر وإلاّ فلا

وقال رحمه الله [من مجزوء الرجز] :

وشــادنٍ ذي غنجٍ طـاوي الحشـى معتدلِ[3]
أنــشــدته شعـراً بـديـــعــاً حسنـاً مـن عمـلي
فقـال فيمـنْ ولمـنْ فقلــت هذا فيك لي
فــطـار فــي وجنته شعـاع نـار الخجـل

وقال [من الكامل] :

قد قلــت لمــا مرّ يخطــر ماشياً والنــاس بين معــوّذٍ أو عاشق[4]
لم يكفِ ما صنعــت شقائــق خدّه حتــى تلبّس حـلَّــةً بشقائق

وقال [من المتقارب] :

دعتنــي عينــاك نحــو الصِّبا دعــاءً يكرِّر في كلٍّ ساعه
ولــولا تقــادم عهــد الصِّبا لقلــت لعينيك سمعــاً وطاعه

---

(١) الخمار : أثر السكر ومفعوله ، والدنف : المرض والهلاك .
(٢) الصّلف : التكبّر .
(٣) طاوي الحشى : أي ضامر الخصر .
(٤) يخطر : يمشي بزهوٍ ودلال ومعوّذٍ : أي يقول أعوذ بالله .

وقال [من الرجز] :

شتمتُ من تيمّني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجتهْ[1]
فقال لمّا وقع البزاز في الـ ـشوب علمنا أنّه من حاجتهْ[2]

وقال [من المنسرح] :

أتانيَ البدر باكياً خجلاً فقلت ماذا دهاك يا قمرُ
قال غزالٌ أتى ليعزلني بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلتُ قبِّلْ ترابه عجلاً واسجدْ له قال كلٌّ ذا غرر[3]
قد بايعت أنجم السماء له فليس لي مفزعٌ ولا وزرُ

وقال [من الرجز] :

يا قمراً عارضني على وجلْ وصاله يشبه تأخير الأجلْ
وقال : تبغي قبلةً على عجل ؟ قلت : أجلْ ، ثم أجلْ ، ثم أجلْ

وقال [من الرجز] :

وشادنٍ في الحسن كالطاووس أخلاقه كليلة العروسِ
قد نال باللحظ من النفوس ما لم تنله الروم من طرسوس

وقال [من الرجز] :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالاً لجّ في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه من عاشقٍ أحسن من معشوقه

سمعت أبا بكر الخوارزمي ، يقول : أنشدني الصاحب هذه القوافي ليلة ،

---

(١) اللجاجة : الإلحاف .
(٢) البزاز : النزاع .
(٣) غرر : جهل .

وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول البحتري [من المتقارب] :

ومن عجب الدّهر أنّ الأمير أصبح أكتبُ من كاتبه

فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [من المتقارب] :

عزمت على الفصد يا سيدي لفضل دمٍ كظّني مؤلمِ[1]
فلمّا تأخّرت عن مجلسي أرقت لغير افتصادٍ دمي

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ شكل المجونْ أضنى فؤادي بالفتون
فنسيمه ملء الأنو ف ، وحسنه ملء العيون

وقال [من المتقارب] :

فمن كان يقطف ورد الجنان فقطفيَ مذْ كنتُ ورد الخدود
وهمِّي مذ كنت درّ الثغور إذا اهتمّ غيري بدرِّ العقود

وقال [من الرجز] :

كنّا وأسباب الهوى متّفقه نبتاً من الورد معاً في ورقهْ
فالآن إذ أسبابه مفترقه قد صارت الأرض علينا حلقهْ

وقال [من السريع] :

يا خاطراً يخطر في تيهِهِ ذكرك موقوفٌ على خاطري
إنْ لم تكنْ آثرُ من ناظري عندي فلا متّعت بالنّاظر

---

(١) الفصد : إخراج الدم بالحجامة ، وكظّ : ضاق بالشيء من كثرته أو أثقله واشتد عليه .

وقال [من الطويل] :

تأخّرت عنّي والغرام غريم | وما ملّ قربُ الأكرمين كريمُ
وأوهمتني سقماً وأنت مصحّحٌ | بلى لك عهدٌ كيف شئت سقيم
ولو شئت لم تخلط وصالاً بهجرةٍ | كما شيب بالماء الزلال حميم[1]
ففي الدّهر كافٍ أن يفرّق إنّه | وصيٌّ ظلومٌ والكريم يتيم

وقال ، ويروي لغيره [من الكامل] :

رشأٌ غدا وجدي عليه كرِدفه | وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكأنّ يوم وصاله من وجهه | وكأنّ ليلة هجره من شعره
إنْ ذقت خمراً خلتها من ريقه | أو رمتُ مسكاً نلته من نشره
وإذا تكبّر واستطال بحسنه | فعذار عارضه يقوم بعذره

* * *

ملح من شعره في الصدغ والخط والعذار

قال [من السريع] :

يا شادناً في صدغه عقربُ | ما يستجيب الدّهر للراقي
يسلم خدّاه على لدغها | ولدغها في كبدي باقي[2]

وقال [من الوافر] :

وعهدي بالعقاربِ حين تشتو | تخفّفُ لدغها وتقلُّ ضرّا
فما بال الشتاء أتي وهذي | عقارب صدغه تزداد شرّا

---

(١) الحميم : الحار .
(٢) اللدغ : اللسع .

وقال [من الطويل] :

رأيت عليّاً في لباس جماله فشاهدت منه الروض ثانيَ مزنه
ولمّا تبدّى لي امتداد عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال [من البسيط] :

إنْ كنت تنكره فالشمس تعرفُهُ أو كنت تظلمه فالحسن ينصفُهُ
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه وإنّما جاءه عمداً يغلّفُهُ

وقال [من السريع] :

لما بدا العارض في الخدّ زاد الذي ألقى من الوجد
وقلت للعذّال يا من رأى بنفسجاً يطلع من ورد

وقال [من البسيط] :

دبَّ العذار على ميدان وجنتِهِ حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنّه كاتبٌ عزَّ المداد له أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [من الوافر] :

عذارٌ كالطّراز على الطّراز وشمسٌ في الحقيقة لا المجاز
تبدّى عارضاه فعارضاني وقالا لا تمرُّ بلا جواز
فقلت القلب عندكُمُ مقيمٌ وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [من مجزوء الكامل] :

أنظرْ إليه كأنّه شمسٌ وبدرٌ حين أشرفْ
والْحَظْ محاسن خدّه تعذرْ دموعي حين تذرفْ
فكأنّها الواوات حين يخطُّها قلمٌ محرّف

وقال [من الهزج] :

أبـو نصـر بـن بكران مليح الحـظِّ والخـطِّ
فهـذا النمـل في العاج وذاك الـدرُّ فـي السّمط[1]

وقال [من الخفيف] :

إنّ لبس السـواد أقـوى دليلٌ لأميرٍ يلـي أمـور العبادِ
وأمير المـلاح يأتيه عزلٌ حين تلقـاه لابسـاً للسّواد

وقال [من الطويل] :

وخـطٍّ كأنّ الله قال لحسنه تشبّـه بمـن قد خطّـك اليوم فأتمرْ
وهيهـات أين الخـطّ من حسـن وجهه وأين ظلام الليل من صفحـة القمرْ

وقال في صباح الحاجب [من المنسرح] :

خـدّاه وردٌ وصدغـه سبجٌ ومقلتـاه الغنـاء والـرّاح[2]
إن هزَّ أطرافـه علـى نغمٍ شُقَّـت جيوبٌ وطـاح أرواح
وجملـة القـول في محاسنهِ أنّ أمير الصّبـاح صباح

وقال [من الكامل] :

رقّ الزجـاج ورقَّـت الخمر فتشـابهـا فتشـاكل الأمرُ
فكأنّمـا خمـرٌ ولا قدحٌ وكأنّمـا قدحٌ ولا خمـرُ[3]

وقال [من الرجز] :

وقهـوةٍ قد حضَّـرت بختمها فقلـت للندمـان عنـد شمِّها

(١) السمط : السلك والعقد .
(٢) السّبج : الأسود .
(٣) هذان البيتان ينسبان لأبي نواس .

لا تقبضنْ بالماء روح جسمها ... فحسبها ما شربت من كرمها

وقال [من المتكامل] :

متغايراتٌ قد جُمعن وكلّها ... متشاكلٌ أشباحها أرواحُ
وإذا أردت مصرّحاً تفسيرها ... فالرّاح والمصباح والتّفاحُ
لو يعلم الساقي وقد جُمِّعن لي ... من أيّ هذي تملأ الأقداح

وقال [من الطويل] :

ولما بدا التفاح أحمرَ مشرقاً ... دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفقْ
وقلت لساقيها أدرها فإنّها ... خدود عذارى قد جُعلن على طبقْ

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وكأسٍ تقول العين عند جلائها ... أهلْ لخدود الغانيات عصيرُ؟
تحاميتها إلاّ تعلّل واصفٍ ... وقد يطرب الإنسان وهو كبيرُ

ومن قصيدة [من الطويل] :

وصفراءَ أو حمراءَ فهي نحيلةٌ ... لرقّتها إلاّ على المتوهِّمِ
تشكِّكنا في الكرم أنَّ انتماءه ... إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمي

ومنها [من الطويل] :

تمتّع ندمانٌ بها وأحبَّةٌ ... وحظِّيَ منها أنْ أقولَ ألا انعمي
لك الوصف دون القصف منّي فخيّمي ... بغير يدي وارضي بما قاله فمي(١)

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب .

---

(١) القصف : أي الاحتساء والخلاعة .

وقال [من السريع] :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً فقلت أين الكاث والطاث[1]

* * *

ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال [من الخفيف] :

أقبل الثلج فانبسطْ للسرورِ ولشرب الكبير بعد الصغيرِ
أقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ منثور
فكأنّ السّماء صاهرت الأر ض فصار النثار من كافور[2]

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام معجِّلاً فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا به كافوره

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام مصيِّراً نقلي عليها قبلة أو عضّه
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا سبيكة فضّه

---

(١) الألثغ : الذي يلفظ السين ثاء .
(٢) النثار : ما ينثر في العرس من ذهب وغيره .

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه الثلجيات عيال على قول الصنوبري [من مجزوء الكامل] :

ذَهِّبْ كؤوسك يا غلا م فإنّه يوم مفضَّض

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [من البسيط] :

جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذهب

وقال الصاحب في النارنج [من الطويل] :

بعثنا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فقيل على الأغصان منه نوافج[1]
كراتٌ من العقيان أحكم خرطها وأيدي الندامى حولهنّ صوالج

وقال في الند [من الكامل] :

ندٌّ لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه[2]
فكأنّما عجنوه من أخلاقه وكأنّه طيب الثناء عليهِ

وقال في حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبّةٍ من عنبٍ من المنى متَّخذَهْ
كأنّها لؤلؤةٌ في وسطها زمرُّذه

وقال فيه [من الرجز] :

وحبّةٍ من عنبٍ قطفتها تحسدها العقود في الترائبِ[3]
كأنّها من بعد تمييزي لها لؤلؤةٌ قد ثقبت من جانبِ

(١) النوافج : أوعية المسك ، أو رذاد المطر العالق لأن النافجة تعني : السحابة الممطرة .
(٢) الندّ : عودٌ طيب الرائحة .
(٣) الترائب : موضع العقد في العنق والصدر .

وقال في الشمع [من مخلع البسيط] :

ورائــق القــدّ مستحــبٌ يجمــع أوصــاف كلٍّ صبٍّ
صفــرة لونٍ وســكب دمعٍ وذوب جســمٍ وحــرّ قلبِ

وقال في التين [من الكامل] :

تينٌ يزينُ رواؤه مخبورُهُ متخيّــرٌ في وصفــه يتحيَّرُ
عســل اللعــاب لديه ممّــا يجتوي وجنــى النحيل لديه مرٌّ ممقر[1]
وكأنّمــا هو في ذرى أغصانه قطــع النضــار أدارهــنّ مدوِّر
ويقــول ذائقــه لطيب مذاقه الله أكبــر والخليفــة جعفر

وقال في الخط واللفظ [من البسيط] :

بالله قل لي أقرطــاسٌ تخــطُّ به من حلَّــةٍ هو أمْ ألبستــه حللا
بالله لفظــك هذا سال من عسل أمْ قد صببــت علــى أفواهنــا عسلا

وقال في الوحل [من البسيط] :

إنّــي ركبــت وكفُّ الأرض كاتبةٌ علــى ثيابــي سطــوراً ليس تنكتمُ
والأرض محبــرةٌ والحبــر من لثقٍ والطّرس ثوبي ويمني الأشهب القلمُ[2]

* * *

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب [من الخفيف] :

يا أبــا الفضــل لم تأخّــرت عنّا فأسأنــا بحســن عهــدك ظنَّا

(١) ممقر : أي صار مرّاً أو حامضاً .
(٢) اللَّثق : اللزج من الطين ، أو النّدى .

كم تمنّتْ نفسي صديقاً صدوقاً فإذا أنت ذلك المتمنّى
فبغصن الشباب لما تثنَّى وبعهد الصّبا وإن بان منًّا[1]
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنّا

وكتب إلى أبي الحسين الطبيب [من الرجز] :

إنا دعوناك على انبساطِ والجوع قد أثّر في الأخلاط
فإن عسى مِلْتَ إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي [من الرجز] :

أسعدك الله بيوم الفصحِ وعشتَ ما شئتَ بيومٍ سمحِ
يا رأس مالي في الورى وربحي وظَفَري ونصرتي ونجحي
شربـاً ولا تصغ لأهل النّصح فالحزم أن تسكر قبل تصحي

* سكر النّصارى في غداة الفصحِ *

وكتب إلى أبي القاسم القاشاني [من مجزوء الرمل] :

يا أبا القاسم قلْ لي قل لماذا لا تزورُ
كنت قد قدمت وعداً فإذا وعدك زورُ
وبذرت الورد بالقول فلم تزكُ البذور
ونحرت الودَّ بالهجر كما يهدى الجزور
إنّ أمّ الصِّدق في الودِّ لمقلاةٍ نزور[2]

وكتب إليه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

مولاي لِمْ لَمْ تدعُ عبدك عند إحضار المدامْ

---

(١) بان منّا : أي فقدناه وابتعد عنّا .
(٢) لمقلاة : من القلى ، وهو البغض، والنزور : من النزر ، وهو القليل .

أعرفته من بينهم متبسّطاً وقت الطّعام
أم قيل عربد ذات يو مٍ حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين ملت إلى الغلامة والغلام
إن كنت تبخل بالطّعا م فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوةً فاسمح علينا بالسلامْ

وقال رحمه الله [من السريع] :

لَوْ فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطًّا بلا كاتبِ
حبَّ عليّ بن أبي طالبٍ وحبَّ مولاي أبي طالبِ

وقال [من الخفيف] :

يا ابن يعقوبَ يا نقيب البدور كن شفيعي إلى فتىً مسرورِ
قل له إنّ للجمال زكاةً فتصدّق بها على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي [من البسيط] :

أبا العلا يا هلال الهزل والجدِّ كيف النجوم التي تطلعن في الجلد
وباطنُ الجسم غرٌّ مثل ظاهره وأنت تعلم ممّا قلته قصدي

سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول : لم أسمع في إنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حلاوة حبّك يا سيدي تسوغ بعثي إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنت أنثر ما تستحقُّ نثرت عليكَ سعود الفلكْ

ثم تذاكرنا في أحسن ما نحفظه في كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألني أن

أؤلف كتاباً في الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن ، فأجبته إلى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [من مخلع البسيط] :

قولوا لإخواننا جميعاً ... من كلّهمْ سيّدٌ مرزّاً[1]
من لم يعدنا إذا مرضنا ... إن مات لم نشهد المعزّى

وقال لمحمود التاجر [من السريع] :

طويت محموداً على جفوته ... مخلِّصاً نفسي من خلّتِهِ
قدَّرتُهُ يقلق من علّتي ... مثل انزعاجي كان من علّته
لم يطرِ ما بي لا ولا مرَّ بي ... كأنّ سقمي كان من شهوته[2]
من لم يطالعني على علّةٍ ... إن مات لم أمضِ إلى تربته

وقال للقاضي أبي بشر الجرجاني [من الوافر] :

يصدُّ الفضل عنّا أيّ صدٍّ ... وقال تأخُّري عن ضعف معْدَهْ
فقلت له جعلت العين واواً ... فإنّ الضعف أجمع في المودّه

وقال [من الطويل] :

بَعُدْتَ فطعم العيش عنديَ علقمُ ... ووجه حياتي مذ تغيَّبتَ أرقمُ
فما لك قد أدغمت قربك في النّوى ... وودّك في غير النداء مرخَّمُ

* * *

(١) مزرا : من الرزء ، وهو المصاب .
(٢) لم يطرِ : لم يستفسر ، ولم يزر اطمئناناً عليه، وأطراه : أثنى عليه .

ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة [من الطويل] :

هُمامٌ رأى الدنيا سواماً فحاطها ... ليالِيَ في غير الزمان وقور[1]
ولم يخطب الدّنيا احتفالا بقدرها ... فموقعها من راحتيه يسير
ولكن له طبعٌ إلى الخير سابقٌ ... ورأيٌ بأبناء الرِّجال بصيرُ
وإنْ لم يلاحظهم بعينٍ حميّةٍ ... فتلك أمورٌ لا تزال تمور

ومن أخرى [من الطويل] :

سعودٌ يحار المشتري في طريقها ... ولا تتأتّى في حسابِ المنجِّمِ
وكم عالمٍ أحييت من بعد عالمٍ ... على حين صاروا كالهشيم المحطّم
فوالله لولا الله قال لك الورى ... مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضّت ففاضتْ على الورى ... لما أبصرتْ عيناك وجهَ مذمّمِ
وكلاً ولكنْ لو حظوا بزكاتها ... لما سمعتْ أذناك ذكر ملوّم[3]
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى ... لغيرك لم أحرجْ ولم أتأثّم

ومن أخرى [من الكامل] :

يا أيُّها الملك الذي كلُّ الورى ... قسمان بين رجائه وحذاره
فمناصحٌ قد فاز سهم طلابِهِ ... ومداهنٌ قد جال قدح بواره[4]
هذي بخارى تشتكي ألم الصّدى ... وتقول قولاً نِيْتُ في أخباره[5]
ماذا عليه لو يهمُّ بعرصتي ... فأكون بعض بلاده ودياره

(١) السّوام : الماشية التي ترسل لتُرعى .
(٢) تمور : تموج وتضطرب .
(٣) الملوّم : اللائم والعاتب .
(٤) المداهن : المتزلف والمحابي ، وبواره : هلاكه .
(٥) الصّدى : العطش والظمأ ، ونيت : كلّفت عنهم من « ناب ينوب » .

ومن عميدية ذكر فيها نقرسا نال يمناه [من الطويل] :

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً ... فظلّ به يدعى وصار به يكنى
سلامته شمسُ المعالي وسقمُهُ ... كسوفُ المعالي لا كسفن ولا بنّا
ولم يأتِهِ ورد السّقام لغير ما ... عرفنا فخذ معنى تألُّمهِ منّا
وما راده إلاّ ليشغلَ عن ندىً ... وإلاّ فلِمْ قد خصّ بالألم اليمنى
وما يُحجز البحر الخضمّ عن النّدى ... ولا السّيد الأستاذ عن جوده يُثنى

وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور [من الرجز] :

سعادةٌ ما نالها قطُّ أحدْ ... يحوزها المولى الهمام المعتمدْ
مؤيد الدولة وابن ركنها ... وابن أخي معزِّها أخو العضدْ

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [من البسيط] :

يا أيّها الشمس إلاّ أن طلعتها ... فوق السماء وهذا حين يقتصدُ
لما افتصدت قضينا للعلا عجباً ... وما حسبت ذراع الشمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [من السريع] :

يا بانياً للقصر بل للعلا ... همُّك والفرقد سيّانِ
لم تبن هذا القصر بل صغته ... تاجاً على مفرق جرجان[1]
وقصرك المبنيُّ من قبله ... ملكك ، والله هو الباني
فاقبل نثار العبد بل نظمهُ ... فإنّه والدُّرُّ مثلان
واسمع مقالاً لم يُقلْ مثله ... مذْ كانت الدنيا لإنسان
لو كان للخلق إلٓهان ... لكان فخر الدولة الثاني

* * *

(١) المفرق : مكان الفرق في الرأس .

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [من مجزوء الرمل] :

يا فتى متويَّ رفقاً لستَ من ينكر أصلَهُ
إنّما ينكر منهُ من جنونٍ فيه ثقله
أنت نذلٌ من كرامٍ أنت في الطاووس رِجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال في معناه [من الوافر] :

أبوك أبو عليٍّ ذو علاءٍ إذا عُدَّ الكرام وأنت نجلُهْ
وإنّ أباك إذ تُعزى إليهِ لكالطاووس يقبح من رجلُهْ[1]

وقال فيه [من السريع] :

أحمد هذا سبطُ متويَهْ في موته بعد غدٍ تهنيَهْ
والشأن في أنّي على بغضه أحتاج أنْ أقعدَ للتعزيه

وقال فيه [من السريع] :

قال ابن متويهِ لأصحابه وقد حشوه بأيور العبيدْ
لئن شكرتم لأزيدنكم وإن كفرتم فعذابي شديدْ

وقال فيه [من الكامل] :

أبصرت في كفٍّ ابن متوي عصاً فسألته عنها ليوضح عذرا

---

(١) تعزى : تنسب .

فأجابني إنّي بها متشايخٌ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى

وقال فيه [من الخفيف] :

سبط متويٍّ إنَّ دارك دار قد عرفْتَ الإدبار إذ تبنيها
لا تكثِّر تزويقها وترفّقْ عن قليلٍ يكون قبرك فيها

وقال فيه [من مجزوء الرمل] :

كلّما زدتَ عتاباً زدتُ في هجوك بيتا
أو ترى طبعيَ غيضاً أو أرى جسمك ميتا

وقال فيه [من الرمل] :

سبط متويّ رقيعٌ سفلُهُ أبداً يبذل فينا أسفلَهْ
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزلَهْ

وقال فيه [من المجتث] :

رام ابن متويّ أيري وبرجه فيه طيرُ
فقلت تطلب أيري هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمّقْ زيادة الخير خير

وقال فيه [من السريع] :

عنديَ سرٌّ لابن متويَّه وعزمي السّاعة أنْ أفشي
أخبرني بعضيَ عن بعضِهِ بأنّه أوسع من يمشي

وقال في الغويري [من السريع] :

إنّ الغويري له نكهةٌ نتنتها أربتْ على الكنف(١)

---

(١) أربت : زادت،والكُنف : جمع كنيف وهو المرحاض .

يا ليتـه كان بلا نكهةٍ أو ليتنـي كنـت بلا أنف

وقال في رجل يتعصب للعجم على العـرب ويعيب العرب بأكل الحيات [مـن السريع] :

يا عائـب الأعـراب من جهلِهِ لأكلهـا الحيّات في الطعم
فالعجـم طول الليل حيّاتهم تنسـاب في الأخـت وفـي الأمّ

وقال فيمن زوج أمه [من مجزوء الكامل] :

زوّجـتَ أمّـك يا فتى وكسوتنـي ثوب القلـقْ
والحـرُّ لا يهـدي الحرا م إلـى الرجـال علـى طبقْ

وقال [من الرجز] :

لـم أر مثـل جعفـر مخلوقا يشبـه طبـلاً ويحـب بوقا

وقال [من الرجز] :

يا بركةً ملأى من الشّبوط قفـاك بغـاءٌ وكفّـيَ لوطي(١)

وقال [من الهزج] :

لـنـا قـاضٍ لـه رأسٌ مـن الـخـفّـة مـمـلوءُ
وفـي أسـفـلـه داءٌ بـعـيـدٌ مـنـكـمُ الـسّـوءُ

وقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ قاضينـا لأعمـى أم علـى عمـدٍ تعامى
سـرق الـعـبـد كـأنّ الـعـبـد من مـال اليتـامى

---

(١) الشبوط : بضم الشين وفتحها ، نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط، ليّن المسّ ، صغير الرأس كأنّه يربط أي عود .

وقال [من المجتث] :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السّعيدِ
أفطرت في رمضانٍ وصمت في يوم عيدِ

وقال [من الهزج] :

إذا ما لاح للعين أبو بكرٍ فتى القاضي
وقد زاد من التيه على القاهر والراضي
فواجهه بإمضاضٍ وقابله بإغضاض
وقالوا في حرّ أمّكْ قمدٌ الحاكم الماضي[1]

وقال [من الطويل] :

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى ابن مريمِ
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والدٌ حين ينتمي

وقال [من الطويل] :

سيأتيك برقٌ من هجائي خلّبٌ إذا كنت ذا برق من الودّ خلّبِ[2]
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتي بعجزك لم يغلبْكَ مثل مغلّب[3]

وقال [من السريع] :

مطفلٌ أطفلَ من أشعبِ ما زال محروماً ومذموما
لو أنّه جاء إلى مالكٍ لقال أطعمني زقّوما[4]

---

(١) القمد : الغليظ يعني به عضو الحاكم .
(٢) الخلّب : السحاب الذي يلمع برقه ولا مطر فيه .
(٣) يشير إلى قول الشاعر :
فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل المغلّب
(٤) الزقّوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنّم ثمرها .

وقال [من السريع] :

انظرْ إلى وجه أبي زيد أوحش من حبسٍ ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصّيد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر [من الطويل] :

يقال لماذا ليس يسكر بعدما توالت عليه من نداماه قرقَفُ
فقلت سبيل الخمر أن تنقصَ الحجى فإنْ لم تجد عقلاً فماذا تحيفُ[1]

وقال [من السريع] :

هذا ابن متويٍّ له آية يبتلع الأير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعاً سوى موسى بن عمران لأجل العصا

وقال [من الخفيف] :

أنت تيسٌ لا كالتّيوس لأنَّ الـ ـتّيس ينزو وأنت يُنزى عليكا[2]

وقال [من الوافر] :

أبو العباس تحضره جموعُ من الفقهاء لجّوا في العواء
كأنّهُمُ إذا اجتمعوا عليه ذبابٌ يجتمعن على جراء

وقال [من الوافر] :

أبو العباس قد أضحى فقيهاً يتيهُ بفقههِ في النّاس تيها
وذلك أنَّ لحيته أتتني تناظر فقحتي فخريت فيها[3]

---

(١) الحجى : العقل : وتحيف : تنقص.
(٢) ينزو : أي يمارس الشهوة .
(٣) الفقحة : فتحة المؤخّرة .

وقال [من الهزج] :

أبــو الـعـبــاس فـيـ الأيـــــــر ينساب انسياب الأيم[١]
فـتـىً يـأذن بـالـفـقـحـــــــة لـلأسيـاف بـالشيم[٢]

وقال [من البسيط] :

هذا الأديب الـــذي وافـى يفاخرنا   أضحى إلى كمــر الســودان مشتاقا
فمــا يفــارق طومــاراً يعالجه   إلاّ بآخــرَ يمضــي فيه إعناقا[٣]
كأنّمــا هــو حربــاءٌ ببيضته   لا يرســل السّــاق إلاّ ممســكاً ساقا

وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي [من الكامل] :

نُبِّئــتُ أنّــكَ منشــدٌ ما قلته   في سبٍّ عرضــك لا تخــاف وعيدي
والكلــب لا يخــزى إذا أخسأته   والقــار لا يخشــى من التسويد[٤]

وأنشدني له أيضاً [من السريع] :

شــرط الشّروطــي فِتــيٌّ أيرٍ   ومــا سواه غيــر مشروط
أبغــى من الإبــرة لكنّهُ   يوهــم قومــاً أنّــه لوطي

وأنشدني له غيره [من المتقارب] :

تزلزلــت الأرض زلزالها   فقالــوا بأجمعهــم مالهــا
مشــى ذا الثقيل علــى ظهرها   فأخرجــتِ الأرض أثقالهــا

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر .
(٢) بالشيم : بالدخول والنظر .
(٣) الطومار : الصحيفة ويعني به « عضو الرجل » .
(٤) القار : القطران .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قـد طال قرنـك يا أخي ... فكأنّه شعـر الكميتْ

* * *

ما أخرج له رحمه الله في سائر الفنون

قال [من المتقارب] :

تصدُّ أميمـةُ لمّـا رأتْ ... مشيبـاً علـى عارضـي قد فرشْ
فقلـت لهـا الشيب نقش الشبابِ ... فقالـت ألا ليته ما نقشْ

وقال [من الطويل] :

ولمـا تنـاءتْ بالأحبّـة دارهُمْ ... وصرنـا جميعـاً من عيانٍ إلـى وهم
تمـكّن منِّـي الشـوق غير مسامحٍ ... كمعتزلـيٍّ قد تمـكن من خصم

وقال [من الخفيف] :

كنـت دهـراً أقـول بالاستطاعهْ ... وأرى الجبـر ضلَّـةً وشناعهْ
ففقـدت استطـاعتـي فـي هـوى ظبـيٍ ... فسـمعـاً للمجبـريـن وطـاعـهْ

وقال [من المتقارب] :

لقـد قلـتُ لمـا أتـوا بالطبيبِ ... وصادفنـي فـي أحـرِّ اللهيـبِ
وداوي فلـمْ أنتفـع بالدواء ... دعونـي فإنّ طبيبـي حبيبي
ولسـت أريد طبيب الجسوم ... ولـكـنْ أريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامـي سوى ... حضـور الحبيب وبعـد الرقيب

وقال [من الخفيف] :

ناصبٌ قال لي معاويةٌ خا	لك خير الأعمام والأخوال[1]
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً	قلت خالي لكنْ من الخير خال

وقال [من السريع] :

حبُّ عليٍّ بن أبي طالبٍ	هو الذي يهدي إلى الجنَّهْ
إنْ كان تفضيلي له بدعةٍ	فلعنة الله على السُّنه

وقال في شهر رمضان [من الخفيف] :

قد تعدّوا على الصيام وقالوا	حُرِمَ الصَّبُّ فيه حسنَ العوائدْ
كذبوا في الصيام للمرء مهما	كان مستيقظاً أتمّ الفوائدْ
موقفٌ بالنهار غير مريبٍ	واجتماعٌ بالليل عند المساجدْ

وقال [من الكامل] :

راسلت من أهواه أطلب زورةً	فأجابني أو لست في رمضانِ ؟
فأجبته والقلب يخفق صبوةً	أتصوم عن برٍّ وعن إحسان[2]
صمْ إن أردت تحرُّجاً وتعفُّفاً	عن أن تكدّ الصبَّ بالهجران
أولاً فزرني والظلام مجللٌ	واحسبه يوماً مرّ في شعبان

وقال في مرض علوي [من الكامل] :

يا سيداً أفديه عند شكاتِهِ	بالنفس والولد الأعزّ وبالأبِ
لم لا أبيت على الفراش مسهّداً	وقد اشتكى عضوٌ من اعضاءِ النَّبيِّ

---

(1) الناصب : الذي يضمر العداء لآلِ البيت .
(2) الصبوة : الميل والحنان والشوق .

وقال يرثي أبا الحسن السلمي [من الطويل] :

إذا ما نعى الناعون أهل مودّتي بكيت عليهمْ بل بكيت على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامةٌ غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويّل] :

يقولون لي أودي كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رزءٌ في الأنام جليلٌ
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليلُ

وقال [من الكامل] :

يا أهل سارية السلام عليكُمُ قد قلَّ في أرضيكم الخطباءُ
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطبٌ فأفاء[1]

وقال في أخوين صبيح وقبيح [من السريع] :

يحيا حكى المحيا ولكنْ له أخٌ حكى وجه أبي يحيى

وقال [من الطويل] :

لقد صدقوا والراقصاتُ إلى منى بأنّ مودّات العدى ليس تنفعُ
ولو أنّني داريتُ عمريَ حيَّةً إذا مكّنت يوماً من اللسع تلسع

وقال [من الوافر] :

إذا أدناك سلطانٌ فزدهُ من التعظيم واحذره وراقبْ
فما السلطان إلاّ البحر عُظْماً وقرب البحر محذور العواقبْ

وقال [من المتقارب] :

وقائلةٍ لمْ عرتكَ الهموم وأمرك ممتثلٌ في الأممْ ؟

---

(١) الفأفاء : التي يكثر من حرف الفاء في كلامه .

فقلــت دعينــي علــى غصّتي فإن الهمــوم بقــدر الهِمم

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله [من الطويل] :

لبســن برود الوشــي لا لتجمّلٍ ولــكن لصــون الحســن بين برود

على قول المتنبي [من الوافر] :

لبسـن الوشــى لا متجمّلاتٍ ولــكنْ كي يصــنّ به الجمالا

فقال : كما أغار هو بقوله [من المنسرح] :

ما بال هذي النجــوم حائرةٌ كأنّهــا العمــى ما لهــا قائدُ

على العباس بن الأحنف في قوله [من الكامل] :

والنجــم في كبــد السمــاء كأنّه أعمــى تحيّــر ما لديه قائدُ

وسمعت أيضاً أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب نتفة له منها هذا البيت [من الطويل] :

لئــن هو لم يكففْ عقــارب صدغِهِ فقولــوا له يسمــح بتــرياق ريقه

فاستحسنته جداً حتى حممت من حسدي له عليه ، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري .

قال مؤلف الكتاب : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين

سرق الصاحب معنى هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل] :

لدغت عينك قلبي إنّما عينك عقربْ
لكنِ المصَّةُ من ريقك ترياقٌ مجرّبْ

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص ، بمعرفة التلصُّص .

قلت : ومعنى قول الصاحب في الثلج [من الخفيف] :

وكأنّ السماء صاهرت الأر ض فكان النثار من كافور

ينظر إلى قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأن الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقول الصاحب [من الطويل] :

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى فقلت لهم مذْ غاب بدر دجاها
ولو تلتقي عينٌ على غير دمعةٍ لصارمتها حتى يقال نفاها[1]

مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلبي الوزير [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

وقول الصاحب [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليّك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوسِ
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الآبنوس بالآبنوسِ

---

(١) صارمتها : جفتها وقاطعتها .

مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي [من الخفيف] :

ورأتنـــي مشطــت عاجــاً بعاجٍ فامشــط الآبنــوس بالآبنوس

وأخذ قوله [من مجزوء الرجز] :

فـمُ الغــويري إذا فتَّشــته أنتـن فـمْ
كم قلــت إذْ كلّمني وأسفــى على الخشـمْ(١)

من قول المهلبي الوزير [من مجزوء الوافر] :

وإن أبصــرت طلعته فوالهفـي علـى العمش(٢)

وأخذ قوله في ابن العميد [من الطويل] :

إلــى سيدٍ لولاه كان زماننا وأبنــاؤه لفظــاً عرياً عن المعنى

من قول المتنبي [من المنسرح] :

* والدهر لفظٌ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [من الرجز] :

ونــاصـحٍ أسرف في النكيرِ يقــول لي سدت بـلا نظيرِ
فكيف صغــت الهجــو في حقيرِ مقــداره أقــل مــن نقيرِ(٣)
فقلــت لا تنــكر وكن عذيري كم صارمٍ جرِّب في خنزيرِ

من قول الحمدوني [من الطويل] :

* هبوني امرأً جرّبت سيفي على كلب *

---

(١) الخشم : الأنف تغيّرت رائحته من داء فيه فهو أخشم ، وخشم أنفه : اتسع .
(٢) العمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين .
(٣) النقير : القليل ، والنكتة في ظهر النُّواة .

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [من الكامل] :

ومهفهفٍ حسن الشمائل أهيفٍ ... تردى النفوس بفترتي عينيهِ[1]
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي ... فجذبت قلبي من إسار يديهِ
قالوا تراجعه فقلت بديهةً ... قولاً أقيم مع الرويّ عليهِ
والله لا راجعته ولو آنه ... كالشّمس أو كالبّدر أو كبويهِ

مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

والله لا كلَّمتُه ولو أنه ... كالشمس أو كالبدرِ أو كالمكتفي

* * *

نبذ مما هجي به الصاحب

*ما زالت الأملاك تُهجى وتُمَدحُ *

قال أبو العلاء الأسدي [من البسيط] :

إذا رأيت مسجىً في مرقّعةٍ ... يأوي المساجد حرّاً ضرُّه بادي[2]
فاعلمْ بأن الفتى المسكين قد قذفتْ ... به الخطوب إلى لؤم ابن عبادِ

وقال أبو الحسن الغويري [من السريع] :

إنْ كانَ إسماعيل لم يدعني ... لأنّ أكل الخبز صعبٌ لديه
فإنّني آكل في منزلي ... إذا دعاني ثم أمضي إليه

(١) فترتي عينيه : ذبول أطرافهما .
(٢) مسجّى : ممدّد .

وقال السّلامي [من مجزوء الرمل] :

يا ابــن عبّــادَ بن عبا ... سَ بن عبــد الله حرها[1]
تــنـكـر الــخـيـر وأخــرجــــت إلـى الـعــالـم كــرهــا

وقال أبو بكر الخوارزمي [من السريع] :

صاحبنــا أحوالــه عاليـه ... لكنّمـا غرفتـه خاليـهْ
وإنْ عرفــت الســرّ من دائِه ... لم تســأل الله سوى العافيهْ

* * *

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الكبر ، جعـل ينشد قوله [من الوافر] :

أنــاخ الشيب ضيفــاً لم أردهُ ... ولــكن لا أطيق له مردًّا
رداءٌ للــردى فيه دليلٌ ... تردّى من به يومــاً تردّى[2]

ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال [من الرجز] :

يا مالك الأرواح والأجسامِ ... وخالــق النجـوم والأحكـامِ
مــدبّـر الضياء والظلام ... لا المشتــري أرجــوه للإنعام
ولا أخــاف الضــرَّ من بهرام ... وإنّمــا النجـوم كالأعـلام
والعلــم عنــد الملك العلاّم ... يا رب فاحفظنــي من الأسقام
ووقّنــي حوادث الأيّـام ... وهجنــة الأوزار والآثـام

---

(١) حرها : أحراه الزمان أنقصه ، وتحرّاه : تعمّده وطلبه .

(٢) الردى : الموت ، وتردّى الأولى بمعنى مات وتردّى الثانية بمعنى ارتدى أي لبس .

هبني لحبِّ المصطفى المعتام وصنوه وآله الكرام[1]

وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره [من الطويل] :

أرى سنتي قد ضمِّنت بعجائب وربّيَ يكفيني جميع النوائب
ويدفع عنّي ما أخاف بمنِّهِ ويؤمن ما قد خوّفوا من عواقبِ
إذا كان من أجرى الكواب أمرُهُ معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيا ربَّ السماء توكّلي فحطنيَ من شرِّ الخطوب الحوارب
وكم سنةٍ حذّرتها فتزحزحتْ بخيرٍ وإقبالٍ وجدٍّ مصاحب
ومَنْ أضمرَ اللهم سوءاً لمهجتي فردّ عليه الكيد أخيب خائب
فلست أريد السوء بالناس إنّما أريد بهم خيراً مريع الجوانب[2]
وأدفع عن أموالهم ونفوسهمْ بجدّي وجهدي باذلاً للمواهب
ومن لم يسعه ذاك منّي فإنّني سأكفاه إنّ الله أغلبُ غالب

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [من الطويل] :

وكم شامتٍ بي بعد موتي جاهلاً بظلمي يسلُّ السّيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله من الظُّلم بعدي مات قبل مماتي

ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتباً تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [من مجزوء الرجز] :

كلامنا من غررٍ وعيشنا من غررِ
إنّي وحقٍّ خالقي على جناح السفرِ

---

(١) المعتام : أفضل الخلق .
(٢) المريع : الهنيء الناعم الخصب .

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، ومضى من الدنيا بمضيه رونق حسنها وتاريخ فضلها ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه !! .

* * *

أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمّده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

يا كافيَ الملك ما وفّيتُ حظّك مِنْ ... وصفٍ وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فتّ الصفات فما يرثيك من أحدٍ ... إلاّ وتزيينه إيّاك تهجينُ
ما متّ وحدك لكنْ مات من ولدتْ ... حواءُ طرّاً، بل الدنيا ، بل الدّينُ
هذي نواعي العلا مذْ متّ نادبةً ... من بعد ما ندبتك الخرَّد العين[1]
تبكي عليك العطايا والصّلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسّلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... فاستيقظوا بعد ما متّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن همُ انتشروا ... مضى سليمان وانحلَّ الشياطين

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !!

ومن قصيدة أبي الفرح بن ميسرة [من الوافر] :

ولو قُبلَ الفداءُ لكان يفدى ... وإن جلّ المصاب على التّفادي
ولكنَّ المنون لها عيونٌ ... تكدُّ لحاظها في الانتقاد
فقلْ للدّهر أنت أصبت فالبسْ ... برغمك دوننا ثوبيْ حِداد
إذا قدّمتَ خاتمة الرزايا ... فقد عرّضتَ سوقك للكساد

(١) الخرّد : العذراوات .

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباس يهشُّ إلى السّرى ... أخو أملٍ أو يستماح جوادُ[1]
أبى الله إلاّ أن يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معادُ

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري [من الوافر] :

خليليْ كيف يقبلك المقيل ... ودهرك لا يُقيل ولا يَقيل[2]
ينادي كلّ يومٍ في بنيه ... ألا هبّوا فقد جدَّ الرحيلُ
وهم رجلان منتظرٌ غفولٌ ... ومبتدرٌ إذا يدعى عجول
كأنّ مثال من يفنى ويبقى ... رعيلٌ سوف يتلوه رعيل
فهمْ ركبٌ وليس لهم ركابٌ ... وهمْ سفرٌ وليس لهمْ قفول
تدور عليهمُ كأس المنايا ... كما دارت على الشَّرب الشمول[3]
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ... ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أوّلينا ... وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويلُ ... وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمارٌ تزول ... وأحوالٌ تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا ... رسولٌ لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلقٍ ... إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنّه أمدٌ قصيرٌ ... ولكنْ دونه أمدٌ طويل
أرى الإسلام أسلمه بنوه ... وأسلمهم إلى ولهٍ يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو ... كأنّ شعاعها طرْفٌ كليل

(١) السُّرى: المسير ليلاً ، ويستماح : يطلب جوده وسماحه .
(٢) يقيل : يريح ، ويَقيل : يُقيل ويميل .
(٣) المنايا : الموت ، والشمول : الخمرة .

أرى القمــر المنير بدا ضئيلاً بلا نورٍ فأضنــاه النّحول
أرى زهــر النجــوم محدّقاتٍ كأنّ سراتهــا عورٌ وحول[1]
أرى وجــه الزمــان وكلّ وجهٍ بــه ممّــا يكابــده فلول
أرى شمَّ الجبــال لهــا وجيبٌ تكاد تذوب منــه أو تزول[2]
وهــذا الجــوُّ أكلفُ مقشعرٌ كأنّ الجــوَّ من كمــدٍ عليل[3]
وهــذي الــريح أطيبهــا سمومٌ إذا هبّــت وأعذبهــا بليل
وللسحــب الغــزار بكلٍّ فجٍ دمــوعٌ لا يذاد بهــا المحول
نعــى الناعــي إلــى الــدنيا فتاها أميــن الله فالــدنيا ثكـول
نعــى كافــي الكفــاة فكلُّ حرٍّ عزيزٌ بعــد مصرعــه ذليلُ
نعــي كهف العفــاة فكلُّ عينٍ بمــا تقــذى العيون به كحيل[4]
كأنّ نسيم تربتــه سحيراً نسيم الــروض تقبلـه القبول
إذا وافــى أنــوف الــركب قالوا سحيق المســك أم تربٌ مهيل
أيا قمــر المــكارم والمعالي أَبِــنْ لي كيف عاجلك الأفول
أَبِــنْ لي كيف هالك ما يهول وغــالك بعــد عزّك ما يغول
ويا من ساسَ أشتــات البرايا وألجــم من يقــول ومــن يصولُ
أدلــتَ علــى اللّيالــي من شكاها وقد جارتَ عليك فمن يــديـل[5]
بكاك الــدّين والــدّنيا جميعاً وأهلهمــا كمــا يُبــكى الحمول[6]
بكتــك البيض والسمــر المواضي وكنــت تعولهــا فيمــن تعول

---

(١) زهر النجوم : بيضهنّ ، ومحدّقات : ناظرات .
(٢) الوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) أكلفُ : تغيَّر لونه وتكدّر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٥) أدلت : أظفرت ، ويديل يعين .
(٦) الحمول : الميت الذي يحمل .

بكتك الخيل معولةً ولكنْ بكاها حين تندبك الصهيل
قلوب العالمين عليك قلبٌ وحظّك من بكائهم قليل
ولي قلبٌ لصاحبه وفيٌّ يسيل وتحته روحٌ تسيل
إذا نظمت يدي في الطّرس بيتاً مجاه منه منتظمٌ هطول
فإن يك ركٌّ شعري من ذهولي فذلك بعض ما يجني الذهول[1]
كتبت بما بكيت لأن دمعي عليك الدهر فياضٌ همول[2]
وكنت أعدّ من روحي فداءً لروحك إن أريد لها بديل
أأحيا بعده وأقرُّ عيناً حياتي بعده هدرٌ غلول
حياتي بعده موتٌ وحيٌّ وعيشي بعده سمٌّ قتول[3]
عليك صلاة ربّك كلَّ حينٍ تهبُّ بها من الخلد القبول

ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب [من الكامل] :

أكذا المنون يقطر الأبطالا أكذا الزمان يضعضع الأجبالا
أكذا تصاب الأسد وهي مدلّةٌ تحمي الشبّول وتمنع الأغيالا
أكذا تقام عن الفرائس بعدما ملأت هماهمها الورى أوجالا[4]
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلا من بعد ما شاق العيون منالا
أكذا تكبّ البزل وهي مصاعبٌ تطوي البعيد وتحمل الأثقالا
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغتْ لججاً وأوردت الظماءَ زلالا[5]
يا طالب المعروف حلّقَ نجمه حطَّ الحمول وعطِّلَ الأجمالا

---

(١) ركّ : من الركاكة أي ضعف .
(٢) همول : ممطر .
(٣) موت وحيٌّ : بفتح الواو وتشديد الياء أي سريع .
(٤) هماهما : زئيرها وأصواتها ، وأوجالاً : خوفاً .
(٥) الزلال : الماء البارد المنعش .

وأقم على يأسٍ فقد ذهب الذي ... كان الأنام على نداه عيالا
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً ... والنقص فضلاً والرجاء نوالا
ويجبّنُ الشجعان دون لقائه ... يوم الوغى ويشجّع السؤآلا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسةً ... عنّا وقلّص ذلك السربالا
خبرٌ تمخّض بالأجنة ذكره ... قبل اليقين وأسلف البلبالا
حتى إذا جلّى الظنون يقينه ... صدع القلوب وأسقط الأحمالا
الشكُّ أبرد للحشى في مثله ... يا ليت شكّي فيه دام وطالا
جبلٌ تسنّمتِ البلاد هضابه ... حتّى إذا ملأ الأقالم زالا
يا طودُ كيف وأنت عاديّ الذّرى ... ألقى بجانبك الردّى زلزالا[1]
ما كنت أوّل كوكبٍ ترك الدّنا ... وسما إلى نظرائه فتعالى[2]
أنفاً من الدنيا تبتٌّ حبالها ... ونزعت عنك قميصها الأسمالا[3]
لا رزء أعظم من مصابك إنّه ... وَصَلَ الدّموع وقطّع الأوصالا
إنْ قطّع الآمال منك فإنَّهُ ... من بعد يومك قطّع الآمالا
يا آمر الأقدار كيف أطعتها ... أو ما وقاك جلالك الآجالا
هلاً أقالتك الليالي عثرةً ... يا منْ إذا عثر الزّمان أقالا[4]
وأرى الليالي طارحاتُ حبالها ... تستوهقُ الأعيان والأرذالا[5]
يبرين عود النّبع غير فوارقٍ ... بين النّبات كما برين الضالا[6]
لا تأمن الدنيا عليك فإنّها ... ذات البعول تبدّل الأبدالا

(١) الطود : الجبل : وعاديّ الذرى : قديمها ومنيعها .
(٢) نظرائه : أشباهه .
(٣) تبتّ : تقطع ، والأسمال : الثياب البالية .
(٤) أقال : حمى ومنع .
(٥) الوهق : محركة ويسكن : الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان ، واستوهق: صنع الوهق ، وأراد هنا معنى اصطاد .
(٦) النبع شجر ، والضالا : الضّلل : الماء الجاري تحت الشجر .

كم حجةٍ في الدين خضت غمارها ... هدر الفنيق تخمّطا وصيالا(١)
بسنان رمحك أو لسانك موسعاً ... طعناً يشقّ على العدى وجدالا
إن نكّس الإسلام بعدك رأسه ... فلقد رزى بك موئلاً ومآلا
واهاً على الأقلام بعدك إنّها ... لم ترضَ بعد بنان كفّك آلا
أفقدن منك شجاع كلّ بلاغةٍ ... إنْ قال جلّى في المقال وجالا
من لو يشا طعن العدى برءوسها ... وأثار من جريانها قسطالا(٢)
سلطان ملكٍ كنت أنت تعزّهُ ... ولربَّ سلطانٍ أعزُّ رجالا
إنّ المشمِّر ذيله لك خيفةً ... أرخى وجرّر بعدك الأذيالا(٣)
طلبوا التراث فلم يروا من بعده ... إلاّ علاً وفضائلاً وجلالا
هيهاتَ فاتهمُ تراثُ مخاطرٍ ... جمع الثّناء وضيّع الأموالا
قد كان أعرف بالزمان وصرفِهِ ... من أن يثمِّرَ أو يجمِّع مالا
مفتاحُ كلِّ ندىً ، وربّ معاشرٍ ... كانوا على أموالهمْ أقفالا
كان الغريبة في الزّمان فأصبحوا ... من بعد غارب نجمه أمثالا
من فاعلٌ من بعده كفعاله ... أو قائلٌ من بعده ما قالا
سمِعٌ يرقّع للسؤال سجوفَهُ ... ويحجّب الأهزاج والأرمالا(٤)
يا طالباً من ذا الزمان شبيهه ... هيهات كلّفت الزّمان محالا
إنّ الزمان أضنُّ بعد وفاته ... من أن يعيد لمثله أشكالا
وأرى الكمال جنى عليه لأنّه ... غرضُ النوائب من أُعيرَ كمالا
صلى الإلّه عليك من متوسدٍ ... بعد المهاد جنادلاً ورمالا
كسف البلى ذاك الهلال المجتلى ... وأجرّ ، ذاك المقول الجوالا

---

(١) التخمّط : الهدير، والصيال : المصاولة .
(٢) القسطل : غبار الجيش الكثيف .
(٣) جرّر الأذيال : تاه زهواً وعجباً .
(٤) السجوف : الستائر ، والأهزاج والأرمال من الهزج والرمل ـ وهما وزنان من أوزان الشعر .

ورأيت كلّ مطيةٍ قد بُدِّلتْ	من بعد يومك بالزّمام عقالا
لمن الضوامر عرّيت أمطاؤها	حول الخيام تنازع الأطوالا[1]
بدِّلن من لبس الشكيم مقاوداً	مربوطةً ومن السروج جلالا[2]
فجعت بمنصلتٍ يعرِّض للقنا	أعناقها ويحصن الأكفالا
طرح الرجال لك العمائم حسرةً	لما رأوك تسير أو إجلالا
قالوا وقد فجئوا بنعشك سائراً	من ميِّل الجبل العظيم فمالا
وتبادروا عطَّ الجيوب وعاجلوا	عضَّ الأنامل يمنة وشمالا[3]
ما شقّقوا إلاّ كساك وآلموا	إلاّ أنامل نلن منك سجالا[4]
من ذا يكون معوّضاً ما مزقوا	ومعوّلاً لمؤمّلٍ وثمالا
فرغت أكفٌّ من نوالك بعدها	وأطال عظمُ مصابك الأشغالا
أعزز عليَّ بأنْ يبدّل زائرٌ	بعد التهلّل عندك استهلالا
أو أن يناديك الصريخ لكربةٍ	حشدت عليه فلا تحير مقالا[5]
قد كنت آمل أن أراك فأجتني	فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
وأفيد سمعك منطقي وفضائلي	وتفيدني أيامُك الإقبالا
وأعدُّ منك لريب دهري جنَّةً	تثني جنود خطوبه فلّالا[6]
فطواك دهرك طيَّ غير صيانةٍ	وأعاد أعلام العلا أغفالا
قبرٌ بأعلى الريٍّ شُقَّ ضريحه	لأغرَّ حفّزه الرّدى إعجالا
فرعاه من أرعى البرية سيبه	وسقاه من أسقى به الآمالا
إنْ يمسِ موعظة الأنام فطالما	أمسى مهاباً للورى ومهالا

---

(١) الأطوال : أي الحبال المربوطة بها .
(٢) الشكيم : جمع شكيمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .
(٣) عطّ الثوب : شقّه .
(٤) سجالا : عطاءً وكرماً .
(٥) الصريخ : المستغيث .
(٦) الجنّة : الدرع ، وفلاّلا : منهزمين ، وفلّ السيف : تصدع وتشقق .

لنسلّي الدنيا عليه فإنّها نزعت به الإحسان والإجمالا

ولأبي العباس الضبي وقد مر بباب الصاحب [من الخفيف] :

أيها الباب لم علاك اكتئابُ أين ذاك الحجابُ والحجّابُ ؟
أين من كان يفزع الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب ؟!

ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبيّ ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين [من البسيط] :

والله والله لا أفلحتُمُ أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكُمْ جليلٌ فاجلبوا أجلي أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب [من مجزوء الكامل] :

مات الموالي والمحبّ لأهل بيت أبي ترابِ
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع الترابِ

وأنشدني أيضاً فيه لنفسه [من الكامل] :

نومُ العيون على الجفون حرام ودموعهنّ مع الدماء سجام(١)
تبكي الوزير سليل عبّاد العُلا والدّين والقرآن والإسلام(٢)
تبكيه مكّة والمشاعرُ كلّها وحجيجها والنُّسك والإحرام
تبكيه طيبة والرسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلام(٣)
كافي الكفاة قضى حميداً نحبه ذاك الإمام السيد الضرغام

---

(١) سجام : من سجم الدمع أي ذرفه .
(٢) العلا : فاعل تبكي ، وحذف التنوين من « عباد » لإقامة الوزن .
(٣) طيبة : المدينة المنورة .

مات المعالـي والعلـوم بموته فعلـى المعالـي والعلـوم سلام

ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [من الهزج] :

ألا يـا غـرّة العليـا ألا يـا نكبـة الدّنيـا
وشـمـس الأرض فـرد الـدهـر عيـن السـؤدد اليمنـى
أمـا اسـتحيا أبـو يحيى لفضّ المهجـة الكبرى
لئِـنْ ختمـتْ بك الدنيا لقـد فتحـت بك الأخرى

* * *

الباب الرابع

١٧ ـ في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي
وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم ، ونهر من بحره ، وخليفته النائب منابه في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته ، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا ، واجتمع له الرأي والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدّبه بآدابه ، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدراً يملأ الصدور كمالا ، ويجري في طريقه ترسّماً وترسلاً ، وفي ذرى المعالي توقلا ، وتحقق قول أبي محمد الخازن فيه من قصيدة [من المنسرح] :

تزهى بأترابها كما زهيتْ ... ضبّة بالماجدين ماجدها
سماؤها شمسها غمامتها ... هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن ... كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى [من البسيط] :

نماه ضبّة في أزكى مناصبه ... فخراً وأوطاه الشعرى وأمطاه(١)
يعطي ويخفي ولا يبغي الثناء به ... حتى كأنّ الذي أعطاه غطّاه
يسير يوم الوغى والدّهر يقدمه ... كأنّما الدّهر أيضاً من سراياه

---

(١) نماه : أي أنّه ينتمي إلى أعرق بيت في ضبّة، وأوطأه :أي جعله يطأ ، وأمطاه جعله يمتطي صهوة الشرف فيها .

وإن بدا أحيت الآمال طلعته حتّى تقدّر محياها محيّاه
ومنْ يوالي ابن عبّادٍ مخالصةً يحزْ سعادة دنياه وأخراه
فما الصّنائع إلاّ ما تخيّره وما الودائع إلاّ ما تولاّه
فاسلمْ ودمْ أيّها الأستاذ مبتهجاً وخذْ من العيش أصفاه وأضفاه
فقد تقيّلت في الجدوى معالمه كما توخّيت في الجلّى قضاياه[1]

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي ، بقيت متماسكة بأبي العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام ، وتجف غدر محاسن الكلام[2] ، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة[3] ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة . وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان، وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر والنظم . وسيمر بك في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذي هو نثر الورد ، ونظمه الذي هو نظم العقد ، ما ينير به الليل المظلم ، وينصف به الدهر الظالم .

* * *

لمع من نثر أبي العباس

فصل من كتاب له في الصاحب في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنت أستحضر كاتبه ، بل كاذبه ، وأحذره سراً ، وأبصره جهراً ، وهو يروغ روغان الثعالب ، ويتفادى تفادي الموارب ، وقد كنت منعت المستأمنة

---

(١) تقيّلت :تتبّعت،والجلّ : العظيم من الأمور .
(٢) غُدُر : جمع غدير حيث يجتمع الماء .
(٣) الثلم : النقص والعيب .

والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده ، علماً بأنهم مؤن بلا منـن ، وعنـاء بلا غنى .

فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشيبي

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، في شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وبعد ، فإنّ المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتهـا العصـور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالـدوام ، في ظلّ أسـاورة الإسلام .

(ومنها) فبينا نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره ، ويؤخذ له بثاره إذ جنّ . فقلب لنا المجنّ[1] ، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاسـتيلاء على البلد ، والجناية على النفوس والأهل والولد ، ونظر إليّ فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب ، نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة في صدري[2] وتجريد السيف في وجهي ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصده عن مسراه ، وأنه مصطنعي ، فلم يعتمدني لأعظم الأمور ، وأهم الثغور ، إلا وقد زرع في أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

---

(١) المجن : الترس .

(٢) لهز الزانة : اللهز : الطعن، والزانة : من الزان وهـو شجـر طويل مسـتقيم الجـذع ، ويقصـد بهـا « الرمح » .

فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم !

كتابي ـ أطال الله بقاء الشريفين ـ والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، والشرف محصور في قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه ، والذكر الجميل مجدّل لمصرعه ، والخلق الوسيع موسّد في مضجعه ، ورسم المحاسن داثر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف . ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً ، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها لهفا ؛ وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الآفل ، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل[1] ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضنّ ، والموارد المحروسة من كدر المنّ ، وذوو الحاجات في حسرات مجددة ، وزفرات مرددة ، قد أقامت منهم حانية الضلوع ، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم « يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم » ذلك لأن حادث قضاء الله ـ جل وجهه ـ استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة ، وعصرة العدد الجم[2] ، ونجدة أهل العلم والفهم ، فالدموع واكفة[3] ، والصدور راجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مـأتمهم عليه واحد ، ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة ، وقواعد البر والخير مخفوضة . فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغِيَرْ ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابها بالعسل[4] ، موصول

---

(١) العاني : المحتاج والمعدم .

(٢) وعصرة العدد الجمّ : أي الزّبد المستخرج من الكثير بعد مخاضٍ واعتمال كناية عن الشرف وعدم المماثلة والشبه .

(٣) واكفة : هاطلة .

(٤) الصاب : المرّ .

حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفطم أمام تكامل الرضاع ، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع . فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضي بما نفذ به حكمه . لبس في وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد في مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوابد . وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ، ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك في القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر في شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأبين الحبيب المفقود ، كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعي الوله ، ويراع جانب القلب المرفه .

(ومنها) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحضر ، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقته ، واستبشرت الملائكة لمرافقته ، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه ، والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته ، والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو في حكم الخالد وإن أصبح فانياً ، والمقيم في أهله وإن أضحى بالعراء ناوياً ، عزيت الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب ، ولسان جزعي أنطق ، وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتي إلى من يصرح لي به أصدق ، ولكني جريت على سنة للذين محمودة ، وعادة بين الأحباب معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتي إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض ، وخلق غضّ ، وأحسن متاع بعضهم ببعض ، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة ، إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم في السرّاء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم ـ لا زالت مصونة ـ مهجة واحدة .

* * *

ملح من نظمه

قال [من الوافر] :

ترفَّـق أيُّهـا المولـى بعبدٍ فقـد فتنـت لواحظـك النّفوسا
وأسـكرت العقـول فليس ندري أسحـراً ما تسقّـي أم كؤوساً

وقال وهو مما يتغنى به [من الوافر] :

ألا يا ليت شعـري ما مرادكْ فقلبـي قد أضـرّ به بعادكْ
وأيُّ محاسـنٍ لك قد سباني جمـالك أم كمـالك أم ودادكْ
وأيُّ ثلاثـة أوفـى سواداً أخـالك أم عذارك أم فؤادكْ

وقال [من مجزوء الكامل] :

لا تركنـنَّ إلـى الفـرا ق فإنّـه مـرُّ المـذاق
الشـمس عنـد غروبهـا تصـفـرُّ من فرق الفراق[1]

وكتب إلى الصاحب [من الطويل] :

أكافـي كفـاة الأرض ملـكك خالدٌ وعـزُّك موصـولٌ فأعظِـمْ بهـا نُعمى
نثـرت علـى القرطـاس درّاً مبدّداً وآخـر نظمـاً قد فرعـت به النجما[2]
جواهـر لو كانـت جواهـر نظّمت ولكنّهـا الأعـراض لا تقبـل النظما

وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [من المتقارب] :

وطيرين قد ألفـا مرقدي نديمين لي فيـه حتّـى الصباح

---

(١) الفرق : الخوف .
(٢) فرعت : ثقبت وسلكت النجوم في سلكه .

أرى من وشائع متنهيما ... نجوماً مرصّعة في وشاح(١)
وسرّي عندهما لا يذيع ... ولا خوف واشٍ ولا خوف لاح
يسرّانني بصفيريهما ... خفيفين عند انتشار الجناح
صفيرٌ يعيد شريد الرّقاد ... وشجو يحثّ على شرب راح
سقى بلد الهند مغناهما ... سماءٌ من المزن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين ... بنسلٍ مباحٍ وخيرٍ متاح

ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه كتاب « روائع التوجيهات ، في بدائع التشبيهات » ، قوله في الثريا ، وهو مسبوق إليه قديما [من مجزوء الرجز] :

خِلْتُ الثريّا إذ بدتْ ... طالعةً في الحندس(٢)
سنبلةً من لؤلؤ ... أو باقةً من نرجس

وقوله فيها [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريّا اعترضتْ ... عند طلوع الفجر
حسبتها لامعةً ... سنبلةً من درٍّ

وقوله في قصر الليل [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ أقصر منْ ... فكريَ في مقدارها
بدت لعيني وانجلتْ ... عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل [من مجزوء الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهرته ... مفكّراً في امتداده

---

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي الأعلام والنقوش .
(٢) الحندس : الظلام .

كلّما زدت رعيه زادني من سواده
فتبيّنت أنَّه تائهٌ في رقاده
أو تفانت نجومه فبدا في حداده

وقوله في الأترج [من الكامل] :

أو ما ترى الأترج منضوداً لنا سطراً كأشخاصٍ جثون على الركبْ
وكأنّما أجسادها وجسادها صور السلاحف قد صنعن من الذهبْ

وقوله في النمام [من السريع] :

قلت لمن أحضرني زهرةً ومجلسي بالأنس بسّامُ
وقرّة العينين نيل المنى عندي ولا سامٌ ولا حام
تجنّب النمام لا تجنه فإنما النّمام نمّامُ(1)
أخشى علينا العين من أعينٍ يبعثها بالسوء أقوام

وقوله في الشيب [من مجزوء الكامل] :

قالوا اكتهلت فقلت ليلُ لابسٌ برديّ نهار
هل حسن كافورٍ كمسكٍ في حكومة ذي اعتبار
وشهوبةٌ في عنبرٍ كشبيبة في لون قار(2)
وفضيلةٌ للشّيب أخرى وهي أبَّهة الوقار

أين هذا من قول البحتري [من الخفيف] :

وبياض البازيِّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

---

(1) النمّام : نوع من الزّهر، والنمّام : الواشي .
(2) الشهوبة : البياض الذي غلب عليه ، والقار : الأسود السواد .

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [من الخفيف] :

يـا أبـا مسـلـمٍ سلمت على الـدهـر خديـن العـلا أميـن الجليـس[1]
بعـض إخوانـنـا تشهّـى علينا كرمـاً منـه مستطـاب الهريس
وقـديد السكبـاج بالأكبـر العذ ب ومغمـومـةٌ منّـي للجليس
واتخذنـا الجميع وهـي كمـا تذ كر نعـم الفـراش للخندريس[2]
وإذا شئـت أن تساعـد فيها كنـت فينـا الـرئيس وابـن الرئيس

* * *

(١) الخدين : الصديق .

(٢) الخندريس : الخمر مشتقٌ من الخدرسة ، وحنطةٌ خندريس : أي قديمة .

الباب الخامس

في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائعه . وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره ، استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها ، وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، كمنصور بن باذان ، وأبي دلف العجلي ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلي بن المهلب ، وأبي نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتي ، وأبي عبد الله تاج الكاتب ، وسهلان بن كوفي ، وصالح ابن أبي صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبي بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبي الهدهد ، وأبي قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبي بكر الزبيري ، وأبي علي بن رستم ، وأبي مسلم بن بحر ، وأبي الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلي بن حمزة بن عمارة، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي ، وأبي جعفر بن أبي الأسود ، وأبي سعد بن نوفة ، وأبي العباس بن أحمد بن معمر ، وأبي عمرو همام ، وأبي سوادة ، وأبي القاسم بن أبي سعد ،

وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي ، وأبي سعيد الرستمي ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري - حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة ترتبها ، وعذوبة مائها ، في طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه .

* * *

١٨ - عبدان الإصبهاني ، المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين[١] ، وفي مقدمة العصريين ، خفيف روح الشعر ، ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه ، ولا أظرف، ولا أعذب منه ، ولا أخف [من الخفيف] :

في مشيبي شماتةٌ لعداتي ... وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتي
ويعيب الخضاب قومٌ وفيه ... لي أنسٌ إلى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر منّي ... ما به رمت خلّة الغانيات
إنّما رمت أن أغيِّبُ عنّي ... ما ترينيه كلَّ يومٍ مراتي[٢]
فهو ناعٍ إليَّ نفسي ومن ذا ... سرَّه أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشة ، قاعداً تحت قول أبي الشيص [من الكامل] :

---

(١) المولّدين : مبتكري المعاني من الشعراء .
(٢) يريد مرآتي .

لا تنكري صدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزّمان براضي

وهو القائل [من الخفيف] :

قلت للدهر من فضولي قولاً وحَدَاني عليه طيبُ الأماني
أتراني بخلعةٍ أنا أحيا ذات يومٍ وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتما رضيعيْ لبان(١)
لا تؤمل ركوب متنٍ سوى النعـ ـش ولا خلعةٍ سوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

تكلّفني التصبُّر والتسلّي وهل يسطاع إلاّ المستطاع
وقالوا قسمةٌ نزلت بعدلٍ فقلنا ليته جورٌ مشاع

وقال أيضاً [من الوافر] :

تعيبُ الغانيات عليَّ شيبي وتخفي شيبها عنّي المقانعْ
وقال لي العذول تعزّ عنها وإلاّ فانظرنْ ما أنت صانعْ
فقلت له متى قدّمت خيراً وأيراً بعده ليست تمانعْ

وله من كلمة [من السريع] :

هيهات نجمي آفلٌ شاردُ ولّى فما يخرق أبراجه
أظلّ أخفي حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشرُّ أيّام الفتى آخرٌ فيه يسمّى للشقاء خواجه(٢)

وله :

---

(١) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد ، واللبان أي الصدر أو لبن الصدر .
(٢) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن مع باقي الأبيات .

أللشيب تخشى من ملال خرائدٍ وهنّ لعلاّتِ الفؤاد مراهمُ[1]
إذا كنت ذا مالٍ فأنت محبَّبٌ إليهنّ ، صيدُ الغانيات الدّراهمُ

وله في كلمة وصف هنه [من الطويل] :

ولي صاحبٌ ما حال عن حسن عهده ولم تر عيني منه أوفى وأكرما
يساعدني دون الأخلاّء في الدّجا إذا نام من قد كان شوقاً تنجّما[2]
فأهدا ولا يهدي وإن نمت لم ينم ويغري بذكراكم إذا الليل أظلما
ينادي على لحفي وصحبيَ نوَّمٌ وإن هو لم يفضض بنطقٍ له فما
أشبّهه والقطر بادٍ ولم يبنْ بمنقار فرخٍ قد تلقّط قرطما[3]

وله [من الطويل] :

تركنا لخوف الخيل والترك دورنا فللّه صرف الدّهر كيف تردّدا
دهاليزنا ضاقتْ لخوف نزولهم كأنّا يهودٌ ندخل الباب سجّدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لعبدان [من الكامل] :

إن كنت تنشط للغبوق فليلنا خلف النهار بغرّةٍ غرّاءِ[4]
وإذا صفا لك مثلنا في دهرنا فاذكر عواقب ليلةٍ كدراءِ

وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجي عبدان ، فمن ملح قوله فيه [من السريع] :

أبا العلاء آسكت ولا تؤذنا بشين هذا النسب الباردِ[5]

---

(١) الخرائد : الفتيات العذراوات ، والعلاّت : الأمراض .
(٢) تنجّما : أي حدّق في النجوم متأمّلاً لها علّه يغفو ويرقد .
(٣) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر وحبّه غذاءٌ للطائر .
(٤) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .
(٥) الشين : العيب والنقص .

وتدّعــي في أسـدٍ نسبةً لا تثبُــتُ الدّعــوى بلا شاهدِ
أقــمْ لنـا والــدةً أولاً وأنــت في حلٍّ من الوالد

وقوله [من الكامل] :

قابـل هديت أبـا العــلاء نصيحتي بقبولهــا وبواجــب الشُكر
لا تهجــونَّ أســنَّ منـك فربّما تهجــو أبــاك وأنــت لا تدري

وقوله [من مجزوء الرجز] :

أبـو العــلاء زاعـمٌ بأنّـه مـن العـربْ
ويدّعــي في أسدٍ أبـوّةً بــلا سببْ
أقســم أنّــي مُفْترٍ عليه في هذا النسب
فــآثــمٌ لكـنّنــي ألصقــه خـوف الغضب

وقوله [من الكامل] :

أضحـى الملــوم أبــو العــلاء يسبّني وأنــا أبــوه يعقّنــي ويعادي
والمنتمـون إليه مـن أولاده والله يعلـم أنّهــم أولادي
ولــو آنــه يسخــو علــيٌّ بواحدٍ عنــد التكاثــر زينــةً للنّادي
ألصقتــه بيَ واقتــديت بمــنْ رأى بأبيه إلصــاق الدعــيٍّ زياد[1]

وقوله [من السريع] :

حمــقٌ بهــذا الأســديِّ الّذي قد كان منّــي آمــنُ السّربِ[2]
وإنّمــا جرّبــتُ هجــوي بهِ تجربــة السّيف علـى الكلب

---

(١) يريد اقتدى بمعاوية الذي ألحق زياد ابن أبيه ، بأبي سفيان .
(٢) أمن السرب : أمن الطريق أو الفريق أو القلب .

وقوله في غيره [من المتقارب] :

رغيفــك في الأمــن يا سيدي ... يحــلّ محــلاً حمــام الحرم
فللــه درُّك من سيدٍ ... حرام الــرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [من البسيط] :

يعلــو ويُعلــى وكلٌّ من سجيّتُهُ ... يعلــو الــكنيف ويُعلــى بالغراميل[1]

وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاّجاً [من الطويل] :

أقـول وقـد قالــوا ابــن مأســدةٍ غدا ... علــى مركبٍ لا من حمير أبيهِ
ولا الصوت محلاجٌ ولا السّرج لوحُهُ ... ولا حبٌّ قطــنٍ كالشّــعير بفيهِ
مقــال الــوليد البحتــريّ فإنّه ... قد أنبأنــا عن مثلــه وذويه[2]
متــى أرت الــدنيا نباهــة خاملٍ ... فلا ترتقــب إلاّ خمــول نبيه

وقال في قينة [من الطويل] :

لنـا قينـةٌ تحمــي من الشّــرب شربنا ... فقــد أمِنــوا سكراً وخــوف خمار[3]
تكشّــر عن أنيابهــا في غنائها ... فتحــكي حمــاراً شمَّ بول حمار

وقال في شاعر [من مجزوء الرجز] :

مــا قال بيتــاً مرّةً ... ولا يقــول ما بقي
وكلُّ شعــرٍ قالهُ ... فإثمــه فــي عنقي

---

(١) الغراميل : جمع غرمول وهو الذّكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .
(٢) عجز هذا البيت غير مستقيم الوزن .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

وقال في علوي [من المنسرح] :

كم غاصبٍ حقّكم ليهزلكمْ وقد تفقّا من شدة السّمن[1]
واحربا إن قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزني[2]

وقال [من البسيط] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرمٍ فإنّه بعد ربّي غاية القسمِ
أنْ لو وليت أمور الناس مقتدراً ما خاف راعٍ على شاءٍ ولا نعم
وظلّت العصم للآساد آلفةً واستأنست طلس الذؤبان بالغنم[3]
مواهبٌ خصّك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحسّاد بالقسم
هذا الثناء وهذاك الدعاء وما لي غير ذين ِ وما ديني بمتّهم

وقال [من الطويل] :

سقيت وفي كفٍّ الحبيبة وردةٌ وأترجةٌ تغري النفوس بصونها
مداماً فلمّا قابلتني بوجهها شربت فحيّتني بلوني ولونها

* * *

١٩ ـ أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى ، وهو القائل [من الطويل] :

---

(١) تفقّا : تشقّق .
(٢) الحَرَب : الأسف والحزن .
(٣) العصم : من الغزلان أو نحوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والطلس: أي أنّ لونها أغبر يميل إلى السواد .

إذا نسبوني كنتُ من آل رستمٍ ولكنَّ شعري من لؤيِّ بنِ غالب

ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتزاحم ، والفقر تتراكم ، والدرر تتناثر ، والغرر تتكاثر [من الكامل] :

كلمٌ هي الأمثال بين الناس إلاّ أنّها أضحتْ بلا أمثال

وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل عصره ، وتارة : هو أشعر أهل عصره، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه ، وينظمه في عقد المختصين به ، وفيه يقول مداعباً [من مخلع البسيط] :

أبو سعيدٍ فتىً ظريفٌ يبذل في الظّرف فوق وسعه
ينيك بالشعر كلَّ ظبيٍ فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلمة حاله ، ويدره حلوبة ماله[1] ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا يخليه من مواد إنعامه وإفضاله ، وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أبهة الكبر ، أقلّ من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه .

فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره ، واستزادة شعره ، وهذه نسخته :

كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ، ولا ببارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده ، أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ[2] ، فإن تذكره مولاي بوصفه وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم ، وثم الذروة والغارب[3] ،

---

(١) يدره : يدفع .

(٢) فاظ : مات .

(٣) الغارب : السنام وأعلا كلِّ شيء .

ولواء العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ،والركب بجبلى نعمان،فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً [من الكامل] :

فلعلَّ تيماً أن تلاقي خطةً فتروم نصراً من بني العوام

* * *

وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شيء كله حسن !!

من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة [من الطويل] :

بدتْ يوم حزوى من كواها المحاجرُ فعاد عذولي في الهوى وهو عاذرُ
فكيف وقد أبدين ما في قناعها وأبرزن ما التفَّت عليه المعاجرُ(١)
مررنَ بحزوى والجآذر ترتعي فلم تدرِ حزوى أيُّهنَّ الجآذر
ومالتْ على الأنقاء فاشتبهت بها أهنّ النقا أم ما تضمُّ المآزر(٢)
وأرستْ على الأعجاز سود فروعها فأزرت بحيّات الغدير الغدائر(٣)
بدورٌ زهتهنَّ الملاحة أن يرى لهنَّ نقابٌ فالوجوه سوافرُ

سرقه من قول القائل [من الطويل] :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

---

(١) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشدّه المرأة على رأسها .
(٢) النقا : الكثيب من الرمل، والمآزر : جمع مئزر وهو ما تضعه المرأة في وسطها مؤتزرة به .
(٣) الفروع : جمع فرع وهو الشعر الأسود .

رجع :

وودّعنـي من نرجسٍ بجفونها على ورد خدٍّ لؤلـؤٌ متناثر
وسائلـةٍ عبـري متـى أنـت آيبٌ إلينـا وهـل يقضـي الإياب المسافر
حططـت لهـا رحلـي وسيّبـت ناقتي وأمّنتهـا والعيس ممّـا تحاذر(١)
نصيبـي من الـدنيا رضـى أمّ معمرٍ وسائـرُ ما تحـويه في الـرّيح سائر
وقلـت اربطـي جأشـاً عليك فإنّه سيغنيك عن سيري القوافـي السوائر
سيكفيك سيري في الدّجى إن كرهته صباحٌ كضـوء البـدر والنجـم باهر
أميرٌ كأنَّ الغيث من نفحاته يصـوب ومـن أخلاقـه الـروض زاهر
إذا ما علا صدر الســرير جرى لنا به فلكٌ بالخير والشرُّ دائر
يدٌ لأمير المـؤمنين طويلةٌ ونـابٌ إذا ما نابـه الخطـب كاشر
ينافـي الـكرى من حزمـه وهـو دارعٌ ويغشى الوغى من بأسه وهـو حاسر(٢)
إلـى أيّ أرضٍ أرحـل العيس صادياً وبحـرك موردٌ وروضـك ناضر

ومنها :

فأقسمـت ما في الأرض غيرك ماجدٌ يُزارُ ولا في الأرض غيريَ شاعرُ
بقيت مدى الـدّنيا وملـكك راسخٌ وظلُّك ممـدودٌ وبابـك عامر
يردّ سنـاك البـدر والبـدر زاهرٌ ويقفـو نداك البحـر والبحـر زاخر
وهنِّئـتَ أعياداً توالـت سعودها كمـا يتوالـى فـي العقـود جواهر

وله من أخرى فيه أيضاً [من الطويل] :

مررنـا بأكنـاف العقيق فأعشبت أباطـحُ من أجفاننـا ومسايلُ

---

(١) سيّبت : تركتها تمشي حيث شاءت ، أطلقها .
(٢) دارع : أي يلبس درعه ، وحاسر : أي كاشف الرأس .

وكادت تناجينا الـديار صبابةً وتبكي كما نبكي عليها المنازلُ
فمن واقفٍ في جفنه الدمع واقفٌ ومن سائلٍ في خدّه الدمع سائل
تأسَّ بيأسٍ أو تعزَّ بسلوةٍ فمالك في أطلال عزَّة طائل
ألم تر أيام الربيع تبسَّمتْ أجارع من أنوارها وخمائل[1]
كأنَّ غصون النرجس الغضِّ بينها نشاوى كرىً أعناقهنّ موائل
كأنّ شقيق الأبرين كواعبٌ عليهنَّ من صبغ الجساد غلائل[2]
وقد حملت سوسانها في حجورها رواضع إلاّ أنّهنّ حوامل
وضمَّر خيل الضيمران كأنّها مرازب فوق الهام منها أكالل[3]
ونوَّرَ قضبان الخلاف فأبرزتْ أصابع لم تخلق لهنّ أنامل
تخال أزاهير الرياض خلالها مصابيح ليلٍ ما لهنّ فتائل
وقد شربت ماء الغمامة فانثنتْ كما يتثنّى الشّارب المتمايل
فمن أقحوانٍ ثغره متبسّمٌ وورد على أكنافه الطلُّ جائل
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه كما ماج للريح النقا المتهايل
كأنَّ نعاج الرمل في جنباته يناطح بعضٌ بعضها ويقاتل
كأنَّ هدير الموج فوق متونه هدير قرومٍ هاجهنّ الشوائل[4]
سرى بين أحشاء السّرى فتشابهتْ أحيّاته تسري بها أم جداول
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته خيولك في الهيجا وهنّ صواهل
أيا ملكاً فاق الملوك وبذّهم فراح سناناً والملوك عوامل[5]

---

(١) الأجارع : رمل يرتفع وسطه وترِقُّ نواحيه .
(٢) الأبرقين : نوعٌ من الورد ، وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة في أول صباها .
(٣) المرازب : جمع مرزبة وهي عصاً صغيرة من حديد .
(٤) الهدير : صوت البعير ، والقروم : جمع قرم وهو الفحل من النوق : والشوائل : النوق التي آن وقت لقاحها .
(٥) بذّهم : تجاوزهم ، والعوامل : جمع عامل : وهو من الرمح أعلاه الذي يلي السنان .

إذا نحـن أثنينـا عليه تبادرت | فأثنـت كمـا نثنـي القنـا والقنابل
ينير الدجـى من وجهـه وهـو حالكٌ | وينـدى الثرى من كفّـه وهـو ماحل
وذو لحظـات كلُّهـنَّ فواضلٌ | وذو حركاتٍ كلُّهـنَّ فضائـل
دهـاءٌ لديه رأيٌ أكثـم فائلٌ | وجـودٌ لديه حاتـم الجـود باخل[1]
وحلـمٌ لديه ركن يذبـل ذابلٌ | وعـزمٌ لديه فارس الخطـب راجل[2]

ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [من الطويل] :

ضياعـيَ نهبـي قد تفـرّق شملها | فمـا في يدي منهـنَّ إلاّ الأنامل
فكم ضيعـةٍ مالـت لأبـواب مالها | قناتـي وغيري منـه نشـوان مائل
فحظّـي من الحـظين همٌّ وحسرةٌ | وحاصلها أنّي علـى الهـمّ حاصل
ألا ليت شعـري هل أرى لي جماعةً | تمـدّ بهـا فوق الشطـور الحواصل
تقاربهـا الأنمـوذجات كأنّهـا | إذا هي صرّوهـا الثـديُّ الحوافل[3]
وهـل أرنـي يومـاً وكيلـي حاضري | أناقشـه طوراً وطـوراً أساهل
ويخـرج باسمـي في الأدراج كاتبٌ | حسابـاً ويستـأدي خراجـيَ عامل
علـى عدل مولانـا الأمير توكّلي | فإحسانـه في الشـرق والغـرب شامل

ومن أخرى فيه أيضاً ، أولها [من الطويل] :

عذيري لدى الـواشين حسـن عذاره | وعذري لدى اللاحين حسـن اعتذاره
بنفسـي خبيبٌ زار بعـد ازوراره | وعاودنـي بالأنـس بعـد نفاره
وأشنـبُ معشـوقُ الـدلال منعّمٌ | معقـرب صدغٍ كالهـلال مداره
إذا ما استعـار الجلّنـار بخدّهٍ | أعـار الحشـى من خدّه جلّ ناره
سل البيض عن عاداتـه في عداته | وسمـر القنـا عن نهبـه ومُغَاره

(١) فائل : ضعيف .
(٢) يذبل : إسم جبل ، وراجل : أي الفارس يمشي على رجليه .
(٣) الأنموذجات ، وصرّوها : حلبوها واستخرجوا لبنها،والحوافل : الملأى .

وقائع نال النسر غاية سؤله بهنّ ونال النصر غاية ثاره

ومن قصيدة في الصاحب ، أولها [من الخفيف] :

عقّني بالعقيق ذاك الحبيبُ فالحشى حشوه الجوى والنحيبُ
وإذا جفّت الشؤون وخفّتْ ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أأدمعي أم جمان الـ ـعقد ينسلّ أم عقيقٌ يذوب
حبّذا حبّذا ونعمٌ وسعدي ونصيبي من وصلهنّ نصيب
إذْ زماني غرٌّ وغصني رطيبٌ وشبابي غضٌّ وبردي قشيب[1]
إذ بوادي العقيق عيشي أنيقٌ وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كم شجاني ببطن رامة ريمٌ وبظبي الكثيب ظبيٌ ربيب
أيّها الرمل كم مضى فيك عيشٌ لي مهاةٌ ومرتعٌ لي خصيب[2]
وأليفاي فيك ريًّا وأروي وحليفاي فيك زقٌّ وكوب
وبقلب الحسود منّا ندوبٌ وبطرف العذول عنّا نكوب[3]
وعفا الله عن ذنوبٍ تقضّت لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محبٌّ هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى ملامٌ ، ولا يخاف رقيب
ما يُذَمُّ الشباب عندي بشيءٍ غير أنّ المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو د كما يغلب الشباب المشيب
بذّهم في الندى وغطّى علاهم بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجدٍ فمساعيهمُ عليهم ذنوب

---

(١) زماني غرٌّ : أي ضاحك مبتسم ، ورطيب منعّم وغضٌّ : في أوج حيويته ونشاطه، وقشيب: ملوّن مفوّف .

(٢) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

(٣) الندوب : الجراح أو آثارها ، والنكوب : الإنحسار والابتعاد . واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

واجــدٌ بالعــلا وبالمجـد وجداً   لــم يجـده بيوسفٍ يعقوب[1]
وإذا ما أتــاه طالــب جدوى   راحتيهِ فالطّــالـب المطلوبُ
قـل لبـاغي النـدى خف الله لا تســــــــأله عــمـراً فــإنّــه مـوهــوب

من قول أبي تمام [من الطويل] :

ولــو لم يكن في كفّــه غير روحه   لجــاد بهـا فليتــق الله سائلُهْ

رجع :

إنّمــا حاتــمٌ وأوسٌ وكعبٌ   مثــلٌ في النّــدى له مضروبُ
يا حسامــاً مهنــداً وغماماً   ديمتــاه التــرغيـب والترهيب
فيـك ما يكمـد الحسود ومـا فيــــــك سوى الجود والنّدى ما يعيب
راحــةٌ ثرّةٌ ، ووجــهٌ طليقٌ   ولســانٌ عضــبٌ ، وصــدرٌ رحيب
وبيانٌ غضٌ تلــدّد فيـه   حين خاطبتــه الألــدُّ الخطيب[2]
وإذا مــا وخــدت فــي طلــب المجـد فـذو المجـد وخــده تقريــب[3]
عزمــاتٌ يرضّ منهــنّ رضوي   ويكادُ الــوليد منهـا يشيب
فلشــمس النهــار منهــا وجوبٌ   ولقلــب الزمــان منهــا وجيب[4]

ومنها :

وإذا ما دعــوت شعــريَ فيه   طرب المــدح واستهــلّ النسيب
مِــدَحٌ كالنّسيب رقّــة ألفا   ظٍ ومــا للنسيب منــه نصيب
محكمــاتٌ محــكمــاتٌ إذا أنشــدن نــال المنــى بهــنّ الأديــب

---

(١) واجدٌ : هائمٌ وعاشق .
(٢) تلدّد : احتار .
(٣) وخدت : سرت في طلب المجد ، والوخد ضرب من السير ، والتقريب ضرب من السير ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .
(٤) الوجوب : الاختفاء والمغيب، ووجبت الشمس : أي غابت .

رفعت من أعنّةِ الرفع حتى ذلّ منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرّاً وجهراً أعجميٌّ نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت ، شعاري نسبي واضحٌ وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنـ ـضي المطايا ولا الفلاة أجوب(١)
أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولىً وخادمٌ وربيبُ

ومن أخرى أيضاً [من الكامل] :

غيَّضن عبرتهنَّ يوم الوادي فأرحن عازب أنس ذاك النادي(٢)
فجنين بالأسماع نور حديثنا وكرعن في الشّكوى كروع الصادي
ووصفن سقم قلوبنا بعيونها فشفين منّا غلَّة الأكباد
لا غرو أن يجنين من ثمر الهوى لي في مراقدهنَّ شوك قتاد
فلطالما أسهرنني جنح الدجا وأطلن ليلي وانتهبن رقادي
لا والذي جعل الجفون عليلةً وأعار حبّ البيض حبّ فؤادي
إنّي لأرحم من أسرن فؤاده سرّاً فما لفؤاده من فادي
وأذمُّ أيام الفراق فإنّها عللٌ وإن خفيت على العوّاد
قلْ للزمان إذا تنمّر ساخطاً وعدا عليَّ بوجه ليثٍ عادي
أبرقْ وأرعدْ ليس يرتعد الحشى ليَ منك بالإبراق والإرعاد
الصاحب العالي الصنائع صاحبي في النائبات وعدّتي وعتادي
ورث الوزارة كابراً عن كابرٍ موصولةَ الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبّادٍ وزا رته وإسماعيل عن عبّاد

(١) غيّضن : كففن وحبسن ، والعازب : البعيد الغائب ، والأرض التي ليس بها أحد .

شرفٌ كعقد الدرّ واصل بعضه بعضاً كأنبوب القنا المنآد[1]
وعلاً كأيام السنين ترادفت آياتها بمكرّرٍ ومعاد
لا كالذين إذا سموا لكريمةٍ ضحكت جدودهم من الأجداد
أعلى المكارم ما تقادم عهده والمجد موروثٌ عن الأمجاد
لا والذي جعل المكارم كلّها لك والعلا في مبدأٍ ومعاد
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى وكساك آيات الإمام الهادي
لو كان غير الله يعبد ما انثنت إلاّ إليك أعنّةُ العبّاد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال في الرشيد [من السريع] :

لو عبد الناس سوى ربّهم أضبحت دون الله معبودا

رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى منه وأعجبه إلى المرتادِ
زارتك في حلل الرياض وفوده وكأنّهنّ يمسن في الأبراد
ورأت صنائعك التي أزرتْ بها فغدتْ تذمّ إليك صوب الغادي
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت أمواجه يقذفن بالأزباد
مثل الرمال تناطحتْ أوعالها فأعانهنّ العين بالإمداد
يرمي السواحل مدّه فكأنّه ملكٌ يهزّ الأفق بالإيعاد
يهدي المدينة واديان تجاورا وكأنّما وردا على ميعاد
مَدّان هذا ليس ينفد فيضه أبداً وهذا فيضه لنفاد
روضٌ يرفٌ ، ومزنةٌ تهمي عزا ليها ، وطيرٌ في الغصون ينادي
فكأنّ ذا يثني ، وذا يدعو ، وذا يبدي الرضا ويبوح بالإحماد

---

(١) المنآد : المعوج .

فاسعد بدنياً قد نظمت أمورها ... وسددتها بالرفق أيَّ سداد
ورعيةٍ أصلحتها بتألُّفٍ ... وتعطّفٍ من بعد طول فساد
داويتَ من سقم النفاق قلوبها ... وشفيتَ مرضاها من الأحقاد
فنصبتَ للإسلام أكرم رايةً ... وقسمت أهل الجبر والإلحاد[1]
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها ... وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج، ومسألة التسويغ، وما منها إلا ما لا غبار عليه، ولا شوب فيه، ولا مزيد على حسنه:

يا خيرَ من يُدعى لخطبٍ فادح ... ويحلّ عقد الحادث المنآد[2]
عمَّت فواضلك البرية واغتدت ... طوع العنان لحاضرٍ أو بادي
ووسائلي ما قد علمت ولايةٌ ... مذ كنت أعهدها وصفو وداد
ومنقّباتٍ في البلاد غريبةٍ ... وصلت سرى الإتهام بالإنجاد
تروى ولم يسمع لهنّ بقائلٍ ... تعزى إليه سوى حداء الحادي
من كلّ رائقةِ المحاسن حلوةٍ ... ريّا الرواية غضّةِ الإنشاد
لم يكسها الإكفاء في أكفائها ... عيباً ولا أزرى بها لسناد[3]
هذا وحرمة خدمةٍ مرعيةٍ ... للأبعدين قديمةِ الميلاد
ما زلت من أبرادها متوشّحاً ... بمفوّفٍ يزهى على الأبراد
يا حلية الوزراء حلّ قصائدي ... بمحاسن الإرفاد والإصفاد
ما لي ظمئت وبحر جودك زاخرٌ ... سهلٌ مشارعه على الورّاد
ووريتْ زناد السائلين بسيله ... وبفيضه وخصصت بالإصلاد[4]

(١) الجبر: الكفر.
(٢) الحادث: المصاب، والمنآد: المعقد.
(٣) الاكفاء والسناد: من عيوب القوافي في الشعر.
(٤) وريت: اشتعلت من قبسه، والإصلاد: يقال: أصلد الزند: أي صوّت ولم يورِه يعني أنّه منع العطاء أو أنّ عطاءه أمسك.

ما كان أجمل في التجمّل ملبسي		وأعفُّ في ظلٍّ القناعة زادي
لولا زمانٌ أزمنت حالي له		نوبٌ تراوح تارةً وتغادي
وأذى فراخٍ ضاق بي أوكارها		وكذا البغاث كثيرة الأولاد[1]
وأذى خراجٍ لو سرى لأدائه		غرر الليالي عدن وهي دآدي[2]
أبدت نجوم الليل سود نجومه		في مفرقي فأنار بعد سواد
حَصّةٌ حَصّتْ مني جوانب هامتي		صفعاً أوافقه من المستادي[3]
ووفود سوءٍ يألفون زيارتي		من صادرٍ أو رائحٍ أو غادي
ورجالةٌ مترادفون كأنّما		غصّت مدارجهم برجل جراد
من كل منتفش الشّوارب مسمعٍ		عبدٍ لآل ربيعةٍ أو عاد
صهب اللحى سود الوجوه كأنّما		خضبوا الرؤوس بيانع الفرصاد[4]
ما غاب عنّي واحدٌ إلّا ويقفو إثره ثانٍ وآخر بادي
هذا يواجه شاربي متهدّداً		ويقوم هذا من وراء العادي
ففرائصي من خوفهم مملوءةٌ		أبداً من الإخفاق والإرعاد
وإذا أصادر غدوةً لم يرتفع		عند المساء سواي في الأوراد
ما في يد النقّاد من ضربي سوى		ضربي ودقّ الجيد دون جياد[5]
يا حلية الوزراء حقّي واجبٌ		ونداك صوبا أنعمٍ وأيادي
وقّعْ بتسويغي خراجي كلّه		أو لا فعاودني على الإيراد[6]

---

(١) البغاث : طائرٌ أغبر ، وشرار الطير .

(٢) دآدي : شديدة الظلمة .

(٣) الحص : حلق الشعر ، والحصة : من الحصى ، والمستادي : طالب الأداء ، وأصله المستأدي بالهمز .

(٤) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كلّ شيء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبة وهي حمرة أو شقرة في الشعر .

(٥) الجيد : العنق ، أو موضع القلادة ، والجياد : جمع جواد .

(٦) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحةٍ أو عطاء وهي مولّدة .

وامنـنْ علـيّ بفضـل جودك واكفني دار الخـراج وجهمـة الحدّاد[1]

وله من أخرى [من المنسرح] :

قولـوا لو سنـانَ نام عن أرقي فيه وحاشـا جفونـه الأرقُ
ارثِ لـمن قـد رثى لمقلتـه الـدّمـع ورقّت لقلبـه الحـرقُ
لم يبـق من جسمـه سوى رمقٍ ينتظـر المـوت ذلـك الرمقُ
يا بأبـي منـه طرّةٌ سبجٌ إذا تبـدّت وغـرةٌ يقق[2]
ولؤلـؤٌ مـن لسانـه بـردٌ ولؤلـؤٌ فـي لبـاتـه نسق
وجـهٌ بـه الجلّنـار مبتسمٌ يفتـرٌ والأقحـوان متّسـق
شعلـة نارٍ ملاحـةً وسناً يكـاد منـه الجليس يأتلق
غنّـى فجلّـى الظـلام غرّته عنّـا وغصّـت بشـدوه الأفق
فودّتِ العين أنّهـا أذنٌ تسمـع والأذن أنّهـا حدق

زاد على من قال [من المنسرح] :

غنّـتْ فلـم يبـقِ فيَ جارحةً إلاّ تمنّـتْ بأنّهـا أذن

رجع :

والله لو كانـت الأزاهـر والـ أوتـار ناسـاً وأبصـروا عشقوا
شانـيء أيّامـه يـذوب شجىً من كمـدٍ والحسـود يزدهق[3]
كذلك النّـار حيـن أعوزهـا مـا أحرقتـه تبيـت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [من مجزوء الكامل] :

كالنّـار تأكـل نفسهـا إن لـم تجـدْ مـا تأكُلُهْ

---

(١) الجهمة : التقطيب والعبوس .

(٢) السَّبج : الأسود ، واليقق : الشديد البياض .

(٣) الشانىء : المبغض ، وزهق وازدهق سواء : ومعناه : اضمحلاله وخروج روحه .

رجع :

وإن ذكرنا اسمه لطيبته ... يبقى بأفواهنا له عبقُ
والناس لولا سناه ما رمقوا ... والناس لولا نداه ما رزقوا
إسعدْ بشهرٍ وافتك مقبلةً ... أعياده بالسعود تستبق
ثلاثةٌ قد قِرْنَ في قرنٍ ... خوّة روزٍ والنضحُ والسذق[1]
مقدّماتٌ من الربيع غدتْ ... وفودها من صبابةٍ سبقوا
أما ترى المزن حلَّ حبوته ... في الروض فالروض زاهرٌ أنق[2]
فنوره من سناك مقتبسٌ ... ونوءه من نداك مسترق
فاعمرْ لدنياً لولاك ما خلِقَتْ ... وأهل دنياً لولاك ما خلقوا
وعدْ جديداً على الزمان كما ... عاد جديداً في عوده الورق
ما صحبتك الأيّام دمتَ لها ... فليس في صفو عيشنا رنق[3]

وله من قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [من الطويل] :

عزيزٌ علينا أن تشطّ منازله ... سقته الغوادي من عزيزٍ تزايله
ولا زال حاديه دميثاً فجاجه ... وقمراً لياليه وصفواً مناهله[4]
يحلّ عزالي الغيث حيث يحلّه ... ويغشى كما يغشى الربيع منازله[5]
ومهجورةٍ خافت عليها يد النّوى ... فلم تبق في حافاتها ما أسائله
سوى كحلِ عينٍ ما اكتحلت بنظرةٍ ... إلى جفنه إلاّ شجتني مكاحله
وقفتُ فأمّا دمع عيني فسائلٌ ... عليه ، وأما وجد قلبي فسائله

---

(١) السذق : ليلة الوقود الشديدة البرد، وقرف: أمسكن وغدون، وقرن : شرك أو عقد أو سِلك ، والنضح : رشاش الماء ونحوه .
(٢) الحبوة : الحظوة والعطية ، أو ما يشتمل عليه .
(٣) الرنق : المتكدر .
(٤) الدمث : السهل اللّين .
(٥) العزالي: جمع عزلاء ، وهي مصبّ الماء .

أقلّب قلباً ما يخفُّ غرامه ... عليه ، وطرفاً ما تجفُّ هوامله[1]
لعلّيَ أرى من أهل ريّا وإن نأتْ ... بأرجائه شبهاً لريّا أواصله
فأصبحتُ قد ودعت ريّا ووصلها ... كما ودّعت شمس النهار أصائله
بكُرهي زال الحيُّ من بطن عازبٍ ... وغودر منّي عازب اللبِّ زائله[2]
وقلبٍ إذا ما قلت خفَّ غرامه ... وأبصر غاويه وأقصر عاذله
دعاه الهوى فاهتزّ يهوي كما دعا ... صبا الريح غصن البان فاهتزّ مائله
وهاجرةٍ من نار قلبي شببتها ... وقد جاش من حرّ الفراق مراجله
صليت بها والآل يجري كما جرى ... من الدمع في جفنيّ للبين جائله[3]

ومنها :

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإن حلا ... إذا لم يكن أحلى من العرف باذلُهْ
وما الجود إلاّ ما تطوّع أهله ... ولا السّمح إلا ما تبرّع ناثله
وأروع أنواء الربيع صنائعٌ ... لديه ، وأنوار الربيع فضائله
أهان مصونات الذخائر كفُّه ... وهان عليه ما يقول عواذله
وفاح كما فاح الرّياض فعاله ... ولاح كما لاح البروق شمائله
يسيل على العافين عفو نواله ... فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله
شفيع الذي يرجوه حسن صنيعه ... وسائله عند الرجاء وسائله[4]
ولم يجتمعْ كفّاه والمال ساعةً ... كأنّي وريّا ماله وأنامله

(١) الطرف : العين ، والهوامل : الدموع .
(٢) عازب الأول : اسم جبل والثانية إسم فاعل من عزب بمعنى غاب .
(٣) صليت بها : احترقت ، والآل : السراب أو ما أشرف عليه البعير ، وقيل إنّه خاص بما يكون أول النهار .
(٤) وسائله الأولى : مؤلّفه من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدي، وأما الثانية فهي جمع وسيلة والواو فاء الكلمة .

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أيصبح مثلي في جنابك صادياً ... وأنت الحيا تحيا وتروي هواطله
ولولا فراخٌ زعزع الدهر وكرُها ... عليَّ وقد غال الجناح غوائله
أعرت ظلال الحرّ نفس ابن حرةٍ ... تقاصره الأيام حين تطاوله
فخذني من أنياب دهري بعاجلٍ ... من النصر دانٍ ، أكرم النصر عاجله
بقيت مدى الدنيا لمجدٍ تشيده ... وقرمٍ تساميه وخصمٍ تجادله
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها ... عليك كما تجلو الحسام صياقله
قريضٌ كساه المزن أثواب روضةٍ ... فرقّتْ أعاليه ورقّتْ أسافله[1]
تطيب على الأيام ريّا نشيده ... وأطيب من ريّاه ما أنت فاعله

وله من أخرى [من الطويل] :

وحسناء لم تأخذْ من الشمس شيمةً ... سوى قربِ مسراها وبعدِ منالها
وإنّي لأهوى الشيب من أجل لونه ... وإن نفرتْ عنّي الدّمى من فعالها
وأروع يستحيي الحيا من يمينه ... فيرتدّ فوق الأفق حيران والها
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها ... وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها[2]
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها ... شكتْ منه ما لم تشكه من جبالها
وجود بنانٍ سبّح الغيث عندها ... وهلّل صوب البحر عند انهلالها
يدٌ كلّ ما تحوي يدٌ من نوالها ... وبيضٌ أياديها وغزرٌ سجالها
تأمّلْ فما لاحظته من هباتها ... لدينا وما لاحظته من عيالها
من النفر العالين في السِّلم والوغى ... وأهل العوالي والمعالي وآلها[3]
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولها ... وإنْ نازلوا احمرَّ الثرى من نزالها

---

(١) القريض : الشعر .

(٢) أقام : أصلح وسوّى ، وحاط : حمى وحرس .

(٣) العوالي : الرماح .

ببيضٍ كأنَّ الملـح فوق متونها ودهـمٍ كأن الزّنـج تحـت جلالها

انظر الى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام :

مسـاميح كلّ الغيث بعض نوالها وكلّ المعالـي خلّـةٌ من خلالها
سمـتْ فوق آفاق السمـاء فأصبحتْ ثراهـا الثـريًا والسُّهـى من نعالها
إليك ابـن عبـاد بن عبـاس إنثنتْ أعنَّـةُ شكر الدهـر بعـد انفتالها[1]
بك افتـرَّ ثغـر الملك واهتـزَّ عِطفه وجـرَّتْ بك الـدنيا ذيول اختيالها
تشـكّى الثـرى إظلامهـا ومحولها فأغنيتهـا عن مزنهـا وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [من الطويل] :

سلامٌ على رمـل الحمـى عدد الرّمل وقـل له التسـليم من عاشـقٍ مثلي
وقفـت وقـوف الغيث بين طلوله بمنسـكبٍ سحٍّ ومنسجـمٍ وبل[2]
ومـا رِمْت حتى خالنـي الـرّيم رِمّةً وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي[3]
خليلـيَّ قـد عذبتمانـي ملامةً كأن لم يقفْ في دمنـةٍ أحـدٌ قبلي[4]
وممّـا شجانـي والعـواذل وقّفٌ ولـي أذنٌ صمَّـت هنـاك عن العذل
ظبـاءٌ سرت بالأبـطحين عواطـلاً وكنْتُ أراها في الرعاث وفي الحجل[5]
تبـدّلن أسمـاءً سوى ما عرفتها لهـنّ ، فلا تدعـي بسعـدي ولا جمل
تشابهـن أحداقـاً وطـول سوالفٍ وخصّ الغوانـي بالملاحـة والـدلّ
ومكحولـة الأجفـان مخضوبـة الشّوى ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بهـا من لسـت أنسـى ذنوبها وإنْ بعـدتْ والشّـيء يذكرُ بالمثل

---

(١) انفتالها : اجتماعها ، والأعنّة : الأزمّة .
(٢) الوبل : المطر الشديد ، والسحّ : الصبّ السائل ، والمنسجم : القطر المتوالي .
(٣) رمت : انصرفت ، والرّمة : البالي من العظم وغيره ، والآجال : قطعان النعام والإبل .
(٤) الدمنة : الموضع القريب من الدار .
(٥) الرعاث : جمع رعثة بضمّ الراء ، القرط .

سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى سواجمُ تغني جانبيه عن الوبل
ولا برحت عيني تنوب عن الحيا بدمعٍ على تلك المناهل منهلّ
مغاني الغواني والشبيبة والصبّا ومأوى الموالي والعشيرة والأهل
ليالـيَ لا روض الكثيب بلا ندى ولا شجرات الأبرقين بلا ظلّ
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى ولكنّني أمسي بغير الهوى شغلي
فراخٌ نباني وكرهنّ وهاجني كما هاج ليث الغاب وعوعة الشبّل[1]
وكم قد رحلت العيس في طلب العلا فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
نزلت على الأيّام ضيفاً فلم أجدْ قرى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامني أهلي المقام بذلّةٍ ولست بأهلٍ للّذي سامني أهلي
سبيل الغنى رحبٌ على كلّ سالكٍ فما لـيَ أسعى منه في مدرج النمل
أينكر نصٌّ العيس والبيد والدجا لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
دعوني أصل إرقالها بذميلها وأطوي الدّجا حتى أرى صبحها المجلي[2]
حياً لم يفت منّا ولياً وليّه ولم يخلْ من أفضاله كفُّ ذي فضل
ومبتدهِ الجدوى إذا ما سألته فأعطاك لم يعتدّ ذاك من البذل
فتىً حاز رقّ المجد من كلّ جانبٍ إليه وخلّى كاهل الشكر ذا ثقل
بعفوٍ بلا كدٍّ وصفوٍ بلا قذى ونقدٍ بلا وعدٍ ووعدٍ بلا مطل[3]
من النفر الأعلين في حومة الوغى يميلون زهواً غير ميلٍ ولا عزلٍ[4]
همُ راضة الدنيا وساسة أهلها إذا افتخروا لا راضة الشاء والإبل
محلّهم عالٍ على السبعة العلا وعالمهم موفٍ على العالم الكلّي

---

(١) نباني : ابتعد عنّي ، ووعوعة الشبل : تصويته .
(٢) الإرقال : ضرب من المشي السريع ، والذميل سير آخر في لينٍ وتؤدة .
(٣) المطل : من المماطلة ، وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد في حينه .
(٤) غير ميلٍ ولا عزل : أي أنهم مكتملون خلقةً وقوة فالميل : من كان في خلقته ميل ، والعزل : الضعف .

إذا أنـت رتّبـت الملـوك وجدتهمْ هـمُ الاسـم والباقـون من حيِّز الفعل
مساميح عنـد العسـر واليسـر ، لاتني مراجلهـم في كلٍّ أحوالهـم تغلي
ولـم يغلقـوا أبوابهـم دون ضيفهم ولا شتمـوا خدّامهـم ساعـة الأكل
ولا شدّدوا دون العفـاة حجابهم وقالوا لباغـي الخير نحـن على شغل
لتهـن ابـن عبـادٍ قوافٍ كأنّها جنـى لؤلـؤٍ رطـبٍ من العقـد منسلٍ
أبـى ليَ حسنـاً أن أبالـيَ بعدهُ بشعـرٍ ولـو أنشـدت للنّمـر العكلي[1]
وقـلْ له ما قال في هرم الندى زهيرٌ وأعشـى قيس في هوذة الذهلي
ومـا كنـت لولا طيب ذكرك شاعراً ولا منشـداً بين السمـاطين في حفل
ولكنّنـي أقضـي به حقّ نعمةٍ سرت مثـلاً لمـا وَسَمْـتَ به عقلي
إذا لم تكنْ لي أنـت عونـاً ومعدياً على الزمن العادي عليَّ فقل من لي[2]
من الناس من يعطي المزيد على الغنى ويحـرم ما دون الغنـى شاعـرٌ مثلي
كمـا ألحقـت واوٌ بعمـروٍ زيادةً وضـويق بسـم الله في ألف الوصل
أعـر من ورائـي من عبيدك لحظةً بعين العلا واجمعْ على شكرها شملي
فما لـي رجاءٌ في سواك ولا يرى يَمَـرُّ قريضـي عنـد غيرك أو يحلي
وهـل بارقٌ يشتـام إلاّ من الحيا وهـل عسـلٌ يشتـار إلا من النحل[3]
وقـاك بنـو الـدنيا جميعـاً صروفها جميعاً فإنَّ الجفـن من خدم النّصل[4]

وله من أخرى [من الكامل] :

كفتـك عن عذلـي الدمـوع الوكَّفُ ونهتك عن عتبـي الضلـوع الرجَّفُ
لله عيـشٌ بالمـدينـة فاتنـي أيام لي قصـر المغيرة مألفُ

---

(١) النّمر العكلي : هو النّمر بن ثولب بن زهير بن أقيش العكلي شاعر مخضرم ، من المعمّر بن الأجواد .
(٢) العادي : الجائر .
(٣) يشتام ، يرى ، ويشتار : يستخرج ويجنى .
(٤) الجفن : الغمد .

حجّي إلى الباب الجديد وكعبتي الـ ـباب العتيق وبالمصلّى الموقفُ
والله لو عرف الحجيج مكاننا من زندروز وجسره ما عرّفوا
أو شاهدوا زمن الربيع طوافنا بالخندقين عيشةً ما طوّفوا
زار الحجيج منىً وزار ذوو الهوى جسر الحسين وشعبه واستشرفوا
ورأوا ظباء الخيف في جنباته فرموا هنالك بالجمار وخيّفوا[1]
أرضٌ حصاها جوهرٌ وترابها مسكٌ وماء المدِّ فيها قرقف
ما لي وللواشين لا يهنيهمُ ما نمنموه من النّميم وزخرفوا
أعياهم سبب التهاجر بيننا فتفاءلوا لي بالفراق وأرجفوا
لا واعتلاقي بالوزير وحبله ما أحسنوا ما أجملوا ما أنصفوا
ما للوزير عن المعالي مصرفٌ أبداً ولا لي عن هواه مصرف
يا من نعوذ من المكارم باسمه ونعزّه وهو الأعزُّ الأشرف
ونجلّ عن خطر اليمين حياته فبفضل نعمته علينا نحلف
وعظيم ما أوليتني من نعمةٍ ما للسّماح سواك ربٌّ يعرف
يا ابن الذين إذا بنوا شادوا وإن أسدوا يداً عادوا وإن يعدوا وفوا
إن حاربوا لم يحجموا ، أو قاربوا لم يندموا ، أو عاقبوا لم يشتفوا
ومتى استجيروا أسعفوا ومتى استنيلوا أسرفوا ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفروا، أو عاقدوا لم يغدروا ، أو ملكوا لم يعسفوا[2]

ومنها التهنئة بالخلعة :

تهنّى ابن عباد بن عباس بن عبـ ـد الله نعمى بالكرامة تردفُ
يهنيه زائدُ نعمةٍ متجدّدٌ أبداً وحادثُ نعمةٍ يستطرف

---

(١) خيّف : نزل منزلاً ، والمراد به ههنا مسجد الخيف . ، والجمار : الرّجم .
(٢) لم يخفروا : أي لم يخلّوا بما عاهدوا عليه ،ولم يعسفوا : أي لم يظلموا أحداً .

خلعٌ كأنوار الربيع مدبجٌ ومـوشّمٌ ومنمنمٌ ومفوّف[1]
بهرتْ عيون الناظرين وأبرزتْ حسناً يكاد البرق منه يخطف
لو نالت الشمس المنيرة حسنها ما كانت الشمس المنيرة تكسف
ولئن كبرت عن الملابس والحلى وبك الملابس والحلى تتشرّف
فالبيت يكسى وهو أشرف بقعةٍ في كلّ عامٍ مرّةً ويسجّف[2]

ألمَّ فيه بقول من قال [من الكامل] :

تزهى بك الخلعة الميمون طائرها كزهو خلعة بيت الله بالبيت

رجع :

كالشّمس حفّت بالسعود وحوله خدمٌ كأمثال الكواكب وقّفُ
وكأنّ مجلسه عروسٌ تجتلي والمادحون به قيانٌ تعزف
ما تشتهي الآذان تسمعه وما تهوى العيون من المناظر تطرف
أو ما ترى حسن الزمان وطيبه والجوّ صافٍ والجنان تزخرف
عاد الربيع إليك في كانونه فشتاؤه للحسن صيفٌ صيِّفُ
شمسٌ محجّبةٌ وظلٌّ سجسجٍ وغمامةٌ سحٌّ وروضٌ رفرف[3]
وعلى الجبال من الثلوج أكاللٌ وعلى السماء من السحائب مطرّف[4]
نبأٌ تباشرت القلوب لذكره أذكى من المسك الذكيّ وأعرف
فلكلّ عينٍ قرّةٌ ومسرّةٌ ولكلّ نفسٍ عزّةٌ وتغطرف[5]

---

(١) خلع : عطاء ، وثوبٌ ، ومفوّف : موشّى ومزيّن .
(٢) يسجّف : من سجف البيت : أي أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان بينهما فرجة ، والمراد بالبيت : الكعبة الشريفة .
(٣) السجسج : الذي لا حرّ فيه ولا برد .
(٤) المطرّف : الرداء من الحرير ذي الأعلام .
(٥) التغطرف : العجب والخيلاء .

وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم [من المتقارب] :

معانٍ نظمت بهنّ الصبّا كما نظم الغانيات العقودا
بباب الجديد لنا موقفٌ لبسنا به العيش غضّاً جديدا
وكم بالمحصب من ليلةٍ شفعنا إلى الصبح أن لا يعودا
ويومٍ قصيرٍ بتلك القصو ر تحسبه الغيد للحسن عيدا
تراه عبيراً وحصباءه عقيقاً وأشجار واديه عودا
عليّ بن أبي القاسم آرفق بنا فقد عاقنا الشكر أن نستزيدا
لئنْ لم تملَّ ندىً أن تفيد لقد ملَّ راجيك أن يستفيدا
وقالوا انتجعت حياً نازحاً وهل عاق بعد الحيا أن يجودا[1]
سنا البدر يغشى الثرى والورى جميعاً وإن كان منهم بعيدا
قوافٍ إذا ما رآها المشو ق هزّت لها الغانيات القدودا
كسون عبيداً ثياب العبيد وأمسى لبيد لديها بليدا[2]
ولو لم أكن محسناً نظمهنْ لحسن قصدي إليك القصيدا
عرفنا بعرفك كيف الطريق وجودك علَّمنا أن نجيدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه [من الرمل] :

ثُقَلاءُ الأرض عندي خمسةٌ صالح والابن منهم أربعة

ومن نتفه [من الوافر] :

تركت الشّعر للشعراء، إنّي رأيت الشعر من سقط المتاع

وأنشدني له في أبي الحسن الغويري [من مجزوء الرمل] :

في حرِّ امِّ الشّعر أيري لست أعني أير غيري

---

(١) انتجعت : قصدت ، والحيا : المطر .

(٢) عبيد : يريد عبيد بن الأبرص ، ولبيد : يريد : لبيد بن ربيعة ، وبليدا : مستثقلا .

إنّمـا يرفـع قـول الشـعـر أمثـال الغـويـري

* * *

٢٠ ـ أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإِصبهاني

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب في ديباجة كلامه ، متنافس في سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد ، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتي المنشودة من مجموع شعره ، وقد مرت في الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهـذا مكان ما أحاضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة .

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصبهاني قال : أنشدني أبو القاسم بن أبي العلاء لنفسه [من مجزوء الرجز] :

أصـبحـت صبّـاً دنفاً بيـن عنـاءٍ وكمد
أعـوذ من شرّ الهوى بقـلْ هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو القاسم لنفسه [من الكامل] :

المستغـاثُ من الهـوى بالله من شادنٍ فتـن الـورى تيَّاهِ
مـا كنت أعلـم قبلـه حرّ الهوى والوجـد ما هو والصّبابـة ماهي
حتـى بليت أغـنّ مدللاً كالـريم يعصـي في هواه الناهي
فمدامعـي عبـري وقلبـي والهٌ وجوانحـي حرّى وصبـريَ واهي

وله [من الخفيف] :

أيهـا الخشف كم أودُّ وأجفى وأسـام الهـوان صنفـاً فصنفا
لـو كشفـت الغطـاء عن سرّ قلبي لقـرأت الأحـزان حرفـاً فحرفا

إنّ نفسي موقوفةٌ بين شيئين رجائي عليهما بات وقفا
بين أن ينصف الزمان وأعطى أملي فيك أو أموت فأكفى

ومن قصيدة [من الكامل] :

الطِفْ بطرفك ما أردت ودارهِ لا يفضحنّك إنْ مررت بداره

وأنشدني له في نفسه [من المجتث] :

رجلي وأيري وبيضي في إست أم القويضي
لما أراد هجائي وفيضه دون غيضي[1]
ورام تدنيس عرضي فصار خرقة حيض[2]

وأنشدني أبو القاسم علي بن الكرخي له فقال [من الطويل] :

وقائلةٍ قالت فلانة طلّقتْ فقلت ونفسي أطلقت بانطلاقها
تزوّج قلبي الهمّ يوم تزوّجت وطلّق قلبي الهمّ يوم طلاقها

وأنشدني الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها الصاحب ويستبطئه [من الطويل] :

فإن قيل لي صبراً فلا صبر للذي غدا بيد الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي له من قصيدة [من الكامل] :

وَرَدَ البشير بما أقرّ الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرّة بينهمْ قسماً فكان أجلُّهم حظّاً أنا

* * *

(١) دون غيضي : أي أقل ممّا يحبسه وغاض الماء : ذهب في الأرض وغاب .
(٢) خرقة حيض : أي خرقة تستعملها المرأة أوان الحيض أي العادة الشهرية .

٢١ ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر. ومن خراص الصاحب ومشاهير صنائعه ، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته . وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره ، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه ، عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين ، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي ، وذكر فيه عجزه وبجره[١] ، وقد كتبته تنبيهاً على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة[٢] ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن في هذا ، ولكن الشأن في عشر سنين فاتت بين علم ينسى وغمّ لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنّي ريش طائر ، وبعد عن الوطن، على غير بلوغ الوطر . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر[٣] ، أتلو « والعصر إن الإنسان لفي خسر » ، وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار ، إلا أني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار

---

(١) عجره وبجره : ما يبديه ويخفيه من أحواله .

(٢) أبطرتنا : من البطر .

(٣) البيض والصفر : الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب .

الإجرام ، وبركة الشهر الحرام ، وحين خيّمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها وسناءها ، والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب ، أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافي الكفاة أدام الله مدته ، وكبت أعداءه وحسدته ، بعالي خطّه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي ، وعبّادي لا حاتمي ، وأنّا نتجرّم ثم نتندّم ، ونميل على جانب الإدلال ، ثم لا نروى من الماء الزلال ، والتوقيع .

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن أيده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج . وقد علم الله أن إشفاقي عليه في اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه ، فإن أحب أن يقيم مديدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآيب . فليكن في ظلّ من مولانا ظليل . ورأي منه جميل ، وبرّ من ديواننا جزيل . وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قرّبته التربية لدينا ، فأفسدته الغرّة علينا[1] ، وردته التجربة إلينا . وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعنيه على كل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى .

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس ، أدام الله عزه في معناي ، فلا جرم أني أخذت مالاً ، وأغنيت عيالاً ، وقلت ليس إلاّ الجمازة والمفازة[2] ، فصبحت جرجان مسى عاشرة أهدى من القطا الكدرى ، كأني دعميص الرمل أستاف أخلاف الطرق[3] ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنّي حلماً ، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً ، فكأنّي ما خطوت إلاّ في التماس قربه ، وما أخطأت إلاّ لتأثيل حرمه[4] ، وكأني لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فيّ بقول الله

(١) الغرّة : الجهل .

(٢) الجمازة : الإسراع في الأرض ، والمفازة : الأرض الكثيرة الهلكة .

(٣) الدعميص : التلّ والكثيب الصغير،وأستاف : أضرب بعضها ببعض .

(٤) تأثيل : تمجيد، والأثيل : الأصيل .

تعالى فاصفح الصفح الجميل ، فقد روى في التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب في المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر[1]. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا الى دورنا بفضلات الخير . وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم . وراجع الطبع شيئاً كان يدعي الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه . وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبري، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر * طيفٌ ألمَّ بذي سلم *لأنه حل محل الخيال ، وورد بأخصر المقال ، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة ، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المز ن من المزني صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره ، وداري إزاء داره . ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، ولله اللطائف التي تخلصتني من الموصل ، فإني كنت في وقعة باد أباده الله وعراني ممّا ملكت ، وهتكني فتهتّكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخّر عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية . وأنا أجري حديثاً ، وأنتجز كتاباً جديداً . فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وفجعت بكتبي جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة . بل عملت في تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه ، حين رزق سبطا نبوياً علوياً فأشرقت الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [من البسيط] :

---

(١) الحبر : جمع حبرة وهي الثوب الناعم الجديد الموشّى .

الحمـد لله حمداً دائمـاً أبـدا إذ صار سبـط رسـول الله لي ولدا

فعملت على ذلك ما قد أثبته ، فإن يكن ليس بالمسخوط فمن بركة الحضرة والخدمة ، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربة . ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان مقطعة ، وقد برقت لي في حلّها بارقة مطمعة[1] ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن أعمـل في السلطـان العـظيم ، أطـال الله بقـاءه مدحـاً نيروزياً أشـقّ بسموطـه السماطين[2] ، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات ، فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقـد صارت في منـازل أحتـاج إلـى خافية العقاب حتى ألحق بها ، زادهم الله ولا نقصني ، وهناهم ولا نغّصنـي . ومنهـم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خوّل وتخوّل به وموّل . إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقـى الله مولانـا ما عاد عيد ، وطلع نجم جديد ، وسقى الله سيدي الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل ، والوبل ، والديمة ، والتهتان[3] ، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتمّ منه ، وحسبي الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالـة والحـلاوة ، وحسـن التصـرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الإتقان ، والإبداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعـره فجار مجرى عقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وما أصدق قولـه [مـن البسيط] :

لا يحسـن الشعـر ما لم يستـرقّ له حرُّ الـكلام وتستخـدمْ له الفكرُ

(١) برقت : ظهرت وخطرت .

(٢) السماطين : السماط : الصفّ ، وسماط الطريق جانبه .

(٣) العهاد والرذاذ والطلّ والوبل والديمة والتهتان جميعها من صفات هطول المطر .

انظرْ تجد صور الأشعار واحدةً وإنّما لمعانٌ تعشق الصّور
والمقدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إنْ عدّوا وإنْ حصروا
قومٌ لو آنّهم آرتاضوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد ، كقوله في وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه . وأجمع لأقسام الحسن والظرف ، وهو [من الخفيف] :

إنّ هذا الغبار ألبس عطفيَّ سواداً ودينيَ التّوحيد
وكسا عارضيَّ ثوب مشيبٍ ورداءُ الشّباب غضٌّ جديد

وقال في الغزل [من الكامل] :

حثَّ المطيّ فهذه نجدُ بلغ المدى وتزايد الوجد
يا حبّذا نجدٌ وساكنُها لو كان ينفع حبّذا نجد
وبمنحنى الوادي لنا رشأٌ قد ضلّ حيث الضال والرند[١]
هندٌ ترى بسيوفِ مقلتها ما لا ترى بسيوفها الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر ، فشوقني إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحفني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده بالعقيلة الكريمة ، والدرة اليتيمة ، من مجموع شعر أبي محمد، وقد كانت حضرة الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألفت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر الأعداد ، وجمعت يدي منه على العلق النفيس ، فرتعت في روضته الأنيقة فبينا أنا أباهي به ، وأهتز لحصوله ، إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض الخونة [من الطويل] :

(١) الرشأ : الغزال ، والضال،والرند : من الأشجار الطيبة الرائحة .

وسهم الرزايا بالذخائر مولعٌ وأيُّ نعيمٍ لا يكدِّره الدَّهرُ

فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه ، فمن ذلك قوله من قصيدة في الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار بأبي محمد [من الوافر] :

أيا من عفوه داني السّحابِ صدوق البرق ثقّاب الشهابِ
مديدُ الظلّ معقود الأواخي على الجانين مضروب القباب
فكيف حجبت عنك وأنت شمسٌ تجلُّ عن التستر بالحجاب
أيرتج باب عفوك دون ذنبي وعفوك لم يشنْ برتاج باب[1]
وإعراض الوزير أشدُّ مسّاً على الأحرار من ضرب الرقاب
ثنى غربي وفلّ شبا شبابي وصبّ عليَّ أسواط العذابِ[2]
ولم تبق الليالي في بُقَيًّا لعتبٍ منك فضلاً عن عقابي
فهب لزيارتي خطئي ، وعمدي لقصدي ، واغتراري لاغترابي
فما في الأرض إلاّ من يراني بعين المحنق الضرم الضباب[3]
كأنّي قد أثرتُ بهمْ ذئاباً أو استنفرت منهم أسد غاب
حصلت وكنت ضيفك في الثّريَّا وصرت ولست ضيفك في التراب
أعدني للقرى واجعل جوابي وإيجابي جفاناً كالجوابي[4]
وجُدْ برضاك فهو العيش غضّاً وكلاّ فهو ريعان الشباب
ولو زعت الحسام العضب سخطاً لذاب ذبابه بين القراب[5]

---

(١) يرتج : يقفل ، ويشن : يعاب .

(٢) الغِرب : الحدّة والنشاط ، وفلّ : قطّع .

(٣) الضرم : الغضب ، والضباب : العابس .

(٤) الجفان : القصع ، أو ما يسكب فيه الطعام من الآنية ، والجوابي الجران : الواسعة التي تسقى منها الحيوانات .

(٥) الذباب من السيف: طرفه الذي يضرب به .

أعيذك أن تصيخ إلى عدوي وسمعك عن هنات القول نابي(1)
على أنّي أتوب إليك ممّا كرهت فرقٌ لي واقبلْ متابي
وإن لم تعفُ عن ذنبي سريعاً فها إني وحقٍّ أبي لمابي
سألثم من ثراك الروض غضّاً ومن يمناك منهلٌ السحاب
أصبت بخاطري فأتى بشعرٍ عليلٍ مسَّهُ ألم المصاب
وما لي غير مدحٍ أم ثناءٍ مشيدٍ أمْ دعاءٍ مستجاب

وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل [من الوافر] :

لنار الهمّ في قلبي لهيبٌ فعفواً أيها الملك المهيبُ
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي وضجَّ الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرةً مهجُ القوافي وغصَّصها التذلُّل والنحيب
وقد قصمتْ عراها واعتراها بسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لا تصوبُ
ومن يكُ شوط همته بعيداً فمثنى عطفه سهلٌ قريبُ
تجاوزتِ العقوبة منتهاها فهبْ ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسنْ إنّني أحسنتُ ظنّي وأرجو أنّ ظنّي لا يخيب
أترضى أن أكون لقى مقيماً على خسفٍ أذوب ولا تثوب(2)
أبيت ومقلتي أبِقٌ كراها وفي ألحاظها صابٌ صبيب(3)
وقيذاً لا يلائمني طعامي ولا ينساغ لي الماء الشروب(4)

---

(1) تصيخ : تستمع ، وهنات القول : أي القول المعيب .
(2) اللقى ـ كفتى ـ المطروح ، وجمعه ألقاء .
(3) أبقٌ : هارب ، والصاب : عصارة شجر الصاب الشديد المرارة .
(4) الوقيذ : المريض .

صببتَ علـيَّ سوطـاً من عذابٍ يذلّ لبأسـه الدّهـر الغلوب
وأرهقنـي نكيرك لي صعوداً من الأشجـان ليس له صبوب
ومـا عونـي علـى بلـوايَ إلاّ رجائـي فيك والدّمـع السكوب
فـإنْ تعـطفْ علـى رجـلٍ غريبٍ فإنّـي ذلك الـرّجـل الغريب
عليك أنيخ آمالـي فرحِّبْ بهـا، وإليك من ذنبـي أتوب
وأخطـر ما يريب إذا دهتني غوامضـه إلـى ما لا يريب
فـأيَّةُ طـربـةٍ للعفـوّ إنّ الـكـريم وأنـت معنـاه طـروب
فإنّـي نشءُ دارك والمغذّى بسيبـك والصنيعـةُ والربيـبُ
وأُبْـتُ إليك من عفـوٍ مدلاً بمـا يقضـي علاك لمـن يؤوب[1]
ولـذت ببابـك المعمـور علماً بأنّ ذراك لي مرعـى خصيب
وأنّ شعابـه أنـدى شعابٍ إليهـا يلجـأ الرجـل الأديب
وسقـت بنـاتِ آمالـي إليها وقـد حفيَتْ وأنضاهـا الدءوب[2]
فبوئنـي اختصاصـك حيث تجني ثمـار العـزّ والعيش الرطيب
ولـكنْ كادنـي خبٌّ حقودٌ لعقـرب كيده نحـوي دبيب[3]
ومـا لجمـوحٍ أُلفتـه جنيبٌ ومـا لشمـال فرقتـه جنوب[4]
ولا يشـفيه منّـي لو رآني وقـد أخـذت بحلقومـي شعوب[5]
بلـوت النـاس من ناءٍ ودانٍ وخالطنـي القبائـل والشعـوب
فـكلٌّ عنـد مغمـزه ركيكٌ وكلٌّ عنـد مشربـه مشوب[6]
فجـدْ لي بالرضـا واقبـل متابي وعـذري، إنّنـي أسِفٌ كئيب

---

(١) أبت : عدت .

(٢) أنضاها : عرّاها.

(٣) الخبّ : المخادع .

(٤) جنيب : مرافق وجنوب : الريح التي تهبُّ جنوباً .

(٥) الشَعوب : الموت والهلكة .

(٦) المغمز : التجربة والاختبار ، ومشوب : ممزوج .

طـريحٌ في فنائـك مستضامٌ غريبٌ لا يكلِّمنـي غريب
أأمنـعُ من بوادي العلـم منعاً كأنّـي ليس لي فيهـا نصيب
وأحـرمُ من كلامـك كلّ بدعٍ تناهبـه النـواظر والقلـوب
فلـم لا ينتهـي ويكفّ عنّي عقابك بعـد ما انتهـتِ الذنوب
وغـاية ما يصير إليه شعرُ إذا استعطفـت أو مدحٌ مصيبُ
ومـن سقيا سحابـك جاد طبعي ولـولا الغيث لم ينبـع قليب[1]

وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها [من الكامل] :

أأبـا العـلاء وردت أكرم موردٍ أرض العـراق وأنـت أنجـح آيبِ
وحـويت في الحـالين شأوَ مبرِّزٍ متحـرِّزٍ لم يأت غير الواجبِ
وخدمـت شاهنشـاه أحسـن خدمةٍ رضيت وأوثقهـا لرأي الصّاحب
أبلـغ رسالتـيَ الـوزير وقـلْ له قولاً يسهِّـل لي سبيل مطالبي
ويضـيءُ آفاقـي ويمـرع مرتعي ويحـقُّ آمالـي ويخصـب جانبي
بحياتـه قسـم الـكرام وعهدهمْ لا تلونـي عنـه بظـنٍّ خائب
واذكر موالاتـي الصريحـة إنّها أبهـى وأنضـرُ من عهـود حبائب
وكفـاك علمـك بي وودّي شاهداً فاذكرْ خلـوص عقائـدي ومذاهبي
خذهـا إليك شذور طبـعٍ لاعبٍ بالشّعـر مرتـاحٍ له لا لاعبِ
وكأنّـه فـي حسنـه وروائه نظـم العقـود علـى نحـور كواعب
أهـديت من حلـواء باب الطلـق ما يزري علـى حلـواء ذاك الجانب
وأشـدّ منـه حلاوةً شعـري الذي سحـر القلـوب بسحـره المتناسب

وله من أبيات عملها بديهة لينشد الصاحب [من المتقارب] :

---

(١) القليب : البئر .

أبيتُ قديتك إلاّ الغضبْ ... علـى أخويك النّـدى والأدبْ
وأمرضت شعـري وأحرضته ... وشبّبت تشبيبةَ المقتضب[١]
بـلِ اشتكت الغـرر السائراتُ ... وصاحـت دواوين شعـر العرب
وحـال الجـريض دوين القريض ... وضرب اليعاسيب دون الضرب[٢]
وقـد كان شعـري قضـى نحبه ... فامسكه عفـوك المرتقب
وأنـك تحنو علـى سرحـه ... وتغـزر مـن مائـه ما نضبْ
وتوقـد مـن ناره ما خبا ... وتطلـع مـن نجمـه ما غرب
بـكى غزلـي حسـن ورد الخدود ... وضـرّب بيـن اللّمـى والشنب[٣]
وأعـرض منخـزلاً بعـد ما ... تألّـق مـن حسنـه والتهب
فـلا توحش المهرجـان الذي ... بنظمـي يرى السـامعين العجب
وأنظـم باسمـك عقـد العلا ... وأنشـر عنـك نضـار الحسب
فـهبْ لـيَ ذنـبي فـأنـت الشـفيـع لا غير والمرء مـع من أحبّ
وردَّ إلـيَّ نعيم الرّضا ... ولا تصلنّـي بجحيم الغضب
وما لـيَ ذنبٌ فإن كان لي ... فذنـب حقيـرٍ قصير الذنب
متـى يرض عنّـيَ كافـي الكفاة ... بلغـت المـراد ونلـت الأرب

وله من صاحبية ذكر فيها برءه من مرض عرض له [من الكامل] :

كذبـت سعـود المشتـري فلـو آنها ... حرمـتْ سعـادة جدّه لم تنجحِ[٤]
ما مسّـه ألـمٌ ولـكن هزّةٌ ... ما هزَّ إفرنـد الحسـام المصفح

---

(١) الحرض : الهلاك .

(٢) الجريض : الغصة ، من الجرض وهو الريق يغصّ بـه،والقريض :الشعر ، و« حال الجريض دون القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع ، وأوّل من قاله : عبيد بن الأبرص قاله للنعمان . وقد ورد عليه في يوم بؤسه .

(٣) اللّمى : سمرة في الشفـة، والشنب : عذوبة الأسنان .

(٤) الجدّ : الحظ .

نفض الأذى عن جسمه والروض قدْ ينفي الهشائم وهو غير مصوّح[1]
ما بحت عنه سوى قذىً والعين لا تصفو من الأقذاء ما لم تضرح[2]
عادت سلامته وأظهر دهره ندم المنيب وتوبة المستصفحِ

ومن أخرى [من الكامل] :

ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا وأواصل الأغوار بالأنجادِ[3]
حتّى نأيت عن الحواضر ملقياً رحلي بوادٍ في تخوم بوادي
فإذا بسعدي وهي بدرٌ طالع من فوق غصنٍ في نقاً منهاد[4]
وطرقتها وعداتها رقباؤها في صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها درعي وساعدها الوثير وسادي
وجناؤها حصني وساحر طرفها سيفي وفاحمها الأثيث نجادي[5]
وعقاصها الموصول زهرة روّضتي ورضابها المعسول صوب عهادي[6]
حيث الصبّا عبق الحواشي مونقٌ تزهى بناعم غصنها المياد
والروض أحوى والحمائم هتَّفٌ والظلُّ ألمى والقيان شوادي[7]
ولها ديارٌ غير شرقيِّ الحمى شحطت وشطَّت عن لقاء أعادي
دارٌ بذي الأرطى ودارٌ بالغضا أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
لو فاخرت ذات العماد بيوتها عادتْ مقوَّضةً بغير عماد
لا تكذبنَّ فما لها دارٌ إذا أنصفتني إلاّ صميم فؤادي

(١) مصوّح : محطّم .
(٢) تضرح : تنحّى وتبعد .
(٣) المهامه : الصحاري ، والأغوار والأنجاد : أي المنخفضات والأعالي .
(٤) منهاد : أي ناهد وهي المرأة التي ارتفع ثديها .
(٥) الفاحم : الشعر الأسود ، والأثيث : المتداخل والنجاد : ما يعلّق به السيف .
(٦) العقاص : خصلات الشعر المضفورة .
(٧) أحوى : من كانت به حوّة وهي لون صدأ الحديد سمرة إلى حمرة . وألمى : من كان في شفته سمرة مائلة إلى السواد .

فلذاك لا تسقي السحائب أرضها إلاّ بردن حرارة الأكباد

ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ !! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما شاء .

ومنها :

ولرب ليلٍ لم أنمْهُ، ومقلتي مطروفةٌ مطروقةٌ بسهاد
شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه لمع القريض ونغمةُ الإنشاد
نادٍ تجلّى عن مقرٍّ سريره قمرٌ أناف على البسيطة بادي
كافي الكفاة المستجار بظلّه والمستضاء بعزمه الوقّاد
ملكٌ محبّته سلافة مزنةٍ ملكت مع الأرواح في الأجسادِ
ملكٌ يقال له حماد إذا التقت قحم السنين ولا يقال جماد

وهي طويلة ، وما من أبياتها إلا غرة أو درة .

ومن أخرى [من الطويل] :

ولما تنسّمنا صبا صاحبيةٍ تعيد عجاج الجوّ وهو عبيرُ
تركنا لظى الرمضاء وهي حديقةٌ ندىً وحصى المعزاء وهي شذور[1]
ونلنا هشيم النبت وهو منوّرٌ وردنا قتاد الأيك وهو حرير[2]

ومنها :

وزيرٌ وممّا يعجب المجد أنّه وزيرٌ عليه للسّماح أمير
ويخطب من فوق الثريّا بفخره فلا تعجبوا إنّ الخطيب خطير

---

(١) الرمضاء: شدّة الحرّ ، والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . وشذور : القطع من الذهب تلتقط من معدنه .

(٢) القتاد : الشوك .

لوى الراسيات الشمَّ أيسر سخطه ويكفي من السمِّ النقيع نقير[1]
وذلَّل أعناق الليالي بهمّةٍ لها مرقبٌ فوق الأثير وثيرُ
وخمَّرَ رأياً لم يشطَّ ثباتُهُ فطورٌ ورأي الأكثرين فطير[2]
له القاضيات الماضيات مهنّدٌ مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منير[3]
وما كان للجوزاء لولا جوازه مجازٌ وللشعرى العبور عبور
تساعده الأقدار فيما يريده وتسعده الأفلاك كيف تدورُ
أواري بكرّ أبّاد صفٌ صعداته وقد عقدت منها عليك حبور
وصفٌ بأسه إذ ظلّ يصدم وحده ثلاثين ألفاً والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله !!

ومنها :

وألويةُ النصر المبين خوافقٌ تطيح بأشتات العدا وتطير
وقد كشّرت عن نابها أمُّ قشعمٍ وللموت في وجه الكمِّي هرير[4]
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنّةٌ وفي يده اليسرى ردىً وسعيرُ
ولي مِدَحٌ فيه غوادٍ روائحٍ أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصف نسيبٍ لو أعير كثيراً لوفّيَ تعظيماً وقيل كثير

وله من قصيدة في فخر الدولة [من الطويل] :

سقى الله أياماً بشرقيِّ منبجٍ إلى العلم الأقصى بغربي منعَّجِ
إلى الحيرة الغنّاء مطمح ناظري ومسرح آمالي ومسرى تفرُّجي

---

(١) النقير : القليل .
(٢) يشطّ : يتوه ويفارق ، فطورٌ : خالقٌ .
(٣) مبير : مهلك .
(٤) أم قشعم : الضبع ، والهرير : صوت القوس والكلب دون النباح .

منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها | لما اهتزَّ غصنٌ في نقا مترجرج[1]
ولا راق درٌّ فوق أشنب واضحٍ | ولا راع سحرٌ تحت أكحل أدعج
ولم يتحدَّرْ طلّ نرجسِ مقلةٍ | على صفحتيْ تفّاح خدٍّ مضرَّج
عشية هزّت للوداع فأودعتْ | محاسنها أعطاف جذعٍ مدبَّج
فكم غَرِدٍ لمّا استقلَّ ركابها | حدا طرباً والليل غضبان مدَّجي
وكم ثملٍ من نشوة الحبِّ يرتعي | هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج[2]
أقول وقد لاحت عوالي خيامها | وفاحت غوالي روضها المتأرّج
أيا طارقي أحججْ ويا رائدي ابتهجْ | ويا سابقي عرّج ويا صاحبي عجِ
ويا عبرتي كفّي ويا ناقتي قفي | ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي
فقد كتبت أيدي المشيب مواعظاً | بخطٍّ على فوديَّ غير مسبّج[3]
لئن كنت في بردٍ من العيش مبهجٍ | لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج[4]
ولذت من الدهر العسوف بحضرةٍ | تحاط بأطراف الوشيج المزجَّج[5]
هي الحضرة الغناء تهتزُّ نضرةً | وتزري بأنواع الربيع المثجَّج[6]
هنالك لا زند الرجاء لمرتجٍ | بكابٍ ولا باب العطاء بمرتجِ

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت أنموذجاً منها .

وله من أخرى في وصف الربيع [من الكامل] :

---

(١) النقا المترجرج : الكثيب المتموّج .
(٢) الحجل والدملج : أي الخلاخيل والأساور .
(٣) غير مسبّج : أي بخطٍّ أبيض لأن السّبج هو السواد .
(٤) الطمر : الثوب البالي ، والمنهج : الرث .
(٥) الوشيج المزجج : أي الرماح .
(٦) المثجّج : الذي تسقيه الأمطار الغزيرة .

طلع الـربيع فقــال للأرض آشكري ... نعـم السمــاء وأبدئـي وأعيـدي
فغـدتْ حدائقهـا تواصـل شكرها ... بلســان كلّ مطوّقٍ غرِّيد
روضٌ إذا نشـرت طرائف وشيهِ ... طويتْ لهـا أبـراد آل يزيد
ريّان لم يعثـر نسيم صبابتي ... في ظلّهـا إلاّ بورد خدود
واعتـلَّ نرجسـه فعادتـه الصّبا ... أحسِـنْ بنظـرة عائـدٍ ومَعُود
وببـلٍّ مسـكيٍّ الصّـعيد معنبرٍ ... من مزنـةٍ حثّـت بجيش رعود
وزففــت حرَّة مدحــةٍ فخريةٍ ... تركت عبيداً وهـو بعض عبيدي
وأنـا الـذي أجلـو معانـي مدحه ... زهـراً طوالـع في سمـاء قصيدي
يتنـافس السحـر الحـلال ، وتارةً ... يتناثـر العقيان حول نشيدي
فليفتـرعْ أبـكار لذّاتِ المنى ... وليضـرع الـراقود للنـاجـود[1]
راحـاً إذا كمنـت جلـتْ من حجبها ... فوق الخـدود طلائـع التوريد
ولتجـلُ دولتـه عروسـاً كلِّلتْ ... علياه مفرِقَهـا بتـاج خلـود

وله من أخرى [من الكامل] :

سمـراءُ تخطـر في الوشـاح المذهب ... وتميس بين ربائـبٍ أو ربربِ
هيفـاء تعـذل كلَّ يومٍ مرّةً ... شمس الضحـى وتردُّهـا في مغرِبِ
عقـدت لواء الحسـن ليلـة أقبلتْ ... في موكب الفتيان أعجـبَ موكبِ
في ليلـةٍ لو لم تجـدْ بتبسّمٍ ... لم ينتطـق خصـرُ السمـاء بكوكب
خجلـت وقـد وجلـت فهـاك شقائقاً ... مغـروسةً في أرض عاجٍ مذهب
وأرى الشبـاب إذا تطامـن شرخه ... لتغيُّرٍ فقـدِ انثنـى لتغيُّب[2]
ولئـن أطلـت فقـد أطبـت وإنّني ... رجـلٌ متى أصفُ المعالـي أطنِب[3]

---

(١) يفترع : يفتض ، والراقود : إناء كبير عميق والناجود : الإناء الذي يجعل فيه الشراب .
(٢) شطا من شرخه : انخفضت قوته وحدّته .
(٣) أطنب : أطيل .

أطـــري وأُطـــرب منشـــداً فليستمعْ شاهانشـــاه نشيدَ مُطْـــرٍ مطرب[1]

* * *

٢٢ ـ أبـو العلاء الأسـدي

قديم الصحبة للصاحب ، شديد الاختصاص به . ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائعه وندمائه . وكان يحبه ويأنس به . ويكاتبه نثراً ونظماً كقوله له [من السريع] :

قلبـي علـى الجمـرة يا أبـا العلا فهـل فتحـت الموضـع المقفلا

وإياه يعني بقوله [من البسيط] :

أبـا العـلاء هلال الهـزل والجدّ كم النجـوم التـي يطلعـن للجدّ

وإليه كتب « أبا العلاء شيخي ، أين ذلك الميعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصابينا على أروى ؟ بل أين الصبا ومـا ملك ؟ وأين الشبـاب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطـارق ، والضيف المفارق، فأين كتبك التي هي ألذ من انتهاء النفس إلى رجائها ، وابتداء العين في إغفائها » من كتاب غير قصير .

فأما شعر أبي العلاء فليس بالمحل العالي ، لا سيما في المدح ، وقلة عيونه تمنع من إيراده بعد قلائد ولديه أبي سعيد وأبي محمد ، ولما كان بعيد الصيت في أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح شعره .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو العلاء لنفسه ، قال : وأراه عرّض بالصاحب [من الطويل] :

---

(١) مطرٍ : أي مادحٍ .

وربَّ كريمٍ تعتـريه كزازةٌ كمـا قد رأيت الشـوك في أكرم الشجرْ
وربَّ جوادٍ يمسـك الله جوده كمـا يمسـك الله السّحـاب عن المطرْ

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

سيسألنـي صديقـي عنـك فيما يدور مـن المسائـل والحكايـه
فأطـرقُ إن سئلـت لغير شكوى وإطـراقـي أشـدّ من الشكايـه

وله أيضاً ، وهو ما يتغنى به [من الخفيف] :

لا لعمـري ما أنصفـوا حين بانوا حلفـوا لي أنْ لا يخونـوا فخانوا
شتّتـوا بالفـراق شملـي ولكنْ جمـعَ الله شملهـم أيـن كانوا

وله في المجون [من الخفيف] :

أنـا والله أشتـهيـك فكـن عـنـتـراً آن شئت أو كعمرو بن معـدي
وتفـارسْ إن شئـت أو فتراجلْ ليس هـذا ممـا يضرّك عندي

* * *

٢٣ - أبو الحسين الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب، والاشتهار في أصحابـه ، كأبـي العـلاء ، وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنـا وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ، فما أقل ما حصلنـا عليه من ذلك . ولـم نجـد له خيراً من الأبيات الـدارية التـي مرت في أخواتها ، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله في الاعتذار من هفـوة السكر [من المجتث]

بـالله ربٍّ السمـاء بخـاتـم الأنبيـاء
بـسـيّـد الأوصيـاء بزوجـه الـزهـراء
بـالبيـت والبطـحـاء بالقبـر فـي كـربلاء
حـلفـت مـا لـيَ ذنـبٌ الـذّنـب للـصـهبـاء
وليس لي من شفيعٍ إليـك غيـر رجائـي
فـكـنْ محقّـق ظنّـي يـا غـرَّة الوزراء
فجـرح سكري جبارٌ كالجـرح مـن عجمـاء[1]

وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن [من الكامل] :

قل للـوزير مقالـةً عن واجدٍ يا من نداه كالفـرات الزائد
ما لي حرمـت من الأمير نواله وسـواي يكرع في الـزُّلال البارد
ما ضاقـت الـدنيا علـيَّ بأسرها حتـى تراني راغبـاً في زاهد

وقوله من قصيدة ربيعية [من الخفيف] :

أيُّهـا الصاحـب الـربيع تجلّى في رياضٍ تحـارُ فيهـا العقول
نـرجسٌ ناضـرٌ وأحمـر وردٍ وشـقيقٌ يزينـه التكحيـل
وغصـونٌ تجـرُّ أذيال نورٍ في حواشـي جداولٍ وتميل
للـزرازيـر فـي خـلال الأزاهيـر صفيـرٌ وللحمام هديـل
فأقِـمْ رسمنـا صبيحـة نيرو زٍ بهِ ربـع أنسنـا مأهول
بـكؤوسٍ مملـوءةٍ مـن مدامٍ أنـت فيهـا لمـن حساهـا عذول
واجتنـبْ جلسـة الثقيل إليها فعلـى الشّـرب لا يخفُّ الثقيل

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل] :

---

(١) الجِبار : سدّ الحاجة ، وإصلاحها ، والعجماء : البهيمة أو الرّملة التي لا شجر فيها .

أسيوفُ الهند سلَّتْ أمْ ظبا أجفان هند[1]
يا لأيام الصّبا والعيش في أكناف نجد
ربّ حسناء رداحٍ ألصقت خدًا بخدٍّ[2]
أطبقتْ صفرة دينا رٍ على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّ لت في حَلِّي وعقدي
مهرجانٌ ثغره يفترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردُ جسادٍ فاح عن مسكٍ وندٍّ
فابقَ ما شئت كما شئت لتنويلٍ ورفد

وله [من مجزوء الكامل] :

يا أيُّها الشيخ الذي هو مشتكاي من البشرْ
أصبحت أختار العمى في ناظريَّ على البصر
أسفاً على عمرٍ يكدِّره لقاء أبي عمرْ

* * *

(١) سلّت : شهرت ، والظُّبا : الحدّ من السيف والرمح والسهم .
(٢) رداحٍ : الضخمة الثقيلة الأوراك .

البــاب الســادس

في ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث ، وسوى أبي طالب المأموني ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان أبي الفضل الهمذاني ، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع .

٢٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخضر[1] . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا الى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفي ذلك يقول له الصاحب [من الوافر] :

تقول البيت في خمسين عاماً   فلم لقَّبتَ نفسك بالبديهي

ثم أقبل عليّ وقال : أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [من البسيط] :

(١) خليفة الخضر : أي كثير الترحال والمعمّر طويلاً .

خوصٌ نواجٍ إذا جدّ الحداة بها رأيت أرجلها قدّام أيديها[1]

وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدة ، في زمان طويل المدة ، فلم يستملح له إلا هذا البيت [من الخفيف] :

أتمنّى على الزمان محالاً أن ترى مقلتاي طلعة حرٍّ

وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي ، فليس شعره في سلامة المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ قطعته باجتماعٍ مَعَ بيضٍ من الأخلاّء غرٍّ
وكأنّ الكؤوس زهرُ نجومٍ والثريّا كأنّها عقد درٍّ
مرَّ من كنت أصطفيه وللدّهر صروفٌ تشوب حلواً بمرٍّ[2]

ومن سائر شعر البديهي قوله [من البسيط] :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلدٍ نودُّ ـ وجداً به ـ أنّا نقابلُهُ
طال الفراق فلا وافٍ يراسلنا على العباد ولا آتٍ نسائلُهُ

وله من قصيدة صاحبية وكان الصاحب أخذه معه من بغداد إلى أصبهان أولها [من الخفيف] :

قد أطعتُ الغرام فاعصِ العذولا ما عسى عائبُ الهوى أنْ يقولا
وصحبناه في فيافٍ قفارٍ كاد فيها الخليل يجفو الخليلا[3]
فبلونا منه دماثة أخلا قٍ أعادت تلك الحزون سهولا[4]

---

(١) الخوص : النوق ، والنواجي : السراع .
(٢) الصروف : الأحداث والغير، وتشوب : تمزج .
(٣) الفيافي : الفلوات ، والخليل : الصاحب .
(٤) بلونا : وجدنا واختبرنا ، والدماثة : اللين والسهولة، والحزون: الأرض الصعبة المسالك .

وأوينــا إلــى رحــابٍ رحابٍ لــم نجــد للعفــاة عنهــا عدولا

وله من تشبيب قصيدة [من الطويل] :

ولــم أرَ لي يومَ الــرحيل مساعداً على الوجد حتّى أقبل الدّمع مسعِدا
وكان دمــاً فابيضّ منــه احمراره بنــار التّصابــي حين فاض مصعَّــدا

أخذه من قول من قال [من الطويل] :

أرابــك دمعــي إذ جرى فحملتني من الضرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنــكرنّ تلك الدمــوع فإنّما يبيّضهــا تصعيدهــا من دم القلب

وللمعروفي بالفارسية في معناه .

خون سيبــد بارم بردورخــان زردم آرى سبيذ باشــد خودل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [من الخفيف] :

كيف تقضــي ليَ الليالــي قضاءً يشبــه العــدل والليالي خصومي
ربَّ ليــلٍ قطعتــه فــي هــوى الشــعــر كأنّ الشــعرى العبور نديمــي
فتــأمّــل فلســت فــي الخلــق والخلــق المــرادين بالــذميــم الذميــم
أنــا مــن آلــة الندى فلــو أحضــرتنــي لــم يعب نداماك خيمــي[1]
يُرتضــى مشهــدي ويؤمــن غيبي وأرى فــي الملــمّ غير مليم

ومن نوادر شعره قوله [من الكامل] :

لمّــا أتيتــك زائــراً ومسلّمــاً خرج الغــلام وقــال إنّــك نائمُ
فأجبتــه أبِــلا لحــافٍ نائمٌ هذا المحــال وأنــت عنــدي ظالم

---

(١) الخيم بكسر الخاء : السجية والطبع .

أنــت اللّحــاف فكيف تطعــم عينه   طعــم الرّقــاد وأنــت عنــه قائم
فتضاحـك الرشــأ الغــرير وقــال لي   أو أنــت أيضــاً بالفضيحــة عالم
والله ما أفلــتّ منــه ساعة   حتــى حلفــت له بأنّــي صائم

وما يتغنى به من شعره قوله [من الطويل] :

ذرينــي أواصــل لذّتــي قبــل فوتها   وشيكاً لتــوديع الشبــاب المفارق[1]
فمــا العيش إلاّ صحــةٌ وشبيبةٌ   وكأسٌ وقــربٌ من حبيبٍ موافق
ومــن عرف الأيام لم يغتــرِرْ بها   وبــادرَ باللّــذات قبـل العوائق[2]

* * *

٢٥ ـ أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية ممن تقدمهم ، واسطة عقد ندماء الصاحب ، وما هم إلا نجوم الفضل وهذا منهـم كالبـدر ، وكانـت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبـو القاســم الزعفرانـي أيده الله فصورتـه لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحله محل العم ، أو اشتراكه أعم .

وكان ـ مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختـلاط ما ينظمـه بأجزاء النفس لنفاسته ـ لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعاً آداب المنادمة . عارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنـج ، متقـدم القـدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب ، أراده فخر الدولة على مجالسته وأخـذه بفضّ

---

(١) الوشيك : السريع العاجل .
(٢) بادر : بدأ وباشر ، والعوائق : الموانع .

ختام توبته ، ودرّت عليه بحسن رأي الصاحب سحائب إنعامه ، وأجنت له ثمرات إكرامه ، ففي ذلك يقول من قصيدة [من الخفيف] :

هاتها لا عدمت مثلي نديما قهوةً تنتجُ السرور العقيما
قد أطعتُ الأمير إذ سامني الشرّ ب ولم أعصِ أمره المحتوما
وتخطّيت توبتي في هواه فوصلتُ التي هجرتُ قديما
قرقفاً تنتمي إلى الشمس لا تعرف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنَّها الغليظ فرقَّتْ واستفادت من السّموم نسيما[1]
كُرمتْ عنصراً فلو مُتَّ فيها أبخل الناس غادرته كريما[2]
وكأنّي لمّا رجعت إليها كنت من كلِّ لذّةٍ محروما
كم عقارٍ صليت منها بنارٍ فحكيت الخليل إبراهيما
وكؤوسٍ شربت منها سروراً كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميماً ووجدت الخسيف عاد حموما[3]
شافهت بي مناي بالقرم فخر الـ دولة اليوم جنّةً ونعيما[4]
وبلغت الذي تمنيت واستخدمت فاخترت مجلساً مخدوما
ورآني الأمير أيَّده الله لبيباً فقال كنْ لي نديما
جهل الرزق موضعي ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إليَّ كفٌّ كريمٍ ألزمته أنْ لا يكون لئيما

وكان قد نادم أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق إلى مثلها ، وهي نهاية في الحسن والظرف ، فمنها [من الخفيف] :

---

(١) السّموم : الريح التي تهبّ صيفاً وهي شديدة الحرّ .
(٢) متّ : مُدَّ ووصِل بها .
(٣) الحميم : الماء الحار : والخسيف : البئر التي تحفر في مكان متحجّر فتنبع بماء كثير .
(٤) شافهت : أوجدت وحصّلت ، والقرم : السيد .

لي فؤادٌ لو أنّه لي غريمٌ كان عذري لديه أنّي عديم
وأنا مبتلىً بقلبيَ الذي أقعـد فيما يسومني وأقوم
ليس يدري لجهله وهو يقضي أنَّ كلّي بما جناه زعيم
غصبتني عليه خودٌ وقالت أنا من قد عرفت واسمي ظلومُ
هو ثأرٌ نالته يمناي فاطلبـه بحربٍ يشيب فيها الفطيم[1]
وانثَنَتْ بي إلى مجالٍ فسيحٍ تدمنُ الرّكض فيه زنجٌ وروم
فأقمنا صدور فرسان حربٍ خلف رجّالة لها لا تريم[2]
وإذا استقدمتْ تقدَّمت الخيل وطاب الطّراد والتصميم
فالتقى العسكران في حومة النقـع أسودٌ على أسودٍ تحوم
كلُّ فيلٍ نُجَّت من الصّلم أذنا ه وأودى ناباه والخرطوم[3]
وطمرٍّ إذا علته العوالي غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال في الحرب فرزا ني وقال الكميُّ من لا يخيم[4]
ثم نادى شاهي برخيه كرّا ليس بعد الوقوف إلاّ الهجوم
فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلي فولّى مستكيناً كما يولّي اللئيم
وكشفت العراء عن وجه رخيٍ فعراه الحمام وهو مليم
فتخفّتْ من الحياء وغطّت ورد خدٍّ كأنّه ملطوم
ثم قالت خذِ الفؤاد سليماً إن حبس المرهون عارٌ ولوم
ولشتّان بين خيلي في الغـيِّ وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم

---

(١) الفطيم : الطفل الذي فصل عن الرضاع .
(٢) لا تريم : لا تفارق ولا تبتعد أي تثبت في المواجهة .
(٣) نجّت : نزعت وسلخت، والصلّم : القطع .
(٤) الفرزان : من حجارة الشطرنج ، ويخيم : يتراجع .

فأباد العدا وقام به الدّين وركن الخلافة المهدوم
وستقرّت به زلازل بغدا د وعاد الخليفة المظلوم

ومن غرر قصائده في فخر الدولة [من الكامل] :

لو عاينتْ عيناك بركةَ زلزلٍ ... ونزلت من عرصاتها في منزلِ[١]
عمرْتَ دور قيانها بك جامعاً ... بين الغزالة والغزال الأكحلِ
وبسطتَ كفيٍّ باذلٍ متخرِّقٍ ... فأقمت غير محلىء عن منهل[٢]
وسمعتَ ما يدعو النفوس إلى الهوى ... طرباً ويفتح كلَّ قلبٍ مقفل
وشربتَ صافيةً كأنَّ شعاعها ... لهبُ الحريق من الرحيق السلسل
وغدوتَ مخموراً جنيب هوىً إلى ... حِجْرِ الجواري غدوة المتغزِّل[٣]
فسرحْتَ بين قدودها وخدودها ... ونهودِها طرف الشّجي المتأمل
وملكت منهنّ التي لو أنّها ... طيفٌ لفزت بقربه المتخيِّل
وثويتَ في قفرٍ بشاطىء دجلةٍ ... ما بين مزمارٍ وعودٍ معملِ[٤]
متنقّلاً من روضةٍ مهضوبةٍ ... حلّت إلى الروض الذي لم يحللِ
ورقدتَ بالنّجميِّ رقدة شاربٍ ... تحت الغصون وحملها المتهدِّل[٥]
وسباكَ صوت خرير ماءٍ سائحٍ ... وشجاك تغريدُ الحمام المهدِلِ
وسعيتَ سعياً في البطالة والصبا ... لم يدر دمعك في محلٍ محول
ولقلتَ واأسفاً على القصف الذي ... لم أجنه بالقفص أو قطربُّل[٦]
لا أتبعُ الأعراب إنْ هم قوّضوا ... من مجهلٍ حتى أحطَّ بمجهل

---

(١) العرصات : الساحات .
(٢) المتخرّق : المتلف ، ومحلىء : حابس ومانع .
(٣) المتغزّل : المشبّب والمتودّد .
(٤) معمل : أي يضرب عليه .
(٥) المتهدّل : اليانع المتدلي .
(٦) القفص وقطربّل : إسمان لمكانين .

وصـــرير أرجــاء السّـــرير بمسمعي ... أحلـــى بقلبـــي من صريرِ المحمل[1]
فالـــكرخ دارُ اللهـــو أعـــذبُ مشرعاً ... من مشـــرعٍ يختصُّ دارة جلجل[2]
لا درَّ درُّ العيش في متربّعٍ ... بمخيَّمٍ بين الدخـــول فحومـل
خفضٌ عليك وكلُّ خفضٍ إنّما ... أوقاتـــه فرصٌ تعـــنُّ لمعجـل
والعيش عنـــدي ما حبيت بدرّه ... في ظلٍّ مغشـــيٍّ الجنـــاب مؤمَّل
قد ألقـــت الـــدنيا أزمّتهـــا إلى ... ملكِ الملـــوك علـــيِّ بنِ أبـــي علي
فاطـــربْ سروراً بالزمـــان وحسنه ... واشـــرب علـــى إقبـــال دولـــة مقبـل

وقوله من نيروزية [من الخفيف] :

بـي سكرٌ ما ولَّدتْـــهُ العقار ... ليَ جســـمٌ للعين عنـــه ازورارُ
أنـــا من غادرتـــه أيدي المطايا ... والـــرزايا شعـــاره والدثـار
أيُّهـا الـليـل عـقَّـهـمْ بـديـاجيـــــــك وهـيـهـات ذاك فـيـهـم نـوار
غـادةٌ ما دجـا عليهـــا ظلامٌ ... قطُّ إلاَّ ليلٌ عـلاه خمارُ
يـــا ربيع الـــربيـــع للعيش من بعـــــــد اصفـــرارٍ بـــراحتيـــك اخضـــرارُ
لا يحـــول الـــذي بكفِّك يسقي ... بل يحـــول الـــذي سقـــاه القطار[3]
فهنيئـــاً بطيب فصـــلٍ ويومٍ ... زار فيه نيروزك الزوّارُ
يخصب المجـــد فـي ذراك وتخضَـــــــرُّ الأيـــادي وتـــورق الأخـــبـار
وتغنِّيكَ فـــي النّـــديِّ طيورٌ ... أنـــا وحـــدي من بينهـــن الهزار[4]

ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الصرير : الصوت .

(٢) دارة جلجل : أي تلك التي ذكرها امرؤ القيس في شعره .

(٣) حال : تغيّر وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) النّديّ : مجتمع القوم ، والهزار : وهو طائر العندليب ، وفارسيته : هزاردستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

وليلٍ دعـاني فجـره فلقيته بمجلسِ طلـق الوجـه سهـل التخلُّق
إذا شئـت خضنـا في حديث منمنمٍ وإن شئـت عِمْنـا في رحيقٍ معتَّق[1]
يردّ شبابـي وهـو عنّـيَ شاسعٌ ويدني التصابـي بعـد ما شاب مِفرقي

ومنها في المدح [من الطويل] :

لقـد أعتقتنـي نعمـةٌ لك أطلقتْ يمينـيَ بعـد اليأس من قدٍّ موثق[2]
فإنْ أنتسـب كان انتسابـي إلـى أبي وكان ولائـي بعـد ذاك لمعتقي[3]

ومن أخرى [من الطويل] :

وصـرت إلـى البـاب الـذي ليس دونه حجـابٌ ولا كفٌّ تردُّ من آجتنى
فمـا شمـت إلاّ بارقـاً كان صادقاً ولا رحت حتّى عِمْتُ في أبحـر الغنا

وقوله من أخرى [من البسيط] :

مُسَـدَّدٌ ضربـت أيام دولته على عيون أعـاديه بأسداد
هدى إلـى الحـقّ وانهلـت يداه ندىً فهـو الـدّليل يعين السَّفْـرَ بالزّاد
لي عنـد جرجـان ثأرٌ سوف أطلبه بكلِّ رحبِ القـرى أو مشـرفِ الهادي
حتـى أراه فأستغنـي برؤيته عمّـا رويناه عن قومٍ بإسناد

وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [من مجزوء الكامل] :

يا شوقُ قد قَرُبَ السفر ودنـا الـرحيـل المنتظـر
وغـداً بإذن الله أو تاليـه يظهـرُ مـا استترْ
ويسير بـي التيسير في زمرٍ بأيديهـم زبـر[4]

---

(١) عِمنا : تنعّمنا وشربنا،إوالرحيق : الخمر،والمعتّق : القديم .
(٢) القد : أصله الجلد الذي تخصف به النعال ، وأراد هنا ما تغلُّ به اليد .
(٣) المعتق : المحرّر .
(٤) الزبر : جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد .

سيراً يبشّر بالسعا دة والسّلامة والظّفر
سينيف بي الفرس الأغرُّ غداً على الملك الأغرّ[1]
يا حاديّ تيقّنا أنّي أفارق من فتر[2]
وينال رفدي منكما ماضٍ يقهقه إنْ عثر
لا يقشعر إذا دنا منه الغضنفرُ أو زأر
وِرْدي وَوِرِدكما سرى ينسيكما ذكر الصدر[3]
إن جال في عيني الكرى رفقاً فأعقبها العور[4]
لا زلت أبدع في السّرى فعلاً تعاظمه القدر[5]
وأشقّ قلب اللّيل عن ولدٍ يقال له السّحر
حتى يقول الحزن لي والسّهل لست من البشر
وتقول خوص تجائبي لا خاب سعيك يا عمر
إن الجليل من الثوا ب لمن يدقّق في النّظر
سأغضُّ عن زهر الكوا كب أو يعنُّ ليَ القمر
إنّي أخفُّ إلى البحو ر ولا أسفُّ إلى المطر[6]
وإذا لقيت الصاحب المأمون أدركت الوطر
وإذا جلست علوت ديباجاً وسائده بدر[7]
وإذا ركبت مشى عبيدي في المناطق والحبر[8]

(١) ينيف : يشرف .
(٢) فتر : ضعف وسكن .
(٣) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .
(٤) رفقاً: أي من أجل رفقي بنفسي .
(٥) السُّرى : المسير ليلاً .
(٦) أسفّ : أطلب وأقصد ، وأسف الرجل : أي طلب الأمور الدنيئة .
(٧) بدر : أكياسٌ من المال .
(٨) المناطق : جمع منطقة وهو ما يشدّ به الوسط من الثياب ، والحبر : الأثوب الناعمة الجديدة المفوّفة .

وأقيم مبتسماً إقا مة من يزاد إذا شكرْ
في نعمةٍ تصفو عليّ به وأخرى تنتظرْ
ذكروا فسادَ طريقنا واستشعروا منه الحذر
قلتُ اركبوه على الذي فيه وإن عظُم الخطر
فالله خيرُ حافظاً واسمُ الوزير لنا وزر[1]
إن كان غاب فخوفه في كلّ قلبٍ قد حضر
ملكٌ تخرُّ له الملو ك الصّيد من مدّ البصر
فالطيب فوق لحاهُمُ وجباههم تحت العفر[2]
وأجلّهم من جدّ منـ ـه إليه في وقت النّظر
جرجان ما نصبي ولا دأبي إليك على غرر[3]
فيك الذي من ماله لحمي وجلديّ الشّعر
لولا ابنُ عبادٍ رأيـ ـت الصّبر أفضل مدّخر
وسلكت في زهدٍ عن الـ ـدُّنيا سبيلُ من انزجرْ

واعتل قبل ورده فقال ووصله بهذه القصيدة [من مجزوء الكامل] :

قد كنت أحسب أن عيني سوفُ تظفر بالنظرْ
وفمي سيلثم أخمصيـ ـك وما وطئت من العفر[4]
وإذا بلغتك سالماً في النفس أدركت الوطر
حتّى منيت بعائقٍ ينهى العليل عن السّفر
حمّى يعاضدها السّعا ل وما برجلي من خدر
ولعلّ سيدنا إذا عرف المعوّق لي عذر

---

(١) وزر : عونٌ وحمىً .
(٢) العفر : ظاهر التراب .
(٣) النصب : التعب والجهد .
(٤) الأخمص : ما لم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

حبيبٌ عليه من سناه رقيبُ يصدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيبُ
تيمَّمني والليل في طرقاته فلمَّا تبدَّى حال عنه مريبُ[1]
تحمَّل لوم الشمس فيه وجاءني هلالٌ عن البدر المنير ينوب
فكان لراحي وارتياحي ومجلسي وكلّي بطيبِ الوقت منه نصيب
وساعدني ليلي وأرخى سدوله وهبَّ نسيمٌ للحياة نسيب
وأنعمتَ حتى ليس يشتاق عاشقٌ حبيباً ولا ينوي الإياب غريب

ومنها في المدح [من الطويل] :

ومزمعِ حجّ ينثني عنك ماضياً ويذكر ما أوليته فيؤوب[2]
عممتَ الورى بالبرّ حتَّى كأنَّما يردُّ عليهم من لهاك غصوب[3]
وعرَّفتهمْ طرق الثناء فكلُّهم على طبقاتٍ شاعرٌ وخطيب
رأى المزن ما تعطي فضمَّ على الأسى فؤاداً كأنَّ البرق فيه طبيب
وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [من المنسرح] :

يا سامع الزُّور فيَّ لي ذِمَمُ منها الضّنى في هواك والسَّقمُ
أنت الذي دِنْت بالسّجود له حتَّى لقد قيل ربُّه صنمُ[4]
ولي فؤادٌ غدوت مالكه بلا شريكٍ فليس ينقسم
حتَّى إذا صرت في ذرى فلك الـ أمّة حيث التقتْ به الأمم

---

(١) تيمّم : قصد نحوي ، وتبدّى : ظهر .
(٢) المزمع : إسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه .
(٣) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزلها .
(٤) دنت : خضعت واعتقدت .

خيّمتُ في دولةٍ مجدّدةٍ خيّم فيها الوفاء والكرمُ
وقلت للسّفر قد وصلتْ إلى مناي ، رحلي ، وناقتي لكُمُ
أكرم بحظّي لقد أتى فمحا ما خطّه في جبينيَ العدمُ

وله من قصيدة في الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراغيثها وبقها ويستأذنه للعود إلى أصفهان [من الوافر] :

ألا يا حيُّ جادتك الغوادي مجلّلةَ العزالى والمزادِ[1]
ولا زالت رباك تفوح مسكاً يضوع نسيمه في كلّ نادي
فإنّك جنّةُ الدنيا لثاوٍ أقام بخير أمصار البلاد
وأمٌّ للغريب فكلٌّ آتٍ نظيرُ بنيك عندك في الولاد
فواأسفي على زمنٍ جنى لي ودادك واجتنى لك من ودادي
كذا الملك ابن عبادٍ عماد الـهدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى فأصلح بين غيِّك والرّشاد
وجاد فكان أجرى من سحابٍ سقى زهر الرّوابي والوهاد
وقد أصبحتُ بعدك في بليدٍ دريَّة كلّ داهيةٍ نآدي[2]
ولولا أن سيّدنا به لمْ تكن جرجان تثنى من قيادي
أقمت بها أعالج كلَّ بؤسٍ من الأعلال لا العيش المهاد
تحدّثني بحمّى لو تبدّت بخيبَر ألحقتها بالبوادي
ملازمةً إذا لسعت شقياً فكلُّ زمانها وقت العداد[3]
تعاونها عليَّ سموم صيفٍ بلفحٍ من لظاهُ واتّقاد
وذبّانٌ أُشرِّدها فتأبى وترجع كالمراغم ذي الكياد

(١) جادتك : حلّت بديارك ، والغوادي : السحاب الممطر ، والعزالى : جمع عزلاء وهي مصب الماء .
(٢) الدريَّة : على زنة فعيلة ـ ما يتعلم عليه الطعن ، والنآدي : النازلة .
(٣) وقت العداد : وقت الموت ، أو وقت اهتياج الألم .

كأنّــي حيــن أطردهــا وتأبــى ... أفــرّق بين ذي سغــبٍ وزاد[1]

ويا ويلــي من الليل الموافي ... فإنّــي حين يطـرق في جهاد

له جيشــاً براغيثٍ وبقٍّ ... يطــلٌ علــيٍّ إطـلال الجراد

ولـي فرشٌ هي الميدان فيه ... براغثــه وخمشــي في طراد

وبــقٌّ فعلــه في كلٍّ عضوٍ ... فعــالُ النــار في يبس القتاد[2]

عصائــبُ ينتحين على عروقي ... بعــوجٍ كالمباضــع في الفصاد

فتــروى ثــم ترجــع عاطفاتٍ ... علــيَّ وهــنَّ كالهيم الصوادي[3]

وأنقف بعضهــنَّ وفــي حشاها ... دمــىً فأنــال ثاراً من أعادي[4]

تفــرّق بيــن جنبــي والحشايا ... وتجمــع بيــن جفنــي والسّهاد

ولــو أنّــي ثملــت وملت سكراً ... لحالــت بيــن طرفــي والرّقاد

وأستــر دونهــا وجهــي بكفّي ... وعــطف الــردن وهــو لهــنَّ بادي

وأظهــر في صباحــي كلَّ يومٍ ... بوجــهٍ مجــدرٍ قلــقِ الوساد

وأدمــن حكَّ ما تركت بجسمي ... فيحسبنــي جربــت ذوو عنادي

وقـد وقف الـوزير وزير علــى بلائي ... بمــا ضاقــت به حيلــي وآدي[5]

وإنّــي لا نهــار أقــرُّ فيه ... ولا ليلٌ يقينــي منــه فادي

صديقــي في دجــا ليلــي عدوي ... وعبــدي لا يجيب إذا أنادي

وأتــرك في ظلام دجــاه وحدي ... فأذكر ضيق لحــدي وانفرادي

وفــي يمنــايَ مروحــةٌ فطَوْراً ... أذود بهــا ومــا يغنــي ذيــادي[6]

---

(١) السغب : الجوع .

(٢) القتاد : شجر صلب شوكهُ كالإبر .

(٣) الهيم : الابل العطاش .

(٤) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد : أخذها وإماتتها .

(٥) الآد : الصلب والقوة .

(٦) الذياد : الدفع والطرد ، كالذود .

وطــوراً أستــريح إلــى انتصابي   وطــوراً أنثنــي ويدي اعتمادي
وعلّمنــي البعــوض بلطــم خدّي   خلائــق لسْــنَ من شيمــي وعادي[1]
فهــل للصاحــب المأمــول عطفٌ   علــى عجــزي عن الــكرب الشّداد
بإذنٍ لست أسـألـه اختباراً   ولــكنّ اضطــراري في ازدياد
شقـاءٌ لا يعــاقبه رخـاءٌ   وبلــوى تســتنيم إلــى التّمادي
وسيّدنــا أدقُّ النــاس حدساً   وأعرفهــم بدخلــةِ مــن يصادي[2]
وحسبــي ما بلاه في اختياري   وشاهــد من ولائــي واعتقادي

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني الزعفراني لنفسه [من الخفيف] :

لي لســانٌ كأنّـه لي مُعادي   ليس ينبــي عن كنــه ما في فؤادي[3]
حكــم الله لــي عليــه فلــو أنصــف قلبــي عرفــت قــدر وِدادي

وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديداً بهما ، [من الوافر] :

وفصــلٍ فيــه للأرض اختيالٌ   لأنّ جميع ما لبســت حرير
وللأغصــان من طربٍ تثنٍّ   إذا جعلــت تغنّيهــا الطّيور

* * *

٢٦ ـ أبو دلف الخزرجي الينبوعي

مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الجدية ، خنق التسعين في

---

(١) الخلائق : أي أخلاق ، وشيمي : صفاتي .
(٢) الحدس : قوّة التوقع ، والدخلة : الإضمار والطويّة، يصادي : يداري .
(٣) ينبي : يخبر ، وكنه : معنى ونيّة .

الإطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب بالجراب . في خدمة العلوم والآداب . وفي تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها أبو الفضل الهمذاني [من الهزج] :

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلّي
تغاير ن بلبثي و تحاسدن على رحلي[1]
فما أنزلها إلاّ على أنسٍ من الأهل

وكان ينتاب حضرة الصاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره ، فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره[2] ، وكان الصاحب يحفظ مناكاة[3] بني ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها ، وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرها تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجّح بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبـ ـرَدُ من تطرقُ الهموم فؤادَهْ
لي شعرٌ كالماء قلت أصاب الـ ـشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السّعاده
وطبيبٍ مجربٍ ما له بالحـ ـذق في كلٍّ من يجرِّب عاده

---

(١) اللبث : الإقامة ، والتغاير : التحاسد من الغيرة .

(٢) السفاتج : من السفتجة ، وهي أن تعطي مالاً لشخصٍ ما على أن تسترده من عميلٍ له في بلدٍ أنت تقصده .

(٣) يحفظ مناكاة : أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم .

مــرَّ يومــاً إلــى مريضٍ فقلنا   قرَّ عينــاً فقــد رزقــت الشّهاده

فقال له أبو دلف [من البسيط] :

ظلَّ السلامــيُّ يهجونــي فقلــت له   حييت قلبــي ومعشوقــي وأستاذي
إن لم تكن ذاكراً بالــريِّ صحبتنا   فاذكر ضراطــك من تحتــي ببغداذ

وأنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني أبو دلف الخزرجي الينبوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي [من مجزوء الكامل] :

لـولا النبـيُّ محمَّـدٌ   ووصيُّـهُ ثـمَّ البتـولُ(١)
لعلمـت أنّـي شاعـرٌ   أسِـمُ الرّجـال بمـا أقولُ(٢)
لكنَّنــي أعرضــت عـن   ذاك الحــديث وفيه طولُ
وتــركت للخمـر الخمـا   ر ، وحبَّــذا تلك الشمول

وأنشدني أبـو علـي محمـد بن عمـر البلخـي ، قال : أنشدنـي أبـو دلف الخزرجي لنفسه في إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [من الكامل] :

يا من يسائلنــي عــن المشقاعِ   قد ضاق شعــري عنــده ورقاعي
كاتبتــه في حاجــةٍ عرضــتْ لنا   فكأنّنــي كاتبــتُ وحش القاع
نعــم الفتــى لو لم تكن أخلاقُهُ   ممزوجــةً بتـوابـل الفقّـاع(٣)
أنــا مثلــه في جنســه من طرزه   إنْ لم أضرِّطــه علـى الإيقـاع

وأنشدني بديع الزمان لأبي دلف ، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندري [من مخلع البسيط] :

ويحــك هذا الزمــان زورُ   فــلا يغــرّنَّـك الغـرورُ

---

(١) البتول : أي فاطمة الزهراء عليها السلام .
(٢) أسم : أصف وأنعت .
(٣) الفقّاع : التوابل الفاسدة الخبيثة .

زوّقْ ومخـرِقْ وكلْ وأطبقْ　　واسـرقْ وطلبـقْ لمـن يزورُ[1]
لا تلتـزم حالـةً ولكـنْ　　درْ بالليالـي كمـا تدورُ

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية[2] التي أولها [من الهزج] :

جفـونٌ دمعهـا يجـري　　لطـول الصـدِّ والهجـرِ
وقلـبٌ تـرك الوجـد　　بـه جمـراً علـى جمرِ
لقـد ذقـت الهـوى طعميـن　　مـن حلـوٍ ومـن مـرِّ
ومـن كان مِنَ الأحرا　　ر يسلـو سلـوة الحرِّ
ولا سيمـا وفـي الغـربـة　　أودى أكثـر العمـر
تعـرّيت كغصـن البـا　　ن بيـنَ الـورق والخضر
وشـاهـدت أعاجيبـاً　　وألـوانـاً مـن الدّهـر
فطابـت بالنّـوى نفسي　　علـى الإمسـاك والفطر
علـى أنّي مـن القـوم الـ　　ـبهـاليـل بنـى الغـرِّ[3]
بنى سـاسان والحـامي الـ　　ـحمى في سالف العصر
تغـرّبنـا إلـى أنّـا　　تنـاءينا إلـى شهـر
فـظـلَّ البيـنُ يرمينـا　　نـوى بطنـاً إلـى ظهر
كمـا قـد تفعـل الريح　　بكُثْـبِ الرمـل في البر[4]

---

(١) طلبق : كذَّب واختلق .

(٢) نو ساسان قومٌ من العيّارين والشطار لهم حيلٌ ونوادر ، وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظاً اخترعوها تجدها منثورة في هذه القصيدة ، ولصفيّ الدين الحلّي قصيدة أخرى اسمها القصيدة الساسانية في خمسة وأربعين ومائة بيت ، وفي مقامات بديع الزمان الهمذاني مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير من حيلهم .

(٣) البهاليل : السادة الكرام .

(٤) الكثب : جمع كثيب ، وهو التلّ من الرمل .

فـطبنـا نأخـذ الأوقـا ت في العسـر وفـي اليسر
فمـا ننفـكُّ من صمّي ومـا نفتـرٌ مـن متر
فـأحلـى مـا وجـدنـا العيـش بيـن الـكمـد والخمـر
الصمى : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك .
فنحـن النـاس كلّ النا س في البـرٍّ وفـي البحر
أخذنـا جزيـة الخلق مـن الصّيـن إلـى مصر
إلـى طنجـة بـل فـي كـــل أرضٍ خيلُنـا تسـري
إذا ضـاق بنـا قطرٌ نزلْ عنـهُ إلـى قطر
لنـا الـدنيا بمـا فيها مـن الإسـلام والكفـر
فنصـطـاف علـى الثّلج ونشـتـو بلـد التمـر
فنحــن الميـزقانيـو ن لا ندفـع عـن كبر[1]
هـمُ شتّى فـسلني عـنـــهـمُ يـنبيـك ذو خبـر
فـمنّـا كـل كـمّـاذٍ الــــلبـوسـات مـع الـهـرّ
ومنـا كل صـلاّجٍ بكيذٍ وافـرٍ نكـر
الكماذ : النياك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاج : الذي يصلج أي يجلد عميرة ، والكيذ : الأير .
قـد استكفـى بكفّيـه عــن الثيّـب والبكـر
فـلا يخشـى من الإثم ولا يؤخـذ بالمهـر
ولا يحـذر من حيضٍ ولا حمـلٍ علـى طُهر
ومنـا الـكـاغ والـكـاغـــة والشيشق فـي النحر[2]
الكاغ والكاغة : المتجانن والمتجاننة ، والشيشق : الحدائد والتعاويذ

(١) الميزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى .
(٢) قال الجاحظ : الكاغ الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدّة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته .

التي يلقونها على أنفسهم .

وأشكالٌ وأغلالٌ من الجلد أو الصُّفر
ومن دروز أو حر زأو كوز بالدغر

دروز : إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء ، حرز : إذا كتب التعاويذ والأحراز ، كوز : إذا أقام في المجلس ، والمكوز : هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه . والدغر : المقاسمة .

ومن درّع أو قشّع أو دمّع في القرّ

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ، قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع ، دمع : إذا بكى في الأسواق عند البرد حتى يعطى .

ومن رعّس أو كبّس أو غلّس في الفجر

رعس : إذا طاف على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا تمرة وتينة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ، غلس : إذا خرج إلى الكدية بغلس .

وحاجورٌ وكذّابا تُ أهل الأوجه الصفر

الحاجور : الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفر ، الكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى .

ومن شطّب أو ركّب للضربات والعقر

شطب : إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد واللصوص ، ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلاً .

ومـن مَيْسَـر أو مَـخْـطَـــــر واستـنـغَرَ لـلثـغـر

ميسر : إذا كدى على أنه من الثغر، ويقال له : الميسراني . مخطر : إذا بلع لسانه وأوهم أن الروم قطعوه .

ومـن ناكذ في القينو ن مـن جوفِ أبـي شمر

المنـاكذة : أن يتقاسمـوا ما يأخذونـه من الثياب والسـلاح بعلـة الغـزو. والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومـن رشّ وذو المكوى ومــن درمَكَ بالعطـر

رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذي يبخر الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومـن دكّـك أو فـكّـــك أو بـلّغـك بـالـحـر

المدكك : الذي يخـرج اللـوى من العصيان ويحتـال علـى من به وجـع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجـه ويوهـم أنـه أخرجـه بالـرقية ، فكك : إذا فك السلاسـل علـى الطـرق . بلغـك : إذا جر الخـواتيم بالإبريسم الرقيق .

ومـن قـصّ لإسـرائـيـــل أو شبـراً على شبـر

من قص : هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .

ومـن بشْـرَك أو نوْ ذك أو أشـرَك بالهبـر

بشرك : تزيا بزي الرهبان تزهداً . نوذك : إذا كدي على أنه من الحجاج ، أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومـن قـدّس أو نـمّـس أو شـولس بـالشَّعـر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

ومنـا العشيـريـون بنـو الحملـة والكـرّ

العشيريون : الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون .

ومنـا المصـطبانيـون من ميزَقَ بالأسر

المصطبانيون : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى .

ومنّـا كـلّ زمكدان غـدا محـدودب الظّهـر
ومنّـا كـلُّ مطراش مـن المـكلـوذة البتـر

المطراش : الـذي معـه يده يكدى عليهـا ، ويقـال اليد المقطوعـة : المكلوذة .

وفـي المـدرجـة الغبـرا ء منّـا سـادة الغبـر

المدرجة : هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق علـى طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا .

ومنّـا كـلُّ قنَّاءٍ علـى الإنجيـل والذكـر

القناء : الذي يقرأ التـوراة والإنجيل ويوهـم أنـه كان يهـودياً أو نصـرانياً فأسلم .

ومـن ساق الــولا بالما ء أو قوْسِ أبـي حجـر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء ، والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحي ، ومنهم من يكون معـه قوس عربية ، وأول من فعـل ذلك في الحضر أبو حجر .

ومــن طـفْـشَــلَ أو زنْـكَـــــــــلَ أو ســطَّل فـي الســر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب ، زنكل : إذا احتال في سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الإسطيل .

ومــن زقّـى الشغاثـات غـداءاتٍ وبــالعصـــر

زقى : صلى . والشغاثات: المساجد ، واحدها شغاثة ، يكدون فيها إذا صلى الناس .

ومــــن دشَّـــش أو رشَّـــش أو قشَّــش يستــدري

دشش : إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه كالدشيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رشه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسـا في المساجـد فيتـأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج .

ومــن يزنــقُ أو يخنــقُ أو يذلــقُ بالدّبــر

يزنق : يثقب في بدنه ثقبة وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنـق : يصنـع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلـق : يمشـي عريان الاست .

ومنّـا كــلُّ مستعـشٍ مـــن النّعـارة الكــدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولـو ن :

رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومـن شدّد في القول ومـن رمّـد في القصرِ

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرمـاد ، ويوهـم أنـه أوى إليه من شدة البـرد وعـدم الملبوس .

ومـن يزرع في الهادو ر تكسيحـاً مـن البذر

ومن يزرع في الهادور : قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظـروا لهـم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده . الهادور : كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة .

إلـى أن يـقـع الـتـنـبـــل في محصـدة الجزر

التنبل : هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه ، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومـن قنْـوَنَ أو بنْو نَ أو طيَّـنَ بالشعـر

وقنون : من المقنون ، وهو الذي يقول : كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي ﷺ جاءني في النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتـي، فأسلمـت . بنون : إذا انتسب إلى البانوانية وهم الشطار وقال : كنت محبوساً فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد في الأسواق .

ومنّا منفذ الطين وأصحاب اللّحى الحمر

منفذ الطين : قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومَنْ شقَّف بالماء ومن شقَّف بالجمر

والمشقف : هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيفة .

ومَنْ كدى على كيسان في السرِّ وفي الجهر

كيسان : قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنّا النائح المبكي ومنّا المنشد المطري

والنائح المبكي : قوم ينوحون على الحسين بن علي ، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه ، رضي الله عنه ! .

ومن ضرّب في حبٍّ عليٍّ وأبي بكر

ومن ضرب في حب : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويقف الآخر جانباً ويروي فضائل علي رضي الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي ، ثم يتقاسمان الدراهم .

ومن يروي الأسانيد وحشو كلٍّ قمطرّ

ومن يروي الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

ومنّا كلّ ممرورٍ غدا غيظ بني البظر

كل ممرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما يريدون .

ومن يكحل من مستعرضٍ دمعته تجري

ومن يكحل : هو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع ويأخذ في شكاية حاله واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفي الموقف منّا كلُّ جبارٍ أخى الصبر

كل جبار : هو الذي يقف في المقام قائماً أو قاعداً ولا يبرح أو يأخذ ما يريد .

متى يحفُ [يقل] بشبا شة الخشنى في خصر

البشباشة : اللحية ، والخشنى : الذي لا يكدي ، وهو عندهم عيب كبير .

وقرّاع أبي موسى لديه دبّة البزر

وقراع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده أهون من دبة البزر استخفافاً به وبجفائه .

ولا ينطسُ أو يلحن ما يطلب بالقسر
وجرّار عيالاتٍ عليهم أثر الضرُّ

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطي . وجرار عيالات : هو الذي يكتري الصبيان والنساء ويكدي عليهم .

ومن ينفذ سبحاتٍ وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سبحات : هو الذي يطرح على أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطي ويرد عليه ، ومنهم من يلقي الملح ، ويقال للملح : أبو شكر .

ومنّا حافر الطرس بلا خرطٍ ولا جهر

حافر الطرس : هو الذي يحفر القوالب للتعاويذ فيشتريها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويذ إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركوشٌ وبركك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وينبئه به ، وبركك : هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرْمَطَ أو سرْمَط أو خطَّط في سفر

قرمط : هو الذي يكتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحرّاقٍ وبزّاقٍ بني الشّخّير والنشر
ومن ذكّر والقوم الزكوريون في الصدر

الحراق : الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة . والبزاق : الذي يرقي المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهشم بالكرش ويستبرد في النهر

ومن دهشم : مخرق ومموه بأنه صائم . والكرش الصوم والجوع أيضاً ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش نزل في النهر بعلة الاستبراد وشرب ما أراد .

ومَن يعطي الضماناتِ من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة .

ويشرى عشّ رضوانِ بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان : يعني أنه يقول : إن لم أحج عنك فحظي من الجنة وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنة .

ومن حنّن كفّيه وحفّ الطّست كالحرّ

حنن : هو الذي يخضب كفيه بالحناء ، وحف شاربه فيتركه كالطست المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبث به لذلك .

ومنّا الشيخ هفصويه ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون العربية .

ومن كان على رأي ابن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين : هؤلاء من البصراء يعبرون الرؤيا ويكدون من هذه الجهة .

وشكّاكٍ وحكّاكٍ ومعطى بلح الأجر

الشكاك : الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكاك : الذي يكون معه

حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير ، يقال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الكحل وذو الغزر

سمقون : الصبي الذي يأخذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربّى ومن فتّى وأجرى عقد الزرّ

ومن ربى : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان .

ومنّا قافة الرزق وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجفر

الجفر : الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنا البشتداريون تحت الرّحل كالحمر

والبشتداريون : قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرّق في مصطبة الفتيان في قدر

ومن مرق : يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء منهم .

ومنا كلّ مراسٍ جسورٍ جاهلٍ هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يــرى الخشّ فيأتيـه بـلا خـوفٍ ولا ذعـر

الخش : الأفعى .

فيســتـل الــذي يخشا ه مـن شصــوصـة الخـزر

الشوص : الأنياب بقلعها ويترك واحدة .

ويـبـقـى مـنـه مـا يـصــــــــلح لـلـمـحـنـة والـسّـبـر
فقـد أنــزل فيـه ملـك المــوت علــى قبـر
فهــذا هالـكٌ لسعـاً وهــذا كفُّـه يبـري
وقـد يلتمس الخبز بمـكـروهٍ مــن الأمـر
ومنّــا كـلٌّ نطّــاسٍ علـى البزرك مستجـري

النطاس : القوي القلب من الدستكاريين تراهـم علـى الـدواب ومعهـم الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وغيرهم من الأعلال ، والبزرك : المواضع .

ومنّـا كـلٌّ مــن شـرشـر بالهـلاّب والكسـر

الشرشرة : القمار ، والهـلاب : الثياب ، والكسـر : الدرهـم والمرجـان والدينار .

إذا حــاف عليــه بختــه سقّــف بـالنّحـر

وحاف عليه : يعني أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر .

ومنّـا كـلٌّ إسطيـلٍ نقـيٍّ الـذهـن والفكـر

الإسطيل : الأعمى .

ومنــا كـلٌّ سبّـاعٍ عظيم اللّيـث والببـر
ومــن قــرَّد أو دبَّـــــب من كـلِّ فتيً غمـر

ومن قرد أو دبب : هم الذين يكدون على الدبة والسباع والقردة :

وسمّانٍ ووسنانٍ ومن قتّت كالكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن ، والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وقتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكّاكِ السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية .

ومنّا ذو الوفا الحرّ المدلِّج ذو الكرِّ

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه أداؤه .

ومنّا شعراء الأر ض أهل البدو والحضر
ومنّا سائر الأنصا ر والأشراف من فهر
ومنّا قيِّم الدين المطيع الشائع الذكر
يكدى من معزّ الدو لة الخبز على قدر
ومن يطحن ما يطحن بالشّدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم .

ومطليٌّ دم الأخّ مع المصموغ كالبثر

ومطلي دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنّا كلٌّ مشقاعٍ من الفتيان كاللغر

المشقاع : الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم السفل من الناس .

يلذ الشورز الوجدا ن بالخبّ وبالمكر

الشورز : الأمرد . ويلذ : يدور به العرب من المكدين فيؤدبه، ويقول : هذه الفتوة، ولا يجوز أن تكون وحدك ، فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ، ويقال للقدر بما فيها : الخشبوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرساً أكلّ مضطر
وما في البيت غير البـ ـتّ أو بارية القفر
وما للشوزر السوء سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتّى تراه طافح السكر

يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر .

فتجري فيه كيذات الـ ـبهاليل ولا يدري

الكيذات : الأيور : البهاليل : رؤساء المكدين .

ومنّا سعفة الريح لضرب الكلب والهرّ

وسعفة الريح : قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنوراً أو كلباً فلطمته الجن .

وذو القصعة والمسرا د والمكناس والعشر

وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصرى وهو ما بقي في السنبل من الحب [بعد أن يداس] .

وفي الأسواق والأنها ر والبيدر والقصر
ومن يقرأ بالسبع وإدغامُ أبي عمر [و]
وأصحاب المقالات من الفاجر والبرّ
ومن علّافةٍ ركّبت الباز مع الصقر

ومن علافة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ، والصقر : هو أن يشد عينيها ويقول : إنها رمدى أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة .

ومنّا الكابليون ومن يلعب بالجرّ
ومن يمشي على الحبل ومن يصعد بالبكر
ومنّا الزنج والزُّط سوى الكبّاجة السُّمر

والكباجة : اللصوص ، كبج إذا سرق .

ومنّا من صما يوماً فقد هرّب في المصر

ومنا من صما : يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه البلد ، والشيء الرديء الفاسد يقال له الهريب ، والشيء الجيد يقال له الكسيح .

ومنّا كل ذي سمتٍ خشوع القرنٌ كالحبر
يرقّي وتراه با كياً دمعته تجري
فإن كبَّن في السرِّ فبالمذقان يستذري

كبن :خري ،والكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب .

وإن كرّس لا والله لا تمَّ إلى الظهر
ومن صاح بآمين من المزلق والذّعر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق ، يصيحون بآمين من الأسواق .

سخام القصّ قد نقّعهم مثل بني النّمر

سخام القصي : سواد الأتون .

فذا بقّالنا سطلٌ وذا استأذنا خرّي

فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا بقالنا أعمه يا رب .

وذا فصابنا عسمٌ وذا البزاز لا تبري

وعسم : من العسوم وهو المفلوج .

ومن ردّهمُ غُلّفٌ من غالبة الحجر
ومنّا كل من يمرح في الإسطيل كالمهر
ومن كدّة بهلولٍ تخطّى ثمّ كالحجر

الإسطيل : الجامع ، والكدة : المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في الجامع .

ومن يخرج باليابس يوم الفطر والنحر

من يخرج باليابس : قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلى عراة حفاة يكدون .

ومنّا من تمشّى يمسح البلدان كالنّسر
ومن يأوي المصاطيب مع المذلقة الضُّمر
ومن يأوي الشغاثات مع العقّة في الستر
وأصحاب التجافيف من الثامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم .

وأصحاب الشقاعات من المشّاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون مع جنس منهم ، فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاع ويصلون عليها ولا يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذي يطوف دائباً لا يفتر .

بنو التّضريبِ والتّدريبِ والتّفتيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم أبداً في رتق أو فتق .

ترى للقمل في كلٍّ شقاعٍ مائتي وكرِ
ومن دمّج في الثّلج وفي الوحل بلا طمر

دمج : إذا قام في البرد .

ولا ينظر إلاّ كا لحاً ذا نظرٍ شزر
فلا يبرح أو يأخذ ما يأخذ بالصّقر
وفي الغمّيز منّا فتيةٌ من رغلٍ قذر
همُ بيتُ المشاميل مع القنّابر الحفر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الكسرة من الخبز .

غدوا مثل الشياطين عليهم أثرُ الفقر
فيأتون ببربازا ر كالقفيا من المجري

بربازار : لأنه ذو ألوان ، والقفيا : هو خبز السبيل الذي يجريه الأعلاء على

الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى .

وعبّوه أنابيرٌ من الزغبل والبرًّ

وعبوه أنابير : يعني أنهم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الحنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها .

كما يقتسم البيد ر بالقفزان والكسر
وظلّوا يفتنون على مالك بالعسر
وخصوه بجوازات ونصف فجلة تمري

وخصوه بجوازات : يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد .

سقى الله بني ساسا ن غيثاً دائم القطر
ترى العريان منهم ظا هر السُّمرة والخطر
كنمرود بن كنعان قويّ الصدر والأزر
رجالٌ فطنوا للشقل والأغلال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخلنجي : الذي يخرى ولا يغسل استه ، ما حاضوا : أي ما تطهروا .

رأوا من حكمةٍ خرط القلاداتِ مع العذر
يقولون لمن رقّى تحوَّل فينا تزري
وراحوا خارج الدار بواريةٍ مع الحصر
فحيثما آكتروا قالوا من الخشنيٍّ لا نكري
إذا ما سمّروا القشقا ش ذا العثنون والزجر

سمروا القشقاش : أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر : العالم المتقشف الورع .

لقــوه بنـثــارات من البنـدق والبسـر
وحــيّــوه بــآلافٍ من القنّـادر الفطـر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ضرطوا عليه ، والقنادر : الضراط ، والفطر : الذي لم ينضج بعد ، من الفطير ، ويصيح الواحد إلى الآخر بندقة بسرة ويضرط .

وكـم بيـن الغرابيـب وبيــن البـبغ والقمـر
ألا إنـي حـلبـت الـدهـــر مـن شـطرٍ إلـى شـطر
وجبـت الأرض حتـى صر ت فـي التطـواف كالخضر
وللغــربـة فـي الحـرِّ فعــالُ النـار في التّبر
ومـا عيش الفتـى إلاّ كحـال المدِّ والجـزر
فبعـضٌ منـه للخير وبعـضٌ منــه للشـرّ
فـإن لمـت على الـغـربـــة مثلي فـاسمعـنْ عـذري
أمــالي أسـوةٌ فـي غر بتـي بـالسّادة الطُّهـر
هـمُ آل الحواميم هـم الموفـون بالنـذر[١]
هـم آل رسـول الـلــه أهـل الفضـل والفخـر
بـكـوفـان وطـيٍّ كـر بلاكـمْ ثمَّ مـن قبر
وبـغــداد وســامـرا وبــاخمـرى على السكـر
وفــي طـوس مناخ الـركـب فـي شعبـان فـي العشـر
وسـلـمـانٌ وعـمّـارٌ غريـبٌ وأبــو ذرّ
قبـورٌ فــي الأقاليـم كمثـل الأنجـم الزهـر
فـإن أظفـر بآمـالـي شفيـتُ غُلَّـة الصّـدر

(١) آل الحواميم : آل الكساء الخمسة .

وألمـــت بأوطــانٍ قــويّ النّهــي والأمــر
وقـد تـخفــق فــوقـي عـــــزّةً ألــويـةُ الــنّـصــر
وإمــا تكن الأخــرى وعــزٌّ جائــز الكســر
فـلا أُبْــتُ مـع السّفر غـداة أوبـة السَّفـر[1]
ولا عـدْتُ متـى عدت بـلا عـزٍّ ولا وفـر
وحســبـي القصـب المطحو ن فيـه ورقُ السّـدر
وأثـــوابٌ تـــواريــنـي مـن الإيــذاء والأزر

* * *

٢٧ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن بابك

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبـه كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلقين ، من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة في الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين ، وهو القائل في وصف شعره [من الوافر] :

أزرْتُــك يا ابــن عبــادٍ ثناءً كأنَّ نسيمـه شرقٌ براح
ولفظــاً ناهَــبَ الحلْيَ الغواني وأهــدى السّحــر للحــدق الملاح

وله في استعطاف الصاحب [من الخفيف] :

أي جرمٍ لواثــقٍ بك راجي خبطتـه غــوارب الأمــواجَ
وطنــي أنــت والمكارم زادي فلمــن أزجــر القــلاص النّواجي[2]
فارعَ يا كافيَ الكفــاة ثناءً نفـث السّحــر في العيون السّواجي[3]

---

(١) أبت : عدت .
(٢) القلاص النواجي : النوق السريعة .
(٣) السّواجي : الساكنة .

لو أزرتَ الحراب ملعب طوقي لارتشفن الثناء من أوداجي[1]
أنا مذْ حرّقت سمومك ظلّي جمرةٌ في شواظك الوهّاج
لا تقابل زيارتي بازورارٍ ومجاجاً عسّلته بأجاج
ليس في الشرط جنس حظّي فوقّع في عيون الحساد بالإخراج

وكان أيام الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى بلده [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك الرءوف إلى كم يعصي بالنّفس اللهيفُ(؟)
أأسحب في ذراك فضول ذيلي ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإنْ يملك سواي عنانَ حظّي ولي من دونه اللّفظ الشريف
فكلٌّ مطرّقٍ مالٌ، ولكنْ تعود بها إلى القيم الصروف
لواني عن طريق اليأس أنّي على ثقةٍ بأنّك لا تحيفُ
فحِزْ إرث الزمان وعشْ حميداً يُناخ ببابك الهمُّ العكوف[2]
وحادثْ بالسّراح أخا اشتياقٍ يلاعب ظلّه جسدٌ نحيف
له بالريف من جرجان مشتى وبالنّخلات من غمّي مصيف

وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك . فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس في استحداث

(١) الأوداج : عروق في العنق .
(٢) العكوف : المقبل الملازم ، وعكف في المكان : أقام فيه .

الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض المطور . والوشي المنشور . واللؤلؤ المنثور ، فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله في وصف الشراب من قصيدة [من الطويل] :

عقارٌ عليها من دم الصبِّ نفضةٌ ... ومن عبرات المستهام فواقعُ
معوّدةٌ غصب العقول كأنّما ... لها عند أرباب الرجال ودائعُ
تحيرٌ دمع المزن في كأسها كما ... تحيَّر في ورد الخدود المدامع

وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

ومقلةٍ في مجرّ الشمس مسحبها ... أرعيتها في شباب السذقة الشهبا(1)
حتّى أرتني وعين النجم فاترةٌ ... وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٍ بت أشكو الهمّ أولها ... وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضةٍ من غياض الحزن دانيةٍ ... مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها ... فكلّما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها ... عاد الزمرُّذ من عيدانها ذهبا

ومنها :

مرَقْتُ منها وثغر الصبح مبتسمٌ ... إلى أغرَّ يرى المذخور ما وهبا
ذو غرّةٍ كجبين الشمس لو برقتْ ... في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواءً ومحتلباً ... وأشرف الناس أعراقاً ومنتسبا

---

(1) شباب السّذقة : أي أوان النشاط والفتوّة .

أصبحــت ذائقــةً بالوفــر منــك وإنْ قال العــواذل ظنٌّ ربّـما كذبا
إنّ المنى ضمنت عنـك الغنى فأجبْ فالبحـر يمنـح فضـل الـريّ من شربا
فحســن ظنّــي قد استــوفى مدى أملي وحســن رأيك لي لم يبــق لي أربا

ومن أخرى [من الوافر] :

حجبــت ومــا حجبــت عن الصّباح وليلُ الصَّــبِّ ممطــول البراح[1]
وبــات السقــم يكمــن في عظامي كمــون الموت في حدِّ الصفاح[2]

ومنها [من الوافر] :

كســوت الحمــد ذا عرضٍ مصونٍ يمتّــعُ في حمــى مالٍ مباح
مزوحُ اللفــظ مجــذوعَ العطايا جمــوحُ العــزم مجنــونَ السّماح
إذا اشتــجــرت على الملك العوالي هزرت أصــمَّ موشَّى الجناح[3]
يُريق على الظُّبــا ريق المنايا ويكحــل بالــردى مقــل الرماح

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطىء [من الوافر] :

أرى الأيام تسرف في عقابي ودون رياضتــي شيب الغراب
ألا يا عامــر الآمــال مالي أســير الطــرف في أمــلٍ خراب
أفــوت مطــارح الأمــل انتظاراً وأســرح بين سقــمٍ واغترابِ
أراعُ ولا أراعــي والأماني لقــىً بين اكتئــابٍ وارتيابِ
وكم كســرٍ جبــرْتَ فكان طوقاً علــى نحــرِ الدّعــاء المستجابِ

(١) البراح : الزوال والانتهاء والمفارقة .
(٢) حدّ الصفاح : أي حدّ السيوف .
(٣) اشتجرت : كثرت وتشابكت وتخاصمت .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

لقد نشر النيروز وشياً على الرّبا ... من النَّور لم تظفر به كفٌّ راقم
كأن ابن عبادٍ سقى المزن نشره ... فجاد برشّاشٍ من الوبل ساجم(١)

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [من الطويل] :

ليهنك عيدٌ لو تناجت سعوده ... لما اقترحت إلاَّ سماءك مطلعاً
فضحٍّ بمنْ ماطلتُه عدةَّ الرّدى ... فما اكتنَّ صدر السيف إلاّ ليقطعا(٢)

وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها [من المنسرح] :

وخلعةٍ فاجأت بلا عِدَةٍ ... من منعمٍ في عطائه سرفُ
غلَّت لساني عن الثناء فما ... يجري ولكنْ لشأنها يصفُ

ومن أخرى [من الكامل] :

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا ... نظر البغاث إلى انقضاض الجارحِ(٣)
إشتقّ من خلع الفخار عمامةً ... ورفاء تهزأ بالكئيب البارح
ومزنر الأردان ناقلني الضّنا ... وافترَّ عن سمطيّ شتيتٍ واضح
كالزبرقان تهافتت أنواره ... ليلاً بمضطرب الخليج السّابح
ومهلهلِ النهدين نازع عِطفهُ ... علمٌ كمنعطف العذار الجامح
لأنلتني شرف المقام، ورعت بي ... قلب الزمان ، وصنت وجه مدائحي
لله منزلنا التي من شأنها ... جرّ الرماح على السّماك الرامح(٤)

---

(١) النشر : العبق والطيب ، والوبل :المطر، والساجم : الهاطل .
(٢) اكتنّ : ستر ، أو ابيضّ من الصقل .
(٣) أبلسوا : احتاروا ولم يستطيعوا جواباً أو قراراً .
(٤) السِّماك : نجم في السماء .

ومن قصيدة في فخر الدولة [من السريع] :

خلقتُ يقظان مروح العنانِ موقّر الجأش جموح الجنانِ
لا أظلم الدهر فقد سرَّني وعشت من أحداثه في أمانِ
فإن تكن أيام دهري خلتْ فشأن أيامي البواقي وشاني
لقد تفيّأتُ ظلال الصبا وصمٌّ عن طاعتي العاذلان
واستوقفت طرفي في خصور الدّمى وانتهبت عقلي حضور الدنان
أفتِّق جلد الليل عن ضوئها والصبح كالنار خلال الدخان
يسعى بها في سقطات النّدى أغنُّ معقودُ حواشي اللّسانِ
مروّعُ المقلة طاوي الحشى مؤنّث الدلِّ مريضُ البنان
مقرطقٌ تنفر أذياله عن موجةٍ يجذبها غصن بان[1]
مزنَّرٌ يقلق سرباله كأنّما زرّ على خيزران
في يده شمطاء مقتولةً ترفل في ملحفتي أرجوان
إذا استدارت فرقاً صرّحت عن شررٍ وابتسمت عن جمان
إذا طغا لؤلؤه خلته طلاً على أرضٍ من الزعفران
تذكّرني أنفاسها سحرةً والليل والصبح طليقا رهان
نشوةَ أنفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزّمان

لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان ينبغي أن يقول :

نسيمُ أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

رجع :

---

(١) مقرطق : يلبس الأقراط أي الحليّ ، ويجذبها : يحرّكها ويمسكها ، والموجة : يقصد بها حركة الرّدف .

يا فلك الأمة درْ بالذي تهوى فقد دان لك المشرفان
مقبل الراحة ما صوِّرت كفّاه إلاّ للندى والطِّعان
فالحزم والعزم له عدّةٌ والمال والسيف له جنّتان
قد رقم النيروز وشْي الرُّبا فارقم حواشي جامك الخسرواني[1]
واقتبل اللّذات واستدعها باللهو والقصف وعزف القيان
واجتلِ وجه الرّاح في روضةٍ تبسّم عن مثل وجوه الغواني
وارع رياض العزّ في غبطةٍ واسكن مدى الأيام ظلّ التهاني

ومن أخرى في مهرجانية [من الوافر] :

أيا شاهانشاه صلِ الأماني بتجديد البشائر والتهاني
فقد جرت السعود وجاء يحدو سبوت الدهر سبت المهرجان[2]
وإنْ طغتِ المثالبُ والمثاني فعاتبها بقهقهة القناني
فقد برد النسيم وجاء يسعى بها خِصِر المراشف والبنان[3]
فلا عدمت يداك سقيط مزنٍ يصفّق بالرحيق الخسرواني

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير[من الوافر] :

وهزَّ العقدُ متن الأرض حتّى كأنْ قد أشربت حلب العصير
وأرسلت السماء رشاش تبرٍ شتيت الورق كالورق النّثير
لقد أمطرتها ذهباً ولكنْ جلوت الشمس في يومٍ مطير
كواكب زرن وجه الأرض حتّى لقد أذكرتنا عام الهرير[4]

---

(١) رقم : خططوسطّر ، والجام : الإناء من فضة .
(٢) سبوت الدهر : سكونه وإقباله .
(٣) الخصر : البارد .
(٤) الهرير : البرد القارص .

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ساقييَّ قضيبُ الرّند ريَّانُ والبدر ملتحفٌ والصبح عريانُ
وللصبا عثراتٌ لا تقال، وفي سجع الحمائم ترجيعٌ وإرنان
فغالباً نفثتي بالراح واختلسا عقلي فقد نفح النسرين والبان
واسترجعا لمّتي واستنفدا طربي قبل الشروق فللأطراب أوطان
وعرّضا بهوى لبني فلي ولها وللزجاجة إن عرّضتما شان
اليأس وردي إذا سحبُ المنى هطلتْ والصبر زادي إذا أهلُ الحمى بانوا
ها إنّ حلبة أرض الله شوط فتىً في بسطتي يده بطشٌ وإحسانُ
لله ثم لشاهنشاه خلفتها ما طلّ في رملات القاع حوذان[1]
إنْ كان للفلك العلويّ مرتكضٌ فيها فللفلك الأرضيّ سلطانُ

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي على سبيل المشاركة والمشاطرة [من الكامل] :

بَرَقَ الثّناء وشقّ ذاك القسطل وجرى عنانك والسّماك الأعزلُ
ورآك للتشريف أهلاً فاجتبى بوفائه ملكٌ يقول ويفعلُ
فأعرت شطر الملك ثوب كمالِهِ والبدرُ في شطر المسافة يكملُ

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة، وتدبيره نصف المملكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [من البسيط] :

ذنبي إلى الدّهر أنّي ما خضعت له ولا طويت له ثوبي على درَنِ
قد كنت أوقَفُ من عنسٍ على طللٍ فصرت أسرع من عذلٍ على أذن[2]

---

(١) الحوذان : نبات عشبيٌّ له زهرٌ أحمر في أصله صفرة .
(٢) العنس : النوق ، والعذل : اللوم .

هذي بقيَّةُ نفسٍ فارقت وطناً وفرقة النفس تتلو فرقة الوطن
نقَّلت عن عقر دارٍ كنت آلفها إلف القرارة صوب العارض الهتن(١)
حتّى ترنَّحتُ في أفياء دولتها ترنُّح الظلِّ بين الماء والغصن
فالآن قصّر باعي وانتهى طربي وشمَّرتْ في عقابي سطوة الزمن

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ مرقتُ من فحمتيهِ أنا والعيس والقنا والبروقُ
ورقادٍ كخفقة النبض يغشى مقلةً راعها الخيال الطروق
واستهلَّت لمصرع اللّيل وِرْقٌ ثاكلاتٌ حدادها التطويق(٢)
فتضاحكْتُ شامتاً وكأنَّ الصّبح جيبٌ على الدُّجا مشقوق
سبك الشرق منه تبراً مذاباً لفرند الشّعاع فيه بريق
وتمشَّت على الرياض النعامى وثنى قدَّه القضيب الرشيقُ
فكأنَّ التراب مسكٌ فريكٌ وكأنَّ الأصيل صبحٌ فتيق
ليس إلاّ تطرُّف العيش حتّى يتوشّى لك المراد الأنيق
إنّما العيش رنَّةٌ من حمامٍ وسلافٌ يشجّه معشوق(٣)
ومهبٌّ من الشّمال عليلٌ ووشاحٌ من الرياض أنيق
وملاءٌ من الشّباب جديدٌ ورداءٌ من النسيم رقيق
وجمالٌ من الرّذاذ نثيرٌ في مروجٍ ترابهنّ خلوق
لا ترد مشرَعَ الصّبابة فالياً س رفيق إذا استقلَّ الفريقُ
شافه الهمَّ إنْ طغى بحريقٍ سلَّهُ من زناده الراووق(٤)

---

(١) القرارة : القاع المستدير الذي يجتمع فيه ماء المطر ، والعارض الهتن : السحاب الممطر .
(٢) الورق : الحمائم ، والتطويق : أي إلباسها الطوق .
(٣) يشجّه : يفضّ ختمه .
(٤) الراووق : المصفاة ، الكأس او الإناء يروّق فيه الشراب .

صفقته يدٌ كأنَّ عليها صدفاً فيه لؤلؤٌ وعقيق

وله أيضاً [من السريع] :

لم أرض باليأس ولكنَّني أسوِّف الخسران بالرِّبح
تألّفتني خطراتُ المنى تألُّف المسبار في الجرح(١)

ومن أبيات في غلام يشتكي من قروح به [من البسيط] :

يا أيها الرشأ الموفي على شرفٍ ماذا دعاك ولم أذنبْ إلى تلفي
لا تشكونَّ قروحاً آلمتك فقدْ سرّقتها من فؤادي الهائم الدَّنِفِ
أحبُّ منك وإنْ لجَّ العواذل في لومي دلال الرضا في نخوة الصّلف

ومن أبيات في الاعتذار من ترك التوديع [من السريع] :

إنْ لم أودِّعك فعن عذرةٍ فائنِ إليها أذناً واعيه
قرّتْ بك العين فنزّهتها عن نظرةٍ ليس لها ثانيه

* * *

٢٨ - أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري

قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره وبراعة كلامه ، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى إليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى البديع عنانه ، كان كما قيل : « جرى الوادي فطمَّ على القرى »(٢) وهو أحد الأفراد بحضرة الصاحب ، وممن رفعتهم سدته ، وشرفتهم خدمته . ولولا أن الفالج أبطله الآن ، لكان قد بلغ من التبريز أعلى مكان . ولكنه بالري لقى ، وفي طريق المنية لقى . وعنده بقية مما استفاده في أيام الصاحب تتماسك

(١) المسبار : ما يسبر به الجرح ، أي يمتحن عمقه .
(٢) طم : غمر .

معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال في الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضا عرض للصاحب [من الطويل] :

سرينا إلى العليا فقيل كواكبٌ ... وثرنا إلى الجلّى فقيل قواضبُ(١)
وفاضت لنا فوق السنين نوافلٌ ... فما شكَّ محلٌ أنَّهنَّ سحائب
خلقنا أشدّاء القلوب على الهوى ... فما تزدهينا الآنساتُ الرَّبائب
فمن دأبه منّا نحولٌ ودِقّةٌ ... فممّا جنى أحبابنا لا الحبائب
أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحبٍ ... وجلٌّ طلاب الدّهر ما أنا طالب
فما جاد لي منه بغير مجانبٍ ... وآخرُ خيرٌ منه ذاك المجانب
خليلٌ تحامته الأباعد والتوتْ ... على مهج الأدنين منه العقارب
عقارب لا يجرحن غير مودّةٍ ... فهنّ لحبات القلوب لواسب(٢)
وما كان ظنّي أن تبين شبيبتي ... وإن بان جيرانٌ وشطَّت أقارب
فمذْ راعني شرخ الشباب بفرقةٍ ... تيقّنتُ أنْ لا يستدام مصاحب
أخلاي أمثال الكواكب كثرةً ... وما كلٌّ ما يرمي به الأفق ثاقبُ(٣)
بلى كلُّهمْ مثلُ الزّمان تلوُّناً ... إذا سرَّ منهم جانبٌ ساء جانب
مضى الودّ والإنصاف والعهد منهمُ ... فما بقيت إلاَّ الظنون الكواذب
وكنت أرى أنَّ التجارب عِدّةً ... فخانت ثقات الناس حتَّى التجارب
تدرَّعْ لإخوان الزمان مفاضةً ... ولا تلقهمْ إلاَّ وأنت محارب(٤)
إذا لم تكن مندوحةٌ من مصاحبٍ ... فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائب

(١) الجلى : العظيم من الأمور ، القواضب : السيوف القواطع .
(٢) اللواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ إلاّ أنّه عام في الحيّة وغيرها .
(٣) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم زحل .
(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .

فهــنَّ إلــى وفــدِ الخطــوب كتائبٌ — وهــنَّ إلــى كافــي الكفــاة صواحب
إلــى ملكٍ مذ أشرقــت شمس جوده — تبسَّــم في وجــه الرجــاء المطالبُ
إلى من حمى عود العلا فهو ناضرٌ — وردَّ إليه ماءه وهو ناضب
إلى من رعــى بالجــود سرب نعيمه — فلا تتمطّــى في ذراه النوائب[1]
وكلُّ نعيمٍ لم يعــوِّذْ بشاكرٍ — تفنَّــنَ فيه للذهــاب مذاهب
لعمــري بنــي عبــادٍ المجــدُ راسياً — ولــكن لإسمــاعيل منه المناكب[2]
زرارة لم يحللْ بواديه مفخرٌ — ولــكن حوى غرَّ المفاخــر جانب
وحلّــت قريشٌ في اليفــاع بهاشم — وإن كان سبَّاقــاً إلى المجد غالب[3]
فدينــاك يا كهف البــريّة ما الذي — أعــار المعالــي سقمــك المتناوب
عليهــا من الإشفــاق ثوبُ كآبةٍ — وخطــبٌ يدانيه الضّنــى متقاربُ
وفــي كلِّ دارٍ للأرامــل ضجَّةٌ — بأدعيةٍ ضــوضــاؤهــا متجاوب
ولــو شئــت تأديب الليالــي فعلته — فلــم ير منهــا في جنابــك خارب[4]
ولم تقرب الحمّى حماك ، ولـم يكنْ — لسورتهــا في سورة المجــد سارب[5]
وحــوشيت أن تضــري بجسمــك علّةٌ — ألا إنّهــا تلك الغــروم الثواقبُ[6]
ولاعــج تدبيرٍ وجــائش همّةٍ — سرى منهمــا بين الجوانــح لاهبُ
فلا تعذروهــا أن رأت أشــرف الورى — وحلّت به فالحرّ في الشمس ناشبُ[7]
لقــد كانــت الأيام حجَّــبَ شمسها — دياجــي همــومٍ دجنهــا متراكب[8]

---

(١) السرب : الطريق .
(٢) المناكب : كبار الريش في مقدّمة الجناح أو المكان الأرفع .
(٣) اليفاع : المرتفع والذروة .
(٤) الخارب : اللص .
(٥) السورة : عضبها ، وسارب : ممرّ .
(٦) تضري : تغرى وأضراه : أغراه وبثه عليه . والغروم : الأثقال ، والمغرم : المولع بالشيء والدَّين .
(٧) ناشب : مقيم وحالّ .
(٨) الدجن : ظلامها .

فلمـا انتضـاك البـرء عادت كأنّها ... غياهـب بأسٍ قشّعتهـا مواهب

نظـرت إلـى دنياك نظـرة قادرٍ ... فلـم يبـق فيهـا سائـلٌ ومغالب

سواي فإنّـي سائـلٌ أن تغـبَّ لي ... سحائـب نعمـى كلهـن رغائب(1)

فما في لسانـي شكر ما أنـت منعمٌ ... ولا في بنانـي حصـرُ ما أنـت واهب

أنلنـي بقـدري لا بقـدرك ، إنّما ... تجـود علـى قدر الأتـيِّ المذانب(2)

وقال من أخرى [من البسيط] :

مستوقفـي بين ذلّ الصـدّ والملل ... لاحـظ لي منـك إلاّ لذّةُ الأملِ

أرضـي بطيفـك بل أرضـى بذكرك أن ... يتلـى وذاكـراي مقـرونين في الغزل

لا ترحلنّ فمـا أبقيت من جلدي ... ما أسـتطيع به توديـع مرتحلٍ

ولا من الغمض ما أقـري الخيال به ... ولا من الدمـع ما أبـكي علـى طلل

نعـم لي العزمـة الغـرّاء إن وخدت ... لم تحتفـل بوجيف الخيل والإبل(3)

تحوي مرادي على رغـم العـواذل منْ ... ربّ الأكاليل لا من ربّـة الكلل

قد زدت يا ليلـة التـوديع في حزني ... ولم تزل يا صباح الوصل في جذل(4)

وأنـت يا جسـداً لجَّ القضـاء به ... حتـى برتـه يدُ الأوجـاع والعلل

كيف احتملت الضّنا في الظاعنين ضحىً ... وكنـت للشـوق فيهـم غير محتمل

عجبت أنّـى يحـلُّ السّقـم في بدنٍ ... لو شاء جاز الـردى سراً من الأجل

لم يبـق منـه سوى قلـبٍ يقلّبُه ... في مطلـب العـزّ بين البيض والأسل

مقسّـمٌ قلبـه في كلّ مرحلةٍ ... شوقـاً إلـى العـزّ لا شوقـاً إلـى الغزل

(1) تغبّ : تمطر تعقب .

(2) الأتيّ : السّيل .

(3) الوجيف : الخفقان والاضطراب .

(4) وفي نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل في جذل » .

نفسي الفداء إذا ما الرَّوع صبَّحني | للأعين الخزر لا للأعين النجل[1]
لله جسمي فما أبقى حشاشته | على الحوادث والأسقام والوجل[2]
يعدو سقامي على مثل الخيال ضنىً | ويقرع الخطب مني صفحة الجبل
ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً | ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل
أنا المقيم وأشعاري على سفرٍ | كادت تؤلّف أعلاماً على السُّبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها | سير الجنوب بصوب العارض الهطل
يروي القريض ولمّا يسم قائله | فيشهد المجد أنَّ المدح فيه ولي
إذا سهرت لتحبير المديح له | راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي
ما بعده لشذور القول مدَّخرٌ | في مقلة الريم أعلى بغية الكحل
وما به حاجةٌ في المدح تنظمه | الشمس تكبر عن حِلْيٍ وعن حللِ
لكنّه ملكٌ هامتْ عزائمه | بالجود فهو يروم البذل بالحيل[3]
ما قال «لا» قطُّ مذ حلّت تمائمه | بخلاً به فوجدنا الجود في البخل
أولى الملوك بتدبير الممالك مَنْ | يغني ويقني ولم يورثْ ولم يسلِ
ومن يبيت من الأيام في خجلٍ | إن لم يبتْ والليالي منه في وجلِ
ومن يطبِّقُ وجه الأرض عسكره | يوم القراع ويلقى القرن في الفضل[4]
ومن يقود الأسود السود بالوعل | ومن يصيد البزاة الشّهب بالحجل
ومن يهمّ فلا يغزو سوى ملكٍ | ولا يفرِّق غير الملك في النّفل
يا راحلاً عنه إنّ البحر معترضٌ | فما ورودك ظمآناً على وشل[5]

---

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .
(٢) الحشاشة : الروح والنفس ، والوجل : الخوف .
(٣) يروم البذل : يبغيه ،وبالحيل : أي يحتال لبذله بكثيرٍ من الأسباب .
(٤) الفضل : البقية من الشيء ، أو الثوب الذي يتخذ في العمل أو يلبس أثناء النوم وهذا دليل على شجاعته وثقته بنفسه .
(٥) الوشل : الماء القليل .

لا تترك السيف مشحوذاً مضاربه ... وتطلب النصر عند الجفن والخلل[1]
قد وقَّر الدّهر بالتدبير هيبته ... وأرجف الأرض بالغارات والغِيَلِ
تجري الجياد من القتلى على جبلٍ ... ومن دمائهم يرحضن في وحل[2]
ومن جماجمهم يصعدن في نشزٍ ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل[3]
تحمَّلت صهوةٌ أخرى شواكلها ... من طول ما حمّلت سبياً على الكفل[4]
قومٌ إذا ابتدروا يوم الوغى فرقاً ... تكاد تعثر أخراهم على الأول
قومٌ أعفّاء عن غير العدو فلو ... غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل
إنَّ التحكُّم في الدنيا بأجمعها ... لمفرد الرأي أمرٌ ليس بالجلل
يا من دعته ملوك الأرض راعيَها ... حاشا لما أنت راعيه من الخلل
إنَّ الملوك على أيّامنا مقلٌ ... فاخلق برأيك أجفاناً على المقل

ومن أخرى [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ ... يرى كلَّ ما يبقى من المال مغْرَما[5]
ندوِّم أسيافاً ، ونعلو عوالياً ... وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجما
إلى من يسير الدهر تحت لوائه ... وتركز أعلام العلا حيث خيَّما

ومن أخرى في فخر الدولة [من البسيط] :

أمَّا شبا السّيف مسلولاً على القمم ... فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
لا أشتكي الدهر والأيام من حولي ... أسوسها والخطوب الربد من خدمي[6]

---

(١) الجفن : الغمد .
(٢) الرحض : الغسل .
(٣) النشز : المرتفع من الأرض ، ويقمصن في شكل : يقفزن ويثبن في قيودهن .
(٤) الكفل : الردف .
(٥) مغرما : غرامةً أو ديناً .
(٦) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

فلـو رمّانـيَ بعـد النـوم ناظرُها بريبـةٍ أطبقـتْ أجفانهـا قدمي
فالآن أورد ذودي غير محتشمٍ وأنـزع الغـرب ريانـا إلـى الوذم[1]
ولا أؤاخـذ أيامـي بمـا صنعت في نعمـة البـرء ما يعفـو عن السقم
فإن برتنـي غواديهـا فلا عجبٌ علـى النفـوس جنـايات مـن الهمم
ما زلـت منغمسَ الآمـال في عدمٍ أو في وجـودٍ يدانـي رتبـة العدم
حتـى طلعـت وعين السعـد ترمقني كالصبُّـح منبلجـاً عن حالك الظلم
آوي إلـى ظلٍّ شاهنشـاه من زمني كمـا أوى الصيد مذعـوراً إلـى الحرم
زرت الملـوك لتدنينـي إليه كما يبغـي إلـى الله زلفـى عابـدُ الصنَّم[2]
خلَّفتهُـمْ وهُـمُ خُطَّـاب خدمتِهِ ومثـل ما بي من وجـدٍ بهـا بهم
يرونَ بي حسـراتٍ في قلوبهمِ لكنّمـا ثمـراتُ السعـي بالقسم
وكمْ نصحـتُ لمـنْ بغـداد موطنهُ والنُّصـح من أجلـب الأشياء للتهم[3]
فكان ذا رمـدٌ لجَّ الأسـاة به ومـا آهتـدوا أن يداووا عينـه فعمي
هي القرابـة من لم يرعَ حرمتها فالسيف أولـى به وصـلاً من الرّحم
له تطـاع ملـوك الأرض قاطبةً وللشّبـاب تراعـي حرمـة الكتم
حاشـا له أن أسمّـي غيره ملكاً وأن أقـرّ بفضـلِ البـاز للرخم[4]
كلٌّ يدلُّ بأشبـاحٍ يسوسهُمُ ومـا سواه رعـاة البهـم لا البهم
ما قام من سوق أهل الفضـل لم يقمِ لو أن ما دام من نعمـاه لم يدم
أعطـى فأحيا موات الجـود نائلُهُ فالخصـب من فعلـه والاسـم للدِّيم

ومنها في ذكر تطهير ابنيه [من البسيط] :

---

(١) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين، والغرب : الدلو العظيمة ، والوذم : آذانها .
(٢) زلفى : قربى .
(٣) في نسخة « للبهم » ولعلّ ما ذكر أصح .
(٤) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش ، أبيض اللون مبقّع بسواد .

أمسست شبليك في حقّ الهدى ألماً ... لولا الهدى لسفكنا فيه ألفَ دمِ
جلوت سيفاً ليرتاح الشّجاع له ... شذبت غصناً لتنمي قامة النسم

وله من أخرى [من المتقارب] :

بلوت الليالي فلم يتّزنْ ... بأدنى الإساءة إحسانُها
فلا تحمدنها على وصلها ... ففي نفس الوصل هجرانها

وأنشدت له [من مجزوء الوافر] :

تنكَّبْ حدَّة الأحد ... ولا تركنْ إلى أحدِ[1]
فما بالريّ من أحدٍ ... يؤهل لاسم لا أحد

* * *

٢٩ ـ أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره وحلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه ، وكان في بصره سوء فلما ورد حضرة الصاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه الصاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه . فقال له مداعباً [من مخلع البسيط] :

وكاتبٍ جاءنا بأعمى ... لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفّوا ... فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشده من ملحه ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشده [من المتقارب] :

دعوت على ثغرهِ بالقلحْ ... وفي شعر طرّته بالجلح[2]

(١) تنكّب : إعدل وملْ .
(٢) القلح : صفرة الأسنان ، والجلح : الصلع .

لعـلَّ غرامـي به أن يقل فقـد برّحـتْ بي تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل في قوله [من الطويل] :

رمـى الله في عينـي بثينـة بالقذى وفـي الغـرِّ نم أنيابهـا بالقوادح[1]

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله [من البسيط] :

يا ربٌّ إن لم يكن في وصلـه طمعٌ وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشفِ السّقام الـذي في جفـن مقلته واستـرْ ملاحـة خدَّيه بلحيته

ثم أنشده قوله [من الرجز] :

يستوجـب العفـوَ الفتـى إذا اعترفْ بمـا جنـاه وانتهـى عمّـا اقترف
لقولـه قلْ للّـذين كفروا ﴿إن ينتهوا يغفـر لهم ما قد سلف﴾

فأمر أن يكتبا في سفينة الملح مع ما أنشده إياه .

ومن قوله في غلام مختط[من البسيط] :

الآن أحسـن ممّـا كان بستانُهُ طابـت فواكه فيـه وريحانهُ
فيه من الـورد محمـرٌّ جوانبه ونـرجسٌ كحِّلـت بالغنـج أجفانهُ
غطَّـتْ عنـاقيدَ أصـداغٍ مهدلةٍ تفّـاح حسـنٍ به قد زين بستانهُ
خاف القطـاف علـى بستـان وجنته فشـوكتْ حذر السُّـراق حيطانُهُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

حكـت السمـاء ندى يـديـــك فلم أطق سعياً إليكْ[2]
وحـكيتُهـا يـا سيـدي بالـدمع مـن أسفي عليك

* * *

(١) بالقوادح : جمع قدْح ، وهو مرضٌ يأكل الأسنان .
(٢) حكت السماء : ماثلت وشابهت، وندى يديك : كرمك .

٣٠ ـ بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرني شعره منهم ، وما منهم إلا أغر نجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ، واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [من الكامل] :

لبني المنجِّم فطنةٌ لهبيهْ ومحاسنٌ عجميَّةٌ عربيه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهمْ حتّى اتهمت بشدَّةِ العصبيه

وضرب السلامي المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة [من الكامل] :

عبدٌ رمى يفعاً إليك مقشَّعاً فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثني عليك فظنَّ أنَّ بني المنجّم منطقٌ أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [من مجزوء الرجز] :

شكى إليك ما وجدْ من خانه فيك الجلَدْ(١)
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت وَرَدْ
يا أيها الظَّبيُ الذي ألحاظه تُردي الأسدْ
أما لأسراك فدىً أما لقتلاك قود
الراح في إبريقها أحسن روحٍ في جسد
فهاتها نصلِحْ بها من الزّمان ما فسد

* * *

ولأبي عيسى بن المنجم [من الخفيف] :

---

(١) الجلد : الصبر .

آخِ من شئـت ثمَّ رِمْ منــه شيئاً   تلفَ من دون ما تروم الثُّريَّا[1]

وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي ، يقول : أنشدت لأبـي عيسى [من الوافر] :

رغيف أبــي علــيٍّ حلَّ خوفاً   من الأسنـان ميـدان السِّماك
إذا كســروا رغيف أبــي عليٍّ   بكى يبــكي فهـو باكي

فبنيت عليه قولي لبعض من أطايبه [من الوافر] :

لنـا شيـخٌ بفقحتـه يـواسي   ويحلـق شاربيه بالمواسي [2]
إذا بـايَّتـهُ في جــوف بيتٍ   فسا يفسو فساءً فهو فـاسي

ولأبي عيسى [من مجزوء الكامل] :

لـوم النّـديـم منغّـصٌ   طيب المجـالـس والنّـدامِ
وسمــاحـة الحـرّ الكـريــــم تزيد في طيب المـدامِ
فـإذا شـربـت الـراح فـاشـــــربها مع النّفـرِ الكـرامِ
وتنكبنْ مــا اسـطعت أخـــــلاق اللئـام بني اللئـامِ

* * *

ولأبي الفتح بن المنجم [من الخفيف] :

كنــت أدعــو عليه بالشّعــر حتَّى   زاده الشعــر في الأنــام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا   ني دقيقـاً وكان شؤمــي جلالا
وأضــرّ الأشياء أنَّ عـذولي   فـي هواه أشــدّ منّــي خبالا[3]

* * *

(١) رِم : ابتغِ واطلب ، تلْفَ : تجد .
(٢) الفقحة : حلقة الدّبر .
(٣) عذولي : لائمي ، وخبالاً : أي فساداً وعناءً .

ولأبي محمد بن المنجم [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهُم وادعاً فاغتربْ
فكم دعةٍ أتعبت أهلها وكم راحةٍ نتجت من تعَبْ

* * *

ولأبي الحسن بن المنجم [من الطويل] :

هو الدهر لم تبدعْ عليَّ صروفه ولم يأتِ شيئاً لم أكُنْ أتخيّلُهْ
وما راعني المكروه إذ هو عادتي لديه ، ولكن راع قلبي تعجُّلُهْ
تعجّل حتّى كاد آخر فعله يجيء ولمّا ينقطعْ بعد أوّلُهْ

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [من مجزوء الكامل] :

بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

بأبي وأمي أنت مِنْ خلٍّ أعزٍّ أخي سماحِ
عمَّيتَ لي بيتاً وجدْ تُك فيه عِفْتَ بكور لاحي[1]
فنقرته نقراً فطنَّ ولاح من كلِّ النّواحي
ووجدته من قول مغرىً بالخلاعة والمزاح
بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي
فانشطْ وأبهِمْ غيره ليجوب ظلمته صباحي
ويصحَّ عندك في الحجى أنّ المعلّى من قداحي[2]

فأجابه ابن بابك [من مجزوء الكامل] :

---

(١) اللاحي : اللائم .
(٢) المعلى : سابع سهام القمار .

بأبـي محـاسـنَ زرتـنـي وبديعـةٍ سـلّـتْ مزاحـي
وخـلائـقٍ كالنّـور بـا ح بسـرهٍ نفـس الصباح
وخـلائـقٍ لـو صـوِّرتْ سكنـتْ أنـابيـبُ الرِّمـاح
كشفـت ضبـاب حديقتي وأجـابهـا مزن اقتراحـي
فأتـت تخـايـل في نظا مِ هزّ أعطـاف ارتياحـي

* * *

٣١ ـ أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره الصاحب في كتاب له وقال « وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطيعة الربيع ، وإنها لوثيقة الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر . وله عندنا أسلاف بر أرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ألزم من دين الغريم » . وأول قصيدته التي وصفها الصاحب [من الطويل] :

أمـا لصحابـي بالعـذيب معرّجُ علـى دمـنٍ أكنافهـا تتأرَّجُ
وصهبـاء بكرٍ يرسـب الـدرُّ قعرها ومطفـاه أعلـى كأسهـا حين تمزجُ
سلامٌ علـى عهـد التصابـي فإنّني إلـى الرتبـة العليا بظلّك أحوجُ
إليك ابـن عبـادٍ شددنـا غروضها وضـوء النهـار في دجـا الليل يولج
وعبّـر عن مكنـون ما في ضمائري خلـوص ولائـي والثنـاء المدبَّج

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

سحبـتْ دلادلهـا علـى الغبراء سحـبٌ تثـجُّ ودائـعَ الأنواء

والشمس تلحظ من خروق حجابها ... مرضى الجفون سقيمة الأضواء
وكأنَّما هتك الحجاب متيَّمٌ ... عن غرٍّ وجه الغادة الحسناء
وكأنَّ موليَّ الرياض ضرائرٌ ... تزهى بخضرتها على الخضراء (١)
قد أبرزتْ زهراتها وازّيّنتْ ... وتعطّرتْ وتبرَّجتْ للرائي
والنور منحسر القناع كما بدتْ ... للناظرين محاسنُ العذراء
والنبت ريّان المهزَّة مائلٌ ... شرِقٌ محاجِرُ زهره بالماء
مسحت بأجنحة الصبّا أعرافه ... وجلت مداوسها متون إضاء
فترى الظّباء إذا وردن حيالها ... ككواعبٍ قابلتهنَّ مرائي

أخذه من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وترى الرياح إذا مسحن غديره ... صفّينه ونقين كلَّ قذاةِ
ما إنْ يزال عليه ظبيٌ كارعٌ ... كتطلّع الحسناء في المرآة

* * *

٣٢ ـ أبو الفرج الساوي

أشهر كتاب الصاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفر الحظ ، وكان الصاحب يقول : خط أبي الفرج يبهر الطرف . ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الأقسام ، ويزيد في نخوة الأقلام . وأما شعره فمن أمثل شعر الكتاب كقوله ، في مرثية فخر الدولة [من الوافر] :

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركُمُ حسن ابتسامي ... فقولي مضحكٌ والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فإنّي ... أخذت الملك منه بسيف هلكِ

وقــد كان استطــال علــى البرايا ونظَّم جمعهــم في سلك ملكٍ[1]
فلـو شمس الضحــى جاءتــه يوماً لقــال لهــا عتــواً أُفٍّ منك
ولــو زهــر النجــوم أبــت رضاه تأبّــى أن يقــول رضيت عنك
فأمســى بعــد ما قرع البرايا أسيرَ القبــر في ضيقٍ وضنك
أقــدّر أنَّــه لو عاد يوماً إلـى الـدّنيا تسربــل ثوب نسكِ[2]
دعــي يا نفس فكرك في ملوكٍ مضــوا بل لانقراضـك ويكِ فابكي
فــلا يغنــي هلاكُ الليث شيئاً عن الظّبـي السـليب قميصَ مِسك
هــي الــدنيا أشبِّههــا بشهدٍ يســمّ ، وجيفــةٍ طليت بمسكِ
هي الــدنيا كمثــل الطفــل ، بينا يقهقــه إذ بكى من بعــد ضحك
ألا يا قومنــا انتبهــوا فإنّا نحاســب في القيامــة غير شكٍّ

وأنشدت له في وصف البرغوث [من السريع] :

وأصهــبَ في قدٍّ شونيزةٍ أقفــز من فهــدٍ علــى خشف[3]
يسهــرنــي تخمشــه دائباً وعبثه يعمــل فــي حتفي

* * *

٣٣ - أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول في خدمتـه ، أنشدنـي أبـو حفص عمرو بن علي المطوعي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسـه بالـري [مـن البسيط] :

---

(١) السلك : العقد .

(٢) تسربل : لبس .

(٣) الأصهب ، من كان في شعره حمرة أو شقرة ، والشونيـزة : الحبَّة السوداء ، والخشف : ولد الغزال .

لا يوحشنّك من مجدٍ تباعده ... فإنَّ للمجد تدريجاً وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمي فتصعد أنبوباً فأنبوبا

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

يسرّ زماني أن أُناط بأهله ... وآنف أن أعزى إليه لجهلِهِ[1]
ويعجبني أن أخرتني صروفه ... فتأخيرها الإنسان برهان فضلهِ
فإنّا رأينا قائم السيف كلّما ... تقلّده الأبطال قدّام نصله

وله أيضاً في الغزل [من المنسرح] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً ... إذا بدت صفرةٌ بخديه
لا تنكريه فإنّ صفرته ... غطّت عليها دماء عينيه

وله [من مخلع البسيط] :

عابوه لما التحى فقلنا ... عبتم وغبتم عن الجمالِ
هذا غزالٌ وما عجيبٌ ... تولّد المسك في الغزال

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من ملحٍّ على أذاه ... يسلُّ من فكّه حساما
صبٍّ قذى القول في صماخي ... فصار حلمي له فداما[2]

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه ، ولا ظننت أني شوركت فيه ، وهو قولي في آخر هذه الأبيات الأربعة [من مجزوء الرجز] :

---

(١) أناط : أقرن .

(٢) الصّماخ : خرق الأذن الباطن الذي يؤدّي إلى الرأس ، والقدام : المصفاة التي تجعل على فم الابريق ليصفّى بها ما فيه .

قلبي وجداً مشتعل ... على الهموم مشتملْ
وقد كستني في الهوى ... ملابس الصبٍّ الغزل
إنسانةٌ فتَّانةٌ ... بدر الدّجى منها حجل[1]
إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

وأنشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج [من الطويل] :

يقولون لي ما بال عينك مذْ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني ، إذ لم يكن مجال للظن في سرقة أحدنا من الآخر ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها [من الطويل] :

لها من ضلوعي أن يشب وقودها ... ومن عبراتي أن تفضَّ عقودها
بذلت لها الدّمع المصون وإن غدتْ ... تمانعني في نظرةٍ أستفيدها
سلامٌ عليها حيث حلَّت فإنّني ... عدمت فؤادي منذ عزَّ وجودها
وكم ليلةٍ زارت وقد لان أهلها ... وسامح واشيها ، وغاب حسودها
فحلَّتْ بتضييق العناق عقودها ... وحُلِّيَ من درٍّ المدامع جيدها
وركبٍ أطار والنوم عنهم وأجَّجوا ... من العزم ناراً مستنيراً وقودها
على كل هوجاء النّجاة كأنّها ... تطير فما يؤذي الصخور وخودها[2]
تؤم بهم بحر الفضائل والعلا ... ولا سفنُ إلاّ رحلها وقتودها
يجوزون أجواز السباسب باسمه ... فيصفرّ داجيها ويدرج بيدها[3]

---

(١) حجل : غار واختفى .

(٢) الوخد : ضرب من السير .

(٣) السباسب : الفلوات والقفار ، ويدرج : يقطع .

فقد ملكوا العلياء إذ عبدوا السُّرى ... ولن يملك العلياء إلاّ عبيدها
إليك تحملنا أمانيُّ أجدبتْ ... على ثقةٍ أنَّ النجاح يجودها

ومنها في وصف الجيش والحرب :

وشهباء يثني الشّهب كمتاً نجيعها ... إذا قارعت والكمت شهباً كديدها(١)
تبدّت لنا في روضةٍ تنبت القنا ... بماء الطلى أغوارها ونجودها
أدارت سقاة البيض والسّمر بيننا ... كؤوس المنايا حين غنَّى حديدها
شفيت غليل الطير منها موسّعاً ... قراها وهامات الكماة سهودها
غمائم إيماض السيوف بروقها ... لديها وإرزام الخيول رعودها(٢)
ولا غيث إلاّ أن يصب على العدا ... بنوء الظّبا حمر المنايا وسودها
يبشرك النيروز باليمن مطلعاً ... عليك نجوماً ما تغيب سعودها
فدمْ تدفع الجلّى وتفترع العلا ... وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
كسونا بك الأشعار فخراً وزينةً ... فخيَّم بين الشعريين قصيدها
وسار بها الرُكبان في كلٍّ بلدة ... ولولاك ما جاز اللّهاة نشيدها

وملح أبي الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها :

* * *

---

(١) الكمت : الخيل ، لونها أحمر إلى اسود، والكديد : الأرض الغليظة .
(٢) إرزام : صهيلها وقد شبّهه بصوت الرعد .

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها ومِلح أخبارهم وأشعارهم

٣٤ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمذان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ،وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم ، كأبي محمد القزويني وابن الرياشي والهمذاني المقيم بشيراز وابن المناوي ، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم ، ثم أورد ما وقع إلي من ملح أبي الحسين ، إن شاء الله تعالى .

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنّبك الخلاف ، وحبّب إليك الإنصاف . وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا

الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً ، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً ، وسددت طريقاً مسلوكاً ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد الخطابة ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة[1] ، ولمجّت الأسماع كل مردّد مكرر[2] ، وللفظت مقلوب كلٍّ مرجع ممضّغ ، وحتام لا يسأم .

* لو كنت من زمان لم تستبح إبلي[3] *

وإلى متى

* صفحنا عن بنـي ذهل[4] *

---

(١) الشعب : الطريق .

(٢) مجّت : استثقلت وكرهت .

(٣) تتمّة البيت « بنو اللقيطة من ذهل بن شيبـانا» .

(٤) تتمة هذا قوله : « وقلنا القوم إخوان » .

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وأفكار هذا العصر ، على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك ، واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك !

وكان يقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [من الرجز] :

وصاحبٍ لي بطنه كالهاويه كأنَّ في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في إثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفّه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق[1] هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر إليه [من السريع] :

وحاكمٍ جاء على أبلقٍ كعقعقٍ جاء على لقلق[2]

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة

---

(١) أبلق : الذي في لونه بياض وسواد .

(٢) العقعق : طائر يشبه الغراب ، واللقلق : طائر بحجم الإوزة طويل العنق والساقين « البجع » .

التمثيل ، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [من الطويل] :

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حيّ يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه [من المتقارب] :

وفيت الرّدى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزّللْ
شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل[1]
لك الذنب لا عتب إلاّ عليك لماذا أكلت طعام السفل
طعامٌ يسوي ببتع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل[2]

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [من المنسرح] :

وأصفر الليون أزرق الحدقه في كلٍّ ما يدّعيه غير ثقه
كأنّه مالك الحزين إذا همَّ برزق وقد لوى عنقه
إن قمت في هجوه بقافيةٍ فكلّ شعرٍ أقوله صدقه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [من الوافر] :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغررك منظره الأنيقُ
له لطفٌ وليس لديه عرفٌ كبارقةٍ تروق ولا تريقُ

---

(١) أبل : شفي وتعافى .

(٢) البتع : صنع العسل من النبيذ .

فمـا يخشـى العـدو له وعيداً كمـا بالوعـد لا يثـق الصديقُ

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [من الخفيف] :

حـجٌّ مثلي زيارة الخمَّار واقتنائـي العقـار شرب العقار
ووقـاري إذا تـوقّـر ذو الـشـيـبـة وسط الندى تـرك الـوقـار
مـا أبالـي إذا المدامـة دامتْ عذل ناهٍ ولا شناعـة جاري
ربَّ ليل كأنّـه فرع ليلي ما به كوكبٌ يلـوح لساري
قـد طوينـاه فوق خشف كحيلٍ أحـور الطـرف فاتـرٍ سحَّار
وعكفنـا علـى المدامـة فيه فرأينـا النهـار في الظهـر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإِيجاز أمثل ، وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً [من مجزوء الكامل] :

جـوَّدتَ شـعـرك فـي الأمـيـر فكيف أمرك قلت فـاترْ

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإِيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الـذي أنشدتني [من مجزوء الكامل] :

سـدّ الطـريق علـى الزما ن وقـام فـي وجـه القطوبِ

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل [من المتقارب] :

فديتـك ما شبـت عن كبرةٍ وهـذي سنـيٌّ وهـذا الحساب[1]
ولـكن هُجِـرتُ فحـلّ المشيب ولـو قد وُصلـت لعـاد الشبابْ

---

(١) كبرة : تقدّم في السن .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر ؟

وأنشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه [من الطويل] :

غداة تولَّت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدّت حقوق ودادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيت

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حتى يرزق [من الخفيف] :

زارني في الدُّجى فنمَّ عليه طيب أردانه لدى الرُّقباءِ[1]
والثّريَّا كأنّها كفٌّ خودٍ أبرِزَتْ من غلالةٍ زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [من الطويل] :

أقول لنعمان وقد ساق طبُّهُ نفوساً إلى باطن الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشرِّ أهون من بعضِ

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [من الطويل] :

سقى همذان الغيث لست بقائلٍ سوى ذا ، وفي الأحشاء نارٌ تضرمُ
وما ليَ لا أصفي الدعاء لبلدةٍ أفدت بها نسيان ما كنت أعلمُ
نسيت الذي أحسنته غير أنّني مدينٌ ، وما في جوف بيتي درهم

---

(١) نمّ عليه : دلّ وأشار .

وله [من الوافر] :

وقالــوا كيف حالك قلــت خيرٌ تُقضّــى حاجــةٌ وتفــوت حاجُ
إذا ازدحمــت همــوم الصــدر قلنا عســى يومــاً يكون لهــا انفراج
نديمــي هرّتــي وأنيــس نفسي دفاتــر لي ومعشــوقي الشراب

وقوله [من مجزوء الرمل] :

كـلَّ يــومٍ لـيَ مـن سـلــــــمـى عــتـابٌ وسـبـابُ
وبــأدنـى مــا ألاقــي منهمــا يــودي الشبــابُ

وقوله [من البسيط] :

يا ليت لي ألف دينــارٍ موجّهةٍ وأنَّ حظّــيَ منهــا فلس إفلاسِ
قالوا : فما لك منها؟ قلت: يخدمني لهــا ومـن أجلهــا الحمقى من الناس

وقوله [من السريع] :

مــرّت بنــا هيفــاءُ مقدودةً تركيّــةٌ تُنمـي إلــى التركِ
ترنــو بطــرفٍ فاتــرٍ فاتنٍ أضــعف من حجّــة نحوي

وقوله [من المنسرح] :

قالــوا ليَ اختــرْ فقلــت ذا هيفٍ بي عن وصــالٍ وصــدّه برحُ
بدرٌ مليح القــوام معتدلٌ قفــاه وجــهٌ ووجهـه ربحُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

اســمـع مقــالـة ناصـحٍ جمـع النصيحـة والمِقـه[1]
إيّـاك واحــذر أن تــبـيــــت من الثّقــات على ثقـه

---

(١) المقه : المحبّة .

وقوله [من المتقارب] :

إذا كان يؤذيك حرّ المصنفْ وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

وقوله [من البسيط] :

وصاحبٍ لي أتاني يستشير وقدْ أدار في جنبات الأرض مضطربا
قلت آطلب أيّ شيءٍ شئت واسعَ وردِ عند الموارد إلاّ العلم والأدبا

وقوله [من المتقارب] :

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً وأنت بها كلِفٌ مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [من الطويل] :

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيت طوعَ يديهِ[1]
فلمّا خبرت الناس خبر مجربٍ ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [من الطويل] :

عتبتُ على سلمٍ فلما هجرته وجرّبت أقواماً رجعت إلى سلم

وقوله [من المتقارب] :

تلبّس لباس الرضا بالقضا وخلِّ الأمور لمن يملكُ
تقدِّر أنت وجاري القضا ء ممّا تقدِّره يضحك

* * *

(١) آليت : أقسمت .

٣٥ - براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ، أنشدني بديع الزمان له [من الوافر] :

مضى العمرُ الذي لا يستعادُ ولمَّا يقض من ليلى مرادُ
بليت وذكرها عندي جديدٌ وشاب الرأس واسودّ الفؤاد
تواصى للرحيل بنو أبيها فقلت لغير رأيكم السّداد

وأنشدني أبو نصر المغلسي قال : أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف [من الطويل] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهماً وعاد وثلث المال في كفّ يوسف
وكيف يرجّى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله في التصرّف ؟

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

وأهيفَ نالت الأيّام منهُ غداة أظلَّ عارضه السواد
تعرّض لي ومرَّض مقلتيه فما وَرِيتْ له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغِ نوراً أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه وغنجهما وغيري من يصاد

وقوله [من البسيط] :

آقسم زمانك بين الورد والآس واطلب سرورك بين الكيس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا واخطب إلى الناس ودَّ الناس بالياس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ولا تكن لرسوم الناس بالناسي[1]

---

(١) رسوم الناس : آثارهم .

وقوله [من الوافر] :

خرجـت مبـاركاً من باب داري ... أحـاول حاجةً فإذا زهيرُ
فلـم أثـن العنـان وقلـت أمضي ... فوجهـك يا زهير خراً وخيـرُ

وقوله [من الطويل] :

هلـمَّ إلينا يا أخـا الفضـل والحِجى ... فإنَّ لدينـا من صنـوف الأطايبِ
أطـايب لهـوٍ من سرورٍ ولذّةٍ ... ومـن طيِّبـات الـرزق قدرٌ لطالبِ
مطيّـةٌ بكرٌ بخاتـم نارها ... وخطّابهـا يأتـون من كلِّ جانب
وأنـت لهـا أولاهـم بافتضاضها ... فحـيَّ عليهـا الآن يا خير صاحب

* * *

٣٦ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني ابن مأمون الأبهري لنفسه [من المتقارب] :

ألا يعجـب النـاس ممّـا دعو ... ت ، يا للأنـام لفقـد الكرمْ
تيمّمـت أحمـد في حاجةٍ ... فقابلنـي بحجّـابٍ أصـمْ
وإنّ الفتـى لحقيقٌ بأن ... يهـان إذا خفَّ منـه القدم
ومستخبـرٍ كنـه ما بيننا ... من الحـال قلـت أخٌ وابـن عم
كلانـا إلـى منصـبٍ نعتزي ... وتجمعنـا آصـرات الرحـم(١)
ولـكنْ له الفضـل في أنّه ... يصـول بقـرنٍ وأنّـي أجم(٢)

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

---

(١) آصرات الرحم : روابط القربى .
(٢) أجمّ : الذي لا قرن له والرجل بلا رمحٍ في الحرب .

خليلــيَّ ماذا أرتجــي من غدٍ امرىءٍ　　طوى الكشح عنّي اليوم وهـو مكين[1]
وإن امــرءاً قد ضنَّ عنــك بمنطقٍ　　يســدّ به فقــرُ امــرىءٍ لضنينُ

وله [من المنسرح] :

ما كلّ من جدّد الزمــان له　　إلفــاً تناســى حبيبه الأوّلُ
إن كنــت يا سيدي ويا أملي　　شغلــت عنّــي فعنــك لم أشغلُ
حسبــك أنّــي من طول هجــرك لا　　أدري نهــاريَ أم ليلتــي أطولُ

وله [من الهزج] :

متــى ترغــب إلــى النّاس　　تكــنْ للنّــاس مملوكـا
وإن أنــت تخفّفــت　　علــى النــاس أحبوكـا
وإن ثقّلــت عافـوك　　ومــلُّوك وسبّـوكـا
إذا ما شئــت أن تعصي　　فمــرْ من ليس يرجوكا
وســلْ من ليس يخشاك　　فيدمـي عنــدهـا فوكـا

* * *

٣٧ - أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل ، يقول في وصف مجمرة ومدخنة [من الطويل] :

ومنحوتــةٍ من جنس قلبــك قسوةً　　برزت بهــا في مثــل قدّك لينا
حوت جمــرةً في لون خدّك حمرةً　　وفــي حرّ أحشائــي هوىً وحنينا
يذكرنــي ما فاح من عرف ندّها　　شهــوراً مضــت في وصلنــا وسنينا

وله في وصف المجمرة [من الطويل] :

---

(١) طوى الكشح عن الأمر : أي أخفاه، والكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

ومبرقـةٍ والبـرُّ تنـوي ومـا نوَتْ   جفـاي ولا إبراقهـا بعقوقِ[1]
لهـا قسطـلٌ في كلِّ نادٍ تثيره   علـى كلِّ خلٍّ مخلصٍ وصديقِ
أتـت حامـلاً شمسـاً توقّـد في دجاً   وأبنـاء حامٍ في برود عقيقِ[2]
كأنّ دخـان النـدّ من فوق جمرها   بقـايا ضبـابٍ في رياض شقيق

وله [من الطويل] :

ولمـا عدتنـي عنـه بادرة النّوى   أبـى القلـب منّي أن يسير مع الركب
فسـرت وقـد خلّفـت قلبـيَ عنده   فيا من رأى شخصـاً يسير بلا قلب

وله في غلام تركي [من البسيط] :

أضيغـمٌ أمْ غزالٌ ذاك أم بشرُ   شمسٌ تزيّت بزيٍّ التّـرك أم قمرُ
لقـد تحيّر وصفـي في حقيقته   كمـا تحيّر في أجفانـه الحور[3]

وله [من مجزوء الرمل] :

أنـا مملـوكٌ لمملـو   ك وللـدّهـر صـروفُ
أيُّهـا السائـل عـن مو   لاي مـولاي وصيـفُ
يا غزالاً لحـظ عيـنيـه   منـايـاً وحتـوفُ
مـا الـذي ورّد خـدّيـك   ربيـعٌ أمْ خريـفُ

* * *

٣٨ ـ أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمذاني

من علية العلوية ، ومحاسن الحسنية ، وكان الصاحب صاهره بكريمته التي

---

(١) البرّ : المعروف والخير ، والعقوق : نكران الجميل .
(٢) ابناء حام : الزنوج شبّه به الفحم ، لسواده .
(٣) الحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

هي واحدته ، فرزق منها عباد بن علي الذي تقدم ذكره ، ولما قال الصاحب قصيدته المعراة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمنثور وأولها [من المجتث] :

قد ظلَّ يجرح صدري ... من ليس يعدوه فكري

وهي في مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتاً ـ تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [من الطويل] :

فسارت مسيرَ الشّمس في كلِّ بلدةٍ ... وهبَّت هبوب الريح في البرِّ والبحر

فاستمر الصاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معراة من الواو، فانبرى أبو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح الصاحب في عرضها ، أولها [من مجزوء الكامل] :

برقٌ ذكرت به الحبائب ... لما بدا فالدّمع ساكبْ
أمدامِعي منهلَّةٌ ... هاتيك أم غزر السحائبْ
نثرت لآلي أدمعٍ ... لم يفترعها كفٌّ ثاقب
يا ليلةً قد بتُّها ... بمضاجعٍ فيها عقارب
لما سرت ليلى تخبُّ ... لنآيها عنّا الركائب[1]
جعلتْ قسيِّ سهامها ... إنْ ناضلته عقد حاجب
لم يخط سهمٌ أرسلته ... ، إنّ سهم اللحظ صائب
تسقيك ريقاً سكره ... إنْ قسته للخمر غالب
كم قد تشكّى خصرها ... من ضعفه ثقل الحقائب
كم أخجلت بضفائرٍ ... أبدت لنا ظلم الغياهب

(١) الخبب : ضرب من العدو .

إخجال كفّ الصاحب الـ ـقرم المرجّى للسحائب
ملكٌ تلألأ من معا قد عزّه شرف المناصب
نشأت سحائب رفده في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنّني نقّحتها من كلّ عائب
ألفيت ما لاقيت من إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعلل كلّ حر فِ حلّ من لفظ المخاطب
هاذاك ترب الهاء إنّ لم أبده فالنّهج لاحب[1]
لكنْ له تمثال قا فِ خطّه في السطر كاتب
أنّي اغترفت خليجها من بحرك العذب المشارب
فانعم بملكٍ دائباً ما حجَّ بيت الله راكب

وله في دار بعض الملوك [من الكامل] :

دار علت دار الملوك بهمّةٍ كعلوّ صاحبها على الأملاك
فكأنّها من حسنها وبهائها بنيت قواعدها على الأفلاك

* * *

٣٩ ـ أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمذاني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمروا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره ، وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاقدة المشالكة ، وصدافة المناسبة . ولما أنشده الأمير

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي مشابهة القوافي ، قال أبو سعد أبياتاً فيه ، على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [من السريع] :

ما سرَّ مولاي نبيُّ الهدى … بوحي جبريلٍ وميكال
إلاّ قريباً من سروري بما … رزقت من ودّ ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي … فالله فيه لدمي كالي(١)

وقوله [من الطويل] :

أبي الفضل أن يحظى به غير أهله … من الناس فاختصّ الأمير أبا الفضل
وإنّي وإن أصبحت حرّاً فإنّني … عبيد عبيد الله ذي المنِّ والفضل
هل الفضل إلاّ ما حوته خلاله … وما بعده فضلٌ يعدُّ من الفضل

ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [من الطويل] :

أصرّح بالشكوى ولا أتأوّلُ … إذا أنت لم تجمل فلِمْ أتجمَّلُ ؟
أفي كلِّ يومٍ من هواك تحاملٌ … عليَّ ومنّي كلُّ يومٍ تحمُّل ؟
وإنّي على ما كان منك لصابرٌ … وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدّعي أنّي جليدٌ، وإنّما … هي النفس ما حملتها تتحمّل

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له [من مجزوء الرجز] :

زاد غرامي لهبا … فطر غمامٍ سكبا
فعاقني عن قصدكم … كما تعوق الرّقبا
وكان عهدي قبل ذا … بالماء يطفي اللهبا
فكيف قد فارق لي … طباعه وانقلبا

---

(١) أطاش السّهم : أمال عن الهدف ، أطاش الدم : أخرجه وبدّده ، وكالي : حافظٌ وواقي .

وهــكذا الدّهــر يُرى فـي كلٍّ يومٍ عجبـا

* * *

٤٠ ـ أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت ، أنشدني غير واحد له [من المنسرح] :

عينـيَّ مذْ شطّـتِ الـدّيار بكمْ   تحـكي سمـاءً والدّمـع أنجمهـا
كأنّ في وجنتـي أبالسـةً   تستـرق السّـمع وهـي ترجمها

وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال : أنشدني أبو عليٍّ لنفسه في العنب [من الطويل] :

نهانـي عذولـي بل لحانـيَ إذْ رأى   ولوعـيَ بالأعنـاب أُكثِـر قضمها[١]
فقلـت له الصهبـاء كانـت عشيقتي   فقـد ألزمتني رقّـةُ الحـال صرمها[٢]
فعلّلـت بالأعنـاب نفسـي كمنعظٍ   نأت عرسـه عنـه فواقـع أمَّها[٣]

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

يا ليلـةً جمعتني والمـدام ومن   أهـواه في روضـةٍ تحـكي الجنـان لنا
لأشكرنّـك ما ناحـت مطوَّقةٌ   علـى الغصـون كمـا طوقتنـي مِننَا

وأنشدني غيره لأبي علي [من الطويل] :

أليس عجيبـاً أنَّ جسمـي ناحلٌ   نحـول خلالٍ بل نحـول هلالِ
وأحمـل ثقـلاً في الهـوى لا تقلّه   متـون جمـالٍ بل متـون جبال[٤]

---

(١) قضمها : أكلها والتهامها .

(٢) صرمها : جفاءها وقطعها .

(٣) المنعظ : « يريد المواقعة » واقع : جامع، وأنعظ : انتصب وقام .

(٤) المتون : الظهور .

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي ، قال : أنشدت بالري لأبي علي [من المنسرح] :

قل للذي يظهر التبرُّم بي وبالرّقاع التي أسطِّرُها
حاجة مثلي إليك عارفةٌ عندك بالله لست تشكرها

* * *

٤١ ـ أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له [من مجزوء الكامل] :

الريحُ تحسدني عليك ولم أخلها في العدا
لمّا هممت بقبلةٍ ردّت على الوجه الرِّدا

وأنشدني له [من الوافر] :

وقالوا أيُّ شيءٍ منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان
نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندي فتنتان

وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري، قال : أنشدني عمر الهرندي لنفسه [من الخفيف] :

لا أحبُّ المدام إلاَّ العتيقا ويكون المزاج من فيك ريقا
إنَّ بين الضلوع منّيَ ناراً تتلظَّى فكيف لي أن أطيقا
بحياتي عليك يا من سقاني أرحيقاً سقيتني أمْ حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [من مجزوء الرمل] :

وعقارٍ عيشُ مَنْ عا قرها عيشٌ رشيقْ
فهي للأنس نظامٌ وإلى اللّهو طريق

وهي للأرواح في أبدانـنا نعم الصّديق
قلتُ لما لاح لي منها شعاعٌ وبريق
أشقيقٌ أم عقيقٌ أم رحيقٌ أم حريق ؟

وأنشدت له في ذم المتصوفة [من مجزوء الرجز] :

تبّاً لقومٍ جعلوا ديناً لدنيا مأكله
تستّروا بأنَّهمْ صوفيةٌ محنبله
وما يساوي نسكهم قمامةً من مزبله
إتّخذوا شباكهم إحفاءهم للأسبله[1]

وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي [من الكامل] :

رؤياك في أمري رويّة حازمٍ ذي حنكةٍ فأقول قولاً مبرما
إن تقصني أمسيت مضغة ضيغمٍ أو تدنني أصبحت ذاك الضيغما

وله فيه من قصيدة وقد كبت به دابته في نهر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح من المتقارب] :

بنحسِ أعاديكَ دار الفلك وما دار يوماً بسعدٍ فَلَكْ[2]
وإن همَّ دهرٌ بما لا أقول فنفسي الفدا وعليٌّ الدّرك[3]
بقيت جواداً فلا تحزننْ لفقد الجواد الّذي قد هلك
فإنْ أذنب الدهر في أخذه فخيرٌ من الطّرف ما قدْ ترك

* * *

(١) إحفاءهم الأسبلة : إزالتهم للشوارب ، والسبال : الشعر الذي ينبت فوق الشفة العليا .
(٢) الفلك : الفضاء ونجومه وفلك : الثانية مؤلّفة من الفاء ولك ، أي أنّ السعد لك .
(٣) الدّرك : أي تبعة العمل .

٤٢ - أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس ، وهو القائل في محك الذهب [من الطويل] :

ومشتمل من صبغة اللّيل بردةً ... يفوّف طوراً بالنّضار ويطلسُ(١)
إذا سألوه عن عويص ومشكل ... أجاب بما أعيا الورى وهو أخرسُ

وله في اللواء [من الطويل] :

ومرتفع للناظرين محارب ... ترى رأسه في بسطة الباع مائلا
حكى ثملاً أصغى إلى البين فاغتدى ... يشقُّ عن الأذيال منه الغلائلا

وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص شيئاً كثيراً ، وإذا وقع إليّ منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله تعالى.

* * *

٤٣ - القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري ، بلغتني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح ، كقوله [من مجزوء الرمل] :

يا غزالاً هو للحسـ ... ـن مقرٌّ ومحطّ
لم تكن أنت بهذا الـ ... ـحسن والبهجة قطّ
مذْ بدا في عاج خدّيـ ... ـك من العنبر خطّ

وقوله [من المنسرح] :

وزائر زار خائفاً رصداً ... لم أرجُ منه زيارة أبدا

(١) النُضار : الذهب الخالص. ويطلس : يمحو، وطلس الكتاب : محاه .

لو جاز أن يعبـد امـرؤٌ أحداً من دون ربِّ الـورى إذاً عبدا
قمـت لإكرامـه فبـاس يدي أكرمْ بهـا في الهـوى علـيَّ يدا
يا قبلـةٌ أصـبحـت لهـا شفتي تمـوت من غيظِ راحتـي كمدا

* * *

فصـل

في ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

٤٤ ـ أبو عبد الله البطحاوي

قال [من مجزوء الرمل] :

يـا حـمـامي وحميمـي وغـرامـي وغـريـمـي
وسـقيـم الـودِّ والـعـهـد لـذي جـسـمٍ سقيـم
لـم يزل ذكرك مذ فا رقـت نـدمـاني نديمي
وجهـك الزاهـر لـي رو ضٌ وريَّـاك نسيمـي
غير أنّي أشتـكي منـك إلى غيـر رحيـم
معـرض عن وجـه إقبا لـي خلـيٌّ عـن همومي

* * *

٤٥ ـ ابن حماد البصري

قال [من البسيط] :

إن كان لا بدَّ من أهـلٍ ومـن وطنٍ فحيث آمـنُ من ألقـى ويأمنني
يا ليتنـي منـكرٌ من كنـت أعرفه فلسـت أخشـى إذاً من ليس يعرفني
لا أشتـكي زمنـي هذا فاظلمه وإنّما أشتـكي من أهـلِ ذا الزمنِ

قد كان لي كنزُ صبرٍ فافتقرتُ إلى إنفاقه في مزاراتي لهمْ وقني
وقد سمعت أفانينَ الحديث فهلْ سمعت قطّ بحرٍّ غير ممتحن

* * *

٤٦ - شمسويه البصري

قال في غلام يبيع الفراني [من الخفيف] :

قلت للقلب ما دهاك : أجبني قال لي : بائع الفراني فراني[1]
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني

* * *

٤٧ - أبو الفضل النهرعاسي

قال [من الكامل] :

لولا تعاليل النفوس وأنّها مخدوعةٌ ما سرَّها محبوبُ
خاب امرؤٌ محض النصيحة نفسه كلٌّ يشوبُ لنفسه ويروب[2]

* * *

٤٨ - أحمد بن بندار

قال [من الطويل] :

وقالوا يعود الماء في النّهر بعد ما عفتْ منه آثارٌ وجفّت مشارعهْ

(١) الفراني : جمع فرني أو فرينة ، وهو نوع من الحلوى تخبز في الأفران، وفراني الثانية: شقّني أو جرحني .
(٢) يشوب : يمزج ، ويروب : يخلط عقله ورأيه ، وراب اللبن : ثخن واشتد ، والروب : الكذب .

فقلتُ إلى أنْ يرجع الماء عائداً ويعشب شطَّاه تموت ضفادعه

* * *

٤٩ ـ أبو عبد الله الروزباري

قال في وصف الثلج [من البسيط]

ما لابن همٍّ سوى شرب ابنة العنب فهاتها قهوةً فرّاجةَ الكُرَبِ
أدهقْ كؤوسك منها واسقني طرباً على الغيوم فقد جاءتك بالطَّرب[1]
أما ترى الأرض قد شابتْ مفارقها بما نثرن عليها وهي لم تشبِ
نثار غيثٍ حكى لون الجمان لنا فاشرب على منظرٍ مستحسنٍ عجبِ
جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذَّهبِ

* * *

(١) ادهقْ : إملأ ومنه « كأساً دهاقاً » .

الباب الثامن

في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي ، وسوى من يتأخر ذكرهم في الطارئين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن الحسين النحوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات .

* * *

٥٠ ـ أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي المعروف بابن العلاّف

كان بفارس للأدب مجمعاً ، وللشعر مفزعاً ، مع التصرف في مدارج الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص والعام ، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل في التبرم بشبابه من قصيدة [من الوافر] :

إلامَ وفيمَ يظلمنّي شبابي ... ويُلبِس لمتّي حلل الغراب
وآملُ شعرةً بيضاء تبدو ... بدوَّ البدر من خلل السّحاب
وأدعى الشيخ ممتلئاً شباباً ... كذي ظمأٍ يعلَّل بالسَّراب

فيا هلكي هنا لك من مشيبي ويا خجلي هنا لك واكتئابي

ألا يا خاضب الشيب المعنّى أعنّي في الشباب على الخضاب

فكافور المشيب أجلُّ عندي وفي فوديّ من مسك الشباب

وأين من الصباح ظلامُ ليلٍ وأين من الرّباب دجى ضباب[1]

ألا من يشتري منّي شباباً بشيبٍ واسوداداً باشهباب[2]

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله [من السريع] :

يا علَمَ العالم في الجودِ مثلك جوداً غير موجودِ

بيّضت من وجه الندى بالنّدى ما اسودّ في أيامه السّود

كم لك في كسبك للحمد من سعيٍ على الأيام محمود

بين مطيعٍ لك أصفدته وبين عاصٍ لك مصفود[3]

بك استوى الجود على خدمةٍ كما استوى الفُلك على الجودي[4]

كم موردٍ منك ندىً أو ردىً بين الرضا والسّخط مورود

وسؤددٍ منك بعزٍّ العلا يا عضد الدولة معضود

والدهر طوعٌ لك في كلّ ما تحدّه من كلّ محدود

وكلّ جارٍ لك من جوره في ظلّ أمنٍ بك ممدود

فعشْ وعيِّد سالماً آمناً ما عاد لطف الماء في العود

واسعدْ يد الدهر بما شئت من ملكٍ لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل [من البسيط] :

خدّاك للخنّس السّبع العلا فلكٌ ومقلتاك لشرّاد الهوى شركٌ[5]

---

(١) الرّباب : السحاب الأبيض ، يعني به الشيب .

(٢) اشهباب : وهو السواد الذي خالطه البياض .

(٣) الأصفاد : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المقيّد المشدود .

(٤) الجودي : جبلٌ في العراق رست عليه سفينة نوحٍ عليه السلام .

(٥) الخنّس : الكواكب ، والشرك : حبالٌ يصطاد من وقع فيها .

وفيك نفعٌ وضرٌّ يَجريان كما يجري بما يحتوي في وسعه الفلكْ
فالضرُّ أجمع مخصوصٌ به بدني والنفع بيني وبين الناس مشترَكْ

وقوله [من الطويل] :

أَبُعْدَ دنو الدّار من داركم أُجفى فلا غلّةٌ تشفي ولا لوعةٌ تُطفى
وكنت إذا سلسلت في كأس ذي هوىً من الرّيقِ السلسال في كأسه أصفى
فَفيم يخون العهد من صنت عهده ويمزجني من كان يشربني صرفا[1]

وقوله في الزهد [من المنسرح] :

ما عذر من جرَّ غاوياً رسَنَهْ ما عذره بعد أربعين سنه
أكلّما طالت الحياة به أطال عن أخذِ حذره وسنه
قل لي إذا متُّ كيف تنقص من سيئةٍ أو تزيد في حسنه

* * *

٥١ - أبو بكر بن شوذبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسمعيل الميكالي لأبي بكر بن شوذبة الفارسي [من الطويل] :

إذا لم يكنْ ممّن يؤوب هديةٌ فلا لقيته بالسّعادة دارُهُ
وإن يهدِ أقلاماً ونقساً وكاغداً فلا قرَّ يوماً بالمقام قراره[2]
وإن يهدِ برداً أو رداءً محبَّراً فلا زال عنّا ظلُّه وجواره

وله [من الخفيف] :

---

(١) الصرف : الخالص الصافي .
(٢) النقس : الحبر ، والكاغد : الورق .

يا ضماني على الربيع وشرطي طال شوقي فما ترى في التّلاقي
استزرني بحرمتي، أو قزرني إنّ هذا الربيع ليس بباق
آفة البدر ما علمت كسوفٌ وكسوفُ المحبّ يوم الفراق

وله [من الكامل] :

أنعِمْ بيوم المهرجان فإنَّه يومٌ أتاك به الزمان جديدُ
ومضى المصيف وحرُّه وعُجاجه وأتى الخريف ووقته المحمودُ
إن كان هذا اليوم عيداً للورى فبقاءُ عمرك كلّ يومٍ عيدُ
والراحُ طيبةٌ إذا ما علّلت بسماعٍ أهيف في يديه عودُ

وله [من السريع] :

أكلُّ من كان له نعمةٌ أوسع من نعمةِ إخوانِهِ
أمْ كلُّ من كانت له كسرةٌ يبذلها في بعض أحيانه
أمْ كلُّ من كان له جوسقٌ مشرّفٌ شيدَ بأركانه[1]
يرى بها مستكبراً تائهاً على أدانيه وخلاّنه

* * *

٥٢ ـ أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المترفين بشيراز، فقال فيه [من الكامل] :

ومن البلية والعظائم أنني علقتُ واحدَ أمِّه وأبيهِ
فهما ذوا حذرٍ عليه تراهما يتلقّطان كلامه من فيهِ
قدْ دلّلاه وأورثاه رعونةً من نخوةٍ مشتقةٍ من تيه

* * *

(١) الجوسق : القصر .

٥٣ ـ المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه في منزله ، فكتب إليه [من البسيط] :

يا خالي الجيب من عقلٍ ومن أدبٍ ... وإنْ تحلّيت من خالٍ ومن نسب
تركتني ومعي في البيت واحدةً ... وأنت تعلم ما يجري به لقبي

* * *

٥٤ ـ أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال [من البسيط] :

غضبت من قبلةٍ بالكره جُدْتِ بها ... فهنا فمي لك فاقتصّيه أضعافا
لم يأمر الله إلاّ بالقصاص فلا ... تستجوري ما يراه الله إنصافا

* * *

٥٥ ـ أبو عبد الله الخوزي

قال [من السريع] :

ويلٌ لمن عدله القاضي ... والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهاداته ... وهو إلى النّار غداً ماض

* * *

٥٦ ـ أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال [من المتقارب] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصيّ ... فأنزلني بالمحلّ القصيّ

فأطعمه الله سلح الخصيّ وكلّل يافوخه بالعصيّ[1]

* * *

٥٧ ـ أبو علي بن غيلان السيرافي

قال [من مجزوء الكامل] :

قد كنت ألتمس الشّرا ب فقد بدا لي في الشرابِ
وأهمّني خبزُ الشّعير ولم يكن ذا في حسابي

* * *

٥٨ ـ ابن خلاد القاضي الرامهرمزي

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد .

من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وجملة القضاة الموسومين بمداخلة الوزراء والرؤساء ، وكان مختصاً بابن العميد تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجري بينهما مكاتبات بالنثر والنظم ، كما تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلبي الوزير ، وهو الكاتب إليه لما استوزر [من البسيط] :

الآنَ حين تعاطى القوس باريها وأبصر السَّمتَ في الظلماء ساريها[2]
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الوزارة بل مصباحُ داجيها
تضحي الوزارة تزهى في مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديها[3]

---

(١) السلح : الغائط ، واليافوخ : الرأس .
(٢) السّمت : الطريق .
(٣) جادت غواديها : هطلت أمطارها .

تاهت علينا بميمونٍ نقيبته   قلّت لمقداره الدنيا وما فيها
معزٌّ دولتها هنّتها فلقدْ   أيّدتها بوثيقٍ مبنىً رواسيها

فأجابه المهلبي بهذه الأبيات [من البسيط] :

مواهب الله عندي ما يدانيها   سعيٌ ومجهودٌ وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعته   حتّى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتني أبياتٌ مهذّبةٌ   ظريفةٌ جزلةٌ رقّتْ حواشيها
ضمّنتها حسن إبداع وتهنئة   أنت المهنّا بباديها وتاليها
فثِقْ بنيلِ المنى في كلِّ منزلةٍ   أصبحت تعمرُها منّي وتبنيها
فأنت أوّل موثوقٍ بنيّته   وأقرب الناس من حالٍ ترجّيها

ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه [من السريع] :

قل لابن خلّادَ إذا جئته   مستنداً في المسجد الجامعِ
هذا زمانٌ ليس يحظى به   حدّثنا الأعمش عن نافعِ

وقوله وقد طولب بالخراج [من الرجز] :

يا أيّها المكثر فينا الزّمجره   ناموسه دفتره والمحبره[1]
قد أبطل الدّيوان كتب السّحره   والجامعين وكتاب الجمهره
هيهات لن يعبر تلك القنطره   نحوُ الكسائيِّ وشعر عنتره
ودغفلٍ وابن لسان الحمره   ليس سوى المنقوشة المدوره[2]

وقوله [من الطويل] :

غناءٌ قليلٌ مالكٌ ومحمّدٌ   إذا اختلفت سمر القنا في المعارك

---

(1) ناموسه : شريعته .
(2) ابن لسان الحمرة : خطيب بليغ نسّابة ، إسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقه بن الأشعر .

تجمّلْ بمالٍ واغدُ غيرِ مذمّمٍ   بمشراط حجّام ومنوالِ حائك

وما يتغنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم [من مجزوء الرجز] :

يا منْ لصبٍّ قلقٍ   بات يراعي الفلكا
جار به مسلّطٌ   يجور فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه   يضحك منه إن بكى
مرّ بنا يخطر في   سريحةٍ دلّلكا
كشادنٍ ريع من الـ   ـصيّاد أبدى شركا[1]
فقلت يا أحسن من   تبصر عيني من لكا
فقال لي بغنّةٍ   إليك لا أجرحكا
تبّاً لقاضٍ يبتغي   من المعاصي دركا[2]
فقلت والله الذي   صيّرني عبداً لكا
ما إن أردتُ ريبةً   ولم أردْ سوءاً بكا
وأنت في قولك ذا   آثمُ ممّن أشركا

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى [من الكامل] :

جادتْ عِراصَكِ مزنةٌ يا دارُ   وكساكِ بعد قطينكِ النوّار[3]
فلكمْ أرقتُ بعقوتيك صبابةً   ماءَ المدامع والجوانح نار[4]
ولقد أُديل من الجهالة والصبّا   زمنٌ على زينةِ العقول عيار[5]

ومنها في المدح :

---

(١) الشادن : الغزال ، وريع : خاف ، والشرك : المصيدة .
(٢) تبّاً : قطعاً وهلاكاً ، دركاً : نيلاً .
(٣) العراص : الساحات ، والقطين : الساكن .
(٤) العقوة : شجر ، أو ما حول الدار والمحلّة .
(٥) أُديل : غُلب ، وأدال الشيء : تداوله .

كرَّ الفـرار بيمنـه وسعودهِ فعلـت به لذوي الحجـى أقدارُ
عمُـرتْ من الأدب الفقيد دياره ودنـا من الـكرم البعيد مزارُ
والفقـه والنظـر المعظّـم شأنه ظهـراً وناضـل عنهمـا أنصار
عادت إلـى الـدنيا بنوهـا واغتدتْ تبنـي القوافـي يعـربٌ ونزار
وسمت إلى فصل الخطاب وأهله والقـائلين بفضـلـه أبصـارُ
آب الحصين وعنتـرٌ ومهلهلٌ والأعشيان وأقبـل المـرّار
والنابغـان وجـرولٌ ومرقّشٌ وكثيِّـرٌ ومـزرِّدٌ وضِـرار
وسمـا جريرٌ والفـرزدق والذي يعـزى الصـليب إليه والزنّار[1]
وغـدا حبيبٌ والـوليد ومسلمٌ والآخـرون يقـودهـم بشّار
وأتـى الخليل وسيبـويه ومعمرٌ والأصمعـي ولـم يغـبْ عمّار
نشـرت بفنـا خسـرو أربابها كالأرض ناشـرةً لهـا الأمطار
أحيا الأمير أبـو شجـاعٍ ذكرهم فنمـا القـريض وعاشـت الأشعار

ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن ، أولها [من الكامل] :

همـم النفـوس قصارهـنَّ همومُ وسـرور أبنـاء الزمـان غمـومُ
ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى أقصـى المنـى حتفٌ عليه يحوم
وسعـادة الإنسـان علـى استحلائها مـرٌّ وعقـد وفائهـا مذموم
وسنيحهـا برحٌ ، وخصـب ربيعها جدبٌ ، وناصع عيشها مسموم[2]
لا سعدهـا يبقـى ، ولا لأوائها يفنـى ، ولا فيهـا النعيم مقيم[3]

---

(١) يعزى الصليب إليه : ينسب إليه وضع الصليب في صدره ، وهو الأخطل الكبير ثالث المثلّث الأموي الشمهور .

(٢) السنيح والبارح : السنيح : الطائر الذي يمرّ من يسار الرائي إلى يمينه ، والبارح : الطائر الذي يمرّ من اليمين إلى اليسار « رمزان للتشاؤم والتفاؤل » عند العرب .

(٣) اللأواء : الشدّة .

محسودهـا مرحومهـا، ورئيسها — مرءوسهـا، ووجودهـا معدوم
وبقاؤهـا سبـب الفنـاء، ووعدها — إيعادهـا، ووِدادهـا مصروم
أمّـا الصـحيح فإنّـه من خوف ما — يعتـاده من سقمـه لسقيمُ
وسليمُهـا طيّ السلامـة دائباً — يرنـو إلـى الآفـات وهـو سليم
وغنيُّهـا حذر الحـوادث والرّدى — في ظلّ أكنـاف اليسـار عديمُ
سيّان في حكم الحمـام وريبه — عنـد التناهـي جاهـلٌ وعليم
أودي ابـن خلاّدٍ قريعُ زمانه — بحرُ العلـوم وروضُهـا المرهوم[1]
لو كان يعـرف فضلـه صرف الرّدى — لانحـاز عنـه ونـابه مثلوم
عظمـت فوائـد علمـه في دهرهِ — فمصابـه في العـالمين عظيم
إقليم بابـل لم يكن إلاّ به — فاليوم ليس لبابـلٍ إقليم
أنّى اهتـدى ريب المنـون لساترٍ — فوق النجـوم محلُّـه المرسوم
ظلـم الزمـان فبـزّ عنـه كماله — ومـن العجائـب ظالـمٌ مظلوم[2]
لا تعجبـنّ من الزّمـان وغدره — فحـديث غدرات الزّمـان قديم
لـو كان ينجـو ماجـدٌ لتقيّةٍ — نجّـى ابـن خلاّد التّقـى والخيمُ[3]
لكنّـه أمـرُ الإلـه وحكمه — وقضـاؤه في خلقـه المحتوم
روضٌ من الآداب غضٌّ زهره — ركد الهجير عليه فهـو هشيم
وحديقـةٌ لمّـا تزل ثمراتها — تحفُ الملـوك أصابهـنّ سمومُ[4]
شمّامـة الـوزراء حلـو حديثه — تحفٌ لهـم دون النّـديم نديم
ريحانـة الكتّـاب من ألفاظه — يتعلّـم المنثـور والمنظوم
أمّـا العـزاء فمـا يحـلّ بساحتي — والصّبـر عنـك كما علمـت ذميمُ

---

(١) المرهوم : الذي يسقيه المطر الدائم .
(٢) بزّ : سلب .
(٣) الخيم : السجايا والصفات .
(٤) السموم : الرياح الحارة التي تهبُّ صيفاً .

وإذا أردت تسلّياً فكأنني فيما أدرت من السلوّ مليم
فعليك ما غنّى الحمامُ تحيّةٌ ومع التّحيّةِ نضرةٌ ونعيم

٥٩ - محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تربى على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [من المنسرح] :

الحمد لله ليس لي بختُ ولا ثيابٌ يضمّها تختُ
سيان بيتي لمن تأمّله والمهمه الصحصحان والمرت[1]
أمِنتُ في بيتي اللصوص فما للّص فيه فوقٌ ولا تحت
فمنزلي مطبقٌ بلا حرسٍ صفرٌ من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيّرني فرزدقي المشيب إذ شبت
سلكت في مسلك التصوف تنميساً فكم للذبول قصّرت
سوّيت سجادةً بيومٍ وأحفيت سبالاً قد كنت طوّلتُ
وفي مقام الخليل قمت كما قام لأني به تبركتُ
وقلت إني أحرمت من بلدي وفي حرامي إن كنت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد بيري بين الرءوس ألّفت
حتى إذا رمت عطف بعلٍ على عرس عكست المنى وطلّقتُ
حرفي منقّى من التراب فكم ذرّيّتهُ مرّةً وغربلتُ
يا ليت شعري مالي حرمت ولا أعطي من إن رأيته اغتظت
بل ليت شعري لمّا بدا يقسم الـ أرزاق في أيّ مطبقٍ كنتُ

(١) المهمه : القفر، والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ، والصحصحان : الأرض الجرداء ، والمرت : الأرض بلا نبات .

والحمد لله قاسم الرزقِ في الـــــــخلقِ كما اختار لا كما اخترت

٦٠ ـ أبو محمد السوسي

قال [من المجتث] :

بـاكرْ عليَّ ببكـرٍ حمراءَ من كـفَّ بِكْـرِ
وأحــي بالقفص قصفـي وأفـنِ في العمــر عمري[١]
روِّحْ براحـك روحـي وحِـزْ بسـكريَ شكري[٢]
فسـاعــةٌ لـم أعشها في القصف تقصف ظهري

* * *

٦١ ـ أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول : ورد أبو الحسن بن غسان البصري الشاعر الطبيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة شعراء امتدحوه ، ومرض في أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برىء من مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً بصلات ، فأخر ترويجها فكتب إليه [من الوافر] :

هـب الشّعـراء تعطيهـم رقاعاً مزوَّرةً كلاماً من كلامِ
فلـم صلـة الـطبيب تكون زوراً وقد أهـدى الشّفـاء من السقام ؟

(١) القصف : الشراب والمجون .
(٢) الراح : الخمر ، وحز : من حاز : أي حصل .

قد تمت ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ مراجعة الجزء الثالث من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحاً بالباب التاسع في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان ، نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس الجزء الثالث

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »

للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

فهرس

الباب السابع

الموضوع	ص

الباب الثامن

في ملح المقلين من أهل بغداد

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

الموضوع | ص

الموضوع	ص

الموضوع	ص

الموضوع ص

الباب الرابع

في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

الباب الخامس

في محاسن أهل العصر من إصبهان

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق

الموضوع ص

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل

الموضوع	ص

الباب الثامن

في شعراء فارس والأهواز
سوى من تقدم منهم في ساكني العراق

تمت فهرس الجزء الثالث من «يتيمة الدهر»
والحمد لله أولاً وآخراً، وصلواته على سيدنا محمد وآله



يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

الباب التاسع

ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان

١ ـ القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز

حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري ، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه ، وله يقول الصاحب [من الطويل] :

إذا نحـــن سلَّمنـــا لكَ العلـــم كلَّهُ فدعْ هذه الألفـــاظ ننظِـــمْ شذورها[١]

وكان في صباه خلف الخضر[٢] في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلوم علما وفي الكلام عالما ، ثم عرج على حضرة الصاحب وألقى بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفعته ، قريباً في أسرته ، وسيَّر فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، وما منها إلا صوب العقل[٣] ، وذوب الفضل ، وتقلّد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته ، بين الولاية والعطلة ، وأفضى محله إلى قضاء القضاة ، فلم يعزله عنه إلا موته رحمه الله .

---

(١) شذورها : قطعها ومتفرّقها النفيس والشّذر ، قطع من الذهب .

(٢) خلف الخضر : يعني النبيّ الذي ورد ذكره في القرآن مع النبي موسى ، كنايةً عن كثرة تجواله .

(٣) صوب العقل : عطاؤه وفيضه .

وعرض عليَّ أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب في معنى القاضي أبي الحسن ، وهذه نسخته بعد الصدر والتشبيب :

« قد تقدم وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز أدام الله تعالى عزه فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش أدام الله تعالى علوه من كتبي ما أعلم أني لم أؤد فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه مني فالموقع تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب ، وعادته معي أن لا يفارقني مقيما وظاعنا[1] ومسافراً وقاطناً ، واحتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالالإلمام ، فطالبني مكاتبتي بتعريف الأمير مصدره ومورده ، فإن عنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد ليستعجل انكفاءه إليّ بما يرسم أدام الله أيامه من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بدرقة[2] إن احتاج إليها وإلى الإستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتصرف النجح فيها ، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عند تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده ، فإني ما غاب كالمضل الناشد ، وإذا عاد كالغانم الواجد ، فعل أن إن شاء الله تعالى .

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوىء المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره » فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب[3] ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ

(١) ظاعناً : من الظعن وهو الارتحال .

(٢) البدرقة أو البذرقة : الخِفارة ، أو الجماعة التي تتقدم القافلة لحراستها .

(٣) شاكلة الصواب : مذهب الحق وطريقه .

وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح ، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور [من المتقارب] :

أيا قاضياً قد دنت كتبه ... وإن أصبحت دارُهُ شاحطَهْ[1]
كتابَ الوساطة في حسنه ... لعقد معاليك كالواسطه

***

فصل من هذا الكتاب المذكور[2]

ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الإختيار ، وأبعثه على الطبع ، وأحسن له في التسهل ، فلا تظنن أني أريد بالسهل السمح الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الأوسط ، وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط على البدوي الوحشي ، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه ، ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة وأضرابه ، نعم ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس ، يتميز عن المديح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه ، وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر ،

---

(١) شاحطة : بعيدة .

(٢) انظر (ص ٢٣ من كتاب الوساطة للجرجاني طبع دار احياء الكتب العربية) ففيه بعض الاختلاف اليسير .

بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعد أو الوعيد أو الإعذار ، خلاف كتابك في الشوق أو التهنئة أو اقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذَّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنَّيت ، فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه ، وسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسبابٌ محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم .

فصل آخر منه

وكانت العرب ومن تبعها من سلف هذه الأمة تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجزالة المنطق لم تألف غيره ولا عرفت تشبيهاً سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أن يخص بتهذيب ويفرد بزيادة عناية ، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج كما تراه فخما جزلا وقوياً متيناً ، وقد كان القوم أيضاً يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر الرجل ويصلب شعر الآخر ، ويدمث[1] منطق هذا ويتوعر منطق غيره .

وإنما ذلك بحسب اختلاف الطباع وتركيب الخلق . فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كزَّ الألفاظ[2] جهم الكلام[3] وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت الغضاضة[4] في صوته ونغمته وفي حديثه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تظهر بعض ذلك ، ومن أجله قال النبي صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » .

---

(١) الدمث : اللّين السهل

(٢) كزّ الألفاظ : جافي الألفاظ وقبيحها .

(٣) جهم الكلام : كريهه ومستثقله .

(٤) الغضاضة : الذلّة والمنقصة .

ولذلك تجد شعر عدي بن زيد وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما إسلاميان ، لملازمة عدي الحاضرة ، وإيطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب ، وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم ، والغزل المتهالك . وإذا اتفقت الدماثة والصبابة وانضاف الطبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها .

ولما ضرب الإسلام بجرانة[1] واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف[2] ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء فاستعملوا أحسنها مسمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأرشقها كما رأيتهم فعلوا في صفات الطويل ، فإنهم وجدوا للعرب نحواً من ستين لفظاً أكثرها بشع شنع ، فنبذوا جميع ذلك وأهملوه ، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان وقلة نبوّ السمع عنه في البيان[3] .

قال مؤلف الكتاب : وأنا أكتب من خطبة كتاب القاضي في تهذيب التاريخ فصلين ، بعد أن أقول : إنه تاريخ في بلاغة الألفاظ وصحة الرواية وحسن التصرف في الانتقادات ، وأجريتهما وما تقدمهما من كتاب الوساطة مجرى الأنموذج من نثر كلامه ، ثم أقفّي على أثره بلُمَعٍ من غرر أشعاره ، إن شاء الله تعالى .

فصل ـ ولولا التاريخ ، لما تميز ناسخ من منسوخ ، ومتقدم من متأخر وما استقر من الشرائع وثبت مما أزيل ورفع ، ولا عرف ما كان أسبابها وكيف مست الحاجة إليها ، وحصلت وجوه المصلحة فيها ، ولا عرفت مغازي رسول الله صلى

---

(١) الجران : أصله مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، ويريد هنا انتشار الاسلام .
(٢) فشا : انتشر وذاع .
(٣) نبوّ السمع : نفوره .

الله عليه وسلم وحروبه وسراياه وبعوثه ، ومتى قارب ولاين وسارر وخافت ، وفي أي وقت جاهر وكاشف ونبذ أعداءه وحارب ، وكيف دبَّر أمر الله الذي ابتعثه له ، وقام بأعباء الحق الذي طوَّقه ثقله[1] ، وأيٌّ ذلك قدم وأيها أخر ، وبأيها بدأ وبأيها ثنّى وثلّث ، وإن الولد البر ليتفقد من آثار والده ، والصاحب الشفيق ليعني بمثله من شأن صاحبه ، حتى يعد إن أغفله مستهيناً به مستوجباً لعتبه ، فكيف لمن هو رحمة الله المهداة إلينا ونعمته المفاضة علينا ، ومن به أقام الله دنيانا وديننا وجعله السفير بينه وبيننا ؟ وأيٌّ أمر أشنع وحاله أقبح من أن يحل الرجل محل المشار إليه المأخوذ عنه ثم يسأل عن الغزوتين المشهورتين من مشهور غزواته والأثرين من مستفيض آثاره ، فلا يعرف الأول من الثاني ، ولا يفرق بين البادي والتالي .

فصل آخر

وهذا كتاب قصدت به غرضيّ دين ودنيا : أما الدين فان اقتديه[2] من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره ومعارف أحواله وأيامه ، وذكر ما طمس الله من معالم الشرك وأوضح معارف الحق ، وما خفض بعلو كلمته وعلى أيدي أنصاره وشيعته ، من رايات كانت عالية على الأبد ، مكنوفة بحصافة العدد ،[3] وكثافة العدد ، ما يعلم به العاقل المتوسم أن تلك الفئة القليلة والعدة اليسيرة ـ على قلة الأهبة ، وقصور العدة وخمول الذكر وضعف الأيدي وعلو أيدي الأعداء وشدة شوكة الأقران ـ لا تستمر لها ولا تتفق بها مغالبة الأمم جمعا . ومقاومة الشعوب طرّا ، وقهر الجنود الجمّة ، والجموع الضخمة ، وإزالة الممالك الممهدة والولايات الموطدة . في الدهر الطويل والزمن المديد ـ مع وفور العدة وانبساط القدرة . واستقرار الهيبة ـ إلا بالنصرة الإلهية . والمعونة السماوية وإلا بتأييد لا يخص الله

---

(١) طوّقه ثقله : أي سلّم إليه مقادير أموره والقيام بأمره .

(٢) أقتديه : أتعلمه وأتتبّعه .

(٣) مكنوفة بحصافة العدد : محاطة ومحروسة بالرأي والعدّة معاً .

به إلاّ الأنبياء ، ولا ينتخب له إلا الأولياء . وإن اختص فيه من معاناة أنصاره وأتباعه ، والقائمين بإظهار دينه في حياته ، وعمارة سبيله بعد وفاته ، من مصابرة اللأواء[1] ، ومعالجة البأساء . وبذل النفوس والأموال وأخطار المهج والأرواح ، ما يزيد القلوب للإسلام تفخيما . وبحقه تعريفاً . ولما عساها تستكبر من أفعالها تصغيراً . وفي الإزدياد منه ترغيباً ، ما أجريه في خلال ذلك من تذكير بآلاء الله ، وتنبيه على نعم الله ، بما أقتص من أنباء الأولين ، وأبث من أخبار الآخرين ، وأبين من الآيات التي أمر الله بالمسير في الأرض لأجلها ، وبعث على الاعتبار بها وبأهلها . فقال ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ فيحرص العاقل على استبقاء نعمة الله عنده بالشكر الذي ضيّعه من سلبه الله تلك النعم ، ويتحرَّز[2] من غوائل الكفر[3] الذي أحل بهم تلك النقم .

وأما غرض الدنيا فأن أقيم بفناء الصاحب الجليل أدام الله بهاء العلم بدوام أيامه من يخلفني في تجديد ذكري بحضرته ، وتكرير اسمي في مجلسه ، ومن ينوب عني في مزاحمة خدمته ، على الإعتراف بحق نعمته ، وعلمت أني لا أستخلف من هو أمس به رحماً ، وأقرب منه نسباً ، وهو أرفع عنده موضعاً ، وألطف منه موقعاً ، وأخص به مدخلا ومخرجا ، وأشرف بحضرته مقاما وموقفاً ، من العلم الذي يزكو عنده غراسا ، فيضعف ريعا ويحلو طعما . ويطيب عرفا ويحسن إسما . فاخترت لذلك هذا الكتاب ثقة بوجاهته ، وعلماً بقرب منزلته ، وكيف لا يكون عنده وجيهاً مكيناً ، ومقبولاً قريناً[4] . وإنما هو نتاج تهذيبه ، وثمرة تقويمه ، وجناء تمثيله ، وريع تحريكه ؟ فلولا عنايته لما صدقت النيّة ، ولولا إرشاده لما نفذت الفطنة . ولولا معونته لما استجمعت الآلة ، وما يبعد به عن إيثار

(١) اللأواء : الشدّة في العيش .
(٢) يتحرَّز : يحترس ويتجنّب ، ومنها الحرز الذي يحتمي به المرء ويتعوّذ .
(٣) غوائل الكفر: دواهيه ومهالكه .
(٤) القرين : الصاحب .

العلوم وتعظيمها ، وعن تقديمها وتقريبها ، وهو الذي نصبه الله لها مثالا ، وأقامه عليها مناراً ، وجعله لها سنداً ، ولإحيائها سبباً .

***

ملح من شعره في الغزل والتشبيب وسائر الفنون

قال [من السريع] :

أَفــدي الــذي قال وفــي كفِّهِ   مثــلُ الــذي أشــربُ من فيهِ
الوردُ قد أينع في وجنتي قلتُ   فمـِي باللَّثـم يجنيـهِ

وقال [من المنسرح] :

بــالله فُضَّ العقيق عن بردٍ   يروي أقــاحيه من مدام فمهْ
وامســحْ غوالــي العــذار عن قمرٍ   نقَّـط بالــوردِ خدًّ ملتثمه

وقال [من المنسرح] :

قــلْ للسقــام الــذي بناظرهِ   دعــه وأشــركْ حشــاي في سقمِهْ
كلٌّ غرامٍ تخــاف فتنته   فبين ألحاظِــهِ ومبتسمه

وقال [من السريع] :

أنثــرْ علــى خديَّ من وردك   أودعْ فمــي يقــطف من خدّك
ارحــم قضيب البــان وارفــق به   قد خفــت أن ينقــدَّ من قدّك[1]
وقــلْ لعينيك بنفســي هما   يخفِّفــان السقَــم عن عبدك

---

(١) البان : شجر ليّن الاعطاف ، وينقدُّ : ينقطع وينكسر .

وقال [من السريع] :

قــد برَّح الشــوق بمشتاقك ... فأوَّلُــهُ أحســن أخلاقكْ[1]

لا تجفُــهُ وارعَ له حقَّه ... فإنــه خاتــم عشَّاقكْ

وقال في الفصد [من المنسرح] :

يا ليت عينـي تحمَّلـت ألمك ... بل ليت نفسـي تقسَّمـت سقمكْ

وليت كفَّ الـطبيب إذ فصدت ... عِرْقَكَ أجرت من ناظـري دمك[2]

أعرتــه صبــغَ وجنتيك كما ... تعيرهُ إن لثمــتَ من لثمك

طرفــك أمضــى من حدِّ مبضعه ... فالحـظْ به العــرق وارتجــز ألمك

وله [من الطويل] :

وفارقــتُ حتـى ما أسـرُّ بمــن دنا ... مخافــةَ نأيٍ أو حذارَ صدودِ

وقد جعلـتْ نفسـي تقـول لمقلتي ... وقـد قربـوا خوف التباعـد جودي

فليس قريبــاً من يخــافُ بُعاده ... ولا من يرجَّــى قربــه ببعيد

وله [من السريع] :

مــن ذا الغــزالُ الفاتــنُ الطرفِ ... الكامــل البهجــة والظُرفِ

مــا بال عينيه وألحاظِهِ ... دائبــةً تعمــل في حتفي[3]

واهــاً لذاك الــورد في خدِّه ... لو لم يكن مُمتنــعَ القطف

أشــكو إلــى قلبــك يا سيدي ... ما يشتــكي قلبــيَ من طرفي

وله [من الكامل] :

هــذا الهــلالُ شبيهَــهُ في حسنه ... وبهائــه كلاًّ وفتــرةِ جفنِهِ

---

(١) برّح : من البرح وهو الألم .

(٢) الفصد : الشقّ .

(٣) الحتف : الهلاك والموت .

هبْـكَ ادعيتَ بهـاءَهُ وضياءَهُ كيف احتيالك في تأوُّد غصنه[1]
لـو لاحظتـك جفونـه بفتورها أقسمـتَ أنّـك ما رأيت كحسنه

وقال [من المنسرح] :

يا قبلـةً نلتهـا على دهشٍ من ذي دلالٍ مهفهفٍ غنِجِ
قـد حيَّر الخشفُ غنـج مقتله والـورد توريد خدّه الضرج[2]
إذا تثنّـى أو قام معتدلاً قال له الغصـنُ أنـت في حرج
قـد قسَّم الحسـن مقلتيك أبـا الـــقاسـم بـين الفتـور والدَّعج[3]
قـل لهما يرفقـا بقلـب فتىً طويتَ أحشـاءه على وهجِ
فمنهما لا عدمـتُ ظلمَهُما سقـمُ فؤادي ومنهما فرجي

وله سامحه الله [من السريع] :

وغنـجُ عينيكَ ومـا أودعت أجفانهـا قلـب شجٍ وامقِ[4]
مـا خلـق الرحمـن تفاحتيْ خدّيك إلاّ لفـم العاشق
لكننـي أُمنـع منهـا فما حظّـيَ إلاّ خلسـةُ السارق

وله أيضاً [من السريع] :

مـن عاذري مِنْ زمـنٍ ظالمٍ ليس بمستحـي ولا راحمِ
تفعـل بالأحـرار أحداثه فِعْـلَ الهـوى بالـدَّنفِ الهائم
كأنّمـا أصبـح يرميهُمُ عن جفـن مولاي أبـي القاسم

وله أيضاً [من المنسرح] :

ولـو تراني وقـد ظفـرتُ به ليلاً وستـر الظـلام منسدلُ

---

(١) التأوّد : الانثناء والميل .
(٢) الخشف : ولد الغزال ، الضرج : المدمى أو المحمر بلون الدماء .
(٣) الفتور : الذبول ، والدّعج سعة العين .
(٤) شجٍ وامق : أي محبٌ متشوّق .

وللكرى في الجفون داعيةٌ | وقد حداها حادٍ له عَجِلُ
وحوَّصت أعينُ الوشاة كما | جمّش معشوقه الفتى الغزل(١)
فذاك مغفٍ وذاك مختلطٍ | يهذي وهذا كأنّه ثمل
وقلت يا سيدي بدا علم الـ | ـصبح وكاد الظلام يرتحل
ثم انثى يبتغي وساديَ إذ | أيقن أنَّ الوشاة قد غفلوا
فبات يشكو وبتُّ أعذره | وليس إلاَّ العتابُ والعلل
لخلتنا ثمَّة شعبتيْ غصنٍ | يوم صباً نلتوي ونعتدل(٢)
يا طيبها ليلةٌ نعمت بها | غرَّاء أدنى نعيمها القبل

وله سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

يا نسيمَ الجنوب بالله بلِّغْ | ما يقول المتيَّمُ المستهامُ
قلْ لأحبابه فداكم فؤادٌ | ليس يسلو ومقلةٌ لا تنامُ
بنتُمُ فالسهاد عندي مقيمٌ | مذ نأيتم والعيش عندي حِمام(٣)
فعلى الكرخ فالقطيعة فالشـ | ـطّ فباب الشعير منّي السلام(٤)
يا ديار السرور لا زال يبكي | بك في مضحك الرياض غمامُ
ربَّ عيشٍ صحبته فيك غضٍّ | وجفون الخطوب عنَّا نيامُ
في ليالٍ كأنَّهنَّ أمانٍ | من زمانٍ كأنَّه أحلام
وكأنَّ الأوقات فيها كؤوسٌ | دائراتٌ وأنسهنَّ مدام
زمنٌ مسعدٌ وإلفٌ وصولٌ | ومنىً تستلذُّها الأوهامُ
كلُّ أنسٍ ولذةٍ وسرورٍ | قبلَ لقياكُمُ عليَّ حرامُ

---

(١) حوّصت : من الحوص وهو ضيقٌ في العين ، وجمّش : من التجميش وهو الملاعبة والمداعبة .
(٢) الخَلة : الصداقة ، والمحبّة ، والصَّبا الريح مهبها من الشرق ، وهي ريح كان العربي يأنس إليها ويتمناها لأنها منعشة .
(٣) بنتم : هجرتم وابتعدتم ، والسهاد : الأرق ، والحمام : الموت .
(٤) باب الشعير وما قبلها : أماكن في بغداد .

وله [من الطويل] :

سقى جانبي بغداد إخلاف مزنةٍ ... تحاكي دموعي صوبها وانحدارها[١]
فلي فيهما قلبٌ شجاني اشتياقه ... ومهجةُ نفسٍ ما أملَّ ادكارها
سأغفر للأيام كلَّ عظيمةٍ ... لئن قرّبت بعد البعاد مزارها

وله من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح صديقا له من أهلها [من الطويل] :

أراجعةٌ تلك الليالي كعهدها ... إلى الوصل أم لا يُرتجى لي رُجوعُها ؟
وصحبة أقوامٍ لبستُ لفقدهم ... ثيابَ حدادٍ مستجدٍّ خليعُها
إذا لاح لي من نحو بغداد بارقٌ ... تجافتْ جفوني واستُطيرَ هجوعُها[٢]
وإن أخلفتها الغاديات رعودها ... تكلّف تصديقُ الغمام دموعُها
سقى جانبيْ بغداد كلَّ غمامةٍ ... يحاكي دموع المستهام هموعُها[٣]
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت ... لواحظها أن لا يداوي صريعها
بها تسكن النفس النفور ويغتدي ... بآنس من قلب المقيم نزيعها[٤]
يحن إليها كل قلب كأنما ... يشاد بحبّات القلوب ربوعها
فكلُّ ليالي عيشها زمن الصبا ... وكلُّ فصول الدهر فيها ربيعها
وما زلت طوع الحادثات تقودني ... على حكمها مستكرهاً فأُطيعها

ومنها :

فلما حللت القصرَ قصرَ مسرتي ... تفرّقن عني آيساتٌ جموعها
بدارٍ لها يسلي المشوق اشتياقه ... ويأمنُ ريب الحادثات مروعها[٥]

---

(١) إخلاف مزنة : أي غيم ممطر ، وصوبها : انهمارها بالمطر .
(٢) استطير هجوعها : أي فارقها الرقاد .
(٣) هموعها : مطرها وسيلها .
(٤) نزيعها : النزيع : الذي يحنّ إلى وطنه وأهله .
(٥) يسلي : من السلوان وهو الصبر والاستئناس في الإقامة، وريب الحادثات : أي مصائب الدهر ومروعها : من الروع وهو الخوف .

بهـا مسرحٌ للعـين فيهـا يروقها ومستـروحٌ للنفس ممَّـا يروعها
يرى كلُّ قلـبٍ بينهـا ما يسرُّهُ إذا زهَّـرت أشجارهـا وزروعها
كأنّ خرير الماء في جنباتها رعـودٌ تلقـت مزنـةً تستريعها
إذا ضربتهـا الـريح وانبسطـت لها ملاءة بدرٍ فصّلتهـا وشيعها(١)
رأيت سيوفـاً بـين أثنـاء أدرعٍ مذهبـةٍ يغشى العيون لميعها
فمـن صنعـة البـدر المنـير نصولها ومـن نسـج أنفـاس الـرياح دروعها
صفـا عيشنـا فيهـا وكادت لطيبها تمازجهـا الأرواح لو تستطيعها

وله من قصيدة [من البسيط] :

من أينَ للعـارضِ السـارق تلهبُّهُ وكيف طبَّـق وجـه الأرض صيِّبُهُ ؟
هل استعـان جفونـي فهـي تُنجده أم استعـار فؤادي فهـو يلهبُهُ ؟
بجانـب الـكرخ من بغـدادَ لي سكنٌ لولا التجمُّـل ما أنفـكُّ أندبُهُ
وصاحبٍ ما صحبت الصبر مذ بعدت ديارُهُ ، وأرانـي لسـت أصحبه
في كلِّ يومٍ لعينـي ما يؤرِّقُها من ذكره ، ولقلبـي ما يعذِّبه
ما زال يبعدنـي عنـه وأتبعهُ ويستمـرُّ على ظلمـي وأعتُبُهُ(٢)
حتى لوتْ لي النَّوى من طول جفوته وسهَّلـت لي سبيلا كنـتُ أرهبه
ومـا البعـاد دهانـي بل خلائقه ولا الفـراق شجانـي بل تجنُّبه

***

لمعٌ من شعره في حسن التخلُّص

قال من قصيدة في الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد [من المتكامل] :

أومـا انثنيتَ عن الـوداع بلوعةٍ ملأتْ حشـاك صبابـةً وغليلا
ومدامـع تجـري فيحسـب أنَّ في آماقهـنَّ بنـانُ إسماعيلا

(١) وشيعها : من الوشيع وهو علم الثوب أو رسمه .
(٢) أعتُبُه : ألومه وأصفح عنه .

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الطويل]:

إذا استشرفتْ عيناك جانب تلعةٍ جلت لك أخرى من رُباها جوانبا(١)
يضاحِكُنا نوّارها فكأنما نغازلُ بين الروض منها حبائبا(٢)
تبسَّم فيها الأقحوانُ فخلتُهُ تلقاك مرتاحاً إليك مداعبا
وحلَّ نقابُ الورد فاهتزَّ يدَّعي بواديه في ورد الخدود مناسبا
أقول وما في الأرض غير قرارةٍ تصافحُ روضاً حولها متقاربا
أباتت يد الأستاذ بين رياضها تدفَّقُ أم أهدت إليها سحائبا
أألبسها أخلاقَهُ الغرَّ فاغتدت كواكبها تجلو علينا كواكبا
أوشَّت حواشيها خواطر فكرهِ فأبدت من الزهر الأنيق غرائبا
أهزَّ الصَّبا قضبانها كاهتزازه إذا لمست كفَّيه كفَّك طالبا(٣)
أخالته يصبو نحوها فتزيَّنت تؤمِّل أن يختار منها ملاعبا

ومن قصيدة في دلير من بشكروز [من البسيط]:

وما أُقيم بدارٍ لا أُعزُّ بها ولا يقرُّ قراري حيث أُبتذل(٤)
وقد كفاني انتجاعُ الغيث معرفتي بأنّ دلير لي من سيبه بدل(٥)
تجنَّبتْ نشواتُ الخمر همَّته وأعلمتنا العطايا أنه ثمل

ومن قصيدة في شيرزاد بن سرخاب [من الطويل]:

ألم تر أنواء الربيع كأنَّما نشرن على الآفاق وشياً مذهَّبا
فمن شجرٍ أظهرن فيه طلاقةً وكان عبوساً قبلهنَّ مقطَّبا

(١) استشرفت : تطلّعت وتفحّصت ، والتلعة : المرتفع من الأرض .

(٢) نوّارها : أزهارها .

(٣) الصبا : الريح الشمالية .

(٤) أبتذل : أرخُص وأهان .

(٥) انتجاع الغيث : مطلبه وورود أماكنه والغيث : المطر وهو هنا كناية عن الممدوح ، وسيبه : عطاؤه .

ومن روضةٍ قضَّى الشتاءُ حدادها فوشحن عِطفيها ملاءً مُطيَّبا
سقاها سلافُ الغيث ريًّا فأصبحت تمايل سكراً كلَّما هبَّتِ الصبَّا
كأنَّ سجايا شيرزاد تمدُّها فقد أمنت من أن تحول وتشحبا(١)

ومن قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير [من الطويل] :

ولما تداعتْ للغروب شموسُهُمْ وقمنا لتوديع الفريق المغرِّبِ
تلقين أطرافَ السجوف بمشرقٍ لهنَّ وأعطافَ الخدور بمغربِ
فما سرن إلاَّ بين دمعٍ مضيَّعٍ ولا قمن إلا فوق قلبٍ معذَّب
كأنَّ فؤادي قرنُ قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشِّبِ(٢)

ومن قصيدة له فيه أيضاً [من الخفيف] :

ليلةٌ للعيون فيها وللأسـ ـماع ما للقلوب والآمال
نظمت للندام فيها الأماني مثل نظم الأمير شمس المعالي

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل] :

وما بالُ هذا الدهر يطوي جوانحي على نفس محزونٍ وقلب كثيبِ
تُقسِّمني الأيام قسمة جائرٍ على نضرةٍ من حالها وشحوبِ
كأنِّي في كفِّ الوزير رغيبةً تقسّم في جدوي أغرٍّ وهوبِ

ومن أخرى فيه وصف الإبل [من الطويل] :

يقربن طلاَّب العلا من سمائها ويهدين روَّاد الندى لجوادها
فلاقين مولانا وقد صنع السُّرى بهنَّ صنيع كفِّه بتلادها

***

(١) سجايا : طباع وصفات ، وتحول أي تتحوّل .
(٢) المتأشّب : المجتمع والمختلط .

غرر من شعره في المدح ، وما يتصل به

قال من قصيدة في الصاحب [من الكامل]:

يا أيها القرم الذي بعلوِّهِ نال العلاء من الزمان السولا[1]
قسمت يداك على الورى أرزاقها فكنُّوك قاسم رزقها المسئولا

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

فتىً كيف ما ملنا رأينا له يداً بعيدةَ رمى الشكر مطلبها سهلُ
خفيفٌ على الأعيان محملُ منِّها ولكن على الأفكار من عدِّها ثقل[2]
ووالله ما أفضى من المال مانشا إلى كفِّه إلاَّ العنان أو النصل[3]

ومن أخرى فيه [من مجزوء الكامل]:

يا من إذا نظر الزما ن إليه أكثر عُجْبَهُ
رحل المصيف فلا تزل أبداً تودّع ركبه
وبدا الخريف فحيِّ خا لصة الزمان ولبه
زمنٌ كخلقك ناصرٌ إن كان خلقك يشبه
رقَّ الهواء فما ترى نفساً يعالج كربه
وصفا وإن لاحظت أبعده ظننتك قربه
فلو استحال مدامةً ما كنت أحظر شربه
فتهنَّه يا فردَهُ وتملَّهُ يا قطبه

---

(١) القرم : السّيد .

(٢) منِّها : من المنّ : الانعام والعطاء .

(٣) ما نشا : ما رجع وامتلك ، والعنان : جمع أعنة وهو زمام الخيل وغيرها ،والنّصل : حديدة الرمح والسهم والسيف .

ومن أخرى فيه [من الطويل]:

ولا ذنبَ للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم تنتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألَّفت خواطرك الألفاظ بعد شرادها
فإن نحن حاولنا اختراع بديعةٍ حصلنا على مسروقها ومعادها

ومن أخرى فيه [من البسيط]:

أغرُّ أورعُ تلهينا وقائعُه في المال والقرن عن صفّين والجمل
مسترضعٌ بثدي المجد مفترشٌ حجر المكارم مفطومٌ عن البخل
أمضى من السيف لفظاً غير لجلجةٍ تغشّاه إن مال مضطرٌ إلى العلل[1]

ومنها [من البسيط]:

وسائلٍ ليَ عن نعماك قلتُ له تفصيلُها مستحيلٌ فارض بالجملِ
هذي صبابة ما أبقت يداي وقدْ عرفت حرفهما فانظرْ ولا تسلِ

ومن أخرى فيه [من المنسرح] :

لا وجفونٌ يغضُّها العذلُ عن وجناتٍ تذيبها القُبَلُ[2]
ومهجةٍ للهوى معرَّضةٍ تعيثُ فيها القدود والمقل
ما عاش من غاب عن ذراك وإن أخرً ميقات يومه الأجل

ومن قصيدة عيادة له [من الطويل]:

بعيني ما يُخفي الوزير وما يبدي فنورهما من فضل نعمائه عندي
سأجهد أن أفدي مواطيءَ نعله فإن أنا لم أقبل فما لي سوى جهدي
لأعديَ تشكيك البلاد وأهلها وما خلت أن الشكو بُعدي على البعد

---

(١) اللجلجة : التردّد في الكلام ، والعلل : أي التعلّل بالأسباب .
(٢) يغضُّها العذل : أي يخجلها اللوم فتطرق حياءً .

ولـم أدرِ بالشـكوى التـي عرضـت له ... ونعمـاه حتّـى أقبـل المجـد يستعدي
ومـا أحسـب الحمّـى وإن جلَّ قدرها ... لتجسـر أن تدنـو إلـى منبـعِ المجد
ومـا هي إلاّ من تلهُّـب ذهنه ... توقُّـدُ حتـى فاض من شدة الوقد
ليفـدِكَ من نعمـاك مالك رقّةً ... فكلُّ الورى بل كل ذي مهجة يفدي
ومـا زالـت الأحـرار تفـدي عبيدها ... لتكفيَهَـا ما تتّقـي مهجـةُ العبد

ومن أخرى في التهنئة بالبرء [من الطويل]:

بك الدهـر ينـدي ظلُّـه ويطيبُ ... ويقلـعُ عمّـا ساءنـا ويتوبُ
ونحمـد آثـار الزمـان وربّما ... ظللنـا وأوقـاتُ الزمـان ذنوبُ
أفـي كلّ يومٍ للمـكارم روعةٌ ... لهـا في قلـوب المكرمـات وجيب(1)
تقسّمـت العلياءُ جسمـك كلُّهُ ... فمـن أين فيه للسقـام نصيب
إذا ألمـت نفس الأمير تألَّمت ... لهـا أنفسٌ تحيا بهـا وقلوب

ومنها:

وواللّـهِ لا لاحظـتُ وجهـاً أحبُّهُ ... حياتـي وفـي وجـه الـوزير شحوبُ
وليس شحوبـاً ما أراه بوجههِ ... ولكنّـه في المكرمـات ندوب(2)
فلا تجزعـنْ تلك السمـاء تغيّمتْ ... فعمّـا قليلٍ تبتـدي فتصوب
تهلَّل وجـه المجـد وابتسـم الندى ... وأصبـح غصـنُ الفضـل وهـو رطيب
فلا زالـت الـدنيا بملـكك طلقةً ... لا زال فيهـا من ظلالك طيب

ومن قصيدة في أبي مضر محمد بن منصور [من الكامل]:

هذا أبـو مضـرٍ كفتنـا كفُّهُ ... شكوى اللئـام فمـا نذمُّ لئيما
هذا الجسيم مواهبـاً هذا الشريف ... مناصبـاً هذا المهـذّب خيما(3)

---

(1) الوجيب : الخفق والارتجاف .
(2) ندوب : علامات .
(3) خيما : أصلاً وطبعاً وجوهرا .

سمـــكت كهمتـــه السمـــاء ومثَّلت فيهـــا خلائقُـــهُ الشـــراف نجوما
نشـــوانُ قد جعـــل المحامـــد والعلا دون المدامـــة ساقياً ونديما
أعـــدى الأنـــام طباعـــه فتكرَّموا لو جاز أن يدعـــى سواه كريما

ومن قصيدة في دلير بن بشكروز [من الطويل]:

كريمٌ يرى أن الرجـــاء مواعدٌ وأن انتظـــار الســـائلين من المطل[1]
وخيرُ المـوالـــي من إذا ما مدحته مدحتُ به نفسي وأخبـرتُ عن فضلي

ومن أخرى [من البسيط]:

قل للأمير الـــذي فخـــر الزمـــان به ما الدهـــر لولاك إلا منطـــقٌ خَطَلُ[2]
كفتـــك آثـــار كفَّيك التـــي ابتدعت في المجـــد ما شاده آبـــاؤك الأولُ
ما زال في النـــاس أشبـــاهٌ وأمثلة حتـى ظهـرت فغـاب الشّكل والمثلُ

***

درر من شعره في وصف الشعر

قال من قصيدة [من الطويل]:

ومـــا الشعـــر إلاّ ما استفـــزَّ ممدَّحاً وأطـــرب مشتاقـــاً وأرضى مغاضبا
أطـــاع فلـــم توجـــدْ قوافيه نفَّراً ولـم تأتـه الألفـــاظ حســـرى لواغبا[3]
وفـي النـــاس أتابـــع القوافـــي تراهم يبثّـــون في آثارهـــن المقانبا[4]
إذا لحظـــوا حرف الـــروي تبادروا وقـد تركوا المعنـــى مع اللفـــظ جانبا .

(١) المطل : من المماطلة أي التسويف .
(٢) الخطل : الفساد .
(٣) اللواغب : الضعاف .
(٤) المقانبا : جمع مقناب وهو ظفر الأسد أو غطاؤه ، أو الوعاء الذي يجعل فيه الصائد ما يصيده .

وإن منعوا حرَّ الكلام تطرَّقوا حواشيه فاجتاحوا الضعيف المقاربا
ولكنَّني أرمي بكلٍّ بديعةٍ يبِتْنَ بألباب الرجال لواعبا
تسير ولم ترحلْ وتدنو وقد نأتْ وتكسبُ حفاظ الرجال المراتبا
ترى الناس إمَّا مستهاماً بذكرها ولوعاً وإمَّا مستعيراً وغاصبا
أذود لئام الناس عنها وأتقي على حسبي إن لم أصنها المعايبا
وأعضلُها حتى إذا جاء كفؤها سمحت بها مستشرفاتٍ كواعبا(١)
وأيُّ غيورٍ لا يجيب وقد رأى مكارمك اللاتي أتين خواطبا

ومن أخرى [من الطويل]:

ووفاك وفد الشكر من كلٍّ وجهةٍ ثناءً يسدّى أو مديحاً ينظّم
يزفُّ إلى الأسماع كلَّ خريدةٍ تكاد إذا ما أنشدت تتبسَّم(٢)
أطافت بها الأفكار حتى تركنها يقال أأبياتٌ تراها أو أنجم

ومن أخرى [من الكامل]:

أهدنْ لمجدك حلَّة موشيةً تكسو الحسود كآبةً وذبولا
أحيت حبيباً والوليد ففصّلا منها وشائع نسجها تفصيلا(٣)
فأفادها الطائيُّ دِقةً فكرةٍ والبحتري دمائةً وقبولا

ومن أخرى [من الكامل]:

لو لم أشرِّف بامتداحك منطقي ما انقاد نحوك خاطري مزموما
لكن رأى شرف المصاهر فاغتدى يهدي إليك لبابَهُ المكتوما
فحباك من نسج العقول بغادةٍ قطعت إليك مقاصداً وعزوما(٤)

---

(١) أعضلها: أضيّق عليها وأحبسها ،والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الخريدة : الفتاة العذراء ، ويقصد هنا القصائد البكر التي لم يسبق اليها .
(٣) وشائع : الوشيع : علم الثوب أو رسمه ويريد بالحبيب والوليد : أبا تمام والبحتري .
(٤) حباك : أعطاك ومنحك .

لمـا تبيَّنـتِ الكفـاءةُ أقسمت   أن لا تغـرُّب بعدهـا وتقيما
لا تبغهـا مهـراً فقـد أمهرتها   نعمـاك عنـدي حادثـاً وقديما
ألزمـتُ شكرك منطقـي وأناملي   وأقمـتُ فكري بالوفـاء زعيما

من أخرى [من الطويل]:

أتتنـا العـذارى الغيدُ في حُلَل النُّهى   تنشَّـر عن علـمٍ وتطـوي علـى سحرِ
تلاعَـبُ بالأذهـان روعَـةُ نشرِها   وتشغل بالمـرأى اللـطيف عن السبر(١)
ألـذُّ من البشـري أتـت بعـد غيبةٍ   وأحســن من نعمــى تقابـل بالشكر
فلـم أر عقـداً كان أبهـى تألُّقاً   وأشبـه نظمـاً متقنـاً منـه بالنثر
ترى كلَّ بيتٍ مستقـلاً بنفسه   تباهــى معــانيه بألفاظـه الغرَّ
تحلَّـت بوصف الجسـم ثم تنكَّرتْ   ومالت مع الأعراض في حيِّزٍ تجـري
أرنَّـت سحـاب الفـكر فيهـا فأبرزت   لآلـيءَ نورٍ في حدائقهـا الزُّهر(٢)
فجـاءت ومعناهـا ممـازجُ لفظها   كمـا امتزجـت بنـتُ الغمامـة بالخمر
أشـدُّ إليه نسبـةً من حروفه   وأحـوج من فِعْـلٍ جميلٍ إلـى نشر
نظمتهمـا عقـداً كمـا نظـم الحِجى   وفـاءك في عقـد السماحـة والفخر(٣)
كأنَّـك إذ مرَّتْ علـى فيك أفرغت   ثنـاياك في ألفاظهـا بهجـة البشر
كفتنـا حميًّا الخمـر رقـةُ لفظِها   وأمَّنـا تهذيبُهـا هفـوةُ السُّكر

وكتب إليه بعض أهل رامهرمز أبياتاً يمتدحه فيها ، وقد كان بلغه عنه أبيات يشكو فيها أهل ناحيته ، فقال : هلا انتقل ، واتصل ذلك بقائلها فضمـن أبياتـه اعتذاراً من المقام لتعذر النقلة . فكتب إليه مجيباً له قصيدة منها [من الطويل]:

بدأتَ فأسلفـت التفضُّـلَ والبرا   وأوليتَ إنعامـاً ملـكت به الشكرا

---

(١) السبر : الكشف ، والنشر : الرائحة الطيبة .
(٢) أرنّت : من الإرنان ، أو من الإرناء وهو إدامة النظر مع سكون الطرف ، والنور : الزهر الأبيض .
(٣) الحجى : العقل .

وللسابــق البــادي من الفضــل رتبةٌ تقصَّــرُ بالتالــي وإن بلــغ العذرا
أتتنــا عذاراك اللواتــي بعثتها لتوسعنــا علمــاً وتلبسنــا فخرا[1]
فأفصحــن عن عذرٍ وطوَّقــن منّةً وقلن كذا من قال فليقــل الشعرا
فأوليتُهــا حســن القبــول معظِّماً لحــق فتــىً أهــدى بهــنَّ لنــا ذكرا
تناهــي النهــى فيهــا وأبــدع نظمها خواطــر ينقــاد البــديع لهــا قسرا
إذا لحظــت زادتْ نواظرَنــا ضياً وإن نشــرت فاحــت مجالسنــا عطرا
تنازعهــا قلبــي مليًّا وناظري فأعــطيت كـلاً من محاسنهــا شطرا
فنزَّهــتُ طرفــي في وشــيٍ رياضها وألقطــت فكري بين ألفاظهــا الدرَّا
تضاحكنــا فيهــا المعانــي فكلَّما تأملــت منهــا لفظــةً خلتهــا شعرا
فمــن ثيِّبٍ لم تُفْتَرَعْ غير خلسةٍ وبـكرٍ من الألفـاظ قد زوِّجـت بكرا[2]
يظــل اجتهــادي بينهــن مقصرًا وتُمسي ظنونــي دون غايتها حسرى[3]
إذا رمــتُ أن أدنــو إليهــا تمنَّعت وحقٌ لهــا في العــدل أن تظهــر الكبرا
وقد صدرت عن معدنِ الفضل والعلا وقد صحبتْ تلك الشمائـل والنّجرا[4]
فتمَّــت لك النعمــى وساعــدك المنى وملّيت في خفضٍ أبــا عمــر العمرا[5]
كفتنــا وإياك المعــاذير نيَّةً إذا خلصت لم تذكر الوصــل والهجرا
مدحــتَ فعــدَّدت الــذي فيك من علاً وألبستنــي أوصافــك الزهــر الغرّا
ومــا أنــا إلا شُعبــةٌ مستمدةٌ لمغــرز فيضٍ منــك قد غمــر البحرا
وقــد كان ما بلَّغتــه من مقالةٍ أنفــت بهــا للفضــل أن يألف الصغرا
إذا البلــد المعمــور ضاق برحبه علـى ماجـدٍ فليســكنِ البلــد القفرا

---

(١) عذاراك : أي أبياتك العذراء التي لم يسبق إليها في المعنى .
(٢) الثيب : المرأة التي ليست بكر ، وتفترع : أي افتضّت بكارتها .
(٣) حسرى : ضعيفة متعبة خائبة .
(٤) النجر : الأصل الكريم .
(٥) الخفض : السعة في العيش ولينه .

وكم ماجدٍ لم يرضَ بالخسف فانبرى يقارع عن هماتـه البيض والسمرا[1]
ومـن علقـتْ نيلُ الأمانـي همومه تجشَّـم في آثارهـا المطلـبَ الوعرا
فلا تشـكُ أحـداث الزمـان فإنَّني أراه بمـن يشـكو حوادثـه مُغرى
وهل نصـرتْ من قبـلُ شكواك فاضلاً لتأمـل منهـنَّ المعونـة والنصرا
ومـا غلـب الأيامَ مثـلُ مجرِّبٍ إذا غلبتـه غايةٌ غلـب الصبرا

***

فقر له من كل فن

قال من قصيدة [من الطويل]:

يقولـون لي فيكَ انقبـاضٌ وإنَّما رأوا رجلاً عن موقف الـذلِّ أحجما[2]
ومـا زلـتُ منحـازاً بعـرضيَ جانباً من الـذمِّ أعتـدُّ الصيانـة مغنما[3]
إذا قيل هذا مشـربٌ قلـت قد أرى ولـكنَّ نفس الحـرِّ لا تحمـل الظما
ولـم أقضِ حقَّ العلـم إن كان كلَّما بدا طمـعٌ صيّرتـه لي سُلَّما
ولـم أبتـذل في خدمة العلـم مهجتي لأخـدم من لاقيتُ لكن لأُخدما
أأشـقـى به غرسـاً وأجنيه ذلَّةً إذاً فاتبـاعُ الجهـل قد كان أحزما

وقال من أخرى [من الطويل]:

وقالوا اضطربْ في الأرض فالرزق واسعٌ فقلـت : ولـكن مطلـبُ الـرزق ضيِّقُ
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يعينني ولـم يكُ لي كسـبٌ فمن أين أرزق؟

ومن أخرى [من الطويل]:

على مهجتي تجنـي الحـوادثُ والدهرُ فأمّـا اصطبـاري فهـو ممتنـعٌ وعْرُ

---

(١) الخسف : النقصان والظلم ، والبيض . والسمر: السيوف والرماح .
(٢) أحجما : ابتعد وتجنّب وتمنّع .
(٣) أعتدّ الصيانة مغنما : أي أحسب وأعدّ صون النفس والعرض مغنماً .

كأنّي ألاقي كلَّ يومٍ ينوبني بذنبٍ ، وما ذنبي سوى أنّني حرُّ
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي أضيقُ به ذرعاً فعندي له الصبرُ[1]
وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى وما علموا أنَّ الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حُرِّما على الغنى : نفسي الأبيةُ ، والدهر

ومنها :

إذا قال هذا اليسرُ أبصرتُ دونَهُ مواقفَ خيرٍ من وقوفي بها العسرُ
إذا قدّموا بالوفر أقدمت قبلهمْ بنفسٍ فقيرٍ كلُّ أخلاقه وفر
وماذا على مثلي إذا خضعت له مطامعه في كفّ من حصل التبر

وكتب على لسان غيره [من الطويل] :

أبا حسنٍ طال انتظارُ عصابةٍ رجتك لما يُرجى له الماجدُ الحرُّ
وقد حان بل قد هان لولا المطالُ أن يحلَّ لهم عن وعدك الموثقِ الأسر
وقد فاتهم من قربك الأنس والمنى وحاربهم فيك اختيارك والدهر
فإن كنتَ عوَّضت عنهمْ بغيرهمْ فعوضهُمُ راحاً يزول بها الفكر
فأنس الفتى في الدهر خلٌّ مساعدٌ وإن فاته الخلُّ المساعد فالخمر
فإمَّا رسولٌ بالنبيذ مبادرٌ وإلا فلا تغضب إذا غضب الشعر

وقال من قصيدة كتبها إلى أخوين له من انقباضه عنهما وإغبابه زيارتهما [من الطويل] :

أيُّها معهدُ الأحباب ذكَّرهم عهدي ودمْ لي ، وإن دام البعاد ، على الودِّ
ولي خلقٌ لا أستطيع فراقه يفوِّتني حظي ويمنعني رُشدي
نفورٌ عن الإخوان من غير ريبةٍ تعدُّ جفاءً والوفاء لهم وُكدي[2]

---

(١) ذرعاً : من ذرع المكان ذهاباً وإياباً برماً منه .
(٢) الوُكد : الجهد والسعي .

غذيتُ به طفلاً فإن رمت هجره ... تأبَّى وأغزتني به ألفة المهد[1]
كما ألفت كفًّا كما البذلُ والندى ... فأعيا كما أن تمنعا كفٌّ مستجدي
على أنّني أقضي الحقوق بنيتي ... وأبلغ أقصى غاية القرب في بعدي
ويخدمهم قلبي وودّي ومنطقي ... وأبلغ في رعي الذِّمام لهم جهدي
فإن أنتما لم تقبلا لي عذرةً ... وألزمتماني فيه أكثر من وجدي
فقولا لطبعي أن يزول فإنّه ... يرى لكما حق الموالي على العبد

وقال [من الوافر] :

جفاؤُكَ كُلَّ يومٍ في مزيدِ ... وما تنفكُّ تُشمت بي حسودي
فإن يكن الصدود رضَاك فاذهبْ ... فإنّي قد وهبتك للصدود[2]
فحسبي منك أن يهواك قلبي ... وحسبك أن أزورك كل عيد

وأهدى إلي صديق له بعض إخوانه تحفة وفيها أفراخ وباقلاء وباذنجان فقال على لسانه يذكر ذلك [من الطويل] :

أبى سيدُ الساداتِ إلاّ تظرُّفاً ... وإلاّ وصالاً دائماً وتعطُّفا
وساعدني فيه الزمان فخلته ... تحرَّج من ظلمي فتاب وأسعفا[3]
وأهيفُ لو للغصنِ بعضُ قوامه ... تقصَّف عاراً أن أُسميه أهيفا
تحيَّن غفلات الوشاة فزارنا ... يعرِّج عن قصد الطريق تخوُّفا[4]
فما باشرت نِعلاه موضع خطوةٍ ... من الأرض إلاّ أورثاه تصلُّفا[5]
وتلحظ خديّه العيون فتنثني ... تَسَاقَطُ فوق الأرض ورداً مقطَّفا

---

(١) تأبّى : امتنع .
(٢) الصدود : الإعراض .
(٣) تحرّج : تأثّم .
(٤) تحيّن : أي ترقّب ، يعرّج : يميل .
(٥) التصلّف : التكبُّر والادعاء بما ليس فيه .

فقلـت أحلـمٌ أم خواطـر صبوةٍ تصـوره أم أنشـر الله يوسفا
وفيم تجلَّى البـدر والشـمس لم تغب أحـاول منهـا أن تحـول وتكسفا
أمـا خشيت عينـاك عينـاً تصيبها وغصنـك ذا إذ مال أن يتقصَّفا
ولـم يحـذر الـواشين من لحظاتـه تقـلُّـب سيفـاً بين جفنيه مرهفا
فقـال اشتياقـاً جئتـكمْ وصبابةً إليكم وإكرامـاً لكم وتشوُّقا
وليس الفتـى من كان ينصف حاضراً أخـاه ، ولـكن من إذا غاب أنصفا
ومـرَّ فلـم أعلـم لفـرط تحيُّري أطيرُ سروراً أم أمـوتُ تأسُّفا
فيازورةً لم تشفُ قلبـاً متيَّماً ولكنَّهـا زادتْ غرامـي فأضعفا
فلمـا تمثَّلنـا الهـدية خلتهُ تمثَّـلَ فيهـا بهجـةً وتظرُّفا
ولمـا مددنـا نحوهـنَّ أناملاً براهـا الضنـى في حبـه فتحيَّفا[1]
إلـى باقـلاءٍ خيف أن لا تقلُّه يداي لمـا بي مـن هواه فنصَّفا
حملنـا بأطـراف البنـان ولـم نكد بنانـاً زهاهـا الحسـن أن تتطرَّفا
وسـوداً تروَّت بالدهـان وبدَّلتْ بتوريدهـا لونـاً من النـار أكلفا[2]
كأفـواه زنـجٍ تبصـر الجلـد أسوداً وتبصـر إن فرَّت لجينـاً مؤلَّفا[3]
كخلـق حبيبٍ خاف إكثـار حاسدٍ فأظهـر صرمـاً وهـو يعتقـد الوفا[4]
ومنتـزعٍ من وكر أم شنيقةٍ يعـزُّ عليهـا أن يصاد فيُعسفَا[5]
يغـذَّى غذاء الطفـل طال سقامه فحـنَّ عليـه والـداه ورفرفا
فلمـا بدت أطـراف ريشٍ كأنَّه مبـادي نبـاتٍ غِبَّ قطـرٍ تشرَّفا[6]
تكلَّفـه مـن يرتجـي عظـم نفعه فكان بـه أحفـى وأحنـى وأرأفا

---

(١) براها الضنى : أي أنحلتها الأوجاع فتحيَّفا : أي تظلَّم ، والحيف هو الظلم .
(٢) أكلفا : الكلف هنا لونٌ بين الحمرة والسواد .
(٣) اللجين : الفضة ، وفرّت : افترت وكشفت .
(٤) الصرم : القطيعة والهجران .
(٥) يعسفا : من العسف وهو الظلم .
(٦) غِبّ قطرٍ : بعْد ماءٍ .

يزقُّ بما يهوي ويعلف ما اشتهى ... ويمنع بعد الشبع أن يتصرَّفا
فلما تراءته العيون تعجُّباً ... وقيل تناهى بل تعدَّى وأسرفا
أراق دماً قد كان قبلُ يصونه ... كدمعة مضنى القلب روَّعهُ الجفا
تضرَّب حتى خلت أن جناحه ... فؤادي حيناً ثم عوجل وانطفا
فجيء به مثل الأسير تمكَّنت ... أعاديه منه بعد حربٍ فكُتِّفا
له أخواتٌ مثله ألفت ثنىً ... على مثل ما كانا زماناً تألَّفا
وقال لي الفأل المصيب مبشِّراً ... كذا أبداً ما عشتما فتألَّفا
فيا لك من أكلٍ على ذكر من به ... تطيب لنا الدنيا تعطَّف أم جفا
ولم أرَ قبل اليوم تحفةَ بعده ... ومن عاشر الحرَّ الظريف تظرَّفا

* * *

٢ ـ أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري

نجم جرجان في صنائع الصاحب وندمائه وشعرائه ، فسكن دورة صناعة الشعر في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، وتناول المرمى البعيد بقريب سعيه ، وكان في إعطاء المحاسن إياه زمامها كما قيل « جذع يبن على المذاكي القرح »[١] .

وكان الصاحب يعجب أشد الإعجاب بتناسب وجهه وشعره حسناً ، وتشابه روحه وشمائله خفة وظرفاً ، ويصطنعه لنفسه ، ويصرفه في الأعمال والسفارات ، وعهدي به وقد ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلثمائة يملأ العيون جمالاً ، والقلوب كمالاً ، وحين انكفأ إلى حضرة الصاحب وجهه إلى أبي العباس الضبي بأصبهان ، وزوده كتاباً بخطه ينطق بحقائق أوصافه وأخباره ، وهذه نسخته بعد الصدر .

---

(١) الجذع : الحدث ، والقرح : جمع قارح وهو ما كملت أسنانه ، والمذاكي : ما أتى عليها سنة أو اثنتان بعد قروحها .

أوصافي لمولاي ـ أدام الله تعالى عزه ! ـ تودع الشوق إليه حبات القلوب كما تملأ له بالمحبة أوساط الصدور . فلا تغادر ذا قدح فائز في الفضل وخصل سابق في خصال العلم ، إلا ونار الحنين حشو ثيابه أو يرحل إليه ، وينيخ ركائب السير لديه ، لا جرم أن جلّ من يحضرني يطالبني بالإذن له في قصده ، ويهتبل[1] غرة الزمان في الخطوة بقربه ، نعم وذوو التحصيل إذا حظوا لدي بزلفة ، وأحصفوا عروة خدمة ، واعتقدوا أنهم إن لم يعتمدوا ظله ، ولم يعتلقوا حبله ، كانوا كمن حج ولم يعتمر ، ودخل ظفار ولم يحمر[2] ، إلا أن جميعهم إذا دفعته اندفع ، وإذا خدعته انخدع ، غير واحد ملط ملحف مشطّ[3] يغريه الرد بالمراجعة ، ويغويه المنع للمعاودة ، ويقول بملء لسانه إلى أن يسأم ، ويقتضي طول زمانه حتى يسأم ، وكم جررته على شوك المطل ، ونقلته من حزن إلى سهل . وصرفته على إنجاز وعد بوعد ، ودفعته من استقبال شهر إلى انسلاخ شهر ، ثم خوفته كلب الشتاء أجعل الربيع موعداً ، وحذرته وهج المصيف أعطيه للخريف موثقا . وكم شغلته بعمالة بعد عمالة ، ووفادة بعد وفادة ، أريد في كل أن أصدفه عن وجهته[4] ، وأصده عن عزمته ، ليس لغرض أكثر من أن السؤال منه والدفاع مني تساجلا ، والالتماس منه والامتناع من جهتي تقابلا ، فلما خشيت صبابته بأصبهان أن يردها ، بل بخدمة مولاي أن يعتقدها ، تجنّى على قلبه ، أو يتحيف بمس من الجنون ثابت عقله ، ألقيت حبله على غاربه[5] ، وبردت بالإذن جمرات

---

(١) يهتبل : يغتنم .

(٢) ظفار : بوزن قطام مدينة بالقرب من صنعاء ، وأصل هذا من قول بعض ملوكهم : « من دخل ظفار حمر » أي تكلّم بالحميرية .

(٣) المِلْط : الرجل الخبيث الذي يسرق كل ما يقع نظره عليه ويستحلّه. الملحف : الكثير الإلحاح في سؤاله المشط : أي يجاوز الحدّ في أموره .

(٤) أصدقه عن وجهته : أصرفه عنها .

(٥) ألقيت حبله على غاربه : أي جعلته يتحمّل نتائج أعماله : والغارب : الكاهل ، وأعلى كلّ شيء .

جوانحه[1] ، فإن يقل مولاي من ذا الذي هذا خطبه وهذه خطته ؟ أقل من فضله برهان حق ، وشعره لسان صدق . ومن أطبق أهل جلدته ، على أنه معجزة بلدته . فلا يعد لجرجان بعيداً ولا قريباً أو لأختها طبرستان قديماً ولا حديثاً مثله ، ومن أخذ برقاب النظم أخذه . وملك رق القوافي ملكه ، ذاك على اقتبال شبابه وريعان عمره ، وقبل أن تحدثه الآداب ، وقيل جري المذكيات غلاب ، أبو الحسن الجوهري أيده الله وبناؤه عند مولاي منذ حين ، وخصوصه بي كالصبح المبين ، إلا أن لمشاهدة الحاضر ، ومعاينة الناظر ، مزية لا يستقصيها الخبر ، وإن امتد نفسه ، وطال رعانه ومرسه[2] ، وقد ألف إلى هذه الفضيلة التي فرع بنيها[3] ، وأوفى على ذوي التجربة والتقدمة فيها ، نفاذاً في أدب الخدمة ، ومعرفة بحق الندام والعشرة ، وقبولاً يملأ به مجلس الحفلة ، إنصاتاً للمتبوع إلا إذا وجب القول، وإعظاماً للمخدوم إلا إذا خرج الأمر، وظرفا يشحن مجلس الخلوة ، وحديثاً يسكت به العنادب ويطاول البلابل ، فإن اتفق أن يفسح له في الفارسية نظماً ونثراً طفح آذيه . وسال أتيه ، فألسنة أهل مصره إلا الأفراد بروق إذا وطئوا أعقاب العجم ، وقيود إذا تعاطوا لغات العرب ، حتى إن الأديب منهم المقدم ، والعليم المسوّم[4] ، يتلعثم إذا حاضر بمنطقه كأنه لم يدر من عدنان ، ولم يسمع من قحطان ، ومن فضول أخينا أو فضله أنه يدعى الكتابة ويدارس البلاغة ، ويمارس الإنشاء، ويهذي فيه ما شاء ، وكنت أخرجته إلى ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم فوفق التوفيق كله صيانة لنفسه ، وأمانة في ودائع لسانه ويده ، وإظهاراً لنسك لم أعهده في مسكه . حتى خرج وسلم على نقده ، وإن نقده لشديد لمثله . ومولاي يجريه بحضرته مجراه بحضرتي ، فطعامه ومنامه وقعوده وقيامه .

---

(١) الجوانح : أوائل الأضلاع ممّا يلي الصدر .

(٢) الرعان : الشدّة ، ومرسه : أي تمرّسه واحتكاكه .

(٣) فرع بنيها : أي علاهم شرفاً وجاها .

(٤) المسوّم : سوّمه الأمر : كلّفه إياه، وسوّمه في ماله: أي حكّمه فيه .

إما بين يدي ، أو بأقرب المجالس لدي . ولا يقولن هذا أديب وشاعر ، أو وافد وزائر . بل يحسبه قد تخفف بين يديه أعواماً وأحقاباً ، وقضى في التصرف لديه صباً وشباباً . وهذا إنما يحتاج إلى وسيط وشفيع ما لم ينشر بزه[1] ، ولم يظهر طرزه . وإلا فسيكون بعد شفيع من سواه . ووسيط من عداه . فهناك بحمد الله درقه وحدقه[2] ووجنة مطرفه ، وما أكثر ما يفاخرنا بمناظر جرجان وصحاريها . ورفارفها وحواشيها ، فليملأ مولاي عينه من منتزهات أصبهان ، فعسى طماحه أن يخفف ، وجماحه أن يقل .

وشريطة أخرى في بابه : وهي أنه ليس موضعاً لماله ، فسبيل ما يرزأه[3] أن يكون ما أقام في حجره ، وإن أذن له مولاي في العود داخلاً في حظر . فما أكثر ما يباري البرامكة تبرماً بجانب الجمع ، وتخرقاً[4] في مذاهب البذل . ونسبة للرياح الى الإمساك والبخل . فبينا تراه والثروة أقرب وصفيه ، حتى تلقاه والحاجة أحد خصميه ، وكم وكم تداركت امره فما ازداد الخرق إلا وسعاً لا يقبل رتقاً ، وتهاوناً لا يسع تلافياً ، وما كنت مع إبرامه لأفسح له في الخروج وأمد له طول النهوض مع أنسي الشديد بحضوره ، واستمتاع النفس بعقله وجنونه ، غير أني أزرته من ينظر بعيني . ويسمع بأذني ، ومن إذا ارتاح للأمر فقد ارتحت ، وإذا انشرح صدراً فقد انشرحت .

ونكتة أخرى : وهي واسطة التاج ، وفاتحة الرتاج . مولاي سمح بماله ، مقرب لمناله ، بخيل بجاهه ، ضنين بكلامه . وأبو الحسن لا يقبل العذر ، أو يصدق النذر ، فيجعل جوده بلسانه ، أبلغ من جوده ببنانه ، وحقاً اخبر أن قصده الأكثر الارتفاع ، لا الانتفاع ، غير أني أنبأت عن سره . وعن سن بكره ، وانقضت

---

(١) البزّ : الأثواب .

(٢) الدّرق : الصلب من كلّ شيء ، ومنها الدرقة وهي الترس ، وحدقه : أي نظره وإحاطته .

(٣) يرزأه : من الرزء وهو المصاب .

(٤) تخرّقاً : جهلاً .

الخطبة ، والسلام .

ولما انقلب من أصبهان إلى جرجان ، مسروراً لم تطل به الأيام حتى أصبح مقبوراً .

* * *

ملح من مقطوعاته في كل فن

قال [من الكامل] :

ومغلَّفٍ بالمسك في خدّيه سطراً يشوق العاشقين إليه
ما جاءه أحدٌ ليخطف نظرةً إلاَّ تصدَّق بالفؤاد عليه

وقال [من السريع] :

مَنْ عاصمي يا ابن أبي عاصم من لحظك المقتدر الظالم
يا خاتم الحسن أغث مدنفاً صارت عليه الأرض كالخاتم(١)

وقال [من السريع] :

يا ليل أفدي أختك البارحة ما كان أذكى ريحها الفائحة
كانت لها خاتمةٌ لو درت وجدي بها كانت هي الفاتحة

وقوله [من المتقارب] :

عشقت وكم من كريمٍ عشق وخفت وكم من حسودٍ فرق(٢)
لقد سرق اللحظ منك الفؤاد خلاساً ، وكم مثل قلبي سرق ؟

(١) المدنف : المريض .
(٢) الفرق : الخوف .

وقال [من المنسرح] :

يا حبذا الكأس من يديّ قمرٍ يخطر في معرضٍ من الشّفق[1]
بدا وعين الدجى محمَّرةٌ أجفانها من سلافة الفلق[2]

وقال يصف حب الرمان [من الطويل] :

وحبَّاتُ رمانٍ لطافٍ كأنّها شوارد ياقوتٍ لطفن عن الثقب
أشبهها في لونها وصفائها بقطرات دمعٍ وُرِّدت من دم القلب

وقال يصف الباذنجان [من الوافر] :

وباذنجانةٍ حشيت حشاها صغار الدرِّ باللبن الحليب
تقمَّصت البنفسج واستقلت من الآس الرطيب على قضيب

ولابن الرومي [من المنسرح] :

إذا أجاد الذي يشبهه وأحكم الوصف فيه بالنعت
قال كرات الأديم قد حشيت بسمسم قمعت بكيمخت

وقال في ليلة راكدة الهواء هب فيها نسيم طيب [من الرمل] :

بادِرِ الصهباء فالدهر فرصْ ولقد طاب نسيماً وخلصْ
أهدت الريح إلينا نسماً جمَّش الأرواح منَّا وقرصْ[3]
فكأنَّ الكأس لما جُليت طرب الجوُّ عليها فرقصْ
وإذا خُصَّ زمانٌ بمنىً فزمان الورد باللَّهو أخصْ

---

(1) يخطر : يتبختر في مشيته .
(2) السلافة : الخمر ، والفلق : الصبح .
(3) التجميش : المداعبة .

وقال [من المنسرح] :

وعــارضٍ كالبنفســج الغض يزهي على صحن سوسنٍ فضيٍّ[1]
سألــت عنــه فقيل ذا قمرٌ درّع ثوب الظـلام للعرض[2]
نظــرت فيه فصــدٌ معتدياً وكاد بعضــي يصــدُّ عن بعضي

وقال يستدعي صديقاً له [من الطويل] :

عفـا الدهـر عنّـا واستقلّـتْ بنـا المنى وحــثٌ بنـا ربــعٌ من الانس عامر
وضمّـت أكفٌّ الـراح شمــلَ عصابةٍ وجوهُهُــمُ للــزهـرات ضرائـر
فإن زرتنــي شوقــاً وإلاّ فإنّني إذا جدَّ جَدُّ الســكر والشــوق زائر

وقال في معنى لم يسبق إليه [من الوافر] :

ألا يا أيهــا الملك المعلّى أنلنــي من عطـاياك الجزيله
لعبــدك حرمــةٌ والــذكر فحشٌ فلا تحــوج إلــى ذكر الوسيله

وقال يهجو [من الرجز] :

انظــر إلــى أمــرٍ عجيب قد حدث أبــو تميمٍ وهــو شيخٌ لا حدث[3]
قد يحبس الأصلع في بيت الحدث[4]

وقال في أبي نصر الكاتب النيسابوري [من البسيط] :

إنّي قصــدت أبــا نصــرٍ بمسألةٍ يقــلُّ وصفِــيَ إيّاهــا عن الكلم
فظــلّ يرعــد خوفــاً من مكالمتي وكاد يسقــط قرنـاه علــى القدم
فقلـت نفســك إنّــي وفــد مكرمةٍ واذهــب فإنــك في حلٍّ من الكرم

(١) العارض : صفحة الخدّ ، والغضّ الطري والنضر .
(٢) درّع : لبس .
(٣) شيخ لا حدث : أي ليس صغير السن .
(٤) بيت الحدث : بيت الخلاء .

وقال فيه [من الهزج] :

حكوا لي عن أبي نصر وقد أورد من حقَّقْ
بأنَّ الشيخ يستدخل أيرين إذا استحلقْ
فما صدقت حتى قلت للشيخ وقد أطرق
أيحوي الغمد سيفين فقال الشيخ يا أحمقْ
وما تنكر أن يعمل ملاَّحان في زورقْ

وقال فيه [من الهزج] :

أبو النصر قد أبدع في إبنته بدعهْ
حكوا لي أنه يبلع عرض الأير في دفعه
وذا من كاتبٍ شيخٍ عميدٍ مثله شنعهْ
ولولا أنه شيخ تركنا عذله فظعهْ
وخليناه يستدخل خمساً شاء جو سبعهْ
ومن يحسد طست الشمع يا قوم على الشمعهْ

* * *

غرر من قصائده

قال من قصيدة [من الخفيف] :

يا سقيطَ الندى على الأقحوانِ شأنك الآن في الصبوح وشاني
أنت أذكرتني دموعي وقد صوَّ بن بين العتاب والهجرانِ
إن يكن للخليج فيك أوان بتقضّي المنى فهذا أوابي
شجرٌ مدنف وجوٌّ عليلٌ وصباحٌ يميل كالنشوان
صاح إنّ الزمان أقصرُ عمراً أنْ يراع المنى بصرف الزمان

رقَّ عنّـي ملاحف الليل فانهض برقيقٍ من صوب تلك الدنان[١]
قهـوةٌ عقَّهـا النواظـر لما حسبتهـا عصـارة العقيان[٢]
كعصير الخـدود في يقـق الأو جه أو كالدمـوعِ في الأجفان[٣]

ومن قصيدة في الصاحب يمدحه ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه ويعرض بقوم أساءوا المحضر له بجرجان [من الطويل] :

قليلٌ لمثلـي أن يقـال تغيَّرا وفـارق مخضـلاً من العيش أخضرا[٤]
زمـانٌ كعتبـي من حبيبٍ نودُّهُ إذا مرّ منـه أدهـرٌ كنَّ أشهرا
يقولـون بغـداد الـذي اشتقـت برهةً دساكرهـا والعبقـريَّ المقيَّرا[٥]
إذا فُضَّ عنـه الختـم فاح بنفسجاً وأشـرق مصباحـاً ونـوَّر عصفرا[٦]
ودجلتهـا الغنـاء والـزوّ نافضاً جنـاحيه يحـكي الطائـر المتحدِّرا
إذا رفـع المـلاّح جنبيه خلته تشقَّـق من غيظٍ على المـاء معجرا[٧]
وقمـرة روضٍ حسنُهـا وحديثها إذا الليل من بدر الزجاجـة أقمرا
إذا رقَّصـت حول المثانـي بنانها ترى كلَّ جزءٍ من فؤادك مزهرا
وليلٍ على النجمـيّ شطـت نجومه عن العين حتـى قيل لن يتصورا
تغـورُ ويبديهـا الظـلام كأنَّها عيونُ سكارى منتشين من الكرا
عكفنـا علـى صهبـاء لو مرّت الصبا بها لاكتست ثوبـاً من الحسـن أحمرا

---

(١) صوب الدنان : أي خمرها ، الصوب المطر ، والدنان : جمع دن : وهو زقّ الخمر وآنيته .
(٢) القهوة : من أسماء الخمر ، والعقيان : الذهب الخالص .
(٣) يقق الأوجه : أي بيض الأوجه ، واليقق : هو القطن .
(٤) مخضلاً من العيش : أي عيشاً ناعماً هانئاً .
(٥) دساكرها : الدسكرة : القرية ، والبناء الضخم الذي يكون حوله بيوت فيها الشراب والملاهي .
والعبقري المقيّرا : العبقري من الشراب : أي المتميّز المبرّز الذي لا يفوقه شيء ،والمقيّرا أي الموضوع في الزق المطلي بالزفت .
(٦) العصفر : صباغ أصفر يستخرج من الثياب .
(٧) معجرا : مسرعاً ـ ملتفاً .

ندامـى كأنَّ الدهـر يعشـق شملهم فإن عزمـوا يومـاً علـى البين أنكرا
أذلك خيرٌ أم بسـاطُ تنوفةٍ نداماك فيها الغـول والقهـوة السّرى[1]
فقلـت أمـا والله لولا تقاته لطـال علـى العـذّال أن أتسترّا
دعونـي ومـرو الثعلبية إنّني أرض بمـرو الثعلبية عنبرا
رعـى الله مولانـا الـوزير ورأيه جواداً إلـى العلياء لن يتغيّرا
يمثّـل دينـاً بين قلبـي وناظري فلسـت أرى شيئـاً سواه ولا أرى
لقد طُويتْ عن خطبتي صحف الندى وقـد كنـت عنوانـاً عليهـا مسطَّرا
تحيَّر عيشـي بالعـراق وهمّتي بجرجـان أبـدت دهشـةً وتحيُّرا
حججـتُ لعمـر الله مكّةَ معذراً وكنـت بحجّـي ذلك البـاب أعذرا
رأى الدهـر أنّـي ناهضٌ بقوادمي فطيَّرنـي من قبـل أن أتخيرا[2]
وأبصـر أيامـي تفتّـح ناظري فأعميننـي من قبـل أن أتبصَّرا
رويدك لم أهجـر علاك وإنما بخلـت بنفسـي أن تمـلَّ وتهجرا
وقـدتُ فكنـتُ النـارَ تأكل نفسها وسلتُ فكنت المـاء ينصبُّ في الثرا
قدرتَ علـى قتلـي فاقتصد وكنـت علـى قتلـي بسيفـك أقدرا
وأقسـم لو روَّيتَ سيفـك من دمي لأورق بالـودِّ الصـريح وأثمرا[3]
فكم مدبـرٍ بالـودِّ تلقـاه مقبلاً وكم مقبـلٍ تلقـاه بالـودّ مدبرا

ومن قصيدة كتبها من دهشتان إلى الصاحب وهو على بعض ضياعها يصف تبرمه بها وخراب مستغله بجرجان [من الكامل] :

يا ليلـةً قصُرَتْ فطابـتْ وانقضتْ وأفـدتُ منهـا ظلمـةً وضياءَ
حميتْ بأنفاسـي نجومـك فانثنتْ يجذبـن من برد الصبـاح رداءَ
أيديّ ضَعُفـت عن الأعنـة فاقنعي بالـكأس طرفـاً والهـوى بيداءَ

---

(١) الغول : الصداع الناشيء عن شرب الخمر أو السكر ، والقهوة السرى : أي الخمرة برائحتها المنتشرة .
(٢) القوادم : ريش مقدمة الجناح عند الطائر .
(٣) الودّ الصريح : الحبّ الخالص الصافي .

لو لم تخن قدمي مقاصد همتي ... لم أرض إلاَّ الفرقدين حذاءَ
نكبتنيَ الأيّامُ في مستحضرٍ ... قد كان يسبق عدوه النكباءَ
أبقى الحفا منه ثلاث قوائمٍ ... مثل الأثافي ما يرمن فناء[1]
ولطالما ترك الرياحُ هبوبه ... حسرى تخال أمامهنَّ وراءَ
هذا وقد أخذت بآفاق المدى ... كفٌّ الوزير توزِّع النعماءَ
وقد استقل سريره بعلائه ... يستعرض الشعراء والندماءَ
عيدٌ أنو شروان قال لعظمه ... ضحّوا بأكوابٍ وعفّوا الشاءَ[2]
يتقرَّب الدهقان فيه ببنته ... فيزفُّها في كأسها حمراءَ
نسج الزمان من الندى لثنائه ... بيد السحاب غلالةً دكناءَ
واغبرَّ وجه الجوِّ ممَّا رفرفت ... فيه الغيوم فأشبه الغبراءَ
وسجا أديم الأرض من برد الضحى ... حتى تراه في الإناء إناءَ[3]
ونعى الشتاء إليَّ بيتي إذ رأى ... أعلاه ليس يكفكف الأنداءَ
وسوارياً لو دبَّ فوق متونها ... نملٌ هوت من أصلهنَّ هباءَ
وعليلةٍ بليت بلاي وأصبحتْ ... غرفاتها عن أهلهنَّ خلاءَ
أخشى الرياح إذا جرت من حولها ... أبداً وأحذر فوقها الأنواءَ
قولا لمن ذمَّ القوافي وادَّعى ... أنَّ القريضَ يهجِّنُ الرؤساءَ[4]
ويقول بغياً هل تصرَّف شاعرٌ ... أو نافس العمّال والضمناءَ
سائلْ دهشتان العتود بمن يلي ... أعمالها عن حمليَ الأعباءَ
هيهات لا تحقر عيون قصائدي ... إنّي خدمت ببعضها الوزراءَ
وبها وصلت إلى ابن عبَّاد العلا ... وخدمت تلك الحضرة الغراءَ

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي الحجر التي توضع عليه القدر .
(٢) عفّوا الشاء : أي أكثروا من ذبحها .
(٣) سجا أديم الأرض : غطّى وجه الأرض .
(٤) يهجّن : يعيب ويقبّح ، والقريض الشعر .

ومتـى لثمـت يديه أو أنشدته لم أقتنـعْ بالمشـرقيـن حباءَ[1]
فارقـت بطحـاء المـكارم عنده ونزلـت أرضـاً بعـده شنعاءَ
مغنى اللصـوص ومنبـع الشـرِّ الذي أفنـى الرجـال وجشّـم الأمراءَ
قومٌ إذا شبقـوا أتـوا أنعامهم أو أعدمـوا باعـوا البنـات إماءَ[2]
مثـلُ الثعالـب ينبعثـن فإن عوى ذئـبٌ دخلن الأيكة العوصاءَ[3]
كانـوا ذوي ثقتـي فصـرت كأنّني عينٌ تقلّـب منهـم الأقذاءَ[4]
وولايتـي عزلٌ إذا لم أعتنق باب الـوزير وتلـكم الآلاءَ[5]

ومن أخرى يصف فيها ضيق ذات يده ، وخراب حجرته ، وكثـرة عيالـه ، ويهنىء الصاحب ببنائه الجديد بجرجان [من الطويل] :

أهشُّ لأنـواء الـربيع إذا انبرتْ وأكره أبـواء الـربيع وأنكرُ[6]
تظـلُّ جفونـي كُلّمـا مرَّ بارقٌ تطـول إلـى خيط السمـاء وتقصرُ
حذاراً علـى خاوي الجوانـب مائلٍ يكاد بأنفاسـي عليـه يقطّرُ
لدى عرصـاتٍ أصبحـت غرفاتها مناخـل أمطـارٍ تروح وتبكرُ[7]
أسـاطين حكتهـا السـنون كأنّها قيامٌ تثنّـت للـركوع تكبِّـرُ
رثـى ليَ أعدائـي بهـا وتطيَّرت برؤيتهـا العين التـي لا تطيَّرُ
يقولـون هلاّ تسـتجدّ مرمةً وحالـي منهـا بالمرمـة أجدرُ[8]

(١) حباء : عطاء .
(٢) شبقوا أتوا أنعامهم : أي أنهم في حالة الشبق والتهيّج لا يتورّعون عن مجامعة حيواناتهم ، وأعدموا : أي افتقروا .
(٣) الأيكة العوصاء : أي المكان الكثير الشجر والشديد الصعوبة .
(٤) الأقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين من وسخ وغيره .
(٥) الآلاء : النعم .
(٦) أبواء الربيع : إخلافه وعدم سقوط الغيث فيه .
(٧) عرصات : ساحات .
(٨) المرمّة : متاع البيت .

إذا كشف الأيام وجهُ تجمُّلي وأظهرتِ الحالَ التي أنا مضمرُ
فكلٌّ مكانٍ للتبذُّل موقفٌ وكلٌّ لباسٍ للتَّهتُّكِ مئزرُ
ثمانيةٌ يرجون صوبَ قصائدي على أنه من صوب طبعي أنزرُ[1]
يمدُّون أعناق النعام إلى يدي وتفتح أفواهُ السباعِ وتفغرُ[2]
إذا رحت عن دار الوزير تبسَّطتْ أناملهم نحو الندى تتشمَّرُ
يرون خطيباً ملء بردي ومطرفي يحدِّثُ عن آلائه ويخبِّرُ
بنيت إلى دنياك دنياً جديدةً هي الجنَّة العليا وأنت المعمِّرُ
معارجُ مجدٍ واحدٍ فوق واحدٍ تعثَّرُ فيها فكرتي وتحيَّرُ
طرائحُ عزٍّ لبنةٌ فوق لبنةٍ تربَّع في صحن العلا وتدورُ
بنيت لعمري سؤدداً لا بنيَّةً وهل سؤددٌ إلا بربعك يعمُرُ

ومن أخرى [من الطويل] :

تثنَّى إلى برد النسيم المرفرفِ يبثُّ جوىً من قلبه المتشوِّفِ[3]
تنسَّم أنفاس الضحى بحشاشةٍ توقَّدُ من حرِّ الغرام وتنطفي
تجافيت إلا عن محاسن قهوةٍ أجرُّ إليها شملةَ المتظرِّفِ
دعوا رمقي يستنصر الراح إنها سلالةُ مجدٍ في غلالة مدنفِ

ومن أخرى [من البسيط] :

زرَّ الصباح علينا شملة السحب ومدّت الريح منها واهيَ الطنبِ[4]
صكَّ النسيم فراخ فانزعجت ينفضن أجنحةً من عنبرِ الزغبِ

---

(١) أنزر : أقل ، وأبطأ .
(٢) تفغر : تتسع وتتفتح .
(٣) المتشوّف : المتطلّع إلى من يحبُّ المتشوق إليه .
(٤) الطنب : العمد .

لو لم يقل إلا هذا البيت لكان أشعر الناس !

تسعى الجنوب بطرفٍ حولها ثملٍ　　من النــدى وفــؤادٍ نحوهــا طرِبِ

ومنها :

كفــى العــواذلُ أنّــي لا أرى قدحاً　　إلاّ شققــتُ عليه جلــدة الطرب
إن قيل تاب يقــول الغــيُّ لم يتبِ　　أو قيل شاب يقــول اللهــو لم يشب

ومن أخرى [من البسيط] :

لو ثار ما اقتدحتــه النفسُ من هممي　　لصــكَّ ناصية الجــوزاء ملتهبا
لو أن ساعــديَ اليمنــى تساعدني　　على سوى الجود صغت الأرض لي ذهبا
يا مسرجــاً صهــوات الــريح منتجعاً　　قرِّبْ خطــاك فإن الجــود قد قربا
لا تركب البحــر إلا بحــر مكرمةٍ　　يسقي الفـرات ولا يودي بمـن ركبا(١)
سكّنــتُ روعـة حالـي بعدمــا آدّرعت　　من اعتــراض عوادي فقرهــا رعبا
فصــرت منــك أقــوِّي بالغنــى سبباً　　وأدّعــى لمحلّــي في العــلا سببا

ومن أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

سريرٌ بأحــداق النجــوم مسمَّر　　وملكٌ بأعــراف السحــاب معمَّمُ(٢)
تقــود صروف الدهــر في عرصاته　　جياداً بسلطــان السياســة تلجمُ
يُزَمُّ بفخــر الدولــة الدهــر مذعناً　　ويملك أعنــاق الخطــوب ويخزم(٣)
مكارمــه في جبهــة الدهــر غرَّةٌ　　وســؤدده في غرَّة الدهــر ميسمُ(٤)

---

(١) يودي : يذهب ويهلك .
(٢) معمَّم : من العمامة كناية عن رفعة ملكه وشموخه .
(٣) يزمُّ : ينقاد ، ويخزم : يذلّ .
(٤) ميسم : علامة ، أو حسناً وجمالاً .

ومن أخرى [من الكامل] :

الصبحُ يرمقُ عن جفونِ مخمّرٍ والليل يرفع من ذيول مشمّرٍ
والجوُّ في حجب النسيم كأنّما تسعى إليه يد الشمال بمجمرِ(١)
ريحٌ تمايل بين أنفاس الضحى بممسَّك من ثوبها ومعنبرِ
ملك تهيّبه النجوم إذا بدا وتحار بين مهللٍ ومكبِّرٍ
يكفي القوافي أنها بعنايتي تختال بين سريره والمنبرِ
لو أنها شعرت بعُظْمِ مقامها لم تقتنعْ بعمومةٍ في بحترٍ(٢)
ما زال يأمل أن يعود إلى المنى شعري بتشريفٍ عليه مزرَّرِ
فبعثت منه جوهرياتٍ أبتْ أن لا تكون ضرائراً للجوهرِ

ومن أخرى في أبي العباس الضبي بأصبهان [من البسيط] :

إنّي ملكت عنان الرأي من زمنٍ إذا سعيت لمجدٍ كان لي قدما
إنّي أهينُ جُمان الدمع منتثراً إذا رأيت جمان العزِّ منتظما(٣)
أفدي بوجهِ هرند زندروزَ وإنْ شربت ماء حياتي عندها شبما(٤)
تركت فيه على الجسرين دسكرةً يشدو بذكرى فيشجي طيرها نغما(٥)
محلّةٌ ما طرقتُ الدهر جانبها إلا عزمتُ على دهري كما عزما
أنّي أحجُّ بطاح اللهو آونة إذا رأيت محلّي عندها حرما
لم تثنني لَمعٌ للشيب في لممي عن أن أُلمَّ بأطراف المنى لمما(٦)

---

(١) المجمر : البخور .
(٢) بحترٍ : زي الشاعر البحتري .
(٣) الجمان : الفضّة .
(٤) شبما : بارداً .
(٥) دسكرة : بيت ضخم حوله الملاهي والحانات .
(٦) لمع : نتف ، واللِّمة : الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن ، واللَّمَمَ : مقاربة الذنب من غير أن يقع .

وإنمـا قدم التـوفيق تحملني إلـى فتـىً ملء حيزوم العـلا هِمما(١)

ومن أخرى [من الطويل] :

إذا ما أدلَّ السابقـون فإنّني أدلُّ بعهـد الخدمـة المتقادمِ
وربَّ مصـلٍّ سابـقٍ بوفائه وكم قاعـدٍ في نصحـه ألفُ قائمِ
سأخدمـه عمـري ويخـدم بابه إذا متُّ عنـي خادمٌ بعـد خادم

ومن أخرى [من البسيط] :

قد كان أمسك وحي الشعر مذ قطعتْ يد الحـوادث عـن نعمائـه علقي(٢)
فمـا نظمـت لمعنـى عقـد قافيةٍ إلا نثـرت له عقـداً من العرقِ
وهـذه لليالِ قد سهـرت لها أروي معالـي مولانـا علـى نسقِ
وقلـتُ حين رأيت الطبـعَ ينسجُها نسجَ الـربيع حواشي روضـه العبقِ
عسـى خطـرتُ ببـالٍ فاتسقتْ له فرائـد نظمـي كُلَّ متسقِ

ومن أخرى في يوم ميلاده وتحويل سنه [من مجزوء الكامل] :

يـومٌ تبرّجـتِ العلا فيـه ومزّقـتِ الحجبْ(٣)
يـوم أتـاه المشـتري بشـهاب سعـدٍ ملتهـبْ
بسـلالـة المجـد الفصـيح وصـفـوة المجـد الزرب(٤)
ملكٌ إذا ادّرع العلا فالدهـر مسـلوب السلـبْ
وإذا تنمّـر فـي الخطو ب فيا لنـارٍ في حطبْ
وإذا تبسّـم للندى مطـرتْ سحائبـه الذهـبْ

---

(١) الحيزوم : الصدر ، والمرتفع من الأرض .
(٢) العِلق : النفيس من كلّ شيء .
(٣) التبرّج : التزيّن والسفور .
(٤) الزرب : السائل .

يـــا غرَّة الحســـب الــكـــريـــم وأيـــن مثلـك في الحسبْ
هــذا صبــاحٌ حُلِّيَت بســعوده عطــل الحقبْ[1]
ميــلادك الميمـــون فيـــه وهـــو ميــلاد الأدبْ
عــرِّجْ عليـه بمجلسٍ ريَّانَ من مـاء العنبْ
واضــرب عليـه سرادقاً للأنس ممتــدِّ الطنبْ
فــرِّخ وعشِّش في المسرّ ة منـه واستـأنس وطِـبْ

ومن أخرى [من البسيط] :

بشعلـــة الـــرأي تُذكي شعلـــة الباس ولـــذة المجـــد تُنســـي لذّة الكاس
ما كُلُّ ما احمــرٌ للعينين منظره وردٌ ، ولا كُلّ ما يخضــرُّ بالآس
ليت الجهــول بطــرق المجــد يتركه ما كُلُّ غصــنٍ له ماءٌ بمياس
لا تنفــع المــرء في الهيجــاء شكّته حتـــى يشـــدٌ إليهـــا شكّة الباس[2]
كل يشنِّـــج عنـــد السيف جبهته ولا هوادة عنـــد السيف للراس[3]
الحـــقُّ أبلـــجُ بادٍ لا خفـــاء به والملك أشـــوس لا يعنـــو لأنكاس[4]
وليس كُلُّ ابتســـامٍ من أخـــي كرمٍ بشْـــراً ، ولا كلُّ تقـــريبٍ بإيناس

ومن أخرى في الأستاذ أبي الحسن محمد بن علي بن القاسم العارض يستدعي منه الشراب [من البسيط] :

الدهـــرُ مخبـــرهُ مســـكٌ ومنظره والســروض مطرفـــه وردٌ ومعجزُهُ[5]

---

(١) عطل الحقب : الحقب جمع حقبة وهي مدّة من الزمن ، وعطل : يقال جيدٌ عطل : أي جيدٌ تنقصه الحليّ .

(٢) الشكه : السلاح .

(٣) يشنِّج : من شنّج الشيء : أي قبّضه وقلّصه .

(٤) الأبلج : المشرق المنير ، وأشوسن : شديد ومنيع . ويعنو : يخضع ، والأنكاس : مفردها : النكس وهو الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه .

(٥) المطرف : الرداء أو الشال : والمعجز : ثوب النساء .

والجوُّ يفتح جفناً في محاسنه من الندى وأديم الغيث محجرهُ
يسعى الشمال بندٍّ في جوانبه من النسيم وحرُّ الشمس مجمرهُ
طاب الصبوح وكأسي جدُّ فارغةٍ كأنّها خاتمٌ قد غاب خنصرهُ
أشتاقه ونسيم الورد يعذلني أنْ لست أسكر مهتزًّا فأسكرهُ

ومن أخرى في الحسن الحسنى [من البسيط] :

لا عتْبَ إن بذلتْ عيني بما أجِدُ فقد بكى ليَ عوّادي لما عهدوا[1]
لو أن لي جسداً يقوى لطفتُ به على العزاء ولكن ليس لي جسدُ
تبعتهم بذماءٍ كان يمسكه تعلُّلي بخيالٍ كلّما بعدوا[2]
يا ليلةً غمضت عنّي كواكبها تَرَفّقي بجفونٍ غمضُها رمد
أهوى الصباح وما لي فيه منتصفٌ من الظلام ولكنْ طالما أجد
لو أنّ لي أمداً في الشوق أبلُغه صبرتُ عنك ، ولكنْ ليس لي أمد
بكيت بعد دموعي في الهوى جلدي وهل سمعت بباكٍ دمعه جلد
تذوب نار فؤادي في الهوى برداً وهل سمعت بنارٍ ذوبها برد
قالوا : ألفتَ رُبا جي ، فقلت لهم : الحب أهل ، وإدراك المنى ولدُ[3]
أندى محاسن جي أنه بلد طلق النهار ، ولكن ليله نكدُ
إذا استحبَّ بلاد للمعاش بها فحيثما نعمت حالي به بلدُ
وللمكارمِ قومٌ لا خفاء بهم هم يعرفون بسيماهم إذا شهدُوا
للّهِ معشر صدقٍ كلّما تُليت على الورى سورةٌ من مجدهم سجدوا
ذرِّيَةٌ أبهرت طه بجدهم وهل أتى بأبيهم حين ينتقد
وإن تصنّع شعرٌ في ذوي كرمٍ يا ابن النبي فشعري فيك مقتصد
أصبت فيك رشادي غير مجتهدٍ وليس كلُّ مصيبٍ فيك مجتهد

---

(۱) أجدُ : من الوجد وهو الحب الشديد ، والعوّاد : الزوّار .
(۲) الذّماء : بقية الروح .
(۳) جي : لقب أصبهان قديماً ، أو اسم قرية بها .

بسطت عرض فناء الدهر مكرمةً طرائق الحمد في حافاتها قدد

ومن أخرى يصف فيها سقامه وكربه ويشكو تأخر إخوانه عن عيادته ويخاطب بها أبا الفتح محمد بن صالح ليعرضها في مجلس الصاحب [من الخفيف] :

قلت لمّا تأخّر العوّادُ أيُّ سقمٍ عليله لا يعادُ[1]
ما لكم إخوةَ الرجاء وما لي كلّ أيامكم نوىً وبعاد
قد صددتم عنّي صدود التعالي لسقامي كأنّ سقمي وداد
إن تجنبتُمُ العدوى فلِمْ لمْ أعدِكم بالهوى وسقمي سهاد
ملّني مضجعي وعاف نديمي مجلسي واجتوى جفوني الرقاد[2]
طرَّز السقم ما كسانيه بالعزّ فهذا حتفٌ وهذا حداد
لي وشاحٌ من الضنّا ونجادٌ ووسادٌ من الأسى ومهاد[3]
قلمي يتقي بناني ، وسيفي وعناني ، ويتقيني الجواد
وتناست يدي مناولة الكأ س وسمعي ما ينفر العوّاد
لو سوى العزّ نالني مرَّضتني خدمةٌ دونها الشباب المفاد[4]
قد لواني عن جنة العزّ سقمي ويح نفسي كأنّ سقمي ارتداد
روضةٌ نورها العلا وغديرٌ كلُّ أكنافه ندىً معتاد[5]
باعد العزُّ بين عيشي وبيني فبياض الزمان عندي سواد
يا أبا الفتح قد تفرّدت عني بمنىً لا تخصّها الأعداد

(١) السقم المرض ، يعاد : يزار أثناء المرض .

(٢) اجتوى : كره المقام ، فارق .

(٣) الضّنا : الألم ، والنجاد : اللحاف ومنه النّجّاد : الذي ينجد الفرش والوسائد والمهاد : السرير والفراش .

(٤) العُرُّ : الجرب ، أو مرضٌ اعتراه .

(٥) الأكناف : الجوانب ، وكنف الانسان حضنه .

بلِّـغ المجلسَ الـرفيعَ سلامي   واشتياقي وقـلْ سقـاك العهاد(1)
واجتهـد أن تقبّـل الأرض عني   حيث لا يستطيعـه القوّاد
حيث يبدو الوزير في معرض   الفضل ويهتزُّ غصنه المياد
وتغنّـم خير التبسُّـم فيه   إنّ بشْـر السلطـان غنـمٌ مفاد
ثـم قل إنّ حال خادم مولا   نا لحـالٌ يملُّهـا العوّاد
سقـمٌ مجحفٌ وعـرٌّ كريه   واختصـاصٌ بكربـةٍ وانفراد
كلُّ عضـوٍ منّـي له حسراتٌ   واشـتياقٌ كأنَّ كلِّـي فؤاد

ومن أخرى [من الكامل] :

قـولا لعاذلتـي جمحـت فلـم أزد   إلاَّ لجاجـاً في الهـوى وجماحا(2)
جنح الظلام فبادري بمدامةٍ   بسطت إليك من العقيق جناحا
صهباءُ لو طافتْ بها قمريةٌ   أذكت عليها ريشها مصباحا
رعـتِ الزمـان ربيعـه وخريفه   فأتـتْ تبـثُّ الـورد والتفاحا

* * *

٣ ـ أبو معمر بن أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي

جمـع شرف النفس إلـى شرف الطبـع ، وكرم الأدب إلـى كرم النسـب واستولى على أمد الفقه في اقتبال العمر ، وحسن تصرفه في الشعر ، حتى كتب الصاحب في وصف قصيدة نفذت منه فصلاً من كتاب طويل إلى أبيه أبي سعيد ، وهذه نسخة الفصل .

« وبعد » فهل أتاك حديث الإعجاب منا ، وقد طلعـت من أرضـك فقـرة

---

(1) العهاد : أوّل المطر .
(2) جمحت : تمرّدت وشردت، وجمحت المرأة خرجت غاضبة ، اللجاج : الإلحاح .

الفقر ، وغرة الغرر ، وحديقة الزهر ، وخليفة المطر ، تلك حسنة انتشرت عن ضوئك ، وغمامة نشأت بنوئك . ونار قدحت بزندك . وصفيحة فضل طبعت على نقدك ، وإنها لقصيدة ولدنا أبي معمر ، عمره الله تعالى ما اختار ، وعمر به الرباع والديار . خطت بأقدام الإجادة ، وقطعت مسافة الإصابة ، وسعت إلى كعبة القبول ، وحلت حرم الأمن خير الحلول . تلبي وقد تعرت من لباس التعمل ، وتجردت عن عطاف التبذك . فلم تدع منسكا من البر إلا قضته ، ولا مشعراً من الفضل إلا عمرته . ولا معرفا من العلم إلى شهدته ، ولا محصباً من الفهم إلا حضرته . واجتمعنا حولها وإنا لأعداد جمة ، وفينا واحد يقال إنه أمه ، كأنا عديد الموسم يعظمون الشعائر . ويعلقون الستائر . ويحتضنون الملتزم ، ويلثمون المستلم. وهذا الكتاب يرد عليكم بالخبر أسرع من اللمح البارق ، نعم ومن اللمع الخاطف ، وأخف من سابق الحجيج وإن كان المثل الأعلى لبيت الله العتيق . فأحمد الله إذ قرن فضل فتاك بفضلك ، وجعل فرعك كأصلك ، وأنبت غصنك على شجرك ، واشتق هلالك من قمرك ، وأراك من ظهرك ، ومن يحذو على نجرك[1] ، ويصل فخره بفخرك ، ويشيد من بناء الدراية ما أسست ، ويسقي من شجر الرواية ما غرست .

قال مؤلف الكتاب : فمن غرر شعر أبي معمر قوله من قصيدة الصاحب [من الخفيف] :

ما عهدتُ القضيب بالحقف ولا البدر للتّمام استسرا[2]
حبذا الطارق الذي زار وهناً فأعاد الظلام إذ زار فجرا
ثمل العِطف وهو ما نال خمراً عطر الحبيب وهو ما مسَّ عطرا

---

(١) النّجر : الأصل .

(٢) الحقف : الرمل الكثير ، واستسرّا : من السِّرار : وهو : الاختفاء ، أي عندما يكون القمر في المحاق .

والحياء الملمُّ بالخدِّ منه صيرفيٌّ يبدّل العين أخرى[1]
ضمَّني ضمَّة الوداع فعاد الشفع منا عند التعانق وترا[2]
وسقاني بفيه خمراً بروداً عاد بعد الفراق في القلب جمرا
ملكٌ طوعه الملوك علاءً وهو طوع العفاة جاهاً وقدرا
ملكٌ أنهب العروض فأضحى العرض منه على البرية حظرا
ملكٌ لا يرى سوى الحمدِ مالاً لا ولا الكنز غير ما جرَّ شكرا
فإذا المحل حلَّ حلَّ غماماً وإذا النقع ثار ثار هزبرا[3]
وإذا ما أفاد نحَّل كعباً وإذا ما أفات نهنه عمرا
وإذا ما سطا تطاول جهراً وإذا ما حبا تطوَّل سرًّا

وقوله من قصيدة في وصف الثلج [من الطويل]:

لك الخيرُ من سارٍ معانٍ على السُّرى نصبنا قرى الأرض الفضاء له قِرى
أجاز الدجى حتى أناخ إلى الضُّحى قلائصه غرُّ الشَّواكل والذرى[4]
فرحنا وقد بات السماء مع الثرى وغاب أديم الأرض عنَّا فما يُرى
كأنَّ غيوم الجوِّ صوَّاغ فضةٍ تواصوا برد الحلي عمداً إلى الورى
وللقطر نفحاتٌ تصوب خلالها كصوب دلاءِ البئر أسلمها العرى[5]
لقد عم إحسان الشتاء وبرده بلى خصَّ أرباب الدساكر والقرى

وقوله [من الرجز]:

وليلةٍ من الليالي القاسيهْ مدَّت ظلاماً كالجبال الراسيهْ

---

(1) العين: المال، والذهب والفضة.
(2) الشفع: المزدوج، والوتر: المفرد وهنا يقصد أنه استحال وحبيبه جسماً واحداً.
(3) المحل: انقطاع المطر، والنقع: الغبار، والهزبر: الأسد.
(4) أجاز: أي اجتاز وقطع، والقلائص: النوق، والشواكل: الطباع، والسجايا والجوانب.
(5) الدلاء: جمع دلو ما يستخرج به الماء من البئر، العرى: البرد.

فغـادرتْ كلّ الـورى سواسيه البيض دهمـاً والعـراة كاسيه[1]
لبستُهـا والصبـر من لباسيه بهمّـةٍ علـى الأسـى مواسيه
ونبعـةٍ صليبـة لا جاسيه حتى شممت الصبـح في أنفاسيه[2]
* فالصبر صبر النفس لا عن ناسيه *

وكتب إليه بعض العصريين من أهل نيسابور [من الخفيف] :

يا فريداً في المجـد غير مشاركْ عزَّ باريك في الـورى وتباركْ
يا أبـا معمـر عمُـرت ولا زا لت سعـود الأفـلاك تعمُـرُ داركْ
يـا هـلالَ الأنـام قـد كتب الأيـام فـي دفتـر العـلا آثـاركْ
ولسـانُ الزمـان يدرس في كـلّ مكانٍ علـى الـورى أخبارك
سيدي أنـت من يَشُـقُّ غبارك بأبـي أنـت من يروم فخارك
أنـت من فيه خالـق الخلـق بارك وحبـاك العـلا وزكّى نجارك
ما ترى في مناسـبٍ في الآ داب قد صار دأبـه تذكارك
شوَّقتـهُ إليـك أوصـافـك الغـرُّ فجـاب البـلاد حتـى زارك
هـل تـراه لديـك أهـلاً لأن تمنحـه يـا أخـا العـلا إيثـارك
فهـو ضيفٌ قراه أنفس علقٍ فاقـرِهِ الـودَّ واسقِـهِ أشعارك[3]
وتمـلّ الزمـان في ظلّ عيشٍ مثمـرٍ لا يمـلُّ قطُّ جوارك

فأجابه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

زارك الغيث وانتحـى القطـر داركْ كلّمـا التفَّ صوبـه وتداركْ
فلهـا من نداك ديمـة فضلٍ طبّقتهـا فأظهـرت آثارك[4]

---

(١) الدّهم : السواد .
(٢) الصليب : الخالص النسب الصافية ، والجاسية : التي يخالطها الفساد .
(٣) القرى : الضيافة ، والعلق : النفيس .
(٤) ديمة : المطر الذي يتساقط في سكون بلا رعد ولا برق .

ولهـا من علاك شمسٌ حوتها فهي تجلو على الورى أنوارك
وبهـا منك للعلـوم بحارٌ جاورتهـا فمن يخوض بحارك
يا قريباً في البرّ ما يتجافى وبعيداً إلى مدى لا يشارك
وبديعاً ملء الصفات فلو رمت فخاراً لما حصرت فخارك
جاءنا نظمك البديع فقلنا الـروض إمّا أعرته أو أعارك
هو روضٌ أطاعك الحسن فيه فأطاع الإحسان فيه اختيارك
وسطا بالبياض خطُّك حتى مدّ ليلاً وما خلعت نهارك
وتناهيت في الخطابة حتى عجز القرن أن يشُقّ غبارك[1]
راعه شأوك البعيد ومن يجري ويجري إذا رأى مضمارك[2]
فانثنى جامد القريحة يستشـعر أنّ الأشعار باتتْ شعارك
يا كريماً ضمّت عليه المعالي فادّرعها واشدد بها آزارك[3]
قد أتاك الثناء وهو أبيٌّ ذاك ممّا منحته إيثارك
فاصحبِ الفخر وامضِ في الخير قدماً واقضِ في طاعة الندى أوطارك[4]

***

٤ - القاضي أبو بشر الفضل بن محمد الجرجاني

صدر كثير الفضل . جم المناقب ، جزل الأدب ، فصيح القلم ، حريص على اقتناء الكتب . وله يقول الصاحب وقد اعتل [من الوافر] :

تشكّي الفضل مِنْ سَقَمٍ عراهُ فإن الفضل أجمع من أنينِهْ
وعاد بعقوتي يشكو جواه كما يحنو القرين على قرينه[5]

---

(١) القرن : المثيل ، ويشقّ غبارك : أي أن يلحق بك .
(٢) الشأو : السبق ، والمضمار : مكان تضمير الخيل من أجل السباق .
(٣) فادّرعها : أي جعلها درعاً يلبسه، والأزر: القوّة .
(٤) الأوطار : الغايات والمرامي .
(٥) العقوة : المحلّة وساحة الدار .

فقلــت له وقــاك الله فيه فإنَّ السعــد يطلــع من جبينه
هــو العين التــي أبصــرت منها وصــار سواد عينــي في جفونه
ستفــديه يمينــي لا شمالي فعين المــرء خيرٌ من يمينه

وكان ولاه قضاء جرجان : فلما انقضت أيام الصاحب وعـاد الأمير شمس المعالي من خراسان إلى مملكته ولاه قضاء قضاته مضافاً إلى رياسة جرجان ، وله شعر ينطق به لسـان فضلـه ، كقولـه من قصيدة في الأمير شمس المعالـي [مـن الخفيف] :

سنــةٌ أقبلــت مع الإقبال وزمــانٌ من الميامــن حالي
رفرفــت فوقنــا سحائــب نعمى مطرتنــا الســرور في كلّ حالِ
حسبــيَ الله في الأمــور نصيراً ثم حسبــي الأميرُ شمس المعالي
قد رآه خليفــة الله في الأر ض فريداً فقــال للاقبال
مــا رأينــا له مثــالاً وهذا لقــبٌ مثلــه فقيدُ المثال
عانـق اللفــظ وفــق معنــاه فانظر كيف أنس الأشــكال بالأشكال
وُلِــدا توأمين كالجســم والرو ح بعيدين من سمــاء المنال
ومعــالٍ مشتقّــةٍ من معانٍ ومعــانٍ مشتقّــةٍ من معالي
لــم ينــل من جــداهُ مِثــل الــذي نلــت ولا قيـل فــي عــلاه مقالـي[1]
ويشيع الــذي يشيد مــن المجـ ـد وقولـي يسيـر كالأمثــال
لي مــن شيبه ضياعي وأفرا سي ودوري وأعبدي وبغالي[2]
حــرس الله ملكــه ووقــاه فــي بقاءٍ يطيــب بالإمهــال
سايسُ الملك سالمُ النفس طلقُ العــــيش مستوفيــاً شــروط الكمــال

***

(١) جداه : عطاؤه .
(٢) والسيب : العطاء .

٥ ـ أبو القاسم العلوي الأطروش

من نازلي إستراباذ ، وأفاضل العلوية ، وأعيان أهل الأدب ، كتب إلى القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز رقعة تشتمل على النظم والنثر ، نسختها :

الشيخ أدام الله عزه قد أعلقني من مودته ما لا أزال أحرص عليه ، وأفادني حظاً كثرت المنافسة مني فيه ، إذ هو الأوحد الذي لا يجاري إلى غاية طول وكرم طبع . وإن من اعتلق منه سببا واستفاد منه وداً، فقد أحرز الغنيمة الباردة ، وفاز بالخير والسعادة، ورجوت أن تكون الحال بيننا زائدة ، إذ محله عندي المحل الذي لا يتقدمه فيه أحد ، وشغل قلبي بانقباضه عنّي مع الثّقة الوكيدة[1] بأني مغمور المحل عنده ، موفور الحظ من رأيه وعنايته ، لا أعدمني الله النعمة ببقائه ودوام سلامته ، وأنهضني بالحق في شكره ، وما هو إلا قصر النفس على تطلب محمدته والسعي بها إلى مرضاته . وقد كتبت في هذه الرقعة أبياتاً ، مع قلة بضاعتي في الشعر ، وكثرة معرفتي بأن من أهدي إليه الشعر الجيد المطمع الممتنع ، المصبوب في قالبه ، فكمن حمل التمر إلى هجر ، والقضب إلى اليمن[2] ، وهي هذه [من البسيط]:

يا وافر العلم والإنعام والمننِ ... ووافر العرض غير الشحم والسمن
لقد تذكرت شعر الموصليٍّ لما ... سمعت من لفظك العاري عن الدرن[3]
يا سرحة الماء قد سدّت موارده ... أما إليك طريقٌ يا أبا الحسن
إني رأيتك أعلى الناس منزلةً ... في العلم والشعر والآراء والفطن

---

(١) الوكيدة : الأكيدة .

(٢) هجر : بلدة كثيرة التمر ، وبلاد اليمن مشهورة بالسيوف حتى انه يقال للسيف يمان ، والقضب : هنا السيوف .

(٣) الدّرن : الوسخ ، أو ما يلطخ الثوب منه .

فاسمع شكاة ودودٍ ذي محافظةٍ يُغْفي المودة عند السرِّ والعلن
لقد نمتك ثقيفٌ يا عليُّ إلى مجدٍ سيبقى على الأيام والزمن
مجدٌ لو أنَّ رسول الله شاهده لقال إيهٍ أبا إسحاق للفتن
صلى الإله على المختار من رجلٍ ما ناحت الورق فوق الأيك والفنن(١)

فإن وقع فيها خطل أو زلل فعلى الشيخ اعتماد في إقالة العثرة وصرف الأمر إلى الجميل الذي يوازي فضله ويشاكل نبله . لأني كنت من قبل أهدي البيت والبيتين إلى الإخوان ، وبعد العهد به الآن . فإن رأى - أراه الله محابه ! - أن يتأمل ما خاطبته به فعل إن شاء الله .

وأنشدت له في بعض رؤساء جرجان [من المتقارب] :

خليليَّ فرًّا من الدهخذا خُذا حذراً من وداده خذا
يكنّى بسعدٍ ، ونحساً حذا وكلُّ الخلائق منه كذا

***

٦ - أبو نصر عبد الله بن محمد البجلي الإستراباذي

أنشدني أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : وجدت بخط البجلي هذه الأبيات من قصيدة في الأمير شمس المعالي [من البسيط] :

لله شمسان تذكيرٌ لخيرهِما وللمؤنَّثة النقصان ملتزمُ
أزرى بتلك سناً من غير معرفةٍ فيها ، وزين هذا المجد والكرم
يا أيُّها الملك الميمون طائره وخير من في الورى يمشي به قدم
لو كنت من قبلُ ترعانا وتحرسنا لما تهدّى إلينا الشيب والهرم

(١) الورق : الحمائم ، والأيك : الأشجار ، والفنن : الأغصان .

وأنشدني له غيره [من الكامل]:

دمعـي يفيضُ ولا يغيضُ كأنّما ... من ماء ذاك الوجـه جاد بمدِّهِ[1]
وأرى فؤادي فوق جمـرٍ محرقٍ ... فكأنّـه من فوق حمـرة خدِّهِ
وجـهٌ أعـار الصبـح من مبيضّهِ ... شعـرٌ أعـار الليل من مسودّهِ
وكأنّ وجنتـه اكتسـت من وصله ... وكأنّمـا الصِّدغ اكتسـى من صدّه[2]

***

٧ ـ فصل في ذكر شعراء طبرستان

أبو العلاء السبروي

واحد طبرستان أدباً وفضلاً ، ونظماً ونثراً . وقد تقدم ذكره فيما جمعه وابن العميد من مشاكلة الأدب . وما كان يجري بينهما من المساجلة في المكاتبة ، وله كتب وشعر سائر مشهور كثير الظرف والملح ، فمنها قوله [من الطويل]:

مررنا على الـروض الـذي قد تبسَّمتْ ... ذراه وأوداجُ الأبـارق تُسفَكُ[3]
فلـم نر شيئـاً كان أحسـن منظرا ... من الروض يجري دمعه وهو يضحك

وقوله من قصيدة [من البسيط]: .

أمـا ترى قضـب الأشجـار قد لبست ... أنوارهـا تتثنّـى بين جلاّسِ
منظومـةٌ كسمـوط الـدرّ لابسةٌ ... حسنـاً يبيح دم العنقـود للحاسي[4]
وغـرّدت خطبـاء الـطير ساجعةً ... علـى منابـر من وردٍ ومـن آسِ

---

(١) يغيض : يغور وينضب ، جاد : فاض تكرّم .
(٢) الصدغ : ما بين العين والأذن من جانب الوجه ، والصدّ : الامتناع .
(٣) الأوداج : عروق في العنق .
(٤) السمط : العقد ، والحاسي : الشارب .

وقوله في النرجس [من البسيط]:

حيّ الربيع فقد حيًّا بباكور من نرجس ٍ ببهاء الحسن مذكورِ
كأنّما جفنه بالغنج منفتحاً كأسٌ من التبر في منديل كافورِ

وقوله في التفاح [من الطويل]: .

وتفاحةٍ قد همتُ وجداً بظرفها فما شعرُ ذي حذقٍ يحيط بوصفها
أشبّهُ بالمعشوق حمرة نصفها وبالعاشق المهجور صفرة نصفها

وقوله في الغزل [من الكامل]:

ومعشّقِ الحركات تحسب نصفه لولا التمنطق بائناً من نصفه[1]
يسعى إليك بكأسه فكأنّما يسعى إليك بخدّه في كفه
يا من يسلّم خصره من ردفه سلّمْ فؤاد محبٍّه من طرفه[2]

ومن قصيدة [من الرجز]:

ذو طرّةٍ كأنّما ركّب في صفيحة الفضة شباك سبج[3]
وعارضٍ كالماء في رقته تزهر فيه وجنةٌ ذاتُ وهج
كأنّما نساج ديباجتِهِ من ورق النسرين والورد نسج

وقال [من الطويل]:

نبا قلبه من شغل قلبي بغيره فقلت: رويداً إنّما أنت أوّلُ[4]
فقال: دع العذر الضعيف فليس من يولّى على أمرٍ كمن عنهُ يُعزل

---

(١) التمنطق: وهو وضع النطاق على الخصر.
(٢) الردف: مؤخر كل شيء.
(٣) الطرّه: الجبهة، والسبج: الخرز الأسود.
(٤) نبا: نفر.

وقوله من قصيدة [من الخفيف]:

حـــيٌّ شيبـــا أتـــى لغير رحيل وشبابـــاً مضـــى لغير إياب
أيُّ شيءٍ يكون أحســـن من عا جِ مشيبٍ في آبنـــوس شباب

وكتب إليه شاعر غريب يشكو إليه حجابه أبياتاً أولها [من السريع]:

جئـــت إلـــى البـــاب مراراً فما إن زرت إلاّ قيل لي قد ركِبْ
وكان في الواجـــب يا سيدي أن لا تُرى عن مثلنـــا تحتجِبْ

فأجابه على ظهر رقعته [من السريع]:

ليس احتجابـــي عنـــك من جفوةٍ وغفلـــةٍ عن حرمـــةِ المغتربْ
لكنْ لدهـــرٍ نكدٍ خائنٍ مقصّـــرٍ بالحـــرِّ عمّـــا يجبْ
وكنـــت لا أحجـــبُ عن زائرٍ فالآن من ظلّـــيَ قد أحتجبْ

ومن سائر شعره قوله في غلام سكران [من المنسرح]: .

بالـــورد في وجنتيك من لطمَكْ؟ ومـــن سقـــاك المـــدام لِمْ ظلمكْ؟
خلاَّك ما تســـتفيقُ من سكرٍ توســـع شتمـــاً وجفـــوةً خدمكْ
مشـــوّش الصـــدغ قد ثملـــت فماً تمنـــع من لثـــم عاشـــقيك فمكْ
تجُـــرُّ فضـــل الـــرداء منخلـــع النعـ لين قد لوَّث الثـــرى قدمك
أظـــلُّ من حيرةٍ ومـــن دهشٍ أقـــول لمـــا رأيت مبتسمك
بالله يا أقحوانَ مبسمه علـــى قضيب العقيق من نظمك

***

٨ ـ أبو الفياض سعد بن أحمد الطبري

شاعر مفلّق، محسن مبدع، ممتد الأوضاح والغرر في شعر الصاحب، وهو القائل من قصيدة فيه، أولها [من البسيط]:

الدمـعُ يعـرِبُ ما لا يعـرب الكَلِمُ   والدمـع عدلٌ وبعض القـوم متَّهَمُ
أمَّـا يد الصَاحـب اليمنـى فأكرم ما   يدٌ تصاحَـب فيهـا السيف والقلم
وللأعنـة يسـري في أناملها   أعنّـةَ الـرزق والآجـالُ تنتظم(١)
تخـالف النـاس إلاّ في محبته   كأنّمـا بينهـم في حبِّـهِ رحم

ومنها في وصف أفراس قيدت إليه من فارس :

زارتْـكَ من فارسَ الغنّـاء ناشرةً   أعرافَهـا قائداهـا العتـق والكرمُ
كأنّ أعينهـا ولُيّنَ أرجلها   فالعين آمـرةٌ والرجـل ترتسمُ
من كلِّ أشهـبَ لم تكحـل بشهبته   عينـا فتـىً فدرى ما الظُّلْـمُ والظُّلَمُ(٢)
ومـن أغـرَّ يُراع العاشقـون له   كأنَّ غرَّتـه ثغـرٌ ومبتسمُ
وكلِّ أدهـم عمَّـت جسمـه شيةٌ   كجـدِّ قوم بغـوك الشـرّ فاصطلموا(٣)

ومنها في وصف الخلعة والسيف :

وخلعـةٍ تأسـر الأحـداق مخملةٍ   بالنـور للشـمس من لألائهـا سقمُ
وصـارمٍ لم يودِّع قطُّ مضجعَهُ   إلاّ وقـد ودّعـت أعناقهـا القمم
كالـكوكب الفـرد لكنْ إن رجمـتُ به   شيطـان حربٍ طوت أوصالـه الرّجم(٤)
يلقى السيوف بوجـهٍ مثـل وجهـك لم   يطلـع من الغمـد إلاّ قيل يبتسم

ومنها قوله في وصف السكين والدواة والأقلام :

ومطفِـلٍ من بنـات الزنـج مرضعةٍ   من لم تلـده ولـم يخلَق لهـا رحِمُ(٥)
حتـى إذا وضعـت عادت أجنتها   إلـى حشاهـا فلا طلـقٌ ولا وحم

---

(١) الأعنّة : جمع عنان وهو الزمام ، والآجال : الأعمار .
(٢) الأشهب : الأبيض الذي غلب على السواد أو بياضٌ يخالطه السواد .
(٣) الشيّة : كلّ لونٍ يخالف سائر لون الشيء أو العلامة ، واصطلم : قلع من أصله ، أي قضي عليه .
(٤) الرُّجُم : شهب تظهر في السماء وكأنّها نجوم تتساقط .
(٥) ومطفل : أي ذات طفل .

أعجب لأطفالها تبكي عيونهم ... إن أرضعتهُمْ ولا يبكون إن فطموا
ألأفُ مذروبةٍ إن تابعت لهم ... في الذبح صحوا وإن أعفتهم سقموا[1]

ومنها في وصف الدست[2]

وروضةٍ لم تولّ السحب صنعتها ... ولم تحطّ بها أثقالها الدِّيمُ
ترنو العيون إليها والشفاه فيجـنين العلا وهي إلاّ منهما حرم
تفترُّ عن شبل عبَّاد ولا عجبٌ ... فالأسد تفترُّ عنها الروض والأجم[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

بدويةٌ ضربت على حجراتها ... أيدي العريب من القنا أسداداً
ممَّن يعد الوحش أهلاً والفلا ... وطناً وأكباد الأعاديَ زادا
قالت وقد صبّت عليٍّ ذراعها ... فتمكَّنت فوق النجاد نجادا[4]
أوهى قناتك بعدنا حملُ القنا ... فطفقتَ تحمل منكباً منآدا[5]
يا هذه منُّ الوزير جفونه ... وإذا شكوت إليه عاد فزادا
صابت عليٍّ يمينه فكأنّما ... صابت عليٍّ يمينه حسَّادا[6]
فالعزُّ ضيفٌ لا يراه بربعه ... من لا يرى بذل التلاد تلادا[7]
والجود أعلى كعب كعبٍ قبلنا ... فمضى جواداً يوم مات جوادا
أغرت يمين ابنُ الأمين وفيضها ... بفنائه الورّاد والروادا
ودعت بني الآمال من أوطانهم ... فاستوطنوا الأكوار والأقتادا[8]

---

(١) المذروبة : السكين والمدية .
(٢) الدست : الصحراء ويقال « دشت » ووقع ذلك في شعر الأعشى ميمون بن قيس .
(٣) تفترّ : تكشف ، والأجم : الشجر الكثير الملتف .
(٤) النجاد : محمل السيف .
(٥) منآداً : تعباً ، من الأود ، وهو الإعوجاج أيضاً .
(٦) صابت : سالت وجادت .
(٧) التلاد : المال القديم الموروث .
(٨) الأكوار : جمع كور ، وهي المحمل ، والأقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل .

ومن قصيدة في أبي علي الحسن بن أحمد [من الوافر] :

لأختِ بني نمير في فؤادي ... صدىً أعيا على الماء النميرِ
ليالي كان عصيانُ المشيرِ ... ألذُّ لديَّ من رأيٍ مشورِ
وينظمنا العناقُ ولا رقيبٌ ... يروّعنا سوى القمر المنير
وغشّتني بمثل الكرم وحفٌ ... وبت أعلُّ من أشهى الخمور[1]
ولا كرمٌ سوى شعرٍ أثيثٍ ... ولا خمرٌ سوى خمر الثغور
أروضتنا سقاك الله هل لي ... إلى أفياء دوحك من مصير
غنينا في ذراك على غناءٍ ... يوافق رجعه سج الطيور[2]
وكم في فرع أثلك من صفيرٍ ... وكم في أصل أثلك من زفير[3]
وأحشاءٍ تؤلِّفها الحشايا ... كتأليف العقود على النحور
وشدوٍ ترقص الأعضاء منه ... ويمٌ لا يملُّ عِراكَ زيرِ[4]
فيا لك روضةٌ راحت فراحت ... رضى الأبصار من نَوْرٍ ونورِ
أطاعتها عيون الغيث حتى ... جزتها الشكر ألسنةُ الشكورِ
كسون ظهورها ما تكتسيه ... بطون الصحف من فكر الوزيرِ
إذا الحسن بن أحمد زفَّ خيلاً ... يلفُّ بها السهول على الوعورِ
عرائس تحمل الفرسان شوساً ... كعقبانٍ تمطّى بالصقور[5]
فقلْ في حومةٍ تعطى بنيها ... ببيض الهند بيضاتِ الخدور[6]
أولئك معشرٌ لهمُ نفوسٌ ... تكلِّفهم جسيماتِ الأمور
شعاب المجد سابلةٌ عليهم ... ومن ينهى الشعاب عن البحور

(١) الوحف : الشعر الكثير الأسود ، أو النبات الريّان ، وأعلّ : أنهل .
(٢) رجع الطيور : أصواتها المتتابعة على نسقٍ واحد ، والسجح أصواتها أيضاً المتناغمة المتناسقة .
(٣) والأثل : الأصل والمجد .
(٤) اليمّ : البحر والماء الكثير ، والزير : الجرّة الضخمة .
(٥) شوساً : أشداء ، والعرائس كناية عن الخيل ، وتمطّى : تتبختر وتمتد .
(٦) بيض الهند : السيوف ، وبيضات الخدور : النساء السيّدات المترفات .

ومن أخرى [من الكامل] :

لله ما جمعتْ على عشّاقها ... تلك العيونُ ولحظُها السحَّارُ
فصفاحها أحداقها ورماحها ... ألحاظها وطعانها الآثارُ
وحرابها في حربها لمحبِّها ... أهدابها وشفارها الأشفار
سارت أمامة فيك سيرة أهلها ... في كلٍّ من نمَّت عليه نار[1]
قومٌ إذا ابتسم الصباح أغاروا ... في كلِّ حيٍّ أنجدوا أم غاروا
يا هذه هلاً علقتِ فِعالَهُمْ ... فيمن عنوا بجواره فأجاروا
لن يستجيب خمارها لمحبِّها ... حتى يخاضَ إلى الخمار غمار[2]
بكُرَتْ يشيعها القنا الخطَّارُ ... وتعيثُ في طلابها الأخطار[3]
قالوا سيوجدك الربيع صفاتها ... فلحسنه من حسنها تذكار
فوجدت حبِّي مكرهاً في فعله ... وكلاهما في فعله مكَّار
يبكي ويضحك والدموع غزيرةٌ ... ويبينُ في استغرابه استعبار
فكأنَّهُ هي إذْ تفيضُ دموعها ... بين البكا والضحك حين تغار
عبقت بما علقتْهُ من أنفاسها ... ساعاته فكأنّها أسحار
وتبلَّجت آصاله وتبرّجت ... فكأنّما أبكاره الأبكارُ
أنظر إلى النيروز كيف تسوقه ... سحبٌ كأجفان المحبٍّ غِزارُ
سحبٌ متى سحبت على هام الرُّبى ... أذيالها فغبارها الأمطار
فالأرض أرضٌ والسماء كأنّها ... روضٌ ولكنْ زهرها الأزهار
ومصرَّعين من الخمار وما بهم ... غير السرور على السرور خمار[4]
جمحوا على الفلك المدار فكأسهُمْ ... فلكٌ بما تهوي النفوس مدار

---

(١) نمَّت : أظهرت ودلّت .

(٢) الخمار : الخباء ، والغمار : المخاطر .

(٣) القنا الخطار : الرمح الخارق .

(٤) مصرّعين : مقتّلين ، صرعى ، والخمار مفعول الخمرة في الانسان .

ولأهــم الأستــاذ مولانــا المنى فترشّفــوا من عيشهــم ما اختاروا
يا دولــةَ الحســن بن أحمــد خيِّمي ما طارد الليل البهيم نهار

ومنها في وصف القلم :

لمــا زممــتُ الدهــر عن أفعالِهِ فلــه بأثنــاء الزِّمــام عثارُ[1]
حمِّلــتُ عبء الدهــر أظمــى مخطفاً تعنــو له الأسمــاع والأبصار
وسبــرت غور الــدين والــدنيا به فكأنّــه من ضمــره مسبار[2]
أعجــب به يجــري علــى يافوخه رهــواً وتجــري تحتــه الأقدار[3]
فكأنّــه الفلك المــدار بعينِه وسعــودِهِ ونحوسِــهِ أطوار
جمعتــه والرمــح الأصــمُّ ولادةٌ ولــه من السيف الصــقيل غِرار[4]

وله من أخرى في أبي العباس الضبي [من الطويل] :

وإنِّــي وأفــواف القــريض أحوكها لأشعــرُ من حاك القــريض وأقدرا[5]
كمــا تضــرب الأمثــال وهــي كثيرةٌ بمستبضــع تمــراً إلــى أهــل خيبرا[6]
ولكنّنــي أمَّلــتُ عنــدك مطلباً أنكِّبــه عمَّــن ورائــي من الورى
ألــم تر أنّ ابــن الأمير أجارني ولم يرض من أذرائه لي سوى الذرى
وأوطأنــي الشعــرى بشعــري منعَّما ليفطمني عن خلقي السير والسُّرى[7]
ولــي أمــلٌ شدّت قواي عداته ثلاثــة أعــوامٍ تباعــاً وأشهرا
عدا الدهــر عنــه كي يفــوز بشكره فكن عنــد ظنِّــي شافعــاً ومذكرا

(١) عثار : سقطات وهفوات .
(٢) ضمره : نحالته ، والمسبار : ما يسير به الجرح أو نحو ، أي يمتحن عمقه .
(٣) اليافوخ : ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخره ، رهواً : مسرعاً ، أو بسهولة .
(٤) الغرار : حدّ السيف .
(٥) الأفواف : نوع من الثياب المخطّطة الرقيقة ، والقريض : الشعر .
(٦) مستيضع : أي يحمل التمر بضاعة الى خيبر وهي بلدٌ مشهورة بالتمر كهجر .
(٧) الشعرى : نجم في السماء ، والسُّرى : المسير في الليل .

ومن أخرى [من الكامل] :

أصبيحــةَ النيروز خير صبيحةٍ حيِيَتْ بهــا الأنــواء والأنوارُ
فبــكلِّ شعــبٍ روضــةٌ معطار تفتــرٌ عنهــا ديمــةٌ مدرارٌ(1)
ماسـت بهـا الأفنــان في أسحارها نشـوى فماسـت تحتهــا الأشجار
وتبرَّجــتْ أزهارهــا وتبلَّجت فكأنَّمــا أزهارهــا أبصار
وتحدَّثــتْ عنهــا الـرياض كأنَّما بين الـرياض ، ولا سرار سرار(2)
وعصابــةٌ للــروض من قسماتهم روضٌ ومــن أنوارهــم نوَّار
يتـذاكرون علـى علاك فتلتقـي الــــكاسـاتُ والأوتــار والأشعار

* * *

٩ ـ أبو هاشم العلوي الطبري

هو الذي يقول فيه الصاحب [من المنسرح] :

إنَّ أبــا هاشــمٍ يدُ الشرفِ مادحــهُ آمــنٌ من السَّرفِ(3)
حــلَّ من المجــد في أواسطه وخلَّف العــالمين في طَرَفِ(4)

وأبو هاشم هو القائل [من الكامل] :

وإذا الـكريم نبــتْ به أيامه لم ينتعش إلاَّ بعــونِ كريم
فَأَعِنْ على الخطب العـظيم فإنّما يُرجى الـكريم لدفــع كلِّ عظيم

وكتب إليه الصاحب ، وقد اعتل [من الطويل] :

أبــا هاشــمٍ ما لــي أراك عليلا ترفَّــقْ بنفس المكرمــاتِ قليلا

(١) ديمة مدرار : أي ديمة هطلاء .

(٢) ولا سرار : ولا خفاء ، وسرار : أي أسرار .

(٣) السرَف : مجاوزة الحدّ والاعتدال .

(٤) في طرف : يعني خلفه .

لترفع عن قلب النبيّ حزازةً وتدفع عن صدر الوصيّ غليلا[1]
فلو كان من بعد النبيين معجزٌ لكنت على صدق النبيٍّ دليلا

وكتب أبو هاشم إلى الصاحب [من الطويل] :

دعوت إلّه الناس شهراً مجرَّماً ليدفع سقم الصاحب المتفضلِ[2]
إلى بدني أو مهجتي فاستجاب لي فها أنا مولانا من السقم ممتلي
فشكراً لربّي حين حوَّل سقمه إليَّ وعافاه ببرءٍ معجَّلِ
وأسأل ربِّي أن يديم علاءه فليس سواه مفزعٌ لبني علي[3]

فأجابه الصاحب [من الطويل] :

أبا هاشمٍ لم أرضَ هاتيك دعوةٍ وإن صدرت عن مخلصٍ متطوِّلِ
فلا عيشَ لي حتّى تدوم مُسَلَّماً وصرفُ الليالي عن ذراك بمعزل
فإن نزلتْ يوماً بجسمك علّةٌ وحاشاك فيها يا علاءَ بني علي
فناد بها في الحال غير مؤخر إلى جسم إسماعيل دوني تحوّلي

وأطال الله بقاء مولاي الشريف ما علمت ، ولو علمت لعدت . أغناه الله بحسن العادة عن العيادة ، وهو حسبي .

ولأبي هاشم في فخر الدولة [من السريع] :

يا فلكَ الأرض وبحر الورى وشمس ملكٍ ما لها من مغيبْ
دعوتُ مولاك بنيل المنى وقد أجاب الله وهو المجيبْ
فقال خذْ ما شئت مستولياً ودبِّر الدنيا برأيٍ مُصيب
يا منْ كتبْنا فوق أعلامه نصرٌ من الله وفتحٌ قريب

---

(1) الحزازة : الألم والأثر ، الغليل : شدّة العطش .
(2) شهراً مجرّماً : أي شهراً تاماً .
(3) مفزع : ملجأ .

الباب العاشر

١٠ ـ في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وإيراد نبذ مما أسفر عنه طبع مجده ، وألقاه بحر علمه ، على لسان فضله .

أختم بها هذا الجزء الثالث من كتابي هذا ، بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم ، وإلى فصل الحكمة نفاذ الحكم . فأوصافه لا تدرك بالعبارات ، ولا تدخل تحت العرف والعادات . وإلى أن أعمل[1] كتاباً في أخباره وسيره ، وذكر خصائصه ومآثره ، التي تفرد بها عن ملوك عصره . فإني أتوج هذا الكتاب بلمع من ثمار بلاغته التي هي أقل محاسنه ومآثره . وأكتب فصولاً من عالي نثره ، مختومة ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه .

ما يجري مجرى الأمثال من كلامه

الكريم إذا وعد لم يخلف ، وإذا نهض لفضيلة لم يقف * الرجاء كنور في كمام[2] ، والوفاء كنور في ظلام، ولا بد للنور أن يتفتح ، وللنور أن يتوضح * العفو عن المجرم من مواجب الكرم ، وقبول المعذرة من محاسن الشيم * بزند الشفيع تورى القداح، ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح * الوسائل أقدام ذوي

(١) في المطبوعتين « وآن لي أن أعمل » .

(٢) الكمام: وعاء الطلع ، أو غطاء الزهر .

الحاجات ، والشفاعات مفاتيح الطلبات * من أقعدته نكاية الأيام ، أقامته إغاثة الكرام * من ألبسه الليل ثوب ظلمائه ، نزعه عنه النهار بضيائه * قوة الجناح بالقوادم والخوافي[1] ، وعمل الرماح بالأسنة والعوالي * اقتناء المناقب ، باحتمال المتاعب ، وإحراز الذكر الجميل ، بالسعي في الخطب الجليل * الدنيا دار تغرير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، وأهلها متصرفون بين وِرْدٍ وصدر[2] ، وصائرون خبراً بعد أثر * غاية كلُّ متحرك سكون . ونهاية كل متكوّن أن لا يكون ، وآخر الأحياء فناء ، والجزع على الأموات عناء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فلم التهالك على هالك * حشو هذا الدهر أحزان وهموم ، وصفوه من غير كدر معدوم * إذا سمح الدهر بالحباء[3] ، فأبشر بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أغار * للدهر طعمان حلو ومر ، وللأيام صرفان عسر ويسر ، والخلق معروض على طوريه ، مقسوم الأحوال بين دوريه * لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بعد المدى * ترك الجواب ، داعية الارتياب ، والحاجة في الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء * هم المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طويل * النجيب إذا جرى لم يشق غباره ، والشهاب إذا سرى لم تلحق آثاره ، من أين للضباب ، صوت السحاب ، وللغراب هوى العقاب * هيهات أن تكتسب الأرض لطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء * كل غم إلى انحسار ، وكل عال إلى انحدار .

فصل ـ يستحسن الشيخ أن يخرس عنه ألسنة الحمد ، وتلتوي عليه حواجب المجد ، فقد احتجب صبح ذلك الأمر . وصار مطلوباً في ليلة القدر فإن كان أنزله من قلبه ناحية النسيان . وباع جليل الربح به في سوق الخسران فيستحي له فضله من فعله ، وكفى به نائباً عني في عذله ، وإن كان لعذر دعاه إلى التواني ،

(١) القوادم : ريش مقدمة الجناح ، والخوافي: الريش الذي يليه .

(٢) وردٍ وصدر : أي نهول وارتواء وذهابٌ وإياب .

(٣) الحباء : بالعطية .

فقد أربى ذلك على سير السواني وكلا فإن كرمه يراوده عن أشرف الخصال ، ويأبى له إلا محاسن الأفعال .

فصل - عاد فلان وقد علته بشاشة النجاح ، ودبت فيه نشوة الارتياح ، تلوح مسرة اليسر على جبينه ، وتصيح بانقضاء العسر أسرة يمينه .

فصل - وأما إعجاب ذلك الفاضل بالفصول التي عرضتها عليه ، فلم يكن على ما أحسبه إلا لخلة واحدة وهي أنه وجد فناً في غير أهله فاستغربه ، وفرعا في غير أصله فاستبدعه . وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق[2] ، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق. ولكنك فيما أقدمت عليه من بسط اللسان بحضرته ، وإرخاء العنان فيه بمشهده كنت كمن صالت بوقاحته الحجر ، وحاسن بقباحته القمر . ولا كلام فيما مضى ، ولا عتب فيما اتفق .

فصل - وجرى توقيع له قبيح بمن تسمو همته ، إلى قصد من تغلو عنده قيمته ، أن تكون على غيره عرجته ، أو إلى سوى بيته زيارته وحجته .

* * *

ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر ، قال [من البسيط] .

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا ... هل حارب الدهر إلاَّ من له خطَرُ
أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ ... ويستقرُّ بأقصى قعره الدررُ
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم ما لها عددٌ ... وليس يُكسَفُ إلا الشمس والقَمر

كأنه ألمَّ فيها بقول ابن الرومي [من الكامل]:

دهرٌ علا قدر الوضيع به ... وترى الشريف يحطُّه شرَفُهْ

(١) سير السواني : نوع من السّير ، والتسوّن : استرخاء البطن ، وسوان : كغراب ، اسم علم .
(٢) الزّعاق : المر الغليظ .

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً ، وتعلو فوقه جيفُهْ

ومثله [من البسيط]:

بالله لا تنهضي يا دولة السفل وقصّري فضل ما أرخيت من طوَل[1]
أسرفت فاقتدي جاوزت فانصرفي عن التهور ثم أمشي على مهل
مخدَّمون ولم تخدم أوائلهم مخوَّلون وكانوا أرذل الخول[2]

وينسب له هذان البيتان ، وقد يغنّى بها [من الكامل]:

خطراتُ ذكرك تستثير مودَّتي فأحسُّ منها في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي إلا وفيه صبابةٌ فكأنَّ أعضائي خلقن قلوبا

هذا آخر القسم الثالث من كتاب «يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر» حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويليه القسم الرابع «في محاسن أهل خراسان وما رواء النهر» نسأل الله تعالى أن يعين على إكماله بمنه وفضله .

***

(١) الطوَل : التمادي في الأمر .
(٢) الخول : العبيد والخدم .

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستظرف من أخبارهم . وخاصة أهل نيسابور . والغرباء الطارئين عليها . والمقيمين بها .

قال مؤلف الكتاب :

لما كان أول الكتاب مرتهناً بآخره ، وصدره موقوفاً على عجزه ، ولم تكد تحصل تمام الفائدة في فاتحته وواسطته ، إلا عند الفراغ من خاتمته ، واستعنت الله تعالى على عمل هذا الربع الرابع منه ، وأخرجته في عشرة أبواب ، والله سبحانه الموفق للصواب .

***

الباب الأول

في إيراد محاسن وظرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلا وتقدموهم يسيرا ، ومن أبناء الدولة السامانية ، وإنشاء الحضرةالبخارية ، وسائر شعراء خراسان الذين هم ـ مع قرب العهد ـ في حكم أهل العصر.

***

١١ ـ أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب

أبوه أبو بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد ، ووزير الأمير أحمد بن إسماعيل قبل أبي عبد الله الجبهاني الكبير ، وكان أبو أحمد ربيب النعمة ، وغذي الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه في الآفاق ، وهو القائل [من البسيط] :

لا تعجبنْ من عراقيٍّ رأيتَ لهُ ... بحراً من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجبْ لمن ببلاد الجهل منشؤهُ ... إن كان يفرِق بين الرأس والذنب

وكان يجري في طريق ابن بسام ، ويقفو أثره في عبث اللسان ، وشكوى الزمان ، واستزادة السلطان ، وهجاء السادة والإخوان ، ويتشبه به في أكثر الأحوال ، وكان ابن بسام هجا أباه وأخاه حتى قيل فيه [من المجتث] :

مـــن كان يهجـــو علياً فشعـــره قد هجاه
لـــو أنّـــه لأبيه ما كان يهجـــو أباه

فضرب أبو أحمد على قالبه ، ونسج على منواله ، حتى قال في أبيه [من مجزوء الكامل] : .

لـــي والـــدٌ متحاملٌ من غير ما جرمٍ عَمِلتُهْ
إن لم يكنْ أشنـــى إليّ من المنـــون فلا عدمتُهْ[1]

وقال في أخيه منصور [من الوافر] :

أبـــوك أبـــي وأنـــت أخـــي ولكنْ أبـــي قد كان يبـــذرُ في السِّباخ[2]
تجارينـــي فلا تجـــري كجريي وهـــل تجـــري البيادق كالرخاخ[3]

وكان يرى نفسه أحق بالوزارة من الجبهاني والبلغمي لما له فيها من الوراثة مع التبريز في الأدب والكتابة ، ولا يزال يطعن عليهما ويصرح بهجائهمـا ، ولا يوفيهما حق الخدمة والحشمة ، حتى أوحشاه وأخافاه فذهب مغاضباً ولجّ وحجّ . ثم أقام ببغداد برهة وحنّ إلى وطنه فعاود بخارى ، وحين حصل بقرية يقال لها آمل قال فأحسن [من مخلع البسيط] :

قطعـــتُ من آمـــلَ المفازه قَطْعـــاً به آمـــلُ المفازه[4]

ولم ير ببخارى غير ما يكره من إعراض الأمير ، واستخفاف الوزير . فلزم منزله ، واشتغل باتخاذ الندماء ، وعقد مجالس الأنس ، والجري في ميدان العزف والقصف ، وجعل يتخرق في تبذير ماله ، حتى رقت حاشية حاله . وكان مولعـاً

(١) أشنى : أبغض .
(٢) السِّباخ : الأرض المالحة التي لا تصلح للزراعة .
(٣) البيادق والرخاخ : بعض حجارة الشطرنج .
(٤) المفازة : الأرض الصعبة الكثيرة الهلاك .

بشعر العطوي حافظاً لديوانه ، مقدماً على نظرائه ، كثير المحاضرة بأمثاله وغرره في مخاطبته ومكاتباته ، فلقب بالعطواني ، وفيه يقول أبو منصور العبدوني وكان من ندمائه مع أبي الطيب الطاهري والمصعبي [من الطويل] :

أبـا أحمـدٍ ضيَّعـتَ بالخـرق نعمةً أفادكهـا السلطـان والأبوانِ[1]
فقـد صرتَ مهتـوكَ الجوانـب كلِّها ولُقِّبـتَ للإدبـار بالعطواني
وأفـكرت في عودٍ إلـى ما أضعته وقـد حيل بين العير والنزوانِ[2]
فرأيك في الإدبـار رأيٌ أخذته وعلِّمتـهُ من مِشية السرطان

ثم إنه تقلد أعمال هراة وبوشنـج وبـاذغيث ، فشخص إلـى رأس عملـه واستخلف عليه أبا طلحة قسورة بن محمد واصطنعه ونوه به حتى صار بعده من رؤساء العمال بخراسان، وكان قسورة من أولع الناس بالتصحيفات فقـال له أبـو أحمد يوماً : إن أخرجت مصحفاً أسألك عنه وصلتك بمائة دينار ، قال : أرجو أن لا أقصر عن إخراجه ، فقال أبو أحمد : في قشور هينم جمد ، فوقف حمار قسورة وتبلد طبعه وتقشر فلسه ، فقال : إن رأى الشيخ أن يمهلني يوماً فعل ، فقـال : أمهلتك سنة ، فحال الحول ولم يقطع شعرة ، فقال له أبو أحمـد : هو اسمـك قسورة بن محمد ، فازداد خجله وأسفه ، وعلى ذكر أبي طلحة فإنه كان كوسجا وفيه يقول اللحام [من السريع] :

ويك أبـا طلحـة ما تستحي بلغـت سبعين ولـم تلتحي

ولما استعفى أبو أحمد من عمله وخطب بنيسابور أجيب إلى مراده فمن قوله بنيسابور وقد طالب العمال أرباب الضياع ببقايا الخراج [من الوافر] :

سـلام الله منّـي كلَّ يومٍ علـى كُتّـابِ ديوان الخراج
يرومـون البغـايا في زمانٍ عجزنـا فيه عن مال الزواج

(١) الخرق : الجهل .
(٢) النزوان : المطامع والمطامح .

وبلغه أن الساجي هجاه بالحضرة فقال [من البسيط] :

إنّـا أنـاسٌ إذا أفعالنـا مدحتْ أنسابنـا فهجينـا لم نخف عارا
وإن هجونـا بسـوء الفعـل أنفسنا فليس يرفعنـا مدحٌ وإن سارا

وقال للجبهاني [من الخفيف] :

أيهـا السيد الـرئيس ومـن ليـس عليه فضـلاً ونبـلاً قياسُ
أنت سهـلُ الطبـاع مرتفـعَ القد ر ولـكنْ منادمـوك خساسُ

ومن هجائه قوله فيه [من الخفيف] :

يا ابـن جبهـان لا وحقِّـك لا تصـلح فاغضـب أو فارضينْ بالحراسهْ
عجبـاً للجميع إذ نصبّـوا مثـلك في صدر ملكهـم للرياسهْ
ولـو أنّ التـدبير والحـكم في الخلـق علـى العـدل ما وليت كناسه

ومن أمثاله السائرة قوله [من الطويل] :

إذا لم يكن للمـرء في دولـة امرىءٍ نصيبٌ ولا حـظٌّ تمنّـى زوالها
ومـا ذاك من بغضٍ لهـا غير أنَّه يرجي سواهـا فهـو يهـوى انتقالها

وقوله [من الكامل] :

إنـي وجعفـر بعـد ما جرّبتهُ وبلـوتُ في أحوالـه أخلاقَهُ
كمعيد شكٍّ في خرا قد شمَّهُ فأراد معرفـة اليقينِ فذاقَهُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

أحسـن إذا أحسـن الزمان وصـحَّ منـه لك الضمانْ
بـادر بإحسانـك الليالي فليس من غدرهـا أمانْ

وكتب إلى أبي نصر بن أبي حبة يستزيره فلم يجبه واعتذر بعلة فكتب إليه أبو أحمد [من المتقارب] :

تعاللــت حين أتــاك الرسولْ وليس كذاك يكون الوصولْ
وأقســم ما نابــك من علةٍ ولـكن رأيك فينــا عليل

ومما يستحسن لأبي أحمد قوله [من البسيط]:

اختــرْ لكأســك ندمانــاً تسرُّبهم أولا فنــادِمْ عليهــا جلَّــة الكتبِ
فالأنس بين ندامــى سادةٍ نجبٍ منــزَّهين عن الفحشــاء والرِّيبِ
هذا يفيدك علمــاً بالنجــوم وذا يأتيك بالخير المستظــرف العجب
وبين كتــبٍ إذا غابــوا فأنــت بها في أنــزه الــروض بين العلــم والأدبِ
إذا أنســت ببيتٍ مرَّ مقتضبٍ أفضــى إلــى خبــرٍ يلهيك منتخب
ويكمــلُ الأنسَ ساقٍ مرهفٍ غنجٍ يسعــى بياقوتــةٍ سلَّــتْ من العنب
فأنــت من جدٍّ ذا في منظــرٍ أنقٍ وأنــت من هزلِ ذا في مرتعٍ خصب
وخير عمــر الفتــى عمــرٌ يعيش به مقسَّــم الحــال بين الجــدِّ واللعب
فحــظٌّ ذلك من علــمٍ ومــن أدبٍ وحــظٌّ هذا من اللَّــذات والطرب

وحكي أن أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه . فقال أبو أحمد : إن فيه أربع فوائد :

إحداها : السنة المأثورة من غير وجه عن النبيﷺ أنه كان يتختم في اليمين ، وكذلك الخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفين والحكمين ما كان حين خطب عمرو بن العاص فقال : ألا إني خلعت الخلافة من علي كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري ، فبقيت سنة عمرو بين العامة إلى يومنا هذا .

والثانية من كتاب الله تعالى ، وهي قوله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ومعلوم أن اليمين أقوى من اليسار ، فالواجب أن يكلف حمل الأشياء الأقوى دون الأضعف.

والثالثة من القياس ، وهو أن النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح ، والأدب في الاستنجاء باليسار ، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى ، فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة .

والرابعة : أن الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسية (انكشت أراى) فاليمين أولى به من اليسار .

ولما عاود أبو أحمد بخارى من نيسابور، وورد على ماله كدر وأسباب مختلفة مختلة وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه ، وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتي منصور الفقيه ، فقال : [من الكامل] :

قد قلتُ إذ مدحوا الحياة سرفوا ... في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعْرَفُ
منها أمانُ لقائه بلقائه ... وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا ينصف

وقال في معناهما [من الكامل] :

من كان يرجو أن يعيش فإنّني ... أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا[1]
في الموت ألفُ فضيلةٍ لو أنَّها ... عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية في آناء ليله ونهاره (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) فقال بعض أصدقائه : إنا لله ، قتل أبو أحمد نفسه ، فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات .

***

(١) العتق : التحرير ، وعتق رقبة : أي تحريرها من الرّق .

١٢ ـ أبو الطيب الطاهري

هو طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب ، ومزية الأدب ، إلا أن لسانه كان مقراض[1] الأعراض ، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه ، وتتبرأ منه نفسه . وكان وقع في صباه في شرذمة من أهل بيته إلى بخارى فارتبط بها وردت عليه ضياع نفيسة للطاهرية فتعيّش بها ، وكان يخدم آل سامان جهراً ، ويهجوهم سراً . ويطوي على بغض شديد لهم . ويتمنى زوال ملكهم وزوال أمرهم ، لما يرى من ملك أسلافه في أيديهم . ويضع لسانه حيث شاء من ثلبهم[2] ، وذم وزرائهم وأركان دولتهم ، وهجاء بخارى مقر حضرتهم ومركز عزهم

فحدثني أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الحربي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول في يوم من أيام وروده نيسابور على ديوانها : إن أصحاب أخبار السر كانوا ينهون إلى كل من الأميرين الشهيد والسعيد في أيامهما ما يقدم عليه هذا الطاهري من هجائهما ، فيغضبان عليه ويهبان جرمه لأصله وفضله ، ويتذممان من قتل مثله ، فدخل يوماً على السعيد نصر بن أحمد فهش له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث : يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس ؟ فنكس رأسه حياء ، ثم قام يجر ذيل خجل ووجل . ولم يعد لعادته في التولع به .

قال أبو زكرياء : ومما يحكى من كلمات السعيد الوجيزة الدالة على فضله وكرمه قوله لأبي غسان التميمي وقد حمل إلى حضرته في يوم المهرجان كتاباً من تأليفه : ما هذا يا أبا غسان ؟ قال : كتاب أدب النفس ، قال : فلم لا تعمل به ؟ وكان أبو غسان من الأدباء الذين يسيئون آدابهم في المجالس .

---

(١) المقراض : من قرض أي قطع .

(٢) ثلبهم : ذمُّهم وإعابتهم .

ومن ملح هجاء أبي الطيب للشهيد قوله [من الخفيف]:

طـال غزو الأمير للبـطِّ حتى ... ما له عن عداتـه إقفالُ
فهنيئـاً له هنيئـاً مريئاً ... كلُّ قرنٍ لقرنـه قتّال

وقوله [من الوافر]:

بخـارى من خرى لاشـك فيه ... يعزُّ بربعهـا الشـيء النظيفُ
فـإن قلـت الأمير بهـا مقيمٌ ... فذا من فخـر مفتخـرٍ ضعيفُ
إذا كان الأمير خرا فقـل لي ... أليس الخرء موضعـه الكنيف[1]

وهو أول من هجا بخارى وذمها ووصف ضيقها ونتنها ، حتى اقتدى به غيره في ذكرها ، فقال أبو أحمد بن أبي بكر [من الوافر]:

لـو الفـرس العتيق أتـى بخارى ... لصـار بطبعـه فيهـا حمارا
فلـم تر مثلهـا عينـي كنيفاً ... تبـوّأه أمير الشـرق دارا

وقال ، ويروى لأبي الطيب [من الهزج] :

بخـارى كـلُّ شيءٍ ... منـك يا شوهـاء مقلوبُ
قضـاةُ النـاس ركّابٌ ... فلـم قاضيك مركوبُ

وقال أبو منصور العبدوي [من الطويل] :

إذا ما بلاد الله طاب نسيمها ... وفاحتْ لدى الأسحـار ريحُ البنفسجِ
رأيت بخـارى جيفـة الأرض كلّها ... كأنّـك منهـا قاعـدٌ وسـط مخرجِ [2]
فيا ربّ أصلـح أهلهـا وانف نتنها ... وإلاّ فعنهـا ربٌّ حوِّل وفرِّجِ

(١) الكنيف : بيت الخلاء ـ المرحاض .
(٢) الجيفة : الجثّة النتنة ، ويريد بالمخرج : مكان الخروج حيث الروائح الكريهة .

وقال أبو منصور الخزرجي ، ويروى لأبي أحمد [من مجزوء الرمل] :

فقحةُ الـدنيا بخارى ولنا فيها اقتحام[1]
ليتها تفسو بنا الآ ن فقد طال المقام

وقال الغربيامي [من السريع] :

ما بلدةٌ منتنةٌ من خرا وأهلها في جوفها دودُ
تلك بخارى من بُخار الخرى يضيع فيها النـدُّ والعودُ[2]

وقال أبو علي الساجي [من السريع] :

باء بخارى فاعلمن زائده والألف الأولى بلا فائده
فهي خرا محضٌ وسكانها كالطير في أقفاصها آبده

وقال الحسن بن علي المروروذي [من الوافر] :

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج إن خرجنا طائعينا
فأخرجنا إلّه الناس منها (فإن عدنا فإنا ظالمونا)

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

أودى ملوك بني ساسان وانقرضوا وأصبح الملك ما ينفكُّ ينتقضُ
أضحت إمارتهم فيهم وجوهرهُمْ عبيدهم وهم في عرضها عرض
فليبكِ من كان منهم باكياً أبداً فما لما فاتهم من ملكهم عوضُ
من لان مرقده فالدهرُ مبدلُهُ عنه فراشاً له من تحته قضضُ[3]
هاتيك عادته فيمن تقدَّمهم وكلٌّ مرتفعٍ يوماً سينخفض

(١) فقحة الدنيا : الفقحة مكان مسيل القاذورات .
(٢) الندّ والعود : نوعان من الأشجار طيبا الرائحة .
(٣) القضض : التراب وصغار الحصى، وقضّ المضجع : أي خشن .

دعهمْ إلى سقرٍ واشربْ على طربٍ　　فالفجرُ في الأفق الغربي معترض[1]
غدا الربيع علينا والنهار به　　يمتدُّ منبسطاً والليلُ مُنقبض
والنور يضحك في خضر البنان ضحىً　　والبرق مبتسمٌ والرعد مؤتمض[2]
وقوّضتْ دولةٌ قد كنت أكرهها　　وزال ما كان منه الهمُّ والمرض
إن أنت لم تصطبح أو تغتبق فمتى　　الآنَ بادر فإنَّ اللهو مفترض[3]

ومن عجيب ما يحكى عن أبي الطيب أنه كتب إلى أخيه أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين [من الوافر] :

وإنّي والمؤذن يوم رامٍ　　لمختلفان في هذي الغداة
أنادي بالصبوح كه كياداً　　إذا نادى بحيّ على الصلاة

وإذا برسول أبي طاهر جاءه قبل وصول رقعته برقعة فيها [من الوافر] :

وإنّي والمؤذنُ يوم رامٍ　　لمختلفان في هذا الصباحِ
أنادي بالصبوح كه كيادا　　إذا نادى بحيٍّ على الفلاحِ

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين في منتصف الطريق .

ومن سائر شعر أبي الطيب قوله في السعيد نصر بن أحمد [من الطويل] :

قديماً جرتْ للناس في الكتب عادةٌ　　إذا كتبوها أن يعادلها الصدرُ
وأوّل هذا الأمر كان افتتاحه　　بنصرٍ وإن ولّى فآخرهُ نصرُ

ومما يستحسن من شعره ويغني به ويقع في كل اختيار قوله [من المتقارب] :

خليليَّ لو أنَّ همَّ النفو　　سِ دامٍ عليها ثلاثاً قتل

---

(١) سقر : جهنّم .
(٢) مؤتمض : لامع ، من الومض يقال ومض البرق وليس الرعد .
(٣) الصبوح والغبوق : شرب الخمر صباحاً ومساءً .

ولـكن شيئـاً يسمّـى السرور   قديمـاً سمعنـا به ما فعل

وناوله غلام له باقة نرجس فقال فيه [من السريع] :

لمّـا أطلنـا عنـه تغميضا   أهـدى لنـا النـرجس تعريضا
فدلّنـا ذاك علـى أنَّهُ   قد اقتضانا الصفـر والبيضا(١)

ومن ملحه قوله في الجبهاني من ضادية [من الطويل] :

تقلّـدتَ بالوسـواس صرفـاً وزرتنا   فزدت بهـا تيهـاً علـيٍّ عريضا
ولسـتُ بزاوٍ عنـك وداً عهدته   ولا قائـلٍ ما عنـه مريضا(٢)
فمـا كان بهلـولٌ مع الشتـم والخنا   وقـذف النسـاء المحصنـات بغيضا(٣)

وقوله في معناه [من الطويل] :

ولسـت بشـيءٍ من جفائـك حافلاً   ولا من أذىً جرعتنيهِ مغيظا
فأطيب أحـوال المجـانين ما رموا   وزنّـوا وعاطـوك الـكلام غليظا(٤)

وكان أبو ذر الحاكم البخاري عرضة لهجائه فقال فيه من قصيدة [من مجزوء الخفيف] :

أفٍّ للـدهـر أفٍّ له   قـد أتانـا بمعضِلَهْ
بأبـي ذرٍّ الـذي   كان مُلقـى بمزبلـه
كلمـا بـات ليلةً   وإستـه فيـه مهمله(٥)
بـات يقـرا إلـى الصبـا   ح (وبئـرٍ معطّله)

---

(١) الصفر والبيض : يعني بها الدنانير والدراهم .
(٢) زاوٍ : مخفٍ .
(٣) البهلول : الكثير الضحك ، والخنا : الفحش .
(٤) رموا : أفسدوا ومنها رمي المحصنات ، وزنّوا من الزناء .
(٥) الإست : فتحة المؤخّرة .

وقوله في ابنه :

لأبــي ذرّ بنيٌّ طفسٌ لا كان ذا ابنا
فهــو لا يقــرأ من القر آن إلاّ والنـا

وقوله في غيرهما [من مجزوء الرمل] :

طلحـة يـا كبرائي سلحـةٌ في الأمراءِ
إن شاهــاً أنــت فرزا ن له بادي العراءِ

* * *

١٣ ـ أبو منصور الطاهري

لم يرث الفضل والشعر عن كلالة ، وهو القائل [من الطويل] :

بكيت لفقــد الوالــدين ومــن يعشْ لفقدهمــا تصغُــرْ لديه المصائبُ
فعــزّيت نفســي موقنــاً بذهابها وكيف بقـاء الفــرع والأصــل ذاهبُ

ومن أحسن ما سمعت في المعنى نثراً قول بعض الحكماء لرجل مات أبوه وابنه : لقد مات أبوك وهو أصلك . ومات ابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟!

ومما يستجاد لأبي منصور قوله [من البسيط] :

شيئــان لو أن ليثــاً يُبتلــى بهما في غيلــه مات من همٍّ ومــن كمد(١)
فقـد الشبـاب الـذي ما إن له عِوضٌ والبعـد بالرغـم عن أهـلٍ وعــن ولد

وهو مأخوذ من قول الآخر [من الكامل] :

شيئــان لو بكت الدمــاء عليهمــا عينــاي حتــى يؤذنــا بذهاب

(١) الغيل : الشجر الكثير الملتف ، والكمد : الحزن الشديد .

لم يقضيا المعشار من حقيهما شرخ الشباب وفرقة الأحباب

وقد ملح أبو منصور في قوله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له خواناً له من لحظ عينيه خفيرُ
أرى خبزاً وبي جوعٌ شديدٌ ولكن دونه أسدٌ مزير

ومثله للرشيد وقد رأى جارية سكرى فراودها ، فقالت : إن أباك ألم بي ، فكف عنها ، وقال [من الوافر] :

أرى ماءً وبي عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيل إلى الورود

* * *

١٤ ـ أبو الحسين محمد بن محمد المرادي

كان شاعر بخارى ، وله شعر كثير مدون ، ومن مشهور أخباره أن السعيد نصر بن أحمد ركب يوماً للضرب بالصوالجة ، فجاءت مطرة رشت السهلة ، ولما قضى وطره وأقبل إلى الدار تصدى له المرادي فأنشد [من مخلع البسيط] :

أشهدُ أنَّ الأمير نصرا يخدمه الغيث والسحابْ
رشّ تراب الطريق كي لا يؤذيه في الموكب الترابْ
لا زال يبقى له ثلاث العزُّ والملك والشبابْ

فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، وقال : لو زدت لزدناك ، وكان المرادي ينشد لنفسه [من مجزوء الرمل] :

إنما همّي كسيره وإدامٌ من قديره[1]
وخميره في زكيره بلغتي منها سكيره

---

(١) الإدام : الطعام ، والقدير : يعني القِدر .

وصبيحٌ أو قبيحٌ قد كفى جلد عميره
ودنينيرٌ لدينا بات في ضمن صريره
من رأى عيشي هذا عاش لا يطلب غيرَهْ

ثم يقرأ على أثرها ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ .

وورد نيسابور لحاجة في نفسه فرأى من أهلها جفاء فقال [من البسيط] :

لا تنزلنّ بنيسابور مغترباً إلاّ وحبلُك موصولٌ بسلطانِ
أو لا فلا أدبٌ يغني ، ولا حسبٌ يجدي ، ولا حرمةٌ ترعى لإنسانِ

وقال [من البسيط] :

قال المراديُّ قولاً غير متَّهمِ والنصح ما كان من ذي اللبِّ مقبولُ
لا تنزلنَّ بنيسابور مغترباً إن الغريب بنيسابور مخذول

وقال في المصعبي [من الطويل] :

أرى صحبة الأشراف صعباً مرامها وصحبة هذا المصعبيِّ فأصعبُ
يذلِّلني فيما يروم اكتسابُه فأستام عزّاً بالمذلة يكسبُ(١)

وقال في موت أبي جعفر الصعلوكي [من مخلع البسيط] :

وقد تلِفَتْ نفسه الدنيَّهْ ما كان أولاه بالمنيَّهْ
ما أخطأ الموت حين أفنى من كان ميلاده خطيَّهْ

وقال لأبي علي الصاغاني من قصيدة [من البسيط] :

لم ألق غيرك إلا ازددتُ معرفةً بأنَّ مثلك في الآفاقِ معدومُ

---

(١) أستام : يقام استامت الماشية : أي رعت حيث شاءت وهنا بمعنى أسأل وأطلب .

أرى سيوفك في الأعداء ماضيةً ركنُ الضلال بها ما عشتَ مهدوم
يهمي الندى والردى من راحتيك فلا عاصيك ناجٍ ولا راجيك محروم

وقال في بكر بن مالك [من مجزوء الخفيف] :

قلّد الجيش سيِّدٌ وهو جيشٌ على حده
يد بكرٍ وسيفه ويد الله واحده

ومن ملحه وظرفه قوله [من مجزوء الخفيف] :

هل لكم في مطفلٍ شربه شرب قبره
لو رأى في جواره خيط زقٍّ لأسكره

ولما احتضر أنفذ إليه الجبهاني ثياباً للكفن . فأفاق ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

كساني بنو جبهان حياً وميتاً فأحييت آثاراً لهم آخر الزمنْ
فأوّل برٍّ منهُمُ كان خلعةً وآخر برٍّ منهُمُ صار لي كفنْ

ثم أغمي عليه ساعة فأفاق وقال [من السريع] :

عاش المراديُّ لأضيافه فصار ضيفاً لإلّه السما
والله أولى بقرى ضيفه فليدع الباكي عليه البكا

ثم كان كأنه سراج انطفأ .

* * *

١٥ ـ أبو منصور العبدوني ، أحمد بن عبدون

من أظهر كتاب بخارى تحصيلاً ، وأظرفهم جملة وتفصيلاً ، وكان ريحانة الندماء ، وشمامة الفضلاء ، ونارنج الظرفاء ، وله شعر عذب المذاق حلو المساغ في نهاية خفة الروح ، وقد تقدمت له أبيات ، وبلغني أن صديقاً له كتب إليه

يستعير منه دابة ويقول [من المتقارب] :

أردت الـركوب إلـى حاجةٍ فمـن لي بفاعلـةٍ من دببتْ

فوقع تحت البيت [من المتقارب] :

برذوننـا يا أخـي عامرٌ فكن بأبـي فاعـلاً من غدوتْ

وقال في صاحب ديوان يطيل المكث فيه [من السريع] :

أقسـمُ بالله وآياتـهِ أنّـك في الثقـل رحـى بزرِ[1]
وذا كمـا قلـت وإلاّ فلمْ تقعـد في الـدار إلـى العصرِ
والنـاس قد أخلـوا دواوينهم وانصـرف الـطير إلـى الوكرِ

وقال [من الطويل] :

أكتّـاب ديوان الرسائـل ما لكُمْ تجمّلتُـمُ بل متُّـم بالتجمّلِ
وأرزاقـكم لا تسـتبين رسومها لمـا نسجتهـا من جنـوبٍ وشمألِ
إذا ما شكا الإفـلاس والضـرُّ بعدكم يقولـون لا تهلك أسـىً وتجمَّلِ
خلقتـم علـى باب الأمير كأنّكم قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وقال في أبي نصر بن أبي حبة ، وكان من تلامذته [من السريع] :

يا قومُ إنّ ابـن أبـي حبّه قد سبـق الكتّـابَ في الحلْبَهْ
وأدخـل الكتّـاب من حذقِهِ في الـكوز والجـرَّة والدبَّهْ[2]

وقال في كتاب « أدب الكتاب » لابن قتيبة [من مجزوء الرمل] :

أدبُ الكتـاب عنـدي ما له في الكتـب ندّ[3]

---

(١) الرّحى : الطاحون .
(٢) الدبّة : ظرف أو نحوه يوضع فيه الزيت أو غيره .
(٣) الندّ : القرين والمثيل .

ليس للكاتب منه إن أراد العلم بدْ

وقال [من مجزوء الرمل] :

عنقي يا قوم كانت عند شربي الراح عبله[1]
فتركت الشرب أياماً على عمدٍ لعلَّه
فانحنى الظهر وذاب الجسم في أيسر مهله

وحدثني أبو سعيد عن بعض مشايخ الحضرة ، وقد ذهب على اسمه ، أن مجلساً للأنس جمع يوماً جماعة من أفاضل بخارى كأبي أحمد بن أبي بكر والطاهري والمصعبي والخزرجي والعبدوني وفيهم فتى من أهل أشروسنه يسمى يشكر أحسن من نعم الله المقبلة ، ومن العافية في البدن ، فأفضى به الحديث إلى رواية الأهاجي ، وطفق كل واحد منهم يروى أجود شعره في الهجاء ، فقال بعض الحاضرين إن هجاء من هجوتموه ممكن معرض ، فهل فيكم من يهجو هذا الفتى ، يعني يشكر ، فقالوا : لا والله ما نقدر على هجائه ، وليت شعري أيهجي خلقه أم اسمه ، فارتجل العبدوني أبياتاً منها [من المتقارب] :

ويشكر يَشْكُرُ من ناكه ويَشْكُرُ الله لا يشكر

فتعجبوا من سرعة خاطره في ذم مثله[2] ، واشتقاقه الهجاء من اسمه ، وأقروا له بالبراعة ، وحين رأى خجل الفتى لما بدر من هجائه إياه من غير قصد أخرج من يديه زوجي خاتم ياقوت وفيروزج وأعطاهما إياه ، وقال : هذا بذلك .

* * *

(١) عبله : ضخمه .

(٢) لزياد الأعجم بيت بهذه الألفاظ وهو قوله :

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر لله لا تشكر

فلا دلالة في البيت على سرعة الخاطر ولا على اشتقاق الهجاء من اسم المهجو .

١٦ ـ أبو الطيب المصعبي محمد بن حاتم

كان في جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ما هو معروف مشهور ، وكانت يده في الكتاب ضرَّة البرق ، وقلمه فلكي الجري ، وخطه حديقة الحدق، وبلاغته مستملاة من عطارد ، وشعره باللسانين نتاج الفضل ، وثمار العقل ، ولما غلب على الأمير السعيد نصر بن أحمد بكثرة محاسنه ووفور مناقبه ووزر له مع اختصاصه بمنادمته لم تطل به الأيام حتى أصابته عين الكمال ، وأدركته آفة الوزارة ، فسقى الأرض من دمه .

ومن مشهور شعره وسائر قوله [من مجزوء الرمل] :

إختلسْ حظّك في دنياك من أيدي الدهور
واغتنم يوماً ترجّيه بلهوٍ وسرور
واصنع العرف إلى كلٍّ كفورٍ وشكور
لك ما تصنع والكفران يزري بالكفور

وقوله في ذم الشباب [من الخفيف] :

لم أقلْ للشباب في كنف اللـه وفي ستره غداة استقلاَّ(١)
زائـرٌ زارنا مقيمٌ إلى أنْ سوَّد الصُّحفَ بالذنوب وولّى

وقوله في غلام أعجمي [من الخفيف] :

بأبي من لسانُهُ أعجميٌّ وأرى حسنه فصيح الكلام

ويروى له ما كتب به إلى بعض إخوانه [من مخلع البسيط] :

غبت فلم يأتني رسول ولم يقلْ علَّه عليلْ
هيهات لو كنتَ لي خليلاً فعلتَ ما يفعلُ الخليلْ

وله [من المجتث] :

اليوم يوم بكور على نظام سرور
ويوم عزف قيان مثل التماثيل حور
ولا تكاد جيادٌ تروى بغير صفير

ووقع في كتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن قرأت كتابكم عض الملل ببظر أم الكاتب

* * *

١٧ ـ أبو علي الساجي

من فضلاء المقيمين ببخارى ، ووجوه المتصرفين بها ، وفيها يقول في غلام تركي [من البسيط] :

لا سمرةٌ ، لا بياضٌ فيه ، لا سمنٌ ولا هزالٌ ، ولا طولٌ ولا قِصَرُ
ذو قامةٍ قام فيها عذر عاشقها وصورةٍ قبحت مع حسنها الصُّوَر

ويقول [من مجزوء الرمل] :

أنا بالحضرة واقف للتعازي والتهاني
ولتشييع فلانٍ والتلقّي لفلانِ

وله في مرو [من الخفيف] :

بلدٌ طيِّبٌ وماءٌ معينٌ وثرى طيبِهِ يفوق العبيرا
وإذا المرء قدَّر السير عنه فهويناه باسمه أن يسيرا

وله [من السريع] :

لا تأسَ من دنياً على فائتٍ وعندك الإسلام والعافيه(١)

(١) لا تأس : أي لا تأسف وتحزن .

إن فات شيءٌ كنت تسعى له ففيهما من فائتٍ كافيه

وله [من الخفيف] :

لست أدري ماذا أقول ولكنْ أبتغي من عريض جاهك نفعا
والفتى إن أراد نفع أخيه فهو يدري في أمره كيف يسعى

* * *

١٨ ـ أبو منصور الخزرجي

أديب شاعر في المرتبطين الذين كانوا ببخارى مع أبي غسان التميمي والبوشنجي والكسروي وأضرابهم من الأفاضل ، كتب إلى أبي أحمد بن أبي بكر في أوائل شهر رمضان قصيدة منها [من مخلع البسيط] :

الصوم ضيفٌ ثوى فداره قد يؤجر العبد وهو كارهْ
واحمل على النفس في قراه في ليله منك أو نهاره
فإن تجافى على كريمٍ برٌّ حريصٍ على مزاره
فالضيف ماضٍ غداً ومثنٍ عليك أن حِطتَ من ذماره[1]

ومن ملحه ؛ ويروي لغيره [من الوافر] :

أتُدخِلُ من تشاء بلا حجابٍ وكلُّهم كسيرٌ أو عوير
وأبقى من وراء الباب حتى كأنّي خصيةٌ وسواي أير

وقال للمصعبي [من البسيط] :

يا من تخلّق حتى صار مرتفعاً من السماء الى أعلى مراقيها
لا تأمننّ انحطاطاً وارعَ حرمتنا وانظر إلى الأرض واذكر كوننا فيها

---

(١) الذمار : ما يحمى ويدافع عنه كالحرم والأهل والشرف .

وقال ، وأنشدنيها له أبو زكريا الحربي ، وتروى لغيره [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الكواكبِ والدوا ئرِ والعجائبِ والمجرّهْ
أجحفت بالفَطِنِ الأريب فخاض في الغمرات دهرهْ[1]
يا عرّةً في فعله أعطيت خيرك كلَّ عرّه[2]
أخرِفْت من طول السّرى أم زدت للحركات سرّه

***

١٩ ـ أبو أحمد محمد بن عبد العزيز النسفي

قال في رئيس كان ينام بالنهار ويسهر بالليل [من الطويل] :

ينام إذا ما استيقظ الناس بالضُّحى فإن جنَّ ليلٌ فهو يقظانُ حارسُ
وذاك كمثل الكلب يسهرُ ليله فإن لاح صبحٌ فهو وسنانُ ناعسُ

وقال في أبي علي الصاغاني [من البسيط] :

الدار داران للباقي وللفاني والخلق كلُّهُمُ يكفيهم اثنانِ
فأحمدٌ لمعاش الناس قاطبةً وأحمدٌ لمعاد الناس سيَّانِ

وقال [من المجتث] :

إن الرؤوس بإجما عِ آكليها ثقيله
وحقّها صرفِ شرب قصيرة من طويله

***

(١) الأريب : الماهر الذكي ، والغمرات المخاطر .
(٢) العرّة : الجرب ، والعيب .

٢٠ ـ أبو القاسم الكسروي

هو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطارئين على بخارى والمرتبطين بها ، وكان جامعا بين الكتابة والشعر ، ضارباً بأوفر السهم في الظرف ، وكان يقول : قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدنيا ، وقولي أطال الله بقاك وأدام عزك وتأييدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه .

وكان يبغض الشطرنج ويذمها ولا يقارب من يشتغل بها ويطنب في ذكر عيوبهم ويقول : لا ترى شطرنجاً غنياً إلا بخيلا ولا فقيراً إلا طفيليا ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج ، فإذا جرى ذكر شيء منها قيل : جاء الزمهرير ، ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، فإذا خرىء السكران قيل : قد فرزن ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل : قيل معه فرزان بيدق ، وإذا استحقر قدر الإنسان قيل : كأنه بيدق ، ولا سيما إذا اجتمع فيه قصر القدر وصغر القدر كما قال الناجم [من الهزج]:

ألا يا بيدقَ الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال عبد الله ابن المعتز وأجاد [من الكامل] :

قـل للشقيٍّ وقعـت في الفخٍّ أودت بشاهـك ضربـة الرخٍّ

وإذا رؤي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل : انظروا إلى يد الكشحان كأنها الرخ في الرقعة . وإذا رؤي زيادة لا يحتاج إليها قيل : زاد في الشطرنج بغلة ، وإذا سب دخيل ساقط : قيل من أنت في الرقعة ؟ وإذا ذكر وضيع ارتفع قيل كما قال أبو تمام [من مجزوء الكامل]:

قـل لي متـى فرزنـت سر عة ما أرى يا بيدق

ويروى أنه دخل يوماً على أبي عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي وقد ولد له مولود فأنشد [من مجزوء الكامل] :

هنئتَ نجم سعادة ... قد حلّ أوّل أمسِ رحلكْ
فأحلَّهُ المولى من الـ ... آداب والعليا محلَّكْ
وأطال عزّكما وعمركما ... وأكثر منك مثلك

فأمر له بثلثمائة دينار .

وكتب إلى بعض الرؤساء رسالة في الهز والاقتضاء وفي آخرها قوله [من الوافر] :

فرأى الشيخ مولى المجد في أن ... يشرفني بإحدى الحسنيين
بنقد أرتجيه أو بيأس ... فإن اليأس إحدى الراحتين

وله من قصيدة [من البسيط] :

كسبتُ ما شئتُ من مالٍ فأتلَفَهُ ... كفٌّ كسوبٌ بعون الله متلافُ
لن يلبث المال عندي أو يفرقه ... طبع امرىءٍ همّه بذلٌ وإسرافُ
إنّ عادتي فيما حوته يدي ... وعاده الله جلّ الله إخلافُ
فهذه عادتي فيما حوته يدي ... وعادة الله جلّ الله إخلاف(١)
إنّ الحقوق ليفني المال واجبها ... وفي قضاء حقوق الناس إنصاف

وله [من الوافر] :

كفاك مذكّراً وجهي بأمري ... وحسبي أن أراك وأنْ تراني
وكيف أحثُّ من يعنى بشأني ... ويعرف حاجتي ويرى مكاني

***

(١) إخلاف : نعماً جديدة يخلفها عليه .

٢١ ـ أبو بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن

وقع إلى بخارى وتصرف بها وتقلد الحزن ، وكان من أدباء الكتاب وفضلائهم ، وأهدى جزءاً بخطه يشتمل على ملح وغرر بخارية له ولغيره ممن جاورهم بالحضرة ، فمما كتبه لنفسه قوله [من الطويل] :

لكلبٌ عقورٌ أسودُ اللون رابضٌ … على صدر سوداء الذوائب كاعبِ(١)
أحبُّ إليها من معانقة الذي … له لحيةٌ بيضاءُ فوق الترائبِ(٢)

وله [من الوافر] :

وعنينٍ يريد قيام أيرٍ … بأدويةٍ لأوقات الجماع
فقلت له هلاكُ الزقِّ يوماً … إذا ما احتيج فيه إلى الرقاع

ومما وجدته بخطه ، ولست أذكر أكتبه لنفسه أم لغيره من كتاب عصره لغيبة ذاك الجزء عني ، هذه الأبيات [من المتقارب] :

وهتْ عزماتك عند المشيب … وما كان من حقّها أن تهي(٣)
وأنكّرت نفسك لما كبرت … فلا هي أنت ولا أنت هي
فإنْ ذكرتْ شهواتُ النفوس … فما تشتهي غير أن تشتهي

***

٢٢ ـ الحسين بن علي المروروزي

من آدب أصحاب الجيوش بخراسان وأشعرهم وأكرمهم ، وفيه يقول بعض الشعراء لما صرف عن مرو بأحمد بن سهل ويذكر دار الإمارة فيها [من الوافر] :

---

(١) العقور : من عقر أي عض . وسوداء الذوائب : أي سوداء الشعر . والكاعب : الفتاة الناهد .
(٢) الترائب : أعلى الصدر .
(٣) وهت : ضعفت .

أقـام بصحنهـا لؤمُ ابـن سهلٍ   وفـارق ربعهـا كرمُ الحسينِ
وكانـتْ جنّـةً فغـدت جحيماً   فيا بُعْـدَ اختـلاف الحالتينِ

ومن سائر شعر الحسين قوله في أبي الفضل البلغمي لما تلطف لإطلاقه من حبس القمندر بهراة [من مخلع البسيط]:

ألا اسقنـي من زبيب شمسٍ   عدوٌّ همّـي حبيبَ نفسي
أرقّ من دين آل تيمٍ   ومـن عديٍّ وعبـد شمس
أشْـرَبْ بتـذكار من تولّى   بنـاء مجـدي بهـدم حبسي

وقوله [من الكامل]:

ثنتـانِ يعجـز ذو الرياضـة عنهما   رأيُ النسـاء وإمـرةُ الصبيانِ
أمـا النسـاء فميلهـنّ إلـى الهوى   وأخـو الصبـا يجـري بغير عنانِ(1)

وقوله من أبيات في بعض قواده [من المتقارب]:

وجيشٍ يكون أميراً لهم   قصـارى أولئـك أن يهزموا

***

٢٣ ـ محمد بن موسى الحدادي البلخي

كان يقال : أخرجت بلخ أربعة من الأفراد : أبا القاسم الكعبي في علـم الكلام ، وأبا زيد البلخي في البلاغـة والتـأليف ، وسهـل بن الحسـن في شعـر الفارسية ، ومحمد بن موسى في شعر العـربية ، وكان يكتـب للحسين بن علـي وشعره سائر مدون كثير الأمثال والغرر ، كقوله : [من مجزوء الكامل]:

إنْ كنـتُ أشـكو من يرقُّ   عن الشـكاية في القريض
فـالفيل يضجـر   وهـو أعـظم ما رأيت من البعوض

(1) الصبا : الميل إلى اللهو والمتعة . والعنان : الزمام .

وقوله [من مجزوء الكامل]:

ألقحـت منـه حرمةً متوقعـاً ما تنتج[1]
فـإذا رعايتـه لها والله سقـط مخدّج[2]

وقوله [من البسيط]:

لا غرو إن كنت بحـراً لا يفيض ندىً فالبحـر غمـرٌ ولـكن ليس بالجاري
أمسيتَ جاريَ من بين الأنـام فلا تغفـل وصـاة رسـول الله بالجار

وقوله من قصيدة [من الكامل]:

كم فيك من رشـأ أغـنٌ كأنّما خُلِقـتْ مفاصِلُـهُ بغير عظام
كم قد غللـت يد النـديم بقهوةٍ سهدت بأن الغلَّ من إكرامي[3]

ومن أخرى [من الكامل]:

مـا بال فرقـة شملنـا لا تجمع وإلى متى يصل الزمـان ويقطعُ
كم خلَّفت تلك الركابُ وراءها من منـزلٍ فيه لنـا مستمتعُ
فالـورد يلطـم خدَّه وجـداً بنا وعيون نرجسـه علينـا تدمعُ

ومنها :

ولـربَّ كرمٍ قد رضعـت ثديه ومن العجائـب أن كهـلاً يرضع

ومن أخرى [من السريع]:

أذلَّـت فيمـا بيننـا حرمةً كحرمـة الإبـريق والكأس
قـدُّك أمـا يمنعـك الفضـل أن رحـت علـى عرش كنآس

---

(١) القح : من اللقاح الذي تتوالد به الأحياء .
(٢) المخدج : بزنة اسم المفعول : المولود ناقصاً .
(٣) غللت : أعطيت وأمسكت وحمّلت . والقهوة : الخمرة ، والغَلّ : الفائدة والدخل والعطاء .

ومن أخرى [من الكامل]:

وحكى سواداً في شقائق حمرةٍ　　صلب الغوالي في خدود الروم

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كان أغلق دوني بابه فلقدْ　　أعددت صبري لذاك الباب مفتاحا

ومن أخرى [من السريع]:

يسرني من حسد الناس لي　　أنّي فيهم غيرُ محروم
وأنّني من كرمٍ لابسٌ　　وأنّني عارٍ من اللوم(1)

***

٢٤ - أبو الفضل السكري المروزي ؛ أحمد بن محمد بن زيد

شاعر مرو وظريفها ، وله شعر مليح خفيف الروح كثير الملح والأمثال ، كقوله [من الكامل]:

لا تعتبنّ على الزمان وصرفه　　ما دام يقنع منك بالأطراف
وإذا سلمت فلا تكنْ لك همةٌ　　إلاَّ دوامُ سلامةِ الألاَّف

وقوله [من السريع]:

ما أعجب الرزق وأسبابه　　كلٌّ له في رزقِهِ بابَهْ
مقدورهُ من بابه واصلٌ　　والمرء لا يعرف أسبابه

وقوله [من مجزوء الخفيف]:

أشرفُ القصدِ في المطا　　لب للناس أربعه
كثرة المال والولا　　ية والعزّ والدعه(2)

---

(1) عار من اللوم : أي لا ملامة عليّ .

(2) الدّعة : السكينة والهدوء والبحبوحة .

فارضَ منها بواحدٍ تلف ما دونه معه[1]
دعة النفس بالكفا ف وإن لم تكن سعه
كلُّ ما أتعب النفو س فما فيه منفعه

وقوله من مزدوجة ترجم فيها أمثالاً للفرس [من الرجز] :

من رام طمس الشمس جهلاً أخطا   الشمس بالتطيين لا تغطى
أحسن ما في صفة الليل وَجَدَ   الليل حبلى ليس يدري ما يلد
من مثل الفرس ذوي الأبصار   الثوب رهنٌ في يد القصّار[2]
إنّ البعير يبغض الخشاشا   لكنه في أنفه ما عاشا[3]
نال الحمار بالسقوط في الوحل   ما كان يهوى ونجا من العملْ
نحن على الشرط القديم المشترط   لا الزقُّ منشقٌّ ولا العير سقطْ
في المثل السائر للحمار   قد ينهق الحمار للبيطار
والعنز لا يسمن إلاّ بالعلفْ   لا يسمن العنز بقول ذي لطف
البحر غمرُ الماء في العيان   والكلب يروى منه باللسان
لا تك من نصحيَ في ارتياب   ما بعتك الهرَّة في الجرابْ
من لم يكن في بيته طعام   فما له في محفلٍ مقام
منّيتنى الإحسان دع إحسانك   اترك بحشو الله باذنجانك
كان يقال من أتى خوانا   من غير أن يدعي إليه هانا

وكان مولعاً بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية ، فمما اخترته من ذلك بعد المزدوجة قوله [من البسيط] :

إذا وضعت على الرأس التراب فضع   من أعظم التلّ إن النفع منه يقع

---

(١) تلف : تتلافى وتتدارك .
(٢) القصّار : الذي يدق الثياب ويبيّضها .
(٣) الخشاش : ما لا دماغ له ظاهر من دواب الأرض .

وقوله [من المتقارب] :

إذا الماء فوق غريقٍ طما فقاب قناة وألف سوا[1]

وقوله [من الطويل] :

إذا لم تطق أن ترتقي ذروةَ الجبلْ لعجزٍ فقفْ في سفحه هكذا المثلْ

وقوله [من البسيط] :

في كلِّ مستحسنٍ عيبٌ بلا ريب ما يسلم الذهب الإبريز من عيب

وقوله [من الطويل] :

إذا حاكم بالأمر كان له خبرٌ فقد تم ثلثاه ولم يصعب الأمرُ

وقوله [من السريع] :

ما كنت لو أكرمت أستعصي لا يهرب الكلب من القرص[2]

وقوله [من الرمل] :

طلب الأعظُمِ من بيت الكلابِ كطلاب الماء في لمع السرابِ[3]

وقوله [من الرمل] :

ادّعى الثعلب شيئاً وطلبْ قيل هل من شاهد قال الذنب

وقوله [من الطويل] :

هو الثعلب الروَّاغَ في مهمهٍ سلك يرى التوَّ فيه وما إن يرى الشبك[4]

---

(١) القاب : ما بين المقبض والسية ، والمقدار .

(٢) القرص : يعني رغيف الخبز .

(٣) الأعظُم : جمع عظم ، والسراب الماء الذي يتراءى للعطشان في الصحراء وهو ليس حقيقة .

(٤) التوّ : الحبل يفتل طاقاً واحداً .

وقوله [من المنسرح]:

من مثـل الفـرس سار في الناسِ التين يسقـى بعِلَّـة الآسِ[1]

وقوله [من الطويل]:

تبختـر إخفـاءً لمـا فيه من عرجْ وليس له فيمـا تكلَّفـه فرج

وقد ذكرتني هذه الامثال الفارسية قصيدة لبعض من ذهب عني اسمه وكتبت ما اخترت منها ليقترن بما تقدمها وذلك [من السريع]:

مـا أقبـح الشيطـان لكنَّهُ ليس كمـا ينقش أو يذكرُ
يكفي قليل الماء رطـب الثرى والـطين رطبـاً بلُّـهُ أيسرُ
إلـى شفـا النـار أماشـي أخي لكننـي إن خاضهـا أصبر
أنتهـز الفرصـة في وقتها وألقـط الجـوز إذا ينثر
يطلـب أصـل المـرء من فعله ففعلـه عن أصلـه يخبر
كم ماكرٍ حاق به مكره وواقـعٍ في بعض ما يحفر
فـررت من قطـرٍ إلـى مثعبٍ علـيًّ بالوابـل يثعنجر[2]
إن تأت عوراً فتعـاور لهُمْ وقـل أتـاكم رجـلٌ أعور
خـذه بمـوتٍ تغتنـمْ عنده الحـيَّ لا تشـكو ولا تجأرْ[3]
الباب فانصـب حيث ما يشتهي صاحبُـهُ فهـو به أخبر
والكلـب لا يُذكر في مجلسٍ إلا تراءى عندمـا يذكر

***

---

(١) بعلّة : بحجّة ، والآس شجر معروف ويسمّى الريحان .
(٢) المثعب : سيل الماء في بطن الوادي، ويثعنجر : يسيل بالماء .
(٣) تجأر : تصرخ .

٢٥ ـ أبو عبد الله الضرير الأنبوردي

له شعر ذكر في أهل أنبورد ، وله القصيدة التي ترجم فيها أمثال الفرس أولها [من الطويل] :

صيامي إذا أفطرت بالسّحب ضلّةٌ وعلمي إذا لم يجدِ ضربٌ من الجهل(١)
وتزكيتي مالا جمعت من الربا رياءً ، وبعض الجواد أخزى من البخل
كسارقة الرمّان من كرم جارها تعود به المرضى وتطمع في الفضل(٢)
ألا ربَّ ذئبٍ مرَّ بالقوم خاوياً فقالوا : علاه البهر من كثرة الأكل
وكم عقعقٍ قد رام مشية قبجةٍ فأُنسيَ ممشاهُ ولم يمش كالحجل
يواسي الغراب الذئب في كلّ صيده وما صاده الغربان في سعف النخل

ومن سائر شعره قوله [من الكامل] :

وإذا أراد الله رحلة نعمةٍ عن دار قومٍ أخطأوا التدبيرا

ومن ملحه قوله [من الوافر] :

أردت زيارة الملك المفدّى لأمدحه وآخذ منه رفدا(٣)
فعبَّسَ حاجباً فقرأت « أما من استغنى فأنت له تصدّى »

* * *

٢٦ ـ أبو محمد السلمي

كاتب متصرف في الأعمال ، حسن التصرف في ملح الشعر وظرفه ، كثير النوادر وسائر النتف ، لا يسقط له بيت واحد .

(١) ضلّةٌ : من الضلال أي خطأ .
(٢) خاوياً : جائعاً وبطنه فارغة ، والبهر : العجب والفخر والغلبة .
(٣) الرفد : العطاء .

أنشدني غير واحد له من أهل الأدب في الحاكم الجليل قوله [من مجزوء الرمل] :

لا رواءٌ لا بهاءٌ لا بيانٌ لا عباره
لا يرى ردَّ سلامٍ الناس إلَّا بالإشاره
أنا أهواك ولكنْ أين آلات الوزاره

وله أيضاً [من السريع] :

أكلُّ من كان له نعمةٌ أوسع من نعمة إخوانه
أم كلُّ من كان له جوسقٌ مشرفٌ شيد بأركانِهِ(1)
أم كل من [كان] له كسوةٌ يبذلها في بعض أحيانه
يُرى بها مستكبراً تائهاً على أدانيه وخلانِهِ

وله [من السريع] :

قد كانت الضيعة فيما مضى تغلُّ من يملكها دائبه
فأضحت الضيعة في يومنا مهجةُ من يملكها ذائبه
يستغرق الغلّة في خرجِها ويعرض الكلفة والنائبه(2)
فإن يُقِمْ صاحبها كلَّ ذا ينجُ وإلا نتفوا شاربه

وله [من مجزوء الرمل] :

يا أبا مالك النا سي أسباب التصافي
يا دعياً باتفاق عربياً باختلاف
هبك في أشرف بيتٍ لبني عبد مناف
أنا ما ذنبي إذا ما اطَّرَدَتْ فيك القوافي ؟

---

(1) الجوسق : القصر الصغير ، وهو معرّب جوسه .
(2) الخراج : ضريبة على الأرض ، والنائبة المصيبة ، أو الحمّى التي تأتي كلّ يوم .

وله [من المتقارب] :

وكنتُ أذمُّ أبا جعفرٍ ... وأعجب من أمره المهملِ
فلما بلونا أبا جعفرٍ ... أطلت البكاء على الأول

وله [من السريع] :

لو طُبِخَتْ قِدْرٌ بمطمورةٍ ... بالروم أو أقصى حدود الثغور
وأنت بالصين لوافيتها ... يا عالم الغيب بما في القدور

وله [من البسيط] :

قد كان آراؤكم فيما مضى كرّةٌ ... كأنّما خرَّطتها كفُّ خرّاطِ[1]
فالآن تسعون رأياً من وزيركم ... في السوق لا تشترى منكم بقيراط

وله [من المجتث] :

رأيت ملكاً كبيراً ... كثير مالٍ وشحنه[2]
يسوس ذاك وزيرٌ ... قليل عقلٍ وفطنه
وللأمير وزيرا ... ن يرميان بأبنه
فلعنة الله تترى ... على كليلٍ ودمنه

وله [من الطويل] :

تشكّى فقلنا ثابتٌ ويزيدُ ... وأنّ فقلنا آن منه خمود[3]
هي العلة الموصول بالموت حبلُها ... فإن ذهبت يوماً فسوف تعود

وله ، ويروى لغيره [من الطويل] :

تفاقر كي يخفي على الناس أمرُهُ ... وللناس أبصارٌ على الغيب نافِذَهْ

---

(١) الكرّة : الحملة في الحرب ، ومئة ألف ، والرّجعة .

(٢) الشحنة : الطعام ، والشرطة ، أو العداوة والبغضاء .

(٣) الخمود : الهدوء والسكوت .

فأبلـغْ دهــاة النّــاس في كلٍّ بلدة   بأنّــا وإنْ كنتــم دهــاةً جهابذه

* * *

٢٧ - أبو ذر البلخي الحاكم

قال من قصيدة في أبي العباس المأموني ، وقد وثبت رجله [من الكامل] :

إن الجبائــر منــك قد شدّت على   قدمٍ لهــا في المكرمــات تقدُّمُ
ولئــن غدت مجبــورةً فلطالما   جُبِـر الـكسيرُ بهـا وريش معدم[1]

* * *

٢٨ - أبو أحمد اليمامي البوشنجي

شاعر بوشنج وغرتها ، وشعره مدون سائر ، وبلغني أن الصاحب كان يحفظ خائية أحمد ، ويتعجب من حسنها وجودتها ، وهي [من الطويل] :

أقــولُ ونــوّارُ المشيب بعارضي   قد افتــرَّ لي عن ناب أســود سالخ
أشيبــاً وحاجــات الفــؤاد كأنّما   يجيش بهـا في الصـدر مرجــلُ طابخ
ومـا كان حُزْنــي للشبــاب وإن هوى   به الشيب عن طودٍ من الأنس شامخ
ولـكن يقـول النــاس شيخ وليس لي   علـى نائبـات الدهــر صبــرُ المشايخ

ومما يستحسن من شعره [من المنسرح] :

إنّ تمــام الســرور للمــرء أن   يأكل من طيّبــات غرس يده
وأنْ يغنّــى بشعــرهِ ويلي   خدمتــه من يحــبُّ من ولَدِه
وقــد حوى بعضنــا الثــلاث وقد   نغّصهــا كلَّهــا ضنــى جسده

---

(١) ريّش معدم : أثرى بعد فقر .

وقوله [من الوافر] :

لقد فكَّرت في أمري طويلاً فما أدري أأبخل أم أجودُ
أخاف البخل من غيري ومنّي وأعلم أنّه عارٌ عتيد
ويعجبني السخاءُ وأشتهيه وذاك لأنّه خُلْقٌ حميد
فأخشى الفقر إن طاوعت جودي وعدم المال في الدنيا شديد
فأفضل ما أرى خُلُقٌ وسيطٌ لذات يدي ينقِّص أو يزيد

وقوله ، وهو منقول من كلام بعض السلف [من الكامل] :

غالبتُ كلَّ شديدةٍ فغلبتُها والفقر غالبني فأصبح غالي
إنْ أبدِهِ يفضحْ، وإن لم أبدِهِ يقتلْ فَقُبِّح وجهه من صاحب

وقوله لأبي الفضل البلغمي وقد عرض عليه الشراب [من البسيط] :

لو كنتُ واجد عقلٍ أشتريه إذا جالستُ من زينة الدنيا محيّاهُ
لكنت أطلبه جهدي وأجمعه إلى الذي هو عندي حين ألقاه
فكيف أشربُ شيئاً لا يفارقني حتى أفارق عقلي حين أُسقاه

وكتب إلى صديق له في آخر يوم من شعبان [من الطويل] :

فديتك هذا اليوم يومٌ وراءه ثلاثون يوماً للّذاذة تفتكُ
فإنْ شئتَ فاحضرْنا وإنْ شئت فادعنا إليك فما للّهو في اليوم متركُ
وفي الغد إنْ لم تدفع الشكَّ مجزعٌ ومبكى فدعنا اليوم نبكي ونضحكُ

وله في وصف رامسية آذريون ناوله إياها عبد الحميد الحاكم وأمره بأن يصفها . فقال [من السريع] :

أعطانيَ الحاكم من كفِّهِ رامسيةَ تخبر عن ظرفه
من نور آذريون تزجى بأن جاءت بما حازته من عرفه[1]

(١) تزجي : تساق ، تدفع برفق . والعرف : المعروف .

شــبَّهتهــا حيــن تأمّلتها تأمّــلَ المبــدعِ في وصفه
بمدهــنٍ من ذهــبٍ أحمرٍ مضمَّنــاً مســكاً إلــى نصفه

* * *

٢٩ ـ أبو علي السلامي

من رستاق بيهق من نيسابور ، كاتب مؤلف الكتب ، موفق للمتجويد منخرط في سلك أبي بكر بن محتاج وبانه أبي علي . وله كتاب التاريخ في أخبار ولاة خراسان ، وكتاب نتف الظرف . وكتاب المصباح ، وغيرها ، وشعره في أشعار مؤلفي الكتب كشعر الصولي ، ومن أشف ما وجدته له قوله [من السريع] :

هــذّبَ ما يكتــبُ من يعتقد أنَّ جميــع النــاس يلقونه
وهــم مصيخــون إلــى لفظه فرام من قول الخنــا صونه[1]

البيتان لم أسمعهما منه ، وإنما وجدتهما في نسخته

* * *

٣٠ ـ أبو القاسم علي بن محمد الإسكافي النيسابوري

لسان خراسان وغرتها ، وعينها وواحدها ، وأوحدها في الكتابة والبلاغة ، ومن لم يخرج مثله في البراعة والصناعة . وكان تأدب بنيسابور عنـد مؤدبَ بهـا يعرف بالحسن بن المهرجان من أعرف المـؤدبين بأسـرار التـأديب والتـدريس ، وأعلمهم وأدراهـم بطـريق التـدريج في التخـريج ، ثم حرر مديدة[2] في بعض الدواوين ، فخرج منقطع القرين ، وواسطة عقد الفضل ، ونادرة الزمان ، وبكر الفلك ، كما قال فيه الهريمي من قصيدة [من الرمل] :

---

(١)مصيخون : منصتون ، الخنا : الفحش .
(٢) مديدة : مدّة قصيرة .

سبـق النـاس بيانـاً فغدا وهـو بالإجمـاع بكرُ الفلكِ
أصبـح الملك به متسقاً لسـليل الملك عبـد الملك

ووقع في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، إلى أبي علي الصاغانـي فاستأثـره فحسن أثره واستخلصه لنفسه ، وقلده ديوان الرسائل فحسن خبره ، وسافر أثره ، وكانت كتبه ترد على الحضرة ، في نهاية الحسن والنضرة . وتقع المنافسة فيه ، ويكاتب أبو علي في إيثار الحضرة به ، فيتعلل ويتسلل لو اذا[1] ولا يفرج عنه ، إلى أن كان من كشف أبـي علي قنـاع العصيان ، وانهزامـه في وقعـة جرجيل إلـى الصغانيان كما كان . وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي ، فحبس في القمندر وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه ، ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ، ويقف على خبيئة صدره فأمر أن تكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها : إن أبا العباس الصاغاني قد كتب الى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاش لتتولى له كتابة الكتب السلطانية ، فما رأيك في ذلك ؟ فوقع تحته في الرقعة ﴿ ربِّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه ﴾ .

فلما عرض التوقيع على الحميد حسن موقعـه منـه ، فأعجـب به ، وأمـر بإطلاقه وخلع عليه وأقعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي عبد الله كله وكان الاسم له والعمل لأبي القاسم ، وعند ذلك قال بعض مجّان الحضرة [من مجزوء الرجز] :

تبـظـرم الشيـخ كلّـه ولسـت أرضـى ذاك لـه[2]
كأنــه لــم يـرَ مـن أقعـد عنـه بـدلَـهْ
والله إن دام علــى هـذا الجنـون والبلـه
فـإنّـه أوّل مـــن ينتـف منـه السبلـه[3]

(١) لواذا : التجاءً وحماية .
(٢) تبظرم : تختّم أي لبس الخاتم ، وتبظرم إذا كان أحمق وعليه خاتم ويشير به في وجوه الناس .
(٣) السبلة : اللحية .

وكان أبو القاسم يهجوه كما تقدم ذكره في الجزء الثاني من هذا الكتاب ومن شعره قوله [من مجزوء الرجز] :

هــذا الــذي يُدعــى كله ما شأنــه إلا البله
فــي رأســه عمامةٌ مكفوفــةٌ مزمَّله[1]
كأنّهـا في لونها قدرٌ علــى سفرجله

ولما توفي أبو عبد الله تولى أبو القاسم العمل برأسه ، وعلا أمره ، وبعـد صيته ، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة ، وازداد علـى الأنـام تبحـراً في الصناعة ، وقدرة على الإنشاءات التي يؤنس مسمعها ، ويؤيس مصنعها .

ويحكى أن الحميد أمره ذات يوم أن يكتب إلى بعض أصحاب الأطراف كتابا وركب إلى متصيده ، واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس أنس عقده وإخـوان جمعهم عنده ، وحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره بإحضار الكتاب الذي رسم له كتبه ليعرض عليه ، ولم يكن كتبه ، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار[2] أبيض أوهم أنه مكتوب فيه الكتـاب المرسـوم له ، فقعـد بالبعد منه فقرأ عليه كتاباً طويلا سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه ، فارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من مسودات مكتوبة ، وأمره بختمه ، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله .

ومـن عجيب أمـره أنـه كان أكتـب النـاس في السلطـانيات ، فإذا تعاطـى الإخوانيات كان قاصر السعي قصير الباع ، وكان يقال : إذا استعمل أبو القاسـم نون الكبرياء ، تكلم من في السماء . وكان من علو الرتبة في النثر وانحطاطها في النظم كالجاحظ ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق لا يسع هذا الكتـاب إلا الأنموذج مما يجري مجرى الغرر والأمثال منها .

***

---

(١) مزمّلة : ملتفة .

وهذه فقر من كلامه

الحمد لله الذي لم يستفتح بأفضل من ذكره كلام ، ولم يستمنح بأحسن من صنعه مرام * للزمان صروف تحول ، وأمور تجول * الأخلاق تنميها الأعراق ، والثمار تنزعها الأشجار * الشكر به ذكاء النعمى ، والوفاء معه صلاح العقبي * السعيد من تحلى بزينة الطاعة ، واقتدح بزند الجماعة[1] * العامة لا تفقه حقائق المذاهب ، ولا تعرف عواقب التألب والتجارب * لا يشوقنك غرارة الصبا ، ولا يروقنك زخرف المنى * استعذ بالله من نزعات الشيطان ونزقات[2] الشبان * من خلا له الجو باض وصفر ، ومن تراخى له الليث نزا وطفر * المخذول يرفع رأسا ناكسا ، ويبل فماً يابساً .

***

وهذه ملح من شعره

كتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من المتقارب] :

كتبتُ من الباغِ يوم الفراغ وذا نعمةٍ آذنت بالبلاغ
فأقبل فما دون لقياك للزمان وإحسانه من مساغ
لأنك صفوة أبنائه وسائرهم فكمثل الرداغ[3]
رداغ بخارى ولا سيما إذا المرء لم يحتجز بالجناغ[4]

وقال على لسان ماوردية فضة [من مخلع البسيط] :

الحسنُ من ظاهري يلوحْ والطيب من باطني يفوحْ

---

(١) اقتدح بزند الجماعة : أي عمل برأيهم ومشورتهم .
(٢) النزق : الطيش .
(٣) الرداغ : الماء والطين ، أي الوحل .
(٤) الجناغ : إسم مكان .

فـالنصف منـي نصيبُ جسم والنصف منّي نصيب روح

وكتب إلى أبي أحمد العارض مع حب بلور مخلوط أهداه له [من المجتث] :

بعثـت للفـأل حباً يسـقيك صفـو المحبَّهْ
فعشْ لزرع المعالي ما أنبـت الـزرع حبَّهْ

وكتب إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الوافر] :

صديقـك غير محتشم وأنـت فغير مغتنم
وقـد أهـدى كمـا يهدي أخـو ثقـةٍ لذي كرم
فـرأيك في قبـول العذ ر في السّـكين والقلم

***

ذكر آخر أمره

لما انقضت أيام الأمير الحميد وملك عبد الحميد أقر أبا القاسم على ديوان الرسائل ، وخلع عليه ، وزاد في مرتبته ، فلم تطل به المدة حتى مرض مرضه الذي احتضر فيه .

فحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الفارسي قال : كان أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير وأبو القاسم المقانعي من خلص أصدقاء الإسكافي وممن يكبرون عنده ، فلما مرض الإسكافي كتب إليه اللحام وكان أبو جعفر يلقب بطويس والمقانعي بقاشر [من المجتث] :

طـويس إحـدى الفواتر شؤمـاً وقاشـر قاشر
ومنهمـا يا أبـا قا سمٍ عليك أحاذر
فـلا يكن واحـدٌ منـهمـا ببابـك عابر
إن لم يكن بك شوقٌ إلـى الثـرى والمقابر

ثم إنه دخل عليه عائداً فوجد عنده أبا جعفر بن العباس بن الحسين وأبا القاسم المقانعي وابن مطران ، فقال [من الرجز] :

ثلاثة أودوا بفذٍّ عصرِهِ   أودوا به في عنفوان أمرِهِ
قصدته يوماً بعيد فجره   وكان قلبي مولعاً بذكره
لفضله ونبله وفكرِهِ   إذا طويس جالس في نحره
وقاشر قد انبرى من قشره   عن سلة الشؤم وعن قِمَطْرِهِ[1]
فقلت قد أعوز جبر كسره   من بعد ما كان دنا من جبره
وقد تقضَّى فاطوِهِ بغيره   الشأن فيمنْ هُمْ على ممرِّهِ[2]

ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شبابا وآداباً وغدت لفراقه الكتابة شعثاء . والبلاغة غبراء ، أكثر فضلاء الحضرة رزيته ، وأكثروا مرثيته ، فمما أحاضر به الآن قول الهرثمي الأبيوردي من قصيدة ، منها [من الطويل] :

ألم ترَ ديوان الرسائل عُطِّلَتْ   لفقدانه أقلامه ودفاتِرُهْ
كثغرٍ مضى حاميه ليس يسدُّه   سواه ، وكالكسر الذي عزَّ جابره
ليبكِ عليه خطُّه وبيانه   فذا مات واشيه وذا مات ساحره

***

(١) القمطر : ما تحفظ فيه الكتب ، أو القِربة .
(٢) ممرّه : شاكلته ـ طريقه .

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين بالحضرة البخارية والطارئين عليها ، والمتصرفين في أعمالها

وتوفية الكتاب شرطه من ملح أشعارهم وظرف أخبارهم .

كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد ، وكعبة الملك ، ومجمع أفراد الزمان ، ومطلع نجوم أدباء الأرض ، وموسم فضلاء الدهر .

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : اتخذ والدي أبو الحسن دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد جمع فيها أفاضل غربائها كأبي الحسن اللحام ، وأبي محمد بن مطران ، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن ، وأبي محمد ابن أبي الثياب ، وأبي النصر الهرثمي ، وأبي نصر الظريفي ، ورجاء بن الوليد الأصبهاني ، وعلي بن هرون الشيباني ، وأبي إسحاق الفارسي ، وأبي القاسم الدينوري ، وأبي علي الزوزني ، ومن ينخرط في سلكهم ، فلما استقر بهم مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أهداب المذاكرة ، ويتهادون رياحين المحاضرة ، ويقتفون نوافج الأدب ، ويتساقطون عقود الدر ، وينفثون في عقد السحر . فقال لي أبي : يا بني هذا يوم مشهود مشهور ، فاجعله تاريخاً لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت ، واذكره بعدي في أعياد الدهر ، وأعيان العمر ، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين ، فكان الأمر على ما قال ، ولم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع .

***

٣١ ـ أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحرّاني

من شياطين الإنس ، ورياحين الأنس ، وقع إلى بخارى في أيام الحميد ، وبقي بها إلى آخر أيام السديد ، يطير ويقع ، ويتصرف ويتعطل ، ويهجو وقلما يمدح ، وكان غزير الحفظ ، حسن المحاضرة ، حاد البوادر ، سائر الذكر ، ساحر الشعر ، خبيث اللسان ، كثير الملح والغرر . رامياً من فيه بالنكت ، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه ، وكان لا يهجو إلا الصدور .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : تحككت وأنا أحدث باللحام فقلت فيه [من السريع] :

رأيتُ للّحامِ في حلقه ... للشعر تطبيقاً وتجنيسا
نخوة فرعون ولكنَّهُ ... جانس في حمل العصا موسى
قرينه إبليس لكنَّهُ ... خالف في السجدة إبليسا

وأردت بذلك فتح باب إلى مهاجاته ، فلم يجبني وجرى على قضية قول المتنبي [من الطويل] :

* وأغيظ من ناداك من لا تجيبه *

قال مؤلف الكتاب : لم أر للحام ديوان شعر مجموعا ، فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشره ، ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا ، فمن ذلك قوله في الشكوى [من المنسرح] :

قد نفدتْ لاعدمتك النفقه ... منذ ثلاثٍ فمهجتي قَلِقَهْ
وليس في البيت ما يباع وما ... يرهن إلا درَّاعةٌ خِلِقَهْ(١)

---

(١) درّاعةٌ خلقه : الدراعة جبّة من صوف مشقوقة المقدّم ، وخلقه : بالله .

وقوله [من الرمل] :

كنتُ من فرط ذكاءٍ واشتعالِ كتلظّي النار في الجزل اليبيسِ
فتلبَّدتُ ولا غرو إذا خفَّ كيْسُ المرء مع خِفَّة كيسِ[1]

وقوله [من الكامل :

أنا من وجوه النحو فيكم أفعلُ ومن اللُّغات إذا تعدّ المهملُ
حتّام لا ينفكُّ لي بفنائكم أملٌ يخيب وعود ظنٍّ يذبل
حالٌ ترشَّفَتِ الليالي ماءها وتجمُّلٌ لم يبق فيه تحمُّلُ
هذا وإن أقفلتَ باب مطامعي دوني فما لله بابٌ يقفل

وقوله [من الكامل] :

ذابتْ على قومٍ سماؤك بالندى ويدي تردد تحت غيمٍ جامدِ
وأنا الذي إنْ جُدْتَ لي أو لم تجد لك في الثناء على طريقٍ واحد

وقوله لما صرف عن بريد الترمذ بابن مطران [من مجزوء الخفيف] :

قد صُرفنا وكلٌّ من كان من قبلنا صُرِف[2]
وصرفنا بشاعرٍ نعته ليس ينصرف

أي أنه أحمق ، والأحمق لا ينصرف .

وقوله لما تقلد عمل الإخصاء دفعات [من مخلع البسيط] :

قد صار هذا الإخصاء رسماً علي كالرسم في المظالمِ
وصرت أدعي به كأني ولدت في طالع البهائمِ

(١) الكيْسُ : الظرف والفطنة .
(٢) في الأصل : « قبلنا قد صرف » ولا يستقيم عليه الوزن .

وقوله [من الوافر] :

وأرجـو أنْ يُسهَّـلَ لي وصولٌ　　إلـى المنشـور من قبـل النشورِ[1]

***

مدحـه

قوله في أبي جعفر العتبي [من البسيط] :

الشيخ أكبـر من قولـي وإكثاري　　لكنْ أُحلِّـي بذكر الشيخ أشعاري

وأعتِـبُ الدهـر إذ عاتبتـه بفتىً　　من آل عتبـةَ نفّـاعٍ وضرَّار

كأنّمـا جاره في كلِّ نائبةٍ　　جار الأراقـم في أيام ذي قار[2]

يُجـري المـكارمَ في لاءٍ وفـي نعمٍ　　فالنـاس في جنَّـة منـهُ وفـي نار

وقوله في الحسن بن مالك [من الوافر] :

لبسنـا كل داجـي اللـون حالِكْ　　وقطَّعنا المسالِكَ والممـالكْ

وأعملنـا السُّـرى حتـى نزلنا　　بزمٍّ في ذرى الحسـن بنِ مـالكْ[3]

فتـىً قد حاز إفضـالاً وفضلاً　　ولـم يحلل بهـا إلاَّ لـذلك

فقـل للدهـر كدْ غيري رجالاً　　فلسنـا بعـد هذا من رجـالك[4]

***

---

(١) النشور : البعث أو القيامة .

(٢) الأراقم : الأفاعي السامة .

(٣) بزمّ : في زمام ، وقيادة الحسن بن مالك .

(٤) كدْ : من المكيدة : وهي الخداع وإرادة السوء .

ما يستملح من أهاجيه

قال في الحاكم الجليل [من الرجز] :

قولا لنوحٍ ثم للفتكين لشؤم هذا الحاكم اللعين
سللتما عن مثل ملك الصين كسلَّةِ الشعر من العجين

وقال في القحطبي [من مجزوء الكامل] :

أما الهمامُ فهمُّهُ في صون ملكِ المشرِقِ
والقحطبي فللذي يهواه غير موفّقِ
ومتى يوفّق من له في طيِّ ذاك اليلمق[1]
شبرهٌ يبيع الدين فيه بفلذةٍ أو جردق[2]
ويدٍ كأنَّ بنانها قطعت مخازن زئبق
لو دُقّ كلتا مرفيه لحبِّهِ لم يُرقَقِ
أو شكَّ حبَّة قلبه في حبِّه لم ينطق
يختال بين مخنثٍ ومواجرٍ مسترزق
فكأن من يغشاهما في جنح ليلٍ مغسقِ[3]
مَنْ ذاكرٌ أضيافَ جفنة في الزمان الأسبقِ

وقال وأبدع في تضمين هجائه بيتاً للنابغة في وصف الأقحوان [من الكامل] :

يا سائلي عن جعفر علمي به رطبُ العجان وكفُّهُ كالجلمد
(كالأقحوان غداة غبّ سمائه جفّت أعاليه وأسفله ندي)

---

(١) اليلمق : الثوب المحشوّ .
(٢) الجردق : الرغيف .
(٣) الغسق : الظلام .

وقال في أبي جعفر العتبي [من الرجز] :

تغيَّرت أخلاق هذا العتبي وصار لا يعرف غير العَتْبِ
وغير ضربٍ دائمٍ وسبٍّ وقد حشا فصار مثل الدبِّ

عليه ألف لعنة من ربي

وقال فيه [من مجزوء الخفيف] :

ما لقينا من القصير العريض الملزَّزِ
كان حراً فصار نبزاً على كلٍّ أنبزِ[1]
عذَّب الله نفسه في حبوس القمندزِ[2]

وقال فيه [من مخلع البسيط] :

برئتُ من وائلٍ وبكرٍ ومفجرٍ وابلٍ وبكر
إن جئتكم طالباً لشغلٍ وأحمد بن الحسين صدر

وقال في قوم من صنائعه وأصحابه [من السريع] :

صنائع الشيخ سوى حمدٍ بيادق الشطرنج والنَّردِ
منهم أبو نصر وسبحان من براه من أسطمة البرد[3]
ولعنة الله على بعضهم وهو أبو بكر بن شهمرد
وبعد لولا الحفظ للعهد لقلت في المضطرب القدٍّ
فارجع إلى حمدٍ فما فيهم يا سيدي أنذَلُ من حمد

---

(١) في الأصل « نبز كلّ أنبز » ولا يستقيم الوزن عليه .
والنبز : العيب ، أو اللئيم في حسبه وأخلاقه .
(٢) القمندز : اسم فارسي .
(٣) أسطمة : وسط ، والأسطمة : لجّة البحر .

ويحكى أن حمد بن شاهمرد لما سمع الأبيات اهتز لإخراجه إياه من جملة من هجاهم ، فلما سمع البيت الأخير استرجع وقال : ليته أجراني مجراهم ولم يخصني بالذم .

وقال يوما أبو أحمد بن منصور للحام : قد هجوتني ؟ قال : لا ، قال : فاهجني وخلاك الذم ، وقدم إليه القرطاس والدواة ، فكتب [من البسيط] .

قالوا أبو أحمد حرٌّ فقلت لهم   حرٌّ لعمري ولكن فاكسروا الحاءَ
فإن أردتم محالاً أو به سفهاً   فأبدلوه بياءٍ وانقطوا الراء

وقال لأبي طلحة قسورة بن محمد [من المجتث] :

إنّي امرؤٌ يا أبا طلحة بنصحك صبٌّ
هذا زمانك فاختم   بالطين ، والطين رطبُ
وقد وعظتك إنْ كنت   للمواعظ تصبو
وإن رجوتك من بعدها   فإني كلب
أحسن فمالك عذرٌ   وما على الدهر عُتْبُ
فإنَّ سقيا الليالي   فيها أجاجٌ وعذب[1]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

يا أبا طلحة استمع   قولَ من فيك قدْ صَدَقْ
لك وجهٌ كأنّه   صيغ من قمقمٍ خلِقْ[2]
وخِلالٌ إخالها   من كنيفٍ قد انبثقْ[3]
قم فلا خير فيك يا   خِلِقَ الخَلْقِ والخُلُقْ

(١) الأجاج : المالح ، والعذب : الفرات السائغ للشراب .
(٢) خلِق : بالي .
(٣) الكنيف : المرحاض .

وقال في بطة بن كوسيد وفي أبي مازن قيس بن طلحة وأبي يحيى الحمادي [من مجزوء الرمل] :

ملـك الـديوان قيـسٌ   وأبـو يحيـى وبطّـه
كلُّـهـم أخـزاهـم اللّـهُ علـى الأحـرار سخطـه
ليس فيهـم مـن يساوي   فـي نفـاق السـوق ضرطـه

وفي أبي يحيى [من مجزوء الرمل] :

تـكذب الكذبـة جهلاً   ثم تنساهـا قريبا
كن ذَكُوراً يا أبـا يحيـى إذا كنـت كذوبا

وقال في بطة [من السريع] :

ولا تدعْ قطُّ قفـا بطّه   فإنـه قد صار كالبطه[1]
أثـرى بمـروٍ بعـد أن لم يكن   يملك إذ حلَّ بهـا ضرطه

قال في ابن حسان [من المجتث] :

بالـراح أقسـم صرفاً   والـعـود والـسـرنـاء[2]
أن ابـن حسـان في حا   ل شـدّةٍ ورخـاء
مـا آثـر البـاغ إلاّ   لفـرط داء البـغـاء
حتـى إذا عـزّ أيرٌ   أنحـى علـى القثـاء

وقال في تميم بن حبيش [من مجزوء الرمل] :

يـا تميم بنَ حبيشْ   كـل ذاك الـطيش أيشْ

---

(١) وقع هذا البيت في الأصول :
لا تدع قطّ قفـا بطّه   فإنـه صار كالبطة
ولا يتفق وزنه مع وزن البيت بعده .
(٢) السرناء : آلة موسيقية تشبه العود .

إنمــا أنــت وكيــلُ الـبــاب لا صاحــب جيــشْ
قــد تبظــرمــت وقدمــاً كنــت في أنــكد عيش
كنــت ذميّــاً فصــرت اليــوم فــي أعلــى قريــش

وقال من نتفه [من الطويل] :

ويبــرز للــرائين وجهــاً كأنّما كساه إهابــاً من قشــور الخنافس[1]

وقال في أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين [من المجتث] :

محمــدُ بنَ عليٍّ سبــط الحسينِ بنِ حامدْ
وافــى فســرَّ ولي به وأكمــد حاسدْ
قــد قلــت لمــا بدا لي في مســك بعض الأساودْ
الحمــد لله شكراً قد زاد في الــزُّط واحدْ[2]

وقال في أبي علي البلعمي [من المنسرح] :

وزارة البلعمــيٍّ منقلبة وهــو كقفــلٍ غدا علــى خرِبَهْ
لــم يرع للأولياءِ حرمَتَهُمْ فيهــا ولا للوجــوه والكتبهْ
قــد قُلبــت وجــهُ كلٍّ مكرمةٍ متــى تراهــا عليه منقلبهْ
فهــو أحــق الــورى بداهيةٍ تضحــي لهــا رأســه علــى خشبهْ

وقال فيه والعتبي منفي إلى بست [من الرجز] :

متــى أرى الشيخ الــذي ببستِ كالبــدر يبــدو طالعــاً في الدّست
* لحيَةُ هذا البلعمي في استي[3] *

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) الزطّ : العبيد السود .
(٣) الاست : المؤخّرة .

وقال فيه [من البسيط] :

أبـا علـيٍّ أنلنـي بعضَ آمالي يرضيك أيري وإن لم ترضِ أقوالي
إن كان ساءك أقـوالٌ نطقـت بها فسـوف يرضيك عنـي حسـن أفعالي

وقال في ابن عزيز [من المتقارب] :

إذا فُقِـدَ البـؤس في بلدةٍ وأعـوز وجدانـه في العويرْ
ولـم يوجـد الجـود في مجلسٍ سحيق الأقاصـي ولا قعـرِ دَيْرْ
فمعـدن وجدانـه حاضرٌ خوانُ محمـد بن العزير
خـوانٌ عظيمٌ ولكنَّهُ خلـيٌّ الجوانـب من كلِّ خيرْ
فتـىً لا يرجّـى علـى الحادثات لتقـريب خيرٍ ولا دفـع ضيرْ
كثير التنقُّـل في داره فمـن أصـل أيرٍ إلـى أصـل أيرْ
فغلمتـه بقناديلهـمْ يطوفـون من دبـره حول دير

وقال فيه [من المتقارب] :

طعـام محمـد بن عبـد العزيز تُـداوى به المعـدةُ الفاسدهْ
حشـائش بقـراط معجونةٌ به وعقـاقيره الفاردهْ
جرادقـه درّةٌ ذرّةٌ علـى عدد الفتية الواردهْ[1]
علـى عدد القـوم رغفانه فلسـت ترى لقمـةً زائدهْ
أرى الصـوم في أرضـه للفتى إذا حلّهـا أعظـم الفائدهْ

وقال فيه [من المجتث] :

لقيتَ أشـأم طيرٍ وسـرتُ أنـكد سيرِ
مواصـلاً كلَّ شرٍ مجانبـاً كلَّ خيرِ

---

(١) الدرّة : اللبن ، أو الدم ، أو السوط الذي يضرب به .
وذرّة : أي صغيرة الحجم ، أو أنها مصنوعة من الذرة .

طارت عليك نحوسٌ تجري بأشأم طيرِ
فأنت خنزير خلقٍ تغدو بأخلاق عيرِ[1]
وليس يَعرِف ما قدْ حوى قميصك غيري
إن ساء فيك مقالي فسوف يرضيك أيري

وقال في غيره [من البسيط] :

تثنّى بما فيك من سوء التناشيم يأوي إليها الخنا والجهل والبكَم[2]
حماك حلٌ ومن يأويه مبتذلٌ لنايكيك وما في كفّك الحرمُ
قُسِمْتَ نصفين علوٌ شأنه بخلٌ عند السؤال وسفلٌ زانه كرم
يا كاتباً كلّما أفنى أدراجه دس الطوامير في وجعائه الخدمُ
إن الكتابة أمست غير طاهرةٍ مذ حاض في يدك القرطاس والقلمُ

حدثني أبو القاسم الأليماني ، قال : بني أبو الفضل القاشاني داراً سرّ بها فلما فرغ منها سأل اللحام وقد دخل إليها مهنئاً أن يدور فيها ويتأملها ففعل وأنشأ يقول [من البسيط] :

متى أراها ينادي حولها البوم وللنساء بها نوحٌ وتلطيمُ
متى أراها يباباً لا أنيس بها متى يقامُ على الشيخ المآتيمُ
إسمع أبا الفضل لا أُسمعت صالحةً يا كلبُ يا قرد يا خنزير يا بومُ

وأنشدني أبو القاسم قال : أنشدني اللحام لنفسه في علي بن الحسين [من الطويل] :

إلى الله أشكو أهل يزد بأسرهِمْ وألعن شخصاً جاء من جانبيّ يزدِ

(١) العير : القافلة من الحمير والجمال والبغال .
(٢) الشيم : المزايا والأخلاق ، والخنا : الفحش، والبكم : من الأبكم وهو الأخرس .

زنيماً إلى أبنــاء ساســان ينتمي بوجهٍ عريق اللــؤم في نســب الهندِ[1]
إذا عدَّ أهـل الخـير كان بضدهم وإن عدَّ أهــل الشرِّ لم يكُ بالضدِّ
لســانٌ إلى البهتــان أهــدى من القطا وكفٌّ على العدوان أعدى من الفهد[2]
فأخرســه ربٌّ على ذاك قادرٌ وأفــرد كفيه جميعــاً من الزند

وأنشدني غيره له في الحاكم الجليل [من الكامل] :

بعــد الخمــول غدوت صدر الموكبِ وجــررت كبــراً ذيل كلِّ تسحب
يا من يمــرُّ على الــورى متبظرما أنظــر إلى أطــلال دار المصعبي

وله في أبي مازن لما صرف عن الديوان وأمر بلزوم منزله [من المتقارب] :

أبــو مازنٍ لازم منزله وأصبــح في النــاس لا ذكر له
رمــاه الزمــان بأحداثه ومــن حيث أخرجــه أدخله

وله فيه وفي أبي بكر محمد بن سباع [من البسيط] :

مضى أبــو مازنٍ لا ضــير وارتفعتْ تهــبُّ لابــن سبــاعٍ ريحُ إقبال
كذلك الدهــر في تصريفــه عجبٌ ما زال يبــدل أنــذالاً بأنذال

وله في أبي جعفر بن العباس وابن مطران [من السريع]:

عــاد إلــى الحضــرة إثنانِ طويس والنــذل ابــن مطرانِ
اثنــان ما إن لهمــا ثالثٌ إلاّ عصــا موســى بن عمرانِ

وقال في ابن مطران من أبيات [من المنسرح]:

مــا زال بالشــاش فوق باكية يسقــط حتى احتواه مسقَطُهْ
وكاد فيمــن يمــوت من سغبٍ هنــا لولا استُــهُ وبربَطُهْ[3]

---

(1) الزنيم : كثير الزناء أو ابن زناً .

(2) البهتان : الزور والكذب ، والقطا : طائر في حجم الحمام يعيش في الصحراء خصوصاً .

(3) البربط : العود ، والسغب : الجوع .

وله فيه] من السريع]:

هــذا الشويشــي الــذي وافى لسانــه معتقــلٌ فافا
يخــالف الرحمــن في قوله (لا يسألــون النــاس إلحافا)

وقال في بعض الحكام [من الوافر]:

قلنســوة علــى رأس صليب مساحتــه جريبٌ في جريب[1]
وإنّ يدي وهامتــه ونعلي قريبٌ من قريبٍ من قريب

وله في أهل خوارزم [من الكامل]:

ما أهــل خارزمٍ سلالة آدم ما هم وحــق الله غير بهائمِ[2]
أتــرى شبيه رءوسهــم ولغاتهم وصفاتهــم وثيابهــم في العالمِ
إن كان يقبلهــم أبونــا آدمٌ فأنــا بريءٌ من أبينــا آدمِ

وله فيهم وقد حصل على عمل البريد بها [من مخلع البسيط]:

لا نال من ربّــه مناه ولا شفــاه ولا رعاهْ
مــن سامنــي الــكون في بلادٍ رءوس سكانهــا جباه
أغــدو بلا مؤنسٍ وأمسي إمســاء من ليلــه ضحاه
لــدى خسيس يظــنُّ تيهاً أن ليس في ذا الــورى سواه
لــه ثنــايا كأنَّمــا قد عضً بأطرافهــا خــراه

وقوله [من البسيط]:

وقائــل لي دنّســـتَ النجــاء بمنْ يدنّسُ ان أقعــى وإن شردا[3]

---

(١) الجريب : القفّة ، آنية تكال فيها الحبوب .

(٢) ورد صدر هذا البيت :

« ما أهل خوارزم سلالة آدمِ »

وهو غير مستقيم الوزن فأصلح على الشكل الذي أتيت فيه .

(٣) عجز هذا البيت لا يظهر لنا فيه وجه يستقيم عربية .

فقلت أنصفت لكن هل سمعت بمنْ		إن هرٌّ كلبٌ عليه نازل الأسدا

وله [من الكامل]:

يا رب لا ترضي الذي يرضى		اخسف به وبداره الأرضا
يارب لا ترضي الذي يرضى		اخسف به وبداره الأرضا
إن لم يكن خسفٌ فلا عجب		أدخله جوف حرامه عرضا

وقاله [من الخفيف]:

قلقل الله ماضغيْك وفكَّيـ		ـك وبتَّ الكفين من زنديكا[1]
كم تصلي على جنائز موتا		ك أما آن أن نصلي عليكا

وله [من البسيط]:

عبدان هامته للصفعِ معتاده		لا سيّما مِنْ أكفٍّ السادة القادهْ
كأن أيدي النّدامى في تناولها		أيدي صيامٍ إلى كيزان برّاده

وله [من الكامل]:

سبحان ذي الملكوت من متقدّسِ		لم يبقَ شيءٌ في الورى لم يخنس[2]
داءان كانا في الملوك فأدبرا		وتواضعا داء البغا والنقرس

وله في أبي عبد الله الشبلي يهجوه [من الرجز]:

وألفُ أيرٍ من أيورِ الزنج		مضروبة في رقعة الشطرنج
بلا حزامٍ وبلا برطنج		في إست بعض الناس من بوشنج

* * *

---

(١) قلقل : حرك ، وفكّك وبتّ : قطع .
(٢) خنس : رجع وتنحّى ، واستخفى ، وخنس القول : أساءه .

ما علق بحفظي في فنون شتى

قوله في الغزل [من مجزوء الخفيف]:

مـا علـى مُسقمـي بألـ حاظـة لو ترفَّقا
لك حلٌ دمـي فرأ يك فيه موفّقا
أنـا لا شكٌ ميّتٌ فلك العمـر والبقا

وقال في استهداء الشراب [من المنسرح] :

عنـديَ يا سيدي ومولائي من بهـواهُ قد طال بلوائي
وقـد رأى أن يبيت مبتدياً وكان ما قد رآه من رائي
وليس عنـدي من الشـراب له وحـقٌ ما بيننـا سوى الماء

وقوله لبعض الوزراء [من الكامل]:

إن الـذين مشـوا إليك علـى دمي لم أصـغِ فيك لهـم وهـم عذالي
حتـى إذا ما استيأسـوا منـي سعَوا ووشَـوا بمـا لم يجـر قطُّ ببالي

وقوله [من مجزوء الرجز]:

إنـي اعتللـتُ علّةً سقطـت منهـا في يدي
وكان في الإخـوان من لم أرهـم في العوّد
فقلـت في كلِّهمِ قولَ امـرىءٍ مقتصد
أيرُ الـذي قد عادني في اسـت الـذي لم يعد

وله [من مخلع البسيط]:

بعثـت يا سيدي بقرعه فبلَّهـا لي ولـو بجرعه
فعندنـا أمـردٌ قبيحٌ لكنّـه في الفسـاد بدعه[1]

(١) الأمرد : الشاب الذي طلع شاربه ولم تنبت لحيته .

وله من قصيدة [من البسيط]:

ما إنْ أرقتُ بحرصي قطرةً فجرت ... من ماء وجهي إلاّ خلتُ ذاك دمي
ولا مشت قدمي في حظٍّ مطعمةٍ ... إلا تمنّيتُ أنّي ما مشت قدمي
جاريت دهري زماناً راكباً طعمي ... فدمت أجري على حالٍ ولم يدم
فما رأيت بخيلاً حال عن بخلٍ ... يوماً ولم أر مطبوعاً على الكرم[1]

* * *

ذكر نبذ من هجائه

قال ابن مطران فيه [من مجزوء الوافر]:

أبا حسنٍ ألا قلْ لي ... وبيِّنْ منتهى أدبِكْ
بأيةِ حيلةٍ قوَّمت ... عطف الحاء من لقبك

وقال أبو جعفر محمد بن العباس الوزير فيه [من الهزج]:

من احتاج إلى السيف ... فما في فيك يكفيكَ
وما جارحةٌ فيك ... لنا أجرح من فيكَ
وأطراف المساويكِ ... لَتُنبي عن مساويكَ

وقال فيه [من الكامل]:

إن الذي أفنى الخطيئة بعدما ... أفنى الهجاء وباء بالآثام
وأباد هجّاء الخلائق دعبلاً ... من بعده وفنى بني بسّام
سيرد أعراض الكرام بمنِّهِ ... ولطيف قدرته من اللّحام

---

(١) حال : أي تحوّل وتغيّر .

وقال أبو نصر الهزيمي [من البسيط]:

لم لا تبيعُ ولــم لا تشتــري اللحما ... ياشــرٌ من شتــم الأحــرار أو شتما
لقـد صددت عن القـول الجميل فما ... فتحـــت مذ كنــت إلا بالقبيح فما
عميت من طول ما تهجو الـكرام ومن ... عمـي الفـؤاد بدا في ناظـريك عمى

* * *

ذكر آخر عمره

لما لم تزده الشيخوخة إلا بذاء ، وتولعاً بأعراض الأحرار ، ومجاهرة بالوقيعة في المحتشمين والكبار ، ولم يسلم منه أحـد من أصحـاب السيوف والأقـلام ، وشاع من شنيع هجائه للبلعمي ما يبقى على الأيام ، وساءت الآراء فيه ، واتصلت الشكايات منه ، خرج الأمر السلطاني بتأديبه وعرك أديمه . وتـطهير الحضـرة من خبث أقاويله ، فأنفذ إليه وإلى الشرط مسودا امتثل فيه الأمر ، ولزمه حتى عبر به النهر ، فقال فيه ابن مطران الطويل]:

لسانــك يا لحــاًم ألقــاك في ورطه ... ومزدحــم الأسواء لاقــاك بالضغطه
لئــن كان لم يدبــغْ لسانــك دابغٌ ... لقد أحسنتْ بالأمس دبغ استك الشرطه
إلـى كم تسـوء النـاس عيشـك سالماً ... فمت هرماً يا كلبُ إن لم تمت عبطه[1]
ولا نلـت ما عمَّــرت خيراً ولــم تزلْ ... لدائــرة الأســواء رأســك كالنقطة

ثم إن البلعمي ندم على استحيائه ، وخاف بادرة لسانه ، وعلم أنه لم يتَوجه إلا تلقاء نيسابور . فكتب إلى صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ـ وكان قد هجاه أيضاً ـ في إذكاء العيون عليه ، والجد في تحصيله ، وكفاية شغله ، ووافق ورود الكتاب قدوم اللحام نيسابور ونزوله خان وشمكير ، فم يشعر إلا بهجوم من أزعجه وحمله وضبنه[2] على البغال سائراً به إلى قائن ، وهو مريض لا يقل رأسه ،

(١) مات عبطة : أي مات شاباً صحيحاً .
(٢) ضبنه : حملة فوق ضبنه ، والضِّبن ما بين الإبط والخاصرة .

فلما شارف المقصد قضى نحبه ، ولقي بصحيفته السوداء ربه .

* * *

٣٢ ـ أبو محمد المطراني ، الحسن بن علي بن مطران

شاعر الشاش وحسنتها وواحدها ، فإنها وسائر بلاد ما وراء النهر لم تخرج مثله إلا أبا عامر إسماعيل بن أحمد بعده ، وكان ابن مطران بخير وحسن حال يرد الحضرة بالمدح ، وينصرف بالمنح ، ويتصرف في أعمال البرد بما يرتفق به ويرتزق منه ، وشعره مدون كثير اللطائف .

حدثني السيد أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال : كنت ببخارى كثيراً ما تجمعني وابن مطران ، فأرى رجلاً مضطرب الخلقة من أجلاف العجم ، فإذا تكلم حكى فصحاء العرب ، على حبسة يسيرة في لسانه ، وكان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس ، وأدب الأنس ، فيطرب بنثره ، كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله ، كما يؤيس بجده ، وقد عيره اللحام في بعض أهاجيه ، وكان بينهما سوق السلاح قائمة فيتهاجيان ويتهاتران ولا يكادان يصطلحان . وكان اللحام يربي عليه في الهجاء ، ولا يشق غباره في سائر فنون الشعر ، وبلغني أن ديوان شعر ابن مطران حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ [من الوافر]:

وراحٍ عذَّبتها النـارُ حتى ... وقـتْ شرَّابهـا نار العذابِ
يُذيبُ الهمّ قبـل الحسو لونٌ ... لهـا في مثـل ياقـوتٍ مُذابِ[1]
ويمنحهـا المـزاج لهيبُ خدٍّ ... تشـرَّبَ ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده ، ويقول :

---

(١) الحسو : من الاحتساء أي الشرب .

كأنه مقلوب قول السرى في الخمر [من البسيط]:

هات التـي هي يوم الحشـر أوزارُ　　كالنار في الحسـن عقبى شربهـا النار

ومن سائر شعره قوله في أبي علي البلعمي من قصيدة أولها [من المتقارب]:

ألـمَّ المشيب برأسـي نذيرا　　وولّـى الشبـاب بعيشـي نضيرا
وأصبـح ضوء صبـاح المشيب　　لغربـان ليل شبابـي مطيرا
كذاك إذا لاح نُورُ البكور　　لســود الـطيور هجـرن الوكورا
هو الشيب مخبـره مظلمٌ　　وإن كان منظـره مستنيرا
وقـد كان إظلامـه في العيو　　ن يجلـو العيون ويشفـي الصدورا
فأعجـبْ بلـون سوادٍ أنارْ　　ولـون بياضٍ أبـى أنْ ينيرا
كأنَّ الغوانـي رمـد العيون　　يطالعـن من شيب فوديّ نورا[1]
إذا هنَّ قابلن نور المشيب　　أدرن علـى ذلك النـور نورا
وإن هنَّ واجهـن زور الخضا　　ب أعرضـن عن ذلك الـزور زورا[2]

ومنها في المدح [من المتقارب]:

بلونـاك حين يرجـى الوليُّ　　عرفـاً ويخشـى العـدو النكيرا
فلـم تك إلا اختياراً نفوعاً　　ولـم تلك إلا اضطـراراً ضرورا
ولـم ترد الشـر إلا جزاءً　　أراد بك الله خيراً كثيرا
ولو لم تخف سوء ظنِّ الشكور　　لما كنت بالسوء تجزي الكفورا

وله من قصيدة [من مجزوء الكامل]:

ترمـي مكايدة العدو　　بمـا التحفـظ منـه ضائعْ
مـن واقعـاتِ بالمقا　　تل قاتـلاتِ بالمواقع

(١) فوديّ : الشعر الذي على جانب الرأس ممّا يلي الأذنين .

(٢) زور الخضاب : الزور : الكذب ، والخضاب الصباغ الذي يصبغ به الشعر لإخفاء الشيب فيه .

وله من تشبيب قصيدة [من البسيط]:

أخو الهوى يستطيلُ الليل في سهرِهْ والليل في طوله جارٍ على قَدَرِهْ
ليل الهوى سنة في الهجر مدَّته لكنّه سِنَةٌ في الوصل من قصره[1]

وله في مثل هذه الصنعة وإن كانت في معنى آخر [من البسيط] :

كان التصرُّف في خفضٍ وفي دعةٍ أقلّ مدته فيما يقال سنه
فالآن قد صار من شؤمٍ ومن نكدٍ بالخفض من سنةٍ حتى يقال سِنه

وله في استهداء العنب [من مخلع البسيط]:

يا أحمدَ الأكرمين سيرَهْ فيهم وأذكاهُمُ سريره
ومن بهمَّاته العوالي أضحت عيون العلا قريره
ومن يرى بشره بشيراً أمواجه ثرَّةٌ غزيره
لترمني راحتاك شهباً مضلعاتٍ ومستديره
أشبّ العنبر المعلّى مسكاً به دهمةً يسيره[2]
بلادُ مجموعها ثلاثٌ الهند والترك والجزيره
ولا يكن حبسها طويلاً عنّي وأعدادها قصيره

وله من نيروزية [من الخفيف]:

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرَّ من قبله قريباً رسيل
سلْ سبيلاً فيه إلى راحة النفس براحٍ كأنها سلسبيل
واشتمالاً على السرور وهل يجمع شمل السرور إلاّ الشَّمول[1]
وهدايا النيروز ما يفعل النا س ولكنْ هديتي ما أقول

---

(١) السنة الأولى : العام،والسِّنة : اللحظة القليلة ، الغمضة الغفلة .

(٢) أشبّ : جمع وخلط ، والدهمة : السواد .

(٣) الشمول : الخمرة .

وله من تشبيب قصيدة [من الوافر]:

مهفهفةٍ لها نصفٌ قضيبٌ كخوطِ البان في نصفٍ رداح[1]
حكت ليناً ولوناً واعتدالاً ولحظاً قاتلاً سمر الرماح

وله أيضاً من تشبيب قصيدة أخرى [من الطويل]:

ظباءٌ أعارتها المها حسن مشيها كما قد أعارتها العيون الجآذرُ[2]
فمن حسن ذاك المشي جاءت فقبلت مواطىء من أقدامهن الضفائرُ

أخذه من قول ابن الرومي فزاد فيه وحسنه [من المنسرح]:

ووارد فاحمٍ يقبل ممشاه إذا اختال مشية عذره

وقال في استهداء حنطة في سنة قحط ببخارى [من الرجز]:

يا أيُّها ذا السيدُ المؤمَّلُ أرسى من الدهر عليَّ كلكلُ
يكاد أن ينفك منه المفصل ثلاثةٌ عيشي بهنَّ مثقلُ
القحط والعيلة والتعطُّل لي من بني الروم إمامٌ مقول
قد باسط السادة فيما يؤكل ولست ممنّ لاغتنامٍ يسأل
لكنْ إذا أعياني التمحُّلُ والحنطة السمراء حين تحمل
أحسن من بيضاء حين ترفُلُ والحَبٌّ للنفس الحبيب الأول
فليس لي إلا به تعلُّلُ تنُّور داري مهملٌ معطَّل
ومطبخي مع الخوان مهملُ والسوق قفرٌ ليس فيها مأكلُ
والضيق في ذا العام ضيقٌ يشمل لا زلت من جاهٍ ومالٍ تبذلُ
أفضل حرٍّ يُرتجى ويسأل لا زالت الدنيا عليك تقبل

---

(١) خوط البان : غصن البان ، والرداح : من النساء الضخمة الثقيلة الأوزان ، ومن الشجر : العظيمة .
(٢) الجآذر : البقر الوحشي .

بخيرها والخير منك يقبل ما زرع البُرُّ وطال السنبل[1]

وقال في أبي حاتم محمد بن الربيع الطوسي [من المتقارب]:

كأنّ أبا حاتمٍ لا يزا ل يصرف في الصرف لافي العمل
إذا حلّ أرضا دنا ظِعنه توقّعْ رحيلاً إذا قيل حلّ[2]
فتىً لا يبيت على بطنةٍ ولا يأكل الخبز إلاّ بخلّ[3]
فتىً عنده أنّه يستقِلْ بكُلّ الأمور ولا يُستقلّ
ويوجب تدبيره أن يكون رئيساً يُعَزُّ ولا يُستذل

وله في ثلجة سقطت بعد النيروز وبرد أضر بالأنوار [من الكامل]:

عجباً لآذر جاء في آذار وتفاوت الأفلاك في الأدوار
طلعت عشاءً للبيات سحائبٌ أنواؤهن خسفن بالأنوار
أبدى الربيع لنا شتاءً مضمراً يأبى ظهور ضمائر الأشجار
ندم الشتاء على التقضّي فانثنى لينال منتقما بقايا الثار

وكتب إلى صديق له رأى عنده غلاما فاستشرطه [من المنسرح]:

رأيت ظبيا يطوف في حرمك أغنّ مستأنساً إلى كرمكْ
أطمعني فيه أنّه رشأ يُرشى ليحشى وليس من خدمك
فاشغله بي ساعةً إذا فرغتْ دواته إن رأيت من قلمك

وله وقد سمع قول محمد بن عبد الله بن طاهر : ما جمشت الدنيا بأظرف من النبيذ [من المتقارب]:

ألا إن دنياك معشوقةٌ تجمّشها كلُّ عيشٍ لذيذْ[4]

---

(١) البرّ : القمح .
(٢) الظّعن : الرحيل .
(٣) البطنة : التخمة من كثرة الأكل .
(٤) التجميش : المداعبة .

ولكتهـا قطُّ ما جمَّشتْ   من الملهيات بمثـل النبيذ

وله من قصيدة [من السريع]:

كم غصـت في مدحـك فكراً على   درٍّ نفيسٍ غير مثقوبِ
ولـم يغصْ رأيك يومـاً على   برِّي ولا رأيٌ لمكذوبِ
إن كان موعـودك الجـود لي   أكذبُ من موعـود عرقوبِ
فإن إخبـارك في مدحتي   أكذبُ من ذئـب ابـن يعقوب

وله من أخرى [من البسيط]:

يا من إذا مادح أثنـى عليه بما   في نفســه قام من مرآة شاهدُهْ
والمـرء مرآه مرآةٌ يلـوح بها   في الغيب منـه لعينـيّ من يشاهده

ألم فيه بقول الرومي [من الخفيف]:

وإذا ما محابـر النـاس غابت   عنـك فاستشهـد الوجـوه الوضاءَ
بشـرّ البـرق بالحيا وسنـا الصبـح بأن   يقلـب الدجـى أضواءَ

وله من أخرى [من البسيط]:

شهـر الصيام جرى باليمـن طائرُهُ   عليك ما جدَّ باديه وعائدُهُ
ودام قصـرك مرفوعـاً مجالسه   لزائـريه ومنصوبـاً موائدُهُ
ودام صدر عظيمٍ أنـت ماهدُهُ   وعش لملكٍ عزيزٍ أنـت واحدُهُ
فأنـت منظـره الأبهـى وناظـره الـ   أعلى ومنكبـه الأقـوى وساعدُهُ

وله في أخوين كريم ولئيم [من الخفيف]:

بين أخلاقـه التـي هي أخلا   قٌ وأخلاقـك العتـاق مسافه
ولعمـري لفـي ادعائـك إيا   ه ابـن أمٍ إبطـال علـم القيافه(١)

---

(١) القيافة : اتباع الأثر .

وقال في وصف الشتاء [من مجزوء الرمل]:

وشتـاءٍ محمـقٍ الكلب فلا يغلـو قديرهْ
كلمـا رام نباحاً زمّ فاه زمهريرِه[1]

وله في أكول [من مجزوء الرجز]:

إنّ أبـا طالبنا له فمٌ كالمعده
يهضـم ما يمضغه من غير أن يزدرده

وله [من مجزوء الخفيف]:

والـمـودّات مـا خلـت مـن تهـادٍ مـكـدّره
كطبيـخٍ خـلا مـن اللـحـم يدعـى مـزوّره[2]

وله ، وهو من ظرفه [من المنسرح]:

تزهـى علينـا بقـوس حاجبها زهـو تميمٍ بقـوس حاجبها[3]

وله في أبي الفضل المعافى بن هزيم الأبيوردي [من الخفيف]:

أصبـح الملك مبتلـىً بالمعافى وهـو ممّـا به ابتـلاه معافى
ورد البـاب لانتصـافٍ مـن الـدهـر فأفنـى الصحـاح والأنصـافـا

وقال في اللحام وقد اعتذر إلى بعض الرؤساء من هجائه [من المنسرح]:

قلْ للحيحيم إنّ مدحـك عن هجـوك ما إن يقـوم معتذرا
وهـل يعفـى علـى إساءته تبصيص الكلـب بعـد ما عقرا[4]

---

(١) زمّ : أقفل ، والزمهرير : البرد القارص .
(٢) المزورة : مرقه تصنع للمريض خالية من الأدهان .
(٣) الحاجب الأول حاجب العين ، والحاجب الثاني هو حاجب بن زرارة حكيم تميم وخطيبها .
(٤) العقر : العض .

وله من قصيدة [من البسيط]:

طال افتتاني بظبيٍ وردُ وجنته ... يجنى فؤادي وكفّي ليس تجنيه
نصٌّ ينمُّ على أسرار نعمته ... لباسُهُ فكما يكسوه يعريه
فكيف ألثمه واللحظ يؤلمه ... والشمُّ يكلِمُهُ والضمُّ يدميه[1]

وله من أخرى [من الخفيف]:

ظبيُ أنسٍ فدته وحش الظباءِ ... شفَّ جسمي بطول منع الشفاه
شادنٌ يرتعي سويداء قلبي ... حسن يرنو من مقلةٍ سوداء[2]
شبَّ فيه الشباب نار جمالٍ ... عُدِّلت ناره بماء البهاء

وله في وصف ثوب أهداه إليه صديق [من الوافر]:

أبا نصرٍ سمحْتَ لنا بثوبٍ ... حكى في فرط ضيق العرض باعَكْ
سخافةُ نسجه تحكيك لكنْ ... غلاظةُ نسجه تحكي طباعكْ

وله من قصيدة كتب بها إلى إخوان له بالشاش من رباط كان التجأ إليه من فتنة وقعت بالناحية [من الكامل]:

فزتم بأنسٍ ألفةٍ وخلاط ... وتركتموني في كنيفِ رباط[3]
وسعتْ صحون فيه إلا أنها ... من ضيق صدري مثل يمِّ خياط[4]
جاورت فيها نسوةً ساسيّةً ... نسلِ الحرام حلائل السقاط
سلب الزمان شعورها وشعورها ... طهر السِّواك وزينةَ الأمشاط[5]

---

(١) يكلِمه : يجرحه .
(٢) الشادن : الغزال ، ويرنو : يتطلع .
(٣) الكنيف : المرحاض ، والرباط : الخانقاه للصوفية .
(٤) سمٌّ الخياط : إبرة الخياط،وفي القرآن الكريم: حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، أي الحبل الغليظ في فتحة الإبرة .
(٥) السواك : عودٌ يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الطعام .

يحملن أطفالاً كأنّ وجوههم طليت بصمغٍ من يبيس مخاط
فيهن فتياتٌ إذا غنّينني عنّينني وقصمن ظهر نشاطي[1]
أمعاؤها أوتارها وبطونها أعوادها واللحن رجع ضراط
ولهن أزواج على أكتافهم كنف معلقةٌ من الآباط
إن يسهروا لتسامرٍ فكلامهم لا يستبان كصرَّة الوطواط
أو يرقدوا فحلوقهم وأنوفهم ممّا تغطُّ كحِقة الخرّاط
وخلال ذلك يسمعونك كارهاً صوت الضراط كمثل شقّ رباط
حتى يغص بع الرباط كأنما إرساله من غير ذات رباط
ختموا الطريق بطينةٍ بطنيةٍ ليفكٌ ذاك الختم رجل الواطي
لا أستطيع تحفُّظاً منها ولو أعملت فيه توقي المحتاط
أمشي بأطراف الأصابع بينها حذراً كأنّي فوق حدٍّ صراط
وبراغثٌ مثل الخطوب طوارقٌ حدب الظهور غليظة الأوساط
يحسون ماء حياتنا فجلودنا كمصاحفٍ محمرَّة الأنقاط

***

٣٣ - أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسن

هو ابن العباس بن الحسن وزير المكتفى والمقتدر ، وأخباره مشهورة ، وأيامه في الوزارة مذكورة . وأبو جعفر هذا كاتب بليغ حسن التصرف في النظم والنثر ، رمت به حوادث الدهر إلى بخارى ، فأكرم مثواه كالعادة كانت للملوك السامانية في معرفة حقوق الناس وأبناء النعمة وأغذياء الرياسة ، لا سيما الجامعين إلى كرم النسب شرف الأدب ، وتقسمت أيامه بين الاولية السنية ، والطلعة الهنية . وكان على تماسك حاله وانتعاشه وارتياشه شاكياً لزمانه . مستزيدا لسلطانه ، وله القصيدة التي سارت في البلاد وطارت في الآفاق لحسن ديباجتها وبراعة

(١) العناء : التعب ، وقصمن : قطعن .

تجنيساتها ، وكثرة رونقها ، وأنشدنيها غير واحد ممن انشده أبو جعفر إياها ، وأولها [من الهزج]:

لئـــن أصبحـــت منبوذاً بأطـــراف خراسانِ
ومجفـــواً نبـــت عن لذّ ة التغميض أجفاني[1]
ومحمـــولاً علـــى الصـــعبـــة مـــن إعـــراض سلطانـــي
ومخصوصـــاً بحرمانٍ من الأعيان أعياني[2]
وصـــرفٍ عنـــد شكواي من الآذان آذاني
ومكلومـــاً بأظفارٍ ومكـــدومـــاً بـــأسنـــان
وملقـــى بين أخفافٍ وأظـــلافٍ تـــوطّـــانـــي[3]
كأنّ القصـــد من أحدا ث أزمانـــي إزماني[4]
فـــكم مارســـتُ في إصلا ح شانـــي ما ترى شاني
وعاينـــت خطوبـــاً جرّ عتنـــي ماء خطبان
أفـــادت شيب فوديَّ وأفنـــت نور أفناني[5]
أغصّتنـــي بأرياقي لدى إيراق أغصاني
وقادتنـــي إلـــى من هـــو عنّـــي عطفـــه ثاني
ســـوى أني أُرى في الفضل فرداً ليس لي ثاني
كأنَّ البخـــت إذ كشّـــف عنّـــي كان غطّاني
ومـــا خلانـــي إلاّ زمانـــاً فيه خلاّني[6]
سأسترفـــد صبـــرى إنّـــه من خير أعواني

---

(١) نبت : ابتعدت وتجافت .

(٢) أعياني : أتعبني وأسقمني .

(٣) توطاني : أي تدوسه من الوطه .

(٤) الإزمان : الإمراض .

(٥) نَوْر الأفنان : زهور الأغصان .

(٦) الخلاّن : الأصحاب ، وخلاّني : تركني وتخلّى عنّي .

وأستنجد عزمي إنّه والحزم سيّان
وأنضو الهم عن قلبي وإن أنضيت جثماني(١)
وأنجو بنجاتي إنّ قضاء الله نجّاني
إلى أرضي التي أرضَى وترضيني وترضاني
إلى أرضٍ جناها من جنى جنّة رضوان
هواءٌ كهوى النفس تصافاه صفيّان
رخاءٌ كرخاءِ شرّ د الشدة عن عاني(٢)
وماءٌ مثل قلب الصبّ قد رِيع بهجران
رفيقُ الآلِ كالآل وفيه أَمْنُ إيمان
وتربٌ هو والمسك لدى التشبيه تربان(٣)
فإن سلّمني الله وبالصنع تولاّني
وأولاني خلاصاً جا معاً شملي بخلصاني
وأرآني أودّائي وآواني لإيواني
وأوطأني أوطاني وأعطاني أعطاني
وأخلى ذرعي الدهر وخلاّني وخِلاّني
فإني لا أجدُّ العو د ما عاد الجديدان
إلى الغربة حتى تغرب الشمس بشروان
فإن عدت لها يوماً فسجّاني سجاني(٤)
وللكوت الوحى الأحمر القاني ألقاني(٥)

(١) أنضو : أخلع .
(٢) العاني : من المعاناة .
(٣) الترب : الرفيق والصاحب .
(٤) السجّان : المسئول عن السجن . وسجاه : مدّده بعد انقضاء حياته .
(٥) الوَحى : الإسراع ، الملك ، النّار .

وأنشدني أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم قال : أنشدني أبو جعفر بن العباس لنفسه [من الخفيف] :

لست في ذا العذار والأمرد الحا ... سر عن رأسه العذار بخالعْ
الوقايات في الوقاية عندي ... فلهذا مقانعي في المقانعْ

وأنشدت له أيضاً [من الطويل]:

بوجهك يا من رق منه أديمه ... وراق الدمى حسنا أريق دمي عمدا
فأقسم أن لو قسمت صبوتي على ... بسيم الصبا ما نسم النسم البردا

وأنشدني أبو القاسم الأليماني قال : أنشدني أبو جعفر لنفسه في أبي جعفر العتبي [من الوافر]:

ألا من مبلغٍ المكروب قولاً ... بدا عن نصحٍ مأمون المغيبِ
جعلت الدهر حربك وهو سَلْمٌ ... فلم تسلَمْ عليه من الحروب
وحالفت العبوس لغير بؤسٍ ... فأسلمك القطوب إلى الخطوب

وكان بالحضرة رجل من الظاهرية يقال له أبو العباس الظاهري ، ينادم الكبراء ، ويتعاطى آلة اللهو ، وربما يشعر ، وكان يلقب ببشار لسوء في عينيه وعبث منه بالشعر ، فقال فيه أبو جعفر [من البسيط]:

إنّ الأمير أبا العباس بشارُ ... قرمٌ نمته الى العلياء أخيارُ(١)
فما يفارقه في الحجر مزهره ... وما يفارقه في الحجر مزمار

وقال فيه أيضاً [من السريع]:

أضحى أبو العباس مع علمه ... بالقلب والإبدال مُفتنًّا
فعينه غينٌ إذا ما رنا ... وغينه عينٌ إذا غنًّا

---

(١) القرم : السيد ، نمته : من الانتماء أي جعلته ينتمي إلى العلياء .

وقال فيه وكانت له أم ولد مغنية تحضر معه مجالس الأنس [من المنسرح]:

بشارُ لولا غناء حرمتك الجامع بين الإحسان والطيبِ
لكنت مثل المجذوم مجتَنَباً إن لم تصدق فقل لها توبي[1]

* * *

٣٤ - ابن أبي الثياب أبو محمد

من ندماء ابن العميد ، وله فيه شعر كثير ، وكان فسيح مجال الفضل ، وافر الحظ من الظرف ، ولما فارق ابن العميد وورد بخارى نجحت سفرته وحظي بالقبول ، ونادم فضلاء الصدور ، وهاجى أبا جعفر محمد بن العباس ، فمن قوله فيه [من السريع]:

إن ابن عباس أبا جعفرٍ يبذَلُ للنَّاكة أوراكَهْ
تراه من تيهٍ ومن نخوةٍ كأنَّه ناك الذي ناكَهْ

وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي له في أبي العباس وكان يلقب بطويس [من المجتث]:

وقائل قال سرّاً عن غير لبٍ وكيسٍ[2]
لم لا تنيك طويساً وأنت جار طويس
فقلت كيف افتراشي عنزاً ولست بتيس

وأنشدني حاضر بن محمد الطوسي لابن أبي الثياب في كتاب معنون بالحمرة [من الكامل]:

هذا كتابُ فتىً جفاؤك مضرمٌ ناراً من الأشجان بين ضلوعِهِ

(١) المجذوم : المصاب بمرض الجذام الذي يصيب أعضاء الجسم فتتآكل وتسقط .
(٢) اللب : العقل ، والكيس : الظرف والأدب .

ودليلــه في فيض مقلتــه دمــاً أنَّ الكتــاب مخضَّــبٌ بنجيعه[1]

ووجدت له بخط الرئيس أبي محمد الميكالي رحمه الله تعالى [من الخفيف] :

يا همامــاً يطـول كلَّ همامٍ بالقــديم المشهــود في الأقوام
والحــديث الــذي أذاع حديثاً عن سمــاء تهمــي بغير غمام
أنــت بحــرٌ يجيش بالــدرِّ لكنْ نَظْــمُ درٍّ البحــار للنظّام
فارغَ للشعــر ذمــةً في وليٍّ قد كفــاه الــولاء كلَّ ذمام
وأعــدْ أوجــه المنــى لبنيها ضحــكاً عن مدامــع الأقلام
فسواد التـوقيع يجـلو لعيــــــني بياضــاً من الأيــادي الجسام
لســت أشــكو إليك أيام دهرٍ أنــت فيهــا ذخيرةٌ للأنام
حسبــي الله في إدامــة نعما ئك للمســلمين والإسلام

وأنشدني بديع الزمان له من قصيدة [من الطويل] :

وهاجــرةٍ تشــوي الوجــوه كأنّها إذا لفحــت خديَّ نارٌ تأجَّجُ
ومــاءٍ كلــون الـزيت ملــحٍ كأنّما بوجــدي يغلــي أو بهجــرك يُمزَجُ
تعسَّفَهــا السَّير الأشــدَّ إلــى فتىً سنـا وجهــه جنــحُ الدجــى يتبلَّجُ[2]

وأنشدني أبو سعد يعقوب له في وصف شمعة [من المتقارب] :

ومجدولــةٍ مثــل صدر القناة تعــرّت وباطنهــا مكتسي
لهــا مقلــةٌ هي روحٌ لها وتــاجٌ علــى الــرأس كالبرنس
إذا غازَلَتْهــا الصبــا حرَّكَتْ لسانــاً من الذهــب الأملس
فنحــن من النــار في أسعدٍ وتلك من النــار في أنحس
وقــد ناب وجهــك عن حسنها وعــن ذا البنفســج والنرجس

---

(١) النجيع : الدم .

(٢) العسف : التعب يتبلّج : يشرق،والسنا : الضوء ، والدجى : الظلام .

فيا حامل العود حُثَّ الغنا ويا حامل الكأس لا تحبس[1]

***

٣٥ ـ أبو الحسن علي بن هارون الشيباني

وليس بالمنجم

من فضلاء الطارئين على تلك الحضرة ، المتحلين بالأدب والشعر ، الحاصلين بين أنياب الدهر ، وهو القائل لوزير الوقت [من الكامل]:

حَمْلُ الرياسةِ ما علمتُ ثقيلُ والدهر يعدل مرَّةً ويميلُ
يا راكب الآثام في سلطانِهِ انظُرْ إلى الأيام كيف تحول[2]
هي ما سمعتَ وما رأيت سبيلها التحويل والتنقيل والتبديل
لا تعتلل بالشغل إنّك إنَّما تُرجى لأنك دائماً مشغول
وإذا فرغت ولا فرغت فغيرك المقصود للحاجات والمأمول

أخذه من قول أبي العباس لما قال له عبد الله بن سليمان «اعذرني فإني مشغول» فقال [من الطويل]:

ولا تعتذر بالشغل عنّا فإنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

وله [من مجزء الرمل]:

أيُّها التائِهُ في الدولة مهلاً في اقتداركْ
كم إلى كم تجعل التيه علينا من شِعاركْ[3]
ما تبالي بخراب الـ أرض في عمران داركْ

(١) حث : أي أسرع بالغناء ، لا تحبس : لا تمنع .
(٢) تحول : أي تتحول وتتغيّر من حال إلى حال .
(٣) التيه : التكبُّر .

أيٌّ شيءٍ كان لو فكّــــرت في دار قرارك
تِه كمــا شئــتَ وصــل واســـ طُ علينــا في جوارك
فلنــا صبــرٌ علــى ذا ك إلــى يوم بوارك[1]

ولد في منصور بن بابنقرا [من مجزوء الرزجز]:

يا مكثــراً للعظمه أسرفــت في الكبــر فمه
فــكــم رأينــا مــن كبيــرِ كِبْــرُهُ قــد قصــمــه[2]
غــدت علــى أبوابهِ مواكبٌ مزدحِمَهْ
فــراح قد صبٌ الردى علــى الثــرى جهــراً دمه
وانتُهِبَــتْ أمواله كذاك عقبــى الظلمه[3]
فاحــذَرْ وبــادرْ إنني أرى أمــوراً مظلِمه
تــرى لهــا وقــت الضحى كمثــل لون العتمه

* * *

٣٦ - أبو النصر الهزيمي المعافى بن هزيم

أديب أبيورد وشاعرها ، وله كتاب محاسن الشعر ، وأحاسن المحاســن ، وكان يكثر المقام ببخارى ، ويخدم فضلاء رؤسائها ، ويترود حسن آثارها ، ثم يعاود أبيورد ، وينقلب الى معيشة صالحة ، وقد دوّن شعره ببخارى وأبيورد .

وحدثني أبو القاسم الأليماني قال : لما احتضر الأمير الرشيد أبو الفـوارس عبد الملك بن نوح بالسقطة من مهر صعب غير مروض ركبه ، وقام الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح ، فقال في تلك الحال القائلون ، وتصرفوا بين التعزية

(١) البوار : الهلاك .
(٢) كبرُه : أي تكبُّره ، وقصمه : قضى عليه .
(٣) عقبى : أي العاقبة وهي النهاية والنتيجة .

والتهنئة ، واجتمعت قصائد كثيرة لم يرتض منها إلا قصيدة الهزيمي التي أولها [من البسيط]:

الطـرفُ بالدمـع أولـى منـه بالنظر ... فخلِّه لنجيعٍ منـه منهمرِ
ألـمَّ خطـبٌ عظيمٌ لا كفـاء له ... رزءٌ يذمُّ عليه كلّ مصطبرِ
هذا الـذي كانـت الأيام توعدنا ... به ومـا لم نزل منـه علـى حذرِ
مدّت إلـى الملك الميمـون طائره ... أيدي الحـوادث والأيام والغِيَرِ
تركْنَ حارس دنيانـا وفارسها ... فريسـةً بين ناب المـوت والظفر
ما بين غبطتـه حيًّا وغبطته ... في الملك والهلك والإيوان والعفر[1]
إلا كرجـع الصـدى في وشْـكِ مدَّتهِ ... أو كالهنيهـة بين السيل والمطرِ
يا ميتةً لم يمتهـا قبلـه ملكٌ ... فيهـا لكلٌ عظيمٍ أعظـم العِبَرِ
كان الموفّـق إلاّ عنـد ركضيته ... وللمنـون اعتـلالاتٌ علـى البشر
وكان أقـدر مخلـوقٍ علـى فرسٍ ... أبـو الفـوارس لولا قدرة القدر
وكلٌّ عمـرٍ وإن طالـت سلامته ... لابـدّ يومـاً قصـاراه إلـى قصر
فالحمـد لله إذ جلَّـت مصيبته ... عن المصيب من الآراء والفكر
في دعـوة القائـم المنصـور دعوته ... منصـورُ المعتلـي في القـدر والخطر
من كان يصلـح للإسـلام يحرسه ... والتـاج يلبسـه والقصـر والسرر
سوى أبـي صالـح غيث النـدى الهمرِ ... ليث الوغى الهصرِ غصن العلى الخضر[2]

هذه التصريعات خطأ في صنعة الشعر على أن أبا تمام قال : [من الطويل]:

يقـول فيبـدع ويمشـي فيسرع ... ويضـرب في ذات الإلـه فيوجع

ومما يستجاد من شعره قوله للبلعمي من قصيدة وصف فيها الشتاء والبرد [من البسيط]:

وشتـوةٍ شتَّ أبنـاء السـبيل لها ... وغـار في نفـقٍ منهـا المغاويرُ

---

(١) العَفَر : التراب ، ووجه الأرض .

(٢) الهمر : الهاطل ، والهصر : القوي الذي يكسر فريسته ويقضي عليها .

يشكو جليدهم مس الجليد ضحىً ... والماء جلدته قرّاً قوارير[1]
فللحى من لحاء البرد أغشيةٌ ... وللعيون من الشفّاف تغوير
إذا تنكّبتِ النكباء عن أذنٍ ... فللجنوب من الجنبين تقويرُ[2]

وقوله [من الطويل]:

إليك ركبتُ البحر والهول والدجى ... فصن أملي يا خير من ركب الطرفا
أذكرك القربى من العلم بيننا ... وقول حبيبٍ يا أكابرنا عطفا

وقال من أخرى [من المتقارب]:

لئن قمت في حاجتي آنفاً ... ونفضتُ عن وجه حالي الغبارا
فكم منّةٍ لك في سالفٍ ... عليّ كبيتٍ من الشعر سارا
وما كان نفعك لي مرةً ... ولا مرتين ولكنْ مرارا

وله في قصيدة في الإسكافي [من الكامل] :

خطٌّ كما انفتحت أزاهير الربى ... متنزّهُ الألباب قيد الأعينِ
وبلاغةٌ ملء العيون ملاحةً ... نال النبيُّ بها صلاة الألسنِ

ومن قصيدة يشكر فيها بعض الصدور على بذله المنشور في صيانة ضياعه .
[من البسيط] :

أوليتني في ضياعي منك ما وقفتْ ... حمدي عليك وخير الحمد ما وقفا
لما بذلت من المنشور فهي حمىً ... لا تعرف النزل والأجعال والكلفا[3]
هذاك شكري على إسقاطه مؤناً ... فكيف شكري له إن أسقط العلفا

---

(١) الجليد : الصبور ، والجليد تجلُّد الماء من البرد من البرد،والقوارير : القناني . وقرّ : أي استقرّ .
(٢) تنكبّ : مال وتنحّى ، والنكباء : كلّ ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين ، والتقوير : التقطيع ،وقوّر الشيء : جعل في وسطه خرقاً مستديراً .
(٣) الأجعال : من الجعالة : وهي أجر العامل وما يعطى المحارب في الحرب ، والكلف من الكلفة .

إذاً ترانـي كمـن يحيا بزاوية   في الخلد ثم ينـال الحـور والغرفا

وكتب ببخارى يستهدي التبن [من مجزوء الرمل] :

خيرُ ما يُهـدى إلـى مر   تبـطِ البـرذون تِبْنُ[1]
واحتشـاميك علـى ما   بيننـا في الـودِّ غَبْنُ[2]
مـا بمـن شجّعـه جو   دك عن رفـدك جبن[3]
أنـت للخـائف والمعـــدم   إيسـارٌ وأمنُ
فلهـذا أنـت كنزٌ   ولهـذا أنـت ركنُ

وله من أبيات في استهداء الفحم [من المتقارب] :

هـبِ البـرد بالـريٍّ لم ينسجِ   وفـي سقـط البـرد لم يدرج
رسـولك ذاك الـذي قال لي   أحـيء معَ الفحـم أم لا أجي ؟

وأنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني الهزيمي لنفسه [من البسيط] :

مَنْ كفَّ سيف علـيٍّ عن مقاتله   كففـتُ غرب لسانـي عن تناوله[4]
من الفضـول دخولـي في مظالمه   وتـركيَ القـول في أقصـى فضائله
الله يسـأل عبـداً عن جريرته   وعـن جرائـر قومٍ غير سائله[5]

وله أيضاً [من البسيط] :

تيهُ المـزورِ علـى الـزوّار يمنعُهُمْ   عن الـزيارة فامنعهـم عن التيهِ
والنـاس ما لم يروا حرصـاً بصاحبهم   ورغبـةً فيهِـمُ لم يرغبـوا فيهِ

---

(١) البرذون : دابة دون الفرس غليظة الأعضاء تتخذ للحمل .
(٢) الغبن : ظلم وانتقاص للحق .
(٣) الرفد : العطاء .
(٤) الغرب : السّهم .
(٥) الجريرة : الذنب .

وله في ضيعته [من الوافر] :

كفتنِي ضيعتي مدح العباد ... وظعناً في البلاد بغير زاد
غدت سكني وخادمتي وظئري ... وفيها أسرتي وبها تلادي[1]
ألا فليعتمد من شاء شيئاً ... فحزني ليس يعدوه اعتمادي
صديق المرء ضيعته وكم مِنْ ... صديقٍ في الصداقة مستزاد
يخونك في المودَّة من تؤاخي ... ومالك لا يخونك في الوِداد
أخوك على المعاش معين صدقٍ ... ومالك للمعاش وللمعاد

وله ، وهو من قلائده السائدة [من مخلع البسيط] :

لما رأيتُ الزمان نكْساً ... وفيه للرفعة اتضاعْ
كلُّ رئيسٍ له ملالٌ ... وكلُّ رأسٍ له صداعْ
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به عن الذلّة امتناع
أشرب ممّا ادخرت راحاً ... لها على راحتي شعاعْ
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع

هذا بيت القصيدة ، وهو أمير شعره .

وأجتني من عقول قومٍ ... قد أقفرت منهم البقاع
بشرٌ وكعبٌ أمام عيني ... هذا يغوث وذا سواع

وحدثني أبو الحسن الحمدوني قال : كان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر الجرجاني الملقب بالحضرة طير مطراق ورد طر أبيورد على عمل البندرة ، واتخذ الهزيمي خليلا ونديما ومدرساً ، ثم حدثت بينهما وحشة وخرج الهزيمي إلى ضيعة له ، وبلغ أبا بكر أنه هجاه ، فأشخصه بعدة من الفرسان وسيب عليه ما كان سوغه اباه من خراجه ، قال : واستقبلني عند دخوله البلد مع المشخصين ، فلما

(١) الظئر : الأنثى المرضعة لولد غيرها . والتالد : الموروث من المال القديم .

وقع بصره علي قال [من مجزوء الرجز] :

بندارنا من أدبه أوقعنا في لقبه

فقلت له : يا أبا نصر ، من هنا أتيت ، وثنيت عناني معه إلى البندار ، فأصلحت أمره ، ولم أبرح حتى تصالحا وتمالحا .

وأنشدني أبو القاسم أحمد بن علي المظفري له [من البسيط] :

قد كنتُ أنظر قبل اليوم في كتبٍ فيها الحكايات والأشعار والخطبُ
ودفتر الطبِّ ممّا لا ألمُّ به إذ لم يكُنْ فيه لي من صحتي أرَبُ[1]
فجاءت التسع والخمسون تحوجني إلى العلاج فما لي غيره كتبُ

***

وكان للهزيمي أخ يكنى بالوليد لا بأس بشعره ، كقوله في رجل يكنى أبا سهل [من الرجز] :

يكنّى بسهلٍ وهو حزنٌ أوعَرُ من ذاك قيل للغراب أعور[2]

لأنه من الطيور أبصر

وقوله [من الكامل] :

في الكذب أنت أبا الفوارس فارسٌ وعن الفوارس في الصناعة راَجل
فتسابق الأدباء في ميدانهم وأبو الفوارس خلفهم متحاجل[3]

***

(١) ألمّ به : من الإلمام وهي المطالعة والمعرفة البسيطة بالشيء والأرب : الغاية .
(٢) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .
(٣) متحاجل : يتبختر في مشيته .

٣٧ ـ أبو نصر الظريفي الأبيوردي

حدثني السيد أبو جعفر الموسوي قال : كان للظريفي علي الهزيمي درس ، ومنه اقتبس ، فخرج كاتبا شاعراً ظريفا كلقبه وكان وارداً على الحضرة كثير الإقامة بها ، مداخلا لفضائلها ، متصرفاً منها على أعمال البريد ، وكان أبو علي البلعمي يكرمه وينادمه ، فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجزالة فأنشده من الغد قصيدة في مدحه كأنها صدرت عن أحد فحولة الشعراء الجاهليين فارتضاها وخيره في أعمال البريد ببلاد خراسان ، فاختار بلده أبيورد وتنجز المنشور والصلة وشخص .

ومن مشهور سائر شعره قوله [من الوافر] :

أرى وطني كعشٍّ لي ولكنْ ... أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أنّ كسب القوت فرضٌ ... لما برح الطيور من العشاش

وقوله [من السريع] :

سرُّ الفتى من دمه إن فشا ... فأوْلِهِ حفظاً وكتمانا[1]
واحتطْ على السر بإخفائه ... فإنّ للحيطان آذانا

وقوله [من المجتث] :

يكفُّ ليلاً ويفسو ... وسط الندى نهارا
يديم ذلك حتى ... يملا بخارى بخارا

وقوله [من الوافر] :

حوى المصريُّ أنواع المخازي ... وراح وماله فيها موازي
ولو جمعت مخازيه لزادت ... بكثرتها على كتب المغازي

---

(١) فشا : شاع وانتشر فأوله : أي اهتمّ واعتنى به .

وقوله [من الكامل] :

يا دولةً خلصت لأعور معورٍ ما أنت إلا دولةٌ عوراء

وقوله [من السريع] :

خافوا على المُلك عيون العدا فصيَّروا عوذته أعورا[1]

وحكى أنه تقلد مرة عمل البريد بالجبل ، وكان أمراؤها لا يقيمون لأصحاب البريد وزنا ، فلما وصل إلى الوالي بها قال له : أنت صاحب البريد ؟ قال : نعم . فاستظرفه ونادمه وأفضل عليه .

ودخل يوما على بعض وزراء الحضرة فجلس في أخريات الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأن يقال لي ارتفع أحب إلي من أن يقال لي اندفع .

***

٣٨ ـ رجاء بن الوليد الإصبهاني ، أبو سعد

من جلة الكتاب والعمال المتصرفين من الحضرة على أعمال خراسان وكان له أدب فائق وشعر رائق ، وكان به طرش ، فإذا كلمه من لا يسمعه قال له : ارفع صوتك فإن بأذني بعض ما بروحك .

وتنسب هذه النادرة أيضاً إلى الناصر الأطروش صاحب طبرستان ويجوز أن يكون سمعها رجاء عنه فاستعملها .

وكان في ذكاء القلب وجودة الحدس بحيث يفطن لكل ما يكتب بالأصبع على يده ، ويستغنى بذلك عن السماع ، فيجيب عنه .

وفي التبجح بطرشه يقول [من الطويل] :

حمدتُ إلَهي إذ بليت بحبِّهِ على طرشٍ يشفي ويغني عن العذرِ

(١) العوذة : ما يتعوّذ به المرء كالتميمة وغيرها .

إذا ما أراد السرّ ألصق خدَّهُ بخدي اضطراراً ليس يدي الذي أدري

وإنما حذا به مثال من قال في أحول [من الطويل] :

حمدت إلٓهي إذ بليت بحبه على حولٍ يغني عن النظر الشزر[1]
نظرتُ إليه والرقيب يخالني نظرت إليه فاسترحت من العذر

ومن مُلَحِ رجاء قوله في باقة ريحان [من الطويل] :

وشمّامةٍ مخضرةٍ اللون غضّةٍ حوت منظراً للناظرين أنيقا
إذا شمّها المعشوق خلت اخضرارها ووجنته فيروزجاً وعقيقا

وقوله [من الكامل] :

هذي المدام وهذه التحفُ والكأس بين الشَّرْبِ تختلفُ
فكأنّهم وكأنَّ ساقِيَهُمْ سينٌ ترى قدّامها ألفُ

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ السقاة بين الندامى ألفاتٌ بين السطور قيامُ

وأنشدني أبو نصر سعد بن يعقوب له نتفا مليحة ، منها [من الكامل]

خط يريك الوصل في طوماره متبسما والهجر في أنفاسه
فكأنما مقل الغواني كحلت من حسن أسطره على قرطاسه

***

٣٩ - أبو القاسم الدينوري ، عبد الله بن عبد الرحمن

من رؤساء الأدباء ، ورؤوس الكتاب ، ووجوه العمال بخراسان ، وأخبرني منصور ابنه أنه من أولاد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومصنفاته في

(١) النظر الشزر : النظر بمؤخّرة العين .

٢

محاسن الآداب تربى على الثلاثين ، وله شعر كثير يخرج منه الملح ، كقوله من قصيدة في وصف الخمر [من البسيط] :

كأنّهـا في يد الساقـي المـدير لها عصـارةُ الخمـر في ظُرْفٍ من الآل
لم تبقِ منهـا الليالـي في تصرُّفها إلاّ كمـا أبقـت الأيام من حالي

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

يا لعصـر الخلاعـة المورود ولظـلٍ الشبيبـة الممدود
وللهـوى ولذتـي وسروري ولسفـكي دم ابنـة العنقود
وارتشافـي الرُّضـاب من برد الثغـــر وشمّـي عليه ورد الخدود[1]
وغـدوِّي إلـى مجـالس علمٍ ورواحـي إلـى كواعـب غيد[2]
فـي قميصٍ من السـرور مذالٍ ورداء من الثياب جديد[3]
ولأيامـي القصـار اللواتي كنَّ بيضـاً قد حُلِّيَتْ بالسعود
غيَّر الدهـر حالهـا فاستحالت مظلمـاتٍ من الليالـي السود
وأتانـي من المشيب نذيرٌ غضٌ منّـي وفتٌ في مجلودي
وتدانـتْ له خطامـي برغمي ونحانـي له خصوصـاً عمودي[4]
وتيقّنـتُ أنّنـي في مسيري إثـر شرخ الشبـاب غير بعيد

وقوله [من مجزوء الوافر] :

مضـى الإخـوانُ وانقرضوا فهـا أنـا للـردى غرضُ
مرضـت فقيل لي لا بأ س عنـدك إنّـه عرضُ[5]

(١) ارتشافي الرضاب : أي شربي واحتسائي والرضاب : اللعاب ، الريق الممصوص .
(٢) الغدوّ والروّاح : الصباح والمساء .
(٣) مذال : طويل .
(٤) الخطام : الحبل يجعل في عنق الجمل ويثنى في خطمه يقاد به .
(٥) ورد العجز على هذه الصورة « إنّه عرض » فأقمنا وزنه .

فـأوّل منـزلٍ للمر ء نحـو معـادِهِ المرضُ

وقوله [من المتقارب] :

أرقـت لضيفٍ من الشيب زارا فأهـدى إليك النُّهـى والوقارا
وجلّك الحلـم ثوب الكرام وبـزّك ثوب الشبـاب المعارا
وقـد كان شرخ الشبـاب الذي تولّـى عدواً وإنْ كان جارا
أمـلَّ علـى ملـكيك الذنو ب حتـى أملّهمـا ثم سارا

أخذه من قول أبي الطيب المصعبي [من الخفيف] :

زائـرٌ لم يزل مقيمـاً إلـى أنْ سوّد الصـحف بالذنـوب وولّى

وقوله [من البسيط] :

شوقي إليك كشوق المدنف الحرِضِ إلى الطبيب الذي يشفي من المرضِ (١)
فإن يكن لك عنّـى يا أخـي عوضٌ فلا وحقّـك ما لي عنـك من عوضِ

وقوله من قصيدة في بعض الوزراء [من الكامل] :

ومطهّـمٍ برح العنـان معوّدٍ خوض المهـالك كلَّ يوم برازِ (٢)
وإذا توقـل في ذرى متمنّعٍ صعـبٍ بعيد العهـد بالمجتاز (٣)
تـركتِ سنابـكه بصـمٍّ صخوره أثـراً يلـوح كنقش صدر البازي

ومنها :

يا أيُّهـا الشيخ الجليل بحقِهِ لا من طريق تملُّـقٍ ومجاز
إن لم يكن ليَ في جنابـك مرتعٌ فالـرأيُ في الإبعـاد لي بجواز

---

(١) المدنف الحرض : المريض المشرف على الهلاك .
(٢) ومطهم ٍبرح العنان : المطهم : المتناهي في الحسن ، والبرح : الأمر المعجب المذهل ، والعنان : الزمام .
(٣) توقّل : صعد .

وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفاح ورمان وآذريون أهداها إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان [من المتقارب] :

بعثت إليك ضُحى المهرجان ... بمعشوقةِ العرف والمنظرِ
معطرةٍ صانها في الحجال ... مطارف من سندسٍ أخضر(١)
نضت حين زارتك عنها الفريد ... وجاءتك في سرقٍ أصفر
ببسرٍ وبهنكةٍ نضّةٍ ... وثديٍ مبتلّةٍ مِعصر(٢)
وبيضاء رائقةٍ غضّةٍ ... منقطة الوجه بالعصفر
وحُقٌّ عقيقٍ ملاه الهجير ... من الجوهر الرائق الأحمر(٣)
وأقداح تبرٍ حشت قعرها ... يد الشمس بالمسك والعنبر
فكن ذا قبولٍ لها إنّها ... هدايا مقلٌّ إلى مُكثر
وحيٌّ على الراح قبل الرواح ... ومطربةِ الشدو والمزهر
وعشْ ما تشاء كما تشتهي ... بعزمٍ يدوم إلى المحشر

وله من نتفة يسترجع بها كتاباً معاراً [من الخفيف] :

أنا أشكو إليك فقد نديمٍ ... قد فقدت السرور منذ تولّى
كان لي مؤنساً يسلّي همومي ... بأحاديث من منى النفس أحلى
عن أبي حاتم عن ابن قريبٍ ... واليزيدي كلّ ما كان أملى
وهو رهنٌ لديك يشكو ويبكي ... ويغنّي : قد آن لي أن أُخَلَّى
فتفضّل به عليٌّ فإنّي ... لست إلاّ بمثله أتسلّى

وله من أخرى في معناها [من المجتث] :

طلبت مني كتاباً ... أَلِفتُهُ في شبابي

---

(١) الحجال : النساء المترفات .
(٢) البُسر : الغض الطري ، البهكنة ؛ الممتلئة الجسم الناعمة ، ونضة : النعومة والحسن، والمُعصر : المرأة التي أدركت سنّ الشباب .
(٣) الحق : وعاء الطيب .

ألفتـه إلف عظمي لحمـي ولحمي إهابي[1]
وقـد تأخـر حتى لبسـت ثوب اكتئابِ
وقـد أتانـيَ عنهُ ما لم يكن في حسابي
مـن نظـم شعـرٍ بديعٍ مستظـرفٍ مستطابِ
أمـا كريمٌ رحيمٌ يرثـي لطـول اغترابي
يا ربّ يسِّـرْ إيابي قد حان وقـت انقلابي

وله في أبي الحسن العتبي [من المجتث] :

يا سائلـي عن وزيرٍ مدحـرجٍ مستديرِ
كبـط شطٍّ سمينٍ عريض صدرٍ قصيرِ
إن كنـتَ أبصـرت قرداً مذ كنـتَ فوق سريرِ
فهـو الـوزير وإن كا ن في عداد الحمير

وله من نتفة في قابض كفه [من مجزوء الكامل] :

الله صوَّر كفَّهُ لمّـا براه فأبدَعَهْ
مـن تسعـةٍ في تسعةٍ وثلاثـةٍ في أربعهْ

وله من أخرى [من الهزج] :

تغيَّرتَ مع الدهر لنـا يا شاعـر البصره
ولـم ترعَ لنـا عهداً قديم الـودِّ والعشره
عسـى صيَّرك الشيخ الـ ـذي يكنـى أبـا مرّه[2]

وله [من الوافر] :

لـزوم البيت أرواح في زمانٍ عدمنـا فيه فائـدة البروزِ

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) أبا مرّة : من كنى إبليس .

فـلا السلطـان يرفـع من محلّي ولســت علــى الــرعية بالعزيز
ولســت بواجــدٍ حرّاً كريماً أكون لديه في كنفٍ حريزِ

وله [من المنسرح] :

أشــكو إلــى الله ضيق ذات يدي قد بان صبـري وخانني جلدي
وقــد جفانـي الأنــام قاطبةً حتــى عبيدي ، وعقّنـي ولدي[1]

وله في ابنه [من البسيط] :

ربيتــه وهــو فرخٌ لا نهــوض له ولا شكيرٌ ولا ريش يواريه[2]
حتــى إذا ارتــاش واشتــدّت قوادِمُهُ وقــد رأى أنــه آنــت خوافيه
مد الجنــاحين مداً ثم هزّهما وطــار عنّـي فقلبـي فيه ما فيه
وقــد تيقّنــتُ أنّــي لو بكيت دماً لم يرث لي فهــو فظُّ القلــب قاسيه

وله في ابنه أبي طاهر [من البسيط] :

لو كنــتُ أعلـم أنّــي والــدٌ ولداً يكون ، لا كان ، في عينــيَّ كالرَّمد
فلا أســرُّ علــى طول الحياة به جببــتُ نفســيَ كي أبقــى بلا ولد[3]
كم قد تمنّيت لو أنَّ المنــى نفعتْ ولا مردٍّ لحــكم الواحــد الصَمد
وقلــت لو أنّ قولـي كان ينفعني يا ليت أنّـيَ لم أولــدْ ولــم ألِدِ

وله في النارنج [من البسيط] :

أمــا ترى شجــر النارنــج طالعةً نجومهــا في غصــونٍ لدنــةٍ ميل[4]
كأنّهــا بين أوراقٍ تحفُّ بها زهـرُ المصــابيح في خضــرِ القناديل

---

(١) عقني : من العقوق بالوالدين وعدم الاهتمام بهم .
(٢) الشكير : الزّغب في الطائر .
(٣) جبّ : غلبت وقطعت .
(٤) لدنة : طريّة .

وله في البراغيث [من المتقارب] :

وحُمْش القوائم حُدْب الظهور   طرقن فراشي على غِرَّةِ[1]
فنقّطنني بخراطيمهنْ   كنقط المصاحف بالحمرةِ

وله في عارض [من المجتث] :

وعارضٍ دنس العر   ض ناقصٍ في الصّناعه
كلبٍ بل الكلبُ في لو   مه يعاف طباعه
- قد رامني بالدواهي   فقصَّر الله باعه

وله [من المجتث] :

إذا الزمان رماني   منه بخطبٍ جسيمِ
صبرت صبر كريمٍ   على جفاء لئيمِ

وله [من مجزوء الرمل] :

من عذيري من بديع الـ   ـحسن ذي قدٍّ رشيقِ
أنبتت في فمه اللؤ   لؤ أرضٌ من عقيقِ

وله [من مجزوء الرمل] :

بأبي أنت لقد طبت   لنا ضمّاً وشمًّا
ضاق فوك العذب والعين   وشيءٌ لا يسمّى

وله من نتفة [من الوافر] :

أساء وقد أتاني مستتيباً   أما هذا من العجب العجابِ

وله من أخرى [من الوافر] :

وما آسى على دهرٍ تولّى   ولا جسمٍ مباحٍ للسقامِ

(١) الحمش : الدقاق ، والغرّة : الغفلة .

ولا ما فات من عمـري ولكنْ أحـنُّ إلـى صلاةٍ من قيامِ

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

عشـتُ من الدهـر ما كفاني ومـرّ ما مرَّ من زماني
وقـد حنتنـي وقوَّستني تسـعٌ وتسعـون واثنتان
وقـد سئمـتُ الحياة ممّا ألقـى من الـذلِّ والهوان
ومـن أخٍ كنـت أرتجيه لحـادثِ الدّهـر قد قلاني[1]
ومـن غلامٍ إذا يُنادي تصامـم النـذل وهـو داني[2]
مدمـدمٍ لا أراه إلاّ مقطّـبِ الوجـه ما رآني[3]

فهذا ما أخرجته من ملح الدينوري فأما ابنه .

***

٤٠ - أبو منصور أحمد بن عبد الله

ففاضل كثير المحاسن ، وعهـدي به عامـا أول صادراً من أبيورد ، وكان على البريد بها ونازلا داره بسكة البلخية بنيسابور ، وأنا على موعد منه في إخراج ما يصلح لكتابي هذا من شعره وإنفاذه إلى إن شاء الله تعالى .

***

٤١ - أبو منصور أحمد بن محمد البغوي

أحد الصدور الأفراد الأمجاد بخراسان ، بلغ من الأدب والكتابة والثروة والمروءة أعلى مكان ، وتصرف في الأعمال الجلائل ، ثم ولي ديوان الرسائل ، وكان جمع كتابا مترجما بزاملة النتف يشتمل على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من

---

(١) قلاني : هجرني .
(٢) تصامم : أظهر الصمم ، وهو عدم السماع .
(٣) مدمدم : يتمتم بكلامٍ غير مفهوم .

محاسن الأخبار والأشعار ، ولطائف الآداب ونتائج الألباب ، ويقع في ثلاثين مجلدة بخطه ، وقسمها على أيام شهره ، فكان لا يخلو من إحدى قطاعها مجلسه وديوانه ، وساق حقه لا يكاد يفارقه في سفره وحضره ، ووقع إلى بضع مجلدات منها بعد انقضاء أيامه ، فتنزه الطرف في رياضها ، واستمتعت النفس بثمارها ، ولم يبلغني عنه شعر إلا ما أنشدنيه السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني البغوي لنفسه [من الطويل] :

تراءتْ لنــا من خدرهــا بسوالفٍ　　كمــا لاح بدرٌ من خلال سحابِ
ووجنتهــا من تحــت فاحِــمِ صدغها　　كمــا روَّحــت بازٌ بريش عقابِ

وصدر البيت الثاني مما أنسانيه الشيطان أن أذكره ، فغرمته من عندي .

***

٤٢ - أبو [علي] محمد بن عيسى الدامغاني

تثنى به الخناصر ، وتضرب به الأمثال ، في حسن الخط والبلاغـة وأدب الكتابة والوزارة ، وكان في حداثته يكتب لأبي منصور محمد بن عبد الرزاق ثم تمكن بالحضرة خمسين سنة يتصرف ولا يتعطل حتى قيل فيه [من الوافر] :

وقالــوا العــزل للعمَّــال حيضٌ　　لحــاه الله من حيضٍ بغيضِ
فــإن يكُ هكذا فأبــو عليٍّ　　من اللائــي يئســن من المحيضِ

وولي ديوان الرسائل دفعات والوزارة مرات ، وكان يقول الشعر ولا يظهره ، ويحب الأدب ويكرم أهله .

وأنشدني أبو عبد الله بن السري الرامي هذين البيتين له ، ثم وجدتهما لغيره [من الكامل] :

يا أيُّهــا القمــرُ المنيرُ الزاهرُ　　الأبلــج البــدرُ العلــيُّ الباهر

أبلــغ شبيهتــك الســلامَ وهنِّها   بالنــوم واشهــدْ لي بأنّــي ساهر

وأنشدني السيد الشريف أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو علي محمد ابن عيسى ولم يسم قائلا [من السريع] :

تــذكّر إذ أرسلتــه بيدقاً   فيك فوافانــي فرزانا ؟

ثم أخبرني بعض كتابه أن هذا البيت له .

وأنشدني له أيضا [من المنسرح] :

وكاتــبٍ كتبــه تذكّرنــي الـــــقرآن حتــى أظــلُّ في عَجَبِ
فاللفــظ قالــوا قلوبُنــا غُلْفٌ   والخــطُّ تبــت يدا أبــي لهب(١)

ولم يذكر أن أحدا من الصدور يسع دعاؤه وتربيته وكنيته واسمه واسم أبيه وبلده بيتاً واحدا من الشعر سواه ، فإن أبا القاسم الأليماني أنشدني لنفسه قصيدة فيه ، ومنها هذا البيت [من الوافر] :

إلــى الشيخ الجليل أبــي عليٍّ   محمــدِ بن عيســى الدامغاني

***

٤٣ ـ أبو علي الزوزني الكاتب

أخبرني الثقة أنه وقع إلى الحضرة ببخارى في ريعان شبابه ، وله أدب بارع وخط تأخذه العين ويستولي عليه الحسن ، فما زال يتصرف في ديوان الرسائل ويغرس الدر في أرض القراطيس ، وينشر عليه أجنحة الطواويس ، إلى أن ثقلت عليه الحركة ، وأخذت منه السن العالية ، وكان قصير القد طويل الفضل ، وفيه يقول اللحام وما كان يهجو إلا الكبار [من مجزوء الرمل] :

(١) غلفٌ : أي لا نفقه القول فهي كالمغلّفة التي لا يدخلها شيء . تبّت : هلكت وانقطعت .

وقصيرٍ من قرى زو زن في قامــة شبر
يدّعــي الكتّــاب إلا أنــه في فهــم عير[1]
ولقــد فكّرت فيه وكذا فكّر غيري
كيف يستدخــل أيراً وهــو في قامــة أير

واقتدى باللحام غير واحد من الشعراء فهجوه بالقصر ، ووصفوا قامته بالصغر حتى قال المعروف بالمضرب البوشنجي [من الكامل] :

للزوزنــيّ أبــي علــيٍّ قامةٌ قامــت بســوق هجائــه المتراكمِ
هي عمــدة الشعــراء يعتمدونها بقواضــبٍ من شعرهــم وصوارم
والبعض شبَّههــا بأيرٍ قائمٍ والبعض شبهها بجعس جاثم[2]
ياليتهــا طالــت فقصَّــر طولها عنــه طوال معــايبٍ وشتائم

وكان أبو علي ـ مع حسن خطه ـ حسن الشعر ، كثير التنكيت ، وهو القائل في أبي جعفر العتبي [من الرمل]:

يا قليل الخير موفــور الصَّلَف والــذي قد حاز في التيه السَّرَفْ[3]
كن بخيلاً وتواضــع تحتمل أو سخيّاً يحتمــل منــك الصَّلَف

ووجدت بخط الرئيس أبي محمد الميكالي لأبي علي في ابنه [من الكامل]:

يا من تمنّــى أن يمــوت أبوهُ ستــذوقُ موتــك قبــل ما ترجوهُ
إنَّ المــريد ردى أبيه قبلَهُ يُردى ويُسعــد بالحياة أبوه

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له [من السريع]:

الحمــد لله وشــكراً له علــى المعافــاة من الأبنه

---

(١) ورد في الأصل : « يدّعي الكتابة إلاّ » ، ولا يستقيم الوزن بذلك .
(٢) الجعس : القصير الدّميم .
(٣) الصلف : الغرور والحمق ، والسرّف : الإفراط .

فليس فيما المرء يبلى به أعظم منها في الورى محنه

وأنشدني حاضر بن محمد له في علوي [من البسيط]:

مَنْ كان خالق هذا الخلق مادحه فإنّ ذلك شيءٌ منه مفروغُ
فإن أطلْ أو أقصرْ في مدائحه فليس بعد بلاغ الله تبليغُ

وله أيضاً [من الخفيف]:

إنَّ أذني تملُّ طولَ كلامه وفؤادي يملُّ طول مقامِهْ
إنَّ أمري وأمره لعجيبٌ متٌّ من بغضه وحبٍّ غلامه

***

٤٤ - أبو عبد الله الشبلي

من حسنات بوشنج وأفرادها ، وكان يكتب ببخارى للأفتكين الخازن ، ويعنون كتبه بمحمد بن أحمد الشبلي ، فلما قلد الوزارة لصاحبه وارتفع مقداره أسقط الشبلي من كتبه واقتصر على اسمه واسم أبيه ، وقال فيه بعض الشعراء [من البسيط] :

محمد أسقط الشبلي من كتبِهْ ترفُّعاً باسمه عن ذكر منتسبِهْ
كأنّني بقفاه وهو مرتجعٌ تصحيف ما قد نفاه الآن عن كتبه

وتنقلت بالشبلي أحوال بعد هلاك صاحبه ، فبدرت منه أمور أدت إلى نفي صاحب الجيش أبي الحسن بن سمحور إياه إلى النون من بلاد قهستان فلما طال مقامه بها قال [من المتقارب]:

تعلمت بالنون أكل الأقط وغزل العهون ونسج البسط[1]

(١) الإقطّ : الجبن ، والعهن : القطن .

وما كنتُ فيما مضى هكذا ولكنْ من الدهر جاء الغلط

وإنما احتذى فيه قول بابك [من المتقارب]:

تعلَّمت في السجن نسج التِّكك وقد كنت من قبل حبسي ملكْ
وقد صرتُ من بعده عدّةً وما ذاك إلاّ بدور الفلكْ

* * *

٤٥ ـ أبو علي المسبخي

هو الذي يقول فيه الحكام [من الرجز]:

لم أر في الحكام كالمسبخي يطمع في الجلد الذي لم يسلخِ

وكان باقعة في الحكام ، وفي العلوم من الأعلام، وفي نفسه كما قال بعض العصريين من أهل نيسابور في غيره [من الخفيف]:

يا طبيباً منجِّماً وفقيهاً شاعراً شعره غذاءُ الروحِ
أنت طوراً كمثل جامع سفيا ن وطوراً تحكي سفينة نوح

وتولى المظالم ببلخ مرة فكتب إليه أبو يحيى العمادي يداعبه ويطايبه ويستهديه من ثمرات بلخ ، فأهدى إليه عدل صابون ، وكتب إليه كتاباً قال في فصل منه «وقد بعثت الى الشيخ أيده الله تعالى عدل صابون ليغسل به طمعه عني ، والسلام».

وتولى مرة قضاء سجستان فمن قوله فيها [من المتقارب]:

حلولي سجستان إحدى النوب وكوني بها من عجيب العجب
وما بسجستان من طائلٍ سوى حسن نرجسها والرُّطب

وهو القائل فيها [من الخفيف]:

يا سجستان قد بلوناك دهراً في حراميك من كلا طرفيكِ

أنــت لولا الأمير فينــا لقلنا لعــن الله من يصير إليكِ

وله [من السريع]:

وعدتنــي وعــداً وقرَّبتَهُ تقــريبَ حرٍ ليس بالمستزادِ
حتــى إذا مارمت تحصيله كان بعيداً مثــل يوم المعادِ

وله [من الطويل]:

هل الدهــر إلا ساعــةٌ تنقضي بمـا كان فيهـا من عنـاءٍ ومـن خفضِ
فهونــك لا تحمــل مســاءة عارضٍ ولا فرحــةً سرَّتْ فكلتاهمــا تمضي

وعندي له أبيات قد خفي علي مكانها وفيما كتبته من شعره كفاية .

***

٤٦ - أبو الحسن أحمد بن المؤمل

كاتب أبي الحسن ، فائق الخاصة من كبار الكتـاب بخراسـان، وأكثرهـم محاسن وفضائل ، وله شعر كثير يجمع الجزالة والحلاوة ، فمن ملحه ما أنشدنيه وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي [من البسيط]:

طرا علـيَّ رسـولٌ في الـكرى طاري من الـطيور وأعطانــي بمنقار[١]
كتــابَ حبٍّ بعيد الــدار أملــح من يمشي على الأرض من بادٍ ومن قاري
تركتنــي في بلادٍ لا أراك بها كأنَّ قلبــك من صخــرٍ ومــن قار[٢]

وأنشدني أيضاً لنفسه [من الخفيف]:

إن أسيافنــا العضــاب الدوامي تركت ملكنــا قرين الدوام[٣]

(١) طرا : أصله طرأ وطاري إسم فاعل منه سهلت الهمزة لضرورة الشعر .
(٢) القار : القطران .
(٣) العضاب : القاطعة ، والقرين: الصاحب والمثيل .

لم نزل نحـن في سداد ثغورٍ وآصطـلام الأبطـال في وسـط لام
واقتحـام الأهـوال من وقـت حامٍ واقتسـام الأمـوال من وقـت سام

وله من قصيدة في أبي نصر بن زيد أولها [من الطويل]:

تولـى ونـار الشـوق في القلـب واقِدَهْ ونـار نشاطـي مذ تباعـد هامِدَهْ
نهـاري بلا أنسٍ وليلـي كأنَّني إلى الصباح ملقى تحت ساعد ساعده

ومنها :

تراعـى طوال الليل عينـي فراقده وعين الـذي لا تفقـد الألف راقده
أأيامنـا هل أنـت عائدةٌ لنا كما كنـت أم هل في بكائـك عائده ؟

ومنها :

أبـا نصرٍ القـرم الـذي عقمـت بمن يشاكلـه في مجـده كلٌّ والده[1]
هو القمـر الفـرد الـذي لروائه تظـل نجـوم الأفـق لاشـك ساجده[2]

ومنها :

له قلـمٌ سوق القضـاء إذا جرت به يده في النَّهـي والأمـر كاسده
ويملـي فيصغـي الكاتبـان تطرُّباً إلـى مبدعـاتٍ هنَّ والسحـر واحده
ولـولا خلالٌ يحظـر الـدين ذكرها لقلـت الـذي يملي قرانٌ علـى حده

وله وقد نقل معناه من بيتين للروزكي، وهما [من السريع]:

تصـوَّرِ الـدنيا بعين الحجى لا بالتـي أنـت بهـا تنظُرُ
الدهـر بحـرٌ فاتخـذ زورقاً من عمَـل الخير به تعبر

وله وقد نقل معناه من بيتين للمعروفي ، وهما [من الطويل]:

إذا لم تكن لي من لدنـك مبرَّةٌ وزال رجائـي عن نوالك في نفسي

---

(١) عقمت : يقال امرأة عقيم أي لا تنجب، ويشاكله : يشابهه .
(٢) الرواء : حسن المنظر .

فأنت إذاً مثلي انيسٌ مصوَّرٌ فلم أعبد الشيءَ المصوَّرَ من جنسي

وله من قصيدة [من البسيط]:

سقياً لدهرٍ مضى إذ نحن في شغل بالعزف والقصف عن شغل السلاطينِ
إذ يومنا يوم عيدٍ طول مدَّتنا ولينا كلُّه ليلُ الشعانينِ
وفتيةٍ كنجوم اللّيل طالعةٍ شُمٌ العرانين من شمٍّ العرانين(١)
غدوا صحاحاً إلى الحانات وانصرفوا إلى المنازل في عقل المجانين
عادوا أراجيح من حاناتهم أُصُلاً وقد غدوا نحوها مثل الموازين(٢)

وله [من الطويل]:

وقائلةٍ لي ما بالك الدهر طافحاً وأنت مسنٌّ لا يليق بك السكرُ
فقلت لها أفكّرت في الخمر مرَّةً فأسكرني ذاك التوهُّم والفكرُ

وله في معناه [من السريع]:

وسائلٍ عن مقتضى سكري وما درى لم هكذا صرتُ
قلت له استنشقتُ من منتشٍ رائحة الخمر فأسكرتُ

وانشدني أبو بكر الخوارزمي قول الآملي من قصيدة يذكر فيها حنينه إلى أحمد بن حجر [من الطويل]:

وحِجرٍ على عينَيّ أن يطعما الكرى إلى أن يرى حجراً يناغي على حجر(٣)

فقال : الآن علمت أنه إنما سمى ابنه حجراً ليطرد هذا البيت . وقال [من الطويل]:

---

(١) الشمّ : من الشمم وهو الإباء والعلاء ، والعرانين : الأنوف .

(٢) الأراجيح : متمايلين من الخمر ، والأصل : جمع أصيل وهو المساء ، والموازين : يعني بها أعتدالهم قبل احتسائهم الخمر .

(٣) حجر في أول البيت بكسر الحاء وسكون الجيم ، وهو وصف معناه ممنوع ، والثانية إسم علم والثالثة حجر الإنسان بكسر فسكون أيضاً .

نأى مذ نأيتم نوم عيني فلم يعدْ وغبتم فغابت سرتي ومسرتي
كفى بي اعتباراً أنّني مذ عبرتُمُ كيعقوب ما ترقا من الشوق عبرتي(١)

* * *

٤٧ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي

من الأعيان في علم اللغة والنحو ، وورد بخارى فأجل وبجل . ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولي التصفح في ديوان الرسائل فلم يزل يليه إلى أن استأثر الله به ، وله شعر لم يقع إلي منه إلا أنشدنيه حاضر بن محمد الطوسي من قصيدة له في بعض رؤساء الحضرة يستهدي منه جبة خز أبيض غير لبيس وهو هذا [من الكامل]:

وأعنّ على برد الشتاء بجبَّةٍ تذر الشتاء مقيَّداً مسجونا
سوسيةٍ بيضاء يترك لونها ألوان حسّادي شواحب جونا(٢)
عذراء لم تُلبس فكفُّك في العلا تؤتي عذاراها وتأبى العونا
تسبي بهجتها عيوناً لم تزلْ تسبي قلوباً في الهوى وعيونا
مثل القلوب من العداة حرارةً مثل الخدود من الكواعب لينا

* * *

٤٨ - أبو جعفر الرامي محمد بن موسى بن عمران

من أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة ، وحسنات نيسابور خاصة . إذ هو من الرام أحد رساتيق نيسابور ، وكان مع سبقه في ميادين الفضل راجحاً في موازين العقل ، وترقت حاله من التأديب بنيسابور إلى التصفح في ديوان الرسائل ببخارى بعد أبي إسحاق الفارسي ، وهبت ريحه وبعد وصيته ، وله شعر كعدد الشعر غلب

(١) ترقا : تنقطع وتفارق ، والعبرة : الدمعة .
(٢) الجون : الأسود وهو من الأضداد .

عليه التجنيس حتى كاد يذهب بهاؤه ، ويكدر ماؤه «وكل كثير عدو الطبيعة» فمن ملحه التي تستملح من وجه ولا تستجاد من آخر قوله هذه الأبيات [من الطويل] :

مضى رمضانُ مرمضَ الذنب فقده وأقبل شوّالُ تشول به قهرا[1]
فيا لك شهراً أشهر الله قدره لقد شُهرت فيه سيوف العدا شهرا

ومن تجنيسه المستجاد المرتضى قوله من مقصورة في وصف السيف [من الرجز] :

مهندٌ كأنّما صقيلُه أشربه بالهند ماء الهندبا
يختطف الأرواح في الروع كما تُختطف الأبصار حين ينتضى[2]

وقوله في جارية له توفيت [من مجزوء الكامل] :

لي في المقابر درّةٌ أمسى التراب لها صدفْ
لما غدت هدف البلا أصبحت للبلوى هدفْ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

ومَنْ منصفي من ريب دهري فإنّني صريحٌ بآدابي يد الدّهر للدّهرِ
أسير أسيراً للحوادث مقصداً بدهياء مقصوداً بفاقرة الفقر
فإن تكن الأيام أزرت بهمتي فلا ضير إنّي قد شددت لها أزري[3]
أويت إلى كهف المكارم والعلا لأغلي به قدري وأعلي به قدري
أعادت سجاياه اللجين بجوده نضاراً وقد أهدت نثاراً إلى التبر
لقد صيغ من بيض السبائك طبعه فحالُ سبيك الصفر صيغٌ من الصفر

(١) مرمض الذنب : من الرمضاء ، وهو شدّة الحرارة ، وتشول : ترفع. والقهر : الغلبة .
(٢) ينتضي : يسحب من غمده .
(٣) أزرت : استهانت .

وله من تشبيب قصيدة [من الكامل]:

مزَجَتْ سوابق عبرةٍ بعبير وسرَتْ عزائم صبوتي لمسيري
وتبسَّمتْ بين البكاء فخلتها برقاً تألّق من خلال صبير[1]
فكأنّما هي روضةٌ ممطورةٌ ترنو إليَّ بنرجس ممطور

ومن أخرى [من الكامل]:

لشؤونِ عيني في البكاء شؤون وجفون عيني للبلاء جفونُ[2]
وخلالَ أثوابي خلالُ مذهّبٍ أضناه همٌّ في الحشى مدفونُ
أبديتُ مكنون الهوى لما بدا للعين ذاك اللؤلؤ المكنونُ[3]
وأزارني جون العقارب بغتةً وردان فوقهما عقارب جونُ
والقلب مقرونٌ بكلٍّ بليَّةٍ مذ لاح ذاك الحاجبُ المقرونُ

وله من أخرى [من الكامل]

لزم السخاء فلا يقالُ ضنينُ ونحا الوفاء فلا يقال ظنينُ
ما البائس المسكين غير تلاده إذ يعتفيه البائس المسكين[4]

وله من أخرى [من المنسرح]:

السحر من مقلتيك ينتثرُ والخمر من وجنتيك يُعتصرُ
يا شادناً سِحْر الجمال له فكلُّ أفكارنا له سُخَرُ
الريق والطرف منك ياسكني ضدّان ذا سكرٌ وذا سُكَرُ
خصّرني خصرك الهضيم ولا دواء إلا رضابك الخصِر[5]

---

(١) الصبير : الغمام الأبيض .
(٢) شؤون العين : مجاري الدمع .
(٣) المكنون : المستور ، المحاط .
(٤) التلاد : المال القديم الموروث ، يعتفيه من العفاء : وهو الهلاك والزوال .
(٥) الرضاب الخصر : الريق البارد .

الله فينا فإنّ رحمته | حِجْرٌ على من فؤاده حجر[1]
صورك الله فتنةً فغدت | صوراً إليك العيون والصُّوَرُ
غادرت في جفن ناظري غُدُراً | يمدُّها الغدر منك يا غِدِرُ[2]
يسومني الصبر عاذلي سفهاً | والصبر عن مثل وجهك الصبر
هان على الأملس المسيب ما | يلقاه من ثقل حمله الدبر[3]

وله من أخرى [من الخفيف]:

لي حبيبٌ بالشطِّ شطَّت دياره | وغدا للأسود زاراً مزارُهْ
كان جاري فجار عنِّي ، لا ، بل | جار بغياً عليَّ واللَّهِ جارُهُ
فرَّ منِّي تدلُّلاً ثمّت افترَّ ، | بنفسي فراره وافتراره !
رشأٌ أرسل الرشاء من المسك | على عارضٍ يروق احمراره[4]
عاذلي اعذرا فإنّ عِذاري | عانق الشيب حين طرَّ عذاره[5]
لم يعانق ظلاميَ الصبح إلاّ | بعد أن عانق الظلام نهاره

وله من نتفة [من الخفيف] :

أيها السيد الجليل الذي أصبح | في المجد والمكارم فردا
استمع من قريض عبدك بيتاً | سار في الخافقين غوراً ونجدا
ليس غير الكريم من ينجز الوعد | ولكن من يجعل الوعد نقدا

* * *

---

(١) حجرٌ : منعٌ .
(٢) الغُدُر : من الغدير وهو الماء المتجمّع في منخفضٍ من الأرض .
(٣) أخذه من مثل لهم وهو « هان على الأملس ما لاقى الدبر » .
(٤) الرشأ : الغزال ، والرشاء : الحبل وهنا ربمّا يعني به الشال ، والعارض : صفحة الخدّ .
(٥) طرّ عذاره : طرّ : نبت ، وأضاء ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

٤٩ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجرجاني

المقلب طر مطراق

كاتب شاعر ، ظريف فاضل ، من أعيان العمال ببخارى ، وقد تقدم ذكره عند ذكر الهزيمي .

أنشدني السيد أبو جعفر الموسوي قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه [من السريع] :

نصيبنا من طول آمالنا تعسُّفٌ في خدمةٍ دائبهْ
وحاصل الذلِّ بلا طائلٍ والشأن في منتظر العاقبه

ومما يستظرف ويستلمح من شعره قوله في فتى من أبناء الموالي ببخارى وكان متهالكاً في هواه [من الرمل] :

أنا والصبر فقدْ بشرني نائب المسك بصفحات العقيقِ
سنةٌ أخرى وقد أخرجني شعر خديك من العِقد الوثيق

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب له من قصيدة في وصف الجركاه [من البسيط] :

كأنَّه سحبٌ من فضةٍ ضُرِبَتْ وزيِّنت بدنانيرٍ مفاصِلُهُ
إنْ قرَّ ليلٌ كفى النيران ساكبه أو جاد غيثٌ بغشاه هاطِلُهُ
لا تخذر الهدمَ فيه حين تنزله إذا توالت على بيتٍ زلازله

* * *

٥٠ ـ أبو محمد عدي بن محمد الجرجاني

من ذوي الفضل ، الطالبين للفضل ببخارى ، والمتصرفين على عمل البريد منها ، وله شعر حسن مشهور ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

متى أُشرِبَتْ ماء الحياة وجوهنا تنقَّلَ عنها ماؤها وحياؤها

إذا كانت الصهباء شمساً فإنّما يكون أحاديث الرجال هباؤها

* * *

٥١ ـ عبد الرحيم بن محمد الزهري

أديب شاعر ، يقول لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عزيز قبل وزارته [من مجزوء الكامل] :

اليمنُ انشقني نسيمُهْ وأزاح عن قلبي هُمومَهْ
بمكانة الشيخ الرئيس وعزِّ رتبته العظيمَهْ
فلأغنينَّ بفضله عن ذكر خدمتي القديمه

ويقول في مرثية ابن العتبي [من السريع] :

مرَّ على قبرك أعوانكا فكلُّهم هالهم شانكا
ولم يزيدوك على قولهم عزَّ على العلياء فقدانكا

***

٥٢ ـ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد الشجري

كاتب شاعر ، أدركته حرفة الأدب فأزعجته عن وطنه ورمت به إلى بخارى ، فلم يجد للغربة شافع أدبه وفضله ، ووجد متصرفا فتماسكت حاله ، ولما انقضت الدولة السامانية عاود وطنه ثم فارقه وورد به على أبي الفتح البستي فأقام عليه مدة ثم قصد الفاريات واستوطنها ، ومن ملحه قوله وهو منقول من بيتين بالفارسية للأعاجم [من البسيط] :

إن شئت تعلم في الآداب منزلتي وأنني قد عداني العزُّ والنعمُ
فالطّرف والسيف والأوهاق تشهد لي والعود والنرد والشطرنج والقلمُ[1]

(١) الطّرف : الكريم من الرجال ، والأوهاق : جمع وهق : حبل في أحد طرفيه عقدة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ ، وهنا يقصد أنّه كان يمسك بزمام الأشياء ويسيّرها كيف يشاء .

وله وقد دعاه إخوان له إلى بعض المنتزهات ببخارى فخرج فلم يهتد إليهم [من الوافر] :

ظننتــم في التجشُّــم بي جميلاً وأرجــو أن أكون كمــا ظننتم
ومــا أعصيكُمُ أمــراً ونهياً ولــكنْ لســتُ أدري أين أنتم

وله من قصيدة [من الطويل] :

نهــاري ولــم أبصِــرْ محيَّاه مظلمٌ وليلــي إذا أبصرتــه غير مظلمِ
أتظلمنــي الأيام وهــي خبيرةٌ بأنٌ إليه - إن ظلمــت - تظلُّمي

ومن أخرى [من البسيط] :

ببــاب غيرك للأخيار أخبيةٌ ومــا ببابــك إلا الفقــر والبوسُ
أيخدمونــك لا والله عن مِقَةٍ وما لهــم منــك مطعــومٌ وملبوسُ(١)

وله من نتفة [من الطويل] :

جميلٌ مَحيَّاهُ ، وكالــدعص رِدفُهُ حميد سجاياه ، وليس له خصمُ(٢)

وله من قصيدة في ابنه [من الوافر] :

نصحتــك في التأدُّبِ ألفُ مرَّه فلــم ينفعْــكَ نصحــي فيه ذرَّهْ
أؤمــلُ أن تكون لكلٍّ بابٍ من الآداب للأدبــاء غُرَّهْ
فلمــا خنــت فيك رجــوت أنْ لا تخــلَّ بكلِّهــا فتــكون عرَّهْ(٣)
ولســت أقــول أنــت فتــىً غبيٌّ ولــكن فيك إعجــاب وشِرَّهْ
ولا أنّــي علمــت الســرَّ لكنْ أدلائــي علــى الســرِّ الأسرَّهْ

---

(١) المقة : المحبّة .

(٢) الدّعص : الكثيب من الرمال ، والردف : إلية المؤخرّة ، والسجايا : الصفات .

(٣) العرّة : العيب ، والخلّة القبيحة .

وكم من مضمرٍ أمراً خفياً تعرفني الأسرَّةُ فيه سرّهْ
إذا ما لم تطعْ من أنت منه فلا تأمل تحفّيه وبرّهْ[1]
ولا تغفلْ بحلوِ هواك وعظي فإنّ مغبَّةَ الإغفال مرهْ

وكتب إلى أبي الحسن أحمد بن منصور [من الكامل] :

ما لي وكنتُ مقرّباً أقصيتُ وذُكرت فيما قبلُ ثم نسيتُ
وحُجبتُ بعد الإذن ، كنت مشرفاً بجماله في أيٍّ وقتٍ شيت
وحرمتْ حظي من تحفّيك الذي قد كنت مسعوداً به فشقيتُ
ألزلةٍ فأتوبُ أم لملالةٍ فألوم إذ شمل الملوك شتيتُ
إن كنت ترضى بالقطيعة شيمةً فبطاعتي لك حيث كنتَ رضيتُ
إن لم أكُنْ في خدمتي ومودتي لك مخلصاً فمن الإله بريت

***

٥٣ ـ أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيم

صاحب كتاب أشعار الندماء ، وكتاب الإنتصار للمتنبي ، وغيرهما ، وله ديوان شعر كبير ، ورأيته ببخارى شيخا رثِ الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقة ، وكان يتطبب ويتنجم ، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر ، ومما أنشدني لنفسه [من البسيط :

وفتيةٍ أدباءٍ ما علمتهمْ شبّهتهم بنجوم اللّيل إذ نجموا[2]
فروا إلى الراح مْن خطبٍ يلمُّ بهِمْ فما درت نُوَبُ الأيام أين همُ

ومما أنشدني أيضاً لنفسه [من الطويل] :

تلوم على ترك الصلاة خليلتي فقلت آغربي عن ناظري أنت طالقُ

(١) تحفّيه : من الحفو : وهو العطاء والإكرام .
(٢) نجموا : طلعوا .

فوالله لا صلَّيتُ لله مفلساً يصلـي له الشيخ الجليل وفائقُ
وتـاشٍ وبكتـاشٍ وكنبـاشَ بعده ونصـر بن ملكٍ والشيوخ البطارقُ
وصاحـب جيشِ المشـرقين الـذي له سراديبُ مالٍ حشوهـا متضايق
ولا عجـب إن كان نوحٌ مصلِّياً لأنَّ له قسـراً تدين المشارقُ
لمـاذا أصلـي ؟ أين باعـي ومنزلي وأين خيولـي والحلـى والمناطقُ ؟
وأين عبيدي كالبـدور وجوههم وأين جواريٌّ الحسـان العواتقُ ؟
أصلّـي ولا فِتـرٌ من الأرض يحتوي عليه يمينـي ؟ إنَّنـي لمنافقُ[1]
تركت صلاتـي للـذين ذكرتُهُمْ فمن عاب فعلـي فهـو أحمـق مائقُ[2]
بلـى ، إن علـيَّ اللهُ وسَّـع لم أزل أصلّـي له ما لاح في الجـوِّ بارقُ
فإن صلاة السـيِّءِ الحـالِ كلّها مخـارق ليسـت تحتهـن حقائقُ[3]

وأنشدني أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان له في فتـى صبيح من أولاد الرؤساء خلع عليه دراعة وقد كان لبسها [من المجتث] :

أتـت علـى ماء ظهري درّاعـةٌ أهـديت لي
إذا علتنـي تذكّر ت من عَلَتْـهُ فأدلي

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الرمل] :

وصـديقٍ جاءنـي يسـألنـي ماذا لديكْ
قلـت : عنـدي بحـر خمرٍ حولـه آجـامُ نيك[4]

ومن ملح الإفريقي في غلام تركي [من السريع] :

قلبـي أسيرٌ في يديّ مقلةٍ تركيةٍ ضاق لهـا صدري

(١) الفِتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبّابة إذا فتحتهما جمعه أفتار .
(٢) المائق : الغبي مع الحمق .
(٣) المخارق : من الخرق : وهو الجهل ، أو الذي لا يحسن القيام بالعمل .
(٤) الآجام : الحُصُن .

كأنّهـا من ضيقهـا عروةٌ ليس لهـا زرٌّ سوى السحرِ

وقوله في معناه [من المنسرح] :

قد أكثـر النـاس في الصفـات وقد قالـوا جميعـاً في الأعين النجل[1]
وعين مولاي مثـل موعده ضيِّقـةٌ عن مراود الكحل

***

٥٤ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن ثابت البغدادي

أحد الفضلاء الطارئين على تلك الحضرة والمقيمين بها ، وله شعـر كثير النكت ، كقوله وأنشدنيه له أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان [من الخفيف] :

قـال لي من يســرُّهُ أن يراني ناحـلَ الجســم لا أطيقُ حِراكا
قـم أضحـى يسِرُّ وجـداً ويذري دمعـة العين منـه سحّـاً دراكا[2]
أين من كان واصلاً لك في الصّحة حتـى إذا اعتللـت جفاكا
كلُّ من لم يعِدْكَ في حالة السُّقـــم تمنّى لـك الـرّدى والهـلاكـا
حـذراً أن يراك يومـاً من الدهـــر صحيحـاً فيستحـي أن يراكا
قلــت لا تعجلنْ فإنّ رحـا الدهـــر بأنيابـه تزور عداكا
ســوف تبــرا ويمرضــون وتجفو هم فإن عاتبــوا فقــل ذا بذاكا
كلُّ من لم يعِـدْكَ في حالـة السُّقـم تمنّـى لك الـرّدى والهلاكا

وله [من الخفيف] :

هــي حالان شدّةٌ ورخاءُ وسجــالان نعمــةٌ وبلاءُ
والفتــى الحــازم اللبيب إذا ما خانـه الدهـر لم يخنْـهُ العزاءُ

---

(١) النجل : الواسعة .
(٢) سحّاً : سحّ الماء أي هطل ، والوجد الحب الشديد ، ويسرّ : يخفي .

إن ألمَّت مُلمّةٌ بي فإنّي في الملمات صخرةٌ صمّاءُ
صابرٌ في البلاء طبٌّ بأن ليس على أهله يدوم البلاءُ
فالتداني يتلو التنائي والإقتار يرجي من بعده الإثراءُ
وأخو المال ماله منه في دنياه إلاَّ مذمَّةٌ أو ثناءُ
وإذا ما الرجاء أسقط بين الناس فالناس كلُّهم أكفاء

***

٥٥ ـ أبو منصور البوشجني
الملقب بمضراب الشعر

استغرق أيامه ببخارى يشعر بلا رأس مال في الأدب ، وكثيرا ما يأتي بالملح ، وجل قوله في الوزراء ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

أبو عليٍّ وأبو جعفرٍ ويوسف الهالك بالأمسِ
ثلاثةٌ لم يكُ لي منهُمُ نفعٌ بدينارٍ ولا فلسِ
لذاك لم أبكِ على هالكٍ غُيِّبَ منهُمْ في ثرى رمسِ(١)

وقوله [من مخلع البسيط] :

نحن بأبواكم حيارى وأنتُمُ مثلُنا حيارى
فبعضُنا يستجير بعضاً وبعضُنا عندكم أسارى
وكلُّنا من شراب جهلٍ بوصف أحوالنا سكارى
وأي عذرٍ لنا فحولٌ تُعَدُّ في جملة العذارى

وقوله [من المتقارب] :

وكنّا زماناً ندمٌ الزمان ونرثي الوزارة بالبلعمي

---

(١) الرمس : القبر .

فأخّرنــا العمــر حتــى انتهت ... من البلعمــي إلــى البرعشي
وســوف تؤول علــى ما أراه ... من البرعشــيّ إلــى البرمكي

وقوله [من الطويل] :

وكنــا نذم الدهــر من غير خبرةٍ ... بيوسفــه والبلعمــيّ وغيرهِ
إلــى أن رمانــا بالغفــاريٍّ بعدَهُمْ ... وعاندنــا في عبــده وعزيْزهِ
ومـا قد رعانـا في ابـن عيسى وزوره ... وفـي ابــن أبــي زيد الســفيه وسيْرهِ
ولــم نرض بالمقــدور فيهــم فأمنًّا ... بكلٍّ كسيرٍ في الــورى وعويرهِ

وأنشدني أبو النصر العتبي في أبي الحسن العتبي [من الوافر] :

قلــوبُ النــاس والهــةٌ سقاما ... ونفس المجــد والهــةٌ سقيمه
ومــا فجعــت بك الــدنيا ولكنْ ... تركْتَ بفقــدكَ الــدنيا يتيمه

***

الباب الثالث

في ذكر المأموني والوائقي ، ومحاسن أخبارهما وأشعارهما

لما كان أبو طالب المأموني وأبو محمد الواثقي من جملة الطارئين على بخارى والمقيمين بها ، ومميزين عنهم بشرف المنصب ، وكرم المنتسب ، وفضل المكتسب ـ أفردت لهما باباً يتلو الباب المقصور عليهم ليجاوراهم ويقارباهم من جهة ، ويفارقاهم ويباعداهم من أخرى .

* * *

٥٦ ـ أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني

من أولاد المأمون أمير المؤمنين . كان أحد ـ بل أوحد ـ أفراد الزمان شرف نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، فياض الخاطر بشعر بديع الصنعة ، مليح الصيغة ، مفرغ في قلب الحسن والجودة ، ولما فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه وهو حدث لم يبقل وجهه ورد الري وامتدح الصاحب بقصائد فرائد ملكه العجب بها ، وأبهره التعجب منها ، فأكرم مورده ومثواه ، وأحسن قراه ، ووعده ومناه ، فدبت به عقارب الحسدة من ندماء الصاحب وشعرائه ، وطفقوا يركبون الصعب والذلول في رميه بالأباطيل ، ويتقولون عليه أقبح الأقاويل ، فطوراً ينسبونه إلى

الدعوة في بني العباس ، ومرة يصفونه بالغلو في النصب[1] واعتقاده تكفير الشيعة والمعتزلة ، وتارة ينحلونه هجاء في الصاحب يعرب عن فحش القدح ، ويحلفون على انتحاله ما أصدر من شعره في المدح ، حتى تكامل لهم إسقاط منزلته لديه ، وتكدر ماؤه عنده وعليه ، وفي ذلك يقول من قصيدة يستأذنه فيها للرحيل أولها [من البسيط] :

يا ربعُ كنتُ دمعاً فيك منسكباً ... قضيتُ نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا ينكرنْ ربعك البالي بلى جسدي ... فقد شربت بكأس الحبِّ ما شُربا
ولو أفضتُ دموعي حسب واجبها ... أفضتُ من كلِّ عضوٍ مدمعاً سربا[2]
عهدي بعهدك للذّاتِ مرتبعاً ... فقد غدا لغوادي السحب منتحبا
فيا سقاك أخو جفن السحاب حياً ... يحبو ربا الأرض من نور الرياض حبا
ذو بارقٍ كسيوف الصاحب انتضيتْ ... ووابلٍ كعطاياه إذا وهبا

ومنها :

فكنتَ يوسف ، والأسباط ، وأبو الـ ... أسباط أنت ، ودعواهم دماً كذبا
وعصبةٍ بات فيها الغيظ متَّقداً ... إذ شِدْتَ لي فوق أعناق العدى رتبا
قد ينبح الكلب ما لم يلق ليث شرىً ... حتى إذا ما رأى ليثاً قضى رهبا
أرى مآربكم في نظم قافيةٍ ... وما أرى لي في غير العلا أربا
عدّوا عن الشعر إن الشعر منقصةٌ ... لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطالَ به ... إن كان مبتدعاً أو كان مقتضبا

---

(١) النصب : بفتح فسكون : مقاله لقوم جعلوا ديدنهم النيل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومناصبته العداء .

(٢) سرباً : جارياً .

ومنها :

أسير عنــك ولــي في كلّ جارحةٍ ... فمٌ بشــكرك يجــري مِقــولاً ذربا[1]
ومــن يردُّ ضياء الشــمس إن شرقتْ ... ومــن يردّ طريق الغيث إن سكبا
إنــي لأهــوى مقامــي ذي ذراك كما ... تهــوى يمينــك في العــافين أن تهبا
لكن لساني يهوى السير عنــك لأنْ ... يطبــق الأرض مدحــاً فيك منتخبا
أظنّني بين أهلــي والأنــام همُ ... إذا ترحّلــتُ عن مغنــاك مغتربا

ثم إنه فارق الري وقدم نيسابور ، فأشار عليه أبو بكر الخوارزمي بإنشاء قصيدة في الشيخ أبي منصور كثير بن أحمد يسأله فيها تقرير حاله عند صاحب الجيش أبي الحسن بن سيمجور ، فعملها وأوصلها أبو بكر ووشعها من الكلام بما أوقعها موقعها ، أولها [من المتقارب]:

أبــى طارق الــطيف إلاّ غرورا ... فينــوي خيالك أن لا يزورا
فمــا أكرَهُ الــطيف في نفسه ... ولكنّنــي أكره الوصــل زورا
إلــى الله أشــكو منىً في الحشى ... تضمّــن جنبــاي منهــا سعيرا
تفــارق بي كلَّ يوم خيلا ... وتفجــع بي كلَّ يوم عشيرا
فإن تسألانــي يا صاحــبي ... نص السّرى تجدانــي خبيرا
ففــي كل يوم تراني الركاب ... أفــارق ربعــاً وأحتــلُّ كورا[2]
إذا سرت عن صاحبــي قلــت عد ... لعــودي السنين وخــلّ الشهورا
أرانــي ابــن عشــرين أو دونها ... وقــد طبــق الأرض شعري مسيرا
إذا قلــت قافيةً لم تزلْ ... تجــوب السهــول وتطــوي الوعورا
ولــو كان يفخــر ميتٌ بحي ... لكان أبــو هاشــمٍ بي فخورا
ولو كنت أخطب ما أستحق ... لما كنت أخطبَ إلاّ السريرا

---

(١) ذربا : لسان ذرب أي فصيح ،والسيف الذرب : الحادّ القاطع .

(٢) الربع : المقام بين قوم من الأقوام،والكور : المحمل ، وهنا دليل على كثرة ارتحاله .

ولـو سرت صاحـت ملـوك البلا د بين يديَّ النفير النفيرا
ولكنَّـي مُكْتفٍ باليسير إذا سهَّـل الله ذاك اليسيرا
إذا أكثـر النـاس شيم الغمام فلا شمـت في الأرض إلا كثيرا[1]
فتـىً ملئـت بردتـاهُ علاً ونبـلاً ومجـداً وفضـلاً وخيرا
إذا ضمَّـه الدسـت ألفيته سحابـاً مطيرا وبـدراً منيرا
وإن أبرزتـه وغـىً خلته حسامـاً بتـوراً وليثـاً هصورا
فطَـوْراً مفيداً وطـوراً مبيداً وطـوراً مجيراً وطـوراً مبيراً[2]
ترى في ذراه لسـان المنى طويلاً وبـاع الليالـي قصيرا
تضـمُّ الأسـرة منـه ذكاً وتحمـل منه المـذاكي ثبيرا[3]
إليك من الشعـر عذراء قد طوت طيِّئـاً وأجـرت جريرا
إذا أنـا أنشدتهـا أفحـم الزمان وأسمـعَ قولـي الصـمّ الصخورا[4]
ولـو أن أفئـدة السامعيـ ـن تسـطيع شقّـت إلـيَّ الصدورا
ولسـت أحـاول مهـراً لها سوى أن تُبلـغ أمـري الأميرا
فأنـت يدٌ ولسـانٌ لهُ إذا أحـدث الدهـر خطبـاً كبيرا
فلا زلتمـا للعلـلا معصمين تُدعـى الأميرُ ويُدعى الوزيرا

فلما وقف على صورة حاله أنهاها الى صاحب الجيش ، فاستدعاه وحين وصل إليه استقبله بخطوات مشاها إليه ، وبالغ في إعظامه ، وأبلغ في إكرامه ، ثم خيره بين المقام بنيسابـور وبين الانحـدار إلـى الحضـرة ببخـارى ، فاختـار الخروج ، فوصله وزوده من الكتب إلى وزير الوقت وغيره من الأركان ، ووكيله بالباب أبي جعفر الزّماني ، فأحسن موقعه وأثره ، وحصل معه وطره .

(١) شيم الغمام : النظر إليه .
(٢) مبيراً مهلكاً .
(٣) المذاكي : الخيل الفتيّة ، وثبير : جبل من الجبال ، وهذا دليل على قوته وعظمته .
(٤) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن .

ولما دخل بخارى لقي أبا الحسن عبد الله بن أحمد بقصيدته التي منها [من الطويل]:

وليلٍ كأنّي فيه إنسانُ ناظرٍ ... يقلّب في الآفاق جفنيه دانيا
إذا ما أمالتني به نشوةُ الكرى ... تمايل في كفّي المثقّفُ صاحيا
وإن ما طمي لجٌّ المنى بين أضلعي ... تعسّفت لُجاً من دجى الليل طاميا[1]
فأمسى شجاً في ظلمة الليل والجا ... وأضحى قذىً في مقلة الصبح غاديا[2]
حسامي نديمي والكواكب روضتي ... وبيت السّرى ساقي والسير راجيا
ولما رأى الشيخ الجليل إقامتي ... عليه وتطليقي لديه المهاريا
دعاني وأدناني وقرب منزلي ... ورحّب بي وانتاشني واصطفانيا[3]
همامٌ يبكّي المشرفية ساخطاً ... ويضحك أبكار الأماني راضيا
ولو أن بحراً يستطيع ترقياً ... إليه لأمَّ البحر جدواه راجيا

وبقصائد غيرها ، فتقبله بكلتا اليدين ، وأعجب منه بفتى من أولاد الخلافة يملأ العين جمالاً والقلب كمالا ، وواصل صلاته ، وخلع عليه ، وألحقه في الرزق السلطاني بمن كان هناك من أولاد الخلفاء كابن المهدي وابن المستكفي وغيرهما .

ولما قام أبو الحسن المزني مقام العتبي زاد المأموني إكراماً وإجلالا وأفضل عليه إفضالاً بسبب مناسبة الآداب التي هي من أوكد الأسباب وأقرب الأنساب .

ولما كانت أيام ابن عزيز وأيام الدامغاني وأيام أبي نصر بن أبي زيد جعل كل منهم يربي على من تقدمه في الإحسان إليه ، وإدرار الرزق عليه ، وإخراج الخلع

(١) لجّ : ألج ، واللُّجّ : معظم الماء،وطما :ارتفع موجه وغمر ماؤه ما حوله .
(٢) الشّجا : ما اعترض في الحلق من عظم أو نحوه والقذى : ما وقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٣) انتاش : طلب ، واصطفى : اختار .

السلطانية والحملانات بمراكب الذهب له ، حتى حسن حاله ، وتلاحق ماله ، وظهرت مروءته .

فمن شعره في المزني قوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

أنا بين أحشاءِ الليالي نارٌ ... هي لي دخانٌ والنجومُ شرارَ
فمتى جلا فجرُ الفضاءِ ظلامَها ... صَليت بيَ الأقطارُ والأمصارُ[1]
بيَ تحلمُ الدنيا وبالخير الذي ... ليَ منه بين ضلوعها أسرارُ
فبكلّ مملكةٍ عليّ تلهفٌ ... وبكلٍّ معركةٍ إليّ أوارُ[2]
يا أهلُ ما شطَّت برجليَ رحلةٌ ... إلا لتُسفرَ عنّي الأسفارُ
ليَ في ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ ... لا بدَّ أن تستلّه الأقدارُ
حقنت يداه دَم المكارم مذ غدا ... دمُ كلِّ حرٍّ فاه وهو جبار
طبعت مَزينة منه عضباً ما له ... في غير هامات الأسود قرار[3]
أراؤُه بيضُ الظُّبى وحديثُهُ ... روضُ الربى ويمينُهُ تيَّار
ضمَّت على الدنيا بدائعُ لفظه ... فكأنَّها زندٌ وهنَّ سِوار
وإذا العلوم استبهمت طرقاتها ... فذووه أعلامٌ لها ومنار
عزماتهم قضبٌ وفيضُ أكفِّهم ... سحبٌ وبيضُ وجوههم أقمار
ختم الرياسة بالوزارة فيهمُ ... أسدٌ له السُّمر الذوابل زار[4]

ومنها :

يا من إذا طرأ القبائل شاعرٌ ... صلَّتْ على آبائِهِ الأشعار
فارحم بمنكبك السماء أما ترى ... لسُواك في خطط النجوم جوار

---

(١) صليت : أوقدت وأصلى النار ، أوقدها .

(٢) الأوار : حرّ الشمس والنار ، واللهب والدخان .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) السمر الذوابل : الرماح الدقاق ، وزار : من زئير الأسد ، أي أنّ زئيره يكون رماحاً على الأعداء .

والأرض ملكك ، والـورى لك غلمةٌ   والدهـــر عبـــدك ، والعـــلا لك دار

ومن شعره في أبـي محمـد عبـد الله بن أحمـد بن عزيز قولـه من قصيدة [مـن الطويل]:

سيخلف جفنـي مخلفـات الغمائمِ   على ما مضى من عمـري المتقادمِ
بأرضٍ رواق العـزّ فيهـا مطنّبٌ   على هاشـمٍ فوق السّهـى والنعائم
يدين لمـن فيهـا بنـو الأرض كلّهم   وتعنـو لهـم صيد الملـوك الأعاظم
ويهمـاء لا يخطو بها الوهـم خطوةً   تعسّفتهـا بالمرقـلات الرواسم[1]
وقد نشـرت أيدي الدجى من سمائها   رداء عروسٍ نُقطـت بالدراهم
فخلنـا نجومـاً في السمـاء أسنةً   مذهّبـةً ما بين بيضٍ صوارم
أعـطُّ قميصـي قسطـلٌ ودجنةٌ   بذات الشـكيّم أو بذات العزائم[2]
أيمِّـم عبـد الله نجـل محمدٍ   وزير بنـي سامـان تتميم حاتم
فمـن مبلـغٍ أهلـي بأنّـي واجدٌ   طلا بيَ من بحـر النـدى والمكارم
وأنّـي من الشيخ الجليل وظلّهِ   مطنّـب بيتٍ تحـت ظلٍّ الغمائم
وأنّ عيون الجـود طوع أناملي   تدفّـق حولـي بالسيول السواجم[3]
لقـد علمـت أرض المشـارق أنّها   بيمنـك قد عادت بليث ضبارم[4]
وقـد أيقنـت أن ليس غيرك يُرتجى   لقمـعِ الأعـادي أو لدفـع المظالم
فلاذتْ بلا وانٍ ولا متقاعسٍ   ولا ناكلٍ عن نصـرةِ الـدّين جاثم
ولا تاركٍ رأياً تلُّونا   ولا قارعٌ عنـد النـدى سنٍّ نادم
يعمِّـم بالهنـديِّ حين يسلّه   أسـود الوغـى بالضـرب فوق العمائم

(١) المرقلات : السريعة ، والرواسم : الجمال السائرة رسيماً أي التي تترك أثرها على الرمال .
(٢) أعط : شقّ القسطل : الغبار ، الدجنّة : الظلمة ، والشكيم : الاباء وقوّة القلب .
(٣) السواجم : الغزيرة .
(٤) الضبارم : الشديد الخَلق من الأسود ،ومن الناس : المحارب الجريء .

ويسهم من أعماله في خيارها ... ويشرك من أمواله في الكرائم
فلا مُلْكَ إلاّ ما أقمتَ عروشَهُ ... ولا غيثَ إلا ما أفضتَ لشائم[1]
ولا تاج إلا ما تولّيت عقدَهُ ... على جبهة الملك المكنَّى بقاسم
أبدر العزيزيين رفقاً فطالما ... كفيتَ ببيض الرأي بيضَ الصوارم
فرأيك نجمٌ في دجى الخطب ثاقبٌ ... وعزمك عضبٌ في طلى كلّ ناجم[2]

ومنها :

وقد كان ملك الأرض قد زال نجمه ... فكنت له بالرأي أفضلَ ناظم
أخذت بضبع الدين حتى رفعته ... إلى حيث لا يسمو له وهمُ واهم[3]
وكان سرير الملك قبلك باكياً ... فأبدى لنا من خطةٍ ثغرَ باسم
محوت بما أثبته من ملاحمٍ ... أعدت بها الإسلام كتب الملاحم
فلا زلت للملك الذي قد أعدته ... حمىً واقياً من كلّ خطب وداهم

ومن قصيدة أخرى [من الوافر] :

سألت الله مبتهلاً مناكا ... فأضعف ما سألت وقال هاكا
وردٌّ على يديك الملك لمّا ... غدا بالترك يُنتهك انتهاكا
فأنت لربٍّ هذا الملك سيفٌ ... إذا ما نابه خطبٌ نضاكا
وقد أبت الوزارة في بخارى ... سواك كما أبتْ إلاّ أباكا
وكان الصدر مذ أخليت منه ... يمجُّ رجاله حتى احتواكا
وما أخلاه منك الملك إلاّ ... ليبلي من عداك بما بلاكا[4]
فما أغنوا غناءك في فقيرٍ ... وهل يغني غناءك من عداكا

---

(١) أفضت : أنعمت ، وشائم : متطلّع .
(٢) العضب : السيف ، والطلى : الليل ، والناجم ما طلع من نجوم أو من نبات .
(٣) ضبع الدين : أي بيديه ، والضبع ما بين الإبط إلى نصف العضد .
(٤) ليبلي : ليمتحن .

وكنت السيف أُغمِد يوم سلمٍ ... فلما شبّتِ الحرب انتضاكا
وقد كانت على الأعداء أمضى ... وأقضى من سيوفهم رقاكا
ولو نهضت رجال الأرض طرّاً ... بما كلّفت ما أغنوا غناكا[1]
فعلت ببعض قولك كلّ فعلٍ ... ونبت بعفو رأيك عن ظباكا
غذيت بدر ضرع العلم طفلاً ... ففقت الخلق في المهد احتناكا
فلا شرب الطلا ألهاك يوماً ... ولا بيض الطلا عمّا عناكا
وإن غمّ الممالك ليل خطبٍ ... جلاه صبح رأيك أو سناكا
فأفسح من خطى الخطيّ قدماً ... إذا أقدمت في حربٍ خطاكا
وأسمح من ملثّ القطر جوداً ... إذا ما صاب صيِّبُهُ نداكا[2]
وما انفتحت بلا ، شفتاك يوماً ... ولا انضمّتْ على نشبٍ يداكا[3]
تأخرّ عن مداك البحر لمّا ... جريت ، فلم نسمّيه أخاكا ؟
وما جاراك صوبُ المزن لمّا ... جرى وجرى نداك ولا حكاكا
ولكنّ الغمام عني سجوداً ... على وجه الثرى لك إذ رآكا[4]
فأنت أجلُّ قدراً أن تجارى ... وأرفع رتبةَ من أن تحاكى
وقد سامى السماء وماس زهواً ... على فرع السُّهى بلدٌ نماكا
فأهلوه ومن فيه وقاءٌ ... لنفسك من جميع من ابتغاكا
فها هو جنّةٌ لك فاغتنمها ... وهم لك جُنَّةٌ ممّا دهاكا

ومنها :

أكاد إلى العزيزين أعزي ... لإلحاقي بهم نفسي اشتباكا
فلو أجريت لحظك في فؤادي ... رأيت دليل ذاك كما أراكا

---

(١) طرّاً : قاطبة .

(٢) ملثّ القطر : وصيّبه : قطره وهطوله . والندى : الكرم والعطاء .

(٣) النشب : العقار ، والمال الأصيل من نقود وماشية .

(٤) عنى : أذعن وأحنى وأطاع .

أعبـد الله لا خيِّرت بيتاً مدى الأيام إلاّ في علاكا
فكم لك من يدٍ قلّدتنيها فلسـت أرى لهـا عنّـي انفكاكا
ولـو حمّلـت ما حمّلتنيه شمـام لمـا استطـاع به حراكا
وقـد ألبستنـي أثـواب عزٍ وقـد أوطـأت أخمصيَ السّماكا[1]
فحسبـك من علا أعليت كعبي برفعـكه فقـد بلـغ السّماكا
فلا حطّت لك الأيام مجداً ولا ارتجـع المهيمـن ما حباكـا
سرى كلٌّ السّـرى في الأرض شعري وخيّم إذ رآك فمـا خطاكا
وكنتُ على النّـوى صممـتُ حتى منعـت فبـتٌّ مبتغيـاً رضاكـا
ولـو لم تقتصـر حالـي الليالي لمـا أزمعـت سيراً عن حماكا
وقـد سمّيتُ لي أمـرين حسبي ببعضهمـا إذا آثـرت ذاكا
وإن لم ترض لي بالنجـم نعلاً ولا خطّ المجـرة لي شراكا
فدع ما ترتضيه لنـا وخفِّضْ فأنفسنـا ومـا ملـكت فداكا
ومـا استنكفـت من جدواك ، لكنْ كفانـي بذل ودِّك عن لهاكا
ولـو كان استمـاح البحـر خلقاً لأمّـك يسـتمحيك وانتحاكا[2]
فلا يممـتُ غير نداك بحراً ولا خيّمـت إلاّ فـي ذراكا

ومن شعره في أبي نصر بن أبي زيد قوله من قصيدة وصف فيها داره التي بناها وانتقل إليها عند تقلده الوزارة [من الخفيف] :

قد وجدنـا خُطـى الـكلام فساخا فجعلنـا النسيب فيـك امتداحا
وأفضنـا ما في الصـدور ففـاض الـمـدح قبـل النسيب فيك انفساحا
وعمدنـا إلـى عـلاك فصغنا لصـدور القـريض منهـا وشاحا
وصدعنـا في أوجـه الشعـر من بيـض مسـاعيك بالنـدى أوضاحا

---

(١) الأخمص : يريد به قدمه ، والسماك : نجمٌ في السماء ، وأوطأ : أداس .
(٢) أمّك : قصدك ، ويستميح : يطلب السماح والمعذرة ، وانتحاكا : أي طلب ناحيتك .

غرّستْ في ثرى الصدور عطايا ك غروساً أثمرن وداً صراحا
كم كسيرٍ جبرته وفقيرٍ مستميحٍ رددته مستماحا
وبلادٍ جوامحٍ رضتها بالعزم حتّى أنسيتهنّ الجماحا[1]
وأمانٍ خرسٍ بسطت لها في القول حتّى أعدتهنّ فصاحا
شهرت منك آل سامان عضباً ينجح السعي غربه إنجاحا[2]
أحمدت رتبة الوزارة من أخمد ناراً تُجري القنا والصفاحا
فلو أن الممالك استنطقت فيه لقامت بذكره مداحا
مغرمٌ بالثناء مُغرى بكسب الحمد يهتزُّ للسماح ارتياحا[3]
لا يذوق الإغفاء إلاّ رجاءً أن يرى طيف مستميحٍ رواحا
يا أبا نصر الذي نصر الملك فأنسى المنصور والسفّاحا
ضاقت الأرض عنك فارتدت ربعاً يسع البحر والحيا والسماحا
وإذا ضاقت المصانع بالسّيل أبى أن يحلّ إلا البطاحا
فهنيئاً منها بدارٍ حوت منك جبالاً من الحلوم رجاحا
كونها توءم الوزارة ممّا زاد برهان سعدها إيضاحا
ذات صدرٍ كرحب صدرك قد زاد على ظنٍّ آمليك انفساحا
يغرس الصيد في ذراها من التقبيل غرساً فيجتنيه نجاحا
بفناءٍ نطيل فيه خطى اللحظ ونلقي للفكر فيه انسراحا
بهوها يملأ العيونَ بهاءً صحنها يملأ الصدورَ انشراحا
شيدُها فضةٌ وقرمدها تبرٌ قد امتيح من نداك امتياحا[4]
وثراها من عنبرٍ شيب بالمسك فإن هبّت الصبا فيه فاحا[3]

---

(١) الجماح : التمرُّد ، واتباع الهوى ، ورضتها : أي جعلتها تنقاد .
الغرب : السهم الذي لا يعرف راميه .   (٢) السماح : الكرم والعفو .
(٣) امتيح : غُرِف ، وامتاح فضله آتى يطلبه ، والتبر : الذهب .
(٤) شيب : خولط .

مقنعـات فيهـا الأسـاطيـن من فو ق صخـور قد انبطحـن انبطاحا
كلُّ نادٍ منهـا قد اتشـح الفر ش بثـوب الـربيع فيه اتّشاحا
وأرى بين كلّ نحيين كالرو ض خليجـاً من البسـاط مساحا[1]
وسقـت ماؤه حدائـق غربيــه إلـى أن غدت به ضحضاحا
صبغـةٌ من دم القلـوب فمـن أبصـره اهتـزّ صبـوةً وارتيـاحا
ما بكاء الـرياض بالظـلّ إلاّ خجـلاً مـن رياضهـا وافتضاحا
شابـه النقش فرشهـا مثـل ما شا بـه ولدانهـا دماهـا الصباحا
وكأنّ الأبـواب صحـبٌ تلاقيـــن انغلاقـاً ثم افترقـن انفتاحا
وكأنّ الستـور قد نشـر الطا ووس منهـا في كلّ بابٍ جناحا
وكأنّ الجامـات فيهـا شموسٌ أطلعتهـا ذرى القبـاب صباحا
والسـواري مثـل السواعـد كبّت تحتهـا من أساسـهـا أقداحا
وبيوتٍ كأنّهـنّ قلاعٌ مزمعـاتٌ للنيرات نطاحـا
ورواق كأنّمـا بسطـت فيـــه دعـاء أيدي الأسـاطين راحا[2]
وجنـانٌ لو كنـتُ في جنّـة الفر دوس لم أبـغ غيرهـنّ اقتراحا
وإذا دارت الـكؤوس بهـا أبصـــرت خلـد النعيم ثمّ مباحا

ومنها :

من يدي كلُّ ساحر الطرف يجني الــــورد من وجنتيه والتُّفاحا
وإذا الـزير جاوب النـاي ضرباً جاوب البلبـل الهـزار صياحا
في مقـامٍ تمحـو الهمـوم به النشــــوة عنّـا وتثبت الأفراحا[3]
تُطلـع الشّـمس أنجمـاً كلّمـا هزّ ت شمـوس الطسـوس منهـا رماحا

(١) نحيين : جانبين متباعدين .
(٢) الرواق : ما تقدّم من البيت واتسع . والأساطين : الأعمدة .
(٣) النشوة : الشعور بالفرح والسعادة .

وضياء السقـاة والخمـر والكا ... سات فيه قد عطَّـل المصباحا

وإذا ما المجامـر اضطرمـت بالـــجمـر أحيت رياحهـا الأرواحا[1]

فمتـى أطعمـت أزجّـة عطرٍ ... أشرعـت من دخانهـا أرماحا[2]

فهنيئـاً منهـا بجنـة عدنٍ ... ضمّنـت منـك سيداً جحجاحا

فاقطـع الدهـر في ميادينهـا الفيـــح اغتباقـاً علـى الحيا واصطباحا

وامـلأ الفـكر من موشحـةٍ فيـــك ولا تولهـا قلـىً واطّراحا

فلـو أنـي استوقفـت عينـاً بما قلـت لمـا اسطـاع عن براحـي براحا

* * *

قال مؤلف الكتاب : رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وعاشرت منه فاضلاً ملء ثوبه . وذاكرت أديباً شاعراً بحقه وصدقه . وسمعت منه قطعة من شعره ، ونقلت أكثره من خطه ، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة ، ويمني نفسه قصد بغداد في جيوش تنضم إليه من خراسان لفتحها ، فاقتطعته المنية دون الأمنية ، ولما فارقته لم تطل به الأيام بعدي حتى اعتل علة الاستسقاء وانتقل إلى جوار ربه ولم يكن بلغ الأربعين ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة .

وهذا ما اخترته من شعره في الأوصـاف والتشبيهـات التـي لم يسبـق إلـى أكثرها .

قال في المنارة [من الطويل] :

وقائمـةٍ بين الجلـوس علـى شويٍ ... ثلاثٍ فمـا تخطـو بهـن مكانا[1]

---

(١) المجامر اضطرمت بالجمر : البخور الذي يتصاعد من النار . والأزجة : جمع زجّ وهو الحاجب الرقيق الطويل ..وأزجّ الرمح : جعل له حديدة في أسفله .

(٢) الشّوى : أطراف الجسم كاليدين والرجلين .

علـى رأسهـا نجـلٌ لهـا لم تجنّه حشاهـا ولا علتـه قطُّ لبانا[1]
يشـرّد في أعـلاه كلَّ دجنّةٍ يشـقُّ جلابيب الظـلام سنانا

وقال في الكرسي [من المجتث] :

ومقعـدٍ لي وطيء يقـوم عنـد قعودي
يزهـي بصـدرٍ فسيح رحـبٍ وبـأسٍ شديد
لـه رواقٌ أديمٍ علـى سواري حديـد
إذا جلسـت عليه خلـت الأنـام عبيدي

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومرتبـةٍ من بوادي الملو ك بين القيام وبين القعود
تمـدُّ بساطـاً لمستوطيءٍ ثبوتـه عمـدٌ من حديد[2]

وفيه أيضاً [من المتقارب] :

ومستـوقفٍ لجلـوس الحضور علـى أربـعٍ في الثـرى موثقه
يمـدُّ علـى فرعـه مفرشاً ويظهـر في خصـره منطقه
فمـن شاء صيّره مقعداً ومـن شاء صيّره مرفقه

وقال في طست الشمع [من الكامل] :

وحديقـةٍ تهتـزُّ فيهـا دوحةٌ لم ينمهـا تربٌ ولا أمطار
فصعيدها صفـرٌ ونامـي غصنها شمـعٌ ومـا قد أثمرتـه نار

---

(١) النجل : الولد ، لم تجنّه : أي لم يكن جنيناً فيها ، واللّبان : الصدر أو ما بين الثديين من الصدر .
(٢) كذا ، ولعلّ عجزهُ : تثبته عمدٌ من حديد » .

وأيضاً [من الطويل] :

وطاعنةٍ جلباب كلَّ دجنّةٍ بماضي سنانٍ في ذؤابة ذابل(١)
تجود على أهل الندامى بنفسها وما فوق بذل النفس جودٌ لباذل(٢)
ويقري عيون الناظرين ضياؤها وقد قيدت ألحاظها بالأصائل

وقال في النار [من السريع] :

أم القرى عندك أم بوح فقد سرى أبوابه اللوح
أم ذات مرطٍ ذهبي لها يعقدها في الجوّ تطويح
يسقّني أختٌ لها دنها جسمٌ لها وهي له روح
كأنّها الشمس وما نفّضت من شررٍ عنها المصابيح

وله في الحمام [من الطويل] :

وبيتٍ كأحشاء المحبّ دخلته وما لي ثيابٌ فيه غير إهابي
أرى محرماً فيه وليس بكعبةٍ فما ساغ إلا فيه خلع ثيابي
بماءٍ كدمع الصبّ في حرّ قلبه إذا آذنت أحبابه بذهاب
توهّمتُ فيه قطعةً من جهنمٍ ولكنّها من غير مسٍّ عقاب
يثير ضباباً بالبخار مجلّلاً بدور زجاجٍ في شموس قباب

وله في السطل والكرنيب [من مجزوء الرجز] :

لنا من الأسطال سطلٌ شأنه عجيبُ
كالشمس إذ عاجلَها في الطفل المغيب(٣)

---

(١) الذؤابة : خصلات الشعر في مقدّمة الوجه ، والذابل :الرمح الدقيق .

(٢) ورد في صدر البيت هكذا « تجود على أهل الندى بنفسها » ولا يستقيم به الوزن ، فأقمناه كما أتيت في الأصل .

(٣) طفل المغيب : قبيل غروب الشمس .

كرنيبه كمائحٍ وهو له قليب[1]
قبضته سبيكةٌ في متنها نحيبُ
ضرب دمشقيٌ فما يُرى لها ضريبُ[2]

وله في حجر الحمام [من السريع] :

لحجر الحمّام عندي يدٌ ومنّةٌ لست أؤديها
وهو لرجلي صقيلٌ لا يني عن طُبَعٍ في الرجل ينقّيها[3]
كأنّها كورةُ نحلٍ إذا غمّستها في الحبر تشبيها[4]

وفي الليف [من مجزوء الرجز] :

للّيف في تنظيف جسم المستحمّ مُعجزهْ
فلا يغور درنٌ في الجسم إلاّ أبرزه
كأنّه ذوائبٌ قد مشّطت مجرّزه[5]

وفي المنشفة [من المنسرح] :

منشفةٌ حملها تخال بها قد فتّ كافورةً على طبق
كأنّما أنبتت خمائلها ما ارتشفتْ من لآلىءِ العرق

وفي الزنبيل [من الوافر] :

وذي أذنين لا يعيّانِ قولاً وجوفٍ للحوائج ذي احتمال
تكلّف شغل أهل البيت طرّاً وتحمل فيه أقوات العيال

---

(١) المائح : المقترف ، والقليب : البئر .
(٢) ضرب : صنع وسبك ، والضريب : المثل .
(٣) صيقل : مَن صناعته صقل السيوف أو غيرها .
(٤) كورة النحل : خليتها ، أو عسلها في أقراص الشمع .
(٥) مجرّزة : محزّمة كلّ حزمة تفترق عن أختها .

مطيعٌ في الحوائـج غير عاصٍ ... ولا شاكٍ إليك من الكلال
تُسِـرُّ إليه في الأسـواق سرّاً ... فلا يبـديه إلا في الرحال

وله في كوز أخضر محرق [من الكامل] :

وبديعـةٍ للـرّيم منهـا جيدها ... حارت عيون النـاس في إبداعها
كخـريدةٍ في مرط خزٍّ أخضرٍ ... رفعـت يداً لتـردّ فضـل قناعها(١)

وله في الشرابية [من السريع] :

شـمسٌ لهـا من نفسهـا أرجلٌ ... ستٌّ إذا ما شئـت أو أربع
تنـوء بالـكوز لظئـرٍ له ... تحضنـه الدهـر ولا ترضع(٢)

وله في الجليد [من البسيط] :

حجـارةٌ من صنيع الدهـر تمتعنا ... ببردهـا وضـرامُ الغيظ يستعرُ
كأنّهـا قطـعُ البلّـور ليس بها ... نقـبٌ ولا أثـرٌ بادٍ ولا كدر

وله في ماء بجليد [من الرجز] :

ورائـقٍ مثـل الهـواء صافي ... بات بثـوب القـرِّ ذي التحاف(٣)
حتـى نفـى عنـه القـذاة نافي ... فرقّ حتـى صار كالسُّلاف
أسـرع في الجسـم من العوافي ... فيه الجليد راسـبٌ وطافي
* كأنه ودائع الأصداف *

وله في كأس جلاب [من الرجز] :

---

(١) الخريدة : الفتاة الناهد ، المرط : الثوب الطويل .
(٢) الظئر : المرأة المرضع لغير ولدها .
(٣) القرّ : البرد القارص .

وكأس جلاّبٍ بهـا يُطفـي اللهب   يقضي بهـا عنـد الخمـار ما وجبْ
كأنهـا الفضّـةُ شيبـتْ بالذهب   تشابـه الجليد فيهـا والحبَبْ[1]
حسبتـه دراً من المسـك انسرب   فبعضـه طافٍ وبعضٌ قد رسب
كأنّمـا المخـوض فيهـا يضطرب   حوتٌ يغـوص تارةً ثم يشبّ

وفيها [من الطويل] :

وكأسٍ من الجـلاّب أطفـأ بردها   سعير خمـار الـكأس عنـد التهابِهِ
وكانـت كبـرد العـدل عنـد طلابه   وعـود وصـال الحـبٍّ بعـد ذهابه[2]

وله في السكنجبين [من الطويل] :

ومستنتـجٍ ما بين خلٍّ وسكَّرٍ   دوائـيَ من دائـي به وشفائي
رأيت به في الـكأس أعجـب منظر   مذابٍ عقيقٍ فيه جامـد ماء

في الفقاعة [من المنسرح] :

ورب فقاعةٍ رأيت بها   ثدي كعوبٍ مسوّد الحلمه
حللت زنارها فأظهر لي   شهب بزاةٍ تطير عن أكمه

وفي المعنى أيضاً [من الرجز] :

أجسـام صخـرٍ دفنـت في صخرٍ   تناسبـا واختلفـا في النّجرِ
تحـكي ثنـايا خفـراتٍ غرٍّ   تلـوح من تحـت ثياب خضرِ
أطرافهـا قد ضمّخـت بالحبر   كدُرٍّ مفطـوم رضـاع الدرٍّ
أقعـى على أذنابهـن التبري   إقعـاء أسـدٍ بصرت بنمر[3]
تفـور إن حلّـت كفـور القدر   بمثـل أحـداق جرادٍ خُزر

(١) الحبب : فقاقيع الماء .
(٢) العدل : الإنصاف وعدم الظلم .
(٣) أقعى : جلس على إليته ونصب فخذيه وساقيه .

أو مثل أنصاف صغار الذرِّ   أو صارمٍ فيه الفرند يجري
يعلو وينقضُّ انقضاض الزهر   كأنما الليل انجلى عن فجر
تبدي ذرى هاماتها من جمر   وما عدا رءوسها قد عُرِّي
مزنرات لا لدين كفر   دفائنٌ لا لانقضاء عمر
في تربةٍ من صنع أيدي القرِّ   قد حنطت أجيادها بالعطر[1]
وحرمت حرم أخيذ الأسر   دفينها ينشر ميت القبر
وبردها شفاء حَرِّ الصّدْر   تقسم بالله العظيم القدر
لا أرضعتْ إلا فطيم الخمر   فهيَ شفاء السكر بعد السكر

في الأترج المربى [من الرجز] :

ورب سوسٍ من الأترج   متّقد اللون اتّقاد السُّرُجِ
يعوم من إنائه في مزج   مجّت عليه النحل أيَّ مجِّ
فقام من رضابها في لجٍّ   بظاهرٍ كقطع الخلنج[2]
أو العقار اعتللتْ بالمزج   غصَّت به فوهاء مثل البذج[3]
سليمةٌ من كلفٍ وسحجِ   نقيَّةٌ كالعاج أو كالثلج[4]
قد خرّطت على قويّ النسج   خرم ثوب الخيل بالبرطنج[5]
أفضل ما أبغي وما أرجّي   وما أعدُّ للطعام الفجّ
وكلّ مأكولٍ بطيءِ النضج   وتخمٍ تغصُّني وتشجي
بهرٌ لها كالسائق المزجي   يوسع ما ضاق لنا من نهج
يبرىء من كلِّ أذىً وينجي   ويجعل الأفواه ذاتِ أرْج
عزاه شاريه إلى الأشجِّ   وخطّه عليه بالتهجّي[6]

(١) القر : البرد ، وأجيادها : جمع جيد وهو العنق .
(٢) الخلنج : شجرٌ معرّب .
(٣) البذج : ولد الضأن .
(٤) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقعٍ سوداء ، والسّحج : العضُّ الذي يترك أثراً .
(٥) كذا بالأصل .
(٦) الأشجّ : من كان في رأسه أو في جبينه شجّة أو أثر شحه .

جاء به الحجيج بعد الحجِّ يفرون كل سبسبٍ وفجِّ[1]
حتى أتوا منه بما يرجِّي فنلت مأمولي به وفلجي[2]

وله في الإهليج المربّى [من السريع] :

إهليلجٌ خلناه لما بدا يمرح في لجٍّ من الشَّهدِ
وسائط الجوهر قد أُلقيتْ في ماء ياقوتٍ من العقد

وله في الترنجبين [من مجزوء الرجز] :

وسكّرٍ ليس من السكر المستخرج
أبيض كالكافور أو كاللؤلؤ المدحرجِ
فلو حلفتُ أنه طرّزه لم أحرج
فهو غذاءٌ يغتذي وهو شفاءٌ للشجي
ظلٌّ من السماء يهوي فوق نبت العوسج
يسقط مثل اللؤلؤ الرطب على الفيروزج

وله في الرطب المعسل في برنية زجاج [من الطويل] :

وشفّافةٍ مثل النسيم كأنّها مكوّنة الأجرام من ريِّق القطر
بها من نبات النخل والنحل ملؤها يواقيت جمرٍ في مياه التّبر

وله فيه [من المجتث] :

وربَّ ماءٍ من الشّهد في زكيٍّ زجاج
فيه يواقيت جمرٍ يضمُّ أقطاع عاج

---

(١) يفرون : يقطعون : والسبسب : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها، والفجّ: الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) الفلج : الفوز والظفر .

وله في كعاب الغزال في برنية زجاج [من البسيط] :

وذات لطفٍ كقطرٍ ضمِّنت يققاً كأنه البرد الربعيُّ تشبيها[1]
شفّافةٍ من حدائق الزرق قد طبعت ومن بياض عيون الحور ما فيها

وفيها أيضاً [من الطويل] :

وبيض ظنناهنّ والجامُ محدقٌ بهنَّ كصدرٍ هُنَّ فيه فؤادُ[2]
أنامل غيدٍ ما وَصلن براحةٍ وأعين عينٍ ما لهنَّ سوادُ

وفيهايضاً [من الطويل] :

وبيض إذا ما لُحّنَ في الجام خلتها نجوم سماءٍ في سماء زجاجِ
وإن ضمّنتهنّ البراني حسبتها أسنة سمرٍ في رقيق عجاجِ

وقال في بنادق القند الخزائني في برنية زجاج [من البسيط] :

وأبيض اللون أودعناه صافيةً تذيع ما استخفيت فيه وتبديهِ
كأنّه بَرَدٌ صاغ الهواء له من ريِّق القطر أكنافاً توقّيه

وقال في أعمدة القند الخزائني [من الهزج] :

أنابيبٌ من القنْدِ على الأطباق مبيّضه[3]
كأنّ الجام كفٌ وهي أطرافٌ لها بضّه
حكت أعمدةً صيغتْ من الثلج أو الفضّه
حكت شهباً غدت في ذ لك المجلس منقضّه
شفاء الشارب الظمآ ن من أطرافها عضّه

(١) اليقق : القطن .
(٢) الجام : إناء من فضّة كالكأس يتخذ للطعام والشراب .
(٣) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .
(٤) بضّة : شديدة البياض في سمنٍ وامتلاء .

وله في اللوز الرطب [من الطويل] :

وافـت لتخطـر في ثلاث مدارعٍ ... حذاهـن في شكل النواظـر حاذي[1]
توابيت في حصـر الخـدود تضمَّنت ... مكفَّـن عاجٍ في مصنـدل لاذي[2]

وله في اللوز اليابس [من البسيط] :

ومستجـنٍّ من الجـانين ممتنعٍ ... بجبـةٍ لم يحكهـا كفٌّ نساج
درٌّ تضمـن من عاجٍ تضمَّنه ... والبـرُّ لا البحـر أصـدافٌ من العاج

وقال في الجوز الرطب [من الكامل] :

ومحقـقِ التـدوير يعـرب نفعه ... من كفٍّ من يجنيه ما لم يكسر
درٌّ يسـوغ لآكليه ضمّهُ ... صدفٌ تكوّن جسمـه من عرعر
متـدرعٍ في السلـم ثوب غلالةٍ ... درعـاً مظاهـرةً بثـوب أخضر[3]

وله في الزبيب الطائفي [من المنسرح] :

وطائفـيٍّ من الـزبيب به ... ينتقـل الشـرب حين ينتقل
كأنّـه في الإنـاء أوعية الـ ... ـنحـاس لكنّ ملأهـا عسل

وله [من مجزوء الرجز] :

وقشـمـشٍ كخـرزٍ ... للنـظـم لـم يثقـبِ
يبلـى بـه الـكـأس لما ... بينهـمـا مـن نسـب
يحـظـى بـه الشـارب فـي الـنـادي ومـن لـم يشـرب
كأنّـه أوعـيـةٌ ... يحملـن ذوب الضّـرب[4]

(١) في الأصل : « وافت تخطر » ولا يستقيم الوزن ، فأقمناه كما أثبت .

(٢) المصندل : من الصندل : شجر هندي أبيض الزهر، اللاذي : ثوب من الحرير الأحمر .

(٣) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٤) الضَّرب : العسل الأبيض الغليظ أو أنهنّ من صنع ماهر حاذق .

أو لؤلـؤٌ قد علٌّ أعـــــلاه بمــاء الذهب

وقال في العتاب [من المجتث] :

يروقنـــي العتّابُ فبــي إليه انصبابُ
إذ لاح لي منــه أطرا ف من أحــبٍّ الـرطابُ
يحــكى فرائــد درٍّ لهــا العقيق إهابُ

في الباقلاء الأخضر [من مجزوء الرجز] :

وباقــلاء أزهرٍ مثــل سمــوط الجوهرِ[1]
تضمُّــه أوعيةٌ من الحــرير الأخضر
اوســـاطــه مخطّـفة مثل خصــور ضمَّــر
أطرافــه مذروبةٌ مسروقــةٌ من أنسر[2]
وطــرفٍ كمخلبٍ وطــرفٍ كمنسرِ

وله في الباقلاء المنبوت [من السريع] :

وباقــلاء عامــرٌ طيبها من حسنــه الناظــر مبهوتُ
كأنّــه أقطــاع عاجٍ لها من خشــب الســاج توابيتُ

وله في البطيخ [من الطويل] :

محققّــةٌ ملء الـكفــوف كـأنَّها من الجـزع كبــرى لم ترض بنظام[3]
لهــا حلّــةٌ من جلّنــارٍ وسوسنٍ مغمّــدةٌ بالآس غبَّ غمام

---

(١) سموط الجوهر : عقودها .
(٢) مذروبة : محدَّدة والمذروبة هي المدية .
(٣) الجزع : الخرز ، لم ترض : لم تنظم وتقاد .

تمازج فيها لون صبٍّ وعاشقٍ — كساه الهوى والبين ثوب سقام
وأبدي له في النّحر تخضير كاعب — علامته ذات اعتدال قوام
رياضيةٌ مسكيّةٌ عسليّةٌ — لها لون ديباجٍ وعرف مدام[1]
إذا فُصّلت للأكل حاكت أهلةً — وإن لم تفصل فهي بدر تمام

وله في البطيخ الهندي [من الطويل] :

ومبيضةٍ فيها طرائق خضرةٍ — كما اخضرّ مجرى السيل في صيّب الحزنْ[2]
كحقة عاجٍ ضبّبتْ بزبرجدٍ — حوَت قطع الياقوت في عطن القطن[3]

وله في الكمثرى [من الوافر] :

وضربٍ من ثمار الصيف يحكي — وقد طلعت لنا منه نجوم
قناديلاً تضيء لها رءوسٌ — مثقّبةٌ وليس لها جروم

وله في رمانة [من السريع] :

رمانةٌ ما زلت مستخرجاً — في الجام من حقّتها جوهرا[4]
فالجام أرضٌ وبناني حياً — تمطر منها ذهبا أحمرا[5]

وله [من الكامل] :

ليس الإناء بحافظٍ مستودعاً — إلاّ إذا وقّيته بغطاءِ
فإذا جعلت له الغطاء فإنّهُ — بجميع ما استودعتَ خير إناءِ
فاحفظ إناءك بالغطاء فإنّه — لا خير في أرضٍ بغير سماءِ

---

(١) العرف : الرائحة .
(٢) الحزن : الأرض اليابسة المرتفعة ،والصيّب : السحاب الممطر .
(٣) الحق : وعاء الطيب ، ضبّبت : زيّنت. وعطن القطن : أي صبغها وألقاها في العطان ، وربمّا يقصد هنا بعطن القطن : بزرها .
(٤) حقتها : غلافها .
(٥) البنان : الأصابع ، والحيا : المطر .

وله في الملح المطيب [من السريع] :

لا تدن مني الملح إن شبته ... من الأبازير بألوان
ووجهه أبرص ذو غشّةٍ ... بين ثآليلٍ وخيلان[1]
فإنّني أحسب أني متى ... أدنيته منّيَ أعداني
وهاته أبيض ما إن له ... في عرصةِ الصحفة من ثاني
فهو متى أفرد من صاحبٍ ... إدامُ زهّادٍ ورهبان

وله في خبز الأبازير [من السريع] :

الملح ما أكثر أبزاره ... لا ملحُ أهل الزهد والنسك
كأنّ شهدانجه بينه ... حبّاتُ روميٍ من الفلك
كأنّما الشيونيز من فوقه ... ما نفت الفضة في السبك
كأنّما العنّاب في وجهه ... تنقيط قرآنٍ على الصكّ
بانجدان فُضّ من مهرقٍ ... وسمسمٌ قد فضّ من سلك
يشبه من ثني أبازيره ... إذا تأملناه أو يحكي[2]
سحيق كافورٍ مشوبٌ به ... قراضةُ العنبر والمسك

وله في الرقاق [من السريع] :

خبزُ الأبازير منّيَ كلٌّ من ... بترّهاتِ الأكل يشتهرُ[3]
وعندنا منه أتراسٌ من الـ ... ـفضّة قد رصّعها الجوهر(؟)
كأصحن الكافور قد حشدت ... وذرٌّ في أوجهها العنبر

وله في الرقاق [من المتقارب] :

---

(١) الغشة : غطاء . والتآليل والخيلان : ما يظهر في الوجه أو في غيره من لحم ناتىء .
(٢) الأبازير : نوع من الخبز .
(٣) ترّهات : الباطل .

وخبّازةٍ لا تغذّي الرقاق أرتنا من الخبز أمراً عُجابا
تناولُ بيض كتاب العجين فتنسخُ في الوقت منها ثيابا
وتأتي بها كصفاح الغديـــر قد كوّن القطر فيها قبابا

في الجبن والزيتون [من الطويل] :

غراميَ بابن المباركةِ التي بها كلّم الله الكليم من الرسلْ(؟)
فإن نيط بابن الضرع بعد احتياكه وبعد اعتصاره الدهر ما فيه من مللْ
رأيتُ أكفّاً فضّةً وأناملاً بهن خضابٌ حالك اللون ما نصلْ
وألفيت منها أوجه الروم فوقها جعود شعور الزنج أو حدق المقلْ
إذا اجتمعا لي لم أمِلْ معهما إلى أطايب أنواع الطبيخ ولم أبلْ[1]
خليلان ضدّان الدجى والضحى معاً يضمّهما فترٌ من الأرض أو أقلْ
فكلني إلى خدنين ذا وضح الدجى نقاءً على أرض الخوان وذا طفل[2]
فهذا كخدٍّ بالعضاض مؤثرٍ وذاك كصدغٍ حالكٍ فوقه انسدل

وله في البوراني والبطيخ [من الطويل] :

لدينا نديمٌ لم يزلْ طول يومه له في المقالي فجّةٌ وفشيش[3]
وضربٍ من البطيخ في راحتيَّ من خشونته كلمٌ بها وخدوش[4]
تخال ربا النواريج أحدقت بها خفيفةً من أن تحفً جيوش(؟)
ومن لم يكن في الصيف هاتان عنده فكيف يرجّي عمره ويعيش

---

(١) أبل : أظفر ، وأنل .
(٢) خدنين : صاحبين ، والخوان : ما يوضع عليه الطعام أثناء الأكل ، والطفل : الرخص الناعم من كلّ شيء وطفلت الشمس : مالت للمغيب .
(٣) الفجة : قبّح : فتح وباعد بين رجليه ، وفجّى الشيء : كشفه .
والفشيش : صوت الهواء الخارج من إناء أو غيره .
(٤) الكَلِمَ : الجرح ، والخدوش : الجروح البسيطة .

وله في العجة [من المنسرح] :

عنــدي للضيف عجَّةٌ شرقت بدهنها فهي أعجبُ العجبِ
قـد عضّـت النـار وجههـا فغدتْ كياســمينَ بالــورد منتقبِ

وله في الجوذابة [من مجزوء الرجز] :

جوذابــةٌ فوارةٌ في دهنهـا المنسكبِ
كأنّهــا قد ركبت في جامهـا بلولبِ
لائحــةٌ في أهبها آثــار عضّ اللهب
كنقــرةٍ من فضّة في حقّــةٍ من ذهب

وله في الشواء السوقي [من الطويل] :

طرا طارىءٌ عنــد العشــاء فجئته بقـرص عضيض من شواء ابــن زنبور
تخـال قطـاع المسـك رصـّع رصفها بفيروزج النعنــاع في صحــن كافور

وله في سمكة مشوية [من السريع] :

مــاويةٌ فضيّةٌ لحمها ألــذُّ ما يأكلــه الآكل
يضمُّهــا من جلدهــا جوشنٌ مذيَّلٌ فهــو لهــا شامل[1]
كوِّنــت من فضّتهــا عسجداً بالقلــي لمــا ضافنــي نازلِ

وله فيها [من السريع] :

مــاويةٌ في النــار مصليةٌ يصبــغ من فضّتهــا عسجدُ
كأنّمــا جلدتهــا جوشنٌ من رفــنُ الصنعــة أو مبرد[2]

---

(١) الجوشن : الدرع .
(٢) مزرفن : أي له حلقات كحلقات الباب .

وله في السفود [من الطويل] :

وأسمــر قد لفَّ السـعيرُ إهابه ينــوء بحجــزٍ من ثنياتــه سمر[1]
إذا ضمَّ أنـواع السـميط وحــطَّ في بعيدة قعــرٍ ماؤهــا لهــب الجمر
أتــاك بمــا في ضمنهــا فكأنَّهُ محـبٌ كوى أحشـاءه ألـم الهجر

وله في الهريسة [من المنسرح] :

هريســةٌ خلتهــا وقــد ملأ الــــطبَّــاخُ منهــا الإنــاء ما وَسِعا
درّاً نثيراً أســلاكه قطعٌ في ماء ورد وصنــدلٍ نُقِعا

وقال في ماء الخردل [من الخفيف] :

أتحفونــي علــى الخــوان بمقطو بٍ يحـاكي في الطعـم فقـد الأليفِ
يضحك الكأس منه عن شائب المفــــــرق يبــكي من غير ضربِ ضيوفِ
فـإذا ذيق أسبلـت قطـرةٌ منــــــه سيولاً من أعينٍ وأنوفِ
وإذا ما أصغــى وعنّـي ذوي الأكــــــل تداووا منــه بشــمّ الرغيف

وله في البيض المفلق [من الرجز] :

وضاحــكٍ في الجــام من تفصيل حبوبــه كالجوهــر المحلولِ
زيتونــه كالسبــج المصقول جزره فواصــل التنزيلِ
حمّصــه كالــدرّ في التشكيل عدســه منتخــبُ الجليلِ
كخــرزٍ محقّــق التعديل أو ذهــبٍ بفضّــة قد غولي
ولــوبياء كخــدودٍ حيل أو أعينٍ حذر الحــذاق حولِ[2]

---

(١) ورد صدر البيت « وأسمر قد لفح السعير اهابه وهو غير مستقيم الوزن فأصلح كما أتيناه .
وينوء : يعجز وينُعل ، وثنياته : يقصد بها قطع اللحم .

(٢) حيل : ـ جيّدة المنظر ـ ماهرة ، والحذاق : المهرة .

فيها بقايا رمدٍ قليل منقَّطٍ مزيَّن التعسيل[1]

وقال في البيض المفلق [من الرجز] :

ياقوتةٌ ما ضمَّها مخنَّقة في درّةٍ في حقةٍ محقّقهْ
كأنّها وقد غدت مفلّقة مذ نشرتْ أثوابها المرققهْ

* تبرحوته من لجين بوتقه *

وقال في أقراص السحور [من الرجز] :

عندي للأكل إذا ما قمتُ للتَّسحُّرِ
ملتوتةٌ بسمنها بسمسمٍ مقشّرِ[2]
مثلُ البدور الطالعا ت في صدر الأشهر
أو أوجه الترك إذا أثَّر فيها الجُدري

وله في اللوزينج اليابس [من الطويل] :

ولوزينج يشفي السقيم كأنّه بنانُ أكفٍّ بضَّةٍ لم تغضَّنِ[3]
بعثناه بالقطر الزكيِّ محنطاً ليدفنَ إلاّ أنّه لم يكفَّنِ

وله في اللوزينج الفارسي [من الطويل] :

ولوزينج يُعزى إلى الفرس خلته بنانَ عروسٍ في رقاق الغلائلِ
فإن حملت إحداه خمسٌ حسبتها زيادة كفٍّ بين خمس أنامل

وله في الخبيص [من السريع] :

خبيصةٌ في الجام قد قدِّمت مدفونةً في اللوز والسُّكرِ

---

(١) ورد العجز هكذا : « منقط يزينه التعسيل » وهو لا يستقيم مع الأبيات السابقة لغةً .
(٢) ورد العجز هكذا « سمسمٌ مقشر » وهو لا يستقيم مع سابقه لغة .
(٣) بنان : الأصابع ، وبضّة : بيضاء سمينة ، لم تغضّن : لم تتجعد وتتكسر .

يأكل من يأكلها خمسةً بكفِّهِ فيها ولم يشعرِ

وله في الفالوزج المعقود [من السريع] :

فالوزجٌ يُمنع من نيله ما فيه من عقدٍ وإنضاجِ
يسبح في لجّةٍ ياقوتةٍ للّوز حيتانٌ من العاجِ
كأنّما أبرِزَ من جامه ثوبٌ من اللاّذ بديباجِ

وله في مشاش الخليفة [من الطويل] :

جمعتَ حباب الكأس حتى لحقته فكوّنتَ منه في الإناء بدورا
فإن لمسته الكأس لمساً لكفِّهِ رأيتَ الذي نظّمتَ منه نثيرا

في أصابع زينب [من الطويل] :

أحبُّ من الحلواء ما كان مشبهاً بنان عروسٍ في حبيرٍ معصَّب(1)
فما جملت كفُّ الفتى متطعّماً ألذُّ وأشهى من أصابع زينب

وفيها [من الطويل] :

وضربٌ من الحلو الذي عزَّ إسمه لوجدي بمن يُعزى إليه ويُنْسَبُ
يصدّق معناه آسمه فكأنّه بنانٌ بأطراف البنان مخضَّبُ

***

وله في عدة من المطعومات

قال في المزورة [من الخفيف] :

كم تكون المزورات غذائي إن أكل المزورات لزورُ

---

(1) الحبير المعصّب : الناعم المزيّن ، يقال حبّر الثوب : أي وشّاه وطرّزه .

وإلـي ما يكون أدمـي خلٌّ وقليلٌ من البقـول يسير[1]
فاحجبـوا عنّـيَ الـطبيب وقولوا أنـا بالطـبٍّ والـطبيب كفور
هـات أين الكبـاب أين القلايا أين رخص الشـواء أين القدير
أنـا لا أتـرك التـدّيخ ولا البـــطّيخ والتين أو يكون النشور[2]

وقال في المدية [من السريع] :

وذات شبٍّ في يديّ قائمٍ أمـرد ينفـي السـوء عن قاعدِ
شبَّهتهـا حين تأمَّلتُها بلحيةٍ شُدَّت إلـى ساعدِ

وله في مجمع الأشنان بما فيه من المحلب والخلال [من المجتث] :

أرضٌ من العقيان في صورة الطيلسانِ
الشـكل شكل رداءٍ والنقش نقش الصواني
بهـا ثلاث ركايا حفـت بهـا بيران[3]
ففـي الـركايا ثلاث رحـبٌ ومخنوقتان
مـن الزجـاج القـديم الـــمستعمـل المرواني
وكلُّهـن مـلأى بالسعـد والأشنان[4]
والمحلـب المتروي من طيِّب الأدهان
وفـي القليبين أيضاً زهـا خلال الرهان
حـورين لا لشنانٍ أسرعـن لا لطعان
نـوعٌ عراضٌ تحاكي مضـارب العيدان

(١) الأدم : الطعام .
(٢) التدّيخ : كالبطيخ نوع من الفواكه .
(٣) الركيّة : البئر ذات الماء .
(٤) الأشنان : الماء البارد .

وآخــرٌ ذو انخذالٍ في دقَّــة السامان[1]
ففــي ولاية هذي الـ ألـوان عزُّ الخوان

وله في طين الأكل [من السريع] :

عــلام نقلــكم بالذي منــه خلقنــا وإليه نصيرْ(؟)
ذاك الـذي يحســب في شكله قطــاع كافــورٍ عليهــا عبيرْ

وله في الجمر والمدخنة [من المتقارب] :

وقــوارةٍ من أديم الصخور تخيّم في حلل الخيزرانِ
تقــري قطاعــاً كعــرف الحبيب وترقــى وليس بهــا مسُّ جان[2]
وتمنــع عن مثــل حرِّ القلوب من الجمــر ما إن لهــا من دخان

في جمر خبا بعد اشتعاله [من الخفيف] :

أمــآ ترى النــار كيف أشعلهــا القــــــرُّ فأضحــت تخبــو وحينــاً تُسعَّرْ
وغــدا الجمــر والرمــاد عليه في قميصين مذهَّــبٍ ومعنبرْ

وله في البرد [من الطويل] :

وبيضــاءَ كالبلــور جاد بهــا الحيا فأهــوت تهــادي بين أجنحــة القطرِ
تذوب كقلــب الصــبِّ لكنّــه جوٍ بنــار هواه وهــي مثلوجــة الصدر[3]

وله في التدرج [من الخفيف] :

قــد بعثنــا بذات لونٍ بديعٍ كنبــات الــربيع أو هي أحسنْ
فــي قنــاعٍ من جلنّــار وآسٍ وقميصٍ من ياسميــن وسوسنْ

---

(١) السامان : الخيزران .
(٢) مسّ جان : المسّ نوع من الجنون ، والجان : أي الجن .
(٣) الصبّ : العاشق ، وجوٍ : محترق من العشق .

ذبحـــتْ وهـــي بنـــت درَّة برٍّ كلَّ عن بعض وصفها كلُّ محسن[1]

وله في المحبرة [من الرجز] :

ركيةٌ من الزُّجـاج الصافي كقطـرةٍ من عارضٍ وكافِ[2]
تبـرز للعين في تجفاف ذي حمـرةٍ مثـل دم الرعافِ
فهـي فؤادٌ وهـو كالشغاف ينبوعهـا أسـود كالغدافِ[3]
فهـي ومـا تضـمُّ من نطاف كغسـقٍ بالصبـح ذي التحافِ
ومـا تضمّنتـه من غلاف كحقّـةٍ فيهـا ابنـة الأصدافِ

وله في المقلمة والأقلام [من الطويل] :

ومجدولـةٍ حمـرا يُخيَّل متنها من النقس روضٌ ما يغـذّى بوابلِ[4]
تُرى كلَّ يومٍ حامـلاً بأجنةٍ ولـوداً لهـم من غيرِ مسٍّ قوابلِ
فأولادهـا ما بين أسمـر ذابلٍ بأحشائهـا أو بين أبيض ناصل[5]
تسـدَّدُ منهـا السّمـر لا لمحاربٍ وتـرهف منهـا البيض لا لمقاتل
فلا السّمر منها اعتـدن حمـل عواملٍ ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل[6]

وله في السكين المذنب [من الوافر] :

ومرهفـةٍ أرقّ شبـاً وأمضى وأقطع من شبا السيف الحسامِ[7]
تعانـق في الـدوي قنـا يراعٍ ويبقـى ما استكن من السّقامِ

---

(١) كلّ : ضعف .
(٢) الركية : البئر ، العارض : الغيم ، وكاف : سائل وقطر قليلاً .
(٣) الشغاف : حجاب القلب ، والغداف : الشعر الطويل الأسود .
(٤) النِّقس : الحبر ، والنّقس : الناقوس أو نوع من النواقيس .
(٥) الأسمر الذابل : أي الرمح الدقيق ، وأبيض ناصل : السيف القاطع .
(٦) العوامل : الأرجل .
(٧) أرقّ شباً : الشبا : الحدّ والماضي القاطع .

لهــا ذنــبٌ كصيصيةٍ أتمّتْ وصــدرٌ مثــل خافية الحمامِ(1)

وله في المقط [من الطويل] :

وأســود أحشــاء الــدويّ مقرّهُ يلــوح لنــا في حلــقةٍ من غياهبِ
يعانــق أشبــاه الرمــاح وتعتلي قواه شبيهــات السيوف القواضبِ

وله في المحراك وهو الملتاق [من الرجز] :

أهيف قد أبــدت ذراه غربا متخــذاً من الظــلام أهبا
يخــال في يد الْغــلام شطبا يخطــو إذا استنهضتــه مكبّا
يقلّــب أصــواف الــدويّ قلبا ويكرب النفس عليهــا كربا

وله في الاصطرلاب [من الخفيف] :

وشــبيهٍ للشــمس يسترق الأخـــبــار من بين لحظهــا في خفاء
فتــراه أدرى وأعــرف منها وهــو في الأرض بالــذي في السماء

وفيه [من السريع] :

وعالــمٍ بالغيب من غير ما سمــعٍ ولا قلــبٍ ولا ناظرِ
يقابــلُ الشــمس فيأتــي بما في ضمنهــا من خبــرٍ حاضر
كأنّمــا حاجبــه مذ بدا لعينهــا بالفــكر والخاطر
قــد ألهمتــه علــم ما يحتوي عليه صدر الفلك الدائر

وله في المقراض [من مجزوء الرجز] :

وصــاحبيــن اتفــقا على الهــوى واعتنقــا
وأقســمــا بالــودّ والـ إخــلاص أن لا افترقا
ضمّهمــا أزهــر كالـــــنّجــم بــه قد وثقا

---

(1) الصيصية : الصنارة التي يغزل بها .

لـم يشـك في خصريهما مذ ضمّنـاه قلقـا
مـن تحتـه عينـان منـــــذ انفتحـا مـا انطبقا
وفوقـه نابـان ما حلاً فمـا مذ خلقـا
يفرّقـان بيـن كــــلٍّ ما عليه اتُّفِقا
فـأيّ شيءٍ لاقيا ه ألفيـاه فرِقـا

وله في مشطي عاج وآبنوس [من مخلع البسيط] :

لـديَّ مشطـانِ ذا كباز لونـاً وهـذاك كالغرابِ
فـذا شبـابٌ لذي مشيبِ وذا مشيبٌ لذي شبابِ

وله في المنقاش [من السريع] :

لـديَّ منقـاشٌ بديعٌ له مآثـرٌ في النتف مأثوره
تعمـل نابـاه إذا أعملا في الشعـر ما لا تعمـل النوره[1]

وله في الزربطانة [من الطويل] :

مثقّفـةٌ جوفـاً وتحسـب زانةً ولكنهـا لا زجَّ فيهـا ولا نصل[2]
تسـدَّد نحـو الـطير وهـو محلِّقٌ وينفـذ عنهـا للـردى نحـوه رسل
يطير إلـى الـطير الـردى في ضميرها فتجري كمـا يجـري وتعلـو كمـا يعلو
تقيّد ما تنجـو به فكأنّه يمـدُّ إليه من بنادقهـا حبل

وله في القفص [من الهزج] :

وبيـتٍ لبنات الجـــوِّ لا يسـتر من فيه
حفيظٍ للـذي استحـــفـظ لكـن لا يواريه

---

(١) النوره : أخلاط تضاف الى الكلس ، كالزرنيخ وغيره تستعمل لإزالة الشعر .
(٢) الزجّ : حديدة الرمح ، والنصل حديدة الرمح والسيف والسهم .

حكت أعمدةُ الفضّةِ والتبر سواريه
فمن مثل قنا الخطِّ ثراه وأعاليه

وله في قارورة الماء [من الرجز] :

ركيّةٌ تشفُّ ذات طول من الزّجاج الفائق المغسولِ
تظهرُ ما في الجسم من فضول مفصحةٌ بالطبِّ لا بقيل
من كلِّ داءٍ غامضٍ دخيل فهي على التحقيق والتحصيل

* مرآة ما في كبد العليل *

وله في اللبد [من المتقارب] :

وواضعةٍ خدّها في الصعيد لأربابها عندها حرمهْ
نسيجة بنت جلود النعاج بغير سدىً ولا لحمهْ
تمدّ على الرقّ رقّ الرمال وتوفي على الحر في النعمه
ويعمر ذا البيت منها غمام به شهبةٌ خالطت أدمه[1]
متاعُ لمن كان ذا خلّةٍ فقيراً ومن كان ذا نعمه[2]

في قضيب الفول [من المنسرح] :

أهيف قد زاحم الحسان على أخصّ أسمائه إذا اقتضبا[3]
من الملاهي وليس ينكره ذو ورعٍ حين ينكر اللعبا
يلهو به من لها وما اقترف الذنوب في فعله ولا احتقبا[4]
يُضرب وجه الثرى به فترى كلٌّ فؤاد وجداً قد اضطربا

---

(١) أدمه : جلده .
(٢) الخلّة : الحاجة والفقر .
(٣) اقتضبا : اقتطع .
(٤) احتقبا : ارتكب الآثام .

إذا تثنّى القلوب وقد أهدى إليها السرور والطربا

* * *

ومما قاله على ألسنة أشياء مختلفة

ما أمر بكتابته على خوان [من المتقارب] :

فَضُلْتُ جميع الأواني وُفقتُ فما فيَّ منقصةٌ واحده
مقري منازل صيد الملوك وفيَّ أتت سورة المائده

وله وأمر بكتابته على فناء دار [من البسيط] :

حكم الضيوف بهذا الربع أنفذ من حكم الخلائف آبائي على الأمم
فكلُّ ما فيه مبذولٌ لطارقه فلا ذمام له إلا على الحرم

وفي معناه [من الرجز] :

أبنيةٌ فياحةٌ منيره في كلِّ قطرٍ من بناه كورَهْ(1)
لملك راياته منصوره قد مدّ حول الخافقين سوره
وحطَّ فوق زحلٍ سريره لو أدرك المختار أو عصوره
لأنزل الرحمن فيه سوره أو نطقت أبنيةٌ معموره
لأنطق الله له قصوره وقلن أقوالاً له مأثوره
لا أفقد الله العلي دوره بهاءه وضوءه ونوره

وله في الترس [من السريع] :

إنّي أنا الترس بنفسي أقي من العوالي والظُّبى حاملي(2)

---

(1) الكورة : المدينة .
(2) الظُّبى : حد السيف والسنان وغيره .

أردُّ حدَّ السَّيف في متنه وأقعص اللهــذم في العامل[1]

٥٧ ـ أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقي

من أولاد الواثق بالله أمير المؤمنين ، ينظم بين شرف الأصل ووفور الفضل ، ويجمع أدب اللسان إلى أدب البيان ، ويتفقه على مذهب مالك ، ويشعره .

ومن خبره أنه كان نزع بأهله إلى الحضرة ببخارى راجياً أن يحل بها محل أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله، أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض الكور ما يصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الإقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضباً يتوغل بلاد الترك، إلى أن ألقى عصاه بحضرة عظيمها نهر أقاخان ، وما زال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه حتى استمكن منه واختص به وزين له ما كان في نفسه من إزالة الدولة السامانية والاستيلاء على المملكة [من الخفيف] :

إنّمـا تنجـحُ المقالـة في المر ء إذا وافقـتْ هوىً في الفؤاد

فألقى إليه التركي مقاليد أمره ، وجعل يصدر عن رأيه ، وينظر بعينه ، حتى كان ما كان من إلمامه ببخارى في جيوشه وانحياز الرضى نوح بن منصور عنها إلى أهل الشط على تلك الحال المغنية بشهرتها عن ذكرها ، وكان الواثقي سبباً لخرق الهيبة ، وكشف لثام الحشمة ، وإزالة الدولة . فعلا في بخارى وعظم شأنه ، وبنى التدبير على أن يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من يده ، وهو غافل عما في ضمير الغيب ، وكان يركب في ثلثمائة غلام ويقيم أحسن مروة ويبسط من جناحه في الأمر والنهي والحل والعقد ، فلم يمض إلا أشهر حتى

---

(١) أقعص : أجهز عليه في مكانه ، واللهذم : الحاد القاطع من السيوف والأسنّة والأنياب ، والعامل : الرمح .

هجمت على التركي علة الذرب[1] ، وكان سببها - على ما حكاه كاتبه أبو الفتح أحمد بن يوسف - إكبابه على فواكه بخارى وكثرة تضلعه منها مع اجتوائه[2] بهوائها ومائها ، فاضطر إلى الرجوع لما وراءه .

وما زالت العلة تشتد به في طريقه حتى أتت على نفسه ، وعاد الرضى الى بخارى ، واتخذ الواثقي الليل جملا ، بعد أن أتت الغارة عليه وعلى ما معه من مماليكه وذخائره ، ونجا برأسه متنكراً إلى نيسابور ومنها إلى العراق ، وتقلبت به الأحوال في معاودة ما وراء النهر ومفارقته . فهذه جملة من خبره .

* * *

وهذه لمع من شعره

قرأت بخطه في وصف البرد والنار والفحم [من السريع] :

وليلةٍ شاب بها المفرقُ ... قد جَمُدَ الناظر والمنطقُ
كأنّما فحمُ الغضا بيننا ... والنار فيه ذهبٌ محرقُ[3]
أو سبجٌ في ذهبٍ أحمر ... بينهما نيلوفرٌ أزرق[4]

وقوله في الغزل [من الكامل] :

قمرٌ ضياء وصاله من وجهه ... يبدو وظلمة هجره من شَعره
فالمسك خالطه الرحيق رضابُه ... سحراً ، ودرٌّ شنوفه من ثغره[5]
وسَّدته عضدي وبين محاجري ... لونان مثل عقوده في نحره

---

(١) علة الذرب : مرض الذرب ، وهو يصيب الكبد .
(٢) اجتوائه : من الجَوث ، وهو عِظَمُ البطن في أعلاه واسترخاء أسفله .
(٣) الغضا : نوع من الشجر جمرة شديدة الالتهاب .
(٤) السبج : خرز أسود .
(٥) الشنُف : حلية تعلّق في أعلى الأذن .

وبـدا الصبـاح فمـدّ نحـو قراطقٍ يده وشـدّ مزرَّهـا في خصره[1]

ومن قصيدةقالها بكا شغر وصف فيها الثلج والجليد [من الوافر] :

كأنّ الأرض رقٌّ صقَّلتْهُ أكفٌ صوانـعٍ متدفقاتِ
وإن غلـط الزمـان بشـمس دجنٍ بدتْ نقـطٌ عليه مذهبات
تدوس الخيل إنْ مرّت عليها متـون سُجنجـلٍ متراصفات[2]
كأنّ مياههـا ينسـاب فيها أسـاود من لجينٍ ساريات

ومن نتفه في الغزل [من الخفيف] :

نفحـاتُ الصبـا وصـوبُ الغوادي ورياض الهـوى ومـاء الكرومِ
وحـديثٌ غضٌ وخـلٌّ كريمٌ ومـزاجُ الصّبـا ومـاء النعيمِ

* * *

(١) القراطق : نوع من اللباس (معرّب) .

(٢) السجنجل : المرآة .

الباب الرابع

في غرر فضلاء خوارزم

٥٨ ـ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

باقعة الدهر[١] ، وبحر الأدب ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة ودرة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته. ونعمة نعمته ، وبراعة جده ، وحلاوة هزله ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

* * *

وهذه كلمات له تجري مجرى الأمثال أخرجتها من رسائله

الشكر على قدر الإحسان ، والسلع بإزاء الأثمان . الإذكار حيث التناسي ، والتقاضي حيث التغاضي . النفس مائلة إلى أشكالها ، والطير واقعة على أمثالها . الأيام مرآة للرجال ، والأطوار معيار النقص فيهم والكمال . العشرة مجاملة لا معاملة ، والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ، ولا تحتمل الحساب

(١) الباقعة : الرجل الذكي الحذر .

والصرف . الكريم يعز من حيث يهون ، والرمح يشتد بأسه حين يلين ، الاعتذار في غير موضعه ذنب ، والتكلف مع وقوع الثقة عتب . الدواء لغير حاجة إليه داء ، كما أنه عند الحاجة إليه شفاء ، الاستقالة تأتي على العثرات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . الذنب للعين العشواء ، في محبة الظلماء وكراهية الضياء . فم المريض يستثقل وقع الغذاء ، ويستمرىء طعم الماء ، الكريم إذا أساء فعن خطيئة ، وإذا أحسن فعن عمد ونية . الحر إذا جرح أساء وإذا خرق رفا . وإذا ضر من جانب نفع من جوانب .الحر كريم الظفر إذا نال أنال ، واللئيم سيء الظفر إذا نال استنال . الآباء أبوان أبو ولادة وأبو إفادة، فالأول سبب الحياة الجسمانية ، والثاني سبب الحياة الروحانية. الغيرة على الكتب من المكارم ، بل هي أخت الغيرة على المحارم ، والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه . ومعرفة بفضله ، الرجل إذا قيّده عقال الوجل لم ينطلق نحو مطية الأمل . المحجوج بكل شيء ينطق ، والغريق بكل حبل يعلق ، العاقل يختار خير الشرين ، ويميل مع أعدل الثقتين ، الجواد محتكر بُرّ ، لا محتكر بِرّ[1] . والكريم تاجر جمال ، لا تاجر مال . والحرّ وقاية الحر من فقره، وسلاحه على دهره . العفو إلى المقر ، أسرع منه إلى المصر . الفرس الجواد يجري على عتقه ، والفرع ينزع إلى عرقه . وكيف يخالف الإنسان مقتضى نسبته، ويطيب الثمر مع خبث تربته . المسافة صغيرة البقعة ، صغيرة الرقعة ، إذ ذرعت بذرع الهوى ، ومسحت بيد الذكرى ، فهي بعيدة إذا ذرعت بذرع التسلي ، ونظر إليها بعين التغافل والتناسي . الغضب ينسي الحرمات ، ويدفن الحسنات ، ويخلق للبريء جنايات ، المدح الكاذب ذم، والبناء على غير أساس هدم ، الدهر غريم ربما يفي بما يعد ، والزمان حبلى ربما يتثم فيما يلد ، الدهر أصم عن الكلام ، صبور على وقع سهام الملام ، يختصر العيدان ويهتصر الأغصان[2] ، ويخترم الشبان[3] ، ويبلي الآمال والأبدان ،

---

(١) البر : الحبُّ ، والبرّ : المعروف .
(٢) يهتصر: يقطع ويكسر .
(٣) ويخترم الشبان : يقضي على أعمارهم .

ويلحق من يكون بمن كان ، الإنسان بالإحسان ، والإحسان بالسلطان، والسلطان بالزمان ، والزمان بالإمكان ، والإمكان على قدر المكان ، الدنيا عروس كثيرة الخطاب ، والملك سلعة كثيرة الطلاب ، الحق حق وإن جهله الورى ، والنهار نهار وإن لم يره الأعمى ، العذل طلاق الرجال، والمحنة صيقل الأحوال . الشجاع محبب حتى إلى من يحاربه ، كما أن الجبان مبغض إلى من يناسبه ، وكذلك الجواد خفيف حتى على قلب غريمه ، والبخيل ثقيل حتى على قلب وارثه وحميمه . الدهر يمطل وربما عجل ، وما شاء الإقبال فعل . الكريم من أكرم الأحرار . والعظيم من صغر الدينار . المصيبة في الولد العاق موهبة ، والتعزية عنه تهنئة . المحبة ثمن كل شيء وإن غلا . وسلم لكل شيء وإن علا ، الدهر يفي بعد غدر ، ويجبر عقب كسر ، ويتوب بعد ذنب ، ويعقب بعد عتب . التقدم للغاية تأخر عنها ، والزيادة على الكفاية نقصان منها . النسيب أخو النسيب ، والأديب صنو الأديب ، الشرف بين الأشراف نسب ولحمة ، وذمام وحرمة ، فالكريم شقيق الكريم، والعظيم أخو العظيم ، وإن افترق بلداهما واختلف مولداهما ، إن السيوف على مقادير الأعضاء تفري ، وإن الخيل على حسب فرسانها تجري . إنما السؤدد بكثرة الأتباع وكثرة الأتباع بكثرة الاصطناع ، وإنما تحوم الآمال حيث الرغبة ، ويسقط الطير حيث تنثر الحبة . إنما النساء لحم على وضم[1] ، وصيد في غير حرم . إلا أن يلاحظن بعين غيور ، ونفس يقظ حذور ، إن الولاية عزل إن لم يعمر جوانبها عدل . إنما يتعلل بالمعازف شوقاً الى الاخوان ، ويؤكل لحم الثيران شهوة للحوم الضأن ، ويتجوز في الزبيبي على اسم العنبي ويستخدم الصقلبي عند غيبة التركي ، شراء الكاسد حسبه ، وحل المنعقد صدقه، وهداية المتحيّر عباده ، معاتبة البريء السليم ، كمعالجة الصحيح غير السقيم ، الفرس الجواد إذا ضرب كبا ، والسيف الحسام إذا استكره نبا[2] ،

(١) الوضم : خشبة الجزّار التي يقطع عليها اللحم .
(٢) نبا السيف عن المضروب : أي لم يصبه .

واللسان الصدوق إذا كذب هفا ، عين الاستحسان آفة من آفات الإحسان ، قبول شكر الشاكر التزام لزيادته ، واستماع قول المادح ضمان لحاجته ، لسان العيان انطق من لسان البيان ، وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال. لسان الضجر ناطق بالهذر[1] ، صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الماء أشهى وأعذب ، ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح . طول الخدمة تؤكد الحرمة ، وتأكد الحرمة أعقد قرابة ولحمة ، ادعاء الفضل من غير معدنه نقيصة كما أن الإقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة . القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرض لسهام الآجال ، باب الإحسان مفتوح لمن شاء دخله ، وحمى الجميل مباح لمن اشتهى فعله . وليس على المكارم حجاب ، ولا يغلق دونها باب . قراءة كتاب الحبيب ترياق سمّ الهم ، شكر الرخاء أهون من مصابرة البلاء ، وحفظ الصحة أيسر من علاج العلة . قليل السلطان كثير، ومداراته حزم وتدبير . كما أن مكاشفته غرور وتغرير . شر من الساعي من أنصت له ، وشر من متاع السوء من قبله . لا خير في حبّ لا تحمل أقذاؤه[2] ، ولا يشرب على الكدر ماؤه . خبر الكلام ما استريح من ضده الى ضده ، فرتع بين هزله وجده . لا ستر أكثف من إقبال ولا شفيع أنجح من آمال ، أوجع الضرب ما لا يمكن منه البكاء ، وأشد البلوى ما لا يخففه الاشتكاء ، أبى الله أن يقع في البئر إلا من حفر ، وأن يحيق المكر السيء إلا بمن مكر . ما تعب من أجدى ، ولا استراح من أكدى[3] . حبذا كداً أورث نجحا ، وشوكة أجنت ثمراً لاثبات على سمٍّ الأسْوَد ، ولا قرار على زأرٍ من الاسد . وفي الزوايا خبايا . وفي الرجال بقايا . إذا عتقت المنادمة صارت نسباً دانيا . وكانت رضاعاً ثانياً ، أين يقع فارس من عسكر ، ومتى يقوم بناء واحد بهدم بشر . نعم الشفيع الحب ، ونعم العون على صاحبه القلب . هل يبرأ المريض ، بين

(١) الهذر : الكلام الذي تكثر فيه الأخطاء الرديئة .
(٢) الأقذاء : من القذى ، وهو المكروه الذي يقع في العين .
(٣) أكدى : افتقر بعد الغنى .

طبيبين ، وهل يسع الغمد سيفين ، لم أر معلماً أحسن تعليماً من الزمـان ، ولا متعلماً أحسن تعلما من إنسان ، من الناس من إذا ولّى عزلته نفسه ومنهم إذا عزل ولاه فضله ، ربما أكل الحر وهو شبعان ، وشرب وهو ريّان ، ليس إلاّ لأن يسرّ مضيفاً . ويكون ظريفاً ، يشكر القمر على أن يلوح والمسك على أن يفوح ، نعم العدة المدة ، ونعم الـواقية العـافية ، وبئس الخصـم الزمـان ، وبئس الشـفيع الحرمان ، وبئس الرفيق الخذلان ، إن ولاية المرء ثوبه ، فإن قصر عنه عرى منه ، وإن طال عليه عثر فيه ، ما المحنة إلا سيل والسيل إذا وقف فقد انصرف وما الأيام إلا جيش والجيش إذا لم يكر فقد فر . وإذا لم يقبل عليك فقد أدبر عنك . وراء الغيب أقفال ، وللمنح والمحن أعمار وآجال . ما أكثر من يخطىء بالصنعة طريق المصنع ، ويخالف بزرعه غير موضع المـزدرع . أكبـر من الأسير من أسـره ثم أعتقه ، وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه ، أكرم من النبت الزكي من زرعه . وأكرم من الكريم من اصطنعه ، لا صيد أعظـم من إنسـان ولا شبـكة أصيد من لسان ، وشتان بين من اقتنص وحشيا بحبالته وبين من اقتنص انسياً بمقالته . من أراد أن يصطاد قلوب الرجال ، نثر لها حب الإحسان والإجمال ، ونصب لها أشراك الفضل والإفضال ، في كتمان الداء عدم الدواء ، وفي عدم الدواء عدم الشفاء ، من لم يذكر أخاه إذا رآه فوجدانه كفقدانه ، ووصله كهجرانه ، من أجاد الجلب أخذ به ما طلب ، من ذا الذي يطمس نجوم الليل ويدفع منسكب السيل ، وينضب ماء البحر ، ويفنى أمد الدهر ؟ من تكامل نحسه لم تنصحه نفسه ، ومن لم ينه أخاه فقد أغراه ، ومن لم يداو عليله فقد أدواه[1] ، نعم جنة المرء من سهام دهره نزوله عند قدره ، ونعم السلم إلى الأرزاق طلبها من طريق الاستحقاق .

* * *

---

(١) أدواه : أمرضه ، وجعله يرتاب منه .

وهذه فصول كالانموذج جاءت من غرره وفقره

على الكريم واقية من فعله ، وله حصن حصين من فضله ، فإذا زلّت به النعل زلة ، أوصال عليه الدهر صولة ، اقامته يد إحسانه، وانتزعته من مخالب زمانه .

فصل ـ الرجال حصون يبنيها الإحسان ، ويهدمها الحرمان ، وتبلغ بثمرها البر واليسر ، ويحصدها الجفاء والكبر ، وإنه لا مال إلا بالرجال ، ولا صلح إلا بعد قتال ولا حياة إلا في ناصيةِ خوف[1] ، ولا درهم إلا في غمد سيف ، والجبان مقتول بالخوف قبل أن يقتل بالسيف ، والشجاع حي وإن خانه العمر ، وحاضر وإن غيَّبه القبر ، ومن حاكم خصمه إلى السيف فقد رفعه إلى حاكم لا يرتشي ولا يفتري فيما يقتضي ، ومن طلب المنية هربت منه كل الهرب ،ومن هرب منها طلبته أشد الطلب .

فصل ـ لا صغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العطلة والبطالة ، وإنما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها ، ومطية تحسن وتقبح بممتطيها ، وإنما الصدر بمن يليه ، والدست بمن يجلس فيه ، وإنما النساء بالرجال ، كما أن الأعمال بالعمال .

فصل ـ إفراط الزيادة يؤدّي إلى النقصان ، والمثل في ذلك جار على كل لسان ، ولذلك قالوا : صبوة العفيف[2] ، وسطوة الحليم ، وضربة الجبان ، ودعوة البخيل ، وجواب السكيت ، ونادرة المجنون ، وشجاعة الخصي ، وظرف الأعرابي .

فصل ـ قد يكبر الصغير ، ويستغني الفقير ، ويتلاحق الرجال ، ويعقب

---

(١) الناصية : مقدّم الرأس .

(٢) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .

النقصان الكمال ، وكل واد عظيم فأوله شعبة صغيرة ، وكل نخلة سحوق فأولها فسيلة حقيرة[1] . وقد يبتدىء العنب حُصْرِماً حامضاً جاسياً[2] ، ثم يخرج الراح التي هي مفتاح اللذات ، وأخت الروح والحياة ، ويكون حشو الصدفة ماء ملحا ، ثم يصير جوهرة كريمة ، ودرة يتيمة ، ويكون أول ابن آدم نطفة ، وعلقة ومضغة ، ثم يخرج منها العالم الأصغر ، والحيوان الأرضي الأكبر ، الذي دحيت له الأرض ، وسخرت له الأنهار ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

فصل ـ قد أراحني فلان ببره ، لا بل أتعبني بشكره ، وخفف ظهري من ثقيل المحن ، لا بل ثقله بأعباء المنن ، وأحياني بتحقيق الرجاء ، لا بل أماتني بفرط الحياء ، وأنا له رقيق بل عتيق ، وأسير بل طليق .

فصل في فضل الحمية من رسالة

ملاك الأمر الحمية ، فإنه لا يكون قوي الحمية إلا من يكون قوي الحمية ، ومن غلبته شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية ، وانخلع من ربقة[3] الإنسانية ، وحق العاقل أن يأكل ليعيش ، لا أن يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مآكله وقتيل أنامله ، وأن يجني ببعضه على كله ، ويعين فرعه على أصله ، وكم من نعمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة تحتها بشاعة الفوت . وكم من شهوة ذهبت بنفس لا يقوى بها العساكر ، وقطعت جسداً كانت تنبو عنه السيوف البواتر ، وهدمت عمراً انهدمت به أعمار ، وخربت بخرابه بيوت بل ديار وأمصار .

---

(١) الفسيلة : النبتة القصيرة ، والنخلة السحوق : أي العالية .

(٢) الجاسي : اليابس .

(٣) الربقة : من الرّبق ، وهو حبلٌ في عدة عرى .

فصل في اقتضاء حاجة

وعد الشيخ يكتب على الجلمد ، إذا كتب وعد غيره على الجمد ، ولكن صاحب الحاجة سيء الظن بالأيام ، مريض الثقة بالأنام ، لكثرة ما يلقاه من اللئام ، وقلّة من يسمع به من الكرام .

فصل في ذكر آفات الكتب

هذا والكتاب ملقى لا موقى ، تسرع إليه اليد الخاطئة ، وتعرض له الآفات السانحة ، فالماء يغرقه ، كما أن النار تحرقه ، والريح تطيره ، كما أن الأيام تغيّره ، والدخان يسود بياضه ، كما أن الخل يبيض سواده ، والرطوبة تضره ، كما أن اليبوسة لا تنفعه ، فآفاته أسرع من آفات الزجاج الذي يسرع إليه الكسر ، ويبطىء عليه الجبر ، وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التي هي لكل يد غنيمة ولكل سبع فريسة ، فأقل آفاته خيانة الحامل ، ووقوع الشاغل ، وعوائق الفتوح والقوافل .

فصل في ذكر إلا ولولا

الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى . ولم يجعل فيه موضعا للولا ، ولا مجالا لإلا . فإن الإستثناء إذا اعترض في المدح أنضب ماءه وكدر صفاءه . وأنطق فيه حساده وأعداءه ، وكذلك قالوا : ما أملح الظبي لولا خنث أنفه[1] ، وما أحسن البدر لولا كلف وجهه[2] ، وما أطيب الخمر لولا الخمار ، وما أشرف الجود لولا الإقتار ، وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ، وما أطيب الدنيا لو دامت [من البسيط] :

---

(١) الخنث : أي تكسُّرٌ وانثناء .

(٢) الكلف : ما يظهر في الوجه من بقع .

ما أعلـم النـاس أن الجـود مكسبةٌ   للحمد لكنّه يأتـي علـى النشبِ[1]

فصل في الاعتداد

ذكر السيد أن اعتداده بي اعتداد العلوي بالشيعي ، والمعتزلي بالأشعري ، واعتداد الحجازيين بالشافعي ، واعتداد الزيدية بزيد بن علي ، واعتداد الإمامية بالمهدي .

فصل في ذم عامل تقلد الخراج

في هذه الناحية رجل قصْده الدرهم لا الكرم . وغرضه الثراء لا الثنـاء ، وقبلته البيضاء والصفراء ، لا المجد والثناء .

فصل في الاعتذار

ذكر سيدي من شوقه إلى ما لم يتكلم فيه إلا عن لساني ، ولم يترجم إلا عن شأني ، وقد طويت بساط المدام ، وصحيفة المؤانسة والنـدام ، وطلقـت الـراح ثلاثا ، وفارقت الغناء بتاتا ، حتى شكتني الأقداح ، واستخفنـي الـراح ، ونسـي بناني الأترج والتفاح [2] .

فصل في ذكر هدة

بلغني ذكر الهدّة ، فالحمد لله الذي هدم الدار ، ولم يهدم المقدار ، وثلم المال[3] ولم يثلم الجمال . وسلط الحوادث على الخشب والنشب ، ولم يسلطها

---

(١) النشب : المال من نقد وحيوان .

(٢) الأترُج : شجر من جنس الليمون تسميّه العامة « الكبّاد » .

(٣) ثلم : انتقص .

على العرض والحسب ، ولا على الدين والأدب ، ولا بد للنعمة من عودة ، ولا بد لعين الكمال من رقية ، ولأن يكون في دار تبنى ، ومال يجبر وينمى ، خير من أن يكون في النفس التي لا جابر لكسرها ، ولا نهاية لقدرها .

فصل في ذكر الرمد

صادف ورود الكتاب رمداً في عيني حتى حصرني في الظلمة ، وحبسني بين الغم والغمة ، وتركني أدرك بيدي ما كنت أدرك بعيني ، كليل سلاح البصر قصير خطو النظر ، قد ثكلت مصباح وجهي ، وعدمت بعضي الذي هو آثر عندي من كلي ، فالأبيض عندي أسود ، والقريب مني مبعد . قد خاط الوجع أجفاني ، وقبض عن التصرف بناني . ففراغي شغل ، ونهاري ليل ، وطول ألحاظي قصار ، وأنا ضرير وإن عددت في البصراء . وأُمِّيٌّ وإن كنت من جملة الكتاب والقراء . قصرت العلة خطوتي قلمي وبناني ، وقامت بين يدي ولساني . وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تتجانس مبانيها ، وتتكافأ مقاطعها ومعانيها ، فيقولون : القلة ذلة ، والوحدة وحشة ، واللحظة لفظة ، والهوى هوان ، والأقارب عقارب ، والمرض حرض[1] ، والرمد كمد ، والعلة قلة ، والقاعد مقعد .

فصل في مدح الفقر

وإنما يكره الفقر لما فيه من الهوان ، ويستحب الغنى لما فيه من الصوان ، فإذا نبغ الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر ، واليسر هو العسر ، لا بل الفقير على هذه القضية أحسن من الغني ، وأقل منه أشغالا ، لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، فلا يستبطئه إخوانه ، ولا يطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أضحيته ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا

---

(١) الحرض : الهلاك .

في الربيع باكورته[1] . ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت الغلة شعيره وبره ، ولا في وقت الجباية خراجه وعشره ، وإنما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عنه ، وعلوي يؤخذ بيده ولا يؤخذ عنه ، تتجنبه الشُرَط نهارا ، ويتوقاه العسس ليلا[2] ، فهو إما غانم وإما سالم ، وأما الغني فإنما هو كالغنم غنيمة لكل يد سالبة ، وصيد لكل نفس طالبة ، وطبق على شوارع النوائب ، وعلم منصوب في مدرجة المطالب ، تطمع فيه الإخوان ويأخذ منه السلطان ، وينتظر فيه الحدثان[3] ، ويحيف ملكه النقصان .

فصل في ذم عامل

والله ما الذئب في الغنم بالقياس إليه إلا من المصلحين ، ولا السوس في الخز أوان الصيف عنده إلا بعض المحسنين ، ولا الحجاج في أهل العراق معه إلا أول العادلين ، ولا يزدجرد الأثيم في أهل فارس بالإضافة إليه إلا من الصديقين والشهداء والصالحين .

فصل في ذكر الآفات

من آفات العلم خيانة الوراقين وتخلّف المتعلمين ، كما أن آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين ، وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامة ، وقلة الخاصة ، وكما أن من آفة الكرم أن الجود آفة للمنع ، وأن البخل سبب للجمع ، وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي السمحاء ، وكما أن آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبة ، وأن السفيه منيع الحوزة ، وكما أن من آفة المال أنك إذا صنته عرضته للفساد ، وإذا أبرزته عرضته للنفاد ، وكما أن من آفات الشكر أنك إذا قصرت عن غايته غششت من اصطنعك ، وإذا أبلغتها أو أبلغت فيه أوهمت من

---

(١) باكورته : أول مطره ، والباكورة : أول كلّ شيء .
(٢) العسس : من يطوفون بالليل ويكشفون عن أهل الريبة .
(٣) الحدثان : الليل والنهار .

سمعك ، وكما أن من آفات الشراب أنك إذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك ، وإذا أكثرت منه تعرضت للإثم والعار ، وأبرزت صفحتك للألم والنار ، وكما أن من آفات المماليك أنك إذا بسطتهم أفسدت أدبهم وأذهانهم ، وإذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم ، وكما أن من آفات الأصدقاء أنك إذا استقللت منهم لم تصب حاجتك فيهم ، وإذا استكثرت منهم لزمتك حوائجهم ، وثقلت عليك نوائبهم ، وكسبت الأعداء من الأصدقاء كما تكسب الداء من الغذاء ، وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يميت الطرب ، وأن الحاذق منهم ينسي الأدب .

وهذه جملة من أخباره تطرق لأشعاره

أصله من طبرستان ، ومولده ومنشؤه خوارزم ، وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي ، ويلقب بالطبرخزمي ، فارق وطنه في ريعان عمره وحداثة سنه ، وهو قوي المعرفة قويم الأدب ، نافذ القريحة حسن الشعر ، ولم يزل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء ، حتى تخرج وخرج فرد الدهر في الأدب والشعر ، ولقي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب ، وشرّق بعد أن غرّب ، وورد بخارى وصحب أبا علي البلعمي ، فلم يحمد صحبته وفارقه وهجاه بقوله [من الخفيف] :

إن ذا البلعمي والعين غينٌ ... وهو عارٌ على الزمان وشينُ
إن يكن جاهلا بخفيّ حنينٍ ... فهو الخفُّ والزمان حنينُ

ووافى نيسابور فاتصل بالأمير أبي نصر أحمد بن علي المكالي . واستكثر من مدحه ، وداخل أبا الحسن القزويني ، وأبا منصور البغوي ، وأبا الحسن الحكمي ، فارتفق بهم وارتفق من الأمير أحمد ومدحه ، ونادم كثير بن أحمد . ثم

قصد سجستان وتمكن من واليها أبي الحسين طاهر بن محمد ومدحه ، وأخذ صلته ، ثم هجاه وأوحشه حتى أطال سجنه ، فمما قاله في تلك النكبة قصيدة كتب بها إلى الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الطويل] :

كتابي أبا نصرٍ إليك وحالتي ... كحال فريسٍ في مخالب ضيغمِ[١]
أرقُّ من الشكوى وأدجى من النوى ... وأضعفُ من قلب المحبِّ المتيَّمِ
غدوتُ أخا جوعٍ ولست بصائمٍ ... ورحت أخاعريٍ ولست بمحرِمِ
وقعت بفخّ الخوف في يد طاهرٍ ... وقوع سليكٍ في حبائل خثعمِ

يعني سليك بن سلكة السعدي حين أسره أنس بن مالك الخثعمي .

وما كنت في تركيك إلاَّ كتاركٍ ... يقيناً وراضٍ بعده بالتوهُّمِ
وقاطن أرض الشرك يطلب توبةً ... ويخرج من أرض الحطيم وزمزمِ
وذي علةٍ يأتي عليلاً ليشتفي ... بها وهو جارٌ للمسيح ابن مريمِ
وراوي كلامٍ مقتفٍ إثر باقلٍ ... ويترك قسّاً خائباً وابن أهتم[٢]
جنابٌ تجنبناه ليس بمجدبٍ ... وبحرٌ تخطيناه ليس بمرزم[٣]

رزم الماء : إذا انقطع ، وأرزمه غيره : أي قطعه .

وماء زلالٍ قد تركنا وروده ... زلالاً وبعناه بشربة علقم
لبست ثياب الصبر حتى تمزَّقتْ ... جوانبها بين الجوى والتندم
أظل إذا عاتبت نفسي منشدا ... (فهلا تلا حاميم قبل التقدم)

المصراع الثاني قاله قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل[٤] :

---

(١) الضيغم : الأسد .
(٢) مقتفٍ : متّبع ، وباقل : يضرب به المثل في العيِّ .
(٣) مرزم : منقطع .
(٤) وصدره في كلام قاتل محمد بن طلحة : « يذكّرني حاميم والرمح شاجرٌ »

وأنشـد في ذكرى لدارك باكياً « ألا انعم صباحا أيها الربع وآسلم »
ولـم أر قبلـي من يحـارب بخته ويشـكو إلـى البؤسـي افتقـاد التنعُّمِ
ولا أحـدٌ يحـوي مفـاتيح جنّةٍ ويقـرع بالتـطفيل باب جهنّمِ
وقـد كان رأسـاً للتـدابير بلعمٍ وقـد صرت في الـدنيا خليفـة بلعمِ

يعني بلعم بن باعوراء . الذي أنزل فيه (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها)لأنه كفر بالله بعد تعلمه الإسم الأعظم ، وجحد نعـم الله سبحانـه وتعالى :

وقد عاش بعد الخلـد في الأرض آدمٌ فإن شئـت فاعذرنـي فإنّـي ابـن آدمِ
فيا ليتني أمسيت دهـريَ راقداً فإنّـي متـى أرقـدْ بذكرك أحلمِ
مكانـك من قلبـي عليك موفّرٌ متـى ما يرمـه ذكر غيرك يحتمي
لغيرك درديّ الوصـال وثيب الـمقـال وممـزوج المـودة فاعلم[1]
وأنت الـذي صوّرت لي صورة المنى وأركبتنـي ظهـر الزمـان المذمَّم
وصيّرت عندي أنحس الدهـر أسعداً وكذّبـت عنـدي قول كلٍّ منجّم
وصغّـرت قدر النـاس عنـدي وطالما لحظـت صغيراً عن حمـاليق معظم

فجعل الله له من مضيق الحبس مخرجا ، فنهض إلى طبرستان ، وكانـت حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شار ، فمن قوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

ألا أبلـغ بنـي شارٍ كلامي ومـن لم يلقهـم فهـو السعيد
عـلام ابتعتـم فرسـاً عتيقاً وليس لديكم علفٌ عتيدُ
وفيمَ حبستُـمُ في البيت بازاً يحيصُ الـطير عنـه أو يحيدُ
فـلا قرّبتمـوه فعلتموه ولا خلّيتـم عنـهُ يصيدُ

---

(١) دردي الوصال : الدُّرديّ من الزيت أو نحوه : ما يبقى في أسفل الإناء من الكدر .
وثيّب المقال : أي الكلام الذي ليس بكراً لأنّ الثيّب : هي التي افتقدت بكارتها .

وقوله من أخرى [من الوافر] :

وقال أنا المليك فقلت حقّاً ... بقلب اللام نوناً في الهجاء
ولم أر من أداة الملك شيئاً ... لديك سوى احتمالك للواء

ومنها :

أحين قلعتُ نابي كلِّ أفعى ... وحادت أسد بيشة عن فنائي
وقال الناس إذ سمعوا كلامي ... ألم تكن الكواكب في السماء
يخوّفني الكساد على متاعي ... وهل يُخشى فساد الكيمياء

وله من أخرى [من مخلع البسيط] :

لله في كل ما قضاه ... لطائفٌ تحتها بدائع
سبحان من يطعم ابن شار ... ويترك الكلب وهو جائع

ثم إنه عاود نيسابور ، وأقام بها إلى أن وفق التوفيق كله بقصد حضرة الصاحب بأصبهان ولقائه بمدحه ، فأنجحت سفرته ، وربحت تجارته ، وسعد جده بخدمته ومداخلته والحصول في جملة ندمائه المختصين به ، فلم يخل من ظل إحسانه ووابله وغامر إنعامه وقابله ، وتزود من كتاب إلى حضرة عضد الدولة بشيراز ما كان سببا لارتياشه ويساره ، فإنه وجد قبولا حسنا واستفاد منها مالا كثيرا ولما انقلب عنها بالغنيمة الباردة إلى نيسابور استوطنها واقتنى بها ضياعا وعقارا ودرت عليه أخلاف الدنيا من الجهات ، وحين عاود شيراز ورد منها عللا بعد نهل ، فأجري له عند انصرافه رسما يصل إليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يحمل من فارس إلى خراسان ، ولم يزل يحسن حال من رواء وثروة واستظهار ، يقيم للأدب سوقا ، ويعيده غضا وريقا ، ويدرس ويملي ويشعر ويروي ، ويقسم أيامه بين مجالس الدرس ومجالس الأنس ، ويجري على قضية قول كشاجم [من الرمل] :

عجبــاً ممَّــنْ تعالــت حاله فكفــاه الله زلاّت الطلبْ
كيف لا يقســم شطــري عمره بين حالين نعيمٍ وأدبْ

وكان يتعصب لآل بويه تعصبا شديدا ، ويغض من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه ، إلى أن كانت أيام تاش الحاجب ورجع من خراسان إلى نيسابور منهزما ، فشمت به وجعل يقول : قبحا له وللوزير أبي الحسن العتبي ، فأبلغ العتبي أبياتا منسوبة إلى الخوارزمي في هجائه ولم يكن قالها ، منها [من البسيط] :

قل للــوزير أزال الله دولته جزيت صرفــاً علــى قول ابــن منصور

فكتب إلى تاش في أخذه ومصادرته وقطع لسانه ، وإلى أبي المظفر الرعيني في معناه ، وكان يلي البندرة بنيسابور إذ ذاك ، فتولى حبسه وتقييده وأخذ خطه بمائتي ألف درهم واستخرج بعض المال وأذن له في الرجوع إلى منزلـه مع الموكلين به ليحمل الباقي ، فاحتال عليهم يوما ، وشغلهم بالطعام والشراب وهرب متنكرا إلى حضرة الصاحب بجرجان ، فتجلت عنه غمة الخطب ، وانتعش في ذلك الفناء الرحب ، وعاود العادة المألوفة من المبار والأحبية واتفق قتل أبي الحسن العتبي وقيام أبي الحسن المزني مقامه ، وكان من أشد الناس حبا للخوارزمي ، فاستدعاه وأكرم مورده ومصدره ، وكتب إلى نيسابور في ردِّ ما أخذ منه عليه ، ففعل وزادت حاله وثبت قدمه ، ونظر إليه ولاة الأمر بنيسابـور بعين الحشمة والاحتشام والإكرام والإعظام ، فارتفع مقداره وطاب عيشه ، إلى أن رمي في آخر أيامه بحجر من الهمذاني الحافظ البـديع ، وبلـي بمساجلتـه ومناظرتـه ومناضلته ، وأعان الهمذاني الحافظ البديع عليه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه من [مباراة المزني وقوته به] وأنف من تلك الحال ، وانخزل انخزالا شديدا[1] ، وكسف باله ، وانخفض طرفه . ولم يحل

(١) انخزل : انقطع وضعف .

عليه الحول حتى خانه عمره ، ونفذ قضاء الله تعالى فيه ، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، ورثاه الهمذاني بأبيات دس فيها سعاية ثانية ، وهي هذه [من المتقارب] :

حنانيك من نفس خافتٍ ولبيك عن كمدٍ ثابت
أبا بكر اسمع وقل كيف ذا ولست بمسمعة الصامت
تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنك من صامت
حلفت لقد متّ من معشرٍ غنيين عن خطر المائت
يقولون أنت به شامتٌ فقلت الثرى بفم الشامت
وعزّت عليٍّ معاداته ولا متداركٌ للفائت

وقال فيه من أحسن على إساءته ، وهو أبو الحسن عمر بن أبي عمر الرقاني [من السريع] :

مات أبو بكر وكان أمرأً أدهم في آدابه الغرِّ[1]
ولم يكن حراً ، ولكنّه كان أمير المنطق الحرِّ

وهذه ملح ونكت من شعره في النسيب والغزل

قال من قصيدة وأبدع في وصف ما يتزايد من حسن الحبيب على الأيام التي من شأنها تغيير الصور وتقبيح المحاسن [من الوافر] :

وشمسٍ ما بدت إلا أرتنا بأن الشمس مطلعها فضول
تزيد على السنين ضياً وحسناً كما رقّت على العتق الشمول[2]

---

(١) الأدهم : الأسود ، وأدهم في آدابه : أي يجمع القديم والجديد .
(٢) رقت على العتق الشمول : الشمول : الخمرة ، والعتق : القدم ، ورقّت : أصبحت أكثر صفاءً وعذوبة .

ومن أخرى [من الكامل] :

مضـت الشبيبـة والحبيبـة فالتقى   دمعـان في الأجفـان يزدحمـانِ
ما أنصفتنـي الحادثـاتُ رمينني   بمـودّعين وليس لي قلبان

ومن أخرى [من الخفيف] :

قلـت للعين حين شامـت جمالاً   في وجـوهٍ كواذب الإيماض
لا تغرنّـك هذه الأوجـه الغـر   فيا ربّ حيّةٍ من رياض

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيريّ من ضحـكٍ غدا سبـب البكا   ومـن جنّـةٍ قد أوقعـت في جهنم
لأنّـكِ لا تروين بيتـاً لشاعرٍ   سوى بيتِ «من لم يظلم الناس يظلم»[1]

ومن أخرى [من الطويل] :

عذيريّ من تلك الوجـوه التـي غدت   مناظرهـا للناظـرين معاركـا
عذيريّ من تلك الجسـوم التي غدت   سبائـك تفنى النـاس فيهـا السبائكا

ومن أخرى [من الطويل] :

خليلـيّ عهـدي بالليالـي صوافيا   فمـا بالهـا أبـدلن جيمـا بصادها
خليلـيّ هل أبصرتمـا مثـل أدمعي   نفـدن وحـقٍّ الله قبـل نفادها

ومن أخرى [من الطويل] :

يفـلُّ غداً جيش النـوى عسـكر اللقا   فرأيك في سحٍّ الدمـوع موفقا[2]
وخـذ حجتـي في ترك جنبـيَ سالماً   وقلبـي ومـن حقيهمـا أن يشقّقا

---

(١) يشير إلى قول زهير بن أبي سلمى المزني من معلقته :

ومـن لا يذد عن حوضـه بسلاحـه   يهـدّم ومـن لا يظلـم النـاس يظلم

(٢) يفلّ : يقطع ويثلم ، والنوى : البعد والهجر ، وسحّ الدموع : هطولها .

يدي ضعفت عن أن تمزق جيبها ... وما كان قلبي ناظراً فيمزّقا

ومن أخرى [من الكامل] :

بسمتْ فأبدتْ جيدها فتكشّفت ... عن نظم درٍّ تحت نظم لآلي[1]
وأرتك خديها ولاح عليهما ... صدغان ذو خالٍ وآخر خالي
فكأن ذا ذالٍ خلت من نقطةٍ ... وكأنّ ذا دالٍ ونقطة ذال

ومن أخرى [من الخفيف] :

قد عصاني دمعي وخِلّي فخِلْتُ الـ ... ـخَلَّ دمعاً وخلتُ دمعيَ خِلاً
وأحاطت بي الخصوم فجفناً ... مستهِلاً وصاحباً مستقلاً
وفؤاداً لو ظنَّ إبليس أنّ ... النار في حرِّه لصام وصلى

ومن أخرى [من الطويل] :

هلّم الخطا بدر الدجنّة وارفقا ... بعينيكما فالضوء قد يورث العمى
ولا تعجباً أن يملك العبد ربه ... فإن الدّمى استعبدن من نحت الدمى

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلةٍ لا أعلم الدهر طيبها ... مخافة أن يقتصَّ منّي لها الدهرُ
سهادٌ ولكنْ دونه كلُّ رقدةٍ ... وليلٌ ولكنْ دون إشراقه الفجرُ
وسكر الهوى لو كان يحكيه لذّةً ... من الخمر سكرٌ لم يكُنْ حُرِّمَ السكر
ولما أدارت مقلةٌ جاهليةٌ ... هلاك امرىءٍ في ضمن ثوبي لها نذر
ومالت كأن قد سقيت خمر خدّها ... وكيف يميل الخمر من ريقه الخمر
حسدت عليها ناظري إذ تحلّه ... كما تحسد الأفلاك نعل فنا خسرو

(١) ورد صدر البيت هكذا :« بسمت فأبدت جيدها فتكشّف » ولا يستقيم به الوزن .

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقـد ذكرتـك والنجـوم كأنّها　　درٌّ علـى أرض من الفيروزجِ
يلمعـن من خلل السحـاب كأنّها　　شررٌ تطـاير في دخـان العرفج[1]
والأفـق أحلك من خواطـر كاسبٍ　　بالشعـر يستجـدي اللئـام ويرتجي
فمزجـت دمعـي بالدمـاء ولـم أكنْ　　صرف الهـوى والعهـد إن لم أمزج[2]

ومن أخرى [من المنسرح] :

ليس علـى القلـب للعـذول يدٌ　　ولا ليومـي مـن الفـراق غدُ
كلُّ فؤادٍ مع الهـوى عَرَضٌ　　وكلُّ يومٍ مع النـوى أمدُ
يا أيهـا الطالبـون بي رشداً　　متـى التقـى الحـبُّ قطُّ والرشد
ولـي فؤادٌ مذ صرت أفقده　　لم أنتفـعْ بعـده بمـا أجد
ولـي حبيبٌ لو كنـت أنصفه　　وجـدت فيه أضعـاف ما أجد[3]
شهـدت للقلـب حين علّقه　　بأنـه للـوجـوه منتقـد

ومن أخرى [من المتقارب] :

عليك رقيبٌ ثقيل اللّحاظ　　متـى لم يحـط علمـه يحدس[4]
أنـمُّ من المسـك بالعاشقين　　وألحـظ عينـاً مـن النرجس

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قلـت لمـا رمـدت عيـنـاك والـدمـع سجام[5]
إنّمـا عوقبـت عن عيـنـي فاعلـم يا غـلام

---

(١) من خلل السحاب : من بينه من خلاله ، والعرفج : شجر سهلي .
(٢) صرف الهوى : خالصه ، والصرف : هو الصافي ومن الخمر : الذي لم يخالط بالماء .
(٣) وجِدت : من الوجد وهو العشق .
(٤) يحدس : يظنّ ويخمّن .　　(٥) سجام : سائل .

لا أصيبت هذه العين بعيني والسلام

* * *

وهذه لمع من تضميناته التي كانت رشيقة ، وطريقة أنيقة ، يضعها في مواضعها ، ويوقعها أحسن مواقعها ، ويفصح بها عن اتساع روايته وكثرة محفوظاته ، فمنها قوله من قصيدة في عضد الدولة [من الوافر] :

ولمّا أكثر الحسّاد فيه وقالوا قد تغضّنت الخدودُ[1]
أجاب الفضل عنه حاسديه (لأمر ما يسود من يسود)

« لأمر ما » البيت لبلعام بن قيس الكناني

بودّي لو رأى كنفيه يوماً ومن قد عاش تحتهما لبيد

لأن لبيدا يقول [من الكامل] :

*ذهب الذين يعاش في أكنافهم[2] *

ولو أنّ الوليد رآه يوماً غدا ورجاؤه غضٌّ وليدُ
وحلّ عُرى الزماع ولم يردِّدْ « أشرِّق أم أغرِّب يا سعيد »[3]

وله من أخرى [من الكامل] :

حسد السّماك سَمِيَّهُ لما بدا في سرجه شخص الهمام الأبلج

السماك : فرس منسوب لعضد الدولة .

وغدا فأضحى لاحقاً ضدّ اسمه وأراك أعوج وهو عين الأعوج

---

(١) تغضّنت : تجعّدت .

(٢) هذا صدرُ بيت وعجزه قوله :

« وبقيت في خلفٍ كجلد الأجرب »

(٣) حلّ عُرى الزماع : أي انثنى عن الأمر الذي كان قد أزمع وصمّم على فعله .

فلـو ان شاعـر بحتـرٍ في عَصره ما قال في فرسٍ ولا في أعوج
(خفّـت مواقـع وطئـه فلـو انّه يجـري برملـة عالـجٍ لم يرهج)[1]

البيت كما هو للبحتري .

وقوله من أرجوزة [من الرجز] :

وقينـةٍ أحسـن من لقياها تملـي كتـاب الحسـن مقلتاها
ونقطـه وشكلـه خداهـا إذا اجتلاهـا اللحـظ أنشدناها

(* واها لريًا ثُمّ واهاً واها[2] *)

المصراع لأبي النجم

ومنها في وصف الناقة :

بجسـرةٍ قائـدهـا براهـا في السير بل سائقهـا رجلاها
قد كتـب العتـق علـى ذفراها (أيّ قلـوصٍ راكبٍ تراها)[3]

البيت جاهلي قديم

ومن قصيدة [من الطويل] :

لعمـرك لولا آل بوية في الورى لكان نهـاري مثـلُ ليلُ المتيَّم
وصمـت عن الـدنيا وأفطـرت بالمنى ولـم يك إلاّ بالحـديث تأدُّمي

---

(١) برملة عالج : مكان كثيرالرمل . لم يرهج : لم يترك غباراً .

(٢) يروى بعده :

هـي المنـى لو أننـا نلناها يا ليت عيناهـا لنـا وفاها
بثمـنٍ نرضي به أباها إنّ أباهـا وأبـا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

(٣) ذَفِر الشيء : انتشرت رائحته وانتنت وذفر الناقة : رائحة إبطيها المنتنة ، والقلوص : الناقة .

(٤) تأدمي : طعامي وأكلي .

وأنشـــدت في داري وفيمـــا أرى بها　　(أمـــن أمٍّ أوفـــى دمنـــةٍ لم تكلم)

المصراع لزهير[1]

ومن قصيدة في الصاحب [من الطويل] :

ومـــن نصـــر التـــوحيد والعـــدل فعله　　وأيقـــظ نوّام المعالـــي شمائله
ومـــن ترك الأخيار ينشـــد أهله　　(أجل أيها الربـــع الـــذي خفّ آهله)

المصراع لأبي تمام[2]

ومن أخرى [ومن الطويل] :

أخـــو كلمـــاتٍ ما جلاهـــا لسانه　　علـــى أحـــدٍ إلا غدا وهـــو خاطب
متـــى يروهـــا أهـــل الصناعـــة ينشدوا　　(عجائـــب حتـــى ليس فيهـــا عجائب)

المصراع لأبي تمام أيضاً[3]

ومن أخرى [من البسيط] :

مقابـــلٌ بين أقـــوامٍ وألويةٍ　　مردَّدٌ بين إيوان وديوان
إذا أتـــى داره الأضياف أنشدَهُمْ　　(وإخوتـــي أســـوةٌ عنـــدي وإخواني)

المصراع لأبي تمام

يا ترجمـــان الليالـــي عن معاذرها　　وحجـــة الزمـــن الباقـــي علـــى الفاني
يا أبحث النـــاس عن شعرٍ وعـــن كرمٍ　　يا مورث الطبـــع إحسانـــاً بإحسان

---

(١) المصراع صدر مطلع في قول زهير وعجزه :
« بحومانة الدرّاج فالمتثلَّم »
(٢) المصراع صدر مطلع في قول أبي تمام وعجزه :
« لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله »
(٣) المصراع عجز بيت لأبي تمام وصدره قوله :
« علي أنها الأيام قد صرن كلّها »

يا تاركي منشداً من ظلّ يحسدني (ليس الوقوف على الأطلال من شاني)

المصراع لعبد الله بن عمار الرقيّ

طلقت بعدك مدح الناس كلِّهم فإن أراجعْ فإنّي محصن زاني
وكيف أمدحهم والمدح يفضحُهُمْ إن المسيِّب للجاني هو الجاني
قومٌ تراهم غضابى حين تنشدهُمْ (لكنه يشتهي مدحاً بمجّان)

البيت من قول القائل [من البسيط] :

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن لكنه يشتهي مدحاً بمجّان

رجع :

ورابني غيظهم في هجو غيرهِم وإنّما الشعر معصوبٌ بعثمان
ما كلُّ غانيةٍ هندٌ كما زعموا وربّما سبّ كشحانٌ بكشحان[1]
فسوف يأتيك منّي كلّ شاردةٍ لها من الحسن والإحسان نسجان
يقول من قرعت يوماً مسامعه قد عنَّ حسان في تقريظ غسان
الوشي من أصبهان كان مجتلباً فاليوم يهدى إليها من خراسان
قد قلت إذ قيل إسماعيل ممتدحٌ له من الناس بختٌ غير وسنان[2]
(الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان)

البيت كله تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

كتبتُ ابن عبادٍ إليك وحالتي كحال صدٍّ طَمَتْ عليه مَناهِلُهْ[3]

---

(١) الكشحان بكشحان : حقد بحقد ، وعداوة بعداوة .
(٢) بخت : حظّ ، وسنان : غافل ، والوسن النعاس الذي يسبق النوم .
(٣) الصدّ : المنع ، وطمت فاضت ، والمناهل المشارب .

وما تركت كفّاك فيّ خُصاصةً ... ولكنّ شوقاً قد غلت بي مراجله[1]
أبيت إذا أجريت ذكرك منشداً ... (كأنّك تعطيه الذي أنت سائله)

المصراع تضمين .

ومن أخرى في عضد الدولة [من البسيط] :

أضحت ثياب فنا خسرو مزرّرةً ... على هزبرٍ وإنسانٍ وصمصامِ
القائل القول عيّ السامعون به ... فميّلوا بين أوهامٍ وأفهام
والفاعل الفعلة الغراء لامعةً ... أوضاحها بين أقلامٍ وأعلام
والتارك الترك والخذلان ينشدهم ... (يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام)

المصراع للنابغة الذبياني

ومنها :

[أغنيتني عن أناسٍ كان بعضُهُمُ ... عذري ومكثيَ فيه بعض إجرامي]
المبغضين ليوم الفطر جهدهُمُ ... لأنّهم قطّعوه غير صُوَّام
قومٌ إذا مرَّ ضيفٌ دحرجوا حجراً ... وأسموا اليوم يوم العيد أو رام[2]
قد قدّموا نفراً قبلي فأنشدهم ... فضلي ونقْصُ الأُلى لاقوا بإكرام
(قدمت قبلي رجالاً لم يكُنْ لهُمُ ... في الحقّ أن يلحقوا الأبواب قدامي)

تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

لو أنّك قد أبصرت تاشا وفائقاً ... على ظهر يختٍ أدبرِ الظهر رازم
وقد كتب الإدبار في جبهتيهما ... بإنشاء مقمورٍ وتحرير نادم

---

(١) الخصاصة : الحاجة والفقر ، المراجل : جمع مرجل وهو القدر .
(٢) رام : من رام الشيء : قصده ، أو رام عن المكان : ابتعد وفارق .

(فـلا تأمنـن الدهـر حرّاً ظلمته   فإن نِمْـتَ فاعلـمْ أنّـهُ غير نائم)

تضمين كله .

ومن أخرى [من الطويل] :

وقائـع لو مرّت بسمـع ابـن غالبٍ   لمـا قال ما بين المصلّـى وراقمِ
(أتتنـي ورحلـي بالمدينـة وقعةٌ   لآل تميمٍ أقعـدت كلَّ قائم)

البيت للفرزدق ، قاله حين سمع وهو بالمدينة قتل وكيع بن أبي الأسود لقتيبة بن مسلم .

سلِ الله واسـأل آل بوية إنّهمْ   بحـار المعالـي لا بحـارُ الدراهمِ
تحبُّهـم البلـدان فهـي نواشزٌ   علـى كلِّ زوج بعدهـم أو محارمِ(1)
إذا رامهـا أعداؤهـم تركتُهُم   فلـم يلقهـم إلاَّ برمـحٍ وصارم
ممـالك قد نادت عليهـم حروبهمْ   بطـول القنـا يحفظـن لا بالتمائم(2)

ومن أخرى كتب بها من أرجان إلى الصاحب وصف فيها الحمى [من الوافر] :

ولـو أبصـرتَ في أرجـانِ نفسي   عليهـا من أبـي يحيى ذِمامُ
ولـي من أمِّ ملـدمَ كلَّ يومٍ   ضجيجٌ لا يلـذُّ له منامُ
مقبِّلـةٌ وليس لهـا ثنايا   معانقـةٌ وليس لهـا التزام
كأنّ لهـا ضرائـرُ من غذائي   فيغضبهـا شرابـيَ والطعام
إذا ما صافحـت صفحـات وجهي   غدا ألفـاً وأمسـى وهـو لام
إذاً لرأيت عبـدك والمنايا   تصيحُ به تنبَّـهْ كمْ تنام
ومـا أستبـكاك من بعـدي أسيرٌ   يرضُّ عظامـه الحـقُّ العظام(3)

---

(1) الناشز : التي ترفض الطاعة .
(2) القنا : الرماح ، والتمائم : جمع تميمة ما يعلقه الانسان في كتفه لردّ الأذى .
(3) يرضّ : يدقّ ويطحن .

ولا ترجيع ثكلى خلف نعشٍ (أمحمولٌ على النعش الهمام)[1]

التضمين للنابغة الذبياني

ولا ترديد صبٍّ وهو باكٍ (سُقيتِ الغيثَ أيُّها الخيامُ)
ولولا فقد وجهك لم أعبِّسْ على ضيف يقال له الحِمام
فما في العيش لولا أنتَ طيبٌ ولا في الموت لولا أنتَ ذامُ
وكنت ذخرتُ أفكاري لوقتٍ فكان الوقت وقتك والسلامُ
وكنت أطالب الدنيا بحرٍّ فأنت الحرُّ ، انقطع الكلام
ولما سرتُ عنك رأيت نفسي وبين القلب والرِّجْلِ اختصام
فذاك يقول منك السير عنه وتلك تقول منك الاغترام
وسائلني بعلمك من أراه وقالوا (ما وراءك يا عصام)
فقلت زكاة ما يحويه علمٌ لمن لغلامه مثلي غلام

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

ويشربُ لكنْ في إناءٍ من الثرى رحيقاً خوابيها الطلا والمناكبُ[2]
ويسمعُ لكنّ الغناء مدائحٌ ويكنز لكنّ الكنوز مناقب[3]
لو ان حبيباً كان لاقاه لم يقلْ (وأكثر آمال النفوس الكواذب)

آخره تضمين

ومن أخرى [من الطويل] :

---

(١) الترجيع : النواح والبكاء ، والثكلى : الفاقدة .
(٢) الرحيق : الشراب الصافي ، الطلا : الدماء. والمناكب: جمع منكب ، وهو مجمع رأس الكتف والعضد، والمنكب من القدم: عونهم الذي يعتمدون عليه .
(٣) يكنز : يجمع ، والمناقب : الآثار الحميدة .

وفي الدّست شخصٌ ودّت الأنجم التي ... تقابله لو أنهنّ مجالسُ
فلا تعجبوا أن يحمل الدست عسكراً ... فما كلّ أمرٍ تقتضيه المقايسُ
وأن يسع الدست اللطيف لعالمٍ ... فقد وسعت إسم الإلّه قراطس
أمينٌ إذا ما الناس مالوا لغيره ... (ومحترسٌ من مثله وهو حارس)

المصراع الأخير تضمين لعبد الله بن همام سار مثلاً .

ومنها :

وكنت آمرأً لا أنشد الدهر خالياً ... سوى بيت ضرٍّ نجمه الدهر ناحسُ
(أقلّي عليّ اللوم يا أمَّ مالكٍ ... وذمّي زماناً ساد فيه القلاقس)(١)

البيت كما هو لعبد الله بن همام .

فأصبح إنشادي لبيت إذا جرى ... ففيه نديمٌ ممتعٌ ومؤانسُ
(ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا ... بها أثرٌ جديدٌ ودارسُ)(٢)

البيت لأبي نواس .

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من يدرّس خالياً حجابه ... سهل الحجاب مؤدبُ الخدامِ
كم تطرد الدنيا وترجع بعد ما ... (قد طُلِّقَتْ تطليقة الإسلام)

المصراع الأخير لابن هرمة .

فكأنّها شيعيّةٌ قُميَّةٌ ... وكأنّ سيدنا الوزير إمامي(٣)
ويقولِ للخطاب غيرك (ليس ذا ... وقتُ الزيادة فارجعي بسلام)

---

(١) القلاقس : العبيد .

(٢) أدلجوا : أدخلوا ، ودارسٌ ، بالٍ .

(٣) قمّية : نسبة إلى قم في إيران وبها حوزة علمية مشهورة للطائفة الشيعيّة .

من بيت جرير [من الكامل] :

طرقتك صائدة القلوبِ وليس ذا　　وقتُ الزيارة فارجعي بسلام

ومن أخرى [من الطويل] :

وجدنا ابن عباد يؤدّي فرائضاً　　من المجد ظنّتها اللئام النوافلا
جديرٌ بأن يغشى الكريهة منشداً　　(أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا)

المصراع لزيد الخيل .

ومن أخرى [من الطويل] :

تعاصيهمْ أسيافُنا فكأنّما　　يرين بريئاً من سفَكن له دما
كأنّ ظُباها ساعة الروع عُلِّمت　　(ولن تستطيع الحلم حتى تحلّما)

المصراع الأخير لحاتم الطائي .

ومن عضدية [من الطويل] :

وكم عصبةٍ قرحي عصوك فأصبحوا　　بهم يومهم خمرٌ وفي غدهم أمرُ
وصارخةٍ للزوج كان غناؤها　　(لها كنية عمروٍ وليس لها عمرو)

من بيت أبي صخر الهذلي [من الطويل] :

أبى القلب إلاّ حبّها عامرية　　لها كنية عمروٍ وليس لها عمرو

رجع :

فصيّرتها ثكلى وأصبح قولها　　(كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر)

المصراع الأخير تضمين .

ومن قصيدة في أبي نصر بن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أُضحي من عطاياك شاعراً　　لقد صرت أمسي من جنابك مفحما

أبيت إذا أجـريت ذكرك منشداً | وأن أعتـبَ الأيام فيه فربّما
وما لي من الأصـوات مقتـرحٌ سوى | (أعالـج وجـداً في الضـمير مكتّما)

المصراع الأخير للبحتري .

ومن قصيدة في الأمير أبي نصر الميكالي [من الطويل] :

نجـر ذيول الفخـر حتـى كأنّنا | لعزتنـا في آل ميكال ننتمي
هم شحمــةُ الـدنيا فإن نتعدَّهم | إلى غيرهم نحصل على الفرث والدم[1]
سقى الله ذاك الـروض جوداً كجودهم | وصيَّر آجـال العـداة إليهمِ
وأبقـى أبـا نصـرٍ ليربـي عليهمُ | سنين كمـا أربـى بنينٌ عليهمِ
وعـاش إلـى أن يتـرك النـاس مدحه | ومـن ذا الـذي يرجـو إياب المثلَّمِ[2]

وفي الأمثال « لا أفعل ذاك حتى يؤوب المثلم » .

هو الحـرُّ لا يحبـو بثـوبٍ مطرَّزٍ | غسيلٍ ولا يدعـو بكيسٍ مختَّمِ[3]
ولا يعـدم الراؤون منـه ثلاثةٍ | عطـاءً وعـذراً وانبساطـاً لديهمِ
ويعـذُب إنْ ينصفْ كمـا عذُبـت نعمْ | ويثقـلُ إنْ يظلـمْ كمـا ثقلـتْ لَمِ
صفـوحٌ عن الجهـال ينشـد فعله | (ويشتـم بالأفعـال لا بالتكلمِ)

المصراع تضمين ، وهو جاهلي معروف .

ومن قصيدة في الهجاء [من الكامل] :

زمنِ المـروءة عهـده بفتوَّةٍ | عهـدي بتـرك الشَّـرب في شوالِ
غضبـانُ ينشـد حين يبصـرْ سائلاً | كُفِّـي دعـاءك إننـي لك قالي

---

(١) شحمة الدنيا : أي أحسن وأطيب شيء فيها ، الفرث : الروث من الحيوانات ، أو بقايا الأطعمة في كروشها .
(٢) الإياب : العودة : المثلَّم : أي الذي ثلمه الدهر في نفسه وماله .
(٣) يحبو : يجود ويعطي .

وله مواعدُ قد حكت في طولها (آلت أمور الشرك شر مآل)

البيت ابتداء قصيدة لأبي تمام في المزنيين .

ومن أخرى [من الوافر] :

متى ما زرتُهُمْ أوصيت أهلي وصية عائدٍ بالجرم بادي
بتجديد الصنادق للهدايا وتوسيعِ المرابط للجيادِ
وإن ودَّعتهم أنشدت فيهمْ (سقى عَهد الحمى سيل العهاد)

المصراع لأبي تمام .

ومن أخرى في شمس المعالي [من الطويل] :

شموسٌ لهنّ الخدر والبدر مغربٌ فطالعها بالبين والهجر غاربُ
ولكنّما شمس المعالي خلافها مشارقه ليست لهنّ مغاربُ
فما لقبوه الشمس إلا وقد رووا (بأنّك شمسٌ والملوك كواكبُ)

المصراع الأخير من بيت النابغة .

أقول لزوّار الأمير ترجّلوا فمن زاره من راجلٍ فهو راكبُ
وإن زاره الفرسان كنت كفيلهُمْ بأن يرجعوا والخيل فيهم جنائب[1]
إذا رجعوا عن بابه فنشيدهُمْ (وإن سكتوا أثنت عليه الحقائب)
ألا أبلغوا عنّي الأمير رسالةً تدلُّ على أني على الدهر عاتب[2]
إلى كم يحل المرء مثلك بلدةٍ بها منبرٌ فيها لغيرك خاطب
لقد هان من أمسى ببلدة غيره (وقد ذلّ من بالت عليه الثعالب)

---

(١) جنائب : الفناء .

(٢) عاتب : لامه على مكروه فعله .

هذه من سقطاته وعرره ، الواقعة في غرره فإن فيه سوء أدب ، وهو بالتقريع أشبه منه بالتقريظ ، وليس مما يخاطب به الملوك .

ومما زل فيه أقبح زلة ، قوله من قصيدة في الصاحب . وقد اعتل [من الطويل] :

نعـوا ليَ نفسَ المجـد ساعــة أخبروا بمـا يشتــكي من سقمــه ويمارس[1]

فإن في لفظه النعي ما فيها من الطيرة ، إذ هي مما يقع في المرثية لا في العيادة ، ثم قال :

فهــلاّ فداه منــهُ من ليس مثله ومن ربعه في ساحـة الجـود دارسُ[2]
جزى الله عنّــي الدهــر شرّاً فإنَّهُ يضايقنــي في واحــدٍ وينافسُ

ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب من قصيدة [من الخفيف] :

ومهيبٍ كأنّمــا أذنــب النا س إليه فهــم مُغشــون ذلاً
وظــريفٍ كأنّ في كلٍّ فعلٍ من أفـاعيله عرائس تُجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف ، إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيلـه بعـرائس تجلى ، فلو مدح مخنثاً لما زاد ، والكامل من عدت سقطاته ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

***

(١) السقام : المرض ، ويمارس : يعاني ويلاقي .
(٢) دارس : متقادم عهده .
(٣) ورد في صدر البيت « ألا أبلغنا عنّي الأمير رسالة » ولا يستقيم الوزن كذلك .

وهذه غرر من مدحه وما يتصل بها

فمن ذلك قوله من عضدية [من الطويل] :

غريبٌ علـى الأيام وجـدانُ مثلِهِ ... وأغـربُ منـه بعـد رؤيتـه الفقْرُ
فلا حرٌّ إلاّ وهـو عبـدٌ لجوده ... ولا عبـدُ إلاّ وهـو في عدلـه حرٌّ
عجبـت له لم يلبس الكِبْـرَ حلّةً ... وفينـا لأنْ جزنـا علـى بابـه كبرُ

وله من أخرى [من البسيط] :

متـى أشـقُّ رواق الملك تلحظني ... عين آمرىءٍ بغيوب المجـد علاّمِ
متـى أرى قمـرَ الـديوان مطّلعاً ... في سطـو بهـرام بل في ملك بهرامِ
متـى أقبّـل فرشـاً لا يقبّله ... عافٍ فيفـرق بين التـرب والسامِ[1]
ما لي أبيت بشيرازٍ وأصبـح في ... داري فدت يقظتـي نومـي وأحلامي
ما يطلـب الحلـم من قلبـي يقلّبُهُ ... عنـدي من السُّقـم ما يكفيه أسقامي
أصبحـت أشـكر ليلاً أشتـكي غده ... الليلُ عونـي والأيام غُرّامي
والأرض تعلـم أنّـي سوف أمسحها ... حتـى أرى من يرى بالليل أوهامي

ومن أرجوزة [من الرجز] :

يا عضـد الدولـة من يمناها ... يا مهجـة قالـت لهـا أعلاها
مـن أسخـط الدرهـم أرضـى الله ... ومـن أزال المـال صان الجاها

وقال من قصيدة [من الوافر] :

بحمـدك لا بحمـد النـاس أُضحي ... وكيلـي ليس يكفيه وكيلُ
وكانـوا كلّمـا كالـوا وزنَّا ... فصرنـا كلمـا وزنـوا نكيلُ
وزدت من العيال وذاك أنّي ... كتبـت علـى لقائـك من أعولُ

---

(١) العافي : الطالب المعروف ، أو الضيف .

وعشـت ونـاقصٌ رزقـي فأضحى مفاعلتـن مفاعلتـن فعولُ
وكنـت أبيع من سقـط القوافي وأحجـر ما تضمنـت الحمولُ
وأكتـمُ من أبـايع دِقَّ بَزّي ففـاض عليه نائلك الجزيل(١)

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا حركا لي أبـرويز بن هرمزٍ وقـولا له قُمْ تلْـقَ أعجوبـةً قمِ
نطلّـع إلـى الـدنيا لتعلـم أنَّ ما ملـكت من الـدنيا بمقـدار درهمِ
لعمـرك لولا آل بوية لم يكن نهـاري إلاّ مثـل ليل المتيَّمِ

ومنها :

وهـم جعلونـي بين عبـدٍ وقينةٍ ودارٍ ودينـارٍ وثـوبٍ ودرهم
وهـم تركوا الأيام تعجـب أن رأتْ سلـوِّي ولا أرقـى السمـاء بسلم
وهـم حالفونـي أوطـأوا في صلاتهم وصلـت عن الأبطـال شعـري فيهم

ومن أخرى [من الكامل] :

ختمتْ بك العجـم الملـوك وراجعت بك تاجُ ملكِهِـمِ القـديمِ المنهجِ
لم يفقـدوا بك أزدشير وإنّما فقـدوا نقيصـة دينـه المستسمجِ(٢)

ومن أخرى [من البسيط] :

وغـاظ مدحـك أقوامـاً وفـي يدهمْ لو طاوعوا الجـود تقديمـي وإحجامي
ومـا ظعنـتُ علـى نهـرٍ فأغضبهُ لكنْ ذكرت عبـاب الزاخـر الطامي(٣)
أكلَّ فاضـلِ أقـوامٍ شهـدت له يغتـاظ من ذكره مفضـولِ أقوام

(١) دقّ بري : أي النفيس منها ، والنائل : العطاء .
(٢) المستسمج : الثقيل المكروه .
(٣) طعنت : رحلت ، العباب الزاخر : الماء الكثير الواسع ، والطامي الفائض .

ومن صاحبية [من الطويل] :

وأبيضَ وضّاح الجبين كأنّما محيّاه قد درَّت عليه شمائله
يقبِّل رجليه رجالٌ أقلُّهمْ تقبَّل في الدّست الرفيع أنامله

ومنها :

أقبل أشعاري إذِ آسمك حشوها وأشتم ملبوسي لأنّك باذله
وأخطر في حافات دارٍ ملأتها طرائف باقي العيش منها وحاصله[1]

وله من أخرى [من الطويل] :

وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته إلهك قال الناس أسرفت سائلا[2]
وإني وإلزاميك بالشعر بعدما تعلّمته منك الذّرى والفواضلا
كملزم ربٍّ الدار أجرة داره ومثلك أعطى من طريقين نائلا

ومن أخرى [من الكامل] :

ولقد عهدتُ العلم أكسد منْ بهتانِ فرعون لدى موسى
فأقام قاعد سوقه رجلٌ ميت الرجاء ببابه يحيا
فالعلم أصبح في الورى علماً والشعر أمسى يسكن الشِّعرى[3]

ومن أخرى [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرَّفا
فلا زالت رؤوس عدا ك في حيطانها شُرُفا

ومن قصيدة في مؤيد الدولة ذكر فيها افتتاحه قلعة من أبكار القلاع واستنزاله

---

(١) أخطر : أمشي على مهل ، والطرائف : جمع طريف : المال الحديث النعمة .
(٢) في هذا البيت مبالغة بغيضة .
(٣) علماً : أي جبلاً ظاهراً ، والشّعرى : نجم في السماء .

صاحبها المسمى كوشيار منها [من الطويل] :

وكنت سماءً والعجاج سحائباً ... وخيلك أبراجاً وجيشك أنجما[1]
وأنزلت منها كوشيار وإنّما ... تقنَّصت من فوق المجرَّة ضيغما
عرفتك صياد الأسود ولم أكُنْ ... عرفتك صياد الأسود من السما
خدمتُكُمُ يا آل بوية مدّةً ... غدا بينها فرخ الوسائل قشعما[2]

ومن أخرى في أبي الحسين المزني [من الكامل] :

كَلِمٌ هي الأمثال إلاّ أنها ... في الناس قد أضحت بلا أمثالِ[3]
فإذا لقين فإنّهنّ عوالي ... وإذا شممن فإنهم غوالي

ومن صاحبية [من الطويل] :

تأخّر عن كتبي الجواب ، وإنّما ... تأخر برد الماء عن كبدٍ حرَّى
فلا تفسدنْ عشرين ألفاً وهبتها ... بعشرين حرفاً كلامك تُستمرى

ومن ميكالية [من الوافر] :

فديتك ما بدا ليَ قصد حرٍّ ... سواك من الورى إلا بدا لي
وإنك منهم وكذاك أيضاً ... من الماء الفرائد واللآلي
وتسكن دارهم وكذلك سكنى الـ ... ـحجارة والزمرّد في الجبالِ

***

(١) العجاج : الغبار .
(٢) القشعم : النسر .
(٣) وقع هذا البيت في الأصول :
كلمٌ من الناس هي الأمثال إلاّ ... أنها أضحت بلا أمثال
وهو غير مستقيم الوزن على هذه الصورة .

وهذه فقر من مراثيه

قال من قصيدة رثى بها ركن الدولة أبا علي [من المتقارب] :

ألست ترى السيف كيف انثلمْ ... وركن الخلافة كيف انهدمْ
طوى الحسن بن بويه الرَّدى ... أيدري الرّدى أيَّ جيشٍ هزمْ

ومنها أيضاً :

طويلُ القناة قصير العداتِ ... ذميمُ العداة حميدُ الشيمْ[1]
فصيح اللسان بديع البنان ... رفيعُ السنان سريع القلم
يكيل الرجال بأقدارها ... ويرعى البيوتات رعْيَ الحرم
جوادٌ عليهم بخيلٌ بهمْ ... إذا ساء خصَّ وإنْ سرّ عمْ
فيا دهر سحقاً ولا تحتشم ... فقد ذهب الرجل المحتشمْ
وخطٌّ الفناء على قبره ... بخطِّ البلا وبنان السَّقمْ
إذا تمَّ أمرٌ دنا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم

ومنها :

إذا كان يبكي الورى بالدموع ... وتبكي بهنَّ فأين القيمْ
وقد ساءني عُطَلُ الدهر منك ... وقد كنت حِلياً عليه انتظمْ
فما يستحقُّ الزمان اللئيم ... مقامك فيه وأنت الكرمْ

وله من أخرى في مرثية أبي الفتح بن العميد [من الكامل] :

يا دهرُ إنّك بالرجال بصير ... فلطالما تجتاحهم وتبير[2]
يا دهر غيري من خدعت بباطلٍ ... وابن العميد مغيَّبٌ مقبور

---

(١) طويل القناة : كناية عن قوته وقدرته ، والقناة : هي الرمح . والشيم : الصفات والمزايا والأفعال .

(٢) تجتاحهم وتبير : تقضي عليهم وتفنيهم .

الآن نادتنــا التجارب طلّقوا دنياكُمُ إنَّ الســرور غرورُ
يا دهــر ظلّ لمخلبيك فريسةٌ رجــلٌ لعمــري لو علمــت كبيرُ
رجــلٌ لو أن الكفــر يحســن بعده هُجــيَ القضــاء وأُنِّــب المقدور
أشــكو إليك النفس وهــي كئيبةٌ وأذمُّ فيك الدمــع وهــو غزيرُ
وأقــول للعين الغــزير بكاؤها خطــبٌ لعمــري لو عميتِ يسيرُ
قد متَّ بعــدك ميتــةً مستورةً قد ساقهــا لي موتــك المشهورُ
ودفنــت في قبــر الهمــوم وضمّني كفنــان ضيقُ الصــدر والتفكيرُ
ضحكت إليك الحور ضحـكك كلّما وافــاك ضيفٌ أو أتــاك فقيرُ
وضفــت عليك ذيول رحمــة ربنا والله برٌّ بالجــواد غفورُ
وسقــى ضريحــك مستهــلٌ عمره شهــرٌ وعمــر النبــت منه شهورُ
جودٌ ككفّــك أو كعينــي أو دمٍ أجــراه سيفــك في العــدى مشهورُ
أهــوى القيامــة لا لشــيءٍ أنْ ألقــاك فيهــا والأنــام حضورُ
وأحــب فيك المــوت علمــاً أنني بعــد الممــات إلــى اللقــاء نصيرُ

ومن أخرى [من الطويل] :

أسرُّك أنّ الدهــر يجنــي لمــا جنى ولم يك في الأحبار والنصب يدعي(١)
فيا عجبــي من ناصبــيٍّ وفرحةٍ وأعجــب منــه الحــز ن في المتشيِّعِ
وأعجــب من هذين إظهــارك الأسى لمــن غاب عن دار الأســى والتوجُّعِ
ألــم تر أن الله قال تمتّعوا قليلاً ولــم يُبقِ قليلَ التمتُّع

ومن أخرى يرثي بها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة [من الطويل] .

رزئــت أخــاً لو خيِّر المجــد في أخٍ من النــاس طهــراً ما عداه ولا استثنى
وقــد جاءت الــدنيا إليك كمــا ترى طفيليةً قد جاوبــت قبــل أنْ تُدعى

---

(١) الأحبار : جمع حبر ، وهو العالـم ، والأسـقف عنـد النصـارى ، ورئيس الكهنـة عنـد اليهـود .
والنّصب : أي من يناصب عليّاً العداء .

صبت بك عشقاً وهي معشوقةُ الورى فقد أصبحتْ قيساً وعهدي بها ليلى
ولما رأت خطَّابها تركتهُمُ ولم ترضَ إلاّ زوجها الأوّل الأولى
ولم تتساهل في الكفيٍّ ولم تقلْ رضيتُ إذا ما لم تكنْ إبلٌ معزى
على أنها كانت جفتك تذلّلاً فخليتها حتى أتت تطلب الرجعى

وله من قصيدة رثى بها أبا سعيد الشيبي وكان واداً له عاتبا عليه [من الوافر] :

أيدري السيف أيَّ فتىً يبيدُ وأيَّة غايةٍ أضحى يريدُ
لقد صادت يدُ الأيام طيراً تضيق به حبالة من يصيد
وأصبح في الصعيد أبو سعيدٍ ألا إن الصعيد به سعيد[1]
وقد كانت تضيق الأرض عنهُ فلِمْ وسعتْ لجثَّته اللحود
بلى مسَّ الثرى قلباً رحيباً فأعدى الترب فاتّسع الصعيد
فلا أدري أأضحك أم أبكي وتهدمني المنيَّةُ أو تشيد[2]
صديقٌ فقد فقدناه قديمٌ وثكلٌ قد وجدناه جديد
مصابٌ وهو عند الناس نُعمى ونحسٌ وهو عند الناس عيد
تهنّيني الأنام به ولكنْ تعزّيني المواثق والعهود
وسيفٌ قد ضربت به مراراً فمن ضرباته بي لي شهود
فلمّا أن تفلّل ظِلْتُ أبكي وعندي منه فعد دمٌ جسيد[3]
ومن عجب الليالي أنّ خصمي يبيد وأنّ حزني لا يبيد
وأن النصف من عيني جمودٌ وإن النصف من قلبي جليد
إذا سفحت عليه دموع عيني نهاها الهجر منه والصدود

---

(١) الصعيد : الثرى ، أو القبر .
(٢) ورد صدر البيت هكذا :
« فلا أدري أأضحك أم أبكي »
ولا يستقيم به الوزن .
(٣) تفلّل : تقطّع وأصابته الفلول فأهلكته ، وجسيد : ملتصقٌ به .

وآثـــارٌ له عنـــدي قباحٌ ... يجمّش بينهـــا الـــرأس الحديد
فنصفٌ من مدامعهـــا سخينٌ ... ونصفٌ من مدامعهـــا برود
فمـــن هذا رأى في النـــاس مثلي ... أريد من المنـــى ما لا أريد
ومـــن نكد المنيّةِ فقـــد حرٍّ ... تخـــالف فيه إخوانـــي الشهودُ
فذا هنّـــى وقـــال مضـــى عدوٌّ ... وذا عزّى وقـــال مضـــى وديدُ
رأيت العقـــل ينفـــع وهـــو قصدٌ ... ويلقـــي في المهـــالك إذ يزيدُ
كمثـــل الـــدرع إنْ خفّـــت أجنَّتْ ... وإنّ ثقلـــت فحاملهـــا جهيد[1]
ومثـــل المـــاء يروي منـــه قصدٌ ... ويقتـــل منـــه بالغـــرق المزيد
شهـــدت بأنّ دهـــراً عشـــت فيه ... ومـــتٌّ مقيَّداً فرداً مبيد
وقالـــوا البحـــر جزرٌ ثم مدٌّ ... فما لك قد جزرت ولا تعود
بكيت عليك بالعين التـــي لم ... تزل من سوء فعلك بي تجود
فقـــد أبكيتنـــي حيّاً وميتاً ... فقـــل لي أيٌّ فعليك الرّشيد
فهـــا أنـــا ذا المهنّـــأ والمعزّى ... وهـــا آنـــا ذا المبـــاغض والودود
وهـــا أنـــا ذا المصـــاب بك المعافى ... وهـــا أنـــا ذا الشقـــيُّ بك السعيد
لقـــد غادرتنـــي في كلّ حالٍ ... أذمُّ الدهـــر فيك وأستزيد
فلا يومٌ تمـــوت به مجيدٌ ... ولا يومٌ تعيش به حميد
ومـــا أصبحـــت إلاّ مثـــل ضرسٍ ... تأكّل فهـــو موجـــودٌ فقيد[2]
ففـــي تركي لـــه داءٌ دويٌّ ... وفـــي قلعـــي له ألـــمٌ شديد
فلا تبعـــد إقامـــة رسم حقٍ ... وإنّـــك أنـــت للشـــيء البعيد
وإنـــك أنـــت للسيف الحديد ... وإنـــك أنـــت للعلـــم السديد
وإنـــك أنـــت الـــدنيا جميعاً ... ولـــكن ليس للـــدنيا خلود

---

(١) أجنّت : حفظت وردّت ، وجهيد : متعب .
(٢) تأكّل : تفتّت .

وله من قصيدة يرثي بها أبا الحسن المحتسبي [من البسيط] :

وصاحـبٍ لِيَ لو حلّت رزيتُهْ ... بالـطير ما هتفت يوماً علـى فنن
عاشرتـه عشـرةً لو أنّهـا وقعتْ ... بين الضّحى والدّجى ساراعلى سننٍ [١]
حتـى إذا نلـت سؤلـي من مواهبه ... وصادني بشباك الوصـل والمنن [٢]
ثكلتـه بعـد ما سارت محاسنه ... في العظم واللحم سير الماء في الغصن
يا دهـرَ أثكلتنـي حتـى أبـا الحسنِ ... لقـد أمِنْـتُ عليه غير مؤتمن
وصلـت سهمـك منّـي يوم قتلكَهُ ... في مقتـل القلـب لا في مقتـل البدن
جمعـت ضدّين من خرقٍ ومـن أدب ... بطش الجهول ومكر العاقـل الفطن [٣]
قد كنت أعجب لمْ أخـرت من أجلي ... فالآن أدري لمـاذا كنـت تذخرني
ولـم يكن في الـورى ذا منظرٍ حسنٍ ... في مخبـرٍ حسـنٍ إلاّ أبـو حسن

وله في عائد بن علي لما ضربته السموم فهلك [من الخفيف] :

عائـدٌ قد دعـا به المعبود ... وجميع الـورى إليه يعود
أهلكته السمـوم في أرض مكرا ... ن ولله في الرِّيـاح جنود

وله في أبي سهل البستي الكاتب [من السريع] :

مـات أبـو سهـلٍ فواحسرتا ... ان لم يكن قد مات مذ جُمْعَهْ
مـا حزنـي إلاّ لأن لم يمت ... بموتـه من أهلـه تسعَهْ
مصيبـةٌ لا غفـر الله لي ... إن أنـا أذريت له دمعَهْ

***

---

(١) السنن : الشريعة والحدود .
(٢) المنن : الإنعام .
(٣) الخرق : الجهل والطيش ، والمكر : حسن التدبير .

وهذه نتف من أهاجيه في خلفاء العصر

قال [من البسيط]:

ما لي رأيت بني العباس قد فتحوا — من الكنى ومن الألقاب أبوابا
ولقَّبوا رجلاً لو عاش أوَّلهم — ما كان يرضى به للحشِّ بوابا
قلَّ الدراهم في كفيَّ خليفتنا — هذا فأنفق في الأقوام ألقابا

وله في علوي ناصبي [من الوافر]:

شريفٌ فعله فعلٌ وضيع — دنيء النفس عند ذوي الجدودِ
عوارٌ في شريعتنا وفتحٌ — علينا للنصارى واليهودِ[1]
كأن الله لم يخلقه إلاّ — لتنعطف القلوب على يزيد

وله في فقيه [من الخفيف]:

مجبرٌ صيَّر ابنه ناصبياً — مجبراً مثله وتلك عجيبه[2]
ليس يرضى أن يدخل النار فرداً — ساعة الحشر أو يقود حبيبه

وله في أبي سعيد بن مله [من السريع]:

أبو سعيدٍ زحلٌ للكرام — ومنسفٌ ينسف عمر الأنام[3]
لم أره إلاّ خشيت الرّدى — وقلت يا روح عليك السلام
يبقى ويفنى الناس في شؤمه — قوموا انظروا كيف بخوت اللئام

---

(١) العوار: العيب والنقص.

(٢) مجبر، على زنة اسم الفاعل كمكرم: أي قائل بالجبر، وملخص هذه المقالة أنّ العبد لا اختيار له في فعل ما يفعل وترك ما يترك من خير وشر وأنّه كالريشة في مهبّ الريح، وأصحاب هذه المقالة يزعمون أنّ عقاب المسيء ظلم، وثواب الطائع محاباة، والناصبي: الذي يدين الله بسبّ عليّ بن أبي طالب وأولاده.

(٣) زَحَل: مبعد ومتعب، والمنسف: من نسف: دكّ وذرّى.

ثـــم تراه سالمــاً آمناً يا ملك الموت الــى كَمْ تنام

وله فيه [من الطويل]:

أرى لك أفعــالاً تنــاقض أمرها على أنهـا في القبــح والعــار واحد
نبيذك ذا حلوٌ ، ووجهــك حامضٌ، ومــاؤة ذا سخــنٌ ، وفعلك بارد

وله في أبي الطيب البيهقي [من السريع]:

يبـكي من المــوت أبــو طيبٍ دمــعٌ لعمــري غير مرحومِ
ويشتــكي ما يشتهــي غيره شكاية الخير من الشوم
ساكتنــا الشيخ أبــو طيّبٍ والصّمــت أحيانــاً منَ اللوم

وله فيه [من المتقارب]:

فســا الشيخ سهــواً وفــي كفّه شرابٌ فلمنــاه لومــاً قبيحا
فقــال [لــي] الدخــل والخــرج لي فأدخلــت راحــاً وأخرجــت ريحا

وله في نديم حمامي [من مجزوء الرمل]:

قــل لمــن ينــكح بالعيــون جواري الأصدقاءْ
والــذي يعتقــد المــلك له قبــل الشراءْ
أنــت والله نشيط الـ أير كســلان الوفاء
ليت قلبــي قدَّ من أيــرك في باب الذكاء
أمهل الساقي ولا تخــجله بيــن الندمـاء
أنــا بالساقــي كفيلٌ لك من بعــد العشاء
فــإذا ما انصــرف النا س فجــد لي بالأداء
لك أيرٌ جاهليٌّ من أيور السفهاء

يا كثير الماء أقرضنا ولو حمَّة ماء[1]
أنت من أيرك هذا في عناء وبلاء
أعظم الله لك الأجر على هذا العناء

وله في طاهر السجزي [من الوافر]:

ألا يا سائلي بأبي حسينٍ وفي التجريب علمٌ مستفادُ
هو ابن سميه والطاء عينٌ وشبه كنيه والسين صاد[2]

وله من قصيدة [من الوافر]:

فإنْ أسكن ببلدة إبن شهرٍ فإنّ البدر ينزل في الظّلام
أُصغرُّها وإن عظُمتْ ولكنْ لها أهلون ليسوا بالعظام
وفرسانٌ ولكن في الحشايا وأجواد ولكن بالكلام
صغارٌ بالمطالب والسجايا وإن كانوا كباراً بالعظام[3]

وله أيضاً [من الوافر]:

أبو زيدٍ فتىً حرٌّ، ولكنْ لنا في أمر ذاك الحرِّ ظنّه
أراه يشتري الغلمان سوداً عفاريتاً فيوهمني بأنّه

وله في فائق وقد قصد الأمير أبا علي لمحاربته [من الرجز]:

قد خطب الصفع قفا الخصي فمرحباً بالخاطب الكفي
ورحل الباز إلى الكركي فأبشروا بلحمه الطري

---

(١) الحمّة : عين الماء الحارّة التي تنبع من الأرض ويستشفى بها .
(٢) والطاء عين : أراد هو ابن عاهر، والسين صاد : أراد أبو حصين ، وهو كنية الثعلب وهو مضرب المثل في المكر .
(٣) صغارٌ بالمطالب والسجايا : أي أن هممهم صغيره ترضى بالدون من الأشياء .

وله في أبي سعيد رجاء وأبي القاسم العباس ابني الوليد [من الوافر] :

ولما [أن] رأيت ابني وليدٍ وبينهما اختلافٌ في الفعال
وهبتُ قبيح ذا الجميل هذا وأسلفتُ العواقب والليالي
إذا اليد أحسنتْ منها يمينٌ فسوّغنا لها ذنب الشمال

وله في رجل جليت ابنته على الختن وهي منه حبلى لأشهر [من المنسرح] :

يا جالي البنت بعد ما ثقبت تبزر القدر بعد ما قلبتْ
هذا كما قد يقال في مثلٍ جصصت الدار بعد ما خربت

***

وهذه فقر وظرف له في فنون مختلفة

قال من قصيدة [من مجزوء الكامل] :

لا يصغر الرجل الكبير بعشرةِ الرَّجل الصغيرِ
بل يكبر الرجل الصغير بخدمة الرجل الكبير
ويركبُ التِّبرُ النفيس على الدنيء من السيور(١)
ماذا يضرُّ البدر قر ب النجم منه المستنير
بل ما يضرُّ السيل مجراه على الأرض الحدور
بل ما عسى صغر السفين يغضُّ من عظم البحور
قد زادني شرفاً ولم ينقصه من شرفٍ حضوري
كالنار ليس بناقصٍ منها اقتباس المستعير
تلقي الفتى سهل الشريعة للجليس وللعشير

(١) السيور : جمع سير ، وهو قطعة من الجلد مستطيلة .

أو ما رأيتَ البحر يغــرق منـه بالخطب اليسير
والنـاس مثل الجسم يعتمـــد القبيل على الدبير[1]
يتحــامــل العضــو الخـطيــر بقــوَّة العضــو الحقيـر
كتحــامــل الــرمــح الـطــويــل بزجِّــه ذاك القصيــر[2]

ومن أخرى [من السريع]:

يا أيُّهــا الخاطــب مدحــي وهل يورد من غير رشــاءٍ قليبْ[3]
شيئــان لم يجتمعــا لامرىءٍ حبُّ الدنــانير وحــبُّ الحبيب

ومن أخرى [من الوافر] :

ولــي والله إخــوانٌ كثيرٌ نصيبــي من فعالهــم سواء
ولكنــيّ رأيتــك من أناسٍ إذا لم يحسنــوا فلقــد أساءوا

ومن أخرى [من الكامل]:

ومتى شتمــت الدهــر تشْتــم صابراً تبــكي ويضحــك ذلك المشتوم

لاومن صاحبية لما ورد حضرته مكتوب من جهة تاش [من الطويل]:

فإن ردّنــي دهــري عليك طريدةً فلا غرو أن يسترجع القــوس حاجبُ
هو الــوكر طرنــا والــرّيش وافدٌ وعدنــا إليه الآن والــرّيش ذاهب

ومنها :

جزى الله عنــي أهــل ســامــان ما أتوا وفــي الله للثــأر المضيَّعِ طالبُ
هُمُ زوَّجونــي الهــمَّ بعــد طلاقه وذلك عرسٌ للمآتــم جالب

---

(١) القبيل والدبير : الامام والخلف أو الوجه والقفا .
(٢) الزج : حديدة في أسفل الرمح .
(٣) الرشاء : الحبل ، والقليب : البئر .

هُمُ اعطشوا زرعي فشِمْتُ سحائباً غرائب لما أخلفتني القرائبُ[1]
فأنحوا لزرعي بالحصادَ وأنضبوا مياهاً لها أيدي سواهم مذانبُ
أتحصد أيديكم ويزرعُ غيركُمْ فأنتم جرادُ والملوك سحائب

أخذه من قول ابن عيينة [من الطويل] :

أبوك لنا غيثٌ نعيش بظلِّهِ وأنت جرادٌ لستَ تبقي ولا تذرُ

رجع :

إذا طمع السلطان فيما كسبته بشعري فالسلطان بالشعر كاسبُ
فأنتُمْ مدحتم آل بوية لا أنا وأمدح من لفظ اللسان حقائب

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

لاحت لوجهي أنجمٌ للشيب عُدْنَ به طوالعْ
أودعت منهنَّ الصبّا من لا يرى ردَّ الودائع
فقصصتهنَّ وإنّما دهري بمقراضي أخادع[2]
وإذا عدوُّك كان بعضك في الخطوب فمن تقارع

ومن أخرى [من الخفيف] :

خضّبتني الأيام لون بياضٍ وخضاب الأيام ليس بناضي[3]
وتخطتني المنون إلى شعري فأضحى مكفَّناً ببياض
[ولعمري إنّي لغير لبيبٍ في قتال الأيام بالمقراض]

ومن أخرى [من الكامل] :

---

(١) شمت : نظرت وتطلّعت .
(٢) المغراض : المقصّ ، وأخادع : من الخداع .
(٣) الخضاب : الصباغ ، وناضي : مفارق .

وأراك تشكو الشيب تظلُمُهُ والشيب زرعٌ بزره العمر
كالخمر يجلبُها الخِمار وقد يُهجى الخِمارُ ويمدح الخمر

وله في تلميذ عاق [من الكامل] :

هذا أبو بكر صقلت حسامه فغدا به صلتاً عليٌّ وأقدما
أمسى يجهّلني بما علّمتهُ ويريشُ من ريشي لرمي أسهما(١)
يا منبضاً قوساً بكفّي أحكمت ومسدداً رمحاً بكفي قوّما
أرقيت بي في سلّمٍ حتى إذا نلت الذي تهوى كسرت السُّلّما

وله يهجو [من الوافر] :

أبا نصرٍ رويدك من حجابٍ فلست بذلك الرجل الجليلِ
ولا تبخل بهذا الوجه عنّا فليس بذلك الوجه الجميلِ
وللأشعار قومٌ لست منهمْ ولكنّي هجوتك في السبيلِ

ومن قصيدة في الشكوى [من الكامل] :

ولقد بلوت الأصدقاء فلمْ أر فيهُمُ أوفى من الوفرِ
وكذاك لم أر في العدا أحداً أنكى لمن عادى من الفقر
ذهب الغنى وورثت عادته فأنا الغنيُّ وغيري المثري
وتجمّعتْ في اثنتانِ ولَمْ يتجمّعا في سالف الدهر
لا يبرح المقصوص موضعه ولقد قصصت فطرت عن وكري

ومن أخرى في نكبة المزني [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا دمعي يحاكي لفظك المنظوما

(١) ويريش : من أريش السهم : أي ألصق عليه الريش ، ويريد هنا أن يقول إنه يرميه بسهامٍ من صنعه .

ولقد حزنت عليك حتى قد حكى ... قلبي فؤاد حسودك المحموما

ومن أخرى فيه [من الكامل]:

قتل المواجر والعجائب جمّةٌ ... شيخ المشايخ بل فتى الفتيانِ
لا تعجبوا من صيد صعوٍ بازياً ... إن الأسود تصاد بالخرفانِ(1)
قد غرّقت أملاك حمير فأرةٌ ... وبعوضةٌ قتلت بني كنعانِ

ومن أخرى في أبي القاسم المزني لما قبض عليه [من الكامل]:

وثب الصغير على الكبير وقدْ ... يُطفي الترابُ حرارةَ الجمر
لا تعجبنَّ فربَّ ساقيةٍ ... قد كدرت طرفاً من البحرِ
هذا الحسام يفلّه حجرٌ ... وبه قوام النهي والأمرِ
غصبت جذيمة نفسه امرأةٌ ... فاصطيد ذاك الحرُّ بالحرِّ
هيهات هذا الدهر ألأم من ... أن لا يسر العبد بالحرِّ

وله ، وقد طلبت جارية له بعشرة آلاف درهم [من السريع]:

ياطالباً روحي ليبتاعها ... أنت رسول الغمَّ والحسره
غدوت بالبدرة فارجع بها ... لست أبيع البدر بالبدرة

وله من أخرى [من الهزج]:

أيا من قربه خبره ... ويا من بعده عبره
ويا من وصله يومٌ ... ويا من هجره فتره
ويا من وصله أعلى ... من الشمأل بالبصره
ويا من نظرةٌ منه ... تساوي مائتي بدره

---

(1) الصّعو : عصفور صغير .

(2) بالحرِّ : حرُّ المرأة : فرجها .

ويا من قد حكى خدا ه قلبـي فيهمـا جمره
ويـا مـن طـرف مـن أبصـر بـدراً بعـده يكـره
ويا من عينـه جيشٌ كثيفٌ لأبـي مرّه[1]
ويا من نخـر الشيطـا ن في مولـده نخره
وقـال اليوم ألقيت بنـي آدم في الحفره
ويا من أنـذرت عينا ه عينـي مائتـي مرّه
أيـا عيـن ارجعـي مـا كـلٌّ وقـتٍ تسـلـم الجـرّه
ويا أحسـن من يسر يلقـى صاحـب العسره
ومـا أعـذب في الأنفـس من صفحٍ علـى قدره
ويا من لسـت أرضـي قط بالبحـر له قطره
ولا أرضـى له البدر علـى إشراقـه غرَّه
ولا أرضـى له الأرض علـى فسحتهـا حجره
ولا أرضـى له بلقيـس بجلوهـا علـى العذره
ولا أرضـى برزق الانـس والجـنّ له سفره
ولا أرضـى من القلب له عشـقٌ بنـي عذره
ولا أرضـى لـه السعد غلامـاً والمنـى سخره
ولا أرضـى له الرمل نضـاراً والحصـى نقره[2]
ولا أرضى لـه إلاً بنفسـي أمـةً حرّه
قـد استخرجـت من عيـني عينـاً في الهـوى ثرّه
فلـو فجّرتهـا فجرّ ت منهـا آثنتـي عشره
وقـد أضجعنـي فوق فراش الهـم والحسره
وقـد علّمتنـي كيف يمـوت المـرء من نظره

(١) أبو مرّة : من كنى إبليس .
(٢) النضار : الذهب الخالص . والنقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضّة .

وله في وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

وصفراءَ كالدينار نبت ثلاثةٍ شمالٍ وأنهارٍ ودهرٍ محرَّمِ
مسرَّة محزونٍ وعذر معربدٍ وكبر مجوسيٍ وفتنة مسلم
مماتٌ لأحياءٍ حياةٌ لميّتٍ وعُدمٌ لمن أثرى ثراءٌ لمعدم
يدور بها ظبيٌ تدور عيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكثم
ينزّهنا من ثغره ومدامه وخدّيه في شمس وبدرٍ وأنجم
نهضن إليها والظلام كأنّه معاش فقيرٍ أو فؤادٌ معلّمِ[1]

وله ، وقد دخل إلى صديق له فبخره وسقاه [من الكامل] :

بخّرتُ ثم سقيتُ في دار امرئٍ تضحي القلوب طوالبا لوفاقه
فكأنّما سُقّيتُ من ألفاظه وكأنّما بخّرتُ من أخلاقه

وله [من البسيط] :

يا من يحاول صرف الراح يشربها فلا يلفُّ لما يهواه قرطاسا
الكأس والكيس لم يقض امتلاؤهما ففرِّغ الكيس حتى تملأ الكاسا

وله [من الخفيف] :

عزل الورد عن أنوف الندامى وأتتنا ولاية الريحان
فاقض حق الريحان بالراح فالريـحان والراح في الورى أخوان
وآندب الورد وابكه بدموعٍ من دموع الأقداح لا الأجفان

وله [من الطويل] :

رأيتك آن الشرب خيَّمت عندنا مقيماً وإن أعسرت زرت لماما[2]

---

(١) فؤاد معلّم : أي به علامة .
(٢) خيّست : سجنت نفسك ، وآن الشرب : أوانه ، لماما : أحايينا أي الفترة بعد الفترة .

فمـا أنـت إلا البـدر إن قلَّ ضوؤه أغـبَّ وإن زاد الضياء أقاما

وله [من مجزوء الرجز] :

سقانـي الوجـه الحسنِ كأسـا فخلّيت الرسنْ
وصـار عنـدي حسناً قتـل الحسين والحسن

وله في الند [من الوافر] :

وطيبٍ لا يخـلُّ بكلِّ طيبٍ يحيّينـا بأنفـاس الحبيبِ
يظـل الـذَّيل يستـره ولكنْ تنـمُّ عليه أزرار الجيوب
متـى يشممْـهُ أنفٌ حنَّ قلبٌ كأنّ الأنفس جاسـوس القلوبِ

وله من قصيدة [من الطويل] :

عذيري من عين الزمان فإنّها إذا استحسنت مستحسناً قلَّ طائله
ومـا أنـت إلا البيت غُنْـمٌ دخوله كثيرٌ عواديه بعيدٌ مراحله

وله في باقة ريحان [من الرجز] :

وضغـثِ ريحـان إذا ما وصفَهْ واصفـه قيل له زدْ في الصِّفه[1]
دقَّقـه صانعـه ولطَّفه كأنَّـه وشـمُ يدٍ مطرَّفه[2]
أو حظٌّ وراقٍ أدقَّ أحرفَهْ أو زغبـات طائـر مصفَّفه

* أو حلَّةٌ بخضرةٍ مفوَّفه *[3]

---

(١) ضغث : قبضة من عشب مختلط، رطبٍ ويابس .
(٢) الوشم : السّمة والعلامة على الجلد مطرّفة : مزينة ومعلمة .
(٣) التفويف : التزيين ، ثوبٌ مفوف : أي مزيّن بالألوان .

ومن أرجوزه :

لا تشكر الدهر لخيرٍ سببه ... فإنّه لم يتعمد بالهبه
وإنّما أخطأ فيك مذهبه ... كالسيل إذ يسقي مكاناً خربه
والسمُّ يستشفي به من شربه ... ما أثقل الدهر على من ركبه
حدّثني عنه لسان التجربه ... ما أهون الشوكة قبل الرّطبه

* وأسهل الكدّ على من أكسبه *

وله [من المجتث[1]] :

لا تيأسنّ من حبيبٍ ... إذا توعرَّ خلقه
فكلّما صلب الخبز ... كان سهلاً مدقُّه

وله [من الكامل] :

لا تصحب الكسلان في حاجاته ... كم صالحٍ بفسادِ آخر يفسدُ
عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ ... والجمر يوضع في الرماد فيخمدُ

وله [من الطويل] :

عليك بإظهار التجلُّد للعدى ... ولا تظهرنْ منك الذبول فتحقرا
ألست ترى الريحان يشتم ناضراً ... ويطرح في الميضا إذا ما تغيرًا[2]

وله [من الطويل] :

تمنّيتُ خلاَّتٍ على الدهر أربعا ... ولم أر مسئولاً أشحَّ من الدهر
جماعاً بلا ضعفٍ ، وشرباً بلا سكرٍ ، ... وعمراً بلا شيبٍ ، وبذلاً بلا فقر

(١) سقط هذان البيتان من « ب » .
(٢) الميضا : مكان الوضوء ، حيث يُغتسل ويُتنظّف بالماء للصلاة .

وله [من الطويل]:

وأنـي لأرجـو الشيبَ ثمَّ أخافه ... كمـا يُرتجـى شرب الـدواء ويحذر
هو الضيف إن يُسبـق فعيشٌ مكدرٌ ... علـيّ وإن يَسبـق فمـوتٌ مقدَّر

وله [من الكامل]:

لا تفرطـنْ في حدّة أعملتها ... فيكلّ ذاك الحـدُّ منـك وتفشلا(١)
أو ما ترى الصمصـام والسّـكّين إن ... زادا علـى حدٍّ الصقـال تفلَّلا(٢)

وله [من الرجز]:

الملك عنـدي متعـة الشباب ... والعـزل عنـدي فرقـة الأحباب
والفقـر عنـدي عدم الشراب ... والشيب عنـدي كذب الخضاب
والقبـح عنـدي عدم الآداب ... والعـرس عنـدي ليلـة الكِتاب
والـروض عنـدي مُلَـحُ الأعراب ... والبغض عنـدي كثـرة الإعراب
والسيف عنـدي قلـم الكتاب ... والنجـح عنـدي سرعـة الإياب
والطـرد عنـدي كلحـة البواب ... والـذلّ عنـدي وقفـة الحجاب(٣)
والقحـط عنـدي قلـة الأصحاب ... والشـؤم عنـدي كثـرة العتاب
والعـيُّ عنـدي هذر الخطاب ... والعـزّ عنـدي طاعـة الصواب
والإلُّ عنـدي خلّـة القحاب ... والغـول عنـدي طلعـة الكذاب(٤)
والصفـح عنـدي أبلـغ العقاب ... واللـوم عنـدي سفـه الشراب
والأمس عنـدي أسـرع الهرّاب ... والمـال عنـدي أسـرع الهِراب
والغـدّ عنـدي الحـقّ للطلاب ... والفخـر عنـدي أفخـر الثياب

(١) يكلّ: يضعف ويتعب.
(٢) تفلّلا: أي تقطّعا.
(٣) الطرد: من طرد يطرد، والكلحة: العبسة.
(٤) الإلّ: الذمة أو العهد.

والسجـن عنـدي منـزل التراب والهـول عنـدي موقف الحساب

وله من أخرى [من المنسرح]:

ولا تغتـرر بالحليم تغضبه فربمـا أحـرق الثـرى البرد

***

٥٩ ـ أبو سعيد أحمد بن شبيب الشبيبي

فرد خوارزم ومفخرتها ، وكان جامعاً بين أدب القلـم والسيف . وفـروسية اللسان والسنان ، صاحب كتب وكتائب [وفضائل ومناقب] ولما اختص بالدولة السامانية . والدولة البويهية ، سمى صاحب الجيشين ، وشيخ الدولتين، وقـال [من الرمل]:

ربَّ إنّ ابـن شبيبٍ أحمدا صاحـب الجيشين شيخ الدولتين
واثـقٌ بالله يرجـو المصطفى وأخـاه المرتضـى والحسنين

وسمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان الشبيبي في أيام شبابـه بخـوارزم يقول شعراً غليظاً جاسياً كأشعار المؤدبين ، فلما عاشر الناس ولقي الأفاضل لطف طبعه ، ورق شعره ، كقوله وكتب به إلى [من مجزوء الخفيف]:

للشـبيبـي صنيـعتـك حسـراتٌ لـفرقـتـك
واشتيـاقٌ إلـى لقا ء تباشيـر طلعتـك
ربِّ سهِّـل لقاءه يـا إلَهـي برحمتـك

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامـد قال : أنشدنـي أبـو سعيد صاحـب الجيشين لنفسه في أبي بكر الخوارزمي [من الوافر]:

أبـو بكرٍ له أدبٌ وفضلٌ ولـكنْ لا يدوم علـى الإخاء
مودّتـه إذا دامـت لخلٍّ فمـن وقـت الصبـاح إلـى المساء

وأنشدني غيره له في الأمير أبي نصر الميكالي [من البسيط]:

يا آل ميكال أنتم غرَّةُ العجمِ لكنَّ أحمد فيكم درَّةُ الكرمِ
لا تحسدوه فإنّ الله فضّله منكم عليكم جميعاً ، بل على الأممِ
لا تحسدوا رجلاً ما إنْ له شبهٌ فيمن برى الله من عُرْبٍ ومن عجم
فمن يحاكيه في الأفضال والكرمِ أم من يناوئُهُ في الآداب والقلم
أم من يساجله في كلِّ مكرمةٍ أم من يعادله في الجود والهمم
يا آل ميكال إنِّي قد نصحتكُمُ نصح امرىءٍ في هواكم غير متّهم
فاستسلموا لقضاء الله واعترفوا بفضل أحمد طوعاً أو على الرغم

وعندي له مقطوعات تصلح لهذا المكان ، ولكنها غائبة عني الآن .

***

٦٠ - أبو الحسن مأمون بن محمد بن مأمون

له من قصيدة في مدح الأمير أبي العباس مأمون بن محمد أولها [من البسيط] :

أغاظني الدهر من إنصافه جنفا هل كان غيري من الأيام منتصفا(١)
أشكو إلى غير مشكوٍ ليشكيني هل ينفع الدنف استشفاؤه الدنفا(٢)

ومن أخرى في الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد خوارزم شاه كان [من الخفيف]:

كم له من يدٍ عليَّ إذا ما عُدِّدتْ لم يكن لعدَّتها كمٌّ
ما لجهلي قصور شكري فمن علوم الضرورات شكر من كان منعمُ(٣)

---

(١) الجَنَف : الظلم والميل عن الحق .
(٢) الدنف : المريض .
(٣) لم يكن لعدّتها كمّ : أي لا يمكن عدُّها وإحصاؤها .

لست والله ناسي البرّما انسا ... ب بطبع الحياة في جسدي الدمُ

ومن أخرى [من المتقارب] :

لئن طال عهدي بوجه الأمير ... فقد طال عهدي بأن أسعدا
إذا شئت رؤية ما في الزمان ... فزُرْ شخصه الفاضل الأوحدا
ترى الليث والغيث والنيريـ ... ـنِ والناس والبحر والمسندا

ومنها :

وبلّغهُ الله أقصى مناه ... وأسنى له مُلْكَ ما مهّدا
ولا زال نيروزه عائداً ... بأفضل حالٍ كما عوّدا

***

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التاجر الوزير كان بخوارزم

قال من قصيدة في أبي سعيد الشبيبي أولها [من الخفيف] :

حُكمُ عينيك نافذٌ فيَّ ماضي ... كيفما شئت فاقض ما أنت قاضي
وكأنّ الصباح لمّا تجلّى ... ليَ سيفٌ له الشبيبيُّ ناضي
الهزبر الذي له الدرع كاللبـ ... ـدة لليث والقنا كالغياض[1]

ومنها في وصف القلم :

ناطقٌ ساكبٌ أصمٌّ سميعٌ ... قلقٌ ساكنٌ وقوفُ ماضي
ناحل الجسم نابه الإسم منقّى الوسم ... في كلّ عاندٍ ذاي اعتراضِ
هاكها يا أبا سعيدٍ عروساً ... بِكْرُ فِكْرٍ فكنْ لها ذا افتضاض
وابسط العذر في قصوري عن با ... بك في هذه الليالي المواضي

---

(١) الغياض : جمع غيضة : الموضع الكثير الشجر والماء .

لم يكن عاق عن لقائك مولا ي سوى فرطِ حشمةٍ وانقباض

وله [من مخلع البسيط]:

في كلِّ يومٍ لك ارتحالٌ تُصلِح للملك فيه حالْ
ما سرّنا فيك من إيابٍ إلاَّ وقد ساءنا انتقالْ
فلا نهنّيك بانقلابٍ إلاّ وفي عقبه زيال[1]
حتى كأنّا نراك حلماً ومنك يعتادنا خيال
بذلت للملك نفس صونٍ ما اعتاقها الأين والكلال[2]
فقف قليلاً فقد تشكّى إسارك الخيل والبغال
ودم لخوارزم شاه يمنى يد لها غيرك الشمال

وقال فيه يستعطفه أيام محنته حين أساء رأيه فيه إذ كان أوحشه في أيام دولته [من البسيط]:

يا من له في المعاني نيّةٌ حسنَه حتى جفا جفنه من حُسنها وسنه
ومن حكى خطّه زهر الربى حسداً وودّ سحبان من إعرابه لَسَنَهْ
أحسنت رأيك في إسحاق فانفرجت عنه الهموم وعادت حاله حسنه
كذاك فاحسبه فينا ننج من كربٍ يمرُّ فيها علينا اليوم ألف سنه
وأغضِ عمّا مضى فالمُهْرُ ممتنعٌ صعبٌ إلى أن يرى في رأسه رسنه
وأنت بدر دجى ، بل أنت شمس ضحىً بل أنت بحر حجىً ، بل أنت خصب سنه

وكتب إلى صديق له [من المجتث]:

وعدتني بالرجوع من قبل وقت الهجوعِ

(١) الزيال : مسيرٌ إلى مكان آخر ، وزيّل الرجل : باعد ما بين فخذيه وهذا دليل على المشي .
(٢) اعتاقها : منعها ، والأين : التعب .

وقد تغافلت حتَّى أضرمتني بالجوع
فبالرجوع تفضَّلْ أولاً فبالمرجوع

***

٦١ ـ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي

من أبناء الوزراء بمدينة خوارزم ، وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً ، فمن غرره قوله من قصيدة في الشبيبي [من الكامل]:

إنّ الهوى سببٌ لكلِّ هوانِ وفراق من تهواه موتٌ ثاني
سقياً لدهرٍ كنت حلف أغاني فيه وخدن الراح والريحان[١]
لم تبقِ لي هممي وحسن شمائلي منها سوى ذكرى على الأزمان
ولقد رضيت بأنْ أرى متفرِّداً دون القرين مقارعاً أقراني
أرمي إذا حملوا وأظعن إن رموا وأقدُّ منهم من أراد طعاني[٢]
تنفي الخناجر في الحناجر غصَّتي والبيض في بيض العدا أحزاني
وأعدُّ عند مواردي ومصادري حكم الكهول وصولة الشبان[٣]
مستبدلاً ضرب الطلا بمصارع الـ ـشكوى وضرب الدفّ والعيدان
مستغنياً بالرمح أخضب صدره عن كلِّ مخضوبِ البنان حصان[٤]
متسربلاً زرد الدموع كأنّها شعرٌ تفلفل في الحي الحبشان
مستشعراً باسم الشبيبيِّ الذي عمّ الورى بالبرِّ والإحسان
يفدي الكماة أبا سعيدٍ إنَّه حامي الحماة وفارس الفرسان
يا أحمد بن شبيبٍ المفدى على جور الزمان وسطوة الحدثان

(١) سقياً : دعاءً بالخير لذلك الدهر ، والخدن : الصاحب ، والراح : الخمر .
(٢) أرمي : أضع أحمالي ، وأضعن : أرحل .
(٣) الموارد والمصادر : الشرب من الماء ، والعودة عنه بعد الارتواء .والصولة : الوثبة .
(٤) أخضب صدره : أي أصبغه بالدم الأحمر ، والحصان من النساء : العفيفة .

أنــت القــرين لكلِّ جدٍ مقبلٍ ... أنــت البشير بكل فتــحٍ داني[1]
لك عزمــةٌ بهــرامُ من أتباعها ... لك همــَّةٌ تسمــو إلــى كيوان
فإذا ركبــت ضمنــت كلّ أمانٍ ... للخــائفين ونيل كلٍّ أماني
وإذا أقمــت فإن ذكرك ظاعنٌ ... تســري به الركبــان في البلدان
فقــت الأنــام حجــىً وفقت شجاعةً ... ورجحــت عنــد الجــود في الميزان
إن الفتــوح علــى يديك تتابعتْ ... كتتابــع الأنــواء في نيسان[2]
حفــروا الخنــادق حولهــم فكأنما ... حفــروا مقابرهــم لدى الخذلان
وتعــزّزوا بالمــاء ثم سقــوا به ... كسقــاوة الممطــور بالطوفان
غدروا فغــودر منهــم أرواحهمْ ... في النــار والأشبــاح في الغدران
خفقــت بنــودك حولهــم فكأنّما ... طارت قلوبهــم من الخفقان
وســرت طوارق لطف كيدك فيهمُ ... كلطافــة الأرواح في الأبدان
ولئــن حســدت فلســت أوّل سابقٍ ... يرميه بالبغضــاء الأم واني[3]
إنّ الــكريم محسَّدٌ في قومه ... وتــرى الحســود مطيَّةَ الأشجان

وله فيه من أخرى [من مجزوء الكامل]:

أمِــن المــلال أم الخفر ... هذا التشاجــي والضرر ؟
أم غرَّك الصبــح الذي ... أطلعــت من ليلٍ الشعر
أم عرَّضــت أيدي الخطو ... ب صفــاء ودِّك للكدر
وأرى المقــام ببلدةٍ ... لا تشتهــي إحــدى الكبر[4]
وأعــد نفســي في الحضر ... لكن همــِّي في السفر

---

(١) القرين : الصاحب ، والجدّ : الحظ والفتح الداني : القريب .
(٢) الأنواء : الأمطار .
(٣) الواني : الضعيف المتكاسل المنهزم .
(٤) الكبر : الإثم الذي هو من الكبائر كالشرك بالله مثلاً .

ومن أخرى [من الطويل] :

كفى بنحولي عن هواي مترجماً وبالدمع نمّاماً عليَّ إذا همّي(١)
تألمت من ثقل الهوى متشبهاً بخصريه من أردافه إذ تألّما
ووكّل طرفي بالنجوم كأنّني لرعبي نجومِ الليل صرت منجّما

ومنها في مدح الشبيبي [من الطويل] :

خرجنا نهاراً خلفه نطلب العدا فألبسنا ليلاً من النقع مظلما(٢)
أثرنا سحاب النقع لما تجاوبتْ رعود صهيل الخيل تستمطر الدّما
فكم من جوادٍ قد حبسناه بعدما أثرناهم من كثرة النبل شيهما(٣)
وأشهب قد خضنا به الحرب فاكتسى دماً وقتاماً عاد أشقر أدهما(٤)

ومن أخرى [من السريع] :

وقينةٍ تنطق يمناها وتلقط العنّاب يسراها
إذا سرَتْ نمَّ عليها الحليُّ وضوء خدّيها وريّاها
لو أن إبليس رأى وجهها صلى لها طوعاً وماناها(٥)
تظلمني في هجرها مثلما أسفلها يظلم أعلاها
ما تفعل الخمر بشرّابها ما فعلته فيَّ عيناها

ومن أخرى [من البسيط] :

لا الراح راحي ولا الريحان ريحاني ما لم تزرني. ولا الندمان ندماني

---

(١) نمّاماً : واشياً وفاضحاً ، همّى : من همى يهمي ، الدمع : أي يذرف .
(٢) النقع : الغبار .
(٣) الشيهم : القنفذ الكثير الشوك .
(٤) الأشهب : الأبيض الذي يخالطه السواد ، والأدهم : الأسود .
(٥) ماناها : داراها .

وما التعلُّل - والأيام حائلةٌ | بيني وبينك - بالآمال من شاني
وما جزعتُ على شيءٍ سوى جزعي | إن لم أمتْ كمداً من فقد خلاَّني
وقد ذكرتك والأبطال عابسةٌ | والموت يبسم عن أنياب شيطان
والنبل كالشهب في ليل العجاج وبا | ب الأمن ناءٍ كصبري والرّدى داني
والسمر تبكي دماً والبيض ضاحكةٌ | والجوُّ داجٍ ولون الملتقى قاني[1]

* * *

٦٢ - أبو عبد الله محمد بن حامد

حسنة من حسنات خوارزم ، وغرة شادخة في جبينها ، يرجع إلى كل فضل ، ويجمع بين قول فصل وأدب جزل ، ويؤلف بين أشتات المناقب ، وينظم عقود المحامد ، وله خط يستوفي أقسام الحسن ، ونثر كنثر الورد ، ونظم كنظم الدر .

وكان في عنوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشبيبي ، وهو منه بمنزلة الولد ، والعضو من الجسد ، فلما انقضت أيامه واختص بالصاحب أبي القاسم وغلب عليه ببراعته ، وحذقه في صناعته ، وتقلدبريد قم من يده وبقي بها مدة بين حسن حال وتظاهر جمال ، وحين حن إلى وطنه وآثر الرجوع إلى بلده قدم من سلطان خوارزم شاه على ملك مكرم لمورده ، عارف بفضله ، موجب لحقه ، ولم يزل ومن قام مقامه من أبنائه رحم الله السلف وأبقى عز الخلف يعدو له [وإلى الآن] من أركان دولتهم ، وأعيان حضرتهم ، ويعتمدونه للمهمات السلطانية والسفارات الكبيرة ، وكان أنفذ مرة رسولاً إلى حضرة السلطان المعظم يمين الدولة أطال الله بقاءه ببلخ فاستولى على الأمد في القيام بشروط السفارة ، وملك القلوب ، وسحر العقول بحسن العبارة ، وجمعته وأبا الفتح علي بن محمد البستي الكاتب مناسبة

---

(١) داجٍ : مظلم ، القاني : الأحمر .

الأدب ، ومشاكلة الفضل ، فتجاوروا وتزاوروا وتصادقا وتعاشرا ، وتجاريا في حلبة المذاكرة ، وتجاذبا أهداب المحاضرة ، وجعل أبو عبد الله يرسل لسانه في ميدانه ، ويرخى من عنانه ، فيرمي هدف الإحسان ، ويصيب شاكلة الصواب ، فقال فيه أبو الفتح [من الرجز] :

محمَّدُ بنُ حامدٍ إذا ارتجلْ ... ومرّ في كلامه على عجلْ
نقّب خدَّ كلّ ندبٍ سابقٍ ... بنثره ونظمه ثوب الخجلْ(١)
أقلامه يسقين كلّ ناصحٍ ... وكاشحٍ كأسيّ حياةٍ وأجل
فناصحوه مشرقون بالأمل ... وكاشحوه مشرقون بالوجل(٢)
أبقاه للدين والدنيا معاً ... وللمعالي ربّنا عزَّ وجل

وقال فيه أيضاً [من المتقارب] :

بنفسي أخٌ نفسه أمَّةٌ ... وتدبيره في الورى فيلقُ
أخٌ باب إحسانه مطلقٌ ... وباب إساءته مغلَقُ
كريم السجايا فلا رأيه ... بهيمٌ ولا خلقه أبلق
محمدُ أنت قِرى ناظري ... فكيف إذا غبت لا أفلق(٤)
رهنتك قلبي وحكم القلوب ... إذا رَهَنَتْ أنّها تغلق

وقال فيه أيضاً [من الرجز] :

يا من أراه للزمان حسنَهْ ... ومن حوى من كلِّ شيءٍ أحسنَهْ
إن غبت عني سِنةً فهي سنه ... وسَنَةٌ تحضر فيها وسنه(٥)

---

(١) النّدب : أثر الجرح ، والندب : السريع إلى الفضائل .
(٢) الكاشح : المبغض ، والوجل : الخوف .
(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض يقصد أنّ أخلاقه مستقيمةلا تتغيَّر في حالتي الرضى والغضب .
(٤) أفلق : أتشقق من الغيظ .
(٥) السِّنة : النعاس الذي يتقدّم النوم ، والوسن : غفلة قصيرة .

وعلى ذكر أبي الفتح فلبعض العصريين من أهل نيسابور فيه [من الطويل] :

إذا قيل من فردُ العلى والمحامدِ ... أجاب لسان الدهر ذاك ابن حامد
همامٌ له في مرتقى المجد مصعدٌ ... يلوح له العيّوق في ثوب حاسد[1]
كريمٌ حباه المشترى بسعوده ... وأصبح في الآداب بكر عطارد
به سحبت خوارزم ذيل مفاخرٍ ... على خطّة الشعرى وربع الفراقد
فلا زال في ظلّ السعادة ناعماً ... يحوز جميع الفضل في شخص واحد

وحدثني أبو سعيد محمد بن منصور قال : لما ورد أبو عبد الله رسولا على شمس المعالي ووصل إلى مجلسه فأبلغ الرسالة وأدى الألفاظ واستغرق الأغراض أعجب به شمس المعالي إعجاباً شديداً . وأفضل عليه إفضالاً كثيراً ، ورغب في جذبه إلى حضرته واستخلاصه لنفسه ، فأمرني بمجاراته في ذلك ، ورسم لي أن أبلغ كل مبلغ في حسن الضمان له ، وأركب الصعب والذلول في تحريصه وتحريضه على الانتقال إلى جنبته ، فامتثلت الأمر ، وجهدت جهدي ، وأظهرت جدي في إرادته عليه ، وإدارته بكل حيلة ، وتمنية جميلة ، فلم يجب ولم يوجب ، وقال : معاذ الله من لبس ثوب الغدر والانحراف عن طريق حسن العهد ، وانصرف راشداً إلى أوطانه وحضرة سلطانه .

وقد كتبت لمعاً من شعره وليس يحضرني الآن سواها لغيبتي عن منزلي فتأخر كثير مما أحتاج إليه عني ، قال من قصيدة في الصاحب [من الطويل] :

غدا دفتري أنساً وخطّي روضةً ... وحبري مداماً وارتجالي ساقيا
ولا شدو لي إلا التحفّظ قارئاً ... ولا سكر إلا حين أنشد واعيا
تجشّم أوصافاً حساناً لعبده ... فطوّقه عقداً من العزّ حاليا
فلولا امتثال الأمر لا زال عاليا ... لطار مكان النظم رجلان حافيا

(١) العيّوق : نجمٌ في السماء أحمرُ مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريّا ولا يتقدّمها .

على أنّني إن سرتُ أو كنت قاطناً فغـاية جهـدي أن أطـوّل داعيا
رسائلـه لي كالطعـام وشعره كمـاء زلالٍ حين أصبح صاديا[1]
فإن ظلّـت الآمـال تشكر ظلَّه فإنّ لسـان المـال قد ظلّ شاكيا
كأنّ إلـه الخلـق قال لجوده أفضْ كلَّ ما تحـويه وارزق عباديا

ومن أخرى [من البسيط] :

ما أنسَ لا أنسَ أيامـاً نعمـتُ بها وهذّبتنـي بتطوافـي وتردادي
أيام أركبُ متـن الـريح تحملُني والطـرس والنقس والأقـلام أذوادي[2]
كافـي الكفـاة أدام الله نصرتَهُ نجـل الأمين الـكريم الشيخ عبّاد
غمْـرُ الـرداء لرواد ووراد سهـل الحجـاب لزوّارٍ ووفّادِ
لا زالـت الدولـة العلياء تلزمه ما قالـت العـرب حيّوا الحـيّ بالوادي

ومن أخرى [من البسيط] :

ليُهنِـكَ الأهنيان الملكُ والعمُرُ ما ساير الأسيران الشّعـر والسَّمرُ
وطـال عمـر سنـاك المستضـاء بهِ ما عمّـر الأبقيان الكتـبُ والسِّيَرُ
يفدي الورى كلّهم كافـي الكفـاة فقدْ صفـا به الأفضـلان العـدلُ والنظرُ
له مكارم لا تحصـى محاسنها أو يحسب الأكثران الرمـلُ والشجرُ
لكيده النصـر من دون الحسـام وإنْ تمـرّد الأشجعـان التـركُ والخزرُ
ما سار موكبـه إلاّ ويخدمُهُ في ظلّـه الأسـنيان الفتـحُ والظفر
وإن أمـرَّ علـى طرسٍ أنامله أغضـى له الأبهجـان الوشـي والزهر
دامـت تقبّلهـا صيد الملـوك كما يُقبّـلُ الأكرمـان الـركنُ والحجر

وهي تربي على ثلاثين بيتاً

---

(١) الصادي : الضامىء .
(٢) الطرس : الكتاب ، والنقس : الحبر ، وأذوادي : أعواني .

ومن أخرى كتب بها من الري إلى الأهواز يهنئه بدخولها [من الوافر] :

بريق الرأي يعبده الحسامُ ... وبرق السَّعد يخدمه الأنامُ
وما اتّفقا كما اتّفقا لقومٍ ... هو الصمصامُ والملك الهمام
همامٌ لا يؤمُّ الخطب إلاّ ... [ونصر الله عزَّ له إمام]
[وما من بلدة في الأرض إلاّ] ... إليه بها نزاعٌ أو هيام
فلو أنّ البلاد أطقن سعياً ... لسارَعَ نحوه البلد الحرام
أدام الله أيام المعالي ... وذلك أن يدوم له الدوام
وما لي غير ما هو جهد مثلي ... دعاءٌ أو ثناءٌ لا يرام

وله من أخرى كتب بها إليه [من الطويل] :

سلام على نفسٍ هي الأمَّةُ الكبرى ... وشخصٍ هو المجد المنيف على الشعرى[1]
هو الدّينُ والدنيا فزره ترَ المنى ... وتحصلْ لك الأولى وتحصلْ لك الأخرى

ومن أخرى [من الوافر] :

رأيتك مرّةً فسعدت حتى ... رأيت سعود عيشي طالعاتُ
فلو أنّي نظرت إليك أُخرى ... لأضحتْ لي الليالي خادماتُ[2]

وله من قصيدة في أبي سعيد الشبيبي يوم برز من جرجان بالمضارب ليعسكر بظاهرها متوجهاً إلى الأمير أبي علي وفائق، فاتفق تعرض أرضين في تلك الصحراء، فتبادر الغلمان إليهما فصادوهما فتفاءل أنه يغلب العدوين . كما اصطاد الغلمان الأرنبين ، فقال [من الطويل] :

أتاك بما تهوى وترضى المحرّم ... وجاءك بالنصر العزيز يترجم

(١) المنيف : المرتفع والمشرف ، والشّعرى : نجم في السماء منير يظهر في شدّة الحرّ .
(٢) في .. « لأضحت لي الليالي خاضعات » .

ولا غرو أن تلقى الذي تبتغي وما تحاول والأفلاك بالسّعد تخدم
وبختك مرفوعٌ وجدُّك مقبلٌ وأمرك متبوعٌ وقدرك معظم
ورأيك في قمع المناوين رايةٌ وهيبتك الشّمّاء جيشٌ عرمرم(١)
وحسبك صيد الأرنبين مبشّراً بصيدك أعداءً على الغدر أقدموا

وله فيه من مهرجانية على وزن المصراع الذي أنشده في المنام ، وذلك أنه رأى شخصاً مثل بين يديه وقال له [من البسيط] :

* قد نلت ما لم تنله قبلَكَ الأممُ *

فقال [من البسيط] :

البين خمرٌ ولكنْ سكرها سقَمُ والحبّ نُعمى ولكن في غدٍ نقمُ
إنّ المحبين أحرارٌ وأنفسهُمْ لمن يحبون في حكم الهوى خدَمُ
يا أيّها الظاعنون ، القلبُ عندكُمُ إن لم يكن عندكُمْ فالقلب عبدكُمُ
لي بينكم قمرٌ في ثغره بردٌ في قدِّه غصنٌ في وجهه صنم
كأنّما ابن شبيبٍ سلَّ في يده من مقلتيه حساماً حدّه خذم(٢)
القائل القولَ لم تنطقْ به عربٌ والفاعل الفعل لم تفطنْ به العجمُ
على الكنوز أمينٌ غير متّهمٍ وسيفه في رقاب الناس متّهَمُ
وقد غدا وهو شيخُ الدولتين كما للحضرتين به عزٌّ ومنتظم
لذاك في النوم شخص الصدق قال له قد نلت ما لم تنله قبلك الأمم

ومن أخرى في أبي العباس الضبّي [من المتقارب] :

زمانٌ جديدٌ وعيدٌ سعيدٌ ووقتٌ حميدٌ فماذا تريدُ
وأحسن من ذاك وجه الرئيس وقد طلعت من سناه السعودُ

---

(١) المناوين : من ناوأ ، أي الأعداء ، وعرمرم : ضخم .
(٢) سلَّ : شهرَ ، الخَذِم : القاطع .

وكم حلـةٍ خطّهـا قد غدتْ على بُردِ آل يزيدٍ تزيدُ[1]

وكتب إليه الشيخ أبو سعد الإسماعيلي قصيدة منها [من الطويل] :

سلامٌ علـى شيخ المحامـد والذي له الـذروة العلياء والشـرف العدُّ[2]
ومـن صحّ منـه ودّهُ ووفاؤه علـى حين لم يحمـد لذي خلَّةٍ عهد

فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

أفخـرٌ وذخـرٌ أم خطـابٌ له مجدُ أسحـرٌ أتـى أم نظـم من لا له ندُّ[3]
شممـت من العنـوان عنـد طلوعه روائحَ فضـلٍ دونهـا المسـك والندُّ[4]
وساعـة فكّي الختـم أبصـرت جنَّةً سقتهـا غوادي الفـكر فهـي لهـا خلد
فأشجارهـا علـمٌ وأغصانهـا تقىً وأثمارهـا فهـمٌ وغدرانهـا رشد
تجشّمهـا الشيخ الإمـام الـذي به ومنـه وفيه يعـرف الـكرم العدُّ
ومـن بحلى أخلاقـه تشـرُفُ العلى ويلمـع في الـدنيا بكنيتِـه السّعد

ومنها :

وكيف يؤدي حقّ شعـرٍ شعـاره الـعـلاء وراويه ومنشـده المجدُ
وبـي حرفـةٌ مذ غبـت عن حرٍّ وجهه حرارة نار العشـق في جنبهـا بردُ

وله إلى أبي العلاء السري بن الشيخ أبي سعد الإسماعيلي من قصيدة [من الوافر] :

قـرأت لمـن له يصفـو ودادي نظيمـاً كالشّـبـاب المستعاد

---

(١) الحِلة : الثوب ، والبرد : جمع بردة وهي العباءة .
(٢) الشرف العدّ : أي الشرف الكثير .
(٣) النِّدّ : المثيل والقرين .
(٤) المسك والنَّدْ : من الطيب .

سـرياً كاسـم صاحبـه ولكنْ | به عاد الحنين إلـى ازدياد[1]
فـكان اللفـظ في معنـىً بديعٍ | ألـذُّ لديَّ من نيل المراد

وكتب إلى الشيخ الوزير أبي الحسين أحمد بن محمد السهيلي لما رزق أبو عبد الله ابناً في المحرم سنة اثنتين وأربعمائة [من الطويل] :

عوائـدُ صنـع الله تكنفنـي تترى | فتورثنـي ذكراً وتلزمنـي شكراً[2]
فمنهـا نجيبٌ جاء كالبـدر طالعاً | سويّا سنيّاً شدَّ لي نوره أزرا
ومـا هو إلا خادمٌ وابـنُ خادمٍ | لسيّدنـا مدَّ الإلـه له العمرا
فمـا رأيه في الاسـم لا زال مسمياً | مواليه كي يقتنـوا الفخـر والذخرا

فأجابه بهذه الأبيات [من الطويل] :

سكنـت إلـى ما قلتـه أولاً نثرا | نعـم وإلـى ما صنعتـه آخـراً شعرا
فهنّـأك الله النّجيب فإنَّه | من الله فضلٌ يوجب الحمـد والشكرا
ومـا جاء إلا أن يكون لصنوهِ | ظهيراً فقـوّى الآن بينهمـا ظهرا[3]
وأوثـر أن يكنـى بكنيةِ جدّهِ | أبـي أحمـدٍ والإسـم اختـارُهُ نصرا
ليحمـد منـه الله تقـواه والهدى | وينصـره في علمـه والنّهـى نصرا

* * *

٦٣ - أبو القاسم أحمد بن أبي ضرغام

أحد شعراء خوارزم المفلقين المذكورين ، وكان يهاجي أبا بكر الخوارزمي ويسابه[4] في عنفوان شبابه ، فمن محاسنه قوله من قصيدة في الشبيبي [من مخلع

(١) السريّ : السّيد الشريف صاحب السخاء والكرم والمروءة .
(٢) تكنفني : تحيطني ، تترى : متتابعة .
(٣) الصنو : الشبيه .
(٤) في ب « ويباريه » .

البسيط] :

ابـن شبيبٍ أبـو حروبٍ أخـو ندىً للحفـاظ خِلّ
ليث قتـالٍ وأيُّ ليثٍ بالسيف والرمـح يستقلّ

ومنها :

خذهـا عروسـاً أتتـك بكراً لغيرك الدهـر لا تحلّ
خذهـا وسـق مهرهـا إليها إن لم يكن وابـلٌ فطلّ[1]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

يا ملـكاً آثـر الصوابا فبـاكر اللهـو والشرابا
لا يشـرب الـراح غير حرٍّ يرفـع عن مالـه الحسابا
طابـت لك الـراح فاشربنها صرفـاً فصـرف الزمـان طابا
ستبصـر الأرض عن قريب تلبس من وشيهـا ثيابا
مـا شئـت من طائـرٍ تراه مغـرِّداً ما خلا الغرابا
ولسـت ليلاً ترى بعوضاً ولا نهـاراً ترى ذبابا

ومن أخرى أولها [من الطويل] :

ديارك بيضٌ من نثـار الدراهم وبيضـك حمـرٌ من نثـار الجماجم[2]

---

(١) الوابل : المطر ، والطلّ : الندى .
(٢) نثار الدراهم : ما ينثر في العرس على الحاضرين ،ونثار الجماجم : تساقطها .

الباب الخامس

٦٤ - في ذكر أبي الفضل الهمذاني
وحاله ، ووصفه ، ومحاسن نثره ونظمه

هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ، ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قطوهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفا[1] ولا يخل بمعنى ، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها[2] عن ظهر قلبه هذا ويسردها سرداً . وهذه حاله في الكتب الواردة عليه وغيرها .

وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب ، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها .

---

(١) لا يخرم حرفا : أي لا يخطىء في حرف منها أو يغيّره .

(٢) يهذّها : هذّ الحديث : أي سرده .

وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من إنشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروي من النثر والنظم . ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله في أسرع من الطرف ، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات المدة ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغربية ، بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى . وكان ـ مع هذا كله ـ مقبول الصورة خفيف الروح ، حسن العشرة، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس كريم العهد ، خالص الود ، حلو الصداقة ، مر العداوة . وفارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره ، وورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزود من ثمارها وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم واختص بأبي سعد محمد بن منصور أيده الله تعالى ، ونفقت بضائعه لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء المعروف والإفضال على الأفاضل ، ولما استقرت عزيمته على قصد نيسابور أعانه على حركته ، وأزاح علله في سفرته . فوافاها في سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ، ونشر ما بزّه ، وأظهر طرزه . وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول ، ثم شجر بينه

وبين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلو أمره وقرب نجحه وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب والشعراء ينبري لمباراته ، ويجترىء على مجاراته ، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته ، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومباهاة ومناظرات ومناضلات ، وأفضى السنان إلى العنان ، وفرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قوم وذاك آخرون ، وجرى من الترجيح بينهما ما يجري بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين ، طار ذكر الهمداني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارة الإقبال على أموره ، وأدرّ له أخلاف الرزق[1] وأركبه أكناف العز ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه فخلا للهمذاني ، وتصرفت به أحوال جميلة . وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها ، واستفاد خيرها وميرها[2] ، ولا ملك ولا أمير ولا وزير ولا رئيس إلا استمطر منه بنوء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم . وألقى عصاة بهراة واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، وما زال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفضل ، والطهارة والستر والقديم والحديث ، حتى وفق التوفيق كله ، وخار الله له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم الأصيل ، الذي لا يزاد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبي الفضل بصهره، وتعرفت القرة في عينه والقوة في ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعاً فاخرة [وأثر معيشة صالحة وثروة ظاهرة] وعاش عيشة راضية، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله فلباه [وقدم على آخرته] وفارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، فقالمت عليه نوادب الأدب ، وانثلم حد القلم، وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها . وبكاه الأفاضل مع الفضائل ، ورثاه الأكارم مع المكارم ، على أنه ما مات من لم

(١) أخلاف الرزق : عائده وحاصله .

(٢) المير : الطعام ، ويقال : ما عنده خير ولا مير : أي لا عاجل ولا آجل .

يمت ذكره ، ولقد خلد من بقي على الأيام نظمه ونثره ، والله يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه ، وأنا كاتب من ظرف ملحه ولفظ غرره ، ما هو غذاء القلب ونسيم العيش وقوت النفس ، ومادة الأنس .

فصل من رقعة له إلى الخوارزمي

وهو أول ما كاتبه به

أنا لقرب دار الأستاذ [أطال الله بقاءه]	كما طرب النشوان مالت به الخمر
ومن الارتياح للقائه	كما انتفض العصفور بلله القطر
ومن الامتزاج بولائه	كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بمزاره	كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب[1]

ومن رقعة له إلى غيره

يعز علي - أيد الله الشيخ ! - أن ينوب في خدمته قلمي ، عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، قبل وصولي ، ويرد مشرع الأنس به كتابي ، قبل ركابي ولكن ما الحيلة والعوائق جمة [من مجزوء الكامل] :

وعليَّ أن أسعى وليس عليَّ إدراكُ النجاحِ

وقد حضرت داره ، وقبلت جداره . وما بي حب للحيطان ، ولكن شغف بالقطّان ، ولا عشق للجدران ، ولكن شوق إلى السكان .

ومن أخرى - لا أزال لسوء الانتقاد ، وحسن الاعتقاد ، أبسط يمين العجل وأمسح جبين الخجل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ، أحسب الورم شحما ، والسراب شرابا ، حتى إذا تجشّمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجده شيئاً .

---

(١) البارح : الريح الحارة في الصيف .

فصل ـ حضرته التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ، ومنى الضيف ، لا منى الخيف[1] ، وقبلة الصلات ، لا قبلة الصلاة .

فصل ورد للخوارزمي ـ يتقلب فيه عن جنب الحر[2] ـ ويتقلى على جمر الضجر ، ويتأوه من خمار الخجل [ويتعثر في أذيال الكلل] ويذكر أن الخاصة قد علمت الفلج[3] لأينا كان فقلت : است البـاين اعلـم [والخوارزمي أعرف] والأخبار المتظاهرة أعدل . والآثار الظاهرة أصدق . وحلبة السباق [أحكم وما مضى بيننا أشهد] والعود إن نشط أحمد . ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عدنا . وله عندي إذا شاء كل ما ساء وناء[4] ، ولن يعدم إذا زاد نقداً يطير فراخه ، ونقفا يصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مساماتي بعد ما سقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخرء بالخردل[5]. فإن كان الشقاء قد استغواه ، والحين قد استعواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منّي على ميعاد ، وأنا له بمرصاد .

فصل [منه] قد شملتني على رغمه أطراف النعم ، ومطرتني سحائب المنن ، وللراغم التراب ، وللحاسد الحائط والباب ، وللكاره اليد والناب .

فصل من كتاب إلى أبيه

للشيخ لذة في العتب والسبّ ، وطبيعة في العنف والعسف ، فإذا أعوزه من

---

(١) لا منى الخيف : يقصد مكانا قرب مكّة المكرمة حيث يؤدّى مشعرٌ من مشاعر الحجّ ، والخيف : كلّ هبوط وارتفاع في سفح الجبل .

(٢) الحرد : الغضيب .

(٣) الفلج : الفوز والظفر .

(٤) ناء : أثقل .

(٥) الخرء بالخردل : الخرء : الغائط ، والخردل أطيب الطعام ، أو اللحم المقطع .

يغضب عليه . فأنا بين يديه ، وإذا لم يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليست له قيمة ، والظفر به هزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل من كتاب تعزية إلى أبي عامر عدنان بن [عامر] بن محمد الضبي

الموت خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت أخفّ خطوبها ، وجنت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها ، فلتنظر يمنة ، هل ترى إلا محنة ، ثم لتعطف يسرة ، هل ترى إلا حسرة .

ومن كتاب له إليه أيضاً

وإن يشأ الله يفض بنا الأمر إلى حال تسعه مولى. وتسعني عبداً . وشد ما بخلت بهذه الكلمة ، ونفرت عن هذه السمة ، هذا الشيخ [الشهيد] أبو نصر رحمه الله مد لها اللحظ ، فلم يحظ ، وهذا ابن عباد شد لها الرحل ، فلم يحل .

ومن رقعة

مثلك في السفارة ، الفأرة ، طفقت تقرض الحديد فقيل لها : ويحك ! ما تصنعين ؟ الناب ودقة رأسه ، والحديد وشدة بأسه ، فقالت : أشهد ، ولكني أجهد ، وإن تنج من تلك الأسباب ، فهي الذباب ، مقاديرك لا معاذيرك .

فصل من رقعة إلى خلف

سمعت منشداً ينشد [من الطويل] :

لحى الله صعلوكاً مناهُ وهمُّهُ   من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً

فقلت : أنا معنى هذا البيت ، لأني قاعد في البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفـاض علـيَّ بذل ، ولا يُفـوَّضُ إلـيَّ شغـل . ويمـلأ لي وطب[1] ، ولا يدفع بي خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز .

ومنها : الرأس ـ أيد الله الأمير ! ـ كثير الخبوط . والضيف كثير التخليط ، وصب هذا الماء خير من شربه . وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأني بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذاني رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره في المنام ، فكيف من الأنام ، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسي مورده ، الذي أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جاع ابتغى . وإذا شبع طغى ، والهمذاني لو ترك بجلدته ، يرقص تحت رعدته . ما ارتقى في قعدته . ولا تجشأ من معدته . ولكنه حين لبس الحلة . وركب البغلة . وملك الخيل والخول ، تمنى الدول ، ورأس اليتيم يحتمل الوهن[2] ، ولا يحتمل الدهن ، وظهر الشقي يحتمل عدلين من الفحم ، ولا يحمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ، ما نهقت الحمير ، ولو لم يتسع حاله ، لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن[3] ، حين يسمن ، ولا يتبع ، حين يشبع . وعند الجوع ، يهم بالرجوع .

فصل من كتاب إلى أبي نصر بن أبي زيد

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وفرحي في كريم يحضر ذلك الجناب فيحسن المناب . ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة ، من يتحلى بهذه الشيمة ، على أن الطباع إلى الذم أميل ، والعقرب إلى الشر أقرب ، واللسان بالقدح أجرى

---

(١) الوطب : وعاء اللبن .

(٢) الوهن : الضعف في الأمر والبدن .

(٣) يزمن : يمرض .

منه بالمدح ، والحاسد يعمى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك دقائق القبح ، والهروى جسد كله حسد ، وعقد كله حقد . فلا يجذب التخلق بضبعه[1] عن طبعه ، ولا يأخذ التكلف بخلقه ، عن طرقه .

رقعة له إلى مستميحٍ عاوده مراراً

وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب كما تديمه بالأدب ؟!

عافاك الله ، مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الثمار سبيله إذا أتى بالحسنة ، أن يرفه إلى السنة ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي ، أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، ليس يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة[2] ، ولا صرفه في ثمن سلعة ، ولي من الأدب نادرة جهدت في هذه الأيام بالطباخ أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب فلم يقبل ، وأنشدت في الحمام ديوان أبي تمام فلم ينفذ ، ودفعت إلى الحجام مقطعات اللجام فلم يأخذ ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتي بيت ، فلم تغنِ ، ولو وقعت أرجوزة العجاج في توابل السكباج[3] ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع فما أصنع ، فإن كنت تحسب اختلافك إليَّ إفضالاً عليّ فراحتي في أن لا تطرق ساحتي ، وفرجي في أن لا تجي ، والسلام .

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف الساعد .

(٢) لا يمكن ثرده في قصعة : ثرد يثرد الخبز أي فته ثمّ بله بمرق ، أي أنّ الأدب لا يمكن أن يكون كالطعام ، لأنّه موهبة وذوق .

(٣) العّجاج : أحد الشعراء الرجّاز ، والسكباج : مرق يتخذ من اللحم والخل .

وكتب إلى صديق له رقعة نسختها

قد طبخت لسيدي حاجة إن قضاها وبلغ رضاها ذاق حرارة الإعطاء ، وإن أباها وفلّ شباها[1] لقي مرارة الاستبطاء ، فأي الجودين أخف عليه : جوده بالعلق النفيس ، أم جوده بالعرض الخسيس . ونزوله عن الطريف، أم عن الخلق الشريف ؟؟

فأجابه عنها بهذه الرقعة

جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثريد ، كله وعيد ، ولقم [إلا أنها] نقم . ولم أر قِدراً أكثر منها عظما ، ولا آكلاً أكثر مني كظما ، ما هذه الحاجة ؟ ولتكن حاجاتك من بعد ألين جوانب ، وألطف مطالب !

فصل من كتاب إلى الأمير أبي نصر الميكالي

كتابي أطال الله بقاء الأمير ، وبودي أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه ، وبعد فإني في مفاتحته [بين] ثقة تعد ، ويد ترتعد ، ولم لا يكون ذلك والبحر وإن لم أره . فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره ، وإذ لم ألقه ، فلم أجهل إلا خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل ونشب[2] ، وطارف فضل وأدب[3] ، فمعلوم تشيد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تختلف عليه الآثار ، والعين أقل الحواس إدراكاً، والآذان أكثرها استمساكاً .

فصل ، من رقعة إلى الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد :

---

(١) فلّ شباها : قطع نارها وأطفأها بالاستجابة .

(٢) التالد : المال القديم الموروث ، والنشب المال القديم من نقود وحيوان .

(٣) الطارف : المال الحديث العهد .

أنا أخاطب الشيخ الإمام والكلام مجون ، والحديث شجون ، وقد يوحش اللفظ وكله ود ، ويكره الشيء وليس من فعله بد ، هذه العرب تقول لا أبالك في الأمر إذا هم ، وقاتله الله ولا يريدون الذم ، وويل أمه للمرء إذا أهم [ولأولي] الألباب في هذا الباب أن ينظروا من القول إلى قائله ، فإن كان ولياً فهو الولاء وإن خشن ، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حسن .

[وله إليه رقعة]

يا لعباد الله القرض ، ولا هذا الرحض[1] ، والزاد ولا هذا الكساد ، أمرض ولا أعاد ، إذا شبع الزنجي بال على التمر، وهذا بول على الجمر ، ويوشك أن يكون له دخان .

فصل ـ مثله كمن صام حولاً ، ثم لما أنظر شرب بولا .

ومن أخرى

الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، كذلك الضيف يسمج لقاؤه ، إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله ، إذا انتهى محله .

فصل من كتاب

نهت الحكماء عن صحبة الملوك ، وقالوا : إن الملوك إذا خدمتهم ملوك ، وإن لم تخدمهم أذلّوك ، وإنهم يستعظمون في الثواب ، رد الجواب، ويستقلون في العقاب ، ضرب الرقاب ، وإنهم ليعثرون على العثرة من خدمهم فيبنون لها مناراً ، ثم يوقدونها ناراً . ويعتقدونها ثأراً ، وقالوا : كن من الملوك مكانك من

(١) القرض : السلفة من المال وغيره ، والرحض : الثوب البالي .

الشمس ، إنها لتؤذيك والسماء لها مدار ، والأرض لك دار ، فكيف لو أسفَّت قليلاً ، وتدانت يسيراً ، وإن العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سرباء[1] لواذا منها وهربا ، ويبتغي في الأرض نفقا ، فراراً منها وفرقا[2] .

رقعة في التماس الحطب

كم لله من حبر إذا جاع حبَّر الأسجاع[3] ، وإذا اشتهى الفقاع كتب الرقاع ، هذا تسبيب بعده تشبيب ، قد عرف الشيخ برد هذا [البرد] وخروجه في سوء العشرة عن الحد ، فإن رأى أن يلبسني من الحطب اليابس فروة ، ويكفيني [من] أمر الوقود شتوة ، فعل إن شاء الله تعالى .

فصل ـ ورد كتاب يضرط الأتن ويعرق الآباط[4]، كالقنفذ من أي النواحي أتيته ، وكالحسك على أيّ جنب طرحته ، ورحم الله فلاناً ! قلت له يوماً : إنك كثير الرغبة سريع الملالة ، فقال : عافاك الله ! هذه غيبة ، وفي الوجوه غريبة ، وإنما يغتاب المرء من وراء ظهره ، لا في سواء وجهه .

فصل ـ أما الكتاب فلفظه فسيح ، ومعناه فصيح ، وأوله بآخره رهين وآخره لأوله قرين ، وبينهما ماء معين وحور عين .

فصل ـ أنا على بينة من أمري ، وبصيرة في ديني ، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم ، وكما أعلم أن أكثرها زقٌّ وريح[5] ، أرى أن بعضها حق صحيح ، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم ، قرىء عليه إن الله يأمر بالعدل

---

(١) السرب : الملجأ .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) الحبر : العالم ، وحبّر الأسجاع : كتبها .

(٤) الأتن : أنثى الحمار، والآباط : جمع إبط .

(٥) الزِّق : كير الحداد الذي ينفخ فيه ، أو وعاء من جلد توضع فيه السوائل من ماءٍ وخمر .

والإحسان، فقال : إن رضي النحسان .

فصل ـ والله لولا يدٌ تحت الحجر ، وكبد تحت الخنجر ، وطفل كفرخ يومين قد حبب الى العيش ، وسلب من رأسي الطيش ، لشمخت بأنفي عن هذا المقام ، ولكن صبرا جميلاً والله المستعان .

فصل ـ إنما يحبس البازي ولو ترك القطا لطار كل مطار .

فصل ـ لم أر مثلي علق مضنة يرمي به من حالق[1] ، ولكن رب حسناء طالق .

فصل من رسالة في ذم السذق[2]
[إلى الرئيس أبي عامر]

هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون ناراً هي موعدهم ، والنار في الدنيا عيدهم ، والله إلى النار يعيدهم ، ومن لم يلبس مع اليهود غيارهم ، لم يعقد مع النصارى زنارهم ، ولم يشب مع المجوس نارهم ، إن عيد الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسذق سلطانا، ولا شرّف نيروزاً ولا مهرجاناً ، وإنما صب الله سيوف العرب على رءوس العجم لما كره من أديانها ، وسخط من نيرانها ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم حين مقت أفعالهم .

فصل منه ـ إن هذا الدين لذو تبعات ، الصوم والفطام شديد . والحج والمرام بعيد . والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد والرأس لا ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض والعفاف اليابس ، والحد

(١) علق مضنة : أي نفيساً غالياً يحرص عليه ، وحالقٍ ، عالٍ .
(٢) السّذق : ليلة الوقود (معرّبه) .

الخشن ، والصدق المر ، والحق الثقيل والكظم ، وفي اللقمة العظم.

فصل ـ الوحشة تقتدح في الصدر ، اقتداح النار في الزند ، فإن أطفئت بارت وتلاشت ، وإن عاشت طارت وطاشت ، والقطر إذا تدارك على الإناء امتلأ وفاض ، والعتب إذا ترك فرخ وباض .

فصل ـ من لقينا بأنف طويل ، لقيناه بخرطوم فيل ، ومن لحظنا بنظر شزر ، بعناه بثمن نزر[1] .

رقعة إلى خطيب

المجالس أيد الله الخطيب لا تطيب إلا بالمسامرة ، والخطيب فضيحة الدنيا ونكال الآخرة ، وقد حضر الخطيب كان ، فليحضر الخطيب الآن ، تصديقاً لقول الله تعالى ﴿ومن البقر اثنين﴾ .

أخرى ـ سلمت على فلان فرد جواباً يرد على الوكلاء بشرط الإيماء ، واقتصر من البشاشة ، على تحريك الشاشة ، ومن الاستقبال ، على تحريك السبال[2] .

فصل ـ جارنا رجل يصحب السرير ، ويسحب الحرير ، ويفترش الحبير، ويخوض العبير ، يحلف رجلاً يزعمه كان يقتات الشعير ، ويعروري البعير[3] ، ويركب الحمير ، ويظلم الصغير ، ويجالس الفقير، ويواكل الأجير ، بعيد بون بينهما بعيد .

فصل ـ لو كان حماري لنفشت عليه التبن . ونقلت على ظهره اللبن ، أفأؤدي عنه الغرامة ، لا ولا كرامة ، من ذاك الثور ، حتى يحتمل عنه الجور ؟

---

(1) نظر شزراً : أي نظر بطرف عينه مغضباً ، والثمن النزر : الثمن البخس .

(2) السبال : ما فوق الشفة العليا من الشعر أي « الشارب » .

(3) يقتاتِ : من القوت أي الطعام ، ويعروري البعير : أي يركبه عارياً ، أو يأتي أمراً قبيحاً منه .

الموت والله ولا هذا الصوت ، والمنية ولا هذه الأمنية الدنيّة .

فصل ـ أما الآن والحال من الضيف يحتال ، والأيام كأنها ليال ، توالفت والوجه بال[1] ، والكيس والرأس خال ، واللحم في السوق غال ، والقدر حليف خيال .

فصل له من رقعة

يا شبر ، ما هذا الكبر . ويا فتر[2] ، ما هذا الستر . ويا قرد ،ما هذا البرد. ويا يأجوج ، متى الخروج . ويا فقاع[3] ، بكم تباع . ويا فراني[4] ، متى تراني . ويا لقمة الخجل نحن ببابك ، ويا بيضة النغيلة[5] من أتى بك . ويا دبة ، ويا حبة ، ويا من فوق المكبّة ، ويا من قربه المذبة[6] . ويا من خلقه المسبة . ويا دمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك . فإن رأيت آذنت والسلام .

فصل ـ أعجوبة ، لكنها محجوبة ، حتى تصلي على النبي بنشاط ، وتنزل عن قيراط ، ما هي رحمك الله ؟ صبرا يا خبيث ، إليك يساق الحديث . إن عشنا وعشت رأيت الأتان تركب الطحّان ، روح ولا جسد ، وصوت ولا أحد والعود أحمق . ومتى فرزنت يا بيدق . ويا أسخف من ناقد على راقد . وشر دهرك آخره ، ويا عجبا أيلد الأغر البهيم ، وولد آزر إبراهيم [من الكامل] :

يا أيُّها العام الذي قد رابني ... أنت الفداء لذكر عامٍ أوّلا

وما أفدى العام ، لكن الأنعام . ولا أشكو الأنام . لكن اللئام . عام أول

(١) توالفت : من الولاف : وهو نوع من العدْو تقع فيه القوائم معاً ،والوجه بال :أي رثٍ أصابه البلاء .

(٢) الفتر : ما بين الابهام والسّبابة من اليد اذا فتحتها .

(٣) الفُقاع : شرابٌ يتخذ من الشعير أو غيره .

(٤) الفرّان : الذي يصنع الخبز .

(٥) النغيلة : دودة في الجسم تفسده .

(٦) المذبّة من الأرض : الكثيرة الذباب ، والمذبة : المروحة التي يذب الذباب بها .

عدنان ، والعام هذا القرنان . لنا في كل أوان أمير يملأ بطنه ،والجار جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع [من الطويل] :

تبدّلتِ الأشياءُ حتّى لخلتها ستبدي غروب الشمس من حيث تطلعُ

كانت السيادة في المطابخ ، فصارت في المباطخ ، أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم(1) . ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم [من البسيط] :

رأيتكم لا يصون العرضُ جارَكُمُ ولا يدرُّ على مرعاكُمُ اللَّبنُ

فصل من رقعة إلى من استماحه شراباً في يوم مطير

عافاك الله ! العاقل إن وافى أبوه على جمل البريد ، من المضرب البعيد في الخطب الشديد . يومنا هذا لم يستقبل حمارته . وإن مات لم يشيع جنازته . وحل إلى الركب ، ومطر كأفواه القرب . ورجل ظاهر النفاق يلتمس الشراب ممن لا يرى قربه ، فكيف شربه ، على أنك إلى الشرب أحوج منك إلى السكر ألا ترى كيف منّ الله على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، ألا تنظر إلى هذا المطر ، أمطر عمارة هو أم مطر خراب ، وسقيا رحمة هو أم سقيا عذاب .

فصل ـ كتابي والتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، طالق ثلاثاً ، مردودة على أهلها من ورائها البعرة ، وفي قفائها النعرة ، لا ترجع لخرقاء ،(2) أو ترجع العنقاء ، وتالله ما نقض الغزل بعد قوة ، أسخف من نقض عهد وأخوة ، ليس أرش الغزل إذا نقض . أرش الفضل إذا رفض . ولم يجعل الله إضاعة الصوف ،

---

(1) المباطخ : اللعق ، بطخ الشيء لعقه .

(2) القذال : ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس يكنى بذلك عن عدم السمع والطاعة .

كاضاعة المعروف ، والحق ثقيل ، وهو خير ما قيل .

فصل - حديث الكتاب ما حديث الكتاب ، وصل جحيم هائل ، ليس وراءه طائل ، وخط مجون ، لا يدري ألف أم نون . وسطور فيها سطور كدبيب السرطان على الحيطان ، وألفاظ أخلاط ، لا يدركها استنباط ، ولا يفهمها بقراط ، هذيان المحموم ، ودواء المهموم .

فصل - ومثلك من ذب ، عمن أحب ، ولكن للذب أبواباً ، ولكل امرىء جواباً ، تعلم أنه ليس في أبواب الذب ، أضعف من باب السب ، وإذا تلوت قول الله عز وجل [ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً] علمت أن سلاح خصمك أقوى ، والناس رجلان كريم ولئيم ، وكل بأن لا يسب خليق ، إن الكريم لا ينكر الفضل ، وإن النذل لا يألم العذل [من الوافر] :

يُبيحك منه عرضاً لم يصنْهُ ويرتع منك في عرضٍ مصون

وهلم أفرض لك مسألة الذب في الذباب لتعلم أن اتقاءه بالمكبة خير من اتقائه بالمذبة ، وأن ذبه بالمظلة أبلغ من ذبه بالمذلة ، فإن كان لا بد من انتقام واستيفاء فأعيذك بالله أن تجهل أن آذان الأنذال في القذال[1] وهي آذان لا تسمع إلا من ألسنة نعال الأدم ، وترجمة أكف الخدم ، وعلامة فهمها جحوظ العينين ، وخدر اليدين .

فصل - وجدتك تعجب أن يجحد لئيم فضل صنيعك ، فخفض عليك يرحمك الله ، إن الذي تعجب منه يسير ، في جنب ما يجحده من الناس كثير. إن الله تعالى خلق أقواماً وشق لهم أبصاراً وآتاهم بصائر فغاصوا بها على عرق الذهب ففصدوه[2] ، ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه ، واحتالوا للطائر فأنزلوه من جو السماء ، وللحوت فأخرجوه من الماء ، ثم جحدوا مع هذه الأفكار الغائصة

(١) الفصد : الشّق .

والأذهان النافذة صانعهم فقالوا : اين وكيف ؟ حتى رأوا السيف، فلم تعجب أن جحدوا فضلا ليست الأرض بساطه ، ولا الجبال سماطه ، ولا السماء فسطاطه ، ولا الليل رباطه ، ولا النهار صراطه ، ولا النجوم أشراطه ، ولا النار سياطه ..

فصل ـ ما أشبه وعد الشيخ في الخلاف ، إلا بشجر الخلاف . خضرة في العين ، ولا ثمر في البين . فما ينفع الوعد ، ولا إنجاز من بعد ، ومثل الوعد مثل الرعد ، ليس له خطر ، إن لم يتله مطر.

فصل ـ كان عندنا رجل فاره الأفراس[1] ، فاخر اللباس ، لا يعد من الناس ولا تظنّن أن الإنسانية بساط قوني ، ولا ثوب سقلاطوني ، ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن ، أو قعبان من لبن[2] .

فصل ـ لك يا سيدي خلال خير . وخلال فضل ، لا يدفعك عنهما أحد ، ولك في المكارم لسان ويد ، لا تخلو معهما من تورية سوطية ورجل طاووسية ، ولو عريت منها كنت الإمام الذي تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة .

فصل ـ معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ، ولا أرضى له غير الصلب ، واعتقد في دار الضرب ، أنها دار الحرب ، ولكن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ .

فصل ـ لم يكن في عهد رسول الله ﷺ للمهاجرين ، ما في وقتنا للمواجرين[3] ، وما جاز لعلية الأصحاب ، ما يجوز لأزواج القحاب .

فصل ـ كثر ترداد أصحابي إلى فلان ، فما يعيرهم إلا أذناً صماء وبابا أصم وكان فيما بلغني يأذن في باب الخاصة للعامة . فصار يأذن في باب العامة للخاصة

(١) فارة الأفراس : أي نشيطها ومليحها .

(٢) القَعْب : القدح الضخم الغليظ .

(٣) المواجرين : من الأجر : أي الجزاء أو من الوجر : الذعر والخوف .

وإنما تولى جارها من تولى فارها ، ومن لم يول منافعها لم يول مضارها .

فصل من كتاب إلى ابن فارس

نعم أيدالله الشيخ ، إنه الحمأ المسنون[1] وإن ظنت الظنون ، والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ، وارتكبت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ يقول : قد فسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها ، أم المدة المروانية وفي أخبارها [من السريع] :

* لا تكسع الشول بأغبارها*[2]

أم السنين الحربية [من مجزوء الكامل] :

والرمح يركز في الكلى والسيف يغمد في الطلى
ومبيت حجر في الفلا والحرّتان وكربلا

أم البيعة الهاشمية، وعلي يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بني فراس، أم [الأيام] الأموية والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الأمارة العدوية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول[3] ، إلا النزول ؟ أم الخلافة التيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام، أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكني يا فلانة ، فقد ذهبت الأمانة . أم في الجاهلية ولبيد يقول [من الكامل] :

[ذهب الذين يعاش في أكنافهم] وبقيت في خِلفٍ كجلد الأجرب

---

(١) الحمأ المسنون : الطين المنتن الفاسد الرائحة .
(٢) تكسع الشول : كسع : تبع ،والشَّول : الخفيف السريع أي أنّ الخيل السريعة لا يمكن أن يلحق بها .
(٣) البزول : قضاء الحاجة ، أو امتطاء البازل من الابل .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بلاد بهـا كنّـا وكنّـا نحبُّها إذِ النـاس ناسٌ والزمـان زمان

أم قبل ذلك وروى عن آدم عليه السلام [من الوافر] :

تغيّرت البـلاد ومـن عليها ووجـه الأرض مغبـرٌّ قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ .

وما فسد الناس ، وإنما اطرد القياس ، ولا أظلمـت الأيام ، وإنمـا امتـد الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويمسي المرء إلا عن صباح ؟ .

فصل منه - وإني على توبيخه لي لفقير إلـى لقائـه ، شفيق علـى بقائـه . منتسب إلى ولائه ، شاكر لآلائه[1] ، وإن له على كل نعمة خولنيها الله ناراً ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو عرفت لكتابي موقعاً من قلبه لاغتنمت خدمته به ، ولرددت إليه سؤر كاسه ، وفضل أنفاسه . ولكني خشيت أن يقول : هذه بضاعتنا رُدت إلينا ، وله أيده الله العتبى ، والمودة في القربى والمرباع ، وما ضمه الجلد وناله الباع ، وما ضمنه المشط[من المتقارب] :

ووالله ما هي عندي رضىً ولكنّهـا جـلُّ ما أملك

واثنان قلما يجتمعان الخراسانية والإنسانية ، وأنـا وإن لـم أكن خراسانـي الطينة ، فإني خراساني المدينة ، والمرء من حيث يوجـد ، لا من حيث يولـد ، والإنسان من حيث يثبت ، لا من حيث ينبت ، فإن آنضاف إلى خراسـان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ولا جنة ولا نار ، فليحتملني الشيخ على هناتي[2] ، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

---

(١) الآلاء : النعم .
(٢) الهنّة : جمع هنات وهي خصال الشرّ .

لا تلمني على ركاكة عقلي إن تيقَّنتَ أنني همذاني

فصل ـ بعض الظن إثم ، ولكن بعض الإثم حزم ، وبلغني أن القاضي يريد أن يسجل ، فأريد أن لا يعجل ، حتى أحضر فينظر فيم الخصومة ، وأنظر كيف الحكومة .

فصل ـ أنت أيدك الله إذا قلدت البريد ، وبردت هذا التبريد ، تؤذن أنك لو وليت الديوان ، لحجبت الدبران ، ولو قلدت الوزارة ما كنت تصنع ، أكنت أول من تصفح ، وإن هان على سبال الطبائع وهو الخليفة فمن الجيفة ؟ يا شيخ حشمة في الرأس ، وعرة[1] بين الناس ، وإذا ارتفعت فآلاتها نميمة ، وليس للناس قيمة ، ولو نسجت الدر في الذهب ما كنت إلا حائك ، وإلا من جملة أولئك .

فصل ـ شرابٌ من ذاقه أخَّخ[2] ، وصوت من يسمعه بخبخٌ ، وشرف من ناله أرخ .

فصل ـ ألا وإنّ في صدري لغصّة ، وإن في رأسي لقصة ، وإن لكل مسلم فيها لحصة ، وإن هذا المقام فيها لفرصة .

فصل من كتاب إلى عدنان

أشهد لو خير الرئيس ما اختار فوق ما اختير له ، وما في الغيب ، أكثر مما في الجيب ، وما بقي ، أحسن من الذي لقي [من الطويل] :

هنيئاً وزاد الله ضبَّة سؤدداً وذلك مجدٌ يملأُ العين واليدا
لك اليوم أسباب السموات مظهراً وما اليوم مما سوف تبلغه غدا

---

(١) الحشمة : الغضب، والانقباض عن الآخرين ، والعرّة : العيب والخلّة القبيحة .
(٢) أخّخ : قال آخ ، عبارة عن التوجّع .
(٣) بخبخ : قال بخ بخ : عبارة عن السرور والتهنئة .

فصل - أنا ، وأنا غرس الشيخ ، ألف العمامة ، على فضول لا تقلها جبال تهامة ، ثم أسبح في الماء الغزير ، وأعتضد بالأمير والوزير ، ثم استظهر بسجل القاضي ، ثم الشيخ هو المتغاضي ، ولا حيلة مع ابن جميلة ، العار والله والنار ، والقتل والدمار ، والعسلى والزنار ، والشباب والتراب المثار .

فصل - واحربا أتريد جهنم حطبا[1] ، واعجبا أتريد أسوأ منها منقلبا

فصل - [أبق أطال الله بقاء الشيخ الرئيس] عبدان : أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يقطين[2] ، والآخر الذي قال : خلقتني من نار وخلقته من طين[3] ، وأنجى هذا من الظلمات ، ومد لذلك في الحياة ، فعرف لكل على مقدار حرمته حق خدمته .

فصل - مضى العيد فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ، ولا فضلات القدر ، ولا لفظات الذكر ، وأسمع الناس ، يقولون إن الشيخ مستبرد لي مستوحش مني [وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية] وأنا كالحية أضمن أن لا ألسع ولا أضمن أن لا يفزع .

فصل - وصلت رقعة الشيخ فسفرت شوهاء ، ونطقت ورهاء[4] . تعثر في أذيالها تقول خذوني ، والطاعون المذنب سكران يتغافل .

فصل - يعجبني أن يكون الشيخ عريض اللسان طويله ، حسن البيان جميله ، ولا يعجبني أن يطول لسانه حتى يمس به جبينه ، ويضرب به صدره ، ويحك به قفاه ، فخير الأمور أوساطها ، وأمام الساعة أشراطها . والغاية سوم ،

---

(١) واحربا : واحزناه .

(٢) يعني بذلك النبي يونس عليه السلام .

(٣) يريد بذلك إبليس اللعين الذي أبى أن يسجد لآدم كما امر الله سبحانه وتعالى .

(٤) سفرت شعرها : أي كشفت عن وجهها المشوّه القبيح ، ونطقت ورهاء : أي تكلّمت بكلام ثقيل ، ويقال : امرأة ورهاء أي كثيرة الشحم .

والاستقضاء فرقة .

فصل ـ لولا شفقتك من القلب ، لربطتك مع الكلب ، ولكن لا حيلة لإحصارك ، وكلّي انصارك .

فصل ـ مغرز إبرة . وألفا عبرة ، رعاة رعاع ، ورعايا شجاع ، أمير ولكنه في الحمير ، ووزير ولكنه خنزير . وما شئت من البرود الاتحمية ، ولا شيء من الحمية .

فصل ـ أراني أذكر الشيخ كلما طلعت الشمس أوهبت الريح أو نجم النجم أو لمع البرق أو عرض الغيث أو ذكر الليث أو ضحك الروض ، إن للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث يداه ونداه ولليث حماه وللروض سجاياه ، ففي كل صالحة ذكراه ، وفي كل حادثة أراه ، فمتى أنساه ، واشدة شوقاه ، عسى الله أن يجمعني وإياه .

فصل ـ سألني العم عن حالي بهذه البلاد . وإنني في بلاد وإن لم يكن لأهلها تمييز ، فأنا بينهم عزيز . يطعمونني تقليداً ، ويردونني فريداً ، والمال يجتني فيضاً لكن لا أبلعه ريقا ، ولا أكره آلوه تفريقاً ، فهو يأتي مداً ويذهب جزرا .

فصل ـ خلق ابن آدم خلقة الفراش مماته في المعاش، ومساره طي المضار ، وإلا بين لمثلي إذا خرج من بلدة أن تنبذ خلفه الحصاة ، وتكنس بعده العرصات[1] وتوقد في أثره النار ، ويثار في قفاه الغبار ، ويستنبح لفراقه الكلب ، ويسد لأوبته الأذنان ، وتغمض عن رجعته العيان ، ويقول كم سنة تعد ، ورب سلم لا يرد ، وما قدرت أن الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقامي ، وأصحت سماؤه من أشغالي وصفا جوه من لقائي ، يشتاق طلعتي شوقاً ببعثه على عتابي ، ويهزه

(١) العرصات : الساحات .

لاستعطافي ، ولا شك في أنه اشتهاني كما يشتهي الجرب الحك ، وله العتبى فستأتيه كتبي تباعاً ورسلي ولاء ، وحاجاتي قطارا[1].

فصل إلى الاستاذ أبي بكر بن إسحاق

الأستاذ الاهد يأمر غاشية مجلسه ، أن يفتشوا أعطاف المقبرة وزواياها ، فإن وجدوا قلبا قريحا ، يحمل وداً صحيحاً ، وكبداً دامية ، تقل محبة نامية ، فأنا ضيعتهما بالأمس ، على ذلك الرمس ، رضي الله تعالى عن وديعته ، وعنا معشر شيعته ، فليأمر بردهما إليّ ، فلا خير في الأجساد خالية من الفؤاد ، عاطلة عن الأكباد .

فصل إلى ابن أخته

أنت ولدى ما دمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك ، والدفتر أليفك ، وحليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيري خالك .

فصل من كتاب إلى ابن فريغون[2]

كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والملك العادل إن لم أكن لقيته ، فقد بلغني صيته .

فصل ـ إن لي في القناعة وقتاً ، وفي الصناعة بختاً ، لا يبعد عن منال المال ، بل يجبيني فيضا ، ويتطفل علي أيضاً ، وهذه الحضرة وإن احتاج إليها المأمون ولم يستغن عنها قارون ، فإن الأحب إليّ أن أقصدها قصد موال ، لا قصد سؤال ،

---

(١) القطار : القافلة ، ويريد أنها سوف تأتيه متتابعة .

(٢) في الرسائل : وله إلى الأمير ابن الحرث محمد مولى أمير المؤمنين .

والرجوع عنها بحال، أحب إليّ من الرجوع بمال ، قدمت التعريف ، وانتظر الجواب الشريف .

فصل - إن أيامي منذ لم أره ليال ، وإني من حبسي لفي طلل بال . وإن العيش لا يلتئم إلا بعزه ، والعافية لا تطيب إلا في ظله[1] .

فصل - إن الجميل عندهم من وراء جدار ، والقبيح نار على منار ، فإذا مدحوا سيرة رجل فقد حمدوا عثرته ، ولم يبق فيه طمع للسبك ، ولا موضع للشك .

فصل - ليست التجربة خمسة أجربة ، إنما هي دفعة والتقدمة لفظة ، ثم إن العاقل بفطنته يكيس فيقيس ، والجاهل بغفلته يخس ويخيس ، يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك ، وليست هذه الدار بدارك ، ولا السوق سوق متاعك ، ناسب الكتابة وما وسقت[2] ، والأقلام وما نسقت ، والمحابر وما بسقت ، والأسجاع إذا اتسقت ، واللوم ولا هذه العلوم .

فصل - إني والله لأرحم عقل طرفة إذ قال [من الوافر]

وليت لنا مكان الملك عمرٍ رغوثاً حول قبتنا تخور

كيف ضرب المثل في الشر وقلة الخير ، بما هو خير كله . وإن الرغوث لتعذره برسلها ، وتحبوه بنسلها ، وتكسوه بصوفها ، وتنفعه ببعرها ، وتغيظ عدوه بسراحها ، وتقر عينه برواحها [من الوافر] :

وتملأ بيته أقطاً وسمناً وحسبك من غنىً شبعٌ وريّ[3]

ثم أرجع إلى حديثك : تمنى مكانه رغوثاً، وأتمنى مكانك برغوثا ، إن

---

(١) في «ب» . . « والعاقبة لا تطيب إلاّ في ظله » .
(٢) الوسق : الجمع ، ووسقت : حملت .
(٣) أقطاً وسمناً : جبنةً وسمناً، والريّ : من الارتواء . والبيت لامرىء القيس بن حجر الكندي .

البرغوث ، أجدر منك أن يغوث ، اعلم أنك غرسي ، والغرس تيس ، وحشى ، وما حسبتني أفقد منك منافع التيس ، ولكن ما أصنع والعقل ليس .

فصل ـ ما أعرف لعمار مثلاً إلا الغراب الأبقع ، مذموما على أي جنب وقع ، إن طار فيقسم الضمير ، وإن وقع فروعة النذير ، وإن حجل فمشية الأسير ، وإن شحج فصوت الحمير ، وإن أكل فدبر البعير ، وإن سرق فبلغة الفقير ، كذلك ابن عمار ، إن حذفت عينه فالحين . وإن حذفت ميمه فالشين. وإن حذفت راؤه فالرين ، وإن صحف خطه فالمين[1] . وإن زرته فالحجاب الثقيل ، وإن لم تزره فالعتاب الطويل .

فصل ـ بلغني أن الشيخ دائم العبث بلحمي ، والنقل بشتمي ، وأنه حسن البصيرة في نقضي ، كثير التناول من عرضي ، ولحم الوديد ، لا يصلح للقديد ، ودم الصديق ، لا يشرب على الريق ، والولي لا يقلى ، ولا يتخذ نقلا ، وحسب الغريم أن لا يوفى ، ومن منع الصدقة فليقل قولاً معروفاً .

فصل ـ لولا ود الفقيه ، وأنا أستبقيه ، لشتمت العام والخاص ، وذكرت العاض والماص ، ولتجاوزت دار الرجال إلى حجرة العيال ، ما هذه الأسجاع التي كتبها ، والفصاحة التي عرفها ، بكر وتألم الطلق ، أعلى رأسي يتعلم الحلق .

فصل ـ واحرباه ، وإليك شكوى الحرب ، وأظن أجلي قد اقترب ، ربٍّ توفني مسلماً ، وألحقني بالصالحين .

فصل ـ حرس الله هذه الدنانير ، ورزقنا منها الكثير ، إنها لتفعل ما لا تفعل التوراة والإنجيل ،وتغني ما لا يغني التنزيل والتأويل ، وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل .

---

(١) المين : الكذب .

فصل من تعزية بحرمة

على أن النساء كالصَّدف ، إذا انتزعت منه درّة الشرف . لم يصلح إلا للتلف ، والسعيد من حمل من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جدد فرشه ، ولا خلة بالرجل أليق من الصبر ، ولا حصن للنساء أمنع من القبر ، أسأل الله الذي سلبه الكرمة أن يمتعه بعنبها ، ولا خير في النخلة وراء رطبها .

فصل ـ قد توسطت الشباب ، وتطرقت المشيب ، وقبضت من أثر الزمان . ونظرت في أعقاب الأمور ، وطرت مع الملوك ، ووقعت مع الخطوب ، والحي يأمر وينهى * وفارقتها والموت حزنان ينظر *[1] .

فصل ـ لو رآني مولاي وأنا في قميص بأذنين ، وقباء ضيق الردنين ، وعمامة كالقبة ، وخف تركي أعلاه جراب ، وأسفله غراب ، على برذون مضطرب التقطيع ، يرقصني كالرضيع ـ لعلم كيف تجري الفرسان ، وكيف تمسح الأذنان .

فصل من كتاب إلى أبيه

ولسيدنا أسوة بيعقوب في ولده ، إذ ظعن إليه من بلده . وليس العائق سور الأعراف ، ولا رمل الأحقاف ، ولا جبل قاف ، أخاف والله أن أموت ، وفي النفس مني حاجة لم أقضها ، أو منية لم أحظ ببعضها .

فصل ـ مثل الشيخ في التماس الخل ، مثل المكدي في التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال صب قليلاً من الخل ، في هذا الإناء الجل فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمست بهذا اللفظ العسل ؟

فصل ـ يا هؤلاء تكابروا الله في بلاده ، ولا ترادوه في مراده ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . وما أرى آل فلان إلا مقدرين أنهم لم يأخذوا خراسان

---

(١) الرواية : « . . . والموت خزيان ينظر » .

قهرا ، إنما كانت لأمهم مهرا . فلهم حولها تخبيط ، والله من ورائهم محيط .

فصل ـ إني لأعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ، ومن عنق يقلُّ ذلك الرأس فلا يندق .

فصل ـ كتابي كتاب من نسي الأيام وتذكره ، ويطوي العالم وينشره ، ثم ينبذ أبناء دهره، وراء ظهره .

فصل ـ أنا على قرب العهد بالمهد قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحد إلا بالجهل تبعته ، وبالخسران بعته ، وبالظن أخذته وباليقين نبذته ، وما مدح وضعته في أحد إلا أضعته ، ولا حمد صرفته في أحد إلا عرفته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنهم بالقسطاس . ومن طاف نصف الشرق ، لقي ربع الخلق .

فصل في مدح الأمير خلف

جزى الله هذا الملك أفضل ما جزى مخدوما عن خدمه ، ومنعماً على نعمه ، وأعانه على هممه . فلو أن البحار عدده ، والسحاب يده . والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه ، فوالله ما التمر بالبصرة ، أقل خطراً من البدرة ، بهذه الحضرة أني لا أراها تحمل إلى المنتجعين إلا تحت الذيل في جنح الليل ، ولا شيء أيسر من الدينار ، بهذه الديار ، بينما المرء في سنة من نومه لتعب يومه وقصاراه قوت يومه ، إذ يقرع الباب عليه قرعا خفياً ، ويسأل به سؤالاً [حفياً] ويعطي ألفاً خلفياً .

فصل ـ للشيخ من الصدور ما ليس للفؤاد ، ومن القلوب ما ليس للأولاد فكأنّما أشتق من جميع الأكباد ، وولد بجميع البلاد . سواء الحاضر فيه والباد . وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام ، وزهرة في جنح الظلام ، إلا أن ما أوجبه لفلان

من روض أنا وسميه[1] ، وطوقٍ أنا قمريه[2] . وعودٍ جمره لساني ، وخمرٍ سكره ضماني .

فصـل إلى أبيه

إن الإبل على غلظ أكبادها لتحن إلى أوطانها ، وإن الطير لتقع عرض البحر إلى مظانها ، وبلغني أن ابن ذي اليمينين طاهر بن الحسين لما ولي مصر داخلها مضروبة قبابها مفروشة أرضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا ورجالاً والنثار يميناً وشمالا ؛ فأطرق لا ينطق حرفاً ، ولا يرفع طرفا ، فقيل له في ذلك فقال : ما أصنع بهذا كله ، وليس في النظارة عجائز بوشنج .

والعجب من حاضر أنطاكية صاحب آل ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله ، وقيل له (ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء جوارهم ، وقبح آثارهم .

وهذا أخو كندة[3] يقول [من الطويل] :

وهـل ينعمـنْ من كان أقـربُ عهده ثلاثين شهـراً أو ثلاثـة أحوال

فما ظنه بي لاثنتي عشرة سنة ، على أن لي في رسول الله أسـوة حسنـة ، وعسى الله أن يأتيني بكم جميعاً ، أو يأتيكم بي سريعاً .

فصل ـ وأجدني إذا قرأت قصة الخليل ، والذبيح إسماعيل ، أحس من نفسي لسيدنا بتلك الطاعة ، لو وقع البلاء ، والعافية أوسع ، وأظنه لو تلّني[4]

---

(١) الوسميّ : مطر الربيع .
(٢) الطوق : القدرة على الشيء ، أو الحليّ في العنق ، والقمري : الحمام الحسن الصوت .
(٣) أراد بأخي كندة امرأ القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف .
(٤) تلّه للجبين : أي قلبه على قفاه وألقاه على عنقه وخدّه .

للجبين ، وأخذ مني باليمين ، لقطع الوتين ، لصنته عن الأنين ، علي بذلك ميثاق من الله غليظ، والله على ما نقوله حفيظ .

فصل ـ فتن تشظّى[1] ، ونار تلظّى ، وناس يأكل بعضهم بعضا ، فالنهار مصادرة ، والليل مكابرة ، وقتل عمرو وسلب زيد ، وانج سعد ، وهلك سعيد ، وثمن الرأس منديل ، والبينة العادلة سكين [ودار الحكم بيت القار ، واليمين الغموس فلان الحمار ، والجامع حانة الخمار] ولا شيء إلا السلاح والصياح وكل شيء إلا السكون والصلاح .

فصل ـ قد أهديت له فارتي[2] مسك تصلان بوصول كتابي هذا، وبينهما من السلام أطيب منهما عرفا ، وأحسن وصفا .

فصل من رقعة إلى الشيخ الجليل أبي العباس

عبد من عباد الله أجرى الله أمره على الجروم والصرود ، وأنفذ حكمه بين اللحوم والجلود ، وأراه البسطة في مراده ، والغبطة في أولاده ، والرشد في اعتقاده ، ومكن له في بلاده ، وله في غده أكثر مما في يده ، وما بقي أطيب مما لقي ،وبلغني أنه يضجر من أبناء الحاجات ترفع إليه ، والقصص تقرأ لديه ، وقد ضجرت ضجرة يحيى بن خالد ، فأرى في المنام فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول « إن ضجرت لازدحام الحاجات إليك ، أضجرناك بانقطاعها عنك » .

فصل ـ وأظن الشيخ لو رآني لقلاني ، وما أقضي لأقصي العجب منه وفيه .

فصل ـ حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال: رأيت الصفا والحجون وقوماً يموجون ، وكعبة تزف عليها الستور ، وترفرف حولها الطيور ، وبيتا كبيتي ،

---

(١) تشظّى : تتفرّق وتتوزّع وتصعب .

(٢) الفارة من المسك : الحقّ المليء به .

ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

وابتاع بعض الهنود هذا السلجم المشوي فاتزن بدانق أرطالا ، ثم وجد الكمثرى تباع فقال : ما أغلاه نياً . وأرخصه مشوياً ، نويت أن أعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من السلجم ، إن لم يعرفوا الدينار من الدرهم ، فأنا اليوم حتى ينتصف المظلوم ، سكن أبو موسى الأشعري المقابر ، فقال : أجاور قوماً لا يغدرون ، فقيل له : مهلا يا أبا موسى ، انما لا يغدرون لأنهم لا يقدرون .

فصل من رقعة إلى ثقيل آستأذنه للخروج

نعم ولا حُمْرُ النعم[1] ، قاعة قعساء[2] ، كأنها ملساء ، ومنهج عريان ، تسلكه العميان ، وسمت لا عوج فيه ولا أمت[3] ، وماء برده الشتاء ، ولا يكدره الرشاء ، فاذهب حيث تشاء ، والدنيا والعراق ، والحبة أبلاق ، ولك بالصين تخت والغنى غنى البحر ، ولك ما سألت بمصر ، وشر الحمام الداجن ، ومقيم الماء آسن . والكسل إضاعة، والطرأة بضاعة ، وإنك لتؤذن بالبين ، وتصبح عن سُري القين ، ويلك ما هذه الرعونة ، وما هذه الأخلاق الملعونة ، تلمح بدلال ، والله إنك مجانا لغال ، فابعدكما بعدت ثمود ، وابرح فقد طال القعود ، واذهب ذهابا لا تعود .

فصل ـ كتبت وليس الشوق إلى لقائه بشوق ، إنما هو العظم الكسير ،

---

(١) حمر النعم : كناية عن الإبل .

(٢) القعساء : القعِس : من خرج صدره ودخل ظهرُه خلقة . وقعس الشيء : عطفه وأماله .

(٣) والسمت : الطريق ، لا عوج فيه : أي لا اعوجاج فيه ، ولا أمت : ولا عيب .

والنزع العسير ، والسم يسري ويسير . والنار تطيش وتطير . وليس الصبر عن رؤياك بالصبر إنما هو الصبر معجوناً بالصاب ، وتشريح العروق والأعصاب . والقلب في الميسر والأنصاب . والكبد في يد القصاب .

فصل - مرحباً بالشيخ وبناقة تحمل رحله ، وبأرض تلبس ظله ، وبيوم يطلع علينا وجهه . وبليلة تلد قربه ، وإيه يا خطى الناقة ، فوق قوى الطاقة . ويا أرض انزوي كما تنزوي الجلدة في النار . ويا منظر انطو انطواء الحية والطومار ، وعجل إلى الظماء ببارد الماء ، ومن على البلد القفر بصائب القطر .

فصل - أثنى عليه ثناء لو رمى به الشتاء لعاد ربيعاً ، أو دعى الشباب لآب سريعاً ، أو صب على الفراق لانقلب شملاً جميعاً .

فصل - جرجان وما أدراك ما جرجان ، أكلة من التين وموت في الحين ، ونظرة إلى الثمار والأخرى إلى التابوت والحفار ، ونجار إذا رأى الخراساني نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده . وعطار يعد بين الحنوط يرسمه . وبها للغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياع القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل - كأنّما خلق للدنيا تحجيلاً ، ولملوكها تخجيلاً ، وكأنما خلق ليقبل المستحيل مانعه ، وليصدق المحال سمعه . فليؤمن أن البحر يمشي على رجلَين ، وأن المجد يتصور للعين . وأن العدل يتجسم ، والفضل يتبسم ، والدهر يتكرم ، والشمس تتكلم .

فصل - إن طلبت كريماً في أخلاقه . متُّ ولم ألاقه ، أو حكيماً في جوده ، مت قبل جوده . ولقد أفسدني على الناس وأفسدهم علي ، فما أرضى بعده أحداً ، ولم أجد مثله أبداً . وهذا وصف إن أطلته طال ، ونشر الأذيال ، واستغرق

القرطاس، والأنفاس ، واستنفد الأعمار ، والأعصار، ولم تبلغ التمام ، والسلام .

فصل ـ كتبت ونصفي راحل ، والأحمال تشد ، والعلوفات تعد ، والجمال تقدم والجمال يشتم . وما أشبه نفسي في هذه الأسفار إلا بالخيال الطارق ، أو بلمع البارق ، أو الغلام الآبق ، أو الجواد السابق ، أو بهرب السارق ، أو السهم المارق ، وإنما هو الشد والترحال ، والخيل والبغال، والحمير والجمال .

فصل ـ عنوان الأحمق كنيته ، ثم بنيته ، ثم حليته ، ثم مشيته ، والله لا أعرف البحتري ، فهلا أبو حامد وأبو خالد . وإن امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها ، وتعد يومها وشهرها . فهلا تجعل سرها وجهرها ، ثم تسميه البحتري لرعناء لاستحق مهرها ، وخليقة أن يطم الله نهرها ، فلا تلد دهرها . ثم الوجه اللحيم ، لا يحتمله الكريم ، والأنف السمين ، لا يحتمله الأمين . والقطف سير الحمير ، والهرولة مشية الخنازير .

فصل ـ وما زالت جفنة آل جفنة تدور على الضيف ، في الشتاء والصيف . حتى عثرت بحسان ، فارتهنت ذلك اللسان . فسيّر فيهم القصائد الحسان . فهذا الزمان يخلق وهي جديدة ، وتلك العظام بالية ، وهذه محاسن باقية . وحق على الله أن لا يخلي كرما من لسان يبث أحدوثته .

فصل ـ لسان كمقراض الخفاجي يضعه حيث يشاء ، وبحر لا تكدره الدلاء ، وصدر كأنه الدهناء[3] وقلب كأنه الأرض والسماء، وشرف دونه الجوزاء .

فصل ـ الإنسان يولد على الفطرة من ظرفه استظرفه ، ومن لمحه استملحه ،

ثم لا يسمى قرطبانا . حتى يسعى زمانا ، فإذا تعب دهـراً طويلاً سمـى كشحانـا ثقيلا ، وإذا شب الصبي كان بالخيار ، إن شاء سمى لحم الحوار ، ولقب ذنب الحمار ، وكنى كذب الخار . وشبه بالجدار ، وأطلال الدار . وإن شاء نزهـة الألباب ، ومتعة الأحباب ، ودمية المحراب ، وفرحة الاياب . وعلى الأم أن تلد البنين ، وتغذوهم سنين ، وتلهيهم الليل والنهـار ، وتقيهـم المـاء والنـار ، فإن خرجوا مخانيث فقد قضت ما عليها ، وإن قرم السّرم ، فلغيرهـا الجـرم ، وان احتك السرج ، فعلى الله الفرج ، وعلى ابنها الحرج .

فصل ـ الوجه الحسن عنوان مخيل ، وضمان جميل . فإن عضـده أصـل كريم ، فأنا به زعيم ، وإن نصره بيت قديم ، فأنا له نديم ، والشيخ بحمد الله دارة البدر حسن إشراق ، وفأرة المسك طيب أخلاق ، وشجر الأترج طيب أعـراق ، وطيب مذاق ، وطيب ورق وساق ، وحـرج علـى من هذه خصالـه ، أن يغبنـي وصاله . فأنا أخطب إليه مودته . وأبذل روحي لها مهرا ، فإن رأى أن يزوجنيهـا فعل إن شاء الله تعالى .

فصل ـ يلقى الشيخ بكتابي هذا من ذكر حريته فلقد أجدت ، وثمرة الغراب وجـدت[1] . ونعـم ما اختـرت ، والخير فيمـن ذكرت . وأجبتـه إلـى ما سأل ، وسفتجت له إلى الكريم بما أمل[2] ، وقلت : أده الآن ، وخاط كيساً على ماله ، وضمنت له تهنئة آماله ، فإن رأى أن يفك لساني ، من سر ضماني، فعل إن شاء الله تعالى .

---

(١) ثمرة الغراب وجدت : أي لقيت الخصب يقال : هذه أرض لا يطير غرابها «أو ليس غرابها بمطار » أي مخصبة .

(٢) سفتجت : من السفتجة ، وهي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردّ بها مالك من شريك أو عميل له في بلد آخر أنت مسافر إليه .

فصل ـ إن رضي الشيخ أن يواكل من لا يشاكل ويجانس من لا يؤانس .

فصل ـ مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم إلى القصاب يسأله فلذة كبد ، فسد باليسرى فاه ، وأوجع بالأخرى قفاه . فلما رجع إلى منزله بعث توقيعاً ، يطلب جملاً رضيعاً . كذاك أنا وردت فلا أكرم بسلام ، ولا أتعهد بغلام ، فلما وجدته لا يبالي بسبالي[1] كاتبته أشفع لسواي .

فصل ـ لو علم ما في صدر هذه الأيام ، من حر الكلام ، نفذ في هذه البقاع من ظرف الرقاع . ثم ملكته هزة الفضل ، لطوى السير عاجلاً ، والأرض راجلاً .

فصل ـ سقاها الله من بلد ، وأهلها من عدد ، وفلانا من بينهم ، ولا نصصت إلا على عينهم . وحبذا كتابه واصلاً ، ورسوله حاصلاً ، فأي تحفة لم تصل بوصوله ، وفضل لم يستفد من فصوله .

فصل ـ اليوم طلق ، والهواء رطب ، والماء عذب ، والبستان رحب ، والسماء مصحية ، والريح رخاء . فأين سيدي فلان ؟ أشهد ما اليوم جميلا ، ولا الظل ظليلا ولا الماء يبرد غليلا . ولا النسيم يشفي عليلا . وأقسم ما الروض إلا ثقيل ، والأنس إلا دخيل ، والدهر إلا بخيل . وفي ذلك يقول [من الطويل] :

وإنّـي لتعرونـي لذكراك روعةٌ   كما انتفض العصفور بلَّله القطرُ[2]

وليس الشوق إلى مولاي بشوق إنما هو وقع السهام ، ولا الصبر عن لقياه بصبر إنما هو كأس الحمام ، وما للسم سلطان هذا الهم ، ولا للخمر طغيان هذا الأمر .

---

(١) السبال : جمع سبلة : يقال جمل حسن السّبلة : أي رقيق الجلد . والسّبال أيضا : طرف الشارب ومقدّم اللحية .

(٢) عُرَاه : أصابه ، والقطر : الماء والندى . والبيت لأبي صخر الهذلي ، والمحفوظ في صدره «وإني لتعروني لذكراك هزّةٌ » .

فصل ـ إن للشبان نزوة ، وللأحداث رقة . ولكن يربعون إذا جاءت الأربعون . ويفزعون ، وإن كانوا لا يجزعون ، ولقد نظرت في المرآة فرأيت الشيب يتلهّب وينهب ، والشباب يتأهّب ويذهب ، وما أسرج هذا الأشهب[1] إلا لخبر ، وأسأل الله عاقبة خير .

فصل ـ أجدني قد اكتهلت، والكهل قبيح به الجهل ، ولاحت الشعرات البيض ، وجعلت تفرّخ وتبيض .

فصل ـ جزى الله المشيب خيراً فإنه أناة ، ولا رد الشباب فإنه هنات ، وبئس الداء الصبا وليس دواؤه إلا انقضاؤه ، وبئس المثل النار ولا العار ونعم الرائضان الليل والنهار . أظن الشباب والشيب لو مثلاً لمثل الأول كلبا عقوراً ، والآخر شيخاً وقوراً ، ولاشتعل الأول ناراً والآخر نوراً ، فالحمد لله الذي بيَّض القار[3] ، وسماه الوقار ، وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد ، إن السعيدمن شابت جملته ، ولم تخص بالبياض لحيته .

فصل من تهنئة بمولود

حقاً لقد أنجز الإقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، والشأن فيما بعده ، وحبذا الأصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه ، والروض ونوره ، وسماء أطلعت فرقدا ، وغابة أبرزت أسدا ، وظهر وافق سنداً ، وذكر يبقى أبداً ، ومجد سمى ولداً ، وشرف لحمة وسدى .

فصل ـ كتابي من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق ، وقلبتها كما يقلب الرقيق . وبلعتها كما يبلع الريق ، [والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله] وقد خدمت الشيخ سنين ، والله لا يضيع أجر

---

(١) بيّض القار : يعني جعله شعره أبيض بعد أن كان أسود،والقار : القطران .

المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان ، ومالحته والممالحة نسب دان ، وسافرت معه والسفر والأخوة رضيعا لبان ، وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان ، وأثنيت عليه والثناء من الله [عز وجل] بمكان ، وأخلصت له والإخلاص محمود بكل لسان ، أفبعد هذه الحرمات ، أنا طعمة فلان وفلان يتناولانني سبعاً في ثمان .

فصل ـ لعن الله فلاناً فلا أراه في النوم ، إلا أصاب في ذلك اليوم .

فصل ـ ورأى أفواهاً فاغرة . وأضراساً طاحنة ، وعيالا وأذيالاً الله وكيلهم ، وأنا أزنهم وأكيلهم .

فصل من كتاب تعزية

ولم تنسني أوفى المصيباتُ بعده ... ولكنّ نكء القرح بالقرح أوجع[1]

والله ما يضرب الكلب ، كما يضرب هذا القلب . ولا يقطر الشمع ، كما يقطر هذا الدمع . وما للسم سلطان على هذا الغم ، ونفسي إلى القبر ، أعجل منها إلى الصبر . وأذني بالموت ، آنس منها بهذا الصوت . أو لم يكفنا الجرح ، حتى ذر عليه الملح ؟ ألم أكن من فلان مثقل الظهر ، فما هذه العلاوة على الحمل ، ولم هذه الزيادة في الثقل ؟

فصل ـ وفيما يقول الناس من حكاياتهم أن أعرابياً نام ليلاً عن جمله ففقده ، فلما طلع القمر وجده ، فرفع إلى الله يده . فقال : أشهد لقد أعليته ، وجعلت السماء بيته . ثم نظر إلى القمر فقال : إن الله صورك ونورك ، وعلى البروج دورك . وإذا شاء قورك وإذا شاء كورك[2] ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن أهديت إلى قلبي سروراً ، لقد أهدى إليك الله نوراً ، والشيخ ذلك القمر المنير ، لقد أعلى

(١) نكْء القرح : قشره قبل أن يشفى ويندمل .

(٢) قوّرك : جعل فيك خرماً في وسطك كما يقور الثوب والبطيخ أي جوّفه . وكوّرك : أي لفّك وجعلك كالعمامة .

الله قدره ، وأنفذ بين الجلود واللحوم أمره . ونظر إليه وإلى الـذين يحسدونـه ، فجعله فوقهم وجعلهم دونه .

فصل ـ المرء جزوع لكنه حمول ، والإنسـان في النوائـب شمـوس[1] ثم ذلول . ولقد عشت بعد فراق الشيخ عيشة الحوت في البر ، وبقيت ولكن بقـاء الثلج في الحر .

فصل ـ توجه فلان إلى الحضرة ، ويريد أن يقرن الحج بالعمرة ، ولا يقتصر على المشتري دون الزهرة ، ولا يقنع بالماء إلا مع الخضرة . وقصد من الشيخ الجليل يزخر بحره . وجعل الشيخ سفينة نجاته ، وذريعة حاجاته .

فصل ـ إن ذكر الجمال طلع بدراً ، أو السحاب زخر بحراً ، أو العهد رسخ صخراً ، أو الرأي أسفر فجراً . أو الحياء رشح خمرا ، أو الذكاء توقد جمرا .

فصل ـ جزى الله الشيخ خيراً عن بطن الساغب[2] ، وكف الراغب . وأعانه على همته ووفقه ، وأخلف عليه خيراً مما أنفقه ، فليس لمثل هذا العام ، إلا مثل ذلك الإنعام العام. فلو انتقـر ، لهلك من افتقـر ، ولكنـه أجفـل وغمـر الأعلـى والأسفل ، فكأنما عاد الشتاء ربيعا (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) .

رقعة له إلى أبي محمد إسماعيل بن محمد
جواباً عن رقعة صدرت إليه وقد ورد هراة

مرحباً بسيدي إسماعيل ، وجد يفعل الأفاعيل ، ولا رقعة أرقع من هذه ، ما نصنع برقعة ، ونحن في بقعة . فليجعلها زيارة ، ثم الحاجة مقضية ، والحرمات مرعية .

---

(١) الشموس : من الناس ، الصعب المراس الشديد العداوة .
(٢) الساغب : الجائع .

رقعة إليه أيضاً عند انصرافه

أنت يا سيدي أقرب رحما ، وأنفذ حكماً ، ودونك الدار ، ولك فيها المقدار ، ويسرني أن لا تغيب ولا تغبّ[1] ، وتحب الخروج وأحب أن لا تحب . ولو علمت أني إذا ناصبتك أقمت ، فعلت ذلك ولو نقمت . فأقم ريثما تنقضي هذه الأشغال وتنقشع هذه الضبابات . فنتفرغ لقضاء حقك ، ونتسع لواجب لك . ثم إن أبيت إلا الرد ، وإلا الصد ، فإني أراك قبل أن حصلت سرت ، وقبل أن حوصلت طرت . وما قابلنا حقوقك إلا بالعقوق ، والسلام .

فصل - لعلك يا سيدي لم تسمع بيتي الناصح حيث قال [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصحٍ جمع النصيحة والمقه[2]
إيّاك واحذر أن تكو ن من الثقاة على ثقه

صدق [الشاعر] والله وأجاد فللثقاة خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً ، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا . فلست بمعذور ، إن وثقت بمحذور . وهذه حال السامع من أذنه ، الواثق بعينه . وأرى فلاناً يكثر غشيانك وهو الدني دخلته ، الرديء نحلته ، السيء وصلته ، الخبيث جملته ، وقد قاسمته في أزرك ، وجعلته موضع سرك ، فأرني موضع سرك . فأرني موضع غلطك فيه ، حتى أريك موضع تلافيه . ما أبعد غلطك عن غلط إبراهيم عليه السلام ! إنه رأى كوكباً ، ورأيت تولبا[3] ، وأبصر القمر وأبصرت القدر ، وغلط في الشمس ، وغلطت في الرمس ، أظاهره غرك أم باطنه سرك ؟

---

(١) الغبّ : الزيارة فترة بعد فترة وللرسول الكريم حديث يقول : زرْ غبّاً ولا تزر خبّاً .
(٢) المقه : المحبة .
(٣) التولب : الجحش .

ومن هذا الفصل ـ وافتتح صلواتـك بلعنـه ، وإذا استعـذت من الشيطـان فاعنه .

فصل من رقعة إلى وارث مال

العزاء عن الأعزة رشد كأنه الغي ، وقد مات الميت فليحي الحي ، واشدد علـى حالك بالخمس ، فأنـت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك الشيخ وكيلك يضحك ويبكي لك ، وسيعجم الشيطان الآن عودك[1] ، فإن استنالك رماك بقوم يقولون: خير المال متلفة بين الشراب والشباب ،ومنفقة بين الحباب والأحباب . والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فإن أطعتهم فاليوم في الشراب ، وغـدا في الخـراب ، واليوم واطربـا للنـاس ، وغـدا واحرابـا من الإفلاس .

يا مولاي ، ذلك المسموع من العود ، يسميه الجاهل نقرا ، ويسميه العاقل عقرا ، وذلك الخارج من الناي هو اليوم في الآذان زمر ، وهـو غدا في الأبـواب سمر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار في هذا العمل بضاعة .

فصل [منه] ـ لله في مالك قسط للمروءة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدّر إذا قطعت ، ولأن تكون من جانب التقدير ، خيرَ لكَ من أن تكون من جانب التبذير .

فصل ـ أشار إلى ضالة الأحرار ، وهي الكرم مع اليسار ، ونبـه علـى قدر الكرام ، وهو البشر مع الإنعام ، وحدث عن برد الأكباد ، وهـو مساعـدة الزمـان للجواد ، ودل على نزهة الأبصار وهو الثرى . ومتعة الأسماع وهو الثنا . وقلّمـا اجتمعا ووجدا معاً .

---

(١) أعجم عوده : عضّه وامتحنه ليعلم صلابته من رخاوته .

فصل ـ الأمير [الفاضل الرئيس] رفيع مناط الهمة ، بعيد منال الخدمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب مخترق الجود ، [طيب معجم العود] [من المجتث] :

فلو نظمت الثريّا والشعريين قريضا
وكاهل الأرض ضرباً وشعب رضوى عروضا
وصغت للدرِّ ضداً أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه سود النوائب بيضا
[أو ادّعيت الثريا لأخمصيه حضيضا[1]
والبحر عبدٌ لهاه عند العطاء مغيضا]

لما كنت إلا في ذمة القصور وجانب التقصير . ولكني أقول الثناء منجح أنى سلك ، والسخي جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرة لائحة فلمحة دالة ، أو إن لم يكن صداء فماء[2] . أو لم يكن خمر فخل ، وإن لم يصب وابل فطل . وبذل الموجود ، غاية الجود [وبعض الحمية آخر المجهود ، وماش خير من لاش] ووجود ما قل ، خير من عدم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في الغيب ، وجهد المقل ، أحسن من عذر المخل ، وماكان أجود من لو كان ، ولأن تقطف ، خير من أن تقف . ومن لم يجد الجميم[3] ، رعى الهشيم .

فصول قصار ، وألفاظ ، وأمثال

المرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده ، جرحُ الجور ، بعيد الغور[4] نار الخفاء سريعة الانطفاء ، الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب

(١) الأخمصان : القدمان ، أو أطرافهما . والحضيض : كلّ ما سفل من الأرض .
(٢) الصداء : العطش .
(٣) الجميم : النبات الكثير المنتشر .
(٤) الغور : العمق والمدى .

السعة احتكم إلى الحجارة ، فالتقتير نصف التجارة ، غضب العاشق أقصر عمراً ، من أن ينتظر عذرا ، إن بعد الكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . الراجع في شيئه كالراجع في قيئه . المرء من ضرسه في شغل ، ومن نفسه في كل . الحبل لا يبرم إلا بالفتل، والثور لا يربى إلا للقتل ، أرخص ما يكون النفط إذا غلا ، وأسفل ما يكون الأريب إذا علا . لا تحسد الذئب على الألية يعطاها طعمة ، ولا تحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، إن للمتعة حداً ، وإن للعارية ردا[١] . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء . ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله ، الكريم عند أهل اللوم ، كالماء في فم المحموم ، وسم المبرسم في الشهد ، والشمس تقبح في العيون الرمد . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل ، كلفة الفضل متعينة ، وأرض العشرة لينة ، وطرقها بينة . إن الوالي سيعزل والراكب يستنزل النذل لا يألم العذل[٢] . المدبر يحسب النسيئة عطية[٣] ، ويعتد بها هدية . الدهر بيننا جرع ، وفيما بعد متسع ، لا ماء بعد الشط ، ولا سطح بعد الخط ، من ذا الذي لا يهاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يروضه . ود الحضر إخاء ومروة ، وود السفر وفاء وفتوة . قلت قسما إن فيه لدسما ، ليلة يضل بها القطا ، ولا يبصر فيها الوطواط الوطا، شحاذ أخاذ ، وفي الصنعة نفاذ ، وهو فيها أستاذ . فارقنا خشفاً وأتى جلفا [٤] أرب ساقه ، لا نزاع شاقه ، أبعد المشيب أخدع بالدبيب . فعل ذلك على السخط ، من القرط ، خمر في الدنيا متاعها قليل ، وفي الآخرة خمارها طويل الحرب سجال : فيوماً غنم ، ويوماً غرم . ومطل الغنى ظلم . كذب القميص لا ذنب للذيب في تلك الأكاذيب . من الكبائر طفيلي يدب ، ومن النوادر ذباب ينب[٥] ، إنما يجرب السيف على الكلب ، لا على

---

(١) العارية : ما تعطيه غيرك على أن يردّه إليك « الأمانة » .

(٢) العذل : اللوم .

(٣) النسيئة : تأخير العطية .

(٤) الخشف : ولد الغزال ، والجلف : الفظّ الغليظ الطباع .

(٥) ينب : يصيح .

القلب . إذا رضيت أن أخدم ولا أخدم ، فإن العبودية لا تعدم . الجواد لا يجزع من الآكاف[1] جزعي من المخاطبة بالكاف . ما بي المكان لولا السكان ، والله ما أرضى ولو صارت السماء أرضاً ، ولا أريد ولو قطع الوريد . لا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف . إن اللئيم لا يخلو من خلة خير ، وكذلك الكريم لا يخلو من خلة ضير . عزيز على أن لا أسعد دون الرقعة بتلك البقعة . العبث بهن الحمار ، من المخاطرات الكبار . ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو أردت لسردت وأوردت .

* * *

ملح وغرر من شعره في كل فن

أنشدني لنفسه في ابن فريغون [من المتقارب] :

ألم تر أنّي في نهضتي ... لقيت المنى والغنى والأميرا
ولما التقينا شممت التراب ... وكنت امرءاً لا أشمّ العبيرا
لقيت امرءاً ملء عين الزما ... ن يعلو سحاباً ويرسو ثبيرا[2]
لآل فريغون في المكرمات ... يدٌ أولاً واعتذار أخيرا
إذا ما حللت بمغناهمُ ... رأيت نعيماً وملكا كبيراً

وأنشدني من قصيدة في أبي عامر عدنان بن محمد الضبيّ [من الكامل] :

ليل الصبّا ونهاره سكران ... حدثان لم يعركهما حدثانُ
يا زمفرةً لي لا يكاد أزيزها ... يسع الضلوع إليك يا همذان
قسما لقد فقد العراق بي آمرءاً ... ليس تجود بردّه البلدان

(١) الآكاف : البراذع .
(٢) يعلو سحابا ويرسو ثبير : أي في علوه يكون كالسحاب ، وفي رسوّه كالجبال .

يا دهـر إنـك لا محالـة مزعجي عن خطتـي ولـكلٍّ دهـرٌ شانُ
فاعمـد براحلتـي هراة فإنها عَدْنٌ وإنّ رئيسهـا عدنان

وله من قصيدة في الأمير أبي علي أولها [من البسيط] :

علـى أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلمـاء واليلبا[1]

ومنها :

حسبي الفـلا مجلسـاً والبـوم مطربةً والسّير يسكرنـي من مسّـه تعبا
وطفلـة كقضيب البـان منعطفاً إذا مشـت وهـلالُ الشهـر منتقبا
تظـلُّ تنثـر من أجفانهـا دررا دونـي وتنظـم من أسنانهـا حببا[2]
قالـت وقـد علقـت ذيلـي تودّعني والوجـد يخنقهـا بالدمـع منسكبا
لا درَّ درُّ المعالـي لا يزال لها برقٌ يشوقـك لا هونـاً ولا كثبا
يا مشرعـاً للمنـى عذبـاً موارده بينـاه مبتسـم الأرجـاء إذ نضبا[3]
أطلعـت لي قمـراً سعـداً منازله حتـى إذا قلـت يجلـو ظلمتـي غربا
كنت الشبيبـة أبهـى ما دجـت درجت وكنـت كالـورد أذكى ما أتـى ذهبا

ومنها :

أبـى المقـام بدار الـذلّ بي كرمٌ وهمّـةٌ تصـل التـوحيد والخببا[4]
وعزمـةٌ لا تزال الدّهـر ضاربةً دون الأمير وفـوق المشتـرى طُنُبَا[5]

---

(١) القتب : الرحال ، والبيد : الصحارى ،واليلب : جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس على الرؤوس ، أو الدروع اليمانية .
(٢) الحبب : الأسنان المنضّدة المتراصفة .
(٣) المشرع : مورد الماء ، النبع ، والموارد : ورود الماء للشرب ، بيناه : أي بينا هو ، ونضب الماء : جفّ .
(٤) الوخد : نوع من الجري ، يقال : وخد الجمل : أي أسرع ورمى بقوائمه كالنعام ، والخبب : كذلك نوع من الجري فيه سرعة .
(٥) الطنب : الأعمدة .

يا سيّد الأمـراء فخـر فلا ملكٌ إلاّ تمنـاك مولـى واشتهـاك أبا
وكاد يحـكيك صوب الغيث منسكباً لو كان طلـق الحميّا يمطـر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصـد والبحـر لو عذبا

ومن أخرى في أبي القاسم بن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضّـي جفـونك يا ريا ض فقد فتنـت الحـور غمزا
واقنـي حياءك يا ريـا ح فقد كددت الغصـن هزّا[1]
وارفق بجفنـك يا غما م فقد خدشـت الـورد وخزا
خلـع الـربيع على الرّبى وربوعهـا خزّاً وبزّا
ومطارفـاً قـد نقَّشتْ فيهـا يد الأمطـار طرزا
أسـر المطـيٌّ إلـى المدا م على جنـيٍّ الـورد جمزا[2]
أو ما ترى الأقطـار قد أخـذت من الأمطـار عزّا
أو ليس عجـزاً أن يفو تك حسّهـا ؟ أو ليس عجزا
حلّـت عزاليهـا السما ء فعـادت البيداء نزّا[3]
وكأنّ أمطـار الربيـ ـع إلـى ندى كفَّيك تُعزى[4]
يا أيهـا الملك الذي بعسـاكر الآمـال يُغزى
خلقـت يداك علـى العدا سيفـاً وللعـافيـن كنزا
والمـدح طلَّـق ما عنا ك فإن عداك تجـده كزّا[5]
لا زلـت يـا كنف الأميـر لنـا مـن الأحداث حرزا

ومن أخرى [من الكامل] :

---

(١) اقني : الزمي ، وكددت : أتعبت .
(٢) الجمز : عدوٌ يقارب الإسراع ، أو الوثب السريع .
(٣) العزالي : القرب « يريد شدّة المطر » والنزّ : ما يتحلّب أو يسيل من الأرض من ماء .
(٤) تعزي : تعاد وترجع .
(٥) طلق : حرٌّ طليق . كزّا : فظاً جافياً .

خرج الأمير ومن وراء ركابِهِ غيري ، وعزٌّ عليَّ أنْ لم أخرج
أصبحت لا أدري أأدعو طغمتي أم بكتكينٌ أم أصيح ببزعج
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي[1]
يا سيد الأمراء ما لي خيمةٌ إلاّ السماء إلى ذراها ألتجي
كنفي بعيري إن ظعنتُ ، ومفرشي كمّي ، وجنح الليل مطرحُ هودجي
يا منجنون بحذف ثاني حرفه إنْ كنت فاعل ما أرى فتحرَّج

ومن أخرى في الرئيس أبي جعفر الميكالي [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأسَ فعرفُ الـ فجر قد كان يلوحُ
وهو للناس صباحٌ ولذي الرأي صبوح[2]
والذي يمرح بي في حلبة اللهو جموح
اسقينها والأماني لها عرفٌ يفوح
إن في الأيام أسرا راً بها سوف تبوح
لا يغرنَّكَ جسمٌ صادق الحسن وروح
إنّما نحن إلى الآ جال نغدو ونروح
[ويك هذا العمر تفريحٌ وهذا الروح ريح]
بينما أنت صحيح الـ جسم إذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
هكذا الدنيا فسيحوا ووقعنا لا نصيحُ
إنّما الدهر عدوٌّ ولمن أصغى نصيحُ
ولسان الدهر بالوعظ لواعيه فصيحُ
نستميح الدّهر والأيام منّا تستميح

(١) الديزج : الخيل « بالفارسية » .
(٢) الصبوح : الخمر .

ضاع ما نحميه من أنفسنا وهو يبيح
نحن لاهون وآجا ل المنى لا تستريح
يا غلام الكأس فاليأس من الناس مريح
أنا يا دهر بأبنا ئك شقٌّ وسطيحُ[1]
وبأبكار القوافي لا على كفءٍ شحيحُ
يا بني ميكال والجو د لعلاّتي مزيح
شرفاً إنّ مجال الفضل فيكم لفسيحُ
وعلى قدر الممدوح يأتيك المديح
فهناك الشرق الأر فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا هر والوجه الصبيحُ

ومن أخرى في غيره [من مجزوء الكامل] :

طرباً لقد رقَّ الظلا م ورقّ أنفاس الصّباحِ
وسرى إلى القلب العليل عليل أنفاس الرياحِ
ومليحةٍ ترنو بنر جسةٍ وتبسم عن أقاحِ
قامت وقد برد الحلـيّ تميس في ثني الوشاحِ
تشدو وكلُّ غنائها بردٌ على كبد اقتراحي
يا ليل هل لك من صبا حٍ أم لنجمك من براح[2]
سأريق ماء شبيبتي ما بين ريحانٍ وراحِ
فيم العتاب ولا لهُمْ غيِّي ولا لهُمُ صلاحي
وكعاذلاتي في المليـ ـحة عاذلاتك في السماح
وهواي للبيض الصِّبا ح هواك للبيض الصِّفاحِ

---

(١) شقٌّ وسطيح : من كهنة الجاهلية .
(٢) البراح : إسم علم للشمس .

وولــوع كفّــي بالقدا ح ولــوع كفّــك بالرماحِ
وعليك إدمــان الندى وعلــيَّ إدمــان امتداحي
فليعــلُ رأيك إنّهُ يلــوي يد القــدر المتاح
وافخــر فإنــك في الملو ك لك المعلّــى في القداح[1]

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

قسمــاً لا ذعَـرَ الشَّيــــب عن اللّهــوِ رتاعي[2]
ويمينــاً لا تمثّلــــــت له فقعــاً بقاعِ[3]
إنّمــا الدّهــر الــذي يصــــدقني حــرٌّ المصاعِ[4]
كالنــي مدا وأجــــزيه من الحلـم بصاع
واغنــم الأيام ما ألــــفيتها خضــر المراعي
لا تدعْ من لذة الــــعيش عيانـاً لسماع

ومن أخرى في السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة أطال الله بقاه [من الهزج] :

تعالــى الله ما شاء وزاد الله إيمانــي
أأفــريدون في التاج أم الإســكنـدر الثاني
أم الرجعــة قد عادت إلينــا بسـليمـان
أظلّــتْ شمس محمودٍ علــى أنجــم ســامان
وأمســى آل بهرام عبيــداً لابــن خاقان

(١) المعلى : سابع سهام القمار .
(٢) الرتاع : تتبع أماكن اللهو والشراب .
(٣) الفقع : فقع النبات أي اشتدت صفرته يريد أن يقول : إنه لن يتخلى عن حياته المنعّمة المترفة ولو كان الشيب نذير تحوّل له عنها .
(٤) المصاع : من الصاع ، وهو المكيال الذي تكال فيه الحبوب .

إذا ما ركب الفيل لحربٍ أو لميدان
رأت عيناك سلطاناً على منكب شيطان
أمن واسطة الهند إلى ساحة جرجان
ومن قاصية السِّند إلى أقصى خراسان
على مقتبل العمر وفي مفتتح الشان
لك السرج إذا شحّت على كاهل كيوان
يمين الدولة العقبى لبغداد وغمدان
وما يقعد بالمغرب عن طاعتك اثنان
إذا شئت ففي أمنٍ وفي يمنٍ وإيمان

ومن أخرى أجاب بها عن قصيدة وردت عليه [من الطويل] :

لعمر المعالي إن مطلبها سهلُ ... سوى أنها دارٌ وليس لها أهلُ
حنانيك من حرٍّ ألمَّ بمشعرٍ ... هم الشاء رسلٌ إن أدرت ولا رسلُ
فحاول أن يستلّ بالشعر ما لهم ... وذلك ما لم يفعل اليد والفعل
شكا الجدَّ والأيام إذ لم تواته ... فلم يشك إلا ما شكى الناس من قبلُ
عزاءً ففي هذا السواد لنا نخل ... وصبراً ففي هذا القطيع لنا سخل[1]
ألم تر أنّ الجود والمجد والعلى ... أمانيّ إنْ تحلم بها يجب الغسل
ألا لا يغرَّنَّك الحسين وجوده ... فترجُوَ قوماً ليس في كأسهم فضل
فما كلُّ وقتٍ مثله أنت واجدٌ ... ولا كلُّ أرضٍ للحسين بها مثل
وما كلُّ جنسٍ تحته النوع داخلٌ ... ولا كلُّ ما أبصرت من شجرٍ نخل
ولن تفعل الأقوام مثل فعاله ... ولا سائر الذبان ما تفعل النحل

ومن أرجوزة عدنانية [من الرجز] :

---

(١) السَّخل : ولد الضأن والمغزى ، للذكر والأنثى .

يا آل عصمٍ أنتُمُ أولو العِصَمْ | لم توسموا إلاّ بنيران الكرم[1]
لا ينزع الله سرابيل النعم | عنكم فلا تخطوا بها دون الأممْ
طابت مبانيكم وطبتم لا جرم | يا سادة السيف وأرباب القلمْ
تهمي سجاياكم بعقيان ودم | أنتم فصاحٌ ما خلا في لا ولم[2]
الجار والعرض لديكم في حرَمْ | والمال للآمال نهبٌ مقتسم
أنتم أسود المجد لا أسد الأجم | يا سيداً نيط له بيت القدم[3]
بالعمد الأطول والفرع الأشم | هل لك أن تعقد في بحر الشّيم
عارفةٌ تضرم ناراً في علم | ويقصر الشكر عليها قلْ نعم
أمّا وإنعامك إنّه قسم | وثغر مجدٍ عن معاليك ابتسم
إنك في الناس كبرءٍ في سقم | يا فرق ما بين الوجود والعدم
وبعد ما بين الموالي والخدم | ما أحدٌ كهاشم وإن هشم[4]
ولا آمرؤ كحاتمٍ وإن حتم | ليس الحدوث في المعالي كالقدم[5]
ولا شباب النبت فيها كالهرم | شتّان ما بين الدناني والقمم

وله من قصيدة في الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان [من مجزوء الوافر] :

لسهلٍ في العلا غررُ | فهلاًّ عندكم لمحُ
وفيه من النّدى بدعٌ | فهلاّ فيكم مُلَحُ

---

(١) العصمة : صفة من لا يقع في الخطأ أو الرذيلة . توسموا : توصفوا .
(٢) تهمي : تمطر ، وسجاياكم : طبائعكم وأخلاقكم والعِقيان : الذهب الخالص . والمعنى العام : إن سجاياكم الكرم والشجاعة والفصاحة ، وليس لِلا ، ولم في لغتكم مكان ، لأنهما يشيران إلى البخل وعدم العطاء .
(٣) الأجم : الشجر الكثير الملتف ، ونيط : عُلّق عليه الأمل مثلاً .
(٤) هشم : كسر ، أو أكرم وعظّم .
(٥) حتم : قضى وأجاب وحكم .

تضمَّــنَ أمَّــةً رجلٌ وأودع عالمــاً شبحُ
فمــن جــاراه منقطعٌ ومــن باراه مفــتضــحُ

وله من قصيدة في إسماعيل بن أحمد الدبراني وفيمن جمعه وإياهم الحبس من العمال [من المنسرح] :

قبحــاً لهــذا الزمــان ما أرَبُهْ في عمــلٍ لا يلــوح لي سببُهْ
ماذا عليه من الــكرام فما تظهــر إلا عليهــم نوَبُهْ
ألــم يجــد في سواكم سعةً ممّــن يســوّي برأســه ذنبُهْ
لا يعــرف الضيف أين منزله ولا يرى المجــد أين منقلبه
ما لي أرى الحــرّ ذاهبــاً دمُهُ ولا أرى النــذل ذاهبــاً ذهبه
أراحنــا الله منــك يا زمناً أرعــن يصطــاد صقــره خربه(١)
يا ساغبــاً جائــعَ الجــوارح لا يســكن إلاّ لفاضــلٍ سغبه
يا ضرمــاً في الأنــام متّقداً والجــود والمجــد والنهــى حطبُهْ
يا خاطبــاً ساكتــاً وليس سوى نعــي فتــىً أو فتــوةٍ خُطُبُهْ
يا صائــداً والعلى فريستُهُ وناهبــاً والجمــال منتهبُهْ
يا سادتــي لا تلنْ عظامكُمُ لعضّــةِ الدّهــر إن يهِــجْ كلبه
فالدّهــر لونــان لا يدوم على حالٍ سريعٌ بالنــاس مضطربُهْ
أتــى بشــرٍّ لم نرتقبــه ، كذا يأتــي بخيرٍ وليس نحتسبه

وله من قصيدة في أبي نصر بن أبي زيد [من الوافر] :

خلقــتُ كمــا ترى صعــب الثّقافِ أردّ يد الخليفــة في الخلاف
ولــي جســدٌ كواحــدة المثاني ولــي كبــدٌ كثالثــة الأثافي(٢)

---

(١) الأرعن : الجاهل .الخرِب : الجبان .

(٢) المثاني : من المثانة : مستقر البول وموضعه .والأثافي : حجر الموقد .

هلـمَّ إلـى نحيفِ الجسـم منّي   لتنظـر كيـف آثـار النحاف
ألـم تر أن طائشـةً لظاها   نتيجـة هذه القضـب الضعاف[1]
صحبـت الدهـر قبـل نبـات فيه   فلا تغـررْك خافية الغداف[2]
نزلـت من الزمـان ومـن بنيه   علـى غصـنين من شجـر الخلاف
ولـو شاء الزمـان قرار جأشي   لأسمعنـي نداء أخٍ مصافي
أبـا نصـرٍ نقصتُـكَ صاع قولي   وصـاع الفعـل من نعمـاك وافي
متـى يستـطيع عدّ علاك لفظي   متـى ينحـي علـى البحـر اغترافي

وله من أخرى في خلف بن أحمد [من الطويل] :

وليلٍ كذكراهُ كمعنـاهُ كاسمِهِ   كدين ابـن عبـادٍ كإدبـار فائق
شققنـا بأيدي العيس برد ظلامه   وبتنـا علـى وعـدٍ من السير صادق[3]
تزجّ بنـا الأسفـار في كلّ شاهقٍ   وترمـي بنـا الآمـال من كلِّ حالق[4]
كأنَّ مطايانـا شفـارٌ كأنّما   تمـدُّ إليهـنّ الفـلا كفُّ سارق
كأنَّ نجـوم الليل نظّـارةٌ لنا   تعجّـبُ من آمالنـا والعوائق
كأنَّ نسيم الصبـح فرصـة آيس   كأنّ سراب القيظ خجلـة واثق

ومن أخرى [من الطويل] :

سمـاء الدُّجـى ما هذه الحـدق النُّجْلُ   أصدر الدجى حالٍ وجيد الضحى عطْلُ[5]

(١) طائشةً : أي سهماً طائشاً ، أو خربةً والقضب : الشجرة امتدّت وطالت أغصانها ، فيتخذ منها القسيّ .

(٢) الغداف : الجناح الأسود والخافية من الريش التي تأتي بعد ريش مقدّم الجناح .

(٣) العيس : النوق ، وفي الديوان : « وبتنا على وعدٍ من الصبح . . . »

(٤) تزجّ : ترمي وتدفع . والمعنى أي تضطرنا الأسفار الى ركوب الصعاب وتدفعنا الآمال الى التحليق في كلِّ مكان .

(٥) النجل : الواسعة ، وجيد عطل : أي لا حليٍّ فيه .

لك الله من عزمٍ أجوب جيوبه كأنّي في أجفان عين الدجى كحْلُ
كأنّ الدّجى نقعٌ وفي الجو حومةٌ كواكبها جندٌ طوائرها رسْلُ
كأنّ مطايانا سماءٌ كأنّنا نجومٌ على أقتابها برجنا الرحل[1]
كأنّ السُّرى ساقٍ ، كأنّ الكرى طلا كأنّا لها شربٌ، كأنَّ المنى نقل
كأنّ الفلا نادٍ به الجنُّ فتيةٌ عليه الثرى فرشٌ حشيَّته الرّمل
كأنَّ أبانا أودع الملك الذي قصدناه كنزاً لم يسع ردُّه مطل[2]
ولمّا بلوناكُمْ تلونا مديحكُمْ فيا طيب ما نبلو ويا حسن ما نتلو
ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى وأيسرُ ما فيه السماحة والبذل
هو البدر إلاّ أنّه البحر زاخراً سوى أنّه الضرغام لكنه الوبل[3]
محاسن يبديها العيان كما ترى وإن نحن حدَّثنا بها دفع العقل

ومن أحاجيه قوله في فص برحشاني [من الهزج]:

أحاجيك أناجيك بما يهجسُ في صدري
بما يجمد من خمرٍ وما يخمُدُ من جمر
وما يورد معناه إذا قلت على أمري
ونجم كاد ذو الحاجـ ـة في الليل بِهِ يسري
وحرفٍ من حروف النصـ ـب لولا خفَّةُ الظهر
أجب إنْ شئت بالنظم وإنْ شئت فبالنثر

* * *

(١) الأقتاب : الرحل الصغير على ظهر البعير .
(٢) المطل : التسويف من المماطلة .
(٣) الضرغام : الأسد الشجاع ، والوبل : المطر .

الباب السادس

في ذكر أبي الفتح البستي
وسائر أهل بست وسجستان وإيراد غررهم

٦٥ ـ أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي

صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس . البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ، وقد كان يعجبني من شعره العجيب الصنعة البديع الصيغة قوله [من البسيط] :

من كلِّ معنىً يكاد الميت يفهمُهُ حُسْناً ويعبده القرطاسُ والقلمُ

ما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه . وأسأل الله بقاءه، حتى أرزق لقاءه . وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة وإن لم يتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم القدر وطلع علي بنيسابور طلوع القمر . فزاد العين على الأثر ، والاختبار على الخبر . ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنما يوحى اليه في النظم والنثر ، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعته وإياي لحمة الأدب ، التي هي أقوى من قربة النسب . فما زلت في قدماته الثلاث نيسابور بين سرور وأنس مقيم ، من حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته ، في جنة نعيم أجتني ثمر الغراب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده . ولم يكن تغبني كتبه في غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده .

ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتيور ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين رضي الله تعالى عنه وأسفرت الوقعة بينه وبين باتيور عن استمرار الكشفة بباتيور أعيت أبا الفتح صحبته ، وتخلف عنه ، ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آلته وكفايته ، ومعرفته وهدايته ، وحنكته ودرايته .

فحدثني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي قال : حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال : لما استخدمني الأمير سبكتكين وأحلني محل الثقة الأمين ، عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه ، وكان باتيور بعد حياً ، وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لموضع الثقة بي ليّا ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ، ويقرطس عرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلي من أرباب هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رآني الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسراره ، غير أن حداثة عهدي بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير بنقض ما بقي من شغله يقتضيانني أن أستأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه ، فيكون ما آتيه من هذه الخدمة أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الإحماد موقعه ، وأشار علي بناحية الرخج ، وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء ، إلى أن يأتيني الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافغ العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم ، وكنت أدلجت ذات ليلة ، وذلك في فصل الربيع ، أؤم منزلا أمامي ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات يمنة محفوفة بالخضرة . معمومة بالنور والزهر . وأمامها أرض كأنها قد فرشت ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان ، مرصع بالعقيق والعقيان . ينساب بينها أنهار

كبطون الحيات ، في صفاء ماء الحياة ، وقد فغمني من نسيم هوائها عرف المسك السحيق ، بالعنبر العتيق . فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيت إلى السلا مة في مداك فلا تجاوزْ

فقلت : هذا والله الوحي الناطق ، والفأل الصادق ، وقد تقدمت بعطف ضبني إليها(1) . وعشت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه ، وأهنأ شرب وأمراه . إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى حضرته بتبجيل وتأميل ، وترتيب وترحيل ، فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا ، فكان اختياره ذلك أحد ما استدل به ذلك الأمير على رأيه وتدبيره ورزانته ، ودرجه به إلى محله ومكانته ، وصار من بعد ينظم بأقلامه ، منشور الآثار عن حسامه ، وينسج بعباراته . وشي فتوحه ومقاماته ، وهلم جرا إلى زمان السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة .

وقد كتب له عدة فتوح ، قال في أحد كتبها : كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها ، والأرض مشرقة بنور ربها .

إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه في سنة اربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

* * *

(1) بعطف ضبني : أي بالاتجاه ناحيتها وحطّ الرحال فيها .

ما أخرج من فصوله القصار، ومن ألفاظه وأمثاله

من أصلح فاسده، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضاع أدبه . عادات السادات ، سادات العادات . من سعادة جدّك ، وقوفك عند حدّك . أفحش الإضاعة الإذاعة ، الخيبة تهتك الهيبة . الدعة رائد الضعة . من لم يكن لك نسيباً ، فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتكَ ، بعمارة ذاتك . أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً ، وعلى السلطان مدلا . حبيبك لا يعيبك . الآثار ألسنة الأقدار ، إذا بقي ما قاتك[1] ، فلا تأس على ما فاتك . الدنيا فناء الفناء . البشر عنوان الكرم ، ربما كانت الفطنة فتنة ، والمهنة محنة . من حسن أطرافه ، حسن أوصافه من تبرَّج برُّه . تأرّج ذكره[2] . من كان عبد الحق فهو حر . المراء يهدم المروءة[3] . الفهم شعاع العقل . رضي المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة فرسا رهان، والجود والشجاعة شريكا عنان ، والتواني والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . الجود وضع الموجود ، بموضع الجود . نعم الشفيع إلى عدوك عقله ، لا تغتر بصحة مزاجك في الهواء الوبيء ، ولا تغتر بقوة بصرك في الظلمة الراكدة ، إفراط التعاقل تثاقل[4] الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا تقال عثرته . حسن الأخلاق ، أنفس الأعلاق ، المرء من غرر الأيام في غرر ومن صفوها في كدر ، أفضح الفضيحة عدم القريحة ، الحلم مطية وطية لكل علو ، يوشك أن يقصر من يغلو ويسفل من يعلو . كيف القرار ، على الشرار ، المنية تضحك من الأمنية . مسلك الحزن حزن ، ضيق الصدر ، من صغر القدر . أحصن الجنّة ، لزوم السُّنّة[5] ، الرد الهائل، خير من الوعد

---

(١) إذا بقي ما قاتك : يعني القوت من أجل الحياة .

(٢) تبرّج برُّه : أي انكشف خيره للناس فنالوا منه . تأرّج ذكره : أي أصبح عاطراً .

(٣) المراء : من راءى رئاءً ومراءاةً : أي أرى الآخرين خلاف ما هم عليه .

(٤) الإفراط : الإكثار .

(٥) الجنّة : الدرع ، والسُّنّة : الشريعة .

الحائل . الخلاف غلاف الشر ، من كان رأيه صحيحاً ، لم يكن بميسور البر شحيحاً ، نعم العدة ، طول المدة ، عسى تحظى في غدك برغدك ، زمام العمل بيد الأمل ، البرايا أهداف البلايا . طلوع العقوق ، أفول الحقوق . حد العفاف ، الرضى بالكفاف، لا ضمان على الزمان ، من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك. الخرق آفة الخلق[1] . إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة ، ذو السرعة . الفلسفة فلُّ السفه[2] . لكل حادث حديث ، وربما أغنت المداراة عن المباراة . البشر نور الإيجاب ، ما كل خاطر بعاطر . البخل سوس السياسة . العفو يطمس الهفو . العقل جهبذ النقل ، التبدل تبذل . العفيف يكفيه الطفيف ، ثقل العفيف خفيف . لسان النصيح فصيح ، التصلف ترجمان التخلف ، كفى بالنهى ناهياً ، وبالهدى هادياً ، من تعطل تبطل . أدهى المصائب المعايب ، ربما تشوّر من تهور . إفراط الدماثة غثاثة ، إفراط الفخامة وخامة ، رب معبوط مغبوط[3] . إفراط التأنّي تواني . لا ضياع بين الصناعة والقناعة . الإنصاف أحسن الأوصاف . عليك بالحذر من الهذر ، ربما تكون المنية هنية . معنى المعاشرة ترك المعاشرة . ما لخرق الرقيع مرقع . ربما تكون العناية جناية . من أفرط أورط . رب مورد هو مورط ، ورب مصعد هو مهبط . قدر الأمين ثمين . من قصر أمله ظهر عمله ، التضريب زند العداوة ، الشكر جُنَّة الفارس . والصبر جنة الملابس . ظل الجفاء ، يكسف شمس الصفاء ، من لزم الأدب أمن العطب . قوتك قوَّتك . البيان علم العلم ، ليكن إقدامك توكلا ، وإحجامك تأملا . إخوان هذا الزمان خوان ، الناس عبيد الخواطر ، الغيث لا يخلو من العيث[4] . الحر نحل السكر إن أجناه المرء من برء شكدا[5] ، أجناه من سكره

---

(١) الخرق : الجهل ، والآفة : البلية .

(٢) الفلسفة فلّ السفة : أي قطع السفاهة والقضاء عليها .

(٣) المعبوط : من عبط الذبيحة أي ذبحها ، أو الموت أخذ الإنسان شاباً ، ومغبوط: من غبط غبطاً وغبطة : أي أن يتمنّى أحدٌ أن يكون حاله كحالِه .

(٤) الغيث : المطر ، والعبث : الفساد في الأشياء .   (٥) الشكد : أي الشكر والإعطاء .

شهدا . إن لم يكن لنا مطمع في درك درك ، فأعفنا من شرك شرك . لفلان طبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة ، وخيم ، وخيم ، باع فلان الباسقات . واشترى الفاسقات .

***

فصل من كتاب له عن السلطان المعظم

إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي .

من علم الأمير شمس المعالي آدام الله عزه الكريم ، فكأنما علم الغيث سجاما[1] ، والليث إقداما . وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ، ونتائج مساعيه ومعاليه . غير أن العادة جارية بهز السّيف وإن كان ماضي الغرار . وقدح الزند لانتضاء ما فيه من الأنوار .

ومساق هذا القول إلى ذكر شيخينا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي أيدهما الله تعالى ورحم أباهما فإنهما غصنا دوحة شريفة ، وفرعا نبعة صليبة ، ولكلّ منها الفضائل التي سارت أخبارها ، والمحاسن التي سألت أوضاحها . ولئن جرى منهما فيما تقدم زلل فقد يكبو الحليم ، وينبو الحسام ومن عادته التصميم ، ولو لم يكن هفو ، لما عرف عفو . والكريم إذا قدر غفر وشكر الظفر، وأنا أسأل الأمير أن يمن عليّ فيهما بما يعيد جاههما ، ويقيل عثرتهما، وينيل بغيتهما ، إن شاء الله تبارك وتعالى .

***

---

(١) السجام : الهطول .

ما أخرج من ملحه في الغزل والخمر

قال [من البسيط]:

يا يوسف الحسن ليلي بعد فرقتِكُمْ   يحكي سني يوسف طولاً وتعذيبا
والشأنُ في أنّني أُرمى مِنَ اجلكمُ   بمثل ما قد رمى إخوانك الذيبا

وله [من الكامل]:

ومهفهف غنج الشمائل أزعجت   قلبي محاسن وجهه إزعاجا
درت الطبيعة أن فاحم شعرِهِ   ليلٌ فأذكت وجنتيه سراجا

وله [من الكامل]:

قالت وقد راودتها عن قبلةٍ   اشفي بها قلباً كئيباً مغرما
لاقدِّمْ يداً من قبل أنْ تدني يداً   ومبرَّةً من قبل أنْ تدني فما
إن الغرامَ غرامةٌ فمتى تكُنْ   بيَ مُغرماً فلتحتملْ بيَ مَغرَما[1]

وله [من الكامل]:

ومهفهفٍ يسعى بكأس مدامةٍ   والكأسُ فوه والرضاب مدامُهُ
وإذا تثنّى مائساً في مشيه   فالسرو في ريح الشمال قوامه

وله [من الكامل]:

أرأيت قد قال لي بدر الدجى   لما رأى طرفي يديم سهودا
حتّام ترمقني بعيني ساهرٍ   أقصِرْ فلست حبيبك المفقودا

وله [من الرمل]:

---

(١) مُغرماً الأولى : من الغرام وهو الحبّ .
ومَغْرما الثانية : من الغرم : أي الدين والدّية ونحوهما أداها المرء عن غيره .

وغزتغـل كلّ من شبّهه بلالٍ أو ببـدرٍ ظلمهْ
قـالَ إذ قبّلـت بالوهـم فمه قد تعـدّيت وأسرفـت فمه

وله [من الخفيف]:

بأبـي من أدار من خدّيه مثـل ما قد أداره بيديهِ
قمـرٌ يقمـر العقـول بسحرٍ ما له مركزٌ سوى عينيهِ
هو أغنـى الأنـام عنّـي ولكنْ أنـا من أفقـر الأنـام إليهِ

وله [من الخفيف]:

يا غزالاً أراه ندّ وصدًّا بعـد ما كان للوصـال تصدّى[1]
بيننـا للـرقيب سدٌّ فـلا تجـمع ذي الهـوى مع السدّ صدًّا

وله [من الوافر]:

أوانٌ أنـت في هذا الأوان عن الـراح المـروّق في الأواني
تعـال إلـى الصوانـي مترعاتٍ وأبـرز نورهـن من الصواني
وفـكّ إسـار لذّاتٍ عوانٍ ببـكرٍ من كؤوسـك أو عوان[2]

وله [من الخفيف]:

ربّ يومٍ للأنس فيه فراغٌ ولـكأس السـرور فيه مساغُ
قـد فرغنـا لـه من البـثّ والشـكوى ومـا للـكؤس فيه فـراغ
عنـد حرٍ له قلائـد في الأعـــناق من جوهـر الأيادي تصاغ
بيننـا للبخـور غيمٌ وللما ورد طيشٌ وللغوالـي رداغ[3]

---

(١) ندّ : هام على وجهه وشرد ، وصدّ : امتنع وهجر . والوصال : اللقاء وتصدّى : برز وتهيأ .
(٢) العوان الأولى : الشديدة المتتالية،والعوانالثانية : من النساء المتوسطة في السنّ .
(٣) الرداغ : الوَحْل والطين .

وله [من الكامل]:

يومٌ له فضلٌ على الأيّام مزَجَ السحابُ ضياءه بظلامِ
فالبرق يخفق مثل قلبِ هائمٍ والغيم يبكي مثل طرفٍ هامي(١)
وكأنّ وجه الأرض خدٌّ متيّمٍ وصلت دموع سحابه بسجام(٢)
فاطلب ليومك أربعاً هنَّ المنى وبهنَّ تصفو لذّةُ الأيام
وجه الحبيب ، ومنظراً مستشرفاً ومغنِّياً غرداً ، وكأس مدام

وله في وصف الكتب والخط والبلاغة [من الوافر]:

كتابك سيدي جلَّى همومي وجلَّ به اغتباطي وابتهاجي(٣)
كتابٌ في سرائره سرورٌ مُناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنىً لطيفٍ ضمن لفظٍ هناك تزاوجا أيّ آزدواج
كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرت في جسم معتدل المزاج

وله [من الطويل]:

بنفسيَ من أهدى إليَّ كتابَهُ فأهدى ليَ الدنيا مع الدين في درجِ
كتابٌ معانيه خلال سطورِهِ لآلىء في درجٍ كواكب في برجِ

وله [من البسيط]:

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكت معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحواليَ السود

وله من نتفة [من البسيط]:

---

(١) الطرف الهامي : العين الدامعة .
(٢) المتيّم : العاشق ، والسجام : الدموع .
(٣) جلى همومي : أذهبها ، وجلّ اغتباطي أي ازداد وكثر .

إن سلَّ أقلامه يوماً ليعملها ... أنساك كلَّ كميٍّ هزَّ عامله[1]
وإنْ أمرَّ على رقٍ أنامله ... أقرَّ بالرق كتَّابُ الأنام لَهُ

وله [من السريع]:

لم تر عيني مثله كاتبا ... لكلِّ شيء شاء أو شاء
يبدع في الكتب وفي غيرها ... بدائعاً إن شاء إنشاء

وله [من البسيط]:

ما إن سمعت بنوّارٍ له ثمرٌ ... في الوقت يمتع سمع المرء والبصرا
حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ ... عن كلِّ لفظٍ ومعنىً يشبه الدُّررا
فكان لفظك من لألائه زهراً ... وكان معناه في أثنائه ثمرا
تسابقا فأصابا القصد في طلقٍ ... لله من ثمرٍ قد سابق الزهرا

وله [من مجزوء الكامل]:

بأبي كلامك أيها السـ ... ـحر النقيُّ من العيوبِ
يجنيك من ثمر الكلا ... م ويجتني ثمر القلوب

وله [من المتقارب]:

بأبي كلامك إنِّي نظر ... ت منه إلى صورة الفاتن[2]
كلامٌ تهشُّ إليه النفوس ... ويلقي القلوب بلا آذن
بدا بالمعاني وتهذيبها ... فأبرزها بالوجوه الحسان
وقدَّرَ ألفاظه بعد ذاك ... على ما اقتضته قدود المعاني

وله في أبي نصر بن أبي زيد [من المتقارب]:

---

(١) سلّ : شهر ، والكمي : البطل الشجاع ، والعامل : الرمح .
(٢) كذا ، صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

لـــه قلـــمٌ غربـــه لا يكلّ إذا كان حدُّ حســـامٍ يكلْ
فيوجـــز لكنـــه لا يخلّ ويطنـــب لكنـــه لا يمُلْ
وكيف يمـــلُّ وتـــوفيق منْ أفـــاد العلـــوم عليه يمِلْ

وله [من البسيط]:

كتـــاب مولاي أوفـــى بي علـــى أملِ وصـــار في كلٍّ نادٍ قبلـــة القبلِ
فقلـــت لمـــا تراءت لي محاسنُهُ وبـــرّدت بغـــوادي صوبهـــا عللي
أمّـــا المعانـــي فأجســـامٌ منعّمةٌ واللفـــظ أوشحـــةُ الديبـــاج والحلل[1]

وله [من الوافر]:

إذا أحببـــت أن تحظـــى بسحرٍ فلا تختـــرْ علـــى لفظـــي وشعري
فأحســـنُ من نظـــام الـــدرِّ نظمي وآنـــق من نثـــار الـــورد نثري

***

ومن ملحه في الفقهيات

وقوله [من الطويل]:

عليك بمطبـــوخِ النّبيذ فإنَّهُ حلالٌ إذا لم يخـــطف العقـــل والفهما
ودع قول من قد قال إنّ قليله معينٌ علـــى الإسكار فاستـــويا حكما
فليس لمـــا دون النّصـــاب قضية الـــــنّصـــاب وإن كان النصـــاب به نمّا

وله في معناه [من البسيط]:

معاشر الناس أصحوا قد نصحتُ لكم في الـــراح حكمـــاً ملحياً غير ممقوتِ

---

(١) الأوشحة : جمع وشاح ، وهو ما تتشح به المرأة .

قليلهـا مستبـاحٌ ، والـكثير حمىً كغَرْفَـةِ فردةٍ من نهـر طالوت[1]

وله من قصيدة [من الرمل] :

يا بديع الفضـل لافينـا ولكنْ في كرام النـاس خير النـاس ناسْ
أنـت عين الجـود نصّـاً وقياساً وبيان الفقـه نصٌّ وقياسْ

وله من قصيدة [من الكامل] :

زفّـت إليك لنـا عرائس أربعٍ ففضضتهـا بالسمـع وهـي قصائدُ
فابعـث إلـيّ مهورهـنّ بأسرها إنّ النـكاح بغير مهـرٍ فاسدُ

وله [من مخلع البسيط] :

تخطـب ودّي وليس كفواً لودّك المبـدع النبيه
فهـل نكاحٌ بلا نكافٍ يجـوز في مذهـب الفقيه

***

وله من الأدبيات

قال [من مجزوء الرمل] :

وبصير بمعانـي الـ شعـر والإعـراب جدّاً
قـال لي لمـا رآني طالبـاً مالاً ورفدا[2]
إن مالـي يا حبيبي لازمٌ لا يتعدى

وله [من الطويل] :

عذلـتُ ولـم أذنـبْ ولـم أك جانياً وهـذا الإنصـاف الـوزير خلافُ

---

(١) كغرفة فردة : يقصد بها الشاعر ما جاء في القرآن الكريم عند ما أعلم طالوت جنوده بأنّ الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه لا يكون من أتباعه إلاّ من اغترف غرفة واحدة .
(٢) الرفد : العطاء .

حذفت وغيري مثبتٌ في مكانِهِ   كأنّي نونُ الجمع حين يضافُ

وله [من مجزوء الخفيف] :

إن عبد العزيز شيخٌ   به يُكشف الشُّبُهْ
وترى للخليل فيه   وأقرانه شَبَهْ
وهو لا شك شاهدٌ   أنّ إبريقنا شبه[1]

وله [من السريع] :

أدرجت في أثناء نسيانكم   حتّى كأنّي ألف الوصل

ومن أخرى [من البسيط] :

أفدي الغزال الذي في النحو كلّمني   مناظراً فاجتنيت الشهد من شفتِهْ
وأورد الحجج المقبول شاهدها   محققاً ليريني فضل معرفتِهْ
ثم افترقنا على رأي رضيتُ بِهِ   والرفع من صفتي والنصب من صفتِهْ

***

ومن الطبيات والفلسفيات

قال [من الخفيف] :

لا يغرنّك أنّني ليِّنُ المسّ   فغربي إذا انتضيت حسام[2]
أنا كالورد فيه راحةُ قومٍ   ثم فيه لآخرين زكام

(١) الشبه الأولى : أي ما تشابه من العلم وحصل فيه الالتباس .
والشبه الثاني : المثيل والشبيه .
والشبه الثالث : أي أنّه من النحاس .
(٢) لين المسّ : أي لين الملمسِ ، الغرب : السهم ، وانتضى : شهَر .

وله [من المتقارب]:

وإنّـي لأختصُّ بعض الرجالِ ... وإن كان فدمـاً ثقيلاً عياما[1]
فإنّ الجبـن ـ علـى أنَّهُ ... ثقيلٌ وخيمٌ ـ يُشهّـي الطعاما[2]

وله من قصيدة [من البسيط]:

فلا تكن عجـلاً بالأمـر تطلُبُهُ ... فليس يحمـد بعـد النضـح بحران[3]

وله من نتفة [من المتقارب]:

وقـد يلبس المـرء خزّ الثياب ... ومـن دونهـا حالـة مضنيه[4]
كمـن يكتسـي خدُّهُ حمرةً ... وعلّتهـا ورمٌ في الريه

وله [من الكامل]:

إن الجهـول تضرُّنـي أخلاقُهُ ... ضرر السعـال بمـن به استسقاءُ

وله [من الكامل]:

اقبـلْ مشـورة ناصـحٍ نفّاعٍ ... وتلـقَّ ما يهـدي بسمـعٍ واعي
لا تعتمـد إلاّ رئيسـاً فاضلاً ... إنّ الـكيان أطـبُّ للأوجاع

وله [من الطويل]:

عذرتـك يا إنسـان إن كنـت مغرماً ... بعـذرٍ ومغـرىً بالتحيُّل والنكثِ[5]
وكيف ألـوم المـرء في خبـث فعله ... وأوّل شيءٍ قد غذاه دم الطمث[6]

---

(١) الفدم : الأحمق الغليظ . العيام : العيي الثقيل .
(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .
(٣) النضح : رشاش الماء ونحوه أي أنه لا ينفع الماء الكثير بعد نضح الزرع بالماء .
(٤) في وفيات ابن خلكان« حاله مضنية » .
(٥) النكث : عدم الوفاء بالعهود والمواثيق .
(٦) الطمث : الحيض .

وله [من الكامل] :

عدّل قطوبك بالبشاشة يعتدلْ | وزناهُما فيمن يذلُّ ويكرم
فالحرُّ طلقٌ ضاحكٌ ولربّما | تلقاه وهو العابس المتجهِّم
كالورد فيه عفوصةٌ ومرارةٌ | وهو الذكيّ الناضر المتبسِّم(١)

وله [من المتقارب] :

خفِ الله واطلب هدى دينِهِ | وبعدهما فاطلبِ الفلسفَهْ
لئلا يغرّك قومٌ رضوا | من الدين بالزور والفلسفه
ودعْ عنك قوماً يعيدونها | ففلسفةُ المرء فلُّ السّفَهْ

وله من النجوميات

قال [من البسيط] :

قد غضّ من أملي أني أرى عملي | أقوى من المشتري في أوّل الحملِ
وأنني زاحلٌ عمّا أحاوله | كأنّني أستدر الحظَّ من زُحلِ

وله [من البسيط] :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً | فاحكم على ملكه بالويل والحربِ
أما ترى الشمس في الميزان هابطةً | لما غدا برج نجم اللهو والطرب

وله [من البسيط] :

لا تعجبنَّ لدهرٍ ظلَّ في صببِ | أشرافُهُ . وعلا في أوجه السَّفلُ(٢)
وانقَذْ لأحكامه أنّى تقاربها | فالمشتري السعد عالٍ فوقه زحلُ

(١) العفوصة : المرارة والتقبّض يصعب معها الابتلاع .
(٢) الصبب : الإنحدار .

وله [من الوافر]:

سـلِ الله العـظيمَ تسـلْ جواداً أمنـت علـى خزائنـه النَّفادا
وإن أدنـاك سلطـانٌ لفضلٍ فلا تغفـلْ ترقبـك البعادا
فقـد تدنـي الملـوك لدى رضاها وتبعـدُ حين تحتفـد احتفادا[1]
كمـا المـريخ في التثليث يعطي وفـي التـربيع يسلـب ما أفادا

وله [من المتقارب]:

ألا فثقـوا بي فإنـي كما تمدّحـت فليمتحـن من يحِبْ
فـلا كوكبـي راجـعٌ في الوفا ولا برج قلبـي بالمنقلِبْ

وله [من المتقارب]:

لئـن كسفونـا بـلا علةٍ وفـازت قداحُهُـمُ بالظّفرْ
فقـد يكسف المـرء من دونه كمـا تكسف الشـمس جُرم القمر

وله [من الرمل]:

شرف الوعد بوعدٍ مثله مثله ما فيه زيغٌ وخلل
ودليل الصدق فيما قلتهُ شرف المريخ في بيت زحل

وله [من الكامل]:

قلْ للـذي غرَّتـهُ عزَّةُ ملكِهِ حتّـى أخـلَّ بطاعـة النصحاء
شرف الملـوك بعلمهـم وبرأيهمْ وكذاك أوج الشـمس في الجوزاء

وله من نتفة [من المتقارب]:

وقـد يفسـد المـرء بعـد الصلاح فسـاد الأمـاكن والشـرُّ يعدي

---

(١) الحفد : التسرُّع ، أو الاستخدام .

كما السعد يقبل طبع النحوس إذا كان في موضعٍ غير سعد

وله [من الرجز]:

ما أنس ظمآنَ بعذبٍ باردٍ من بعد طول العهد بالموارد
إلاّ كأنسي بكتابٍ وارد من سيد محض النجار ماجد[1]

كأنما استملاه من عطارد

وله من نتفة [من الكامل]:

طبعي كطبع المشتري ما فيه من شوبٍ فهل من مشترٍ للمشتري[2]

ومن أخرى [من الكامل] :

يا من تولّى المشتري تدبيره حاشاك أن تنقاد للمريخ

ومن أخرى [من الكامل]:

لا تفزعن من كلّ شيءٍ مُفزعٍ ما كلُّ تربيع البروج بضائرٍ[3]

ومن أخرى [من الخفيف]:

أيُّ عذرٍ أنْ صام عنه ثنائي وأنا الدّهر منه في يوم فطر
وأتمُّ الأشياء نوراً وحسناً بكر شكرٍ زُفَّت إلى صهربرٍ
ما قران السعدين في الحوت أبهى منظراً من قران برٍّ وشكر

وله [من المتقارب] :

---

(١) محض النجار : صافي الأصل .
(٢) الشوب : ما اختلط بغيره .
(٣) بضائرٍ : بمؤذٍ .

دعانـي إلـى بيتـه سيّدٌ | له الخلـق الأشـرف الأظرفُ
فلازمـت بيتـي ولاطفته | بعـذرٍ هو الألـطف الأطرف
عطـارد نجمـي ولا شك أنْ | عطـارد في بيتـه أظرف

وله [من الكامل] :

يا معشـرَ الكتـاب لا تتعرّضوا | لرياسـةٍ وتصاغـروا وتخادموا
إنّ الـكواكب كنّ في أشراقها | إلا عطـارد حين صُوِّر آدمُ

* * *

ومن ملح مدحه وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

بسيف الدولـة اتّسقـت أمورٌ | رأيناهـا مبـدَّدة النّظامِ
سمـا وحمـى بنـي سامٍ وحامٍ | فليس كمثلـه سامٍ وحامِ

وله [من البسيط] :

يا من أعـاد رميم الملك منشورا | وضـمّ بالـرأي ملـكاً كان منثورا
أنـت الأمير وإن لم تؤت منشورا | والأمـر بعـدك إن لم تؤتمـن شورى

وله من نتفة [من البسيط] :

وسائـل النـاس شتّـى عنـد سادتهم | ولـي وسائـل آدابـي وآمالي
فاسحـب لبـرِّك أذيالاً علـى أملي | أسحـبْ بشـكرك ما عُمِّـرتُ أذيالي

ومن أخرى [من الطويل] :

مدحتـك فالتامـت قلائـد لم يفُزْ | بأمثالهـا الصيد الـكرام الأعاظم
لأنـك بحـرٌ والمعانـي لآلىءٌ | فطبعـي غوّاصٌ وقولـي ناظم

وقوله [من الكامل] :

فرواؤه ملءُ العيون ، وفضله ملء القلـوب ، وسيبـه ملء اليد(١)

ومن أخرى [من الوافر] :

أقـول لمـن يعلّمـه المعالي ويذكره لذي حقٍّ ذمـاما
أراك تعلّـم الصـدر التزاماً لمـن يهـواه، والثغـر ابتساما

ومن أخرى [من المتقارب] :

رعـى الله دولـة كافـي الكفاة وبلَّغَـهُ كنـه آماله
ولا زال إقبـال هذا الزمان يقبّـل أطـراف أقبالـه(٢)

ومن أخرى [من البسيط]:

أفعالُـهُ غررٌ ، أقوالـه سورٌ أقلامـه قُضُـبٌ ، آراؤه شهب .

ومن أخرى [من المتقارب] :

كأنّ الغصـون وقـد أُثقلتْ بمـا حملـتْ من بديع الثمار
رقـاب الأنـام وقـد أصبحت مثقّلـةً بالأيادي الكبـار

ومن أخرى [من الكامل] :

لا تعظمـنّ عليك مدحـة خادمٍ إيّاك يقصـر عن مداك مديحُهُ
فالظفـر وهـو أخسُّ أجـزاء الفتى يشفـي بحـكٍّ جسمـه فيريحُهُ

ومن أخرى [من الطويل] :

فتـىً جمـع العلياء علمـاً وعفّةً وبأسـاً وجـوداً لا يفيق فواقا

---

(١) الرَّواء : الماء العذب المروي ، والرُّواء : المنظر الحسن . والسيب : العطاء .
(٢) أقباله : المرتفع من الأرض ، أو مقاصده .

كما جمع التفاح حسناً ونضرةً ورائحةً محبوبةً ومذاقا

ومن أخرى [من المتقارب] :

شكوت إلى جوده خلّتي ورقّة حالي وتقصير قسمي
ففزّع من رقة الحال قلبي وأفرغ في قالب الرقّ جسمي

ومن أخرى في الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي [من الخفيف] :

جمع الله في الأمير أبي نصرٍ خصالاً تعلو بها الأقدارُ
راحةً ثرّةً وصدراً فضاءً وذكاءً تبدو له الأسرار
خطّه روضةٌ وألفاظه الأز هار يضحكن والمعاني ثمار

وله [من الطويل] :

ولما رأيت الناس إلاّ أقلّهمْ وأطيب ما مجّوا من السكر أخبثُ
نشرتُ ثناءً عطّرَ الأفقَ طيبُهُ كذاك ثناء الحرّ ندٌّ مثلّث
وألّفتُ ألحاناً بشكرك لم يصبْ تناسبها زيرٌ ومثنى ومثلّثُ(١)

وله [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا من جودُهُ أوفى على الغيث المطير إذا همى
الغيث يعطي باكيا متجهماً ونداك يعطي ضاحكاً متبسّما

وله [من الوافر] :

سقى الله امرأً إنْ كفُّ دارت صروف زماننا ممّا يليه
فلم أر مثله حرّاً تولّى فولّى ما يليه ما يليه

وله [من مجزوء الخفيف] :

---

(١) الزِّير : الوتر الدقيق من أوتار العود .

لا يسوءنّك إن براني دهرٌ فلم يُرِشْ[1]
أنت عشْ سالماً فإنّك إنْ عشتَ أنتعشْ

وله [من الكامل] :

ملكٌ يفيض على العفاة سجاله وعلى العداة بسطوه سجّيلا[2]
وإذا حباك بغرةٍ من ماله ثنّى وأعقب غرّةً تحجيلا[3]

وله [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرِّزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدِ
وللخمر معنىً ليس في الكرم مثلُهُ وللنار نورٌ ليس يوجد للزندِ
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترف نتيجته ، والنحل يكرم للشهد

وله [من الخفيف] :

لا تظنّن بي وبرّك حيٌّ أن شكري كشكر غيري موات
أنا أرضٌ، وراحتاك سماءٌ . والأيادي وَبْلٌ ، وشكري نبات

* * *

ومن الإخوانيات

قال [من المتقارب] :

تحمّل أخاك على ما بِهِ فما في استقامته مطمعُ
وأنّى له خلقٌ واحدٌ وفيه طبائعه الأربعُ

---

(١) براني : أنحلني وأسقمني .ويرش : أي يجعل لي ريشاً ، أو يغنيني .
(٢) العفاة : المعدمين والسجال : العطاء والسّجيل : الحجارة المسوّمة من نارٍ .
(٣) حباك : وصلك وأعطاك وأعقب غرّة : وألحق لك بالخفاء عطاءً آخر .
أي أنّه يعطي علانية وسرّاً والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والتحجيل : الموافاة بالعطاء .

وله في مؤلف هذا الكتاب [من البسيط] :

قلبي مقيمٌ بنيسابور عند أخٍ ... ما مثله حين تستقري البلاد أخُ
له صحائف أخلاقٍ مهذّبةٍ ... منها الحجى والعلى والظرف تنتسخُ

وله فيه أيضاً [من الطويل] :

أخٌ لي زكيٌّ النفس والأصل والفرع ... يحلُّ محلَّ العين منِّي والسمعِ
تمسّكتُ منه إذ بلوت إخاءه ... على حالتي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقلٍ وآنس من هوىً ... وأرفق من طبعٍ وأنفع من شرع

وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إذا نسي الناس إخوانهم ... وخان المودّة خوّانُها
فعندي لإخوانيَ الغائبين ... صحائفُ ذكرك عنوانُها

وله في أبي النصر العتبي [من الهزج] :

كلامٌ لأبي النصر ... موفّى واجبُ النحل[1]
فما أدري جنى النحل ... أتاني أم جنى النخل

وكتب إلى بعض إخوانه [من المتقارب] :

لقاؤك يدني من المرتجى ... ويفتح باب الهوى المرتجِ[2]
فأسرع إلينا ولا تبطئنْ ... فإنّا صيامٌ إلى أن تجي

وكتب أيضاً [من الكامل] :

عندي فديتك سادةٌ أحرارُ ... وقلوبهم شوقاً إليك حِرارُ
وشرابنا شربُ العلوم، وروضنا ... نزه الحديث . وثقلنا الأشعار

(١) النّحل : العطاء .
(٢) المرتج : المقفل .

فامنـــن علينـــا بالبـــدار، فإنّما أعمـــار أوقـــات الســـرور قصار[1]

وله من نتفة [من البسيط] :

عرِّج علـــيَّ فمـــا في رونقـــي رنقٌ لمـن أصافـي، ولا في خلتـي خلل[2]

وله من أخرى [من البسيط] :

ولا أصالـــح أُنســـي بعـــد فرقتكم حتـــى يصافـــحَ كفُّ الـــلامس القمرا
ولا أمـــلُّ مدى الأيام ذكركُمُ حتـــى يمـــلَّ نسيمُ الروضـــة السحرا

وله [من المنسرح] :

إن لم تكنْ نيّتـــي مصوّرةً ولـــم تكن واثقـــاً بناجيتي[3]
فســـلْ ثنائـــي فإنّـــه علنٌ تشهـــدْ علـــى نيّتـــي علانيتي

وله [من الكامل] :

قل للـــذي يرجـــو ثبـــات مودتي ودوام ما أعـــطيه من إخلاصي
أيدوم إخـــلاصٌ بغير مودّةٍ كلاًّ ومُنـــزِلُ سورة الإخلاص[4]

وله [من المتقارب] :

فهمـــت كتابـــك يا سيدي فهمـــت ولا عجـــب أن أهيما
وذاك لأنّـــي تـأمـلـــتُ مـــنـــه درّاً نـــطيـمـــاً وبـــرّاً عـــظيـمـــا
وصادفتـــه صدفـــاً للعلو م ضمّـــن منهـــا البـــديع اليتيما

(١) البدار : أكياسٌ توضع فيها الدراهم .
(٢) الرّنق : الكدر .
(٣) الناجية : ما أسرّ له من عواطف قلبه .
(٤) سورة الإخلاص « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .

فكم من كواكبٍ تجلو البهيم — وكم من مشارعٍ يروين هيما[1]
وكم روضةٍ تستفيد الريا — ض منهن نوراً ونبتاً عميما
وكم قد قراني لفظاً وسيماً — عليه من الطبع حسنٌ وسيما[2]

وله [من الكامل] :

لا تحقرنّ أخاً وإن أبصرتَهُ — لك جافياً ولما تِحُبُّ منافيا
فالغصن يذبل ثم يصبح ناضراً — والماء يكدر ثم يرجع صافيا

وله [من الكامل] :

ذكّر أخاك إذا تناسى واجباً — أو عن في آرائه تقصير
فالرأي يصدأ كالحسام لعارضٍ — يطرأ عليه وصقله التذكير

وله [من الطويل] :

أتاني كتابٌ من أخٍ لي ماجدٍ — فأكرِمْ به بين المواهب وافدا
وقلت لروحي كن له من جميع ما — يخاف من الأيام أو يختشي فدا

وله [من الكامل] :

كم من أخٍ قد هدّمت أخلاقه — من آخرٍ ما قد بنى في الأوّلِ
نسي الوفاء ولست أنسى عهد ما — شاهدت منه في الزمان الأطولِ
يرمي سهاماً إن أسرَّ المقت لي — بالكيد لا يقصدن غير المقتل[3]

وله [من مخلع البسيط] :

أرقتُ حتّى كأنَّ عيني — قد وُهبت لي بلا جفونِ

---

(١) البهيم : المظلم المبهم . والمشارع : مكان مشروع المياه للشراب . والهيم : الحيوانات .
(٢) لفظاً وسيماً : أي رائعاً ، وحسنٌ وسيما : أي عليه سيماء الحسن وعلاماته .
(٣) المقت : البغض .

ففـاض في الخدمـاء عيني فحلتـه فاض من عيون
وذاك أنّ الزمـان أفضى بي من سهـولٍ إلـى حزونٍ[1]
وسامني البعـد عن أناس هم فارقونـي فأرّقوني

وله [من الخفيف] :

بأبـي من شفـى فؤاداً عليلا بكلامٍ حكى النسيم عليلا
زاد في طولـه ارتياحـاً إليه وغرامـاً به عريضـاً طويلا
كرضـاب الحبيب يروي غليلا ثم ينشـى إلـى المـزيد غليلا

وله [من المتقارب] :

فديتـك قلَّ الصـديقُ الصدوق وقـلّ الخليل الحظـيُّ الوفي
ولـي رغبـةٌ فيك إن ما وفَيتْ فهـل راغـبٌ أنـت في أنْ تفي

* * *

وله من باب الشكوى والعتاب

قال [من الطويل] :

عفـاءٌ علـى هذا الزمـان فإنَّهُ زمـانُ عقـوقٍ لا زمـان حقوقِ
وكلُّ رفيقٍ فيه غير موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيه غير صدوقِ

وله [من الطويل] :

رأيتـك تكوينـي بميسـم منّةٍ كأنّـك قد أصبحـت علّـة تكويني[2]
وتلوينـيَ الحـقّ الـذي أنـا أهله وتخـرج في أمـري إلـى كلّ تلوين

(١) الحزون : الأرض الوعرة .

(٢) المسم : المكواة أو الآلة ، أو العلامة أو يريد : إنه يكويه بجميل صلاته وأنعامه .

فمهــلاً ولا تمنــن علــيَّ فبلغةٌ من العيش تكفيني إلـى يوم تكفيني[1]

وله [من الطويل] :

ومــن عجــبٍ أنّـي لغيرك شافعٌ إليك ، وبـي فقـرٌ إلـى ألفِ شافعِ
ولـكنَّ أحـرار الزمـان وإن جفوا فشيمتهـم أن يسمحـوا بالمنافعِ

وله [من الكامل] :

يا من عقــدتُ بهِ الرجــاء فلـم يكُنْ لي منــه إرفــادٌ ولا إيناس
إن كان قد جَرَحَ المطامــع عفَّتي فوراء ذاك الجــرح جرحٌ يأسو[2]

وله [من البسيط] :

لقــاءُ أكثــر من يلقــاك أوزارُ فلا تبــال أصــدُّوا عنـك أو زاروا
لهــم لديك إذا جاءوك أوطار فإن قضوهـا تنحّـوا عنـك أو طاروا[3]
أخلاقهــم فتجنبهــنَّ أوعار ووصلهــم مأتــمٌ للمــرء أو عار

وله [من البسيط] :

لا تغبنــنَّ ولا تخدعــك بارقةٌ من ذي خداعٍ يرى بشــراً وإلطافا
فلــو قلبــت جميع النــاس قاطبةً وســرت في الأرض أوساطــاً وأطرافا
لم تلفَ فيهــا صديقــاً أبداً ولا أخـاً يبــذل الإنصــاف إن صافى

وله [من الطويل] :

أبــا قاســمٍ كم ظالــمٍ متعجرفٍ نضا لـيَ حدَّيّ سيفــه وسنانه
فسلّمنــي الله الــكريم بلطفه وصيّرنــي في لطفــه وضمانه

---

(١) البلغة : ما يكتفي به من العيش ولا يفضل .
(٢) ياسو : من آسى مواساة : أي عزاه وسلاّه .
(٣) أوطار : غايات ومقاصد .

ومنهم أبوك إنّه سلّ مصلتاً	عليّ حساميّ كيده ولسانه
فلما غلا في ظلمه وعتوّهِ	وأشبه عيراً لجّ في نزوانه[1]
صبرت على مكروهه فتكشّفتْ	عواقبه عن عزتي وهوانه
فإن تتقيه أو صبرت فإنّما	زمانك أيضاً منقضٍ كزمانه

وله [من الكامل] :

يا ذا الذي ركب الفساد وعنده	أنّى أسود إذا ركبت فسادا
أضللت رأيك عامداً أو ساهياً	من ذا الذي ركب الفساد فسادا

وله [من الطويل] :

أكتّاب بستٍ كم نناجزكُمْ على	وزارةِ بستٍ وهي سُخنة عينِ[2]
وخفُّ حنينٍ فوق ما تطلبونَهُ	فكم بينكم يا قوم حَرْبَ حنين[3]

وله [من السريع] :

لله نيسابور من حلّةٍ	ما مثلها دارٌ ولا حلَّهْ
للخير والمير بها كثرةٌ	للشرِّ والضّير بها قلّهْ
فيها كرامٌ سادةٌ أجلّة	سادوا على السادة والجلّه
ما عيبها إلاّ بعمالها	فالبخل والمنع لهم ملَّهْ
جفوا فما في طينهم للذي	يعصره من بلّةٍ بلَّهْ
فهذه أولى خطابي لهم	وبعدها ما يهتك الكلَّه

وله [من السريع] :

---

(١) العتوّ : الظلم ، والعير : البهائم .ولجَّ : أكثر وألح ، والنزوة : الشرّ والميل الى الفساد .
(٢) سخنة العين : أي لم تقرّ عينه من حزن أو حرارةٍ وألم .
(٣) خفّ حنين : مثلٌ يضربُ بمن سعى إلى شيء ولم يحصل عليه وعاد إلى دياره بالفشل والخسران .

قلت لطرف الطبع لما ونى   ولم يطع أمري ولا زجري
مالك لا تجري وأنت الذي   تحوي مدى الغايات إذ تجري
فقال لي دعني ولا تؤذني   حتى متى أجري بلا أجر

وله [من الكامل] :

للناس في محن الزمان مراتبُ   ولكلِّهِمْ فيها نصيبٌ راتبُ
وكأنَّ أوفرهم إذا استقريتهُمْ   منها نصيبا شاعرٌ أو كاتبُ
فأقلَّ عتبُك والعتابُ معاً فَلَمْ   يسعد بإعتاب الزمان معاتبُ

وله [من الهزج] :

جعلنا أجنبيينِ   بلا جرمٍ ولا تبلِ(٢)
وأقصينا خنًّا وما   وما زغنا عن العدل
فقل لي يا أخا السؤد   د والهمّة والفضلِ
إلى كم نحن في ضيقٍ   وفي عزلٍ وفي أزلِ(٣)
أما تنشط أنْ تملي   على الكاتب أنتم لي

وله [من مخلع البسيط] :

وجدت ما قد بعثت غثًّا   مستحقراً ليس بالثمين
فليت شعري قليت شعري   فكان غثًّا بلا سمين

وله [من المتقارب] :

إذا ملكٌ لم يكن ذاهبه   فدعه فدولته ذاهبه(٤)

---

(١) ونى : ضعف وانكسر والزجر : النهي بشدّة .
(٢) التبل : العداوة ، والحقد .
(٣) أزلِ : جدبٍ وضيق وحبس .
(٤) ذاهبةٍ : أي صاحب عطاء .وذاهبة : ماضية .

وله [من مجزوء الوافر] :

إلــى حتفــي مشــى قدمي　　أرى قدمــي أراق دمي
فــكم أنقــدُ من ندمٍ　　وليس بنافعــي ندمي

وله [من الوافر] :

ألــم تر ما ارتــآه أبــو عليٍّ　　وكنــت أراه ذا لبٍّ وكيْس
عصــى السلطــان فابتــدرت إليه　　جنــودٌ يقلعــون أبــا قبيس
وصيّر طوس معقلــه فأمسى　　عليه طوس أشــأم من طويس

وله [من البسيط] :

قلْ للــذي غرّه عزٌّ وساعدَهُ　　فيمــا يحاولــه نقضٌ وإمرار(1)
لا تفتخــر بغنــىً أُمــطيت كاهله　　فإن أصــلك يا فخّــار فخّار

وله [من مخلع البسيط] :

قــل للــوزير الــكريم قولاً　　يغضُّ من ناظــر الكريم
دارك لي جنــةٌ ولكن　　بوابهــا مالك الجحيم

وله [من المتقارب] :

إلــى الله أشــكو اتصــال الخطوب　　وصــرف زمــانٍ بلينــا بهِ
وقــد كان يبســم عن ثغره　　فأصبــح يكشــر عن نابهِ

وله [من مخلع البسيط]:

الدهــر خداعٌ خلوب　　وصفــوٌ بالقــذى مشوب(2)

---

(1) نقضٌ وإمرارٌ : حلٌّ وربط وفتل من نقض الحبل : حلّه ، وامرّه : فتله .
(2) ورد الصدر « الدهر خداعة خلوب » . ولا يستقيم الوزن واللغة . ومشوب : ممزوج .

وأكثـر النـاس فاعتزلهم قوالـبٌ ما لها قلوب
فلا تغرنّـك الليالي وبرقهـا الخلّـبِ الكذوب
ففـي قفـا أنسهـا كروب وفـي حشـى سلمهـا حروب

وله [من الخفيف]:

نحـن والله في زمـانٍ سفيه يصفـع النائبـات من كأس فيه
فتشـكَّلْ بشكلـه يكُ أحفى بك ، إنّ السـفيه صنو السفيه

وله [من مخلع البسيط]:

الدهـر سلـمٌ لكلّ نذلٍ لكنـه للـكريم حربُ
فارثْ لذي حكمـةٍ وإربٍ فحظـهُ غمّـةٌ وكربُ
همّتـه للسمـاك سمكٌ وخـدّه للتـراب تربُ

وله [من الوافر]:

إذا أحسسـت في لفظـي فتوراً وخطّي والبلاغـة والبيانِ
فلا ترتَـبْ بفهمي . إن رقصي علـى مقـدار إيقـاع الزمانِ[1]

وله [من الوافر]:

أراح الله قلبـي من زمانٍ محـت يده سروري بالإساءهْ
فإن حمـد الـكريم صبـاح يومٍ وأنّـي ذاك لم يحمـدْ مساءه

***

(١) ترتب : أي تشك ، والإيقاع الموسيقى والحركات .

وله من باب الذم والهجاء

قال [من السريع]:

شيخٌ لنــا يُقطعنــا عرضه ... من قبــل أن يُقطعنــا ماله
أخيَبُ خلــق الله من خالَهُ ... حراً ومــن شام صدى خالَهُ(١)
وأكثــر الفتيان بثّــاً فتىً ... يبثّــه معتفياً حاله
شيخٌ كثير المــال لكنّه ... ملَّك ما يملِكِ أقفالَهُ
وكلٌ ما عنَّ له مشــكلٌ ... وراح أن يوضــح أشكاله
يبنــي علــى الفــكرة أعماله ... وذاك في التحقيق أعمى له
فقيَّض الرحمــن أفعــى له ... تريه في الخلــوة أفعاله

وله [من الكامل]:

من مبلــغ الأشــرار عنِّــي أنّني ... ما دام لي حسٌ وعــرقٌ ينبضُ
أقليهــم طرّاً لأنّــي ضدُّهم ... والضــدُّ للضــدِّ المنافــر مبغضُ
فإذا رأونــي مقبــلاً فليعلموا ... أنّــي بوجــه الجــدِّ عنهــم معرضُ

وله [من البسيط]:

إذا اتخــذت أخــاً فاسبِــرْ خلائقه ... فإن ذا الحــزم والتــدبير من سبرا(٢)
ولا تعــول علــى شخصٍ له عم ... وصــورةٌ ذات حســن تبهــر القمرا
فكم فتــىً راق منــه ظاهــرٌ حسنٌ ... وكان باطنــه ضدّ الــذي ظهرا
أعددتــه لصــروف الدهــر مدَّخراً ... فكان في السبــك والتحقيق مدَّخرا

وله [من السريع]:

---

(١) خاله : حسبه ، وشام : تطلع ونظر . وخاله : تخيَّلهُ .
(٢) سبر : كشف .

يـا قـوم أرعونـيَ أسماعكم حتـى أؤدي واجـب الفرضِ[1]
أشهـد حقّـاً أنَّ سلطانكم ليس بظـلٍّ الله في الأرضِ

وله [من السريع]:

لـي صاحـبٌ أحمـقٌ هلباجه دعْوَتُهُ الكبـرى بلا باجه[2]
يقـري الأخلاّء . ولكنّهُ يطبـخ في خديه سكباجه

وله [من السريع]:

قلـتُ له لمّـا مضـى وانقضى لا ردّكَ الرحمـن من هالكِ
أمـا وقـد فارقتنـا فانتقلْ من ملكِ المـوت إلـى مالكِ

وله [من مجزوء الرمل]:

لـيَ جارٌ فيه حيره عرسُـهُ تلعـن أيره
خلـق الله إلـه النـاس للغيـرة غيـره

وله [من الكامل]:

فـي النـاس من تجنيسـه تجنيس أبـداً كمـا تدريسـه تدليس[3]

***

ومن باب الشيب والكبر

قال [من الخفيف]:

دع دموعـي تسيل سيلاً بدارا وضلوعـي يصـلين بالوجـد نارا[4]

---

(١) أرعوني : أعيروني .
(٢) الهلباجة : الأحمق الضخم الأكول الجامع كلّ شر . باجَهُ : صرفه ، والرجل صاح وأمرٌ باج : أي سواء .
(٣) التدليس : الإتيان في الحديث بغير الثابت المتين .
(٤) سيلاً بداراً : أي سيلاً مسرعاً والوجد : الحب الشديد .

قد أعاد الأسى نهاري ليلاً مذ أعاد المشيب ليلي نهارا

وفه [من الكامل]:

يا شيبتي دومي ولا تترحّلي وتيقّني أني بوصلك مولعُ
قد كنت أجزع من حلولك مرّةً فالآن من حذر ارتحالك أجزعُ

وله [من الخفيف]:

ما استقامت قناة رأيي إلاّ بعد ما قوّس المشيب قناتي

وله [من الطويل]:

أرى المرء يرجو أن يطول بقاؤه ليدرك ما يرجو بطول بقائِهِ
فأيّةُ جدوى في البقاء وقد وهَتْ قواه وأقوى قلبه من زكائه
إذا ما نبا حسٌّ وكلَّتْ بصيرةٌ فطول بقاء المرء طولُ شقائِهِ

***

ومن باب الأمثال والنوادر والحكم والمواعظ
وما يجري مجراها

قال [من مجزوء الرمل]:

بين من يعطي ومن يأ خذ في التقدير عرضُ
فيد المعطي سماءٌ ويد الآخذ أرضُ
وعلى الآخذ أن يشكر إنّ الشّكر فرضُ

وله [من الخفيف]:

كنت في نعمةٍ وظلٍّ رخاءِ ونسيمٍ من النعيم رخاءِ
فاتبعت الهوى وخالفت رأيي واتباع الهوى وبيءُ الهواء

وله [من الطويل]:

حبست ومن بعد الكسوف تبلُّجٌ تضيء به الآفاق للبدر والشمسِ
فلا تعتقدْ للحبس غمّاً ووحشة فأوَّلُ كون المرء في أضيق الحبس

وله [من الطويل]:

أفد طبعك المكدود بالهم راحةً تجمّ وعلِّله بشيء من المزح[1]
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكنْ بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

وله [من البسيط]:

لا تنكرنَّ إذا أهديت نحوك مِنْ علومك الغرِّ أو آدابك النتفا
فقيِّمُ الباغ قد يهدى لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا

وله [من البسيط]:

لا تحسبنِّي إذا أوليتني نعماً أني أخو وهَنٍ في الشكر أو كسلِ
فإنَّني نحلُ شكرٍ إن جنى ثمراً أجناك من قوله أحلى من العسل

وله [من الكامل]:

لا درّ درُّ نوازل الأحداث نقلتْ أحبتنا إلى الأجداثِ
فغدت مآنسنا وهنَّ مقابرٌ وغدت مدائحنا وهنَّ مراثي

وله [من الطويل]:

توقَّ خلافاً إن سمحت بموعدٍ لتسلم من هجو الورى وتعافى
فلو أثمر الصفصاف من بعد نوره وإيراقه ما لقَّبوه خلافا

وله [من البسيط]:

من شاء عيشاً رخياً يستفيدُ به في دينه ثم في دنياه إقبالا

(١) المكدود : المغلوب ، وتجمّ : ترتاح .

فلينظـرنّ إلـى من فوقـه أدباً ولينظـرنّ إلـى من دونـه مالا

وله [من الكامل]:

إن كنـت تطلـب ثروةً وغنىً فعليك بالإجمـال في الطلب
فالرِّسـل ليس يدرّ في العلب من غير إبسـاس ولا حَلَب(١)

وله [من المنسرح]:

لا تحقـر المـرء إن رأيت به دمامـةً أو رثاثـةَ الحُلل
فالنحـل شيءٌ علـى ضؤولته يشتار منه الفتى جنى العسل(٢)

وله [من المتقارب]:

إذا ما اصـطفيت آمرءاً فليكُنْ شريف النّجـار زكي الحسبْ
فنـذلُ الرجـال كنـذل النبات فلا للثمـار ولا للحطبْ

وله [من المتقارب]:

رضيتُ بعيش كفـافٍ حلالِ وبعـت المـدام بمـاءٍ زلالِ
فمـن يك يحلـو له ما يصيب حرامـاً فإنّ حلالـي حلالي

وله [من السريع]:

دعنـي فلن أخلـقِ ديباجتي ولسـت أبـدي للـورى حاجتي
علـيّ أن ألـزم بيتـي وأنْ أرضـى بمـا يحضـر من باجتي(٣)
منزلـي يحفظهـا منزلي وباجتـي تحفـظ ديباجتي

وله [من السريع]:

---

(١) الرِّسل : اللبن ،والإبسباس :الدعوة للحلب .
(٢) إشتار : يستخرج .
(٣) الباجة : أي ما يخصني .

يا أيّهـا السائـل عن مذهبي ليقتـدي فيه بمنهاجي
منهاجـيَ العـدل وقمع الهوى فهـل لمناجـيَ مِنْ هاجي

وله [من الطويل]:

يقولـون ذكر المـرء يحيا بنسله وليس له ذكرٌ إذا لم يكن نسلُ
فقلـت لهـم نسلـي بدائـع حكمتي فإن فاتنـا نسـلٌ فإنّـا بهـا نسلو[1]

وله [من الوافر]:

نصحتـك جامـل الإخـوان طرّاً علـى عذبٍ سقـوِه أو أجاجِ
ولا ترجُ الصفـاء بغير مذقٍ فلا يخلـو السـراج من السناج[2]

وله [من المتقارب]:

إذا ما هممـت بكشف الظُلَمْ وحفـظ الثغـور وسـدّ الثُّلَمْ
فعـوِّل علـى خلتين اثنتيـ ـن خُرق الحسـام ورفـق القلم[3]

وله [من البسيط]:

لا يعـدَمِ المـرء كنّـاً يستـكنُّ به ومنعـةً بين أهليه وأصحابِهْ
ومـن نأى عنهـمُ قلَّتْ مهابته كالليث يحقـر إمّـا غاب عن غابِهْ

وله [من الرجز]:

ألـذُّ من رشف رضـاب الحور ومـن رضـاع درَّةِ السّرور
والبـارد الـزلال للمخمور رشف الثنـاء من فم الشكور

وله [من الطويل]:

تأخَّـرتُ عن قومٍ ولا غرو أنّني سأسبقهـم بالجـدّ والجـدُّ معوانُ

---

(١) نسلي : عاقبتي من بعدي ، ونسلو : نصبر من السلو .
(٢) المذق : المزج ، ومذق اللبن : خلطه بالماء ، والسناج : أثر دخان السراج في الحائط .
(٣) الخرق : الغلظة ، والخشونة .

ألســت ترى العنـوان يُكتــب آخراً وأوَّلُ مقــروءٍ من الكتــب عنوانُ

وله [من الطويل]:

إذا حيوانٌ كان طعمــه ضدَّه توقّــاه كالفــأر الــذي يتّقــي الهرّا
ولا شك أن المــرء طعمــه دهره فمــا بالُــهُ يا ويحــهُ يأمــنِ الدهرا

وله [من الكامل]:

لا يستخفــنَّ الفتــى بعدوِّهِ أبــداً وإن كان العــدوُّ ضئيلا
إن القــذى يؤذي العيون قليلُهُ ولربّمــا جرح البعــوض الفيلا

وله [من الطويل]:

أحــرِّك بالتــذكير قومــاً لعلَّه يفتِّــحُ من أسماعهــم شدَّةَ الوقر(1)
وإن كان تحــريكي يشــقُّ عليهُمُ فإنّ طنين الــزير والبــمّ بالنقر(2)

وله [من الطويل]:

لقد هنت من طول المقام ومن يُقِمْ طويلاً يهــن من بعــد ما كان مكرما
وطــول جمــام المــاء في مستقرّه يغيِّره لونــاً وريحــاً ومطعما(3)

وله [من البسيط]:

لئــنْ تنقّلــت من دارٍ إلـى دار وصــرت بعــد ثواءٍ رهــن أسفارِ
فالحــرُّ حرٌّ عزيز النفس حيث ثوى والشــمس في كلِّ برجٍ ذاتُ أنوارِ

وله [من البسيط]:

إذا تحدثــت في قومٍ لتؤنسَهُمْ بمــا تحــدّث من ماضٍ ومــن آتي

---

(1) الوقر : الصّمم .
(2) الزير والبم : من أوتار العود ، والنقر : الضرب .
(3) الجمام : المكوث والراحة .

فلا تعيدُنْ حديثاً إنّ طبعهم موكّلٌ بمعاداة المعاداتِ

وله [من المتقارب] :

إذا خُذِلَ المرء من نفسه فليس له من سواهُ نصيرْ
وشرٌّ سلاحٍ يحامي به لسانٌ طويلٌ وباعٌ قصيرْ

وله [من الطويل] :

دعوني وأمري واختياري فإنّني عليمٌ بما أفري وأخلق من أمري[1]
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصطنع يداً ولم أستفد علما فما هو من عمري

وله [من السريع] :

أشفِقْ على الدرهم والعَينِ تسلم من العينة والدَّينِ[2]
فقوّة العين بإنسانها وقوّة الإنسان بالعينِ[3]

وله [من الكامل] :

يا من يرجّى أن يعيش مسلَّماً جذلانَ لا يدهى بخطبٍ يُحزنُ
أفرطت في شطط الأماني فاقتصدْ واعلمْ بأنّ من المنى ما يفتنُ
ليس الأمان من الزمان بممكنٍ ومن المحال وجود ما لا يمكنُ
معنى للزمان على الحقيقة كاسمِهِ فعلامَ ترجو أنّه لا يزمنُ[4]

وله [من المتقارب] :

وثقت بربي وفوضت أمري إليه وحسبي به من مُعينِ

---

(١) أفري : أقطع .
(٢) العين : المال والنفيس ، والعينة : الحاجة .
(٣) إنسان العَين : بُؤْبؤها .
(٤) يزمن : يمرض .

فلا تبتئس لصــروف الزمان ودعنــي فإنّ يَقينــي يقيني

***

٦٦ ـ أبو سليمان الخطابي احمد بن محمد بن إبراهيم

كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريسا وتأليفا ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تأليفه وأشهرها وأسيَرُها كتاب في غريب الحديث وهو في غاية الحسن والبلاغة .

وأنشدني غير واحد له [من الطويل]:

وما غمّةُ الإنسان في شقّةِ النّوى ولكنّها والله في عدم الشكلِ
وإني غريبٌ بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال [من الطويل]:

وليس اغترابي في سجستان أنّني عدمتُ بها الإخوانَ والدار والأهلا
ولكنّني ما لي بها من مشاكلٍ وإنّ الغريب الفرد من يُعدمِ الشكلا[١]

وأنشدني أبو الفتح قال : أنشدني أبو سليمان لنفسه [من البسيط]:

شرُّ السباع العوادي دونه وَزَرٌ والناس شرّهُمُ ما دونه وَزَرُ
كم معشرٍ سلِموا لم يؤزِهمْ سبعٌ وما نرى بشراً لم يؤذِهِ بَشَرُ

وأنشدني له أيضاً [من البسيط] :

ما دمت حيّاً فدار الناسَ كلَّهُمْ فإنّما أنت في دار المداراةِ

---

(١) المُشاكل : الشبيه .

(٢) العوادي : الضاربة ، والوَزَر : الملجأ .

من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يرى   عمّـا قليلٍ نديمـاً للنداماتِ

وله [من الوافر]:

لعمـرك ما الحياة ـ وإن حرصنا   عليهـا ـ غير ريحٍ مستعارهْ
ومـا للـريح دائمةٌ هبوبٌ   ولكن تارةً تجـري وتارهْ

وله [من البسيط]:

وقائـل ورأى من حجّتـي عجباً :   كم ذا التواري وأنت الدهـرُ محجوبُ
فقلت : حلَّت نجـومُ العمـر منـذ بدا   نجـمُ المشيب ودَيْنُ الله مطلوبُ
فلـذت من رجـلٍ بالاستتـار عن الـ   أبصـار إنّ غريم المـوت مرعوبُ

وله [من الطويل]:

تغنَّـمْ سكون الحادثـات فإنّها   وإن سكنـتْ عمّـا قليلٍ تحرّكُ
وبـادر بأيام السلامـة إنّها   رهـونٌ وهـل للرهـن عنـدك مترك

وله [من البسيط]:

قلْ للـذي ظلّ يلحانـي ويعذلني   لنائـلٍ فاتـه ، والخيرُ مأمولُ
لا تطلـب السمـن إلاّ عنـد ذي سمنٍ   نال الـولاية فالمعـزول مهزولُ

وله [من الكامل]:

قد جاء طوفـان البـلاء ولا أرى   في الأرض ويحـي للنجـاة سفينَهْ
فاصعـدْ إلـى وزر السمـاء فإن يكُنْ   يعيبك فابـك لنفسـك المسكينه(١)

---

(١) وزر السماء : الملجأ العالي والمنيع . ويعيبك : يحميك ويمنعك .

وله [من الطويل] :

تسامح ولا تستوفِ حقّك كلَّهُ وأبْقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ[1]
ولا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ كلا طرفَيْ قصدِ الأمور ذميم

وله [من مخلع البسيط] :

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صبٌّ إلى هواهُ
وإنّما منهمُ صديقي من لا يراني ولا أراهُ

وله [من الطويل] :

سلكت عقاباً في طريقي كأنّها صياصي ديوكٍ أو أكفُّ عقابِ[2]
وما ذاك إلا أنّ ذنباً أحاط بي فكان عقابي في سلوك عقابِ

وله [من البسيط] :

إذا خلوتُ صفا ذهني وعارضني خواطرٌ كطراز البرق في الظُّلمِ
وإن توالى صياحُ الناعقين على أذني عرتنيَ منه حكلة العجم[3]

٦٧ ـ أبو محمد شعبة بن عبد الملك البستي

سمعت أبا الفتح البستي يقول : لما أنشدني شعبة قوله [من المنسرح] :

فديت من زارني على حذرٍ من الأعادي وقلبه يجِبُ[4]
فلو خلعتُ الدّنيا عليه لما قضيت من حقه الذي يجِبُ

---

(١) استوفى حقه : أخذه بكامله . وأبق : أي اترك ، لم يستقصِ : أي لم ينل حقّه كاملاً ، لأنّ الكريم يتسامح بشيء من ماله .

(٢) العقاب : أي العقبات المعترضة . والصياحي : مخالب في سوق الديكة .

(٣) الحُكلة : العجمة وعدم الإبانة والإفصاح .

(٤) الوجيب : الخفقان .

استحسنته ، وأنا إذ ذاك في زمان الصبا ، فأخذت نفسي سلوك طريقته في المتشابه حتى قلت ما قلت .

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من الكامل] :

إن كنتَ أزمعتَ الفراق فلا تدعْ ... نفسي تعاجلني بوشكِ فراقِ
وأصِلْ بكتبك ميّتاً يحييه ما ... يلقاه فيها من غداة تلاقي

وأنشدني غيره له [من البسيط] :

نفسي الفداء لمن لم أخلُ مذ علقتْ ... نفسي بذكراه من حسنٍ وإحسانِ
ما إنْ تزال أياديه تواصلني ... كأنّهُ ـ وأنا أهواه ـ يهواني

وله [من الوافر] :

لكلٍّ من بني الدنيا مرادٌ ... وما لي غير وصلك من إرادَهْ
فلو شاهدت قلبي لم تجده ... تضمَّن غير حبِّك والشهاده

أخذه من قول القائل [من السريع] :

لو شُقَّ قلبي لرأوا بينَهُ ... حبّك والتوحيد في سطر[1]

وله [من الخفيف] :

ضقت ذرعاً بذلتي واغترابي ... وفراق الإخوان والأحبابِ
جاوز الدّهر حدَّهُ في اهتضامي ... وكأنّ الزمان يهوى عذابي
لاينى في حشاي مسمومُ نابٍ ... لليالي وفي فمي كأس صابِ[2]
زمنٌ جائرٌ وجَدٌّ عثورٌ ... وأسىً لازمٌ وزندٌ كابي

---

(١) في «ب» « فلو شقّ قلبي رأوا بينه » وصدره غير مستقيم فأصلحناه إلى ما ترى .
(٢) لا يني : لا يتعب ولا يفتر ، والصاب : العلقم .

٦٨ - أبو بكر النحوي البستي

له شعر كثير ، لا يحضرني الآن منه إلا قوله لأبي بكر الخوارزمي ، وكان هجاه بقوله [من مجزوء الرجز] :

نحويكُم في حمقه معرفةٌ لا نكره
ذو لحيةٍ مبسوطةٍ وفطنةٍ مختصره

وغير ذلك ، فقال [من الطويل] :

وعاوٍ عوى منأهل خوارزم خيفةً كذا الكلبُ عند الخوف مجتهداً يعوي
تعاظم فعلي أهل ودّي أن رأوا سكوتي وهجري هجو من دأبه هجوي
فقلت : اسكتوا فالهجو نجوٌ وإنّني حلفت بأن لا أغسل النّجو بالنجو(١)

* * *

٦٩ - الخليل بن أحمد السجزي

كان أحد الأئمة في فقه الحنفية ، ومن شعراء الفقهاء ، وتقلد القضاء لآل سامان بسجستان وغيرها سنين كثيرة ، وهو القائل لأبي جعفر صاحب سجستان في تهنئة بقصر بناه [من السريع] :

شيّدتَ قصراً عالياً مشرفا بطائريّ سعدٍ ومسعودِ
كأنّما يرفع بنيانَهُ جنٌّ سليمان بن داودِ
لا زلت فيه باقياً ناعماً على اختلاف البيض والسّودِ

وكان مكتوباً في صدر الإيوان الذي فيه [من البسيط] :

(١) أغسل النجو : أي الغائط ، بالنجو : بالسحاب الذي صبّ مطره .

من سرّه أن يرى الفـردوس عاجلةً فلينظـرِ اليوم في بنيان إيواني
أو سرَّه أن يرى رضـوانُ عن كثبٍ بمـلء عينيه فلينظـرْ إلـى الباني

ولما قتل أبو جعفر أمر الخليل أن يكتب تحتهما من قبله [من البسيط] :

لو كانـت الـدار فردوسـاً وساكنها رضـوانُ لم يبـلُ فيهـا جسـمُ رضوانِ
المـوت أسـرع في هذا فأهلكه والدهـر أسـرع في تخـريب إيوان

وأنشد الخليل قول التنوخي القاضي [من الطويل] :

خُذِ الفلس من كفٍّ اللئيم فإنَّهُ أعـزٌّ عليه من حشاشـة نفسِهِ
ولا تحتشـمْ ما عشـتَ من كلٍّ سفلةٍ فليس له قدرٌ بمقـدار فلسِهِ

فعارضه بقوله [من الطويل] :

صن النفس عن ذلِّ السـؤال ونحسِهِ فأحسـن أحـوال الفتـى صونُ نفسِهِ
ولا تتعـرّضْ للّئيمِ فإنَّهُ أذلُّ لديه الحـرّ من شطـر فلسِهِ

وكتب إليه أبو القاسم السجزي الذي تقدم ذكره يستفتيه [من مخلع البسيط] :

هاك سؤالاً ففيه شرقٌ هاتِ فأحضِرْ له الجوابا
هل في اصطبارٍ لذي اشتياقٍ على فراقٍ ترى ثوابا

فأجابه بهذين البيتين [من مخلع البسيط] :

أحضرتُ عن قولك الجوابا أتلـو ببرهـانـه الكتابا
الله وفّى الصبـور أجراً يفـوت في فضلـه الحسابا

وكتب إليه مرة أخرى يكنى عن القبلة [من الطويل] :

إمـام الـورى هل للفتـى في اشتيارِهِ من الأرى ما يبقّي حشاشتـه وزرُ[١] ؟

---

(١) اشتياره : استخراجه ، والارى : عسل النحل ، والحشاشة : الروح ، والوزر : الذنب .

فأجابه بهذا البيت [من الطويل] :

أرى الأرى في حكم الشريعـة شورةً   مباحاً لمن كان قد كان في ملكه الدّبْرُ(١)

* * *

٧٠ - أبو زهير بن قابوس السجزي القاضي

من شعره قوله [من الكامل] :

نظـرَتْ إلى رأسي فقالـت ما له   قد ضمّ فوديه قنـاعٌ أدكنُ
يا هذه لولا النجـوم وحسنها   لم تألف الليل البهيمَ الأعينُ
فتضاحـكت عجبـاً وقالـت يا فتى   نقصـان عقلك في قياسـك بيِّـنُ
الليل يَحْسُـنُ بالنجـوم وإنّما   ليل الشبـاب بلا نجـومٍ أحسنُ

وله [من المتقارب] :

إذا المرء لم يركب الأشقرا   ولـم يصـد الشـادن الأحورا
ولـم يتمتَّع بطيب الطعـام   ولـين اللّبـاس وقـد أيسرا
فقـد عدم الرّبـعَ من عمره   وقـد حصـد المتجـر الأخسرا

* * *

٧١ - أبو القاسم محمد بن محمد بن جبير السجزي

كاتب الأمير خلف ، والآخذ من النثر والنظم بطرفيهما ، وله شعر كثير وقع إلي بخطه فلم أستصلح منه لكتابي هذا غير مقطوعات سلك فيها طريقة أبي الفتح وضرب فيها على قالبه ، فمنها قوله [من الكامل] :

بأبـي غلامٌ لسـت غـير غلامِهِ   مذ جاد لي بسلامِـهِ وكلامِهِ

---

(١) الدبر : بفتح الدال وسكون الباء . أي النحل .

ذو حاجـبٍ ما إن رأيت كنونه أبـداً ، وصـدغ ما رأيت كلامِهِ[1]

وقوله [من الكامل] :

وحديقـةٍ صبَّحتُهـا في فتيةٍ كحديقـةٍ ، والطـير في أوكارها
كم ماجـنٍ فينـا وكم متعفّفٍ قد صار يمجـن طائعـاً أو كارها

وقوله [من المتقارب] :

أرى الدهـر ينسي ذنـوب الرجال ويذكر ذنبـي وذنبـي كمالي[2]
يرمـون شأوي ، ومـا إن لهم من الفضـل قولٌ وفعـل كمالي[3]
فأموالهـم قد تصـان كعرضي وأعراضهـمُ تستبـاح كمالْـي[4]

وقوله [من السريع] :

يا ماكراً بي وبخلاَّنِهِ مهـلاً فما المكر من المُكْرَماتْ
عليك بالصحبة فهـي التي تحيا فتحييك إذا المكرُماتْ

* * *

٧٢ ـ أبو العباس أحمد بن إسحاق الجرمقي

كاتب فيلسوف مهندس شاعر ، من كتاب الأمير خلف ، وتنقلت به الأحوال والأسفار بعده ، فوقع إلى نيسابور في عوده إلى بلاده ، ومن مشهور شعره قوله [من المتقارب] :

رحلـتُ وذاهـبٌ عقلي ورأيي لبعـدك بادٍ ودانٍ ورائي
أسـير أسـير الهـوى سادراً فعزمـي أمامـي ورأيي ورائي

(١) الصدغ : ما بين العين والأذن من الوجه .
(٢) كمالي : هو هنا « كمال » مضافاً لياء المتكلّم .
(٣) كمالي : هو هنا كاف التشبيه وما الموصولة ولام الجر وياء المتكلّم .
(٤) كمالي : هو هنا كاف التشبيه ولفظ « مال » مضافاً لياء المتكلّم .

وقوله مع الإشارة [من الوافر] :

أنـا من لسـت أعـرف لي سواه ... من الأقـوام ركنـاً أو ملاذا
أحبُّـك حبَّ صبٍّ مستهامٍ ... وفي اسـتِ أمِّ الـذي يقليك هذا

وكتب لي بإسفرائين شيئاً من شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي ، أولها [من المنسرح] :

غـيري يطـلُّ الدمـوع في الطلل ... مولهـاً بالغـزال والغزلِ
كنـت عزوفـاً عن الملاعـب في ... غدوة عمـري فكيف في الطفَلِ (١)
ولـم يكن لي من الهـوى نهلٌ ... فكيف تسمـو نفسي إلى عللِ (٢)
ولـم أقبِّل زهـواً يدي ملكٍ ... فأين لعس الشفـاه من قِبَلِي

ومنها :

يا عاذلي في قصـور حظـي قد ... ترى اجتهادي فاكفف عن العذل
إن فلَّ مالي فذاك من قبـل الـ ... أقـدار إمّـا اعتبـرت لا قبلي

ومنها :

ويلـزم اللـوم في الخصاصـة لو ... كانـت تنـال الحظـوظ بالحِيَلِ
لو كان يسمـو بفضلـه أحدٌ ... لما تأخّـرت عن مدى زحل

ومنها :

إن زال ما كنـت فيه من عملٍ ... فإنّ ما كان فيَّ لم يزلِ
وإنّنـي بعـد من معـاودة الـ ... إقبال لي آنفـاً على أمل
بيمـن جدّ الأستـاذ مولاي بشـــر ... بن علي بن يوسف بن علي

* * *

(١) الطفل : الوقت الذي يسبق الغروب .
(٢) العلل : الشراب .

٧٣ ـ أبو الحسن عمر بن أبي عمر السجزي النوقاني

أديب شاعر فقيه ، من حسنات سجستان ، وله غير رحلة واحدة إلى خراسان والعراق في طلب الأدب والعلم . وكان أقام على حضرة الصاحب برهة يستفيد من مجالسها ويقتبس من محاسنها ، وحين استأذنه لمعاودة بلده والتمس الكتاب بالوصاة به . وقع على ظهر رقعته : كنا نؤثر ـ أطال الله تعالى بقاك ! ـ أن تقيم ولا تريم ، فقد جمعت من آلات الفضل ما يقتضي اصطناعك في خواص الأصحاب : العقل صحيح الطابع ، والدين سليم الباطن ، والعلم غزير المشرع ، والطبع فياض المورد ، سلسال المكرع ، وأما الشعر فرحيب المباءة مشرق المطلع ، كثير البديع ، واسع الخط ، يترقرق فيه ماء القبول . قد صينت جزالته عن صلابة القسوة . وسلاسته عن رقة الركة ، وعمدتا الأدب النحو واللغة ، ولك في كل منهما قدح يجول ، حتى يجلب إليك أعشار الجزول ، وقد استفدت بحمد الله من علم الكلام ما يدعى كفاية المتحقق إن لم يكن مذخورة المتلهف ، ولولا ما وراءك من فرض لا يستحل صدك عن أدائه ، ثم إن لسانك رهينة عندنا على إيابك ، لطال تشبث من لدينا من إخوانك بعطفي مقامك ، ففي دعة الله وحفظه وبركته وعونه ، ومن يقرأ هذا الجواب وخطي عليه مهيمن ولفظي به شاهد يستغنى به عن لقائه بكتاب فاجعله عصرة المبين وعمدة اليقين .

ومن ملح شعره قوله [من الكامل] :

يا ويح قلبي لا يزال يروعه ممّن يعزُّ عليه وشك فراقِ
تتقاذف البلدان بي فكأنّني وُلِّيتُ أمر مساحة الآفاق

وقوله [من الطويل] :

أبت نفسيَ الدنيا فأنفس مالها كتابٌ أبى إلاّ إليه سكونها
أصون كتابي عن يدٍ لا تصونه صيانة نفسي عن أخٍ لا يصونها

وقوله [من الطويل] :

غلا الشعر في بغداد من بعد رخصهِ وإنّي في الحالين بالله واثقُ

فلست أخاف الضيق والله واسعٌ غناه ، ولا الحرمان والله رازقُ

وقوله [من السريع] :

الفقر والإفلاس والضرُّ ثلاثةٌ أيسرها مرُّ
أحسن بالحرِّ على قبحها من جِدَةٍ ذُلَّ لها الحرُّ

وقوله [من المجتث] :

إذا بخلتُ ببري ولم أنلْ منك رفدا
فأنت مثلي عبدٌ وفيم أخدم عبدا

وقوله [من مخلع البسيط] :

إن الدماميل برَّحت بي وأقعدتني عن التحرُّكْ(١)
أزحف مهما أردت مشياً وإن أردت القعود أبركْ

وقوله [من المتقارب] :

وإني لأعرف كيف الحقوق وكيف يبرُّ الصديقُ الصديقْ
ورحبُ فؤاد الفتى محنةٌ عليه إذا كان في المال ضيقْ

وقوله من نتفة [من الوافر] :

يعزّ عليَّ إنفاقي شبابي على حرقِ الهوى والإغترابِ
ولاح بعارضي كافور شيبٍ يكابرني على مسك الشبابِ

وقوله [من الطويل] :

لعمرك إن العمر ما لا يسرّني لموتٍ . وبعض الموت خيرٌ من العمرِ
وإنّ غنىً لا يأمن الفقر ربُّهُ لفقرٍ. وخوف الفقر شرٌّ من الفقرِ

وله من قصيدة في الأمير خلف [من الوافر] :

لك الدنيا ومن فيها ولكنْ تلاحظها بعينيكَ احتقارا
تكبَّرَ ذا الزمان على بنيهِ فعشْ حتى تعلِّمه الصغارا(٢)

---

(١) الدّماميل : جمع دمَّل ، وبرّحت : آلمت . (٢) الصَّغار : الضعة والاحتقار .

وصـــار صغارهـــم فيه كباراً فدم حتـــى تردَّهـــم صِغارا
خدمـــت لك الملـــوك أروضُ نفسي لآمـــن تحـــت خدمتـــك العثارا[1]
ولـــو كانـــت لك الـــدنيا جعلنا لك الـــدنيا ومـــا فيهـــا نثارا[2]

* * *

(١) العثار : السقوط والزّلل .
(٢) النثار : ما ينثر في العرس من الدراهم وغيره .

الباب السابع

في تفاريق من ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور وغررهم

٧٤ ـ أبو القاسم الداودي

هو اليوم صدر أهل الفضل ، وفرد أعيان الأدب والعلم بهراة ، يضرب في المحاسن بالقدح المعلى ، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، وأخباره في الكرم مذكورة ، ومآثره في الرياسة مأثورة .

وهو القائل وكتب به إلى صديق له من الغرباء أنفذ إليه مبرة [من الخفيف] :

ربّما قصَّر الصديقُ المقلُّ عن حقوقٍ بهنَّ لا يستقِلُّ
ولئنْ قلَّ نائلٌ فصفاءٌ في ودادٍ ومنَّةٌ لا تقِلُّ
أرخِ ستراً على حقارة برّي هتكُ ستر الصديق ليس يحِلُّ

وأنشدني يحيى بن علي البخاري لأبي القاسم [من الكامل] :

قالوا ترفَّقْ في الأمور فإنّه يجدي ويمري الدرُّ بالإبساس(١)
ولقد رفقت فما حظيت بطائلٍ ما ينفع الإبساس بالأتياس

وأنشدني غيره له ، ويجوز أن يكون تمثل به [من الكامل] :

وإذا الذئاب استنعجت لك مرَّةً فحذار منها أن تعود ذئابا

(١) يمري الدرّ بالاساس : أس أن استخراج اللبن باللين والملاطفة .

فالذئب أخبث ما يكون إذا بدا   متلبِّساً بين النعاج إهابا[1]

* * *

٧٥ - أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى الداودي الهروي الفقيه

أنشدني له أبو سعد نصر بن يعقوب في التفاح المنقط [من الخفيف] :

ناولتني تفّاحةً وسمتها   دائراتٍ بحسن نقطٍ عجيبِ[2]
كدموعي ممزوجةً بدماءٍ   قاطراتٍ في صحن خدٍّ حبيبي

وله في السفرجل [من المتقارب] :

غصون السفرجل ملتفَّةٌ   فمعتدل القدِّ أو منثنى
وقد لاح في زئبرٍ شاملٍ   كصفراء في معجرٍ أدكن[3]

وله [من الوافر] :

أما شاقتك روضةٍ دستجرد   كعقدٍ أو كوشي أو كبردِ
تطير فراشها بيضاً وحمراً   كريحٍ طيَّرت أوراق وردِ

* * *

٧٦ - أبو الحسن المزني

هو أشهر بالشرف والمجد ، وذكره أسير في الأدب والفضل ، من أن ينبه على محله في الوجاهة والسيادة والرياسة والوزارة ، وله شعر كثير لم يعلق بحفظي منه إلا بيت واحد قاله في الأمير أبي الحسن بن سيمجور ، وهو هذا البيت [من الطويل] :

(١) الإهاب : الجلِدْ .
(٢) وسمتها : علَّمتها وعضّتها .
(٣) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد من وبر أو نحوه . والمعجر : ثوب تشدّه المرأة على رأسها . والأدكن : المائل الى السّواد .

ولـم أر ظلماً مثـل ظلـمٍ يمسُّنا   يُسـاءُ إلينـا ثم نؤخـذ بالشكرِ

* * *

٧٧ ـ أبو سعد أحمد بن محمد بن ملة الهروي

أحد بلغاء خراسان المذكورين ، وفضلائها المشهورين ، وعقلائها الموصوفين ، وكان في آخر عمره مرتبطاً بالحضرة السامانية في جملة المشايخ الذين يشاورون في الأمور ويستضاء بآرائهم في ظلم الخطوب ، وكان متبحراً في النثر ، مقلاً من قول الشعر ، وهو القائل [من المتقارب] :

وكان الصـديقُ يزور الصديقَ   لشرب المدامِ وعـزفِ القيانْ
فصـار الصـديق يزور الصديق   لبـثٍّ الهمـوم وشـكوى الزمانْ

وله في نفسه [من الطويل] :

له همـمٌ ما إن تزال سيوفها   قواطـعُ لو كانـت لهـنَّ مقاطعُ

* * *

٧٨ ـ أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي

فاضل بحقه وصدقه ، كاتب شاعر فقيه ملء ثوبه ، ممدوح بألسنة الفضلاء من أهل عصره ، وفيه يقول أبو الفتح [من الوافر] :

أبو روحٍ أدام الله عزَّه   ألذُّ إذا انبرى للخصم عزَّه
وذاك لأنـه هجـر الملاهي   فصـار كثيِّراً والعلـم عَزَّه[١]

وله أيضاً [من الخفيف] :

---

(١) كثيِّر : أحد الشعراء المعروفين بالعشق والنسيب ، وعزّة : حبيبته التي عرف بها وتغزّل فيها .

قل لذي العزّ والمحل النبيه ... لأبي روحٍ الفقيه الوجيه
من دعاه إخوانه فتباطى ... لا لعذرٍ عنهم ففيه وفيه

وولى قضاء عدة من بلاد خراسان ، وشعره كثير مدون ، يجمع الجزالة والسهولة ، والمتانة والعذوبة ، ويخرج منه الفقر والغرر ، كقوله من قصيدة [من الكامل] :

السيف يعلم أنّ لي في حدِّهِ ... سرًّا نهاه الدهر عن إفشائه
والدهر يعلم أن لي في صدره ... ناراً مضرَّمةً على أحشائه
همٌ مؤرِّقةٌ جفوني كلّما ... أرخى الظلام عليَّ ذيل خبائه[1]
ولو ان أطراف الرماح وفين لي ... لأخذت حقَّ الدهر من أبنائه
همم النفوس منوطةٌ بعنائها ... والمرء يخدعه لسانُ رجائه

وقوله ولم يسبق إليه في مدح الطفيلي [من السريع] :

إنّ الطفيلي له حرمةٌ ... زادت على حرمةِ ندماني
لأنّه جاء ولم أدعهُ ... مبتدئاً منه بإحسان
مائدتي للناس مبسوطةٌ ... فليأتها القاصي مع الداني
أحببْ بمن أنساه لا عن قلىً ... وهو يجيني ليس ينساني

وقوله وهو في نهاية الملاحة [من الكامل] :

يا مَنْ تذكِّرني شمائله ... ريحَ الشمال تنفَّست سحرا
وإذا امتطى قلماً أنامله ... سَحَرَ العيون به وما سحرا

وقوله لبعض أضداده [من الهزج] :

حقيقٌ بك أن تُطعم ... عفصاً وهو معكوس

(١) وقع هذا البيت في « ب » متأخراً في الترتيب عن البيت الذي بعده .

وأن يلبس جنبـاك الـــذي مقلوبـه طوس
فهــذا لك مطعوم وهــذا لك ملبوس

***

٧٩ - منصور بن الحاكم أبي منصور الهروي

قد حسن الله شمائله ، وكثر فضائلـه ، فهـو من أعيان هراة ، وآحادهـا ، ومفاخرها وأفرادها ، وشعره مدون كثير الملح ، كقوله [من مجزوء الخفيف] :

يـوم دجـنٍ هواؤه فاختـيٌّ رواؤه[1]
مطرتهـا مسـرّةً حين صابـت سماؤه
أشبـه المـاء راحةً وحـكى الـراح ماؤه[2]
داوِ بالقهـوة الخمار ففيهـا دواؤه
لا تَعاتـب زمـاننا إن عرانـا جفاؤه
شـدَّةُ الدّهـر تنقضي ثـم يأتـي رخاؤه
كدر العيش للفتى يقتفيـه صفـاؤه
وكذا المـاء يسبـق الـصفو منـه جفاؤه

وقوله [من الوافر] :

معتّقــةٌ أرقُّ من التصابي ومــن وصــلٍ أتــى بعــد التنائي
يطــوف بهــا قضيبٌ في كثيبٍ تطلّــع فوقــه بدر السماء[3]

(١) يوم دجن : يوم مظلمٌ بالسحاب الممطر. فاختيٌّ رواؤه : أي رواؤه مباح أو أنه يسمـع لمطره وهوائـه صويت .
(٢) الراح : الخمرة .
(٣) القضيب : الرشيق القد ، والكتيب : ما علا من الرمل .

لواحظه تبثُّ السحر فينا … وفي شفتيه أسباب الشفاء

وله [من الكامل] :

قرن الزمان إلى البنفسج نرجساً … متبرّجاً في حلّةِ الإعجابِ
كخدود عشّاقٍ بدت ملطومةً … نظرتْ إليها أعين الأحبابِ

وله [من الوافر] :

وأغيد ساحرِ الألحاظِ أدعجْ … يتيه به على الخدِّ المضرَّجْ[1]
أضاف إلى فؤادي السقم لمّا … أضاف إلى شقائقهِ البنفسجْ

وله [من الكامل] :

قم يا غلام فهاتها حمراءَ … كالنار يورث شربها السراءَ
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا … من ثلجه ديباجةً بيضاءَ

وله [من البسيط] :

خشفٌ من الترك مثلُ البدر طلعتُهُ … تحوز ضدَّين من ليلٍ وإضاحِ
كأنَّ عينيه والتفتير كحلُهُما … آثار ظفرٍ بدت في صحن تفاحِ

وله [من الكامل] :

الله جار عصابةٍ رحلوا … عنّي وقلب الصبِّ عندهُمُ
ما الشأن ويلك في رحيلهم … الشأن أنّي عشت بعدهُمُ

وقوله في المرآة [من الرجز] :

زاهيةٌ تشبه كلّ صوره … أسرارها مستورةٌ مشهورهْ
تنمُّ إلاَّ أنَّها معذوره … نفس أخي الحُسنِ بها مسرورهْ

---

(١) الدعج : السعة في العين مع شدّة البياض والسواد . والمضرّج : المصبوغ بالحمرة الدموية .

وله [من الخفيف]:

روضـةٌ غضّـةٌ علاهـا ضبابُ   قد تجلّـت خلالهـا الأنوار
فهـي تحـكي مجامـراً مُذكياتٍ   قد علاهـا من البخـور بخارُ

وله [من الوافر]:

أبـا عبـد الإلـه العلـم روحٌ   وجدتـك دون كلٍّ النـاس شخصَهْ
لذلك كلٌّ أهـل الفضـل أمسوا   كحلقـة خاتـمٍ وغـدوت فصَّهْ

وله [من الرجز]:

وشـادنٍ في الحسـن فوق المثلْ   أبصـر منّـي بوجـوه العمل
قبّلـت كفّيهِ فقـال انتقلْ   إلـى فمـي فهـو محـلٌّ القبل

وله [من الوافر]:

بقيتَ مدى الزمـان أبـا عليٍّ   رفيع الشـأن ذا جدٍّ عليٍّ
فأنـت من المـكارم والمعالي   بمنزلـة الوصـيِّ من النبيِّ

وله [من البسيط]:

يا أيُّها العاذل المردود حجتُّهُ   أقصرْ فعذريَ قد أبدته طلعتُهُ
ماذا بقلبـيَ من بدرٍ بُليتُ بهِ   للّيث أخلاقـه ، والخشفِ خِلقتُهُ

***

٨٠ - أبو أحمد الساوي الهروي

قال [من السريع]:

هـراة ارضٌ خصبهـا واسع   ونبتهـا اللُّفـاح والنرجس

مــا أحــدٌ منهــا إلــى غيرها يخــرج إلا بعــد ما يفلس

***

٨١ - أبو الربيع البلخي

من المتصرفين على أعمال المظالم من الحضرة السامانية ، وهو القائل في الشاش [من المجتث] :

الشــاش في الصيف جنَّةْ ومــن أذى الحــر جُنه[١]
لكنّــه يعتريني بهــا لدى البــرد جِنَّه

وله [من مجزوء الكامل] :

مــا يوم منــكوبٍ حزيــــــنٍ مستهام القلــبِ خائفْ
بــأمــدًّ مــن يــومِ الــظّــريــف إذا تَجوَّع للقطائــفْ

وإنما نسج فيه على منوال من قال [من مجزوء الكامل] :

مــا ليلــةُ المهجــورٌ با عدت النّــوى عنــه أنيسَهْ
أو ليلــة الملســوع حا ذر ميتــة النفس النفيسه
بأمــدًّ من ليل الظريــــف إذا تجــوّع للهريسه

***

٨٢ - أبو المظفر البلخي

من شعره قوله [من الطويل] :

بلوتــك يا دنيا مراراً كثيرةً فلــم تُرَعيني فــي هواك قريره

---

(١) جنّة الأولى : من الجنّة أي الظلال الوارفة وجُنّة الثانية : أي السرّ والـدرع . وجنـة الثالثـة : من الجنون .

فإن كنـتِ في عين اللئيم خطيرةً فإنّـك في عين الـكريم حقيره
وإن تصرفـي عنّـي أذاك فخيرةٌ وإن تصرفـي نحـوي أذاك فحيره

وله [من مجزوء الكامل]:

قـال الحكيم الفارســيّ بزرجمهر ثمّ مزدكْ
لا ترضينّ مـن الصديـق بكيف أنـت ومرحباً بِكْ
حتّى تجرِّبَ مـا لديـه لحاجةٍ إمّا بدت لَكْ
فـإذا وجـدت فعاله كمقالـه فبـه تمسَّكْ

***

٨٣ - أبو بكر بن الوليد البلخي

من شعره قوله [من مخلع البسيط]:

ثلاثـةٌ فقدهـا كبيرُ الخبـزُ واللحـم والشعيرُ
والبيت من كلِّهـا خلاءٌ فَجِـدْ بهـا أيُّهـا الأمير

وله من نتفة [من مجزوء الرمل]:

أحسـنَ الأشعـار عندي «وآنف بالخمـر الخمارا»
وألـذُّ الآي عندي (وتـرى النـاس سكارى)

وله [من الخفيف]:

خلّةٌ في منْ خلالِ الحمير لم يطـبْ ليَ شربٌ بغير صفير

وله [من البسيط]:

ما سمَّـتِ العجـم الهميان هميانا إلاّ لإجـلال ضيفـٍ كان من كانا[1]

(١) ورد عجز البيت : إلى لإجلال ضيفـٍ كان من كانا » ولا يستقيم المعنى والوزن .

فالمــةُ أكبرهــم ، والمــان منزلهم، والضيف سيّدهــم ما لازم المانا[1]

***

٨٤ ـ الحسن الضرير المروروزي

في غلام نصراني [من المتقارب]:

ومــا أنس لا أنس ظبــيَ الكناسِ يريد الكنيســة من دارهِ
يحــوط بزنــاره خصرهُ ومرعــى الجمــال بأزرارهِ
فيا حسن ما فوق أزراره ويا طيب ما تحــت زنّاره

***

٨٥ ـ أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الفقيه الطوسي

افتتن بغلام من الشطار فقال فيه [من الطويل]:

أتوعدنــي بالقتــل والقتــل راحتي فلا تخلف الإيعــاد خلفــك ميعادي

وقال في غلام أعطاه كتاب العين [من الوافر]:

كتــابُ العين ظلَّ يقــرُّ عيني ويصلــحُ بين من أهــوى وبيني
كتــاب العين قوّادٌ لطيفٌ يحــلُّ إليك عصــم التفلتين[2]

***

(١) المة : الرفق ، والمان : المؤونة والقوت ،

(٢) القوّاد : سمسار المرأة البغيّ . والعصم : المنع . والتفلتين : الشفتيْن ، فهما ممرّ الريق والبصاق .

٨٦ ـ أبو محمد الطوسي

قال [من مخلع البسيط]:

أبـوك في النـاس سلَّ سيفا بمضـربيه يفـلُّ صفًّا
وذلك الصفُّ كان غزلاً وذلك السيف كان خفًّا

***

٨٧ - أبو سهل المعقلي الطوسي

قال [من المجتث] :

يا دولـةً ليس فيها من المعالـي شظيَّهْ
زولـي فمـا أنـت إلاّ علـى الـكرام بليه

***

٨٨ ـ أبو نصر الروزبازي [الفقيه الطوسي]

من شعره قوله [من مجزوء الرمل]:

لـي خمسـون صديقاً بين قاضٍ وشريفْ
وأميرٍ ووزيرٍ وفقيهٍ وظريفْ
فـإذا احتجـت إليهم لم يفـوا لي برغيف

الباب الثامن

٨٩ - في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

وإيراد محاسن من نثره ونظمه

* وما محاسن شيء كله حسن *

القول في آل ميكال وقدم بيتهم ، وشرف أصلهم ، وتقدم أقدامهم ، وكرم أسلافهم وأطرافهم ، وجمعهم بين أول المجد وأخيره ، وقديم الفضل وحديثه وتليد الأدب وطريفه ، يستغرق الكتب ، ويملأ الأدراج ، ويحفي الأقلام ، وما ظنك بقوم مدحهم البحتري ، وخدمهم الدريدي وألف لهم كتاب الجمهرة وسير فيهم المقصورة التي لا يبليها الجديدان ، وانخرط في سلكهم أبو بكر الخوارزمي وغيره من أعيان الفضل وأفراد الدهر ، وكان كل من الشيخ أبي العباس إسماعيل بن عبد الله وابنيه الرئيس أبي محمد عبد الله والأمير أبي القاسم على أمة على حدة ، وعالماً في شخص واحد ، وما منهم إلا من يضرب به المثل في الشرف ، والأمير أبو نصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد وغرة الأكارم وعمدة الأفاضل وواحد خراسان ومفخرتها وجمالها وزينتها ، ومن لا نظير له في شرف النفس وبعد الهمة ورفعة الشأن وتكامل آلات السيادة . والأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد يزيد على الأسلاف والأخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم

الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم ، ويتفرد عنهم بمزية الأدب الذي هو ابن بجدته[1] وأبو عذرته وأخو جملته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة ، وكأنما أوحى بالتوفيق والتسديد إلى قلبه . وحبست الفقر والغرر بين طبعه وفكره ، فهو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابي بدل ، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا ، وأوردوا إلى الدنيا بعد ما انقرضوا . وهؤلاء أمراء الأدباء ، وملوك الشعراء ، وقد أنصف من وصف بلاغته في النثر وبراعته في النظم حيث قال من قصيدة [من الكامل] :

يا من كساه اللهُ أرديةَ العلى … وحباهُ عطر ثنائها المتضوِّعِ[2]
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه المسعود قلت لمقلتي فيها ارتعي
وإذا قريت الأذن شهد كلامه … قلت اسمعي وتمتعي وارعي وعي[3]
وكأنّما يوحى إلى خطراته … في مطلعٍ أو مخلصٍ أو مقطع[4]
لك في المحاسن معجزاتٌ جمّةٌ … أبدا لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحرٌ في البلاغة شابَهُ … شعرُ الوليد وحسن حفظ الأصمعي
وترسُّلُ الصابي يزين علوّه … خطُّ ابن مقلة ذي المحلِّ الأرفع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى … وافى الكريم بُعَيْدَ فقر مدقع
وإذا تفتّق نور شعرك ناضراً … فالحسن بين مرصّعٍ ومضرَّع[5]
أرجلت فرسان القريض ورضت أفـ … راس البديع وأنت أفرس مبدع

(١) بجدته : أهله ، والعالم المتقن له .
(٢) الأردية : جمع رداء وهو الثوب أو يرتديه الانسان . المتضوّع : الذي يفوح بالعطر .
(٣) قريت الأذن : من القرى : أي اسمعتها أجمل كلامه .
(٤) خطراته : أي ما يخطر في باله من أمر .
(٥) المضرّع : أي ذليلٌ وخاضع .

ونقشــت في فَصِّ الزمــان بدائعاً تزري بآثــار الــربيع الممرع
وحــويت ما تكنــى به طراً فلم تتــرك لغيرك فيه بعض المطمع[1]

وقال من أخرى [من الكامل]:

يا من له كلّ الــذي يكنــى به ومفــرّق العليا لديه مؤلّفُ[2]
غنَّتْ بســؤددك الحمــام الهتَّفُ وحــكت أنــاملك الغيوم الوكَّفُ[3]
وتصرّفــت بك في المــكارم والعلى همــمٌ علــى قمــم النجــوم تصرّفُ
وملــكت أحــرار الــكلام كأنّها خدمٌ وغلمــانٌ لأمــرك وُقّفُ
وكأنّمــا نَوْرُ الــربيع وزهره من وشي خطك في المهارق أحرف[4]

وقال [من السريع]:

إنــي أرى ألفاظــك الغرّا عطّلــت الياقــوت والدرّا
لك الــكلام الحــرّ يا من غدا معروفــه يستعبــد الحرّا

وقال [من المنسرح]:

سبحــان ربــي تبــارك الله ما أشبــه بعض الــكلام بالعسلِ
والمسكِ والسحــرِ والرقى وابنــه الــكــرم وحِلْــي الحســان والحللِ
مثــل كلام الأمير سيدنــا نثراً ونظمــا يسيــر كــالمثلِ

وقال من أخرى [من مجزوء الرجز]:

يا كعبــة المعالي وقبلــة الآمال
وغــرّة الجمالِ وصــورة الكمال
وطالــع الإقبال وعــارض الإفضال

---

(١) و(٢) : أراد بما تكنّى به : الفضل ، لأن كنيته أبو الفضل .
(٣) الوكّف : المطرة السائلة .
(٤) الوشي : الزخرفة والاتقان. والمهارق : الصحف البيضاء .

وآفة الأموال بدر بني ميكال
كم لك من مقال أصفى من الزلال
أحلى من السلسال أبهى من اللآلي
أزكى من الغوالي أمضى من العوالي
أقضى من النصال أضوا من الهلال[1]
أسرى من الخيال أبقى من الجبال
فاسلم على الليالي ودم بخير حال

وقد أوردت في هذا الباب من فصوص فصوله التي أخرجها من رسائله وبوبها في كتاب له وسمه بالمخزون ما يؤرخ به محاسن الكلام ، ويزيد في مفاخر الأقلام ، ويستحق أن يدعي لفظ الدر ، وخدع الدهر، وعقد السحر ، وأتبعته من غرر شعره ، وثمار فكره ، بما تجمع منه اليد على البازي الأبيض والحجر الأسود والكبريت الأحمر ، والعيش الأخضر ، وملك بني الأصفر.

فصول من باب وصف الكتب بالحسن والبلاغة ولطف المواقع

من الكتاب المخزون المستخرج من رسائله

فصل ـ إنه ألقي إليّ كتاب كريم ، عنوانه غنم جسيم ، وعيانه فضل عميم ، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إعناقاً ، والتف عليه عناقا .

فصل ـ وصل كتابه فأدركت به بغية الحريص ، وخلتني يعقوب وقد بشر بالقميص .

(١) أضوا : أراد أضوأ فسهل الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها وذلك للضرورة الشعرية .

فصل ـ كتابه تعلة الرجاء. وقوت النفس . وعلة النشاط ، وقوة الأنس .

فصل ـ كتابه أوصل الأنس إلى سواد القلب وصميمه ، وأماط الوجد وقد ألح في تصميمه .

فصل ـ أنا أولى بالحمد وقد لحظت مواقع أنامله ، وشمت بوارق فضائله ، من راعى القفر وقد رأى القطر سكبا ، بعد سنين تتابعت جدبا .

فأصاخ يرجو أن يكون حيّا ويقول من فرح هيّا ريّا

فصل ـ الحمد لله ملء القلوب والضمائر ، وفوق وسع الحامد الشاكر ، إذ أقبلت غمامة من ناحيتك برقها خلق كريم ، وقطرها بر عميم ، فروت روض الأنس وقد اكتسى ذبولاً ، وأهدى إليه من نسيم عهده صبا وقبولا ، حتى انجلت عنه غبرته ، وعادت إليه نضرته .

فصل ـ كتابك تميمة فضل ، وثمينة عقد ، ولطيمة خلق ، ويتيمة مجد ، وغنيمة بر .

فصل ـ كتابك يجلو صفحة العهد[1] ، ويجيل قداح الأنس[2] ، ويجل عن قدر الشكر.

فصل ـ نشرت من كتابك عصب اليمن[3] . ونظرت منه إلى الطالع الأسعد والطائر الأيمن .

فصل ـ لقيت كتابك تحلية الإحسان والإبداع ، وحلية النواظر والأسماع ومسن الخواطر والطباع ، وصيقل الأفكار والألباب ، وعيار المعارف والآداب .

فصل ـ كتاب سلب الماء رقته ، والنحل ريقته .

---

(١) العهد : أول مطر السنة ، أو الذمة والميثاق.

(٢) يجيل : من أجال : أي أدار.

(٣) عصب اليمن : أثواب اليمن الملوّنة .

فصل ـ كلامك شهدة النحل ، وثمرة الغـراب ، وبيضـة العقـر ، وزبـدة الأحقاب .

فصل ـ وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالاعتراف ، واختلفت الألسن في تشبيهه ببدائع الأوصاف ، فمن مدع أنه رقية الوصل ، وريقة النحل ، ومنتحل أنه سلاف العنقود ، وقائل هو نور خمائل ، وسحر بابل ، فأما أنا فتركت التمثيل ، وسلكت التحصيل ، وقلت : هو سماء فضل جادت بصوب الحكم ، ووشى طبع حاكته سن القلم ، ونسيم خلق تنفست عنه روضة الكرم .

فصل ـ سررت بكتابك سرور من فُدي بذبح عظيم ، وبُشّر بغلام عليم .

فصل ـ قلمك ترب البروق ونظيرها[1] ، ويدك أم البلاغة وظئرها[2] وكلامك هو الدر يستغني عن السلك ، والإبريز يجل عن السبك ، والسحر إلا أنه بريء من الشرك .

فصل ـ كتابك شريعة وِرْدي ، ومهب شمالي ، ومرمى طرفي . ومسـرح آمالي ، ونجيّ فكري ، وحلم هجودي ، وأرض خصبي ، وسماء سعودي .

* * *

ومن باب الإخوانيات

فصـل ـ أيام ظل العيش رطـب ، وكنف الهـوى رحـب . وشـرب الصبـا عذب ، ومـا لشرق الأنس غرب .

فصل ـ أنا في مقاساة حر الشوق إليك * كما اعتاد محموداً بخيير صالب * وفي تذكر الاجتماع معك * كما اهتز من صرف المدامة شارب * وفي تكلف الصبر

---

(١) الترب : المثيل .
(٢) الظئر : المرضع .

عنك * كطالب جدوى خلّة لا تواصل * وفي القلق لفراقك * كطائر جوٍّ أعلقته الحبائلُ * .

فصل ـ أيامي معك بين غرة ولمعة ، وعيد وجمعة .

فصل ـ أنا أخو مودتك الذي لا يخشى نبوه وعقوقه ، وسهم نصرتك الذي نحو العدى نصله ونحوك فوقه[1] .

فصل ـ إني لأجد ريح مولاي فأتنسم روح السكون ، ولا أقول لولا أن تفندون[2] .

فصل ـ كنت كمن خرج يبغي قبساً ، فرجع نبياً مقدساً .

فصل ـ أشكو إليك شوقاً لو عالجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج ، أو كابده الخلي لانثنى على كبد ذات حرق ولواعج .

فصل ـ وددت لو أنه ركب الفلك الدائر ، وامتطى النجم السائر . وكان البرق زاملته[3] ، والبراق راحلته[4] ، والسماك هاديه ، والخضر حاديه[5] والصبا إحدى مراكبه ، والجنوب بعض جنائبه[6] ، لينقضي عمر الانتظار ، ونسعد بالقرب والجوار .

فصل ـ لا خير في ود لا يعرف إلا بشاهد ، ولا ينهض إلا براقد .

---

(١) الفوق : موقع الوتر من رأس السهم .
(٢) تفنّدون : تكذّبون .
(٣) الزاملة : ما يحمل عليه من الدواب .
(٤) الراحلة : ما يمتطى عليه من الدواب .
(٥) الخضر : أحد الأنبياء الذين كتب لهم الخلود .
(٦) الصبا : الريح الشمالية الباردة ، والجنوب الريح الجنوبية .

مشرق السحنة[1] ، واضح السنة ، بعيد من الظنة[2] .

فصل ـ طالعت عهدي لديه ضاحي البشر ، ضاحك الزهر ، طلق الوجه ، باسم الثغر ، قد رفت عليه ظلال كرمه ، ورقّت له حواشي أخلاقه وشيمه ، فحمى وجه بهائه أن يشحب ، ورونق مائه أن ينضب .

فصل ـ وصل كتابه لا أقبل دعوى ولا يعدله شهود ، ولا يعدله يوم مشهود .

فصل ـ أنا أتوقع كتابك أطول من ليلة الميلاد ، وأمتع من نسيم ريح الأولاد .

فصل ـ كتبت هذه الأحرف وأنا أود أن مدادها سواد طرفي ، وبياضها جلدة بين عيني وأنفي ، وحاملها دون سائر الناس كفي .

فصل ـ لا تفارق نفسي فيك أشواقها ، حتى تفارق الحمائم أطواقها .

فصل ـ لولا التعلل باللقاء لتصدعت أكباد وقلوب ، وكانت بيني وبين النوى شؤون وخطوب .

فصل ـ ما آسى إلا على أيام أمتعتني من مؤانستك بالعين طلقا ما عليه رقوب[3] ، وأسعفتني من مجالستك بالدهر ليس فيه خطوب .

فصل ـ بي إليك شوق لم يكابده قلب متيّم ، ووجد لم يدعه مالك لمتمم[4]

فصل ـ أنا في مفارقته كبنات الماء نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض أخطأه النوء المطير .

---

(١) السحنة : الهيئة واللون .

(٢) الظنّة : الشبهة .

(٣) رقوب : أي رقيب نحذره .

(٤) مالك ومتمم :هما ابنا نويرة ، قتل مالك في حروب الردة على يد خالد بن الوليد وبكاه متمّم بكاءً أطال لواعجه .

فصل ـ شوق عابث أقاسيه. وامتنع عنه الصبر فما يواسيه .

فصل ـ ذمام ودك عندي لا يخفر ، وإن أتيت بما لا يغفر .

* * *

ومن باب الشكر والثناء

فصل ـ للنعم عماد من الشكر يحرسها أن تميل وتميد ، وعقال من الثناء والحمد يمنعها أن تبيد وتحيد ، وكثيراً ما يسكر الشارب بكأس سرورها . ويعشى عينه بشعاع نورها[1] ، فيذهل عن حفظ ذمارها ، ويذهب عن واجب مرتبتها واستثمارها ، ويكون كمن أزعجها بعد الاستقرار ، وعرضها للنفار، فلا يلبث أن يزل عن مرقاتها قدمه[2] ، ويطول على ترك موجباتها ندمه ، ويحصل منها في برج منقلب ، وينظر من نعيمها في أعجاز نجم مغترِب .

فصل ـ كم لك عندي من يد غضّة ما لي بشكرها يدان ، وعلى عاتقي من ثقل منّة يعجز عن حملها الثقلان .

فصل ـ لولا أن من عاداته متابعة النعم لقلت رفقا بكاهلي ، فقد أثقله الرفد ، وأناملي فقد أعياها العدّ ، لكنه الغيث لا يستكف واكف سحابه ، والبحر لا يزحم زاخر عبابه .

فصل ـ لو ملكت من مقاود البيان ، ما يملك من مقالة الإحسان ، لأجلبت عليه من شكري بخيل ورِجْل ، وجلبت إليه من فيض بناني سجلا بعد سجل ، وكلاً فقد خذلتني عبارتي مذ تناصرت عندي مواهبه ، ونزفت بلاغتي منذ درت على سحائبه .

---

(١) يعشي عينه : يغضّ طرفه من شدّة النور،والأعشى: الضعيف البصر .

(٢) المرقاة : المنزلة والمكانة ، وارتقى : صعِد .

فصل ـ لا أعدمه الله نعمة يطوق الشكر جيدها ، ويمتري بلطافة الحمد مزيدها[1] .

فصل ـ قلدني منّة تندي ألسنة الشكر ، وتنادي بذكرها أندية الفضل .

فصل ـ ذاك فضل ملك عنانه ومقادته ، فقهر أعيانه وقادته .

فصل ـ لو استطعت لطرت إليه بأجنحة الجنائب[2] ، وخطبت بالشكر على متون الكواكب .

فصل ـ ما هو إلا صوب كرم إذا فاضت منه سجال تلتها سجال ، وإذا جادت بها يمين رفدتها شمال .

فصل ـ خدمته أيام كانت رياسته سراً في ضمير الأيام ، ونوراً في أكمام الظنون والأوهام .

فصل ـ أنامله فرصة كل وارد ، وعرضة كل قاصد .

فصل ـ يذبُّ عن حرم المعالي بذباب حسامه ، ويحمي غربها بغرار أقلامه[3] .

فصل ـ كم له من مكارم جدد منهج أطمارها ، وأذكى سنا أقمارها .

فصل ـ له الأمر المطاع ، والشرف اليفاع[4] ، والعرض المصون والمال المضاع .

فصل ـ مساعيه ضرائر النجوم ، وأنامله ضرائر الغيوم .

فصل ـ أملى محاسنه وأيدي الأيام تكتب ، وأثنى بأياديه وألسنة الحال تشهد وتخطب .

---

(١) يمتري : يستخرج .
(٢) الجنائب : الشوق أو الريح .
(٣) يذبّ : يدفع ويحمي .
(٤) اليفاع : التل المشرف من الأرض .

فصل ـ وهو واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر .

فصل ـ ذاك سلطان فضل هو عرابة رايته[1] ، وميدان سباق وهو عكاشة عنايته .

فصل ـ ما هو إلا صفيحة فضل طبعت من سكتك ، وسبيكة مجد ضربت على شكتك[2] .

فصل ـ ما هو إلا نجم طلع في سمائك ، ومعنى اشتق من أسمائك .

فصل ـ أفاض عليه من صوب رشاشه ، ما أروى غلة مشاشه[3] .

فصل ـ ثناء أطيب من فوح الأزاهر ، وأطيب من ترجيع المزاهر .

فصل ـ ثناء كما يتفتق المسك من أكمامه ، وينتفض الروض غبّ رهامه[4] .

فصل ـ ما هو إلا لمعة من برقك ، ورذاذ من ودقك[5] ، ونجم طلع في أفقك ، وشعلة قدحت من نارك ، ورشاش ارفضّ من سحابك[6] .

فصل ـ أحيا كتابك مني نفساً مواتا ، وأنشر أملاً رفاتاً ، وتلافى حشاشة كانت من الهلك على شفا[7] ، وبلّ ريقاً لم يدع للناس فيه مرتشفا .

* * *

(1) عرابة : أشار به إلى عرّابة الأوسي الذي مدحه الشّماخ بن ضرار بقوله :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عرابة باليمين

وعكاشة : أشار به إلى عكاشة بن محصن الذي قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام : « سبقك بها عكاشة » .

(2) الشكة : مختلف الأخلاق والطباع .

(3) المشاش : النفس .

(4) غبّ رهامه : بعد ضعفه وذبوله .

(5) الودق : المطر .

(6) ارفضّ : هطل .

(7) شفا : حرف ، وحدّ .

ومن باب العتاب والذم وشكوى الحال

فصل ـ عتاب من قلب خالص ، وصدر سليم من القوارص ، خير من ودّ سامري ، وعرض سائري .

فصل ـ لو تكللت بالشعرى العبور ، وتلثمت بالفجر المنير ، واتخذت الثريا وشاحاً ، والجوزاء نطاقاً ، واستعرت من الشمس ضياء ، ومن البدر إشراقاً ، لما كنت إلا مغموراً خاملاً ، وعقداً عاطلاً .

فصل ـ لست أدري سبب عتبك فأتوب إليك توبة سحرة فرعون ، وأخلص وأعتذر إليك اعتذار النابغة إلى النعمان ، وأبلغ وأخضع لك خضوع المعزول للوالي ، بل خضوع الجرب للطالي ، وأضرع إليك ضراع الصبي للمعلم ، بل الذميّ للمسلم .

فصل ـ كيف ترميني بظنة ؟ وقد علمت أن قلبي لودك غير مظنة .

فصل ـ صدعت بالعتاب أعشار فؤادي[1] ، وتركتني بمنزلة ماء سال به الوادي .

فصل ـ سحب على ذنبه أذناب التجوّز ، وستره بأجنحة التجاوز .

فصل ـ طويت ودي طي الطوامير[2] ، ونبذت عهدي في المطامير .

فصل ـ عاد شرر عتبه ضراما ، وقوارص قوله سهاماً .

فصل ـ إذا نطق لسان الاعتذار ، فليتسع نطاق الاغتفار .

فصل ـ جربني تجدني سهل الرجعة ، سمح المقادة ، قريب المنالة ، دائب الصنيعة ، جامد السكينة ، سريعاً إلى المحافظة ، بطيئاً عن الحفيظة[3] .

---

(١) الأعشار : القطع .

(٢) الطومير : الصحف .

(٣) الحفيظة : الموجدة .

فصل ـ رددني من جفائه زماناً بين إعراض وقطيعة ، وأوردني منهـا أوخـم شريعة[1] ، حتى إذا ورد كتابه وبي فرحة الظمـآن وافـق بلالاً ، والعليل صادف إبلالاً ، تضمن من مر العتاب ، ما هو أمض من القذف والسباب ، وكان كثاطة مدت بماء[2] ، وجمرة أعينت بحلفاء[3] .

فصل ـ وما زلت أداريه وألاطفه ، أؤمل أن تلين لي مكاسره ومعاطفه ، حتى إذا كشف لي قناع الجفوة ، ومد إلي ذراع السطوة ، جزيته صاعاً بصاع ، وبسطت له باعاً بباع ، وسعيت إلى معارضته بخطى وساع ، وكذلك من ساء سمعـا ساء جابة ، ومن زرع مكراً حصد خلابة[4] .

فصل ـ كشف لي قناع المجادل، ورماني من عتبه بالجنادل[5] .

فصل ـ قد تجاريت والدهر في الظلـم إلـى غاية واحـدة ، واخترعتهـا في العقوق كل بدعة وآبدة[6] ، لعلك تزيد عليه وطأ في الظلـم ثقيلا ، وسبحـا في التحيل طويلاً ، بل أنت أبعد منه في الإساءة غورا ، وأحد في النـكاية غربـا ، وأجرى في المناكير قلباً ، لا بل أنت أكثر منه مذقا[7] ، وأمرّ مذاقا ، وأظهر خلافا ، وأقل وفاقا ، فما هذه المكاشفة والمخاشنـة ؟ وأين المهادنـة والمداهنـة ؟ وأين الحياء والتذمم ؟ والعفـاف والتـكرم ، وأين لين المكسـر ، ولدونـة المعـطف ، وحلاوة المذاق ، وسهولة المقطف ؟

فصل ـ أنا من حاضر جفائك بين ناب ومخلب ، ومن منتظر وعدك بالرجعى

---

(١) أوخم شريعة : أنتن مورد للماء .

(٢) الثاطة : الحمأة والطين .

(٣) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والحبال ونحوها .

(٤) الخلابة : الخداع .

(٥) الجنادل : الصخور .

(٦) الأبدة : الداهية ، والقافية الشاردة .

(٧) المذق : خلط المودّة بالكدر أي لم يخلص في مودته وكلامه .

بين جهام وخلب[1] .

فصل - كتابك أقصر من نبقه[2] ، وأصغر من بقه ، وأخون من دره ، وأخفى من ذره .

فصل - النعمة عنده تكتسي من لؤمه أطماراً . وتشتكي غربة وإسارا .

فصل - طواني في أدراج نسيانه ، وألقاني في مدارج هجرانه .

فصل - حاجتي عنده في سر الوعد وإضماره ، وميدان المطل ومضماره[3] .

فصل - ناديت منه من لا يمكن لفظي من سمعه ، ودعوت من ضره أقرب من نفعه . فقلت إذ أخلف التقدير ، لبئس المولى ولبئس العشير .

فصل - قرأت كلاماً خير منه تعاطي السكوت ، وحجاباً أقوى منه نسج العنكبوت .

فصل - لو خلع الصباح على عذري كسوته ، وأمده البلغاء من البيان ما يجلو صفحته ، ثم صلى منه بنار انتقاد ، ولم يرد من صفحه وإغضائه على لين مهاد ، لأتى بنيانه من القواعد وقطع زنده من الساعد .

فصل - يأبى الدهر إلا ولوعاً بشمل وصل يشرده ، ونظام أنس يبدده ، ومخلب ظلم يحدده ، ولو انبسطت فيه يدي لكسرت جناحه ، وخفضت جماحه ، ولكنه الحية الصماء[4] لا تستجيب لراقي ، والداء العضال لا يشفى منه طيب ولا واقي .

فصل - ما أقول في دهر يعطي تفاريق ويسترجعها جملا ، ويرجع أفاويق وقطعها عجلا ، يأتي شره دفعا ، ويواتي خيره لمعاً ، إن هاجت نوازله خصت

---

(١) جهام وخلب : الجهام : السحاب الذي لا مطر فيه والخلب : الفوز والظفر .

(٢) النبق : الغرس ، وحمل شجر السّدر .

(٣) المطل : المماطلة ، والمضمار : حيث تضمر الخيل للسباق .

(٤) الصّماء : المميتة .

الأحرار بالبطش ، وإن سكنت زلازله فكالصل ينبطح بالأرض ثم يثور للنهش .

فصل ـ لا تجز عن من عتابي فالمسك إذا سحق ازداد عبقاً ، والورد إذا أحمي طاب عرقا .

* * *

ومـن بـاب التهاني

فصل ـ أهنأ النعم شرباً ، وأمرعها شعباً، ما جاء عفواً من غير التماس ، ودر سمحا بلا إبساس .

فصل ـ النعم إذا حلت بفنائه فاضت على ا لأحـرار فيضـا ، وكانـت بينـه وبينهم فوضى .

فصل ـ عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً منيراً ، وبدراً مستديراً ، يكثر به عدد أحفادك ، ويعظم به كمد حسادك .

فصل ـ الحمد لله على النجل الموهوب ، ومرحبـاً بقـرة العيون وريحانـة القلوب ، ولد سعيد يهنأ به أكرم والد ، ومجد طريف أضيف الى شرف تالد[1] ، فأبقاه الله لك بسطة عضد تتصل بذراعك ، وخلب كبد تطول به مدة إمتاعك .

فصل ـ ما ارتعنا لفقـد الفقيد ، حتـى ارتحنـا لقيام الخلف الحميد ، ولا استهل الباكي منا للرزية مستعبراً ، حتى تهلل للعطية مستبشراً .

فصل ـ من كانت النعم تزينه فإنها تلبس بك وشاح فخر وخيلاء ، وتحل من أفنيتك بطاح مجد وسناء .

* * *

---

(١) شرف تالد : موروث .

ومـن باب العيادة

فصل ـ أما علته فقد أرتني الفضل ترجف أحشاؤه فرقاً ، والصبر تنقطع أجزاؤه فرقا .

فصل ـ كأني به وقد طلع كالحسام مجردا ، والهلال مجددا .

فصل ـ صادفني كتابه وفيه علة أجحفت بالجسد ، وتحيّفت جوانب الصبر والجلد[1] ، واستأنفت به برد الحياة ، ولبست عنه برد المعافاة .

فصل ـ كنت صريع سقم قد أولتني عقبه ، وزالت بالبرء عواقبه .

فصل ـ كنت رهين علل لا أرجو من صرعتها استقلالا ، ولا أؤمل من أسر وثاقها انحلالا ، فلم يزل لطف الله ينفث منها في العقد ، ويمسح جانب الـداء والألم ، حتى أنشطني من عقال[2] ، وأنهضني من كبوة وعثار .

فصل ـ برز من علتـه بروز السيف المحلّى ، وفـاز بالعـافية فوز القـدح المعلى .

فصل ـ لو استطعت لخلعت عليه سلامتي سربالا ، وأعرته من جسمي صحة وإقبالا ، فلست أتهنأ بالعافية مع سقمه . ولا أتمتع بنضارة عيشـي مع شحـوب جسمه .

فصل ـ كان من العلة بين أنياب وأظفار . ومن الردى على شفا جرف هار ، فتداركه الله برحمة رشت علـى سقمـه ماء الشفـاء ، ومجّـت برد العـافية في حرٍّ الأحشاء[3].

***

(١) تحيُّف الشيء : أخذه من نواحيه وإنقاصه .
(٢) العقال : الأسر .
(٣) مجَّت : أدخلت وأشربت .

ومن باب التعازي

فصل ـ لله تعالى في خلقه أقدار ماضية لا ترد أحكامها ، ولا تصد عن الأغراض سهامها ، والناس فيما بين موهبة تدعو إلى الشكر المفترض ، ومرزية يوثق فيها بجميل العوض .

فصل ـ الموت منهل مورود ، وسيان فيه والد ومولود.

فصل ـ كتبت والقلم هائم والدمع هام، والكرب دائم والجفن دام .

فصل ـ كتبت وسكرات المنية بي محدقة ، ولحظات الأجل نحوي محدقة.

فصل ـ أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمته [1] ، ويحجب عن موارد رحمته .

فصل ـ مصيبة طرقت بالمخاوف والأوجال ، وطرقت شرب الأماني والآمال ، وأعادت سرب العيش نافراً ، ووجه الحزن سافرا .

فصل ـ يا لها من مصيبة أصمى سهم راميها[2] ، وأصمّ صوت ناعيها.

فصل ـ وفقه الله للصبر الذي إليه يرجع الجازع ، وإن أغرق في قوسه النازع .

فصل ـ هو من لا تستتر له النوازل عن عزيمة أناته ، ولا تفجعه الفجائع بسكينة حزمه وثباته.

فصل ـ طال تلهفي على هلال استسرّ قبل أن يقمر[3]، وغصن خضد قبل أن يثمر[4].

---

(١) موارط نقمته : أي الوقوع الأشراك التي يصعب الخلاص منها ويكون فيها الهلاك .

(٢) أصمى : أصاب وقتل .

(٣) استسرّ : احتفى ، من السِّرار وهو أن يكون القمر في جانب المحاق .

(٤) خضد : كسر ، وقطع .

فصل ـ ما سلامة من يرى كل يوم راحلاً مشيعا . وشملا مصدعا ، وصديقا مودعا .

فصل ـ شابت بعده لمم الأقلام[1]، وضلّت مفاتيح الكلام ، ونضبت غدر الأفهام.

فصل ـ لا أملك في مصيبته إلا عبرات ترق ولا ترقأ[2] ، وزفرات تهـدُّ ولا تهدأ .

فصل ـ قد نغّص الموت كلّ طيب ، وأعيا داؤه كل طبيب .

فصل ـ الموت يكتال الأرواح بلا حساب، ويغتال النفوس بلا حجاب.

فصل ـ لئن طواه الردى طي الرداء ، لقد نشرته ألسنة الثناء .

***

ومن باب السلطانيات

فصل ـ بين ضرب يصدع جنوبا[3]، وطعن يدع الصدور جيوبا.

فصل ـ إذا عبأ للغزو كتائبه ، وأخرج نحو العدا مضاربه ، خفقت بنصره الأعلام ، ونطقت وراء رماحه الأقلام .

فصل ـ بين صفوف ترصف . وسيوف تقصف ، ورمـاح تنصف ، وأرواح تخطف ، حيث الدواهي سود المناظر ، والمنايا حمر الأظافر .

فصل ـ لا يقف لمناجزته عدوّ إلا عاد موطىء قدمه شفيرا . وكان سهم الردى إليه سفيرا .

---

(١) اللّمة : الشعر .

(٢) العبرات : الدموع ، وترقأ : تكفّ وتنقطع .

(٣) الجنوب : وهو الجنب من الإنسان ،ويصدع : يكسر .

فصل ـ أصبحوا كغثاء احتمله ظهر سيل جارف[1]، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

فصل ـ لما مشى إليهم مشت قلوبهم في الصدور، وحلت بهم قاصمة الظهور، فهم بين أعمار تباح، ودماء تساح، وأجسام تطاح، وأرواح تسفي بها الرياح[2].

***

نبذ من شعره في الغزل

قال [من الطويل]:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده   ووكّل أجفاني برعي كواكبِهْ
فيا جزعي مهلاً عساه يعودُ لي   ويا كبدي صبراً على ما كواك بِهْ

وقال [من المجتث]:

أنكرتِ من أدمعي   تترى سواكبها
سلي جفوني هلْ   أبكي سواك بها

وقال [من الخفيف]:

إن لي في الهوى لساناً كتوما   وفؤاداً يخفي حريق جواه[3]
غير أنّي أخاف دمعي عليه   ستراه يفشي الذي ستراه

وقال [من مجزوء الكامل]:

---

(1) الغثاء: الزبد والرغوة وما يجرفه السيل من أوراق أو ممّا هو على وجه الأرض.
(2) تسفيها: تذورها.
(3) الجوى: الحرقة المتولّدة من العشق.

يا من يبيت محبُّهُ منه بليلة أنقد[1]
إن غبت عني سمتني وشك الردى وكأن قد

وقال [من الطويل] :

عذيريَ من رامٍ رماني بسهمه فلم يخطِما بين الحشا والترائب[2]
فأصداغه يلسعني كالعقارب وألحاظه يفعلن فعل العقاربي[3]

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ يهفو بلبٍّ المرء منه شمائل
فالردف دعصٌ هائل والقدُّ غصن كائل[4]
والخد نور شقائق تنشقّ عنه خمائل
والعرف مثل حدائقٍ نمَّت بهن شمائل
والطرف سيفٌ ما له إلا العذار حمائل

وقال في مخمور جمش وجهه [من الكامل] :

هبه تغيّر حائلاً عن عهده ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا
ما بال نرجسه تحوّل وردةً والورد في خديّه عاد بنفسجا

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ أبدى الجما ل بخدّه روضاً مريعا
فقد الطبيب ذراعه فجرى له دمعي ذريعا
وأمنّي وقع الحديد بعرقه ألما وجيعا

---

(١) بات بليلة أنقد : أي لم ينمْ .
(٢) لم يخطما بين الحشا والترائب : أي أصاب القلب .
(٣) الألحاظ : العيون وفعل العقارُ بي : أي فعل الخمر التي تترك محتسيها سكراً مخمورا .
(٤) الردف : إلية المؤخرة . والدعص : الكثيب من الرمل .

فأريتــه من عبرتي ... ما سال من دمــه نجيعا[1]

وقال [من الخفيف] :

وغــزالٍ منحتــه خالص الو ... دَّ فجــازى بالصــدّ والإجتناب
لــم ألمــه أن أتقــى بحجابٍ ... ردّنــي والــهَ الفــؤاد لمــا بي
هــو روحــي وليس ينــكر للرو ... ح توارٍ عن الورى بالحجاب[2]

وله [من الوافر] :

كتبــت إليه أستهــديِ وصالاً ... فعلّلنــي بوعــدٍ في الجواب
ألا ليت الجــواب يكون خيراً ... فيشفــي ما أحــاط من الجــوى بي

وقال [من الرجز] :

ظبــيٌ يحــار البــرق في بريقه ... غنيتُ عن إبريقــه بريقه
فلــم أزل أرشف من رحيقه ... حتــى شفيت القلــب من حريقه

وقال [من مجزوء الرجز] :

شافــه كفّــي رشاً ... بقبلــةٍ ما شفتِ
فقلــت إذ قبّلها ... يا ليت كفّــي شفتي

وقال [من البسيط] :

من لي [كفيلا] بشمــل الأنس أجمعه ... بشــادنٍ حلّ فيه الأنس أجمعُهُ
ما زال يعــرض عن وصلــي فأخدعه ... فالآن لي لان بعــد الصــدّ أخدعُهُ[3]

وقال [من مجزوء الرمل] :

---

(١) النجيع : الدم الأحمر الصافي .
(٢) توار : اختفاء .
(٣) يعرض : يصد ويشيح ، والأخدع : عرق في الرقبة ، أي أقبل بجيده نحوه .

ويح جسمي من غزالٍ مقلتاه شفتاه
هو إن جاد بلثمٍ شفتاه شفتاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

صدف الحبيب بوصله فجفا رقادي إذ صدف[1]
ونثرت لؤلؤ أدمعٍ أضحى لها جفني صدف

وقال [من الرجز]:

ماذا عليه لو أباح ريقَهُ لقلب صبٍّ يشتكي حريقهُ

وقال [من الطويل]:

بنفسي غزالٌ صار للحسن كعبةً يُحَجُّ من الفجِّ العميق ويُعبَدُ
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعاً وأحرمت بالإخلاص والسعي يشهدُ
فجفني للتسهيد والدمع قارنٌ وقلبي فيه بالصبابة مفرد

***

قطعة من شعره في الأوصاف والتشبيهات

قال في الريحان [من الكامل]:

أعددت محتفلاً ليوم فراغي روضاً غدا إنسان عين الباغ
روضاً يروض هموم قلبي حسنه فيه لكأس الأنس أي مساغ[2]
وإذا بدت قضبان ريحانٍ به حيث بمثل سلاسل الأصداغ

وقال في الشقائق [من الطويل]:

---

(١) صدف : امتنع ، والرقاد: النوم .
(٢) يروض : يذْهب ويزيل ويقود ويهدىء ،والمساغ : الشراب جعله سائغاً سهلاً .

يصـــوغ لنـــا كفُّ الـــربيع حدائقاً   كعقـــد عقيقٍ بين سمـــط لآلي
وفيهـــن أنـــوار الشقائـــق قد حكتْ   خدود عذاري نُقِّطـــت بغوالي

وقال فيه [من المتقارب] :

كأنّ الشقائـــق إذ برّزت   غلالـــة لاذٍ وثوبـــاً أحمّ(١)
قطـــاع من الجمـــر مشبوبةٌ   بأطرافهـــا لمـــعٌ من حمم

وقال فيه [من الخفيف] :

لاح لي في الـــرياض نور الشقيق   فحـــكى لي غلائـــلاً من عقيق(٢)
ما يشـــقّ الهمـــوم مثـــل شقيقٍ   عنـــد راحٍ لكلٍّ روحٍ شقيق

وقال في النرجس [من الطويل] :

ومـــا ضمّ شمـــل الأنس يومـــاً كنرجسٍ   يقـــوم بعـــذر اللهـــو عن خالـــع العذر
فأحداقـــه أقـــداح تبـــرٍ وساقه   كقامـــة ساقٍ في غلائلـــه الحضرِ(٣)

وقال [من المجتث] :

أهـــلاً بنـــرجس روضٍ   يزهـــي بحســـنٍ وطيْبِ
يرنـــو بعينيّ غزالٍ   علـــى قضيبٍ رطيب
وفيه معنـــىً خفيٌّ   يزينـــه في القلوب
تصـــحيفـــه إن نســـقـــت الحـــروف   بـــرٌّ حبيـــب

وقال في التيمن بالبنفسج [من المنسرح] :

يا مُهـــدياً لي بنفسجـــاً أرِجاً   يرتـــاح صدري له وينشرحْ

---

(١) الغلالة : الثوب الرقيق ، واللاذ : ثوب حرير أحمر ، وأحمّ : اسود .
(٢) نور الشقيق : زهره ، والغلائل : جمع غلالة
(٣) الأحداق : العيون ، والتبر : الذهب الخالص .

بشّرنـي عاجـلاً مصحفه   بأنّ ضيق الأمـور ينفسح

وقال في ضد ذلك [من المنسرح]:

يا مهـدياً بنفسجـاً سمجاً   وددتُ لو أنّ أرضـه سبخ(١)
ينذرنـي عاجـلاً مصحفه   بأن عهـد الحبيب ينفسخ

وله [من الكامل]:

ومدامـةٍ زُفَّـت إلـى سلسال   يختـال بين ملابس كالآل
فبنـى بهـا حتـى إذا ما افتضّها   بالمـزج أمهرهـا عقـود لآلي(٢)

وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز]:

ومدامـةٍ زُفَّـت إلـى سلسال   يختـال بين ملابس كالآل
فبنـى بهـا حتـى إذا ما افتضّها   بالمـزج أمهرهـا عقـود لآلي(٢)

وقال في اقتران الزهرة والهلال [من الرجز]:

أمـا ترى الزهـرة قد لاحـت لنا   تحـت هلالِ لونـه يحـكي اللهبْ
ككرةٍ من فضّـة مجلوّةٍ   أوفى عليهـا صولجـانٌ من ذهبْ

وقال في الفجر [من الكامل]:

أهـلاً بفجـرٍ قد نضـا ثوب الدُّجى   كالسيف جرِّد من سواد قراب
أو غادةٍ شقّـت صداراً أزرقاً   ما بين ثغرتهـا إلـى الأتراب

وقال في وصف الثلج الساقط على غصون الشجر [من الكامل]:

نشر السحـاب علـى الغصـون ذريرةً   أهـدت لهـا نوراً يروق ونورا(٣)

---

(١) سبخ : جدباء قاحلة .

(٢) بنى بها : أي نكحها وتزوّجها ، وافتضها : أي أزال بكارتها ، والمهر : ما يدفع عند عقد النكاح من مالٍ وغيره .

(٣) الذريرة : من الطيوب .

شابت ذوائبها فعُدنَ كأنها أجفان عينٍ تحملُ الكافورا[1]

وقال في الجمد [من الرجز] :

ربَّ جنينٍ من جنى نمير مهتّك الأستار والضمير
سللته من رحم الغدير كأنه صحائف البلور
أو أكرٌ تجمّست من نور أو قطع من خالص الكافور[2]
لو بقيت سلكاً على الدهور لعطّلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور وسمّيت ضرائر الثغور
يا حسنه في زمن الحدور إذ فيضه مثل حشى المهجور
يهدي إلى الأكباد والصدور روحاً تحاكى نفثة المصدور[3]

وقال في مدية وألقاه على طريق الإلغاز [من مجزوء الرجز] :

مأسورةٌ أبدع في تركيبها أصحابها
تركبها الأيدي وفي هاماتها أذنابها

وقال في الخمر [من الخفيف] :

عيّرتني ترك المدام وقالتْ هل جفاها من الكرام لبيبُ
هي تحت الظلام نورٌ وفي الأكباد بردٌ وفي الخدود لهيبُ
قلت يا هذه عدلت عن النصح أما للرشاد فيك نصيبُ
إنّها للستور هتكٌ وبالألباب فتكٌ وفي المعاد ذنوب

وقال في السيف [من الخفيف] :

---

(١) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الوجه .
(٢) أُكَر : جمع كرة ، تجمّست : تجمّدت .
(٣) المصدور : المسلول ، أو مريض الصدر .

لي رفيقٌ شهم الفؤاد يماني غزلٌ في قصافة القضبان[1]
لا يعني في العظم إلا إذا أصبح نشوان من نجيعٍ قاني

وقال فيه [من الخفيف]:

خير ما استعصمت به الكفُّ يوماً في سواد الخطوب عضبٌ صقيلُ[2]
عن سؤال اللئام مغنٍ وفي العظم مغنٍ وللمنايا رسولُ

وقال في الفرس [من الخفيف]:

خير ما استظرف الفوارس طرفٌ كلُّ طرفٍ لحسنه مبهوت[3]
هو فوق الجبال وعلٌ وفي السهل عقابٌ وفي المعابر حوت

***

غرر من شعره في الإخوان

قال [من الكامل]:

وأخٍ إذا ما شطّ عنّي رحلُهُ أدنى إليَّ على النور معروفَهُ
كالكرم لم يمنعه بعد عريشه من أن يقرّب للجناة قطوفَهُ

وقال في مؤلف هذا الكتاب [من الكامل]:

أخٌ لي أمانٍ الودّ منه فرائد وألفاظه بين الحديث فرائد[4]
إذا غاب يوماً لم ينب عنه شاهد وإن شهد ارتاحت إليه المشاهد

---

(١) اليماني : السيف منسوب الى اليمن ، وقصافة من قصف : أي قطع .
(٢) العضب الصقيل : السيف القاطع الماضي .
(٣) الطرف الأول : الكريم الأصل من الخيل والطرف الثاني : النظر .
(٤) الفرند : السيف .

وقال فيه [من المديد] :

قد أتانـي من صديق كلامٌ ... كلآلٍ وانهــنّ نظام
فســرى في القلــب منــي سرورٌ ... مطــربٌ يعجــز عنــه المدام[1]
مثلمــا يرتــاح شيخ بناتٍ ... حولــه من جمعهــنّ زحام
فدعــا الله طويلاً يرجّى ... خلفــاً من نسلــه ما يرام[2]
وأتــاه بعــد يأسٍ بشيرٌ ... قال يا بشــراي هذا غلام[3]

وقال [من الطويل] :

بنفســي أخٌ قد برّنــي بشكاتهِ ... ولــم يجعل الحمى دون مالِهِ
فطــاب ثنــاءً بين أثنــاء سقمه ... كطيب نسيمِ الــريح عنــد اعتلالِهِ
بودّيَ لو نفّســتُ عنــه سقامه ... بنفســيَ لو نافستــه في احتماله
فلـم تصـب الأوصـاب راحــة جسمه ... ولـم تخطـر الأشجــان يومــاً بباله[4]

وقال [من الكامل] :

تمّــت محاسنــه فمــا يزري بها ... مع فضلــه وسخائــه وكماله
إلاّ قصــورُ وُجــوده عن جوده ... لا عون للرجــل الــكريم كمالِهِ[5]

***

(١) في الأصول : « فسرى في الفؤاد مني سرورٌ » ولا يستقيم مع وزن البيت .
(٢) في الأصول : « فدعا الله طويلاً يرتجي » ووزن البيت لا يستقيم إلا كما ذكرنا .
(٣) في الأصول : « وأتاه من بعد يأسٍ بشيرٌ » ووزن البيت لا يستقيم مع ما قبله إلاّ بحذف « من » .
(٤) الأوصاب : الأوجاع ، والأشجان : الأحزان .
(٥) قصورِ وجوده : قصور إقامته .

لمع من شعره في المداعبات وما يشاكلها

كتب إلى كاتب له [من المتقارب] :

أبا جعفرٍ هل فضضتَ الصدَّف ... وهل إذ رميت أصبت الهدفْ
وهل جئت ليلاً بلا حشمةٍ ... لهول السُّرى سدفاً في سدفْ[1]

وقال [من المتقارب] :

يريد يوسِّع في بيته ... ويأبى به الضيّق في صدره
فتىً سخط النصبُ في قدره ... كما رضي الخفض في قدره

وقال [من مخلع البسيط] :

لنا صديقٌ يجيد لقما ... راحتنا في أذى قفاه
ما ذاق من كسبه ولكنْ ... أذى قفاه أذاق فاه

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من دهاه شعره ... وكان غضّاً أمردا
سيّان فاجأ أمرداً ... في الخدّ شعرٌ أم ردى

وقال [من السريع] :

لنا مغنٍّ سمجٍ وجهُهُ ... أبدع في القبح أبازيره[2]
رام غناءً فأبى صوته ... ورام ضرباً فأبى زيره[3]

وقال [من الطويل] :

---

(١) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود والسُّرى : المسير ليلاً والسُّدف : الظلم .
(٢) السميح : الثقيل الكريه .
(٣) الزير : وتر العود .

هو السؤل لا يعطيك وافر منّةٍ يد الدهر إلاّ حين أبصرته جلدا

* * *

وفي المراثي

قال يرثي أبا بكر بن حامد البخاري [من مخلع البسيط] :

يا بؤس للدهر أيّ خطب دها به الناس في ابن حامدْ
قد استوى الناس مذْ تولّى فما يرى موقف الحامِدْ
يبكي على فقده ثلاثٌ العلم والزهد والمحامدْ

وله من قصيدة يرثي بها أبا القاسم علي بن محمد الكرخي [من الخفيف] :

هل إلى سلوةٍ وصبرٍ سبيلُ كيف والرزء ما علمت جليلُ
فجعتني الأيام لمّا ألمّت بصديقٍ وَجْدِي عليه طويلُ[1]
بأبي القاسم الذي أقسم المجـ ـد يميناً أن ليس منه بديل
كان معنى الوفاء والبرّ إن حا ل زمانٌ فودّهُ ما يحول
كان زين الندى في العلم والآ داب ترعى رياضهنّ العقول
كان بدر النهى فحان أفولٌ كان شمس الحجى فحان أصيلُ

ومنها :

خلقٌ كالزلال زلّ عن الصخـ ـر ونفسٌ للعيب عنها زليل[2]
واجتنابٌ لما يعيب من الأمـ ـر وعرضٌ عن الدنايا صقيل
من يكن بعده العزاء جميلاً فاجتناب العزاء فيه جميل

(١) وجدي : حزني وأسفي .
(٢) زليل : تحوّل وابتعاد .

ومنها :

أيٌّ مرأىً ومنظـرٍ لا يهول ... من خليلٍ عليه تربٌ مهيل(١)
فعليه سلام ذي العـرش يهديـــــه إلـى حشـو قبـره جبريل
وأتــاه من رحمــة الله كفلٌ ... هو بالخلـد في الجنــان كفيل(٢)

وقال في غلام له توفي في دهستان [من البسيط] :

لي في دهستــان لا جاد الغمــام لها ... إلا صواعــق ترمــي النــار والشُّهبا
ثاوٍ ثوى منــه في قلبــي جوىً ضرمٍ ... يشـبّ كالسيف حدّاً والسنــان شبا(٣)
دعــاه داعــي المنــايا غير محتسبٍ ... فراح يرفـل عنـد الله محتسبا
هلال حســنٍ بدا في خوطِ أسلحة ... قد كاد يقمـر لولا أنــه غربا(٤)
لو يقبـل المـوت عنـه فدية سمحت ... نفســي بأنفس ذخـرٍ دون ما سلبا
لكن أبـى الدهـر أن ترزا فجائعه ... إلاّ عقائـل ما نحـويه والنخبا(٥)
تراه قد نشبـت فينـا مخالبه ... فليس يبقــي لنـا عِلْقـاً ولا نشبا(٦)
لئــن أنــاخ علـى وفـري بِنكبته ... فالـدين والعـرض موفـوران ما نكبا
أقابـل المـرَّ من أحكامـه جلداً ... بالحلـم والصبـر حتـى يقضـيَ العجبا

* * *

(١) ترب مهيل : أي دثر بالتراب ، وأهال التراب على القبر : أي غطاه به .
(٢) الكفل : أي الرحمة المضاعفة .
(٣) ضرم : متّقد ، والشبا : الحدّ القاطع .
(٤) الخوط : الغصن الناعم ، والأسحلة : شجرة تتخذ منها المساويك ، وهي عيدان تنظف بها الاسنان .
(٥) العقائل : النفائس والأشراف ، والنخب ، أي أفضل ما يختاره الانسان .
(٦) العِلق : النفيس الغالي ، والنشب : المال من دراهم وأملاك .

وفي التوجع وشكوى الدهر

قال [من الكامل] :

يـا دهـر ما أقسـاك يا دهرُ ... لم يحـظ فيك بطائـلٍ حرُّ
أمـا اللئـام فأنـت صاحبُهُمْ ... ولهـم لديك العـطف والنصرُ
يبقـى اللئيم مدى الحياة فلا ... يرتـاع منـه لحـادثٍ صدرُ
تصفـو له الـدنيا بلا كدرٍ ... ويطيعـه في عيشه اليُسر
فمرامـه سهـلٌ وكوكبُهُ ... سعـدٌ وغصـن سروره نضر
وعلـى الـكريم يدٌ يُسلِّطها ... منـك الجفـاء المـرُّ والقسر
إن ناب خطـبٌ فهـو عرضتُهُ ... يفـريه منـه النـاب والظفر[1]
أو يبـغ معروفـاً لديك غدا ... ينحـي عليه حادثٌ نُكر
مرعـاه جَدبٌ والحظـوظُ لهُ ... حربٌ وجانـب عيشـه وعر
وجنـاه شوكٌ والبحـور لهُ ... وشـلٌ وحشوُ فؤاده جمر[2]
يا دهـر دعْ ظلـم الـكرام فهم ... غقـدٌ لنحـرك لو درى النّحر
سالمهـم واستبـقِ ودَّهُمُ ... فهـمُ نجـوم ظلامـك الزّهر

وله في النكبة كفاناها الله تعالى [من الوافر] :

جفـونٌ قد تملّكهـا السهاد ... وجنـبٌ لا يلائمـه مهـادُ
وأحـداثٌ أصابتنـي وقومي ... يذلُّ من الحليم لهـا القيادُ
فقـد شطّـت بنـا وبهـمْ ديارٌ ... وفـرّق جامـع الشّمـل البعادُ[3]
أقـول وفـي فؤادي نار وجدٍ ... لهـا ما بين أحشائـي اتّقاد
وللأحـزان في صدري اعتلاجٌ ... وللأفـكار في قلبـي اطّراد

---

(١) ناب : حلّ ، يفريه : يقطعه .
(٢) الوشل : الماء القليل .
(٣) شطّت : بعدت .

ألا هلْ بالأحبة من لمامٍ ... وهل شملُ السرور بهمْ مُعادُ[1]
ولا والله ما اجتمعت ثلاثٌ ... فراقهُمُ وجفني والرقاد
فإنْ تجمعْ شتيت الشمل منَّا ... وفي الأيام جورٌ واقتصاد
تنجَّزنا من الأحداث عهداً ... أكيداً لا يزاغ ولا يكاد
وكيف يصح للأيام عهدٌ ... وشيمتها التغيُّر والفساد

وقال [من المنسرح] :

ما لليالي ولي كأنَّ لها ... في مهجتي إن لقيتها غرضا
أظنُّها قد تراهنت جملاً ... في رميها واتخذنني غرضا

* * *

وفي الحكمة والأمثال والزهد

قال في معنى لم يسبق إليه [من السريع] :

كم والدٍ يحرمُ أولادَهُ ... وخيره يحظى به الأبعدُ
كالعين لا تبصرْ ما حولها ... ولحظها يدرك ما يبعد

وقال في معنى آخر اخترعه [من البسيط] :

لا تمنع الفضل من مالٍ حبيت به ... فالبذل ينميه بعد الأجر يدخرُ
والكرم يؤخذ من أطرافه طمعاً ... في أن يضاعف منه الأكل والثمرُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أخوك من إن كنت في ... نعمي وبؤس عادلك[2]

---

(١) لمام : لقاء واحتضاء .

(٢) عادلك : هو هنا مؤلف من « عادلَ » فعلاً ماضياً وضمير المخاطب .

وإن بدا لك منعماً بالبرِّ منه عادلك[1]

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

جامـل النـاس في المعا ش وخـلِّ المزاحمهْ
وتنصّـح وقـل لمن يتعاطـى المـزاح مه[2]

وقوله [من الكامل] :

يشقـى الفتـى بخـلاف كلِّ معاندٍ يؤذيه حتـى بالقـذى في مائه
يهـوى إذا أصفـى الإنـاء لشربه ويروغ عنـه عنـد صبِّ إنائه

وله [من الطويل] :

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى فرزق الفتـى ما عاش عنـد معيشِهِ
وقـد يُهلِكُ الإنسـان كثـرةُ ماله كما يُذبـح الطـاووس من أجـل ريشِهِ

وقوله [من البسيط] :

أمْتِـعْ شبابـك من لهـوٍ ومـن طرب ولا تصـخْ لمـلامٍ سَمْـعَ مكترث
فخير عيش الفتـى ريعـان جدّتهِ فالعمـر من فضـةٍ والشيب كالخبث[3]

وقوله [من الوافر] :

أتـركضُ فـي ميادين التصابي وقـد ركض المشيب علـى الشباب
وتأمـن نوبـةِ الحدثـان نفسي ومـا نابٌ لهـا عنـي بنابي[4]
وكيف تلـذُّ طعـم العيش نفسٌ غدت أترابهـا تحـت التراب

---

(١) مؤلف من « عاد » ولام الجرّ ، وضمير المخاطب .
(٢) أمه : اسكت وكفّ ، اسم فعل مبني على السكون وقد يكسر فيقال مهٍ .
(٣) ريعان جدّته : ريعان شبابه ونشاطه والخبث : النَّجس ، وما لا خير فيه .
(٤) الحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ومصائبه بنابي : بمبتعد ومفارق .

وقوله [من الخفيف] :

قد أبــى لي خضــاب شيبــي فؤادٌ فيه وجــدٌ بكتــم سرِّي ولوعُ
خاف أن يعقــب الخضــاب نصولٌ ونصــول الخضــاب سيرٌ بديع

وقوله [من السريع] :

ذو الفضــل لا يسلــم من قدح وإن غدا أقــوم من قِدْح[1]

وقال وقد نظم كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [من المجتث] :

تقصيرك الــذيـل حقّاً أبقـى وأتقــى وأنقـى

وقال [من البسيط] :

عمــر الفتــى ذكره لا طول مدَّتِهِ وموتــه خزيه لا يومــه الداني
فأحــيِ ذكرك بالإحســان تودعه تجمــعْ بذلك في الــدنيا حياتان

(١) القَدْح : الذّم ، وأقوم : أكثر استقامة ، والقدح : السهم .

البـاب التاسـع

في ذكر الطارئين على نيسابور من بلدان شتى على اختلاف مراتبهم

فمنهم من فارقها ، ومنهم من استوطنها

وسياقة الملح من كلامهم سوى من تقدم ذكره منهم في سائر الأبواب

٩٠ ـ أبو عبد الله الوضاحي البشري محمد بن الحسين

شاعر ظريف الجملة والتفصيل ، ورد نيسابور فاستوطنها إلى أن توفي بها ، وله شعر كثير أخرجت منه ملحاً قليلة ، كقوله في وصف الشموع .

وهو معنى مبتذل [من الوافر] :

عرائسُ تستضـيءُ بهـا الكؤوس ... كأنّ ضياء أوجههـا الشموسُ
لنـا من حسنهـا أبـداً نعيمٌ ... لهـا منـه مدى الأيام بوسُ[1]
تذوق المـوت ما سلمـتْ وتحيا ... إذا ما قطِّعـت منهـا الرءوسُ

وقوله في الغزل [من الوافر] :

---

(١) بوس : يعني البؤس خفّفت الهمزة لضرورة الشعر .

بمثـل هـواك تنتهـك الستورُ ويبـدو ما تضمّنـه الضميرُ
يسِـرٌّ بمـا يسُـرُّك كلُّ شيءٍ يرى حتـى يسِـرَّ بك السرورُ
ولسـت البـدر لكنْ فيك حسنٌ تلاشـى في دقـائقه البدورُ

وله من أخرى [من الطويل] :

ومـا النـاس إلا الـرقُّ منـه مصاحفٌ ومنـه بأعنـاق النسـاء طبولُ

وله من قصيدة [من الخفيف] :

عالـم الغيب شاهـدٌ أنّ غيبي لك كالظاهـر الـذي ترتضيه
ليس فخـري ولا اعتـدادي بشيء غير أنـي في عالـم أنـت فيه

٩١ ـ أبو طاهر بن الخبز أرزي

قد تقدم ذكره عند ذكر أبيه وعمه ، وكان ـ على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره ـ شاعراً لا بأس بكلامه ، ونقب في بلاد خراسان ، وأقام بنيسابـور مدة ، ومن شعره السائر بنيسابور قوله لحاكمها [من البسيط] :

كم منْ سعيدٍ علـى الأيام قد نُحِسا وصاعـدٍ قد رمـاه الدهـر فانتكسا
وحـاكمٍ ظنَّ أنّـي دون ثروته مذبـذبٍ فقـرا لي وجهـه عبسا[1]
سنستجـدُّ خلاف الحـالتين فلا أبقـى فقيراً ولا تبقـى لحـكم نسا

وقوله [من الطويل] :

علـيَّ ثيابٌ فوق قيمتهـا الفلس وفيهـنَّ نفسٌ دون قيمتهـا الإنس
فثوبك مثل الشمس من تحتها الدجى وثوبـي مثـل الغيم من تحتـه الشمس

وقوله [من المنسرح] :

(١) مذبذب : متردِّد ، « فقرا لي وجهه عبسا » أي عبس وتولّى وهي سورة من سور القرآن الكريم .

وروضــةٍ راضهــا النــدى فغدت لهــا من الزّهــر أنجــمٌ زهرُ
تنشــر فيهــا أيدي الــربيع لنا ثوبــاً من الوشــي حاكه القطرُ
كأنّمــا شقّ من شقائقها علــى رباهــا مطــارفٌ خضرُ
ثــم تبــدّت كأنهــا حدقٌ أجفانهــا مــن دمائهــا حمرٌ

* * *

٩٢ ـ أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي

ورد نيسابور فأقام بها سنين يشعر ، ثم فارقها إلى جرجان ، وألقى عصاه بها مدة إلى أن سار منها ، فأنشدني الدهخذا أبو سعيد محمد بن منصور ، قال : أنشدني الناهي لنفسه في البعوض والبرغوث [من المنسرح] :

لا أعــذر اللّيل في تطاوله لو كان يدري ما نحــن فيه نَقَصْ
لــي والبــراغيث والبعــوضُ إذا ألحفنــا حنـدسُ الظـلام قِصَصْ[1]
إذا تغنّــى بعوضــه طرباً ساعــد برغوثــه الغنــا فرقَصْ

المعنى جيد وفي اللفظ خلل .

وقوله [من السريع] :

كنـت إذا أصبحــتُ في حاجةٍ أستعمـل التقــويم والزيجا[2]
فأصبــح الــزيـج كتصحيفِهِ وأصبــح التقــويم تعويجـا

* * *

(١) ألحفنا : سترنا ، والحندس : الظلام الشديد .
(٢) الزِّيج : في علم الفلك : جدول يدلُّ على حركة الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم .

٩٣ - أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي

أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام الفضل ، وهو الإمام اليوم في النحو بعد خاله أبي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ ، وعليه درس ، حتى استغرق علمه ، واستحق مكانه ، وكان أبو علي أوفده على الصاحب فارتضاه ، وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه .

وكتب إليه في بعض أيامه عنده هذه المعماة ليستخرجها .

ما أسود غريب ، بعيد الدار قريب ، يقدم فحواه على نجواه ، ويتأخر لفظه عن معناه . له طرفان فأحدهما جناح نسر ، والآخر خافية صقر . يلقاك من مياسره سانح[١] ، ومن ميامنه بارح[٢] . تجودك أنواؤه والسنون جماد ، وتسقيك سماؤه والعيش جهاد ، بينا تراه على كواهل الجبال ، حتى يتهيّل الرمال[٣] ، قد تجافى قطراه عن واسطته ، وانضم ساقاه على راحلته . يخونك إن وفى لك الشباب ، ويفي لك إن جهدك الخضاب ، رفعته رفعة المنابر ، ورفقته رفقة المحابر ، يروي عن الأحمر ، وإن شئت عن يحيى بن يعمر . قد أفضى بك إلى روضة غناء ينعم رائدها ، وشريعة زرقاء يكرع واردها ، أخرجه أبا الحسين ، أسرع من خطفة عين [من الوافر] :

وذاك له إذا العنقاءُ صارَتْ مربّيةً وشبَّ ابنُ الخصيِّ !

ولما استأذنه للصدر وقع في رقعته : لا استدلال يا أخي على الملال ، أقوى من سرعة الارتحال ، لكننا نقبل العذر وإن كان مرفوضاً ، ونبسطه وإن كان مقبوضاً ، ولا أمنعك عن مرادك ووفاقك . وإن منعت نفسي مرادها بفراقك ،

---

(١) السانح : من الطير ما مرّ من يسار الرائي الى يمينه

(٢) البارح : من الطير ما مرّ من يمين الرائي الى يساره .

(٣) يتهيّل : تهيّل التراب والرمل : انهال وتصبّب .

فاعزم على ذلك وفقك الله في اختيارك ، ووصل النجح بإيثارك .

وأصحبه كتاباً إلى خالة أبي علي هذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته ، وتنفيس مهلته ، وأنا سالم ولله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب ، ولبر الشيخ أيده الله بكتابه الوارد شاكر ، فأما أخونا أبو الحسين قريبه أيده الله فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منه، وأتحفني من قربه بعلق مضنة[1] ، لولا أنه قلل الأيام ، واختصر المقام ، ومن هذا الذي لا يشتاق إلى ذلك المجلس ؟ وأنا أحوج من كافة حاضرته إليه ، وأحق منهم بالمثابرة عليه ، ولكن الأمور مقدرة ، وبحسب المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسب إليه على البعد ، ونقتبس فوائده عن قرب ، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله ، والشيخ أدام الله عزه يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته . ونقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب الى الشطط ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه ، وينبسط إلي في حاجاته، فإنني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته ، إن شاء الله تعالى .

وتصرفت بأبي الحسين أحوال جميلة في معاودته حضرة الصاحب ، وأخذه بالحظ الوافر من حسن آثارها ، ثم وروده خراسان ونزوله نيسابور دفعات وإملائه بها في الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، ثم قدومه على الشار صاحب غرسسان وحظوته عنده ووزارته له ، ثم وزارته للأمير إسماعيل بن سبكتكين ، ثم اختصاصه بعده بالشيخ أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني وأبنائه بغزنة ورجوعه منها إلى نيسابور وإقامته بإسفرائين ، ثم مفارقته إياها إلى جرجان واستقراره بها الآن ، ومحله يكبر عن الشعر إلا أن بحر علمه ربما يلقى الشعر على لسان فضله .

---

(١) علق مضنة : النفيس الذي يحرص عليه المرء ، أي أنه أولاه الرعاية والحرص .

فمما أنشدنيه وحدثينه أن رئيس مرور الروز سأله أن يجيز قول الشاعر [من الطويل] :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكفٌ غزال بأوقاتِ الزيارة عارف

فقال [من الطويل] :

وما خلتُ أنّ الشمس تطلع في الدجى وما خلتُ أنّ الوحش للإنس آلفُ
ولجلج إذ قال السلام عليكم ولا عجبٌ إن لجلج القول خائف
وقمت أفدّيهِ وقلبي كأنّه من الرعب مقصوصٌ من الطير جادف[1]
ولما سرى عنه اللثام بدت لنا محاسن وجهٍ حسنه متناصف
وطال تناجينا ورقّ حديثنا ودارت علينا بالرحيق المراشفُ
ولا غرو أن لا باخلٌ بخياله يسامحنا في وصله ويجازف
فيا لك لبلاً قد بلغت به المنى يمانعني طوراً وطوراً يساعف
كأنّ يد الأيام عندي بوصله أيادي ابن حسانٍ لذيّ السّوالف
إذا ادخر الأموال قومٌ فذخره صنائع إحسانٍ له وعوارف
ومن شَغَفَ البيضَ الأوانس قلبُهُ فليس له إلاّ المكارم شاغف

وله من قصيدة في الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس الإسفرائيني [من الطويل] :

فتىً ساد في عصر الفتاء وقد حوى شتيت العلى من ساد عصر فتائه[2]
يصدّقُ ظنّ المرتجى ويزيدُهُ بأدنى لهاه فوق أقصى رجائه
فلا مطله يمتدُّ قدّام نيله ولا منُّهُ يشتدُّ خلف عطائه[3]

---

(١) جادف : جدف الطائر من باب نصر أي طار وهو مقصوص الجناح .

(٢) الفتاء : أي الافتاء بالشريعة وأحكامها ، وشتيت العلى : أي جوانبه المتفرّقة .

(٣) المطل : من المماطلة في العطاء، والمنّ :العطاء والتكرُّم .

من الشد ، وهو : العدو .

ومنها :

ألا أبلـغِ الشيخ الجليل رسالةً مترجمـةً عن شكره وثنائِهِ
تقلَّبـتُ في نعمـاك عشـراً كواملاً حلبـت بهـن العيش ملء إنائه
وأنقذت شلـوي من يد المـوت بعدما ترامتـه من قدامـه وورائه[1]
وسببـت لي عيشـاً يسـدّ خصاصتي ووجهـيَ محقـونٌ صبابـة مائه[2]
أأكفـرُ من صغـرى أياديه مهجتي وبلغـة عيشـي من دقـاق حبائه
أعـدت قوى حبلـي وشيَّدت بنيتي وكم رمَّ بانٍ مستـرمٌّ بنائه
وتـربية المعـروف شرط تمامه وهـل تمّ شرطٌ دون ذكر جزائه

الشرط والجزاء في النحو معروفان .

ولا بدّ من سرٍّ إليك أبثُّهُ ففـي نفثـةِ المصـدور بعض شفائِهِ
تمـادى علـيَّ في الجفـاء ولـم أكنْ خليقـاً بمـا أبـداه لي من جفائه
كأنّـي يومـاً عِقْتُـهُ عن سماحه كأنـيَ يومـاً لُمْته في سخائه ؟[3]
طوى كشحـة من دون عتـبٍ أسرُّهُ وجهـل أمـرىءٍ بالـداء جهـل دوائه[4]
تكدّر بالإدمـان صفـوُ وداده فحاولـت بالإعتـاب عود صفائه
فإن جرّ تخفيفـي علـيَّ قطيعةً فربّ سقيمٍ سقمـه لاحتمائه

وله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الشلو : العضو ، وكلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقيّة .

(٢) الخصاصة : البلغة والحاجة .

(٣) عقته : من عاق : أي منع ، والسماح الكرم مع المروءة ، والسخاء : الكرم .

(٤) طوى كشحه على أمر : أي أخفاه وطوى كشحه عنه : أعرض عن لقائه والكشح ما بين الخاصرة والسُّرة ووسط الظهر .

ولا غصـنٌ إلاّ ما حواه قباؤه ... ولا دعصٌ إلاّ ما خبته مآزرُه[1]
وأمضـى من السيف المنـوط بخصره ... إذا شيم سيفٌ تنتضيه محاجرُهُ

وله من أخرى في الأمير خلف [من الطويل]:

ومـا كتبت سطراً من الوجـد أدمعي ... لنحـوك إلاّ وهـو بالـدم معجم
وما لي ألقـى في جنابـك غلَّةً ... وحوضـك للعـافين غيري مفعَمُ
وقـد يغتـدي الـورّاد يبغـون نُجعةً ... فيرزق مرتـادٌ وآخـر يحومُ[2]

وله من أخرى [من الكامل]:

كم أعقبـت نوب الزمـان جميلاً ... وكفين خطبـاً قد ألـمّ جليلا
لا تستقـل جميل دهـرك إنّه ... ليس القليل من الجميل قليلا
واسـألْ بي الأيام حين جسسنني ... بخطوبهـا جسّ الـطبيب عليلا
أقريتهـا لمّـا نزلنَ بساحتي ... صبـراً علـى ريب الزمـان جميلا

ومنها :

يرعـى محياه الجميل رواؤه ... ثمـر القلـوب محبّـةً وقبولا
حلـو الـكلام كأنّمـا أنفاسه ... ألقـت عليه خلقـه المعسولا

ومنها :

يا راكبـاً والجوسقـان قصاره ... يجفـو مبيتـاً دونـه ومقيلا
قل للأمير إذا سعـدت بوجهه ... وقضيت حقّ بساطـه تقبيلا
لا تيأسـن من الإلـه فروحه ... إن لم يغـادك بكرةً فأصيلا[3]

---

(١) القباء : الثوب والخباء ، والدعص : الكثيب من الرمل تشبّه به أرداف المرأة،وخبته المآزر :أي أخفاه الإزار الذي تتشح به المرأة في وسطها .
(٢) النُّجعة : طلب العيش في أماكنه .
(٣) الروح : الفرج ، والكرم ، والرحمة . ويغادك : من الغدو صباحاً ، والأصيل : المساء .

وأمَـلْ لطـائف صنعـه فلطالما كشف الهمـوم وبلّـغ المأمولا
يا ربَّ مكروهٍ تعـذّر حلُّهُ ليلاً فأصبـح عِقـده محلولا
وملمّـةٍ أعيا نهـاراً خطبها أمسـت فسهّـل خطبهـا تسهيلا
ذكّرتـك الصبـر الجميل وإنّني كمـذكّرٍ غزل النسيب جميلا

وله في وصف الفرس من قصيدة [من الكامل] :

ومطهّـمٍ ما كنـت أحسـب قبله أنّ السـروج علـى البـوارق توضع[1]
وكأنّمـا الجـوزاء حين تصوّبت لبـبٌ عليه والثـريّا برقع[2]

٩٤ ـ أبو سعد نصر بن يعقوب

تعقد عليه الخناصر بخراسان في الكتابة ، والبراعة في الصناعة . وله في الأدب تقدم محمود ، وفي المروءة قدم مشهورة ، وفـي المعالـي همـة بعيدة ، وشهادة الصاحب له بالفضل ، تسجل بها أحكام العدل . وفيما أحكيه من كتابه إليه في ارتضاء تآليفه ونظمه ونثره ، غنى عن الإسهاب في ذكره ، والإطناب في وصفه .

ولما بعث إلى حضرته بكتابـه المترجـم بروائـع التوجيهـات ، من بدائـع التشبيهات ، مقروناً بكتاب يشتمل على كل صواب ، وقصيدة في فنها فريدة ، ورد عليه كتاب هذه نسخته :

كتابي ـ أطال الله بقاءك يا ولدي ـ وقد شارفت أصبهان سالما ، والحمد لله حمداً دائماً . ووصل كتابك أيدك الله فأنبأ من محاسنك عن مجال فسيح ، ونطق في فضائلك بلسان فصيح . وأذكر بحرماتـك وإنهـا لمحصـدة المرائـر . وخبّـر

(١) المطهّم : التام الحسن .
(٢) تصوّبت : انحدرت وهمت ، واللبب : موضع القلادة من الصدر ، أو سير يشدّبه السّرج . البرقع : قناع للدواب .

بقرباتك وإنها لخالصة السرائر . فأما كتاب التشبيهات فقد فرعت به كافة الأشباه[1] ، وأنبهت على سبقك كل الإنباه . إذ تعاطاه ابن أبي عون فلم يطاول يدك . وحمزة بن الحسن فلم يبلغ أمدك ، وهذان شيخان مقدمان ، وفحلان مقرمان[2] ، وما ظنك بكتاب نفرته على نظائره[3] ، وصار ألزم لمجلسي من مساوره[4] ، وحين هزني نثرك حتى كأنه نثر الورد ، عطفت على نظمك فإذا هو نظم العقد . وإني ليعجبني أن يكون الكاتب شاعراً ، كما يعجبني أن يكون الشعر سائراً فها نحن ندعيك في فضلاء هذا الصقع ، ونجتذبك اجتذاب الأصل للفرع ، فاكتب متى شئت ، عامراً من الحال ما أسست ، ومستثمراً من الخصوص ما غرست ، إن شاء الله . خاطبت أيدك الله في معنى الضيعة وليس حلها لك بمستنكر ، ولا إطعامك اياها بمستكثر إلا أن الرأي والرسم أوجبا أن يجعل بدء النظر تسويغا ، يعود من بعد تمليكا وتخويلا . فليقبض المرسوم ، لينتظر الموعود ، إن الهلال يدور بعد ليال بدراً كاملا ، والطل يكسب ثم يعود وابلا ، والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله .

ولأبي سعد كتب كثيرة سوى ما تقدم ذكره ، فمنها كتاب ثمار الأنس في تشبيهات الفرس ، وكتاب الجامع الكبير في التعبير ، وكتاب الأدعية ، وحقة الجواهر في المفاخر ، وهي من مزدوجة بهجة في الأمير خلف ، وهو الآن يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور ، وإذا احتاج السلطان المعظم يمين الدولة وأمين الملة الإجابة عن كتب الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءهما اعتمد فيها عليه ، لما يتحققه من حسن كلامه ، وقوة بيانه ، وغزارة بحره ، وشرف طبعه .

وله شعر كثير قد كتبت منه ما حضرني الآن إلى أن الحق به أخواته

---

(١) فرعت به : تجاوزت وافتضضت .

(٢) مقرمان : القرم : السيد .

(٣) نفرته على نظائره : أي فضّلته وقدّمته .

(٤) مساوره : مشاربه ، أو آساده.

فمن ذلك قوله للصاحب من قصيدة أولها [من الوافر] :

أبـى لي أن أبالـي بالليالي وأخشى صرفهـا فيمـن يبالي
حلولـي في ذري ملكٍ كطودٍ رفيعٍ مشـرف الأعـلام عالي
إلى شمس الشتاء إلى ظلال الـمصيـف إلى الغمام إلـى الهلال
إذا ما جاءه المذعـور يوماً وحـلّ ببابـه عقـد الرحال
تبـوّأ من ذراه خير دارٍ فلـم يخطـر لمـكروهٍ ببال

ومنها عند ذكر القصيدة :

بودّي لو نهضـت بهـا ولكنْ ضعفـت عن الحـراك لضـعف حالي

وله إليه في صدر كتابه [من الرجز] :

نعـم رسـولُ الخـادم المحتشم إلـى الـوزير السيد المحترم
الصاحـب البـرّ الأجـل الاكرم كافـي الكفـاة ولـيٍّ النعمْ
مدبّـر الأرض وراعـي الأمم بلّغـه الله أقاصـي الهممْ

* ما في الكتاب من ثمار القلم *

وله من قصيدة إلى أبي محمد الخازن [من الطويل] :

أتانـي كتـاب الشيخ مولاي بغتةً فطـار له غمّي كمـا طاب موردي
وفيه معـانٍ لا تدين لكاتبٍ وتعنـو لعبـد الله أعنـى ابـن أحمد[1]
فأسـكرن حتّـى دونهـا خمـر بابلٍ وأطربـن حتـى دونهـا لحـنُ معبد[2]
قرأت سواداً في بياضٍ كأنّهُ طراز عذارٍ لاح في خدٍّ أمرد

وله من أبيات في وصف الزلزلة [من الرمل] :

(١) لا تدين : أي لا تخضع ، وتعنوا : تسمع وتطيع .
(٢) معبد : أحد المغنين المشهورين .

أسقني كأساً كلونِ الذهبِ وأمزجِ الريق بماء العنبِ
فقدِ ارتجَّتْ بنا الأرض ضحىً كارتجاج الزئبق المنسرب
وكأنّ الأرض في أرجوحةٍ وكأنّا فوقها في لولبِ

وقوله في كسوف القمر [من الرجز] :

كأنّما البدر به الكسوف جامُ لجينٍ رائقٍ نظيف[1]

* في نصفه بنفسج قطيف *

***

٩٥ - أبو نصر سهل بن المرزبان

أصله من أصبهان. ومولده ومنشؤه قاين ومستوطنه الآن نيسابور وهو غرة في جبهة عصره ، وتاج على رأس أهل مصره ، وخارج بمحاسنه وفضائله عن المعتاد، إلى ما لا يدرك بالاجتهاد . واقف من الآداب على أسرارها ، قاطف من العلوم أحلى ثمارها ، وبلغ من غلوه في محبتها ، وشدة حرصه على اقتناء كتبها . أن ركب إلى قرارتها بغداد الشقة ، وتحمل فيها المشقة ، ولم يرض بذلك مرة ، حتى كر إليها كرة ، ليس له بها غير الأدب أرب ، ولا سوى الكتب طلب ، أنفق على تلك الفوائد ، من الطارف والتالد ، ما عوضه عنه صنوف المحامد ، وقديما قيل :

إنفاق الفضة ، على كتب الآداب ، يخلفك عليها ذهب الألباب .

وليس اليوم بنيسابور ديوان شعر غريب يجري مجرى التحف ، ولا كتاب جديد يشتمل على بدائع الطرف ، إلا ومن عقده انتثر ، ومن يده انتشر ، ولا بها سواه من تسمو همته على يساره ، لارتباط الوراقين في داره ، وله من مؤلفاته كتاب

(١) جام لجين : الجام : إناء ، واللّجين الفضة .

أخبار أبي العيناء وفيه يقول [من الهزج] :

تفاءلتُ على علمٍ بأخبار أبي العينا
إذا ما قرأ القاري بها قرَّ بها عينا

وله كتاب أخبار ابن الرومي مما ألفه لي ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وكتاب ذكر الأحوال في شعبان وشهر رمضان وشوال ، وكتاب الآداب في الطعام والشراب ، وله شعر كثير النكت ، وقد كتبت أنموذجا منه ، كقوله [من الكامل] :

كم ليلةٍ أحييتها ومؤانسي طرفُ الحديث وطيبُ حثٍّ الأكؤسِ
شبَّهتْ بدرِ سمائها لما دنتْ منه الثريا في قميصٍ سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضةٍ حيّاه بعض الزائرين بنرجس

وقوله [من الرمل] :

قال لما قلت لم تهجرنا إن أتى بردٌ وإن ثلجٌ وقَعْ
أنا كالحيّة أشتو كامناً ثم أنساب إذا الصيف رجعْ

وقوله لبعض الرؤساء [من المتقارب] :

إذا ما سكت على ما أسأم فنفسي بتكليفه لا تفي
وإمّا نطقت فعيبٌ يمضٌ ولومٌ يجدُّ ولم أنصفِ(1)
فهل من سبيلٍ إلى ثالثٍ لأسلكه وهو عني خفي

وقوله [من البسيط] :

لم ألق مثل أبي بكرٍ معدلكم في الآدميين شباناً ولا شيبا
حكى عليَّ أحاديثاً أكاذيباً وفي اختلاس حقوقي قد حكى ذيبا

---

(1) في ب « وإذا ما نطقت فعيبٌ يمضّ » ولا يستقيم الوزن ، إلاّ بحذف « إذا » .

وقوله [من الطويل]:

تسبّ صديقي في المجالس عائباً ومن عابه يوماً كمن هو عائبي
فدع مثل هذا جانباً في الملاعب وإلاّ فدعني مثله في الملاعبِ

وقوله في لدغة عقرب أصابته [من الطويل]:

تداويت من أوجاع لدغٍ أصابني براحٍ شفتني من سموم العقارب
فحمداً للطف الله حين أزالها ومن بعده حمدٌ لفعل العقار بي

وله في كتاب الذخيرة [من المتقارب]:

إذا أنت عالجت ذا علّةٍ فخذ للعلاج كتاب الذخيره
فنعم الذخيرةِ للمقتني ونعم الغياث لنفسٍ خطيره

وله [من السريع]:

لا تجزعن من كلِّ خطبٍ عرى ولا تُرِ الأعداء ما يُشمِتُ
أما سمعت الله في قوله (إذا لقيتم فئةً فاثبتوا)

وقوله [من المتقارب]:

مجاوزة الحدّ والاعتدال إلى ما يقود المنايا سريعه
فلا تفرطن في جميع الأمور فكلٌّ كثيرٍ عدوٌّ الطبيعة

وقوله [من الطويل]:

تجنَّبْ شرار الناس واصحب خيارهُمْ لتحذوهم في جلِّ أفعالهم حذوا
فإنّ لأخلاق الرجال وفعِلهِمْ إلى غيرهم عدوى توافيهم عدوا[٢]

---

(١) فعل العقار بي : أي فعل الخمرة وأثرها .
(٢) توافيهم عدواً : أي تأتيهم مسرعة .

وكتب إليه مؤلف هذا الكتاب يحاجيه [من الرجز] :

حاجيت شمسَ العلم فرد العصْرِ ندیم مولانا الأمير نصرِ
ما جاجةٌ لأهل كلٍّ مصرِ في كلّ ما دار وكلٍّ قصرِ

* يباع في الأسواق بعد العصر*

فكتب إليه [من الرجز] :

يا بحر آدابٍ بغير جزر وحظه في العلم غير نزر
حزّرت ما قلت وكان حزري أنّ الذي عنيت دهن البزر

* يعصره ذو قوةٍ وأزر *

***

٩٦ - أبو محمد الحسن بن أحمد اليروجردي

كاتب بحقه وصدقه ، متبحر في ترسله ، منقطع القرين في كتاب عصره ، آخذ بأزمّة الكلام البارع يقودها كيف أراد ويجذبها كيف شاء ، قد خدم الصاحب في عنفوان شبابه ، وتأدب بآدابه، واختص به ، وراض طبعه على أخذ نمطه ، ومن جانبه وقع إلى بلاد خراسان فاشتهر بها ، وسار كلامه فيها ، وهو الآن صدر كتاب الأمير أبي نصر أحمد بن علي الميكالي ، ولعل ما قد ارتفع من سواد رسائله إلى هذه الغاية يقع في أربعة آلاف ورقة وتزيد أبوابها على خمسة وعشرين، وله محاضرة حسنة مفيدة . وشعر كتابي كثير المحاسن مستمر النظام ، ومن أوائله أن الصاحب اتهم بعض المرد في مجلسه بسرقة كتبه ، فقال [من المجتث] :

سرقْتَ يا ظبيُ كتبِي ألحقت كتبي بقلبي

وأمر أبا محمد بإجازته فقال [من المجتث] :

فلو فعلت جميلاً رددت قلبي وكتبي

وأنشدني بحضرته يوما هذان البيتان [من المديد] :

يا نسيم الــريح من بلدٍ خبِّـري بالله كيف هُمُ
ليس لي صبــرٌ ولا جلدٌ ليت شعــري كيف صبرُهُمُ

فأمره بإجازتهما ، فقال [من المديد] :

ولســانُ الدمــع يشهــد لي وهــو ممّــنْ ليس يتهم

ومن ملحه قوله [من الخفيف] :

قد سمعنــا بكل آبــدةٍ نكـ راء تبلــى بمثلهــا الأحرارُ
وغفرنــا الجميع للدهــر لكن ما سمعنــا بكاتــبٍ يستعارُ

وقوله في حوض لبعض الرؤساء [من الكامل] :

حوضٌ يجــود بجوهــرٍ متسلسلٍ ساد الجواهــر كلُّهــا بنفاستهْ
لا زال عذبــاً جارياً ببقــاء من هو مثلــه في طبعــه وسلاستِهْ

وقوله من مزدوجة كتب بها إلى أبي سعد نصر بن يعقوب [من الرجز] :

أهــلاً بمــن أهــدى إلينــا الجُونه ولا عدمنــا أبــداً مجونه(١)
فقــد أعــاد منزلــي خصيباً وازددت في الخير به نصيبا
فمــن فراخٍ رخصــةٍ مسمَّنه قد جعلــت برسمهــا مطجنه
وباقــلاء كالليالــي عظمتْ معقــودةٌ في سلكهــا قد نظمتْ
إذا التقطــت حبّهــا من الأقط حسبتنــي بهــا اللآلــي ألتقط(٢)
وبعضهــا في خلّــه منقوعُ جوع الفتــى بطيبــه مدفوعُ

---

(١) الجَوْنة : الخابية ،والجُونة :سلة صغيرة مغطاة بالجلد يوضع فيها الطيب ،وهي المقصودة،والمجون: التظرُّف والمداعبة .

(٢) الأقط : الجبن .

وفلكٍ بالـروع يدعـى رازي   خطفتـه باللقـم خطف البازي
وبعـد هذا كلّـه شهـد العسل   ينـزع عن ذائقـه ثوب الكسل
شكرت مولاي علـى ما حمّلا   ولا يسـاوي كلّ هذا جملا

وكتب إلى صديق له [من الوافر]:

بسـاط الأرض مسـكٌ أو عبيرٌ   وزهـر الـروض وشـيٌ أو حريرُ
وللعيدان عيدانٌ عليها   بمنطـق طيرهـا بمٌّ وزير[1]
وقـد صفّـى الزمـان الخمـر حتى   لقـد عادت لدينـا وهـي نور
ومـن يردِ السـرور يعشْ هنيئاً   إذ العيش الهنـيء هو السرور
وعنـدي اليوم فتيانٌ كرامٌ   وجوههـم شمـوسٌ أو بدور
وقطـب الأمـر أنـت وهـل لأمرٍ   بغير القطـب فيه رحـىً تدور[2]
فرأيك في الحضـور فحـقٌّ يومي   عليك وقـد دعيت له الحضور

وكتب إلى آخر[من مخلع البسيط]:

حضـرتُ مولاي للسلام   وقـت الضحـر وهـو في المنام
فقلـت هذا دليل صدقٍ   عنـدي علـى جودة المدام
والعتـب في تركه دعاني   إليه في جملـة الندام

كتب [من المنسرح]:

يوم الثلاثـا للسـرور فلا تكُنْ   عنـه بغير السـرور مشتغلا[3]
والدهـر في غفلـة وعيشـك لا   يطيب إلاّ والدهـر قد غفلا
عجّـلْ وبـادر بدار مغتنمٍ   فالدسـت والله لأمـري عجلا

---

(1) البم والزير: من أوتار العود.
(2) قطب الأمر: أي صاحبه ومالكه، والرحى: المطحنة.
(3) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن.

وله في سكين [من مخلع البسيط] :

سكينُ عزٍّ لمـن مداه في العـزّ يغنيه عن مداه
فلـو سطـا ضاربٌ بعود لعـاد سيفـاً علـى عداه

***

٩٧ ـ أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي

هو لمحاسن الأدب وبدائع النثر ولطائف النظم ودقائق العلم كالينبوع للماء ، والزند للنار ، يرجع معها إلى أصل كريم ، وخلق عظيم .

وكان فارق وطنه الري في اقتبال شبابه . وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي ، وهو من وجوه العمال بها وفضلائهم ، فلم يزل عنده كالولد العزيز عند الوالد الشفيق ، إلى أن مضى أبو نصر لسبيله ، وتنقلت بأبي النصر أحوال وأسفار في الكتابةللأميرأبيعلي ، ثم للأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي ، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور ، وأقبل على خدمة الآداب والعلوم .

وله كتاب لطائف الكتاب وغيره من المؤلفات . وله من الفصول القصار شيء كثير ، كقوله :

تعز عن الدنيا تعز ، الشباب باكورة الحياة ، للهم في وخز النفوس ، أثر النفوس في خزّ السوس ، لسان التقصير قصير .

ولا بأس أن أورد أنموذجاً من سائر نثره البهج . وكلامه الغنج الأرج .

رقعة في إهداء نصل

خير ما تقرب به الأصاغر إلى الأكابر . ما وافق شكل الحال ، وقام مقام الفال ، وقد بعثت بنصل هندي إن لم يكن له في قيم الأشياء خطر ، فله في قمم

الأعداء أثر ، والنصل والنصر أخوان ، والإقبال والقبول قرينان والشيخ أجل من أن يرى إبطال الفال ، ورد الإقبال .

رقعة في الاستزارة يوم النحر

أمتع الله مولاي بهذا العيد واليوم الجديد ، وأطال بقاءه في الجد السعيد والعيش الرغيد . هذا يوم كما عرفه التاريخ العام ، وغرة الأيام ، قد قضيت فيه المناسك ، وأقيمت المشاعر ، وأديت الفرائض والنوافل ، وحطت عن الظهور بها الآصار والمثاقل[1] ، فالصدور مشروحة ، وأبواب السماء مفتوحة والرغبات مرفوعة ، والدعوات مسموعة . وليت المقادير أسعدتنا بتلك المواقف الكرام والمشاعر العظام ، فنحظى بعوائد خيراتها ، ونستهم في محاسن بركاتها ، وإذ قد فاتنا ذاك فما أحوجنا إلى أن نحرم من ميقات الطرب . ونغتسل من دنس الكرب ، ونلبس إزار المجون ، ونلبي على تلبية الأوتار ، ونطوف بكعبة المزاح ، ونستلم ركن النشاط ، ونسعى بين صفاء القصف ومروة العزف ، ونقف بعرفة الخلاعة ، ونرمي جمرات الهموم ، ونقضي تفث[2] الوساوس ، ونضحي ببدن الأفكار في العواقب[3] ، فإن رأى أن يتفضل بالحضور ، لتتميم حجة السرور ، فعل إن شاء الله .

رقعة في خطبة الود

أنا خاطب إلى مولاي كريمة وده ، على صداق قلب معمور بذكره ، مقصور على شكره . معترف بفضله ، عالم بتبريز خصله . على أن أصونها من غواشي

---

(١) الآصار : جمع إصر : وهو الذنب والإثم .

(٢) النفث : ما يلقيه الشيطان في قلب الانسان .

(٣) البدن : الضحية في مكة المكرمة كالبقرة والناقة والشاة .

الصدر في سجوف[1] . وأمسكها مدى الدهر بمعروف ، وأنحلها من عادة الرفق ، ودماثة الخلق ، ووطاءة الجناب ، ولطافة العشرة والاصطحاب ، ما لا تكتسي معه نفوراً وانقباضاً ، ولا تشتكي نشوزاً وإعراضاً ، فإن وجدني مولاي كفؤاً له بعد أن جئت راغباً ، وبلسان الخطبة خاطباً ، أنعم بالإسعاف ، وجعل الجواب مقدمة الزفاف ، حامياً به ديباجه السؤال . عن خجلة الرد ووصمة المطال ، وقد قدمت بين يدي هذه النجوى صدقة ، طلبا للتحاب لا على حكم الاستحقاق والاستيجاب ، ومهما أنعم مولاي بقبولها أيقنت استكفاءه إياي لوده ، واستغرقت الوسع والإمكان في شكره . والتحدث بعظيم بره ، إن شاء الله تعالى .

وله كتاب

هذا كتاب من ديوان العتب والاستبطاء ، إليك يا عامل الصدود والجفاء .

أما بعد ، فقد خالفت ما أوجبه التقدير فيك ، وأخلفت ما وعده الظن بك ، وافتتحت ما توليته من عمل الوداد بهجران أطار وادع القرار . وأودع القلب أحر من النار . وتعقبته بخلع عذار الوفاء أصلاً ، ومعاقرة ندمان الجفاء نهاراً وليلاً . وشغلك خمر الهجران ، وخمار النسيان ، عن ترتيب أمور المودة وتهذيب جرائد الوصال والمقة[2] ، واستعراض روزنامجة الكرم ، واسترفاع ختمات العهد المقدم ، وتأمل مبلغ الورد والإخراج من الود ، وتعرف مقدار الحاصل والباقي من أثر الرعاية في القلب ، وسلطت أيدي خلفائك ، وهم عدة من إعراضك وصدك وجفائك ، على رعية النفس وهي التي جعلت أمانة عندك ووديعة قبلك ، فأسرفوا في استيكالها ، وهموا باجتياحها واغتيالها ، غير راع لحرمة الثقة بك ، ولا واف بشرط الاعتماد عليك ، ولا قاض حق الإيثار لك ، والاستنامة إليك[3] ، ولا ناظر

---

(١) السُجوف : الستور .

(٢) جرائد الوصال : مقالاتها ، والمقة : المحبة .

(٣) الإستنامة : الاستئناس والسكون .

لغدك إذا استعدت إلى الباب ، وطولبت برفع الحساب ، واستعرضت جريدة أفعالك ، واستقريت صحيفة أعمالك ، هنالك يتبين لك ما جنى عليك سوء صنيعك ، وما الذي جاش إليك فرط تضييعك ، فتصحو تارة عن سكرة جفائك ، وتسكر أخرى عن سورة أحبائك ، وكم تقرع من ندم اسنانك ، وتعض من سدم بنانك[1] .هيهات! لا ينفع اذ ذاك إلا القلب السليم ، والعهد الكريم، والعمل القويم ، والسنن المستقيم ، ومن لك بها وقد سودت وجوه آثارك،وتلقيت امانة العهد بسوءجوارك ،وقبح إخفارك، ولولا التأميل لفيأتك وارعوائك ، وانتهائك عن تماديك في غلوائك لأتاك من أشخاص الإنكار ما يقفك على صلاحك ، ويكفك عن فرط جماحك، فاجلُ أعزك الله الغشاء عن عين رعايتك ، واطرح القذى عن شرب مخالصتك ، وارع ما استحفظته من أمانة الفؤاد ، واعلم بأنك مسئول عن عهدة الوداد ، واكتب في الجواب بما نراعيه منك ، وتعذر إن كان فيما أقدمت عليه لك ، إن شاء الله تعالى .

رقعة استزارة

هذا يوم رقت غلائل صحوه ، وخنثت شمائل جوّه ، وضحكت ثغور رياضه ، واطرد زرد الحسن فوق حياضه . وفاحت مجامر الأزهار ، وانتثرت قلائد الأغصان عن فرائد الأنوار . وقام خطباء الأطيار . فوق منابر الاشجار ودارت أفلاك الأيدي بشموس الراح ، في بروج الأقداح ، وقد سبينا العقل في مرج المجون ، وخلعنا العذار بأيدي الجنون . فمن طالعنا بين هذه البساتين وأنواع الرياحين ، طالع فتيانا كالشياطين ، ونصارى يوم الشعانين ، فبحق الفتوة التي زان الله بها طبعك ، والمروة التي قصر عليها أصلك وفرعك ، إلا تفضلت بالحضور ، ونظمت لنا بك عقد السرور .

---

(١) السّدم : الغضب والندم والحزن .

رقعة أخرى

أمتع الله الشيخ بعنوان الشتاء ، وباكورة الديم والأنواء . وهنأه الله اليوم الذي هو نسخة جوده ، ومجاجة ماء أرواه الله بماء المجد من عوده[1] . وعرفه من بركاته ، أضعاف قطر السماء بأقطاره وساحاته ، وأضحك قلوبنا ببقائه ، كما أضحك الرياض بأندائه ، وحجب عنه صروف الأيام ، كما حجب السماء عنا بأجنحة الغمام ، قد حضرني أيد الله الشيخ عدة من شركائي في خدمته ، فارتحت لاشتراكهم إياي فيما آدرعته من فضل نعمته[2] ، وأشفقت من سمة التقصير لديه ، فقدت هذه الرقعة جنيبة عذر بين يدي عارض التقدير إليه ، وفي فائض كرمه ما حفظ شمل الأنس على خدمه ، لا زال مأنوس الجناب ، بالنعم الرغاب ، مأهول المعاهد ، بالقسم الخوالد .

فصل في الإنكار على من يذم الدهر

عتبك على الدهر داع إلى العتب عليك ، واستبطاؤك إياه صارف عنان اللوم إليك ، فالدهر سهم من سهام الله منزعه عن مقابض أحكامه ، ومطلعه من جانب ما حررته مجاري أقلامه . والوقيعة فيه بمرس بحكم خالقه وباريه ، ومجاري الأشياء على قدر طباعها ، وبحسب ما في قواها وأوضاعها . ومن ذا الذي يلوم الأراقم على النهش بالأنياب ، والعقارب على اللسع بالأذناب ، وأنى لها أن تذم ، وقد أشربت خلقتها السم ، وحكم الله في كل حال مطاع ، وبأمره رضى واقتناع ، فاعف الزمان عن قوارص لسانك ، واضرب عليها حجاب الحرص بأسنانك ، واذكر قول النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » وعليك بالتسليم ، لحكم العلي العظيم ، فذاك أحمد عقبى ، وأرشد ديناً ودنيا .

---

(١) مجاجة الماء : عصارته ، وعوده : أي عطائه .

(٢) ادرعته : أي اتخذته درعاً فيه حمىً ووقاية .

رقعة إلى صديق له قامر على كتب لها خطر فقمر

المحن ـ أيدك الله ـ معلقة بين جناحي تقدير ، وسوء تدبير . فأما التي تطلع من جانب المقدار ، فالمرء فيه معفى عن كلفة الاعتذار ، وأما التي أوكتها يده ونفخها فوه[1] ، فليس لخرقها أحد يرفوه[2] . وفي فصوص الأفلاك الدائرة ، ما يغني عن فصوص العظام الناخرة ، اللهم إلا إذا عميت عين الاختبار ، وصمت أذن الروية والاعتبار، والله ولي الإرشاد إلى طريق الصواب والسداد . وبلغني ما كان من خطارك بما اعتددته غرة الغرر ، ودرة الدرر . ونهبة الأدب ، وزبدة الحقب . حتى قمرته الأيدي الخاطفة ، واختطفته الأطماع الجارفة ، فأعدمت من غير لص قاطع ، وأصبت بغير موت فاجع . فيا له من غبن يلزم المغرم ، ويحرق الأرم. ويقطع البنان ، ويحير العين واللسان ، نعم يا سيدي قد مسني من القلق لسوء اختيارك ، وقبح آثارك ، ما يمس من يراك بضعة من لحمه ، ودفعة ن دمه ، ولا يميزك عن نفسه ، في حالتي وحشته وأنسه ، لكن من طباع النفوس الناطقة أن تنفر عمن يسيء النظر لذاته ، وتذهب عمن يعمل الفكر في مصالح أموره وجهاته . ومن غفل عن صلاح نفسه فهو أغفل عن صلاح من سواه ، ومن عجز عن تدبير ما يخصه فهو أعجز عن تدبير من عداه . والله يلهمك الصبر على ما جنته يدك ، ويدرعك السلوة عما أورطتك فيه نفسك ، ويجعل هذه الواحدة منبهة لك من سنة الضلال ، ومزجرة عن سنة الجهال . وبعد فلم ينقص من عمرك ما أيقظك ، ولا ذهب من مالك ما وعظك ، فإياك ان يطمعك اللجاج في معاودة تلك الخطة الشوهاء[3] فإنها تأخذ منها أكثر مما تعطيك ، وتسخطك فوق ما ترضيك ، وإن يرد الله بك خيراً يهدِك ، ويسعدك بيومك وغدك .

* * *

(١) يشير بهذه الفقرة إلى مثل لهم ، وهو قولهم : « يداك أوكتا وفوك نفخ » وأوكى الوعاء : شدّه بالرّباط .
(٢) الخرق : الفتحة ، ويرفوه : يصلحه .
(٣) اللجاج : الإلحاح في الطلب .

ملح وغرر من شعره

قال [من الوافر] :

لـه وجـهُ الهـلال لنصف شهرٍ وأجفـانٌ مكحّلـةٌ بسحرِ
فعنـد الابتسـام كليل بدرٍ وعنـد الانتقـام كيوم بدر(١)

وقال [من الوافر] :

بنفسـي من غدا ضيفـاً عزيزاً علـيَّ ، وإن لقيت به عذابا
ينـال هواه من كبـدي كباباً ويشـرب من دمـي أبـداً شرابا

وقال [من الطويل] :

أيا ضرَّة الشـمس المنيرة بالضحى ومن عجزت عن كنهها صفة الورى(٢)
عذرتـكِ إنْ لم أحـظ منـك برؤيةٍ فأنت لعمري الـروح والـروح لا ترى

وقال [من البسيط] :

لي شادنٌ ما أطيق الدهـر هجرتَهُ أمَّـنْ يجرعنـي داءً يداويني
شمسٌ تظلّلنـي ، نجـمٌ يضلّلني ماءٌ يسكّرنـي ، راحٌ تصحيني

وقال [من البسيط] :

إنّـي أضـنٌ بحبّيه علـى سقمي وليس والله داء الحـبٌ بالأمم
قال الـطبيب اقتصـد يومـاً فقلـت له أخشـى خروج هواه مع خروج دمي

وقال [من الوافر] :

---

(١) يوم بدر : يوم انتصار المسلمين على الأعداء في أول معركة مواجهة .

(٢) ضرّة الشمس : شبيهتها ، والضرّة هي المرأة الثانية التي يتزوجها الرجل مع ابقاء الأولى في عصمته والكنه : المعرفة والاحاطة .

فتــكت بمهجتــي عمــداً ، فهلاّ طويت الجــرم في ثنــي اعتذاركْ
أرى نار الصــدود علــى فؤادي فمــا بال الدخــان علــى عذارك

وقال [من الطويل] :

بنفســي مَنْ نفســي لديه رهينةٌ يجرّعهــا صبــراً ويمنعهــا الصبرا
أغــارَ علــى قلبــي فلمــا استباحَهُ أغــار علــى دمعــي فنظَّمــه ثغرا

وقال [من الطويل] :

وقائلــةٍ ما بال خدّك كلّما رآنــيَ يلقانــي بصفــرة جلبابِ
فقلــت كذا بدر السمــاء إذا بدا أفــاض على الغبــراء صفــرة زرياب

وقال [من الكامل] :

عجبــتْ لفاقــع سحنتــي ومدامعي منهلّــةٌ ، ورأتــه قبــلُ مورَّدا
فأجبتهــا لا تعجبِــنَّ فإنّه يصفــرُّ لون الزعفــران من الندا

وقال [من الكامل] :

يا ذا الــذي فتــن الــورى وبوجهه أخيا رسومــاً للمحاســن عافيه(١)
يحــكي محياه خلال عذاِره علــم السلامــة في طراز العافيه

وقال [من المتقارب] :

إذا رمــتَ من سيِّدٍ حاجةً فراعِ لديه الرضــا والغضبْ
فــإنِ التهجُّــم ليلُ المنى وإنّ الطلاقــة صبــحُ الأدب

وقال [من الكامل] :

لا تحسبــنّ هشاشتــي لك عن رضىً فوحــقِّ فضــلك إنّنــي أتملّقُ

---

(١) عافيه : دارسه وممحيّه .

ولقـد نطقـت بشـكر برّك مفصحاً   ولسـانُ حالـي بالشـكاية أنطقُ

وقال [من الطويل] :

شكرتـك طول الدّهـر غير مقابلٍ   ندىً لك ، بل جرياً على طول منتي
ومـن لك بالطـرف الجـواد بمسكه   بلا سنبـلٍ يرعـاه في أرض تبَّتِ

وقال [من المتقارب] :

أدلّ علـى ثقـة بالهوى   وقلـبٍ تضمَّـن صفـو المقه
فـلا تنـكرنّ دلالاً له   فإنّ الـدلال دليلُ الثقه

وقال [من الكامل] :

أدّى الخـلاف لك الخـلاف تشابهاً   وكلاهمـا في الاختيار ذميمُ
لو كان خيراً في الخـلاف لزانه   ثمـرٌ، ولـكنّ الخـلاف عقيمُ

وقال [من البسيط] :

الله يعلـم أنّـي لسـتُ ذا بخل   ولسـت مطّلبـاً في البخـل لي عللا
لكنّ طاقـة مثلـي غير خافيةٍ   والنمـل يعـذر في القـدر الـذي حملا

وقال [من البسيط] :

ما أنت في الأخذ من دون العطاء سوى   صابـونِ غاسلـةٍ معنـىً ومرتسما
فمـا ترى دسمـاً يومـاً بظاهره   ودأبـه أبـداً أن يغسـل الدّسما

وقال [من الكامل] :

لمـا سئلـت عن المشيب أجبتُهُمْ   قول امـرىءٍ في أمـره لم يمذق[1]
طحـن الزمـان بريبـه وصروفه   عمـري فثـار طحينـه في مفرقي

---

(١) لم يمذق : لم يوارب ولم يخالف الحقيقة .

وقال [من الكامل] :

شيبي عزيزٌ غير أنَّ شبيبتي علقٌ كريمٌ لا يجاوزه الأملْ
من ذا الذي ساوى سواد لحاظه ببياض عينيه وحسبُك ذا المثل

وقال [من الطويل] :

تعلّمْ من الأفعى أمالي طبعها وآنسْ إذا أوحشت تعفُ عن الذَّمِ
لئن كان سمٌّ ناقعٌ تحت نابها ففي لحمها ترياقُ غائلة السُّمِ

وقال [من البسيط] :

يا من يقابل ديناري بدرهمه أقصِرْ فدعواك طاووسٌ بلا ريش
وأيُّ عيبٍ لعين الشمس إنْ عميتْ أو قصّرت عنه أبصار الخفافيش

وقال [من الطويل] :

عليك بإغباب الوصال فضدُّهُ يعيد حبال الودّ منك رثاثا[1]
ولو كَلِفَ الإنسان رؤية وجهه لطلَّقهُ بعد الثلاث ثلاثا

وقال [من الطويل] :

أظنُّ زمان السوء قارف أبنةً فإني أراه يتبع العلج والغمرا[2]
زففتُ إلى دهري عروس كفايتي فطلّقها قبل الدخول بها عشرا

وقال يعزي الشيخ أبا الطيب سهل بن أحمد بن سليمان عن ابنه [من البسيط] :

من مبلغٍ شيخ أهل العلم قاطبةً عنّي رسالة محزونٍ وأوّاهِ
أولى البرايا بحسن الصّبر ممتحناً من كلٍّ فتياه توقيعٌ عن اللهِ

---

(١) إغباب الوصال : أي اللقاء فترة بعد فترة ، الرثاث : أي رثّاً بالياً .
(٢) قارف : قارب ، الأبنة : العيب والحقد ، والعلج : الحمار الأحمق ، والغمر : الجاهل .

وقال [من البسيط] :

عليك عنــد اعتــراض الهــمِّ بالقدح فإنَّــهُ أبــداً قدّاحــةُ الفرح

وقال [من الرجز] :

عبس لمــا أن مسســت نقله كأنّنــي نزعــت منــه مقله

وقال له يوماً أبو الفتح البستي : يا شيخ ، ما تقول في الكرنب ؟ فقال مرتجلا :

* أطعمه إن لم يكن كرى بي *

***

٩٨ ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري

من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد الترك ، وهو إمام في علم لغة العرب ، وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي ، ثم هو من فرسان الكلام ، وممن آتاه الله قوة وبصيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، وكان يؤثر السفر على الوطن ، والغربة على السكن والمسكن ، ويخترق البدو والحضر ، ويدخل ديار ربيعة ومضر ، في طلب الأدب ، وإتقان لغة العرب . وحين قضى وطره من قطع الآفاق ، والاقتباس من علماء الشام والعراق ، عاود خراسان ، وتطرق الدامغان ، فأنزله أبو علي الحسن ابن علي ـ وهو من أعيان الكتاب وأفراد الفضلاء ـ عنده وبذل في إكرام مثواه وإحسان قراه جهده . وأخذ من أدبه وخطه حظه ، ثم سرحه بإحسان إلى نيسابور فلم يزل مقيماً بها على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف ، والدفاتر اللطائف ، حتى مضى لسبيله ، عن آثار جميلة ، وأخبار حميدة .

وله كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولا من مجمل اللغة ، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد

النيسابوري وعنده الكتاب بخط مؤلفه [من المنسرح]:

هذا كتابُ الصحاح سيِّدُ ما صُنِّـف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما فُرّق في غيره من الكتب

وللجوهري شعر العلماء ، لا شعر مفلقي الشعراء ، وأنا كاتب من لمعه ما أنشدنيه أبو سعد بن دوست وإسماعيل بن محمد ، فمن ذلك قوله [من السريع] :

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعت حبل الناس بالياس
العزُّ في العزلة لكنَّهُ لا بدّ للناس مـن الناس

وقوله من نتفة [من الوافر] :

فها أنا يونس في بطن حوتٍ بنيسابور في ظلل الغمام
فبيتي والفؤاد ويوم دجنٍ ظلامٌ في ظلامٍ في ظلام

وقوله [من المتقارب] :

رأيت فتىً أشقراً أزرقا قليل الدماغ كثير الفضول[1]
يفضل من حمقه دائماً يزيد بن هندٍ على ابن البتول

وقوله [من السريع] :

يا صاحـب الدّعـوة لا تجزعنْ فكلُّنـا أزهـد من كرز
والمـاء كالعنبـر في قومسٍ من عزّه يجعـل في الحرز
فسقِّنـا ماءً بلا منّةٍ وأنـت في حلٍّ من الخبز

***

(١) الفضول : الحشرية والتطفُّل .

٩٩ - أبو منصور أحمد بن محمد اللجيمي

أديب كاتب شاعر، خدم الصاحب ومدحه ورثاه، ووقع من الدينور إلى نيسابور فتصرف بها وتأهل، ومما أنشدنيه لنفسه قوله [من البسيط]:

وقفتُ يوم النوى منهم على بعد ... ولم أودعهُمُ وجداً وإشفاقا
إنّي خشيت على الأظعان من نفسي ... ومن دموعيَ إحراقاً وإغراقا

وقوله [من المنسرح]:

ودّعت إلفي وفي يدي يده ... مثل غريقٍ به تمسّكتُ
فرحت عنه وراحتي عطرت ... كأنّني بعده تمسّكتُ

وقوله من قصيدة كتب بها إلى ابن بابك [من الكامل]:

يا من يجدّدني مع الأوهام ... عهداً ويطرقني مع الأحلامِ
ومجال ودّك إنّه متحصنٌ ... بمجال أفكاري مع اللّوامَ
ما أومضتْ نحو العراق عقيقةٌ ... إلاّ سرى معها إليك سلامي
فارجع إذا نحت الجبال تحيةً ... تحيي قتيل صبابةٍ وغرام
ومخيّم للأنس حفٌ بفتيةٍ ... بيض الخلائق والوجوه كرامِ
تابعت فيه بادّكارك مترعاً ... حامى بوابل دمعيَ السجّامِ(١)
وتركت عرضته بذكرك روضةً ... نابت عن النسرين والنّمامِ
بأبي خلائفك التي لو أنها ... في الراح لم يك شربها بحرام(٢)
أوفى الزمان غداً نهاراً كلّه ... لا يعقب الإصباح بالإظلام
أهدى إليّ لك الحجيج عرائساً ... تجلي فتجلو نقبة الأفهام

(١) حامني : احتفى ، دافع .
(٢) العِرْض : الوادي الذي فيه قرى وشجر .

غرّاً إذا شدخ الرواة بها الفلا أغنت مجاهلها عن الأعلام(1)
فسرحت فيها ناظريَّ مفدِّياً خلاً يصون على البعاد ذمامي
وغدتْ صحيفتها عليَّ تميمةً تشفي من الأسقام والآلام(2)
فاجعل أخاك لأختها أهلاً فما يخشى عليك عوائق الإفحام

[وقوله في مرثية الصاحب وقد حمل تابوته من الري إلى أصبهان ودفن في محلة تعرف بباب ذرية [من الطويل]:

مضى من إذا ما أعوز العلم والندى أصيبا جميعاً من يديه وفيه
مضى من إذا أفكرت في الخلق كلِّهم رجعت ولم أظفر له بشبيهِ
ثوى الجود والكافي معاً في حفيرةٍ ليأنس كلٌّ منهما بأخيه
هما اصطحبا حيين ثم تعانقا ضجيعين في قبرٍ بباب ذريه

وقال أيضاً فيه [من الوافر]:

أكافينا العظيم إذا وردنا ومولينا الجسيم إذا فقدنا
أردنا منك ما أبتِ الليالي فأبطلَ ما أرادت ما أردنا
شققتُ عليك جيبي غير راضٍ به لك فاتّخذت الوجد خدنا(3)
ولو أنّي قتلت عليك نفسي لكان إلى قضاء الحق أدنى
أفدنا شرح أمرٍ فيه لبسٌ فإنّا طالما كنّا استفدنا
ألم تك منصفاً عدلاً فأني عمرتُ حفيرةً وقلبت مدنا
وكيف تركت هذا الخلق حالت خلائقهمْ فليس كما عهدنا
تملّكنا اللئام وصيَّرونا عبيداً بعد ما كنّا عبدنا

(1) شدخ الرواة : تناقلوها ونشروها ، وشدخ : قطع .
(2) التميمة : ما يتعوّذ به الانسان دفعاً للعين .
(3) الوجد : الحزن ، والخدن : الصاحب .

لئن بلغت رزيته قلوباً فذبن وأعيناً منّا فجدنا
لما بلغتْ حقائقها ولكنْ على الأيام نعرف من فقدنا

وله من قصيدة [من الكامل] :

ولربَّ مخطفةٍ تضمُّ جفونها عيني مهاة بالصريمة خاذل[1]
تغتال رامقها بقدٍّ رامحٍ وتصيد وامقها بطرفٍ نابل[2]

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ليلةً حزنت فيها كواكبها وضاعفت كمدي أذيالها السّودُ
أنت الفداء لليلٍ شرّدتْ حزني فيه الأغاريد والغيد الأماليد[3]
وقهوةٍ في احمرار الورد شعشعها مورَّد الثوب في خديه توريد
تمرُّ محثوثةً حث الركاب بنا تحدو بها نغم القينات والعود[4]
ما أنس لا أنس ذات الخال إذ حسرت قناعها فبدت تلك العناقيد
وأطلعت بمحيّاها وجُمّتها شمساً عليها رواق الليل ممدود[5]
بي من هواها رسيسٌ لا يزال له في حبّه القلب تصويبٌ وتصعيد[6]

ومن أخرى [من الخفيف] :

لا تلمني على الدموع التي لو لاك لم تدم من جفوني غربا[7]

---

(١) المخطفة : السريعة أو التي تمرّ خلسة والصريمة : القطيعة ، أو الرمال ذات الشجر . وخاذل : منفردة ، وخذل ، تخلى .
(٢) الرامق : المتطلع ، والوامق : المحب والطرف : العين ، ونابل : من النبل .
(٣) الأماليد : جمع أملد وهو الناعم اللين من الناس والغصون .
(٤) محثوثة : مسرعة .
(٥) الجُمّة : مجتمع شعر مقدّم الرأس . والرُّواق : مقدم الليل أو جانب منه .
(٦) الرسيس : الشيء الثابت ، وتصويب : من صوّب السهم : وجّهه إلى الهدف والتصعيد : الإرتقاء .
(٧) الغرب : السيلان الذي لا ينقطع .

طرف الغصن لا تلام على القطـــر إذا النار شعّلت فيه رطبا

وله [من السريع]:

لو ضمَّ قلـــب الدهـــر ما ضمّه قلبـــي من حرِّ النـــوى والبعادِ
لاحتـــرق الحوتـــان من دونه فصـــار ما بينهمـــا كالرماد

***

١٠٠ - أبو جعفر محمد بن الحسين القمي

كاتب شاعر، أقام بنيسابور يكتب للعمال، ويتصرف في الأعمـال، وهـو القائل [من الهزج]:

أرى عمـــال نيسابور دهـــرُ الله في النّحسِ
فمـــن، يعمـــلْ بهـــا يوماً يقـــع شهـــرين في الحبس
بهـــا يضـــرب بالقلـــس أعـــزُّ النـــاس في فلس[1]

وقال في معقل وكان بندار نيسابور [من الكامل]:

يا أيُّهـــا الشيخ الـــكبير المفضّلُ آقبض يديه فمعقـــلٌ لا يعقِلُ
ظلمـــوه إذ ودعـــوا دواةٌ عنده ولـــديه يوضـــع منجـــلٌ أو معولُ

وقال لأبي محمد بن أبي سلمة [من الرمل]:

أيهـــا الشيخ الـــذي كلّ الورى يتلقـــى وجهـــه بالتفديه
هل يوازي فضـــلك المشهـــور أن تحضـــر الـــديوان يوم الترويه

وقال [من المجتث]:

---

(١) القَلْس : حبل ضخم للسفينة .

يا من إليه المعالي من كلٍّ أوبٍ تُحازُ
إن لم يكن ليَ فيه شغلٌ لديكم فجازوا[1]

وقال [من الهزج]:

يقول الناس لي جامعُ خطيب المسجد الجامع
ومن ذا يأكل الميتة إلا الجائع النائع[2]

وقال [من الخفيف]:

يا جواد اللسان من غير جودٍ ليت جود اللّسان في راحتيكا

***

١٠١ - أبو الغطاريف عملاق بن غيداق العثماني

أعرابي جهوري ، متقعر في كلامه[3] ، كثير الشعر ، قليل الملح ، وممن ثقل حتى خف ، وقبح حتى ملح ، طرأ على نيسابور أطواراً ، وأقام بها في المرة الأولى بضع سنين ينتسب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويقرأ القرآن بجهارة شديدة ، ويشعر ويتعاطى الفواحش ، فإذا قيل له : كيف أصبحت أيها الشريف ؟ قال : أصبحت جوالا في السكك ، حلالاً للتكك[4] ، على رأسه طائركم معكم سرمدا ، وعلى جبينه ولن تفلحوا إذاً أبدا ، وكثيراً ما ينشد لنفسه [من الطويل]:

تلبَّس عملاق بن غيداق للشقا وللحزن والإفلاس أثواب حارس
يطوف بنيسابور في كلّ سكةٍ خليفة مولاه طُفيل العرائس

(١) ورد العجز « شغل لديكم فجواز » ولا يستقيم به الوزن ، فأصلحناه وجازوا : أي أنعموا .
(٢) النائع : العطشان .
(٣) متقعّر في كلامه : أي يخرجه من حلقه .
(٤) التكّة : رباط السراويل .

وذلك أن طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه(١).

ومدح عملاق فائق الخاصة بقصيدة أولها وهو أمير شعره [من المنسرح]:

يا دولـةً أيّدت بخالقها وبـالأمير الجليل فائقها

فأمر بإثبات اسمه في جملته واستصحبه ووصله ولم يزل معه إلى أن فرق الدهر بينهما ، ثم إن الشيخ الجليل أبا العباس أحسن النظر له ، وأجرى إنعامه عليه ، ووصله وهو الآن ممن يعيش في كنفه ، ومما سمعته ينشد لنفسه قصيدة أولها [من الطويل]:

لبسنا لهـذا الفصل حمـر المطارفِ وفيه انسلخنـا من لبـاس المصايف
وفاقـم صقلاب وأفتـاك خدلج حذار رياح الزمهـرير العواصف
وسنجـاب خرخيد وسمـور بلغر وأوبـار آبـاء الحصين التوالف(٢)
مع الخـز والديبـاج حيكا بتستر وبالسقلاطونـي تحـت الملاحف

***

١٠٢ ـ أبو المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني

ورد نيسابور متطرقاً لها إلى غزنة ، وآدعى اكثر مما يحسن ، وأنشد لنفسه شعراً كثيراً أخرجت منه قوله في ممهد الدولة هذه [من الكامل] :

بعـدت صفاتـك يا ممهـد وآدّنتْ كغمـوض معنـىً في كلامٍ ظاهر
خفيت وأظهرهـا الطبـاع خفيّةً كالنـور يوجـد في سواد الناظر

---

(١) في كتاب المعارف أنه من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد .

(٢) التوالف : المجتمعة بعضها إلى بعض .

وقوله [من الكامل]:

لم يكفني بالريّ خيبة مطلبي حتى حرمت لذاذةِ الإيناس
كالأعور المسكين أعدم عينه وأُعيض عنها بغضةً في الناس

وقوله [من الطويل]:

إذا فكرّ الإنسان فكرة عاقلٍ رأى عيشه معنىً لمغنى مماته
إذا نال يوماً زائداً في معاشه فذلك يومٌ ناقصٌ من حياتِهِ

وقوله [من السريع]:

أنت لعمري خير شرِّ الورى ترضاك من ترضى بإقلال
والأعور المقوت مع قبحه خيرٌ من الأعمى على حال

وقوله [من مخلع البسيط]:

في ثغر عبد الكريم شيءٌ من فمه ليس بالكريم
تحسب طول الحياة فاهُ يمجُّ خمراً بغير ميم

وقوله [من المنسرح]:

ربَّ صديقٍ قدمت من سفرٍ فجئت من مقدمي أهنيه
لا حقٌ لي عنده فيقضيه وحقُّهُ لا أزال أقضيه

وقوله [من الكامل]:

ظلم امرؤ ندب التجار إلى العلى حسب التجار دفاتر الحسبان
همٌ لهم بين النقود وصرفها والسعر والمكيال والميزان

وقوله [من الوافر]:

لسان الحقُّ أفصح من لساني وصمتي عن كلامي ترجماني

وأنت لمن رماه الدهر عونٌ فكن عوني على صرف الزمان

***

١٠٣ - عبد القادر بن طاهر التميمي أبو منصور

فقيه وجيه ، نبيه قليل الشبيه ، يتفقه على مذهب الشافعي ، ويتكلم على مذهب الأشعري ، ويرجع الى رأس مال في الأدب ، والنحو ، وكان أبوه عبد الله[1] انتقل من بغداد إلى نيسابور ومعه أبو منصور فتفقه بها وبرع وبلغ ما بلغ ، وله شعر يحذو في أكثره حذو منصور الفقيه البصري ، كقوله [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن قصتي دعني أمُتْ بغصتي
المال في أيدي الورى واليأس منهم حصتي

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا ماجداً فاق الورى لا زلتَ مأوىً للقِرى[1]
عليَّ دينٌ مانعٌ عينيَّ من طيب الكرى
فكن لديني قاضياً يا خير من فوق الثرى

وقوله [من المتقارب] :

ألا إنّ دنياك مثل الوديعهْ جميع أمانيك فيها خديعه
فلا تغترِرْ بالذي نلت منها فما هو إلاّ سراب بقيعه[2]

وقوله [من المتقارب] :

إذا ضاق صدري وخفْتُ العدى تمثّلت بيتاً بحالي يليقُ

---

(١) القِرى : الضيافة .

(٢) السراب : ما يشاهد في الصحراء أثناء الحرّ وكأنّه ماء . وبقيعة : المكان المتسع الذي فيه أشجار مختلفة .

فبــالله نبلــغ ما نرتجي وبــالله ندفــع مــا لا نطيق

وقوله [من الطويل] :

سقتني لتـروي الـروح راحـاً وحققّت مواعدهــا ذات الوشــاح بإنجاز
علــى نرجسٍ حيَّتْ به فكأنّما أناملهـا انضمّـتْ علــى حدق البازي

***

١٠٤ - أبو علي محمد بن عمر البلخي الزاهر

كان فارق بلدته في صباه ، وركب الأسفار إلى العراق والشـام ، وتلقـب بالزاهر مقتديا بقوم من الشعراء تلقبوا بالناجم والناشي والنامي والزاهـي والطالـع والطاهر ، ثم كر إلى خراسان ، وألقى عصاه بنيسابور ، وتكسّب بالشعر ، واستكثر منه ، فمما علق بحفظي مما أنشدنيه لنفسه قوله ويروي لأبي الحسـن علـي بن محمد الغزنوي [من الطويل] :

أقــول وقــد فارقــت بغــداد مكرهاً سلامٌ علــى عهــد القطيعــة والكرخِ
هواي ورائــي والمسيرُ خلافه فقلبي إلى كرخٍ ووجهي إلى بلخِ

وقوله [من البسيط] :

قولــوا لقــومٍ بنيسابــور أمدحُهُمْ عنـد الضــرورة والإفــلاس والضيقِ
أصبحــت فيهــم وحــقِّ الله خالقِنا كمصــحفٍ دارسٍ في بيت زنديقِ

***

١٠٥ - أبو القاسم يحيى بن علي البخاري الفقيه

من أبناء التجار المياسير ببخارى ، وورد مع أبيه نيسابور متفقهاً ، وهو من آدب الفقهاء وأحفظهم لما يصلح للمحاضرة ، فبقي بها مدة ، واختير للامامة في المسجد الجامع ولم يزل يتولاها إلى أن آثر العزلة فقاده زهده وورعه إلى المرابطة

بدهستان وهو بها الآن ، وكان أنشدني وكتب لي من شعره غرراً لا يحضرني منها إلا قوله [من الهزج] :

أيا من همّه الجمعُ لما حاصله القوتُ
كأنّي بك يا نائم قد أيقظك الموتُ

فصل

كان من حق هذا الباب أن يتضمن ذكر أبي الحسين الرخجي ، وأبي الحسن الممتاخي صاحب كتاب من غاب عند النديم ، وأبي الحسن الحنظلي السهروردي ، وأبي سعيد البلدي ، وأبي القاسم علي بن محمد الكرخي ، وأبي الحسن محمد بن عيسى الكرخي ، وأبي المظفر الكمال بن آدم الهروي ، وأبي الحسن علي بن محمد الحميري ،ولكن لم يحضرني شيء من أشعارهم في هذه الغربة ، وإن نفس الله المهل ، وعاودت الوطن ، جبرت كسره بما يصلح له من كلامهم ، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإني أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكلم وينظمون قلائد الأدب ، أن ينوب عن أخيه فيه ، ويلحق ما يجده منه بمواضعه من هذا الباب ، إن شاء الله تعالى ، وبه التوفيق، ومنه الإعانة .

***

الباب العاشر

في ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم في هذا الباب وكتبة لطائفهم وظرائفهم .

١٠٦ ـ رئيس نيسابور أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي

هو أشهر ، وذكره أسير ، وفضله أكثر ، من أن ينبه عليه وله ـ مع كرم حسبه وتكامل شرفه ـ فضيلة علمه وأدبه . وكان من الكتابة والبلاغة بالمحل الأعلى ، وله من سائر المحاسن القدح المعلى ، فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين والمحدثين يهذها في محاضراته[1] ، ويحلها في مكاتباته ، وله شعر كتابي يشير لشرف قائله ، لا لكثرة طائله ، فمن ذلك ما قاله على لسان كاتبه أبي الطيب [من الرمل] :

يوم دجنٍ قد تناهى طيبُهُ ... وحقيقٌ أن يجينا بالمطرْ
والثلاثاء ينادي غدوةً ... ما للهوٍ بعد هذا منتظرْ
هل يجوز الصحو في أثنائه ... إن هذا الرأي من إحدى الكبر

وقوله في النكبة التي عرضت له في آخر أيامه [من الخفيف] :

خانني الأير حين خان زماني ... وجفاني كأنّه إخواني

---

(١) يهذها : يسردها .

وثنى عنّي العنان غزالٌ كان قبل المشيب طوع عناني
يتجنّى عليّ من غير جرمٍ ويراني كأنّهُ لا يراني
كيف يصبو إليّ وهو عليمٌ أن أيري كعطفة الصولجان
ليس يرجى له انتباهٌ من النو م ولا صبوةٌ لذكر الغواني
كان من قبل سامعاً مستجيبا مسعداً لي فعقّني وجفاني
بل رآني مصادراً مستكينا فرثى لي من انقلاب الزمانِ
ولوى جيده فأصبح لدناً يتثنّى تثنّي الخيزران(١)
لا يجيب الصريح في غسق الليل ولا دعوة الوجوه الحسان(٢)
لم أكلّفه حمل غرمٍ ثقلٍ لا ولا دفع معضلٍ قد عراني(٣)
إنما الغرم والوبال على الما ل فماذا عليه ممّا دهاني
هل سمعتم بمقمعٍ من حديد ذاب من فرط خيفة السلطان
ليته عاد تابعاً لمرادي فأسلّي به جوى الأحزان
أيها العاذلان حسبيَ ما بي فدعاني من الملام دعاني
وارثيا لي من البلاء وكفّا إنّني في يد الحوادث عاني(٤)
إن يكُنْ خانني الأحبّة طرّاً فشجاني جفاؤهم وبراني
فعلى الله في الأمور اتكالي وبه الاعتصام ممّا أعاني

* * *

١٠٧ ـ ابنه أبو جعفر محمد بن عبد الله بن إسماعيل

كان متقدماً في الأدب . متبحراً في علم اللغة والعروض ، مصنفاً للكتب مستكثراً من قول الشعر ، ولعل شعره يربى على عشرة آلاف بيت ، ولما أنشد أباه

(١) اللدن : الطري الرخص ، يتثنّى : يتلوّى .
(٢) الصريخ : المستنجد ، والغسق : الظلام .
(٣) الغرم : الدين والغرامة . وعراني : حلّ بي .
(٤) العاني : المتعب ومقهور .

قوله في مقصورة له هذا البيت [من الرجز] :

إذا ركبت كنتَ خير راكبٍ وإن نزلت كنت خير من مشى

قال له : استحييت لك يا بني ، ما تركت رسول الله ﷺ ؟ وأمره بإسقاط هذا البيت من القصيدة ، فلم يفعل ، وعندي أن أمير شعره قوله [من الرجز] :

إذا أراد الله أمراً بامرئٍ وكان ذا عقلٍ ورأيٍ وبصرْ
وحيلةٍ يعملها في كلّ ما يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه وسلّه من رأيه سلّ الشعر[1]
حتى إذا أنفذ فيه أمرَهُ ردّ عليه عقله ليعتبِر

***

١٠٨ - الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي

معلوم أنه كان في العلم علما ، وفي الكمال عالماً ، ومن شاهد الآن ابنه الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رأى شجرة للعلم نمت على عروقها ونفسا غذيت في حجر الفضل فجرت على سنن أولها . وأحيت فضائله بفضائلها . وولدا أشبه والده في الإمامة ، عند الخاصة والعامة . وله شعر كثير يذكر في شعر الأئمة ويروى لشرف صاحبه وتحسين الكتب بذكره، فمن ذلك ما أنشدنيه الشيخ الإمام أبو الطيب قال : أنشدني والدي لنفسه [من الطويل] :

سلوتُ عن الدنيا عزيزاً فنلتها وجدت بها لمّا تناهت بآمالي
علمت مصير الدهر كيف سبيله فزايلته قبل الزوال بأحوال[2]

وأنشدني له أبو الحسن الفارسي الماوردي الفقيه [من مجزوء الوافر] :

دع الدنيا لعاشقها ستصبحُ من ذبائحها

(١) وسلّه : أخرجه .
(٢) زايل : فارق ، والزوال : الانتهاء . وأحوال : جمع حول : وهو العام .

ولا تغـرُرْكَ رائحـةٌ تصبيك مـن روائحها
فمـادحهـا بغفلته يصير إلـى فضائحها

* * *

١٠٩ ـ علي بن أبي علي العلوي

كان في نهاية النجابة فاحتضر في عنفوان شبابه ، وله شعر علق بحفظي منه ما أنشدنيه أخوه أبو إبراهيم له [من الكامل] :

همـم الرجـال تبين في أفعالهم والفعـل عدلٌ شاهـدٌ للغائب
ولنـا تراث المجـد حُزْنـا فضلَهُ عن خير ماشٍ في الأنـام وراكب(١)

والآن أخوه أحمد نعم العوض عنه ، والخلف منه :

* والشمس تسليك عمّا حلّ بالقمر *

وله شعر حسن لا يحضرني منه إلا قوله [من الطويل] :

هواك من الـدنيا نصيبـي ، وإنّني إليك لمشتـاقٌ كجفنـي إلـى الغمض
فزرنـي وبـادر يوم ثلـجٍ كأنّه شمائـم كافـورٍ نثـرن علـى الأرض

* * *

١١٠ ـ أبو البركات علي بن الحسين العلوي

يزين تالد أصله ، بطارف فضله ، ويحلي طهـارة نسبـه ، ببراعـة أدبـه ، ويرجع من حسن المروءة وكرم الشيمة وعفة الطعمة إلى ما تتواتر به أخباره . وتشهد عليه آثاره ، ويقول شعراً صادراً عن طبع شريف ، وفكر لطيف كقوله من قصيدة [من السريع] :

---

(١) حزْنا : حصلنا وامتلكنا .

مـدامعـي تهتـك أستاري تعلن بين النـاس أسراري
أنـكرت ما بي، غير أن البكا قرَّر بالإقـرار إقـراري

ومنها :

أحببـت خشفـاً ليس في مثلِهِ تحمُّـل العـار من العار[1]

ومنها :

كأنّمـا إبريقنـا طائرٌ يحمـل ياقوتـاً بمنقار

ومنها :

كأنّ ريح الـروض لمـا أتتْ فتّـتْ علينـا مسـك عطّار

وقوله [من الطويل] :

وأغيدُ سحّـارٌ بألحـاظ عينه حكى لي تثنّيه من البـان أملودا[2]
سلخـت بذكراه عن الصبـح ليلةً أنادمـه والـكأس والنـاي والعودا
ترى أنجـم الجـوزاء والنجـم فوقها كباسـط كفّيه ليقـطف عنقودا

وله [من المنسرح] :

مكذِّبُ الظـنِّ ناقص الأمل يقطـر من خدهِ دمُ الخجلِ
يكاد ينفض فصّ وجنته إذا علاه الحياء للقبلِ

وقوله [من السريع] :

يا عصبـة الأتـراك أولادُكُمْ من يوسف الحسـن وبلقيسِ
ألحاظـكم تحيي وتـردي الورى وحسنـكـم فتنـة إبليسِ
لا تقربـوا منّـي ففـي قربكم هلاك دين المـرء والكيس

---

(1) الخشف : ولد الغزال ، والعار : العيب .
(2) البان : شجر لينّ ، ورقه طويل ، أبيض الزهر . والأملود : الغصن الطري الناعم .

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

وكأنّـي ركبـت للصيد ريحاً ... لا يبالـي بحزنهـا والسهول[1]
أدهـمُ اللـون مثـل ليلٍ بهيمٍ ... ذي صبـاحٍ من غرّةٍ وحجول
فهـو يطـوي البسيط كالبسـط طيّاً ... بيديّ طالـبٍ ورجلـيّ عجول[2]

وقوله من نتفة [من البسيط] :

الشيخ ينجـز وعداً منـه قد سبقا ... وليس الغصـن من إفضالـه الورقا
إنّـي غريقٌ ببحـرِ المطـل منتظرٌ ... حالاً تكشّف عنّـي المـوج والغرقا

* * *

١١١ - أبو الحسن محمد بن ظفر العلوي

شريف فاضل ، عالم زاهد ، يلبس الصوف ، وكان في صباه يقول الشعر ، فمن ذلك قوله [من مخلع البسيط] :

أسكرنـي طرفـه ولكنْ ... خمـار أجفانـه حمامُ[3]
إنَّ دمـي عنـده حلالٌ ... وهـو لدى غيره حرامُ
وهـكذا سحـر كلِّ طرفٍ ... يصنـع ما تصنـعُ المدام

وله [من الرجز] :

وأمـردٍ أزهـدُ من صهيب ... في علـم موسـى وتقـى شعيبِ
إذا رأى شعـر أبـي ذؤيب ... أو فارسيات أبـي شعيب

(١) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .
(٢) البسيط : الأرض .
(٣) الخمار : أثر الخمرة ، والحمام : الموت .

تحسبــه أشعــر منَ نُصيبِ إن لم تساعدني فوي بي وويبي[1]

وله [من الطويل] :

إذا عضَّــك الدهــر الخــؤون بنابه وأسلمك الخـدن الشّـفيق إلـى الهجرِ
فلا تأسفــنْ يا صاحِ واصبــر تجلُّداً فلا شيء عند الهجر أجدى من الصبر

* * *

١١٢ ـ أبو العباس محمد بن يحيى العنبري

من أبناء نيسابور ، وأهل البيوتات بها ، وله شعر كثير ، منه [من الكامل] :

لا يشغلنْــك حديث ما في الكاس شرب المــدام محلَّلٌ في الناس
الله حرّم سكرهــا لا شربها فاشــرب هنيئــاً يا أبــا العباس
صفــراءَ صافيةً كأنّ شعاعها ضوءُ الصبــاح وشعلــة المقباس[2]
تنفــي بهــا داءً وحزنــاً كامناً في القلــب ليس بشربهــا من باس
وإذا قميصــك بلّلتــه مدامةٌ وعرتــك منــه وســاوسُ الخنّاس
فدع القميص يُشــمُّ منــه ريحها واغســل فُؤادك من أذى الوسواس

وقوله [من الكامل] :

متفقــهٌ شغف الفــؤاد بحبّه خضعــت محاســن وجهــه لمحبّهِ
أحببــت كورة زوزنٍ من أجله ورجالهــا ونساءهــا من حبّه

وله [من الوافر] :

يقــول النــاس لي رجــلٌ سديدُ ومــا فعلــي بفعــل فتــىً سديد

(١) نَصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو محجن شاعر مقدّم في النسيب والمدح .
فوي بي : أي فعجباً بي ، ووي : هي كلمة للزجر والتهديد ، وويبي : المصيبة الفضيحة
(٢) المقباس : الضوء ، والنار .

إذا ما كنت لا أخشى وعيدا فما يغني مقالي بالوعيد

* * *

١١٣ ـ [أبو] سلمة بن أحمد المعاذي

حضر بعض مجالس الأنس بنيسابور فانصبت محبرة فتى مليح على ثوبه فخجل الفتى ، فقال أبو سلمة [من الكامل] :

صبٌّ المدام وما تعمّد صبَّهُ فتوردّ الخدُّ البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبرُهُ في ثوبنا تأثير لحظك في فؤادي أكثر

* * *

١١٤ ـ أبو سهل سعيد بن عبد الله التكلي

من أدباء نيسابور وفضلاء المتصرفين بها ، يقول [من الطويل] :

وكان فؤادي جامحاً في عنانه إذا انتابه العذالُ في غيِّه أبى
وأقصَرَ عن قصد التصابي وصدَّهُ مقال بنيٍّ بعد خمسين يا أبا

وقوله [من المتقارب] :

همومٌ تفيضُ وصبرٌ يغيضُ وجسمٌ صحيحٌ وقلبٌ مريضْ
يُبيِّضُ ما اسود من لمتي خطوبٌ حداهن سودٌ وبيضْ
ورؤية من يدّعي أنّهُ علا فلك الشمس وهو الحضيض
فإن سكتوا فشفاهٌ تغيض وإن نطقوا فبظور تحيض[١]
وأمتع من شرب كأس الحمام حياةٌ يشارك فيها بغيض

(١) تغيض : أي تبلع ، وغاض الماء : ذهب في الأرض . والبظور : جمع بظر يعني به فرج المرأة . والحيض : معروف وهو العادة الشهرية عند المرأة .

وقوله [من الوافر] :

ألا قالــت أمامــة إذ رأتني ... ومــاء الوجــه بالجــاديّ شيبا[1]
تعرّتــك الهمــوم فقلــت حقاً ... همــومٌ تجعــل الولــدان شيبا

وقوله [من الكامل] :

إن المقصــر في الحضــور لخدمةٍ ... في مثــل هذا اليوم للمعذور
يومٌ كأنَّ الأرض فيه سنجنجلٌ ... والجــوُّ فيه صارمٌ مأثور

* * *

١١٥ ـ القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد البستي

آدب قضاة نيسابور وأشعرهم ، ولما تقلد قضاءها في أيام شبيبته مضافاً الى ما كان يليه من قضاء كورة نسا لقب بالكامل ، وله شعر كثير كتب لي بخطِه صدرا منه وأنشدني بعضه ، فمن ذلك قوله [من المنسرح] :

انظــر إلــى النفس وهــي واقفةٌ ... نصــب عيون الوشــاة والحرسِ
يخفــى علــى الناظــرين موقفها ... كأنّهــا نفس آخر النَّفَسِ

وله [من الكامل] :

قل للــذي حبس الفــؤاد بصدّه ... فوددت أنّــي عنــد ذاك فؤادي
مستــرخص المبتــاع لا يغلــى به ... ولــذاك ما أرخصــت بيع ودادي

وقوله [من الطويل] :

يقولــون أبلِ العــذرَ فيمــا ترومه ... فإبــلاء عذرٍ في الأمــور نجاحُ
فقلــت لهــم إبــلاء عذرٍ وخيبةٍ ... نجــاحٌ كمــا افتضَّ العــروس نجاح

---

(١) الجاديّ : الزعفران ، وشيبا : خلط .

وله في وصف طين الأكل [من الرجز] :

وتحفةٍ نقّلنيها غاليه ... ذو هممٍ في المكرمات عاليه
شبّهتها من بعد ما أهدى ليه ... قطاع كافورٍ عليها غاليه(١)

وله في البندق [من مخلع البسيط] :

وبندقٍ لبُّهُ عجيبُ ... للدر والمسك فيه شركه
أشبه شيءٍ به يقينا ... لؤلؤةٌ ضمّخت بمسكه

وله في الورد [من الكامل] :

حيّا بما خجل العقيق للونِهِ ... لما أتاني في الصباح بورده
لولا لحاظي خدّه من بعده ... لقضيت أن عليه جلدة خده

وله في الورد الموجه [من الطويل] :

حباني بوردٍ جامعٍ بين وصفه ... ووصفيَ لمّا زرتهم وجَفوني
على جانبٍ منه تورّد خدُّهُ ... وفي جانبٍ منه تلوّن لوني

وله في البهار [من الطويل] :

حكاني بهار الروض حتى ألفتهُ ... وكلٌّ مشوقٍ للبهار مصاحبُ
وقلت له ما بال لونك شاحباً ... فقال لأنّي حين أقلب راهب

وله [من مجزوء الكامل] :

يا من قنعت بحس رأ ... يٍ منه لو أعطيت رايه
إن قمت في أمري برأ ... يٍ. صادقٍ أعطيت رايه

---

(١) الغالية : أخلاط من الطيب .

وله [من مجزوء الخفيف] :

مستبدٌّ برأيه عازبُ الرأي معجبُ[1]
وتماديه بعد ما عرف الغيَّ أعجبُ

وله [من الرجز] :

يعجبني من كلّ شعرٍ جزلْ جيِّدُ جِدٍّ وركيكٌ هزل[2]

* * *

١١٦ ـ أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن دوست

من أعيان الفضلاء بنيسابور وأفرادهم ، يجمع من الفقه والأدب ، بين التمر والرطب . ومن النظم والنثر ، بين الياقوت والدر ، وشعره كثير الملح والنكت ، حسن الديباجة ، كأنه يصدر عن طباع المفلقين من شعراء العراق وهذا أنموذج منه [من الهزج] :

ألا يا ريمُ خبّرني عن التفاح مَنْ عضّهْ
وحدِّثْ بأبي عن حسنك البكر من افتضّهْ
وختمُ الله بالورد على خدّك من فضّه
لقد أثّرت العضّه في وجنتك الغضّه
ولاح الدرّ إذ بضّ على جلدتك البضّه[3]
كلون العنبر الورديّ إذا فضّ عن الفِضّه

---

(١) العازب : البعيد الطلب .
(٢) الجزل : الفصيح والفخم والمتين .
والهزل : الضعيف الرديء .
(٣) بضّ : إذ ظهر أبيضاً ، والجلدة البضّة الرقيقة اللينة في سمنٍ وامتلاء .

وله [من الكامل] :

ولقد مررت على الظباء فصادني ظبيٌ وعهدي بالظباء تصادُ
نفذت لواحظه إليَّ بأسهمٍ أغراضها الأرواح والأجسادُ

وله [من الوافر] :

جعلت هديتي لكُم سِواكاً ولم أقصد به أحداً سواكا[1]
بعثت إليك عوداً من أراكٍ رجاءً أن أعود وأن أراكا[2]

وله [من الكامل] :

ومهفهفٍ ملك القلوب وحازا خطٌّ الجمال بعارضيه طرازا
شبّهته قمراً فكان حقيقةً وغدا له قمر السماء مجازا
ما باع بزّاً قطُّ إلاّ أنّه بزَّ القلوب فلُقِبَ البزّازا

وله [من السريع] :

وشادنٍ نادمت في مجلسٍ قد مطرت راحاً أباريقه
طلبت ورداً فأبى خدّه ورمزت راحاً فأبى ريقه

وله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ قلت له هل لك في المنادمه
فقال ربَّ عاشقٍ سفكتُ بالمنى دمه

وله [من الوافر] :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو فما لك غُبتَ عن عيني ثلاثا
فإن لم تطلع الاثنين عصراً فلست بواجدي يوم الثلاثا

(١) السواك : عود يستعمل لتنظيف الأسنان من بقايا الأطعمة ، وهو طيب الرائحة .
(٢) الأراك : شجر يتخلّل الناس بعود لطيب رائحته .

وله [من الوافر] :

وقالــوا اصفــرّ وجهــك إذ تراءى وقــد صار الفــؤاد له شعاعا
فقلــت لأنّنــي قابلــت بدراً فقــد ألقــى علــى وجهــي الشّعاعا

وله [من مجزوء الكامل] :

الــدهــرُ دهــر الجاهليــــــن وأمــرُ أهــل العلــم فاترْ
لا سوق أكســدَ فيه من سوقِ المحابــر والدفاترْ

وله [من البسيط] :

عليك بالحفـظ دون الجمـع في كتب فإنّ للكتــب آفــاتٍ تفرّقها
المــاء يغرِقهــا ، والنــار تحرِقُها والفــار يخرقُهــا ، واللصُّ يسرقها

وله في الفصد [من الرجز] :

لمــا رأيت الجســم ذا اعتلالِ ودبّــت الآلام في أوصالي
دعــوت شيخــاً من بنــي الجوالي بطــريقُ عمٍّ جاثليق خال(١)
فســلّ سيفــاً ليس للقتال ومرهفــاً ليس من العوالي
أدقّ في العين من الخيال أقطـع من هجـرٍ ومـن ملال
أحســنَ من وصــلٍ ومـن إقبال كأنّــه نصفُ من الهلال
ففتّــح القفــل عن القيفال بضربــةٍ تشبــه نصف الدال
أو شكلــةٍ في موضــع الاشكال ولــجّ دمــع العــرق في انهمال
كقهــوةٍ تبــزل بالمبزال فولّــت العلــة في انفلال(٢)
فأقبلــتْ عســاكرُ الإقبال محفوفــةً بالبــرء والإبلال
ومثّــل الجســم من المثال كأنمــا أنشــط من عقالِ(٣)

---

(١) البطريق والجاثليق : من كهنة النصارى .
(٢) المبزال : المصفاة التي يصفّى بها الشراب أو نحوه . فولّت : ذهبت ، انفلال : انقطاع .
(٣) العقال : الأسر .

وله [من السريع] :

قل للأمير الأريحيٍّ الذي نفـديه بالأنفس إن جازا
جودك قد أورق لي موعداً فكيف لا يثمـر إنجازا

وقوله [من الرمل] :

أيهـا البـدر الـذي يجلـو الدجى قل لنجمـي في الهـوى كم تحترِقْ
أنـا من جملـة أحـرارِ الهوى غير أنّـي من هواكم تحـت رق[1]

* * *

١١٧ ـ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي

هو وأخوه أبو سهل من حسنات نيسابور ومفاخرها ، فأبو عبد الرحمن من الأعيان الأفراد في الفقه ، وأبو سهل من الأعيان الأفراد في الطب . وما منهما إلا أديب شاعر آخذ بأطراف الفضائل ، فمن ملح شعر أبي عبد الرحمن قوله [مـن المنسرح] :

وذي جدالٍ لنـا كشفـتُ لهُ عن خطـأٍ كان قد تعسَّفَهُ
فلـم يجبنـي بغير ما ضحكٍ والضحـك في غير حينـه سفَهُ

وله [من البسيط] :

أدركْ بقية نفسٍ روحهـا رمقٌ فقـد أذابـت همـوم النـاس أكثرها
وإنّمـا سلمـتْ منهـا بقيتُها لأنّهـا خفيَتْ ضعفـاً فلـم ترها

وله [من مجزوء الرجز] :

أعرضـتُ لمّـا عرضتِ سهـام تلـك الحدقِ

(١) الرق : العبودية .

ظننت أنّي هاربٌ منها بأدنى رمق
فقال لي فيها الهوى هيهاتَ ممّا تتّقي
إنّ سهام الحدقِ لا تُتّقى بالدّرق[1]

وله [من مجزوء الرمل] :

نحن في مجلسِ أنسٍ بك تحقيقُ مجازه
لُطفُ الدّهر عزيزٌ فتجلّد لانتهازه
قد نسجنا الأنس ثوباً فتفضّلْ بطرازه

وله [من الرمل] :

يوم غيمٍ زاد قلبي شجناً ذو نشيجٍ وهو قد أنشجنا[2]
وسحابٍ قد حكى لمّا بكى يوم قالوا (عارضٌ ممطرنا)

وله [من الوافر] :

تغاضَ عن البخيل ولا تلمْهُ ودعْ ما في يديه ولا ترمْهُ[3]
ومن لم يحو غير المال فضلاً وجاد بفضله جهلا فلُمْهُ

وله [من المجتث] :

خلعتُ خفّيّ من خلـع ذا السحاب عذاره
فاليوم ليل ظلامٍ والأرض حشٌ قذاره
من حق ذا العقل فيه أن لا يفارق داره

---

(١) الدّرق : الصلب من كلّ شيء .
(٢) الشجن : الحزن ، والتشيج : الصوت في الصدر .
(٣) تغاضى : أي غضّ الطرف ، ولا ترمهُ : أي لا تقصده .

وله [من البسيط] :

أمـا تراني على بغي العـلاء لأحمـال العنـاء حمـولاً دائـم النصبِ[1]
فمـا استـوى شرفٌ إلاّ علـى كلفٍ ولا صفـا ذهـبٌ إلاّ علـى لهبِ

وله [من السريع] :

أفدي الـذي أكره أنْ أفديَهْ لأنّـه جلّ عن التفديَهْ
يقتـل بالعين ، ولا بدَّ لي من طلبـي من شفتيه الدِّيَهْ[2]

وله [من مخلع البسيط] :

إذا رأيت الـوداع فاصبرْ ولا يهمنَّـك البعـادُ
وانتظـر العَـوْدَ عن قريبٍ فإنّ قلـب الـوداع عادوا

وله من نتفة [من البسيط] :

للنـار في وجـه من أحببتـه أثرٌ فاللـون في خدِّه والفعـل في كبدي

* * *

١١٨ - أبو سهل بكر بن عبد العزيز النيلي

قد تقدم ذكره[3] ، وجاء الآن شعره ، قال [من المجتث] :

قـد رضـتُ باليأس نفسي فعـلُ اللبيـب الحكيمِ[4]
قنعتهـا بكفـافٍ وفيـه كلُّ النعيـمِ
فمـا يـدٌ لكريمٍ عنـدي ولا للئيمِ

---

(١) النصب : التعب .
(٢) الدّية : الغرم ، أي المال الذي يدفع لذوي القتيل .
(٣) رضت : من راض أي ذلّل وكبح الجماح . الخلّة : الصداقة .

وللقناعة روحٌ يا طيبه من نسيمِ

وقال [من الخفيف] :

يا مفدًّى العذار والخدُّ والقدُّ بنفسي وما أراها كثيرا
ومعيري من سقم عينيه سقماً دمت مضنىً به ودمت معيرا
سقِّني الراح تنفُ لوعة قلبٍ بات مذ بنت للهموم سميرا
هي في الكأس خمرةٌ فإذا ما أفرغتْ في الحشى استحالت سرورا

وقال [من البسيط] :

رجوت دهراً طويلاً في التماس أخٍ يرعى ودادي إذا ذو خلّة خانا[٣]
فكم ألِفت وكم آخيت غير أخٍ وكم تبدّلتُ بالإخوان إخوانا
فما زكى لي على الأيامِ ذو ثقةٍ ولا رعى أحدٌ ودِّي ولا صانا
فقلت للنفس لما عزَّ مطلبها بالله لا تألفي ما عشتِ إنسانا

وقال [من البسيط] :

دب المشيب إلي فوديَّ مبتكراً وللشباب رداءٌ ليس بالخلقِ
فقلت يا نفس حثّي للرحيل ضحىً فأقصرُ الليل أدناه من الفلق

وقال [من الكامل] :

نشر الربيع الغضُّ قبل أوانه لما نشرت كتاب فردِ زمانه
أنوارَ لفظٍ من جناب جنابِهِ ونسيمَ وردٍ من غراس بنانه
فأراح أنساً عازباً بوروده وأراح قلب الصبٌ من أشجانه
وأرى بني الآداب معجز نظمه أن ليس في الإمكان نيل مكانه
فأسرَّتِ الألباب إجلالاً له وفدى المسامع ترجمان جمانه[١]

---

(١) الجمان : اللؤلؤ .

وقوله [من مخلع البسيط] :

رُقَّ لمــن قد ملــكتَ رقَّهُ　　حقٌّ له لو رعيت حقَّهُ
ذاب فمــا مثلــه خِلالُ　　ولا هلال ضياً ورقه[1]

وقال [من مجزوء الرجز] :

الله فــي متيّــمٍ　　عذّبتــهُ فــراقــبِ
يكفيــك ما أبقيتُــهُ　　مـن ألــم الفــراق بي

وقال [من الرجز] :

من وجهــه يطلــع نجــم المشترى　　ياقوتــةً تثمــر شهــداً فاشترِ
يا من نضــا باللحــظ سيف الأشترِ　　إذا وجــدت الحــرَّ عبــداً فاشترِ

* * *

١١٩ ـ أبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان

أنفـق مالـه على الأدب ، فتقـدم فيه ، وبـرع في علــم اللغــة والنحــو والعروض ، وأخذ عن الجوهري الذي تقدم ذكره ، واستكثر منه ، وحصل كتابه كتاب الصحاح في اللغة بخطه ، واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي ومدحه وأباه بشعر كثير ، ثم آثر الزهد والإعراض عن أعراض الدنيا ، وقال لما أزمع الحج والزيارة [من الوافر] :

أتيتــك راجــلاً وودت أنّي　　ملــكت سواد عينــي أمتطيه
وما لي لا أسير علــى المآقي　　إلــى قبــرٍ رســولُ الله فيه

(١) الخلال : عودٌ يزال له الطعام من بين الاسنان .

وقال [من الطويل] :

أيا خير مبعوثٍ إلى خيرِ أمّةٍ   نصحتَ وبلّغتَ الرسالة والوحيا
فلو كان بالإمكان سعيي بمقلتي   إليك رسول الله أنضيتها سعيا

وقال [من مخلع البسيط] :

عبدٌ عصى ربّه ولكنْ   ليس سوى واحدٍ يقولُ
إن لم يكن فعله جميلاً   فإنّما ظنُّهُ جميلُ

وقال للأمير أبي الفضل الميكالي [من مجزوء الكامل] :

في دار مولانا الأمير   محلٌّ أهلِ العلم عالي
لا سوق أنفق فيه من   سوق المكارم والمعالي

وقال لصديق له [من الوافر] :

نصحتك يا أبا إسحاق فاقبلْ   فإنّي ناصحٌ لك ذو صداقه
تعلّمْ ما بدا لك من علومٍ   فما الآداب إلا في الوِراقه(١)

وقال من قصيدة في مرثية البديع [من الوافر] :

وما الإنسان في دنياه إلاّ   كبارقةٍ تروق إذا تلوحُ
نفيسةُ نفسه نفسٌ توالى   ومدّته مدىً ، والروح ريحُ

وقال من أخرى [من الكامل] :

عزّ الغزال بمِسْكِهِ لا مَسْكِهِ   والصرف للدينار لا الصرّفان
شبه الزمرّذ لا يكون زمرّذاً   ولئن تقارب منهما اللونان

---

(١) الوراقة : أي في الأوراق التي تجمع ما كتب من أدبٍ وغَيْرُه . والوراقة : صناعة الورق أو ملازمتها .

وقال [من مجزوء الرمل] :

خفْ إذا أصبحت ترجو وارجُ إن أمسيت خائفْ
ربَّ مكروهٍ مخوفٍ فيه لله لطائفْ

ولولا أنه سألني أن لا أورد في كتابي هذا شيئاً من شعره في الغزل والمدح لكتبت من ذلك جملة صالحة ، لكنني انتهيت إلى رأيه ، وعملت بما سألني به ولم أتعده .

* * *

١٢٠ ـ أبو حفص عمر بن علي المطوعي

شاب لبس برد شبابه على عقل مكتهل، وفضل مقتبل . وسما الى مراتب أعيان الأدباء والشعراء ، التي لا تدرك إلا مع الانتهاء ، واتصل بخدمة الأمير أبي الفضل الميكالي ، فتخرج بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من بحره ، وألف كتاب « درج الغرر ، ودرج الدرر ، في محاسن نظم الأمير ونثره » وحين ألف صاحب هذا الكتاب كتاب « فضل من اسمه الفضل » عارضه بكتاب « حمد من اسمه أحمد » وله كتاب « أجناس التجنيس » وغيره ، وشعره كثير الملح والظرف ، لا يكاد يخلو من لفظ أنيق ، ومعنى بديع ، كقوله في وصف النارنج [من الكامل] :

أهلاً بنارنج أتانا غدوةً في منظرٍ مستحسنٍ مومِوقِ
أصبحت أعشقه ويحكي عاشقاً يا حسنه من عاشقٍ معشوقِ

وقال [من الوافر] :

ومعشوقِ الشمائل قام يسعى وفي يده رحيقٌ كالرّحيق
فسقَّاني عقيقاً حشو درٍّ ونقّلني بدرٍّ في عقيق

وقال [من الطويل] :

ألستَ ترى أطباق وردٍ وحولها ... من النرجس الغضّ الطري قدودُ
فتلك خدودٌ ما عليهن أعينٌ ... وهذي عيونٌ ما لهنّ خدود

وقال [من السريع] :

وشادنٍ ما مثله في الصِّباح ... كالشمس أو كالبدر أو كالصباح
لي من ثناياه ومن طرفِهِ ... وخدِّهِ راحٌ وراحٌ وراحِ

وقال [من الكامل] :

سحر العيون غداة خطَّتْ كفُّهُ ... في رائق القرطاس رائقَ سطرِهِ
فأتى بمثل الوشي واحد نسجه ... أو مثل زهر الروض ثاني قطره
خطٌّ يحاكي منه سحرَ جفونِه ... وطرازُ عارضه ولؤلؤَ ثغره

وقال [من الطويل] :

بنفسي من تمَّت محاسن وجهِهِ ... فما هو إلاّ البدر عند تمامِ
وأرسل صدغاً فوق خطٍّ كأنّهُ ... جناح غرابٍ فوق طوق حمام

وقال [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لنا ... كيف محا الشوك به النقشا
قد كتب الدهر على خدِّهِ ... بالشعر (والليل إذا يغشى)

وقال [من الوافر] :

غدا منذُ التحى ليلاً بهيماً ... وكان كأنَّهُ البدرُ المنيرُ
فقد كتب السواد بعارضيه ... لمن يقرأ (وجاءكم النذير)

وقال [من المتقارب] :

تكبَّر لمّا رأى نفسَهُ ... على هيئة الشمس قد صوِّرتْ

سينـدم ألفـا علـى كبره إذا الشـمس في خده كوِّرتْ

وقال [من المجتث] :

قـل للـذي يهـواهُ أذاقنـي كأس صـابِ[1]
تـركتنـي مستهـامـاً أصلـي بحرِّ التّصابـي[2]
مـا بين دمـعٍ مصوب وبين قلـب مُصاب

وقال [من البسيط] :

إنّـي علقـت غزالاً قلبـه علِقٌ بمثلـه في كمـال الحسـن واللينِ
فالحمـد لله حمـداً لا انقضـاء له أصبحـت جدّاً وسنـي دون عشرينِ

وقال [من البسيط] :

لمـا استقلّت بهـم غير النـوى أُصُلاً وشتّتهُـمْ صروف البين تشتيتا[4]
جلست أنظم في وصف الهـوى دُرراً والعين تنثـر من دمعـي يواقيتا

وقال [من الطويل] :

أيا منية المشتـاق فيم تركتني كئيبـاً بلا عقـلٍ قتيلاً بلا عقل[5]
فإن كنت أنكرت الـذي بي من الهوى أقمـت به من أدمعـي شاهـدي عدل

وقال [من الكامل] :

يا ليلُ هل للصبـح فيك وميضُ فعلـيَّ غمٌّ مِنْ دجـاك عريضُ

---

(1) الصاب : العلقم ، والمرّ .

(2) أصلى : احترق ، والتصابي : تكلّف الصّبا والميل إلى الفتوة والجهل .

(3) مصوبٍ : أي هاطل ، ومُصاب : أي أصيب بالهوى وبغيره .

(4) استقلت بهم : حملتهم ، وأصلاً : ليلاً أو عند مغيب الشمس .
وشتّتهم : فرقتهم. صروف البين : أحداثه وغِيَرُهُ .

(5) « عقل » الأول هو أداة التفكير ، والثاني بمعنى الدّية .

ليلٌ حكى الغربان سوداً لونه   وكأنَّ أنجمه البزاة البيضُ

وقال [من البسيط] :

يكفيك أن الهوى لم يبقِ في جسدي   من الجوارح عضواً غير مجروح
إنّي نحلتُ الهوى قلبي فأنحلني   حتى غدا جسدي أخفى من الروح

وقال [من البسيط] :

نفسي فداء غزالٍ ما اكتحلت به   إلاّ تصوّرته أنموذج الحورِ
وكلما رام نطقاً وهو مبتسمٌ   فالدرُّ ما بين منظومٍ ومنثورِ
أضحى جنى النحل ممزوجاً بريقته   لكنّما الخصر منه خصر زنبور(١)

وقال [من الطويل] :

أرى الفطر عيد الناس في كلّ بلدة   ووجهك لي عيدٌ ورؤيته فطري
إذا ما أعدّ الناس للفطر عطرهُمْ   فحسبي بما في عارضيك من العطر

وقال [من الخفيف] :

قم إلى الراح فاسقنيها ففيها   قوّةٌ للفتى وقرّةُ عينِ
ما ترى الصوم صار بالأسودين   وأتانا شوال بالأحمرين

وقال [من الوافر] :

صديقك قد ألمّ به صديقٌ   وأعوزه الشرابُ الأرجواني
وقد بعثنا إليك وليس شيئاً   سوى معهودِ فضلك يرجوان

وقال [من الكامل] :

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً   ما لم تبالغ قبل في تهذيبها(٢)

---

(١) الزنبور : « الدّبور » هكذا تسميّه العامة وخصره يكون مذهباً .

(٢) المحفوظ : ما لم تكن بالغت في تهذيبها » والتهذيب : الصقل والعناية .

فمتـى عرضـتَ الشّعـر غير مهذبٍ عدّوه منـك وساوسـاً تهـذي بها

وله من نتفة في ذكر جوين حين كان بها مع الأمير أبي الفضل الميكالي [من الكامل] :

طابـت جوين لنـا وطـاب هواؤها فسقى السحاب الجون أرض جوينِ
أرضٌ أقـام بهـا الأمير فألبست بمقامـه فيهـا ملابس زينِ
فكأنّمـا أنهارهـا من كفِّهِ تجـري وقـد جادت لنـا بلجين
وكأنّ زهـر رياضهـا من بشره يهـدي الضياء لكلّ ناظـرِ عينِ

وله فيها [من الوافر] :

ومـرّتْ في جوين لنـا ليالٍ عددناهـنّ من عيشِ الجنانِ
رضعنـا في حجـور الأمـن فيها بأفـواهِ الرضـى ثدي الأماني
لدى قرمٍ خلائقـه نجومٌ ولـكنْ وجهـه للبـدر ثاني

***

١٢١ ـ أبو العباس الفضل بن علي الإسفرائيني

إسفرائين من كور نيسابور ، مخصوصة بإخراج الأفراد، كأنو شروان الذي افتخر به النبيﷺ ، فقال «ولدت في زمن الملك العادل» فهو أفضل ملوك العجم وأعدلهم بالإجماع وإن كانت لأزدشير فضيلة السبق . ومسقط رأس أنو شروان مشهور بإسفرائين .

وكأبي جعفر حمويه بن علي الذي أحيا دولة آل ساسان وحاطها ، واجتاح أعداءها ، وتولى لهم أربعين حربا لم ترد له فيها راية ، ولم تفته من مطالبه غاية ، حتى وطأ الله لهم على يده مهاد الملك ، وجبى إليهم ثمرات الأرض، هذا مع رجوعه إلى نفس أمارة بالعدل والخير ، بعيدة من الجور والشر ، مدلولة على سبل البر ، تشهد بها آثاره بنيسابور وأوقافه وأخباره .

وكالشيخ الجليل أبي العباس الفضل بن أحمد، فإنه هو الذي ربى ملك السلطان المعظم أبي القاسم محمود بن سبكتكين ، أدام الله تأييده! كما يربى الطفل الصغير حتى يشتد عظمه ، ويؤنس رشده. وما زال يدرجه بحسن هدايته وكفايته إلى الزيادة ، وبلوغ الإرادة ، حتى ثبتت أركانه ، وعلا مكانه . وتلاحقت رجاله ، وتكاثرت أمواله . وتوالت فتوحه ، وارتقت فتوقه وكأبي حامد بن أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني إمام أصحاب الحديث ببغداد وصدر فقهائها ، فإنه بلغ من الفقه والتدريس مبلغا تنثني به الخناصر ، وتثني عليه الأفاضل .

وكأبي العباس بن علي ، فإنه من بقية الكرام الأجواد الذين لا تخرج أوصافهم إلا من الدفاتر وكتب المآثر ، فهو من حسنات نيسابور ومفاخرها وهو الآن الحاكم والزعيم باسفرائين والناظر في أمورها ، والمناضل عن أهلها ، والمتكفل بمصالحها ومناجحها ، يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، وطبع كريم وخلق عظيم ، ومن حسن أثره ويمن نقيبته أن إسفرائين حرم أمن ، وجنة عدن ، عامرة به ، وقد شمل سائر كور نيسابور نواحيها الخراب وعمها الاختلال وكانت إسفرائين فيها لمعة في ظلم وغرة في غرر ، ومن عجيب شأنه أنه ـ على إقلاله وكثرة ديونه وقصور دخله عن خرجه ـ يقيم من المروءة وسعة الرحل ما لا عهد لمن فوقه في الجاه والمال بمثله ، ويبذل للزوار والعفاة ما لا يقدم أجواد المياسير على بذله ، وكأن الأشجع السلمي عناه بقوله [من المتقارب] :

وليس بأوسعِهِمْ في الغنى ولكنَّ معروفه أوسع

وله كتابه حسنة ، ومحاضرة مفيدة ، وفصاحة مرضية ، وشعر كثير لا يحضرني منه الآن إلا قوله [من الطويل] :

وكنت إذا ما سرّح المشط عارضي رأيت سحيق المسك بين يديّا
فصرت إذا ما خلّلته أناملي تناثر كافورٌ بهنّ عليّا

وقوله لبعض أصدقائه [من الطويل]:

أرانـي إذا ما سرت نحـوك زائراً خطـاي وسـاعٌ، والمسير ذميل(١)
وإن ما أرحْ بالإنصـراف مودّعاً فأدرم مشياً والحـراك قليل(٢)

وقوله في شمعة نصبت في بركة [من المنسرح]:

وشمعـةٍ وسـط أيمـن البُركْ تميس في المـاء ميس مرتبِكْ
كأنّهـا البـدر في السمـاء سرى فحـار في أوجـه من الفلك

وقوله في فوارة أقلت تفاحة [من المتقارب]:

وفـوارةٍ سائـلٍ ماؤها بتفاحـةٍ مثـل خدٍّ العشيق
كمنفخـةٍ من رقيق الزّجاج تُدار بهـا كرةٌ من عقيق

***

١٢٢ ـ أبو الفتح أحمد بن محمد بن يوسف الكاتب

من رستاق جوين ، وقع إلى بخارى في آخـر الدولـة السامـانية، واتصـل بالخانية ، فتولى ديوان الرسائل لبغرا قراخان ونازع أبا علي الدامغاني في الرتبة ، ثم زال أمره وانحطت حاله ، وقصد غزنة فلم يحظ بطائل ، وعاود نيسابور فمات بها ، وكان أعطاني من شعره مجلدة أخرجت منها قوله [من المتقارب] :

تزوّجْتَ ويحـك عوّادةً ليطعمـك النـاس من أجلها
لقـد جئـت في اللـوم أعجوبة أرى الكلـب يأنفُ من مثلها

وقوله [من البسيط]:

شعري متينٌ وخطّي حين تلحظُهُ كالروض حسنـاً ومـا في منزلـي قوتُ

---

(١) الذّميل : السير السريع الليِّن .
(٢) أدرم : تعثّر وسقط ، يقال أدرمت أسنان الولد : تحركت وسقطت لنبات أسنانٍ أخرى .

لا الـدرُّ عندهمـا درٌّ إذا جمعا   عنـد الأديب ولا الياقـوت ياقوتُ
لكنّ عيبـي أنـي لسـت ذا قحةٍ   لذاكُمُ أنـا مهجـورٌ وممقوتُ(١)

وله [من البسيط]:

ما للبـراغيث طولَ الليل راتعةً   أجلْ وطولَ نهـار الصيف في جسدي
بليتِ منهـا بمـا تبلـى الـكرام بهِ   من اللئـام وأهـلُ البغـي والحسدِ

وله [من السريع]:

لمـا رأيت الشيخ قد ملّني   وآزورّ عنـي وآزدرى قدْري
رضيتُ بالفقـر ولازمتُهُ   في منـزلٍ أضيقُ من صدري

وله [من الوافر]:

سقـاكِ الله نيسابـور غيثاً   يبـرّد غلَّـةَ الهيمِ العطاشِ(٢)
فقـد أحدثـت كتّابـاً ظرافاً   لطافـاً طاب بينهُـمُ معاشي
إذا أبصرتُهُـمْ أنشـدت بيتاً   رواه لنـا زهيرٌ عن خراشِ
خريتـم في البياض وكان عهدي   بكم تخـرون قبـلُ علـى الفراشَ

وله [من الطويل]:

جفانـي وهاجانـي ولـم يخشَ صولتي   ولا سطوتـي الشيخُ العميد أبـو نصرِ
وكان حريٌّ ألاّ يكاشِفَ شاعراً   وفي داره يجري من الخزي ما يجري
وقـد خاف أولاد العفـائف جانبي   فمـا أمنه إياي وهـو ابـن من يدري

وله [من السريع]:

ولحيةٍ للشيخ إنْ تلقها   لقيتَ من حاملهـا مائقا(٣)

(١) القحة : من الوقاحة . والممقوت : المبغوض والمستثقل .
(٢) الغيث : المطر : والغلّة : الظمأ ، والهيم : الذين يحتاجون للماءِ أي الظّماء .
(٣) المائق : الأحمق .

سلـط عليهـا ربُّنـا نادفاً بلْ ناتفـاً بلْ حالقـاً حاذقا

وله [من الخفيف]:

سيرة الشيخ سيرةٌ مذكوره وأياديه بيننـا مشكوره
إذ لديه محـلُّ كلِّ كريمٍ كمحـلِّ الـكلاب في المقصوره

وله [من السريع]:

من كان ذا جاريةٍ بضَّةٍ ولحمهـا عارٍ مِنَ الشّحمِ
فهـذه يا إخوتـي فاعجبوا جاريتـي عظـمٌ بلا لحمِ
عظـمٌ بلا لحـمٍ ولكنَّها مولعـةٌ بالمضـغ للحم

وله [من السريع]:

أقـول للشيخ إذا جئتُهُ والشيخ لا يفـكر في الهجو
سبحـان من أعطـاك هلّوفةً تصلـح للهجـو وللنجو(1)

وله [من الوافر]:

لقـد جلَّ ارتياحـي واغتباطي بمـا يلقـاه من ألـم السقامِ
وأرجـو أن يُتمَّـم لي سروري بمـا يُسقـاه من كأس الحمامِ
وحاشـا أن يذوق المـوتِ إلاً بحـدٍّ مهنّـدٍ ذكرٍ حسام(2)
علـى أن الحسـام يزلّ عنه ولـكنْ بالحجـارة والسلام

وله [من البسيط]:

جَهْـلُ الـرئيس وحـقٍّ الله يُضحِكُنا وفعلـه وإلَـهُ النـاس يُبكينا

***

(1) الهلّوفة : اللحية الضخمة ، والنجو : أي المناجاة بالأسرار والعشق .
(2) المهنّد : السيف ، والذكر : الحديد الصلب ، والحسام القاطع .

١٢٣ - أبو القاسم الحسين بن أسد العامري

من رستاق خواف ، أحد الأدباء المذكورين، والمؤدبين المشهورين بنيسابور وكان يؤدب أولاد الرؤساء بها ، وله شعر كثير اقتصرت منه على قوله [من البسيط]:

يدي على كبدي من شدَّةِ الكمدِ كأنّما خُلِقَتْ كفَّاي من كبدي
نظرت فاحترقتْ أحشاي من نظري فمن ألوم وقد أحرقتُها بيدي
الشوق يجمعني والهمُّ في قرنٍ جمعاً يفرِّقُ بين الروح والجسد[1]
جودي ليَ اليوم أو عودي غداً دنفاً أو آندبي لقتيلِ الحبِّ بعد غدِ

وقوله [من الرجز]:

فرسكةٌ حمراءُ كالعقيق هدية جاءتك من صديق[2]

***

١٢٤ - ابنه أبو النصر طاهر بن الحسين

كتب إلى أبي الحسين بن فراسكين ، وكان يؤدب ولده [من الكامل]:

حثُّ الكريم على التفضُّل بدعةٌ يا خيرَ من يمشي على وجه الثرى
جاء الشتاء ولست أملك درهماً والاعتماد عليك، فانظرْ ما ترى

***

١٢٥ - أبو عبد الله الغواص

من قرية الجنيد ، من رستاق بست بنيسابور ، أديب متبحر في اللغة شاعر باللسانين كثير المحاسن ، وهو الآن حي يرزق ، وله نعمة ودهقنة[3] وديوان شعره

(١) القرن : في حبلٍ واحد ، أو رباطٍ واحد .
(٢) الفرسك : الخوخ ، والفرسق لغة فيه وهي يونانية الأصل .
(٣) الدهقنة : رئاسة المقاطعة والاقليم .

عظيم الحجم ، ومن ملحه قوله [من الرمل] :

من عذيري من عذولـي في قَمَرْ قامَــرَ القلــبَ هواهُ فقمر
قمــرٌ لم يبـق منّـي حبُّهُ وهــواه غير مقلــوبِ قمر

وقوله في دار السيد أبي جعفر الموسوي [من الكامل] :

يا دار سعــدٍ قد علــتْ شرفاتها بنيَتْ شبيهــة قبلــةٍ للنّاسِ
لورود وفــدٍ، أو لدفــع ملمّةٍ أو بذل مالٍ، أو إدارة كاسِ

وقوله في قوم من المتفقهة وسخى الثياب جيدي الأكل [من الهزج] :

أنــاسٌ نَتْنُهُمْ يربى علــى نتــن الظرابين(1)
وأكلٌ لهُــمُ يربى علــى أكل الثعابين

وقوله [من البسيط] :

الخيبــريون في أستاهِهِــمْ سعةٌ وفــي أكفِّهِــمُ ما شئــت من ضيقِ
ومنهُــمُ أحمــد المذمــوم ، مذهبُهُ بلعُ الأيورَ بلا ريقٍ علــى الريق

***

١٢٦ ـ أبو حاتم الوراق

من قرية كشم من رستاق نيسابور، ورق بنيسابور خمسين سنة ، وهو القائل [من الكامل] :

إنّ الوراقــة حرفــةٌ مذمومةٌ محرومــةٌ، عيشــي بهــا زَمِنٌ(2)
إن عشــتُ عشــتُ وليس لي أُكُلٌ أو متُّ متُّ وليس لي كفنُ

---

(1) الظرابين : جمع ظرباء ، وهي دويبة منتنة كالهرّة .

(2) الزّمِن : الذي مرض مرضاً طويلاً يصعب شفاؤه .

ومن ملحه قوله في نور الخلاف المسكي [من الرجز]:

كأنَّ نورَ شجـر الخلافِ أكفُّ شنـورٍ بلا خلاف

***

١٢٧ ـ أبو جعفر البحاث، محمد بن الحسين بن سليمان

من زوزن إحدى كور نيسابور ، مشهور بالأدب والعلم ، وكان له محل من الشعر وتصرف في القضـاء ببـلاد خراسـان ، وأنشـد قول ابـن المنجـم [مـن الطويل]:

فلا تجعلنّـي للقضـاة فريسةً فإنّ قضـاة العـالمين لصوصُ
مجالسهـم فينـا مجـالسُ شرطةٍ وأيديهُم دُون الشصـوص شصوص[1]

فقال مجيزاً لهما [من الطويل]:

سوى عصبـةٍ منهـم تُخصّ بعفةٍ ولله في حكم العمـوم خصوص
خصوصهـم زان البـلاد، وإنّما يزين خواتيم الملـوك فصوصُ[2]

ومن ملحه السائرة قوله [من المجتث]:

هـديـةٌ بنسبـةٍ أذيّـةٌ أو بليّـهْ
باللهِ قـل لـي أكانـت هديـةٌ أم وصيّـه
إن أخّـرت عن حياتي وعـاجلـتنـي المنيّـه
فأعطهـا بعـد موتـي أقـاربـي بالـسويّـه

وهذه قصيدة له كتبتها كلها لحسن ديباجتها [من المتقارب]:

شبـابٌ كلامـعِ برقٍ رحَلْ وشيبٌ كمثـلِ غريمٍ نزلْ

(١) الشصوص : جمع شِص : وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك . والشصوص : اللصوص المهرة .
(٢) خصوصهم : ما يخصُّهم ، أوما يتفرّدون به ، والفصوص : جمع فص ، وهو لبُّ الخاتم .

وقــدٌّ قويمٌ جفــاه الزمان كخــوطٍ تحانــي وغصــنٍ ذبلْ[1]
وشعــرٌ تطــاير فيه البياض يحــاكي سواه خضــابٌ نصل
وثغــرٌ تناثــر كالأقحوا ن غازلــه الليل رشٌ وطل
ووجــهٌ نبــت عنــه نجــل العيون وقــد كان روضــاً لحــور المقلْ
وخطــوٌ كخطــو القطــا في الرما ل من بعــد وثــبٍ كوثــب الإبل
وجســمٌ تراجــع بعــد النماء كزرعٍ تناهــى وبــردٍ سمل[2]
ترحّــل ما سرَّ مستعجِلاً وشيك الــرحيل ومــا ساء حلّ
مضــت وانقضــت غفــلاتُ الشبابِ وجــاء المشيب وبئس البدل
كأني رأيت الصبــا في المنام خيالاً تمثّــل ثمَّ اضمحلْ
أما لكَ فيمــا ترى عبرةً وشاهــدَ صدقٍ بقــربِ الأجل
إلــى كم تطــوفُ ببــاب الملوك كطيرِ الفــراش بضوءِ الشّعل
فطــوراً تُجــلّ وطوراً تُغَلّ وطــوراً تُعــزّ وطــوراً تُذل
أتغفــلُ عن نائبــاتِ الزمان وهــنَّ سِراعٌ إلــى من غفلْ
زمــانٌ يدير علــى أهله بسعــدٍ ونحسٍ كؤوس الدولْ
فإحدى يديه تمجُّ الذعاف وإحدى يديه تمجُّ العسل[3]
ألــم تعتبــرْ ببقصــور الملوك خلــت منهــمُ بوشيك الرحل
فسلهــا وقــل اين سكانها وأين الملــوك وأين الخول[4]
وأين الجيوش وأين الخيول وأين السيوف وأين الأسل[5]
وأين الــذين حكوا بالقدود غصونــاً ثناهــا النــدى والبللْ
كجــنٌّ علــى الجــنٌّ قد أقبلوا بســود القــلانس حشــو الحِللْ

---

(١) الخوط : الغصن الناعم .
(٢) سَمَل : أبلى وسمل العين : فقأها بحديدة محمّاة ، وسمل الحوض : لم يخرض منه إلأ ماءٌ قليل .
(٣) الذُّعاف : السُّمُّ القاتل المميت .
(٤) الخول : العبيد .
(٥) الأسل : الرماح .

طوتهم عن الأرضِ آجالُهُمْ ... ولم تغن عنهم صنوف الحيَل
وما ذاك من كوكبٍ قد بدا ... من الشرق أو كوكبٌ قد أفل
ولا الخير يأتي به المشتري ... ولا الشرّ يقضي علينا زُحل
وما الأمرُ إلاّ لرب السماء ... وقاضي القضاة تعالى وجلّ
قليلٌ جميع متاعِ الغرور ... وطالبه من قليلٍ أقلّ
وضلّ عن الرشد جمّاعه ... وحاسده منه فيه أضلّ
سباعٌ حواليه زرقُ العيون ... كلابٌ وأسدٌ وذئبٌ أذلّ
فهذا يجاذبُ ما قد حواه ... وهذا يخالسه ما فضل
إذا وضعوه على نعشه ... أشاعوا البكا وأسرّوا الجذل[1]
وإن دفنوه نسوه معاً ... وكلٌّ بميراثه مشتغِلِ
فهذا قصارى جميع الأنا ... م مَنْ جلَّ أو قلَّ منهُمْ وذلّ
أقول وللدمع في وجنتي ... سوابق قطرٍ له مستهلّ
سلامٌ على طيْبِ عيشٍ مضى ... وأنسٍ بإخوان صدقٍ نبل[2]
سلامٌ على قوتي للقيام ... إلى الفرض في وقته والنفل[3]
سلام على الختم في ليلةٍ ... بقلب كئيب حليف الوجل[4]
سلام على الكتب ألّفتها ... ووشّحتُها بصحاحِ العلل
سلامٌ على مِدَحٍ صغتُها ... وحبرّتُها في الليالي الطوَل
سلام امرىءٍ ما اشتهى لم يجدْ ... وما رامِ مجتهداً لم ينل
أناب إلى ربه تائباً ... ومستغفراً للخطا والزَّلل[5]

---

(١) أسرّوا : أخفوا وكتموا ، والجذل : السرور والفرح .
(٢) نبل : فارق ، من نبل السهم : أي فارق القوس
(٣) الفرض : أوان الصراة ، والنفل : النوافل المستحبة طاعة لله .
(٤) الختم : أي الانتهاء من قراءة القرآن ، والوجل : الخوف والخشية .
(٥) أناب : أي عاد تائباً ، والزَّلل : الخطأ .

وله وقد حلم بخيال حبيب له فنبهه ذلك الحبيب فقال [من البسيط]:

يا من ينبِّهني عن رقدةٍ جمعتْ بيني وبين خيالٍ منه مأنوسِ
دعني فإنّك محروسٌ ومرتقبٌ وخلِّني وخيالاً غير محروسِ

***

١٢٨ ـ أبو منصور محمد بن على الإسماعيلي الجويني

أحد أفاضل الأدباء ، بل أوحدهم ، يجمع تفاريق المحاسن ويرجع بناحيته إلى دهقنة وكفاية . ويتحلى بستر وقناعة ، وله شعر كثير يحضرني منه قوله [من المجتث]:

يا واصفاً لي شوقَهُ وما سما منهُ فوقَهْ
حسوتُ من ذاك مالاً مشنوقٌ يستطيع ذوقَهُ
وفوق ظهريَ منهُ ما يشتكي قدس أوقه(١)

وقوله [من المجتث]:

إنّ الزيارة يزري إدمانها بالمحبَّهْ
وعادة الغبِّ فيها أولى بحسن المغبّه(٢)

وقوله [من مخلع البسيط]:

ما أبين العذر في كتابٍ في الظهر حيث البياض يعوزُ
أليس عند افتقاد ماءٍ تيمّمٌ بالصعيد يجوزُ

وقوله [من السرَيع]:

اعذر صديقاً في بياضٍ حكى كاتبه في دقّةِ الجسمِ

---

(١) الأوق : الثقل .
(٢) الغبُّ : الزيارة حيناً بعد حين .

كأنّما أعدته أشواَقُهُ فصيّرته ناحل الجرم(١)

***

١٢٩ - أبو نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

كان غرة في وجه زوزن ، وورد نيسابور وهو غلام يتناسب وجهه وشعره حسنا ، فأخذته العيون ، وقبلته القلوب ، وارتاحت له الأرواح ، واستكثر من أبي بكر الخوارزمي وأخذ عنه الفصاحة حتى كاد يحكيه ، وتفتحت له أبواب الشعر وتفتقت أنواره فقال ، من قصيدة [من الطويل]:

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنَّةٍ ولا أشتري عزّ المراتب بالذُّلِ
وأعشق كحلاء المدامع خلقةً لئلاّ يرى في عينها منَّة الكحل

وقال [من المتقارب]:

ألا حلّ بي عجبٌ عاجبٌ تقاصر وصفيَ عن كنهِهِ
رأيت الهلالَ على وجهِ مَنْ رأيت الهلال على وجهِهِ

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : أنفذ إلى أبو نصر الزوزني رقعة وسألني أن أعرضها على والدي فإذا فيها هذه الأبيات [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها السّيد المرجّى إن حلّ صعبٌ وجلّ خطبُ
عندي ضيفٌ وليس عندي ما هو للملهيات قطبُ
فالصدر مني لذاك ضيّقٌ لكنْ رجائي لديك رحب
أقِمْ علينا سماء لهوٍ أنجمها بالمزاح شُهُبُ
نشربْ ونوقظْ به قلوباً ويصبح الجسم وهو قلب

ولما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك شعراء عضد الدولة ،

(١) الجرم : الجسم .

فهب عليه نسيم الثروة ، وتمهد له فراش النعمة ، ثم إنه احتضر أحسن ما كان شباباً ، وأكمل ما كان آداباً ، وكتب إلى والده قصيدة وهو في سكرة الموت أولها [من الوافر] :

ألا هل من فتىً يهب الهوينا لمؤثرها ويعتسفُ السّهوبا[1]
فيبلغ والأمور إلى مجازٍ بزوزن ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الرّدى هصرت بأرض العراق من ابنِهِ غصناً رطيبا[2]

وليس يحضرني باقيها .

* * *

١٣٠ ـ أبو العباس محمد بن أحمد المأموني

كان من علماء المؤدبين وخواصهم ، وانتقل من زوزن إلى نيسابور واشتغل بالتدريس والتأديب ، وله شعر كثير وقصائد مسمطة ، كقوله من قصيدة أولها [من مجزوء الوافر] :

لعل سعاد تسعد مَنْ أضرَّ به الفراق وأنّ
تكفّ يد الصبابة عنْ فؤادٍ شيِّقٍ تعِبِ

ومنها :

وفقدُ الغمد لا يزري بعضبٍ فيصلٍ يبري
وإن الطِّرف قد يجري بغير ثيابه القشبِ[3]

وقوله من أخرى في التوحيد أولها [من مجزوء الوافر] :

إلَه الخلقِ معبودي وفي الحاجات مقصودي

(١) يعتسف : يسير على غير هدى ، والسهوب : من الأرض : البعيدة السهلة .
(٢) هصرتْ : كسرت .
(٣) الطرف : الجيد الأصيل من الخيل . والقشب : الجديدة النظيفة .

ودين الـكفـر مردودي وعصـمـة خالقـي وزري

وأنشدني لنفسه في وصف تفاحة [من الطويل] :

وتفاحـةٍ من سوسـنٍ صيغ نصفُها ومـن جلّنـار نصفُهـا وشقائقِ
كأنّ الـذي فيهـا من الحسـن صائحٌ بأن آمنـوا يا جاحـدون بخالقي

وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

لا العسـر يبقـي علـى حالٍ ولا اليسر ألا ترى أنّ من يعلـو سينحدِرُ
لا تسخطنَّ علـى دهـرٍ لحادثةٍ فكلُّ حادثـةٍ يأتـي بهـا القدرُ
وكنْ بربِّـك في الأحـوال ذا ثقةٍ بأنّـه دافـعُ الآفـاتِ لا الحذر

* * *

١٣١ ـ أبو القاسم علي بن أحمد بن مبروك الزوزني

كان متفنناً في العلوم ، قائلاً بالاعتزال والزهد والتصوف، وله شعر كثير من أشهره قوله [من البسيط] :

سواد صدغيـن من كفـرٍ يقابله بياضُ خدّيـن من عدلٍ وتوحيد
قد حلّت الزنج أرض الروم فاصطلحا يا ويح روحـي بين البيض والسود

***

١٣٢ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني

أديب شاعر ، ظريف الجملة ، خفيف روح الشعر ، كثير الملح والظرف ، فمما أنشدني لنفسه في دار الأمير أبي الفضل الميكالي قولـه في بعض الصـدور بنيسابور [من مجزوء الكامل] :

لـو كنـت أعظـمُ في الولا يـة من يزيدِ بنِ المهلّبْ

أو كنـــت أعلــم بالروا يـة من سعيد بن المسيّبْ
ولقيتنـــي بتجهّمٍ فالكلــب منــك إلــيّ أعجبْ

وقوله [من السريع] :

يا ربِّ وفقنـــي للخير واقتــل عدوي بيديّ غيري
وقـــوِّ أيري فإن الفتى لذّتــه في قوّة الأير[1]

وقوله [من مخلع البسيط] :

يا سيدي نحــن في زمانٍ أبدلنــا الله منــه غيره
كلُّ خسيسٍ وكلُّ نذلٍ متّــع بالطيبــات أيره[2]

وكل ذي فطنــةٍ وكيسٍ يجلــد في بيتــه عميره

وقوله [من مجزوء الرجز] :

يا كاسبــاً من إستــه ومنفقــاً علــى الذُّكرْ[3]
استــك تشــكوك فلا تفــرحْ إذا الأيرُ شكرْ

وقوله [من المجتث] :

يا مادح الشعــر جهلاً أعِــنْ أخــاك بصمتِ
لــو كان في الشعــر خيرٌ ما كان ينبــتُ في استي

وقوله [من الوافر] :

له أنفٌ حكى خرطــوم فيلٍ إلــى شفتين مثــل الكلبتينِ
فلا تغــررْكَ مِردتــه فإني رأيتُ القبــح إحــدى اللحيتين[4]

(١) ورد صدر البيت : وتولّ أيري فإن الفتى » وهو غير مستقيم الوزن ، وأصلحناه إلى الوجه الذي ذكر .

(٢) النّذل : الخسيس الحقير .

(٣) الاست : فتحة المؤخرة . والذُّكر : عضو التناسل عند الرجل .

(٤) المردة : اللحية الحديثة .

وأنشدني الأمير أبو الفضل له [من المتقارب] :

إذا كنت معتقداً ضيعةً فإيّاك والشُّوهَ الوجوها[1]
لأنّك تقرأ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)

وله [من مخلع البسيط] :

إلبس ثياباً وكنْ حمارا فإنّما تكرمُ الثّيابُ

* * *

انتهى الباب العاشر فتم به الكتاب ، وبقي على ذكر قوم من أهل نيسابور لم تحضرني أشعارهم ، وهم : أبو سلمة المؤدب ، وأبو حامد الخارزنجي ، وأبو سهل البستي ، وأبو الحسن العبدوني الفقيه ، وأبو بكر الجلاباذي ، وأبو القاسم العلوي ، وأبو سعد الخيزروذي ، وأبو سعيد مسعود بن محمد الجرجاني ، والفقيه أبو القاسم بن حبيب المذكر ، وأبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفى الوزير ، والشيخ أبو الحسن الكرخي ، والشيخ أبو نصر بن مشكان، وأبو العلاء بن حسولة أيده الله ، وسيتفق لي أو لمن بعدي إلحاق ما يحصل من ملح أشعارهم بهذا الباب إن شاء الله تعالى، وله الحمد والمنة والشكر ، وصلواته على النبي المصطفى محمد وآله الطاهرين ، والصحابة أجمعين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين .

* * *

وهذه زيادة ألحقها الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي رحمه الله تعالى ! بخطه في آخر المجلدة الرابعة من نسخته على لسان المؤلف ولقد قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى لبعض تلامذته أوان القراءة : قد أجزت ما فعله

(١) الشوّه : القباح .

الأمير ، وإن شئت أن تثبته في موضعه من الكتاب فافعل فقد أجزتك بذلك .

* * *

١٣٣ - أبو الحسن علي بن محمد

الغزنوي مولدا ، الأصبهاني منشأ ، حسنة أرضه ، ونادرة دهره، ونجم أفقه ، وعقد قلائد الفضل وأهله، والجامع بين كرم الخيم والخير(١) ، والمكتفي بالفهم الثاقب والطبع الغزير ، والمتفنن في محاسن الآداب والعلوم ، والناظم حواشي المنظوم والمنثور ، ومما حضر في الوقت من بارع نظمه قوله [من المتقارب] :

إذا سلَّم الله دين امرئٍ وعرضاً له من دواعي الخللْ
فما بعد هذين من حادثٍ تلقّاه أو ريبِ دهرٍ جللْ

وقوله في بغداد [من المتقارب] :

سقى الله بغداد مجنى العلوم ومغنى الأماني ومثوى الأدبْ
على أنّها حسرة المفلسين وجنّة عدنٍ لأهل النشب(٢)
إذا ما استتبّت لنا عودةً إليها قضينا أقاصي الأرب

وقوله [من الطويل] :

سقى الله أياماً ببغداد لي مضتْ خلتْ فألذَّتْ وانقضتْ فأمضّتِ(٣)
ولم يك إلاّ عقد عمري وعلقةً تقضّى فكانت عيشتي قد تقضّتِ

---

(١) الخيم : السجايا والأصل .
(٢) النشب : المال .
(٣) أمضّت : آلمت وأوجعت .

وقوله في نكبته [من الخفيف] :

ليس إلاّ الرضى بما قدّر اللـه وإلا الإذعان والتسليمُ
والعزاء الجميل والصبرُ والإيـقانُ أنّ المولى رحيمٌ كريمُ
ومصير المظلوم عقبى نجاةٍ ومعاد البغاة مرعى وخيمُ
ليس فيما [مضى] من الخير خيرٌ إنّما الخيرُ في الذي لا يريمُ(١)
وكذا الشر ينقضي ليس شرّاً إنّما الشرُّ شرٌّ من يستديم
فاحمد الله إن حصلت مصيراً واشكرنْهُ أن لست ممّن تضيم(٢)
واتق الله واستعنه وأيقنْ إنّ أجر الصبور أجرٌ عظيم

وقوله [من البسيط] :

الزجرُ والفألُ والرؤيا تعاليلُ وللمنجّم أحكامٌ أباطيلُ
والله بالغيب والتقدير منفردٌ وما سوى حكمِهِ غيٌّ وتضليلُ
فلا معجّل للمقضيٍّ آجله وليس للعاجل المقضيِّ تأجيلُ
ثقْ بالعليم الذي يقضي الأمور ولا يغررك ما دونه فالكلُّ تعليلُ

وقوله [من الكامل] :

يا من يُثمِّر للحوادث مالَهُ فوّتْ نفسك حظَّها من مالِها
كن واحداً منها لسهمٍ واحدٍ لك إن حرمت سهامها بكمالها

وقوله في مرثية وجيه بن أحمد [من الطويل] :

أتى نبأٌ من نحو دينور مصعداً أقام جميع السامعين وأقعدا
وأورث أحناء القلوب تململاً وأودع أحشاء الضلوع توقّدا
وذوّب من بحر المدامع جامداً وجرّد من سيف الكآبة مغمدا

---

(١) يريم : يفارق .
(٢) الضيم : الظلم والإذلال .

وغادر وجه الفضل والنبل أغبراً ... وطرف الحجى والعقل واللبِّ أرمدا
وأبقى أساه كلَّ دمعٍ مهلهلاً ... وأبقى بكاه كلَّ خدٍّ مخدّدا[1]
فعاد به شملُ الهموم مجمّعاً ... وآضَ به شمل السرور مبدّدا[2]
ففي كلِّ دارٍ منه نوحٌ ورنّةٌ ... وفي كلِّ قلبٍ منه كَلْمٌ تجدّدا[3]
بأنّ الردى أنحى على المجد والعلى ... وأودى بحزم العلم والحلم والندى
بمن كان للإحسان والفضل مألفاً ... ومن كان للإنعام والطول معهدا
فويح الردى كيف انبرى دفعةً له ... وكان به من قبلُ يستدفع الرّدى
عساه أتاه في معارض سائلٍ ... فراوده عن روحه باسطاً يدا
فما ردَّه لما اجتداه تكرُّماً ... وكان قديماً لا يردُّ من اجتدى[4]
عفاءٌ على دهرٍ عفا رسم مجده ... فغادر شلو المكرمات مقدَّدا[5]
وأنف المعالي والكمال مجدّعاً ... ووجه المساعي والفعال مسوّدا[6]
لقد كان حقّاً غرّةً في جبينِهِ ... فعاد بهيماً بعد أكلف أربدا[7]
سلامٌ عليه فائضٌ بركاته ... من الله والرضوان مثنىً وموحدا
ولا زال ريحان الجنان وروحها ... يصافحه في كلِّ ممسى ومغتدى

وقوله في علة عرضت له فحلف الطبيب أنها سليمة [من الكامل] :

حلف الطبيب لأَبْرَأَنَّ من علتي ... ومتى يريح من الممات يمينُ
هوّن عليك فكلُّ ما هو كائنٌ ... سيكون إمّا حان منه الحينُ

---

(١) المخدّد : متقبّض من الضعف والهزال .
(٢) آض : عاد ، وصار .
(٣) الكلم : الجُرح .
(٤) اجتدى : سأل وطلب الحاجة .
(٥) الشلو : العضو ، مقدّدا : من القديد : وهو المجفف من اللحم .
(٦) مجدّعاً : مقطّعاً .
(٧) أربد : مغبّر .

ولئــن نجــوت مسلَّمــاً من هذه　　إنّــي بأخــرى بعدهــا لرهينُ

وقوله [من الطويل] :

سقــى الله أيام الصّبــا ونعيمها　　إذ القلب صابٍ في هوى المـرد شيِّقُ
وإذ لا أحاشــي لذّة كيفمــا انبرتْ　　وأنــي ويوم العيش غضّــان رَيّق[1]
لئــن كان عذري في شبابــي واسعاً　　علــيَّ فصبــري في مشيبــي ضيِّقُ

وله في نكبة [من الطويل] :

لئـن غصبت أيدي المظالــم ضيعتي　　فلم تغتصـبْ ديني وعلمي وأخلاقي
وإن ثمـدت مالــي الجوائــح فالذي　　تكفّــل بالأرزاق يوسـع أرزاقي[2]
فديني موفــورٌ ، وعقلــي راجحٌ　　ووزري منـزورٌ، وعلمـي لي باقي[3]
وعرضي مصـونٌ عن مخـازٍ تظاهرتْ　　علـى هاضمـي ، والحمـد لله خلاقي
ومــا أرتجـي في آجلــي من مثوبةٍ　　وذخــرٍ جزيلٍ فهــو أنفس أعلاقي[4]
فسبحــان من في كلِّ عارضِ محنةٍ　　له منحةٌ يقضي لهـا الشّكر أطواقي[5]

انتهت زيادة الإلحاق

* * *

تم الجزء الرابع من « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور الثعالبي ، وبتمامه تمام الكتاب ، والحمد لله الذي يسر سبل إكمالـه ، وصلاتـه على خير خلقه وعلى صحبه وآله .

---

(١) أحاشي : أُجانب ، وريّق : به رونق الشباب ونضارته .
(٢) ثمدت : قلّت وأفنت ، والجَوائح المصائب ، والمكاره التي تنزل بالمرء
(٣) الوزر : الذنب ، منزورٌ : مُبعد ومُجامى .
(٤) أعلاقي : نفائسي .
(٥) العارض : ما يعترض الانسان في حياته من عوارض وصعاب . وأطواقي : قدرتي وجهدي .

فهرس الجزء الرابع

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
لأبي منصور الثعالبي

الباب التاسع
شعراء وكتاب جرجان وطبرستان

فصل في ذكر شعراء طبرستان

الصفحة

البـاب العاشـر

القسم الرابـع
في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر
الباب الأول

الصفحة

الباب الثاني

في ذكر العصريين المقيمين في بخارى

الصفحة

الباب الثالث

في ذكر المأموني والواثقي ، ومحاسن أخبارهما

الصفحة

الباب الرابع

في ذكر غرر فضلاء خوارزم

الصفحة

الباب الخامس

في ذكر أبي الفضل الهمذاني (بديع الزمان) وحاله ووصفه

الصفحة

الصفحة

الباب السابع
في تفاريق ملح أهل بلاد خراسان ، سوى نيسابور

الصفحة

الباب الثامن

في ذكر الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

الصفحة

الباب التاسع

في ذكر الطارئين على نيسابور من بلدان شتى

الصفحة

الباب العاشر
في ذكر النيسابوريين